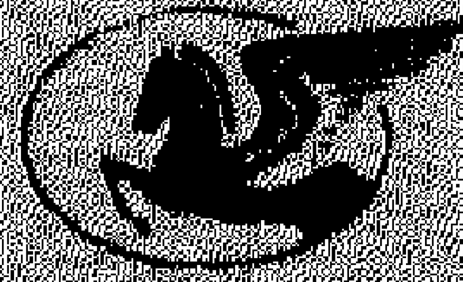
كانون الثاني (يناير) ١٩٨٠



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقراون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٥٤٥ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٢٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٢٥٠د - اليمن الجنوبية ١ر - مسقط ١ر - العراق ٢٠٠ف - تونس ٢٠٠م - المغرب ٢د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا واميركا الشمالية ١د

سيكون التلفزيون أكثر متعة لو أنتجت البرامج بنفسك

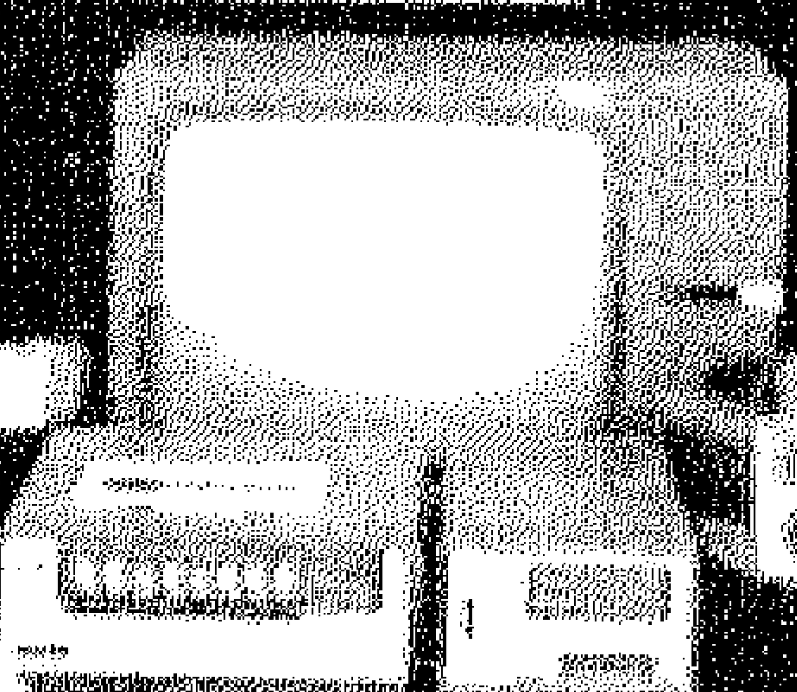
يكسب تسجيل البرامج التلفزيونية (الفيديو) في منزلك ابعادا جديدة اكثر اثارة حين تضيف الى نظامك التلفزيوني آلة تصوير ملون (فيديو) وتبدأ انتاج البرامج بنفسك، ولا سيما حين تكون هذه الآلة فعالة وسهلة الاستعمال ولها خصائص "آلات تصوير هوليوود" مثل عدسة ٦ اكس ذات القدرة الفائقة على تصغير بعد اللقطة

وجهاز تعيين المنظر ذي الدورة الكاملة.
بهذه الطريقة بالضبط صممنا آلة التصوير التلفزيوني الملون ج. س. - ٤٠٠، فاذا اضفت اليها مسجل الكاسيت ه. ر - ٤١٠٠ المرافق للشريط التلفزيوني الملون النقال وجهاز تلقيم تلفزيوني، فستحصل على كل ما تحلم به: نظام تلفزيوني منزلي متعدد الاستعمالات في مجموعة متكاملة.

انت تعرف ذلك. فنحن JVC - شركة الصناعات الالكترونية السمعية / التلفزيونية التي حققت ابتكارات عدة وطورت نظام VHS طوال ٥٠ سنة من الخبرة.

اعتمد علينا في جعل حياتك اكثر تشويقا وفائدة. زر اقرب وكيل معتمد لـ JVC اليوم واكتشف طريقتنا في جعل تلفزيونك اكثر متعة.

VHS



جي في سي JVC



المختار
من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي : مؤنس طه حسين ،
رئيس التحرير : ادمون صعب ،
رئيس التحرير المعاون : اديب صعب ،
مدير التحرير : فؤاد غطاس كرم ،
امانة التحرير : رينا نداف ،
الاخراج : اروى سيف الدين ،

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس ،

الناشر :
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية ،
المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح ،

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I

الادارة والتحرير والاشتراكات:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات :
شركة تمام TAMAM
19, Av. Franklin D. Roosevelt — 75008, PARIS

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ،

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية - باريس ،

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا ،

الخط: محمد ماجد ،

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا ،
مدير التحرير: آلان دوليرو ،

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية ،

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
Nº DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: حمامة الصباح (اريك نايسميت) ،

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
January 80 Nº 14 (New Series). Vol 2



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY

الصوت الستيريوفوني الذي ينتقل بأمان .

حيثما تذهب ، لصيد السمك أو صيد الطيور ، الى الشاطىء ، أو في بيتك ، بإمكانك الإستماع الى أحدث الستيريوفوني بفضل راديو ومسجل - كاسيت AJ500/FS الجديد ، من إنتاج أكاي .
إن جهاز AJ500/FS ليس جميلاً فحسب ، بل إنك حين تستمع الى قوة صوته المدهشة تتعجب من الشكل المزدوج للتردد المنخفض (١٦ سنتم) والضخم المزدوج للتردد العالي (٥ سنتم) ، ستعجب بأنظمة وحدات المدبل لجهاز هاي فاي الموجود في بيتك .
لنا الآن لنستمع الى مميزات أخرى لجهاز AJ500/FS نظام IPLS مثلاً ، الذي يكتشف أول البرنامج المختار ، بفضل مستوى الصوت وحدة السكوت بين البرامج والبرامج . تحتاج لذلك ، يكفي أن تضغط على مفتاح التشغيل وكذلك على مفتاح IPLS ، إما للإسراع الى الخلف أو للإسراع الى الأمام ، فيقف الشريط عند بداية البرنامج ثم ينتقل من جديد . وهذه أيضاً بعض المميزات الاخرى لجهاز AJ500/FS سوف تتوقع أن تعثر في الجهاز على عدد أكبر من الوحدات الثابتة جداً وهي تشتمل على ٣ أوضاع لانتقاء التسجيل العادي - FeCr-CrO2 ، تسجيل ستيريوفوني من الموجة المعدلة FM ، نظام تحكم ذاتي بالمستوى ALC ، وميكروفونين مكثفين داخل الجهاز . إذن ، حيثما تذهب ، احمل AJ500/FS واصطحبه معك .

AJ500/FS

الصوت الستيريوفوني الذي
ينتقل بأمان .



سمعيات وبصريات

AKAI

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan

أيّ عامٍ جديد؟

... ذلك هو السؤال في نهاية كل عام

على مكتبي ورقة صغيرة كتبت عليها بحرص عبارة "قرارات العام الجديد". وفي نيتي ملء تلك الورقة في الوقت المناسب.

شعور غريب بالتشكيك جعلني اترك الصفحة بيضاء اياماً عدة على رغم اني، منذ طفولتي، تعودت كتابة القائمة قبل الاول من يناير (كانون الثاني) من كل سنة. وكانت تتضمن اخطاء من الماضي وآمالا للمستقبل، كما كانت تشتمل على تذكير بتعويض الاشياء التي نفدت مني، مثل الصبر وطيبة القلب، وباكتساب بعض الامور الجديدة علي، مثل اللغة الاسبانية وادب دوستويفسكي. وكنت دائماً انزع الى شطب النقاط، الواحدة تلو الاخرى، مع مرور الايام. لكن قراراتي غالباً ما بقيت حبراً على ورق.

والآن ماذا افعل؟ هل اعيد كتابة النقاط القديمة ذاتها؟ الا يتطلب العام الجديد قرارات جديدة؟

قد تكون المشكلة ان العام الذي يأتينا ليس جديداً فعلا، بل تلازمنا اعوامنا القديمة فندون قرارات العام الجديد على اللوح نفسه الذي علاه الغبار.

وقد يشير احدنا الى عادة من عادات العام الفائت اذ يقرر ان يكف عن التدخين، او يعترف آخر بافراطه في الاكل طوال العام الماضي فيتعهد بأن ينقص خمسة كيلوغرامات. ويكتب بعضنا: "كن والداً، او صديقاً، او طفلا، او عاملا، اكثر طيبة"، مع اسف على الاخطاء التي ارتكبها في العام السابق. وهكذا، يبدو اننا نحتفظ دائماً بعلاقة ما مع حالنا في العام الماضي.

ان التقليد الذي يقضي باتخاذ قرارات جديدة كل عام يعتبر اعترافاً باننا قادرون على التغير على رغم كل الخبرات والعادات المقترنة بماضينا. وهذا التقليد هو ترحيب بالاحتمالات المتوافرة لدينا وبفكرة اننا ما زلنا نستطيع ان نخلق مستقبلا يختلف عن الماضي.

ونحن، اذ نتردد بين العامين الماضي والمقبل، انما نحتاج الى ان نقرر امراً ما او نجازف بشيء.

لا محالة ان هناك نمطاً واحداً على الاقل في حياتنا يتحول الى عادة نتقبلها كما نتقبل شكل اناء زهر مكسور في غرفة جلوسنا، او كما نتناول الغداء في بيت العائلة كل يوم اجازة، كما نداوم على الجلوس في المكان نفسه حول مائدة الطعام.

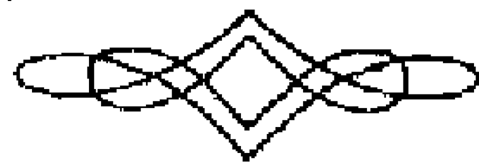
في حياة كل انسان مسائل تؤخذ على انها امر واقع او توقعات او التزامات. وكم منها لازمنا، من غير مناقشة، مدة تزيد على العشر سنين؟ ماذا يحدث، مثلا، اذا تركنا الاطباق من دون غسل في حوض المطبخ وماذا اذا اجبنا بكلمة لا؟

تبقى العادات التي لم نتأملها قابعة هناك كهدايا الزواج القديمة التي لا يذكرها احد او يحبها، ومع ذلك لا يتخلص منها احد. فهي تشغل المكان الذي نحتاج اليه للعناصر الجديدة هذا العام.

واذا عقدنا العزم على اعادة النظر في تلك العادات والتخلص مما ليس منه فائدة، امكننا عندئذ ان نتيح لانفسنا فرصة المجازفة والسعي وتجربة شيء لسنا قادرين عليه بعد، كما نكتشف ان بعض الالتزامات والتوقعات والامور المسلم بها ما هي في الحقيقة سوى اعمال نسعد بالتطوع للقيام بها.

اكتفي بهذا المقدار، اذ لدي قائمة لا بد من كتابتها. وأظن اني سأعيد كتابتها فأسمّيها: "قرارت لعام جديد نسبيا". ولن ادون سوى فكرة واحدة: "غيري الاسلوب".

■ ايلين غودمان



منطق

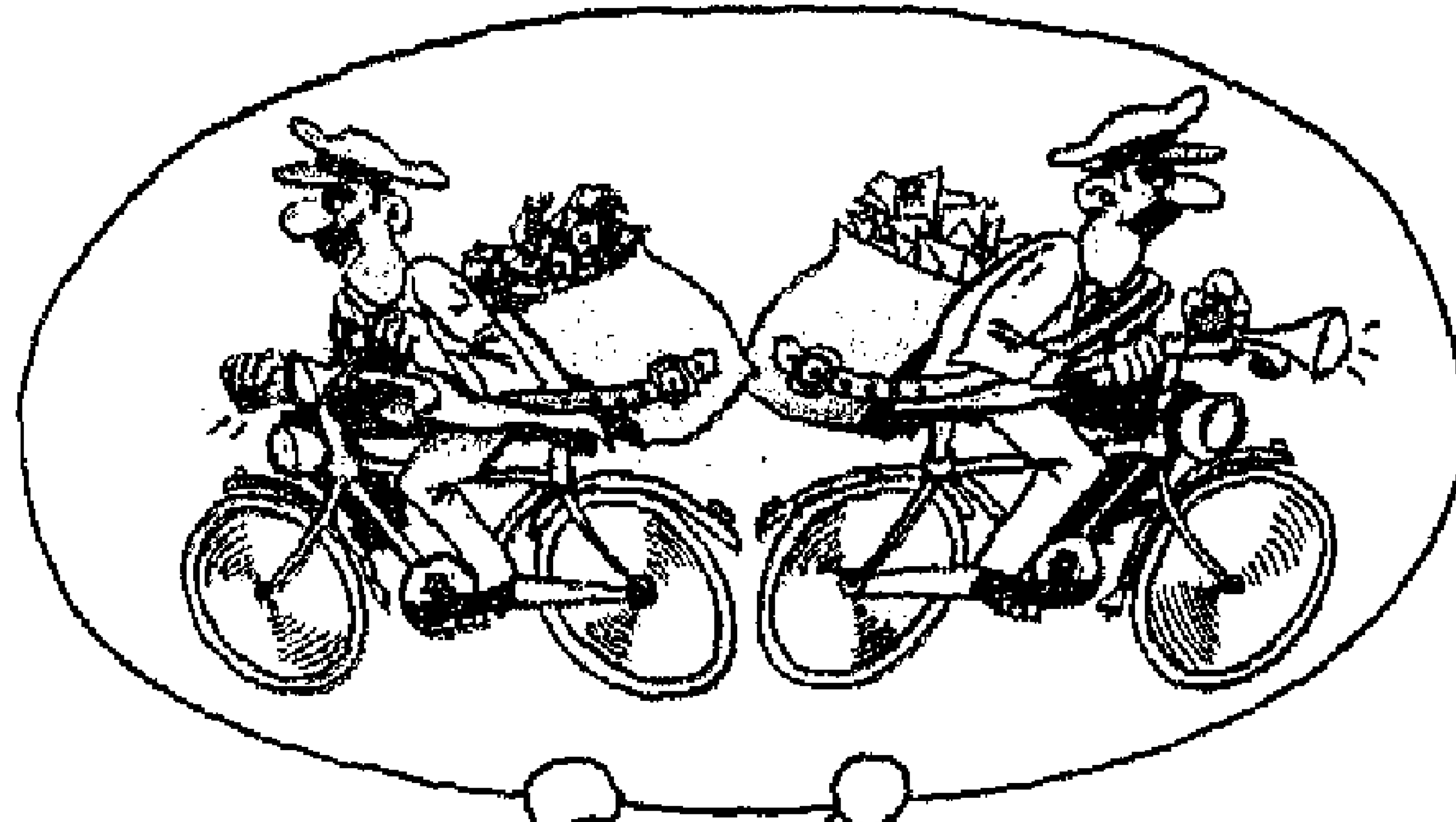
دعا زوجي طفلنا ذا الاربع سنوات الى تناول العشاء، فعلا صوت الطفل من الحديقة: "سآتي بمجرد ان اهبط عن هذه الشجرة. ولكن علي ان اتسلقها اولا".

غ.م.

حكاية كل جيل

دخلت مراهقة ترتدي تنورة شديدة القصر وتنتعل جزمة تبلغ حد الركبة الى مكتبة. وبعدما سوت خصلات شعرها الطويل، سألت الموظف بتردد: "انني ابحث عن كتاب لافلاطون، يقال انه يرسم فيه صورة قاتمة للمستقبل ويشتكي من شباب عصره". ولما لاحظت علامات الدهشة على وجه الموظف، اضافت المراهقة: "انه هدية اود تقديمها الى ابي في عيد ميلاده".

هـ.ث.





اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله: الى "المختار" وهو يدفع لك في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.

○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...).

○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.

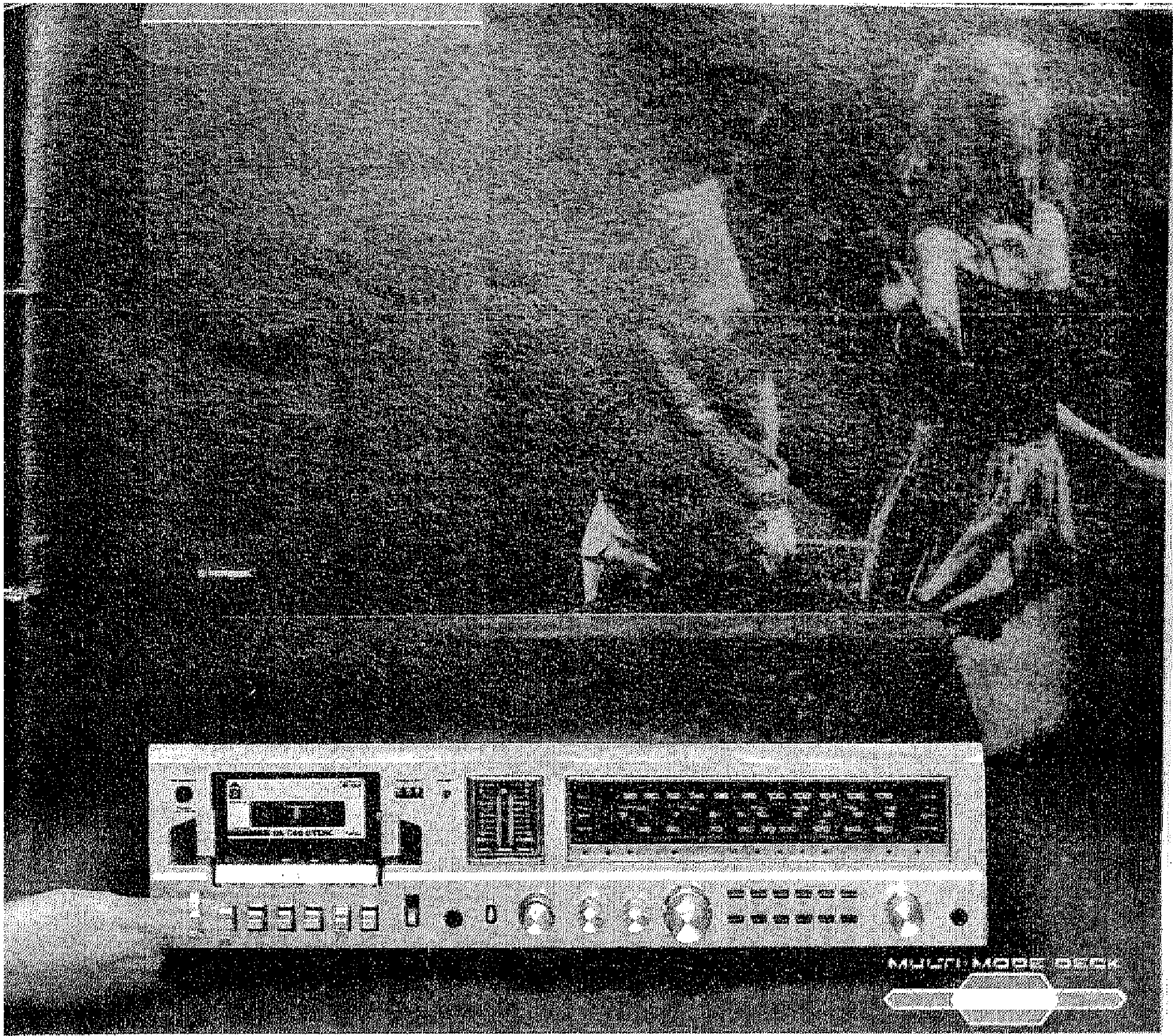
○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.

○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر أجنبية.

○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France



بايونير ٥١٠ الجديد
جهاز ممتع ستتعلقون به

تبذل شركة بايونير جهدها لارضائكم وجعلكم تستمتعون بالموسيقى التي تحبون، صحيح ان جهازنا الموسيقي الجديد ٥١٠ متقدم تقنياً، لكنه سهل الاستعمال،

ان جهاز Multi_ModeDeckTM الشهير: هو الثمرة الاساسية لهذا الابتكار، فهو مزود بمعين للاغاني وتكفي لمسة واحدة حتى ينطلق الجهاز في التسجيل او اعادة بث المادة المسجلة، كذلك يؤمن جهاز "دولبي" (★) اداء صافياً خالياً من التشويش،

وهناك ايضاً مضخم قوي للصوت، ان طاقة الجهاز البالغة ٤٥ "واط" تتيح لكم الاستمتاع بموسيقى طالما حلمتم بها، واذا لم تصدقوا آذانكم فلا بأس من اللجوء الى عيونكم ومراجعة لوحة المعلومات Led في هذا الجهاز،

ان هواة الموسيقى سيعجبون ولا شك بجهاز توفيق الموجات SW/AM/FM الى جانب ذلك كله زودت بايونير جهازها الجديد بمكبرين خارجيين للصوت يجعلان الموسيقى اكثر روعة،

جهاز بايونير الموسيقي الجديد ٥١٠ يمنحكم متعة اكيدة، انه سهل الاستعمال وستتعلقون به حتماً،

(★) "دولبي" علامة تجارية لمختبرات دولبي،

PIONEER بايونير

4-1, Meguro 1-chome, Meguro-ku, Tokyo 153, Japan

كل من اقتنى جملا قال ان هذا الحيوان الغريب الاطوار جوهرة لا تقدر بثمن



سَفينة الصَحراء

يبدو الجمل للوهلة الاولى نكتة من نكات الطبيعة: قلة رشاقة ترافقها حماقة وبرود قلب يرافقه كسل. مخلوق غارق في كآبة مغلقة، لا يصدر عنه سوى اصوات مخيفة وروائح كريهة. مزاجه عكر متقلب، تدريبه بالغ الصعوبة، وركوبه متعب الى اقصى الحدود، ناهيك بميله الى عض اليد التي تطعمه.

وهو ليس مخلوقاً جميلا ، طوله ثلاثة امتار وارتفاعه متران، ويتركز في وسطه معظم وزنه البالغ ٤٥٠ كيلوغراماً. وهو احدب، بطنه كالبرميل، شفتاه سميكتان، قوائمه نحيفة، تتصادم ركبه المائلة الى الداخل ليبدو، كما قيل عنه، حصاناً ابتكرته لجنة.

ومع ذلك، فلو امعن المرء النظر الى الجمل لرآه من ابدع مخلوقات الله. ان كثيراً من الصفات التي تعزى

الى الجمل تقوم على افكار قديمة خاطئة، بل ان منظره يعزز اعتباره اعجوبة في الهندسة التشريحية. ويسميه بدو شبه الجزيرة العربية "عطاء الله". وفي المناطق القاحلة المنبسطة التي تغطي سدس مساحة اليابسة، يعد الجمل وسيلة نقل لا تقدر بثمن. ذلك ان عجلات الشاحنات تغرز في الرمال. ولا يزال الجيش في صحراء راجستان الهندية يستعمل الجمال في المناطق التي تستعصي حتى على سيارات اللاندروفر.

ومما يدل على اهمية الجمل الكبيرة ان لدى باكستان نحو مليون جمل هي ضعف ما كان لديها قبل عشرين سنة، وتملك الهند قرابة مليون ونصف مليون جمل، واثيوبيا مليوناً آخر، والصومال ثلاثة ملايين. واذا اضفنا ذلك الى جمال شمال افريقيا ووسطها وجمال افغانستان ومنغوليا والاتحاد السوفييتي والصين والشرق الاوسط، لبلغ عدد جمال العالم نحو ١٥ مليوناً تزداد باستمرار.

كانت للجمل مكانة مرموقة منذ اجيال طويلة. ففي القرن الرابع الميلادي، بعد ما اجتاز الجمل نهر النيل مقبلا من شبه الجزيرة العربية ومن مصر الى المغرب العربي، تغير مجرى التاريخ. فقد اصبحت التجارة امراً ممكناً عبر الصحراء الافريقية الكبرى التي كانت بابا موصداً بين افريقيا السوداء من جهة والبحر الابيض المتوسط واوروبا والشرق من جهة اخرى. وعبر قرون طويلة كانت قوافل الجمال تأتي من الشمال الى تمبكتو في مالي واغاديس في النيجر محملة بعقود الزجاج من البندقية والقطن من مانشستر (بريطانيا) والحرير من فرنسا، اضافة الى الملح والتوابل والسيوف والعطور والبارود. وكانت هذه القوافل تعود من الجنوب محملة بالعبيد والذهب.

واستعملت الجمال في اماكن عدة اخرى من العالم بما فيها الولايات المتحدة. وقد جاء الرئيس جيفرسون ديفيس بالفكرة عام ١٨٥٥ عندما كان الجيش في حاجة الى وسيلة نقل بين المراكز العسكرية في تكساس وساحل المحيط الهادىء الذي كاد يخلو من وسائط الدفاع.

وبعدما درس الرئيس ديفيس اوجه الشبه بين جنوب غرب امريكا ومواطن الجمال التقليدية، تمكن من الحصول على اعتماد من الكونغرس بلغ ٣٠ الف دولار، فاستورد نحو ٣٠ جملا من مصر وآسيا الصغرى. وقد نفذت تلك الجمال مهمتها على اكمل وجه. لكن الكونغرس رفض تخصيص اموال لشراء المزيد منها، ثم حسم الامر امتداد السكة الحديد.

سنام واحد ام سنامان؟ ــ ظهرت فصيلة الجمال قبل قرابة ٤٠مليون سنة في امريكا الشمالية. وكان الجمل آنذاك في حجم القط. وقبل نحو مليون سنة، عرفت تلك السلالة نمواً كبيراً، وتفرعت الى ست فصائل توزعت في انحاء الكرة الارضية. واستقرت جمال الفكونة والغوناق في هضاب الانديز (غرب امريكا الجنوبية) بينما استوطنت جمال اللامة والالبكة المناطق السفلى منها. واتجهت انواع اخرى ــ كانت في حجم جمال اليوم ــ غرباً عبر الممر بين الاسكا وسيبيريا (الذي غمرته

المياه بعدئذ ليصبح اليوم مضيق بيرينغ)٠

اما الجمل البكتري ذو السنامين والكثيف الشعر فقد اتجه الى المناطق الباردة٠ وتعيش سلالته، التي يقل عددها عن ٥٠ الفاً، في منطقة ما بين بحيرة بيكال في سيبيريا وسهوب الصين الوسطى٠ واما الجمل الوحيد السنام، وهو اكثر علواً وسرعة ويدعى دروميداري، نسبة الى الكلمة اليونانية القديمة "دروموس" التي تعني سباقاً او حلبة سباق، فقد اختار رمال شبه الجزيرة العربية الحارة٠

كل ما في الجمل متقن التصميم للتكيف مع بيئته القاسية٠ فالعينان، وهما القسمة الوحيدة الجميلة حقاً في الجمل، لهما رموش كثيفة مزدوجة تحجب عنهما الرمال المتطايرة٠وفي امكان الجمل اغلاق اذنيه ومنخريه للغاية ذاتها٠ اما الاخفاف الضخمة فلا تتناسق مع القوائم الدقيقة، وهي كثيفة ومنبسطة تسهل له الحركة على الرمال من دون ان يغرز فيها٠

وشفتا الجمل مطاطيتان قاسيتان تلتهمان الاشواك الحادةالتي يمكنها اختراق جلد الحذاء٠ وهما فعالتان في تجميع الاكل بحيث لا يفقد الجمل ابداً اي رطوبة بمد لسانه الى الخارج٠ وتلتهم الجمال اشياء لا تلتفت اليها مخلوقات اخرى، كشجيرات الملح الصحراوية وورق السنط الذي لفحته شمس الصحراء المحرقة وغير ذلك من "اطباق" على كثبان الرمال٠

واذا اشتد جوع الجمال فقد تأكل كل شيء تراه، سواء أكان سقف قش على كوخ افريقي ام لوحاً من البلاستيك ام سلكاً نحاسياً٠ ويدفع هذا "الطعام" جيئة وذهاباً في المعدة عبر اربع حجرات تستخلص الغذاء من مصادر تكاد لا تخطر على البال، من دون ان تنتج عنه نفايات كثيرة٠ (ويصلح الروث الجاف وقوداً للطهو في الصحراء)٠

سر البقاء – ان ابرز مزايا الجمل الاسطورية قلة حاجته الى الماء٠ وعلى رغم ان الجمال الوحيدة السنام تسقى مرة كل ثلاثة ايام او اربعة في احر ايام الصيف (ويمكنها ان تشرب من الماء ما يملأ حوض استحمام اثر سفر يوم شاق) فهي تصمد مدة اطول من ذلك٠ اما سر هذه القدرة فقد اكتشفه قبل عشرين سنة العالم الفيزيولوجي نات شميث نيلسن من جامعة ديوك، الذي قصد الصحراء الافريقية الكبرى ليتعرف على السر٠ وقد اكتشف ان الجمل لا يملك طريقة واحدة فقط لتحقيق اكبر فائدة ممكنة من الماء الذي يشربه،بل اكثر من عشر طرائق، احداها كمية البول الضئيلة٠ وفي حين يصاب معظم الحيوانات بالتسمم اذا لم يستطع التبويل الكافي، فان الجمل يستطيع اعادة تمرير مقدار كبير من بوله عبر الكبد لصنع بروتيين جديد، مما يعطيه مخزونا من الطعام والماء٠

ويشكل السنام طريقة اخرى اذ يخزن من الشحم ما يعادل خمس وزن الجسم، ومنه يسحب الجمل ما يحتاج اليه من غذاء ان لم يجد طعاماً٠ وهكذا، فلا حاجة الى توزيع الشحم على اماكن اخرى من الجسم٠ ويمكن التخلص من حرارة الجسم الزائدة عبر بقية الجلد، مما يخفف من كمية العرق٠ اما الحرارة الخارجية

فيعكسها شعر كثيف يعزل الجلد. واذا لم يكن عمل الجمل شاقاً ورعى عشباً جيداً، فانه يستطيع الحصول على كل الماء الذي يحتاج اليه من الرطوبة المتوافرة في طعامه. وربما بقي من دون ماء مدة تصل الى عشرة اشهر.

وفي الحالات الطارئة يستطيع الجمل ان يأخذ ما يحتاج اليه من الماء مباشرة من انسجة جسمه، فيخسر ربع وزنه من غير ان يضعف جدياً. فلا عجب، اذاً، في ان الجمل، ما ان يكمل نموه، حتى يصبح قادراً على سبق الحصان والصمود اكثر منه في المسافات الطويلة، فضلا عن حمله اثقالا لا يقوى الثور على النهوض بها.

ويستطيع الجمل السير بحمل ٢٠٠ كيلوغرام بسرعة ٤٠ كيلومتراً في اليوم لمدة ثلاثة ايام متواصلة. واذا كان غير محمل فقد يعدو بسرعة تفوق ١٥ كيلومتراً في الساعة مدة ١٨ ساعة من دون توقف، في حين يتوقف الحصان قبل ذلك بكثير، منهكاً خائر القوى. وقد نظم سباق في مطلع القرن الحالي في اوستراليا بين جمل وحصان لمسافة ١٨٠ كيلومتراً، وفاز الحصان بفارق ضئيل جدا ولم يلبث ان سقط ميتاً. اما الجمل فنام ليلة كاملة وعاد في اليوم التالي ليقطع مسافة ١٨٠ كيلومتراً اخرى في المدة نفسها.

حقد لا يزول — ان من يتأفف من بضعة اطوار غريبة في هذا المخلوق البديع هو ساكن صحراء غليظ القلب. وعلى اي حال، فلا جدل في ان الجمل غريب الاطوار. ان مشيته الشاذة قد تسبب عذاباً لراكب مبتدىء. فهو يتقدم محركاً قائمتيه اليمنيين معاً الى الامام، ثم كلتا قائمتيه اليسريين، ماضياً في حركة اهتزاز غير مألوفة بدت لي في الركوب الاول (والثاني والثالث) كأنما ابدعت بمهارة شيطانية لاتعابي. واذا وجهته نحو كثيب رمل حاد الارتفاع، فهو يركع على ركبتيه الاماميتين، ويدفع بقائمتيه الخلفيتين متلوياً على ركبتيه. وفي اعلى الكثيب يضم قائمتيه الخلفيتين، وينهض على الاماميتين لينطلق نحو السفح كأنه المزلقة.

وما دام الجمل سائراً، فهو يؤدي عمله بصمت. غير انه، في اي وقت آخر، يسمعك تشكيلة اصواته المتنوعة. اما الجمال التي قابلتها في افريقيا والهند فقد حرمتني النوم ليلة وهي تهدر وترغي وتزبد وتئن وتشخر وتزمجر وتنخر.

وبينما نجد النوق هادئة وسهلة القياد، فان الذكور يمكن ان تكون صعبة المراس اذا سيطرت عليها غريزة التزاوج، عندئذ تصبح عصبية المزاج الى درجة هستيرية ويملأ الزبد افواهها وتلتهب عيونها. وقد تعض اي شخص على مقربة منها من دون تحذير، فتقطع ذراعه او تنهش ركبته او تقضي عليه تماماً. ومن الممكن جداً ان يكون الشعور بالخيبة سبب هذا السلوك: فالذكور تستمر دورتها النزوية ثلاثة اشهر او اربعة اشهر متواصلة، بينما تقتصر في النوق على اربعة ايام او خمسة، وقد لا تطرأ كل سنة.

يبقى الجمل، في السنة الاولى من حياته، شديد الاعتماد على امه. ولا يمكن تدريبه او تشغيله الا بعد ان

يبلغ الرابعة او الخامسة. وتقوم طريقة التدريب التقليدية على ادخال سدادة انف مربوطة بحبال قياد مشدودة باتزان. فان كان الشد ضعيفاً لم يترك اي اثر،ولكن اذا كان شديدا مفاجئاً فانه قد يمزق انسجة المنخرين مما يجعل الجمل يستشيط غضباً. وعدا الشهوة، فان سوء المعاملة يمكن ان يحول هذا المخلوق اللامبالي البارد الاعصاب الى قاتل هستيري.

والجمل الذي تساء معاملته لابد من ان يسعى الى الانتقام. ومهما طال الزمن، فهو يقتنص عدوه ويطرحه ارضاً ويسحقه حتى الموت تحت وطأة وزنه الثقيل. وقال لي ج.د. شارما، مدير البحوث في مزرعة بيكانر للجمال في راجستان: "ان في الجوار جمالا وقع بصرها على راع لئيم داخل سيارة، فطاردت السيارة عبر البلدة كلها".

ويعامل معظم الجمالين جمالهم باحترام ومودة وعطف. وقد رأيت في موريتانيا جملا كاد ان يقلب رجلا من دون ان يقصد سوى التودد اليه. وبما ان متوسط عمر الجمل هو ٤٠ سنة، فقد يخدم عائلة ما مدة جيلين في الحراثة ونقل الماء وحمل المحاصيل الى السوق. وقد تدر الناقة اربعة ليترات من الحليب الذي يفوق حليب الابقار جودة، وذلك لثلاث سنوات على الاقل بعد حملها. وغالباً ما يكون هذا الحليب الغذاء الوحيد للبدوي. ويطرح الجمل سنوياً بعضاً من شعره ليكون لباسا لصاحبه او ملاءة او بساطا. ويستمر في خدمته حتى بعد موته فيؤكل لحمه ويستخدم جلده لصنع الخيام.

ومع ذلك، فمن اجل شيء آخر يقول البدوي وهو يرفع يقطينة يابسة جعلها طاسة وملأها بحليب الناقة: "بارك الله فيها". ففي العلاقة الحميمة التي تعود الى آلاف السنين بين الانسان وهذا الحيوان، تعلم كل منهما ان يغض الطرف عن اخطاء الاخر. ويمكن من يعيش منا في زحام المدينة، وسط ضوضاء السيارات وهدير الحافلات وجلبة القطارات، ان ينظر بعين الحسد الى البدوي الذي ينعم باعاجيب الطبيعة وسحرها.

■ كلير ستيرلنغ



مسألة نسبية

وصف الممثل بيتر اوستينوف زورقا يملكه بانه "يتسع لكي ينام فيه ستة اشخاص يعرف احدهم الآخر جيدا، او لسيدة محتشمة بمفردها".

ج.ب.

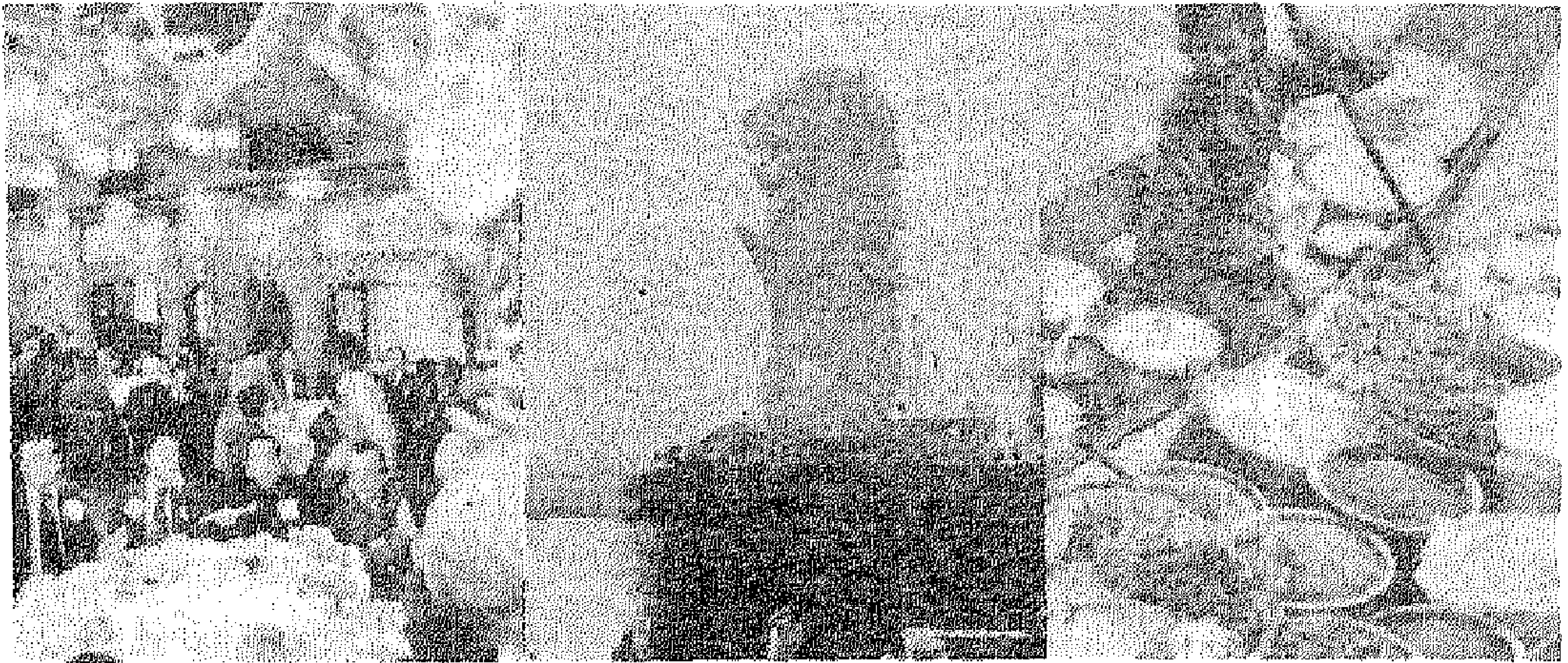
سكير

خاطب الطبيب مريضه بلهجة تنم عن فداحة الامر: "اذا اردت ان تنعم بعمر مديد، فكل تفاحة كل مرة تشعر بتوق الى كأس من الخمر". فأجاب المريض: "آسف يا دكتور، فأنا لا استطيع ان اهضم هذه الكمية كلها من التفاح".

ا.س.

رحلات كاثي باسفيك إلى الشرق الأقصى

رحلات من القلب إلى القلب، لأكثر مناطق آسيا سحراً وروعة





CX53

بانكوك/سنغافورة/هونغ كونغ

١٠٤٠ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٣ ليلة .. رحلة أسبوعين من اللهو والمرح
في ثلاث مدن أسيوية مشهورة ..
للتسوق والسياحة والليالي الساهرة ..

بانكوك/بتايا

٧٠٤ دولار أمريكي

٧ أيام و٦ ليالي بين روعة وهيبة معابد بانكوك المشهورة ..
وسوقها الاسطوري العائم .. وهدوء الطبيعة الساحرة في مصيف
بتايا، أشهر مصايف تايلاند الساحلية ..

بانكوك/مانيلا/هونغ كونغ

١٠٤٥ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٣ ليلة .. إن بانكوك وهونغ كونغ مكانان لابد لكل
سائح من زيارتهما إلا أن هذه الرحلة تشمل أيضاً مباهج مانيلا حيث
يجد الزائر متعة في شراء الهدايا بالثمن الذي يناسبه.
وحيث يستقبله الناس بكل بشاشة ومودة كما أن الانطلاق منها في
جولات خلوية في الأرياف سيزيد من قيمة وروعة هذه الرحلة.
ستجد وأنت على متن طائراتنا في كل هذه الرحلات كل ترحيب
وعناية وستحيطك مضيفاتنا المتعددات الجنسية واللواتي سيأتين
من ٩ أقطار مختلفة، بكل رعاية.
وبخدمة لايقدمها غيرهن.

من صميم آسيا.

Hong Kong's discovery airline
CATHAY PACIFIC
The Swire Group



يمكنكم مراجعة الأسعار والحصول على كتيب الرحلات من أقرب مكتب لشركة طيران كاثي باسفيك
البحرين ٧٥٨٨٥٠ - الخبر ٨٦٤٢٧٢٧ - جدة ٤٦٢٢٥ - الرياض ٤٦٤٥٦٦١/٤٦٥٠٤١٢ - الكويت ٤٧٢١٠٦ - الدوحة ٢٢٠١٨٢ - ابوظبي ٣٢٢٢١٠ - دبي ٢٢٤١٥٦ -
مسقط ٧٠٢٩٥٢ - بيروت ٢٦١٢٣٠ - دمشق ٢٢٨١٥٥ - عمان ٢٤٢٦٣ - القاهرة ٤٢٣٢٦



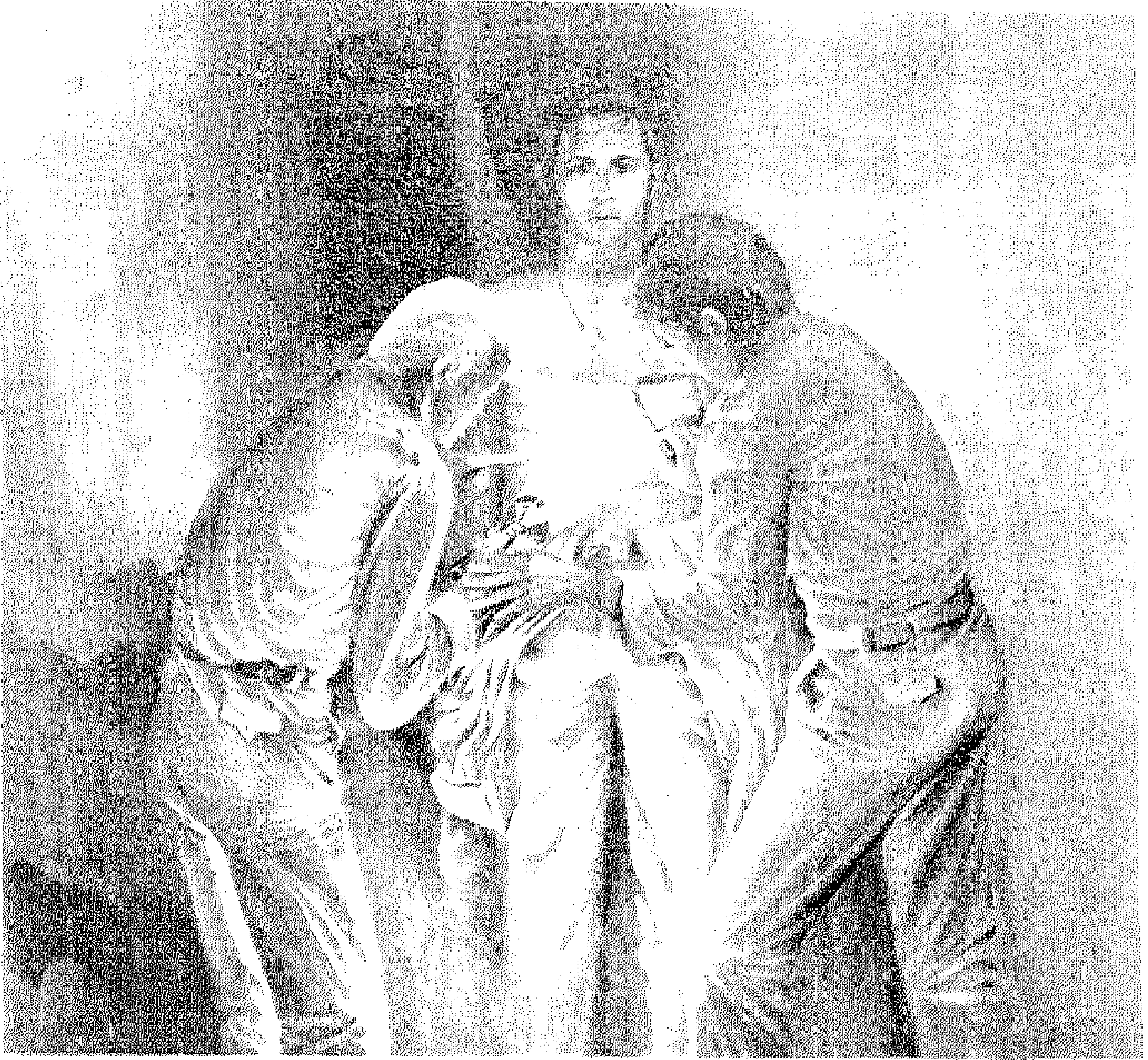
طبيب في قبضة إرهابي مسلّح :

أنا قنبلة موقوتة تمشي على قدمين

ثبّت مسلح قنبلة موقوتة فوق صدر طبيب وأنذره بنسفه اذا هو لم يدفع له في اليوم التالي، فدية مالية كبيرة، وقد تصرف الطبيب بشجاعة نادرة ساعدته على النجاة

استعان الدكتور مانويل كاباليرو، الطبيب النفسي الذي يبلغ الرابعة والثلاثين، بكل ما اوتي من شجاعة كي يبدو طبيعياً في الظاهر وهو يسير إلى بيته عبر شوارع مدينة أورينسي شمال غرب اسبانيا. وكان مظهره امام المارة لا يختلف عن مظهر اي شخص آخر من سكان المدينة الذين يبلغ عددهم ٩٠ الف نسمة: مجرد رجل منصرف الى شأنه في هدوء. فلم يكن هناك ما يدفع احداً إلى الشك في سره الرهيب، وهو تلك القنبلة الموقوتة المثبتة على صدره بالشرائط اللاصقة من غير ان يستطيع التخلص منها.

كان ذلك يوم ٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٨. وكان كاباليرو، قبل نحو ساعتين، ذهب لمقابلة رجل غريب، قال إن اسمه جوليان رودريغز وقد اتصل به هاتفياً وادعى انه يريد مقابلته في شأن الاعلان المنشور عن بيع فيلا من حجر الصوان ذات ٣٠ حجرة، تملك والدة الطبيب الارملة جانباً منها. واتفق الاثنان على اللقاء



في الفندق حيث ينزل المدعو رودريغز.

كان الرجل الذي فتح باب الجناح الرقم ٢٠٢ في الفندق يرتدي ثياباً انيقة، ويتكلم بلهجة جعلت كاباليرو يظن ان الرجل مثله، من مقاطعة غاليسيا. ودخل الاثنان فوراً في موضوع العقار الذي تبلغ قيمته ٦٠ مليون بيزيتا (نحو مليون دولار). وابدى رودريغز اهتمامه بشروط البيع، ونهض من مقعده قائلا: "ساقدم اليك عرضاً". واختفى داخل غرفة النوم، ثم عاد بعد لحظات وقدم الى الطبيب النفسي ورقة مطوية قبل ان يدور ليقف خلفه.

وفتح كاباليرو الورقة وقرأ فيها العبارات الآتية مطبوعة على الآلة الكاتبة: "هذه سرقة بالاكراه. افعل ما اقوله لك لئلا تتعرض للخطر". وارتسمت على وجه كاباليرو شبه ابتسامة وادار رأسه نحو مضيفه، فرأى فوهة مسدس مصوبة نحوه من

مسافة متر فقط فلا مفر من التنفيذ.
وأمره رودريغز بان يركع على ركبتيه. ثم تغيرت لهجته فجأة إلى اسلوب من يخاطب شخصاً ادنى منه، واستطرد:"اسند رأسك الى المنضدة وضع يديك خلف ظهرك".
وسرعان ما وجد كاباليرو معصميه مقيدين بأنشوطتين من خيوط النايلون تم إعدادهما من قبل. وأمر رودريغز أسيره بدخول غرفة النوم حيث قيد كاحليه، ثم غشّى عينيه بشريط لاصق وفتح ازرار قميصه. وأحس كاباليرو بان رودريغز يضغط صدره بجسم صلب مربع الشكل. وفجأة ادرك حقيقة ما يحدث له: لقد اصبح آخر ضحية لنوع جديد من أساليب الخطف في اسبانيا، يطلق فيه المخطوف لكي يجلب فديته بنفسه بعد ان تكون ثبتت في جسمه قنبلة موقوتة.
بينما كان كاباليرو يفكر في مصيره، لف رودريغز حبلا حول عنقه وآخر حول اسفل اضلاعه، ووصل الحبلين بالقنبلة. وبعد ذلك لف المسلح حول ترقوة الطبيب بضع طبقات محكمة من الشريط الطبي اللاصق، غطى بها القنبلة والحبل الذي يدور حول اسفل اضلاع الضحية.
حذار الهرب - رفع رودريغز قطعتي الشريط اللاصق من فوق عيني الطبيب، ووضع امامه ورقة اخرى مطبوعة على الآلة الكاتبة، تنبئه بأن جسمه ثبتت عليه قنبلة، وتطلب دفع عشرة ملايين بيزيتا قبل الساعة الرابعة من عصر اليوم التالي. وتقرر ان القنبلة ستنفجر تلقائياً بعد فترة تراوح بين ٧٥ ساعة و ٩٠ ساعة من تثبيتها على جسم كاباليرو. واضاف النص:"ونحن الوحيدون الذين نستطيع رفعها من دون ان تنفجر". وفي حال ابلاغ الشرطة او عدم دفع المبلغ المطلوب، فسوف تتخذ إجراءات انتقامية ضد اسرة كاباليرو.
وسأل الطبيب وهو يجاهد للسيطرة على صوته:"هل هذا الشيء مأمون؟" فمد رودريغز يده ونقر القنبلة بشدة مرتين باصابعه وقال موضحاً: "إنها لن تنفجر قبل موعدها إلا إذا اصابتها صدمة بالغة. غير أن فيها ادوات استشعار خاصة تجعلها تنفجر إذا اصابها بلل، أو إذا فصلت عن الجسم أو نزع منها الحبل الملفوف حول الرقبة". وأضاف:"سأتصل بك هاتفياً في الثالثة عصر غد لأنبئك بمكان وضع الفدية. وعليك أن تبقى هنا حتى الثامنة، ثم تنصرف وتسدد أنت حسابي في الفندق". وكانت الساعة السادسة والنصف عندما غادر رودريغز جناحه في الفندق.
وبعد خمس دقائق، كان كاباليرو تخلص من قيوده غير المحكمة واخذ يفحص نفسه. وبدت له الكتلة الملصقة بجسمه أكبر قليلا من حجم علبة السجائر. ورأى وسط صدره وصلة سدادة بارزة فوق حافة الشريط اللاصق خيل اليه انها ميكروفون، وقال في نفسه: "هل هذا نوع من أجهزة التنصت؟ ترى هل يراقبونني عن طريقه ليكتشفوا اي محاولة مني لخداعهم؟"
وفي السابعة والدقيقة الاربعين مساء غادر كاباليرو الفندق وكاد ان ينهار من الرعب، وبلغ بيته بعد خمس دقائق. وبينما كانت يده تدير مقبض باب شقته الواقعة في الطابق

الخامس، كان رأسه يموج بخضم من الافكار المتضاربة:"إنني قنبلة موقوتة تسعى على قدمين! هل يصح حقاً أن أبقى قريباً من الناس؟ لعل الأجدر بي ان اخرج إلى الجبال حيث انتظر انفجار هذا الشيء اللعين! كلا، هذا جنون. لقد كان رودريغز واثقاً من انه لن يقع اي حادث عن طريق المصادفة. ومهما يكن الأمر، فربما كانت هذه القنبلة خدعة زائفة".

ووجد البيت خالياً من زوجته سيسي ومن أطفاله الثلاثة الذين تراوح أعمارهم بين الثالثة والحادية عشرة. واستبدت به الحاجة إلى الحديث مع أحد الناس، فذهب الى شقة قريبة يسكنها اعز صديقين له، وهما فيلكس وزوجته لورديس. وما ان اخذ كاباليرو يروي ما حدث له حتى جاءت سيسي في زيارة قصيرة للصديقين كعادتها. وحين رأت زوجها هناك سألته ببشاشة عن نتيجة اجتماعه بالرجل الذي عرض شراء البيت. واعلن كاباليرو بهدوء:"لقد كانت سيئة". ثم تنهد ونقر سترته باصبعه فوق المكان البارز، وقال:"لقد ثبتوا في جسمي قنبلة يا سيسي".

لا وقت للبكاء – أحست سيسي بالخدر يوشك ان يسيطر على كيانها كله، لكنها تمالكت نفسها بسرعة وهي تفكر:"إن زوجي يحتاج الى معونة، لا الى عويل".

وقص كاباليرو ما حدث بعبارات مختصرة، وأصر على ان يتفاهم الاربعة كتابة حول جميع الأفكار والتعليمات الخاصة برودريغز وبطريقة التعامل معه، موضحاً شكه في امر الميكروفون، اذ كتب لهم:"من الجائز ألا يكون هناك شيء، ولكن سنفترض انه حقيقي".

وخلال المناقشة المكتوبة التي اعقبت ذلك، انتهى هؤلاء إلى نتيجة واحدة، هي أن كل ما يمكنهم عمله هو ان يحاولوا الحصول على نقود الفدية. وبمعاونة صديق لكاباليرو له صلات وثيقة بأعيان مدينة أورينسي، وضعت الترتيبات لجمع مبلغ عشرة ملايين بيزيتا من المصارف فور فتحها أبوابها في الصباح.

وأصر فيلكس وزوجته لورديس على قضاء الليلة مع كاباليرو وأسرته.

وعند ظهر اليوم التالي، عاد فيلكس إلى شقة كاباليرو يحمل حقيبة سفر من الجلد البني مليئة بنقود الفدية: اوراق مالية من فئة الألف بيزيتا (أقل من عشرين دولاراً). وفي الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين عصراً رن جرس الهاتف.

وجاء صوت رودريغز يعطي تعليماته:"انطلق بالسيارة ٧٧ كيلومتراً غرباً على طول الطريق الرئيسية بين أورينسي وفيغو حتى تبلغ بلدة بوينيارياس. وبعد ثمانية كيلومترات أخرى، سترى نافورة مياه حجرية وراءها علبة بيرة فارغة فيها تعليمات أخرى".وكان على كاباليرو أن يذهب وحده، وأن ينتظر مكالمة اخرى قبل ان ينطلق في طريقه. وجاءت هذه المكالمة في الخامسة مساء.

وبعد ساعة، وجد كاباليرو مذكرة التعليمات الثانية خلف النافورة، وهي تأمره بوضع النقود تحت تشكيل صخري (يعرف محلياً باسم "صخرة بيتهوفن" لأنه على هيئة رجل يجلس

إلى بيانو) على مسافة ثلاثة كيلومترات عبر أرض شديدة الوعورة. وسار كاباليرو على قدميه متجهاً إلى المكان وهو يجد عناء في حمل الحقيبة التي تزن ١٥ كيلوغراماً، وسرعان ما أخذ يلهث بشدة. وكان شريط اللصق الضيق يضغط على صدره على نحو جعل اضلاعه تؤلمه، فيما كانت علبة القنبلة تحفر لحمه حفراً موجعاً. ثم بدأ يعرق، فتذكر تحذير رودريغز من انفجار القنبلة إذا اصابها بلل. وبعد ان مضى متعثراً نحو ٦٠٠ متر، شعر بأنه لا يستطيع، كما لا يجوز له، ان يستمر. واستبد به الغيظ والاشمئزاز، فعاد إلى السيارة.

تعليمات جديدة – وصل كاباليرو إلى بيته في الثامنة والنصف مساء وقد انهارت معنوياته. وبعد ثلاث ساعات رن جرس الهاتف، وجاء صوت المجرم عبره آمراً: "تكلم". ولانت لهجته قليلا حين سمع رواية كاباليرو، وقال: "سأحاول ان اجد مكاناً يسهل الوصول إليه. انتظر مكالمة أخرى".

وجاءت هذه المكالمة في الثالثة والنصف صباحاً، تنبئه بأن هناك تعليمات جديدة في علبة سردين فارغة سيجدها ملقاة الى جانب لافتة على الطريق تبعد ثلاثة كيلومترات عن وسط ميناء فيغو على المحيط الاطلسي.

وانطلق كاباليرو إلى المكان حيث قضى اكثر من نصف ساعة وهو يبحث في غسق ما قبل الفجر عن اللافتة حتى وجدها. وأنبأته المذكرة بأنه بلغ نقطة مراقبة للتأكد من أنه احضر الفدية، وأمرته بأن يتبع ممراً ضيقاً حتى يبلغ حقلا تغطيه الحشائش الطويلة، وهناك يضع نقود الفدية في حقيبة رياضية سيجدها أمامه وسط الممر. وعليه بعد ذلك أن يذهب إلى السيارة وينتظر ست دقائق، يرجع بعدها إلى الحقيبة ليأخذها، وهي ملأى بالنقود، إلى موقع نهائي يلقيها فيه بالقرب من مدينة اورينسي. وهناك يجد لفافة من رقائق الألومينيوم تحوي التعليمات اللازمة لمنع انفجار القنبلة الموقوتة ونزعها.

ونفذ كاباليرو التعليمات ووضع النقود في الحقيبة. وعندما عاد بعد ست دقائق وجد سحاب الحقيبة مثبتاً ببضع لفات من السلك. وبدت له الحقيبة خفيفة على نحو غير عادي وهو يحملها عائداً بها الى السيارة. وعندما تحسسها بيده اليمنى بدت له لينة بحيث لا تتناسب مع صلابة ملمس رزم الأوراق المالية.

وقال في نفسه: "لقد خدعت! إن رودريغز أخذ الملايين العشرة. ولكن ما الذي في هذه الحقيبة؟ من الجائز أنها قنبلة اخرى قد تنفجر على الفور!"

واستبد به مزيج من الغضب والرعب وتعالت دقات قلبه المتسارعة، فترك السيارة والحقيبة (التي وجد في ما بعد انها محشوة باوراق الصحف). وكان التعب قد هده من قلة النوم، وفقد من وزنه سبعة كيلوغرامات في يومين فقط، وامتقع وجهه بعد ان ملأته شعيرات لحيته غير المحلوقة. وأحس في صدره بألم لا يطاق نتيجة الضغط المستمر من علبة القنبلة.

وبعد ان بلغ كاباليرو حافة اليأس، وجد سيارة تاكسي. وقضى ساعات

يبحث عن هاتف غير معطل، حتى تمكن اخيراً من الاتصال بزوجته التي انبأته بان صديقيهما اقنعاها بإبلاغ الشرطة عن الواقعة. ففعلت، وكان شرطها الوحيد عدم فعل اي شيء يزيد من الخطر الذي يتعرض له زوجها. وقالت له إن فريقاً خاصاً من خبراء تعطيل المتفجرات قدم من مركز شرطة اقليم كورونيا واستقر ينتظره في أورينسي.

ووصل كاباليرو إلى إدارة شرطة أورينسي في التاسعة والدقيقة الأربعين صباحاً، حيث قابل اندريس وكارلوس(*)، الخبيرين المتخصصين في تعطيل المتفجرات وعضوي وحدة تعطيل المتفجرات التابعة للشرطة الوطنية.

وفي حجرة تحت الأرض وقف الخبيران يرتديان ملابس سابغة واقية من الحريق ودروعاً من ألياف الزجاج تحمي جذعيهما وخوذات من البلاستيك ذات أقنعة واقية شفافة لحماية الوجه. وأخذا يفحصان الشريط اللاصق الملفوف حول جذع كاباليرو، والتقطا صوراً عدة بالأشعة. ولم يفعلا شيئاً غير ذلك، إذا كانا ينتظران عودة رجال الشرطة الذين ذهبوا للبحث عن لفة رقائق الألومينيوم التي تحتوي على تعليمات تعطيل القنبلة التي وعد بها رودريغز.

وسرعان ما جاء الخبر: لم يجدوا اي تعليمات.

مبضع جراح – عندئذ انتقل الثلاثة إلى استوديو للتصوير في دهليز المبنى، وقع عليه الاختيار لأنواره الكثيرة القوية. وحرصاً على حرية الحركة، قرر الخبيران أندريس وكارلوس أن يخلعا ملابسهما الواقية كلها ويعملا بأكمام مشمورة.

وكان اندريس رجلا ضخماً من أهالي غاليسيا، يبلغ من العمر ٣٦ سنة. وقد وقف يفرك ذقنه برهة ثم قال:"حسناً يا دكتور، هلا بدأنا العمل في هذا الشيء؟"

وسأله كاباليرو بقلق:"هل سبق لكما أن عطلتما جهازاً مماثلا؟"

فرد الشرطي بهدوء:"كلا". وعلق زميله كارلوس مازحاً:"إذا انفجر هذا الشيء فسنطير جميعاً إلى العالم الآخر".

وخفض كاباليرو عينيه المحمرتين، وهز رأسه قائلا:"لنبدأ".

وفي العاشرة والنصف صباحاً، أمسك أندريس بمبضع جراح وبدأ يقطع بخفة طبقات الشريط اللاصق الذي يغطي الكتلة المثبتة على ترقوة كاباليرو، فيما بقي الطبيب النفسي واقفاً.

وبعد قرابة ساعة من العمل الدقيق بالمبضع تم خلالها قطع بضع طبقات من الشريط اللاصق، قال اندريس بهدوء:"ها هنا شيء ما"، إذ كان مبضعه قد لمس جسماً شبيهاً بالزر يحتمل أنه فتيل تفجير. وإذا نزع عنهالشريط اللاصق وحرره، فقد يؤدي ذلك إلى تفجير الشحنة الناسفة.

واحتياطاً لوجود فتيل آخر في ظهر الجهاز، دفع كارلوس ببطء شديد شريطاً من البلاستيك الرقيق الصلب بين صدر كاباليرو والقنبلة، وقال له:"أمسك هذا الشريط بقوة، وادفع الكتلة كلها بعيداً عن جسمك".

وأطاع الطبيب النفسي وقد

* الاسمان مستعاران.

غمره،في لحظة التوتر تلك، شعور بالراحة لأن محنته قاربت على الانتهاء بشكل أو آخر. وأسرع كارلوس بشريط لاصق يثبت قطعة البلاستيك الصلبة بإحكام بالقنبلة، ثم قال لكاباليرو: "يمكنك ان ترخي يديك الآن". ولا يتذكر كاباليرو على الاطلاق رد فعله عندما قال له كارلوس ذلك. لكن كارلوس وأندريس يؤكدان ان أندريس كرر الطلب ثلاث مرات، الا ان كاباليرو ظل جامداً كالتمثال من غير ان يبدر منه اي رد فعل. واخيراً وخز أندريس الطبيب النفسي بطرف المبضع، فصحا فجأة من غيبوبته.

وبعد أن ازيلت جميع الشرائط اللاصقة، فحص الخبيران التوصيلات الظاهرة، وقررا ان الحبل الرمادي الملفوف حول رقبة كاباليرو ليس أداة للتفجير كما زعم رودريغز. وقال أندريس:"سنخلعه الآن". فجمد كاباليرو في مكانه ثانية بينما راح أندريس يجذب طرفي الحبل ببطء من ثقبيهما على جانبي القنبلة.

ثم جاء دور الحبل الملفوف حول صدر كاباليرو. فقد تولى الخبيران انزاله على مهل، وهو متصل بالقنبلة، حتى استقر على الأرض. وفي الساعة الثانية عشرة والنصف بعد الظهر - اي بعد ثلاث ساعات من دخوله ادارة الشرطة - خطا كاباليرو خارج حلقة الموت وأصبح حراً.

وفي موعد لاحق من اليوم نفسه، وضع الخبيران الجهاز في حقل خال خارج مدينة اورينسي وفجروه بوسيلة لاسلكية، بعد ان وضعوا فوقه غطاء كاتماً من الألياف الزجاجية وزنه عشرة كيلوغرامات، أطاره الانفجار إلى ارتفاع أربعة طوابق.

ويحاول كاباليرو اليوم ان ينسى محنته البشعة التي استمرت ٤٣ ساعة، ولكنها تركت في نفسه ندوباً عميقة، من آثارها (كما يعترف هو): "أنني اصبحت شديد الحذر من الغرباء". ولم يتم حتى الآن العثور على الرجل الذي يسمي نفسه رودريغز. كما ان كاباليرو يضيف بأسف: "علي ايضاً دين مقداره عشرة ملايين بيزيتا يجب ان اسدده".

غير ان للحادث، على رغم ذلك، جانباً ايجابياً. ذلك ان كاباليرو، من خلال تجربته الأليمة، اتاح للشرطة ان توضح عملياً انها ليست عاجزة عن التصرف حيال سلاح اجرامي جديد خطر. وهذه الحقيقة، في ذاتها، هي عامل ردع عن مثل هذه الجريمة.

ولعل افضل درس اسفرت عنه هذه التجربة هو ما يعبر عنه كاباليرو خير تعبير بقوله:"إن في هذه الدنيا أناساً على استعداد دائم لمد يد العون في الملمات. بل إن بعضهم - مثل اندريس وكارلوس - يقدمون ما هو اكثر من العون، إذ يعرضون حياتهم نفسها للخطر".

■ راوول ف. دو بارغا

سأل الملك سليمان نملة عن مدى حاجتها لطعامها من القمح خلال عام، فقالت: "اربع حبات"، فأعطاها الحبات الأربع وحبسها عاماً، ثم عاد فوجدها قد أكلت حبتين فقط، فسألها عن السبب فقالت: "خشيت ان تنساني، فأمنت نصف حاجتي للعام المقبل".

نزار عرنوق - طرطوس (سورية)

التفاهم الجنسي ضمان اكيد للسعادة الزوجية

هل تتجاوب مع زوجتك او هل تتجاوبين مع زوجك وتبثان على موجة جنسية واحدة؟ اذا شئت ان تصفو الاجواء بينكما فاليك ببعض نصائح الخبراء في هذا الصدد

☐ عاد وليد الى منزله بعد انتهاء عمله اليومي فوجد زوجته ناهد مرتدية ثوبها الانيق الطويل، ورحبت به بعناق حار، وقالت انها اعدت له وجبة الطعام التي يفضلها والتي رأت ان تقدمها اليه في ضوء الشموع. وبدلا من اطراء زوجته على معروفها وجهودها، رد عليها وليد على نحو غاضب بتقطيب الجبين.

☐ تغلب التعب على سهيلة فاسرت لزوجها وحيد بأن الاعياء يضطرها الى النوم باكرأ فتمنى لها ليلة سعيدة، وجلس هو يتابع النشرة الاخيرة للانباء على التلفزيون. وفي صباح اليوم التالي، لم يبد ان سهيلة استفادت من فترة نومها الاضافية، بل على النقيض من ذلك اخذت تتلوم بحدة على زوجها لانه نسي اعادة معجون الاسنان الى مكانه في خزانة الادوية.

فماذا دهى يا ترى وليد وسهيلة وحملهما على مثل هذا التصرف، فاضطربت المؤشرات الجنسية بالنسبة الى كل منهما وفقدت مدلولها الحقيقي.

الدكتور مارك برنشتاين المدير التنفيذي لمجلس العلاقات الزوجية

في مدينة فيلادلفيا يجيب مفسراً: "كان وليد يتلقى اشارات لم ترد عليه في الواقع بينما سهيلة كانت تبث اشارات لم يتسلمها صاحبها"

اعتقد وليد ان العشاء المتقن الذي اعدته زوجته كان جزءاً من مخطط لاستدراجه الى الجماع، فاثار ذلك حنقه لسببين: اولا، انه امضى يوماً حافلا بالعمل في المكتب ومن ثمّ لم يبق له مزاج للمغازلة، ثم انه كان يمقت التلاعب به على هذا الوجه.

ويقول الدكتور برنشتاين: "لقد كان وليد على خطأ في افتراضه، لان العشاء بحسب رأيه، كان بادرة طيبة من قبل ناهد نحو زوجها، ولم يكن ابداً محاولة لاغوائه. فقد لاحظت ناهد ان وليد كان منهك القوى، واملت في ان يكون العشاء الفخم مصدر راحة بالنسبة اليه.

واما سهيلة فقد كانت ترغب في الجماع مع زوجها في تلك الليلة وكانت تستهدف من ذهابها باكراً الى الفراش ان توعز اليه بذلك. لكن زوجها اخطأ فهم بادرتها وظن ان سهيلة قد هدّها التعب، وكانت النتيجة انها شعرت بالمهانة والاهمال فثارت.

الموضوع الحساس - يتفق خبراء الزواج على عدم استغراب مثل هذا الانهيار في العلاقات الجنسية بين الزوجين. ويقول عالم النفس اريك ريس مدير معهد استقصاءات الزواج: "ان مسألة الجنس موضوع شخصي حساس للغاية. وتتباين المواقف ازاءه، اذ ان الامزجة لا تتوافق دائماً وان المرء يشعر احياناً بأنه مهدد في صلب كبريائه. وليس من المستغرب بالتالي ان يدب الشقاق احياناً بين الزوجين، حتى الاكثر انسجاماً مع بعضهما بعضاً، بسبب عدم تفهم احدهما نية الاخر".

ويحدث ان معظم المتزوجين يعبرون عن رغباتهم الجنسية بالتلميح او بكلمات اصطلاحية او بتصرفات رمزية، "ولا حرج في ذلك - كما يقول ريس - وانما ينبغي للازواج والزوجات الذين يتبعون مثل هذه التصرفات ان يعلموا كم يسهل على الآخرين عدم ادراك مقصدهم، او سوء تفسيره او مجرد التقصير عن تحقيقه". ويشير ريس على الزوجين بالنصيحة الآتية: "اختر او اختاري المؤشرات التي يمكن تمييزها بوضوح على انها توطئة للنشاط الجنسي المطلوب، كارتداء ثوب معين او ابداء نحنحة خاصة او التحدث عن مكان مفضل، او اي شيء يميزه الطرفان ويتقيدان به".

وينصح ريس الازواج والزوجات بعدم كتم رغباتهم او رغباتهن خشية امتناع الطرف الآخر عن التجاوب معها. فهو يحث الزوج صاحب الرغبة على ان يبادر هو بالتلميح لشريكه الى هذه الرغبة، والامر لا يعدو ان يكون ضرباً من المجاملة والاطراء، مما يبعث على اشباع غرور الطرف الآخر في معظم الاحيان ويحمله في النهاية على رد التحية بمثلها، ولو انه ابدى تمنعاً في بادىء الامر.

واما الذين لا يستطيعون او لا يحفلون باظهار الاشارات الجنسية المفهومة، فلا تقل مشكلتهم عن مشكلة اولئك الذين لا يستطيعون او لا يحفلون بادراك مثل تلك الاشارات

وتفهمها. ويقول الدكتور برنشتاين في هذا الصدد: قد يكون تجاهل تلك الاشارات في بعض الحالات امراً مقصوداً، وقد يفضل احد الشريكين ان يتجاهل "النداء" بدلا من ان يرد عليه بالرفض الصريح. وقد يعود ذلك الى كون احدهما مستاء من شيء آخر، فيجد له في حل شريكه متنفساً لانفعاله. ومثال ذلك، الرجل وزوجته اللذان يتشاجران على مائدة العشاء ثم تمضي الزوجة الى الفراش بقصد "اصلاح" ما فسد بينهما لكن الزوج الحانق يتجاهل مقصد زوجته ويؤثر البقاء عمداً في غرفة الجلوس مسمراً رأسه في احدى قصص التجسس.

تقول الدكتورة افودا اوفيت المحللة النفسية، والاختصاصية في علاج الحالات الجنسية: "ان هذا النوع من مقاطعة الشريك لشريكه امر مضر بالصحة الزوجية، والافضل للزوج ان يفاتح زوجته بموضوع الخلاف والعمل على جلاء الغمامة بينه وبين زوجته بدلا من ان يقيم حاجزاً لا يتأتى منه سوى تفاقم الامور بينهما".

وتحث الدكتورة اوفيت الطرفين على التخطيط والتمهيد للقاءاتهما الجنسية. وهي ترى في انهماك الرجل والمرأة في اعمالهما اليومية الروتينية من اجل لقمة العيش او لتدبير شؤون المنزل، ما يحول في الليل دون تحولهما بسهولة الى عاشقين ولهانين. وتقول الدكتورة اوفيت ان اتفاق الزوجين على موعد معين للجماع يشجعهما على التأهب نفسياً لذلك اللقاء. وهي ترى في "توقع" اللقاء ما يزيد من الاستمتاع بلحظاته.

وهناك كثرة من المتزوجين يخفقون في الاستجابة او يستجيبون من دون حماسة للاشارات الجنسية الصادرة عن شركائهم او شريكاتهم وذلك لعدم استحسانهم او استحسانهن لتلك الاشارات. والطرف الذي يأنف الاشارات الجنسية التي يستخدمها شريكه يحار عموماً في طريقة حمل شريكه على تغييرها. وتقدم الدكتورة اوفيت الحل في هذه الكلمات: "لا تنتقد الاشياء التي تأنفها بل ركز على الاشياء التي تفضلها".

المداراة ضرورية - يعتقد الدكتور برنشتاين ان الزواج يستفيد من مفاتحة الطرفين احدهما للآخر بين حين وحين، في شأن مؤشراتهما الجنسية المفضلة. وهو ينصح بعدم التعرض للمصطلحات المتعارف عليها سابقاً، ثم يقول: "ما لم تكن متأكداً من ان عبارة "لدي صداع" تعني "ليس الليلة"، فلا تفترض ان معناها هو ذلك". ويرى ان الاطراف الذين يتسترون وراء مثل هذه الصيغ المبتذلة احرى بهم ان يبحثوا عن طرق اخرى اقل تعقيداً للاعراب لشركائهم عن حقيقة شعورهم. فهو ينصح باتباع طريقة للاعتذار لا تجرح الشعور، كأن تقول: لا اعتقد انني سأكون عاشقاً بارعاً هذه الليلة، على ان تعقب ذلك بشرح موجز مثل: "لقد انهكني الاطفال اليوم" او "كان اليوم عصيباً في المكتب"، اذ ان من شأن ذلك المساعدة على جلاء الموقف.

ويشدد الدكتور برنشتاين في الوقت نفسه على ضرورة افهام الشريك الممتنع لشريكه ان هذا

الامتناع هو موقت فقط، وذلك بمثل هاتين العبارتين: "لماذا الا نجرب في الصباح؟" او "لنتفق على الليلة التالية"، اذ ان ذلك يعني انك لا تتأبى الجماع ولكن ليس في ذلك الوقت بالذات.

وبالنسبة الى الزوجين اللذين يرغبان في تحسين مصطلحاتهما الجنسية، تقدم الدكتورة اوفيت النصيحة الآتية: جرب الكلمات البسيطة مثل "اشعر" كأن تقول "اشعر بأني اود ان اضمك الى صدري" او "اشعر بأنني حميم قريب منك". وتقول الدكتورة اوفيت "ان اي اختلاجات يستطيع الشريك ان ينقلها الى شريكه - من الشعور بالاسى لقصر الحياة الى الشعور بالغبطة للاستيقاظ معاً في الصباح - من شأنها توثيق الرابطة الاساسية التي تحفز الزوجين على التقارب الجنسي الحميم".

ولا شكّ في ان الزوجين اللذين يجدان الحلّ الملائم لمشكلة التفاهم الجنسي بينهما، لا يقويان على تضييق رقعة التباين في علاقاتهما الزوجية فحسب، بل ينعمان ايضاً بالمزيد من رفاهية المتعة الحسية. وتقول الدكتورة اوفيت: "كثيراً ما تكون اللهجة البدائية في الاعراب عن رغبة الجماع دليلا على مدى الاستمتاع به. فاذا استطاب كلا الطرفين لهجة البداية، طابت لهما كذلك عذوبة الجماع اللاحق".

■ اليس فليمنغ



العدوانية والمجتمع المعاصر

يقول الكسندر ميتشرليخ، المحلل النفسي في مدينة فرنكفورت الالمانية: "ان المجتمع المعاصر لا يهيىء منافذ كافية لجعل النزعات العدوانية عديمة الضرر".

مجلة "سيدتي"، المانيا

مهنة مربحة

روى ماريشال الأركان جان سماتس الحادث الآتي الذي وقع خلال حفلة عشاء في البيت الأبيض الامريكي عام ١٩٤٦:

خلال حرب البوير جاء ونستون تشرشل الى جنوب افريقيا كمراسل صحافي. لكنه ارتكب خطأ اوقعه في الاسر مع كتيبة جنود بريطانيين. وثار سخط تشرشل لأن البوير لم يميزوا بين صحافي وجندي. وظل صوته يلعلع بانه مراسل وان لديه بالتالي حصانة ضد الاعتقال. ثم التمسني موجها بعض الكلمات التي احسن انتقاءها وهو في معسكر السجن.

وعلى الفور لجأت الى وسائلي الخاصة لكي اطلق سراحه. لكنه نجح في الفرار قبل ان احقق ذلك قانونيا. والتقيته بعد سنوات في مناسبة رسمية وذكرته بالحادث، فقال لي: "لو لم تكن خطواتك بطيئة جداً، لخسرت تسعة آلاف جنيه".

فسألت: تسعة آلاف جنيه؟

- نعم، فقد كتبت قصة هروبي وبعتها في مقابل هذا المبلغ.

لسلي فريون كتاب "المنكت الخالد"



تأملات معاصرة

حذار انحدار اللغة

ان احد اكبر مصادر الازعاج التي تواجهنا اليوم هو الانحطاط المتزايد للغة من حيث ابتذالها من جهة وافسادها بالرطانة الاكاديمية من جهة اخرى.
ان هذا لأمر خطير. ذلك ان حضارة تفقد السيطرة على لغتها انما تفقد السيطرة على واسطة الفكر. ومن دون هذه الملكة، لا يمكن ان تكون هناك دقة في التفكير ولا عظمة.

هـ. ب.

اخطار الحياة الجماعية

لا حياة جماعية من دون اخطار. فحتى الحياة الفاضلة لها اخطارها المجسدة في المثل القائل: "الزوجان اللذان يذهبان باكرا الى الفراش بقصد توفير الشموع، ينتهيان بانجاب التوائم".

اللورد روتشيلد

التراب والماء

على رغم ادعاءات الانسان الفنية وسعة ثقافته وانجازاته الكثيرة، فهو مدين بكل وجوده للتراب والمطر: يأكل من الواحد ويشرب من الآخر.

رسالة بلا توقيع

المناعة

ان سور الصين العظيم بناء هائل كلف مبالغ طائلة من المال وحين تم بناؤه بدا في غاية المناعة. لكن العدو استطاع فتح ثغرة فيه لا بهدمه ولا باختراقه، بل برشوة حراس السور.

هـ. ا. ف.

حل" المشاكل

لاحظ كاهن ان قسماً كبيراً من وقته يتجه نحو تقديم النصح الى اناس يبحثون عن راحة البال. فحاول حل المشكلة عبر تخصيص موعد لاحق للقاء موسع. وكنت تجد في هذا اللقاء عشرة اشخاص او اكثر اجتمعوا في صالة الانتظار، اذ انه تعمد تحديد مواعيد للقائهم جميعا في اليوم ذاته وفي الساعة عينها. وعند ذاك يدلف الكاهن الى صالة الانتظار ويبلغهم ان طارئا ما قد حدث، وانه يطلب العذر منهم لانه سيتغيب فترة تناهز الساعة، ويقترح عليهم تبادل الحديث في اثناء غيابه.

واذ يعود، كان يجد ان الصالة خالية باستثناء شخص واحد طلب منه الآخرون البقاء لكي يشرح اسباب خروجهم. ذلك ان كلا من المنتظرين تعرف الى ما يقلق الآخرين، فاكتشف ان مشكلته لم تكن بذلك المقدار من السوء.

رالف ل. وودز

النقد الذاتي

مراجعة الذات هي كيفية فهم الاخطاء التي كان يمكن تلافيها ببعد النظر.

هربرت دانييلز

اذا كان العلم لم يتوصل بعد الى تفسير الوظيفة المدهشة للذاكرة فان هناك شيئاً متفقاً عليه وهو: توافر الطرق لتحسينها

الذاكرة متى تضعُف وَماذا يقوّيهَا

ثمة رجال من كبار المسؤولين يتميزون بذاكرة خارقة تثير الدهشة والاعجاب في نفوس زملائهم، ومن بين هؤلاء مدير احدى شركات صناعة الصلب ورئيس مجلس ادارتها، البالغ من العمر ٥٥ عاماً، فهو يستطيع قراءة نص خطبة مرة واحدة ثم يلقيها بحرفيتها تقريباً من دون ان يعتمد على اي مذكرات. وهو يعرف عدة آلاف من الموظفين بأسمائهم، كما يمكنه ان يستأنف مع ايهم الحديث الذي توقف عنده قبل ذلك بعام كامل.

وهناك مدير لاحدى دور المعاملات التجارية لا يتجاوز السابعة والثلاثين، يعتقد ان في استطاعة المرء، وهو في غمرة الشغل، ان يتذكر زبائنه واحداً واحداً، وان بلغ عددهم الفاً كل يوم.

وكثيراً ما يعلق مرؤوسو امثال هؤلاء الرجال على مقدرة رؤسائهم فيقولون: "لا ندري كيف يستطيعون ذلك". والواقع انه، حتى العلماء انفسهم لا يستطيعون تفسير ذلك. فهم لا يزالون يجهلون ما اذا كانت ذاكرة الانسان كيميائية ام كهربائية، وما اذا كانت تحتوي على مساحة غير محدودة لاختزان المعلومات، ام انها تحتاج الى غربلة مستمرة لتوفير المكان للمستجد من المعلومات. بل انهم يجهلون حتى الموضع العيني من الدماغ الذي تتجمع فيه التذكرات.

دماغ ذو ذاكرتين ـ لكن هذا لا يعني ان العلماء ينفقون الوقت عبثاً. فهم عملوا على بناء دماغ الكتروني متقن يماثل "الذاكرة العرضية" التي تستوعب حدثاً من الاحداث المترابطة في الحياة الواقعية، كالاسماء، والوجوه والتواريخ، و"ذاكرة الدلالات اللفظية" التي تستوعب المجموعات المتكاملة من المعلومات، مثل اللغات

والرياضيات واساليب قيادة السيارات. وقد اوضح العلماء بالرسوم البيانية الفروق بين الذاكرة "القصيرة الاجل" والذاكرة "الطويلة الاجل". كما اجروا مقارنات مجهرية بين دماغ الجنين المتكون قبل الولادة والدماغ الذي بلغ صاحبه سن الشيخوخة. كذلك هم اجروا بعض التجارب الفاشلة لزرع ذاكرة مخلوق حي في دماغ مخلوق آخر. ولئن عجزت جميع هذه التجارب عن ايجاد تفسير عام حاسم للذاكرة الا انها قد تسببت في استكشاف عدد من الامور الخفية.

□ من الناحية البيولوجية، يبدو ان التقدم في السن اقل اثراً مما يعتقد حتى الان، في ما يتعلق بضعف الذاكرة. الا ان تزايد حصيلة المعلومات ربما افضى الى تزايد التنافس بين الذاكرتين الجديدة والقديمة. ومثال ذلك ان سائق السيارة الجديدة ينزع الى البحث عن الكابح اليدوي حيثما كان في سيارته القديمة.

□ ان ضعف الذاكرة يتفاقم بسبب الخوف من الفشل. فتحاش اذاً الوقوع في الذعر. وكثيراً ما يحدث ان تهتدي الى الاسم او الرقم التائه عن ذاكرتك، بالاعتماد على مقدار اقل من الالحاح.

□ قد تتنبه الذاكرة بمجرد الضغط على الجسم لحمله على افراز منبهات كيميائيةللدماغ. ولكن اذا تكاثر هذا الضغط فقد يتسبب في مجموعة من اعراض الذعر التي تنتاب التلميذ ازاء الامتحانات النهائية، وتبعث فيه الارتباك فيعرقل عملية الادراك لديه.

□ ربما ادى تغيير البيئة الى نقص ظاهري في الذاكرة، كالارتباك العارض، الذي يحول دون معرفتك لطبيبك الخاص اذا ما قابلته على غير توقع في المطار.

وما زال الانسان منذ عصر اليونان الذهبي يسعى الى ابراز سر الذاكرة. فقد وصفها افلاطون بانها "مسبكة من الشمع الصقيل"، تتلقى انطباعات الخواطر والاحاسيس فتسجلها وكأنها تحفر فيها بمنقش. ويسلم معظم العلماء اليوم بشكل او آخر بما يدعى "نظرية لوحة مفاتيح الذاكرة". فهم يعتقدون ان العشرة مليارات خلية عصبية التي يتكون منها دماغ الانسان، تترتب على شكل دارات كيميائية كهربائية مترابطة يطلقون عليها اسم "انغرامات" (نسبة الى الاثار التي تخلفها في الدماغ) والسبيل الذي يتبعه كل "انغرام" منها هو ذاكرة. وفي استطاعة كلّ واحدةمن الخلايا العصبية ان تتسبب في اشعال او اطفاء عدد لا يحصى من الانغرامات، اسوة بالمصابيح الكهربائية المتعاقبة في لوحات الاعلانات والتي تضاء وتطفأ بحيث ترسم كلمات وعناوين مختلفة. ولكن المشكلة هي ان احداً لم ير اطلاقاً انغراماً واحداً حتى الآن.

وعلى نقيض ذلك، فقد استطاع العلماء منذ سنوات عدة مراقبة وفحص آلاف الخلايا العصبية الموجودة في الدماغ، ووجدوا ان الخلية العصبية تتكون من نواة ومحور عصبي تتولى اطرافه المتعددة نقل الرسائل الكيميائية الى الاعصاب الاخرى، كما تشتمل على عدد من هوائيات الاستقبال هي الزوائد المتفرعة من الخلية العصبية.

وتسمى الفجوات التي تفصل بين الخلايا العصبية مواقع التشابك العصبي. ويعتقد العلماء ان سر

الذاكرةوالتعلم يكمن في العمل الجزيئي الذي يحدث في مواقع التشابك العصبي.

تغذية الذاكرة – وقد اجرى جيمس ماكغاو، الاختصاصي في علم النفس في جامعة كاليفورنيا في ايرفين، تجارب في هذا المجال مستعيناً بالعقاقير المقوية للذاكرة (ومنها الكافيين) والتي من شأنها تضخيم الاشارات المتبادلة بين الخلايا العصبية. وتوصل بفضل هذه التجارب الى اثبات امر كان يشتبه به بعض العلماء،، وهو ان حالات الرعب او الابتهاج الشديد تبعث على رفع درجة الانفعال الذي تسببه التجربة، وبالتالي فانها تتسبب في افراز مواد كيميائية تقوي الترابط بين مواقع التشابك العصبي فتطبع في الذهن ذاكرة حادة وثابتة.

ويدرس الدكتور ريتشارد فورتمان في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا امكان الاعتماد على بعض النظم الغذائية المعينة كوسيلة لتقوية الذاكرة. وقد اكتشف ان مادة "الكولين"، التي تتوافر في البيض وفول الصويا والكبد، تمتص مباشرة من مجرى الدم وتتوجه الى الدماغ حيث تتحول الى مادة "الاسيتيلكولين"، وهي عبارة عن جهاز ارسال كيميائي ينقل الاندفاعات العصبية عبر مواقع التشابك العصبي. وثبت في الواقع ان ادمغة الاشخاص المصابين بفقدان شديد للذاكرة تفتقر الى الكمية الكافية من الاسيتيلكولين، مما يحمل على القول بأن تزويد هؤلاء الاشخاص بكميات صافية ملائمة من تلك المادة قد يكون له تأثير ايجابي في علاج العجز الذي يعانون. ويأمل الدكتور فورتمان في ان يكون للنظام الغذائي، دوره المهم في تحسين الذاكرة.

ومن المعلوم، منذ زمن طويل، ان الاسراف في الشراب على نحو مزمن يضعف الذاكرةحتى الاضمحلال، بل ان الشرب في المناسبات الاجتماعية من شأنه ايضاً اضعافها اذ ان الكحول تؤثر على قدرة الدماغ على انتاج البروتيينات، وهي المادة الاساسية لتكوين الخلايا العصبية. ولئن تكن الخلايا العصبية لا تتوالد من بعضها البعض. بحيث يتعذر تجديد اي جزء من نسيج الدماغ يفقد بتأثير المرض او الاصابات الطارئة، الا ان البروتيين الذي تحتوي عليه تلك الخلايا لا ينفك عن النشوء والاضمحلال ويمكن القول ان دماغاً جديداً يتكون لدى الانسان كل شهر، ولكن بالخلايا والانفرمات ذاتها.

وهناك بعض الباحثين من اختصاصيي الدماغ يعملون على تحسين الذاكرة باستخدام العقاقير والاعتماد على نظم التغذية المؤاتية، ويتجه البعض الآخر الى اتباع طرق غير هذه تمكيناً للدماغ من تأدية وظيفته الى اقصى الحدود. ويؤكد اصحاب الخبرة من علماء النفس "ان الذاكرة شبيهة بالعضلة، يلزمها تمرين للاحتفاظ بعافيتها".

المراحل الثلاث – ويقسم هؤلاء العلماء عمل الذاكرة ثلاث مراحل هي: التسجيل والتعزيز والتذكر. ففي المرحلة الاولى، يعتبر الانتباه شرطاً اساسياً للحصول على معلومات جديدة

"ولكن الواقع يقضي حسب قول توماس لاندوير العالم النفسي في مختبرات بيل في موري هيل (ولاية نيوجيرسي) بالا تتوقف عند حدود تعرضك للحادث كي يظل راسخاً في ذاكرتك. فعليك ان تحاول الانفعال به وارساخه بطريقة ما". وهو يعتقد ان تكرار المعلومات مراراً بعد تلقيها مباشرة امر لا يسفر عن نتيجة راسخة. ومثال ذلك ان التكرار يساعد الشخص على تذكر رقم الهاتف لوقت كاف يتيح له ان يدير القرص، ولكن ليس لمدة طويلة بعد ذلك.

أما من اجل الاحتفاظ بالمعلومات على نحو دائم، فيوصي لاندوير بما يسميه "التمرين على فترات منتظمة" اي ان تتخلل التكرار فترات راحة. وهو يؤكد ان كل فترة تمرين تخلق ذاكرة جديدة يمكن خزنها في مكان مختلف. اما في ما يختص بتذكر القوائم فان لاندوير ينصح بالتصنيف. ومثال ذلك انه يجب على ربات البيوت اللائي يذهبن للتسوق ان يفكرن في الخضر، فاللحوم، فالالبان، كل على حدة. وقد تمّ في الاعوام القليلة الماضية تصميم طرقتسلسل مترابطة لمساعدة ضعيفي الذاكرة، وهي تعتمد جميعها على الاقتران والترابط في الذاكرة بين الشيء الذي نحاول ان نتذكره وشيء آخر سبقت لنا معرفته. ومثال ذلك ان الاطفال يستطيعون رسم خريطة ايطاليا بسهولة لكونها مقترنة في ذهنهم بشكل الحذاء.

معلومات تفرح الشيوخ – وقد اتى الباحثون بمعلومات تثلج قلوب الشيوخ الذين يخشون ان يفقدوا ذاكرتهم، ذلك ان دماغ الانسان يحتفظ بمرونته وقدرته على الاستيعاب الى مرحلة متقدمة من السن شرط ان يبقى الشخص المعني مهتماً بذاكرته. فقد اجرى الدكتور ارنولد شايبل الذي يعمل في معهد بحوث الدماغ في جامعة كاليفورنيا في لوس انجليس، دراسات مجهرية على ادمغة عدد من المسنين بعد وفاتهم بساعات قليلة، فلم يتضح التدهور الخطير في مواقع التشابك العصبي الا في حالات الخرف الشديد.

ومن جهة اخرى فقد افادت التجارب التي اجريت على الفئران ان التي تعيش منها في البيئات الناعمة بالحركة والالعاب تعاني تدهوراً في مواقع التشابك العصبي اقل من الفئران التي تعيش في حال السكون. فقد وجد الدكتور شايبل، من خلال هذه الدراسات وتلك التي اجراها بنفسه، ان تنمية المهارات الجديدة – كتعلم لغة اجنبية او العزف على آلة موسيقية او الاضطلاع بمسؤوليات اجتماعية جديدة – من شأنها الحد من تدهور الذاكرة لدى المتقاعدين عن العمل.

ومن يدري، فقد يكون للنسيان بعض الفوائد، كأن يخفف من وطأة المآسي على الذين يتقدمون في السن في مجتمع متجدد الشباب، او ان يخفف من ازدحام الذاكرة بالمعلومات. ولكن على اي حال، فحتى اكثر التذكرات انطباعا قد يحدث لها احياناً ان تكون كالزئبق، فتتلاشى فجأة وكأنها تتقلص في الهواء.

■ روي روان

فندق السعادة

قصة واقعية عن عاشقين شابين
جمعتهما لمسة سحر في اشهر فندق في العالم

ذات ليلة ماطرة من اكتوبر (تشرين الأول) قبل ثلاثين عاماً، جلست في غرفتي في الاكاديمية البحرية في انابوليس (ولاية ماريلاند الامريكية) اجيل النظر في احد دروس الملاحة وافكر في جين. لقد قابلتها في شيكاغو في اغسطس (آب) الماضي واغرمت بها، وافترقنا بعد ثلاثة ايام فعدت الى انابوليس لأحيا في عالم الانظمة والقوانين، وتركتها بين اسراب الشبان الراغبين في الزواج. يومها بدا لي كل شيء كئيباً. ثم تفتح الافق عن بارقة امل. كانت جين قادمة الى فيلادلفيا لحضور المباراة السنوية في كرة القدم بين الاكاديمية البحرية والاكاديمية الحربية في وست بوينت (ولاية نيويورك) خلال نوفمبر (تشرين الثاني) وتلك مصادفة جيدة،



وقد شاء عمي وزوجته ان يدعوانا نحن الاثنين الى قضاء نهاية الاسبوع معهما في نيويورك. واذا كان هناك ثمة امل لي، فعلي ان اجعل من عطلة نهاية الاسبوع هذه حدثاً لن تنساه مدى الحياة. وازحت كتبي جانبا وكتبت الرسالة الآتية:

"السيد المدير،
"فندق والدورف - استوريا،
"مدينة نيويورك - نيويورك.
"سيدي الكريم
"يوم السبت في ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني) أتوقع ان اشق طريقي بين اعضاء فريق اكاديمية وست بوينت الحربية لكرة القدم، لعلي احظى بمقعد في مدرج البلدية حيث تجلس فتاة في

انتظاري. ثم نمضي معا الى محطة السكة الحديد، فنستقل القطار الى نيويورك. وعندما نصل اليها سنتوجه في سيارة تاكسي الى فندقكم.

هنا، سيدي الكريم، تدخل انت وفندق والدورف - استوريا في سياق الاحداث.

"اني متيم بهذه الفتاة، لكنها لم تصرح لي بعد بأنها تبادلني الحب. ونظرا الى اني حبيس هذا الدير العسكري، فقلما تتاح لي الفرصة لاستمالتها. لذا فلا بد من ان تكون امسية السبت اروع الامسيات وانسبها لأني سأبلغها اعتزامي الاقتران بها.

"اود الحصول على مائدة ممتازة تضيئها الشموع وتلمع صحاف الفضة فوق غطائها الناصع البياض. اريد ان يكون النبيذ وطعام العشاء افخم ما توصل اليه كبير الطباخين. وعند منتصف الليل تماما، اود ان تعزف الاوركسترا نشيد البحرية عزفاً رقيقاً حالماً، لأني في تلك اللحظة سأطلب يدها.

"وكم اكون ممتنا لكم اذا تكرمتم بتأكيد هذه الترتيبات واشعاري بالقيمة التقريبية للتكاليف. وأنا، في الحقيقة يا سيدي، لم اقو على جمع ثروة من راتبي الشهري الذي لا يتجاوز ١٣ دولارا، ولو اني ادخرت منه بعض الشيء.

المخلص

أ.س. اينس

تلميذ بحري في اسطول الولايات المتحدة"

مع تحيات بوسيدون — ما ان القيت بكتابي في صندوق البريد حتى ندمت على ارساله. لقد كان ينضح غروراً ووقاحة. فما هم المشرف على اشهر فندق في العالم من غرام تلميذ بحري مغمور؟ سيكون للرسالة مصيرها الذي تستحقه: ان تلقى في سلة المهملات.

ومضى اسبوع وبعده آخر، ونسيت امر الرسالة. ورحت احاول ايجاد طريقة اخرى لاقناع جين في غضون ٣٦ ساعة بمشاركتي في بقية حياتها. ثم جاء صباح وجدت على مكتبي رسالة تحمل شارة فندق والدورف - استوريا، ففضضتها على الفور وقرأت:

"عزيزي التلميذ البحري اينس،

"كانت رسالتك اللطيفة موضوع اهتمام العاملين في فندقنا. واني ارفق بجوابي، على سبيل الفكاهة، ما اقترحه رئيس طهاتنا الشهير رينه بلاك للعشاء:

- كافيار سمك الحفش من بحر قزوين محشو في مخالب الكركند، يترنم بحمد رب المحيطات.
- شرائح سمك البنبان المعروف باسم "عذراء الاطلسي"، مقدمة في كيس من الورق الشفاف يحمل العبارة الآتية:

"مع تحيات بوسيدون اله البحر".
- شرائح من صدر الدجاج مقدمة في عش صغير على هيئة سفينة شراعية ذات صاريين، ومصحوبة بحرس شرف من الخضر.
- حلوى ممتازة تحمل اسم "عودة الفاتح" المأخوذ عن اوبرا "عايدة" للمؤلف الموسيقي فيردي، مصحوبة بكأس من الشراب المعطر كمسك الختام.

"اما ثمن هذا الاعجاز المطبخي، بما في ذلك الشراب والبقشيش والزهر والموسيقى، فهو يقارب المئة دولار. ونأمل في ان يكون كنزك النقدي مدعوما بهذا المبلغ لضمان النصر التام.

"واسمح لي بأن اقول لك صراحة انه ما لم تكن لديك موارد خاصة، فلا داعي اطلاقا الى تبديد هذا المال كله. وسوف يسعدني ان احجز لك مائدة انيقة في قاعة ودجوود، حيث تلقى وفتاتك افضل عناية وخدمة ويقدم اليكما الزهر ويمكنكما ان تطلبا من قائمة الطعام كل ما يطيب لكما.

"ستتمتعان بقدحين من الكوكتيل وبوجبة عشاء ممتازة مع زجاجة شمبانيا، في مقابل ثلث المبلغ الذي يقترحه رينه بلاك. وعلى اي حال، فأليك وحدك يعود بت هذا الشأن. ولذلك ارجو أن تعلمني بما يرسو عليه اختيارك في تنسيق حفلتك الصغيرة.

مع اخلص تمنياتي،
هنري ب. وليمس
المدير العام"

"حاشية: اظن ان رسالتك الممتعة كانت مصدر الهام للسيد بلاك".

حيرة وتردد – امتلأت جوانحي ابتهاجا وامتنانا لهذا الرد، ولكن اضناني ان تقل مدخراتي عن المئة دولار. وكتبت آسفا الى السيد وليمس، اعلمه بان تقديره لمواردي كان اصوب كثيرا من تخمين السيد بلاك، واني اكون شاكرا اذا تكرم بحجز المائدة التي حدثني عنها.

ومرت الايام من دون ان اتلقى تأكيدا للحجز الذي طلبته. فغدوت شبه واثق من ان رسالتي الثانية لم تبلغ السيد وليمس، او ان يكون الامر كله مجرد دعابة. وجاءت عطلة نهاية الاسبوع في ٢٧ نوفمبر (تشرين الثاني)، واقبل تلاميذ البحرية يتفرجون على فريقهم الملهم وهو يوقف فريق الاكاديمية الحربية الشهير عند نقطة التعادل ٢١ – ٢١ في مباراة مثيرة. واندفعت فور نهاية المباراة لاقابل جين. كانت جميلة ورائعة كما كنت اذكرها تماما.

وفي القطار الذي نقلنا الى نيويورك، اطلعت جين على الرسالة التي تلقيتها من السيد وليمس، وقلت لها اني غير واثق من الحجز. ولكن قر رأينا على ان نذهب الى فندق والدورف في اي حال.

دخلنا بهو الفندق حيث تقع قاعة ودجوود الى اليمين، تتقدمها بضع درجات في اسفلها حبل مخملي وفي اعلاها آخر، وقد وقف الى جانب كل من الحبلين كبير خدم الفندق ببزته الرسمية، واحتشد امام الحبل السفلي جمهور من القادمين في حلل انيقة ينتظرون موعد الدخول.

والتقت عيناي عيني جين، وقلت لها مستجمعا جرأتي: "توكلنا على الله". ثم دنوت من كبير الخدم متهيباً وقلت: "اذا سمحت،أنا التلميذ البحري اينس. هل لديك حجز باسمي؟".

ورفع كبير الخدم الحبل بحركة تشبه السحر وقال: "بالطبع!" ورأيت زميله الواقف الى جانب الحبل الاعلى يبتسم ويقول: "التلميذ البحري اينس"؟" فقلت متلعثما: "نعم يا سيدي". فقال: "تفضل من هنا". ثم ضرب اطراف اصابعه بعضها على بعض، فجاء نادل وتقدمنا عبر القاعة في اتجاه مائدة انيقة انحنى فوقها خادمان يضيئان الشموع البيضاء.

حلم أم يقظة؟ – تقول جين: تقدمنا، باد وأنا، ورحت اتأمل

المائدة بدهشة واعجاب. كان بين الشموع اناء ابيض يضم زهر الغاردينيا الأبيض والورود البديعة الحمراء. وعندما اجلسني النادل ذو السترة الحمراء في مقعدي، رأيت امامي علبة فتحتها لأجد في داخلها باقة من الزنابق البيضاء الصغيرة.

كانت قائمة الطعام مرسومة باليد رسما مائياً، وفي اعلاها سفينة من سفن الاسطول بدت تمخر في اتجاه الركن الأيمن الاعلى، بينما برز في الركن الايسر رسم لرأس فتاة تزين شعرها مجموعة من الببغاوات المتيمة. وما ان هدأت نشوتنا الى حد يتيح المقاطعة حتى انحنى الخادم المكلف الاهتمام بمائدتنا وسأل باد: "هل ترغب في كوكتيل؟".

اتفقنا على ان نأخذ كوكتيل "مانهاتن". وكان ذلك السؤال الوحيد الذي وجه الينا طوال تلك الأمسية.

بدأ العشاء وسط لمعان الفضة وبريق البلور في ضوء الشموع، بينما الموسيقي الشهير ايدي دوتشين وافراد فرقته يعزفون في خلفية القاعة. كانت الخدمة ممتازة، وكان كل طبق ابدع من سابقه والذ.

وقرابة منتصف العشاء دنا من مائدتنا رجل وجيه ذو شعر فضي وانف فرنسي ضخم وقال: "انا رينه بلاك وقد جئت اتأكد من انكما غير ناقمين علي". فهب باد واقفا بينما اشرق وجهي بالابتسام، ورحنا نعرب عن شكرنا العميق للرجل الذي خطط لنا هذه الأمسية.

تناول بلاك مقعدا وجلس يحدثنا ويمتعنا بنوادره عن علاقته الغرامية المستمرة بزوجته وعن اصل عجة البيض وعن حفلة العشاء التي اقامها لفرقته العسكرية في فرنسا خلال الحرب العالمية الاولى. وعندما سألناه عما اذا كان هو الذي زين قائمة الطعام برسومه، ابتسم وقلب القائمة ليرسم بسرعة على ظهرها رأس كبير الطهاة وكتب تحته بالفرنسية: "اذا كان الحب لا يتطلب سوى القبل، فما الفائدة من شهرة الطاهي؟".

بعدما غادر السيد بلاك المكان نظرت الى باد. كنت قد خططت لمشاهدة المباراة بين الجيش والبحرية وقضاء عطلة نهاية الاسبوع معه، الا انني كنت اتساءل عما ستكون مشاعري تجاه هذا التلميذ البحري الجريء الذي التقيته لقاء قصيرا في الصيف الماضي.

وها نحن الآن سوياً في فندق والدورف - استوريا في نيويورك، وقد تبادلنا لتونا اطراف الحديث مع رينه بلاك الشهير ونعمنا بعشاء يليق بالملوك، والآن نرشف النبيذ الفاخر. فما اروع ذلك!

النغم الجميل - يقول باد: بعد لحظات ترك ايدي دوتشين فرقته وجاء الى مائدتنا. كان هذا الموسيقي الاسطوري الشهرة ودوداً، رقيقاً، وهو يتحدث عن المباراة الرائعة التي خاضها فريق البحرية عصر ذلك اليوم. وسبق لدوتشين ان انخرط في البحرية خلال الحرب العالمية الثانية. وهو اغتنم فرصة شرود انتباه جين لحظة قصيرة، ومال نحوي هامساً: "نشيد البحرية في منتصف الليل تماما. اتمنى لك التوفيق". ثم نهض مبتسما وعاد الى البيانو.

كنا نرتشف قدح الشراب المعطر عندما جاء النادل ينبئني بأن هناك مكالمة هاتفية لي في الردهة. فمضيت في اثره اتساءل عمن عسى يكون صاحب المكالمة. ولكن ما ان خرجت من الباب حتى رأيت رئيس الخدم ينتظرني ليقدم الي قائمة الحساب وهو يقول: "فكرنا في انك قد تفضل الا نقدم اليك هذه على المائدة".

قلبت القائمة متهيبا ونظرت الى مجموع ارقامها، فوجدته ٣٣ دولاراً. كان من الواضح ان هذا المبلغ لا يمكن ان يفي بجزء صغير من كلفة السهرة، وان هذا الاسلوب الرقيق في تقديم قائمة الحساب يستهدف انقاذي من الحرج.

وتقول جين: عاد باد الى المائدة مشرق الوجه. ورداً على سؤالي الفضولي عن المكالمة الهاتفية قال: "انه امر لا اهمية له. هيا نرقص!". وشعرت بيده على ذراعي توجهني برقة الى حلبة الرقص. وكان حولنا ازواج آخرون يرقصون ويتحدثون ويبتسمون. لكني لم ار سوى باد. كنا نعيش امسية اسطورية لكنها كانت واقعاً حقيقياً. وقلت لنفسي: "اني عاشقة، فما اروع ذلك!".

ويقول باد: قبل منتصف الليل بخمس دقائق كنا جالسين الى مائدتنا وقلبانا مفعمان بالسعادة. وفجأة ظهر النادل الى جانبي وفي يده زجاجة شمبانيا، فتحها ليخرج من سدادتها فرقعة خفيفة، وملأ لنا كأسين بالشراب المتلألىء.

ورفعت كأسي لجين. وفي تلك اللحظة دوت طبول الفرقة الموسيقية. والتفت ايدي دوتشين وانحنى لنا، ثم استدار ورفع يده وانزلها، فاذا بنا نسمع نغمات ذلك النشيد الجميل العاطفي العذب، نشيد البحرية:

"لقد اثبت البحارة في المعارك/ منذ ايام القتال الغابرة/ حق البحار في ارتداء بزة/ البحرية بلونيها الازرق والذهبي".

ونظرت الى حبيبتي الرائعة وقلت لها بغصة: "هل تقبلينني زوجا لك؟".

وتقول جين: تم زواجنا في يونيو (حزيران) التالي. والآن، بعد ثلاثين عاما شب خلالها اطفالنا الخمسة واصبح التلميذ البحري اميرالا، كثيراً ما نجلس لنقلّب هدية الزواج الجميلة التي تلقيناها من السيد وليمس، وهي نسخة ثمينة التجليد من طبعة محدودة عن تاريخ فندق والدورف - استوريا، تنطوي على اسماء الامراء والملوك والرؤساء الذين نزلوا ضيوفاً على ذلك الفندق الساحر.

ولكن ثمة امسية لا يتضمنها الكتاب -، تكاتف فيها رجال عطوفون ذوو قلوب رقيقة حانية كي يفتحوا باب السعادة لشابين عاشقين. تلك هي امسيتنا، تشهد عليها هدية السيد بلاك التي علقناها ضمن اطار في موضع الشرف على حائط غرفة المائدة في بيتنا. انها رسم مائي لطاه قصير القامة يشرف على الشواء في مطبخ عتيق. وفي اعلى اللوحة خطّ السيد بلاك بيده وبالفرنسية، ما سبق ان كتبه لنا تلك الأمسية: "اذا كان الحب لا يتطلب سوى القبل، فما الفائدة من شهرة الطاهي؟".

■ جين وباد اينس

صِراعٌ في الجوّ

لقبوها "ناقلة النفايات"، لكن يوما أتى حلقت فيه بملاحيها في سماء المجد

ما كاد الملازم الطيار بوب هايوود يقترب بطائرته "الهيركيوليز"، التابعة لسلاح الجو الملكي الاوسترالي، من مدرج مطار داروين، بعد رحلة شحن من ماليزيا دامت ثماني ساعات ونصف ساعة، حتى اتصل به برج المراقبة مستفسرا عن كمية الوقود المتبقية لديه. كان ذلك في الثاني والعشرين من يناير (كانون الثاني) الماضي.

وكان تقدير الملاح مايك روبرتس ان الكمية المتوافرة تكفي لمدة ثلاث ساعات.

وسأل هايوود: "ما الأمر؟".

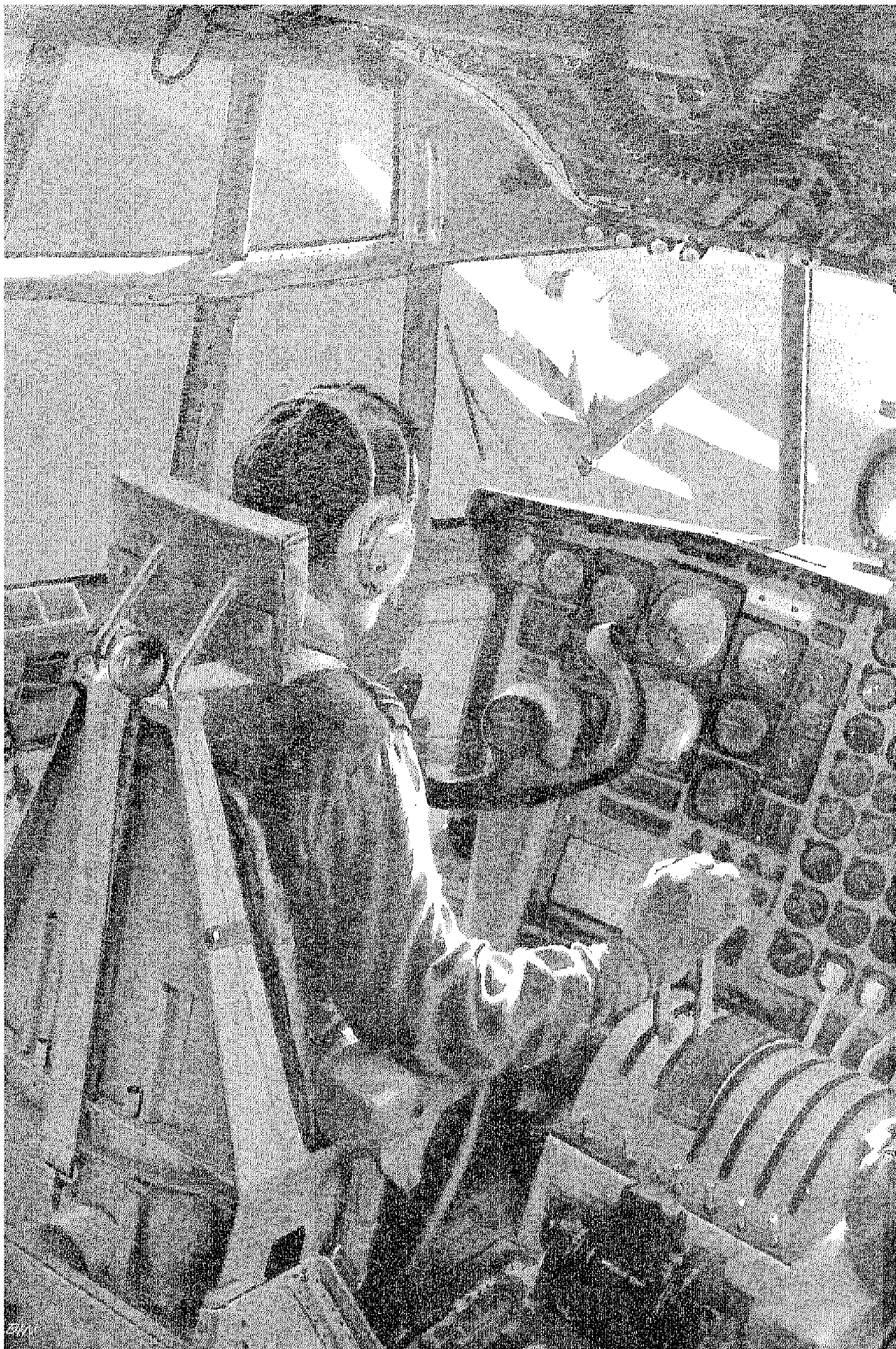
وجاء جواب برج المراقبة ان هدفا مجهول الهوية يظهر على الرادار.

واضاف: "هل في استطاعتك اعتراضه؟".

"أجل"، اجاب هايوود. وحلق بطائرته الهيروكوليز الضخمة متوجهاً نحو طريدته التي تبعد ثلاثين كيلومتراً، بعد ان زودته محطة الرادار بالمعلومات عن مكان الاعتراض.

واستغرب هايوود الامر. صحيح انه كان متعلقاً بطائرته العجوز، وصحيح ايضا انها ربما كانت الاطوع قياداً بين طائرات سربه الاثنتي عشرة، وكلها من نوع "اي - هيركيوليز"، لكن قيام هذه النحلة البدينة ذات الخمسة والخمسين الف كيلوغرام بمهمة اعتراضية، لن يعدو كونه مهزلة كبيرة.

وليس الامر ان الهيركيوليز طائرات يستخف بها. فهذا النوع بالذات، وهو طراز "سي - ١٣٠ - اي"، سبق ان قام باجلاء الجرحى الاوستراليين عن فيتنام، وبانزال الامدادات الى سكان اوتباك في اثناء الفيضانات وفي مواسم الجفاف، وبنقل ما يزيد على الخمسة



آلاف شخص من داروين بعد اعصار تريسي الذي دمر المدينة. ثم ان هذه الطائرات نفسها ساهمت في عملية انقاذ موظفي السفارة الاوسترالية عند سقوط العاصمة الكمبودية بنوم - بنه. لكن معظم رحلات الهيركيوليز كانت عمليات شحن لقطع الغيار بين اوستراليا والخارج. وهذا الواقع جعل ملاحيها عرضة دائمة لسخرية ملاحي المقاتلات من نوع "داشينغ - دان" في سلاح الجو الملكي الاوسترالي الذين اطلقوا على طائرات الهيركيوليز لقب "نفاية الشاحنات". لكن شعار السرب يؤكد الواقع المرير، فهو قربة ماء ذهبية ترمز الى تلك التي تحملها الدواب.

فلا عجب اذا وجد هايوود نفسه مدهوشا وهو يسارع بوحشه الطائر الى مهمة يتمناها كل طيار مقاتل.

وعلم هايوود من برج المراقبة ان الطيار المجهول يسبب مضايقات خطيرة. فهو خرق المجال الجوي المنظم، مما يمكن ان يؤدي الى اصطدام في الفضاء، فضلا عن انه لم يرد على النداءات اللاسلكية المتكررة من برج المراقبة.

بداية سيئة - وجال هايوود وافراد طاقمه انحاء الجو بحثا عن المتطفل الغريب. وفجأة لاح امامهم، وسط السحب المتراكمة، بريق جسم صغير. كانت تلك الطائرة منطلقة في اتجاه جنوبي شرقي، بسرعة ١١٠ عقد في الساعة، اي باقل من نصف سرعة الطائرة العجوز ١٦٨. وما ان تمكن هايوود من العودة بالهيركيوليز في انعطاف دائري واسع حتى كانت الطائرة قد اختفت عن الانظار.

تلك كانت بداية سيئة لمهمة الهيركيوليز الجديدة. وبعد ان حدد هايوود مكان الطائرة الغريبة على الرادار، حاول مساعده واين سومرفيلد الاتصال بها بواسطة الراديو، ولكن من دون جدوى. واقترح احدهم ان الطائرة الطريدة ربما كانت لمزارع ضل طريقه بعد ان تعطل جهاز الراديو.

وما ان حلق هايوود ثانية فوق ذلك المجهول حتى بدأت الشكوك تساوره. فقد كانت الطائرة من نوع "ايرو - كوماندر"، عالية الجناحين، ذات محركين، ومجهزة بصهريجين ضخمين للوقود. ولم تكن على جناحيها اشارات مميزة، لكن حروفا صغيرة ظهرت على جسمها.

وسألته محطة رادار داروين عما اذا كان في استطاعته الاقتراب من الطائرة الغريبة. لكن تلك مهمة عسيرة لا تخلو من المجازفة. وكان يكفي ان يبدر خطأ صغير منه ليدفع بالعجوز ١٦٨ الى سحق الطائرة وافنائها. غير ان خبرة اثني عشر عاما في الطيران جعلت هايوود يدنو تدريجا من طريدته.

وما ان اصبحت الهيركيوليز على بعد خمسين مترا من طائرة الكوماندر حتى انجلت الكتابة التي على جسمها: "وحدة بحوث لوران". و"لوران" ترمز الى احد انظمة الملاحة القديمة، مما جعل هايوود يشك في قانونية مهمتها.

العملاقة المتثاقلة - نقل هايوود ارتيابه الى برج المراقبة، مضافا الى الحيرة المتزايدة هناك. ذلك ان قائد طائرة الـ"ايرو - كوماندر" سبق ان

قدم في بروناي مخطط رحلة بين بروناي وموموت في جزر ادميرالتي القريبة من غينيا الجديدة. وكان مقررا ان تستغرق الرحلة اربعا وعشرين ساعة في مسار مواز لخط الاستواء وعلى بعد اربع درجات جنوبا. لكنها اخترقت الاجواء الاوسترالية واتجهت على زاوية متعامدة مع خط الاستواء.

وكان هايوود يدرك ان الرحلة المباشرة بين بروناي وموموت لن تستغرق ٢٤ ساعة على الاطلاق. وهذا يعني ان طيار الكوماندر سيقوم برحلة جانبية. ولكن الى اين تكون تلك الرحلة؟ وما سرها؟

مهما يكن الجواب، فقد واجه هايوود طيارا محترفا. ولم يبد قائد الطائرة، التي سماها ملاحو الهيركيوليز ١٦٨ "الخفيفة"، اي اهتمام بدنو الهيركيوليز منه. لكنه بدأ لعبة القط والفأر مع العملاقة المتثاقلة.

وكانت العجوز ١٦٨ متفوقة على "الخفيفة" من حيث السرعة، لانها تستطيع الانطلاق بسرعة ٣٢٠ عقدة، اي ٥٩٣ كيلومترا في الساعة. لكنها فقدت قدرتها على المناورة بعد ابطائها الى سرعة الطائرة الاخرى. واي انعطاف في هذه الحال مجازفة تؤدي الى التوقف والسقوط.

واستغلت "الخفيفة" عجز الهيركيوليز. فأخذت تنطلق بسرعة ثم تتباطأ فجأة الى ما دون المئة عقدة، مما اضطر هايوود الى اتباع مسار متعرج نحو طريدته، بينما التصق معاونه وبقية افراد الطاقم بالنوافذ يتتبعون تحركات الصغيرة.

وفي هذه الحال، تلاشى فجأة كل شك في ان الطريدة خصم خطر، اذ انعطفت من غير تحذير متوجهة في خط مستقيم نحو الهيركيوليز. وللحظة، تملك الفزع طاقم الهيركيوليز. وقام هايوود بحركة انعطافية ملتزما ضبط النفس. فلو انه استمر في المراوغة لجازف بحدوث توقف وسقوط. ثم عاد بطائرته الى وضع متزن اصبح فيه الجناحان مستويين، متجنبا بذلك اصطداما محققا. وصلى هايوود راجيا ان تكون حركة الطيار الآخر مجرد ايهام. وفي اللحظة الاخيرة نكصت "الخفيفة" عادلة عن تهديدها.

وغلى دم هايوود. وايقن ان خصمه لا ينوي خيرا. فأراد ان يكيل له الصاع صاعين ويدخل الرعب الى قلبه. وحلق بطائرته الضخمة على بعد ستة امتار من مؤخر الكوماندر، وانقض على ميمنتها متمايلا يمنة ويسرة، وانطلق فوقها في اتجاه داروين. وهذه المناورة هي في العرف الدولي اشارة اعتراض عسكرية وامر بالاستسلام (على رغم ان الهيركيوليز لم تكن مسلحة) وباتباع الطائرة المعترضة.

ولم تأبه الكوماندر الى الاشارة، فثار غضب هايوود وشتم قائدها. لكنه كرر اشارته على ميسرة "الخفيفة". وهنا تمايلت الكوماندر دلالة على انصياعها، وتبعته ببطء في اتجاه داروين.

وخففت الهيركيوليز من سرعتها حتى وصلت الى ١٤٠ عقدة في الساعة. عندها انحرفت "الخفيفة" فجأة، ولم يستطع هايوود مضاهاة

خفقتها لكنه دار بطائرته الضخمة في قوس كبير وعاد الى مطاردة الكوماندر، فوجدها قد اختفت عن الانظار. الا ان رادار داروين كان بالمرصاد، فوجه هايوود ثانية نحو "الخفيفة" الفارّة.

وهنا بدأ هايوود يفكر في الوقود المتبقي لديه. فالمناورات، بين انطلاق سريع وتباطؤ مفاجىء على ارتفاع منخفض، تزيد في استهلاك الوقود. غير انه اصر على مطاردة خصمه المراوغ الذي كان يبدو متمتعا بما الحقه بالهيركيوليز من عذاب.

الخدعة الاخيرة – وادرك هايوود ان مضايقة الكوماندر لم تحقق شيئا، فحلق بطائرته الى ارتفاع ١٥٠٠ متر للحفاظ على الوقود ولمراقبة الطائرة الصغيرة. وكانت الكوماندر ما زالت تتجه جنوبا، مهتدية بالطريق الرئيسية بين داروين واديليد، وعلى ارتفاع لم يتجاوز ٥٠٠ متر. وادرك هايوود ان الظلام سيحل بعد اقل من ساعة، اي في السابعة والنصف. عندئذ يتحتم على "الخفيفة" الهبوط، فيرسل هايوود الى داروين معلومات عن مكان هبوطها لتكون الشرطة في الانتظار.

واشتد الظلام. واجتهد طاقم الهيركيوليز في ابقاء انظارهم مركزة على "الخفيفة". وفجأة، وعلى بعد ١٣٢ كيلومترا جنوب داروين، انحدر الطيار الطريد بطائرته فوق قسم خال من الطريق وكأنه يود الهبوط. وانحدرت الكوماندر الى نحو ثلاثين مترا فوق الارض. غير ان هايوود استشف امرا غريباً وحافظ على ارتفاع طائرته. وما هي الا لحظات حتى تأكد ارتيابه، وارتفعت الكوماندر ثانية مغادرة مهبطها المموه.

وازدادت العتمة، وبدأت تلوح في الافق بروق خاطفة ترافقها عواصف رعدية وزخات متفرقة من المطر. وانار هايوود اضواء طائرته، لكن قائد الكوماندر تركها مطفأة. واضطر هايوود الى الانحدار بطائرته الى ما دون مستوى الطريدة، على رغم ما يسببه ذلك من زيادة في استهلاك الوقود. غير انه اراد ان يبقي الكوماندر منظورة وسط الضوء الباهت المنعكس من السحب في الافق.

واقتربت الطائرتان من مدينة كارترين. واستمرت الكوماندر في المراوغة، ففقدها هايوود مجددا. وابلغ داروين الامر، لكن الرادار لم ينجح هذه المرة في تحديد مكانها، لان الكوماندر كانت تحلق على ارتفاع منخفض.

وادرك هايوود، من حسابات مساعده لكمية الوقود، ان الوقت المثالي للعودة السليمة الى داروين انقضى منذ عشر دقائق. لكنه، من جهة اخرى، كان يعلم ان ذلك ينطبق ايضا على طائرة الكوماندر. فحوّم مدة خمس دقائق اخرى، ثم ارتفع بالهيركيوليز ١٦٨ الى مستوى يسمح له بتوفير الوقود. وفي النهاية عاد في طريقه الى داروين.

فرحة العجوز – وتوقع ملاحو الهيركيوليز ان يكون طيار الكوماندر اضطر الى الهبوط، أو ان يكون قاد نفسه الى الهلاك. وعلموا في ما بعد انهم كانوا مصيبين في كلا الاعتقادين.

ولدى عودتهم الى داروين، علموا ان طيار الايرو - كوماندر اضطر الى الهبوط، وانه أشعل النار في طائرته. لكن النار لم تلتهم البضاعة التي كان يشحنها داخل صناديق معدنية مشمعة. وقدرت قيمة الحشيش بنحو ٣،٧٥ ملايين دولار اوسترالي.

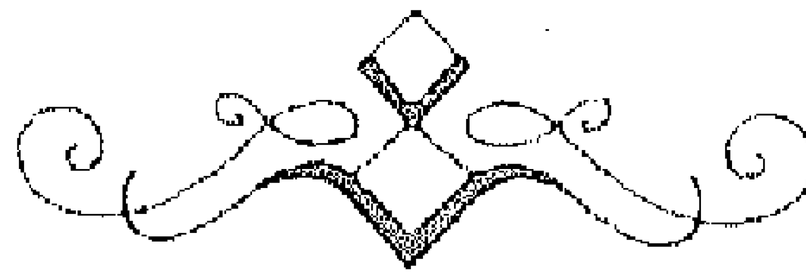
وبعد يومين ألقت الشرطة القبض على قائد الطائرة ومساعده. وفي المحكمة اعترفا بالجرم، وحكم على الطيار بالسجن سبع سنوات وعلى مساعده اربع سنوات.

وانهالت التهاني على بوب هايوود وافراد طاقمه. وكان بينها رسالة تهنئة من موظفي الجمارك في ريتشموند جاء فيها: "ان الهيئة الادارية والموظفين يعربون عن شكرهم لقائد طائرة التعقب سي - ١٣٠ وملاحيها على مطاردتهم المهربين".

لقد اصبحت العجوز ١٦٨ طائرة تعقب! وغمرت الفرحة نفس هايوود ومساعديه.

ونيابة عن السرب ٣٧ - سرب "نفاية الشاحنات" - كتب هايوود ومساعدوه رسالة تأنيب الى الساخرين التقليديين، طياري المقاتلات في قاعدة وليمتاون التابعة لسلاح الجو الملكي الاوسترالي، جاء فيها: "لقد قررنا تنظيم دورة تدريبية في عمليات الاعتراض في اشراف الملازم الطيار هايوود. وفتيانكم الاغرار مدعوون الى الاشتراك فيها".

■ ستيفن جونسون



وصية

لم يستفد احد من الوصية الالهية القائلة "احبوا اعداءكم" اكثر من صانعي المشروبات الكحولية.

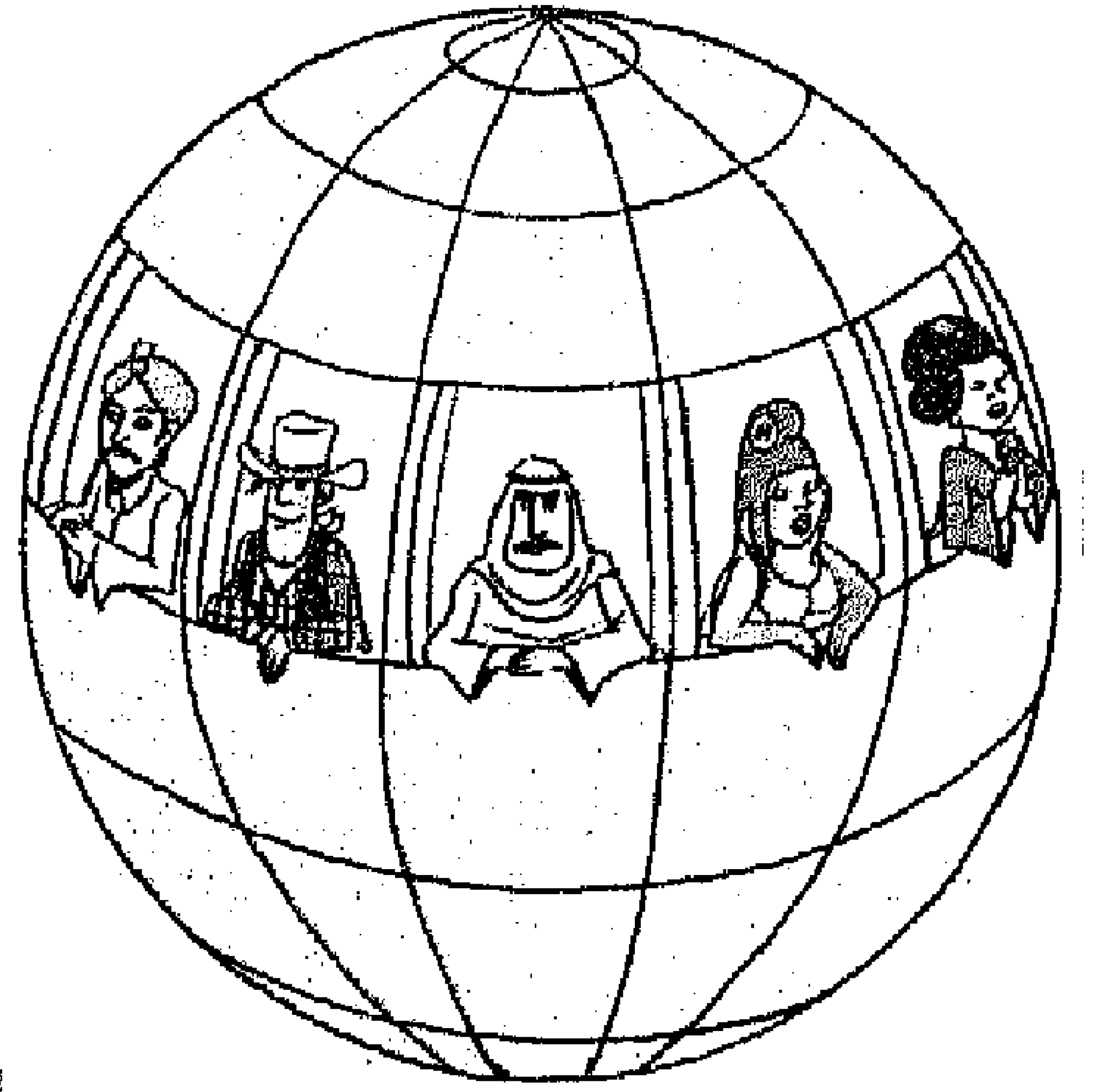
ر.ل.

مملكة النحل

ثبت ان مستعمرة نمل الخشب الأحمر التي اكتشفت في الجورا في مقاطعة فود السويسرية عام ١٩٧٣ هي اكبر مثيلاتها في العالم، اذ يقدر عدد "سكانها" بما يراوح بين ٢٠٠ مليون و٣٠٠ مليون نملة. ويتفاوت ارتفاع الكثبان السكنية التي يقيمها هذا النمل بين متر ومترين،وتغطي مساحة تقارب ٦٨٠ ألف متر مربع. ويبعد كل وكر عن الآخر مسافة تزيد على المئة كيلومتر.

وهذا النوع من النمل (فورميكا لوغوبريس) ذو اهمية فائقة لنمو الغابات الخالية من الآفات. فهو يعيش على كميات ضخمة من الحشرات الضارة، اذ يلتهم افراد المستعمرة المذكورة بين ٣٠ الف و٥٠ الف حشرة يوميا، منظفين منطقة مارشيروز بذلك من الجراثيم. ويبذل العلماء والمختصون في شؤون البيئة جهودا كبيرة لصيانة الأوكار النملية القائمة في سويسرا والأكثار منها عند الضرورة.

ش.ل.



حكايات صغيرة من العالم

العمل بضريبة اقل

ان في امكان سكان مدينة هارتفورد (ولاية كونيتيكت الامريكية) تفادي دفع جزء من ضرائبهم المحلية اذا كانوا من ذوي الدخل الثابت او المتناقص. اذ يسمح للعاطلين عن العمل من اصحاب الاملاك ان يعملوا في خدمة المدينة لفترة محدودة، في مقابل اعفائهم من جزء من الضريبة المفروضة على املاكهم قد يصل الى الفي دولار.

ه.م.

الدمية مثلي تتألم

تعدّ فترة المعالجة في المستشفى تجربة مخيفة للجميع، اما بالنسبة الى الاطفال فيمكن ان تسبب آلاما جسيمة. من هنا اجرى ١٥ متطوعا من مصنع بدفورد بارك للدمى، تابعين لبرنامج قدامى المتطوعين المتقاعدين في مقاطعة برونكس (نيويورك)، تجربة تخفف من وطأة الاقامة في المستشفى.

يلتقي المتطوعون كل ثلثاء لصنع دمى محشوة بالقطن للاطفال الراقدين في مستشفيين محليين. وهكذا تغدو هذه الدمى الناعمة الدافئة اكثر من مجرد لعب بالنسبة الى الاطفال. ويصبح لكل طفل صديقته "الدمية المحشوة" التي تشكو، في نظره، من المرض نفسه. فاذا اعطي المريض حقنة، كان نصيب الدمية حقنة مماثلة. وقد ساعدت هذه الطريقة على تهدئة مخاوف الاطفال وخففت من شعورهم بالوحدة.

نشرة "قدامى المتطوعين المتقاعدين"

رب ضارة نافعة

ادرك مديرو الشركات في الولايات المتحدة ان توفير الوقود وسيلة بسيطة للحد من الاكلاف ورفع الارباح. فمنذ الحظر النفطي عام ١٩٧٣، اخذت الشركات تطفىء الانوار وتخفض حرارة اجهزة التدفئة وتعيد تصميم المباني وتوصي الموظفين بتطبيق اساليب حفظ الطاقة في منازلهم.

وتراوح التدابير المعتمدة بين التعقيد، كما هي الحال بالنسبة الى العقل الالكتروني المتطور، والبساطة، كما في اكتشاف شركة جنرال موتورز انها تستطيع توفير ١٥٧٦ دولارا سنويا باطفائها الانوار في آلات البيع الاوتوماتيكية في مخازنها.

ونتيجة لذلك يقدر خبراء وكالة الطاقة الامريكية ان هذه التدابير وفرت ما يقارب ٣ مليارات دولار منذ ١٩٧٤.

"التايم"

وداعاً للصوص

اخترع بائع اجهزة ميكانيكية في مدينة بورغدورف في المانيا جهاز ارسال الكترونياً يمكن تصغير حجمه ليعادل حجم نصف رأس دبوس، لكنه، مع ذلك، يبث اشارات لاسلكية على امتداد دائرة يبلغ نصف قطرها ثلاثة كيلومترات بمجرد تحريكه.

وسنحت فرصة غير متوقعة لالفريد غروتجاهن، البالغ من العمر ٤٣ عاماً، لكي يعرض امام الشرطة قدرة جهازه الهائلة، وذلك حين تسلم صاحب مطعم في محطة قطار هانوفر الرئيسية رسالة من مجهول يهدد فيها بنسف المطعم ان لم يودع مبلغ ١٠٠ الف مارك حقيبة صغيرة توضع في الغابة المجاورة.

وكان غروتجاهن قد عرض جهازه على الشرطة قبل اسبوعين، فتولت اخفاء جهاز الارسال الدقيق بين الأوراق النقدية داخل الحقيبة التي تركها صاحب المطعم في المكان المحدد، فيما كان رجال الشرطة ينتظرون على بعد كيلومتر، يرافقهم غروتجاهن ومعه جهاز استقبال يزن سبعة كيلوغرامات ليلتقط اشارة جهاز الارسال عند تحريكه. ومضت ساعتان بعد منتصف الليل، وإذا بالضوء الاحمر يتوهج فجأة في جهاز الاستقبال، وبدأت المطاردة.

وحين سمع المبتز المجهول اصوات الشرطة تلاحقه، حاول التخفي في الغابة الحالكة السواد، لكن بريق جهاز الاستقبال كان يزداد توهجاً مع اقتراب الشرطة من جهاز الارسال المدسوس، وباتباع الاشارات الضوئية، عثرت الشرطة على المتهم في حفرة تحت كومة من اوراق الشجر.

ومنذ ذلك الحين، ابدت الشرطة والمصارف وشركات التأمين اهتماماً كبيراً بجهاز اقتفاء الاثر هذا، الذي يتفوق على اي اداة اخرى مماثلة ولا يكلف، في حال انتاجه، اكثر من ١٤٥٠ ماركاً المانياً. ويتجاوز نطاق عمله المطاردة الى الحراسة. فاذا وضع في محل للمجوهرات او في سيارة، يمكن ان يشع حالما يلمس. واذا تم تكبيفه، فمن الممكن ان يوضع في حافظة النقود ويطلق اشارة انذار عند تعرض حاملها لهجوم.

مجلة "شتيرن"، المانيا

الصوت الغامض

فيما كان علماء المحيطات الامريكيون يرصدون الاصوات تحت الماء في المناطق القطبية، تكرر التقاطهم لاصوات غريبة بلغ ارتفاعها حداً طغى على الاصوات الاخرى النابعة من حركة المحيط. وكانت تعاود الظهور بانتظام بمعدل دقة كل عشر ثوان مع انقطاعها عرضاً على نحو غامض.
وظل العلماء في حيرة من امرهم حتى جاء احدهم بتفسير بسيط، وهو انهم يستمعون الى دقات قلب حوت. ذلك ان قلب الحوت الازرق يزن اكثر من ألف رطل ويولد نحو ٧ كيلواط من الطاقة ويستطيع ان يحفظ ثمانية اطنان من الدم خلال الحركة.
أما سبب انقطاع الصوت احيانا فعائد الى ان الصوت لا يمكن ان يسمع ما لم يكن فم الحوت مفتوحاً، اما اذا كان مغلقاً فان الكتلة اللحمية السميكة من رأسه تمتص كلياً الأزيز الناجم عن دقات قلبه.

مجلة "العلم والحياة"، فرنسا

فن أم تعذيب ؟

تعد القطعة الموسيقية "اضطرابات" للموسيقي اريك ساتي واحدة من اطول المؤلفات المعدة للبيانو، إذ يستغرق اداؤها كاملة ١٨ ساعة و٤٠ دقيقة. وتطلب اول اداء عام لها، في سبتمبر (ايلول) ١٩٦٣ على مسرح "بوكيت ثياتر" في مدينة نيويورك، تناوب عشر عازفي بيانو. وخلال هذه الحفلة لم يتمالك الناقد الموسيقي لصحيفة النيويورك تايمس نفسه، فاستغرق في النوم الساعة الرابعة صباحا، فيما تضاءل عدد الحاضرين حتى بلغ ستة اشخاص. وفي الختام صرخ احد مهووسي تعذيب الذات: "أعيدوا من جديد"!

كتاب "الارقام القياسية في العالم"

صيّادو الأزمنة الحجرّية

استكشف اسلاف المواطنين الاوستراليين الاصليين سهول نولاربور القفراء واستقروا فيها منذ أكثر من عشرين الف سنة. وعام ١٩٦٧ كشف الاثريون عن بعض المعالم التي خلّفها هؤلاء الاوستراليون الاقدمون في كهف كوونالدا في الطرف الجنوبي من تلك السهول. وقد اوحت هذه الآثار وسواها بالقصة الخيالية التي نوردها هنا، ولعلها تجلو بعض غوامض حياة الانسان في ما قبل التاريخ

يا لهما من عينين لامعتين غائرتين في محجرين عميقين ينطلق منهما ضياء وهّاج نحاسي الشعاع كلون البشرة السمراء التي ينبع منها، تينك العينين البشريتين الاوليين اللتين تجيلان الطرف في أرجاء السهل البكر، في كنف حاجبين كثيفين يتدلى الشعر منهما ستارا يقيهما ذرات الرمل المتطاير ولهب الشمس الصحراوية.

وراحت العينان ترصدان المستقر الجديد وتنقبان في انحائه: وطن جديد غريب ناء عن الوطن السابق العريق حيث ترفّ أرواح الاجداد وتسهر على حراسة الاحفاد. وكان الوجه قوي العضلات، يتميز بفكيه المربعين الضخمين واسنانه الغليظة ومنخره العريض المنتفخ وجبهته الداكنة المتحدرة من جمجمته المستدقة الرأس. ذاك هو انسان ما قبل التاريخ.



لقد ارهقه العطش والجوع والسفر الطويل، فنحل عوده وتروضت اعصابه وشحذت رشاقته ومشى في طليعة قومه، المتناقص باستمرار، في اتجاه الجنوب هربا من وطأة الجفاف وقسوته عند أطراف الصحراء الوسطى. وها هو يستنشق الهواء بملء رئتيه ويرهف اذنيه للسمع ويرقب فلول اسرته تطوف في اعقابه بحثا عن ثمار العلّيق واليرقانات الدودية والحيوانات الجرابية الصغيرة، ويعمل افرادها حفرا في الارض طلبا للعسل والجذور النباتية الصالحة للأكل.

وفجأة حلّق في كبد السماء المغبرة صقر ظليل على ارتفاع شاهق وأرفد جناحيه من دون حراك ولم يلبث ان انقضّ نحو الارض، وعاجل الى التهام سحلية او فأرة او طير غافل، بينما راح الرجل يجيل بصره الحاد كبصر الصقر في رقعة خضراء تزهو بها الارض في وهج الشمس، فلوّح بيديه الى ابناء عشيرته المنتشرين في غير نظام، لكي يتقدموا. وكان اثنان من انسبائه يحرسان جانبي القوم وقد تسلحا تحذرا لأي خدعة مفاجئة، بينما مشت النسوة واطفالهن وسط المسيرة، وسار وراءهن عمه العجوز الذاوي، زعيم العشيرة وحارس شرائعها، وقد أمسك بيده غصنا من السنط راح يقلبه في الهواء باستمرار لكي يظل طرفه شاعلا فيستعين به في ايقاد النار عندما يحين وقت العشاء. غير ان الصياد الذي يسير في المقدم هو الذي يعتبر رئيسها الطبيعي، لا سيما وأنه اشد بأسا وأصغر سنا.

بعد ذلك، سار الصياد بخطى وئيدة هادئة على باطن قدميه الخشنتين، وسرعان ما أدرك ان الرقعة الخضراء التي ابصرها تبعد اكثر مما ظنّ في بادىء الامر، ولكنها ارحب واوسع نطاقا وفي وسطها ثقب مائي صغير يكفي لسد حاجات عشيرته طوال يوم او يومين. فانحنى واغترف براحتيه من سائله الداكن وقربه الى شفتيه. لقد كان الماء عكرا وملوثا بروث الحيوانات، الا انه ماء، والماء يعني الحياة.

لم تكن لغة هؤلاء القوم الذين يعدون اربعة عشر نفرا اكثر من بضع كلمات، الا انهم حين ضربوا خيامهم في المكان لم يعوزهم الكلام اذ كان لكل منهم واجب معين يقوم به. وحمل الرجال رماحهم وهراواتهم وانطلقوا في ظلمة الغسق بحثا عن الصيد. وانكب الاولاد على تجميع القش والاغصان اليابسة ليجعلوا منها جمرا متوهجا يلقون فوقه اوراق الشجر الخضراء لينبعث منها الدخان الكفيل بوقايتهم من الارواح الشريرة. وراح الزعيم العجوز ينفخ في طرف عصاه ليضرم بها الحطب. وراحت النساء وبناتهن يقشرن بعض الفاكهة المجففة ويكسرن الجوز ويطحنّ ما تبقى لديهن من بذور النباتات التي جئن بها من بلاد ما وراء السهل. وما ان اضرمت النار حتى القين فوقها ببعض السحليات لشيّها بجلدها.

عاد الصياد الشاب من مغامرته خالي الوفاض كئيبا يتوجس خيفة من ان يكون انعدام الصيد شراً مقصوداً تدلل به الآلهة على عدم ارتياحها الى

مكان اقامتهم الجديد. وملأ فاه بلحم السحليات المشوية المتفحمة وهو يحدّق في غور الظلمة المترامية خلف النار. ولكم بدت له تلك النجوم المتلألئة في قبة السماء عيون الاسلاف الغريبة تتفرس فيهم من عل وترقب هذه البقعة من الارض وتأبى عليهم ان يحطوا رحالهم فيها. ولقد تسبب ذلك في وفاة ابنه البكر في تلك الليلة، عندما طلب اليه ان يجيء ببعض القش للموقد، فلم يلبث ان دهمته افعى الموت من حيث لا يدري وانشبت انيابها في بطة ساقه فشق صراخه سدول الليلة الظلماء. وسارعت النساء فنقلنه الى مكان قريب من الدخان الذي يقيه شر الارواح. فلم يجد ذلك فتيلا، لان السم كان اعمل فيه مفعوله فجمد الدم في عروق الصبي وانتحبت النسوة وندبنه متفجعات ورحن يضربن رؤوس بعضهن بالعصي ويشرطن بحد الحجار جباههن وما بين الثديين فتسيل الدماء بغزارة.

اما والد الصبي فقد قبع في مكانه من دون حراك يتملكه الصمت والخوف لان الموت لا يجيء عرضا، وليس في الحياة مصادفات. وما ذلك الحدث سوى انذار بغضب الاسلاف الذين حكموا هذا المكان وبسطوا رقعة هذا السهل الرحب على الارض ورفعوا من فوقه قبة السماء. فبدأت ترتعد فرائصه.

وهل من المحتمل أن يكون القرار الذي اتخذته امه سببا اثار حفيظة الاسلاف وغضبهم في هذا المكان؟ كانت أمه عجوزا نحيلة الجسم لم يبق منها سوى الجلد والعظم وكاد النور ان ينطفيء في عينيها العقيقيتين. فما ان بلغ القوم طرف هذا السهل حتى قررت من تلقائها ان ساعة منيتها قد حانت وانها لن تستطيع المضي في المسير، وان القوم لن يتمكنوا من حملها طوال الطريق، فتسلقت احدى الاشجار واسندت ظهرها الى جذعها وأحنت رأسها الى الامام بحيث ارتكز ذقنها فوق ركبتيها على غرار ما فعله الاجداد من قبلها واستسلمت منتظرة انتقالها الى دنيا الاحلام، قبالة مشرق الشمس حيث تصب الانهر في بحيرات فسيحة عذبة وحيث المياه الضحلة تمور بالاسماك السمينة المتعددة الالوان بزعانفها الذهبية. وحيث تمتد رحاب الوديان الخضر وتقيم الطيور العملاقة غير المجنحة وتضع بيضا كبيرا تكفي الواحدة منه لسد أود اسرة بكاملها. وستبقى امه التي اتخذت ذلك القرار في مكانها على الشجرة حتى تجفف الرياح جسمها فيستحيل الى تراب وتذروه في اتجاه بلاد ما بعد الموت الاسطورية. فقال الصياد في قرارة نفسه: "لا. لا يحتمل ان تكون وفاة والدتي النبيلة هي السبب في غضبة الارواح. بل ان السبب هو اقدامي على اقتحام حرمة ديارها الغريبة". واستولى عليه اليأس والأسى والخوف من المستقبل، وانطرح على الارض الى جانب الآخرين، قرب النار الداخنة، وابحر في نوم مضطرب.

اعظم بحيرة جوفية — واستيقظ القوم عند الفجر ينهشهم الذعر، وقد تلبدت فوق رؤوسهم الغيوم السوداء الغاضبة. واندلعت من السماء السنة من اللهب الابيض واهتزت اركانها

بقصف الرعود وانهمرت السيول فاغرقت الشجيرات الخفيضة من حولهم وهددت باطفاء النار. وراح الرجل العجوز يحرك الجمر بعصاه فشب اللهب في طرفها الصمغي، وانقشعت من خلالها مجاري المياه المنسابة نحو الجانب المنخفض من السهل.

عندئذ خرج الصياد الشاب ونسيباه من ملجأهم وتتبعوا بحذر مسالك الماء الى ان بلغوا حفرة شبيهة بفوهة البركان، فتدلوا فوق جوانب الحفرة الحادة ووجدوا تصدعا في احد الجوانب تتوارى فيه السيول. وأضاء الرجال مشاعلهم واطلقوا حناجرهم في الغناء لاسترضاء ارواح ذلك المكان المظلم الغريب وولجوا داخل الصدع الضيق وتلمسوا طريقهم خطوة خطوة في نفق شديد الانحدار حتى وصلوا الى حجرة صخرية واسعة تفضي بدورها الى مغارة أخرى اصغر منها حجما حيث وجدوا على بعد مئتين وخمسين مترا من مدخل الحفرة بحيرة جوفية لم يروا في حياتهم اعظم منها، فارتووا من مائها العذب ثم عادوا الى المغارة الاولى بنشوة بدّدت لديهم مشاعر الخوف.

ومد زعيم هؤلاء الرجال يده متلمسا سطح احد الجدران للمحافظة على توازنه، واذ به يكتشف مجموعة من الحجار القيمة. وأحس اول ما أحس بنعومة ملمسها داخل الجدار ولاحظ لمعانها في انعكاسات ضوء مشعله. وحاول ان يقتلع واحدا منها فأحدثت اصابعه خدوشا في صفحة الجدار الجيرية الناعمة راقه مظهرها، واخذ يمرّر أصابعه فوق تلك الخدوش جيئة وذهابا ويجتهد في تعميقها مضيفا اليها خطوطا متعرجة متوازية بثلاثة اصابع اولا ثم بأربعة.

وتقدم أحد نسيبيه وزحزح احد الحجار من مكانه في الجدار حتى سقط على الارض وتناثرت من الصوان رقائق اشد مضاء واعظم صلابة من كل انواع الحجار التي كانت العشيرة تستخدمها حتى ذلك الوقت. وتناول الزعيم بخشوع كبير احدى هاتيك الادوات الرائعة التي جادت بها المغارة من بين كنوزها واخذ يحفر بها خطوطا عميقة وعمودية ليجعل منها معلما تستهدي به الأكف حتى في الظلمة الى ان تبلغ موئل الماء. وهكذا فقد اصبحت الخطوط المتوازية المنحوتة في الصخر، اعتبارا من تلك اللحظة، رمزا لبني قومه ودليلا على وجود الماء. وأصبح الرمز واحدا من التقاليد التي يتبعها سكان البلاد الاصليون.

وما ان خرج الثلاثة من المغارة حتى فوجئوا على سطح الارض بعالم قد تبدلت مظاهره: الشمس تسطع في سماء حليمة تتوهج زرقة، وبرك المياه تتلألأ على الارض بينما قبع النساء والاطفال بصمت يتظللون الشجيرات ويرقبون فوهة حفرة الماء يرتوي منها حيوان كثيف الشعر من فصيلة الكونغورو ويدعى "ديبروتودون" له قواطع مزدوجة وجثة ضخمة وثقيلة بطول مترين لم يسبق لافراد تلك الاسرة ان شاهدوا مثيلا له في حياتهم. وما ان حاول احد الانسباء ان يمتشق رمحه حتى بادره الزعيم بتقطيب حاجبيه وهز رأسه. وظل الآخرون يرقبون الحيوان

العملاق بصمت حتى فرغ من الارتواء والقى نظرة هادئة في اتجاههم ثم انبرى ببطء عبر السهول التي اجتازوها في اليوم السابق.

عودة روح الأم — ودعا كبير الاسرة العجوز الى عقد مجلس خاص قال فيه ان ذلك الحيوان الضخم ما هو الا روح الام التي خلفوها وراءهم على الشجرة، وقد جاءت على هذا الشكل لتتصالح مع ارواح الاسلاف الذين حكموا هذا المكان والسماء التي تعلوه. وقال ايضا انهم سيصبحون اعتبارا من تلك اللحظة "شعب الديبروتودون" فلن يقدموا بعد الآن على قتل حيوان من هذه الفصيلة، يجوب الارض على انفراد.

وجرى الامر على خلاف ذلك بالنسبة الى سائر انواع الكونغورو. فقد قتل الرجال واحدا منها كبير الحجم بينما كان يرتوي من احدى البرك القريبة، وسحبوه نحو النار، وتناول الصياد احدى عصي المشاعل لكي يدير بها جسد الذبيحة فوق النار، فلاحظ ان المادة الصمغية في طرف العصا قد التصقت التصاقا شديدا بقطعة الصوان الحادة التي جاء بها من المغارة، وراح يؤرجح العصا يمينا ويساراً مختبرا مدى توازنها بينما كان عقله مشغولا بالافكار. ثم انتزع بعض العروق من ساقي الكونغورو وربط بها القطعةالصوانية في شكل حلقة، واحكم ما بينها وبين طرف العصا التي علقت بها على هيئة حلقة اخرى فوق ممسك العصا بحيث تشابكت العروق في شكل رقم ثمانية بالافرنجية، فتمكن بذلك من صنع اول ازميل حجري.

واختار الصياد بقعة صغيرة لا تبعد كثيرا عن المخيم وراح يستعمل الاداة الجديدةفي حفر قبر لابنه الميت، فلبت الاداة واخذت تحدث في الارض شقوقا عميقة حادة الجنبات. ودفن الطفل في الحجرة مسجّى على جانبه كأنما هو يغط في النوم. ورأس زعيم الاسرة العجوز مراسم الدفن، وبعد ان حدد اطراف الجثة بحجار المرو البيضاء والصفراء التي التقطها القوم من السهول، اخذ العجوز يطوف حول القبر، وينغم التراتيل، ويقذف التراب بقدميه فوق الصبي الميت.

وقبيل الفجر اخذ الصياد مشعلا واتجه نحو المغارة مرة اخرى حيث اكتشف ان "الديبروتودون" العملاقة قد خلفت وراءها آثار حوافرها في الوحل المحيط بحافة حفرة الماء. ولا شك في انها ستكون دائما موضع ترحيب في هذه الارض المقدسة الجديدة. ولعل انها، اذا ما درت ببقاء آثارها على حافة المياه، سترى في ذلك ما يشجعها على الورود متى شاءت. وراح الصياد يعمل رقاقات الصوان في حفر عشرات الخطوط المتقاطعة على جدار الكهف لهذا الغرض. ثم فكر في انواع الكونغورو وقرر ان لا بد لها، هي ايضا، ان تشعر بالترحيب في هذا المكان، وراح يحفر في الصخر مزيدا من الخطوط التي تمثل آثارها، لكي تهتدي بها الى الماء.

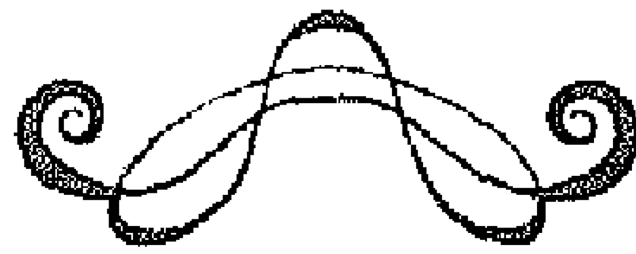
ولكنه، قبل كل شيء، وفوق اي اعتبار آخر، شاء ان يسترضي روح امه، فاختار مكانا بعيدا عن تلكالنقوش واخذ يحفر في الصخر خطوطا منقوشة تكوّن رمزا لاولاده

عندما يشبون فتنبئهم بما جادت عليهم به روح امه النبيلة، فينقلون الفضل بدورهم الى ابنائهم من بعدهم.

الوطن المقدس الجديد – وما ان اتم مهمته في المغارة، حتى امسك بحافة الصخر وراح يرتفع بجسمه الى الفلاة، واذ بقطعة صغيرة من الصخر تنكسر في احدى قبضتيه، ذكّره شكلُها بقبضة ولده الميت. فاخذ تلك القطعة الصخرية وراح يفركها بالمغرة الحمراء المقدسة التي احضرها العجوز معه من الشمال ثم وضعها برفق كشاهد لقبر ولده. ولا شك في ان الامطار ستزيل الصبغة الحمراء ولكن القبيلة ستحتفظ بهذه الذكرى التي ستذكر أهلها كيف ان ذلك الابن كان اول من توفي من ابناء عشيرته في الموطن القائم في هذا السهل.

ورقد الصياد قرب النار الداخنة الى ان ارخت الظلمة الحالكة سدولها فوق الأرض، فاستسلم للنوم العميق هذه الليلة.

■ لينارد بايكل



سر الحكمة

من لا يعرف ولا يعرف انه لا يعرف: ذاك احمق فتجنبه.
من لا يعرف ويعرف انه لا يعرف: ذاك بسيط فعلمه.
من يعرف ولا يعرف انه يعرف: ذاك غافل فأيقظه.
من يعرف ويعرف انه يعرف: ذاك حكيم فاتبعه.

حكمة عربية

فن السياسة

مرة سئل السير ونستون تشرشل عن المؤهلات التي يظنها ضرورية لسياسي ناشىء، فزم شفتيه بطريقته المعهودة، ودمدم بعد تفكير: "انها القدرة على التنبوء بما سيحدث غداً، او بعد اسبوع او شهر او سنة". وبعد هنيهة اضاف: "ومن ثم القدرة على ان تفسر اسباب عدم تحقق النبوءات".

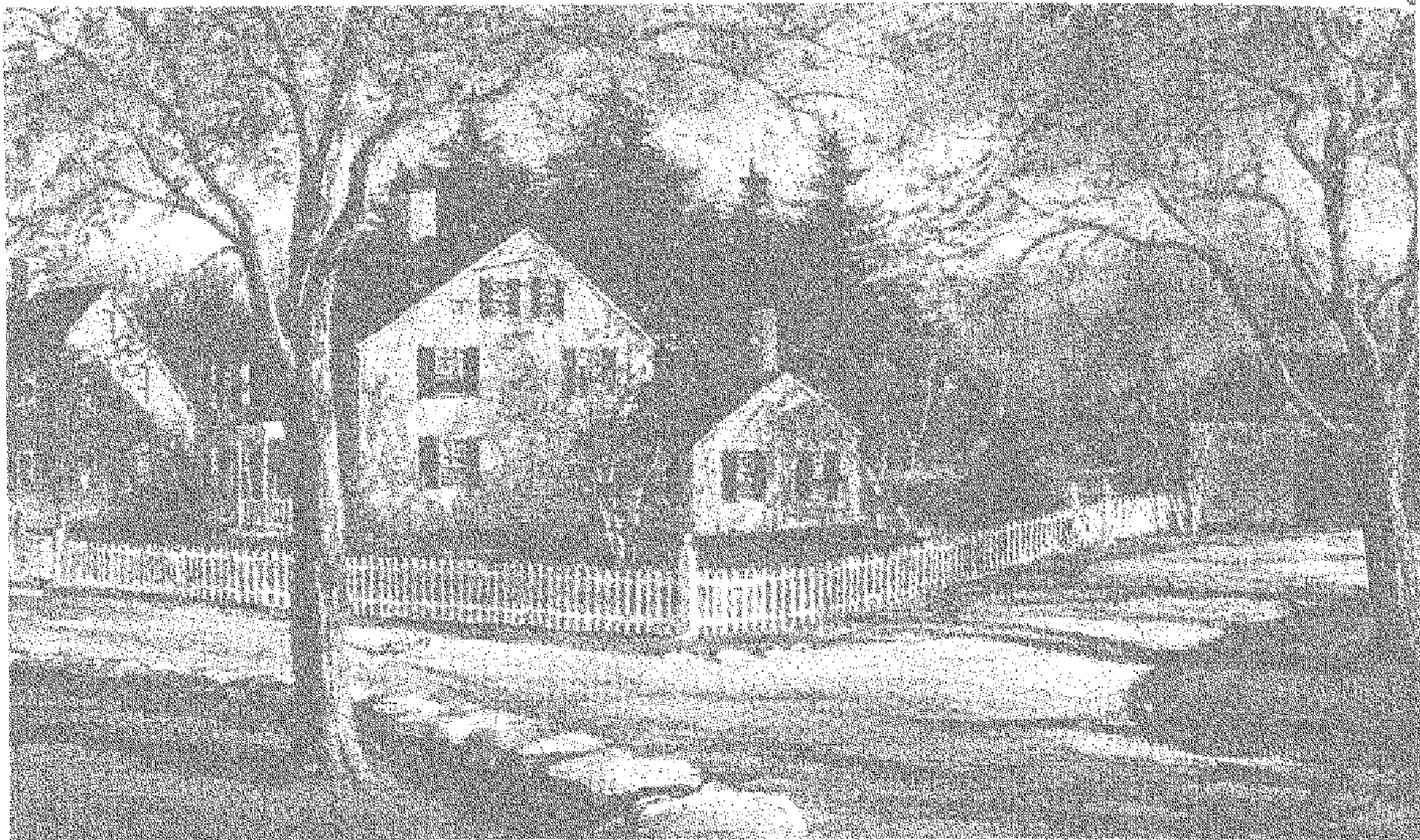
كتاب "فطنة السير ونستون"

عاشق السينما

توجهت امرأة الى شباك التذاكر في السينما في الثامنة مساء، وسألت الموظفة هناك: "هل رأيت صبيا صغيرا يعتمر قبعة زرقاء وكنزة حمراء؟" اجابت الفتاة: "اذا لم تخنّي الذاكرة، فقد جاء صبي بهذه الاوصاف في الثانية بعد الظهر لكنيلم اشاهده يخرج". فأخرجت المرأة رزمة من حقيبتها وهتفت: "انه ولدي. هل تتكرمين باعطائه هذه الرزمة؟ انها عشاؤه".

مجلة "دي زايت"، هامبورغ

ماذا يحدث عندما يتحول فجأة انسان اعتاد سهر الليالي طوال حياته ليصبح "مدمناً" مراقبة بزوغ الفجر؟



مفاتن الفجر

حدث منذ سنوات ان استيقظت ذات صباح، مبكرة ومبتهجة على نحو غير معهود. ان الساعات المنبهة تضبط على الاوقات المبكرة، اما انا فلم أعتد ذلك، بل اعتدت ان اعيش ليلا. ولئن كان من الممكن ان انهض واتحرك منذ ساعة الشروق، الا ان ذلك كان يحصل من غير وعي تام.

لا اذكر انه حدث في يوم ما ان شعرت بالبهجة في تلك الساعة المبكرة الا في ذلك الصباح العجيب اذ استيقظت على احساس ملح بالنشاط والخفة، ففتحت نافذتي على منظر الشروق الذي جعل مني انسانة جديدة.

على الافق سطع ضوء تخلل اوراق الربيع التي تكسو الغابة الصغيرة وفي حديقة صغيرة بين بواكير الزهر

انتشرت بيوت العنكبوت، فامتدت خيوطها الملونة وتناسجت وسطعت الواجهات الشرقية للمنازل المصطفة. وهربت الظلال غرباً فتسلقت الجدار واوتاد السياج ورسمت على النخيل شرائط ارجوانية. وتنادت الطيور فتداخلت الحانها كالنسيج الشفاف من سكون الهواء النقي.

فاستغرقت في التأمل واخذت اصغي متعجبة، وقد انتابني شعور لازمني ذلك الصباح كله بأني اعيش حدثاً غير عادي. مرت ساعات انجزت خلالها اعمالا عدة. وغمرني شعور باليقظة والفرح، ونمت الفة بيني وبين الاشياء التي ابصرتها وتلك التي لم ابصرها من حولي. ولما تجاوزت الشمس سمتها، فعلت الشيء نفسه. وقضيت بعد الظهر على غير هدى، في انتظار ان تستيقظ احاسيسي وتنتعش كما اعتدت دائماً في الماضي كلما طلع القمر.

ولكن بدلا من ذلك، اويت الى فراشي بعد العشاء مباشرة.

لم يساورني شك في ان حياتي انقلبت رأسا على عقب، واني سوف ابقى اتعجب لكل شروق شمس، واستغرق في النوم في الاوقات التي ينام خلالها الاطفال.

لقد بت انسانة تهوى ساعات الشروق، واصبحت ساعتي "مضبوطة" على الصباح، كما كان والدي من قبل. ولا يسعني، كلما استيقظت مبكرة، الا ان اتذكره. واكاد اشعر بأني اسير الى جانبه الساعات الطويلة التي كان يمشيها، بينما كنت ووالدتي غارقتين في سبات عميق.

في اللحظات الدقيقة التي تفصل بين الليل والنهار، كان والدي يقف على نافذته ويتأمل النجوم الاخيرة تتلاشى، ويلمح الهالة الخافتة التي تسبق انبلاج الفجر. وهو كان يرى جمالا في الظلال والاشباح الشاحبةالتي تسبق شروق الشمس، اذ انه اعتاد عليها. وكان يراقب الغيوم،سواء أكانت كثيفة أو خفيفة، واوراق الاشجار التي تتطاير مع الريح وسطح الجليد الاملس او كثافة الضباب. فقد احب تلك الاشياء كلها لاقترانها بالصباح الباكر.

القهوة الساخنة تملأ فنجانه وشرائح اللحم تبقبق في المقلاة ومصباح المطبخ يتوهج فوق المائدة حيث كان يتناول طعام الصباح والكتاب في يده، فيرفع رأسه بين الحين والآخر لينظر الى الشمس الصاعدة. وفي الساعة السابعة كان يوقظ امي ويوقظني.

وكان يقول: "انه ليوم جميل". ويودعنا بقبلات على وجهينا اللذين غضنهما النعاس. ثم يذهب الى عمله مبتهج القلب وقد تناول غذاء الروح، ويمر بالحديقة، فاذا كان الموسم مؤاتياً، قطف زهرة يزين بها عروة سترته.

لقد تزوجت رجلا يعشق الفجر، ظانة اني كنت على علم بذلك. ولكن في الايام الاربعة عشر الاولى من حياتنا الزوجية، كنت استيقظ كل صباح على صوت ادراج تفتح وتغلق بعنف فيما كان زوجي الجديد يفيض مرحاً ويصفر ويغني في الحمام ويناديني: "انهضي. تعالي شاهدي هذا الشروق!"

وفي صباح اليوم الخامس عشر قذفته بوسادة! ثم توصلنا الى اتفاق استمتع بموجبه بالنوم في الفجر،بينما يعتني هو بالحديقة ويعيد تسقيف المدخل ويمارس رياضة العدو الشائعة هذه الايام. وعندما كان يرقد في احلك ساعات الليل، كنت اجلس اخيط واهز صغارنا، واقرأ وأتأمل المدفأة لاراقب السنة اللهب وهي تتلاشى في موقدها ويغلب الرماد على لونها الوردي. ومرت الاعوام ونجحت حياتنا، اذ لم يحاول احدنا ان يغير من طبيعة شريكه.

اما الان، وقد تحولت الى مخلوق يهوى الفجر، فمن انا ؟

اني انسان جديد. فبعد اربعة اعوام من النهوض المبكر، لا تزال الطاقات النبيلة التي تكمن في نفسي تثير في احاسيس غير عادية.

وكل مرة افتح نافذتي اشعر بذرات الشمس على جلدي واحس بالهواء العليل فوق رأسي، فاختار كتاباً (ربما كان ذلك وراثياً) واقرأ قليلا في سكون الفجر الساحر.

ومع شروق الشمس تبدو التلال وقد غلبت ظلال الفجر الارجوانية على واجهتها المظلمة لتكتسي باللون الوردي.

واشاهد قارباً وحيداً يتهادى في المرفأ، مخلفاً وراءه عقداً من اللؤلؤ على صفحة اليم. ثم ينفتح باب في آخر الشارع لتخرج منه عجوز تهدل وتقود كلبها المسن.

ان الاشياء البسيطة المقترنة بالفجر تولد لحظات يفوق عمقها كل وصف وتتجاوز قوتها حد الاحساس. هناك ايام تشعر فيها النفس المستوحدة في الصباح بأنها تفردت بجمال العالم كله. فتجد نفسك في تلك اللحظات وقد غمرك الانشراح.

ولكن من ذا الذي يهمه سماع شيء عن مثل تلك اللحظات في عصر انشغل فيه الناس بالحديث عن الضرائب واعمال العنف؟

حقاً اني احب المرح والكلام ولا غنى لي عنهما، ولكن عليك ان تلحق بي قبل طلوع القمر. فان رفقتي ليست مسلية في الليل.

وهذه هي المشكلة! فالولائم لا تقام والناس لا يجتمعون الا ليلا. وتفوتني المناقشات السياسية التي تدور حول الموائد في آخر الليل، والحكايات الطريفة والاسرار المهموسة... موضوعات لا حد لها وخيال هزلي. اني افتقد منظر القمر وافتقد نفسي التي كانت تتمتع بالسهر ليلا.

ثم يأتي الصباح. ان عالم الخامسة صباحاً منعش وعجيب مثل تفاحة على غصن شجرة.

هل هناك شيء اسفت عليه عندما اسلمت اجفاني لسلطان النوم؟ لقد استمتعت باكثر من اربعين عاماً من الليالي. وقد سعدت اليوم بصباحي هذا.

■ جوان ميلز

تفاؤل

هناك من يتذمر دائما لأن للورد شوكا. اما انا فاشعر بالسعادة لأن فوق الشوك وردا.

الفونس كار



كم يخفف من آلام المريض
أن يرى الى جانبه شخصا يمسك بيده فيتسرب اليها دفء المحبة

بين الموت والحياة

ان كان هناك ما يميزنا ، انا وروني وولدينا التوأمين ستيفن وسكوت ، عن سائر افراد العائلات الهانئة ، فلعله اعتزازنا بولدينا أكثر من معظم الآباء بابنائهم . لقد اوشكنا ان نفقدهما لدى ولادتهما في يناير (كانون الثاني) ١٩٦١ قبل الموعد المنتظر بستة اسابيع . وكانا غاية في الصغر والنحول ، مما حمل الطبيب على انذاري بأن حظهما في الحياة لن يتجاوز نسبة ٢٥ في المئة .

بيد ان تلك الايام العصيبة الاولى ولّت ، وبلغ الصبيّان السن العاشرة في اغسطس (آب) ١٩٧١ ليصبحا مفعمين حيوية ونشاطا . كنا نعيش آنذاك في فيلمور في ولاية كاليفورنيا ، وهي بلدة صغيرة تحتضنها الجبال وتحجب عنها

الضباب والدخان من لوس انجيليس الواقعة الى الجنوب. وحاول ستيفن وسكوت الانضمام الى فريق شباب فيلمور لكرة القدم، واجتازا الاختبار الصحي بنجاح. لكن المسؤولين قرروا ان وزنهما اخف من أن يسمح لهما بالعضوية.

وتمنيت ان يدفعهما هذا الاخفاق الى الاقبال على الطعام بشهية اكبر. لكن امنيتي لم تتحقق، بل لاحظت ان شهية سكوت اخذت بالتدني منذ اواخر سبتمبر (ايلول) بعد اصابته بالتهاب في حنجرته جعل بلع الطعام مؤلما.

اصطحبت سكوت الى عيادة طبيب العائلة. وبعد الفحص قال لي الدكتور مارتن: "اخشى ان تكون مشكلة سكوت جديدة، فقد تبين من الصور بالاشعة ان هناك غددا متورمة وبقعا على الرئتين. وأنا انصح بارساله الى المستشفى لاجراء مزيد من الفحوص".

وعدنا الى غرفة المعاينة حيث كان سكوت ينتظرنا ببشرته التي لوحتها الشمس وابتسامته العريضة المشرقة وعينيه البنيتين الواسعتين المليئتين ثقة واطمئنانا. ايعقل ان ينتقل بنا الحديث فجأة الى ارسال ولدي القوي هذا الى المستشفى؟

لم يتكشف شيء عن فحوص الدم والجلد والاشعة، فاقتضى الامر فحص الشعب الهوائية وزرع انسجة من العقد اللمفاوية في المختبر.

وفي اليوم التالي ابلغنا الدكتور مارتن ان زراعة الانسجة اظهرت اصابة سكوت بمرض هاجكينز السرطاني، واذا تم حصر التورم في المنطقة التي تعلو الحجاب الحاجز فقد تزداد احتمالات شفائه. وتلعثم الطبيب قبل ان يكمل: "اما اذا تطور المرض ليشمل منطقة اسفل الحجاب الحاجز فلن تكون الاحتمالات مشجعة".

المرحلة ٤ ب - قررنا ان ننقل سكوت الى مستشفى الاطفال في لوس انجيليس حيث تتوافر له العناية المثلى. وهناك عاينه الدكتور كينيث وليمس، الاختصاصي في الاورام وفي امراض الدم، وراح يحادثه عن أخيه وعن مدرسته. ثم اخبره بعزمه على اجراء مزيد من اختبارات الدم (الامر الذي جعل سكوت يهمهم متذمرا) اضافة الى التصوير بالاشعة وتخطيط العقد اللمفاوية.

بعد بضعة ايام رأى الدكتور وليمس ان الوقت أصبح مناسبا لاجراء جراحة اختبارية تمكنه من معرفة مدى انتشار الورم. وما ان انتهت الجراحة حتى اصطحبني مع زوجي الى قاعة الاجتماعات تحت الردهة التي يرقد فيها سكوت حيث ابلغنا بهدوء: "لقد صنفنا مرض سكوت في المرحلة ٤ب".

كان ذلك اسوأ ما توقعت سماعه. لكنني قلت في قرارة نفسي: "لا تبكي، بل فكري في ما تحتاجين الى ان تعرفيه". وسألت الطبيب: "كم يستطيع المرء (ولم اقوَ على لفظ اسم سكوت) ان يعيش حين يكون في المرحلة ٤ ب من مرض هاجكينز؟"

أجاب الدكتور وليمس: "نحو سنتين".

لم يسعنا، روني وأنا، سوى ان يمسك احدنا بالآخر. فقد كنا غارقين

في حزن عميق لما حل بولدنا سكوت وبنا • وقال روني: "لا اريده ان يعرف الحقيقة، احتفظي بذلك سرا بيننا" •

توهمنا ان هذا القرار سيمكننا من السيطرة على الموقف• وحين عدنا الى غرفة سكوت ابلغته وكأني اروي حادثا بسيطا: "انك مصاب بمرض هاجكينز، وسيعقد الاطباء اجتماعا خاصا لتحديد افضل الطرق لمعالجتك وشفائك" •

ولم يتفوه سكوت الا بكلمة واحدة: "أوه" •

اجمل صيف - قرر الاطباء معالجة سكوت كيميائيا • وانتابنا القلق حول آثار هذا العلاج، فقد قيل لنا ان سكوت سيتقيأ بضع ساعات وربما بضعة ايام بعد كل جلسة، وقد يبدأ شعره بالتساقط ويغدو جسمه اقل مناعة• لكنه لن يضطر الى ملازمة المستشفى، بل سيراجع الدكتور وليمس في قسم الاورام وامراض الدم في مستشفى الاطفال•

بعد مغادرته المستشفى كتب سكوت (وكان يدون كل انطباعاته): "اذكر طريق عودتي الى البيت• لقد رأيت شجر الجوز عاريا لدى اقترابنا من فيلمور عند الاصيل• كان الاصيل جميلا، وكنت قد قضيت اكثر من شهر من دون ان اخرج الى الطبيعة• رأيت الشجر والعشب والطير والشمس ترحب بي• وللمرة الاولى منذ شهر شعرت بسعادة حقيقية" •

عاد سكوت الى المدرسة بعد عطلة الميلاد، وساعده ستيفن على تعويض كل ما فاته من دروس• ومع حلول ربيع ١٩٧٢ بدأت صحته تتحسن• وكنت، طوال تلك الفترة، اصلي من أجله• وفي زيارتنا اللاحقة للعيادة، ابتسم الدكتور وليمس وقال: "لدي اخبار طيبة• ان نتائج صور الاشعة احسن من أي وقت مضى" • لقد استجاب الله لصلواتي•

وتساءل سكوت: "هل يمكنني التوقف عن العلاج؟" فأجاب الدكتور وليمس: "كلا، سنجري بعض الجلسات الاضافية" •

عند ذاك بدأ ما اظنه اجمل صيف في حياتنا• كان لكل يوم رونق وبهجة، وامتلأ البيت بضجيج الصبيين واصدقائهما وهم يتراكضون الى حوض السباحة طوال النهار• وسادنا شعور بأننا تجاوزنا مرحلة التوتر الذي تملكنا ذلك الشتاء الطويل• ولولا الايام التي زرنا فيها عيادة الطبيب، لكدنا ننسى مرض سكوت، فقد ازداد وزنه وبدا اكثر سمرة وعافية•

وذات يوم من ابريل (نيسان) ذهبنا الى العيادة ليفاجئنا الدكتور وليمس بقوله: "لا علاج اليوم يا سكوت• ولا حاجة بعد الان الى تناول الاقراص" •

وما ان بلغت العبارة الاخيرة مسمع سكوت حتى اشرق ثغره بابتسامة انارت الغرفة كلها، والتمعت عيناه البنيتان بأصفى غبطة قد يتخيلها المرء• في تلك الليلة اطلق سكوت سهما ناريا احتفظ به منذ ذكرى الاستقلال، ناذرا الا يطلقه الا يوم شفائه•

وسجل سكوت انطباعه: "لقد شفيت، فلا آلام بعد اليوم• وتحررت من قيود المستشفى لأشعر طوال ثمانية اشهر بأني اسعد الناس.

"ولكن قبل اسبوع او اثنين من انتهاء السنة الدراسية، شعرت بألم في عنقي لم يلبث ان تكرر ثلاث مرات او اربعا في اليوم، ثم بدأ يشتد. وابلغني الدكتور وليمس بضرورة معاودة العلاج".

وذات ليلة أصيب سكوت بنوبة قيء طويلة، فاستلقى ارضا في الحمام وقد اعاقه الوهن عن النهوض. وشحب لونه وتصبب عرقا، فغطيته بمنشفة، وجلس ينتظر النوبة التالية. عندئذ طرح علي، متوسلا، السؤال الذي طالما طرحته على نفسي: "لماذا يا اماه؟" ولم يكن ثمة جواب.

في انتظار المعجزة - في ذلك الشتاء الذي أعقب عيد ميلاده الرابع عشر، تغير موقف سكوت ازاء مرضه، واجتاحته موجة جديدة من الكآبة. وقد كتب: "وصلنا الى المستشفى في الساعة الحادية عشرة. فتوجهت الى المختبر حيث سلمت بطاقتي وانتظرت، وأخذت افكر. اني أكره هذا المكان: غرفة مغلقة وحفنة اطفال مرضى وهواء عفن. أنا لا انتمي الى هنا، وحريّ بي ان أكون في فيلمور، في المدرسة مع رفقائي. علي مغادرة هذا المكان قبل ان يقتلني".

بدأ سكوت الكتابة عن مرضه من تلقائه ومن دون مشورة أحد. ثم اقترح عليه مدرس اللغة الانكليزية ان يكتب عن تجربته في المستشفى موضوعا يعوض به ما فاته من واجبات. وحين استوضح سكوت الدكتور وليمس في شأن بعض الحقائق، طلب منه الطبيب نسخة عن تقريره.

أثار تقرير سكوت اعجاب لجنة من اداريي المستشفى واطبائها ابدت رغبتها في ادراجه في البرنامج التدريبي للاطباء المتمرنين. وغمر الفرح سكوت يوم تسلم رسالة اللجنة التي جاء فيها: "نود ان نشكرك بحرارة لتسجيل انطباعك عن تجربتك في هذا المستشفى. لقد زودتنا مخطوطتك بمعلومات مهمة ربما مكنتنا من مساعدتك ومساعدة المرضى الآخرين وتوفير عناية طبية فعالة".

وكنت اذا دخلت غرفة سكوت خلال استغراقه في الكتابة، افاجأ به يغطي دفتره الاخضر بذراعيه. ولم استطع قراءة كلماته الا بعد مضي اشهر. وكم تأثرت بها، اذ كانت تفوق تقاريره المدرسية صراحة ونضجا، وكأنما المرض اكسبه وفرا من الحنكة والاتزان:

"مارس (آذار) ١٩٧٦. عدت، اذا، الى العلاج. وماذا بعد؟ ربما قضي الامر. ربما دنا اجلي. ولكن لماذا؟ سوف ينتهي الصراع ذات يوم، فاما ان انتصر واما ان أموت. وسأقبل النتيجة ايا كانت. لقد نهكني التعب وأود ان استريح".

في الثالث من ابريل (نيسان) ١٩٧٦، وجدت سكوت يلتهب من أثر الحمى. وارتفعت حرارته الى ٣٩،٤ درجة مئوية، واجتاح الالم جسمه كله.

وعاينه الدكتور وليمس في المستشفى، ثم نظر الي بجدية وقال: "ان خلايا دم سكوت تظهر تغيرا. ونلاحظ فيها بعض خصائص سرطان الدم".

سرطان الدم؟! كان ذلك اكثر مما يستطيع سكوت احتماله، فبدأ ينتحب

بهدوء من دون ان يتفوه احد بكلمة. وبعدما أكدت الاختبارات وصور الاشعة اصابة سكوت بسرطان الدم، قلت للدكتور وليمس: "اظن ان علينا تعلم التعايش مع هذا المرض وتعليل النفس باستنباط عقار جديد".

كيف أحب ـ نقل سكوت الى قسم العناية الفائقة نظرا الى معاناته صعوبة في التنفس. وبعد يومين دعاني الدكتور وليمس الى الحضور مع روني الى قاعة الاجتماعات، حيث كان مع طبيبين آخرين. وطرق الدكتور وليمس صلب الموضوع مباشرة: "علينا ان نقرر الان اذا كنا سنضع سكوت على جهاز لتنشيط القلب، فقلبه لن يصمد طويلا". وهنا قال روني بحزم: "كلا، لا آلات بعد الآن".

والتفت الى أحد الطبيبين وقلت: "لقد سمعت رأي الدكتور وليمس، فما رأيك انت؟"

فأجاب بهدوء: "لقد اتسع نطاق المرض. ان سكوت مصاب بسرطان الدم، ويبدو ان اعضاءه الرئيسية اصيبت هي الاخرى. أظن ان جهاز تنشيط القلب سيطيل مدة وضعه الحالي من دون ان يحسنه".

اومأت برأسي ودنوت من روني، ثم عدنا الى غرفة سكوت حيث لم نستطع رفع اعيننا عنه. وفاجأنا متسائلا: "اهذا عالمي؟" وقد جاءت كلماته متمهلة موجعة. وسألته في ذهول: "ماذا تقول يا عزيزي؟"

فكرر السؤال وهو يصارع الغيبوبة: "أهذا عالمي؟"

لقد كان على الحد الفاصل بين الموت والحياة. وأجبت: "نعم يا سكوت. هذا عالمك. انك هنا في المستشفى مع امك وابيك، كما ان ستيفن هنا ايضا". ولمس ستيفن كتف أخيه. وتراقص ضوء الحاسبة الالكترونية فوق سرير سكوت ثم خمد. ودخل الاطباء والممرضات حابسين انفاسهم، ثم تراجعوا منسحبين. لم يعد هذا العالم عالم سكوت، فقد ارتحل الان الى عالم آخر يخلو من الألم. لقد مات سكوت!

مرت اسابيع، فرحت اقلّب اوراق سكوت. واذا بي اعثر على قطعة عنوانها: "كيف يمكن ان اظهر الحب؟" يقول فيها:

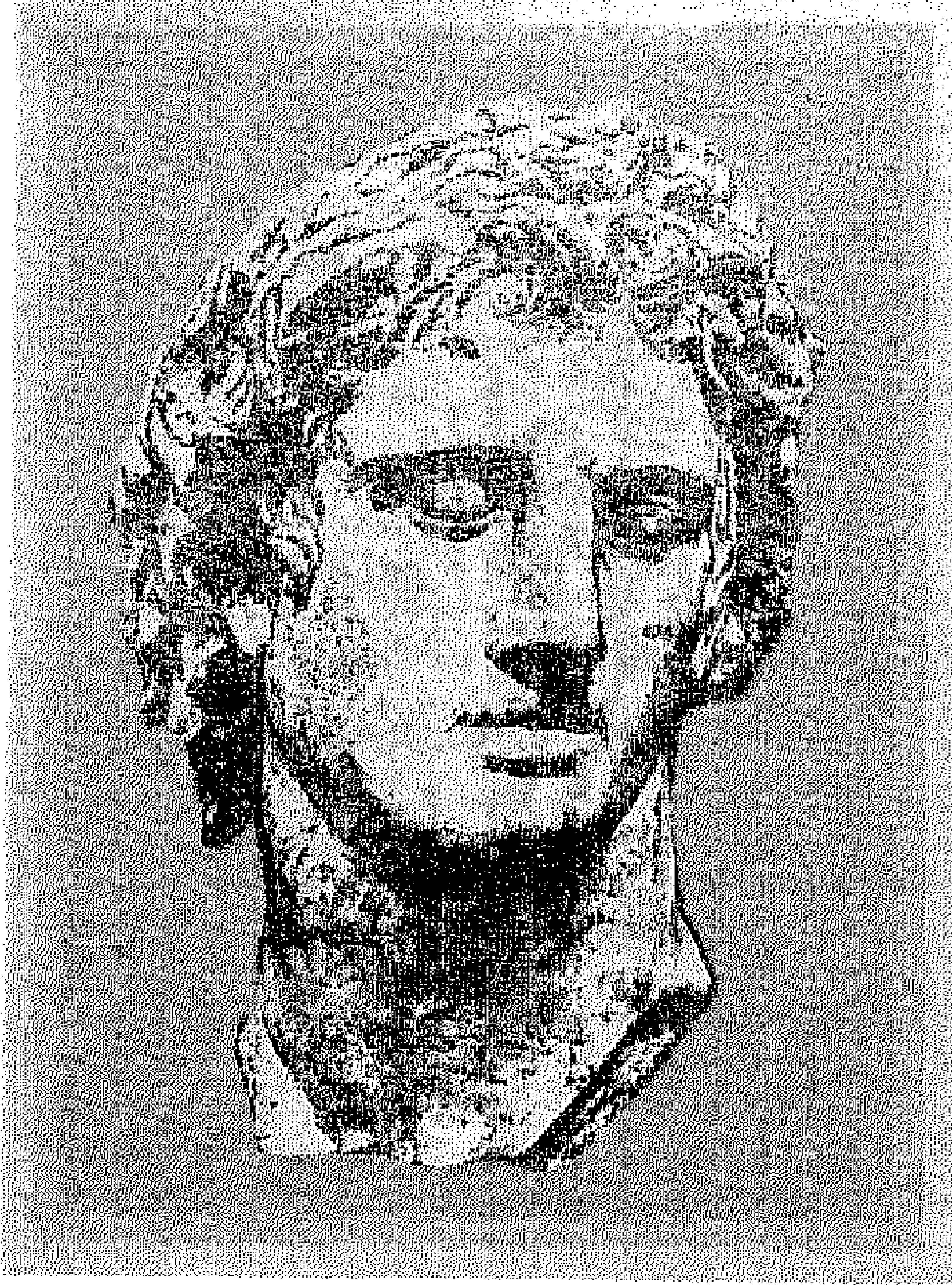
"سأظهر الحب بأن أكون صاحب تبصر وحنان، وأن اقدم العون بأي طريقة استطعت. وربما كان الاحتضان والتقبيل اسلوبا رقيقا. وسأظهره كذلك بأن ابتسم حين تغمر الغبطة الشخص الذي أحب، وأن أكون مصدر اطمئنان وحنان حين تنال الكآبة منه. كم يُفرح الانسان المريض ان يرى الى جانبه شخصا يمسك بيده فيتسرب اليها دفء المحبة".

قرأت ذلك مرارا وأحسست كأن سكوت يبوح لنا بحبه عن طريق اظهار ادراكه مدى محبتنا له.

■ ايلين ابسويتش

السعادة هي كل انواع التعاسة البعيدة عنا

ايف ميراند مجلة "لوهيريسون"، فرنسا



الاسكندر الأعظم

إن ذكرى أبرز الفاتحين في التاريخ لا تزال حية في ذاكرة العالم المتحضر بأكمله

في صباح يوم من أيام شهر مايو (أيار) عام ٣٣٤ قبل الميلاد، عرض ملك شاب قواته على الجانب الأوروبي من مضيق الدردنيل، ثم تقدمهم في الصعود الى القوارب التي تنتظرهم. وعندما اقتربت سفينة قيادته من الساحل الآسيوي للمضيق، أمسك بحربة طويلة وقذف بها الى الشاطىء امامه فانغرست في أرضه. ثم وثب من قاربه ليكون اول الواصلين الى اليابسة.

بهذه البادرة الرمزية انطلق الاسكندر الأكبر ليغزو جانبا كبيرا من العالم المعروف في زمنه. ولعله كان أعظم قائد عسكري في التاريخ حظي بالاعجاب والحسد والدراسة من

هنيبعل ويوليوس قيصر ونابوليون وجورج باتون وجميع طلاب الكليات العسكرية دونما استثناء. أما سعة أفقه وعقله الذي لم يكن يكف عن التساؤل فقد رفعا هامته الى علو تقصر دونه قامة أي فاتح آخر.

غير ان ارتفاع قامته ذاك امر مجازي فحسب، لأن الاسكندر كان قصير القامة الى حد غير عادي لم يتجاوز المتر ونصف المتر. وكان يقال عنه انه وسيم، ذو جبهة بارزة وأنف مستقيم وفك ناتىء. وهو، الى ذلك كله، أصغر الفاتحين العظام سنا، إذ انه اصبح سيد آسيا الصغرى في الثانية والعشرين، وسيد بلاد فارس الجبارة في الخامسة والعشرين.

وكان الاسكندر في الثانية والثلاثين من عمره عندما توفي عام ٣٢٣ قبل الميلاد، بعدما فتح امبراطورية تمتد من يوغوسلافيا الحالية الى الهند، وتضم كل بلغاريا الحالية او معظمها، وكل (أو معظم) فلسطين ومصر وليبيا والعراق وايران وأفغانستان، وأجزاء كبيرة من الاتحاد السوفييتي. وبعد اكثر من قرنين ونصف قرن على وفاته، بكى يوليوس قيصر وهو يقرأ عن كل ما انجزه الاسكندر في عمره القصير، وراح يؤنب نفسه لأنه رجل مخفق.

سر أبيه – كان والد الاسكندر، الملك فيليب المقدوني، من اعظم العباقرة العسكريين والسياسيين في التاريخ. ولعله كان جديرا بأن يسمى فيليب الكبير لو لم يتفوق عليه ابنه الى ذلك الحد البعيد. فقد كان فيليب هو الذي انشأ ذلك الجيش الصغير، المخيف، الرائع، الذي قاده ابنه من بعده. وكان فيليب هو الذي رفع شأن مملكته المقدونية الى الذروة حتى اخضع لسلطانها معظم مدن اليونان التي لم تكن تكف عن التناحر.

وحرص فيليب على ان يختار معلمي ابنه بدقة وعناية. وكان من بينهم واحد معجب بالانضباط الاسبرطي الصارم، فعلم الأمير الصغير فضيلة الصبر والمثابرة والتحمل. ثم جاء ارسطوطاليس العظيم، ففتح امام الفتى آفاقا أخرى واسعة: في علوم الأخلاق والفلسفة والسياسة والنبات والتشريح والتاريخ والأدب، جاعلا من الاسكندر اوسع الفاتحين ثقافة على مدى عصور طويلة. وكان الاسكندر يحتفظ تحت وسادته بخنجر ليحمي نفسه من الاغتيال اولا، ويضع الى جانبه نسخة فريدة من الياذة هوميروس، خطها له ارسطوطاليس بيده وأضاف اليها تعليقاته الخاصة.

وفي العام ٣٣٦ قبل الميلاد قتل الملك فيليب غيلة، فعمت الفتنة والتمرد معظم الشعوب التي كان قد اخضعها. فقد ظن اولئك الأقوام انه لم يعد هناك ما يخشونه من الملك الجديد الغرير. لكن الاسكندر راح يضرب شمالا وشرقا وغربا، ثم جنوبا في ارض اليونان نفسها. ودمر مدينة طيبة الهلينية تدميرا كاملا بلا رحمة (في ما عدا أحفاد الشاعر بندار وبيته، وهي لفتة اسكندرية مميزة). ولم تلبث باقي المدن اليونانية ان فتحت له ابوابها من دون خسائر تذكر في الارواح.

وسرعان ما اخذ الاسكندر بعدئذ يتأهب لحملة يونانية شاملة يغزو بها آسيا، لكي يعاقب الفرس على غزوهم اليونان قبل زمنه بمئة وخمسين عاما. وكانت فارس في ذلك الوقت اغنى

الامبراطوريات، ولا تدانيها في الجبروت أي دولة أخرى في العالم المعروف.

والأرجح ان جيش الاسكندر لم يكن يزيد على ٣٠ ألفاً من المشاة و٥٠٠٠ من الفرسان. ويقال انه عندما بلغت انباء هذه القوة الضئيلة مسامع الملك الفارسي دارا الثالث، اغرق في الضحك.

ووقعت المعركة النهائية مع دارا على ارض العراق الحديث. وكان جيش دارا هائلا. وقالت الروايات ان عدد جنوده بلغ المليون، بحيث بدا جيش الاسكندر اشبه بجزيرة ضئيلة على وشك ان تبتلعها موجة مد عاتية. وانتزع الاسكندر النصر بمناورة تقليدية تعلمها من أبيه، اذ جعل قلب جيشه يجتذب الهجوم الرئيسي للعدو، ثم قاد بنفسه هجمة صاعقة، ولكنها تامة التنظيم والانضباط، على رأس فرسانه حول جناحه الايمن، وانقض على الجناح الأيسر العاري للعدو. واوشك في احدى اللحظات ان يقترب من دارا اقترابا كافيا لأن يضرب الملك الفارسي برمحه. لكن دارا ترك ساحة المعركة واسرع بالفرار، وسقط بعد حين صريع الاغتيال على ايدي رجاله. فلم يطل الامر بجيشه حتى انهار.

وهم يتبدّد – كان الاسكندر غادر بلاد اليونان وفي رأسه عقيدة أكدها ارسطوطاليس بأن الفرس بشر من الدرجة الثانية، ضعاف، لا يصلحون الا ليكونوا عبيداً. ولكن عندما اصطدم بهم، اكتشف انهم اهل نبل ووقار وثقافة وحضارة، وأن بعضاً من التدريب والانضباط كفيل بأن يجعل منهم جنودا شجعاناً. فأقام صداقات مع العديد منهم، واختار ثلاثين ألفاً من أفضل شبابهم لكي يتدربوا على فنون الحرب المقدونية ويتعلموا اللغة اليونانية.

وباستثناء عدد قليل من اصدقاء الاسكندر الحميمين، فان معظم رجاله – بمن فيهم اعلاهم مرتبة وأنبلهم محتداً، وهم اولئك الذين كان يطلق عليهم اسم "الرفقاء" – كرهوا ان يروا مليكهم يتآخى مع اولئك الذين كانوا لا يزالون يعتبرونهم اعداء.

فهم جاؤوا منذ البداية ليقتلوا الفرس وينهبوهم، وكان يبدو ان الاسكندر متفق معهم في ذلك. فعندما بلغوا العاصمة برسيبوليس، اذن لهم ان ينهبوها كيف شاؤوا، ولم يحجب عنهم سوى القصر الملكي الكبير الذي احتفظ به لنفسه.

وكان معظم الجنود المقدونيين، بمن فيهم الاسكندر نفسه، يفرطون في الشراب. وذات ليلة، في محفل شراب ضخم داخل القصر، صاح احد المقدونيين قائلا ان الفرس احرقوا معابد أثينا قبل ١٥٠ عاما، فلماذا لا يحرق المقدونيون الآن هذا القصر الذي فيه يجلسون؟

فانتفض الاسكندر وقاد موكبا ثملا مترنحا اخذ يلقي المشاعل الملتهبة في مختلف انحاء المبنى الرائع البديع. وسرعان ما تصاعدت السنة النار من جميع اركانه، فثاب الاسكندر الى رشده وحاول ان ينظم عملية اطفاء الحريق، لكن السهم كان قد نفذ ولم يعد الامر ممكنا. ومن الغريب ان جريمة العربدة هذه كانت لها ثمرة ايجابية في أيامنا: فعلماء الآثار الذين حضروا الموقع وجدوا ان الركام المحترق قد حفظ النقوش

الحجرية الرائعة في القصر على حالها الأصلية تقريبا.

وكان الاسكندر يقاتل الى جانب رجاله في الخطوط الأمامية، ويدخل مثلهم في معارك الالتحام المباشر. وعلى سبيل المثال، هاجم الجيش ذات مرة مدينة هندية محصنة ذات اسوار عالية، منيعة، جعلت المحاربين المقدونيين الجبابرة انفسهم يترددون. فجاء الاسكندر نافد الصبر وأمسك بسلم تسلق عليها السور مع ثلاثة من اصدقائه، ثم وثب بشجاعة خارقة الى الداخل وسط الاعداء الذين احاط محاربوهم الاشداء به وبأصدقائه الثلاثة. ومضى الاسكندر يقاتل بعنف، لكنه اصيب في النهاية بسهم طوله متر اخترق صدره. فسقط على الأرض، وتقدم احد "الرفقاء" فأمسك فوقه درعاً ليحميه.

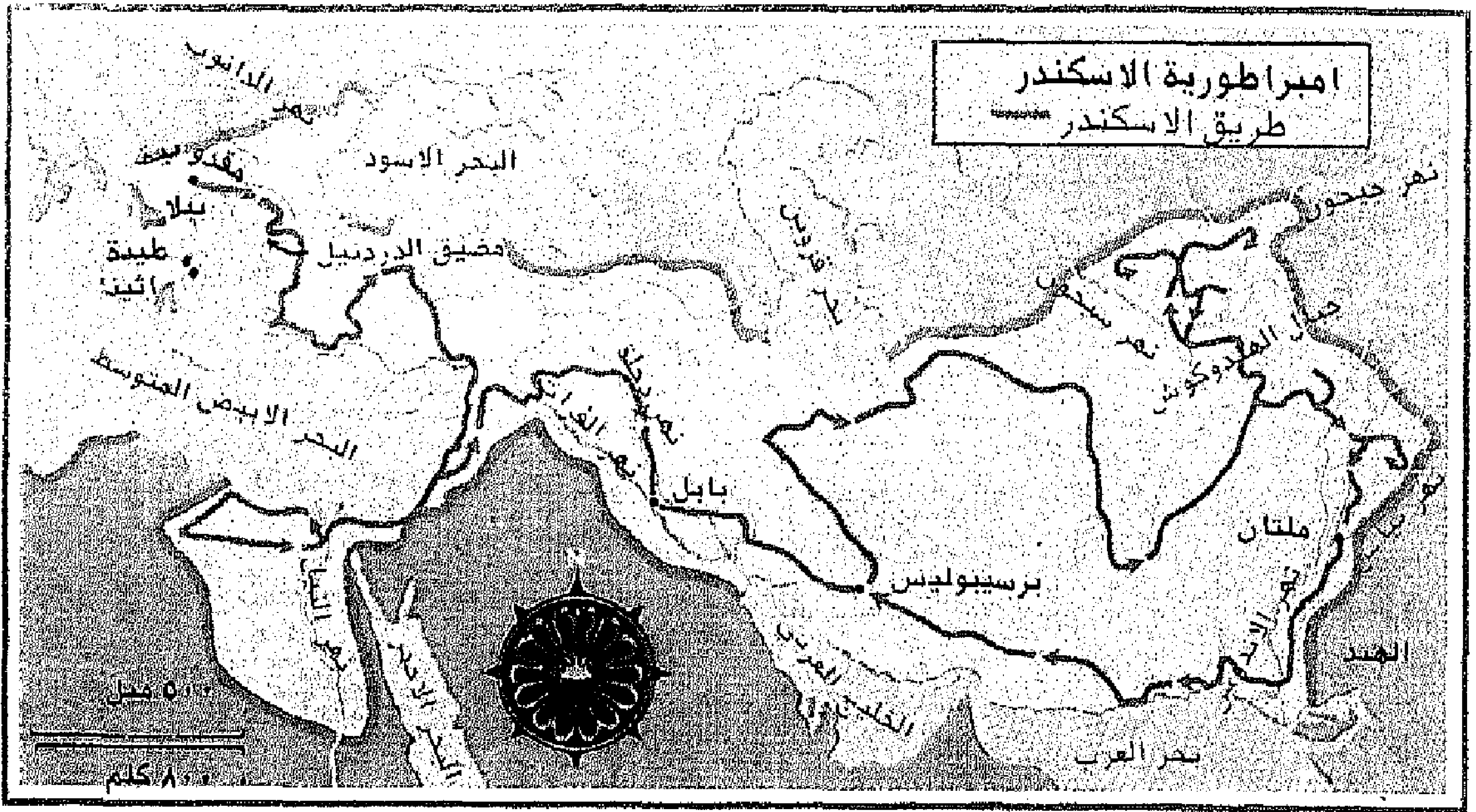
وكان المقدونيون الذين تبعوه مهتاجين قد اقتحموا خطوط دفاع العدو بأعداد كبيرة في تلك اللحظة. وعندما رأوا ملكهم يسقط صريعا كما بدا لهم، مضوا يثأرون له بقتل كل رجل وامرأة وطفل في المدينة. لكن الاسكندر، حين علم ان جنوده يحسبونه ميتا، امر بأن يوضع وهو جريح في قارب مكشوف. ومضى به القارب فوق صفحة النهر امام الجنود المصطفين على الضفتين، وهو يرفع يده اليمنى محيياً اياهم بجهد مضن. ثم طلب جواده واعتلاه وسار به بضع خطوات، ترجل بعدها ليمضي على قدميه خطوات اخرى وسط هتافات الجنود المتصاعدة كهزيم الرعد. ولا عجب انهم تبعوا ذلك الرجل حيثما قادهم... وأين تراه لم يقدهم؟

كشف المجاهل — وعندما بلغوا موضعاً قصياً في ما يعرف اليوم باسم البنجاب، أعلن المساحون المصاحبون للاسكندر، الذين كانت مهمتهم ان يقيسوا الطريق التي يقطعونها، انهم قطعوا ١٨،١٠٠ كيلومتر في ثماني سنوات. واذا كانت جولات الاسكندر ورحلاته عسكرية، فان هناك احساسا قوياً بأن الاسكندر كان يجتذبه الظمأ الى المغامرة والاستكشاف. وقد قال احد كتاب سيرته القدامى: "كان من دأبه ان يسعى دائما الى ما وراء المعلوم".

وكانت تصحب الاسكندر على الدوام كوكبة من العلماء والفنيين. وقد ارسل الى بلاد اليونان من الاراضي التي فتحها عينات من البذور والنباتات والمعادن والطيور، واكتشف توابل جديدة، وخصوصا القرفة (الدار صيني). وقد تضاعفت انواع التوابل التي كان اليونانيون يستخدمونها خمس مرات بعد رحلات الاسكندر.

وكان ارسطوطاليس قد علّم الناس أن العالم ينتهي وراء سلسلة جبال الهندوكوش مباشرة، حيث يقع النهر الهائل الذي يدور حول الارض كلها، ويسمى المحيط. لكن الاسكندر، عندما بلغ جبال الهندوكوش وجد ان العالم يمتد بعدها من غير نهاية في ممالك غنية متعاقبة. وقاد رجاله بتشوف - وهم يقاتلون في معظم الاحيان - عبر اربعة من انهار البنجاب الخمسة العظيمة.

لكنه عندما بلغ النهر الخامس - المسمى "هيفاسيس" - رفض رجاله ان يتبعوه، كذلك فعل قواده. فهم سمعوا ان هناك جيوشا أكبر لا تزال



امامهم، وان كان يحتمل ان يكون العامل الحاسم الذي حطم معنوياتهم هو الأعاصير الموسمية المخيفة. فقد ظلت السماء مليئة بأمطار لا تكف عن الهطول طوال ثلاثة اشهر. وكانت الحرارة الرطبة الثقيلة تؤدي، خلال دقائق معدودة، الى فساد الطعام وصدأ الدروع والاسلحة وكانت الجلود تتعفن في ليلة واحدة، والثعابين السامة تغزو مواقع المعسكر في زمر متلاحقة.

وواجه الاسكندر رجاله في صلابة الجلاميد لينبئهم بأنه سيواصل مسيرته وحيداً اذا اقتضى الأمر، وبأن في امكانهم ان يعودوا الى مقدونيا ليخبروا اهلها انهم تخلوا عن مليكهم وهجروه وسط صفوف العدو. فصمت الجميع وكأن على رؤوسهم الطير.

غير ان الاسكندر اكتشف في النهاية مخرجا لائقا يحفظ ماء وجه الاطراف جميعاً، اذ اعلن ان العرّافين وجدوا ان جميع النذر غير مؤاتية، وانه، بناء على ذلك قرر، ان يعود رضوخا لمشيئة الآلهة. ولكن قبل ان يعود ادراجه، جعل رجاله يبنون ١٢ مذبحا ضخما، كرّس كل واحد منها لأحد آلهة الاغريق الأثني عشر الرئيسية. ومن المحقق ان بقايا هذه المذابح الضخمة لا تزال موجودة في مكان ما من شمال غرب الهند.

آثار ومآثر ـ لقد خلّف الاسكندر لدى عودته آثارا يفوق عددها كثيرا عدد تلك المذابح المفقودة. ولعله لم يكن يتصور، في أبعد احلامه مغالاة في الخيال، ان قروناً طويلة متعاقبة بعده سوف تشهد المسرحيات الاغريقية الكلاسيكية تمثل امام رجال القبائل الرحل وسط فارس، وان مشاهد من الاساطير الاغريقية ستنحت وتنقش على الحجر في اماكن بعيدة مثل الهند، وان السجاجيد والطنافس والقصور في الشرق ستحمل آثار

التصاميم الاغريقية – ذلك كله بفضل حملاته المذهلة. ولا عجب ان اسم الاسكندر – وهو التحريف الأسيوي لاسمه الحقيقي "الكسندروس" – لا يزال شهيرا ذائعاً في آسيا حتى اليوم.

ويزعم علماء الآثار انهم يستطيعون ان يتابعوا مسيرة الاسكندر خطوة خطوة تقريبا، مستعينين بما بقي من الأعمدة والمسارح والمعابد الاغريقية. وقد أسس هذا الفاتح الفذ عددا من المدن يفوق كثيرا ما اسسه اي فاتح آخر، وأطلق على الكثير منها اسم "الاسكندرية"، نسبة الى نفسه. واصبحت احداها – وهي تلك التي انشئت في مصر – منارة للثقافة الاغريقية، ثم القلب النابض والعقل القائد والروح المهيمنة على الفترة التي يطلق عليها اسم "الهلنستية"، عندما اصبحت الثقافة الاغريقية هي الثقافة المشتركة في منطقة الشرق الأوسط كلها.

غير ان هذا كله كان في عالم الغيب البعيد عندما قبل الاسكندر عام ٣٢٦ قبل الميلاد ان يستسلم لعناد جنوده ويستدير غرباً. وقد عاد الى بلاده ليجد في انتظاره انباء سيئة كانت نتيجة لغيابه الطويل. ذلك ان العديد من الحكام والقادة الذين تركهم في مواقع السلطة تحولواالى طغاة فاسدين شرسين، فاضطر الى اعدامهم.

وأخيرا استتب السلام، وبدأ الاسكندر يضع خططا جريئة لمغامرات مقبلة.فأمر ببناء الف سفينة في بابل وبارسال قوات كبيرة جديدة اليها.

غير ان اشتراكه في حفلة شراب كبيرة ربيع ٣٢٣ قبل الميلاد، انتهى بذهابه الى فراشه وهو يعاني الحمى. وقد تحدثت الروايات في ما بعد عن اصابته بسم دس له. لكن الارجح انه اصيب بالملاريا التي زادت من وطأتها تعقيدات اصابت كبده بسبب افراطه في الشراب. وعندما الغي موعد انطلاق الجيش الذي كان قد تحدد، سرى النبأ بين جنده باقتراب النهاية. ثم سمح لهم بالمرور في صف متتابع الى جوار المضجع الذي تمدد فوقه مليكهم المحتضر، وقالوا في ما بعد انه كان يحييهم بحركة من عينيه. وكان الاعتقاد السائد منذ زمن ان الاسكندر اكثر من انسان، كما كانت مدن يونانية كثيرة بدأت تقدسه كإله. اما الآن، في لحظة الحقيقة، فقد انحنى فوقه احد القادة وسأله: "من تريد ان يكون خليفة لك؟".

وهنا بدا على شفتي الملك انه يبذل جهدا ليبتسم، ثم همس: "الأفضل".

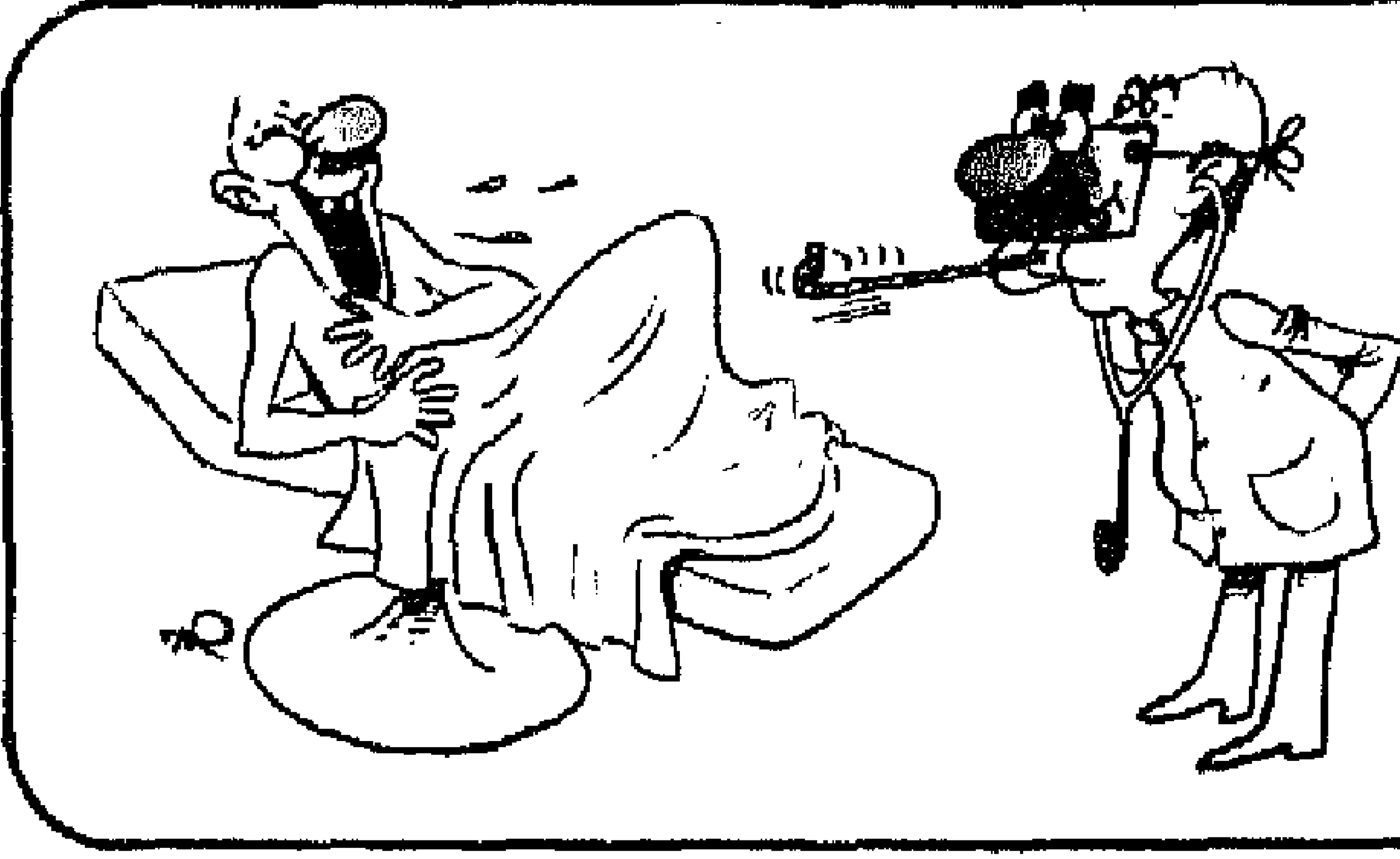
الا ان افضل خليفة له لم يستطع ان يحافظ على الامبراطورية الاسطورية التي اقامها اعظم الفاتحين. فقد فتح الاسكندر في تاريخ العالم عهداً جديدا لم يعد يمكن ان يبقى فيه شيء كما كان في الماضي.

■ غوردون غاسكل

لا يمكن ان يكون هناك كذب اكثر مما نسمع قبل الانتخابات وخلال الحروب وبعد الصيد.

بسمارك

الضحك خير دواء



مفارقة

قررت ادارة المقبرة رفع اسعار المدافن، معللة ذلك بارتفاع تكاليف المعيشة

ج·ب·

سبب وجيه

سأل المدير سكرتيرته الشابة الجذابة: "هل لديك ارتباطات خاصة خلال عطلة نهاية الاسبوع؟"
فأجابت الفتاة في خجل: "لا".
ـ حسناً، اذاً ارجو الا تتأخرى عن موعد العمل صباح الاثنين.

ج·د·د·

الغاية والوسيلة

طلب الطفل ذو الاربع سنوات من ابيه ان يشتري له دراجة، فقال الاب: "اذا اشتريت لك دراجة، فلن يكون في امكاننا شراء جهاز تلفزيون". وهنا اجاب الصغير: "لا بأس، اذ عند ذاك سأذهب بدراجتي الى منزل جدتي لمشاهدة التلفزيون".

ش·و·ب، تايوان

انكليزي حقيقي

يروى عن الصناعي المعروف هنري تشرشل ابن اخ السير ونستون تشرشل والذي ورث الكثير من الصفات العملية عن عمه، انه كان يجري مكالمة تلفونية في اثناء الحرب العالمية الاخيرة من كشك الصحف في فندق "ريتز" في باريس، واذا بقنبلة تنفجر على مقربة من هناك، عصفت بالكشك وزعزعت رفوفه، وحبست هنري تشرشل في داخله. فتملك القلق رفاقه وسارعوا الى الاطمئنان الى سلامته ومساعدته على الخروج من هذه الورطة. وسألوه عما اذا اصيب باي اذى، فاجاب بكل هدوء: "لا، وانما كنت احاول ضغط الزر الثاني لكي استخرج قطعة النقد التي وضعتها للمكالمة".

«ايفننغ ستاندارد»

حلاق آخر زمان

بينما كنت انتظر دوري عند الحلاق رأيت رجلا ينهض من كرسيه متوجهاً الى الخارج وعلى ذقنه أثر جرح خفيف، ثم يقف متردداً ويعود ليمنح "البقشيش" حلاقاً آخر واقفاً بجانب الأول ويقول له "هذا لأنك لم تحلق ذقني اليوم".

ث·و·

بالشكر تدوم النعم

كان الرجل يتناول عشاءه ففص وشعر بالاختناق، فالتفت الى زوجته وقال "سأموت الآن يا عزيزتي، ولدي شيء اخير لا بد ان اصارحك به، لقد خنتك". فانحنت الزوجة نحوه في حنان وقالت متأثرة "أعرف ذلك، يا حبيبي، ولهذا اشكرك على ما تفعله الآن من اجلي".

أ·ف·

غداء يليق بالمقام

اشترى رجل أرنباً ودعا جاره الى مشاركته في تناوله وقبل ان يحين موعد الغداء طرق الباب، فسأل: "من؟" فأجاب الطارق: "أنا جار جارك"، فقال: "أهلا وسهلا". وبعد لحظة طرق الباب ثانية فقال الطارق: "انا جار جار جارك". وتكررت العملية حتى امتلأ البيت بالجيران، فلما حان وقت الغداء احضر صاحب البيت طشتاً مملوءاً بالماء الساخن، وقال: "تفضلوا". فسألوه: "ما هذا؟" فقال "هذه مرقة، مرقة الأرنب!".

ابرهيم الجارودي السعودية عن "سين جيم"
الدكتور عبد السلام العجيلي

من نصدق؟

كتبت الأم الى ابنها تهنئه بخطوبته فقالت في خطابها: "يا ولدي العزيز، أنا وأبوك نشعر بمنتهى الفرح والسعادة بهذا النبأ ونحن ننتظر يوم زفافك بفارغ الصبر. ان الزوجة الصالحة هي نعمة من نعم الله على الرجل. بارك الله فيك وفي عروسك". وقرأ الأبن الرسالة ووجد في نهايتها ملاحظة كتبت بخط آخر: "لقد ذهبت امك للبحث عن طابع بريد لا تقدم على هذه الحماقة أيها الغبي وعش أعزب".

سوداني يونس – المغرب
من "الف نكتة"

اول ابريل

اثناء دراستي للحصول على شهادة في علم النبات، وصلت ذات صباح الى المختبر وبدأت كالعادة انفذ التعليمات المطبوعة على ورقة لانجاز تجاربي. وزنت اولا الكمية المطلوبة من اوراق نبتة جافة بنية اللون ذات اسم لاتيني غير مألوف، ثم نقعتها بدقة في ماء مغلي وتركتها فيه ثلاث دقائق وبعد ذلك جاءت مرحلة التصفية حيث فصلت المادة النباتية عن السائل واضفت اليها السكر، حسب التعليمات. وبعد عبارة "اضف اما عصير الليمون الحامض او الحليب" قلبت الصفحة لأجد العبارة الآتية "والآن اشرب السائل".

وادركت فجأة ان اليوم هو الأول من ابريل (نيسان) وأني لم احضر في تجربتي المعقدة سوى كأس من الشاي!

ب.و.

شمس لعوب

في اوج الثورة الثقافية التي شنها الحرس الاحمر ضد العناصر المسماة "بورجوازية" و"رجعية" في الصين، سأل المعلم طلابه ان يضربوا له مثلا على عنصر "رجعي". فأجاب احد الطلاب: "الشمس". فسأل المعلم:

"ولماذا الشمس؟"

– لانها تأتي من الشرق، ثم لا تلبث ان تتجه نحو الغرب.

مجلة "العالم اليوم"، هونغ كونغ

عمل اضافي

بالاضافة الى كتابة المقالات عمل اريك هوفر مفرغاً للسفن في المناء، وقد كتب مرة الآتي:

"مضت علي قرابة السنوات الثماني منذ تقاعدت من عملي في الميناء لكني لا ازال افرغ السفن واحملها في احلامي، بل اني استيقظ احيانا في الصباح وانا اشعر بالألم ينتاب جسدي من جراء عملي الأضافي ليلا. ومن حق المرء ان ينظر الى الراتب التقاعدي كأجر عن العمل الذي نستمر في ادائه في احلامنا بعد ان نتقاعد".

اريك هوفر "قبل الاجازة"

البخت المبخوت

قارىء البخت: ستظل فقيرا وتاعسا حتى الثلاثين.

الزبون: وبعد ذلك؟

قارىء البخت: وبعدذلك ستعتاد على هذه المعيشة.

د.ت.و.ب.م

عَودٌ الى الديزل؟

طالما استهان السائقون بذلك المحرك القوي. لكنه، كطائر الفينيق، انبعث فجأة من رماده

ربما استغرب السائقون ان تكون سيارت الركاب المزودة بمحرك ديزل اكثر السيارات رواجاً على طرق اوروبا الغربية. فقد ظل الناس ردحاً من الزمن يعيبون على هذا المحرك ضجيجه المفرط وبطء حركته وقبح رائحته، فأنفوا اقتناءه وانزلوه منزلة تضاهي منزلة سيارات الشحن. اما اليوم فقد بدأ اصحاب السيارات يعدلون عن هذا الموقف، بل هم يفكرون جدياً في التحول الى مناصرين لهذا المحرك.

اثارت فضولي هذه الشهرة غير المتوقعة التي يحظى بها ذلك المحرك القديم، فأجريت بعض الجولات الاختبارية في عدد من احدث السيارات المزودة به في شتى البلدان الاوروبية، وتحدثت مع اصحابها ومع مهندسي محركات السيارات وخبراء الطاقة. وقد رأيت ان اعرض في ما يأتي ما استخلصته:

قبل كل شيء، تجدر الملاحظة ان شركات انتاج السيارات فيكل مكان تتزاحم على احتلال مركز مرموق في سوق الديزل الرائجة. فمنذ العام ١٩٧٣، تزايدت مبيعات سيارات الديزل سنوياً بنسبة ١٥ في المئة في ايطاليا واكثر من ٦٠ في المئة في فرنسا، وقفزت الى ١٠٥ في المئة في بريطانيا. وتمثل سيارات الديزل

الآن ٤٧ في المئة من مبيعات سيارات الركوب من طراز مرسيدس - بنز، بعدما كانت هذه النسبة لا تتعدى ٣٥ في المئة عام ١٩٧٣.

اما منتجو السيارات الذين لم يكترثوا لمحركات الديزل من قبل فقد شرعوا في تغيير وجهة نظرهم. وانتجت شركة سيتروين الفرنسية عام ١٩٧٥ سيارة سي اكس - دي، وهي اول طراز لها من سيارات الديزل. وبعد أشهر قليلة، دخلت شركة فولكسفاغن الالمانية حلبة السباق لتنتج سيارة غولف. وفي اسبانيا تعمل شركة كرايزلر على صنع سيارة سيدان ذات محرك ديزل. اما في ايطاليا، فتعتزم شركة الفا - روميو التي اشتهرت بسياراتها القوية والسريعة ابدال سيارة "جوليا" ذات محرك الديزل القديم بطراز جديد مزود بمحرك ديزل حديث. ويقول احد المسؤولين في شركة الفا - روميو: "صحيح ان هذا التغيير لايتناسب مع صورتنا في السوق، لكننا رجال اعمال، وهناك اناس عديدون يريدون سيارات ديزل".

نصير البيئة - ما هي الدوافع الى هذا الاقبال؟

هناك، اولا، عامل الاقتصاد. فقد شغلت ازمة الطاقة عقول الناس جميعاً ووجهت اهتمامهم الى ضرورة التوفير في استهلاك الوقود، ولا شك في ان محركات الديزل تتيح اجتياز مسافات تفوق قدرة محركات البنزين بكمية الوقود نفسها. يضاف الى ذلك ان نسبة التكرير في الديزل اخف منها في البنزين، ومن ثم فهو اقل كلفة. وتقل رسوم التسجيل والتأمين على سيارات الديزل في بعض البلدان - مثل فرنسا وايطاليا - عن الرسوم المفروضة على سيارات البنزين.

اما العامل الثاني في الاقبال الجديد على محرك الديزل فهو الحرص المتزايد على حماية البيئة من التلوث. ومما يبعث على الدهشة ان محرك الديزل الذي اشتهر بدخانه الكثيف ورائحته الكريهة، يطلق في الواقع كميات من الهيدروكربونات واول اوكسيد الكربون تقل عما يطلقه محرك البنزين.

وهناك حافز آخر على هذا الاقبال يتلخص في التغيير العام في اسلوب قيادة السيارات. فقد عمدت معظم الدول الاوروبية الى فرض قيود على سرعة السير في الطرق الكبرى توفيراً للوقود. وبالتالي فان محرك الديزل، على رغم كونه اقل سرعة من محركات البنزين، يبقى ملائماً بعدما زالت الرغبة في الاسراع.

وقد عبر اصحاب سيارات الديزل الذين تحدثت اليهم عن حماستهم لهذه المحركات. وقال لي الصحافي كلاوس شوستر ٥٢ سنة من مدينة شتوتغارت في المانيا الغربية: "كانت امنيتي ان اقتني سيارة مريحة ومتينة واقتصادية". وعلى هذا الاساس اشترى سيارة ديزل عام ١٩٧٦، وهو يجتاز بها نحو ٢٤ الف كيلومتر كل عام. واضاف: "ان هذا المحرك المتميز ببطء دوراته يتمتع بقوة سحب جبارة. وسواء أقطرت به بيتاً متنقلا او اثقلته باكياس الاسمنت - كما فعلت انا - فقلما تشعر بالفرق في قوة سحبه".

ويقول الانكليزي اوزوالد ثورن من

بلدة هيميل هيمستيدقرب لندن (ولد عام١٩٢٢) انهيستخدمسيارته الديزل بكثير من التوقف والانطلاق خلال عمله مع السلطات المحلية المسؤولة عن الطرق الكبرى. وهو يستهلك ستة ليترات من الوقود في كل مئة كيلومتر يقطعها، في مقابل تسعة ليترات كانت تستهلكها سيارته السابقة ذات محرك البنزين. ويعلق على ذلك بقوله: "كنت اظن محركات الديزل لا تناسب الا الشاحنات، لكنني لا ارضى الآن عنها بديلا".

وفي ايطاليا، يصف رجل الاعمال بيار لويجي تاليوني سيارته الديزل بأنها "مرضية الى ابعد حد". وهو يقطع بها سنوياً نحو ٤٥ الف كيلو متر في بلد يقل ثمن وقود الديزل فيه عن ثمن البنزين الممتاز بنسبة ٦٦ في المئة. ولذا، فان ارتياحه الى سيارته الديزل يعود، في معظمه، الى عامل الاقتصاد في كلفة الوقود. غير ان تاليوني يشعر ايضاً بأنه اصبح مواطناً افضل، ويقول: "يسعدني ان ادرك ان سيارتي لا تتقيأ كميات كبيرة من المواد السامة التي تلوث الجو".

اقتصاد واطمئنان – تكمن عظمة محرك الديزل في طريقة الاحتراق: يسحب الهواء الى داخل الاسطوانات لتضغطه المكابس الى معدل يبلغ ٩٥ كيلو غراماً على السنتيمتر المربع، اي ما يقارب ثلاثة اضعاف معدل الضغط في محرك البنزين. ويؤدي هذا الضغط الى تسخين الهواء الى نحو ٦٠٠ درجة مئوية، فيحترق الوقود تلقائياً بمجرد حقنه في الاسطوانة. وتزيد الطاقة الحرارية التي ينتجها وقود الديزل ١١ في المئة انتاج البنزين. وهي، اضافة الى الضغط الكبير، وراء قطع مسافات تزيد بنسبة ٣٠ في المئة على ما تجتازه سيارة البنزين.

ونظراً الى ان محرك الديزل لا يشتمل على نظام اشعال قد يستدعي الضبط او التمرين، فان ذلك يضيف الى ميزاته الاولى التوفير في مجال الصيانة. وتقضي ضرورة الصمود امام الضغط الهائل بان تكون الاجزاء الرئيسية في محرك الديزل- مثل الاسطوانات والعمود المرفقي (عمود الكرنك) والمكابس البستونات – على درجة عالية من المتانة تزيد من قدرة المحرك على التحمل. وليس من الامور النادرة ان يقطع الانسان بسيارة الديزل مسافة ٣٠٠ الف كيلومتر اذا بقي هيكلها متماسكاً.

عندما تقود سيارة ديزل، فانك تلاحظ الفرق بينها وبين سيارة البنزين بمجرد ادارة مفتاح التشغيل. ذلكان لا شأنهنا لجهاز الانطلاق. فشموع الاشعال (وهي اجهزة كهربائية صغيرة داخل الاسطوانات لتسهيل الانطلاق وتعرف بـ "البوجي" تبدأ في تسخين الاسطوانات ويستغرق ذلك عادة نحو ٣٠ثانية (او اكثر قليلا في الطقس الشديد البرودة)، وهي فترة تتيح لك ان تعتدل في جلستك وتثبت حزام الامان. بعد ذلك تدير المفتاح حركة اخرى فيزأر جهاز الانطلاق ويبدأ المحرك في الدوران، وبذلك تصبح على اهبة التحرك بسيارتك من دون حاجة الى صمام للهواء ولا خطر من اغراق المحرك بالوقود ولا تهديد بالارتجاج او التوقف كما يحدث في محركات البنزين.

واستطيع التأكيد انه خلال جولاتي الاختبارية وسط ازدحام السير في المدينة، اثار تقديري ما يتمتع به محرك الديزل من قوة سحب هائلة في السير البطيء - الامر الذي يقلل الحاجة الى تغيير اوضاع مقبض السرعة بحيث يمكن الاسراع انطلاقاً من ١٥ كيلومتراً في الساعة في وضع السرعة الثالثة. وهذا العمل كفيل بجعل محرك البنزين يرتعد ثم يتوقف تماماً. ويوفر الضغط الاعلى في محرك الديزل قدرة اكبر على الكبح (الفرملة) عند التباطوء. وقد لاحظت في اثناء التوقف عند اشارات المرور ان الضجيج الصادر عن المحرك يفوق ضجيج محرك البنزين. لكن هذا الفرق تضاءل عندما عدت الى سرعة ٥٠ كيلومتراً في الساعة.

اما على الطريق المفتوحة، فقد اتضح لي ان محرك الديزل يبعث على الثقة والاطمئنان، ذلك انه اذا كان في امكان سيارة البنزين ان تنتقل خلال ١٤ ثانية من الصفر الى سرعة ١٠٠ كيلومتر في الساعة، فان سيارة الديزل تحتاج الى ٢٤ ثانية لاتمام هذه العملية. كما ان السرعة القصوى في معظم السيارات التي اختبرتها كانت تقل بنسبة عشرة في المئة عنها في سيارات البنزين. غير ان القيود المفروضة على السرعة في الطرق الرئيسية جعلت هذا الفرق قليل الاهمية.

اما تجاوز السيارات فهو امر آخر، لان سيارة الديزل التي كنت اقودها جعلتني اخطط لمناورات التجاوز قبل الاقدام عليه بوقت كاف، كي اتجنب السيارات الآتية في الاتجاه المعاكس. اما في الطريق المتصاعدة فقد كنت امتنع عن الاسراع.

لكن هناك ثمناً لا مفر من دفعه للتمتع بمزايا الديزل، هو ارتفاع اسعار السيارات المزودة به. ذلك ان اجزاء المحرك المتميزة بالصلابة والمتانة باهظة التكاليف وتحتاج الى جهاز اشعال اكبر والى بطارية اقوى. وعلى ذلك، فان ثمن شراء سيارة الديزل يزيد على ثمن سيارة البنزين المناظرة لها بنسبة تراوح بين ١٥في المئة و ٣٠ في المئة. لكن ثمن بيع هذه السيارة مستعملة يزيد ايضاً على ثمن نظيرتها ذات محرك البنزين بالنسبة نفسها.

ايهما اجدى؟ - على رغم ان البحوث الرامية الى تطوير محركات الديزل نشطة وتشمل اكثر من مجال الا ان اقرب تحسين ينتظر ان يطرأ يتناول اسلوب الشحن الزائد. وهو اسلوب تقني قديم ومعروف يستهدف زيادة قدرة المحرك عن طريق وصله بمروحة تدفع مقداراً اكبر من الهواء داخل الاسطوانات، فتزداد بذلك كمية الوقود التي يمكن احراقها.

وقد عرضت شركة مرسيدس طرازاً يعتمد هذا الاسلوب في السوق الاميركية خلال صيف ١٩٧٨. وينتظر ان تحذو شركة فولكس - فاغن حذوها بعدما درست ادارة الطاقة في الولايات المتحدة اخيراً سيارة ديزل من طراز غولف (فولكسفاغن) ذات شحن زائد ، يمكنها ان تقطع باربعة ليترات من الوقود مسافة مذهلة تبلغ ١٠٠ كيلومتر. وتفيد حسابات المهندسين ان اسلوب الشحن هذا من شأنه زيادة ١٠ في المئة على المسافة

التي تقطعها السيارة بكمية معينة من الوقود او ٤٠ في المئة على قدرة محركها.

وعلى رغم الاعتقاد المتزايد ان ساعة تكنولوجيا الديزل قد دقت بالفعل، الا ان امر استخدامه لا يزال مثاراً للجدل في اوروبا الغربية. ويظن عدد من مهندسي البترول ان ارتفاع الطلب على وقود الديزل سيتيح لشركات النفط تحسين نوعيته، اذ ان وقود الديزل يستخدم الرواسب الثقيلة في النفط الخام بعد ان تزال منه المواد الخفيفة اللازمة لصنع البنزين.

وتفيد تقديرات السوق المشتركة ان دولها الاعضاء تستطيع توفير نحو ستة ملايين طن من النفط سنوياً اذا تزايد فيها انتشار الديزل. لكن هناك خبراء آخرين يخالفون هذا الرأي. مثال ذلك ان الوكالة الفرنسية للتوفير في الطاقة ترى ان الاجدى تحسين اداء محرك البنزين بدلا من صرف مبالغ اكبر على تطوير محركات الديزل.

ومما يزيد حدة هذا الارباك ان فرنسا ودولا اخرى تسعى الى تشجيع المستهلكين على استخدام سيارات الديزل، وذلك بوضع تسعيرة لوقود الديزل تقل كثيراً عن اسعار البنزين الممتاز. ولكن ربما تنبهت الحكومات الى الغاء هذه الميزة الضريبية، لان زيادة الاقبال على استخدام وقود الديزل الرخيص تؤدي في النهاية الى نقص كبير في ايرادات الضريبة على البنزين. وقد فرضت الحكومة الايطالية في فبراير (شباط) ١٩٧٨ ضريبة خاصة على سيارات الديزل، فانحسرت بذلك جاذبيتها الاقتصادية. اما فرنسا فقد نفت ما جاء في التقارير المنشورة عن اعتزامها فرض ضريبة مماثلة.

فائدة قصوى — والآن، هل يحسن ان تشتري سيارة ديزل؟ ان الاجابة عن هذا السؤال تتوقف على ثلاثة عوامل هي: اين تسكن؟ الى اي مدى تستخدم سيارتك؟ كيف تقود سيارتك؟

اذا كنت مقيماً في بلد يعظم فيه الفرق بين سعر وقود الديزل وسعر البنزين، فلا شك في ان الديزل يحقق لك فائدة اقتصادية واضحة. فاذا راوح هذا الفرق بين ٢٥ في المئة و ٣٠ في المئة، فقد تصل نسبة التوفير الى ٥٠ في المئة في الكيلومتر الواحد، مما يتيح لك تعويض الفرق في الثمن الذي تتحمله لدى شرائك سيارة الديزل.

وتتوقف سرعة تحقيق ذلك على مدى استخدامك سيارتك. وتراوح المسافة الكلية التي تقطعها السيارة سنوياً في اوروبا الغربية بين ١٢ الف كيلومتر و ١٦ الفاً، وهي المسافة التي تعتبرها شركة فولكسفاغن لازمة لتعويض الفرق في السعر لسيارة غولف في المانيا الغربية. الا انه اذا ادخلنا في الحساب ميزات الديزل الاخرى، مثل الارتفاع النسبي لسعر اعادة البيع والهبوط النسبي لتكاليف الصيانة، فاننا نرى هذا التعويض يتحقق بسرعة اكبر مما تشير اليه الارقام البسيطة للمسافات المقطوعة. وعلى رغم ذلك لا بد لك من ان تجتاز سنوياً مسافات طويلة كي تتوصل الى اقصى استفادة من شراء سيارة ديزل.

يتوقف اختبارك للديزل ايضاً على طريقة قيادتك للسيارة. ونظراً الى ان اكبر توفير في الوقود يحققه محرك الديزل في مجالات السرعة المنخفضة، وهو يتناقص مع تزايد السرعة على الطرق الرئيسية بين المدن، فان من الافضل للذين يستخدمون سياراتهم في المدن اقتناء سيارات ديزل. ويماثلهم في ذلك سكان الضواحي الذين يستخدمون سيارة العائلة لقطع مسافات قصيرة لشراء لوازم البيت واصطحاب الاطفال الى المدرسة وبلوغ محطات المواصلات العامة وغير ذلك.

بعد حساب كل هذه المعادلات، يظل قرار اختيار سيارة الديزل قراراً شخصياً بحتاً. فالديزل يتطلب اسلوباً متمهلا ناضجاً في القيادة. اما اذا كان مطلبك قيادة سريعة، فان سيارة الديزل لن تحقق لك ذلك - في الوقت الحاضر على الاقل - وان يكن اداؤها الاقتصادي لا يزال يجتذب اعداداً متزايدة من الشارين.

■ جوزف هاريس



الفن والتجارة

اراد فنان معاصر ان يبيع احدى لوحاته، فعرضها على تاجر لوحات اخذ ينظر اليها بسخرية، ثم وافق على دفع جنيه واحد ثمنا لها. فهب الفنان ساخطا وقال: "لكن قماش اللوحة وحده كلفني اكثر من ذلك". وهنا جاء جواب التاجر: "اعرف ذلك. لكنه لم يكن ملطخا بهذه الاصباغ حين اشتريته".

ج.ك.

سر السعادة

سأل صحافي الجنرال فرنكو عن سر السعادة، فابتسم الجنرال واجاب: "لا احد يعرف ذلك. لكنني اعرف طريقتين مضمونتين تحجبان السعادة، اولاهما الرغبة في ان تكون بمثل سعادة جيرانك، والثانية ان تسعى، وانت شيخ، الى السعادة التي كنت تنشدها وانت شاب".

مجلة "المشاكس"، فرنسا

عظمة الصراحة

تلقى ماريشال الاركان اللورد مونتغومري، قائد جيوش الحلفاء في شمال افريقيا في الحرب العالمية الثانية، الرسالة الآتية من صبي عمره تسع سنوات:

"سيدي العزيز: كنت اظنك ميتا، لكن ابي يقول انك لا تزال حيا وستموت عما قريب. لذا ارجو ان ترسل الي صورتك الموقعة سريعا".

ولم يكن من مونتي (وهو الاسم الشعبي للماريشال) الا ان ارسل ما طلب الصبي فورا، وهو فرح لاسلوبه المباشر، متنبئا بأن هذا الفتى سيكون ذا شأن في المستقبل.

صحيفة "صنداي تلغراف"، انكلترا

أسرار لغة من غير كلام

ليس من لغة مشتركة تجمع شعوب العالم، لكن في تراثها جميعاً اشارات قد تكون أصول التفاهم البشري

لو ألقي ثلاثة اشخاص على ساحل جزيرة مهجورة نائية، وكان احدهم نروجياً والثاني كوريا والثالث من شعب الماساي الرعاة، فلن يعدموا امكانية التفاهم على رغم تباين لغاتهم. وسيكون في استطاعتهم الافصاح عن مشاعرهم ونياتهم من دون كلام. ذلك لان البشرية جمعاء تتشارك في ذخيرة واسعة من الاشارات البصرية المألوفة. وعلى رغم اننا نجهل منشأ هذه الاشارات، فان الباحثين في اصول السلوك البشري تمكنوا من تقصي جذور عدد من الحركات التي نسلم الآن بمعانيها. وهي في معظمها موغلة في القدم.

حني الرأس – يكاد حني الرأس عمودياً، تعبيراً عن الموافقة، يعم ارجاء العالم. وقد تبين منذ اللقاء الاول بين الجنس الابيض والقبائل النائية من سكان اوستراليا وارخبيل تييرا ديل فويغو الاصليين ان افراد تلك القبائل يعبرون عن الموافقة بحني الرأس.

بل سُجل هذا السلوك ايضاً لدى اشخاص ولدوا عمياً وصُماً، مما يوحي بأنه تصرف فطري ينتقل وراثياً عبر الاجيال. والواقع ان حني الرأس هو في الاساس بداية لحني الجسم كله دلالة على الخضوع والتسليم.

هزّ الرأس – تكاد هذه الحركة ايضاً تكون عالمية النطاق في التعبير عن السلبية او النفي. ويُظن انها، على غرار عدد كبير من الاشارات، من مخلفات حياتنا الشخصية الماضية. اي انها تعود الى ايام طفولتنا الأولى حين كنا نرضع ثدي امنا او حلمة زجاجة الحليب، حيث يعبر الطفل غير الجائع عن رفضه الرضاعة بادارة رأسه جانباً بحدة. من هنا بدأت، كما يظن، اشارة النفي عند الكبار واتسع نطاقها، حتى ان الآباء يلجأون احياناً، لدى تحذير اطفالهم من مغبة الاقدام على عمل ما، الى هز السبابة يمنة ويسرة بحركة شبيهة بهز الرأس نفياً.

تصليب الاصابع – حين يقول لك

الغربيون: "اجعل اصبعيك مصلَّبين"، فانهم من وجهة تاريخية يطالبون بعمل من اعمال العبادة المسيحية. ذلك لان رسم اشارة الصليب بتحريك الذراع الى اسفل ثم الى جانبي الجسم تقليد قديم من تقاليد الكنيسة يقصد به حماية النفس. وفي الازمنة المسيحية الاولى كان تصليب الاصبع الوسطى فوق السبابة خفية رمزاً سرياً لهذه الاشارة سرعان ما دخل نطاق الحركات التي يأتي بها الناس، بمن فيهم غير المسيحيين تمنياً للحظ السعيد.

تحريك الاصابع فوق الانف - ان اصل هذه الحركة غير معروف، على رغم انها من اكثر اشارات الازدراء والاحتقار شيوعاً. ويظن انها تمثل عرف الديك المقاتل الذي ينتصب على نحو عدائي عند المنازلة. (ومن الجدير بالذكر ان الاشارات التي ترمز الى الحيوانات مفضلة لدى الناس حين يريدون توجيه الاهانة. (مثل على ذلك تحريك اليدين فوق الاذنين، كما هو شائع لدى الاطفال، محاكاة لحركة اذني الحمار). لكن اشارة "عرف الديك" فسرت ايضاً على انها تحية مشوهة او انها ترمز الى شخصيات ذوات أنوف طويلة، او انها تقليد ساخر لاطلاق القذائف من المنجنيق.

رفع اليدين مشبكتين فوق الرأس - هذه حركة تقليدية تبناها الملاكمون والمصارعون المنتصرون. وهي تظهر جيشان المشاعر عند النصر، ويعبر بها الانسان عن ارتفاع منزلته بزيادة طول قامته. ولهذا ترى الاطفال يقفزون عالياً بانفعال ويعبر الكبار عن الشيء ذاته

وقد تعظم هذه الاشارة برفع البطل فوق اكتاف مؤيديه او فوق سيارة في مقدمة موكب حافل. والحقيقة ان الابطال الرياضيين وكبار السياسيين الذين يجوبون شوارع المدن في سيارات مكشوفة انما يحيّون تقاليد رومانية قديمة حيث كان القائد المنتصر يدخل روما على رأس جيشه في عربة مكللة بالغار تجرها اربعة خيول، وقد صبغ وجهه بالزنجفر القرمزي اشارة الى دم الضحايا، بينما يرفع احد العبيد تاجاً من ذهب فوق رأسه.

التحية العسكرية - تعود هذه التحية في الاصل الى الايام الغابرة عندما كان نزع القبعة عن الرأس جزءاً من الانحناء الذي تكاد القبعة فيه تلامس الارض. وقد اختصرت هذه الحركة التي تعبر عن الخضوع الى مجرد رفع اليد بسرعة واناقة حتى تلامس الصدغ. وهذه هي التحية العسكرية التي ما زالت ايضاً تحية ودية مألوفة بين الناس، حيث يرفع الرجال ايديهم لتلامس أصابعهم طرف القبعة او الصدغ.

رفع الابهام او خفضه - كانت حياة المصارع الروماني المهزوم رهينة في يد خصمه المنتصر الذي كان يعمد اما الى قتله فوراً واما الى العفو عنه. وكان للنظارة عندئذ تأثير قوي على قرار الموت او الحياة تبعاً لوضع اباهمهم. فاذا ما دفعوه الى اسفل، وهي حركة تمثل الطعن بالسيف، فذلك تعبير عن رغبتهم في موت المهزوم. ويسود الآن اعتقاد خاطىء إن اشارة العفو كانت رفع الابهام. أما العبارة الاصلية التي وردت في

النصوص الرومانية القديمة فهي "الاباهم المضغوطة"، اي ان النظارة كانوا يرفعون قبضاتهم في الهواء واضعين اباهمهم تحت بقية اصابع اليد، دلالة على رغبتهم في عدم طعن المهزوم.

اما الان، فقد اصبح رفع الابهام يعني الموافقة او الاستحسان او التشجيع، تماماً كاشارة النصر بفتح الفجوة بين السبابة والوسطى مثل رقم ٧، التي اشتهرت بفضل سير ونستون تشرشل. وقد عمم البريطانيون هاتين الحركتين خلال الحرب العالمية الثانية ويفهم ايطاليون كثيرون رفع الابهام على انه رمز "الموافقة الانكليزية". وهكذا نرى كيف ان هذه الاشارة الشعبية التي بدأت ترجمة سيئة للنص الروماني القديم بُعِثت هذه الايام في بلد آخر.

نقر الصدغ – يفهم افراد كثيرون هذه الاشارة على انها تعبير عن البلاهة والحماقة. وقد يعمد المرء، زيادة في الايضاح، الى لوي السبابة فوق الصدغ دلالة على وجود ارتخاء في الدماغ، او الى تحريكها دائرياً قرب الصدغ اشارة الى ان الدماغ يلف ويدور. لكن امثال هذه الاشارات تحير احياناً في مغازيها. ففي المملكة العربية السعودية مثلا يعبر الناس عن البلاهة بلمس الجفن الاسفل بطرف السبابة، او بنقر مرفق الساعد المرفوع باليد الاخرى، او بتحريك احدى اليدين عمودياً وبسرعة امام عينين نصف مغمضتين.

التلويح باليدين – لا يقوى الناس على اللقاء او الوداع من دون حركة ما.

ويظهر ان الانسان بقي منذ آلاف السنين في حاجة الى "مظاهر التحية". فمنذ ترسيخ اصول توزيع العمل بين الافراد، ابتدع الانسان البدائي طقوساً معقدة للتحية. ولما اقتضى هذا التوزيع خروج الرجال الى الصيد في اوقات معينة وعودتهم بالقنيص لاحقاً، ولما كان لنجاح الصيد او خيبته شأن عظيم في حياة القبيلة، فقد نشأت بين افرادها طقوس خاصة بالوداع والاستقبال. وكانت مظاهر اللقاء، ولا تزال، تتمثل بالاتصال الجسدي كالعناق والتربيت والتقبيل والضحك بل والبكاء. وتسبق لحظة اللقاء بالطبع رؤية الاحباء عن بعد وتمييزهم ويرافق ذلك عادة، في جميع انحاء العالم، نوع من حركات الذراعين، وما التلويح بالكف عمودياً الا وسيلة للتعبير عن التربيت المتوقع والعناق المقبل.

والمصافحة ايضاً احد مظاهر التحية. وقد ارست الحضارات المختلفة قواعد تقليدية للاتصال الجسدي عند اللقاء. ويصر البعض على تلامس الرؤوس، كما في احتكاك الانوف وتقبيل الوجنات.

لكن هذه الاتصالات على تنوعها ليست سوى ضرب من ضروب العناق الذي هو اساس الاتصال الجسدي، اعتدناه رُضعاً واطفالا وشباباً، ونعود اليه كلما سمحت الظروف والعادات لنعبر عن تعلقنا الواحد بالآخر.

■ ديزموند موريس

عالم مختص بعلم الحيوان، واسع الانتاج، له ما يزيد على عشرة كتب. من اشهرها: "القرد العاري" و"حديقة الحيوان البشرية".

اوروبا قلقة على مستقبلها، اذ يخشى ان يؤدي هبوط معدل المواليد سريعا الى تكاثر عدد متوسطي العمر وكبار السن بالنسبة الى الشباب، ويرى العديد من الخبراء نتائج بعيدة الاثر لهذه الظاهرة

القارّة الهَرِمَة

في العام ١٩٦٨، قررت دار "بايار" الفرنسية للنشر - وهي طليعة ناشري مجلات الشباب - اصدار مجلة شهرية للمتقاعدين. فهزىء الاصدقاء متندرين على روبير باغيه مدير التحرير، اذ كانت اوروبا آنذاك تلتهب بتظاهرات الشباب وتحدياتهم للقيم "العتيقة"، وكان الخبراء يتنبأون جهرا بأن الحياة لن تعود ابدا الى سابق عهدها بعدما كتب النجاح للشباب في توطيد سلطانهم وفرض ارادتهم.

اما الان فلم يعد هناك من يهزأ بباغيه او يتندر على مشروعه، لان توزيع مجلته قفز من ٦٠ ألف نسخة الى ٦٥٠ الفا، كما انها تحصل على كل ما تستطيع نشره من اعلانات. والواقع ان باغيه دعم بالبرهان صحة تنبؤه ببروز اتجاه جديد يتزايد معه عدد المسنين ويؤدي بالتالي الى تعديل التكوين السكاني في اوروبا على نحو مطرد. ومثال ذلك ان الافراد الذين يبلغون الخامسة والستين وما فوق في ايطاليا، كانت نسبتهم ٨ في المئة من مجموع السكان عام ١٩٥١، فارتفعت الى ١٣ في المئة عام ١٩٧٨.

وفي المانيا الغربية، نجد ان مواطنا واحدا من كل ستة مواطنين

يزيد عمره الان على ٦٥ سنة، اما أسوج فتتوقع عام ١٩٨٥ ان تكون نسبة سكانها الذين تراوح اعمارهم بين ٨٥ سنة و٩٤ سنة ١،٥ في المئة من مجموع السكان. في اختصار، ان التحسن الظاهر في صحة كبار السن وزيادة اعمارهم من ناحية، وتناقص عدد المواليد منذ اواسط الستينات من ناحية اخرى، ظاهرتان تتجهان بالقارة الاوروبية الى يوم (ينتظر ان تبلغه في حدود العام ٢٠٠٠) يتوقع المتنبئون بشؤون السكان ان يتفوق عدد متوسطي العمر وكبار السن على عدد الشباب.

ان الخبراء في شؤون السكان لم يدهشوا عندما انتهى "انفجار المواليد" الذي اعقب الحرب العالمية الثانية، لكن الذي اذهلهم هو شدة التراجع في معدل المواليد بعد ذلك. فتعويض الافراد الذين يموتون يقتضي ان يكون متوسط المواليد اكثر قليلا من طفلين بالنسبة الى كل امرأة اوروبية.

والواقع ان عدداً كبيراً من بلدان اوروبا يقصر عن بلوغ هذا المعدل المتواضع. واذا استمر معدل المواليد الحالي في المانيا الغربية، مثلا، فانه سيؤدي الى عدد من المواليد لا يزيد على ١،٤ لكل امرأة، يقابله معدل لا يزيد على ١،٨ للمرأة الاسوجية و١،٩ للمرأة من سكان روسيا الاوروبية.

وعندما استطلعت منظمة الامم المتحدة اخيرا رأي واحد من اكبر الخبراء العالميين في شؤون السكان، هو الفرنسي جان بورجوا - بيشا، تنبأ باطراد تدني معدلات الخصوبة وقال: "لقد بلغت حال المعدلات، حتى في البلدان التي تتميز بالخصوبة النسبية مثل فرنسا وهولندا وايطاليا، انها تدنت فعلا الى ما دون مستوى الابدال. والمتوقع في حدود العام ٢٠٠٠ ان تواجه اوروبا هبوطا في عدد سكانها".

انتحار قومي - ولئن يكن القادة الاوروبيون لا يزالون يهتمون، في المقام الاول، بايجاد العمل لافراد الموجة الاخيرة من "انفجار المواليد"، الا انهم ينظرون بعين القلق الشديد الى ما ينذر به تدني عدد المواليد ويقول غاستون ثورن، رئيس وزراء اللوكسمبور، التي تتمتع بمعدل مواليد لا يزيد على ١،١ ويعتبر من ادنى المعدلات الاوروبية: "اننا نرتكب جريمة انتحار قومي". اما الخبير السكاني الاسوجي ايرلاند هوفستين فيحذر قائلا: "اذا عجزت اسوج عن رفع نسبة المواليد، فاننا سنفقد ٢٥ في المئة من مجموع سكاننا في كل جيل. وقد ينتهي وجودنا خلال مئة عام".

ويقول الدكتور كارل شفارتز، رئيس مكتب الاحصاءات الفيديرالي في فيسبادن في المانيا الغربية: "انك ترى المسنين في كل مكان، وتحس بهم في حافظة نقودك، بسبب ما تدفعه من ضرائب".

وفي فيينا يواجه وزير المال هانس اندروشن مشكلة ايجاد الاعتمادات اللازمة للتكاليف المتزايدة لمعاشات التقاعد. وقد ورد في تقرير صادر عن "مجلس اوروبا" انذار بأنه اذا استمرت زيادة نسبة المسنين الى سائر السكان العاملين، فلن يلبث العبء المالي الواقع على عاتق

السكان الاصغر سنا ان يبلغ درجة لا تطاق.

ونرى الان في البلدان الاوروبية مجموعات من كبار الخبراء في شؤون السكان، يعملون على تزويد القادة الوطنيين بالمشورة اللازمة للخروج من هذه المتاهة السكانية العسيرة. وانطلاقا من افتراض استمرار الاتجاهات الحالية، يتوقع هؤلاء الخبراء ما يأتي:

١. الفترة من الان حتى العام ١٩٩٠:

استمرار المنافسة الحادة على الاعمال والوظائف الى ان يتم استيعاب سائر افراد الموجة الاخيرة من "انفجار المواليد" قرب نهاية الفترة. وقد يضطر الكثيرون من شباب اليوم الذين تلقوا تعليما رفيع المستوى الى قبول "خفض واقعي" في قيمة مؤهلاتهم الدراسية والمهنية بأن يقبلوا اعمالا دون مستوى قدراتهم، فيسدون بذلك الطريق على طلاب العمل الذين يأتون بعدهم من خريجي معاهد التعليم. وستكون الترقيات ابطأ. وتيسيرا للعمالة، ستتزايد الضغوط من أجل خفض سن التقاعد. ويقول جون كوزينز، مدير قسم القوى العاملة في المكتب البريطاني للتنمية الاقتصادية القومية: "ستكون هناك ضغوط شديدة لخفض عدد ساعات العمل الى ٣٥ ساعة في الاسبوع".

٢. بعد العام ١٩٩٠:

نظرا الى تدني عدد الاطفال الذين سيبلغون سن الرشد، يتوقع خبراء شؤون السكان ان يهبط معدل انتشار الامراض التناسلية وحوادث السيارات والجرائم وهذه المشكلات كلها ترتبط غالبا بفترة الشباب. وستتوافر الاعمال والوظائف بسهولة أكبر. وبحلول العام ٢٠١٠، عندما يصل افراد الموجة الاولى من "انفجار الاطفال" الى سن التقاعد او يقتربون منها، ستدخل المؤسسات الصناعية مرحلة تنافس عنيف للحصول على النادر المعروض من العمال والموظفين في مستوى المبتدئين، وستزداد فرص العمل غير المتفرغ المتاحة للنساء والطلبة والافراد الاكبر سنا.

ويسلم خبراء السكان باحتمال تغير كل هذه التوقعات اذا ما طرأت زيادة جديدة على نسبة المواليد، ويعترفون بأنهم، في الحقيقة، يجهلون الاسباب التي تؤدي الى انفجار المواليد او الى تدهور معدلاتهم. غير ان الدكتور شفارتز يلاحظ ان حدوث انفجار مواليد جديد في المانيا الغربية يستلزم من ٧٠ في المئة من جميع النساء اللائي في سن الحمل ان تنجب كل منهن، في المتوسط، بين طفلين وثلاثة اطفال، كما يستلزم ان تنجب كل واحدة من ١٠ في المئة منهن اربعة اطفال او اكثر. ويعلق الدكتور شفارتز على ذلك كله بقوله: "لا يمكنني ان اتصور حدوث ذلك في اطار النسق الحالي للحياة".

منع الحمل والتعقيم – لكن ما هو سر موقف الاوروبيين السلبي من الاسر الكبيرة؟ الواقع ان هذا الموقف ينشأ، في جانب منه، عن الهجرة المتواصلة من المزارع الريفية حيث تتوافر الامكنة الواسعة للاطفال، الى المدن المزدحمة التي تفتقر الى المساحات اللازمة. لكن هناك عوامل أخرى تزيد الموقف تعقيدا.

ومن هذا القبيل ما يقوله الدكتور ديفيد افرسلي، الاستاذ في المعهد البريطاني للدراسات السياسية: "لقد ساعدت حبوب منع الحمل على طبع القرارات بطابع ايجابي بالنسبة الى الانجاب. فقد كان تجنب الحمل من قبل مرهونا بجهد متعمد يقوم على استخدام احدى الوسائل الواقية من الحمل. اما الان، فعندما تقرر المرأة وقف اقراص منع الحمل، فذاك لانها تريد الانجاب. وبما ان الامر قد يقتضي بعض الوقت قبل ان تمحي تماما آثار حبوب منع الحمل وتستعيد المرأة قدرتها على الاخصاب، فهذا يفسح لها المجال للعدول عن قرارها اذا هي رغبت في ذلك. وحتى اذا حدث الحمل قبل ان تعدل عن قرارها، ففي استطاعتها دائما ان تنهي الحمل باختيارها".

هذا يشير الى ان عمليات الاجهاض اصبحت امرا ميسورا في معظم بلدان اوروبا. اما عمليات التعقيم، التي كان يندر اجراؤها قبل بضع عشرات من السنين، فقد ارتفع عددها في هولندا، مثلا، من ١٦ ألفا عام ١٩٧٢ الى ٨٤ ألفا عام ١٩٧٦. وفي بريطانيا نجد ان واحدة من كل خمس زوجات تراوح اعمارهن بين ٣٠ و٣٩ سنة قد اجريت لهن او لازواجهن عمليات تعقيم. وتقول احدى المجلات البريطانية ان عملية التعقيم هي "أجمل ما يستطيع الرجل ان يفعله من أجل المرأة".

لكن الاهم من ذلك كله هو الزيادة الكبيرة في عدد النساء الملتحقات بالعمل. ففي فرنسا شهدت القوى العاملة بين ١٩٦٨ و١٩٧٥ زيادة ١،٣ مليون من الافراد، معظمهم من النساء، ما عدا (٣٧ ألفا من الذكور. وتبلغ نسبة العاملات في بريطانيا نصف النساء المتزوجات تقريبا. اما في اسوج، فالنساء يمثلن ٤٣ في المئة من القوى العاملة فضلا عن انهن يشغلن خمسة مناصب وزارية من العشرين منصبا التي يشتمل عليها مجلس الوزراء. ويقول ايكي بالير شتيدت، الاختصاصي في علم الاجتماع في المانيا الغربية: "حتى وان كانت الزوجة لا تنشد الانخراط في مهنة معينة، فهي كثيرا ما تضطر الى العمل تمكينا للاسرة من مواجهة تكاليف الحياة".

تعديل اسلوب الحياة — والملاحظ الان ان معظم الذين يقدمون على الزواج يعتمدون في بدء حياتهم الزوجية مصدرين للدخل - من الزوج والزوجة - مما يمكنهم من التمتع بعيش رغد يصعب عليهم التخلي عنه في ما بعد. وتقول زوجة دانمركية: "لا بد لنا من اجراء المعادلة بين ولادة طفل لنا واحتمال العزوف عن قضاء اجازتنا في جزيرة مايوركا الاسبانية". وعن ولادة الطفل الثاني، يقول محاسب من منطقة الروهر في المانيا الغربية: "سنضطر عندئذ الى زيادة مصروفنا بمبلغ ٢٠٠ مارك شهريا كي نحصل على مسكن اوسع. وربما اقتضى الامر ان نتخلى عن سيارتنا الثانية". ويقول أحد الاقتصاديين الفرنسيين: "ان ولادة الطفل الثالث تلزم الاسرة بخفض مستوى معيشتها لسنوات طويلة".

السؤال الذي يثار بعد ذلك هو: "هل هناك ما تستطيع الحكومات فعله

لاضعاف هذا الاتجاه الى خفض معدل المواليد؟"

يقول الخبراء في الشؤون السكانية في هذا الصدد ان العلاوات التي تضاف الى دخل الاسرة في كثير من بلدان اوروبا مكافأة لانجاب الاطفال لا تساعد كثيرا على تحسين الوضع. ويقول جيرار كالو من المعهد القومي الفرنسي للدراسات السكانية: "ان هذه العلاوات تخفف بعض الضغط على موازنة الاسرة. ولكن يجب ان تزاد مبالغها كثيرا قبل ان تغدو حافزا حقيقيا. وهذا امر يتجاوز الامكانات المالية لاي حكومة". وربما كانت اصلح المحاولات الحكومية تلك التي تتيح للنساء الاحتفاظ بوظائفهن، مع انجاب الاطفال في الوقت نفسه. وقد اتضح من استفتاء للرأي العام في فرنسا ان هناك تأييدا قويا لفكرة انشاء مراكز للرعاية النهارية وتطبيق تأمين الامومة بمنح الام العاملة اجازة قانونية من عملها حتى يبلغ طفلها العامين على الاقل. وتمنح اسوج الزوج او الزوجة اجازة مدتها سبعة اشهر مدفوعة الاجر حتى ٩٠ في المئة، من أجل التفرغ للعناية بالمولود الجديد.

اغلاق المدارس - من ناحية أخرى نجد ان رعاية العدد المتزايد من المسنين تقتضي مقدارا متزايدا من الدعم الحكومي للمسنين ومقدارا اقل من المال المصروف على الاطفال. ففي المانيا الغربية، تفيد التنبؤات الاحصائية بأن عدد الاطفال الذين سيلتحقون بالمدارس الابتدائية عام ١٩٨٥، سيبلغ مليونين ونصف مليون طفل في مقابل اربعة ملايين طفل عام ١٩٧٥. وبناء على ذلك، لن تدعو الحاجة حينذاك الى عدد كبير من المدرسين. وقد اغلقت بريطانيا فعلا ما يقرب من عشرين من معاهد تدريب المعلمين.

ويحتمل ان تدعو الضرورة الى زيادة الضرائب لمواجهة تكاليف الرعاية الصحية وصرف المعاشات للمواطنين المسنين. وتكاد جميع مباني المستشفيات الجديدة في اسوج تكون مخصصة للرعاية الطبية الطويلة الاجل للمسنين، كما ان واحدا من كل ١٣ موظفا اسوجيا يعمل الان في مجال الرعاية الصحية التي يكرس الجانب الكبير منها للمسنين. وتبلغ تكاليف الرعاية الطبية لهؤلاء ما يقرب من ضعفي التكاليف المقررة للمواطنين الذين تقل اعمارهم عن ٦٥ سنة. والفوائد التي تقدمها اسوج الى المسنين تعتبر من العوامل التي تمتص الضرائب الاسوجية بسببها اكثر من نصف الناتج القومي الاجمالي.

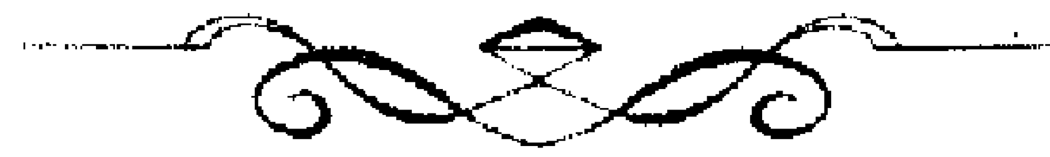
ولدى النظر الى الجانب المشرق من الصورة، يرى الخبراء في الشؤون الاقتصادية ان زيادة القدرة الشرائية لدى المسنين تمد الاقتصاد القومي بشحنة ايجابية. ولم يقتصر الامر على تحسن معاشات التقاعد في السنوات الاخيرة، بل ان الكثيرين من المسنين يدخلون عادة مرحلة التقاعد وقد ادخروا قبل ذلك مبالغ وافرة. ومن المعلوم ان الافراد الذين تزيد اعمارهم على الستين عاما يسيطرون على ثلاثة اخماس الملكية العقارية في فرنسا، وعلى اكثر من نصف الاسهم والسندات في رؤوس اموال

شركاتها . ويمثل المتقاعدون مجموعة تتوافر لديها امكانات التسويق لعدد كبير من السلع، ابتداء من الاوقاب الضوئية التي تركب على ارتفاع الخصر للتخفيف من الانحناء) الى مضارب كرة المضرب الكبيرة الحجم للتخفيف من الجري). وهم كذلك زبائن ممتازون لدور المتقاعدين وللاغذية الخاصة ورحلات الاستجمام وكراسي الاستلقاء المريحة وسواها .

كذلك يسعد الباحثين في شؤون السوق ان تتجه هذه النسبة الكبيرة من سكان اوروبا الى مرحلة منتصف العمر المتميزة بزيادة الصرف على الحاجات المناسبة، كما يسعدهم وضع الازواج الذين يعتمدون دخلين بدلا من دخل واحد مع عدد اقل من الاطفال، اذ يجدون في تصرفهم مقدارا من المال يفوق ما كان متوافرا لازواج الامس ذوي الاطفال العديدين. واذا صدقت تنبؤات خبراء الشؤون السكانية حول ازدياد اوقات الفراغ، فقد تنجم عن ذلك زيادة كبيرة في مبيعات معدات المخيمات والكتب وسيارات الاستجمام والزوارق والدور المخصصة للاجازات ومعدات صيد الاسماك والالعاب وغير ذلك.

ويرى الخبراء، في نهاية الامر، ان تضخم السكان ليس بالضرورة معبرا الى الرخاء الاقتصادي. كما عرفت ذلك كثرة من البلدان الآسيوية والافريقية. فالمهم في الامر ليس "كمية" السكان بل "نوعيتهم"، اي مستوى التعليم والتدريب لديهم وقابلية التحرك والمرونة. ومن حسن حظ اوروبا ان تكون لديها وفرة من هذه الميزات ازاء اوضاعها السكانية.

■ دونالد ودوروثي ستروبتزل



معادلة رياضية

سألت السيدة طبيب الاسنان: "كيف تتقاضى ثلاثين دولارا ولم يستغرق خلع سني غير ثلاث دقائق؟"

فأجاب الطبيب: "سيدتي، يمكنني ان اخفض الأجرة الى ثلاثة دولارات بشرط ان يستغرق خلع سنك ثلاثين دقيقة".

"الأدب الحديث"، تايوان

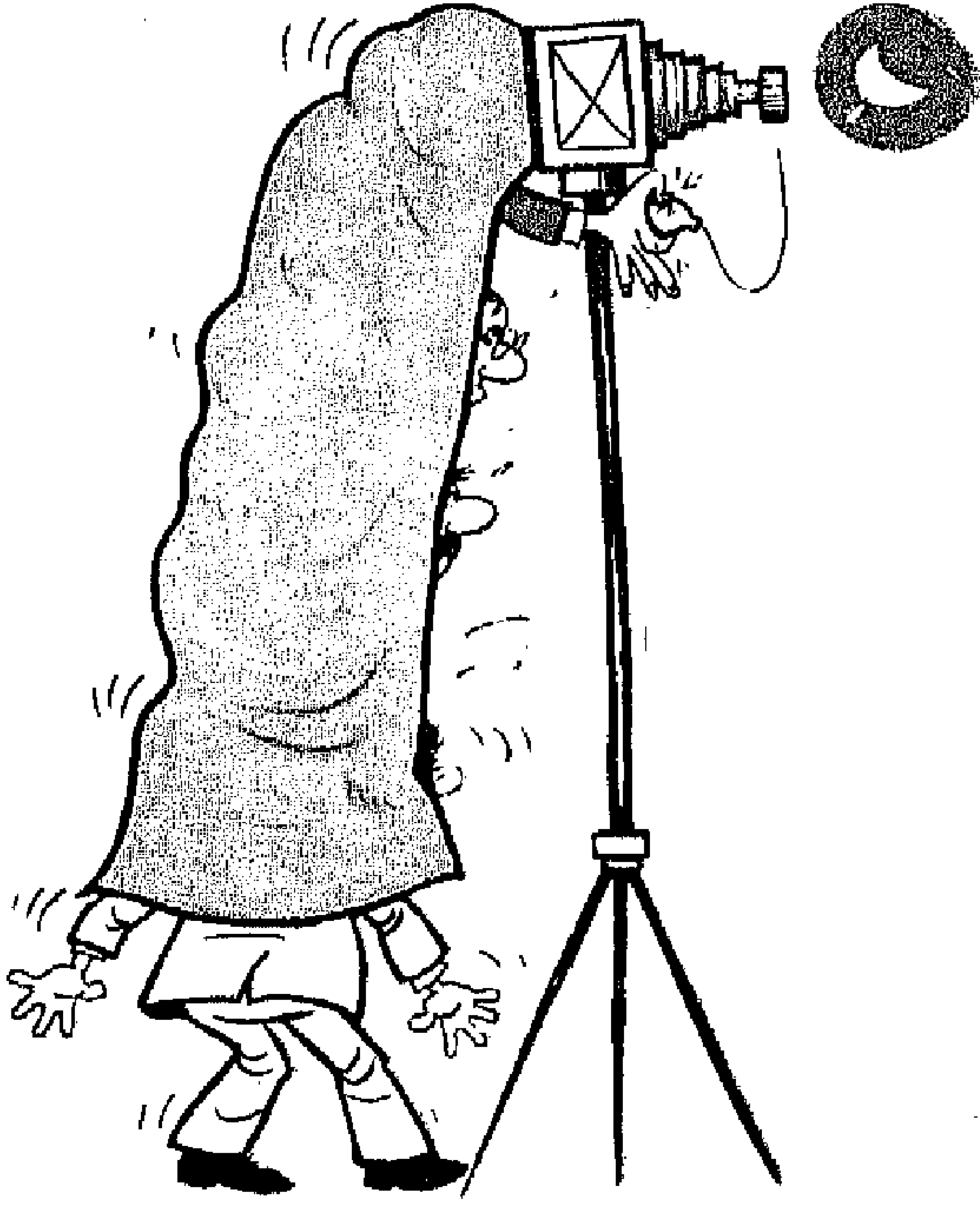
بين القاضي والشحاذ

اشتهر السير ريدموند باري، القاضي اللامع في مقاطعة فيكتوريا الاوسترالية، بدماثة الخلق والكياسة.

وذات يوم كان يسير برفقة صديق في احد شوارع مدينة ملبورن حين مر رجل رث الملابس، كث اللحية، ورفع قبعته الوسخة البالية محييا القاضي. وما كان من السير ريدموند الا ان رفع قبعته الطويلة الانيقة ورد التحية باحسن منها. فدهش الصديق لهذا اللطف الزائد وابدى استغرابه للقاضي. فاجاب هذا: "سيدي، اترضى بان اكون اقل ذوقا من شحاذ؟".

و.ف.و.

صور من الحياة



مسألة وزن

اتقاعد ام لا اتقاعد؟ تلك هي المسألة التي شغلتني بعد سنوات التدريس الطويلة المجزية، حتى ساعدتني احدى زميلاتي في اتخاذ القرار عندما وجهت الي النصيحة الآتية: "اسمعي يا صديقتي، خير لك ان تتقاعدي الآن وتقومي بالاسفار الرائعة التي كنت تخططين لها قبل ان يتجاوز وزن حقيبة ادويتك وزن حقائب السفر".

ر.ك.

فطنة السكرتيرة

قرر احد كبار الموظفين في مؤسستنا اختبار سرعة بديهة سكرتيرته، فحشر الجملة الآتية في احدى الرسائل: "اذا كانت لديكم اي استفسارات، فلا ترددوا في الاتصال بي خلال اسبوع او اسبوعين اذا لم نوقف نشاطنا".

وكان البرهان على ذكاء السكرتيرة هذه الحاشية التي اضافتها الى الرسالة: "اذا كانت لديكم وظائف خالية، فأرجو ان تتصلوا فوراً".

س.ي.ف.

وصفة طبيب

لم تكن قد مضت الا ايام قليلة على ولادة طفلنا الاول حين صحت زوجتي ذات ليلة في الثالثة صباحا لتهيئة الغذاء له. وكانت لديها وصفتان: سائل يمزج بكمية مماثلة من الماء وآخر يعطى مباشرة. ولما كان النعاس مسيطرا عليها فقد وضعت الغذاء المركز في رضاعة الطفل من دون مزجه بقطرة ماء واحدة. ولم تدرك خطأها الا بعد ان شرب الطفل نحو تسعين سنتيمترا مكعبا.

وهنا سارعت مذعورة الى الاتصال بطبيب الاطفال الذي حافظ على مرحه، على رغم اننا ايقظناه من نومه قبل الفجر، واجاب ببرود: "لا بأس، اعطيه تسعين سنتميترا مكعبا من الماء وحركيه جيداً".

ر.هـ.ن.

لغة الطيور

تستهويني وجارتي مراقبة الطيور. وذات صباح ربيعي جميل كنا نحتسي القهوة في الفناء المحاذي لدارها، فأخذت تظهر لي خبرتها في التعرف على الطيور من اصواتها: "اتسمعين هذا الطنين الحاد؟ انه الطائر الذبابي. وذلك الصفير الاجش؟ انه زرياب صفير. والمواء الناعم؟ انه من حسون احمر الجناح".

وفي تلك اللحظة بدد صمت النهار صراخ طفلها الذي استيقظ من قيلولته. فمضت جارتي تعلق من دون اي تغيير في لهجتها: "وهذا بكاء ذي الشعر الناعم والعينين الزرقاوين".

ج.ب.غ.

شهرة

اعلن الرئيس السابق لمجلس ادارة شركة التلفون والبرق الامريكية جون ديبوتس في خطاب القاه امام مجلس الاعلان بمناسبة تسلم الاخير جائزة الخدمات العامة للعام ١٩٧٨، انه مدين بسمعته شخصيا لقوة الدعاية الاعلامية.
فبعدما القى ١٥٠ خطابا خلال السنتين الاوليين لتسلمه منصب رئاسة مجلس الادارة، وبذل اقصى جهوده لاقناع الامريكيين بان من يدير شركة التلفون هم الناس لا الآلات، اوضح استطلاع اجرته مؤسسة مختصة ان ٢ في المئة فقط من الرأي العام يعرفون جون ديبوتس كمدير تنفيذي، فيما ظن ٦ في المئة انه موظف حكومي و٣ في المئة انه قائد عمالي وواحد في المئة انه ملاح فضائي.
ولم تتحسن شهرته حتى اصبح يظهر كناطق باسم "مؤسسة بل للاتصالات" في البرامج الرياضية وفي اعلانات المجلات، اذ غدا واحدا من اشهر ثلاثة مديرين تجاريين.
ولسوء الحظ، يعلق ديبوتس: "من بين من ميزوني كمدير تجاري، هناك واحد فقط من بين ثلاثة ظن ان لي علاقة بميدان الاتصالات. وظن نصف الآخرين اني ادير شبكة لانتاج المثلجات، فيما ظن الباقون اني مربي دجاج".

أ.ر.

حلم تحقق

انتهى اليوم الأول من السنة الدراسية، وكان علي إيصال الأطفال إلى بيوتهم في الحافلة التي اقودها. ومع اني اكملت الجولة، فقد بقي طفل في الحافلة، ظننت انه اخطأ معرفة المحطة التي يتوقف عندها. وهكذا عدت اقود السيارة على مهل وأسأله خلال جولتي في الضاحية ان يدلني على بيت مألوف لديه او شخص يعرفه.
وجلس الصبي في مقعده راضياً وهو يهز رأسه بالنفي كلما سألته اذا تعرف على شخص او مكان. وبعدما جبت المنطقة مرتين من دون جدوى، عدت إلى المدرسة للتحري عن عنوانه.
وما ان وصلنا حتى نزل الصبي ليغادر الحافلة. فناديته: "انتظر، لا بد من الذهاب الى المدرسة لنعرف أين تسكن".
فأجاب مشيراً الى الجهة الأخرى من الشارع: "اني اسكن هنا. لكني رغبت طويلا في ركوب حافلة المدرسة".

ف.ب.

اهداف كبرى

يتيح لي قطع مسافات طويلة يوميا الى مركز عملي وقتا مناسبا لمناقشة مواضيع شديدة التنوع مع رفقاء السفر. وذات يوم كنت اتبادل الحديث مع صديق حول اهمية تحديد الاهداف بالنسبة الى المرء والعمل على تحقيقها. فقال: "لدي عشرة اهداف كبرى: احاول الوصول الى عملي صباحا خمسة ايام في الاسبوع... واحاول العودة الى منزلي خمس ليال في الاسبوع!".

س.ب.هـ.

ابق معنا!

تعد قاعدة "ثول" الجوية في غرينلاند من المواقع التي يتجنبها افراد القوة الجوية الامريكية، اذ عليهم ان يقضوا ستة اشهر في نهار مستمر، تعقبها ستة اشهر في الظلام، كما ان الجزيرة تتميز بمناخ شتائي مرعب. والاسوأ من ذلك كله عدم وجود عائلات في القاعدة. لكن فترة الخدمة هناك لا تزيد على السنة لحسن الحظ.
ومن التقاليد اليومية لكثير من المتمركزين هناك مراقبة وصول طائرة "اللبن" التي تجلب المؤن والبريد، فضلا عن الرجال الذين سيحلون محل العائدين. وذات يوم هبط جندي شاب من الطائرة، واذا به يهتف مرحا: "لم اتوقع مثل هذا الترحيب الحار". فتوقف الرقيب المسؤول عن تفريغ الطائرة فترة تكفي لكي يحدق في عيني الشاب ويقول: "لم يأتوا الى هنا ليرحبوا بك يا بني، بل جاؤوا للتأكد من انك لن تعود على الطائرة نفسها".

و.ي.

الى المسافرين بالطائرات والقطارات والقاعدين طويلاً وراء مكاتبهم

تمارين رياضية تنشط القلب وتقوي العضلات

قام الخبير الاسوجي في اللياقة البدنية فولكي موسفلدت برحلة جوية من نيويورك الى استوكهولم استغرقت ثماني ساعات وتسببت له بالم في ظهره وتورم في رجليه أضافة الى اصابته بنوع من الدوار. فخطر له انه، والملايين من امثاله الذين يقطعون المسافات الطويلة بالطائرة كل عام، يعرضون انفسهم للتهلكة بسبب الفترات الطويلة التي يقضونها وهم قاعدون، فأبتكر مجموعة من التمارين، تبنتها شركة الخطوط الجوية الاسكندينافية، ثم اشتهرت في ما بعد في انحاء العالم. وتفيد هذه التمارين الاشخاص الذين يقضون ساعات طويلة قعوداً في الطائرات والمكاتب وقاعات المحاضرات وقطارات السكك الحديد والمنازل بل وفي اي مكان.

واطلق موسفلدت على هذه التمارين اسم "التمارين المقعدية"، وابرز ميزاتها انها تبعث على تنشيط الدورة الدموية وتقوية العضلات وتكييف حال القلب، فتخفف احتمال مرض المفاصل وتعزز طاقة الانسان عن طريق الحد من آثار الشيخوخة. كما تساعد في تجنب ارتفاع ضغط الدم.

التمارين التمهيدية



ابدأ بتمرين او اكثر من هذه السلسلة المفيدة لجريان الدم ومرونة العضلات وتفادي تمزقها في اثناء التمرين:

● اجلس وضع اطراف قدميك على الارض واحتفظ بعقبيهما مرتفعين مع تثبيت الاصابع جيداً في اتجاه مقعدك. مد ساقك اليسرى الى اقصى حد فيما انت تدفع بعقب قدمك الى الامام، وتسحب في الوقت نفسه اصابعها في اتجاهك مقدار المستطاع. عد الى الوضع الاصلي.

استرخ. كرر الحركة نفسها بالساق اليمنى. اعد ذلك بالساقين معاً. قم بهذا التمرين اربع مرات.

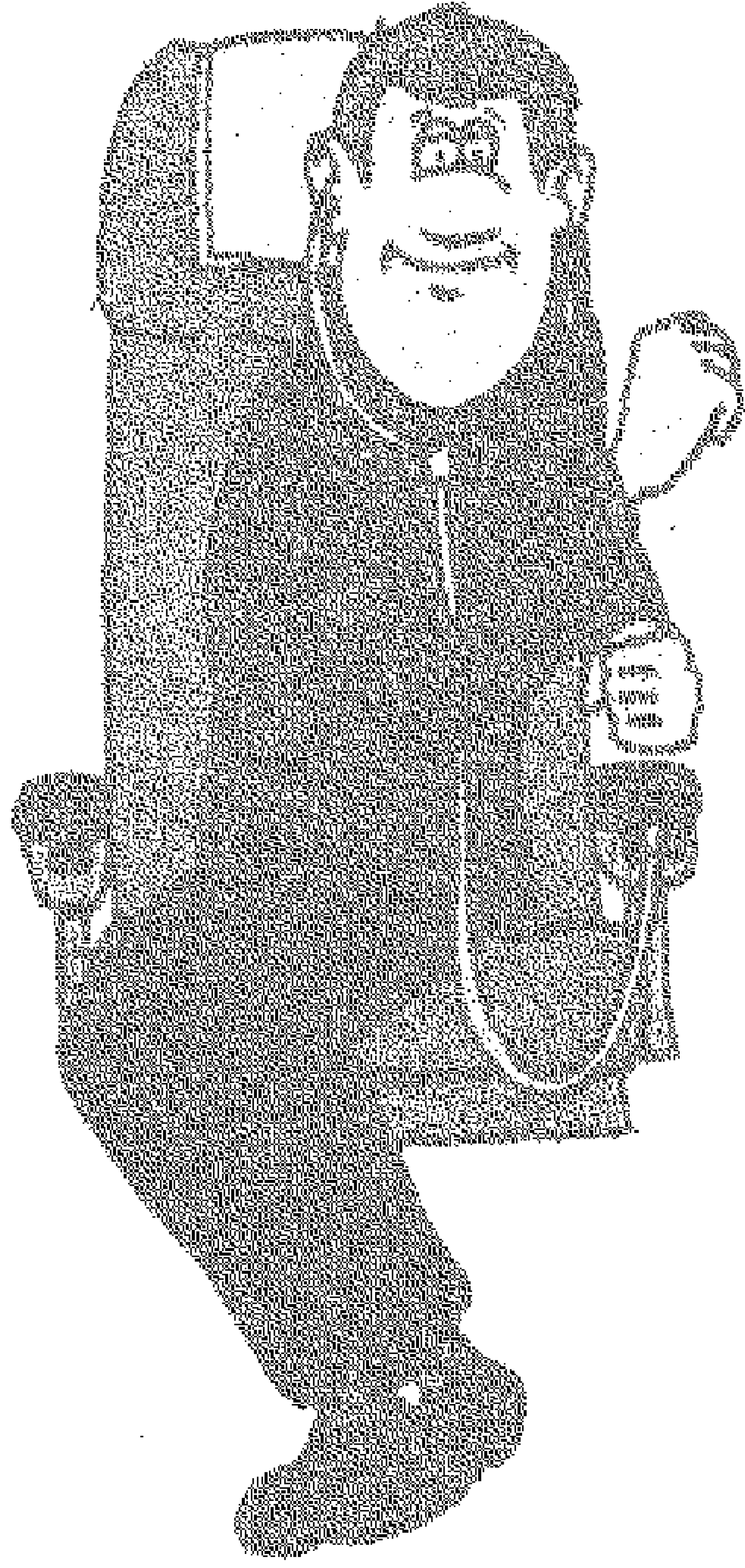
● اجلس وقدماك متوازيتان في اتجاه الامام. ارفع الساق اليسرى في اتجاه صدرك واقبض بكلتا يديك على الجزء الاسفل من الساق، وشدّ. عد الى الوضع الاصلي. كرر هذه الحركة بالساق اليمنى ثم ارفع الركبتين واقبض بكلتا يديك حول الجزء الأسفل من الساقين، وشدّ. عد الى الوضع الاصلي. انهض بجسمك حتى يكاد ردفاك ينفصلان عن المقعد وانت تقوم على اطراف قدميك. عد الى الوضع الاصلي. استرخ. كرر التمرين بكامله خمس مرات.

● تمايل في مقعدك مع رفع عقبي قدميك بالتناوب الى اعلى درجة ممكنة، وفي الوقت نفسه ارفع ذراعيك في وضع منحن، وتأرجح بايقاع منتظم الى الامام والى الخلف، كأنك تمشي، واستمر على هذا المنوال فترة تراوح بين دقيقة واحدة وثلاث دقائق.

تسريع الدورة الدموية

عليك ان تقوم بأحد هذين التمرينين او بكليهما لتسريع الدورة الدموية وتغذية العضلات:

● اثن ساعدك الايمن الى اعلى وارفع ركبتك اليسرى في اتجاه مرفقك الايمن. عد الى الوضع الاصلي. ثم قم بالحركة ذاتها مستخدماً الركبة اليمنى والمرفق الايسر. كرر هذا التمرين كاملا ١٥ مرة. مارس حركة التزلج المتعرج وانت في مقعدك. اجلس بحيث يكون عقبا قدميك الى أقصى اليمين وتكون كلتا يديك الى الجانب نفسه. ارفع عقبي قدميك وارجحهما الى اليسار بينما تؤرجح ذراعيك في الاتجاه ذاته. كرر هذه الحركة.



تمارين للعضلات

□ الظهر والمعدة:

من شأن هذه التمارين ان تقوي العضلات التي تسند الظهر والعمود الفقري في الوضع المنتصب وهي تساعد على تنمية عادات الجلوس السليمة وتحول دون متاعب الجزء الاسفل من الظهر.

● ارجع معدتك تماماً الى



الداخل و استمر في التنفس طبيعياً. انحدر بجسمك الى الامام وانت ترفع اصابع قدميك عالياً بينما يبقى

عقباهما على الارض، ضع اصابع رجليك على الارض مرة ثانية وارخ عضلات معدتك ثم انهض بجسمك مرة أخرى، كرر هذا التمرين ثلاثين مرة.

● اجلس في حال استرخاء. اجذب عضلات معدتك الى الداخل مقدار استطاعتك وابقها مشدودة على هذا الوجه لمدة سبع ثوان ثم استرخ لفترة سبع ثوان اخرى. كرر هذا التمرين ثماني مرات.

● اجلس في حال استرخاء مع اسدال الكتفين، انصب ظهرك مستنداً الى تركيز عضلات الجزء الاسفل من الظهر ثم شدها. استمر في هذا الوضع لفترة ٧ ثوان اخرى. كرر هذا التمرين ثماني مرات.

□ **الكتفان والذراعان:**

تهدف هذه التمارين الى تليين المفاصل وتحول دون التيبس والالم في اعلى الظهر.

● اجلس مسترخي الكتفين. حرك الكتف اليمنى الى الامام ثم الكتف اليسرى وانت تشدهما في أثناء هذه الحركة. عد الى الوضع الاصلي. استرخ. ضم يديك الى بعضهما بعضاً وحرّك ذراعيك الى الأمام منحنياً الى الأعلى ثم الى الخلف، فوق الرأس، مع الشد قليلا حينما تتجه الكفان الى أعلى. كرر هذا التمرين ثماني مرات.



● ادر كتفيك برفق وبايقاع منتظم على شكل مستديرات كبيرة، الى الامام ثم الى الخلف، من ١٠ مرات الى ١٥ مرة في كل اتجاه.

□ **القدمان والساقان والكاحلان:**

تساعد هذه التمارين على تليين مفاصل الكاحلين وتحول دون تورم الساقين والقدمين ودون تيبس عضلات الساق.

● ارفع عقبي قدميك عن الارض مع توجيه اصابعهما الى اعلى، ثم ادر قدميك على شكل مستديرات كبيرة. كرر هذه الحركة ١٥ مرة في كل اتجاه.

● اجلس ملقياً مرفقيك على ركبتيك ومنحنيا الى الامام بحيث تضغط بكل وزنك على ركبتيك. ارفع عقبي قدميك مقدار استطاعتك. انزل العقبين ارضا وارفع اصابع قدميك. كرر هذه الحركة ثلاثين مرة.

□ **اليدان والمعصمان:**

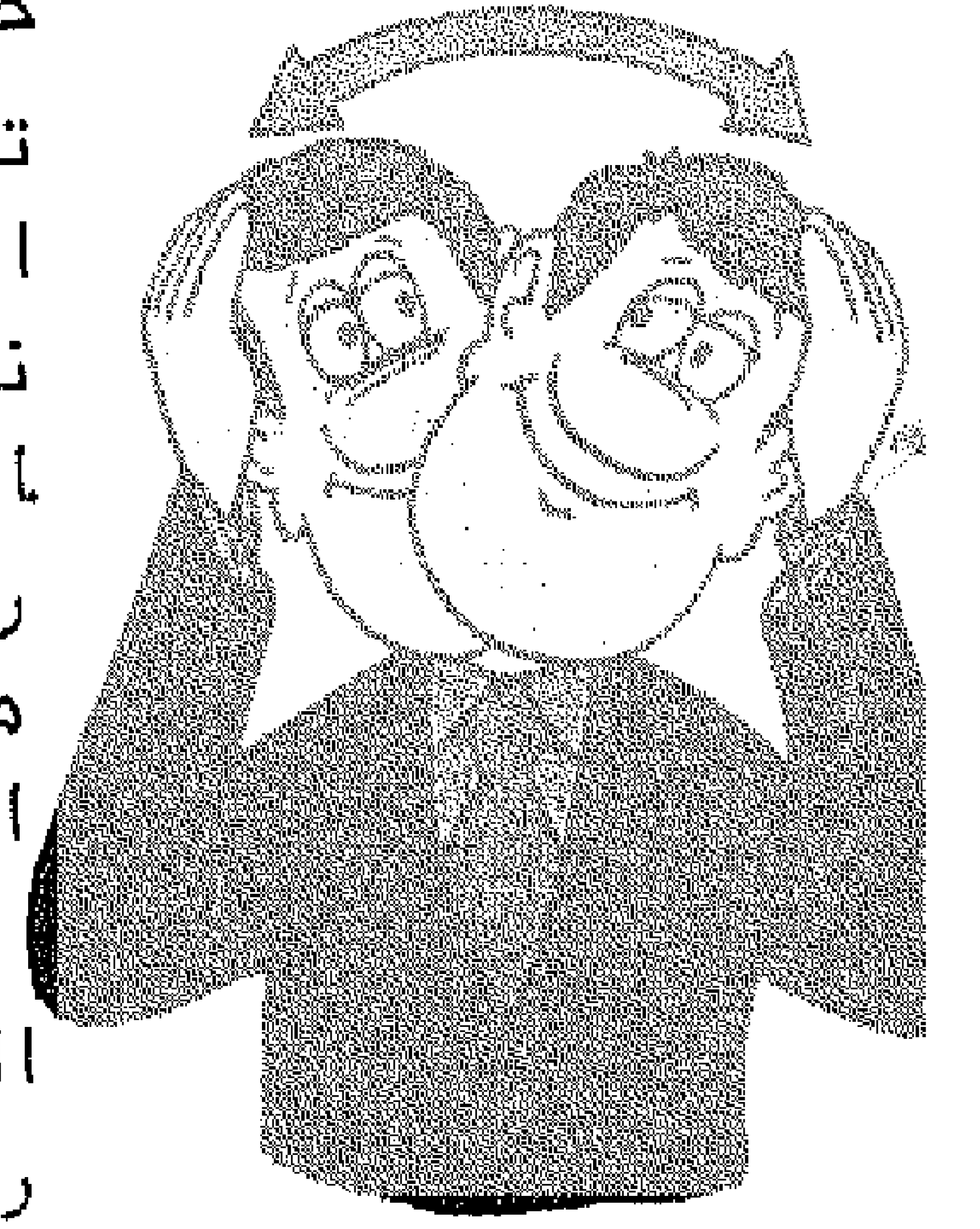
يساعد هذا التمرين على تليين المفاصل الاكثر تعرضاً للالتهاب، كما يساعد على تجنب ورم الاصابع.

● اقبض يديك بحيث تكون الكفان الى اسفل. حرّك يديك على شكل مستدير كامل، ثم افرد اصابعك. اعد اليدين الى الوضع الاصلي. كرر هذا التمرين ١٥ مرة.

□ **العنق:**

حافظ على مرونة الجزء الاعلى من العمود الفقري وخفف التوتر الذي يسبب الصداع، بفضل التمرينات الاتية:

● احن رأسك الى الامام بحيث تستند ذقنك الى حنجرتك، مع الاحتفاظ بنفسك على هذا الوضع.



حرك رأسك تدريجاً الى الخلف، ادر رأسك نحو أقصى اليمين، احن رأسك ثلاث مرات، كرر هذا التمرين.

● ضع يدك اليمنى على رأسك، فوق الاذن اليمنى، احن رأسك نحو اليمين بينما تضغط بيدك برفق، عد الى الوضع الاصلي، كرر هذه الحركة باليد اليسرى فوق الاذن اليسرى، كرر هذا التمرين ثماني مرات لا أكثر.

من اجل الاسترخاء

كلما شعرت بالتوتر او القلق، حاول ان تقوم بالتمرين الآتي: اجلس في وضع منتصب باكثر ما يكون من الاسترخاء، تنفس بانتظام وبرفق تنفسا عميقا تستخدم فيه الحجاب الحاجز، ويقتضي ذلك ان تملأ المعدة بالهواء عند التنفس (حركة ايجابية)، ازفر ببطء (حركة سلبية) حتى تفرغ رئتاك، دع جسمك يستغرق في وضع الاسترخاء التام، كرر هذا التمرين خمس مرات.

■ **فولكي موسلفت**
وماري سوزان ميلر



اللامساواة

المعاملة المتساوية لاناس في اوضاع غير متساوية هي اللامساواة.

آرثر سيلدوف

جواب فيلسوف

سألت صبيا عمره اربع سنوات: "ماذا ستكون حين تكبر يا آلان؟" فنظر الي بازدراء واجاب: "اكبر حجما".

هـ.ب.ك.

تفسير الاطفال

راقبت الطفلة بشغف طائرة تطلق شريطا من البخار في سماء صافية، فقالت لأمها بانفعال: "انظري يا امي، انهم يخربشون السماء".

ل.هـ.

اسباب الارق

في غرف احد الفنادق الكبرى التي يؤمها في الغالب رجال الأعمال العالميون، علقت الملاحظة الآتية:

"اذا لم تتمكنوا من النوم فلا تبدأوا بالقاء اللوم على السرير، بل حاسبوا ضمائركم اولا".

"صحيفة الأحد"، فرنسا

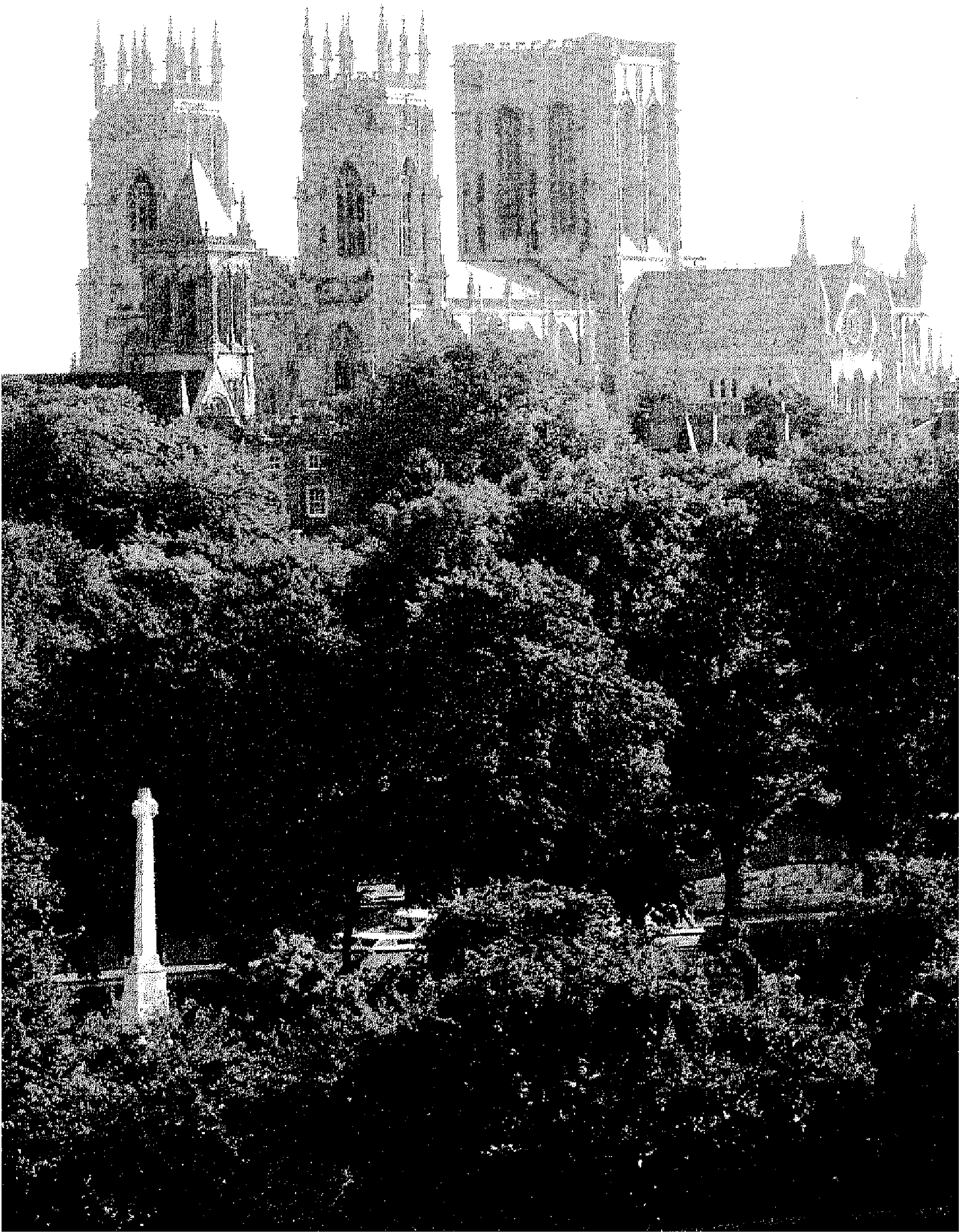
يُورك: قطعة برّاقة مِن سَجّادة التاريخ

اسوارها القديمة تروي حكاية الفي عام من تاريخ انكلترا.

اذا ارتقيت بضع عشرات من الدرجات البالية لتصعد الى اعلى السور المحيط بمدينة يورك على امتداد اربعة كيلومترات ونصف كيلومتر، ومشيت فوقه بموازاة قمم الاشجار، كنت كمن يراقب من علوّ رواية تاريخ انكلترا.

ان مدينة يورك، الواقعة في منتصف المسافة بين لندن وادنبرة، تقدم صورة اوضح مما تفعل اي مدينة عن ماضي انكلترا المجيد. ففي حقب مختلفة جاب شوارعها رجال صاغوا تاريخ البلاد، رجال من امثال هادريان والفايكينغ اريك ذي الفأس الدموية، ملك النروج المخلوع، وغليوم الفاتح وغي فوكس واوليفر كرومويل وسواهم من ملوك وقطاع طرق وقديسين وخطأة ورجال دين واباطرة مال.

شهدت مدينة يورك عبر القرون نسج سجادة التاريخ البراقة: جحافل الرومان تطارد السلتيين عام ٧١ للميلاد وتحوّل مستوطنتهم عاصمة لشمال بريطانيا، وفاة امبراطورين رومانيين وارتقاء الامبراطور قسطنطين الاكبر العرش، اعتناق الملك ادوين، ملك نورثمبريا، النصرانية وتعمده في كنيسة خشبية متواضعة يوم الفصح عام ٦٢٧، الفايكينغ الغزاة في مراكبهم الطويلة، يصعدون نهر اوز عام ٨٦٧ وينهبون المدينة ليجعلوها في ما بعد مركزاً تجارياً مزدهراً، ملحمة تأديب



المواطنين الثائرين على الاحتلال النورماندي عام ١٠٦٩. وشهدت المدينة كذلك حفلات قران ملكية وتفشي الطاعون وانتفاضات دينية وحروباً اهلية وثروات جمعت واخرى بددت.

ان في امكان المرء ان يفهم لماذا يشعر سكان يورك، البالغ عددهم ٥٠ آلاف، بالاعتزاز بمدينتهم التي كانت المدينة البريطانية الوحيدة في قائمة امريكية صدرت حديثاً عن اروع عشر مدن في العالم. وتتوافر لدى زوارها الذين يقصدون الى مركز الاعلام السياحي في ساحة المعرض فرصة الاشتراك في جولة مجانية مدة ساعتين مع دليل. اما بالنسبة الي: فقد وصلت الى يورك ومعي مرشدتي الشخصية: انها زوجتي جون التي طالما تاقت الى ان تريني مسقط رأسها.

قالت زوجتي: "سوف نستهل جولتنا بحانة الناسك، بل ببوابة الناسك، فكلمة "حانة" هنا تعني بوابة في سور يورك". اما كلمة "بوابة" فهي تعني شارعاً، وهذا الاشكال يحير كل زوار المدينة باستثناء الاسكندينافيين منهم الذين يشعرون كأنهم بين اهلهم، ذلك لان اجدادهم الفايكينغ الغزاة جاؤوا بهذا التفسير الاسوجي الى تلك الانحاء، وتركوا،



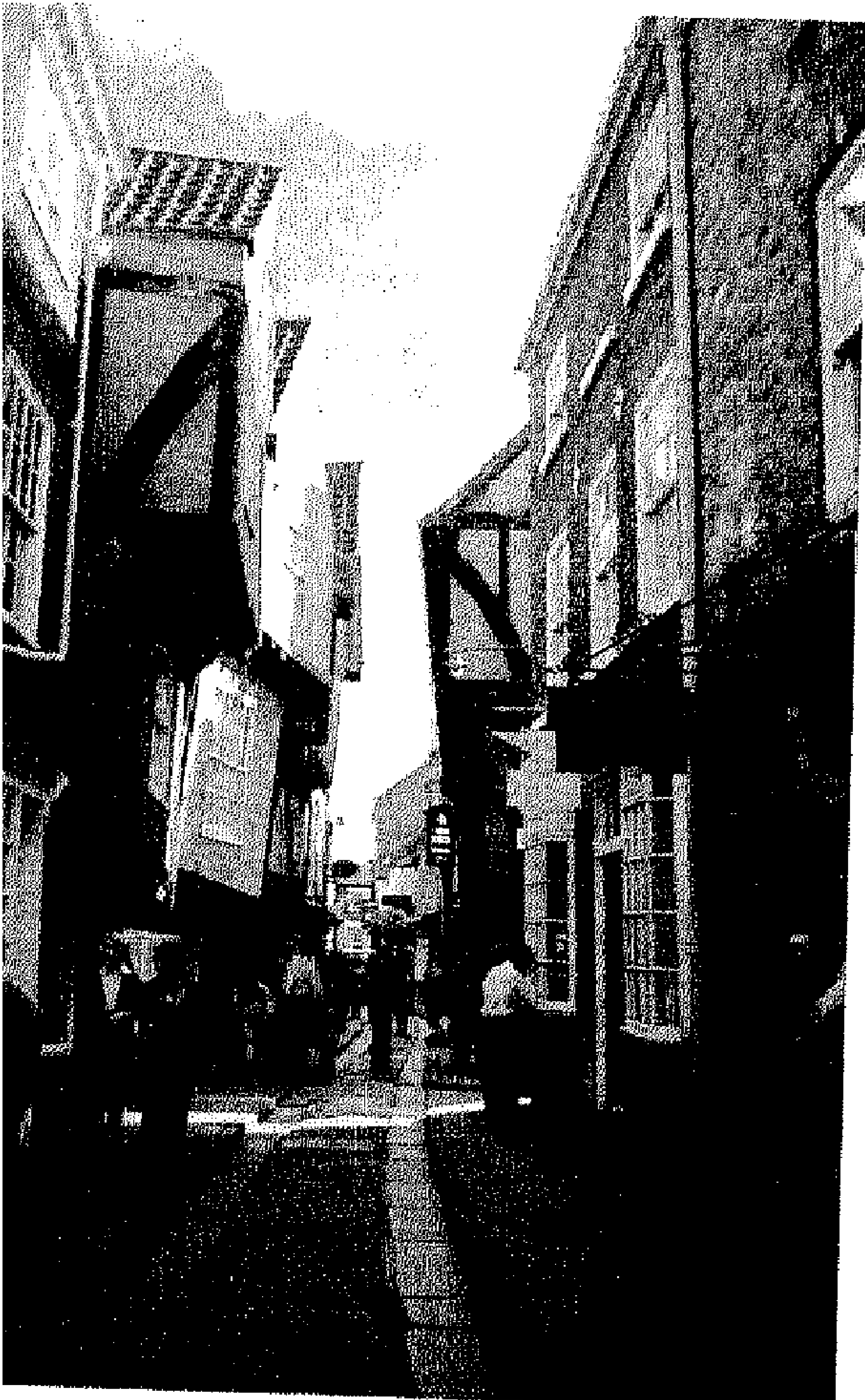
اضافة الى جانب وافر من لغتهم، مخلفات مدهشة اذهلت علماء الآثار الذين ينقبون عنها بحماسة وشغف. وبين تلك المخلفات احذية جلدية وجواهر وحلى وصحاف صيغت على المخرطة.

ديبلوماسية غامضة — تبدو بوابة الناسك كأنها منظر على مسرح. لكنها لا تزال حصينة كما كانت لدى بنائها قبل ستة قرون ونصف قرن: قلعة مكتفية ذات باب منزلق منيع لصد الغزاة. وكان الرجال الشجعان يتربصون في ابراجها بالعدو الذي ما ان يقترب حتى يواجهه سيل من الصخور التي يدحرجها المدافعون من الابراج. وقد طبق هذا الاسلوب الدفاعي للمرة الاخيرة عام ١٦٤٤ في الحرب الاهلية، عندما حاصر المدينة نحو ٤٠ الفاً من البيوريتانيين "ذوي الرؤوس المستديرة" حتى استسلمت في النهاية.

تسلقنا السور العريض الذي يعود عهده الى القرن الثالث عشر ومشينا في اتجاه الكنيسة، وهي اكبر كاتدرائية قوطية الطراز في انكلترا وتطل على المدينة، وقد بدأ تشييدها عام ١٢٢٠ واكتمل بعد مرور ٢٥٠ عاماً. وهي تعد اعظم الآثار العريقة في بريطانيا. وما زالت مكاناً حياً للعبادة ومقراً روحياً للكنيسة الانكليكانية في المقاطعة الشمالية.

وقد نازع رؤساء اساقفتها في العصور الوسطى رؤساء اساقفة مدينة كانتربري على الزعامة. وظلت المنافسة قائمة الى ان اصدر الكرسي البابوي في القرن الرابع عشر قراراً نص على ان تكون يورك مقراً لرئيس اساقفة انكلترا وانتكون كانتربري مقراً لرئيس اساقفة انكلترا "كلها". ولا يزال هذا التعريف الديبلوماسي الغامض يرضي الطرفين، اذ ان رئيسي اساقفة المدينتين يتشاركان في رئاسة الكنيسة الانكليكانية، على رغم ان رئيس اساقفة كانتربري يتمتع بصلاحيات اوسع.

تركنا السور عند بوابة بوتام



الى اليمين: عربة هانسوم التي صممها أحد ابناء المدينة ويدعى جوزف هانسوم.

الى اليسار: مدينة القرون الوسطى يلخصها شارع المسلخ الذي كان في ما مضى سوقا للقصابين. ويتجسد العهد الفيكتوري في متحف القلعة.

لندخل الكاتدرائية التي تمتلىء بين فترات العبادة بصفوف من الطلاب واعداد غفيرة من الزائرين، من دون ان تبدو مزدحمة لفرط اتساعها ٠ويضفي زجاج نوافذها فيضاً من الالوان٠ (تعادل احدى تلك النوافذ في مساحتها مساحة ملعب كرة مضرب ويعتبر زجاجها اكبر قطعة زجاج ملون تعود الى العصور الوسطى)٠ ولا تقتصر ابرشية يوركشير هذه على جمال مسرحي، بل يكتنفها ايضاً جو من المرح والبهجة غير المتوقعين٠

تبدو الكاتدرائية قوية البنيان الى حد يصعب معه تصور انها اوشكت على الانهيار قبل بضع سنوات٠وقد اكتشف المهندسون الذين افزعهم حدوث حركات مرعبة ان البرج الاوسط الذي يرتفع ٧١ متراً ويزن ٢٠ الف طن قائم على اسس من الحجار المتفككة٠ وقد اصدر امر باجراء اصلاح فوري، وكلفت العملية ما يزيد على اربعة ملايين دولار، واشتملت على حفر ثقوب في حجار البناء بلغ مجموع طولها كيلومترين، ادخلت فيها قضبان من الفولاذ الذي لا يصدأ بلغ طولها الاجمالي عشرة كيلومترات ونصف كيلومتر٠

وبعد نبش ٣٠ الف طن من التراب من تحت الكاتدرائية، قرر المسؤولون، بروح المبادرة التي اشتهرت بها يوركشير، جمع المال اللازم لاعمال الترميم التي قد تطرأ في المستقبل، وذلك بتحويل الحفرة تحت ارض الكاتدرائية متحفاً دعوه "اندركروفت"٠ وبكل سرور سددت وزوجتي رسم الدخول، ومقداره ٣٥ بنساً للشخص الواحد، كي نشاهد تلك المسامير اللولبية الضخمة التي تثبت اجزاء البنيان والتي قد تدوم مدة ٥٠٠ عام اخرى٠ وقد امتزجت الهندسة الفولاذية العصرية بتلك الاشغال اليدوية الرائعة التي كشفت الحفريات عنها٠ فهناك بقايا من كنائس سكسونية ونورماندية ومن مقر القيادة العسكرية الرومانية، وقد اقيمت الكاتدرائية على انقاضها٠

اعاجيب يورك – ويأتي شارع شامبلز (اي شارع المسلخ) في الدرجة الثانية سياحياً بعد الكاتدرائية، ويرجع عهده الى القرون الوسطى، وهو من اجمل ما حفظ في اوروبا من شوارع ذلك العصر٠ ويرى الزائر فيه بيوتاً معلقة فوق الجانبين تكاد تلتقي، حتى ان سكانها يستطيعون المصافحة من النوافذ٠ وقد ازدانت بصورها صفحات عدد كبير من كتب القصص٠ وكان الشارع يعرف سابقاً بسوق القصابين، ولا تزال الرفوف وحدائد تعليق اللحوم كما كانت في تلك الايام٠

يعمل معظم حوانيت هذا الشارع في خدمة السياح٠ غير ان المبنى ذا الرقم ٣٥ هو مكان للعبادة كرس لزوجة احد قصابي شارع شامبلز التي عذبت بالكبس حتى الموت عام ١٥٨٦(لايوائها رهباناً يسوعيين٠ وقد طوبتها الكنيسة الكاثوليكية قديسة عام ١٩٧٠)، اي بعد مرور ٤٠٠ سنة على وفاتها، لتصبح "مارغريت قديسة يورك"٠

ان معظم الكنائس الثماني عشرة التي تعود الى العصور الوسطى جديرة بالزيارة، على رغم ان بعضاً منها لا

يستعمل الآن للعبادة. فكنيسة القديسة ماري في شارع القلعة، مثلا، اصبحت مركزاً لعرض التراث، حيث تشاهد قصة تاريخ المدينة بافلام ونماذج مصغرة. وتضم كنيسة الثالوث الاقدس في شارع غودرام التي تبدو، لقدمها، على وشك الانهيار مقاعد صندوقية غير منتظمة، حيث يمكن عائلات المصلين الاخلاد الى غفوة من دون ان يلاحظهم احد اذا انتابهم السأم في اثناء عظة طويلة. ولا تزال كنيسة جميع القديسين تضيء فانوساً في البرج لهداية المسافرين عبر المستنقعات التي كانت تغمر يوماً المناطق الواقعة وراء السور.

وينتهي بنا زقاق فيش لاندينغ الى نهر اوز الذي كان سبب ثروة يورك. فقد ازدهرت "شركة التجار المغامرين" ازدهاراً هائلا عن طريق تصدير اصواف يوركشير. ولا تزال الشركة تملك قاعة انيقة تعود الى القرن الرابع عشر، مزينة بالرايات. ومع ان بواخر قليلة تزور يورك حالياً، فلا يزال سكانها يجدون في التصدير طريقاً الى الربح. وتطورت حوانيت القرن التاسع عشر الصغيرة التي باع فيها جوزف تيري وجوزف راونتري الكاكاو والحلوى المنزلية الصنع، واتسعت لتصبح صناعات كبرى لانتاج الحلويات. وهناك ورش عربات القطار التي وضع اسسها جورج هدسن، بائع الكتان الذي اصبح مليونيراً في الاربعينات من القرن الماضي، بعدما اخذ على نفسه عهداً بأن يجعل خطوط السكة الحديد كلها تصل الى يورك. وقد بر بالعهد. وبانشاء الجامعة الجديدة، استعادت المدينة مجدها التليد، اذ كانت مركزاً يجتذب طالبي العلم من كل انحاء الامبراطورية الرومانية.

وزوار اليوم يتكلمون لغات متعددة ايضاً، لكنهم اكثر عدداً. ففي ١٩٧٨ استضافت يورك نحو مليون سائح. ويجد كثير من الوافدين فتنة في اشباح يورك. ومن دون وعد قاطع، يرشدك مركز الاعلام السياحي الى اماكن يقال ان اعاجيب حدثت فيها، مثل خان "الديك والقنينة" حيث يشاع ان احد ادواق باكنغهام في القرن السابع عشر يظهر معتمراً قبعة عالية وسط هالة من نور اخضر. ويجول مكتبة متحف يوركشير رجل نبيل مثقف يتمتم: "يجب ان اعثر عليه، لا بد من ان اعثر عليه"، ثم يختفي. واذا حالفك الحظ فقد تشاهد في اقبية الخازن فيالق من الرومان بدروعهم، يسيرون على افخاذهم بدلا من اقدامهم. وهذه ظاهرة حيرت الجميع، الى ان اكتشف علماء الآثار ان الطريق التي سلكها الجند كانت على عمق ٦٠ سنتيمتراً تحت ارض القبو.

خيال خصب – تخطينا اسوار المدينة لنشاهد اشباح يورك الملموسة: قاطرات بخارية في المتحف القومي للسكة الحديد تنبعث منها رائحة الزيت الدافىء، عربة القطار التي صنعت عام ١٩٠٠ لدوق ساذرلاند الذي كان له حق تسيير قطاره الخاص على جميع خطوط السكة الحديد في المنطقة الواقعة شمال انفرنيس، عربة الملكة فيكتوريا التي تميزت بدقة الصنع وفرشت بالحرير، المحرّك البخاري مالارد الذي حقق

عام ١٩٣٨ الرقم القياسي للسرعة بين المحركات البخارية وهو ٢٠٣ كيلومترات في الساعة، ولا يزال يحتفظ به.

واكتشفنا مزيداً من آثار الماضي في احد اكثر المتاحف الشعبية سحراً في العالم، افتتحه في مستهل القرن الحالي طبيب ريفي شاب اسمه جون كيرك، بعدما اعجبته ادوات منزلية من عصور سالفة استمر مرضاه في استعمالها في اكواخ نائية في منطقة المستنقعات، فبدأ يجمعها. وكان يرضى احيانا بجبر ذراع مكسورة في مقابل مكبس قديم للجبن او مهد خشبي او صحفة سحرية ملونة تعلق على النافذة لتبعد شر العين الحاسدة. وما ان حل العام ١٩٣٥ حتى ضاقت ارجاء منزله، ولم يبق فيها متسع لمزيد من تلك الكنوز والتحف. ودعاه آباء مدينة يورك الى تحويل مبنى سجن مهجور متحفاً للقلعة. ولا يزال المتحف يضم زنزانة ابقيت على حالها، وهي الزنزانة التي امضى فيها المجرم ديك توربن ساعاته الاخيرة قبل اعدامه شنقاً عام ١٧٣٩ لسرقته الخيول.

ومن اجل جولة سريعة عبر حقب التاريخ، هناك اربع غرف اثثت بانماط فيكتورية وجورجية وجاكوبية، وخمس صالات عرض امتلأت بما يثير مشاعر الحنين الى الماضي. وهناك ما يدل على خصب خيال الدكتور كيرك: شوارع مرصوفة بحجار الوادي لاسواق فيكتورية اعيد انشاؤها بدقة مع الواجهات ومناضد البيع، وقد جمعت من المباني والمتاجر المهدمة. وازدحمت النوافذ المقوسة الغربية بقطع اصيلة مثل تعهدات غير مستوفاة من دكان الرهون الذي كان يملكه ابنيزر البركر، وأجهزة بصرية من نحاس ومن خشب الماهوغاني (الموغونو) في حانوت توماس كوك، وادوات من الخزف الصيني الفاخر "كروان ديربي" في مخزن جوشوا تيرنر. وفي امكانك ايداع بطاقاتك السياحية صندوق البريد المصنوع ايام العهد الفيكتوري والموجود في باحة المتحف، او اشباع نظرك برؤية الفئران السكرية وسكر الشعير وحلوى النعناع معروضة في نافذة حانوت جوزف تيري.

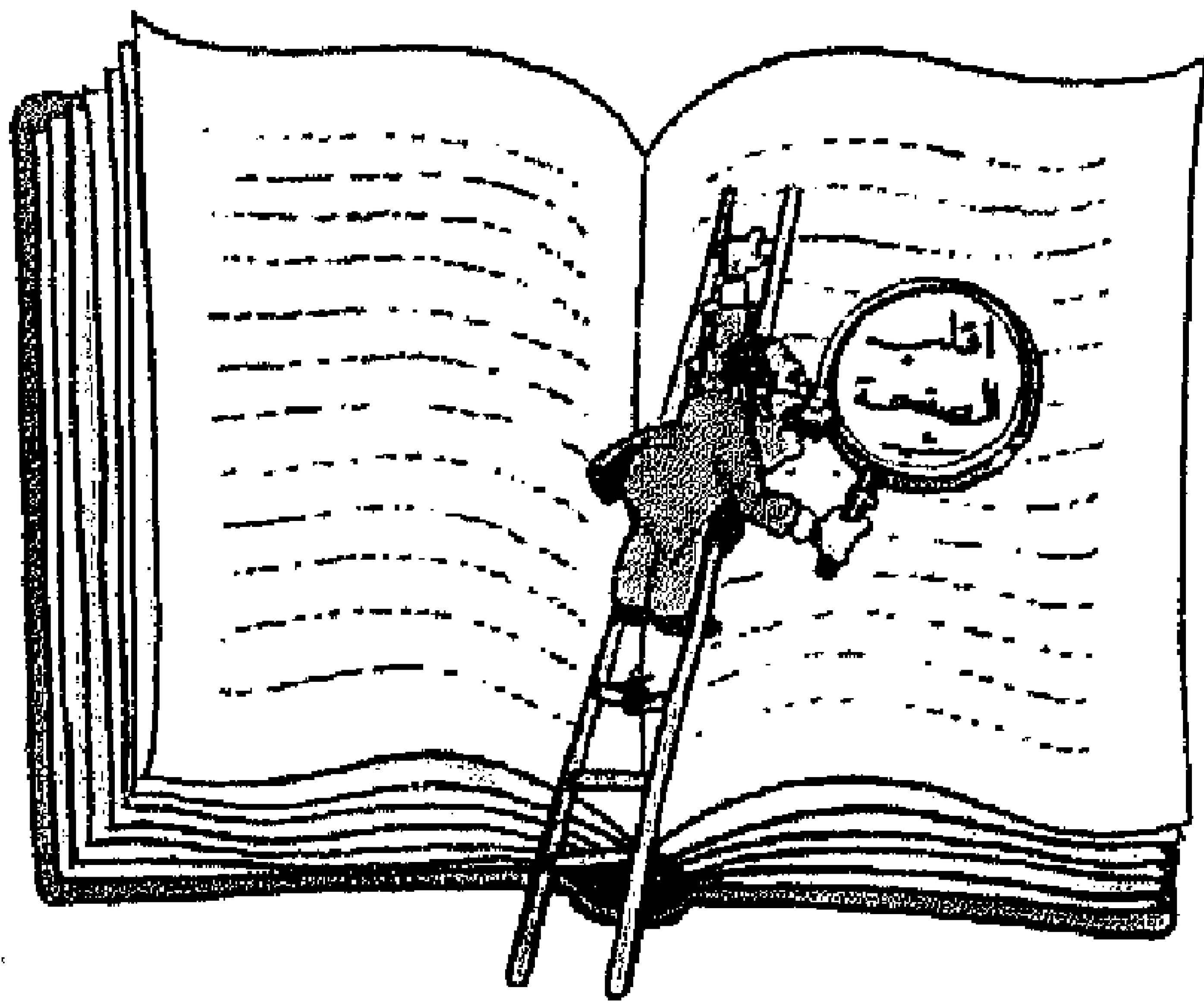
بعد الجولة عدت وزوجتي الى العالم الواقعي خارج المدينة وقد اعترتنا الحيرة، فلم نعد واثقين مما اذا كنا نعيش في الحاضر او في الماضي. لقد سافرنا في الزمن وشاهدنا الفي عام من تاريخ جزيرتنا. وكما قال الملك جورج السادس: "ان تاريخ يورك هو تاريخ انكلترا". وقد لا يتوافر لدينا سبيل اجمل من هذا لمعرفة ذلك التاريخ.

■ جفري لوسي

حراس مسالمون

فيما كان زوجي يغادر البيت الى عمله كحارس خارج قصر باكنغهام الملكي، طمأنني الى ان المسدس الذي يحمله غير محشو. فسألته: "ولكن ماذا تفعلون اذا رأيتم شخصا يتصرف في شكل يثير الشك؟" فأجاب بثقة: "مثلما يفعل اي شخص: نستدعي شرطيا".

أ.م.ب.



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد وصف لاصوات بشرية. وقد وضعت أمام كل كلمة أربع صفات للصوت أو للانفعالات التي ترافقه أو تكون دافعاً له، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المرادف أو المعنى الذي يعتبره صحيحا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **صُداح**: صوت شديد - صوت ضعيف - بحّة - بكاء.

٢. **نَشيج**: دعاء - غضب - وجع - خوف.

٣. **جِرس**: صوت خفيّ - غناء - صدى - رنين.

٤. **جَلْجَلَة**: نَفَس عميق - صوت شديد - صوت الاذُن - غموض.

٥. **نَبْس**: صوت النفَس - كلام واضح - كلام قليل - هذر.

٦. **طَنين**: صوت الاذن - بكاء - طرب - صدى.

٧. **صِياح**: غناء - تأفّف - وجع - صراخ.

٨. **نَأمَة**: صوت متّصل - صوت ضعيف - ضجّة - غضب.

٩. **عِياط**: كلام كثير - صوت النائم - ندب - صراخ.

١٠. **هُتاف**: محادثة - وشوشة - صراخ - طرب.

١١. **لَغْط**: ضجيج - فرح - حزن - خوف.

١٢. **نَحيب**: بكاء - طرب - خوف - استغاثة.

١٣. **لَجَب**: صوت السكْر - صوت الحرب - غضَب - هذيان.

١٤. **زَحير**: ضجّة - سعال - صوت النائم - تَنفَّس مع أنين.

١٥. **قَرقَرَة**: كلام غامض - كلام كثير - صوت الامعاء - استغاثة.

١٦. **صَخَب**: صوت الحرب - صوت الأرجُل - اختلاط الأصوات - نَدب.

١٧. **هَجْس**: صوت خفيّ - نداء - خوف - ألم.

١٨. **هَيْنَمَة**: موسيقى - حزن - كلام كثير - صوت خفيّ.

١٩. **جَلَبة**: أنين - ضجيج - بحّة - خوف.

٢٠. **ضَوضاء**: اختلاط الأصوات - ندب - صدى - غضب.

٢١. **نَقْر**: نداء - همس - صوت المشي - صوت الأصابع.

٢٢. **أنيت**: صدى - أنين - صوت الأنف - صوت الأذن.

٢٣. **بَلْبَلَة**: صوت الامعاء - اختلاط الأصوات - هذيان - نوح.

٢٤. **غُنَّة**: غموض - صراخ - ترخيم - صوت العطشان.

٢٥. **وَحْوَحَة**: بحّة - صراخ - همس - ألم.

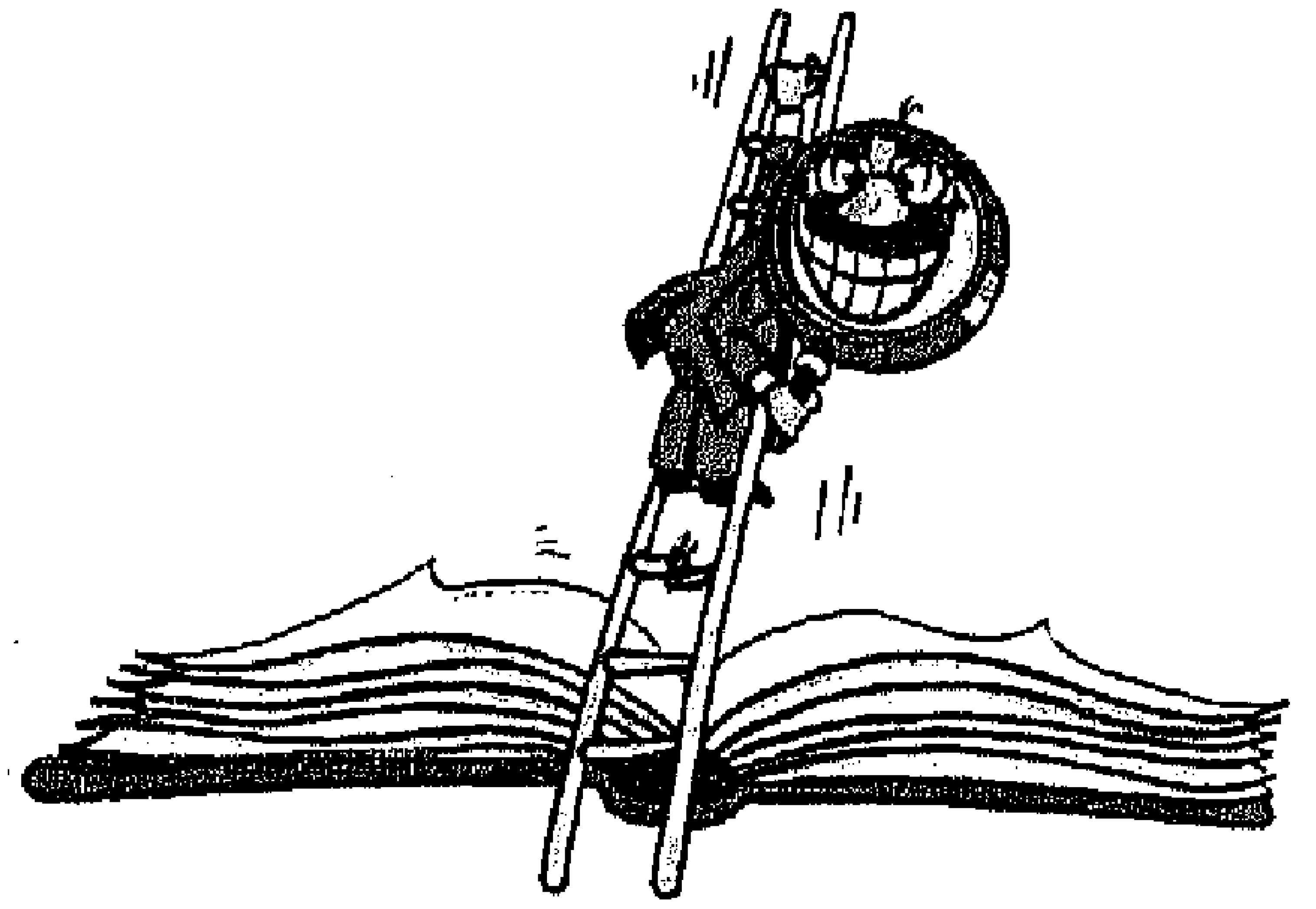
٢٦. **نَخير**: صوت النائم - صوت الأضراس - صوت الأنف - سعال.

٢٧. **عَويل**: ضجيج - نوح - تأفّف - صوت المعركة.

٢٨. **دَنْدَنَة**: غناء - استغاثة - صلاة - كلام خفيّ.

٢٩. **تأوّه**: صراخ - عتاب - طرب - توجّع.

٣٠. **هَمْهَمَة**: اضطراب - تهديد - موسيقى - كلام خفيّ.



الأجوبة الصحيحة

١٠ صُداح: صوت شديد. صَدَحَ الرجلُ أو الطائر: رفع صوته بغناء.

٢٠ نشيج: الصوت معه توجُّع. نشَجَ: غصَّ حلقُه بالبكاء من غير انتحاب.

٣٠ جِرس: صوت خفيٌّ. ويصلح لكلِّ ذي صوت.

٤٠ جَلْجَلة: صوت شديد. ايضا: صوت الرعد.

٥٠ نَبْس: أقلّ ما يكون من كلام. "لم ينبس ببنت شفَة": لم يتفوّه بكلمة.

٦٠ طنين: صوت الأذُن.

٧٠ صياح: (بتثليث الصاد): صراخ. صوت بأقصى الطاقة.

٨٠ نأمة: صوت خفيّ أو ضعيف. نأمَ نأماً ونئيماً: أنّ.

٩٠ عياط: صراخ. عيَّطَ تعييطاً: صاح.

١٠٠ هُتاف: صراخ. صوت قويّ عالٍ.

١١٠ لَغْط: ضجيج. أصوات مبهَمَة لا تفهَم.

١٢٠ نحيب: أشدّ البكاء.

١٣٠ لَجَب: صوت الحرب في الغبار. عسكرٌ لَجِبٌ: ذو لجَب.

١٤٠ زحير: نفَسٌ مع أنين. زحَرَ يزحَر زحيراً وزُحاراً: أخرج صوته أو نفَسه بأنين.

١٥٠ قرقَرَة: صوت الأمعاء. أيضاً: صوت الحَمام.

١٦٠ صَخَبٌ: اختلاط الأصوات وقوّتها. صَخِبَ فلانٌ: صاح وضجّ. صَخِبَ البحرُ: تلاطمت أمواجه.

١٧٠ هجْس: صوت خفيّ، يُسمَع ولا يُفهَم. هجَسَ الشيءُ في الصدر: خطَرَ في البال.

١٨٠ هينَمَة: صوت خفيّ.

١٩٠ جلَبَة: ضجيج، صراخ، اختلاط الصوت.

٢٠٠ ضوضاء: اختلاط الأصوات. الجلبة وأصوات الناس في الحرب وغيرها. أيضاً: الضَّوضى.

٢١٠ نقْر: صوت خفيف يحدثه ضرب الابهام على الاصبع الوسطى.

٢٢٠ أنيت: أشدّ الأنين. أنَتَ يأنِتُ.

٢٣٠ بلْبَلَة: اختلاط الأصوات. تبلبلت الألسُن: اختلطت فلا تُفْهَم.

٢٤٠ غُنَّة: صوت فيه ترخيم. الأغَنّ: الذي يخرج كلامه من خياشيمه.

٢٥٠ وحْوَحَة: صوت معه بحَح.

٢٦٠ نخير: صوت من الأنف.

٢٧٠ عويل: نوْح، رفع الصوت بالبكاء. صياح.

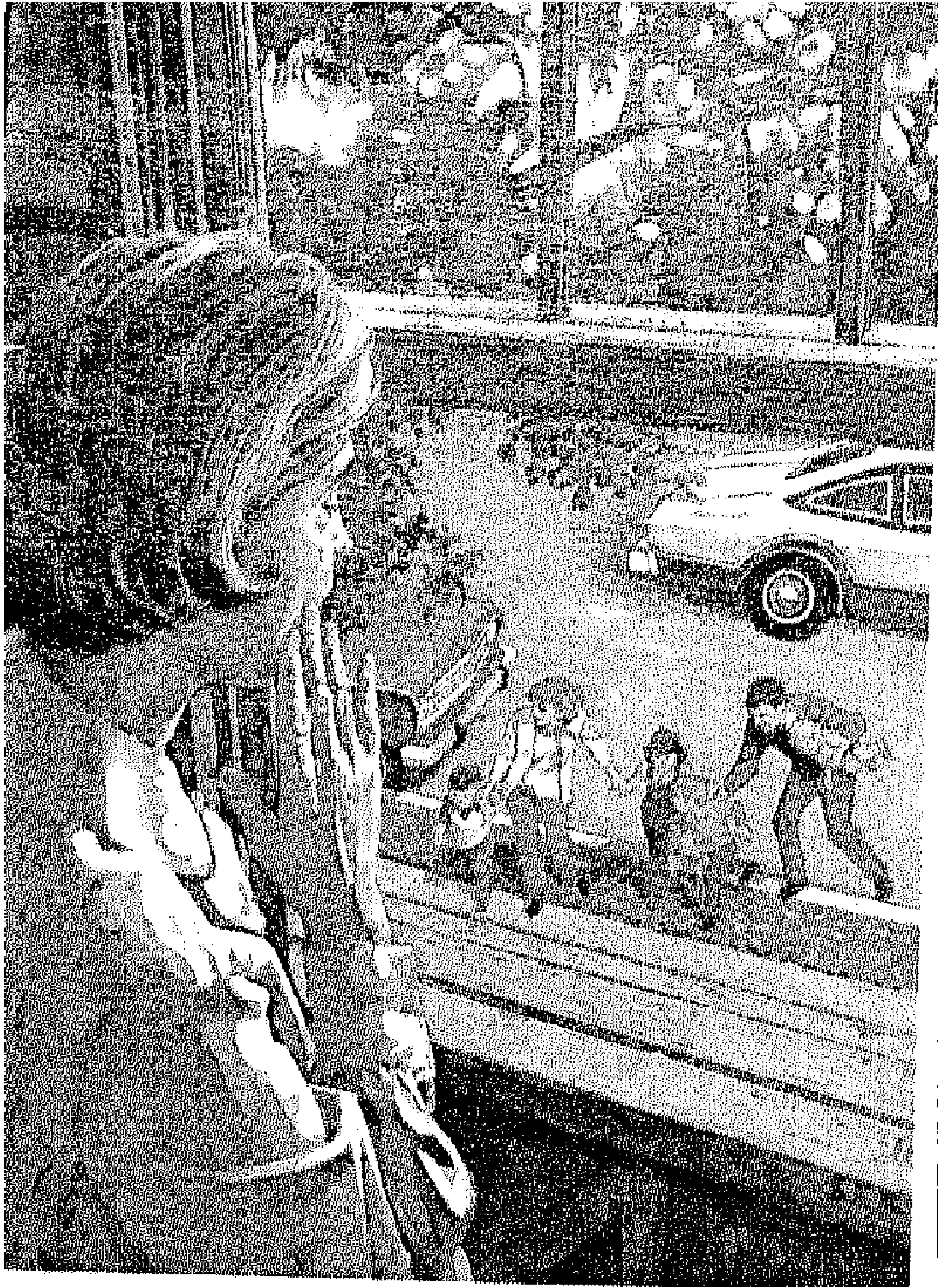
٢٨٠ دنْدَنَة: كلام خفيّ لا يُفهَم. دنْدَنَ ودَنَّنَ: نغَّم من غير أن يُفهَم منه كلام.

٢٩٠ تأوُّه: توجُّع وشكاية.

٣٠٠ همْهَمَة: كلام خفيّ لا يُسمَع ولا يُفهَم. صوت يخرجه تردّد الزفير في الصدر من الهمّ والحزن.

المستوى

٢٥ - ٣٠: ممتاز
١٩ - ٢٤: جيد
١٣ - ١٨: مقبول



الثمار الطيّبة

رحلة عبر الذكريات القديمة
تنتهي الى اكتشافات
جديدة مدهشة

كنت لا أزال في مستهل عهدي كجدة لم تألف بعد طعم الاحفاد وكان ذلك لسنوات طويلة مضت. الا اني لم انس ذكريات ذلك الاصيل المستطيل المفعم بالحنين ورقة الشعور.

اقتعدت يومذاك السجادة المطوية داخل "العلية"، واسندت ظهري الى جدار المدخنة وانا افكر في ضخامة المهمة التي القيتها على عاتقي. وكان الحمالون قد قاربوا انهاء عملهم، واضحت ارجاء دارنا المتعرجة خالية الا من رجع الاصداء.

ولم يبق من الاثاث سوى بضع اكوام في العلية. ولقد مضى اكثر من ثلاثين سنة - سنو زواجي الاحدى والعشرون، ثم السنون العشر الاخرى التي قضيتها مع الاولاد في المنزل بعد وفاة زوجي نورمان - على دخول هذه الاشياء الى الدار وصعودها درجات السلم.

اما الان، بعدما ترعرع الاولاد وانطلق كل في سبيله، فقد اتسع بي المكان وحدي وارتأينا ان نبيعه. وكان علي ان انتهي من التوضيب والتكديس قبل ان يعود الحمالون في الغد لنقل حملهم الاخير.

كنت وحدي تحت الافريز، واخذت اعترف في قرارة نفسي بأن المبرر الذي ادعيته لهذه الزيارة الاخيرة للعلية لم يكن الا خديعة للنفس. اما السبب الحقيقي، الذي كنت اعرفه تمام المعرفة، فهو الاختلاء بنفسي

لالقاء نظرة اخيرة موجعة على بعض تلك الاشياء التي تذكرني بالاوقات الماضية حيث كنا، انا وهي، موضع قصد الاخرين اكثر من اليوم. وكنت آمل ايضا في ان اهتدي من بينها الى غرض او غرضين يجدر الاحتفاظ بهما او اعطاؤهما للاولاد او الاحفاد.

السجادة القديمة ــ بدأت، قبل كل شيء، بمد السجادة المطوية التي كنت جالسة عليها، وخنقتني الغصة عندما فطنت الى انها اول سجادة اشتريناها معا، انا ونورمان. وعاودتني ذكرى تلك السنين العاطفية المحمومة في مستهل حياتنا الزوجية التي سلخناها معا في العراك من أجل البقاء. ولكم بذلت من الجهود للعناية بهذه السجادة القديمة الزائفة لكي احفظ لها مظهرها اللائق بمقدار المستطاع ريثما يتسنى لنا ابدالها بأخرى افضل منها. وها هي الان مليئة بالرقوش التي خلفها طيش الاولاد وآثار الاطفال الذين لم يحكم دائما ربط حفاظاتهم المطاطية، او التي تركها دهان الاحذية المستعصي على سوائل التنظيف وقد تناثرت معالمه عندما رُشقت به يوما في لحظة غضب. وبعد ذلك كله، فمن ذا الذي يرغب الان في اقتنائك ايتها السجادة؟

ثم هناك رأس الوعل ذو القرنين المشعبين، يحدق الي بنظراته الشزراء من احدى الزوايا. ويعود عهده على هذا الجدار الى الفترة نفسها، يوم جاء به زوجي المولع بالصيد وعلقه فوق رف الموقد في حجرة الجلوس، ظنا منه ان الامر يطيب لي بمقدار ما يلذ له. ولقد كرهت رؤيته في ذلك الموضع، لكني ــ وتعاودني الان موجة من الارتياح النفسي ــ لم ابح له بحقيقة مشاعري. فقد اعتبرت ولا شك، ان هذه المحاباة واجب من واجبات الحياة الزوجية. فصبرت، وتحملت الامتعاض عن طيبة خاطر طوال خمس سنوات. ونقلنا رأس الوعل بعد ذلك الى غرفة نورمان الصغير حيث اصبح موضع اعجاب رفقائه، فأثر في ذلك الى حد استطبت معه النظر الى عيني الوعل المقززتين لمدة عشر سنين اخرى.

ذكريات تملأ النفس... غير ان رأس الوعل لم يطل به الزمن حتى امسى باليا، مما اهاب بنورمان الصغير نفسه ان ينتزعه من تلقائه عن الجدار ويخفيه عن الانظار. وبعد ذلك لم يعد احد يبالي برأس الوعل.

بيت الدمية الكبيرة ــ ثم وقع بصري على بيت من صنع اليد تقيم فيه دمية كبيرة قديمة. ففكرت لحظة في انه قد يكون هدية تروق احدى حفيداتي. ولكن سرعان ما تخليت عن فكرتي هذه، اذ بدا لي انه غير متقن الصنع ولا يصلح لان يكون بيتا لدمية بلاستيكية حديثة خلابة. والحقيقة ان هذا البيت لم يسترع انتباهي الا لانه كان آخر هدية صنعناها بايدينا انا ونورمان لكي يجيء بها بابا نويل أو سانتا كلوز (موزع الهدايا الميلادية) ويضعها ليلا تحت شجرة الميلاد. ولم يكن لهذا البيت اي قيمة الا بالنسبة الي انا. لكني لا أجد له مكانا في شقتي الصغيرة التي سأسكنها بمفردي عما قريب.

وذلك اللباس الصغير الذي يرتديه الهنود الحمر والذي استخرجته من

قعر الصندوق المحدودب وكنت قد صنعته لابنتي ميريلي لترتديه في اثناء تمثيلية الصف الابتدائي الاول – ذلك اللباس لا ينطوي هو ايضا على اي قيمة ما عدا استثارة خفقان قلبي. ترى هل كان هذا الشيء التافه يستحق كل هذا التعب والعناء لمجرد ان تلبسه فتاة صغيرة وتلقي اربع كلمات ترحيبية هي: "اهلا بك يا تكومسيه؟" اما جوابي فهو نعم، حين اذكر الان اعتزاز الصغيرة حينذاك ومباهاتها باداء دورها. وانني لأكيدة من انه لو تتطلب الامر اعادة الصنع مرة أخرى، لفعلت. فلقد كنا آنذاك، انا ونورمان، المرجع الوحيد الذي لا يستغنى عنه. كما تشهد على ذلك الودائع الموجودة في العلية. فكيف لي ان اتخلى عنها وانبذها جميعا؟

مضت ساعتان، ثم ثلاث، ولم اهتد الى شيء يستحق ان اتمسك به. فمن ذا الذي يود الحصول على هذه الدراجة الصغيرة التي تأكلها الصدأ وأعوج مقودها وتراخت عجلتاها؟ او من يرغب في هذا الحصان الخشبي الذي خلا من ناصيته وذيله؟ او هذا الصندوق المليء بالدمى المندبة والمهشمة؟ وهنا غمرني التحسر على نفسي بعدما عمدت الى استثارته طوال ذلك الاصيل، فتساءلت عما عسى ان تكون فائدتي بعد الان. وتهاطلت مني الدموع بعدما احتبستها في صدري طوال تلك الساعات. فقد نالت الايام مني ما نالته من بقية الاشياء في هذه العلية. وأصبحت مثلها رثة بالية، وانطوت اهنأ فترات عمري.

وأخيرا حاولت ان اتمالك نفسي. ودنوت من النافذة واستنشقت الهواء البارد المنشط بانفاس مديدة. ولا أدري كم بقيت على تلك الحال، اتلمس السكون في ارجاء الدار الخالية واتحسس شعور الغرابة والاسى في صدري بعدما اختفت من دارنا جلبة الاولاد المنصرفين الى اللعب بينما هي باقية صاخبة في دور الآخرين في جوارنا. وأحمر الشفق في اشجار السنديان، معلنا اقتراب الظلام.

وبعد ذلك تواردتعلي سلسلة من الوقائع الخاطفة غيرت مجرى افكاري. واذا بسيارة تتوقف امام المنزل خرج منها رجل شاب وامرأة واربعة اطفال. وكنت غارقة في التفكير حتى انني لم ادرك على التو ان الرجل كان ابني نورمان مصحوبا بولديه وان المرأة كانت ابنتي البكر ميريلي يصحبها ايضا ولداها.

واقتربت في اللحظة نفسها سيارة اخرى مندفعة بسرعة كبيرة، فكدت اصرخ على غير عادتي "انتبهوا للأولاد". غير اني كبحت نزوتي وتحققت من انه ليس هناك ما يدعو الى اصدار الاوامر واطلاق الصياح. فقد غمر نورمان بذراعه القوية احد الولدين وازاح الآخر برقة الى حافة الرصيف، بينما احتضنت ميريلي ولديها باحتراس وامان.

غير ان هناك دافعاً آخر منعنيمن الصياح والانذار. فقد تغلب علي الشعور بالتجرد واللامبالاة، في غمرة الظلام المتلاشي على العلية، ازاء المشهد الجاري امام المنزل، كما لو كنت انظر الى الامور الارضية من

سطح كوكب آخر. ولعل هذا الشعور بالتجرد والانفصال هو الذي اتاح لي فعلا ان استوضح الامور واستجلي الواقع. فالرجل القادم ليس هو ابني نورمان الذي عرفته صغيرا ضئيلا من قبل، فأصبح طويل القامة، عريض المنكبين، يتسم بالعنفوان والاعتماد على النفس. وأدهشني تطوره خلال سنيه الثماني والعشرين، كما اذهلني ان أرى ميريلي اماً على هذا المقدار من الكفاية والاقتدار وان أجد ابنتي الصغرى جيري التي تزوجت اخيرا كفيلة بتنظيم شؤون حياتها دونما حاجة الى مشورتي ونصائحي.

وفطنت حينذاك الى حقيقة امري، وادركت ان انقطاعي عن المبالاة بالمشهد العائلي الجاري امامي ليس الا اقتناعا مني بأن الاولاد والاحفاد اصبحوا قادرين على تدبر امورهم بمعزل عني.

... **ورحت أبكي فرحاً** - وفجأة انهمرت الدموع من محجري، ولكن لسبب يختلف عن المرة الاولى. فها أنا ابكي الان فرحا، بعدما اتضحت لي حقيقة جديدة مدهشة مليئة بالمواساة، وهي الشعور البهيج بأننا، على رغم فوات الزمن، لا نزال موضع تقدير الآخرين، لاننا عرفنا - او قدر لنا - ان نتعهد الماضي لكي نجتني منه أطيب ثمار الارتياح والاعتزاز. وتبين لي في تلك اللحظة وذلك المكان ان الوقت قد حان لي لان اتنحى عن المحور، بعدما نلت الحظوة بالتنازل عن دوري المبرز للآخرين.

ولم البث ان سمعت صفير نورمان المألوف ينطلق نحوي من أسفل السلم. فحاولت ان اتمالك نفسي قبل ان يطل رأسه من الباب، فقال: "هل اصبح كل شيء جاهزا يا والدتي؟" ثم ادار المفتاح الكهربائي وأشعل النور. وقرأت علامة الاستغراب على وجهه عندما سألني لماذا لم اضع شيئا جانبا، واضاف: "هل تنوين التخلي عن هذه الاشياء كلها؟" وسمعت صدى جوابي يقول: "اظن ان أمر التقدير في شأنها يعود اليكم، انت وميريلي وجيري". وأحسست اذ ذاك، للمرة الاولى، بالغبطة التي تهز المتقاعد المحظوظ لدى انسحابه من دنيا العمل.

فرد نورمان: "اما وجدت شيئا يستحق البقاء؟"

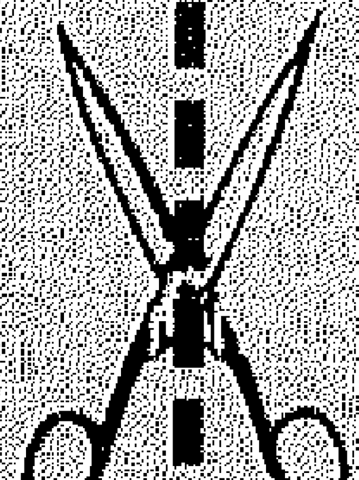
فاجبته: "طبعا، وجدت". واننا لا نزال نحتفظ بذلك حتى اليوم: عطية العلية التي لا تقدر بثمن، لانها افضل ما اقتنيناه انا والعائلة. فقد قضيت اصيل اليوم اعد لها، وتعد لي، المناخ الملائم للتحرر والانزواء، حيث يزدهر التقدير وتنتعش المحبة وتتنامى.

■ **ايتل سالتر غايل**

خيال فنان

رسم الفنان هنري ماتيس صور اصدقائه على سقف غرفة نومه، مفسرا ذلك بالآتي: "بهذه الطريقة يخف شعوري بالوحدة خلال النوم".

مجلة "وجهة نظر - صور من العالم"، فرنسا



قضى المستكشف الياباني نعومي أويمورا ٥٥ يوماً متحدياً المفاوز القطبية ومحاولا ان يصبح اول انسان يبلغ القطب الشمالي منفرداً

أول قدمين فوق سطح العالم

قبيل بزوغ الفجر تناهى الى سمعي، وانا ملتحف كيس النوم داخل الخيمة، نباح كلابي المفاجىء، فتملكني الشعور بالخطر. فقلما توجد كائنات في المنطقة القطبية تثير المخاوف الغريزية لدى كلاب الزحافات، ما عدا الانسان والدب.

وسمعت وقع الاقدام المتثاقلة تمسح الثلوج ويعقب ذلك صوت انفاس لاهثة، وأحسست بطيف الدب ماثلا خارج الخيمة.

وقلت لنفسي: "لقد انتهى كل

نعومي اويمورا وحيداً في القطب وحوله كلابه.



شيء، ولا محال من الهلاك".
واتجهت بأفكاري الى زوجتي الحبيبة كيمي شان في طوكيو وتضرعت اليها ان تساعدني على نحو ما. ثم تملكني احساس بالسكينة وقلت في نفسي: "انني قد أُقتل، ولكن اذا كان هناك بصيص من الأمل في البقاء، فأنه يكمن في تمددي ساكنا داخل الكيس واحتجاز نفسي بمقدار المستطاع.
وينتقل بي الفكر الى بندقيتي وهي في متناول يدي، ولكنها غير محشوة. ويتصبب العرق من جسمي، فيحكني جلدي في انحاء اعضائي وكأن البراغيث تنهشني. واسمع الدب وهو يقلب بعنف مؤن الاغذية في الخارج.
واتوسل في صمت ورئتاي توشكان على الانفجار: "لعله يكتفي بذلك!".
ولكنه لم يفعل. بل تحول الى الخيمة واخذ ينخر بدوي صاخب وينشب مخاليه الضخمة في الستائر الرقيقة المصنوعة من النايلون. وحبست انفاسي وتملكني الذعر فيما هو ينتأ جدار الخيمة ويلقي به الى الداخل، واذا به يقحم انفه المتقارب من ظهري، فأسلم امري الى الله واقول في نفسي: "لقد انتهى الامر الآن"!
وفجأة انصرف الدب، لسبب اجهله لا يقبل التعليل، وساد الصمت وتنفست الصعداء ملء رئتي.
وكان ذلك في ٩ مارس (آذار) ١٩٧٨، بعد انقضاء اربعة ايام على انطلاقي بالزحافة التي تجرها الكلاب من مخيم قاعدتي على شاطىء المحيط القطبي، عند "كيب كولومبيا" في كندا. وكنت اطمح الى ان اكون اول شخص يبلغ القطب الشمالي بمفرده. وقد اتخذت لهذا الغرض الترتيبات اللازمة لمدي من الجو بالمؤن الضرورية على طول الطريق البالغ ٧٦٦ كيلومترا الى القطب، تحملها الي طائرات متزحلفة تنطلق من محلة ريزوليوت.
واتصلت في الحال عن طريق الراديو، بمخيم القاعدة وطلبت خيمة ومؤنا جديدة. ثم جلست اترصد المتطفل الساطي ليقيني انه سيعود مرة اخرى للحصول على وجبة جديدة. وانتابني قلق على البندقية، لأن درجة الحرارة ٤٠ مئوية تحت الصفر، وقد يتجمد فيها الجهاز فأفشل في اطلاق النار في اللحظة الحاسمة. وبادرت الى نقع جهاز اطلاق النار في الكيروسين (الكاز) لضمان الاداء الفوري.
وبعد ٢٤ ساعة تقريبا من الهجوم الاول عاد الدب بجثته الهائلة البارزة بين الثلوج السامقة وراح يسير نحوي في وقار وجسمه يتضاخم لعيني من خلال فتحة التصويب. وما ان اقترب على مسافة ٥٠ مترا حتى ضغطت سبابتي على الزناد، فهم الدب منتصبا وعلت منه أنة حادة قبل ان يتهاوى فوق الثلج فعاجلته ببضع رصاصات اخرى، وانتهى الأمر...
المسيرة الشاقة - وبعد ساعات قلائل حلقت طائرة التموين فوق رأسي وزودتني بما احتاج اليه، الى ان امتلأت زحافتي بما يبلغ وزنه ٤٥٠ كيلوغراما، وهو حمل ثقيل على ١٧ كلبا. وفي ١١ مارس استأنفت العراك مع خصمنا الخالد المحيط القطبي، وهو منطقة رهيبة تجهد فيها الكلاب

معي كي نتقدم بالزحافة خلال متاهة لا نهاية لها من تلال الثلج المسننة. وكثيرا ما اجدني مضطرا الى شق الطريق خلال الثلج المتجمد بعارضة من حديد لحفر منفذ تمر الكلاب من خلاله. ويطول العراك ثماني ساعات كاملة من دون ان تتجاوز المسافة التي قطعناها الكيلومترين. واحس بالفرج اخيرا عندما اتوقف وانصب الخيمة.

واما القطب فانه لا يزال بعيدا بعدا سحيقا، بينما لا تتجاوز الحرارة ٣٨ درجة مئوية تحت الصفر والرياح تهب في وجهي فتصيبني لفحة الصقيع في انفي وذقني. وليست حال الكلاب افضل من حالي.

وكان عليّ دائما ان استكشف الطريق واتسلق كتل الجليد بما لا حصر له، كي اجد افضل الدروب او السبل الممكنة، وكانت احتمالات الاختيار تبدو دائما مثبطة للعزم.

ثم جاء يوم ١٦ مارس وجاءت معه مشكلة جديدة. فهناك منبسط من الجليد واجهنا فيه اخدود او "عرق" من الماء المكشوف يمتد عرضه على ٥٠ مترا تقريبا ويسد علينا الطريق. فلم تبق امامنا حيلة سوى ان ننتظر ان ينسد العرق. وعندما تضاءل عرضه الى متر ونصف متر، هممت بالكلاب على عبوره. ولكن الكلاب تباطأت فانزلق خمسة منها الى الماء وابتلت جلودها فلم تلبث ان تجمدت بما عليها من ماء في غضون ثانية واحدة، الا ان عشر دقائق من الجهد كانت كفيلة باعادة الدفء اليها.

وتحسنت الاحوال تدريجا حتى ٢٦ مارس فقطعنا ١٩ كيلومترا في ذلك اليوم وحده. وراحت الكلاب تجري سابحة في الثلج الطري.

واستمر الضغط على هذا المنوال، وتابعنا السير بلا هوادة ولم يزد نصيبي من النوم على خمس ساعات او ستّ في اليوم، وكنت في نهاية النهار اشعر بساقي خائرتين وبجسمي وكأنه منفصل عني، واحيانا استغرق في النوم فور دخولي الخيمة.

طائرة الامدادات ـ كان اول ابريل (نيسان) يوماً خاصاً، اذ تمكنت طائرة الامدادات من الهبوط على مساحة من الجليد المسطح حاملة لي معها زحافة اخف وزنا، اضافة الى كلبين جديدين وكمية اضافية من طعام الكلاب ومقدارا من الطعام لي (لحم وعل وبسكويت وسكر، وزيت وكبد الحوت، وملح وبن ومربى). وحملت الطائرة في عودتها زحافتي القديمة الثقيلة وكلبين ساءت حالهما، وارتفعت في الجو، فعاودتني الوحدة مرة اخرى.

وكنت اتناول طعامي، اسوة بكلابي، مرة واحدة في نهاية رحلة اليوم. واللحم دائما غير مطبوخ. فلحم الوعل النيء ينطوي على قيمة غذائية عالية وهو لذيذ الطعم في الوقت نفسه، اضافة الى انه ليس لدي متسع من الوقت للطهي.

واستمر البرد في ٥ ابريل وتعطلت عملية الرصد التي اقوم بها في الصباح بجهاز "السكستنت" بسبب الريح الشمالية الشرقية التي اخذت تهاجم يدي بمثل لسع النحل، ولكنني لم اتوقف حتى ان حددت مكاني بمنتهى الدقة، فوجدت اني على مسافة ٢٤٦ كيلومترا بالطائرة من

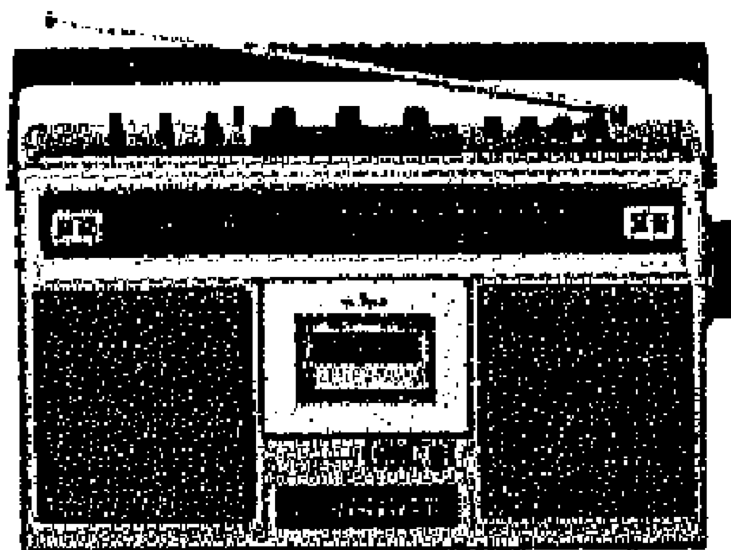
ستيريو - "طوع أناملك سيّدي" ..!



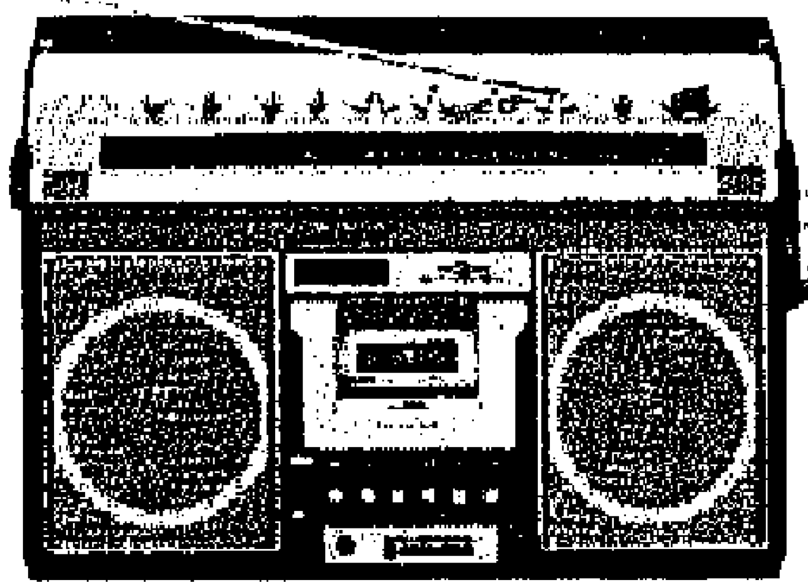
لماذا تترك موسيقاك المحببة في المنزل بينما تستطيع أن تصطحبها معك؟ مع جهاز بايونير ستيريو راديو/كاسيت النقال الجديد متعة الموسيقى تصبح طوع أناملك سيّدي ، أينما كنت.. إنه سهل الانتقال . سهل الاستعمال .

بايونير هي أضخم الشركات المنتجة لأجهزة الصوت ، فكان طبيعياً عليها أن تنتج أعظم الأجهزة النقالة لتضع عظمة موسيقى الستيريو الحقة في راحة كفك. بكلمة أخرى ، يمكنك الآن أن تستمتع بروعة موسيقى الستيريو أينما كنت أو شئت أن تكون ، وكأنك في منزلك . كل من الطرازين SK-6 و SK-7 يتميز بـ"دك بايونير الخاص TM" المتعدد الاسلوب . وهو يشمل آلية فريدة لانتقاء القطعة الموسيقية المختارة أوتوماتيكياً ، بالاضافة الى اسلوبين للإعادة ، أحدهما يبرمج مسبقاً ومتوفر مع الطراز SK-7 . ثم ، مع كل من الطرازين تحصل على طاقة موسيقية جبارة تأتيك عبر مكبرات بايونير الضخمة لموسيقى الستيريو. زورنا لترى وتستمتع بنفسك اليهم اليوم .

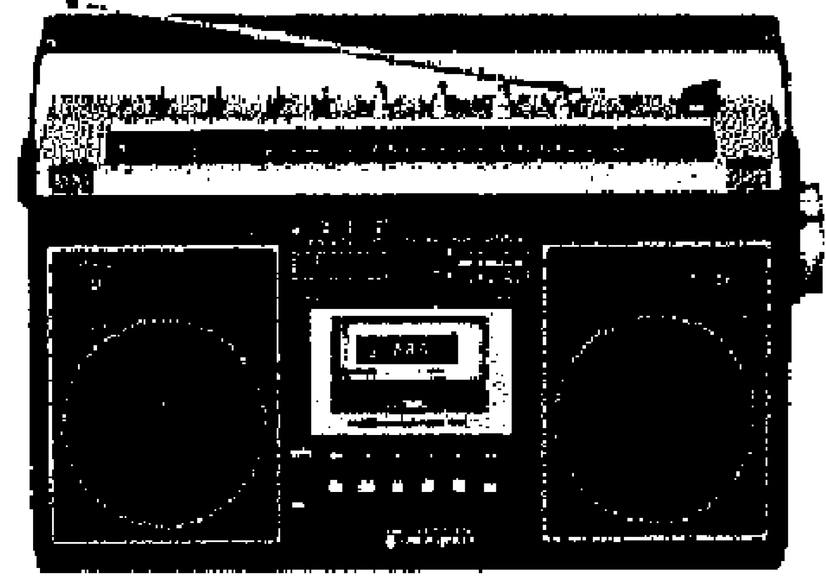
إنهم حقاً ستيريو "هاي - فاي" ذات أثير نقالة . من بايونير ، الشركة التي تجعل موسيقى الستيريو .. طوع أناملك .



SK-1A



SK-6



SK-7 ذو شبكية سوداء لمكبرات الصوت

بايونير PIONEER

Pioneer Electronic Corporation 4-1, Meguro 1-chome, Meguro-ku, Tokyo 153, Japan

رأس كولومبيا، ويبقى علي ان اجتاز ضعف تلك المسافة تقريبا (٥٢٠ كيلومترا) لكي ابلغ القطب. فاستجمعت عزيمتي. واستأنفت المسير نحو الشمال.

ولقد وجدت في الكلاب خلال الساعات الرتيبة المملة مصدرا للتسلية. فليس بين الكلاب اثنان يتماثلان في طبيعتهما: هناك الكلب الذي يسارع بالنباح ولو لم يمسه السوط، وهناك كلب آخر لا ينبح ابدا، وثالث يبدأ فورا في بذل اقصى قوته في الجر بمجرد ان ترتفع يدي الممسكة بالسوط، وهناك اخيرا الكلب الذي يرميني بنظرة جانبية وهو يعدو وكأنه يريد ان يحملني على التقدير: "الا ترى بعينك كيف اني ابذل غاية جهدي؟".

وفي ١٢ ابريل اعترضنا شق مائي في الجليد يبلغ عرضه ثمانية امتار وتطفو على سطحه بضع شرائح من الجليد عند اضيق نقطة فيه. فأخذت اقطع شرائح اخرى من حافة الشق واضيفها الى الاخرى الطافية لكي اصنع منها جسرا عائما.

وما ان اصبحت على اهبة المسير، حتى نبّهت الكلاب بصيحة عالية واطلقت لها العنان وانا ادفع الزحافة وراءها من الخلف، ورحنا نعبر شريحة عائمة تلو اخرى، حتى اذا ما بلغنا الشريحة الاخيرة ووضعت الكلاب اقدامها فعلا على الجانب الآخر توقفنا فجأة عن الجر فتأرجحت شريحة الثلج الاخيرة على نحو خطر وانزلقت الكلاب التي في المؤخرة الى الماء فوثبت الى الامام ورحت اضرب الاعنة المرتخية بقبضة السوط واصرخ في صخب: "انطلقوا... انطلقوا"، فاندفعت الكلاب في جهد متناه نحو الامام، حتى استقرت الزحافة اخيرا على الجليد الصلد.

ويوم ١٣ ابريل كنت تجاوزت منتصف المسافة. وفي اليوم التالي هبطت الطائرة وزودتني بامدادات جديدة ونصف طاقم من الكلاب. وبقي امامي ٣٦٤ كيلومترا حتى ابلغ القطب، استطيع ان اقطعها في عشرة ايام اذا سمحت بذلك حال الجليد والجو.

وتملكني شعور غريب بالثقة من النجاح على رغم الصعوبات الماضية.

ولم يلبث تفاؤلي ان تضاءل في صباح اليوم التالي (١٥ ابريل) عندما هبت عاصفة ثلجية عنيفة سمرتني في مكاني طوال ذلك اليوم واليوم الذي يليه.

وعند ظهيرة اليوم السابع عشر من الشهر تحسن الجو بعض الشيء بعدما طال انتظاري اكثر مما استطيع. لكن الثلج عدو ماكر خبيث، يغطي المنطقة المنبسطة امامي ويموه كلا من الجليد القديم الصلد والثلج الحديث الطري على مسافات رقيقة السمك محفوفة بالخطر. وكثيرا ما حدث ان انشق الجليد تحت اقدام الكلاب ووجدتني غائصا في الماء حتى ركبتي.

مسطحات الجليد المتحركة - وسرعان ما واجهنا خطرا اخر: مساحات هائلة من الجليد تتحرك والدنيا من حولي تبدو وكأنها مسرح دوار، فأجدني للمرة الاولى طافيا بالفعل فوق المحيط القطبي، ارتحل عبر قطع ضخمة من الجليد منفصل

بعضها عن البعض الآخر ولكنها لا تنفك عن الاحتكاك محدثة اصداء مخيفة. ومن ثم، فلا مفر من ان تتضاءل مسطحات هذه القطع الضخمة تضاؤلا مطردا.

واجدني في ذلك المساء معسكرا فوق جزيرة من الجليد لا يتجاوز قطرها ثلاثمئة متر. وفجأة بدا لي شق ضخم في الجليد على مسافة تقل عن عشرين مترا من خيمتي. فماذا افعل يا ترى؟

وبينما انا اقلب الاحتمالات ينفتح شق آخر اقرب من سابقه، وتتحول الجزيرة الى قطعة جليد صغيرة طافية، ولا يعود هناك وقت للتفكير.

وجاءت دوامة من التيارات المائية واخذت تدفع بقطعة الجليد وتلصقها بكتلة اخرى محدثة ما يبدو انه مسطح جليد صلد، فسارعت الى طي الخيمة ووضعها في الزحافة، واختطفت العارضة الحديد التي أكسر بها الجليد وهويت بها نحو الاعنة بين الكلاب والحافة وصرخت بأعلى صوتي: "انطلقوا حالا! انطلقوا!" واندفعت الكلاب في انطلاقة واحدة تجذب الزحافة الى كتلة الجليد المجاورة.

نتيجة حسنة، مرة واحدة اخرى ونبلغ الأمان. وهويت بالعارضة مرة ثانية نحو الاعنة وعادت الكلاب تجذب الزحافة بكل قوتها. وما هي سوى ثوان قليلة حتى عدنا الى الجليد الصلد الراسخ.

ولقد اقنعتني تجربة هذا الهلاك الوشيك بأنني كنت عجولا اكثر مما يجب فأصبحت اتريث الآن على امل ان تعود كتل الثلج الى الالتصاق معا في كتلة واحدة. وبقيت منتظرا حتى يوم ٢١ ابريل قبل ان اطمئن الى استئناف الرحلة بأمان. وقد كوفئت على حسن صبري فقطعنا في ذلك اليوم مسافة ٤٠ كيلومترا واضفنا اليها في اليوم التالي (٢٢ ابريل) ٦٠ كيلومترا اخرى كانت من افضل المراحل التي قطعناها.

وفي ٢٣ ابريل (نيسان)، اعترضنا خليط ضخم من جلاميد الجليد المتشابكة، فاضاف عقبة جديدة الى متاعبنا، لان العدو فوقها ينهك الكلاب. وعندما اصدر امري اليها بأن تجر الزحافة يظل كل كلب واقفا في مكانه يتلفت حوله محملقا في زملائه وكأن الامر يعني هؤلاء فحسب.

وظللنا، على رغم ذلك، نواصل المسير. نعبر شقوق الماء احيانا بطريقة الجسر العائم من شرائح الجليد. وذات مرة لم اجد شرائح جليد عائمة، فاقمت جسرا من الزحافة نفسها، بان انزلقت بها عبر الماء حتى اصبح كلٌ من طرفيها مستقرا على احدى ضفتي الشق المائي.

وبدا لي ان الكلاب لا تثق كثيرا بابتكاري هذا، ولكنها لا تمانع في ان اقودها واحدا بعد الآخر عبر هذا الجسر الارتجالي. وعندما تصبح كلها على الضفة الاخرى، اعيد ربط اعنتها، وبجذبة واحدة يعود الجسر فيصبح زحافة مرة اخرى.

ويوم ٢٦ ابريل، اتت اخر طائرة امدادات وزودتني بكمية من الاغذية تكفي لايام عدة اخرى، واخذت عهدا على نفسي بانني لن احتاج الى اكثر من ذلك. وغمرتني هذه الفكرة بالتفاؤل. وفي اليوم التالي دفعت الكلاب بشدة فحققنا تقدما ممتازا

ولم يعد يفصلني عن القطب سوى ٧٦ كيلومترا.

في مواجهة القطب ـ اطل يوم ٢٨ ابريل، فهل سيكون هذا آخر يوم للارتحال؟ وبعد ساعة من المسير ظهرت كتل الجليد وقد اصبحت رقيقة، وبدت مساحات الجليد كالواحات المضيافة. غير ان الطريق قد تعثرت من جديد بسبب الشقوق في سطح الجليد والتي بدت كشبكة عملاقة نشرها الصيادون كي تجف. وكانت معظم الشقوق ضيقة تتيح للكلاب ان تثب عبرها، ولكنها تستغرق منا وقتا اضافياً. وعلى رغم استمرارنا في المسير المنتظم طوال ١٤ ساعة، الا ان هذا لم يكن كافيا وبات لا مفر من ان يرجأ اليوم الموعود، فاتحامل في اعياء لاحلّ الكلاب من الزحافة وانصب الخيمة للمرة الاخيرة، من دون شك، وتضطرم جوانحي بلهفة تمنعني من النوم.

ان الصباح في الايام القطبية الصيفية يحتاج الى تمييز شخصي نظرا الى انعدام الخط الفاصل هناك بين النهار والليل. وقد استيقظت باكرا، بينما تجاهلت الكلاب حلول هذا "اليوم" الجديد، مع انه آخر صباح لنا هنا، فقررت ان التقط فيلما للخيمة وطاقم الكلاب، وحاولت ايقاظها من الرقاد، فلم تمتثل لطلبي ولم تشاركني في حماستي لتلك اللحظة التاريخية، وكانت النتيجة فيلما جامدا.

وكان الامر مختلفا على "الطريق"، حيث تبذل الكلاب جهدا خارقا. وما ان نبدأ السير حتى ينتابني احساس بالراحة والهناء. فقد اصبح القطب على قاب قوسين منا، واننا ولا شك سنبلغه اليوم. ورحت اركض خلف الزحافة شاعرا بالامتنان للكلاب على ما ساهمت به في تحقيق النصر الاخير.

وبعد ١٢ ساعة تقريبا من السير المتواصل قدرت انني قد بلغت القطب. ويوم ٢٩ ابريل، في الساعة ٦،٣٠ مساء بتوقيت غرينتش، اوقفت الزحافة وقمت بالرصد بآلة السدس، فبدا القطب قريبا الى حد انه لو كان هناك بالفعل قطب شمالي فلا بد ان يكون قد اصبح على مرمى البصر. وعدت فاجريت، على سبيل التأكيد، عمليات رصد اضافية ليومين آخرين (★)، فكانت النتائج دائما هي انني قد بلغت قمة العالم.

وأثناء انتظاري الطائرة التي ستحملني الى مخيم القاعدة، رحت اعرض الفترة الشاقة العصيبة التي امتدت ٥٥ يوما من السير المتواصل، وافكر في زوجتي وفي الذين ساعدوني، واجدني سعيدا لتمكن الانسان، للمرة الاولى في التاريخ، من بلوغ القطب الشمالي منفردا.

■ نعومي اويمورا

ولد نعومي اويمورا في ١٢ فبراير (شباط) ١٩٤١، وقام بالعديد من المغامرات الملحمية المنفردة، فهو تسلق اعلى قمم الجبال في امريكا الشمالية والجنوبية وفي افريقيا، وركب نهر الامازون في رمث على مسافة ٦٠٠٠ كيلومتر، وقطع فوق الثلوج مسافة تزيد على ١٢٠٠٠ كيلومتر من غرينلاند الى الاسكا، وهي اطول رحلة لانسان بزحافة تجرها الكلاب، كما تسلق قمة ايفريست في مايو (ايار) ١٩٧٠ مع اول بعثة يابانية نجحت في بلوغ تلك القمة.

(★) ايضاح جغرافي: عند القطب الشمالي يقل طول اليوم حتى يصبح دقائق قليلة، تتضاءل بدورها الى ثوان معدودة حتى ينعدم الزمن تماما فوق "نقطة" القطب بالضبط.

الفار آلتو
آخر عمالقة
العمار الحديث



لقد اثرى
المهندس المعماري
الفار آلتو أرض وطنه
بما يزيد على ٢٠٠ بناء،
فابتدع منها حلة قشيبة
تتوهج ضياء ورونقا وشاعرية

ذات مرة دعي المهندس المعماري الكبير الفار آلتو الى القاء محاضرة في سويسرا فقبل الدعوة ولكنه، تبعا لعادته، لم يتناول موضوع العمارة على الاطلاق بل تحدث عن صيد سمك السلمون وعن جمال الريف الفنلندي. وقد تملكت الحيرة الجمهور في بداية الامر لكنهم لم يلبثوا ان ادركوا قصد المحاضر الفنلندي الصغير الجسم واللبيب الذهن عندما راح يذكرهم بانه ينبغي للعمارة ان تتقبّل فهم الطبيعة وان تعي ان جذورها راسخة في عالم الاحياء. وقال مرة لطلابه: "عندما تضعون تصميما لنافذة تخيلوا ان في اطارها وجه الفتاة التي تهوون".

وكثيرا ما كان الفار آلتو يقوم بعمله في عزلة شبيهة بالتنسّك جاعلا فن العمارة طقسا صوفيا كالطقوس الخيميائية القديمة الهادفة الى تحويل الشيء المبتذل الى شيء نفيس.

ان العمارة، في نظره، هي فنّ تحويل الحجر التافه الى كتلة من الذهب، واما المسائل النظرية فيتجاوزها مكتفيا بالقول: "انا



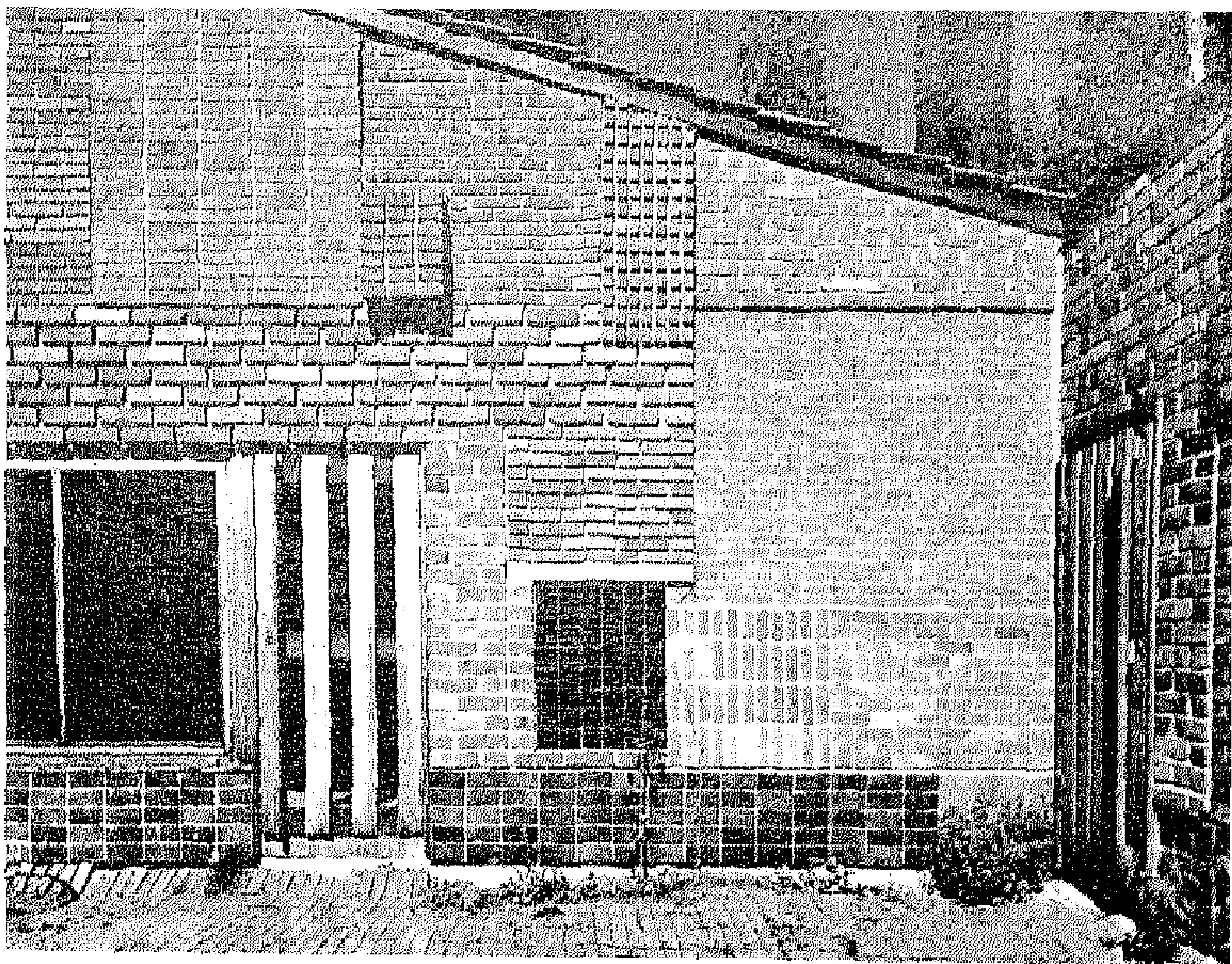
قاعة فنلنديا من الداخل،

أبني"، وقد بنى بالفعل، وها ان المباني التي شادها طوال ستة عقود تقريبا، بين الغابات والبحيرات في رحاب الارياف الفنلندية الباردة تنتصب كالالغاز فوق سطح الارض طبقات حجرية مقتلعة من الصخور المحليةَ، تعكس اناقتُها جمالَ الطبيعة وتقوم في هدوء وسلام بوظيفتها الانسانية المكتملة،

وعندما توفي آلتو سنة ١٩٧٦ عن ٧٨ عاما نعي "كآخر عمالقة العصر البطولي في فن العمارة الحديث"، وقورن بعدد من افذاذ العمارة مثل لوكوربوزييه ووالتر كروبيوس ومايس فان دير روه وفرانك لويد رايت،

ليس هناك في الحقيقة ما يربطه كثيرا بهذه النخبة من المعماريين، فقد ادرك آلتو منذ البداية انه غريب عن التصاميم الهندسية المتيبِّسة في الكثير من العمارة الحديثة، وقال مرة ان "العمارة في ذاتها لا تبرز فعلا ما لم يكن الانسان هو محورها"، ولذلك، فانه قلما اعتمد، كسائر معاصريه، على الصلب والجص والاسمنت، بل شيَّد مبانيه من الخشب والاجر والرخام والنحاس والحجر، وكلها

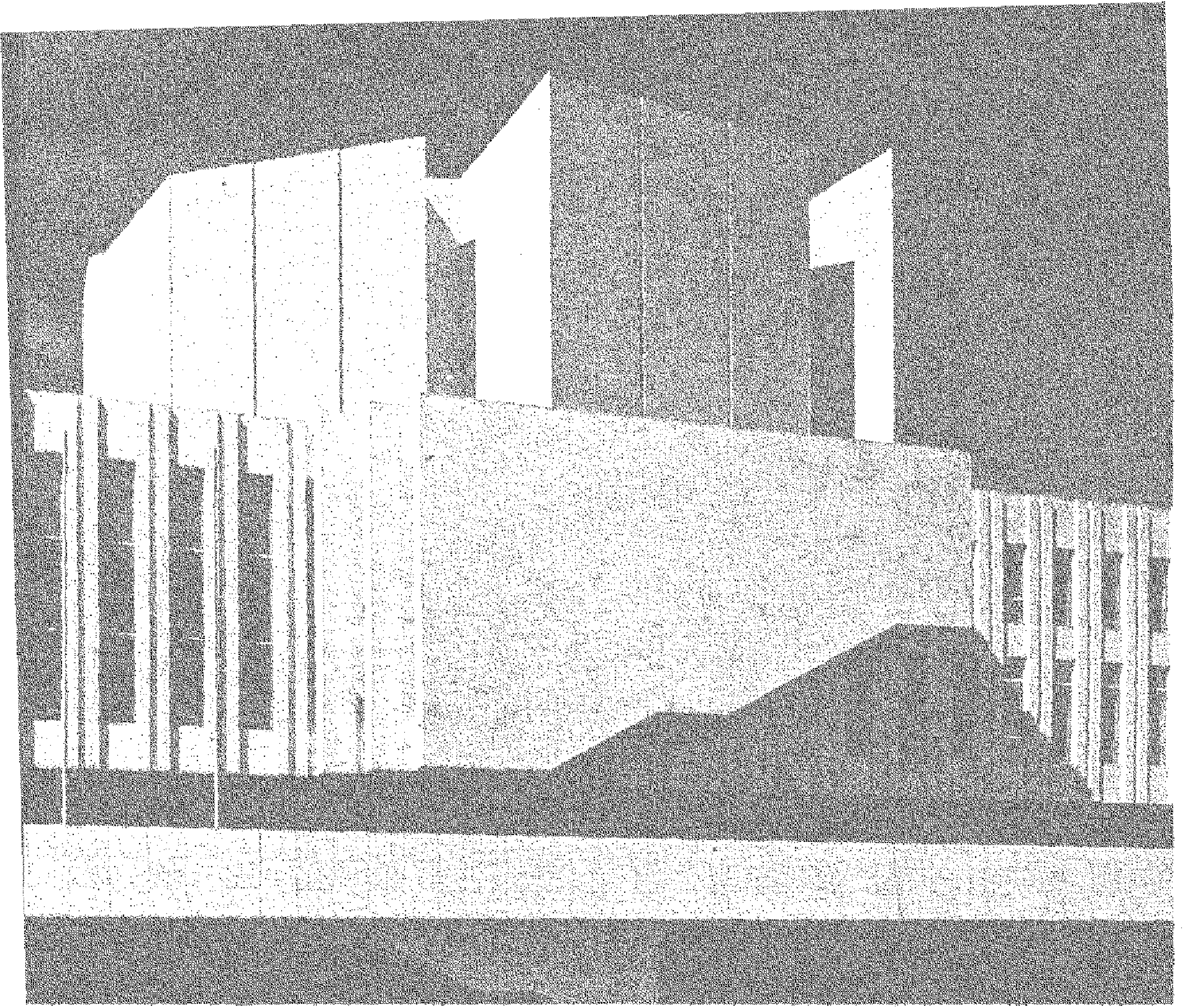
PHOTO: HEIKKI HAVAS THE MUSEUM OF FINNISH ARCHITECTURE



بيت ألتو الصيفي في موراتسالو .

مكتبة فيبوري .

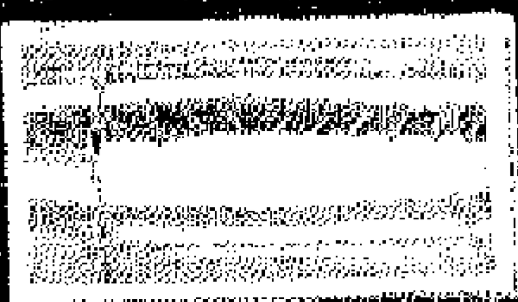
PHOTO: G. WEGLIN THE MUSEUM OF FINNISH ARCHITECTURE

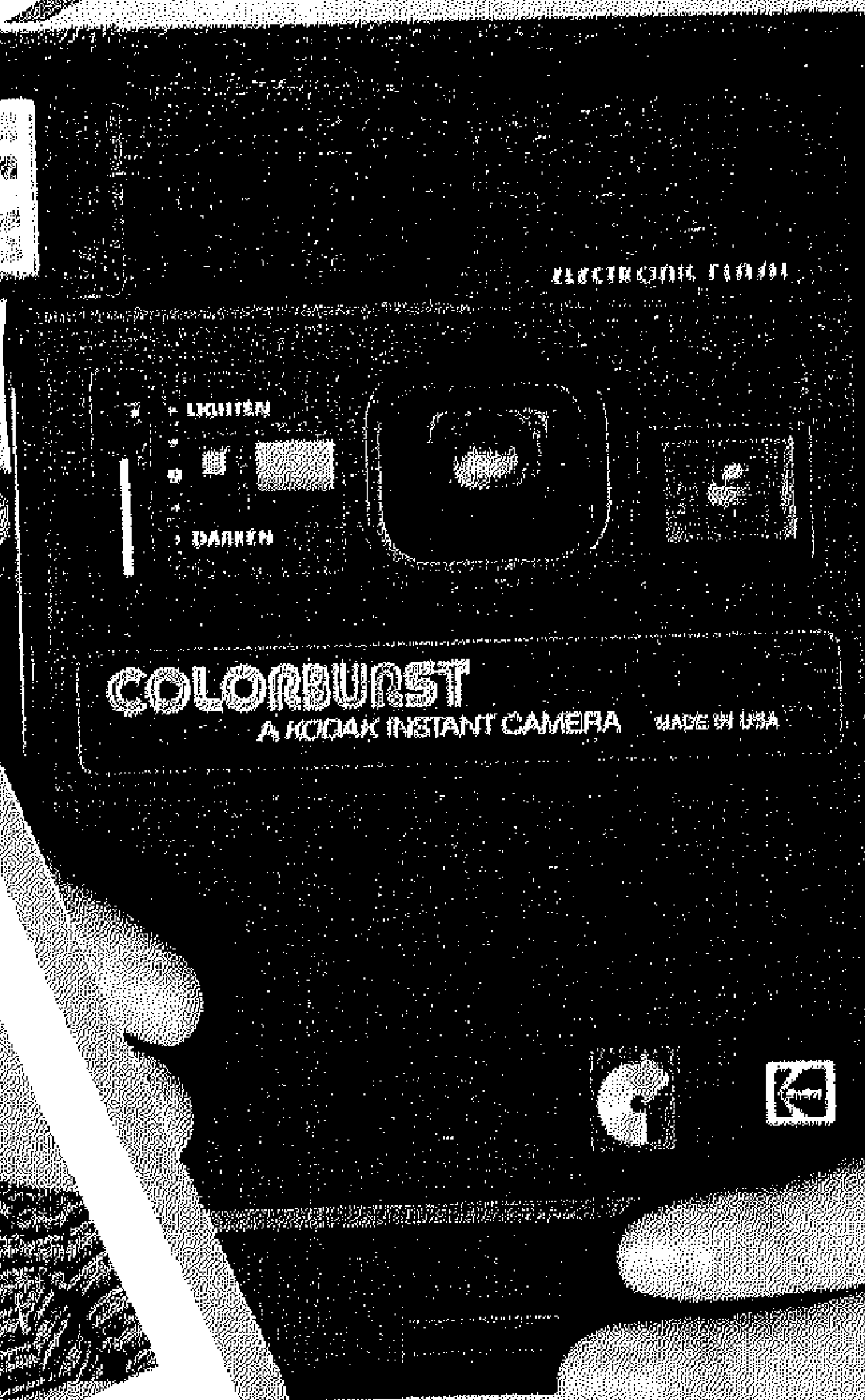


قاعة فنلنديا من الخارج .

مواد وثيقة العرى بالتجربة الانسانية . وانصبّ همه على شدّ الروابط بين الانسان والطبيعة ، فآثر الاعتماد على الاشكال الدائرية غير المنتظمة التي تعكس المناظر البيئية المترامية حولها . وقد ارتأى آلتو ان يزوّد المباني التي يصممها بجدران زجاجية ينبسط من خلالها النظر على مشاهد خضراء لم يتوقعها - حتى من الفناءات الداخلية - كما انه ركّز على انارة الاقسام الداخلية بالاضواء الطبيعية الغامرة التي تتدفق عبر الكوى السقفية او تتسلل في رقّة خلال الكوى الجانبية البارعة التركيب . ولقد كان الضياء والخضار ، بمقدار ما كان القرميد والخشب ، ميزات معظم مبانيه ، فكان له ، خلال حياته المهنية التي امتدت نصف قرن ، ان صمّم ما يزيد على ٢٠٠ بناء مذهلة الابتكار ، تراوح بين المصانع والكنائس ، فتركها ارثا قيّما وصفته "النيويورك تايمس" لدى وفاة المهندس العبقري ، بانه "بعض من أجمل الباحات في القرن العشرين" .

كولورباريست للتصوير الفوري







COLORBURST

كولورباريست
للتصوير الفوري
ألوان ساطعة من كوداك

ولد هذا المهندس المعماري الشهير سنة ١٨٩٨ من أب يعمل مسّاحا للاراضي وأظهر منذ صغره موهبة في الرسم، وفي ما عدا ذلك كان تلميذا وسطاً ليس بالجيد ولا بالرديء. وبعد ان ترك المدرسة التحق بالمعهد الفني في هلسنكي وتخرّج فيه مهندسا معماريا سنة (١٩٢١.

وكان أول عمل انطلقت به شهرة آلتو وضع تصميم لمصحّ السلّ في بيميو خلال عام ١٩٢٨. وقد اتبع آلتو في هذا العمل الاسلوب الدولي العقلي الخالي من الزخرف والذي يتمشى عليه لوكوربوزييه وكروبيوس وغيرهما، في ما يتلاءم مع موقع المصحّ الوحيد المبني في غابة فنلندية. ومع انه اعتمد على الاسمنت المسلح والجص والصلب والزجاج، الا انه وفق الى اقامة بناء من سبع طبقات بدا كأنه يتعانق مع الطبيعة. لكن آلتو اظهر قدرته المميزة في تصميم الداخل. وقال مرة في هذا الصدد ان مهمة المهندس المعماري هي "حماية الكائن البشري"، ومن هنا كانت الاضاءة الملطّفة غير المباشرة وكانت السقوف الرقيقة الالوان والجدران الكاتمة الصوت. وحتى ان المغسلة التي صممها آلتو كانت هي ايضا كاتمة للصوت بفضل تركيز الحنفية (الصنبور) بطريقة تجعلها تصب في زاوية حادة من الحوض. وقد تناول التصميم كل شيء، بما في ذلك مقابض الابواب التي تتناسب مع الايدي. وهو أبى استعمال انابيب الصلب والكروم الشائعة في ذلك الحين، مفضلا عليها الخشب الرقائقي المحلي وقضبان البتولا المنحنية.

وكانت النتيجة نجاحا باهرا. فقد اصبح لهذا الاثاث المريح والمبتكر شهرة عالمية، واستوحته التصاميم الفنلندية وبلغت بفضله جودتها حدودا اسطورية. وقال ناقد امريكي ببعض الحماسة: "اخلع معطفك وربطة عنقك ثم اجلس على مقعد من تصميم آلتو".

وبعد ذلك ذاعت شهرة آلتو، ولم تلبث ان اتسع نطاقها على المستوى العالمي بعد تشييد المكتبة الوطنية في فيبوري التي كانت احدى ضحايا القصف السوفييتي خلال عام ١٩٤٠. وقد اثار فنّ آلتو فضول طلاب العمارة واهتمامهم، سواء أمن ناحية الاسلوب او من جهة البناء نفسه. فخلافا لمعظم مهندسي العمارة، كان آلتو يضع مسودة تصميمه من دون استعمال ادوات القياس المألوفة لدى المهندسين كالمسطرة الطويلة والمثلث. وقال موضحا ذلك: "انا ارسم بالفطرة ما يكون احيانا اشكالا طفولية، وبهذه الطريقة تتخذ الفكرة الاساسية شكلها النهائي بالتدريج". وقد اهتدى آلتو الى وضع التصميم المدرّج لمكتبة فيبوري بعدما رسم شتّى المسودات الحافلة بمختلف انواع المناظر الجبلية الرائعة مع المنحدرات المغمورة بأشعة الشمس. وكان غرضه من ذلك المحافظة على انسجام البناء، أيا تكن المضاعفات التقنية الواجب حلها.

المشاريع تنقذه — وكان آلتو في حال ابتكار دائمة. وكان اصحاب المطاعم يرتاعون منه بسبب دأبه على "تزيين" اغطية الطاولات ولوائح الطعام، أو أي شيء يقع في متناوله،

بالافكار الجديدة التي تتراءى له وهو هناك. وكثيرا ما كان البناؤون ينفد صبرهم بعد طول انتظار فيضطرون الى استدعاء هذا المهندس المعماري الظريف البارع من المطاعم حيث يطيب له الشراب، لاتمام تصاميمه. وغالبا ما كان يستيقظ وسط الليل ويجلس الى طاولة الرسم وهو في ثياب النوم. وقلما كان يقابل الاشخاص البارزين الذين يقصدونه في فنلندا. وعندما طلب منه مرة ان يلقي محاضرة خارج فنلندا، رد قائلا: "كيف استطيع أن اغادر فنلندا في الصيف، وانا مغرم بها". وكان يكره الرد على الهاتف او كتابة الرسائل، وقلما اجرى محادثات صحافية معللا ذلك بأن مبانيه تعبر عن كل شيء يود ان يقوله.

وقد وجد آلتو في عمله اخلص منقذ له في اسوأ ازمة عرفها في حياته، عندما توفيت زوجته اينو، زميلته في فن العمارة، سنة ١٩٤٩، فبلغ به حزنه اعماق اليأس. ولكن سرعان ما تحدّته المشاريع الجديدة فانتشلته من الهاوية. ثم جاء زواجه الثاني بالمهندسة المعمارية الشابة اليسا مايكنيمي التي كانت تعمل في مكتبه، فانتعشت ثقته بمهنته من جديد. ولم تنقض بضع دقائق على زواجهما المدني حتى سارع آلتو الى عمله وبنى بيتا له محاطا بالمياه ومضاء بالكيروسين (الكاز) ليستمتع فيه بطعم الراحة والاستجمام بعيدا عن مكتبه في هلسنكي. ولم يكن هذا المنزل بيتا عاديا على الاطلاق، لكونه هو نفسه المهندس وصاحب الدار معا، فقد جعل من جدرانه فسيفساء مرصوفة بشتى انواع القرميد والآجر الخزفي.

ووضع آلتو تصميما لمركز مدني رائع على مقربة من خلوته في قرية سايناتسالو الصغيرة وسط فنلندا، واعتمد في بنائه على القرميد والنحاس والخشب. ويبدو البناء من الخارج كأنه خليط عشوائي من الاشكال الهندسية غير المنتظمة. لكن عدم الانتظام والتناسق هنا كان امرا مقصودا. فقد اقيمت اقسام المركز حول فناء مرتفع تفصل بينها ثغرات تتيح التمتع بالمناظر الطبيعية الممتدة عبر الغابات والبحيرات. واذا ما طاف المرء في هذا المبنى تبدّت له الاشياء كأنها في تغيُّر مستمر كلما انتقل فيه من مكان الى آخر. وقد جاء رصف القرميد والخشب على نحو يجعل من البناء مقطوعة شعرية منظومة حول اطار الغابة ترصّعها الحدائق الغنّاء الداخلية. وعندما اذن اصحاب الرأي في سايناتسالو بوضع مصابيح كهربائية تضاء بغاز النيون امام المركز الذي اقامه آلتو، سارع هذا الى التجذيف بزورقه عبر البحيرة وراح يرجم المصابيح بالحجار حتى حطمها كلها.

وقلّما كان آلتو يظهر في المناسبات العامة، لكنه اذا ما حضرها كان أنيق الملبس، متحفظ الرأي، حاد اللسان. الا انه كان في الوقت نفسه يطفح وداً وحرارة كثيرا ما اذهلا اصدقاءه، وقد علق احدهم على ذلك بقوله: "ان آلتو يحملك دائما على الشعور بأنك اقدر مما انت واغنى".

لقد كان آلتو متجردا فعندما

شاء يوناس كوكونن، المؤلف الموسيقي الفنلندي المعروف، ان يضع آلتو تصميما لمنزل له، قصد مترددا صديقه القديم لعلمه بانه يفضل المباني العامة وقال له: "هل يستطيع الرجل العظيم ان يستغني عن أحد معاونيه؟" فأجابه آلتو ساخطا: "هذه ليست مهمة يتولاها معاون. اي طريق تسلك للدوران حول البيانو؟" ومن ثم صمم آلتو البيت الذي بدا كأنه يدور حول البيانو، وزوّده بكل ما تستلزمه حاجات كوكونن الايحائية من هدوء وسكينة وسماء وقمم أشجار. وسأله كوكونن: "ما هي كلفة اتعابك؟" فأجاب آلتو: "ثلاث فاصلات موسيقية". وردّاً للمعروف وضع كوكونن لحنا موسيقيا للفيولنسيل واهداه الى المهندس المسن. ويستعيد كوكونن هذه الذكرى ويقول: "كيف استطيع ان اتصور آلتو قد فارق الحياة؟ فهو يحيا ليس فيّ وفي موسيقاي فحسب بل في كل انحاء فنلندا".

ولقد شغل آلتو مركزا قوميا يتمتع به عادة كبار الكتاب والقادة السياسيون والملوك، واطلق عليه ابناء قومه المخلصون لقب "المعلم"، وكانت الطائرات تنتظره في أرض المطار، اذا هو تأخر عن الموعد المضروب، كما كانت سيارات نقل السياح تقف امام منزله في هلسنكي بينما يتعالى صوت الدليل في اعتزاز: "هنا يعمل الفار آلتو".

اما في ما يختص به شخصيا، فلقد كان آلتو ذلك الخيميائي الذي يحاول "ادخال بصيص من النور في نفس البشرية التاعسة". وكان آلتو يجد في ذاته ما يلزم من الهمة والقوة لمواصلة اعماله الابداعية من أجل بلده، ولم تكن من اقلّها تلك القاعة الفنلندية الرائعة التي قيل عنها انها "واحد من أجمل الاعمال التي جاءت بها هندسة العمارة الحديثة في العالم".

وقال مرة الرسام الفنان خوان غريس: "اعطني غصنا لاستقر عليه فأغرّد كالعصفور". ولعله كان يتحدث بلسان آلتو اذ ان فنلندا كانت هي الغصن وأعمال آلتو كانت هي التغريد.

■ موريس شادبولت



ملكية خاصة

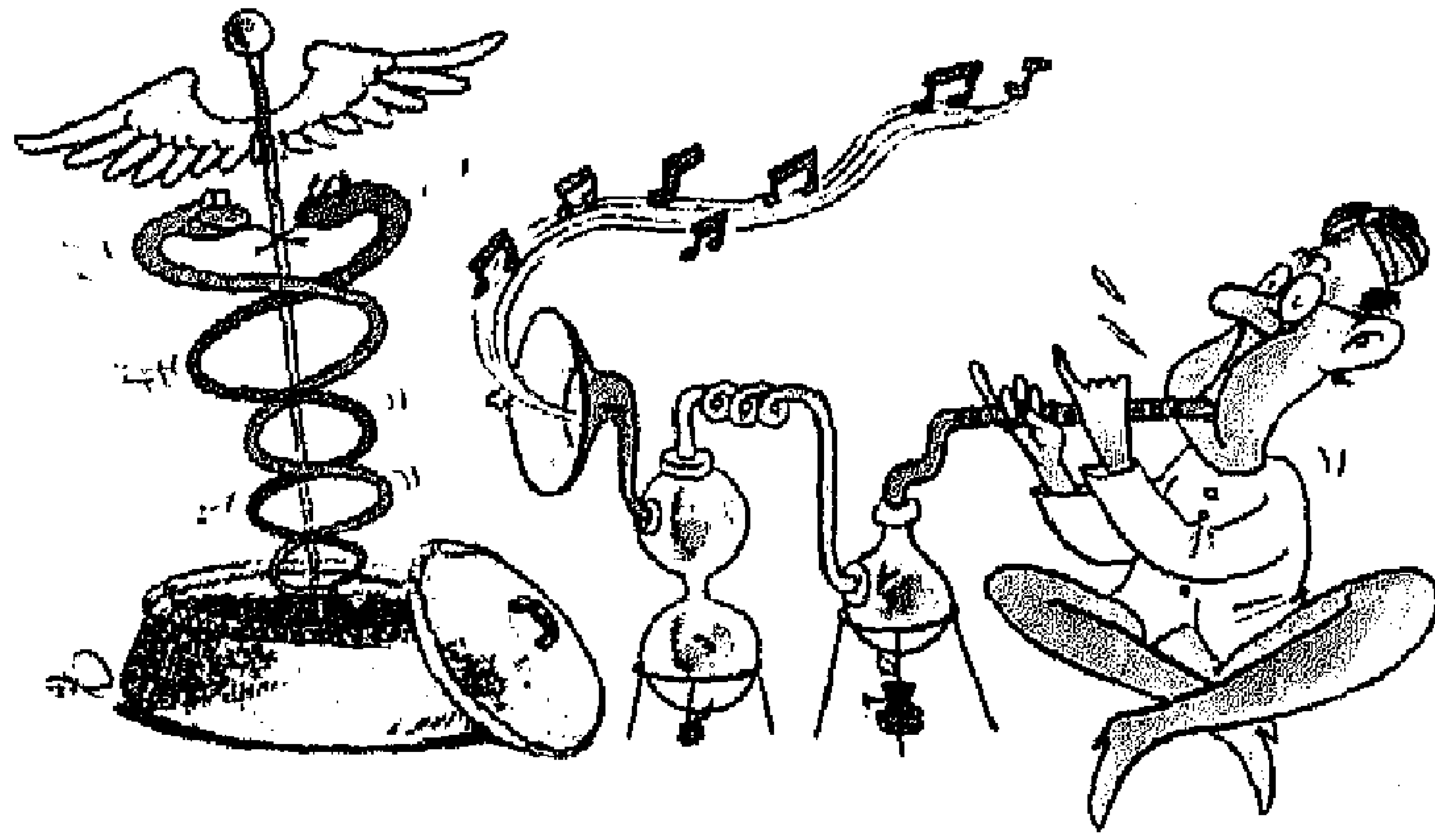
يجب ان تكون للفستان الجميل مزايا بوابة حديقة: حماية الملكية من دون حجب مجال الرؤية.

اناتول فرانس

ذوق حسن

ردت الكاتبة الفرنسية الكبيرة كوليت على الرأي القائل بأن رجال اليوم اقل ذوقا مما كانوا عليه، بالآتي: "انكم تغالون. فامس شاهدت احد سكان بنايتنا يسند زوجته بذراعه بينما كانت تحمل سطل النفايات لرميه".

م. ر



اصداء من عالم الطب

الموسيقي اطول عمراً

اكدت دراسة شبه طبية الظنون التي خامرت عشاق الموسيقى طويلا ان قادة الفرق الموسيقية يتمتعون بأعمار اطول من المعدل. فالعبقري ارتورو توسكانيني، على سبيل المثال، ظل محافظاً على حيوتيه حتى بلغ التسعين. وبقي ليبولد ستوكوفسكي يقود فرقته عندما بلغ الخامسة والتسعين.

وقد اختار هاوي السيمفونيات، الدكتور دونالد اطلس من لاجولا في كاليفورنيا، عينة عشوائية تحتوي على اسماء ٣٥ قائد فرقة موسيقية متوفين وبعد التدقيق وجد ان متوسط اعمارهم بلغ ٧٣،٤٣ سنة، وهو ما يزيد قرابة خمسة اعوام على متوسط عمر الرجل الامريكي.

لماذا؟ يناقش الدكتور اطلس في المجلة المختصة "منبر الطب" نظريتين: الاولى ان قادة الفرق يتمتعون باحساس غير عادي باشباع الذات، وينتعشون بتقدير المستمعين لهم، كما انهم ذوو نشاط وذكاء فائقين. وكانت الابحاث الطبية السابقة قد اقرت باهمية هذه العوامل النفسية ـ الطبية في اطالة العمر. اما النظرية الثانية فتقول ان قادة الفرق يكثرون من تحريك اذرعهم في اثناء التمارين والحفلات مما ينشط القلب والجهاز الدموي.

أ.ب.

الغذاء والطاقة

في الولايات المتحدة ١١٠ ملايين شخص بالغ يعانون السمنة. ويتجاوز مجموع ما يكتنزون من وزن زائد مليار كيلوغرام. ويقول عالمان من جامعة الينوي (في اوربانا) ان هؤلاء لو اتبعوا نظاماً غذائياً للوصول الى متوسط الوزن الطبيعي فانهم سيوفرون على البلاد في السنة الاولى ستة الاف مليار سعرة حرارية (اي ما يعادل ١٢ مليار قطعة همبرغر او ٤٥ مليار كأس من المارتيني او ٢١ مليار قطعة من الحلوى. واذا واظب هؤلاء على نظامهم الغذائي فستوفر البلاد ثلاثة الاف مليار سعرة حرارية كل سنة.

ولو ترجمنا هذه المليارات من السعرات الحرارية الى وحدات من الوقود المستخرج من الارض (مستندين الى كمية الطاقة اللازمة لانتاج سعرة حرارية من المواد الغذائية، فان تقليل كمية الغذاء على هذا النحو في السنة الاولى يعني توفير ٤،٩ مليارات ليتر من البنزين (الغازولين) ونحو ٢٨٤٠ مليون ليتر كل سنة لاحقة.

ج.ب.

مجتمع الحشرات

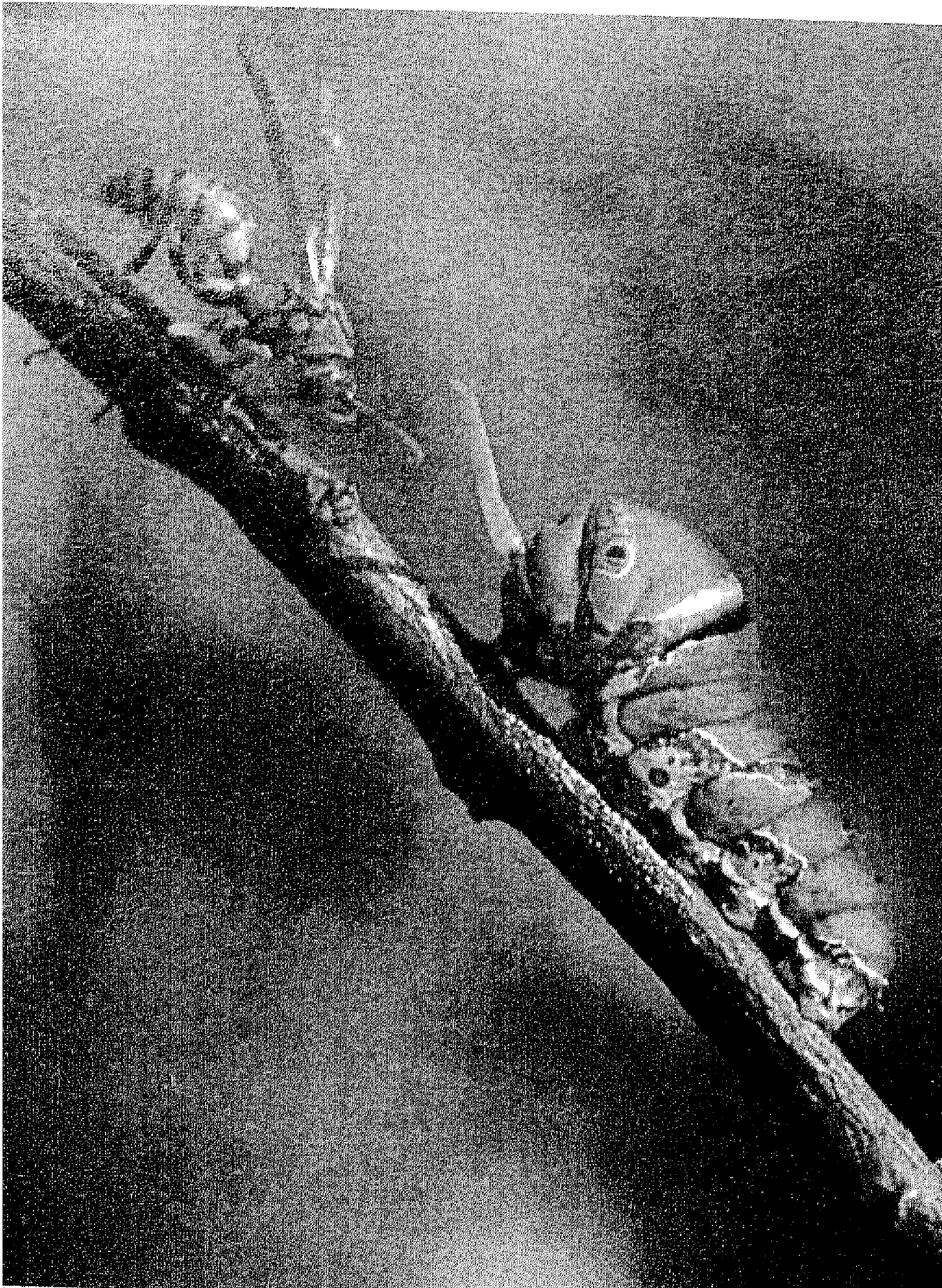
اختصاصي في علم الحشرات من تايوان يكشف بعدسة كاميرته دنيا قلّما رآها الناس

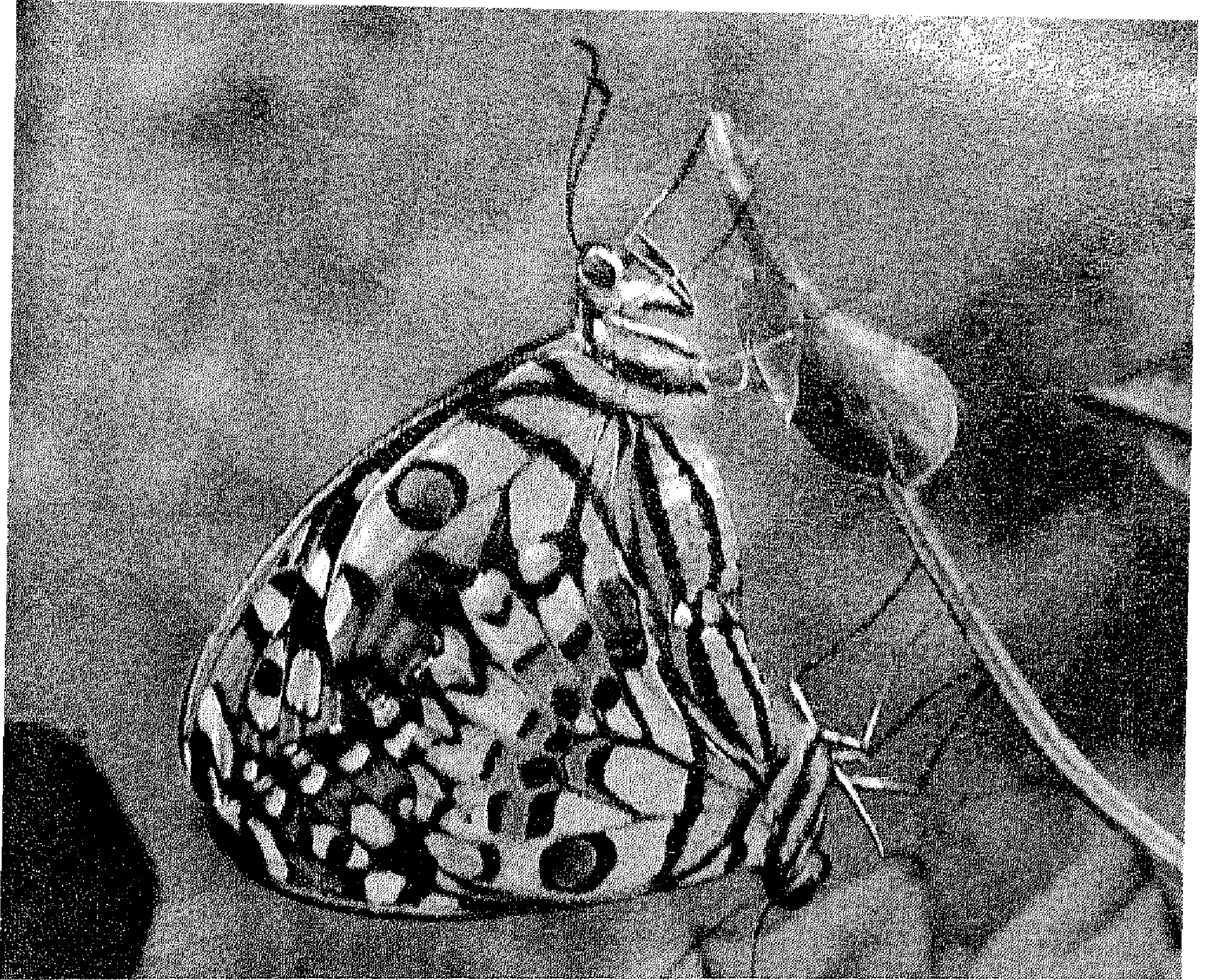
اذا حدث لك مرة أخرى ان مررت بحشرة ولامستها قدمك او داستها باخمصها، فتوقف قليلا وفكر، فلعلك تكون سحقت مهندسا بارعا او ابا مخلصا او استاذا في فن التمويه او عاشقا من اعظم العشاق في العالم.

فالدكتور لي سونغ يانغ، الاختصاصي في علم الحشرات في تايوان والذي يبلغ السادسة والخمسين من العمر، يذهب بنا في رحلة مذهلة عبر ذلك العالم الدقيق الاوصاف الذي تعيش فيه مجتمعات الحشرات. وقد انتج عن هذا العالم شريطا تثقيفيا بعنوان "الاحداث الخفية" نال عام ١٩٧٧ ثناء جمعية التصوير الفوتوغرافي في مهرجان



لي سونغ يانغ وزوجته مانلي.





فراشتان من نوع "بابليو نيد" في وضع مشكالي تختلط فيه الالوان ما ان تتغير اوضاعهما، وهما تتزاوجان على غصن صغير. ويكمن سر الحصول على مثل هذه الصور في طول الاناة الذي يقاس بالسنوات اكثر مما بالدقائق.

الافلام الدولي في امريكا. فقد تمكن الدكتور لي، في مدى عشر سنين من تجميع ما اصبح الان "فيلما ملحميا".

نشأ الدكتور لي في مزرعة ابيه في تايوان، ودرس امراض النباتات في اليابان قبل ان يعمل في معهد البحوث الزراعية في تايوان حيث وجد نفسه، على غير انتظار، في ادارة علم الحيوان الاقتصادي. وهو يقول في ذلك: "كان المكان مليئا بمخلوقات ضئيلة قبيحة: من حشرات اليسروع القارضة والمكسوة بالشعر الى الديدان البغيضة التي تثير الاشمئزاز، فالى مختلف انواع البق الكريهة. غير اني تمكنت بمرور الوقت من تحمل محنة معايشتها، بل واكتشفت ان الرائحة الكريهة المنبعثة من البق الاخضر قد تصبح بعد تخفيفها، باضافة الماء اليها، شبيهة برائحة العطر الفرنسي".

وكانت حماسة لي الحديثة العهد للحشرات تقترن باهتمام طويل الامد بالتصوير الفوتوغرافي. وكان البحث الذي يقوم به في المعهد يتناول تأثير المبيدات على بعض الحشرات، فأخذ يصور ذلك بعدسات الالتقاط الساكن والمتحرك، فأثار الامر اهتماما كبيرا من جانب شركات انتاج الكيميائيات.

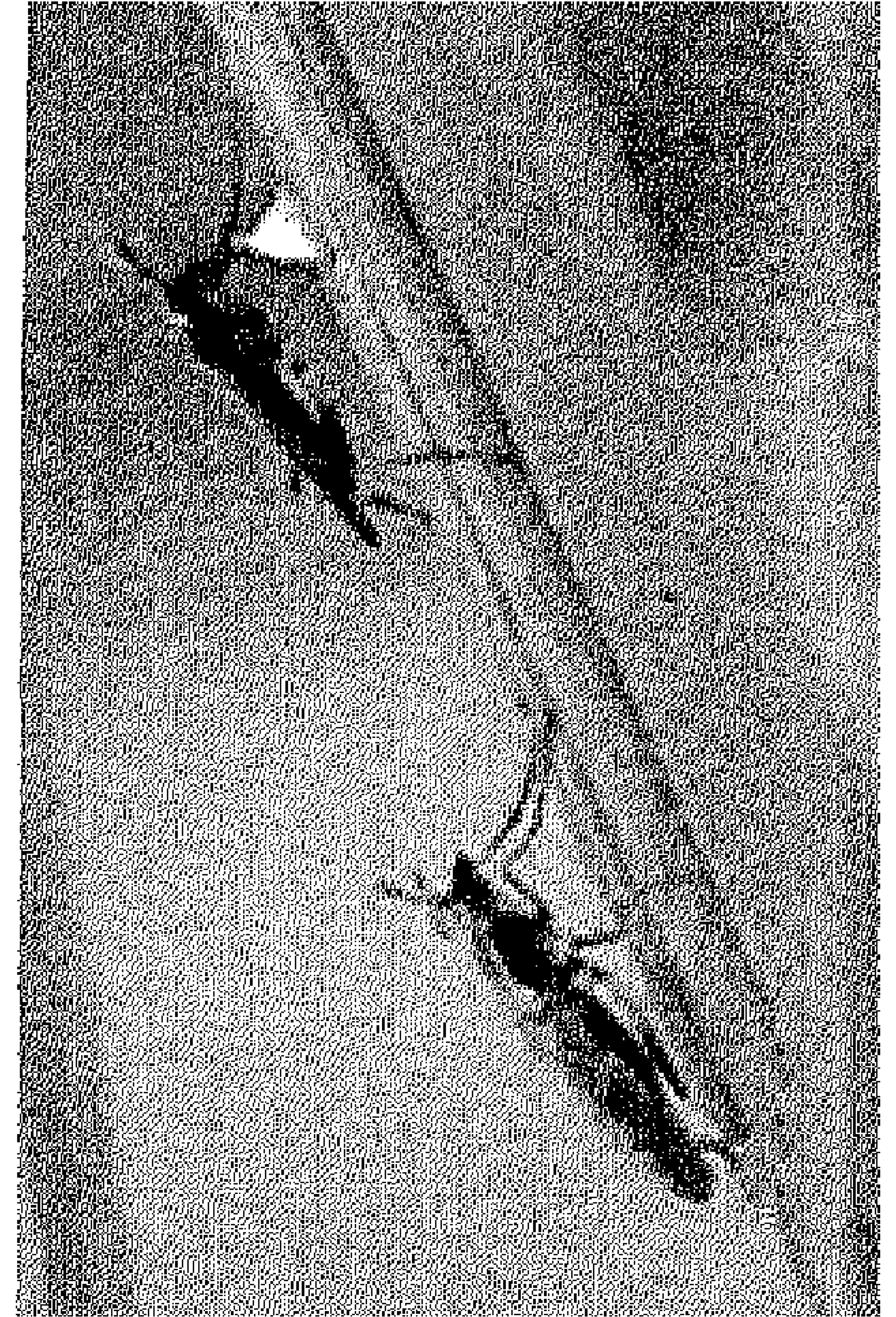
وعام ١٩٦٧، دفعت له احدى تلك الشركات مبلغا من المال في مقابل تصوير شريط تثقيفي قصير عن حشرات الارز. وعلق هو على ذلك على سبيل الدعابة: "ولماذا لا اصنع فيلما عن الطبيعة شبيها بفيلم والت ديزني الشهير "الصحراء الحية؟"

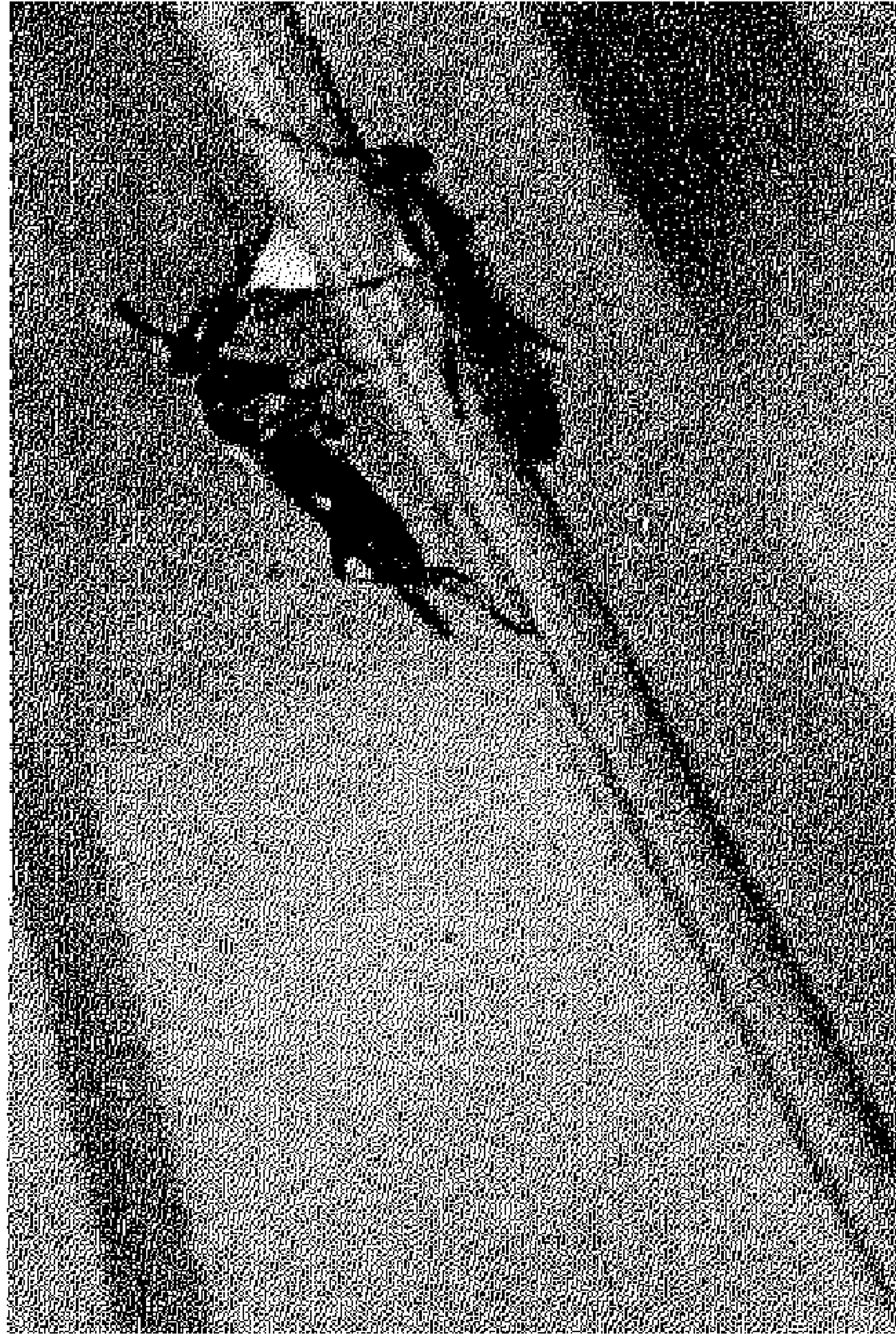
حياة الحشرات — ولم تلبث هذه الفكرة ان ملكت عليه حواسه. وكان مفهومه لها منذ البداية ان يصوّر مراحل حياة الحشرات بكاملها، فبدأ بتصوير مختلف الطرق التي تتبعها في الحصول على غذائها وتناوله، ثم انتقل الى التركيز على اساليبها في الدفاع عن النفس والتزاوج ورعاية الصغار. فبعض الزنابير، مثلا، تهتم برعاية صغارها باساليب مفصلة ومعقدة. ويشير لي الى ذلك بقوله: "انها تذهب الى حد تكييف هواء العش عن طريق الترويح باجنحتها عندما يكون الجو حارا، ولا يقف عنفها عند حد لطرد الدخيل الذي يجرؤ على الاقتراب منها".

وهو وقف ذات مرة مأخوذا يراقب زنبورا وهو يقتل احدى الحشرات اليسروعية ويمضغها حتى يهرمها ويقدمها وجبة طعام لصغاره.

وكان لي يقيم في ضواحي العاصمة تايبيه عندما انتج شريطه. اما الان فهو يعيش في ووفينغ في مقاطعة تايتشونغ، ولم تكن لديه سيارة ينتقل بها الى الريف لجمع الحشرات او تصويرها، فكان يضطر الى خوض غمار الازدحام في الحافلات ووسائل

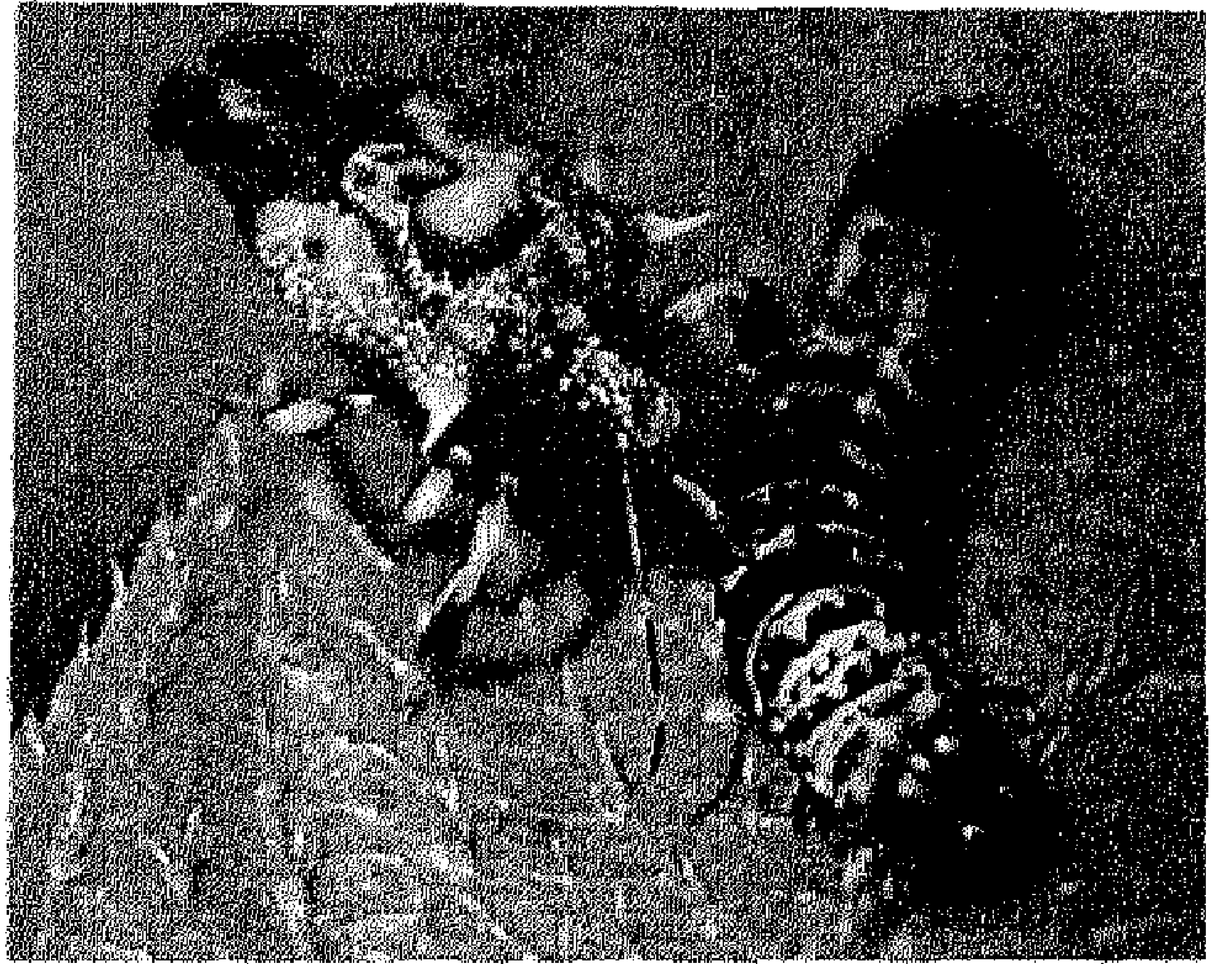
استعدادا للتزاوج، يقوم ذكر ذبابة "سيومايزيد" باعداد "كعكة الزواج": كرة بيضاء من الزبد المستمد من افرازات جسده، وذلك بعد ان يكون الزوجان قد عبرا عن رغبة الجماع عن طريق الاشارات المتبادلة بساقيهما الاماميتين.


الذكر يجهز "كعكة الزواج".


عندما تبلغ الكعكة حجما مناسبا، يتحرك الذكر الى الجانب الاسفل من ورقة الشجرة ليفسح مكانا للانثى.


وبينما تقوم الانثى بالتهام الكعكة، يتحرك الذكر الى وضع الجماع.

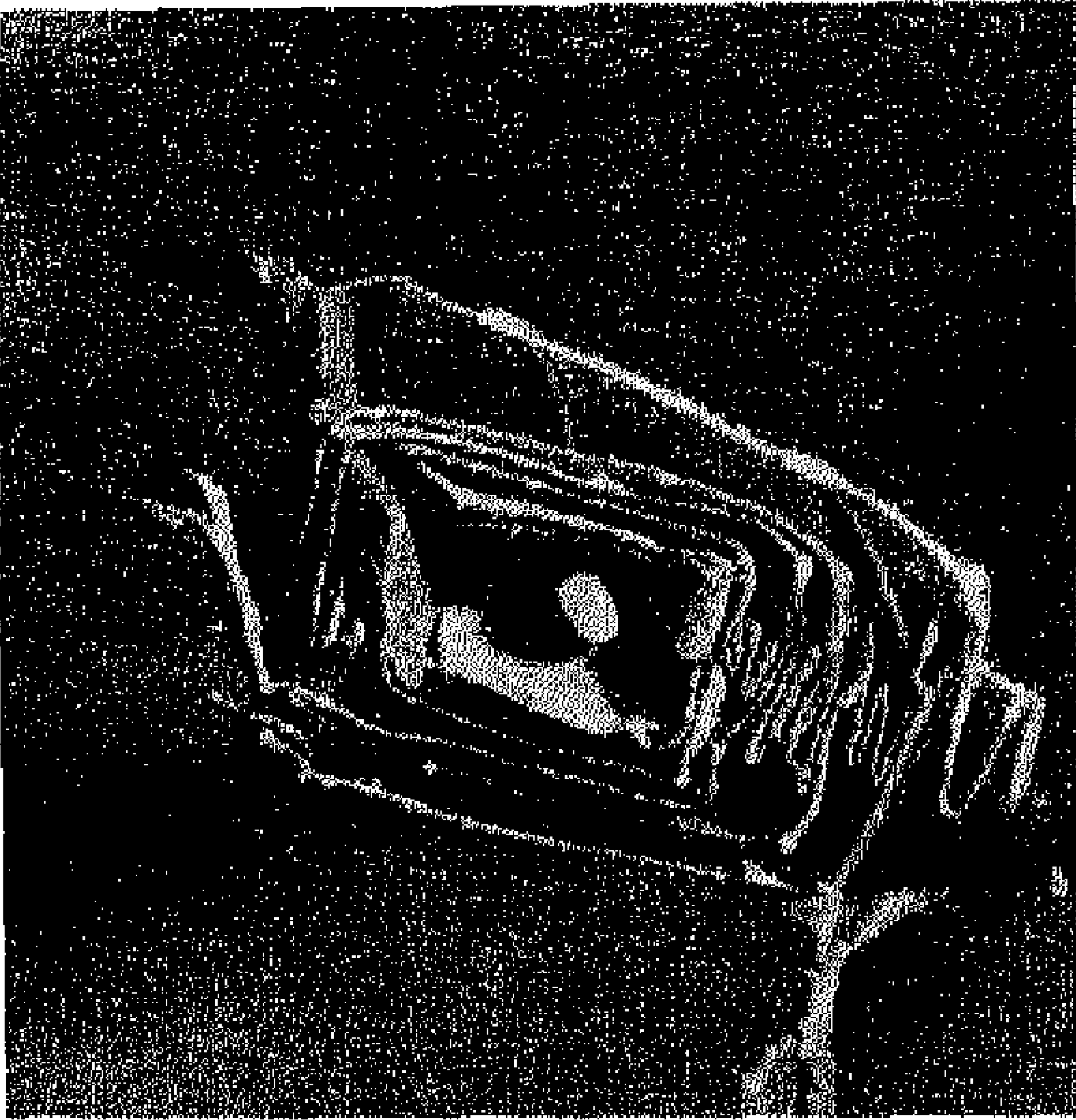
استخدم خمسون "فلاش" في جهاز تصوير في فترة محدودة لابراز هذه اليراقة وهي تبحث عن زوج في الليل·



ان الكثير من انواع البق الكريه الرائحة يتغذى بالنباتات، ولكن هذا النوع (الى اليسار) ليس منها: فهو يقتل حشرة اليسروع بامتصاص عصارتها الحيوية باجزاء فمه الحادة·

انثى احد انواع البق (الى اليسار) وهي تضع شلالات متساقطة من البيض الذهبي البراق على نصل من ورقة النبات·





انثى حشرة "الاتلابيد"، او حفار المهد (الى اعلى)، وقد انفقت ساعتين كاملتين في قطع هذه الورقة وثنيها ولفها. وفي منتصف عملها، توقفت واحدثت ثقبا وضعت فيه بيضتها ثم واصلت لف الورقة وبرمها لتجعل منها حزمة اكثر احكاما، فتصبح بذلك شرنقة مثالية واقية من جميع المؤثرات الجوية.

عندما تقطع الورقة، تكشف كبسولتها عن البيضة الوحيدة الموجودة في وسطها.

المواصلات العامة وسط الحشود المتصارعة التي تريد الخروج من المدينة في عطلة نهاية الاسبوع.

ولكي تتيسر له اللقطات التفصيلية، لجأ الى فن" في اقصى حديقة بيته فحوله الى ستوديو ارتجالي للتصوير، وراح يعمل فيه تساعده زوجته مانلي، لفترات تمتد" احيانا ٥٠ ساعة متواصلة في الفترة الواحدة، وهما يحاولان اغراء الحشرات وحثها على القيام بادوارها.

وقد ساعده في مهمته ايضا ان بعض الحشرات تتميز بتوقيت بيولوجي بالغ الدقة يتيح التنبؤ بمواعيد وقوع الاحداث الحاسمة في حياتها. فقد لاحظ مثلا ان ثمة انواعا من فراش اليسروع تبدأ في الخروج من شرانقها قرب منتصف الليل، في حين ان الحشرات الشبكية الجناح تضع بيضها بانتظام عند غروب الشمس. وكان لي انفق كل مدخراته على مشروعه، فضلا عن ارتفاع اسعار الافلام، فاضطر الى ضغط اوقات التصوير بحيث حدد بالثواني الوقت الذي يجب ان يستغرقه التقاط الصور.

وكلما تقدم لي في عمله تزايد تقديره لعالم الحشرات وقد انتهى به الامر الى القول: "لقد اصبحت الان امتنع عن قتل اي شيء على الاطلاق، وان وجدت النملة تعبث في السكر الذي اضعه في قهوتي فانني ساتركها وشأنها".

ولكن، اليس هناك تناقض بين هذا القول ومهمته في مجال مبيدات الحشرات؟ يقول لي في ذلك: "ان هدفي الاساسي هو معاونة الناس في الحصول على غذاء افضل والتمتع بصحة أسلم، ولا بد من التضحية ببعض الحشرات لتحقيق هذا الهدف، وانما لا يجوز ابادتها".

يتحدث لي عن فيلمه التثقيفي المفعم بالحيوية، فيقول: "نحن الصينيين نلاحظ ان النمور، عندما تموت، تترك وراءها جلودها. وانا اعتبر ان هذا الفيلم هو بمثابة جلدي الذي يتيح لي ان اترك لهذا العالم شيئا نافعا عندما افارقه".

■ تيموتي غرين

نوستا العزيزة

يروي روي اندريس دو غروت حادثا حصل معه حين دخل مطعما في مدينة البندقية مع كلبته نوستا. فقد اختار طاولة على شرفة مسقوفة تطل على قناة. وجاء النادل يسجل طلباته، ثم قال: "وكلبتك يا سيدي، ماذا تحب ان تأكل؟"

حاول دي غروت ان يتملص منه ولكن بلا جدوى. اذ لم تمض بضع دقائق حتى عاد النادل بمنديل بسطه على الارض امام الكلبة، وبدأت الاطباق تتوالى:

طاس فضي فيه مرق لحم يفتح شهية نوستا، تلاه طبق فضي مليء بالمعجنات، واخيرا قطع مقلية من شرائح اللحم تغطيها طبقة زبدة سائلة. وبالطبع، اقبلت نوستا على ذلك كله بنهم. وحين انتهت من وجبتها جاء النادل يمسح فمها بالمنديل.

ويختتم دو غروت روايته بالآتي: "شربت قهوتي وطلبت قائمة الحساب، فاذا بكلفة غدائي تعادل ألف لير ايطالي وغداء نوستا ما يقارب الالفي لير.

(صحيفة "اسكواير")

كتاب الشهر

الممرّ السرّي الى بكين



ملخّص من كتاب

"سنواتي في البيت الأبيض...

بقلم هنري كيسينجر

١٢٥

الممرّ السرّي الى بكين

بعد فترة وجيزة من انتخاب ريتشارد نيكسون رئيسا للولايات المتحدة الامريكية عام ١٩٦٨، عين هنري كيسينجر مستشارا للرئيس لشؤون الامن القومي. كان كيسينجر نفسه اكثر الناس دهشة وهو يقول معلقا على ذلك: "لقد قضيت عشر سنين مدرسا في جامعة هارفرد حيث الاستهانة بريتشارد نيكسون هي القاعدة المشتركة بين اعضاء هيئة التدريس. وكان ابعد الناس اثرا في حياتي رجل هزمه نيكسون مرتين في السباق على الترشيح للرئاسة هو نلسون روكفلر". وفضلا عن ذلك، فان خبرة كيسينجر في العمل الحكومي لم تتجاوز مهمتين استشاريتين قصيرتي الامد اسندتا اليه في اثناء رئاسة دوايت ايزنهاور ورئاسة جون كينيدي. وعلى رغم ذلك قدر لآرائه ان تكون خلال سنوات قليلة عاملا حاسما في صياغة سياسة خارجية امريكية جديدة. لم يثق نيكسون بوكالة المخابرات المركزية (السي - آي - اي) ولا بوزارة الخارجية، فعمل على ان يصبح البيت الابيض (مقر الرئاسة) تدريجا مصدر القرارات في مجال السياسة الخارجية، ومن ثم صارت المسؤولية المطلقة عن هذه القرارات تقع على عاتق الرئيس وعاتق هنري كيسينجر. انتهز كيسينجر هذه الفرصة الفريدة ليوجه الاحداث في العالم. وبرزت ذروة جهوده في الخطوات السرية الدقيقة التي فتحت الطريق امام سياسة الانفتاح على الصين الشعبية. وفي ما يأتي مقتطفات من مذكراته التي طال انتظارها: "سنواتي في البيت الابيض"، تحكي قصة ذلك الانجاز الضخم ويرويها الرجل الذي تولى تخطيطه وتنفيذه.

عندما انتهينا من صياغة البيان حول زيارتي السرية للصين في يوليو (تموز) (١٩٧١)، علق رئيس الوزراء الصيني شو ان لاي، على ذلك بقوله ان الاعلان عن الزيارة سيهز العالم. وهو كان على حق. فلم يعتبر البيان حدثا مثيرا لاجهزة الاعلام فحسب، بل هو غيّر بنية السياسة العالمية. فبعد عشرين عاما من العزلة خطا مبعوث امريكي على أرض الصين الغامضة ممهدا الطريق لزيارة رئيسه.

كان الامر مفاجئا ومثيرا للدهشة، لكنه جاء ذروة جهد ٣٠ شهرا من الاعداد الصبور المتأني.

لم يسبق لنا أن تصورنا الوفاق ممكنا، بل كنا مقتنعين بأن الصينيين أهل تعصب وعداء. الا اننا على رغم عدم استطاعتنا في البداية رؤية وسيلة للتفاهم مع الصينيين فان الايمان بأهمية الانفتاح على الصين الشعبية كان رسخ في نفس الرئيس نيكسون وفي نفسي انا كذلك.

وقد ساعدتنا الاحداث، لكني أشك في امكان تحقيق تقارب الى هذا الحد مع الصين في ظل أي رئيس آخر. لقد تميز نيكسون بغريزة فريدة تدفعه الى تحديد ما هو جوهري وحيوي والى التمسك به. لم تهمه الوسائل أو دقائق الامور بل كان النقاش حول تفاصيل التنفيذ يزعجه بالفعل. واذا اتخذ قرارا سياسيا فغالبا ما كان يترك لي أمر تنفيذ الاستراتيجية. بيد ان تصميمي كثيرا من الخطوات التي اتخذت، لم يمنحني القوة السياسية الكافية كي أتابع بمفردي هذا التغيير الجذري في سياسة البلاد.

تفهم نيكسون بعمق جوهر تلك الفرصة المتاحة وبذل جهده بصبر ومثابرة من أجل تحقيقها. ونظرا الى استناد قاعدته السياسية الى اليمين، فقد حماه ذلك من تهمة "التساهل مع الشيوعية". وكان أسلوبه في الادارة والحكم ملائما للتكتيكات السرية التي استوجبتها تلك السياسة.

والحق ان جميع الافكار حول التقارب بيننا وبين الصين - أيا تكن مبرراتها - لم تتعد، عندما تسلمت الحكومة الجديدة الحكم، كونها نظريات غامضة. لقد انقضى عشرون عاما كاملا من العزلة الفعلية والحرب العقائدية بين البلدين، شهدت عليها حرب كوريا المريرة حيث استعر القتال العنيف بين الامريكيين والصينيين. وجرت بين البلدين محادثات ثنائية بدأت في جنيف عام ١٩٥٤ بين موظفين قنصليين من الولايات المتحدة ومن جمهورية الصين الشعبية، ثم رفعت الى مستوى السفراء عام ١٩٥٥ ونقل مقرها الى فرصوفيا (وارسو) عاصمة بولونيا. وفي ١٠ سبتمبر (أيلول) ١٩٥٥، تم التوصل الى اتفاق لتبادل الاسرى كان الانجاز الوحيد في ١٣٤ اجتماعا عقدت بين عام ١٩٥٤ وعام ١٩٦٨. كان اتفاق اعادة المواطنين الى بلادهم هو الانجاز الملموس الوحيد الذي تحقق.

ظهرت أول بارقة أمل في أعقاب أحداث ٢١ أغسطس (آب) ١٩٦٨، وأعني بها الغزو السوفييتي لتشيكوسلوفاكيا. فخلال الاحداث العنيفة التي جرت عام ١٩٥٦ في بولونيا والمجر، حاول الصينيون

الالتزام بدور الوسيط، لكن موقفهم هذه المرة كان ادانة صريحة قاسية الالفاظ للاتحاد السوفييتي. وفي ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٨، بعد ثلاثة اشهر من الغزو السوفييتي لتشيكوسلوفاكيا، وبعد الانتخابات الامريكية مباشرة، اقترحت بكين عقد اجتماع آخر في فرصوفيا في ٢٠ فبراير (شباط) ١٩٦٩.

لم يكن هناك مجال للشك في أن الاتحاد السوفييتي بدأ يشكل المصدر الرئيسي للقلق من وجهة نظر السياسة الخارجية الصينية. فقد ساد مناطق الحدود الصينية - السوفييتية نوع من التوازن العسكري ظل قائما حتى اوائل ١٩٦٦ عندما بدأ السوفييت ينقلون الى هذه المناطق وحدات ميدانية على مستوى عال من التدريب والمعدات، سحبوها من أوروبا الشرقية. وظهرت بين الاسلحة السوفييتية صواريخ أرض - أرض ذات رؤوس نووية، وتزايد عدد الفرق السوفييتية على طول الحدود الصينية من نحو ١٢ فرقة غير متكاملة عام ١٩٦٤ الى ما يزيد على ٤٠ فرقة حديثة التجهيز عام ١٩٧٠.

تبدو جميع السياسات الناجحة بعد تنفيذها كأنها كانت أمرا مقدرا. ويحلو للقادة والزعماء أن يدّعوا استباق الاحداث وسلامة تقديرهم للاعمال الناجحة، وأن يسندوا الى التخطيط كل الفضل في أمور تبدأ مرتجلة. لم يختلف الامر في السياسة الجديدة مع الصين، فقد كانت لدى الحكومة الامريكية الجديدة نية لفتح صفحة جديدة، لكنها لم تملك اي فكرة محددة عن طريقة التوصل الى ذلك. وكان عليها أن تضع في حسابها حقائق الاوضاع الداخلية في البلاد، ومن أهمها نشاط تلك الجماعة من مؤيدي نيكسون التي تنتمي الى "اللوبي الصيني" المحافظ الذي لم يغفر أبدا للرئيس ترومان ولوزير الخارجية دين أتشيسون ما سماه خيانتهما لتشانغ كاي - تشيك.

وربما واجهت الزعماء الصينيين في بكين مشكلة مماثلة، اذ كان ماو تسي - تونغ يحكم بلدا لم يكد يخرج من خضم الثورة الثقافية، وقد سعى من خلال هذه الاضطرابات العنيفة (الثورة الثقافية) الى القضاء في المهد على ما يبدو اتجاها حتميا في الدول الشيوعية نحو الوقوع في فخ البيروقراطية والركود، وكان اسلوبه في ذلك فرض فوران ثوري دائم. ولا شك في أن ذلك أحد الامثال النادرة في التاريخ حيث يعمد رئيس دولة الى هدم المؤسسات والنظم التي أقامها هو.

حفلت الاشهر الاولى من رئاسة نيكسون بالاتجاهات المتناقضة. فقد وردت في خطابه الاول بعد توليه الرئاسة اشارة مبطنة الى استعداد الحكومة الجديدة للتباحث مع الصين، لكنه لم يلبث بعد خمسة أيام أن أرسل الي والى وزير الخارجية وليم روجرز رسالة يشكو فيها من أن سفيرنا في احدى الدول الاوروبية فشل في منع تلك الدولة من اعلان اعترافها بحكومة بكين. وقال نيكسون في رسالته ان ذلك السفير "كارثة" يجب التخلص منه فورا.

في أواخر يناير (كانون الثاني) طلب القائم بالاعمال الصيني في

هولندا اللجوء السياسي الى الولايات المتحدة، ولم يلبث الصينيون ان الغوا في ١٨ فبراير (شباط) اجتماع فرصوفيا الذي كان مقررا عقده في العشرين من ذلك الشهر متذرعين في ذلك بأن الولايات المتحدة "حرّضت" القائم بالاعمال على "خيانة وطنه". ولم يشأ نيكسون أن يهزمه الصينيون في هذا المضمار، فما كان منه في مؤتمره الصحافي في ٤ مارس (اذار) الا أن سكب ماء باردا على احتمالات التقارب بين الصين وأمريكا.

بدت العلاقات الصينية - الامريكية في مارس (اذار) ١٩٦٩ وقد تجمدت عند الموقف نفسه الذي ظلت تتميز به طوال عشرين عاما، وهو موقف العداء الناجم عن فقدان التفاهم والثقة بين الطرفين. كانت لدى الحكومة الامريكية الجديدة نية في التقارب مع الصين، لكنها لم تضع بعد استراتيجية لتحقيق ذلك.

ومعلوم ان السياسة تبرز الى الوجود عندما تلتقي الفكرة بالفرصة، وقد سنحت هذه الفرصة عندما اشتبك الجنود السوفييت والجنود الصينيون في سهوب سيبيريا المتجمدة على امتداد نهر لم يسبق لاحدنا ان سمع به. منذ تلك اللحظة تلاشى الغموض والتأرجح، ومضينا من دون تردد نحو احداث تغيير حاسم في السياسة العالمية.

المؤشرات الاولى

في الاصقاع النائية شمال شرق آسيا قطعة من الحدود السوفييتية - الصينية التي تمتد مسافة ٧٠٠٠ كيلومتر تقريبا هي نهر اوسوري. وفي نقطة منعزلة من مجرى النهر تبعد نحو ٤٠٠ كيلومتر عن مدينة فلاديفوستوك جزيرة صغيرة يسميها السوفييت دامانسكي ويسميها الصينيون تشينباو.

صباح ٢ مارس (اذار) ١٩٦٩، استنادا الى رواية المصادر الصحافية السوفييتية، اقدم ٣٠٠ جندي صيني على اعداد مكمن لدورية سوفييتية من حرس الحدود، فقتلوا ٢٣ من افرادها وجرحوا ١٤ في معركة استمرت ٢٠ دقيقة.

كنا في واشنطن منشغلين بمشكلة فيتنام الى درجة عاقتنا عن الاستجابة لاحداث نكاد لا نفهم لها أصلا، ولم يتضح مغزاها الا بعد اسابيع. وكان رأي نيكسون ورأيي انا ان الصين هي التي بدأت القتال على الارجح. ولكن حجة الصينيين بأن تصرفهم كان ردة فعل لسلسلة من الاعتداءات السوفييتية بدت جديرة بالتصديق، ذلك أن الضعيف لا يجازف عادة بالتعرض للهزيمة عن طريق تنفيذ هجمات لا يبررها أي استفزاز.

وشهد ١٥ مارس (اذار) اصطداما حدوديا آخر في جزيرة دامانسكي (تشينباو). وكان كلا الطرفين مستعدا هذه المرة، فارتفعت ارقام الضحايا. وفي ١٦ ابريل (نيسان) و١٧ منه وقع مزيد من القتال في نقطة أخرى تبعد ٤٠٠٠ كيلومتر الى الغرب على الحدود بين مقاطعة سينكيانغ الصينية وجمهورية كازاخستان السوفييتية. ثم حدث اصطدام آخر في المنطقة نفسها في ٢٥ ابريل (نيسان) أعقبته اشتباكات في مايو (ايار).

وعندما نظرت الى خريطة

تفصيلية، ادركت ان حوادث سينكيانغ وقعت على بعد كيلومترات قليلة من نهاية خط حديد سوفييتي في حين يبدأ اقرب خط حديد صيني على بعد مئات الكيلومترات. عندها بدا لي أن القادة العسكريين الصينيين لا يمكن أن يختاروا مثل هذا الموقع غير الملائم للهجوم. واذا كان الاتحاد السوفييتي هو المعتدي، فان امامنا مشكلة كما أن أمامنا فرصة. المشكلة هي أن غزوا سوفييتيا فعليا وشاملا للصين لا بد من أن يحدث خللا خطيرا في التوازن العالمي، لا على الصعيد الجغرافي - السياسي فحسب، بل على الصعيد النفسي ايضا، ثم أن هذا الغزو سيخلق قوة خطيرة لا تمكن مقاومتها. غير انه لم يكن من السهل مقاومة مثل هذا العدوان نيابة عن بلد ليس لنا معه اي علاقات ديبلوماسية ولا بيننا وبينه اي وسيلة اتصال فعالة على أي مستوى.

ضاعفنا جهودنا كي نقيم اتصالا مع بكين. وفي ٢٦ يونيو (حزيران) جاءتني من الرئيس نيكسون رسالة تقول بوجوب تشجيع السناتور مايك مانسفيلد على تنفيذ رغبته القديمة في زيارة الصين. ولكن الضرورة تطلبت عملا اكثر صراحة.كان الموعد قد حان لتعديل الحظر التجاري الذي فرضناه ضد الصين، وهذا التعديل ضئيل الاهمية في ذاته لكنه يحمل مغزى ضخما. ولعل المشاورات المرهقة الحافلة بالقلق التي استوجبها اتخاذ هذه الخطوة الصغيرة خير مقياس للتقدم الذي طرأ منذ ذلك الحين.

وبينما نحن نستعد لاصدار البيان الموعود وقع حادث من تلك الحوادث التافهة التي يمكنها تدمير أدق الخطط واكثرها حرصا، ففي ١٦ يوليو (تموز) غرق يخت على متنه امريكيان قرب ساحل هونغ كونغ. وحمل التيار قارب النجاة الذي ركباه الى داخل المياه الاقليمية الصينية حيث قبض عليهما. وقررنا، وكيل وزارة الخارجية اليوت رينتشاردسون وأنا، تأجيل اصدار البيان بضعة أيام حتى نرى ما اذا كان الصينيون سيتخذون من حادث اليخت ذريعة لشن حملة دعائية مضادة لامريكا. لكن الايام مرت وبكين صامتة.

وفي ٢١ يوليو (تموز) ١٩٦٩، قبيل سفر الرئيس في جولة حول العالم، اصدرت وزارة الخارجية بيانا موضوعيا هادئا يعلن تخفيف القيود المفروضة على التجارة مع جمهورية الصين الشعبية وعلى السفر اليها. ولم يشترط البيان أي اجراء مماثل من جانب الصين. وفي ٢٤ يوليو (تموز) أفرج الصينيون عن الامريكيين اللذين كانا في اليخت. لقد فهمت بكين قصدنا.

رقصة التقارب المعقدة

اعتزم نيكسون في رحلته حول العالم أن يترك بطاقات زيارة للصينيين في كل موضع يتوقف فيه. فتحدث بصراحة مع الرئيس الباكستاني يحيى خان ومع الرئيس الروماني نيقولاي تشاوشيسكو لادراكه صداقتهما للصينيين. وفي أغسطس (آب) قال نيكسون للرئيس يحيى خان في لاهور (باكستان) ان وجهة نظره الشخصية التي يشاطره

فيها سائر أعضاء حكومته وكثير من الامريكيين هي أن آسيا لا تستطيع أن "تتحرك قدماً" اذا ظلت أمة ضخمة فيها مثل الصين منفردة ومعزولة، وطلب اليه نقل مشاعره هذه الى الصينيين على أعلى المستويات. وفي واشنطن دعوت بدوري السفير الباكستاني آغا هلالي الى مقابلتي كي اضمن استمرار الباكستانيين معنا في اللعبة وأقيم خط اتصال متينا.

وفي ٨ أغسطس (آب) أنهى الاتحاد السوفييتي وجمهورية الصين الشعبية محادثاتهما التي بدأت في يونيو (حزيران) ووقعا اتفاقا في شأن تحسين الملاحة في الانهار الواقعة على الحدود. وبدلا من أن يسفر هذا الاتفاق عن تخفيض التوتر زاده حدة، فبعد ايام قليلة اندلع القتال الدامي من جديد على طول الحدود بين سينكيانغ وكازاخستان.

تكاثرت دلائل التوتر. وفي ١٨ أغسطس (آب) كان وليم ستيرمان، احد اختصاصيي الشؤون السوفييتية في وزارة الخارجية، يتناول طعام الغداء مع أحد موظفي السفارة السوفييتية، واذا بالروسي يسأله فجأة وبلا مقدمات عما يمكن أن تكون ردة فعل الولايات المتحدة الامريكية ازاء هجوم سوفييتي على المرافق النووية الصينية. بدا الامر لي على درجة كبيرة من الخطورة دفعتني الى عقد اجتماع في ٢٥ أغسطس (آب) لفريق واشنطن للعمليات الخاصة، في سان كليمنتي (منتجع الرئيس نيكسون في كاليفورنيا) حيث طلبت من الاعضاء اعداد خطط طوارىء لسياسة الولايات المتحدة في حال نشوب حرب صينية - سوفييتية. واذا وقعت هذه الكارثة، فسوف نضطر - نيكسون وأنا - الى مجابهتها من دون مساندة تذكر من سائر أعضاء الحكومة، ولا حتى من الدوائر الاخرى في البلاد، لما نراه من ضرورة استراتيجية تحتم علينا معاونة الصين.

تبين لنا في أواخر أغسطس (آب) ان السلاح الجوي السوفييتي قد وضع في حال الاستعداد التام الذي يقضي بابقاء الطائرات جميعها في اعلى درجات التأهب، وهو غالبا دليل على احتمال شن هجوم في أي وقت، ويمثل، في ادنى درجات خطورته انذارا عنيفا بحرب اعصاب قاسية. وقررنا، بناء على هذه المعلومات، أن نرفع صوتنا قليلا كي نوضح بجلاء أننا لا نقف موقف اللامبالي ازاء هذا التهديد السوفييتي للصين. وفي ٥ سبتمبر (أيلول) أدلى اليوت ريتشاردسون بالتصريح الآتي في مؤتمر عقدته الرابطة الامريكية للعلوم السياسية في نيويورك:

"في ما يتعلق بالصين الشيوعية، فان تحسن العلاقات بيننا وبينها أمر يخدم مصالحنا الوطنية. نحن لا نسعى الى استغلال اي تنافر بين الاتحاد السوفييتي وجمهورية الصين الشعبية، والخلافات الايديولوجية بين العملاقين الشيوعيين أمر لا يعنينا. غير أننا لا نملك الا أن نشعر بالقلق العميق ازاء أي تصعيد لهذا الخلاف يبلغ به مستوى الخرق الجسيم للسلام العالمي".

هكذا بدأت بيننا وبين الصينيين رقصة تقارب معقدة جرى تخطيطها بدقة بالغة تتيح لكل من الطرفين أن

يؤكد عدم وجود اتصالات مع الطرف الآخر. ورسمت خطواتها في حدود صارمة تعفي كلا من الجانبين من تحمّل عبء المبادرة، واتخذت لها مسارات غير مباشرة تكفل تجنب أي خطر يمكن أن يصيب العلاقات بين أي من الجانبين وأي طرف ثالث. وبين شهري نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٩ ويونيو (حزيران) ١٩٧٠، حصلت عشر حالات على الاقل من تبادل الحديث بين موظفين امريكيين في الخارج وزملاء لهم صينيين في مناسبات ديبلوماسية، وكان ذلك أمرا يتناقض تناقضا حادا مع السوابق المألوفة، حيث كان الصينيون يقطعون الاتصال على الفور بمجرد ادراكهم أن الذين امامهم امريكيون. بل ن هذه المناسبات العشر كانت بينها أربع مناسبات جاءت فيها المبادرة من الموظفين الصينيين ثم بدأت الاتصالات تتجاوز حدود تبادل المجاملات الاجتماعية.

وفي ٩ سبتمبر (أيلول)، عندما كان الهلع من نشوب الحرب بلغ قمته، توجه سفيرنا في بولونيا والتر ستويسل لمقابلة الرئيس. وبينما كنا ننتظر سويا مقابلة نيكسون، حثثت ستويسل على أن يتوجه الى سفير جمهورية الصين الشعبية في اول مناسبة اجتماعية يحضرانها وينبئه بأننا على استعداد لاجراء محادثات جدية مع بلاده.

وانقضت بعد ذلك ثلاثة أشهر لم يحدث فيها شيء. وفي ٣ ديسمبر (كانون الاول) كان ستويسل حاضرا عرض أزياء يوغوسلافية أقيم في قصر الثقافة في العاصمة البولونية فرصوفيا، فوقعت عيناه على لي - يانغ القائم بالاعمال الصيني. وعندما اقترب منه ستويسل تراجع القائم بالاعمال الصيني هابطا درجا صادفه، فلاحقه ستويسل وأبلغه الرسالة. وقال لي شو إن - لاي بعد ذلك بسنوات أننا كدنا بتلك المبادرة ان نتسبب للقائم بالاعمال المسكين في نوبة قلبية من هول المفاجأة، وأن لي - يانغ، الذي لم تكن لديه اي تعليمات لمواجهة مثل هذا الطارىء انطلق هاربا من ستويسل لانه لم يعرف كيف يتصرف.

لكن الرسالة بلغت شو إن - لاي على أي حال. وفي ٦ ديسمبر (كانون الاول) أفرجت جمهورية الصين الشعبية عن أمريكيين آخرين كانا محتجزين منذ ١٦ فبراير (شباط) عندما ضلا الطريق بيختهما ودخلا به المياه الاقليمية الصينية.

نسمة هواء منعش

في يوم ١١ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩، فوجئنا بأن السفير ستويسل تلقى دعوة من السفارة الصينية، كانت الاولى من هذا النوع تحصل في أي اتصال صيني - أمريكي منذ استيلاء الشيوعيين على الحكم في بكين. ورد ستويسل بأنه لا يمانع في الذهاب الى السفارة سرا من الباب الخلفي، ولكنه أبلغ ان هذا الحرص أمر لا داعي اليه (ولعل الهدف من ذلك كان تفادي أي احتمال لان يفوت الامر على المخابرات السوفييتية). وقد ذهب ستويسل فعلا الى السفارة ودخل من بابها الامامي، والتقى زميله الصيني في جو "ودّي". واقترح ستويسل استئناف محادثات

فرصوفيا من دون أن يتعدى ذلك الى مناقشة أي موضوع آخر. وتم الاتفاق على عقد اجتماع آخر في سلسلة المحادثات خلال الشهر نفسه.

وأدت محادثات فرصوفيا الى اطلاق جميع ردود فعل اساطين وزارة الخارجية. وكان أول فريق ارتفع صوته هو الفريق المتخصص في العلاقات الامريكية - السوفييتية. فقد كان أعضاء هذا الفريق مقتنعين بأن القوتين النوويتين العظميين هما اللتان تمتلكان مفاتيح الحرب والسلام، ومن ثم ارادوا التقليل الى أدنى حد من الاخطار التي يمكن أن تتعرض لها العلاقات بين هاتين القوتين. وكان رأيهم، بناء على ذلك، أن التقارب مع الصين لا يحمل سوى تعويض ضئيل لما يترتب عليه من خطر يهدد هذه العلاقات.

وكان الموجه الفكري لهذه الجماعة سفير الولايات المتحدة السابق في الاتحاد السوفييتي ليولين طومسون. ومنذ شهر يونيو (حزيران)، كان هو وزميله السفير السابق تشارلز بولن قد قاما بزيارة نيكسون عندما علما اننا نعتزم تخفيف القيود على التجارة مع الصين، وأقدما بشجاعة على تحذير الرئيس من اي محاولة "لاستخدام" الصين ضد الاتحاد السوفييتي، قائلين ان هذا من شأنه توليد نتائج بالغة الضرر على العلاقات الامريكية - السوفييتية. ولم يكن يطوف في ذهننا في طبيعة الحال - اي افكار في فجاجة "استخدام" جمهورية الصين الشعبية ضد الاتحاد السوفييتي، وانما كنا نسعى الى ايجاد حافز يدفع كلا الطرفين الى تحسين علاقاتهما بناء. وكان سلوك نيكسون في استقباله السفيرين السابقين كلاسيكيا، اذ هو عبَّر في حضورهما عن تعاطفه معهما، ثم أعرب بعد انصرافهما مباشرة عن سخريته مما يعتبره ضعفا عقليا لا أمل في اصلاحه لدى موظفي وزارة الخارجية.

وكان هناك في الوقت نفسه جزء آخر من الجهاز البيروقراطي ينهك نفسه في العمل. فوزارة الخارجية الامريكية تؤدي مهمتها عن طريق شبكة شديدة العجب من "الاعتمادات" والموافقات التي تكفل ابلاغ الحوادث المهمة لمختلف اقسام الوزارة وللحكومات الاجنبية على نحو آلي تقريبا. وخلال ايام قليلة، اتضح ان وزارة الخارجية قد أرسلت تقارير عن اجتماع فرصوفيا الى سفاراتنا في طوكيو، وتايبيه (عاصمة تايوان) وموسكو، والى قنصليتنا العامة في هونغ كونغ. اما حكومات بريطانيا واوستراليا وكندا وفرنسا وايطاليا ونيوزيلندا فقد تلقت بلاغات مختصرة عن الموضوع اما قبل مقابلة شتويسل أو بعدها. ومع أن جميع هذه الاطراف تلقت تحذيرات لتجنب أي تعليق علني على الموضوع، الا أن نشر مثل هذا النبأ "الشهي" على مثل هذا النطاق الواسع كانت له بالضرورة أصداء بعيدة في الدوائر الديبلوماسية في العالم. وعندما أنبأت الرئيس بما حدث، تنهد وقال: "اننا سنقتل هذا الطفل قبل أن يولد". وكانت صعوبة السيطرة على جهاز الاتصالات الضخم المعقد في وزارة الخارجية سببا رئيسيا من الاسباب التي أدت الى

نقل السيطرة على معاملاتنا الديبلوماسية مع الصين بالتدريج الى البيت الابيض.

وقد سار اجتماع فرصوفيا الذي عقد يوم ٨ يناير (كانون الثاني) على خير ما يرام، اذ وصل القائم بالاعمال الصيني الى السفارة الامريكية على نحو ملفت في سيارة كبيرة يخفق عليها العلم الصيني، وتمت تسوية الامور الاجرائية في جو ودي، كما تم الاتفاق على استئناف اجتماعات فرصوفيا الرسمية المنتظمة بين السفراء. وهكذا، بعد عام كامل من تولي الرئيس نيكسون مهمات منصبه اتفقت جمهورية الصين الشعبية والولايات المتحدة الامريكية على استئناف المحادثات الموضوعية للمرة الاولى منذ اكثر من عامين، ولكن على نحو يختلف عن أي اجتماع آخر من الـ١٣٤ اجتماعا السابقة، لان الاعداد لها قد جرى بمنتهى الدقة والعناية على مدى أشهر طويلة عن طريق الرسائل - التي كانت غير مباشرة في البداية ثم أصبحت بالتدريج صريحة على نحو متزايد - تعبيرا عن الاستعداد والرغبة في احداث تغير جوهري في علاقاتنا. لكن الطريق امامنا كان مع ذلك طويلا، وان كنا بلغنا في النهاية مشارف العقبات الكبرى التي استغرق منا تخطيها بعد ذلك ١٨ شهرا أخرى.

كانت تلك لحظة من لحظات الامل الكبير النادرة. فالدراما التي يمثلها انهاء التباعد القائم بيننا وبين الشعب الصيني، من الناحية الانسانية وما يعنيه ذلك لمستقبل السلام، كانت نسمة من الهواء المنعش وتذكيرا بما تستطيع الولايات المتحدة انجازه من خلال زعامتها العالمية. وكان التوصل الى تحقيق ذلك وسط حرب اسفرت عن انقسام في الامة (حرب فيتنام) أمرا يثبت لنا وللآخرين اننا لا نزال نمثل عاملا رئيسيا من عوامل التأثير في الشؤون العالمية، ولدينا القدرة على العمل بجرأة ومهارة من أجل تحقيق غاياتنا ورفاهية كل من يعتمدون علينا.

صراع البيروقراطية

لم يكن على السطح شيء ملفت في أول اجتماع يعقد في عهد حكومة نيكسون بين الولايات المتحدة الامريكية وجمهورية الصين الشعبية. وقد عقد الاجتماع في السفارة الصينية في فرصوفيا يوم ٢٠ يناير (كانون الثاني) بين والتر ستويسل، على أحد جانبي طاولة المحادثات، ولي - يانغ على جانبها الآخر. وكانت النقطة الرئيسية التي دارت حولها الـ١٣٤ اجتماعا السابقة هي موضوع علاقتنا بتايوان الذي كان يمثل متاهة كلاسيكية: فلم يكن مستطاعا التوصل الى أي حل فيه ما دامت العلاقات العدائية مستمرة بين أمريكا والصين، كما أن هذا العداء لا يمكن أن ينتهي ما دام موضوع تايوان من دون تسوية. أما القضايا الاخرى التي تثار في الاجتماعات من وقت الى آخر فلم تكن أكثر من بنود احتياطية عتيقة، منها: الطلبات الامريكية لتعويض الممتلكات المؤممة والديون التي لم تسدد، والجهود الصينية لاسترداد أموال الصين التي جمّدتها الولايات المتحدة في عام ١٩٤٩ بمقتضى قانون التجارة مع

الاعداء، وجهود الولايات المتحدة من اجل الافراج عن السجناء الامريكيين في الصين، ومحاولات الحصول على تصريح للصحافيين الامريكيين بدخول الصين، او استطلاع امكانات التبادل التجاري بين البلدين.

وكان المنتظر ان يعود النقاش الممل حول هذه الموضوعات المألوفة في الاجتماع الـ١٣٥. لكن نيكسون كان يتفق معي في أنه على رغم أهمية هذه الموضوعات العتيقة، الا ان اجتماع فرصوفيا يتيح فرصة طيبة لنقل رسالة جديدة الى الصين تحمل مغزى أعمق وأكثر أهمية. فلم يكن مستطاعا تحديد - بل حل - أي موضوع في جدول الاعمال هذا ما دامت بكين تعتبر الولايات المتحدة عدوها الخارجي الرئيسي وما دامت واشنطن ترى في الصين منبعا لكل أشكال العدوان والنشاط الثوري في آسيا، بما في ذلك فيتنام.

وكنت أرى ان من الضروري نقل الحوار الى مستوى يتيح للمفاوضين ممارسة مقدار من الاخذ والرد وان يكون هؤلاء مطلعين على افكار زعمائهم مما ييسر لهم تفهم الاستراتيجية الكامنة وراء الموضوع بأكمله. وعلى ذلك فقد أردت أن أستخدم اجتماع ٢٠ يناير (كانون الثاني) كي أوضح استعدادنا لايفاد رسول الى بكين، واقترحت على الرئيس ألا نولي أهمية كبيرة لاي شيء يقال في الاجتماع ما دام ذلك يتضمن افكارنا الاساسية، وهي: أننا نريد ان نبدأ بداية جديدة وأننا لن نسير على هدى الايديولوجية، وانما على أساس تقدير المصالح المتبادلة.

وقد تعرض كل من هذين الموضوعين لمقاومة عنيفة عندما بلغنا مرحلة صياغة الكلمة التي سيلقيها السفير ستويسل في اجتماع ٢٠ يناير (كانون الثاني)، ذلك أن خبراء الشؤون الآسيوية في وزارة الخارجية لم يشاطرونا آمالنا في بداية جديدة (وهو أمر يعود جزئيا الى جهلهم ما كان يجري عن طريق الاتصالات السرية)، كما أن خبراء الشؤون السوفييتية كانوا قلقين خشية أن يؤدي مجرد عقد المحادثات الى اثارة عداء الاتحاد السوفييتي. ورأى البعض ان أي تقدم في هذه المحادثات لا بد من أن يعني بالضرورة النص على التخلي عن استخدام القوة في مضيق تايوان والاشتراك في مفاوضات الرقابة على التسلح او تقديم ضمانات باتباع الاساليب السلمية في آسيا، مع ان هذه كلها أمور لا يمكن أن تفكر الصين في مجرد النظر فيها الا في سياق أكثر شمولا. أما موضوع ايفاد مبعوث الى بكين، فان مجرد ذكره قد أصاب موظفي وزارة الخارجية بقشعريرة شديدة، لان مثل هذه المحادثات ستجري على الارجح في اشراف البيت الابيض، بعيدا عن دهاليز وزارة الخارجية.

وقد تمت تسوية النزاع البيروقراطي بحل وسط، بالطريقة البيروقراطية التقليدية: فقد سلمت بجميع النقاط التي تمسكت بها وزارة الخارجية، من حيث الاشارة الى تايوان والرقابة على التسلح والمطالبات المالية والسجناء وما الى ذلك، في مقابل التسليم من جانب

الوزارة بالموضوعات التي كنت أعتبرها جوهرية. وفي اجتماع ٢٠ يناير (كانون الثاني) تلا ستويسل بيانا يقرر أن الولايات المتحدة لا تسعى "الى الانضمام الى أي اتفاق ثنائي مع الاتحاد السوفييتي يكون موجها ضد الصين، ثم أضاف جملة غطت صيغتها الواقعية على كل الدماء البيروقراطية التي سفكت، اذ قال ان الولايات المتحدة "ستكون على استعداد للنظر في ايفاد ممثل لها الى بكين لاجراء محادثات مباشرة مع المسؤولين في حكومتكم، أو استقبال ممثل من طرف حكومتكم في واشنطن لاجراء بحث أكثر دقة وتعمقا لاي من الموضوعات التي ذكرتها في ملاحظاتي اليوم أو اي أمور أخرى قد نتفق عليها". ولم يستجب القائم بالاعمال الصيني لي - يانغ لهذه المبادرة المفاجئة، ولكنه تلا بيانا تضمن عبارتين مثيرتين للاهتمام بما تحملانه من مغزى، على رغم ورودهما مختفيتين وسط بقية العبارات المألوفة. وكان نص هاتين العبارتين كما يأتي:

"اننا على استعداد لان نبحث وننظر في اي افكار واقتراحات قد تتقدم بها حكومة الولايات المتحدة (...) ومن الممكن لهذه المحادثات ان تستمر على مستوى السفراء، أو ان تجرى على مستوى أعلى، أو عن طريق اي قنوات أخرى يقبلها الطرفان".

ان الذي حدث اذاً هو أن بيانين تمت صياغتهما في عاصمتين يفصل بينهما ١٩،٠٠٠ كيلومتر تقريبا قد عرضا في الحقيقة اقتراحين متشابهين. لكن طبيعة اجتماعات فرصوفيا كانت تفرض علينا ان ننتظر شهرا كاملا حتى نتبين ما اذا كان يمكن الفكرة ان تتحرك قدما.

وكان اجتماع فرصوفيا الرقم ١٣٦، الذي حدد لانعقاده يوم ٢٠ فبراير (شباط)، مصدرا لخلاف آخر بين البيت الابيض ووزارة الخارجية. فقد واجهتنا طريقة التصرف في حال حصول ما يبدو محتملا من قبول الصينيين لاقتراحنا ايفاد مبعوث الى بكين أو استقبال مبعوث صيني في واشنطن. وكنت أريد من ستويسل، عندما يحدث ذلك، ان يبدي موافقته من حيث المبدأ ثم يحيل الامر على واشنطن لتتولى الرد بالتفصيل. اما وزارة الخارجية فقد تقدمت بتوصية بالغة الغرابة مؤداها ان ننسحب من المبادرة التي تقدمنا بها نحن ونكتفي بمجرد "العلم" بالرد الصيني من دون تعليق.

وقد انتصرت وجهة نظري، وأمرني نيكسون بأن أصدر التعليمات الى السفير ستويسل بأن يرد بالايجاب، ولكن من دون أن يغفل في طبيعة الحال انشاء الترنيمة المتكررة عن القضايا المعلقة بين الطرفين والتي كانت عصب الـ١٣٥ اجتماعا السابقة. وقد بلغت الرسائل وجهتها وقوبلت بالتفهم. وفي الاجتماع الـ١٣٦، تلا لي - يانغ بيانا لين الصيغة الى درجة غير عادية، وقبل اقتراحنا ايفاد مبعوث الى بكين. وبدا اننا على وشك اختراق الحواجز في الطريق الى غايتنا.

لباقة مفرطة

غير ان الشك المتراكم على مدى عقدين لم يكن أمراً يسهل التغلب

عليه. وفي مذكرة موجهة الى الرئيس يوم ١٠ مارس (آذار)، اقترح وزير الخارجية روجرز يوم ١٩ مارس (اذار) موعدا لاجتماع فرصوفيا التالي. لكنني كنت أعرف ان الصينيين لا يمكنهم التحضير لاجتماع في هذه المهلة البالغة القصر، كما أن جدول الاعمال المقترح كان يجعل احتمال نجاح الاجتماع أمرا مستبعدا.

وبعد جدل كثير، اقترحت الولايات المتحدة على الصينيين عقد الاجتماع يوم ٣٠ ابريل (نيسان) او في اي تاريخ لاحق. لكن الصينيين، وقد بدا أنهم قد تضايقوا، قرروا أن يلعبوا هم أنفسهم لعبة التأجيل، فانتظروا أربعة اسابيع قبل أن يردوا. وفي ٢٨ ابريل (نيسان) اقترحوا أن يكون موعد الاجتماع ٢٠ مايو (ايار)، وقبلنا نحن ذلك.

والواقع ان حصولنا على أي رد على الاطلاق كان أمراً غير منتظر. فقد كانت قوات فيتنام الجنوبية تشق طريقها الى منطقة "منقار الببغاء" في كمبوديا، وكانت قوات الولايات المتحدة على اهبة التحرك لمهاجمة ملاجيء القوات المعادية. وظل الصينيون صامتين ازاء ذلك حتى ١٨ مايو (ايار)، بعد انقضاء ثلاثة أسابيع على بدء عملياتنا، ثم أصدروا في ذلك اليوم - عن طريق وكالة أنباء "الصين الجديدة" - بيانا شديد الايجاز والصرامة، يقرر انه نظرا الى الغزو "الفاضح" الذي تتعرض له كمبوديا، "فان الحكومة الصينية ترى أنه لم يعد من المناسب عقد الاجتماع الرقم ١٣٧ في محادثات السفراء بين الصين والولايات المتحدة يوم ٢٠ مايو (ايار) كما كان مقررا". ولم يكن في ذلك بأس، لان حكومتنا كانت - ببساطة - غير مستعدة لان تتحدث بصوت واحد. حقيقة اني كنت نجحت بعد جهود كبيرة في تعديل التعليمات الخاصة باجتماع يوم ٢٠ مايو (ايار) بحيث تتضمن مناقشة للجوانب الفنية المتعلقة بزيارة مبعوث، وتفوّض ستويسل الحديث عن علاقات أوسع نطاقا، خصوصا في الشرق الاقصى. لكن التذمر الذي رافق قبول هذه التعديلات، والفيض الغامر من العبارات التقليدية الذي أغرقت فيه على نحو ظاهر أوضح بجلاء انه يتعذر على محادثات فرصوفيا ان تكون هي المكان المناسب لاجراء محادثات جديدة. وعندما أعيدت الاتصالات بيننا وبين الصينيين في موعد لاحق من العام كان ذلك عن طريق آخر، وبمقدرا أكبر من التركيز على الهدف المنشود.

وفي يوم ١٨ مايو (أيار) نفسه، اتهمت صحيفة "برافدا" السوفييتية جمهورية الصين الشعبية بأنها رفضت نداءات الاتحاد السوفييتي للقيام بعمل مشترك في كمبوديا. وكان الصينيون بالغي الحساسية لمثل هذا الاتهام، فردوا عليه بأعنف وسيلة لديهم الا وهي الاعلان الذي اصدروه يوم ٢٠ مايو (أيار) باسم ماو تسي - تونغ بعنوان: "يا شعوب العالم! اتحدوا لتهزموا المعتدين الامريكيين وكلاب صيدهم!".

وبلغ بيان ماو واشنطن في فترة كان مزاج نيكسون شديد العصبية، فلم ينتظر تحليلي للبيان، وأمر بأن

تتجه الى مضيق تايوان كل عناصر الاسطول السابع الامريكي التي لا تدعو اليها الحاجة في عمليات فيتنام، وقال في ذلك: "اريد ان يظهر ذلك مظهر الاستفزاز والتحدي. أريدهم ان يفهموا اننا لا نلعب لعبة الديوك (*) هذه ولا اريد ان يعد لي أحد بيانات مطولة ولا أن يراجعني أحد في هذا الامر. وأريد ان تصل وحدات الاسطول هذه الى مضيق تايوان خلال ٢٤ ساعة".

وكان ذلك واحدا من تلك الاوامر التي كان مساعدو نيكسون المقربون يميزونها بأنها قد تخدم المصلحة العامة على نحو أفضل اذا أوقف تنفيذها لمدة ٢٤ ساعة. وعندما استخدم نيكسون عبارة "لا أريد ان يراجعني أحد" كان ذلك دليلا على عدم الثقة في سلامة التصرف. وبعد ان أتيحت لنا فرصة مناقشة المعنى الحقيقي لبيان ماو، راجع نيكسون نفسه في قراره ارسال القوات البحرية الى مضيق تايوان، اذ تبين أن ماو ترك ثغرات كثيرة يمكن النفاذ منها الى تجديد المسيرة الطويلة لكل من بلدينا تجاه الآخر، وأن أحدا لن يكسب شيئا من الاقدام على اقفال هذه الثغرات في نوبة غضب.

وقرابة منتصف يونيو (حزيران)، عندما بدأت المشاعر التي ثارت حول كمبوديا تهدأ، سعينا الى تجديد الاتصالات، فصدرت التعليمات في ١٥ يونيو (حزيران) الى الجنرال فيرنون والترز ملحقنا العسكري في باريس كي يتصل بزميله فانغ - وين الملحق العسكري الصيني وينبئه بأن لديه رسالة يريد ابلاغه اياها. وأعطينا والترز نصاً كي يتلوه، يتضمن رأينا الذي أصبح الان مألوفا، ومؤداه: انه لما كان منبر فرصوفيا علنيا أكثر من اللازم ومثقلا بالرسميات والشكليات، فاننا نود أن نقيم سبيلا آخر الى الاتصالات السرية. وقد حاول والترز مرتين ابلاغ زميله الصيني نص الرسالة لكنه لم يفلح. وكان شو ان - لاي وماو تسي - تونغ هما اللذان قررا من جانبهما أن الوقت حان لارسال اشارة الينا. ومن سوء الحظ ان ما نقلوه الينا كان مغلفا باللباقة وغير مباشر الى درجة أن نقطة الهدف المقصودة منه فاتت تماما على عقولنا الغربية الغليظة. ففي أول أكتوبر (تشرين الاول)، وهو العيد الوطني للصين، قاد شو ان - لاي الكاتب الامريكي ادغار سنو - الصديق القديم للشيوعيين الصينيين - وزوجته واوقفهما الى جانب ماو لتلتقط لهما صور مع ماو وهو يعرض الموكب السنوي. وكان ذلك أمرا لم يسبق له مثيل، لان هذا الشرف لم يسبغ على أي امريكي من قبل. فمن الواضح اذاً ان الرئيس صاحب الاساليب العويصة المبهمة يحاول أن ينقل رسالة ما عبر هذا التصرف. (علّق سنو نفسه على هذه الواقعة فيما بعد بأن "القادة الصينيين لا يقدمون على أي تصرف علني من دون أن يكون وراءه هدف"). وقد فهمت بعد ذلك ان ماو قصد بهذا التصرف الاشارة الى أن العلاقات الصينية - الامريكية قد

* لعبة بالسيارات يقود فيها متباريان سيارتيهما، احدهما في اتجاه الآخر، ويكون الخاسر من ينحرف بسيارته أولا.

أصبحت موضوع اهتمامه الشخصي. لكن ادارك هذه الاشارة فاتنا وكانت مناسبة مهمة، وبذلك أسفرت اللباقة المفرطة عن فشل في الاتصال.

من رئيس الى رئيس

لقد استخدم ماو حساما رشيقا لينقل به اشارته، أما نيكسون فقد لجأ في ابلاغ رسالته الى مطرقة ضخمة. ففي اللحظة نفسها تقريبا التي كان سنو يراقب الموكب السنوي للصين، كانت مجلة "تايم" تجري مقابلة مع نيكسون، أدرج فيها عبارة عن موضوع نهوض الصين بدور عالمي وعن دور نيكسون نفسه في ذلك، قال فيها:

"ومن الجائز ألا يكون هذا الدور ممكنا الا بعد خمس سنوات، وربما عشر. لكنه لا بد من أن يتحقق في ظرف عشرين عاما والا تعرض العالم لخطر قاتل. واذا كان هناك ما أود ان أفعله قبل أن أموت فهو زيارة الصين. واذا لم أتمكن من ذلك فانني أريد أن يتمكن أبنائي منه".

وكان من التطورات ذات الاهمية الحيوية استقبال الرئيس نيكسون في مكتبه يوم ٢٥ اكتوبر (تشرين الاول) الرئيس الباكستاني يحيى خان الذي كان على وشك زيارة بكين. وقد طلب نيكسون من يحيى خان أن ينقل الى الصينيين أننا نعتبر التقارب الصيني - الامريكي أمرا "جوهريا"، وأننا على استعداد لايفاد مبعوث سري على مستوى عال الى بكين. وفي اليوم التالي، كرر نيكسون الاقوال نفسها للرئيس الروماني نيقولاي تشاوشيسكو، ثم استغل زيارة تشاوشيسكو بعد ذلك كي يقوم بخطوة علنية أخرى فشرب في حفلة

عشاء رسمية نخب المصالح الكثيرة المشتركة بين الولايات المتحدة ورومانيا، وعدد منها خصوصا ما يتعلق بالعلاقات الطيبة، مثل تلك العلاقات القائمة بين رومانيا من جانب والولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي و"جمهورية الصين الشعبية" من جانب آخر. وكانت تلك هي المرة الاولى التي يقدم رئيس امريكي على استخدام الاسم الرسمي للصين. وأصبح كل ما نستطيع عمله بعد ذلك هو أن ننتظر.

لم نكن نعلم آنذاك أن الصينيين قد بعثوا الينا برسالة تختلف تماما عن كل ما تلقيناه قبل ذلك. فقد قام يحيى خان، بزيارته للصين التي استمرت من ١٠ الى ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني)، وافترضنا نحن أنه لم يطرأ شيء ولكن حدث في ٨ ديسمبر (كانون الاول) ان قال السفير الباكستاني في واشنطن هلالي ان لديه رسالة لي تتعلق برحلة الرئيس يحيى خان، فدعوت هلالي الى البيت الابيض في اليوم التالي حيث أخرج رسالة مكتوبة بخط اليد على ورق أبيض ذي سطور بيضاء، قائلا انها جاءته مع رسول ديبلوماسي خاص لان الرئيس يحيى لم يأتمن عليها المواصلات البرقية. وقال هلالي انه غير مفوض ترك هذه الوثيقة لدي، فكان الحل الوحيد ان يمليها علي ببطء لانسخها بخط يدي. واستغرقنا في هذا العمل الآلي الى درجة لم نلحظ معها غرابة موقف هذا المتحدث الانيق بلسان النخبة المختارة في بلد يستند الى دين عريق وهو يملي رسالة من زعيم أمة آسيوية ثورية مكافحة على ممثل زعيم العالم الرأسمالي الغربي، أو اننا في عصر الاتصالات الفورية قد عدنا الى الاساليب الديبلوماسية التي كانت متبعة في القرن الماضي.

ان ما يحصل في الديبلوماسية هو ان كل حدث ديبلوماسي منفرد يكون حلقة في سلسلة من الاحداث تندمج في تيار متصل لا تتيسر رؤية مغزاه الا من خلال عدسة الزمن. أما "نقاط التحول" فانها لا تتضح عادة الا عند النظر اليها بعد فترة من حدوثها، لكن الرسالة التي جاء بها هلالي كانت حدثا واضح الاهمية تماما. فهي ليست اشارة خفية لبقة يمكن انكارها عند ظهور أول بادرة متاعب، وانما هي رسالة شخصية موثوقة موجهة الى ريتشارد نيكسون من شو ان - لاي، أكد فيها انه لا يتحدث باسمه فقط وانما أيضا باسم الرئيس ماو ونائب الرئيس لين -بياو. وقال شو ان - لاي ان الصين "كانت دائما على استعداد ودائما تحاول أن تتفاوض بالوسائل السلمية (...) ومن أجل مناقشة موضوع الجلاء عن الاراضي الصينية التي يطلق عليها اسم تايوان، فان بكين ترحب كل الترحيب باستقبال مبعوث خاص من الرئيس نيكسون". ولاحظ شو ان - لاي بلطف أن هناك رسائل أخرى كثيرة وردت من الولايات المتحدة الامريكية عن طريق مصادر مختلفة "ولكن هذه هي المرة الاولى التي يصدر اقتراح من رئيس موجه عن طريق رئيس، الى رئيس".

ما كاد هلالي ينصرف حتى مضيت عبر الدهليز الى مكتب الرئيس، حيث

تحادثنا - نيكسون وأنا - طويلا، وكان اتفاقنا تاما على قبول الدعوة. وأوضحنا في ردنا ان الولايات المتحدة على استعداد لاجراء محادثات على مستوى عال في بكين.

ديبلوماسية البينغ بونغ

ومرة أخرى، لم يكن أمامنا ما نفعله سوى الانتظار. وقد انتفعت بهذه المهلة لكي أحاول تثقيف نفسي في أمور الصين. وبين منتصف ديسمبر (كانون الاول) وأوائل ابريل (نيسان)، التقيت ثلاث مرات مجموعات من الخبراء الاكاديميين في شؤون الصين من مختلف المؤسسات العلمية العالية المستوى. ويسعدني ان أقرر أن زملائي السابقين قد أفادوني كثيرا بلمحات ساطعة من البصيرة النافذة. غير انهم كانوا مقتنعين بأن القضيتين اللتين تحتلان مكانالصدارة من اهتمام الصين هما فيتنام وتايوان، وهو ما تبين بعد ذلك أنه خطأ تام. وكانت الرقابة على التسلح من الموضوعات الاخرى التي قال الخبراء ان لها اولوية كبرى، في حين أن الصينيين لم يشيروا اطلاقا الى هذا الموضوع، بل ردونا عن الحديث فيه عندما أثرناه نحن. ومن الآراء الاخرى التي كان الخبراء شبه مجمعين عليها أن تحسن العلاقات الامريكية - الصينية مرهون باعترافنا المسبق بأن حكومة بكين هي حكومة الصين الوحيدة، أو على الاقل بسماحنا بانضمام بكين الى الامم المتحدة. وقد ثبت ان هذا ايضا خطأ، اذ ان تحسن العلاقات بدأ قبل أن تنضم الصين الى الامم المتحدة باشهر عدة، كما أن سبع سنوات كاملة انقضت قبل أن تعترف حكومة الرئيس كارتر بأن حكومة بكين هي الحكومة الوحيدة للصين.

وكان هناك رأي واسع الانتشار بين الخبراء ايضا مؤداه أن الصين ستصر على تقديم تأكيدات بأننا سننسحب من آسيا، في حين أن نقيض ذلك هو الذي ثبتت صحته، اذ ان الصين كانت تريد بشدة ان نبقى في آسيا لكي نكون عنصر توازن مع الاتحاد السوفييتي. وقد استمعت بأدب الى اقتراحات زملائي مستعينا على نفاد الصبر بتذكر أني لم أكن أكثر منهم توفيقا في تناول الامور من جانبها الصحيح حين عملت مستشارا اكاديميا لحكومتين سابقتين.

كانت الاحداث المثيرة التي توشك أن تفاجئنا قد سبقتها تباشير العمل المنهجي من جانب الصين لاعادة بناء ديبلوماسيتها الشاملة بعد الشلل الذي اصابها من جراء الثورة الثقافية. وقد باشرت الصين في مايو (ايار) ١٩٦٩ اعادة سفرائها الى العواصم التي كانوا منتدبين لها وكان هؤلاء استدعوا الى الصين في أثناء الثورة الثقافية. وجاءتنا من وزارة الخارجية تقارير عن تطورات أخرى ذات مغزى منها - على سبيل المثال - ان شو ان - لاي استقبل وزير خارجية اليابان السابق آيشيرو فوجي ياما في مارس (اذار) وأخبره ان "من الممكن في مرحلة ما حصول تحسن مثير مفاجىء" في العلاقات مع الولايات المتحدة. وأبرزت وزارة الخارجية أن "بكين أرسلت فريقها لكرة الطاولة (البينغ

بونغ) الى اليابان للاشتراك في مباريات للبطولة الدولية، وهذا أول نشاط رياضي من هذا النوع تقوم به بكين منذ أعوام".

وكان فريق الولايات المتحدة لكرة الطاولة مشتركا في هذه المباريات التي جرت في مدينة ناجويا اليابانية. وفي ٤ ابريل (نيسان) الذي كان يوم راحة في المباريات، توجه غلين كوان، الشاب ذو التسعة عشر عاما من كلية مدينة سانتا مونيكا، الى رئيس الفريق الصيني تشانغ تسي - تونغ الذي حاز بطولة العالم ثلاث مرات قبل ذلك، وتحدث معه وانتهى به الامر الى مرافقته في نزهة بالحافلة مع اللاعبين الصينيين الى مزارع اللؤلؤ في شبه جزيرة "مي" (ولا شك في أن الصينيين لم يكونوا ليوافقوا على اصطحاب غلين كوان لو لم تكن لديهم تعليمات أكيدة بضرورة التعامل الودي مع الامريكيين. ومن أبرز مواهب الصينيين أنهم قادرون على أن يجعلوا الامر المخطط بمنتهى الدقة والعناية يبدو عفويا وفوريا). وفي اليوم التالي انتظر كوان تشانغ حتى انتهى من مباراة كان يلعبها ثم قدم اليه قميصا امريكيا. فقبل تشانغ الهدية، وقدم الى كوان في مقابلها منديلا مزينا ببعض المناظر الصينية.

في ٦ ابريل (نيسان)، أصيب الجميع بالذهول عندما وجه الصينيون الدعوة الى الفريق الامريكي لزيارة الصين. وأسرع غراهام ب. ستينهوفن رئيس الاتحاد الامريكي لكرة الطاولة الى الاتصال هاتفيا بالسفارة الامريكية في طوكيو طالبا المشورة. ولم يكن خبير الشؤون الصينية في السفارة وليم غراهام يعلم شيئا عن جهودنا للتقارب مع الصين سوى أن لدينا رغبة عامة في تحسين العلاقات مع بكين، لكنه لم يتردد لحظة واحدة في أن يشير على ستينهوفن بقبول الدعوة.

لقي لاعبو كرة الطاولة الامريكيون حفاوة في الصين. وفي ١٤ ابريل (نيسان) استقبلهم رئيس الوزراء شو ان - لاي في قاعة الشعب الكبرى، وخاطبهم قائلا: "لقد فتحتم فصلا جديدا في العلاقات بين الشعبين الامريكي والصيني واني على ثقة بأن هذه البداية الجديدة للصداقة بيننا ستقابل من دون شك بتأييد الغالبية العظمى من أفراد شعبينا". وعندما بدا أن لاعبينا المذهولين لم يستجيبوا لكلامه، استأنف الحديث: "ألا توافقونني على رأيي؟" فانفجر الامريكيون بالتصفيق، وسارعوا بتوجيه الدعوة الى الفريق الصيني للقيام بجولة في الولايات المتحدة، فلقيت دعوتهم قبولا فوريا.

لحظة النشوة

كانت الاسابيع التي اعقبت ديبلوماسية البينغ بونغ أكثر المراحل اثارة للاعصاب في العملية المعقدة كلها. وكنت أنا ونيكسون الوحيدين اللذين يفهمان المضامين الكاملة لما فعله شو ان - لاي لاننا كنا الوحيدين المطلعين على جميع الاتصالات التي تمت بين بكين وواشنطن، وكنا نعرف أن امرا ضخما على وشك الحدوث. لكن الحيرة تتملكنا ازاء تحديد الشكل الذي سيتخذه هذا الحدث.

وكما يحصل في أحيان كثيرة عندما

تكون أحداث كبيرة على وشك الوقوع، تملكت نيكسون أحاسيس متضاربة من التشاؤم والتخوف والامل، نابعة من مركب شخصيته الفريد الذي يجمع في آن بين سمو الغاية الوطنية والحسابات السياسية والشخصية. كان متخوفا من انسحاب الصين في اللحظة الاخيرة (وهو ما اعتقدته أمراً بعيد الاحتمال) يراجع نفسه في ما تقرر بالفعل من وجوب قيام أحد مرؤوسيه بزيارة بكين قبل سفره هو اليها، ويريد ان يستغني عن ايفاد هذا المبعوث خشية ان يقلل ذلك من بهاء رحلته هو.

وأرسلنا اشارات أخرى تؤكد استمرار عزمنا على السير في الاتجاه نفسه. وفي ١٤ ابريل أعلن البيت الابيض أول خروج كبير على الحظر التجاري المفروض ضد الصين منذ عشرين عاما. وكنت في اليوم السابق استدعيت القائم بالاعمال السوفييتي كي أنبئه بقرارنا فتح باب التجارة مع الصين قبل اعلانه بيوم واحد، وأكدت له أن هذا القرار لا يعكس أي نيات سلبية ضد الاتحاد السوفييتي. وهذا الاسلوب هو وسيلة الطمأنة التقليدية المتبعة في الديبلوماسية، اذ يعطى الطرف الذي توجه ضده المناورة تأكيدات رسمية تستهدف هز أعصابه بمقدار ما تستهدف تهدئته، وتخطىء غايتها تماما اذا قوبلت بالتصديق الفعلي. وتضاعف قلقنا ونحن ننتظر، وبدا نيكسون فريسة للتوجس من أن ينتهي المشروع كله الى الفشل.

وجاءتنا أول اشارة الساعة ٣،٤٥ مساء ٢٧ ابريل (نيسان)، عندما طلب السفير الباكستاني هلالي مقابلتي بصفة عاجلة لمدة خمس دقائق. واستقبلته في الساعة ٦،١٢ مساء، حيث سلمني مذكرة من صفحتين تحمل رسالة من شو ان - لاي رداً على رسالة الرئيس نيكسون في ديسمبر (كانون الاول). وكانت المذكرة مكتوبة بخط اليد الانيق، ومن محتوياتها ما يأتي:

"ان الحكومة الصينية تعيد تأكيد استعدادها لأن تستقبل رسميا في بكين مبعوثا خاصا من رئيس الولايات المتحدة (كالسيد كيسينجر) او وزير خارجية الولايات المتحدة او حتى رئيس الولايات المتحدة نفسه لاجراء مقابلات ومحادثات مباشرة".

وغادر هلالي مكتبي بعد فترة لا تتجاوز عشرين دقيقة، فمضيت فورا لمقابلة الرئيس فوجدته في قاعة الجلوس وتلوت عليه الرسالة. ولم تكن هناك حاجة الى تبادل حديث كبير حولها.

ان المناصب العالية كثيرا ما تحيط بها أسباب الضيق والاحباط والحسابات الصغيرة. وعلى خلاف القمم المثيرة التي يتصورها خيال الجمهور، فان هذه المناصب عادة ما تعني تراكما متتابعا لضغوط وتوترات تبدو لا نهائية ويكون كل حل ظاهر فيها لاحدى المشاكل سبيلا الى مجموعة مشاكل جديدة. ومحك صفات الزعماء هو مدى استعدادهم للمثابرة في مواجهة عوامل القلق وبواعث عدم الثقة والتوجس ومواصلة البناء لمستقبل لا يمكنهم وصفه أو تمييزه بوضوح.

غير أنه يحدث من وقت الى آخر ان

يتمكن محظوظون قلائل من المشاركة في حدث يعرفون انه سيغير الاوضاع الى الافضل. في ذلك المساء جلست وحدي في غرفة مكتبي أتأمل. لقد كان الكابوس الذي يقض مضجعي طوال عامين هو أن تستنزف مشكلة فيتنام رصيد أمتنا من الثقة بالنفس وتجردها من قدرتها الحاسمة على وقاية العالم الحر ومساندة الآمال في التقدم. وبينما كان عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية يتهاوى على نحو اصبحت معه مساهمتنا الخلاقة امرا لا غنى عنه، أكثر من أي وقت مضى، اذا بنا عرضة لخطر استنفاد قوانا الوطنية في صراع داخلي مرير حول ركن بعيد من جنوب شرق آسيا. ومهما حدث في الهند الصينية، فان علينا أن نبدأ عهدا جديدا في العلاقات الدولية، وهو هدف لا يمكن تحقيقه من دون عزيمة وطنية واتفاق وطني عام.

كانت الرسالة الواردة من بكين تنبئنا قبل كل شيء آخر بأنه على رغم أحداث الهند الصينية، فأن أمامنا فرصة لكي نرفع انظار الشعب الامريكي الى مستقبل حافل بالامل. وأمامنا الان امكان يتيح للامريكيين أخيرا أن يتحدوا خلف رؤيا تمتد الى عالم أكثر سلاما واتجاها نحو البناء، وأن يستمدوا الامل من بيان عملي يثبت أن امريكا - حتى في المحن - لا تزال تتمتع برصيد من القوة الداخلية يعينها على النهوض بعظائم الامور. وللمرة الاولى منذ عامين، أحسست وسط الاثارة والقلق بحلظة من النشوة والسلام الداخلي.

والتقيت في اليوم التالي نيكسون في المكتب الرئاسي حيث طلب مني أن اتلو المذكرة الصينية على مساعده بوب هالدمان وأن أشرح مغزاها. ولم يكن سبب ذلك أن نيكسون لم يفهم الرسالة ولكنه أراد ان يتذوق لحظة الانجاز بالاستماع اليها وهي توصف لزميل قديم رافقه منذ أيام العزلة الاليمة. كان ذلك نوعا من التزكية لاثبات كون جهود تلك السنين لم تذهب هباء.

وفي ساعة لاحقة من ذلك الصباح أنبأني نيكسون بأنه قرر ايفادي الى الصين في المهمة التي طرحتها الرسالة، وبأنه عليّ مباشرة الاستعداد لذلك على الفور. وكانت دوافع نيكسون مختلطة، كما هي حال الزعماء السياسيين دائما. فالمراقبون الرومانسيون وحدهم هم الذين يعتقدون أن الرجال الذين انتصروا في صراع قاس على السلطة يتخذون قراراتهم على أساس الافكار التحليلية وحدها. ولا شك في أن أقوى بواعث نيكسون على اتخاذ هذا القرار كان وثوقه بأني خير من يتفهم سياستنا في هذا الصدد، وأن ألفتي شخصيته المعقدة ستتيح لي ترتيب زيارته لبكين على أفضل نحو يريحه. بيد أنه لا شك ايضا في أن من أهم دوافعه الاخرى معرفته أنني - من بين جميع المبعوثين الذين يمكن ايفادهم - أكثرهم خضوعا لسيطرته المباشرة. فقد كنت موظفا في البيت الابيض لا أملك وسيلة للاعلان عن نشاطي الا عند طريق المكتب الصحافي للبيت الابيض، وسيكون نجاحي نجاحا للرئيس نفسه. كما أني كنت غير معروف تقريبا لعامة

الجمهور، وقد انقضى على التحاقي بوظيفتي عامان ونصف عام من دون أن أعقد أي مؤتمر صحافي مسجل.

ولا أستطيع الزعم بأني دهشت كثيرا في تلك اللحظة، وانما شعرت براحة كبيرة، لاني سأتمكن من اكمال المشروع حتى نهايته المثمرة بعد أن انشغلت في تصميمه وقتا طويلا. أما نيكسون، فمهما تكن دوافعه المعقدة فهو جدير بالتقدير لشجاعته في الاقدام على احداث ثورة في سياسة الولايات المتحدة الخارجية التي كانت متبعة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية، على رغم درايته بأن ذلك سيحدث صدمة عنيفة بين صفوف مؤيديه التقليديين. وقد استعان في ذلك بمستشاره للامن القومي وحده، من دون التماس الاعذار في ما توفره الاجراءات العادية للحصول على الموافقات البيروقراطية، وأصدر بنفسه الامر لأيفادي في مهمة لو فشلت لأسفر فشلها عن كارثة سياسية له وكارثة دولية لبلاده. والقول ان الظروف كانت تبدو مؤاتية لا يغير شيئا من الوحدة القاسية التي أحاطت بالاختيار لدى اقراره، كما ان القول ان نيكسون كتوم بطبعه لا يغير من حقيقة أن الموقف كان يحتاج الى رجل ماضي العزم قوي التصميم كي يسير في طريقه على حافة الهاوية مع مساعد واحد فقط.

مهمة سرية

بدأت اتخاذ الترتيبات الفنية للرحلة، فبعثت في ٣ مايو (ايار) برسالة الى جوزف فارلاند سفيرنا في باكستان قلت فيها:

"لأسباب بالغة الحساسية لا يعرفها سوى الرئيس وأنا، يود الرئيس منك أن تصطنع سببا شخصيا للقيام برحلة فورية الى الولايات المتحدة حتى تتمكن من التشاور معي. ولا بد من أن يكون لقاؤنا سريا وألا تفشى طبيعته لاي شخص آخر".

واستبدت الحيرة بفارلاند المخلص، ولكنه طار الى لوس أنجيليس في ما وصفه لرؤسائه بأنه "مسألة شخصية". (وكان من حسن حظنا أن سفيرنا في باكستان كان من خارج "مؤسسة" السلك الديبلوماسي العادية، ولو كان رجلا تقليديا لما استجاب لطلبي من دون أن يؤمن ظهره برسالة "شخصية" الى رؤساء ادارته في واشنطن). وأتيت به من لوس أنجيليس الى بالم سبرينغز في طائرة خاصة يملكها أحد الاصدقاء، ثم التقيته سراً يوم ٧ مايو (ايار) في المسكن الخاص الذي كنت أقيم فيه، وقضينا معاً ثلاث ساعات.

عرضت وفارلاند جميع رسائل بكين التي وردت علينا عن طريق الباكستانيين، وأخبرته بأن الترتيبات الفنية للرحلة ينبغي أن تتم عن طريقه، لتجنب احتمالات سوء الفهم التي تترتب على مرور المواد الحساسة المعقدة في أيد كثيرة.

ووضعت الخطوط العريضة لمسار الرحلة التي اعتزمها، على أساس ان أغادر واشنطن في رحلة "استقصائية" تحملني الى سايغون وبانكوك ونيودلهي واسلام آباد وباريس، وأن يتضمن جدولي في كل من هذه العواصم اجتماعات توجيهية عدة، ولكن من دون عقد اي مؤتمرات

صحافية، وألا يصاحبني في الطائرة التي تحملني اي صحافيين على الاطلاق. وعندما أصل الى اسلام آباد سأكون - كما آمل - قد أثرت ملل الصحافيين المحليين الى أبعد حد وأثبت" أني غير مفيد من الناحية الاعلامية بحيث لا يبقى أي اهتمام صحافي كبير بتحركاتي وتصرفاتي.

واتفقت وفارلاند على ان انجع خطة هي أن أصل الى باكستان صباح يوم جمعة، على أن يضع فارلاند جدول نشاطات تستغرق اليوم بأكمله، سواء أفي السفارة او مع ممثلي حكومة باكستان. واذا وافق الرئيس يحيى خان، فانه قد يدعوني الى قضاء عطلة نهاية الاسبوع في مكان منعزل مناسب، وليكن ممر خيبر أو مكانا آخر في الجبال. وهناك أترك طائرتي في مكان ظاهر في المطار، ثم أذهب الى الصين في طائرة أخرى أمريكية او باكستانية او صينية تكون أعدت في باكستان. وبعد غيبة لا تزيد على ٣٦ ساعة، أعود الى الظهور أمام الجميع ثم أستأنف رحلتي غربا الى باريس.

عدت الى واشنطن من "اجازتي" في بالم سبرينغز يوم ٩ مايو (ايار) وقد وضعت مسودة رد على رسالة شو ان - لاي الاخيرة، اعتمدها نيكسون في الصباح التالي وسلمتها عند الظهر الى السفير هلالي، من دون توقيع. وقد جاء فيها:

"من أجل الاعداد للزيارة التي سيقوم بها الرئيس نيكسون، وبغية اجراء اتصالات موثوقة مع قادة جمهورية الصين الشعبية، يقترح الرئيس نيكسون عقد اجتماع تمهيدي سري بين مساعده

لشؤون الامن القومي الدكتور كيسينجر ورئيس الوزراء شو ان - لاي أو أي عضو آخر على مستوى عال في الحكومة الصينية. وسيكون الدكتور كيسينجر على استعداد لحضور هذا الاجتماع على أرض الصين، ويفضل أن يكون ذلك في مكان تقترحه جمهورية الصين الشعبية، ويقع على مسافة طيران مناسبة من باكستان، وسيكون الدكتور كيسينجر مفوضا مناقشة الظروف التي تكفل تحقيق أكبر فائدة ممكنة من زيارة الرئيس نيكسون، ومناقشة جدول أعمال ذلك الاجتماع وموعد تلك الزيارة وبدء تبادل وجهات النظر التمهيدية في شأن جميع الموضوعات التي تهم الطرفين".

وقد علمنا بعد ذلك أن رغبتنا في السرية أثارت لدى الصينيين أكبر مقدار من الشك. ولعلهم رأوا في ذلك وسيلة نريد منها أن تتيح لنا فرصة تغيير اتجاهنا بسرعة، وضاعف من شكوكهم أنهم كانوا يرتابون في قدرتنا على المحافظة على الاسرار. لكننا كنا ندرك أن أي اعلان سابق عن الزيارة سيضعنا في حصار بين أولئك الذين سيطلبون قائمة بالتنازلات التي نعتزمها وأولئك الذين يريدون ضمانات تؤكد استمرار موقفنا المتصلب، وقد يسفر ذلك كله عن قتل النبتة الرقيقة التي كلفتنا رعايتها والمحافظة عليها كل تلك الجهود التي استغرقت أكثر من عامين. وقد استطاع الصينيون بعد ذلك أن يتفهموا مبررات السرية هذه.

وفي ٣١ مايو (ايار) تلقينا من هلالي رسالة مثيرة: هناك رسالة طويلة من بكين في الطريق الينا يحملها رسول ديبلوماسي من باكستان. ما محتوى هذه الرسالة؟

من الصعب المبالغة في وصف ما شعرت به آنئذ من راحة. فقد قبل شو ان - لاي اقتراحنا بأن يكون كل من الطرفين حرا في اثارة القضايا التي تحتل المقام الاول من اهتمامه، وهذا يكفل تناول المناقشات القضايا الرئيسية الشاملة التي كانت تهمنا أكثر من غيرها.

وسرت من مكتبي في الجناح الغربي الى مقر اقامة الرئيس فوجدت لديه ضيوفا على العشاء. وقلت لمساعد عسكري يقف خارج قاعة الولائم الرسمية ان هناك ضرورة لان ارى الرئيس بضع دقائق. وخرج الرئيس قرابة الساعة ٩،٣٠ فأنبأته بالرسالة، فاصطحبني مبتهجا الى قاعة جلوس لنكولن وأخرج زجاجة براندي وكأسين واقترح ان نشرب نخبا لا يزال عالقا في ذهنه حتى الان، قال فيه: "هنري، اننا لا نشرب نخب انفسنا أو نخب نجاحنا أو نخب سياسات حكومتنا التي جعلت ورود مثل هذه الرسالة امرا ممكنا، لكننا نشرب نخب الاجيال المقبلة التي قد تتاح لها فرصة أفضل للعيش في سلام بسبب ما فعلناه". غير أن ذاكرتي أنا ليست مرهفة بهذا المقدار، ولعلي كنت أرى أن الوقت لا يزال مبكرا لمثل هذه التوقعات الرائعة. غير ان الصيغة التي نقلتها عن نيكسون تعكس بالضبط ما انتابنا من مشاعر وما انعش في نفسينا من آمال في أن نخرج من المرارة والانقسام اللذين اثارتهما حرب قاسية محبطة وقد تجددت الثقة الوطنية لدى شعبنا في مستقبل بلاده.

وقد رددت على بكين عصر ٤ يونيو (حزيران)، واقترحت ان يكون وصولي الى الصين يوم ٩ يوليو (تموز) ومغادرتي لها يوم ١١ يوليو (تموز) وأن انتقل بطائرة بوينغ باكستانية من اسلام آباد الى بكين. وفي ١١ يونيو (حزيران)، وافق شو ان - لاي على هذه الترتيبات.

المغص "المناسب"

في أول يوليو (تموز) أجريت واحدة من أكثر المقابلات ايلاما في حياتي، اذ حضر سفير جمهورية الصين (الوطنية) جيمس - شن ليبحث معي في موضوع المحافظة على مقعد تايوان في اقتراع الجمعية العمومية التالية للامم المتحدة حول تمثيل الصين. وليست هناك حكومة أقل استحقاقا مما كان على وشك أن يحدث لها مثل حكومة تايوان التي ظلت حليفا مخلصا وظل سلوكها نحونا نموذجيا. وقد وجدت دوري مع شن بالغ الايلام، لاني كنت أعرف أنه لن ينقضي وقت طويل حتى تكون مناقشته للمناورات الاجرائية قد طارت هباء أمام رياح الاحداث القوية. غير اني لم أكن استطيع أن أقول له شيئا.

وحضرت كذلك ثلاثة اجتماعات مع الرئيس استغرقت في مجموعها أكثر من ساعتين لمراجعة التعليمات التي لدي. وقد تحدثت الروايات بعد ذلك عن اجتماعات ليلية في قاعة جلوس لنكولن بين رئيس غارق في التفكير ووزير خارجية غارق في التأمل وهما يخططان الاستراتيجية معا، ولكن ذلك كان في معظمه هراء ومن أجل الاستهلاك الاعلامي. وقد طلب مني احد الصحافيين بعد ذلك مقابلة لتناول هذه الاجتماعات فرجوت هالدمان اعفائي من ذلك، ووافق بالفعل قائلا: "ان هناك حدودا لقدرة الانسان على الكذب"، مضيفا بذلك بعدا جديدا الى الضرورة الاخلاقية للصدق. وواقع الامر اني قد تحدثت مع الرئيس بالفعل في قاعة جلوس لنكولن عندما نقلت اليه رسالة الصينيين يوم ٢ يونيو (حزيران)، لكننا لم نكن نلتقي فيها الا نادرا.

وفي ٣٠ يونيو (حزيران)، اذاع الناطق الصحافي باسم البيت الابيض في مؤتمره الصحافي العادي بيانا يعلن أن الرئيس نيكسون سيوفدني في بعثة لتقصي الحقائق الى فيتنام من ٢ الى ٥ يوليو (تموز)، وأني سأذهب بعد ذلك الى باريس للتشاور مع سفيرنا ديفيد بروس، وسأتوقف في طريقي الى باريس للتشاور مع مسؤولين في حكومات تايلاند والهند وباكستان.

وزادت الرحلة من حساسية نيكسون تجاه موضوع العلاقات العامة. وكانت احدى رغباته الا يذكر اسمي في البلاغ الذي يعلن زيارتي، لانه يريد ان يكون اسمه واسم شو ان - لاي هما أول الاسماء التي تذكر في وثيقة صينية - امريكية رسمية. غير انه لم يوضح كيف يمكن الاعلان عن زيارة مبعوث امريكي الى بكين من دون الكشف عن اسم ذلك المبعوث، اللهم الا اذا كان الهدف هو ان يشتهر الانسان في الصين بالغموض التام. وقد تولى الواقع حل هذه المشكلة. وكان نيكسون يريد كذلك من الصينيين تأكيدات بأنهم لن يدعوا

الى زيارتهم أي شخصية سياسية امريكية أخرى قبل زيارته هو، لكني قررت تأجيل مثل هذه الطلبات الى حين وصولي الى بكين.

بدأت رحلتي من قاعدة اندروز الجوية قرابة الثامنة مساء. وكنت اقترحت ان ننشر جدولا لرحلتي يقصِّر مدة بقائي في باكستان على ٤٨ ساعة، من ٨ الى ١٠ يوليو (تموز)، على أن أزعم لدى وصولي اني اعاني مغصا شديدا، يظل يزداد حدة الى أن يدعوني الرئيس يحيى خان الى استراحته في "ناتيا غالي" في الجبال حتى اتعافى، فيتيح لي ذلك اضافة يوم آخر الى مدة زيارتي لباكستان، والاختفاء مدة يومين اقضيهما في بكين (وقد قررت الآلهة ان تعاقبني على تطاولي البشري، فأصابني في نيودلهي مغص حقيقي اضطررت الى تحمله صامتا كي لا أثير الشك حولي عندما أصل الى باكستان).

وسارت زيارتي لباكستان وفق ما خطط لها، فحضرت مأدبة غداء في مقر السفير فارلاند، واجتماعا مع الرئيس يحيى خان، ثم اجتماعا في السفارة، ثم عشاء خاصا مع الرئيس يحيى خان وكبار معاونيه.

وأصبح "مغصي" في أثناء العشاء موضوعا عاما للحديث، وحثني الرئيس يحيى على الذهاب الى "ناتيا غالي"، وعندما تمنعت اصر على دعوته. وكان مقنعا في حديثه الى درجة أن أحد رجال الامن السريين في حرسي - عندما سمع المحادثة - رتب على الفور ايفاد أحد زملائه في زيارة "استطلاعية" للاستراحة الجبلية، ثم اتصل بي الاخير هاتفيا في منتصف الليل ليقول بانزعاج انه قد فحص الاستراحة ووجدها غير مناسبة. ولم يكن أمامي عندئذ سوى الطلب من الباكستانيين احتجاز الحارس التعس في ناتيا غالي الى حين عودتي من بكين.

وفي الساعة ٣،٣٠ من صباح يوم ٩ يوليو (تموز) استيقظت في دار الضيافة في اسلام آباد وتناولت افطارا مبكرا، ثم حملتني السيارات مع جماعتي الى مطار تشاكلالا يرافقنا وزير الخارجية سلطان خان. وكان معي من المساعدين ونستون لورد وجون هالدريدج وديك سمايسر، بالاضافة الى رجلي الامن السريين جون د. ريدي وغاري ماكلاود. وبناء على اقتراح فارلاند، كنت أرتدي قبعة ونظارة شمس لتفادي احتمال تعرف احد علي ممن يصادف مرورهم آنئذ في الشوارع. ووجدنا في انتظارنا في الجانب العسكري من المطار طائرة بوينغ ٧٠٧ تابعة للخطوط الجوية الدولية الباكستانية، في حين كانت طائرتي الخاصة متوقفة في الجانب المدني من مطار تشاكلالا بعيدا عن مرمى البصر من طائرة البوينغ الباكستانية وتحت عيني أي صحافي وموظف في أي سفارة يتفق مروره أو وجوده. وفي الساعة ٤،٣٠ صباحا اقلعت بنا البوينغ الى بكين في رحلة طولها ٤٥٠٠ كيلومتر.

وبعد بضع ساعات، نفذت خطة التعمية في اسلام آباد، وانطلق موكب سيارات من دوني يقطع رحلة الثمانين كيلومترا الى استراحة ناتيا

غالي. وهذا ما يدعو الى التفكير. من الامور التي لا تحدث كثيرا أن يتمكن الانسان، وهو راشد، من استرجاع الصفة التي كانت تجعله في حداثته يحس بأن الزمن قد توقف، وتضفي على كل حدث سر الجدة، وتجعل لكل خبرة مذاقا خاصا بسبب تفردها. وكلما تقدم بنا العمر رحنا نتعزى بالامور المألوفة التي أصبحت لدينا ازاءها ردود فعل محفوظة، ووجدنا أن الزمن يمضي سريعا على نحو يتناسب مع تزايد سيطرة الروتين على عالمنا، وأن الحياة قد أصبحت خليط الوان من الخبرات التي يسهل أن تحل كل منها محل الاخرى. وهنا يستوجب الامر وقوع حدث غير مألوف بالمرة، يتميز بالجدة والاثارة وبأنه غير عادي، حتى يمكن الانسان أن يسترجع براءة السنوات التي كان كل يوم من أيامها يمثل مغامرة ثمينة. وقد كان الامر كذلك بالنسبة الي وأنا في الطائرة التي تعبر قمم الحملايا المغطاة بالثلوج وتندفع نحو السماء في الوهج الوردي للشمس المشرقة.

جلسنا في الطائرة حول مائدة نتبادل الحديث هينا لينا مع أربعة من الديبلوماسيين والمترجمين الصينيين، وكأن الاتصالات بين بلدينا لم تنقطع يوما واحدا. وأخذوا هم يسبرون بلطف تلك الاسباب التي جعلتنا نصر على السرية. هل نحن نخجل من الاعتراف بأننا سنلتقي الزعماء الصينيين، فلم يكن الصينيون قد نسوا الاهانة التي وجهها اليهم وزير الخارجية الاسبق جون فوستر دالاس عندما كانت المناسبة مؤاتية ورفض مصافحة شو ان - لاي عام ١٩٥٤ في مؤتمر جنيف الذي عقد حول مشكلة الهند الصينية، وتكررت اشارتهم اليها في أثناء الرحلة وفي مناسبات عدة في اليومين التاليين وفي الزيارات اللاحقة كذلك.

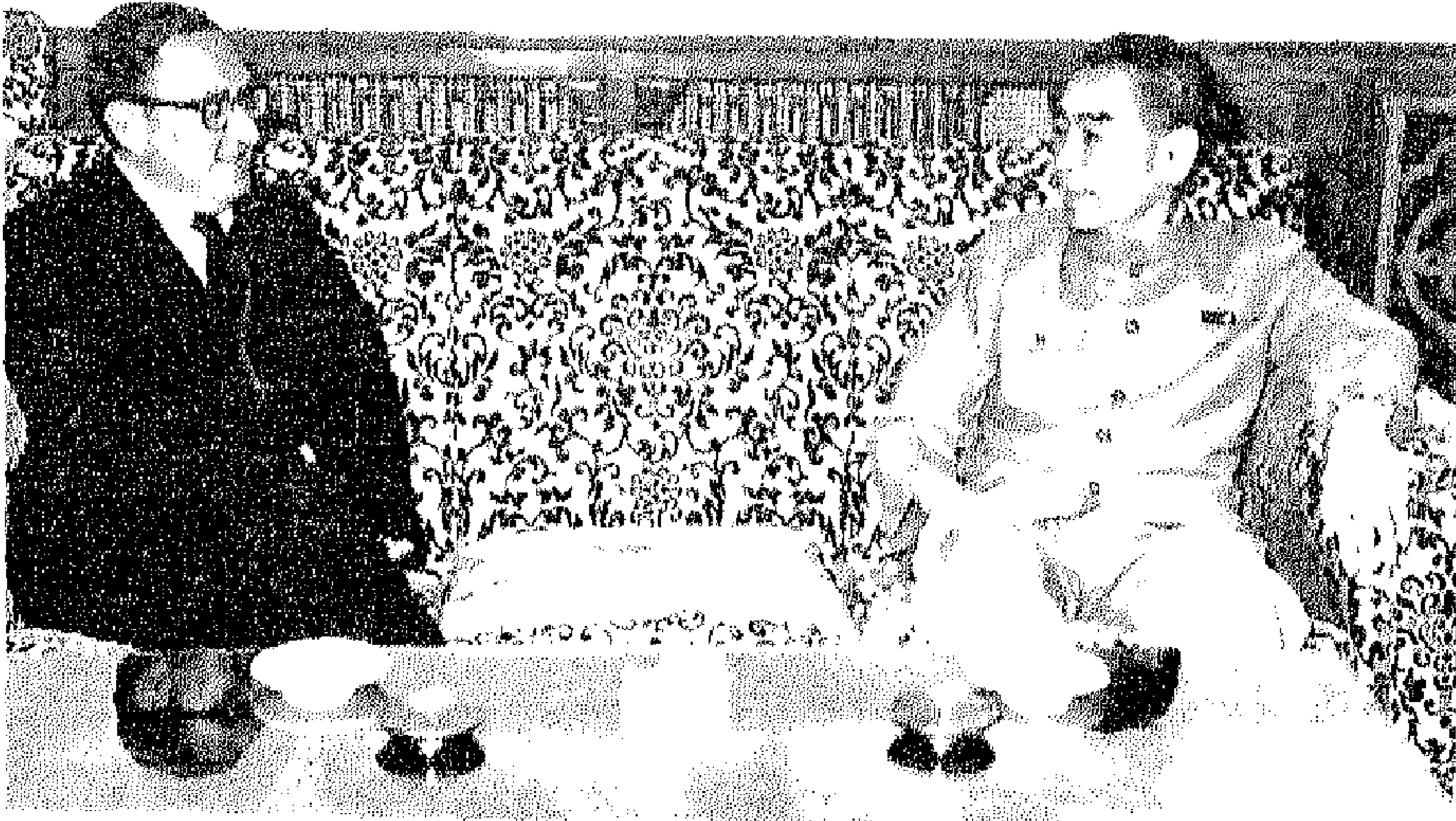
وهبطت بنا الطائرة في مطار عسكري على مشارف بكين حيث وجدنا في استقبالنا الماريشال ييه تشيان - ييغ، وهو من ابرز أعضاء المكتب السياسي للحزب الشيوعي الصيني. واصطحبني الماريشال ييه الى المدينة في سيارة كبيرة أرخيت ستائرها. وكانت وجهتنا استراحة مخصصة لضيوف الدولة تقع، مع استراحات أخرى عدة مماثلة، في حديقة كبيرة مسورة في الجزء الغربي من المدينة.

ووصل شو ان - لاي في الساعة الرابعة والنصف عصرا. وكان أبرز ما في وجهه النحيل المعبّر عينان نافذتان يطل منهما مزيج من التركيز الشديد والراحة، ويختلط فيهما الحذر البالغ بهدوء الثقة بالنفس. وكانت حركاته رشيقة ووقورة، وهو يملأ المكان الذي يوجد فيه لا بحجمه المادي (مثل ماو تسي - تونغ أو شارل ديغول)، وانما بما يحيط به ويصحبه من جو التوتر المنضبط. وقد استقبلته عند الباب وتعمدت ان أمد اليه يدي على نحو ظاهر، فعلت وجهه ابتسامة سريعة وصافحني على الفور. كانت تلك أول خطوة نحو القاء الماضي خلف ظهورنا.

كان شو - على نقيض ماو - قد عاش خارج بلاده. فهو ولد لاسرة من الطبقة المتوسطة عام ١٨٩٨، وكان طالباً نابغة، درس وعمل في فرنسا

وألمانيا في العشرينات، واشترك بعد ذلك في المسيرة الطويلة. وكان الى ذلك رئيس وزراء جمهورية الصين الشعبية الوحيد على مدى اثنين وعشرين عاماً، جمع خلال تسعة منها منصب وزير الخارجية إلى منصب رئاسة الوزارة. وقد تفاوض شو مع الجنرال جورج مارشال في الاربعينات. وها هو أمامي شخصية من شخصيات التاريخ، يتحدث بسهولة وألفة في الفلسفة والتحليل والاستطلاع التكتيكي والردود الفكاهية. وكان امتلاكه ناصية الحقائق، خصوصاً درايته بالاحداث الامريكية - وبتاريخي أنا الشخصي فوق ذلك - أمراً يثير العجب والذهول.

كان شو إن - لاي، في اختصار، أحد رجلين أو ثلاثة تركوا في نفسي اعمق الاثر من بين جميع من التقيتهم. فهو مهذب، صبور بلا حدود، ذكي إلى درجة غير عادية، لبق، مناور، راح يشق طريقه في مناقشاتنا برشاقة نفذت إلى جوهر علاقتنا الجديدة وكأنها أمر ليس له بديل معقول. وكان تحقيق التقارب بين مجتمعين فرقت بينهما العقيدة والتاريخ إلى هذه الدرجة الكبيرة مسألة تمثل تحدياً كبيراً. وكانت الحكمة التقليدية تقضي بأن نعمل لازالة بعض اسباب التوتر الواضحة المحددة، غير انه كان هناك سبب واضح للتوتر هو تايوان وهو سبب لا يتيح مجالا لاي حل سريع. وكان الجواب الوحيد الممكن هو ان نناقش الاساسيات التي تتناول تصوراتنا للشؤون العالمية والآسيوية خصوصاً على نحو يوضح الاهداف ووجهات



شو إن - لاي وكيسينجر في اجتماع ٩ تموز (يوليو) ١٩٧١.

النظر ومن ثم يقيم بالتالي جسراً عبر عقدين كاملين من الجهل المتبادل.

وقد حدد شو نغمة المحادثات في النصف الساعة الاول من لقائنا. وكنت اعددت كلمة افتتاحية طويلة ومملة قليلا اروي فيها تاريخ العلاقات بين الولايات المتحدة والصين حتى انتهي إلى الاجتماع القائم. وفي نهاية الجزء التمهيدي من كلمتي قلت محاولا أن اكون بليغاً: "لقد جاء زوار كثيرون إلى هذا البلد الجميل الذي يبدو لنا غامضاً". وهنا رفع شو يده وقال: "إنك ستجده غير غامض. عندما تألفه ستجد أنه ليس غامضاً كما كان يبدو". وفوجئت، الا ان شو كان محقاً

تماماً، إن علينا أن نبني الثقة ونزيل الغموض، وكان ذلك هو هدفه الاساسي معي، وهدفي الاساسي معه.

ولم يكن شو يساوم على الاطلاق من أجل كسب نقاط صغيرة. وسرعان ما تبينت ان أفضل طريقة للتعامل معه هي ان اعرض موقفاً معقولا واوضحه بدقة وعناية ثم اتمسك به. وكان شو يتصرف بالطريقة نفسها. وفي مناسبة لاحقة اعترضت على جميلتين في قسم من بلاغ يوضح وجهة النظر الصينية. وعلى رغم اننا لم نكن مسؤولين عما يقوله الصينيون، إلا انى رأيت ان هاتين الجملتين ستؤديان إلى خلاف لدى إعداد بيان مشترك. وقد عرضت ان احذف في مقابل هاتين الجملتين عبارتين مناظرتين من القسم الذي يوضح وجهة النظر الامريكية، لكن شو قال لي بنفاد صبر: "اعط جملتيك هاتين لرئيس جمهوريتك إذا احببت، فلست اريدهما. ولا داعي الى ان تتاجر معنا، كل ما عليك ان تفعله هو ان تقنعني بالسبب الذي يجعلك ترى ان في لغتنا ما يبرر الحرج". وكان شو عند كلمته، إذ اختفت من النص الصيني اكثر العبارات شدة.

إن هناك مفاوضين آخرين يلجأون في تلهفهم لاثارة اعجاب الرؤساء او الجمهور إلى اتباع ما يسمى باسلوب السلامي (البسطرمة) احياناً، فيحاولون تقسيم تنازلاتهم شرائح رقيقة إلى اقصى حد ويوزعونها على اطول فترة زمنية ممكنة. وهذا الاسلوب يعطي انطباعاً وهمياً بالصلابة. ولما كان كل من الطرفين لا يستطيع ان يحدد اي شريحة من السلامي في يد خصمه هي الاخيرة، فان ذلك يغري كلا منهما بالمزيد من الانتظار ومن ثم بالمزيد من إطالة المفاوضات. وقد وجدتني افضل على هذا كثيراً اسلوب التفاوض الذي اتبعه الصينيون معنا، وهو ان نحدد بمقدار الامكان طبيعة الحل المعقول، وننتقل إليه على الفور، ثم نتمسك بذلك الموقف.

ولم تكن لدي اي اوهام عن نظام الحكم الذي يمثله شو، كما اني لم اشك لحظة واحدة في انه يمكن ان يصبح خصماً خطيراً في خدمته لاهداف ذلك النظام. فقد تحقق المجتمع الجديد في الصين بثمن هائل أراه انا، في ضوء قيمي، فادحاً. إذ ان التضحيات التي فرضت على الحرية والتلقائية والثقافة وحياة الاسرة كلها تبدو لي اكثر مما يمكن اي مجموعة من الزعماء ان تمتلك الحق الاخلاقي في فرضه على شعبها.

وعلى رغم ذلك فقد تملكني حزن كبير عندما توفي شو، لأن وفاته تركت العالم اقل حيوية وجعلت الرؤية على مشارف المستقبل اقل وضوحاً. ولم يكن اي منا نحن الاثنين غافلا عن ان العلاقة بين بلدينا غامضة في جوهرها، او عن الاحتمال الذي يمكن ان تسفر عنه تطورات التاريخ فتجعل من طريقي امتينا مسارين متوازيين لفترة قصيرة فحسب، قد تجدان نفسيهما بعدها على طرفي نقيض. وإذا حدث وجاء ذلك اليوم، فان الصينيين سيقبلون على هذه المجابهة بالعزم والذكاء والدهاء انفسها التي اقبلوا بها على التعاون معنا. لكن

هذا كله لا ينفي ان من اثمن ما خرجت به من اشتغالي بالشؤون العامة هو اني تمكنت على مدى لحظة - مهما تكن قصيرة عابرة بمقاييس التاريخ التي لا ترحم - من العمل مع رجل عظيم عبر الحواجز الايديولوجية في الكفاح اللانهائي الذي يخوضه رجال الدولة ساعين إلى انقاذ بعض الدوام من بين براثن الوهن الشائع في بصيرة البشر.

الإعلان التاريخي

بلغت قاعدة "ايلتورو مارين كور" الجوية في كاليفورنيا في الساعة السابعةمن صباح الثلثاء ١٣ يوليو (تموز)، وقضيت الفترة بين الساعة ٧،٢٠ والساعة ٩،٣٠ صباحاً مع الرئيس، اقدم اليه بياناً تفصيلياً بما صادفت في رحلتي في غرفة مكتب متواضعة في مقره في سان كليمنتي، تطل على المحيط الهادىء.

وانضم إلينا هالدمان قرابة الساعة ٩،٣٠، فاتخذ الحديث وجهة عملية. واراد هالدمان ان يعرف حجم الفريق الصحافي الذي سيرافق الرئيس، ولم تلبث ان بدت على وجهة علائم الازدراء حين علم اني لم اعالج هذا الموضوع، ثم اخلى الازدراء مكانه من ملامحه ليحل محله عدم التصديق عندما ابلغتهاني قدرت لشو إن - لاي العدد الإجمالي لمرافقي الرئيس بخمسين شخصاً تقريباً. وقال هالدمان إن رجال الامن السريين الذين يرافقون الرئيس سيتجاوزون هذا العدد، ناهيك بالصحافيين. فلم يكن هالدمان يرى اي معنى لصنع التاريخإذا لم تكن عدسات التلفزيون حاضرة لتبثه.

أدى ذلك إلى حديث طويل متبادل بين نيكسون وهالدمان حول طريقة تأمين اوسع تغطية صحافية وتلفزيونية ممكنة للزيارة، مع الاحتفاظ فيالوقت نفسه بمقدار من السيطرة على اختيار من يمكنهم الذهاب. وكان من مفاهيم نيكسون التي لا تتزعزع انه يستطيع بطريقة ما حمل الصحافة، بالابتزاز، على ان تتخذ منه موقفاً اكثر ودية، وذلك بان يحابي اولئك الصحافيين الذين يعاملونه - من وجهة نظره - معاملة منصفة. وغني عن البيان ان نيكسون لم ينجح في مسعاه هذا ابداً.

والأخطر من ذلك كان الطريقة التي سيقدم بها الرئيس الاعلان المشترك. وأشار كل دهاقين العلاقات العامة الى ان من المستحسن ايراد ذلك في احدى الخطب العاطفية التي تميزت بها رئاسة نيكسون، لكني عارضت الفكرة بشدة، لأننا كنا عند نقطة البداية في علاقة جديدة ، وكلما زاد ما نسبغه عليها من زينة كلما ثقل العبء على الديبلوماسية الدقيقة التي لا بد منها لتوثيق تلك العلاقة، ومن ثم ينبغي لنيكسون ان يترك البيان يتحدث عن نفسه، مهما يكن موجزا وغير شاف. وقد وافق الرئيس على هذا ببعض من عدم الرضا، فيما وافق هالدمان بمقدار كبير من التوجس والشك.

في الساعة ٥،٤٥ بتوقيت المحيط الهادىء يوم ١٥ يوليو (تموز)، سافرت مع الرئيس بالهليكوبتر الى لوس انجيليس، حيث توجه نيكسون الى استوديوهات شركة الاذاعة الوطنية (إن - بي - سي) في

بيربانك وألقى خطابا قصيراً استغرق سبع دقائق قال فيه:

"أسعدتم مساء، لقد طلبت الليلة هذه الدقائق من وقت البث التلفزيوني كي اعلن عن تطور رئيسي في جهودنا من اجل بناء سلام دائم في العالم... وان البيان الذي سأتلوه عليكم الآن يذاع في اللحظة نفسها في بكين:

إن رئيس الوزراء شو إن - لاي والدكتور هنري كيسينجر، مساعد الرئيس نيكسون لشؤون الأمن القومي، قد أجريا محادثات في بكين خلال الفترة من ٩ الى ١١ يوليو (تموز) ١٩٧١. ولما كان رئيس الوزراء شو إن - لاي يعلم الرغبة التي اعرب عنها الرئيس نيكسون في زيارة جمهورية الصين الشعبية فانه قام باسم حكومة جمهورية الصين الشعبية بتوجيه الدعوة الى الرئيس نيكسون لزيارة الصين في موعد مناسب قبل شهر مايو (آيار) ١٩٧٢. وقد قبل الرئيس نيكسون الدعوة بسرور.

وسيكون هدف الاجتماع بين قادة الصين والولايات المتحدة تطبيع العلاقات بين البلدين، بالاضافة الى تبادل وجهات النظر حول المسائل التي تهم الجانبين".

وتوجه نيكسون وكبار معاونيه بعد ذلك الى مطعم "برينو" في لوس انجيليس حيث استمتع الرئيس بنصر ليس فيه منازع. وكان يسير ببطء نحو مائدتنا الواقعة في مقصورة في احد الاركان وهو يتذوق حلاوة التهاني التي يتلقاها من بعض الرواد ويدعو الآخرين الذين لم يكن بلغهم النبأ بعد الى ان يتمنوا له التوفيق. ولدى مغادرتنا المطعم، تمهل مرة اخرى في قاعته الرئيسية حيث راح يوقف رواداً آخرين ليقدمني اليهم بصفتي الرجل الذي قام بالرحلة الى بكين. وكانت المناسبة مؤثرة، لأن نيكسون لم يكن فخورا، بل كان يتصرف كأنه يكاد لا يستطيع تصديق ما اعلنه منذ برهة. وساد الجو نوع من الخجل المتبادل، لأن نيكسون لم يكن يستطيع الانطلاق بسجيته مع الغرباء، كما ان الرواد الآخرين لم يكونوا متحررين من الحرج وهم يتعاملون مع رئيس الجمهورية. وقد بدا نيكسون في ساعة الانجاز والانتصار هذه مكشوفا على نحو غريب، وهو ينتظر في توقع ان يتلقى التقدير من دون ان يكون قادرا على اجتياز الهوة التي فصل بها نفسه عن بني جنسه. وبهذا المعنى، كان ذلك المشهد الذي جرى في مطعم "برينو" رمزاً حياً لانتصار ريتشارد نيكسون ولمأساته في آن.

أعقبت ذلك بضعة ايام من الاثارة والغرائب، وانهالت التهاني تترى من انحاء العالم. وكادت وسائل الاعلام تجمع على الثناء على حدث بهر خيال العالم. ولم نفتقد المشورة والنصائح، لأن كل فئة وكل جماعة كان لديها مشروعها المفضل الذي تقدمت به الى نيكسون كي ينفذه. الا ان هذه المشكلة كانت من المشاكل المحببة، اذ لم يسبق لنا أبداً ان غمرنا مثل هذا الفيض من المتطوعين الذين يعرضون تأييدهم لسياستنا.

الزيارة الثانية

كنت اخبرت شو إن - لاي أننا سنواصل التعامل مع موسكو، لكننا سنخطر بكين تفصيليا بأي تفاهم قد نبحثه مع السوفييت ويمس المصالح

الصينية، وأننا سنأخذ وجهات نظر الصين في الاعتبار. وأكد نيكسون هذه التعهدات في رسالة منه الى شو إن - لاي يوم ١٦ يوليو (تموز)، أرفقنا بها نص بيان عن خلفيات زيارتي لبكين وزعته على الصحافيين يوم ١٦ يوليو (تموز)، وكانت تلك مجاملة منا تستهدف اثبات حرصنا على رعاية العلاقة الجديدة.

كانت تلك الرسالة اول اتصال جرى عن طريق حلقة اتصال جديدة في باريس تم الاتفاق عليها في بكين. وقد اتيحت لنا مناسبات كثيرة لاستخدام حلقة الاتصال هذه، حيث تبادلنا بين اول اغسطس (آب) ونهاية سبتمبر (أيلول) عدداً من الرسائل يزيد عما تبادلناه على مدى العشرين عاما السابقة. وكان احد موضوعات هذه المبادلات قيامي برحلة ثانية الى الصين من اجل الاعداد لاجتماع القمة في بكين. وكان شو إن - لاي متلهفاً لذلك، ربما لكي يمحو وصمة السرية التي علقت بزيارتي الأولى.

ولم تكن هذه المبادلات تخلو من لحظات التوتر والضيق. ومثال ذلك ان الصينيين، على رغم امتداد تاريخهم عبر آلاف السنين، لم يسبق لهم ابدا ان استقبلوا جماعة طليعية للاعداد لزيارة رئيس جمهورية خصوصا جماعة قد شحذت مهاراتها الرحلات الشاقة المضطربة التي يقوم بها مرشح للرئاسة في قلب امريكا، وفرض عليها انضباطها الصارم ذلك الهوس الفريد بالعلاقات العامة الذي تميزت به رئاسة نيكسون.

انطلقت الى وجهتي يوم ١٦ اكتوبر (تشرين الأول) في طائرة رئيس الجمهورية، اجرب الطريق الذي رسم لرحلة نيكسون بما يتخلله من توقف في هاواي وغوام، بقصد اتاحة الفرصة لمرافقي الرئيس للوصول الى الصين من دون ارهاق مفرط بسبب اختلافات الوقت وتأثير الطيران النفاث مدة طويلة. ووصلت الى بكين في ٢٠ أكتوبر (تشرين الأول).

واكتشفنا لدى دخول غرفنا ان كلا منها يحتوي على نشرة دعاية باللغة الانكليزية تحمل على غلافها نداء الى شعوب العالم كي "تتخلص من الامبرياليين الامريكيين وكلاب صيدهم"، كما كانت هناك لافتات مشابهة مدهونة على طول الطريق الذي سيسلكه موكب سيارتنا، معظمها بالصينية ولكن فيها لافتة واحدة او اثنتين بالانكليزية. ولم تكن لدي اي نية لتقبل الاهانات مهما تكن الأهمية التي اعلقها على العلاقات الامريكية - الصينية، فأصدرت تعليماتي الى معاون لي بأن يسلم النشرة الموجودة في غرفتي الى احد موظفي البروتوكول الصينيين مع الحرص على ان يذكر له ان وجودها في الغرفة لا بد من ان يكون نتيجة نسيان لها من جماعة الضيوف السابقين، كما امرت بجمع كل النشرات الأخرى المماثلة وتقديمها الى الصينيين من دون تعليق.

وفي ساعة لاحقة من ذلك اليوم استقبل شو إن - لاي فريقنا باكمله في قاعة الشعب الكبرى، واقتصر اجتماعنا الأول على العموميات وجدول الأعمال، ثم اقام شو إن - لاي مأدبة على شرفنا شرب فيها نخبا بالغ



كيسينجر يزور جدار الصين الكبير في تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٧١.

اللطف والترحيب، يخلو من اي اشارة الى الخلاف الايديولوجي او الى الحرب في الهند الصينية. ونظرا الى ان صيغة هذا النخب لم تنشر، ولأنه كان اقل اتساما بالصفة الرسمية، فاني اورده هنا لأنه يعطي صورة عن اسلوب شو أفضل من تلك التي تعطيها الأنخاب الرسمية. قال شو إن – لاي:

"دكتور كيسينجر، أيها الأصدقاء

أود ان انتهز هذه الفرصة كي ارحب بالمبعوث الخاص للرئيس نيكسون – الدكتور كيسينجر – وبالأصدقاء الامريكيين الآخرين الذين جاؤوا الى الصين في هذه الزيارة العابرة. ان صفحة جديدة ستفتح الآن في تاريخ العلاقات بين الصين والولايات المتحدة الامريكية، بعد ان ظلت هذه العلاقات مقطوعة طوال ٢٢ عاما. ويجب ان نقرر ان الفضل في ذلك ينبغي ان ينسب الى الرئيس ماو تسي – تونغ والى الرئيس نيكسون. وكان ضروريا في طبيعة الحال ان يكون هناك شخص يقوم بمهمة الدليل، وهذا الشخص هو الدكتور كيسينجر الذي اقدم بشجاعة على القيام بزيارة سرية للصين التي يزعمون انها "بلد الأسرار". لقد كان ذلك عملا طيباً حقاً. وها هو الدكتور كيسينجر الآن يقوم بزيارته الثانية للبلد الذي ينبغي الا يعتبر بعد الآن "سراً". وقد جاءنا الدكتور كيسينجر كصديق مصطحبا معه عددا من الاصدقاء الجدد. وفي ما يتعلق بي، فانني لم أزر الولايات المتحدة أبداً، لكني اعرف عدداً لا بأس به من الأصدقاء الأمريكيين،

كما ان الولايات المتحدة ليست غريبة علي" تماما.

ومن الواضح ان النظاميين الاجتماعيين في بلدينا مختلفان، وأن نظرة كل منا الى العالم - وهي ما يحب الدكتور كيسينجر ان يسميه "فلسفة" - تختلف عن نظرة الآخر اختلافا تاما لكن هذا ينبغي الا يمنعنا من ان نجد ارضا مشتركة.

اني اقترح ان نشرب نخب الصداقة بين الشعب الامريكي العظيم والشعب الصيني العظيم، ونخب صحة الدكتور كيسينجر وجميع اصدقائنا الآخرين".

وراح شو إن - لاي بعد العشاء يتجول في القاعة، يصافح الحاضرين ويدق كأسه بكأس كل فرد في المجموعة التي تصاحبني، فحدد بذلك النغمة الدافئة التي سادت بقية الرحلة التي رتبها المنظمون الصينيون بعناية قصد تعويد الشعب الصيني على العلاقة الجديدة.

غير انه كان على الصينيين اولا ان يسوّوا موضوع النشرات الدعائية التي وجدناها في غرفنا واللافتات التي طالعناها في طريقنا الى المدينة. وقد حضر لزيارتي نائب وزير الخارجية في بيت الضيافة في اليوم التالي لوصولنا لمرافقتي الى اجتماع مع شو إن - لاي. ونحن في طريقنا بالسيارة الى قاعة الشعب الكبرى اوضح لي هذا المسؤول ان لكل امة وسائلها في الاتصال بشعبها، فنحن في امريكا نستخدم الصحف والتلفزيون وهم في الصين يستخدمون الملصقات الجدارية: ثم اشار الى احد هذه الملصقات فنظرت الى الموضع الذي كانت فيه امس لافتة تندد بالامبريالية الامريكية، واذا بي ارى لافتة باللغة الانكليزية تقول: "مرحبا بمباريات البنغ بونغ الافرو - آسيوية". وبعد ذلك ببضع دقائق قال لي شو إن - لاي إننا ينبغي ان نلتفت الى اعمال بكين، وليس الى خطابياتها، فالدعاية المناهضة لامريكا لا تزيد على كونها "اطلاق مدفع فارغ".

تميزت بقية زيارتي بما لقيته من كياسة وود غالبين، كان الأهم منهما ايضا ذلك الجهد الكبير الذي بذل لكي يستقر في وعي الجمهور الصيني ان الامريكيين جاؤوا الى بلادهم ضيوفا مكرمين. ففي يوم وصولنا، نشرت صحيفة الحزب الرسمية قائمة باسماء اعضاء لجنة الترحيب الرسمية الذين بدا من علو مناصبهم مدى الأهمية التي تحظى بها الزيارة. وفي ٢١ اكتوبر (تشرين الأول) نشرت صحيفة "الشعب" صورتين لشو ولي، وكانت تلك اول مرة منذ عشرين عاما تنشر صورة مسؤول امريكي الى جانب صورة زعيم صيني. اما المشكلات الفنية فقد حلت نفسها بنفسها، بالسهولة التي اتاحتها العزيمة المتهوسة لرجال الطليعة. وجاء رجل الاتصالات يحمل خطة طموحة لو نفذت لأدت الى مصادرة جميع الخطوط الهاتفية في بكين لحساب الزيارة. وقلت لشو ان في وسعه متى انتهى رجالنا من عملهم، الاتصال بواشنطن فوراً، الا ان تمكنه آنئذ من الاتصال بشنغهاي سيكون أمراً آخر. واستطاع قائد فريق الأمن في مجموعتنا لفت النظر اليه عندما طلب قائمة بالاشخاص المشاغبين الذين يوجدون في كل منطقة يحتمل ان يزورها

الرئيس نيكسون. وأثار سؤاله قضية تبعث على الاهتمام، لأن السائد في الصين هو اعتبار الجمهوريين المحافظين من المشاغبين الانقلابيين من دون أدنى شك، ولو كنا سألنا عن عدد المتعاطفين مع الشيوعية لجاءنا الرد الذي يهز الأعصاب انهم ٨٠٠ مليون شخص.

عد إلينا قريبا

وقضينا - شو وأنا - ٣٥ ساعة معاً نعرض الأوضاع العالمية، فضلا عن ١٥ ساعة اخرى امضيناها في اعداد بيان اصبح يعرف باسم "بلاغ شنغهاي". وكان اكثر اجتماعاتنا اثارة هو ذلك الذي عالجنا فيه امر البلاغ. والمراقب الخارجي لديه ميل الى اعتقاد - يشجعه عليه رؤساء الحكومات - مؤداه ان هذه البيانات المشتركة تظهر الى الوجود تلقائيا من واقع المناقشات التي يزعم البيان انه يلخصها لكن النقيض هو الصحيح عادة، اذ ان مناقشات رؤساء الحكومات تجري في اطار يحدده بلاغ يتم اعداده مقدما في العادة.

وكان نيكسون رأى واعتمد مسودة بلاغ توليت انا اعداده مع معاوني. وكان هذا البلاغ يلتزم الأسلوب التقليدي فيبرز مواضع الاتفاق المهمة ويلقي في الظل بنواحي الخلاف مغرقاً إياها في التعميمات المألوفة التي لا تأتي بجديد. وقد سلمت هذه المسودة لشو إن - لاي مساء ٢٢ أكتوبر (تشرين الأول). وفي المساء التالي اوضح لي شو إن - لاي رد فعله المبدئي قائلا ان الصينيين يودون ان يضيفوا وجهات نظرهم في بعض المواضع، وأن نائب وزير الخارجية تشي بنغ - في سيبدأ معي عملية اعادة الصياغة في الصباح التالي.

وشد ما كانت دهشتي في الصباح التالي عندما وجدت امامي في الموعد المقرر رئيس الوزراء نفسه. وعلى غير اسلوبه المتميز، القى شو خطاباً عنيفا استغرق ساعة كاملة، معلنا ان اسلوبنا غير مقبول بالمرة. فالبيان يجب ان يوضح الخلافات الأساسية بجلاء، والا بدت عباراته "في مظهر يجانب الحقيقة" فضلا عن ذلك فان علينا ان نتخلى عن ارتباطاتنا مع تايوان. اما مسودة البيان التي نعرضها حاليا فهي من نوع التفاهة التي يمكن ان يوقع عليها السوفييت من دون ان يعنوا كلمة واحدة منها او يلتزموا بها.

ورددت عليه بشدة غير معتادة، فقلت إنني احترم قناعات شو، لكن الاعلانات عن العقائد التي لا يرقى إليها الخطأ لا مكان لها في بلاغ محادثات. ولا شك في ان الصينيين لن يحترمونا إذا بدأنا علاقتنا الجديدة بخيانة اصدقائنا القدامى. إننا لن نتخلى عن روابطنا مع تايوان. اما المشكلات القائمة بيننا فيجب ان يحلها التاريخ وليس القوة. ونحن لم نأت هنا لمجرد تسجيل الخلافات الفلسفية، بل لكي نخط طريقاً إلى المستقبل.

وعقب فترة استراحة، قال شو إنه سيقدم مسودة بلاغ مقترحة في موعد لاحق من اليوم. وقد جاءت مسودة البلاغ في صورة لم يسبق لها مثيل، إذ سجلت موقف الصين تجاه مجموعة كاملة من القضايا في عبارات صارمة قاطعة، وتركت صفحات بيضاء كي

نسجل عليها موقفنا الذي افترض انه مناقض. وكانت العبارات الخاصةبتايوان في غاية التصلب.

وقد ذهلت في البداية، لأن اختتام زيارة لرئيس الجمهورية ببيان يعدد نواحي الخلاف امر شاذ تماماً. غير اني حين امعنت التأمل بدأت ارى ان جدة هذا الاسلوب في ذاتها قد تخرجنا من حيرتنا. ذلك ان بيان الخلافات من شأنه ان يطمئن الحلفاء والاصدقاء إلى ان مصالحهم كانت موضعاً لحمايتها والدفاع عنها، واذا استطعناان نتوصل إلى ذكر بعض المواقف المشتركة، فانها ستبرز عندئذ في صورة قناعات حقيقية يتمسك بها زعماء ذوو مبادىء. وسيتيح لنا ذلك ان نتفادى تفسيرات العبارات المكررة المألوفة الممجوجة التي هي آفة البلاغات المعتادة.

وقلت لشو إني اتقبل نهجه في اساسه، وان يتضمن البلاغ بياناً مطولا باوجه الخلاف، غير ان بعض الصياغات الصينية قد وضعت في قالب متصلب غير مقبول ولا يمكن الرئيس نيكسون ان يضع توقيعه على وثيقة تردد مواقف دعائية ثابتة تنشرهاالصحف كل يوم.

وتولى ونستون لورد إعادة صياغة مسودة البيان في حين انتزعت أنا ثلاث ساعات من النوم، ثم نام هو وتوليت انا مراجعة مسودته في ما تبقى من الليل. وقد ركزنا جهودنا على تلطيف لغة التعبير عن المواقف الصينية وكتابة الاقسام التي تعبر عن مواقف الولايات المتحدة، وإبراز عدد من نقاط الاتفاق.

كانت مسودتنا المضادة موضوعاً لجلسة استغرقت يوماً بطوله. وكانتقضية تايوان اصعب القضايا، كما هو متوقع. وكنا في حاجة إلى صيغة تعترف بوحدة الصين، وهي النقطة الوحيدة التي تتفق عليها تايبيه وبكين، من دون ان يتضمن ذلك تأييداً لمطالب اي منهما. وانتهيت اخيراً إلى التعبير عن الموقف الامريكي الخاص بتايوانعلى النحو الآتي:

"إن الولايات المتحدة تقر بأن جميع الصينيين على كل من ضفتي مضيق تايوان يتمسكون بأنه ليست هناك سوى صين واحدة، وليس لدى حكومة الولايات المتحدة اي اعتراض على هذا الموقف".

ولا اعتقد ان اي شيء قلته قد اثر في شو إن - لاي بمقدار ما اثرت فيه هذه الصيغة ذات الحدين والتي استطاع كلا الجانبين ان يتعايشامعها زهاء عقد كامل من الزمان.

وفي الساعة ١١،٣٥ مساء طلب الصينيون رفع الجلسة موقتاً، ثم جاؤوا في الساعة ٤،٤٥ صباحاً وقدموا الينا مسودة صينية جديدة، واعقبت ذلك عودة شو إن - لاي في الساعة ٥،٣٠ صباحاً. وقضينا - هو وأنا - بضع ساعات اخرى في تنقيح النص حتى الساعة ٨،١٠ صباحاً، عندما اتفقنا على الخطوط العريضة الرئيسية للبيان بعد جلسة استغرقت ٢٤ ساعة متواصلة من دون توقف تقريباً.

وكنا حددنا موعد رحيلنا في الساعة ٩،٠٠ صباحاً، فاخذني شو معهحتى باب بيت الضيافة، وخاطبني باللغة الانكليزية للمرة الاولى قائلا: "عد إلينا قريباً كي نستمتع بالحديث".

ولم تكد طائرتي تقلع في اتجاه الوطن حتى اضطربت مفاتيح المبرقة الكاتبة (التليبرينتر) تنقل إلينا نبأ فقدنا لمعركة المحافظة على مقعد تايوان في الامم المتحدة. وقال لي شو إن - لاي في ما بعد إنه كان علم بنتيجة التصويت في الامم المتحدة قبل سفري مباشرة، لكنه لم يشأ إحراجي بان يكون هو اول من يخبرني.

واحتلت بكين مقعدها في الامم المتحدة، وكان ذلك مصحوباً بدعابة خاصة بين شو وبيني لم يفهمها احد سوانا. ذلك ان نائب وزير خارجية الصين تشياو كوان - هوا اوضح بجلاء ان الصين لا تهدر شيئاً ابداً عندما ادرج في اول خطاب له في الامم المتحدة كل الجدليات التي كنت حذفتها من البلاغ. عندئذ اصدرت تعليماتي بدوري إلى سفيرنا في الامم المتحدة جورج بوسن ان يعرب عن اسفه لان بكين رأت ان تبدأ مشاركتها في هذه المنظمة العالمية "بإطلاق مدافع الخطابة الفارغة هذه". وقد فهم شو إن - لاي ما اقصده، على رغم ان بعض كتاب الافتتاحيات في الصحف وجدوا ان هذه العبارة خشنة، بينما تعجب آخرون لغرابة الاستعارة.

وحدث في عطلة "عيد الشكر" (رابع يوم خميس في شهر نوفمبر - تشرين الثاني) ان كنت في طائرة رئيس الجمهورية متوجهاً إلى سان كليمنتي مع ابني ديفيد الذي يبلغ من العمر تسعة اعوام. واخذ الصحافيون يشاغبون الصبي، فسألوه عما إذا كان يعرف الموعد - الذي كان لا يزال سراً - المحدد لرحلة نيكسون إلى الصين. وكان ديفيد سمع شهر مارس (آذار) يذكر في الراديو، فأجابهم بذلك، واسرع الصحافيون مبتهجين ينقلون ذلك على انه نصر صحافي، وقضيت بعد ذلك اياماً عدة يتعقبني صحافيون يريدون ان يعرفوا ما إذا كنت اعتزم "تكميم" ابني عقاباً له على إذاعة اسرار الدولة. غير ان تقارير الصحافة عما "افشاه" ديفيد كانت خاطئة تماماً، مثل التقرير الاخباري الذي سمعه الصبي في الراديو وذكر لهم الموعد الوارد فيه. وفي ٢٩ نوفمبر (تشرين الثاني) اعلن البيت الابيض ان تاريخ زيارة نيكسون لبكين الذي تم الاتفاق عليه هو - لحسن حظ ابني - يوم ٢١ فبراير (شباط) ١٩٧٢.

إن العام الذي بدأ برسائل اختبارية غير مباشرة لبكين عن طريق اطراف ثالثة انتهى بمحادثات مباشرة وباقامة قنوات اتصال عدة مباشرة. وبعد ان ظلت اتصالاتنا بالصينيين منقطعة مدة عشرين عاماً كاملة، اجرينا معهم اشمل عرض للعلاقات الدولية عرفته طوال خبرتي الدبلوماسية. وها هو رئيس الولايات المتحدة على وشك زيارة العاصمة الصينية، وقد تم الاتفاق بالفعل على كل العناصر الجوهرية للبلاغ الذي سيصدر عن زيارته. لقد اتخذنا خطوة عملاقة احدثت تحولا كبيراً في ديبلوماسيتنا، واضفينا على سياستنا الخارجية مرونة جديدة.

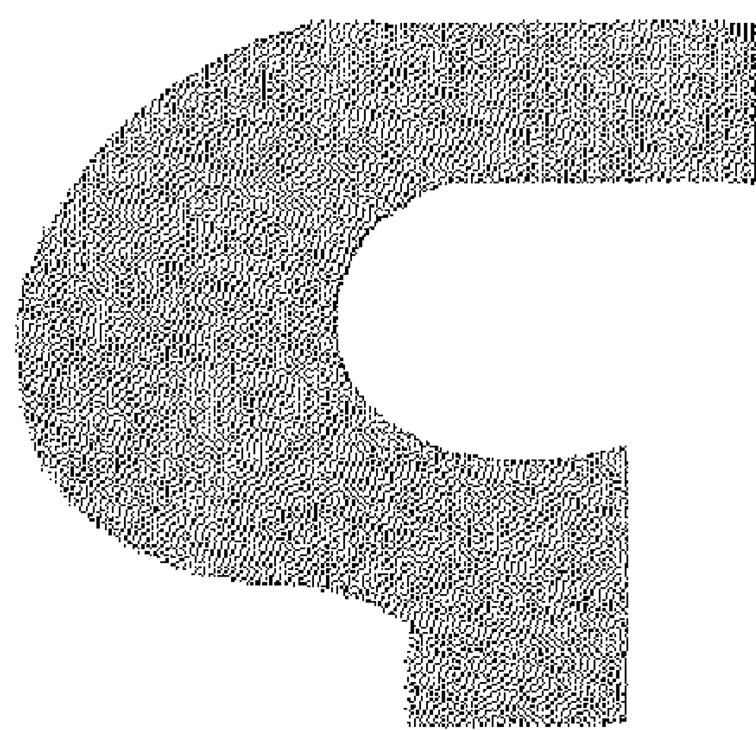
حقيقة إن الطريق امامنا كان في طبيعة الحال لا يزال طويلا، ولكننا كنا انطلقنا من نقطة بداية جديدة.

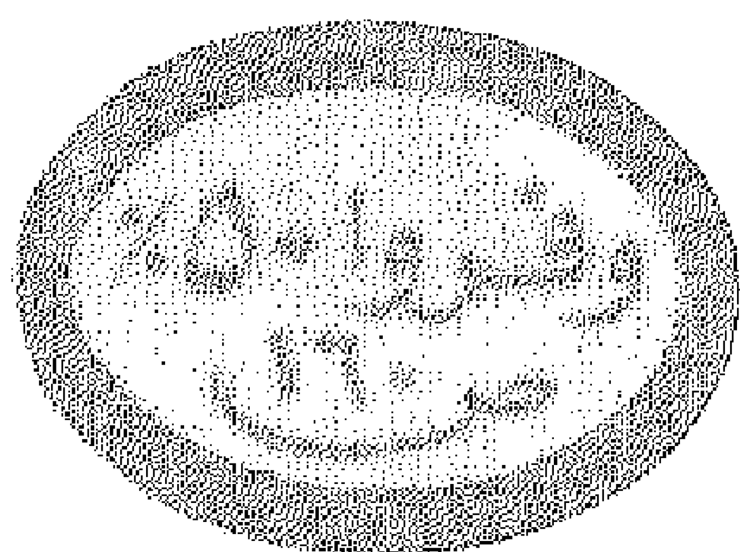
■ **هنري كيسنجر**



شباط (فبراير) ١٩٨٠

المختار





كيف نواجه الصّداع ص ٨٥

خرافات حول سِنّ اليأس لدى المرأة ص ٢٢

حوار مع ناس في العالم الآخر ص ١٢٦ .

AL MUKHTAR min Reader's Digest FEBRUARY 80 N° 15

شباط (فبراير) ١٩٨٠

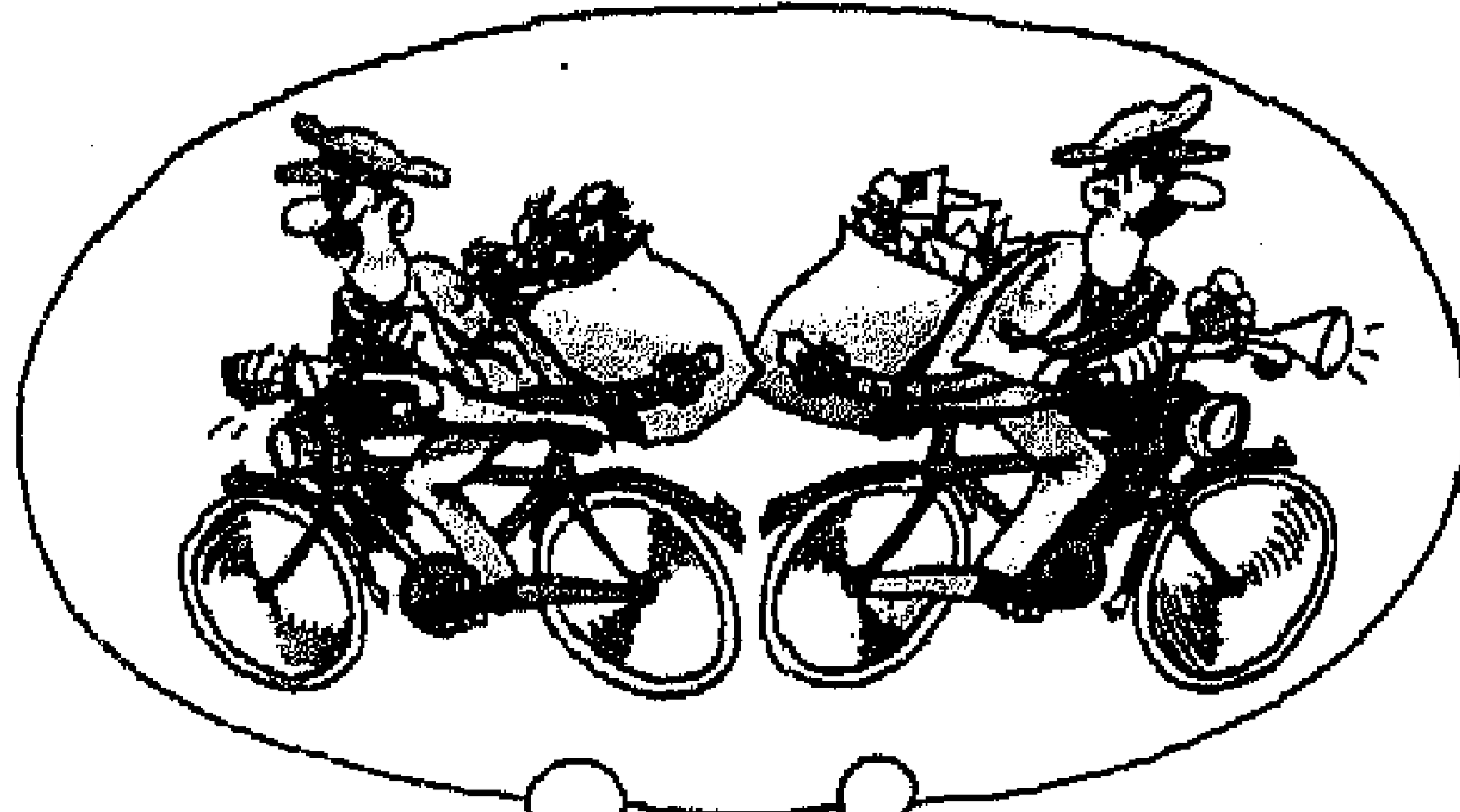
المختار

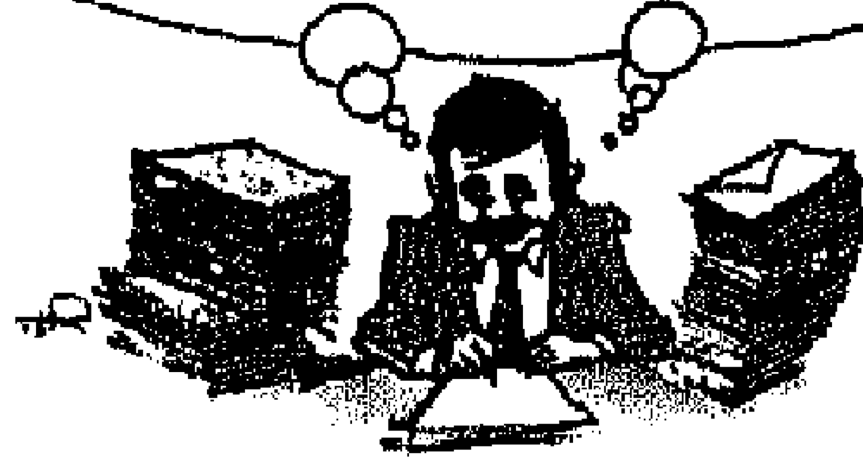


من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا واميركا الشمالية ١٢٠د





اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ المقالات

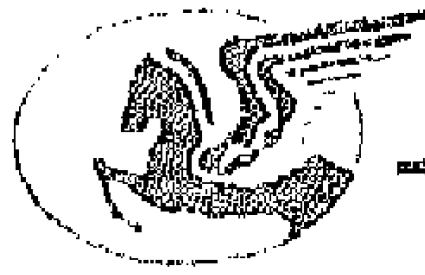
يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

- ○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...).
- ○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- ○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر أجنبية.
- ○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي : مؤنس طه حسين .
رئيس التحرير : ادمون صعب .
رئيس التحرير المعاون : اديب صعب .
مدير التحرير : فؤاد غطاس كرم .
امانة التحرير : رينا نداف .
الاخراج : اروى سيف الدين .

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس .

الناشر :
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية .
المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح .

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I.

الادارة والتحرير والاشتراكات:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات :
شركة تمام TAMAM
19, Av. Franklin D. Roosevelt — 75008, PARIS

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات .

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية - باريس .

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا .

الخط: محمد ماجد .

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ . اوهارا .
مدير التحرير: آلان دوليرو .

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية .

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D
N° DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

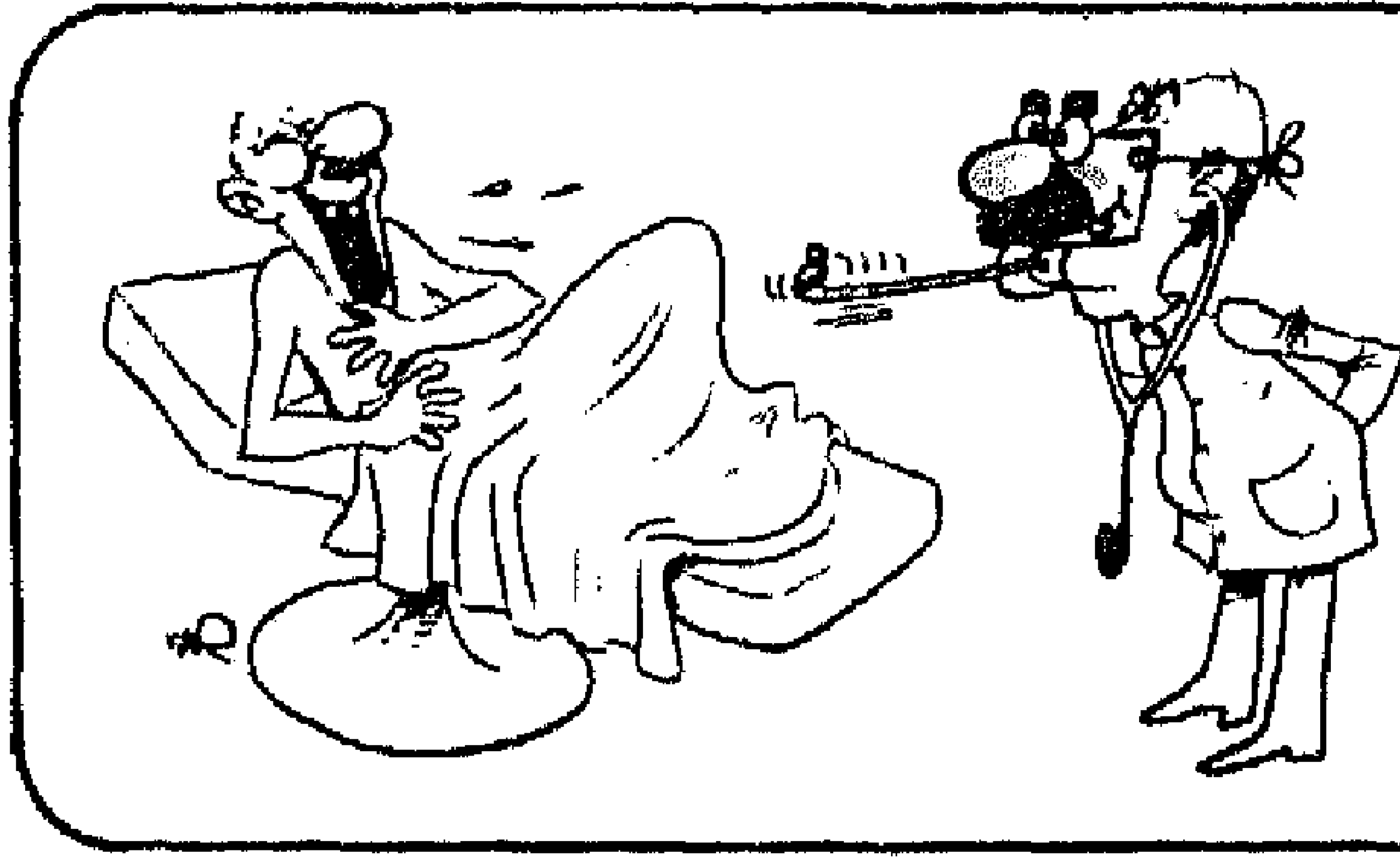
الغلاف: قطة ١٩٧٣ (اندريه دورانتون)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
February 1980 (New Series). Vol. 2 N° 15



PRINTED IN ITALY
POLIGRAFICI EDITORIALE SPA

الضحك خير دواء



تأنيب؟

كانت الزوجة تقرأ كتاباً عن الابراج، فقالت لزوجها:
"لو تأخرت ولادتك يومين فقط، لكنت رقيقاً وكريماً وذكياً".

هـ.ك.

آدم وحواء

قال بائع الفساتين المتعب لزبونته: "هل تساءلت يوماً كم ورقة توت جربت حواء قبل ان يستقر رأيها على واحدة؟"

ك.ن.

مدرسة اللصوص!

أدرّس مادة اللغة الانكليزية للصف المنتهي في مدرسة ثانوية. وقد اخترت لهم رواية "مول فلاندرز" الشهيرة لدانيال ديفو، كما اخترت ان تكون الرواية موضوع النقاش الرئيسي عندما يزور الآباء الصف لمتابعة وضع ابنائهم.

وفيما كنت اروي حادث تلك المناقشة لصديقة ظننتها تعرف الرواية، قلت: "اني ادرّس مول فلاندرز في الصف الرابع". ولم تعلق صديقتي بشيء، فمضيت في حديثي: "وتعرفين طبيعة شخصية كهذه. فهي ولدت في السجن وعاشرت رجالا عديدين وتزوجت مرات عدة واحترفت السرقة".
وهنا اوقفتني صديقتي وهتفت: "يا الهي! وكيف يسمحون لها بالبقاء في المدرسة؟"

ن.ب.

الى عشاق الرحلات

بينما كان سائق السيارة يجتاز الصحراء رأى الى حافة الطريق رجلا يحمل ابريقا من عصير البرتقال، ورغيفا من الخبز، وباب سيارة، فتوقف وسأله:
- ماذا تعمل هنا؟
□ احب الرحلات سيرا على القدمين.
- ولماذا تحمل كل هذه الامتعة؟
□ اشرب جرعة من عصير البرتقال متى عطشت، واتناول قضمة من الرغيف متى جعت.
- ولماذا تحمل باب السيارة هذا؟
□ عندما يشتد الحر اسدل النافذة.

د.ب.

خاص بالرجال

في أحد نوادي مدينة نيفادا غرفة خاصة بالرجال، كتب احدهم على بابها: "على الجميع ان يدركوا ان هذه الجدران الاربعة هي آخر ملجأ يتمتع فيه الرجال بعزلتهم" وتحت ذلك مباشرة كتابة غير مفهومة تماماً ترد على ذلك بما معناه "اعد النظر في ذلك، الامضاء: عاملة التنظيف".

ر.ب.

سرّ المهنة

سافر المحامي الى مدينة بعيدة للمرافعة في قضية مهمة، ووعد شريكه بان يبرق له فور صدور قرار المحكمة. وانتظر الشريك طويلا حتى وصلت البرقية وفيها كلمتان: "انتصر الحق". فرد الشريك ببرقية اخرى تقول: "استأنف القضية فوراً".

م.و.

علي وعليّ اعدائي

التزم جميع سكان حينا ممن التقيتهم بقرار السلطات البلدية القاضي بخفض حرارة منازلهم توفيراً للطاقة، سوى واحد فقط. الا ان عناده لم يدم، بل رضخ بعد بضعة ايام مفسراً الامر بقوله: "لم اعد اتحمل كثرة الضيوف الذين يأتونني طلباً للدفء".

الفن والحياة

نظمت صحيفة مسابقة تمنح فيها جائزة لاحسن جواب عن السؤال الآتي: "اذا اندلع حريق في متحف اللوفر ولم يكن في استطاعتك ان تنقذ سوى لوحة، فأيها تختار؟"

وكان الجواب الفائز: "اقرب لوحة الى باب الخروج".

حقيقة مرة

قبل بضع سنوات غيرت طبيب اسناني، وفيما كنت انتظر في صالة الاستقبال، وقع نظري على شهادة تخرج الطبيب وفيها اسمه الكامل. فتذكرت فجأة ان شابا وسيما طويلا يحمل الاسم ذاته كان زميلي في الدراسة الثانوية قبل نحو اربعين سنة.

ولكن حين دخلت غرفة الطبيب صرفت الفكرة من ذهني كليا. فهذا الرجل الاصلع ذو بقايا الشعر الشائب والوجه المليء بالتجاعيد اكبر من ان يكون رفيقي في الدراسة. وبعدما اكمل فحص اسناني سألته ان كان قد درس في مدرستي الثانوية، فأجاب بالايجاب. ثم سألته عن سنة تخرجه، ولشد ما ادهشني اذ اجاب: "١٩٤٤". فهتفت: "لقد كنت في صفي"، وهنا نظر الي مليا وسألني: "اي مادة كنت تعلمين؟".

ا.ل.غ.

سياسي في الحمام

بعد فترة قصيرة من تعيين نورمان ماكغوان خادماً شخصياً للسير ونستون تشرشل، سمع سيده يتكلم بلغة خطابية عالية وهو في الحمام. فسأله: "هل تناديني يا سيدي؟"

فأجاب تشرشل: "كلا، شكراً يا نورمان. كنت اخاطب مجلس العموم".

كتاب "فطنة السير ونستون"

كبش الفداء

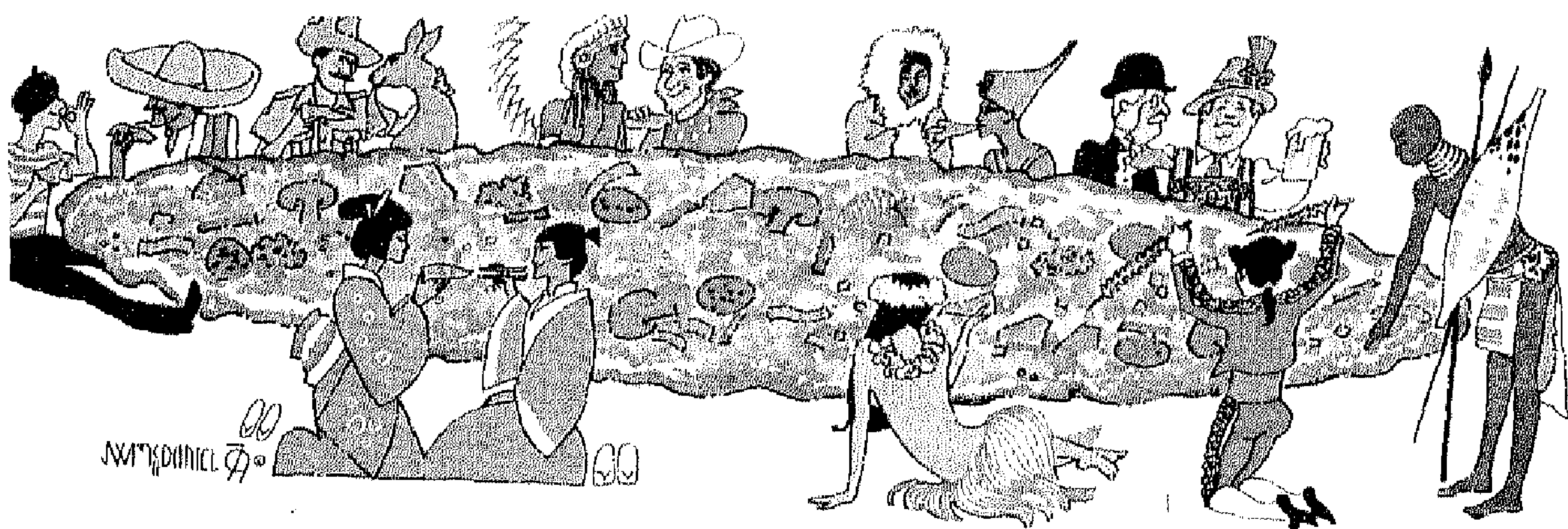
اشترى جارانا - وهما عروسان تزوجا حديثا - سيارة جديدة عاملاها برعاية واهتمام فائقين. وذات يوم حاول الزوج صف السيارة في المرآب، فاصطدم الضوء الخلفي الايمن بالحائط وانخلع اطاره. وكان الضرر طفيفا وتم اصلاح الضوء بسرعة.

ولم يمض اسبوع حتى تكرر الامر. وشعر الزوج بالحرج من فكرة الذهاب مرة اخرى لاصلاح السيارة. فقالت له زوجته بحنان: "قل لهم اني تسببت في ذلك هذه المرة". ولم يكن من الزوج الا ان اجاب ببلاهة: "لكن هذا ما قلته لهم المرة السابقة".

ب.ل.ج.

جائزة نوبل... للبيتزا

بدعة ايطالية بسيطة تغزو العالم فيحبها ويطلب منها المزيد



حين اقتربت مركبة "فوياجر - ١" من كوكب المشتري في مارس (آذار) ١٩٧٩، بثت اجهزة التصوير في المركبة صوراً لا تصدق للقمر الغامض "ايو"، أحد الاقمار التي تدور في فلك الكواكب، ألوانه مزيج من الذهبي والاحمر والبني. فصاح احد علماء الفلك مندهشاً:

"عجباً. انه كالبيتزا!"

بل ربما كان فطيرة بيتزا فعلا. فمنذ الحرب العالمية الثانية وهذه البدعة الايطالية من عجين مرقوق تعلوه طبقة من جبن الماتساريلا والبندورة (الطماطم)، اضافة الى رشات قليلة مما يطيب لك مذاقه من سمك الانشوفة (انشوا) وبصل وثوم وتوابل وفلفل أخضرومقانق تنتشر في انحاء الكرة الارضية، حتى بدا مرجحاً ان مسألة اندفاع الكواكب الاخرى نحو تقليدها هي مسألة وقت.

لم ينتشر بمثل هذه السرعة والثورية والنجاح العالمي الا القليل من اطباق الطعام، علماً ان استهلاك البيتزا قبل الحرب العالمية الثانية

اقتصر على الايطاليين الجنوبيين، سواء أفي وطنهم الام او في "الايطاليات" الصغيرة المتعددة التي انشأوها حول العالم. وتقدر المبالغ المتداولة في تجارة البيتزا في الولايات المتحدة وحدها بما يعادل اربعة مليارات دولار سنوياً. وهي، بالنسبة الى الشبان والفتيات، تنافس اليوم تجارة الهمبرغر والدجاج المقلي والهوت دوغ، وهي الأكلات الامريكية السريعة المفضلة.

ويوم دفع الاجور في اليابان يصرف العمال اول ين من رواتبهم على شراء البيتزا من المطابخ المحلية المختصة. وتفاخر مدينة سان باولو البرازيليةبان معدل استهلاك الفرد للبيتزا فيها أضخم منه في اي مدينة أخرى في العالم، باستثناء نيويورك التي تأتي في المرتبة الاولى. وفي بلدة هاي ريفر في الأقاليم الشمالية الغربية من كندا يصطف الصيادون الهنود ورجال الشرطة الخيالة تحت الثلج المنهمر امام محلات البيتزا، يقضمون تلك الفطيرة فتتكسر قشرتها الهشة تحت اسنانهم، ويمضغون الاجزاء الطرية متلذذين بنكهة ما أضيف الى سطحها.

ووصلت البيتزا الى العالم العربي وانتشر استهلاكها في بعض المدن، مثل بيروت، الى درجة ان الانواع التي تقدم منها قد تجاوزت العشرين، كما ادخلت عليها بعض النكهات المحلية.

لماذا يكتسح شيء بسيط كالبيتزا ارجاء العالم؟

يقول فريق بحوث الاسواق الامريكية إن سبب رواج البيتزا هو "مذاقها اللذيذ". واظن انه كان في استطاعة ابني الصغير ان يوفر على الفريق مشقة البحوث، لان تحليله للمعضلة لم يستغرق اكثر من ثلاث ثوان: "مذاقها رائع وأكلها ممتع وثمنها زهيد".

قبلة الذواقة – من ابتكر هذا الطبق الرائع؟

ترجح معظم النظريات ان اسم الطبق يرجع الى كلمة "بيتا" اليونانية، ومعناها "الخبز الرقيق". وما زالت هذه الكلمة تستعمل حتى الآن في انحاء من أقصى الجنوب الايطالي. ولا يخفى ان اليونانيين هم الذين شادوا معظم المدن الايطالية الجنوبية، واشهرها نيابوليس (المدينة الجديدة) التي تعرف الآن بنابولي. وربما اختلف خبراء البيتزا في آرائهم حول امور كثيرة، الا انهم يكادون يجمعون على ان نابولي هي موطن البيتزا التقليدي، يؤمها الخبراء والذواقة من كل مكان وكأنها قبلة المؤمنين.

ومن التناقضات ان البيتزا النابولية الاصيلة التي تعرف بـ"نابوليتانا فيراتشه" تختلف عن البيتزا التي اكتسحت العالم. فهي رقيقة وهشة وتخبز حتى التحميص تقريباً في فرن على هيئة قفير نحل يوقد بحطب خاص وتستقر البيتزا في جوفه مدة ثلاث دقائق فقط. وتقدم مخابز البيتزا النابولية انواعاً مختلفة تراوح بين اربعة اصناف وستة، لكن الطبقة العليا فيها كلها لا تعدو كونها "رشة" طفيفة لمزيج من الاشياء. ومن الذها البيتزا المغمسة بالثوم والزيت والملح.

بحثت وزوجتي في نابولي عن احد المعالم المحلية في تاريخ البيتزا، وهو "لانتيكا بورت البا". وربما كان هذا أقدم مخبز فيالمدينة، وقد باشر اعماله نحو سنة ١٨٣٠. وصاحب المخبز الحالي هو دون فينشنزو لوشيانو الذي ارانا معجناً خشبياً امتلكته اسرته منذ أربعة أجيال، وقال:"نحن نعمل بأيدينا ونستخدم الطحين الجيد والخميرة والملح والماء، ولا شيء غيرها". ويقسم العجين اقراصاً صغيرة يزن كل منها ١٥٠ غراماً، وتترك الليل بطوله لتختمر وتنتفخ. ثم توضع الاقراص في صوان خشبية تكدس قربالفرن استعداداً لوصول الزبائن.

وحين وصلت الى مخبز دون فينشنزو كان الفرن متوهجاً. وبادرته بالسؤال عن أكثر أنواع البيتزا رواجاً فأجاب:"لا مارغريتا. انها البيتزا التي صنعت تكريماً للملكة الايطالية مارغريتا حين زارت نابولي في أواخر القرن الماضي وقد زينت بالالوان القومية: بندورة (طماطم) للون الاحمر وجبن الماتساريلا للأبيض وورق الحبق للأخضر.

صناعة الاجيال - طلبنا قطعة من هذا الصنف. وللتوّ هب معاونا دون فينشنزو الى العمل وتناول طاهي البيتزا (البيتزا يولو) قرصاً من العجين رققه بين أصابعه حتى صار قطره ٣٠ سنتيمتراً وسماكته اقل من خمسة مليمترات في الوسط وأكثر قليلا عند الحافة المرتفعة. وكالبرق الخاطف نزلت أصابعه وارتفعت داخل صف من الاواني الزجاجية التي تحتوي على عناصر البيتزا الاساسية: مسحة من عصير البندورة ورشة من جبن الماتساريلا وبضع اوراق حبق.ثم دهن القرص بزيت الزيتون الذي سكبه من ابريق ذي انبوب دقيق.

واذ ادرك المسؤول عن الفرن ان النار ضعيفة، قذف في وسطها ملء مجرفة من نشارة الخشب، هدر صوت احتراقها لترتفع ألسنة اللهب. ثم تناول القرص ووضعه على طرف لوح خشبي طويل الذراع وقذف به الى عمق الفرن، فانزلق القرص على ارضيته القرميدية. بعد ذلك استعان بلوح حديد (العجين الطازج يلتصق بالحديد) وحرك القرص ليتعرض للنار من جوانبه كلها، ثم سحبه بسرعة الى الخارج واسقطه فوق صحن وناولنا اياه.

ورحنا نأكل البيتزا ونشرب نبيذ الاسبرينو المصنوع محلياً، مستمعين الى دون فينشنزو وهو يروي لنا المزيد عن اصول البيتزا، مركزاً على ضرورة تحضيرها فوق بلاط رخامي ومشيراً الى انه لا ينفع في خبزها سوى البلاط.وقال إن بعض الاسر الايطالية تخصصت منذ أجيال في جمع نوع من الحطب القاسي لاستعماله وقوداً للافران، بينما احتكرت عائلة أخرى فن بناء الافران وترميمها. والجدير بالذكر ان الجزء الخارجي لعدد كبير من الافران مصنوع من الصخر البركاني الاسود الذي اقتلع من جبل فيزوف القريب.

لما فرغنا من الأكل أثنيت كثيراً على صانعي البيتزا، فابتسم الطاهي وقال:"الأمر بسيط ولا يتطلب أكثر من أن يقوم جدك الأكبر بتعليم جدك ومن ثم يتولى جدك تعليم أبيك وأبوك..."

في حقيقة الامر، ان البيتزا التي عرفها العالم وأحبها هي ريفية الاصل وتعرف أحياناً باسم "سيسيليان" او صقلية، إذ يرجح انها انتقلت الى أمريكا عن طريق المهاجرين اليها من الجزيرة. وهي لا تشبه البيتزا النابولية الا بالاسم وباستخدام العجين نفسه. فهي اشد سماكة وأكثر طراوة، وتضاف اليها أنواع من المأكولات حتى تصير وجبة كاملة في ذاتها. وقد عاد الجنود الامريكيون الذين ذاقوا طعمها أيام الحرب العالمية الثانية، وكذلك السياح الامريكيون، الى بلادهم وراحوا يبحثون عنها في الاحياء الايطالية.في ذلك الوقت بدأ "انفجار البيتزا".

في العام ١٩٥٤ افتتح البحار السابق شيروود جونسون (شيكي) مع صديق له في ساكرامنتو مطعماً للبيتزا يتسع لستة وثلاثين مقعداً. وراجت أطباقهما على الفور، فزادا عدد المقاعد حتى ضاق المطعم بها. وهكذا اسسا مطعماً بعد آخر الى ان تكونت اول سلسلة عالمية من مطاعم البيتزا شملت معظم الجزء الغربي من الولايات المتحدة ثم المكسيك فكندا وغوام (جزيرة في المحيط الهادىء) واليابان وأوستراليا والفيليبين. وفي النهاية باع الرجلان امتيازاتهما الى مجموعة شركات كبرى بملايين الدولارات. ولا تزال مطاعم "شيكي" قوية حتى اليوم.

وحدث ان احتاج الاخوان كارني - دان وعمره ٢٥ سنة وفرانك وعمره ١٩ سنة - من مدينة ويتشيتا في ولاية كنساس الامريكية - الى مبلغ من المال لسد نفقاتهما الجامعية عام ١٩٥٨، فقررا بيع البيتزا. لكنهما لم يملكا رأس مال كافياً لوضع لوحة ضوئية خاصة فوق المطعم الجديد، ولهذا قنعا باللوحة الكهربائية القديمة التي تركها صاحب المطعم السابق. وبعد ان كتبا فوقها كلمة بيتزا لاحظا ان اللوحة لا تتسع لاكثر من ثلاثة احرف أخرى، فاختارا كلمة "كوخ". ولا يزال هذا الاسم يتلألأ حتى اليوم.

وهناك الآن نحو ٤٠٠٠ كوخ بيتزا تتميز بسقوفها الحمر وتنتشر فوق رقعة من الارض تمتد من الامريكتين الشمالية والوسطى الى أوروبا والشرق الاوسط واوستراليا واليابان. واصبحت سلسلة المطاعم هذه أضخم سلسلة من نوعها في العالم. وقد اندمجت عام ١٩٧٧ بشركة بيبسيكو التي تعمل حالياً من أجل فتح عشرة اكواخ بيتزا في بلغاريا لبدء غزو امريكي للبيتزا داخل العالم الشيوعي.

خبز وخيال - يلجأ عدد كبير من شركات البيتزا الى صنع بيتزا مجلدة وجاهزة للتسخين والاكل.وتفيد النشرات التي تصدر عن كبرى المحلات التجارية أن البيتزا تحتل المرتبة السادسة بين المأكولات المجلدة في مبيعاتها، ويتزايد معدل الاقبال عليها بما يفوق ضعفي معدل المبيعات الاخرى. وتوفر البيتزا المجلدة وجبة مغذية زهيدة الثمن لعدد من المؤسسات كالمستشفيات والمدارس، مما يؤكد انها ليست كبعض المأكولات الاخرى عديمة الفائدة من الناحية الغذائية.

وقد اصدر الخبراء الذين يجرون

فحوصاً دقيقة للمأكولات المجلدة الرائجة تقريرا يؤكد ان البيتزا المحتوية على الجبن او المقانق هي افضلها غذائيا الى حد بعيد لقلة المواد الدهنية فيها ولنسبة البروتيين المرتفعة. ولا يرتفع عدد سعراتها الحرارية فوق المستوى العادي.

لقد تخطى تيار البيتزا الولايات المتحدة الى جميع اركان المعمورة، حتى ان أحد الباريسيين اشتكى قائلا: "لن يمضي وقت طويل حتى تشتهر باريس لا ببرج ايفل بل حتى بلافتات البيتزا. وحين غزت البيتزا الامريكية بريطانيا هب البريطانيون الى التحدي. واعلنت مؤسسة بريطانية بنبرة هادئة انها تبيع "الترجمة الانكليزية للنسخة الامريكية عن الاصل الايطالي".

وفي اليابان يزخرفون البيتزا بالحبار (السبيدج) وفول الصويا المخمر وبراعم الخيزران والسوسن والزنجبيل، وبالفريز (الفراولة) احياناً. وابتدع احد الطهاة البرتغاليين ما سماه "بيتزا الصياد" أضاف اليها قطعاً من اكباد الطيور، وصنفاً آخر سماه "بامبينو" أضاف اليه لحم الدجاج وجبن الماتساريلا وقطعاً من الموز. ويحب الاوستراليون إضافة الاناناس بينما يضيف الفرنسيون البيض النيء في اللحظة الاخيرة من خبز البيتزا. ويستخدم البرازيليون في صنعها الخوخ (البرقوق) والتين وغالباً ما يدهنونها بمزيج محبب اليهم يدعى فايزودا من الفول الاسود المغلي واللحم والمقانق والخضر. ولم لا ؟ فالبيتزا ليست إلا "خبزاً وهوى وخيالا" كما قال أحدهم.

ولو ترك لي الخيار في انتخاب الفائز بأجرأ خليط للبيتزا لانتخبت لاري غولدبيرغ من نيويورك. فالصنف الرائج عنده يسمى "سموغ" (اي الضباب الاسود) ويحتوي على المقانق والفطر والبصل والفلفل الاخضر. وهو يقدم صنفاً آخر يسميه "غولديلوكس" يحتوي على سمك السلمون المدخن والبصل، وثالثاً اسمه "أبراج السماء" يضم فطائر تمثل الابراج الفلكية، اضافة الى بيتزا ذات نسبة متدنية من السعرات الحرارية حذف منها العجين.

ويمكننا القول الآن إن البيتزا قد استكملت دورتها. ويروى ان بحاراً أمريكياً قصد نابولي بمأذونية من قائده ليعود مسرعاً ويصرخ في زملائه: "اتدرون؟ انهم يصنعون البيتزا هنا أيضاً!"

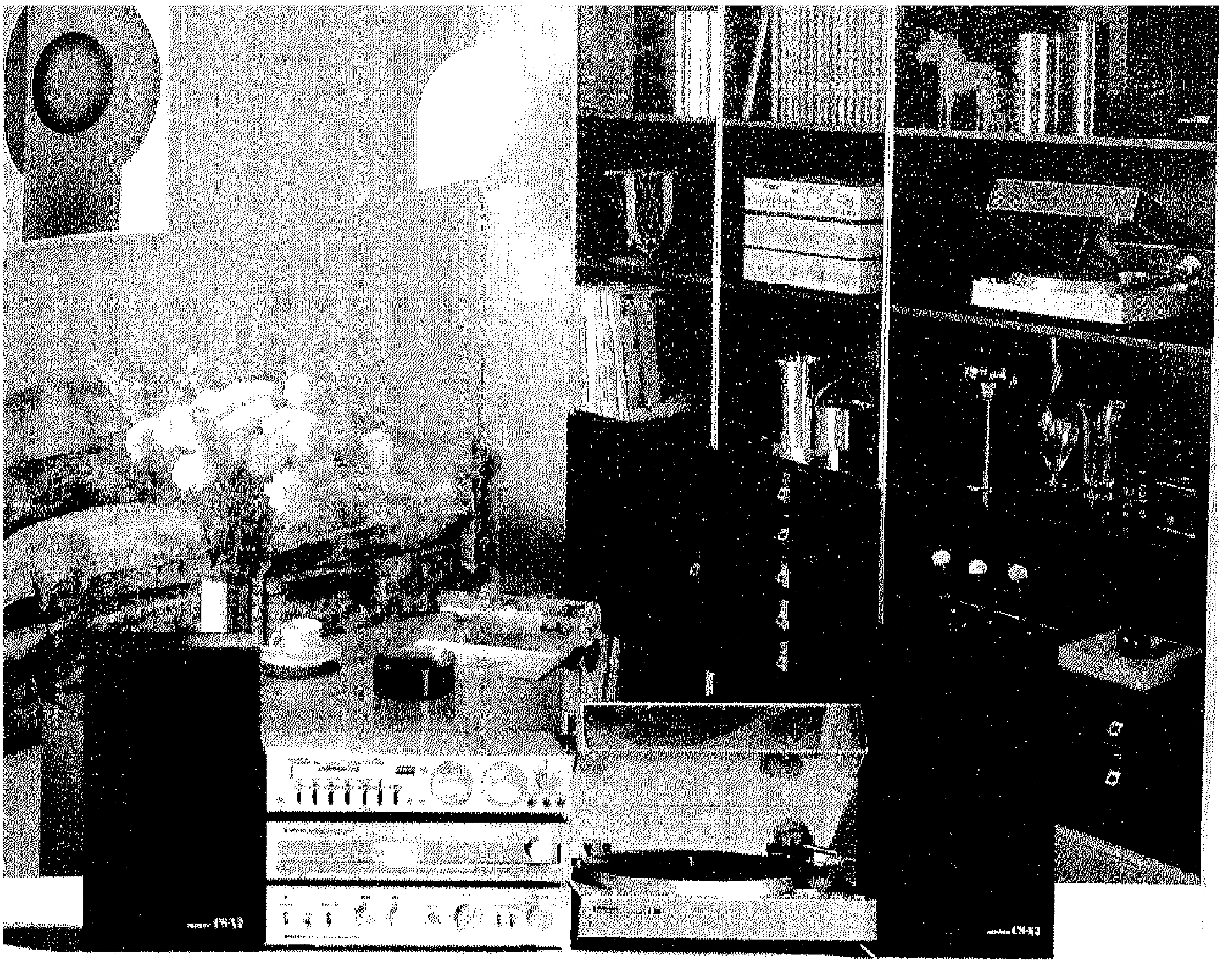
■ غوردون غاسكل



الانسان والآلة

احد الاسباب التي تجعلنا نفضل التعامل مع البشر على التعامل مع الادمغة الالكترونية هو اننا لن نحصل على خدمة افضل لو نادينا الدماغ الالكتروني بعبارة "يا عزيزي"، او لو قلنا له اننا نعرف ابويه.

ب. ف.



Mini Hi-fi System النظام الجديد "ميني هاي-فاي"

الآن، صوت ستيريو أفضل نوعيّة في جهاز أصغر حجماً وأكثر ملاءمة

نظام بايونير الجديد "ميني هاي-فاي" لموسيقى الستيريو يلفت النظر والسمع معاً. لقد أخذنا أفضل فوائد الأجهزة الصغيرة المتناسقة حجماً ودمجناها بنجاح عظيم بخبرة تنوف عن ٤٠ عاماً في عالم الصوت. النتيجة، كانت نوعية أفضل في تصميم فريد أكثر ملاءمة وتماشياً مع حياة ومتطلبات العصر، نوعية صُممت خصيصاً لعالم من الصوت أكثر كمالاً. صغير، ليس تماماً. نسّق حجمه بحيث أصبح أكثر تحملاً وديمومة.
مطور في تصميمه وتقنيته، إلا أنه بعيد عن التعقيد بسيط الأداء سهل التشغيل.

ثم، نظام بايونير "ميني هاي-فاي" لموسيقى الستيريو هو نظام كامل. "بيك آب" مضخم للصوت، جهاز إستقبال FM/AM، وخيار لأنظمة مكبرات الصوت. بالاضافة إلى "كاسيت دك" متجانس التصميم. وبايونير قد حافظت على وحدة الشكل والقياس. فكل وحدة من النظام تقيس في عرضها فقط ٣٨ سم. فلا تحريف في جمال الموسيقى ونقائها، ولا تحريف في جمال وترتيب غرفتك.
نظام بايونير الجديد "ميني هاي-فاي" لموسيقى الستيريو. يمتعك بعالم "الهاي-فاي" الحقيقي بسعر معقول. فالشيء الوحيد "الميني" فيه هو فقط المساحة التي يستهلكها.

PIONEER® بايونير

Pioneer Electronic Corporation 4-1, Meguro 1-chome, Meguro-ku, Tokyo 153, Japan



فصل من "ملحمة لاجئي القوارب" الفيتناميين

الاسرة التي ترفض اليأس

مأساة "لاجئي القوارب" الفيتناميين هزت ضمير العالم

في أواخر العام ١٩٧٨، انغمست فيتنام في عملية غير انسانية فراحت تطرد من أراضيها كل من لا يسهل إدماجهم التام في المجتمع الاشتراكي وتصادر أملاكهم. وفرضت على الفيتناميين الذين من أصل صيني إتاوة يدفعونها للحكومة تراوح بين ١٥٠٠ و٢٠٠٠ دولار أمريكي في مقابل السماح لهم بمغادرة البلاد. أما الذين يعجزون عن افتداء أنفسهم بثمن الخروج هذا فيرسلون "لاعادة توطينهم" في "مناطق اقتصادية جديدة" لا تعدو كونها معسكرات اعتقال. لكن مئات الآلاف لم يألوا أي جهد كي يدفعوا الإتاوة المفروضة على فرصة المجازفة بحياتهم في عرض البحر في قوارب صغيرة تطلعاً الى الحصول على حياة أفضل في مكان آخر.

وكان بين "لاجئي القوارب" هؤلاء في أوائل ١٩٧٩ اطفال نغييم تون تات الثلاثة، وأكبرهم ابنته نام تران التي كان ابوها يدللها باسم نينا، وهي في الرابعة عشرة، يليها ابنه فونغ آن المدعو توني، وهو في الثانية عشرة، ثم الصغيرة تان نغوك، او ميلي، التي لا تتجاوز العاشرة. وكان هؤلاء انفصلوا عن أبيهم منذ غادر فيتنام قبل أربع سنوات، وانضموا الى ام نغييم

وأخواته. وقد تقرر أن تصحبهم في رحلتهم الخطرة إحدى أولئك الاخوات، وهي ثاو التي تبلغ الرابعة والعشرين، والتي تبنتها الاسرة وهي رضيعة.

كان نغييم في مدينة مينيابوليس الامريكية ينتظر وصول أطفاله بقلق بالغ. وهو كان سافر الى الولايات المتحدة عام ١٩٧٢ موفداً من اتحاد عمال فيتنام الجنوبية لدراسة العلاقات الصناعية في جامعة مينيسوتا. وهناك أحس بألم الحنين إلى أطفاله الذين تركهم في سايغون. وكان اقوى عامل حرك مشاعره مقال قرأه في الصحف عن صندوق علاج الاطفال المرضى بالقلب الذي يسهل إجراء جراحات القلب المفتوح للاطفال المعدمين من العالم الثالث. وكانت مكاتب ادارة الصندوق في مبنى "مركز متروبوليتان الطبي" الذي لا يبعد سوى قليل عن مسكنه.

ولم يتردد نغييم في القيام بتصرف إنساني رحيم قدر له أن يؤثر على مستقبله أعمق تأثير. فقد ذهب إلى إدارة الصندوق وعرض خدماته كمتطوع في أوقات فراغه. وعلى مدى العامين التاليين، قدم الى الصندوق خدمات ثمينة لا تقدر كمترجم ومرافق للمرضى وضابط اتصال بين المستشفى وأسر الاطفال المرضى في فيتنام.

وبعد انتهاء دراسته، عاد في أغسطس (آب) ١٩٧٤ إلى سايغون ليمارس عمله موظفاً في اتحاد عمال فيتنام الجنوبية، مبتهجاً باستئناف الحياة مع أطفاله. وكان، خلال الفترة التي أقامها في مينيابوليس، قد ارتبط بصداقة قوية عميقة مع ميرنا باهمان، المديرة التنفيذية لصندوق علاج مرضى القلب الاطفال.

والتقى الصديقان ثانية في ربيع ١٩٧٥. فعندما بدأ الشيوعيون يضعون يدهم على فيتنام هرعت ميرنا إلى سايغون على أمل إخراج عدد من الاطفال الذين تحددت مواعيد لاجراء جراحات القلب لهم في مينيابوليس. لكنها عجزت تماماً عن الاتصال بأي من هؤلاء الاطفال، وانضمت إلى ٣٨ شخصاً آخرين من المتصلين بالصندوق، ومنهم نغييم وأسرته، لاجلائهم جميعاً بالطائرة عن المدينة المهددة.

وفي غمار الفوضى الهائلة التي سادت آنئذ، انفصل نغييم عن أسرته وأرغم على ترك أطفاله ثانية. وفي مينيابوليس قضى نغييم ١٨ شهراً يعاون على إعادة توطين اللاجئين الآخرين. ووجد خلال ذلك عملا بأجر طيب، فتمكن من أن يرسل الى أطفاله في فيتنام آلاف الدولارات لاعالتهم، مستعيناً بأخ له يقيم في باريس (كان البريد متبادلا بسهولة بين فرنسا وفيتنام). غير أنه، مع تعاقب أشهر الفراق التي أصبحت سنوات، أوشك حنين نغييم الى أطفاله وألمه لفراقهم أن يفقداه الصواب.

وكان عزاؤه وسنده في محنته تلك ميرنا باهمان، المديرة التنفيذية لصندوق علاج مرضى القلب الاطفال، وهي فتاة خجولة رقيقة الحاشية لكنها حديدية الارادة. وقد رأت بنفسها المستحيلات تتحقق في جراحات قلوب الاطفال مرات عدة على نحو جعلها تتفاءل دائماً ولا تفقد الامل أبداً.

وفي مايو (أيار) ١٩٧٨ تزوج نغييم وميرنا. وأصبحت، منذ ذلك الحين، تعتبر أطفاله أطفالها، ولا تقل عنه حنيناً إليهم.

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨، بلغت نغييم وميرنا أنباء تفيد أن الاطفال يمكن إخراجهم من فيتنام في مقابل مبلغ معين. لكن نغييم كانت أرعبته اخبار ما يعانيهلاجئو القوارب الذين هلكت أعداد ضخمة منهم في عرض البحر. ثم علم أن الفتيات اللائي تزيد أعمارهن على عمر ابنته نينا بعام واحد يجري تجنيدهن للخدمة العسكرية في كمبوديا. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩، أرسل إلى أخته ثاو يطلب منها أن تصحب الاطفال وتغادر فيتنام.

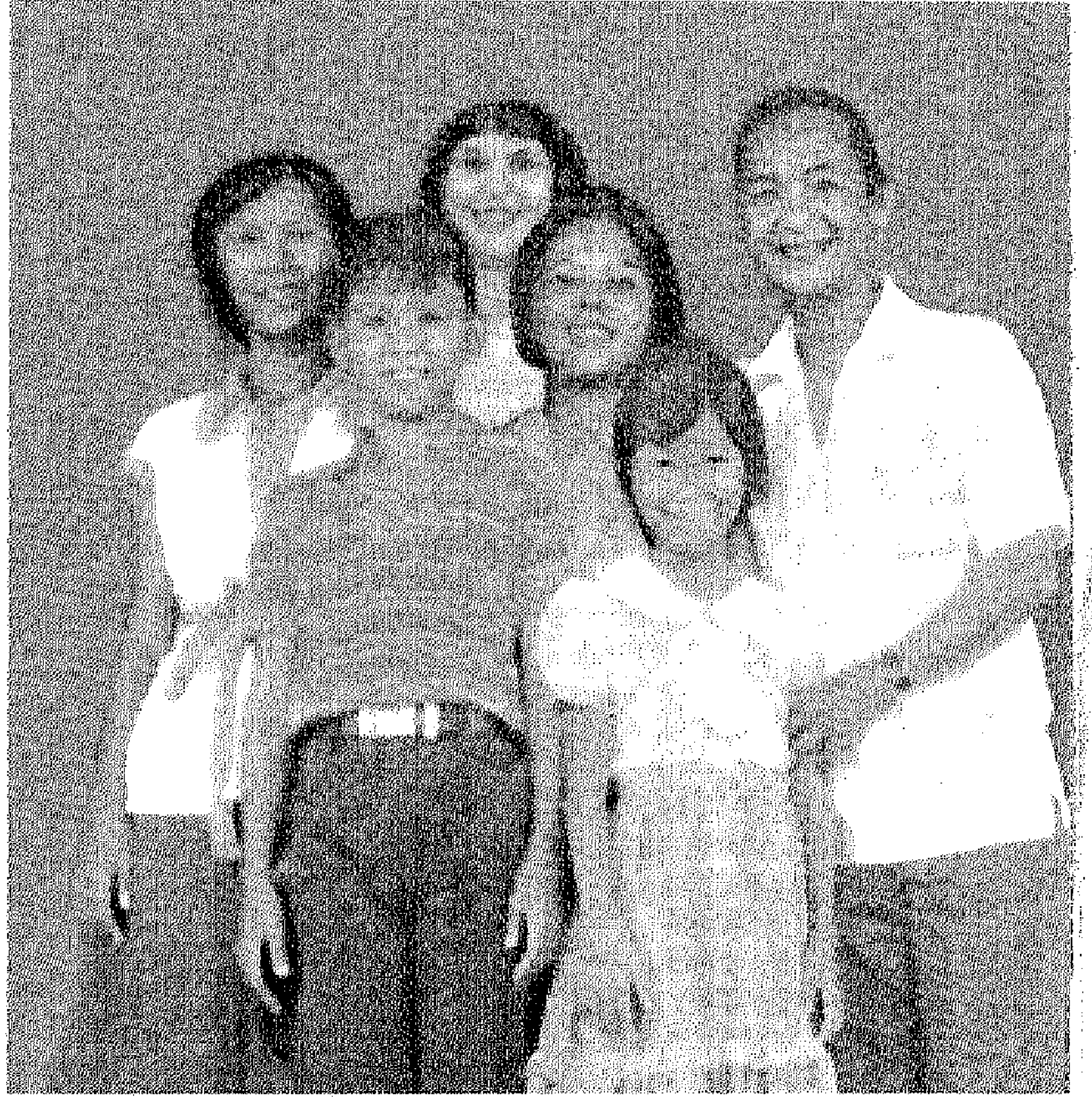
في عرض البحر بلا ملجأ ـ دفعت الاسرة رشوة كبيرة لموظفين فيتناميين من أجل الحصول على الاوراق الزائفة التي تثبت أنهم من أصل صيني. وفي ٥ أبريل (نيسان) ١٩٧٩، غادرت ثاو ونينا وتوني وميلي فيتنام على ظهر قارب طلب منهم ربانه عشرةآلاف دولار لنقلهم الى خارج البلاد، على أن يدفع له المبلغ عندما يرسي أفراد الاسرة الاربعة في مكان آمن.

وكان طول القارب المسمى "هـ ف ـ ١٠٠" قرابة ١٤ متراً، الا انه كان يحمل ١٣٨ لاجئاً من الرجال والنساء والاطفال. وقادهم قارب شرطة فيتنامي من ميناء لونغ خوين إلى عرض خليج تايلاند. وعندما اقتربوا من المياه الدولية حذرهم رجال الشرطة من أن البحر غاص بالقراصنة، وعرضوا تأمين الحراسة لهم حتى ماليزيا في مقابل ١٠٠ دولار عن كل راكب. لكنهم، خشية أن يأخذ رجال الشرطة ما لهم ثم يعودون بهم إلى فيتنام، قرروا أن يجربوا حظهم، آملين في الافلات من القراصنة.

وقبيل ظهر اليوم التالي، اعترضت سفينتان القارب "هـ ف ـ ١٠٠". ولم يشك أحد في الامر إلا عندما اقتربت سفينتا الصيد الصغيرتان اللتان ترفعان علم تايلاند وأغلقتا بمقدميهما المضمومين طريق المرور أمام قارب اللاجئين. وكان على ظهر كل من القاربين عشرة رجال مسلحين بالسكاكين والفؤوس. وقد نهب هؤلاء القراصنة من ثاو ألف دولار ذهباً واستولوا من اللاجئين الآخرين على ما يحملونه من ذهب ومال وحلى. ونجحت الفتاة نينا في إخفاء ورقة من فئة المئة دولار دستها في صدرها. وبعد قرابة ساعتين انصرف القراصنة بما نهبوه.

وتنفس اللاجئون الصعداء لعدم وقوع حوادث قتل أو اغتصاب للنساء. لكن إحساسهم بالراحة كان قصير الامد. ففي منتصف العصر لحق بهم قراصنة آخرون، وهددوا بصدم القارب إذا لم يوقفه ربانه وعندما صعد القراصنة إلى القارب أرغموا جميع الراشدين على التجرد من ملابسهم تماماً، وفتشوا ثيابهم قطعة قطعة. ثم فتشوا أجسامهم نفسها، ولم يتركوا في القارب ركناً من دون تفتيش، وأخذوا كل ما وصلت إليه أيديهم، بل إنهم لم يتركوا للقارب سوى محرك واحد.

وعندما أعلن زعيم القراصنة عزمه ورجاله على اغتصاب بعض النساء،



صورة التقطت في مدينة تانجونغبيانغ "للاسرة التي التأم شملها بعد ارتداء الاطفال الثلاثة ملابس جديدة. وتبدو في الصف الخلفي ثاو وميرنا ونغييم.

ويفرغون الماء من القارب باسرع ما يستطيعون. وبعد فترة بدت لانهائية خمدت العاصفة، وكانت المعجزة انها لم تسفر عن فقد احد.

وارتفعت المعنويات وعاد بريق الامل عندما امكن إصلاح المحرك، وبعد ستة أيام من بدء رحلتهم، رأى اللاجئون ساحل ماليزيا.

اطلاق السنار فوراً - وخرجت إحدى سفن الاسطول الماليزي، المسماة "سري لانغكاوي"، لملاقاة القارب "هـ ف - ٠٠١". وارتفعت من ثاو والاطفال صيحات الفرح

حذره ربان القارب من أنه إذا كان الفيتناميون العزل لم يقاوموا النهب، الا انهم لن يقفوا مكتوفي الايدي إذا تعرضت نساؤهم للاعتداء. عندئذ قرر القراصنة الرحيل مكتفين بما نهبوه. وتنفس اللاجئون المرتعدون الصعداء.

لكن الحظ التعس ظل يلاحق القارب "هـ ف - ٠٠١". ونظراً الى انه لم يبق له سوى محرك واحد، فقد خفت سرعته تحت الشمس اللاهبة. وفي عصر اليوم التالي توقف المحرك عن العمل وأصبح القارب نهباً للامواج. وعندما هبط الظلام هبت ريح عاتية أخذت تدفع جبال الموج نحو القارب وتؤرجحه كقطعة خشب طافية. وراح اللاجئون يصرخون ويبكون ويصلون

وأخذوا يتعانقون. وأخذ الماليزيون اللاجئين الى سطح سفينتهم وأطعموهم، ثم أعادوهم إلى القارب "هـ ف - ٠٠١" وقالوا إنهم سيقطرونه إلى أحد معسكرات اللاجئين.

وظلت السفينة الماليزية تقطر القارب "هـ ف - ٠٠١" مدة ساعتين، فوجيء بعدهما اللاجئون بزيادة كبيرة مباغتة في السرعة جعلت قاربهم يتأرجح بعنف ويغوص مقدمه في البحر، من حين الى آخر على نحو يؤدي إلى تسرب كميات كبيرة من المياه اليه. وصاحت ثاو بالاطفال أن يتمسكوا بأماكنهم بأقصى قوة يستطيعونها كي لا يسقطوا في المياه. وظلت السرعة تتزايد والقارب

"هـ ف ـ ٠٠١" يبدو على وشك الغرق. واتضح بجلاء أن الماليزيين يستهدفون إسقاط جميع ركاب القارب في البحر!

وعندما انقطع الحبل الذي يربط القارب بالسفينة القاطرة، وجاءت جماعة من السفينة "سري لانغكاوي" الى سطح "هـ ف - ٠٠١" لاصلاحه، ركع بعض اللاجئين أمامهم يتوسلون إليهم ألا يواصلوا قطر القارب بمثل تلك السرعة. والحق ان "سري لانغكاوي" خفضت سرعتها قليلا، لكنها استمرت تقطر القارب "هـ ف ـ ٠٠١" إلى عرض البحر طوال ليلتين ويوم كامل. وأخيراً نزع حبل القطر، وصعدت إلى "هـ ف ـ ٠٠١" مجموعة أخرى من السفينة "سري لانغكاوي"، حطمت بوصلة القارب واسطرلابه (جهاز تحديد الموقع). وأوضح أحد الضباط أن الهدف من ذلك هو ضمان عدم اهتداء اللاجئين إلى ماليزيا مرة أخرى. وأضاف قبل أن ينصرف:"اكتبوا الى اقاربكم وأصدقائكم في فيتنام انهم إذا جاؤوا إلى ماليزيا، فسوف تطلق عليهم النار فور رؤيتهم".

الطفو في فضلات المجاري ـ انعدمت نسائم الريح، فظل القارب "هـ ف ـ ٠٠١" طافياً على غير هدى مدة يومين كاملين في بحر اشتدت حرارته حتى غدا اشبه بفرن هائل. ومرت، لحسن الحظ، إحدى سفن الاسطول الاندونيسي، فعثرت على الفيتناميين واستدعت احد قوارب شرطة السواحل ليقطرهم الى جزيرة ليتونغ. وكان انقضى على اللاجئين عشرة ايام في عرض البحر الاستوائي، فاحترقت جلودهم واستبد بهم الجوع والظمأ والعياء الشديد، حتى ان عدداً من النساء والاطفال بينهم ثاو ونينا - لم يتمكنوا من الهبوط الى الشاطىء الا محمولين. وسرعان ما استغرقوا جميعاً في نوم عميق على رصيف المرسى.

وحين صحا اللاجئون من نومهم وجدوا ان جماعة في الجزيرة اقامت حانوتاً متنقلا عند طرف المرسى تعرض فيه على اللاجئين ـ الذين أصبحوا على حافة الافلاس ـ كل شيء ذي قيمة مما كان هؤلاء قد تركوه وقتياً في السفينة عند هبوطهم الى البر: كل قطعة ملابس وكل ما يمكن أن يكون ذا نفع على أي وجه يعين على التمسك بأهداب الحياة.

وفي نهاية الامر سيق اللاجئون إلى تولاي، وهي جزيرة مرجانية صغيرة تنتشر فيها أشجار النخيل والثعابين السامة، وتضم ٣٠٠ لاجىء آخرين. ولم يكن في الجزيرة أي طعام أو شراب أو مأوى أو أدوات أو أدوية، ولم يكن فيها سوى مرض الديزنطاريا (الالتهاب المعوي) المنتشر. وسرعان ما تبين القادمون الجدد أن مياه البحر عند شواطىء الجزيرة ملوثة بالبراز وفضلات المجاري.

وثابرت ثاو طوال عشرة أيام على تذكير الاطفال بأن نغييم لن يلبث أن يأتي في طلبهم، فتنتهي محنتهم وتستقيم الامور ثم توقفوا جميعاً بعد حين عن ذكره، وأخذ الاطفال يسرون احدهم الى الآخر، بأنهم لا يتوقعون أن يروا أباهم مرة أخرى.

معجزة صغيرة ـ في مينيابوليس كاد نغييم ان يجن قلقاً بعدما

انقطعت عنه أخبار أطفاله وأخته طوال ٤٦ يوماً، منذ جاءه في ٦ أبريل (نيسان) نبأ مغادرتهم فيتنام. ولازمه التوتر والارق هو وميرنا، ولكن لم يكن في استطاعتهما سوى التمسك بأهداب الامل والدعاء والصلاة. وفي يوم ٢٢ مايو (أيار)، تلقى نغييم رسالة.

كانت الرسالة تحمل أختام بريد سورابايا في اندونيسيا، وكان وصولها الى نغييم معجزة. فعلاوة على الاسم الاجنبي الذي يحمله المغلف، كان رقم البريد المدون عليه خاطئاً، والعنوان الذي وجه إليه قد أصبح موقفاً للسيارات. وكان في امكان ساعي البريد اعادة الرسالة إلى المكتب المختص بالرسائل التي لم تعرف عناوين اصحابها. الا انه، بدلا من ذلك، تركها في أقرب مبنى إلى العنوان المدون، وكان ذلك المبنى مركز متروبوليتان الطبي. ولم يكن في قسم البريد في المركز أحد سبق له أن سمع باسم نغييم، ولكن كان معروفاً أن صندوق مرضى القلب الاطفال يتعامل مع كثير من الاسيويين. فتولى أحد موظفي المكتب توجيه الرسالة اليه، من غير ان يدري ان مديرة الصندوق هي زوجة نغييم نفسه.

فتح نغييم الرسالة فوجدها من شخص يدعى ا. جاكوب جامباو، كتب تحت اسمه انه بحار أندونيسي رجته الاتصال بنغييم امرأة من ركاب القارب "هـ ف ـ ٠٠١" كانت عطفت على ثاو والاطفال. وقال البحار إنه رأى أفراد أسرة نغييم في المياه الاندونيسية، وإنهم "على ما يرام"، على رغم تعرضهم لنهب القراصنة. فهل يتفضل نغييم "بالتقاطهم"؟

هناك، اذاً، في مكان ما من أرخبيل أندونيسيا الشاسع، اسرة نغييم في حاجة إليه.

شبكة المعاناة ـ لم تكد تمضي ٤٨ ساعة حتى كان نغييم وميرنا بدآ كفاحهما الملحمي الطويل ضد عقبات كانت تبدو مستحيلة التخطي. وغرست البيروقراطية أشواكها في طريقهما منذ البداية. فهما قضيا يوماً ونصف يوم في سان فرنسيسكو ينتظران الحصول على تأشيرتي دخول الى اندونيسيا، ثم قضى القنصل الاندونيسي أكثر من ساعة وهو يلاعب كلبه قبل أن ينبئهما بمنحهما التأشيرتين. وعندما بلغا جاكارتا لقيا في السفارة الامريكية استقبالا بارداً، وأكد لهما نائب القنصل أن الامر سيستغرق وقتاً قد يمتد إلى ثمانية أسابيع قبل أن يمكن تحديد مكان الاطفال وعمتهم. ثم راح يتساءل بصوت عال عن الطريقة المفضلى لادائه عمله اذا كان كل شخص يقصده انما يأتيه باحثاً عن أقاربه. واقترح عليهما فندقاً للنزول فيه، وقال إنه سيتصل بهما إذا انتهى إلى علمه شيء عن الاطفال وعمتهم.

لكن نغييم وميرنا لقيا استقبالا ودوداً وحاراً في مكتب المفوض السامي للامم المتحدة لشؤون اللاجئين في العاصمة الاندونيسية حيث قابلا اريك موريس، وهو شاب امريكي يتحمس لأداء كل ما في وسعه من أجل اللاجئين، ولم يتردد لحظة في أن يفتح لهما ملفاته. وكانت الملفات

مرتبة ابجدياً، فتمكن نغييم وميرنا من مراجعة قوائم اللاجئين المسجلين بسرعة، ولكن لم يعثروا على اسماء الاطفال.

وأوضح لهما موريس أن هناك آلافاً من اللاجئين يصلون إلى أندونيسيا وغيرها كل يوم، ولذلك فالمعلومات الواردة في الملفات غالباً ما تكون ناقصة. وقال لهما: "إذا كان أطفالكما على إحدى الجزر، فالسبيل الوحيد للعثور عليهم هو أن تذهبا الى هناك". وكان موريس يعتزم زيارة بعض الجزر في اليوم التالي، فاقترح عليهما أن يقابلاه في مدينة تانجونغ بينانغ التي تقع في جزيرة على مسافة ٨٠٠ كيلومتر إلى الشمال.

وفي ٣١ مايو (أيار)، استقل نغييم وميرنا طائرة الفجر إلى تانجونغ بينانغ حيث ذهبا الى مكتب للامم المتحدة وراجعا فيه آلافاً أخرى من الاسماء بلا جدوى.

ثم ذهبا مع موريس في قارب غادر المدينة مساء ذلك اليوم متجهاً الى ليتونغ، المركز الاداري لمعسكرات اللاجئين القائمة في المنطقة. وفي البداية رفض الموظف الاندونيسي المسؤول عن الرحلة السماح لهما بالركوب، لكنه لان بعد حين أمام توسلات ميرنا الدامعة. وبعد رحلة استغرقت الليل بأكمله، رسا القارب امام ليتونغ، وقيل لنغييم وميرنا ان أمامهما ساعة ونصف ساعة كي يحاولا معرفة الجزيرة التي عليها أفراد أسرتهما، ويجداهم، ويعودوا جميعاً إلى القارب. وحملهما الى ليتونغ قارب صغير بمجذافين، حيث اتجها إلى مكتب صغير ليفحصا فيه المزيد من القوائم المدونة عليها اسماء اللاجئين.

وفجأة صرخت ميرنا. لقد وجدت الاسماء! إن تاو والاطفال الثلاثة في جزيرة تولاي، على بعد بضعة كيلومترات. واندفع الاثنان عائدين الى المرسى حيث دفعا الاجر اللازم لأحد اصحاب القوارب كي يصحبهما الى هناك.

وكانت تلك الرحلة القصيرة من أطول الرحلات التي قام بها نغييم وميرنا في حياتهما. ووجدا نفسيهما عاجزين عن الكلام، لا يجرؤ احدهما حتى على النظر إلى الآخر. وأخيراً خاضا في المياه القذرة إلى الشاطىء وسط حشد ضخم من الناس. وظن اللاجئون أن نغييم وميرنا من ممثلي الامم المتحدة، فتجمهروا حولهما يلتمسون المساعدة ويعطونهما خطابات لارسالها. وأخذ نغييم يصيح طالباً معلومات عن أطفاله وأخته. وكان بعض من في الجمع يعرفون الاطفال، فهرعوا لاحضارهم.

حقيقة تفوق الاحلام — كانت نينا أول من وصل إلى الشاطىء، فانشق أمامها وسط الحشد طريق إلى أبيها. ووقف الاثنان يحملق احدهما في الآخر. كانت الفتاة قد أصبحت أكثر طولا، لكن نحافتها كانت شيئاً لا يصدق بالنسبة الى فتاة في الرابعة عشرة، إذ كان وزنها لا يتجاوز الثلاثين كيلوغراماً. وبدت عيناها أول الامر راكدتين، خاليتين من الحياة تقريباً. ثم شاع فيهما بريق المعرفة، وألقت بنفسها بين ذراعي أبيها وهي تنشج. فجلس نغييم على الارض وهي بين ذراعيه وأخذ يهدهدها.

ثم جاءت ميلي تطلق صرخة طويلة

وتحتضن نغييم حتى ظن أن قلبه سينفجر. وعلى رغم أنها كانت في العاشرة، إلا أن وزنها لم يتجاوز ١٧ كيلوغراماً. وأخيراً جاء توني يبتسم ويبكي، وهو يحاول مواجهة الموقف كالرجال مع أنه صبي في الثانية عشرة، هزيل، لا يكاد وزنه يبلغ ٢٧ كيلوغراماً. وفي النهاية جاءت ثاو التي بسطت عليهم جناحها عبر ١٦٠٠ كيلومتر قطعوها على صفحة المحيط.

وكان الاطفال قد التقوا ميرنا في سايغون، فتحولوا إليها الآن ـ كما حلمت طويلا بأن يفعلوا ـ وكأنها كانت أمهم على الدوام. ولم يكن باقياً من الوقت المتاح سوى دقائق، فاتخذت الاسرة التي التأم شملها طريقها عائدة إلى القارب.

لكن التئام الشمل هذا كان قصير الاجل. فعلى رغم أن الاطفال كان يحق لهم الحصول على تصاريح لدخول الولايات المتحدة، إلا أن لوائح الهجرة لا تتضمن أي نص يعطي حقاً مماثلا للأخوة أو الاخوات بالتبني. وعلى ذلك، فقد رحلت نينا وتوني وميلي مع أبويهم إلى الولايات المتحدة، مرغمين على أن يتركوا وراءهم ثاو وحدها كسيرة القلب، لاضطرارها إلى التخلف في معسكر آخر تعس للاجئين.

ولم يكد نغييم وميرنا يعودان إلى الوطن حتى استعانا بعضوين من ولاية مينيسوتا في الكونغرس الامريكي للتغلب على التعقيدات الاجرائية التي تبقي ثاو في أسرها الاليم، كما رويا قصتهما على شاشة التلفزيون. ومع ذلك، فان ثاو لا تزال ممنوعة من الانضمام إلى أسرتها في الولايات المتحدة.

أما نينا وتوني وميلي فقد تمكنوا فعلا من تحقيق مستوى في اللغة الانكليزية أتاح لهم الالتحاق بالمدارس الرسمية. وما زالت ميرنا تواصل عملها في إدارة صندوق مرضى القلب الاطفال، أما نغييم فقد أنشأ شركة خاصة به لصنع لوحات الدوائر الكهربائية المطبوعة.

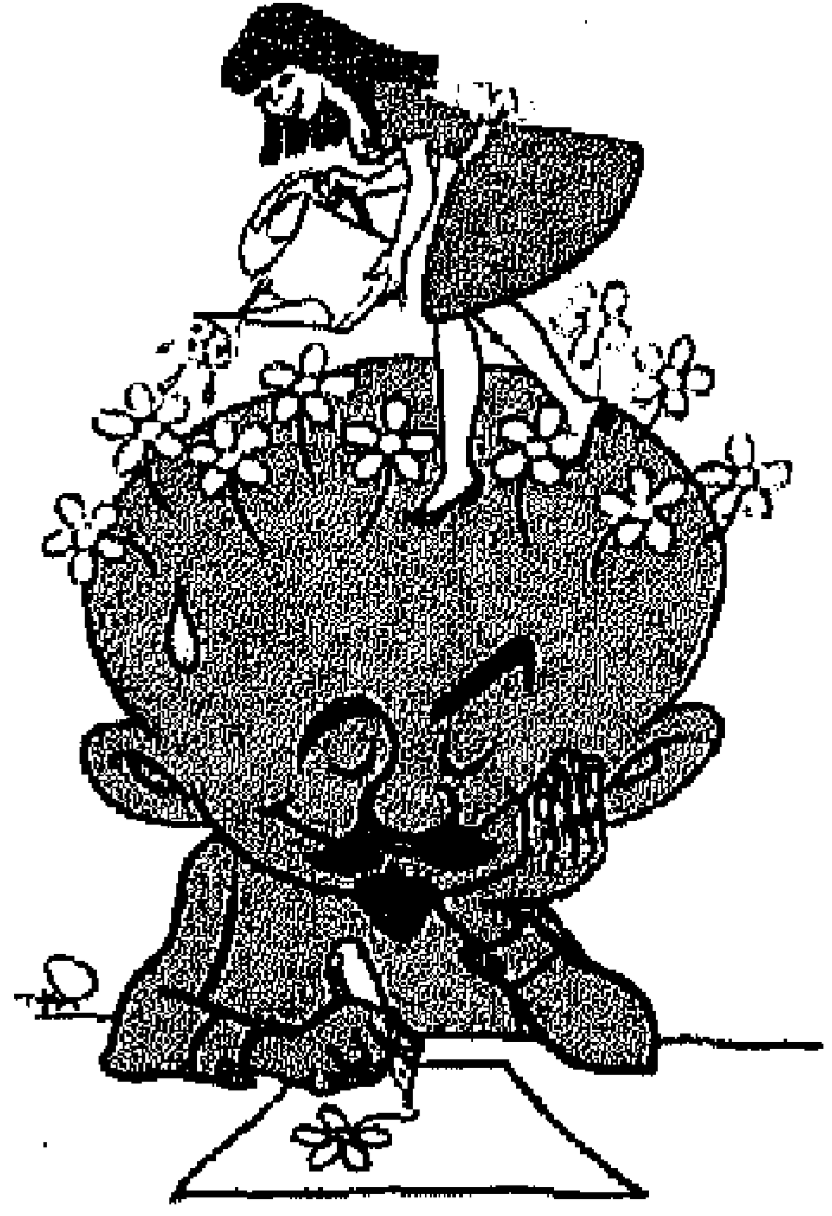
غير أن قصة هذه الاسرة التي ترفض الاستسلام لليأس لم تبلغ بعد نهايتها السعيدة تماماً، لأن أفرادها لا يمكن أن ينسوا ثاو، ولا مئات الآلاف من لاجئي القوارب الآخرين ـ من فيتنام وكمبوديا كذلك ـ الذين لا يزالون مشتتين في معسكرات بائسة تتناثر في أنحاء جنوب شرق آسيا، حيث يفتقرون الى الرعاية السليمة ويتألمون مما يواجهون به من رفض، سواء أكان ذلك من جانب الحكومات التي تستضيفهم مرغمة أو من جانب أمم العالم الحر.

أما ميرنا ونغييم فيشعران بالخيبة لأن غاية ما بلغه جهدهما هو أن يرسلا في البريد ما يقرب من ستة آلاف خطاب دفع بها إليهما اللاجئون الذين يكافحون اليأس في جزيرتي ليتونغ وتولاي. غير انهما يعلمان جيداً أنه بينما تتمهل الامم وتتلكأ البيروقراطيات في اتخاذ تدابير الاغاثة، يموت الناس في معسكرات اللاجئين زرافات ووحدانا.

■ جون هوبل

ليس في الحب سوى قانون واحد: ان تمنح السعادة لمن تحب.

ستندال



حديقة افكار

■ أساس انعدام الاخلاق هو ان تعتبر نفسك شذوذاً على القاعدة .

ج ١٠

■ التقاليد جهود" جماعية تبذل للمحافظة على غير المتوقع من الاحداث .

م.م.ل.

■ معرفة التوقيت لأداء العمل لا تقل اهمية عن معرفة طريقة ادائه .

أ.ج.

■ لا يكتمل الحب احيانا الا مع الحفيد الاول .

مثل من ويلز

■ ضع كل بيضك في سلة واحدة، ولكن راقبها جيداً .

مارك توين

■ لا تحاول ان تقابل الحرج في منتصف الطريق، لانه قادر على قطع المسافة كلها .

ب.أ.

■ اذا كانت المطرقة هي الاداة الوحيدة لديك، فلا عجب ان ظننت المشاكل كلها مسامير .

ابرهام ماسلو، في "نتف وقطع"

■ عندما رمى جورج واشنطن ذلك الدولار فوق نهر راباهانوك، لم يدر انه قام بأول سابقة في الانفاق الحكومي .

هارولد كوفين، في "سان فرنسيسكو اكزامينر"

طالما خشيت النساء وقوع هذا الحدث واعتبرنه فاتحة للازمات النفسية والتدهور الجسدي، مع انه لا يعدو كونه حدثاً طبيعياً قد تستهل به المرأة افضل سني حياتها

خرافات حول سِنّ اليأس لدى المرأة

ربما كان جيلنا أول جيل تنعم فيه النساء بمتعة منتصف العمر. ولا تقتصر فرصهن الآن على مجال التقدم المهني، بل تتخطاه الى الحد من مسؤولياتهن في تربية الاولاد، نظراً الى ان هؤلاء اصبحوا ينفصلون عن المنزل في سن مبكرة. وتدل الاحصاءات على ان سن المرأة لا تتجاوز عادة ٤٩ او ٥٠ سنة عندما يترك ابنها الاصغر المنزل العائلي، وأن هذه السن تكاد تتزامن مع سن اليأس، بحيث يتسنى للمرأة بعد ذلك التنعم الكامل بخمسي عمرها الباقيين.

واما طريقة قضاء هذه السنوات الباقية فهي امر يرجع عادة الى اختيار المرأة نفسها. ولكن ينبغي عليها، قبل البدء بذلك، ان تطرح جانباً تلك الاوهام التي تجعل هذه الرحلة مجازفة مخيفة.

وليس من السهل القضاء على الاوهام حول سن اليأس. فبعضها ينبع من الخرافات الشعبية القديمة، والبعض الآخر ابتدعه أطباء من الرجال الذين انحرفوا عن النهج العلمي وخلطوا الاعراض الجسدية الحقيقية بالتغيرات النفسية التي لا علاقة لكثير منها بتلك الاعراض.

وعلى رغم أن العديد من الاطباء اليوم يدركون ذلك على نحو أفضل، الا ان هذه الاوهام كانت تدرس في معاهد الطب، وما زالت تؤدي أحياناً الى التشخيص الخاطىء، كما في حال ذلك الطبيب الذي فسر الشعور بالعياء والدوار الذي تعانيه احدى مريضاته بأنه مجرد نتيجة لسن اليأس، الى ان اثبتت التحاليل ان المريضة مصابة بداء السكري.

ونورد في ما يأتي بعض الاوهام الشائعة حول سن اليأس، والحقائق التي تبرز اليوم لتقضي على هذه الاوهام:

□ **كثيراً ما تصاب المرأة في سن اليأس بالكآبة وبقصور عقلي.**

نسفت هذه الخرافة من أساسها في العقد الاخير، فالنساء لا يتعرضن لمقدار اكبر من الانهيارات العقلية في سن اليأس.والواقع ان اوائل العشرينات هي احرج فترات الحياة في ما يختص بمحاولات الانتحار. وقد أجري تعديل على جدول الاصطلاحات الرسمية الخاصة بطب النفس، واستبعدت منه عبارة "كآبة سن اليأس" التي اعتمدت زمناً طويلا لوصف هبوط القوى الحيوية.

ان الذين يتوقعون معاناة المرأة أزمة نفسية حادة في منتصف العمر يفترضون انها تواجه خسارة فادحة عندما تصدمها سن اليأس في الوقت نفسه الذي ينفصل اولادها عن المنزل العائلي. عند ذلك تفقد خصبها من جراء سن اليأس، وتفقد كذلك امومتها بسبب خلو العش المنزلي. وقد جرى العرف على اعتبار هذين الامرين محور وجود المرأة.

وكانت بيرنيس نويغارتن، الاختصاصية في علم النفس في جامعة شيكاغو، اول من اجرى مقابلات مع طائفة كبيرة من النساء حول هذين الموضوعين.وقد قالت لها احداهن:"اني أكاد أرقص فرحاً لانقطاع الحيض". وعندما سألتهن عن اسوأ ما يواجهن في منتصف العمر، اجابت تسعة في المئة فقط أنه خلو المنزل، واجابت اربعة في المئة فقط أنه فقدان القدرة على الانجاب.

ولا شك في ان منتصف العمر فترة لا تخلو من المشاكل. ولكن تبين لي من المقابلات غير الرسمية التي اجريتها مع العديد من النساء اللواتي تراوح اعمارهن بين ٣٥ و ٥٥ سنة ان غالبيتهن، على رغم القلق الذي يراودهن في بداية الامر، يشعرن بأن سنوات منتصف العمر هي اجمل سنوات الحياة. وقد قالت لي احداهن، وهي تمارس الموسيقى والعدو وكرة المضرب: "أخيراً وجدت نفسي. كنت بطيئة الحركة في سن الثلاثينات – ثلاثة اطفال وادارة منزل وزوج حساس سريع الغضب. اما الآن فقد اصبح لدي شعور بالذات وثقة بالنفس، كأنما حقنت بهما في ذراعي".

□ **سن اليأس مرض نقص وعجز مثل مرض السكري.**

في العام ١٩٧٢ وصف الدكتور فرنسيس رودز، وكان رئيساً للجمعية الامريكيةلطب الشيخوخة، سن اليأس بأنها "مرض نقص وعجز مزمن، يؤدي لدى بعض النساء الى ترهل الثديين وتجعد البشرة وفقدان قابلية

الجماع من دون قلق"· وبقي استعمال الاستروجين على المدى الطويل رائجاً حتى السنوات القليلة الاخيرة للحيلولة دون هذه الامراض المزعومة·

والحقيقة أنه، على رغم الغموض الذي لا يزال يكتنفجوانب كثيرة لسن اليأس، الا ان هذه السن لا تشكل بالتأكيد حالا مرضية، بل هي فترة طبيعية من النمو الفيزيولوجي تجري خلالها مجموعة من التعديلات الهرمونية المهمة·

اما ما تعنيه سن اليأس في الواقع فهو انقطاع الحيض· ويحدث هذا عادة، لدى النساء الامريكيات، في سن الخمسين· لكنه نادراً ما يكون حدثاً مفاجئاً· ففي السنوات القليلة السابقة لانقطاع الحيض، تتضاءل وظيفة المبيضين· وعندما يقل انتاج الهرمونات وتصبح غير كافية لبناء الانسجة في جدار الرحم وطرحها في ما بعد، يضطرب الحيض ويفقد انتظامه ثم ينقطع· وعند ذاك يتوقف انتاج هرمون واحد هو البروجسترون، لكن المبيضين يواصلان انتاج كمية صغيرة من الاستروجين لبضع سنوات·

هناك عرضان جسديان فقط يعودان بالتأكيد الى التغير الهرموني، وقد يظهران او لا يظهران·اولهما "التدفق الساخن" الذي قد يستمر مدة سنتين او اكثر، وينتج عادة من اختلال حاد في التوازن الهرموني· اما العرض الثاني فهو آلام المهبل التي قد تظهر متأخرة، ويرجع امرها الى ترقق النسيج وجفافه· غير ان العديد من النساء لا تظهر لديهن اعراض المهبل الا بعد انقضاء نحو عشر سنين على سن اليأس، كما ان هناك نساء اخريات لا تظهر لديهن هذه الاعراض على الاطلاق·

وقد يحدث فعلا ان يضمر ثدياً المرأة ويترهلا، لكن هذا التغير التدريجي يعود جزئياً الى فقدان النسيج مرونته، ولا علاقة له بسن اليأس· وتلاحظ كثرة من النساء تغيراً في هذا الصدد منذ سن الاربعين· لكن بداية هذا التغير تعود في الواقع الى تاريخ الولادة· ويبدو انهن لا يبالين بهذا التغير، وكأنهن يتذكرن قول تلك الراقصة الشهيرة:"انا الآن كما كنت منذ عشرين سنة، الا ان كل شيء هبط قليلا "·

اما اللواتي يشعرن بالقلق نتيجة لتجاعيد البشرة، فعليهن ان يتذكرن ان بشراتنا جميعاً مصيرها التجعد عاجلاو آجلا· ويقول الدكتور نورمان اورانترايخ، الاختصاصي في امراض الجلد والمرجع فيما يتعلق بشيخوخة البشرة:"يتضح من جميع بحوثي المخبرية ان بشرة المرأةتشيخ أسرع من بشرة الرجل، لان الاستروجينات ترقق البشرة"·والبشرة الرقيقة، الناعمة والجميلة، اكثر عرضة للتجاعيد· ويظن الدكتور اورانترايخ ان البشرة تصاب بالاذى قبل ان يقل انتاج الاستروجينات لدى المرأة عند سن اليأس· فاذا شئت حماية بشرتك من الشيخوخة، تجنبي تماماً مستحضرات التجميل التي تحتوي على الاستروجين، واستعملي الانواع المرطبة، وتفادي اشعة الشمس المؤذية·

اما بالنسبة الى الاستمتاع بالجنس

فعلى كل امرأة ان تدرك انه، على رغم ان سن اليأس تضع حداً لقدرة المرأة على الانجاب، الا انها لا تنذرها بنهاية حياتها الجنسية. والحقيقة ان المرأة قد تكون في ذروة قدرتها الجنسية في هذه السنوات الوسطى من حياتها، فيسهل عليها الاستمتاع، وتتكاثر لديها هزات الجماع، وتزيد براعتها الجنسية بحيث تتضاعف متعتها الحسية ومتعة شريكها.

□ العلامة الاساسية لسن اليأس، اي التدفق الساخن، هي حالة مرضية مروعة.

يصف الطبيب النفسي ديفيد روبن، في احد كتبه الاكثر رواجاً ("كل ما تريد ان تعلمه عن الجنس ولم تجرؤ على السؤال عنه")، هذه الحالة بأنها احساس بالحرارة لا يحتمل، قد يتكرر كل عشر دقائق.

وهذه مبالغة جسيمة. فان سدس النساء على الاقل لا يعانين اطلاقاً هذا العرض المقيت. وقد قالت لي احداهن: "لقد مررت بسن اليأس من دون اي انزعاج. كان عمري حينئذ ٥٣ سنة، ولم اشعر بالتدفق الساخن مرة واحدة". وغالبية النساء يستخدمن تعابير مثل "ازعاج" او "مضايقة" لوصف هذا العرض.

لكن امرأة واحدة بين كل عشر نساء تشعر بهذه الاعراض الكريهة. بعضهن يشعر بحرارة ووخز خفيف في جميع انحاء الجسد، ويتصببن عرقاً في الليل الى حد تبتل معه ملاءات السرير، كما يصبن بالارق. وينتاب الارتباك كثيرات اذا حدث لهن هذا العرض في مكان عام، ظناً منهن انهن اصبحن موضع انتباه الجميع، فتحمر وجوههن احياناً وتنضح ملابسهن عرقاً. ان الهالة الاجتماعية التي لا تزال تحيط بسن اليأس - أي الحط من مكانة المرأة المسنة واعتبار سن اليأس امراً مثيراً للسخرية - تزيد شعور المرأة بالحرج وقد تزيد الاعراض ذاتها.

وعلى اي حال، فان العلاج عن طريق الاستروجين يقلل من عدد التدفقات الحارة بسرعة مذهلة. لكن، للاسف، قد يزيد خطر سرطان بطانة الرحم. ويقترح معظم الاطباء ان تتناول المرأة الاستروجين لفترة وجيزة، على الا تلجأ اليه الا اذا كانت الاعراض مزعجة، شرط ان تتخذ المرأة وطبيبها بعض التدابير الوقائية. ان كلمة السر يجب ان تكون: اصغر جرعة لأقصر مدة ممكنة. وتقل الدفقات الساخنة عدداً وحدة في النهاية عندما يعتاد الجسم نسبة الاستروجين المنخفضة.

□ سن اليأس تهرم المرأة بين ليلة وضحاها.

لدى الالحاح على العديد من النساء، حتى اللواتي لا يظهرن اهتماماً بسن اليأس، فانهن يعترفن بأن لا فرق عندهن بين سن اليأس والشيخوخة.

على انه لا تزال هناك ثغرات هائلة في معلوماتنا عن عملية الشيخوخة. ولكن من المعروف انها سلسلة متصلة لا يمكن تحديدها في مرحلة واحدة من الحياة. ليست هناك سن سحرية يبدأ فيها التلف، فالتناسق العضلي يبدأ تدهوره عند الرجل والمرأة سوياً في السن الخامسة والعشرين، اما العمليات الكيميائية الجسدية فيبدأ

هبوطها في السن الثلاثين. واما التغير في التكوين الجسماني، الذي يقل فيه بناء العضلات والعظام وانسجة اخرى ويزداد فيه الشحم، فيبدأ عادة في السن الثلاثين. ويظهر الشعر الابيض في اي سن بين الثلاثين والخمسين، حسب الوراثة.

ولا علاقة لهذه التغيرات بسن اليأس. ان العديد من النساء يشعرن بدفقة جديدة من الطاقة الجسدية بعد سن اليأس. وقد استخدمت العالمة الانثروبولوجية مارغريت ميد تعبير "حيوية ما بعد سن اليأس" مراراً لوصف دفقة الطاقة والراحة النفسية التي يشعر بها العديد من النساء اللواتي صرحن لها بهذا الشعور. وهذا قد يرجع جزئياً الى اختفاء حالةفقر الدم الخفيفة التي يشكو منها بعض النساء في اثناء الحيض، او الى انعدام تقلب المزاج الذي تتسم به الدورة الشهرية لدى نساء اخريات.

اما بالنسبة الى القدرات الذهنية، فعلى رغم ان الذاكرة تبدأ في الوهن وتقل سرعة ردود الفعل ابتداء من منتصف العمر او قبل ذلك، الا ان القدرة تستمر على حل المسائل حتى السن السبعين على الاقل. وحين يعود بعض النساء الى الدراسة في منتصف العمر، فكثيراً ما يشعرن بمتعة أكبر ويحصلن على درجات أعلى من التي حصلن عليها في سن مبكرة.

ويلاحظ ان العديد من النساء اللواتي هن في منتصف العمر راضيات عن انفسهن اكثر من ذي قبل. وكما قالت احداهن: "لست على استعداد للتضحية بسهولة اقامة العلاقات او بالثقة بالنفس اللتين تأتيان مع الخبرة من أجل الحفاظ على الشباب".

ان سنوات منتصف العمر يمكن ان تكون حقاً اجمل السنوات في حياة المرأة.

■ اليس ليك

امرأة محظوظة

رن جرس الهاتف، ولما رفعت جهاز الانصات جاءني صوت غاضب يريد الحديث مع فريد. فاعتذرت وقلت له انه اتصل برقم خاطىء. ورد علي الرجل: "لا داعي الى الاعتذار يا سيدتي، فمن حسن حظك انك لا تعرفين فريد".

س. ج. و.

جغرافيا الرسائل

ذات مساء ذهبت وزوجتي في سيارتنا لزيارة صديق قديم من اصدقاء الدراسة، وكان قد وجه الينا رسالة وصف لنا فيها بالتفصيل طريقة الوصول الى بيته الواقع في منطقة نائية. وبعدما امضينا ما بدا لنا ساعات طوالا ونحن نقطع الطريق، قررت زوجتي ان تعيد قراءة الرسالة. وما ان القت نظرة عليها حتى هتفت بانزعاج: "يا الهي، كل هذا الوقت ولا نزال بعد في الفقرة الاولى".

م. ج.

ذلك القمر الساحر

خيل اليهم أنهم يرتعون في عالم من الرؤى والاسرار لم يمح اثره من نفوسهم

من منا لم تستهوه رؤية القمر؟ لكنه، منذ عهد كهنة "الدرويد" القدماء، قلما أثار القمر الهواجس كما في نفوس ملاحي برنامج "أبولو" الفضائي. وقلما خصه اتباع اي طائفة من عبدة الخصوبة بمثلما خصه به هؤلاء الملاحون من رعاية وانتباه وتفان.

لقد قضى هؤلاء الرجال آلاف الساعات يتدربون على الرحيل الى القمر، في ادق الظروف التي استطاع التقدم العلمي توفيرها. فارتدوا ملابسهم الغريبة وراحوا يطوفون في صحراء أريزونا، كأنها بحر السكينة في القمر. واجتهدوا في اختيار القطع الحجرية النادرة وحفظها، كأنما هي عينات يستخرجونها من تربة القمر. وتدربوا طويلا على الاساليب الفنية للبقاء في اصعب الظروف.

الى ذلك، أمضى هؤلاء الرواد سنوات كثيرة يمثلون الادوار المسندة اليهم خلال وجودهم على سطح القمر، باقصى درجات الدقة والاهتمام. ولم يفتهم ابداً ان التمثيل ليس حقيقة. لكن حياتهم بقيت معلقة باوصال القمر، تستمد معناها منه دون سواه. فلا عجب اذا شدهم اليه الحنين كلما وقعت عليه ابصارهم في الليالي.

ان اولئك الرجال الاربعة والعشرين، الذين ذهبوا الى القمر

خلال احدى عشرة رحلة مختلفة، عادوا جميعهم - حتى اقلهم حساسية - بانطباعات مشتركة عميقة الاثر ما زالت عالقة في نفوسهم، ومن بينها فعل ذلك المشهد الذي اتيحت لهم رؤيته بعدما انتقلوا في الفضاء طوال ثلاثة ايام، اذ تلفتوا حولهم ليروا ضالتهم المنشودة.

انهم رأوا القمر، للمرة الاخيرة، صباح انطلاقهم. وكان بعيداً، عالياً في سماء فلوريدا عند بزوغ الفجر. ويقول كين ماتينغلي، ربان مركبة القيادة في "أبولو - ١٦": "لقد رأيته مصادفة. مرت بنا، قبل الانطلاق، فترة طويلة تهيأنا فيها أتم التهيؤ في غرفة القيادة. وانما كان علينا ان ننتظر. فألقيت نظرة من النافذة وأبصرت القمر - ذلك الجرم الذي استولى على عقولنا - في وضح النهار. فقلت في نفسي: "رباه. نحن ذاهبون الى هناك اليوم. والامر واقع لا هزل فيه".

سحر القمر - معظم رواد الفضاء شاهدوا القمر، للمرة الاخيرة على الارض، في الليلة السابقة لدخولهم الغرف المجردة من النوافذ في المقر المخصص للطاقم. هناك ناموا جميعهم، بلا استثناء، نوماً عميقاً ونفوسهم عامرة بالثقة.

وعندما اوقظوا، بعد ست ساعات او سبع، سارعوا الى القيام بتمارينهم البدنية وتناول فطورهم وارتداء ملابسهم وتلقي التعليمات واجراء التدقيقات الاخيرة. وراحوا يتنشقون الاوكسجين النقي طوال ساعات، مما سبب لهم دواراً طفيفاً ببينما كانوا ينتظرون في رأس الصاروخ "ساتورن". وكان الصاروخ يوازي في ارتفاعه ٣٦ طابقاً، ويحتوي على مواد كيميائية متعارضة ومعدة لكي تتفجر بطريقة منظمة، وبالتالي، فلم تتسن لمعظم رواد الفضاء مشاهدة القمر يوم الانطلاق.

وعلى اي حال، لم يكن هناك مجال لرؤية اي شيء خلال الاندفاع الناري العنيف في مدار الارض. فعند تلك الدرجة من الجاذبية يضيق مجال الرؤية ضيقاً شديداً نتيجة تقلص قرنية العين. وذلك ما يسبب الرؤية النفقية (حيث ينحصر مجال الرؤية في ٧٠ في المئة من نطاقه المألوف عند النظر الى الامام مباشرة، اضافة الى انعدام الرؤية الجانبية).

من هنا، صفت معظم المقاييس المهمة في المركبة الفضائية على بعد متر واحد، أمام الرواد مباشرة. وهو المكان الوحيد الذي يمكنهم أن يروا شيئاً منه. فاذا ارادوا النظر الى خارج النافذة، كان عليهم ان ينصرفوا بأبصارهم عن الآلات. وهو ما تدربوا على الامتناع عنه. ومع هذا، فقد تبين من السجلات أنهم، جميعاً، لم يتقيدوا بهذه القاعدة. ذلك ان تلك الدوامة الزرقاء والخضراء التي تدور تحتهم كانت تشدهم الى النظر.

ولكي يفلتوا من جاذبية الارض، كان عليهم ان يصلوا بسرعتهم الى ما يزيد على ٣٨ الف كيلومتر في الساعة، اي الى ١١ ضعف سرعة رصاصة البندقية. وتلك اقصى سرعة عرفتها اسفار الانسان.

وكان عليهم ان يتابعوا مسيرتهم مدة يومين وظهورهم مدارة الى الفضاء، وان يتناوبوا التعرض لحرارة

الشمس الشديدة التي كانت تمنعهم من ان يتبينوا وجهة سيرهم. فانهم اذا حولوا ابصارهم الى خارج السفينة لا يرون، من أحد جانبيها، سوى بياض الشمس الوهاج في فراغ كامل: طاقة ضوئية صافية لا لون لها تشع بحرارة تبلغ، لدى وصولها اليهم، ١١٥ درجة مئوية. ولا يرون، في الجانب الآخر، سوى سواد حالك لا يدعيه اي حبر او صباغ - ذلك السواد المطلق الذي يتلثم به الفراغ اللامتناهي.

ويقول آلان بين، احد رواد "أبولو - ١٢": "بدا لي ان اغرب ما في الرحلة هو الا تلتقي في طريقك اي شيء محسوس. فما ان ينفصل الصاروخ عن منصة الاطلاق حتى يبدأ مغادرة مدار الارض. وبعد انقضاء قرابة يومين لا تقع عيناك فيهما على أي شيء، اذا بك وصلت الى حيث تبغي. وفي خلو الطريق من المعالم يخيل اليك انك في رحلة سحر او غموض".

أقدس مكان - لما كانت الرحلة تجري عبر الزمان، اكثر منها عبر اي شيء آخر، فقد عمد الرواد الى التلهي بمراقبة النجوم وتأمين الخدمات والاستعداد للوصول. ورأوا الارض تتضاءل وتبعد، وشعروا بسيطرتها عليهم تضعف. ولم يكد يمضي على اقلاعهم ثلاثة ايام حتى عبروا ذلك الحد المفاجىء والخفي، ودخلوا ما يسميه علم الميكانيك المداري "نقطة نفوذ القمر".

وبدأ القمر يجذبهم جسدياً ونفسياً. وتزايدت سرعتهم، فحان الوقت للتصحيحات النهائية على مسار السفينة واجراء التعديلات اللازمة. وجاءت لحظة الالتفاف لمشاهدة القمر. عندئذ تملكتهم الدهشة.

كان هذا القمر مختلفاً عما رأته عيون البشر. وقد قال مايك كولينز حين تذكر تلك اللحظة: "لم يكن ما رأيت ذلك القمر الذي عرفته من قبل، بل كان اروع جرم سماوي شاهدته في حياتي. لقد بدا كرة هائلة امتلأت بها نافذتنا. وكان ثلاثي الابعاد، وقد برز سطحه المنتفخ في مواجهتنا حتى خيل الي اني استطيع أن امد يدي فألمسه. ورحت أتأمل تلك الكرة السماوية البديعة، الباردة، المعلقة أمامي. كانت مليئة بالنذر، رهيبة الحضور، دونما صوت او حركة، ولم توجه الينا الدعوة الى انتهاك حرمتها".

وتحدث جيم ايروين عن هذه اللحظة، معبراً عن شعوره بحضور الهي في القمر يعتمر به كل شيء، فقال: "لا استطيع ان اتصور مكاناً أقدس من ذلك". وقد حمله شعوره على الوعظ التبشيري بعد عودته الى الارض.

ويقول اد ميتشل، قبطان المركبة القمرية "ألان شيبارد": "بدأنا نفكر بوضوح جديد يقرب من الاستبصار". وقد مر ميتشل، هو الآخر، بتجربة صوفية عميقة. فأنشأ، بعد عودته الى الارض، مركزاً للبحوث يعنى بدراسة القدرات الانسانية الخارقة.

كان الشعور بالانسلاخ عن الارض عميقاً. ولم يحدث أن أحس البشر، من قبل، بمثل هذا الاغتراب. وربما تعذر على المرء، مهما اشتدت عزيمته، ان يصمد امام هذه التجربة او ان يتحرر من الانفعال. ومما يذكر

في هذا الصدد ان آل بين، الذي اشترك في رحلة "أبولو - ١٢"، كثيراً ما كان ينظر الى أعلى ويرمق كوكبه ويناجي نفسه بصوت مرتفع:" هذا هو القمر وتلك هي الارض. وانا هنا حقاً! انا هنا حقاً!"

شغف خاص - اما مايك كولينز فانه، أسوة بغيره من قادة المركبات الفضائية الذين قاموا برحلات لاحقة، دار حول القمر بمفرده، بينما هبط رفيقاه على سطح القمر. ولئن يكن قادة المركبات يحرمون متعة هذا الهبوط، الا انهم ينفردون برؤية كونية رائعة. ومن ثم، فان التحدث الى هذه الفئة من رواد الفضاء له أهمية كبرى، لما يتميزون به من نفاذ بصيرة.

والواقع ان اولئك الرواد هم الرجال المعدودون الذين بقوا وحدهم في الفضاء طوال عملية الهبوط على سطح القمر. ومعنى ذلك انهم، كلما اجتازوا نصف المدار حول القمر، وجدوا انفسهم في ذلك الجانب منه حيث تسود ظلمة كاملة خالية من النجوم، وحيث لا وجود للارض الا في مخيلتهم. وبالتالي، فان هؤلاء الملاحين يتوارون خلف مجال السمع والبصر وينعزلون قبالة النجوم. ولكم شغفوا بهذه التجربة الفريدة.

وعلى رغم ان مايكل كولينز كان يشعر بأنه يشارك مشاركة كاملة في ما يجري على سطح القمر، الا انه وصف ذلك الشعور الخاص بالوحدة:"انا وحدي الآن. وحدي بكل ما في الكلمة من معنى، ومعزول تماماً عن كل حياة معروفة. أنا وحدي. واني اشعر بذلك شعوراً قوياً. وليس ذلك شعوراً بالخوف او الوحدة،وانما بالوعي والتوقع والثقة والرضا، وحتى بالجذل. فما أحبَّه من شعور!"

ويقول كين ماتينغلي: "إني احتفظ من تلك الفترة بعدد من اعز ذكرياتي. وكثيراً ما ينتظر الناس مني ان اصف لهم شعوري بالوحدة، لكني لم اشعر بالوحدة عندذاك، بل بطمأنينة لا يتصورها العقل".

وقد حقق ماتينغلي رحلته الى القمر في "أبولو - ١٦"، أي بعد كولينز بثلاثة أعوام تخللتها خمس رحلات. فاتيح له من الوقت والتبصر ما امكنه تكوين فكرة سابقة عن مدى وحدته، والتهيؤ للاستمتاع بها. وكان ذلك يعني، بالنسبة اليه، ان تكون هناك موسيقى مناسبة. فحمل معه تسجيلا صوتياً تضمن "السيمفونية الخيالية" للمؤلف الفرنسي لوي بيرليوز وسيمفونية "الكواكب" للمؤلف الانكليزي غوستاف هولست ومجموعة من موسيقى الفالس للنمسوي يوهان شتراوس، ودخل بها ذلك العالم غير الارضي كأنه شاعر او عاشق.

اما قادة الرحلات فكانوا اكثر الرواد غموضاً وتكتماً، ولاسيما فرانك بورمان وتوم ستافورد ونيل ارمسترونغ وديف سكوت وجون يونغ. وقد اتسموا جميعاً بقلة التعبير وبالاحجام عن التعليق على ما شاهدوه. فهم اشبه بالرهبان اليسوعيين في عصر النهضة، يجمعون بين التمسك بالنزعة العقلية والايمان المطلق برسالتهم. من هنا كانت شدة عزيمتهم وقوة ارادتهم. فهم يلاحظون الامور دونما تعاطف وحساسية مرهفة، ويميلون الى الحسم

من دون اندفاع او تهور. فكانوا يتحلون بالانضباط الباطني الذي يتصف به الحواريون الحقيقيون.

وكانوا من رباطة الجأش بحيث لم يصبهم ارتياد القمر بأي قلق. وبدت الرحلة امراً بسيطاً لا يبعث على الازعاج. فاقدموا عليها بكل هدوء وحزم، على وتيرة الرواقيين المتجررين من الانفعال والتأثر، مع ادراكهم التام والمستمر للمسؤولية. وقد اعدت كل من رحلات "ابولو" اعداداً شمل ادق التفاصيل. كما اتصف تدريب الرواد بهذه الدقة نفسها. مثال ذلك ان عملية فتح الباب وحدها تقتضي تطبيق ٩٢ خطوة منظمة. ولم تترك شاردة او واردة للخيال. وكانت مهمة قادة الرحلات تنفيذ هذه الامور بحذافيرها.

تمثيل أم حقيقة؟ ـ يبدو ان عدد الذين تأثروا بالقمر، من بين رواد "ابولو" الاثني عشر الذين وطئته اقدامهم، لم يتجاوز الستة. واولئك هم ملاحو المركبات القمرية الذين اصطحبوا قادة الرحلات الى سطح القمر. وكان على كل واحد منهم ان يواجه التجربة العجيبة، وما يكتنف الهبوط على سطح القمر من أخطار، بطريقته الخاصة.

قال جيم ايروين، ربان المركبة القمرية "ابولو ـ ١٥"، بمبالغة تنم عن التواضع: "كان المسافرون في مقصورتنا صنفاً من السياح. فكان في امكاننا ان ننظر عبر النوافذ لنسجل ما نرى ونحس، وان نستوعب كل ذلك".

وقال ربان آخر، هو آل بين: "لقد وجدت ان افضل امر، بالنسبة الي، هو الامتناع عن النظر الى الخارج، لاني كلما فعلت ذلك كنت اصاب بما يشبه الارتياع والدهشة. وبدا لي اني اذا ركزت تفكيري في لوحات الآلات، فسيصبح الامر اشبه بالتمثيل. ومن ثم تمكنت من تأدية عملي على نحو عادي. فكنت، والحال هذه، انظر الى الخارج لحظة لا تتجاوز نصف الثانية ـ اذ لم اتحمل اكثر من ذلك ـ ثم اعود الى العمل".

وقال جيم ايروين: "لقد اخذت اردد في نفسي ان الامر لا يعدو كونه تجربة تمثيلية. فنحن لسنا على وشك الهبوط الى سطح القمر. ولو اني صدقت حقيقة ذلك لانتابني من الارتياح ما يحملني على التشكيك في مكنتي القيام بذلك. فكم كان صعباً علي ان امتنع عن النظر الى الخارج!"

والواقع ان العمل الذي اقدموا عليه كان من الجرأة والغرابة والاستحالة بحيث وجب على بعضهم التظاهر بأنه ما زال في طور التجارب. فقد كان هؤلاء الرجال من اهل الارادة القوية والشعور العميق. وكانت مهمتهم تحقيق اغرب احلام البشرية واصعبها. ومع هذا فقد احتفظوا بهدوئهم ورباطة جأشهم، علماً منهم انهم لو انقادوا الى عواطفهم واستسلموا لروعة اللحظة، لكان من المحتمل ان يفسد المشروع بأكمله.

وفيما كانت المركبة القمرية تنقل آرمسترونغ وألدرين في هبوطهما التاريخي على سطح القمر. كان الشعور بالعياء ينتاب المسؤولين في مركز المراقبة في هيوستون (تكساس). وتشهد على ذلك اشرطة التسجيل التي دونت لهاثهم الجماعي

العميق. ولا شك في ان يبدو ذلك نشازاً غريباً في جو غرفة المراقبة الصاخب، حيث ساد سكون مطبق. لقد قضى هؤلاء الرجال ردحاً من الزمن لا يحلمون الا بتلك الخطوة ولا يبالون الا بطريقة تنفيذها، حتى اذا ما بدأ التحقيق ساورتهم الشكوك، كأنما في طوية كل منهم صنو له يخال ان الامر لا يزال في معرض الوهم والخيال.
ولم يتأكد المسؤولون في هيوستون من الواقع الا عندما بلغتهم عبارة الدرين المقتضبة، وهو على ارتفاع ٦٠ متراً فوق سطح القمر: "ها أنذا أرى الظل هناك في الخارج..." في تلك اللحظة بالذات اقتنع المسؤولون في مركز المراقبة بأن القمر اصبح على قاب قوسين او أدنى. ثم هبطت المركبة القمرية في "بحر السكينة"، وقد تبقى من الوقود المخصص للهبوط ما يكفي ثماني ثوان. لقد تحقق الحلم!
وتبدلت نظرة الناس الى رواد الفضاء. فبعدما كانوا مجرد تقنيين صاروا من الابطال اصحاب الرؤى.

■ آل راينرت



خبير

كان الطفلان يشاهدان مرشحاً للانتخابات في التلفزيون، فقال احدهما:
"مع ان عمري سبع سنوات فقط، الا انني اشعر من الآن بالقرف من السياسة".

صحيفة "ساترداي ريفيو"

نقد ذاتي

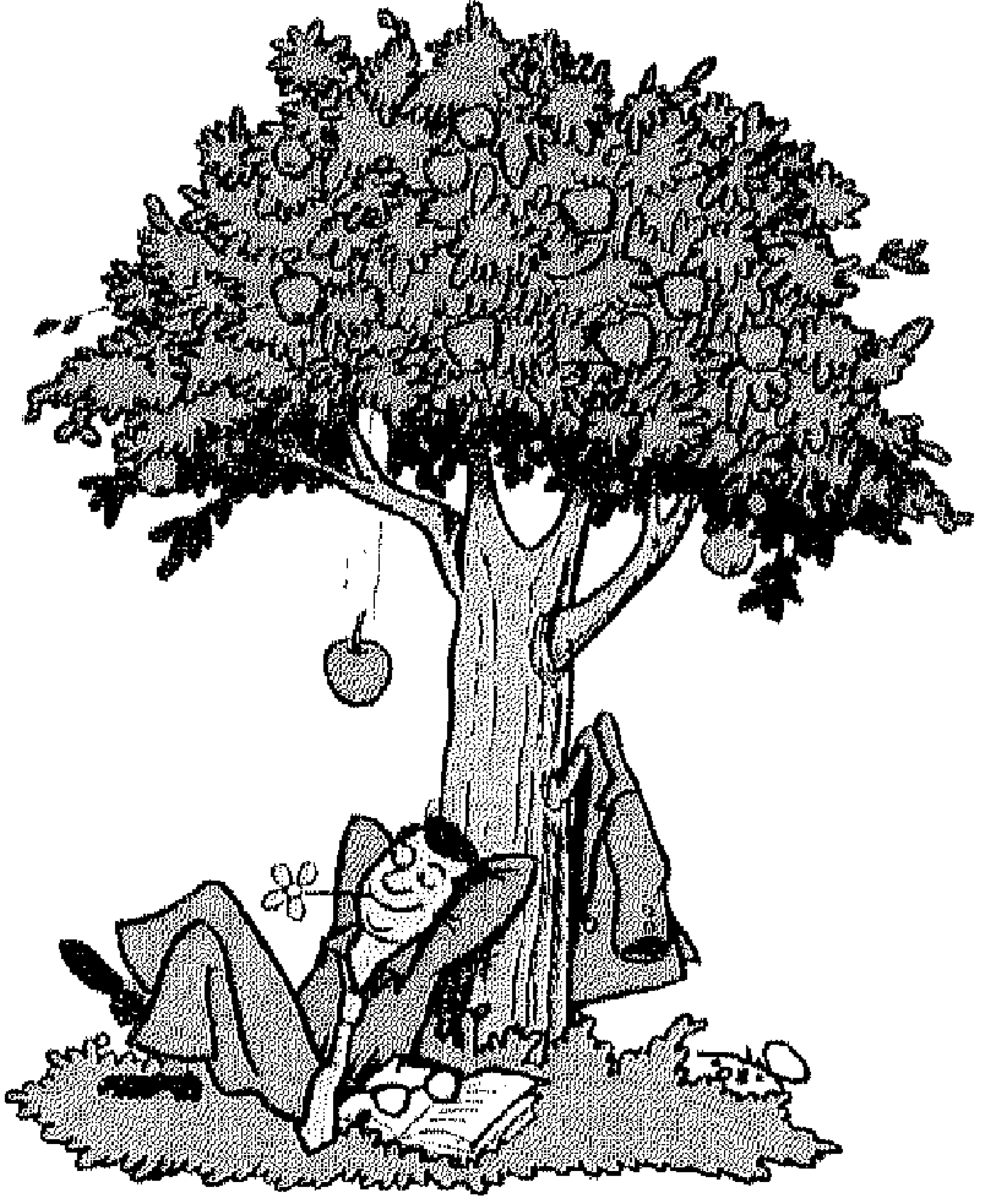
باتت الكتابة على الجدران في المراحيض المخصصة للرجال من الشيوع بحيث لم تعد في الغالب تجذب انظار الناس. غير ان نادلا في مطعم وقعت عينه على كتابة انيقة باللغة الفرنسية على الجدار، فطلب من زبون يعرف الفرنسية ان يترجمها له. واذا بها تقول: "كل من يكتب على الجدران يجب ان يخجل من نفسه".

ج. م.

بين الرياضة والجنون

بعد ما انهى مدرس الصحة تدريس المادة المتعلقة بالصحة العقلية، اجرى اختباراً للطلاب في الموضوع، موجهاً اليهم سؤالا حول حالة شخص "يروح ويجيء ويصرخ باعلى صوته في لحظة ما، ثم يعود لينزوي في ركن وينتحب من دون ان يسيطر على نفسه في اللحظة التالية". وبدلا من قوله:
"مرض الكآبة الجنوني"، كتب احد الطلاب يصف هذا الشخص بأنه "مدرب فريق كرة القدم".

ب. ت.



تأملات معاصرة

الخوف من المسؤولية

هل سبق لك ان دهنت الحافة الخارجية لسطح شديد الارتفاع؟ انك تتسلق السلم ذات الاحد عشر متراً، فتصل الى نصفها وتأخذ بالتساؤل عما اذا كانت قاعدة السلم ثابتة واذا كانت تتحمل وزن جسمك. ثم تتوقف وتحتضن السلم من دون ان يتجه بصرك الى اعلى او الى اسفل، وتصدر ساقك اليسرى رعشات غريبة لا تمكن السيطرة عليها.

وبعد جهد تتوصل الى تثبيت قدميك فوق الدرجات، وتتلمس الطريق من درجة الى اخرى حتى تصل الى القمة وقد تعلقت بالسلم خوفاً على حياتك. وعند ذاك تتخوف من رفع احدى يديك عن السلم لكي تمسك بالفرشاة. لكنك تنجح في ذلك وتبدأ العمل متوتراً كأوتار الكمان.

وبعد هنيهة تنتبه الى صفاء السماء ودفء الشمس والخشب الجاف يمتص الطلاء، فتصفر لحناً ويشرد ذهنك في افكار حالمة مفيدة، وتنجز مهمتك على خير وجه وتنسى انك معلق في الهواء.

هذه الخبرة علمتني درساً مهماً من دروس الحياة، مفاده ان المسؤولية التي تقع عليك - مهما يكن مستواها - تبدو مخيفة ومرعبة حتى تبدأ ممارستها.

جيمس الكساندر توم

النسبية والمعرفة

شرح جورج وول فلسفة البرت اينشتاين كما يأتي: "كلما زادت حكمتك زاد ايمانك بالمساواة، لأن الفرق بين ما يعرفه اكثر الناس علماً واقلهم علماً اتفه من ان يقاس بما لا يعرفه اي منهما بعد".

صحيفة "واشنطن بوست"

اغناء الحياة

ان وسائل الاتصال الفعالة تمكننا من الشعور بما يشعر به الآخرون، حتى وان عاشوا على بعد آلاف الكيلومترات او قبل قرون عدة.

وليس صحيحاً ان الواحد منا يحيا حياة واحدة فحسب. لانه ما دمنا قادرين على القراءة، ففي امكاننا ان نعيش حيوات اخرى ومتنوعة بالمقدار الذي نود.

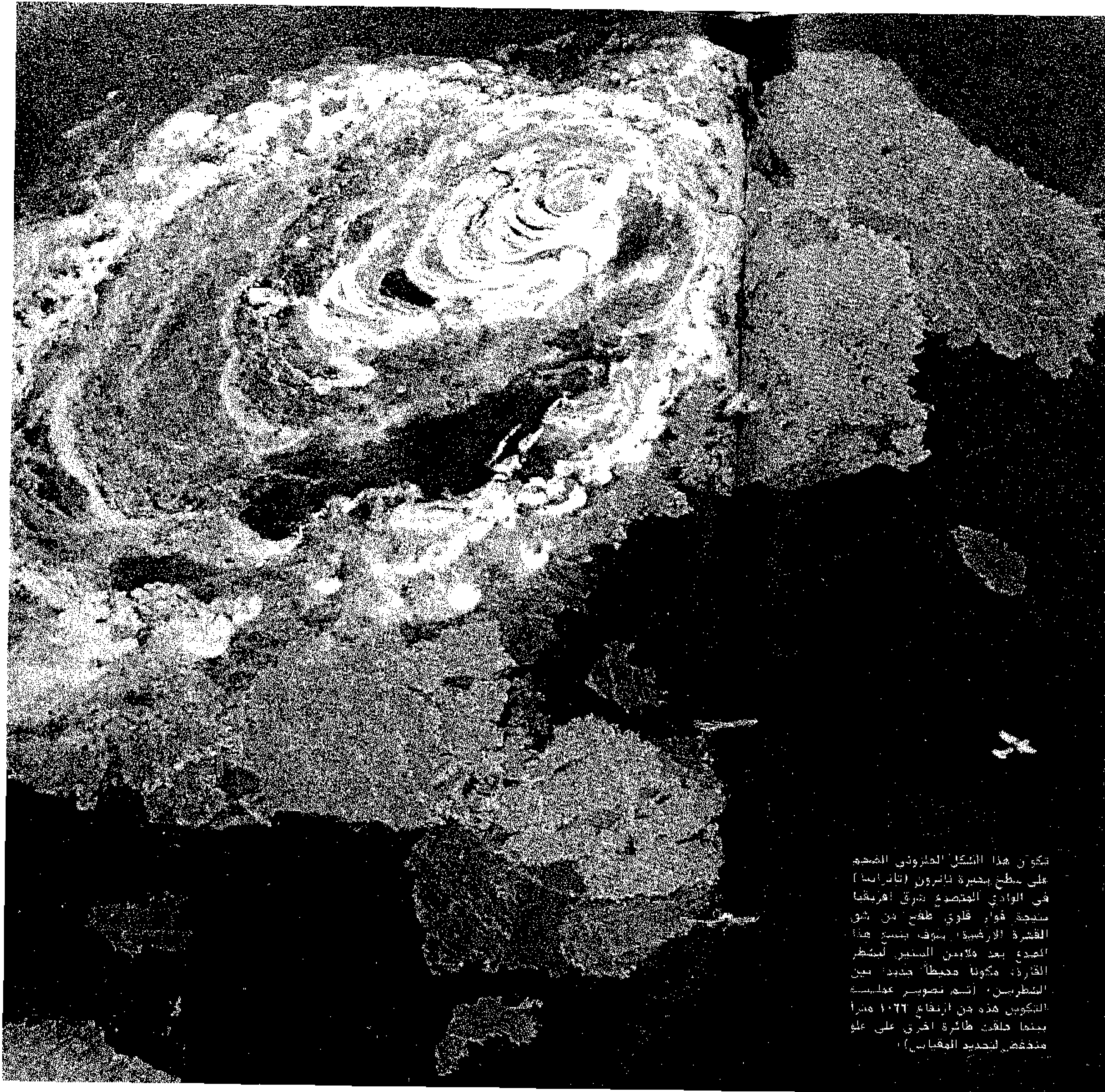
س. هاياكاوا

المصالح الخاصة

تخيل لاعب شطرنج يواجه عابر سبيل يضع ابهامه فوق احد مربعات الرقعة ويطلب من اللاعب المضي في لعبته من غير ان يمس ذلك المربع. ثم يمر عابر سبيل آخر ويضع ابهامه فوق مربع جديد ويطلق التحذير ذاته، ثم يمر ثالث ورابع، وهكذا، بحيث لا يمضي وقت طويل حتى تمتلىء الرقعة بالاصابع ولا يعود هناك مجال للحركة.

وتكمن المفارقة في ان الذين يضعون اصابعهم على الرقعة - وهم ذوو المصالح الخاصة - لا يريدون ايقاف المباراة، بل كل ما يبغونه هو عدم مساس مربعاتهم. لكن النتيجة هي شل عملية تقرير السياسة الملائمة.

جون و. غاردنر مجلة "انكاونتر" - انكلترا



تكوّن هذا الشكل الحلزوني الضخم على سطح بحيرة ناترون (تانزانيا) في الوادي المتصدع شرق افريقيا نتيجة فوار قلوي طفح من شق القشرة الارضية. سوف يتسع هذا الصدع بعد ملايين السنين لينشطر القارة، مكونا محيطاً جديداً بين الشطرين. (تم تصوير عملية التكوين هذه من ارتفاع ١٠٦٦ مترا بينما حلقت طائرة اخرى على علو منخفض لتحديد المقياس).

الاوقيانوس الافريقي الجديد

صدع عميق يشطر افريقيا
ويتوسع ببطء
مخلفاً وراءه محيطاً جديداً

قبل قرابة ٢٠٠ مليون سنة كانت افريقيا والامريكتان تشكل قارة كبرى واحدة. ثم بدأت القشرة الارضية تتصدع على امتداد سلسلة من الخنادق في قاع المحيط في اتجاه شمالي – جنوبي. وغاصت بعض اجزائها في الاعماق لتنشطر القارة الكبرى وينفصل شطراها ببطء، مكونين بينهما المحيط الاطلسي.

مثل هذه العملية الهائلة تتكرر حالياً على طول الوادي المتصدع (ريفت فالي) شرق افريقيا، وهذا الوادي يمثل ثغرة ضخمة تكونت من

أ ـ في البحر الاحمر

تباعد جانبا الخندق الكبير مسافة تتجاوز ٣٢٠ كيلومترا، وتكونت قشرة محيطيةجديدة تتعرض باستمرار لتيارات من الصخر المنصهر في جوف الارض، تمزقها كما سبق لها ان مزقت القشرة القديمة، فتكون اخدوداً (في الوسط) داخل الاخدود الاصلي في قاع ذلك البحر الناشيء.

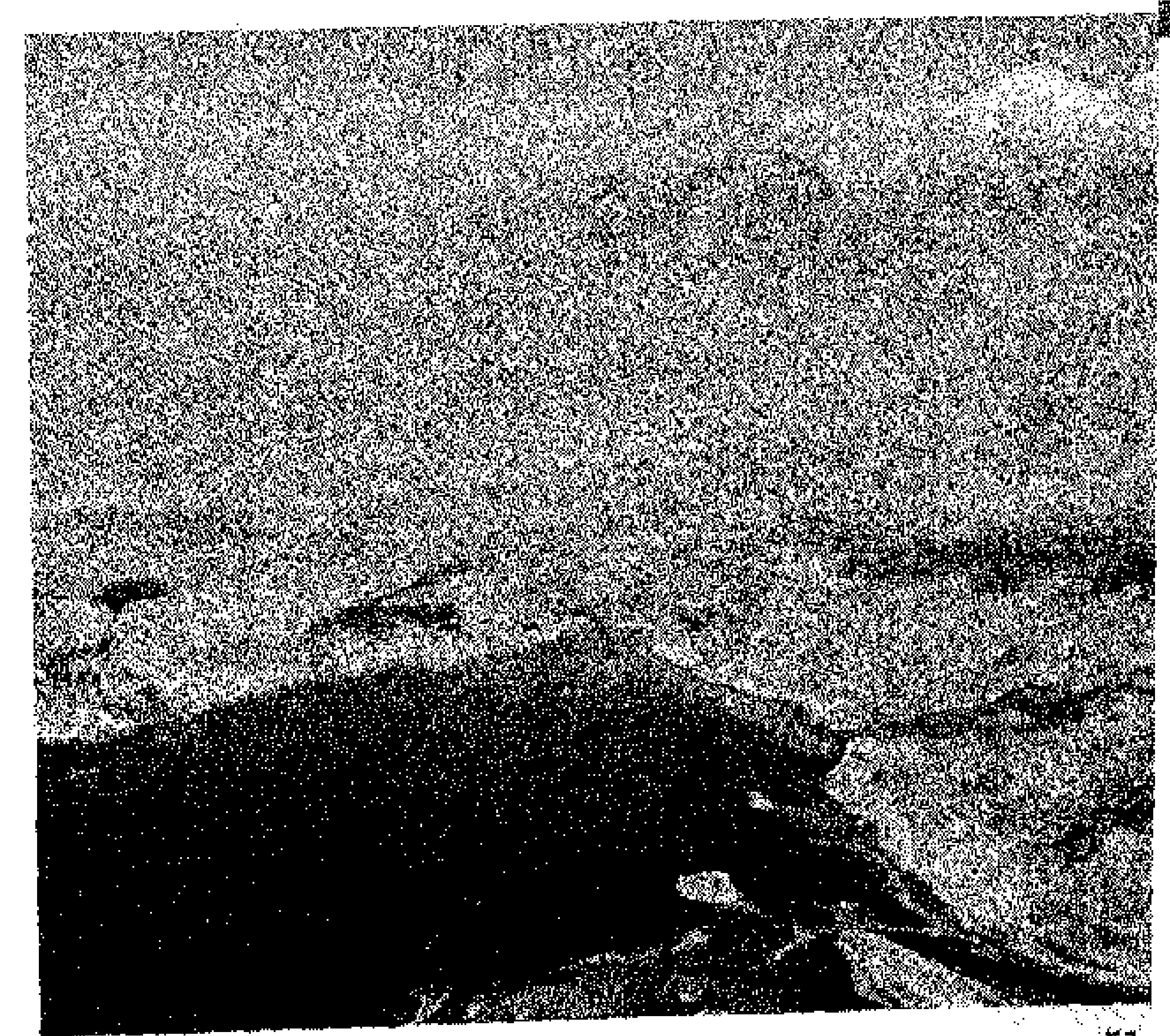
ب - منخفض عفار

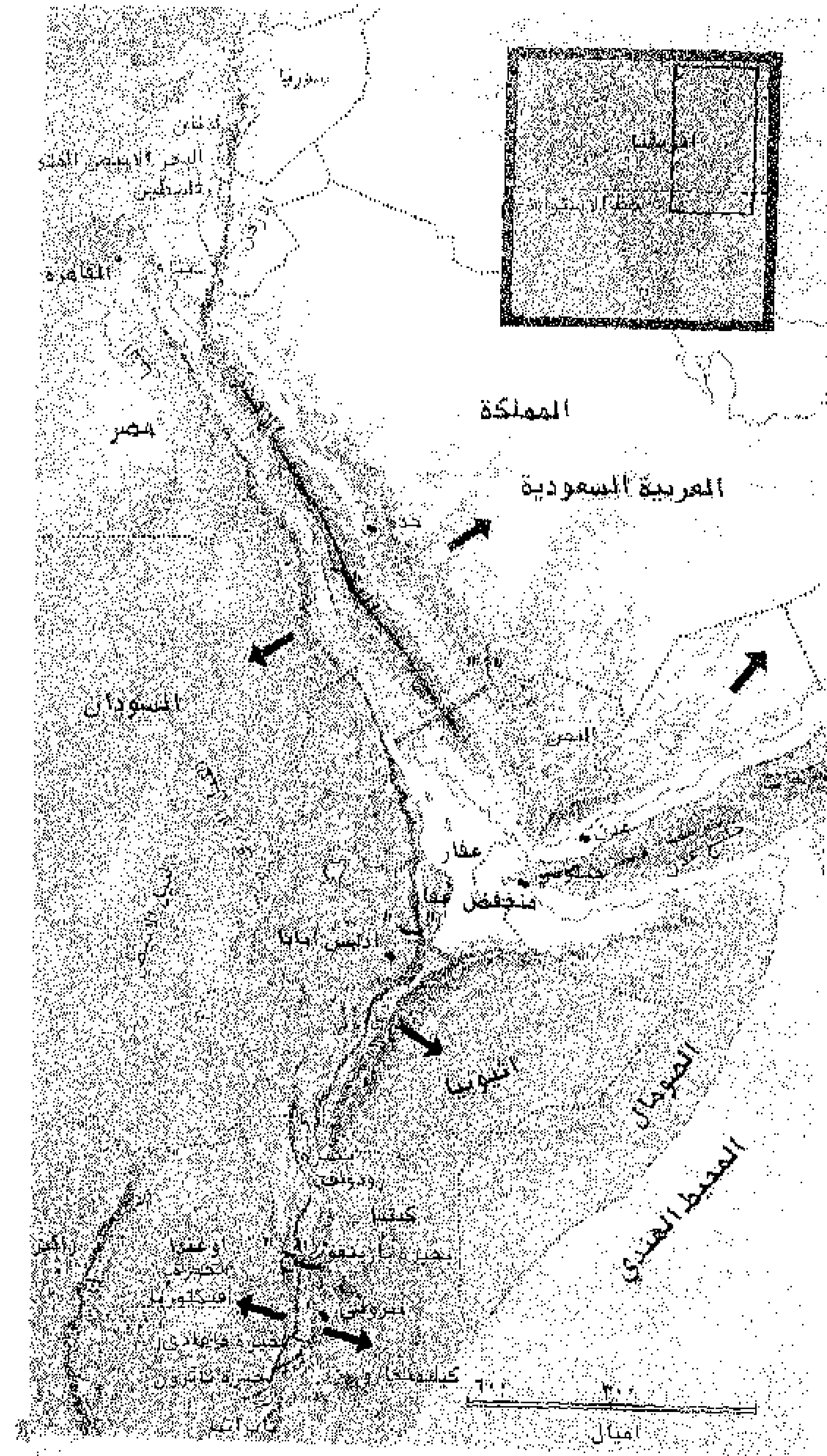
يشبه الركن الواقع جنوب غرب شبه الجزيرة العربية، وهو يبدو كقطعة من احجية الصور، وقد تفسخت فيه الارض وتباعدت اجزاؤها، ويمتد الاخدود شرقاً تحت البحر الاحمر عبر عدن ليصل الى المحيط الهادىء.

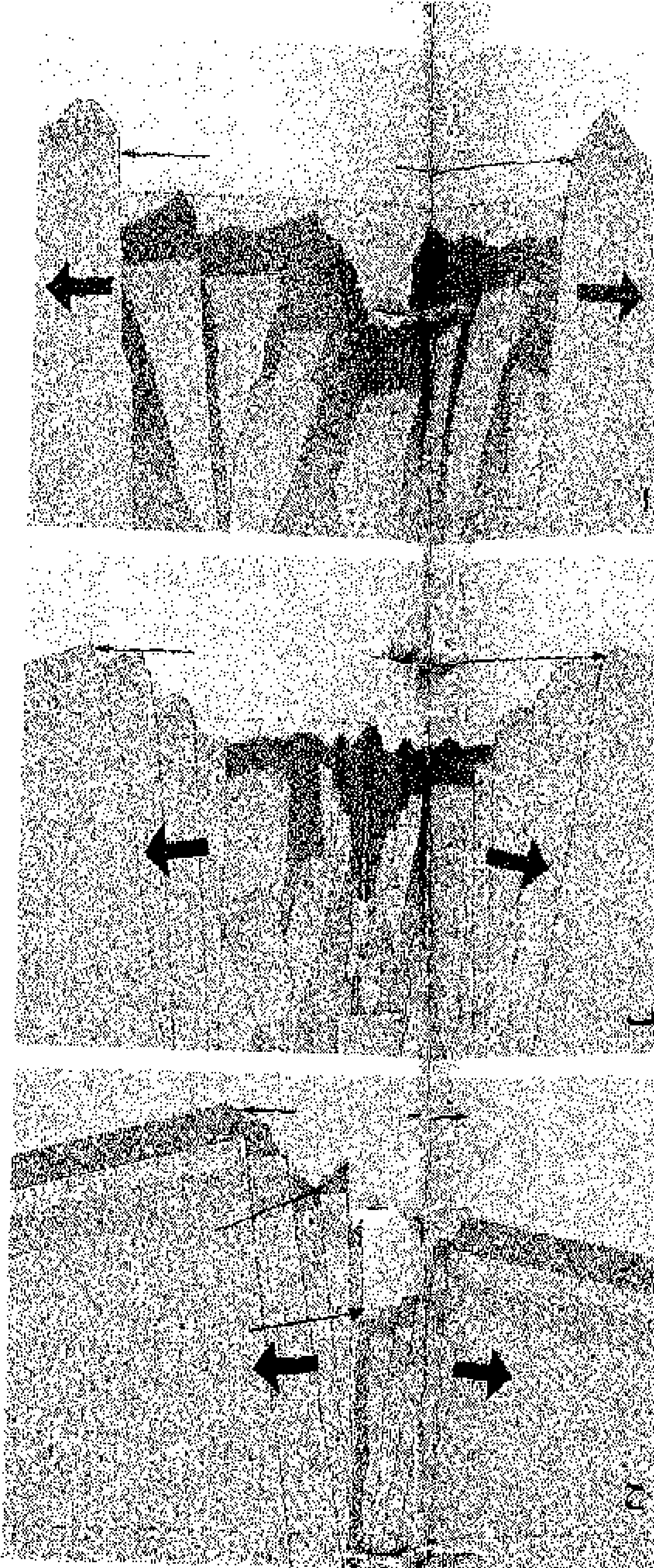
ج ـ في بحيرة بارينغو

ارتفعت بلاطة كمازيا فوق كسارة الحجار التي تكون ارض الوادي المتصدع، وهي مماثلة تماماً لطبقات الصخر التي تكون جدار الوادي، الا انها تقع على ارتفاع مختلف، مما يثبت النظرية القائلة بان الوادي نتج من هبوط جزء من القشرة الارضية في الفجوة العميقة التي تفصل بين جداريه المتباعدين.

في الاوقات العادية، تشبه مياه بحيرة ناترون، بزرقتها الصافية، مياه اي بحيرة اخرى، والاملاح الناصعة البياض التي تكسو شواطئها هي الاشارة الوحيدة الى انها، قد تصبح جزءاً من محيط جديد.





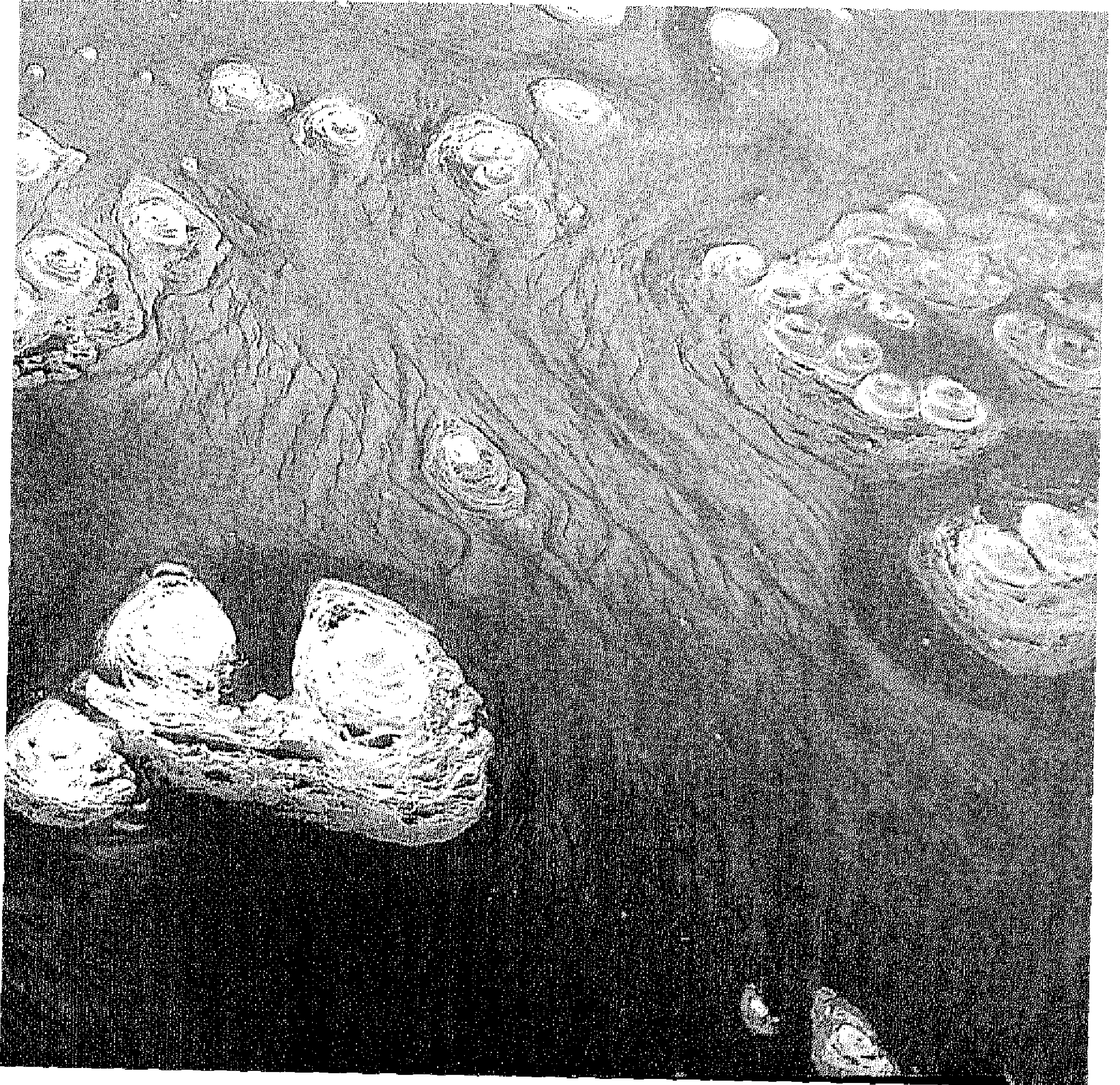


ليس الجزء الشمالي من ثلم الوادي المتصدع (أ) سوى بحر حديث التكوين هو البحر الاحمر، وفي منخفض عفار (ب) يتم الانفصال بمعدل أبطأ، ويزداد بطئاً جنوب الوادي المتصدع (ج) حيث يتجاوز المحيط المرحلة الاولى من تكوينه.

ترسب الاجزاء المتفتتة من القشرة الارضية، وهو يشبه الانفراج الارضي الذي ما زال يثلم قاع المحيط الاطلسي. وعلى الطرف الشمالي لهذا الثلم شريحتان ضخمتان من القشرة الارضية هما افريقيا وشبه الجزيرة العربية، وقد انفصلتا فعلا وما زالتا تتباعدان بمعدل سنتيمترين كل عام. وبينهما بحر ناشىء هو البحر الاحمر. اما الى الجنوب من الوادي فلا يزال الشق الذي حدث في القشرة الارضية ملتحماً، ذلك لان الشطرين يتباعدان بمعدل مليمترين فقط كل عام. واذا استمرت هذه العملية، فسوف يتسع الشق ممهداً الطريق لولادة محيط جديد يفصل كينيا وتانزانيا وغيرهما من بلدان شرق افريقيا عن بقية اجزاء القارة.

المرحلة الجوية الثانية

هب علينا، عبر النافذة المفتوحة، هواء ساخن مشحون برائحة نتنة. وعندما نظرنا الى اسفل فوجئنا بمنظر مختلف تماماً عن منظر البحيرة، اذ اتضح اننا نطير فوق وعاء ضخم من المواد الكيميائية، ممتلىء بسائل مميت. لا شك في ان هبوطاً اضطرارياً في ذلك المستنقع المعدني من شأنه ان يحولنا الى هياكل عظمية.



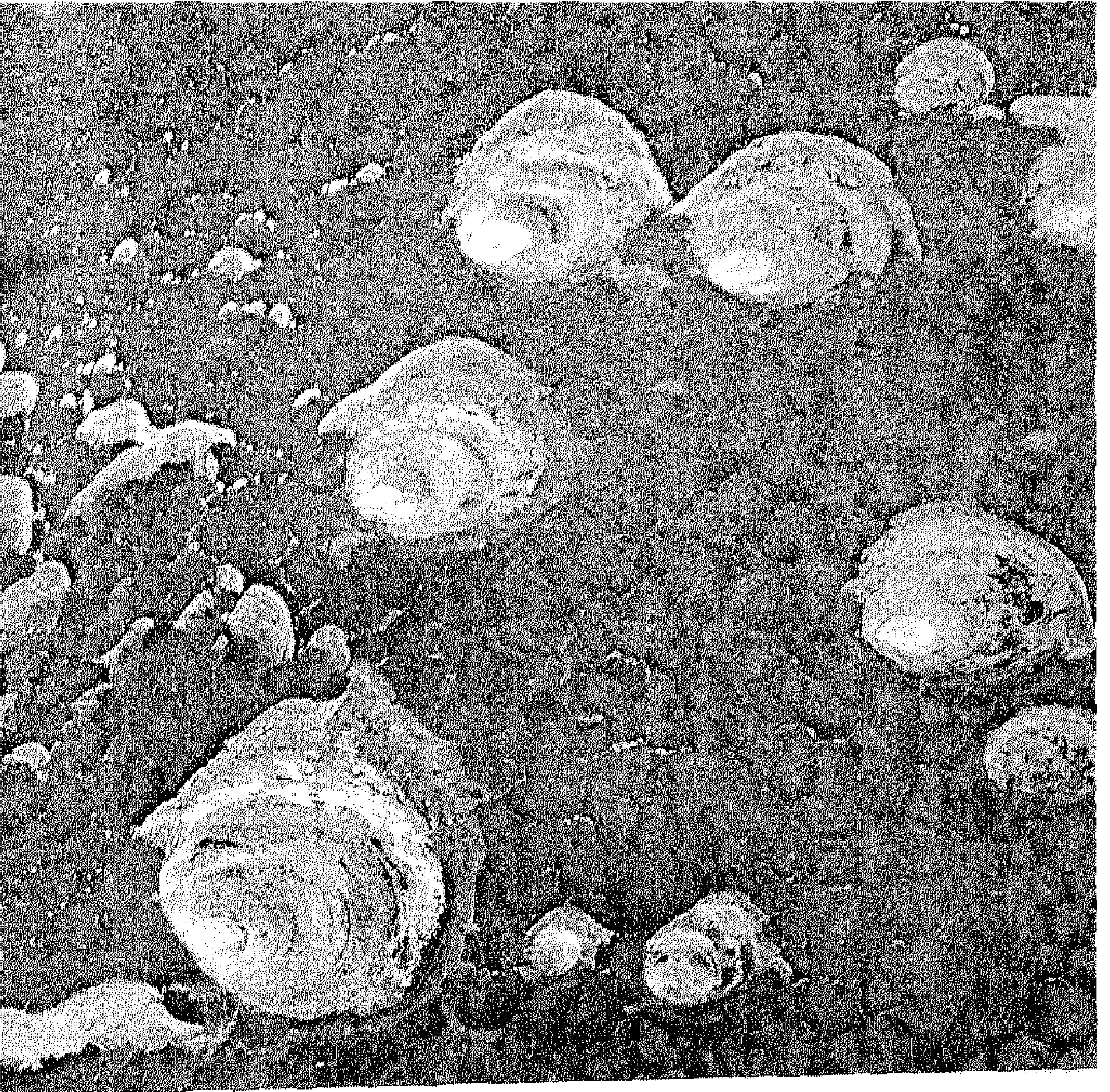
اول من تصور هذا السيناريو كان العالم الجيولوجي البريطاني جون والتر غريغوري عام ١٨٩٣. وكان افتراضه ان الوادي المتصدع لم "ينحت" بفعل مياه نهر كما في حال الوادي الكبير (غراند كانيون) في ولاية اريزونا الامريكية، بل ان جزءاً من القشرة الارضية هبط فكون وادياً محصوراً بين منحدرين شاهقين من الصخر.

وبعد رحلة بطيئة وشاقة في الوادي المتصدع، تحقق غريغوري من نظريته اذ وصل الى بحيرة بارينغو حيث اكتشف كتلة منفصلة من الصخر تعرف باسم بلاطة كامازيا، لم تكن هبطت الى مستوى الوادي المحيط بها، بل بقي احد جوانبها يرتفع بانحراف بين كسارة الحجار. وهناك عثر غريغوري على طبقات من الصخر تماثل طبقات منحدر الوادي التي

الرحلة الجوية الثالثة

مرآة ضخمة تحطمت وانعكست شظاياها البراقة على السواد الحالك وكأنها اطواف جليدية على مياه القطب الشمالي.



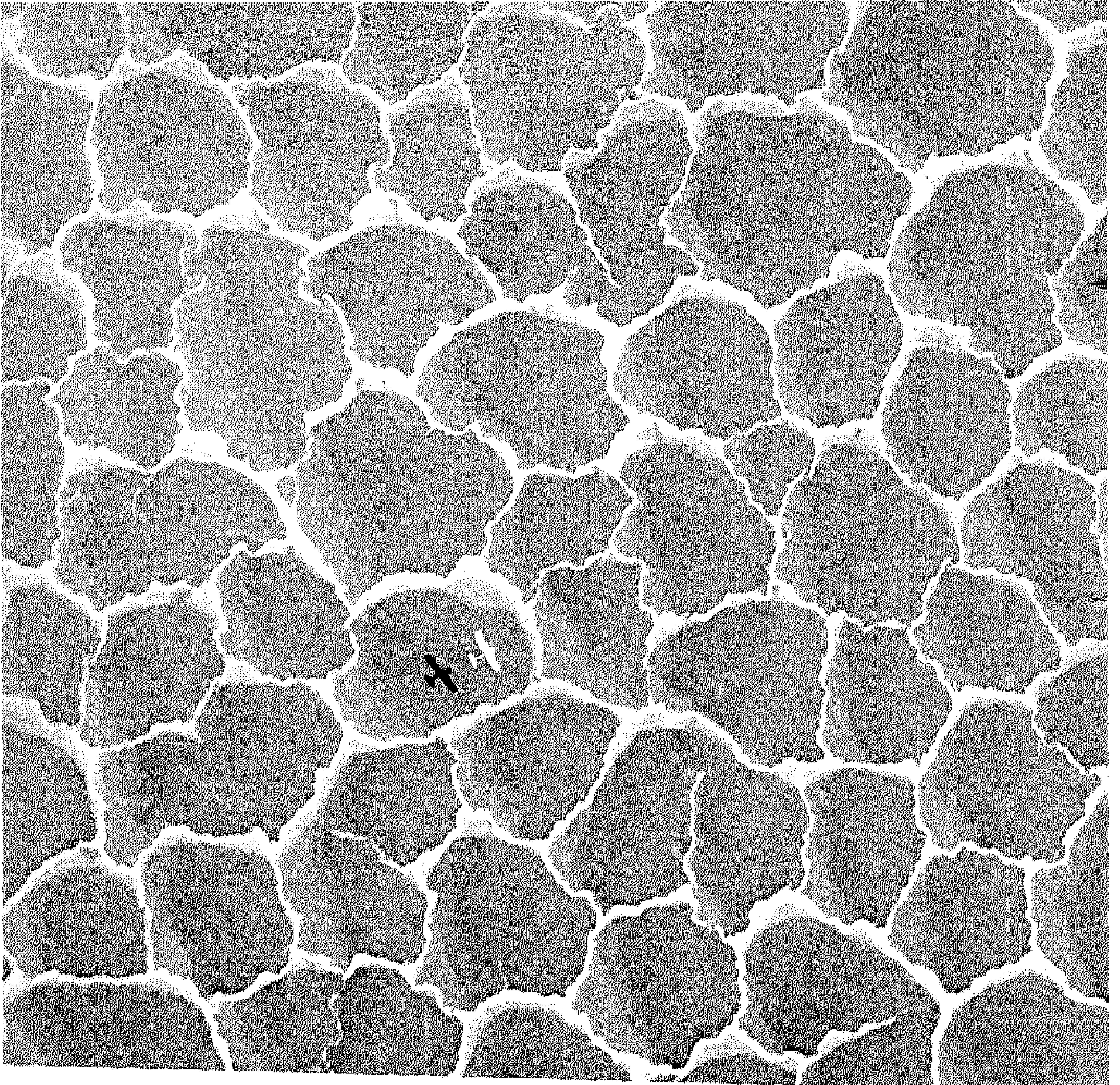


الرحلة الجوية الثالثة
تبخرت مياه البحيرة وازدادت كثافة المواد الصلبة فيها ، ومن وسط الحلزونيات اندفعت اطنان من كربونات الصوديوم الى اعلى لتنفجر على السطح.

ترتفع عنها نحو ١٦٠٠ متر، مما يثبت ان كل الطبقات الصخرية المتراكمة غرقت فعلا.

من الجو، رأيت المحيط الجديد يولد، وذلك في رحلات عدة قمت بها فوق الوادي المتصدع، وبالتحديد فوق بحيرتي ناترون في تانزانيا ومغادي في كينيا، اي في اصعب مناطق شرق افريقيا ارتياداً. في رحلتي الاولى فوق بحيرة ناترون لم تظهر لي اي علامات تغير مثير. كانت مياه البحيرة صافية زرقاء، الا ان اشكالا شبيهة بالسحب، بيضاء ورمادية، بدت كأنها تطوف على غير هدى فوق السطح المظلم. ان حقول الاملاح المتبلورة هذه ليست غريبة على بحيرات الوادي المتصدع، وقد رأيت بينها بقعاً بيضاء صغيرة لم تعن لي شيئاً ذلك الحين.

في ذلك الوقت لم يساورني ادنى



الرحلة الجوية الرابعة
ظهرت إرضية الوادي كأنها مخضبة بالدماء ، فقد صبغت مساحة ٦٥ كيلومتراً مربعاً بلون احمر قاتم ارتسمت عليه شقوق بيضاء امتلأت بكربونات الصوديوم ... كانت الارض ترشح عناصرها .

شك في اني كنت اشهد مولد محيط جديد الى ان حلقت فوق بحيرة ناترون للمرة الثانية . فالمكان الذي رأيت فيه بحيرة زرقاء قبل اسابيع اصبح سطحاً شبيهاً بمرآة سوداء تتناثر عليها اشكال حلزونية بيضاء ضخمة، بدت كأنها نتجت من البقع البيضاء التي شاهدتها في رحلتي الاولى . وكان لكبرى تلك الحلزونيات قطر يقدر بكيلومتر ونصف كيلومتر . تلك الاشكال هي ينابيع ساخنة فوارة من كربونات الصوديوم اي الملح القلوي النقي الذي يتسرب من باطن الارض عبر تصدع في القشرة الارضية، فيتخذ سبيلا لولبياً الى سطح البحيرة . وتحدث العملية كلها ببطء شديد اذ تتخلل التقلصات غير المنتظمة فترات طويلة من السكون .

كنت محظوظاً لوجودي في الوقت المناسب في المكان المناسب،

فحاولت متابعة العملية حتى النهاية من خلال رحلات جوية اخرى كنت اقوم بها كل اربعة اسابيع تقريباً. وقد أستأجرت طائرتين كانت احداهما تطير على ارتفاع منخفض بحيث اتمكن من تصويرها من الطائرة الاخرى التي تعلوها بهدف تقدير المقياس.

وفي رحلتي الثالثة فوق البحيرة، وجدت ان تغييراً كاملا طرأ على المحيط الناشيء. لقد تحطمت المرآة الضخمة وعكست شظاياها البراقة اشعة الشمس الفضية على السواد الحالك. ورأيت نار الشمس النووية تنعكس على الاعماق، وبدت الشظايا كأنها تطفو من الفضاء - مرايا فوق مرايا. كان المنظر خدعة بصرية، وكان لا بد لنا من الهبوط لمعرفة المزيد.

لقد تغيرت ينابيع المياه الساخنة الناصعة البياض والمتدفقة لولبياً لتبدو خليطاً من اصباغ بيضاء وحمراء وزرقاء. ولما كنت اطير على ارتفاع منخفض، فقد استطعت ان اتحقق من طبيعة تلك "الثلوج" الطافية.

كان ذلك موسم الجفاف، فيه تتبخر مياه البحيرة لتزداد المواد الصلبة كثافة. وارتفعت نسبة المعادن في المياه المالحة بينما تبلورت كربونات الصوديوم التي دفعتها الرياح على الحلزونيات السطحية، فكونت الواحاً من فضة.

قمت برحلتي الرابعة بعد ذلك بمدة قصيرة، فوجدت ذلك العالم الغريب قد تغير مرة اخرى. ولمست التغير فوق بحيرة ماغادي حيث ظهرت ارضية الوادي المتصدع كأنها مخضبة


الرحلة الجوية الرابعة

ازواج من العيون العملاقة تحملق من اعماق محاجر مظلمة لا تنتمي الى جمجمة، تلك كانت المنافذ الخامدة لينابيع الاملاح الساخنة.

بالدماء. فقد صبغت مساحة ٦٥ كيلومتراً مربعاً بلون احمر قاتم ارتسمت عليه شقوق بيضاء امتلأت بكربونات الصوديوم. وانعكس نور الشمس على الجيوب التي ما زال بعضها مغطى بسائل شفاف، بينما بدا البعض الآخر جافاً.

تكونت المساحات الجافة من بلور الكرنليت الاحمر، وهو ملح مزدوج من المغنيزيوم والبوتاسيوم ترجع حمرته الى احتوائه على الحديد. ولعل المناطق القرمزية التي بقيت مبللة اتخذت لونها بفعل الجراثيم، وهي الاحياء الوحيدة التي تستطيع ان تتكاثر باعداد خيالية في جو الرطوبة الاكالة التي يتميز بها المحيط الناشيء. والتوت تلك المضلعات القرمزية عند الاطراف واتخذت شكل خلايا بلغ طول كل من اضلاعها بين ٢٥ و٣٠ متراً.

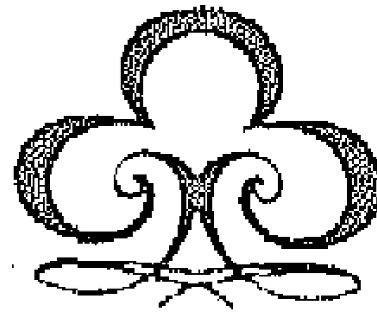
رأيت في ما بعد، في اعماق البحيرة التي لم تكن جفت، اكثر المناظر شبهاً بالاشباح صادفتها في رحلاتي الجوية: ازواجاً من العيون العملاقة تحملق من اعماق محاجر مظلمة لا تنتمي الى جمجمة. تلك كانت المنافذ الخامدة لينابيع الاملاح الساخنة. وتمكنت من رؤية قاعدة الينابيع بوضوح، وذلك باستخدام مرشح لاستقطاب النور الذي يتوهج على السطح. وقد ارتمت طبقات كربونات الصوديوم بعضها على بعض مثل رفاصات التنجيد.



ورشحت الارض عناصر من خلال قشرتها المعدنية الحمراء، وشقت آلاف فوارات الملح الصغيرة طريقها الى السطح عبر شبكة من الشقوق الجافة. وعلى بعد مئات الامتار بلغ بعض تلك الينابيع احجاماً ضخمة. ولمعت الخلفية الحمراء من خلال انحناءاتها البيضاء، وتراكمت الاملاح التي بلغت الحلزونيات الخارجية مكونة عروقاً ضخمة ومشوهة.

عندما حلقت بالطائرة فوق بحيرة ناترون للمرة الاخيرة، بعد رحلتي الاولى بتسعة اشهر،لم ار سوى صفحة ماء هادئة وزرقاء. لم يبق هناك اثر للتغيرات المثيرة التي حدثت في الاشهر السابقة، ولا يدري احد كم من الاعوام قد تمر قبل ان يتكرر مثل هذا التقلص الذي يمثل طوراً من اطوار عملية ولادة محيط.

■ او جورج



مفارقة

عرضت للبيع ساعة يد تعمل بالطاقة الشمسية، وينظم ادارتها عقل الكتروني مبرمج لاعطاء الوقت والتاريخ الصحيحين لمدة ١٢٥ سنة. لكن الساعة مكفولة لمدة سنتين !

صحيفة "ديلي ميرور"، لندن

اهون الشرين

قال المساعد لعضو مجلس الشيوخ:
"حسب استطلاع الآراء الاخير، يعتقد ٥٢ في المئة من الناخبين انك اهون الشرين".

"وول ستريت جورنال"

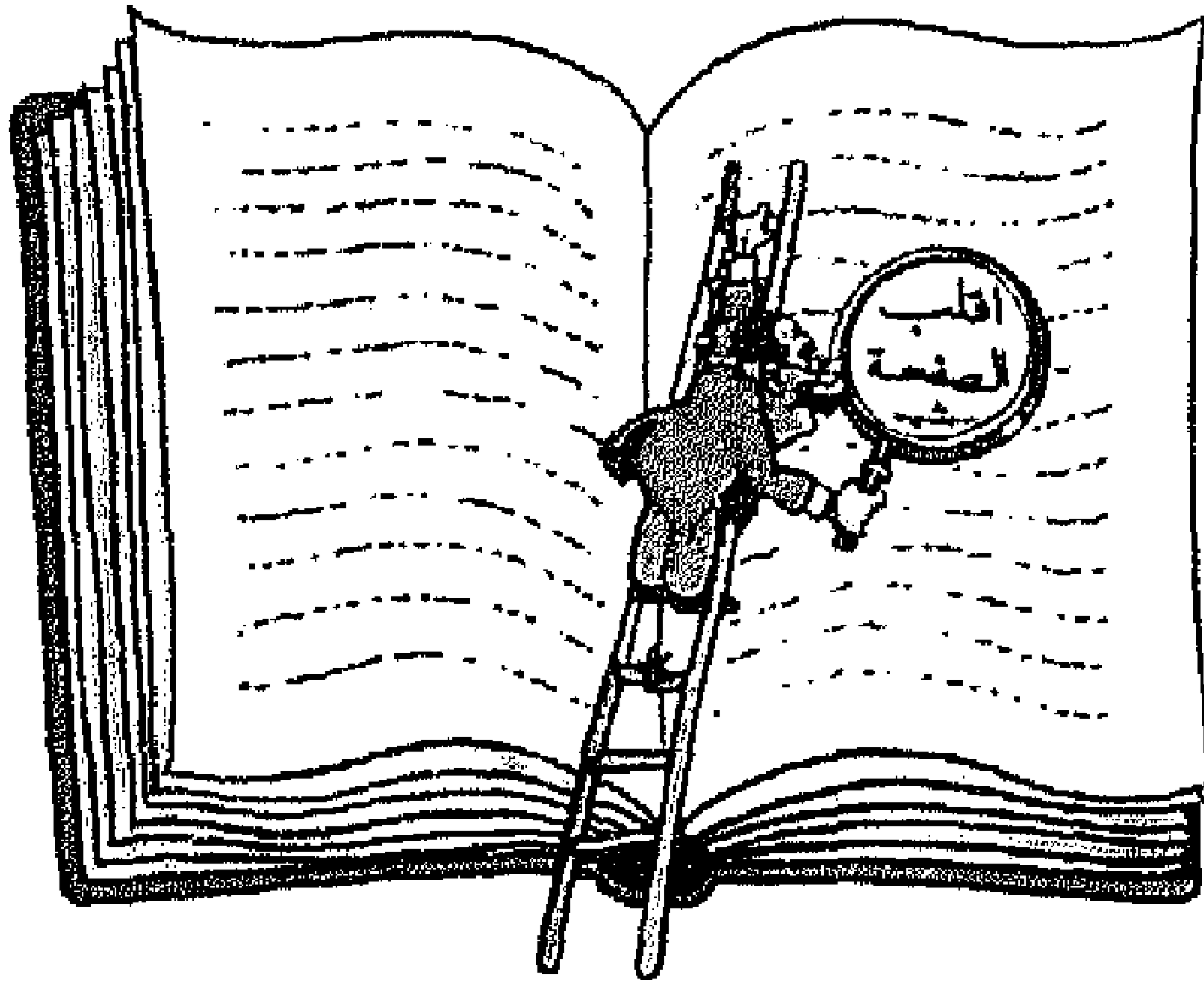
ثورة في التعليم

كثيراً ما راودني شعور بضرورة ادخال مادة جديدة الى منهج التدريس الجامعي اسمها "سوء تقدير الادب"، يشجع فيها الطالب على تعيين الكتب المضجرة له وتحديد اسباب ذلك.

ان تقديم تقرير مدعوم بالحجج بعنوان: "لماذا لا اطيق قراءة ملحمة الفردوس المفقود ؟"، مثلا، يمكن ان يؤدي الى متعة اكبر بانواع الشعر الاخرى. فنحن نتعلم مما نرفض كما نتعلم مما نقبل.

ك. ف.

دائرة المعارف



كلمات الدائرة في هذا العدد تشير الى اعضاء في جسد الانسان.

وقد وضع امام كل كلمة اربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء، اختباراً لمعرفته اللغوية، ان يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١. وَجْنَة: ارتفاع الخدّين - وجه - عين - دمعة.

٢. أَخْمَص: رِجْل - إصبع - ظفر - باطن القدم.

٣. فَوْد: لحية - شيب - جانب الرأس - قلب.

٤. تَرْقُوَة: عظمة بين النحر والصدر - غضروف الاذن - ريق - عنق.

٥. عِرْنين: جبين - عين - وجه - عَظْم الأنف تحت الحاجبين.

٦. نِياط: عضلات - عرق في القلب - أعصاب - شرايين.

٧. كاهِل: رأس - عنق - ظهر - موصل الظهر في العنق.

٨. هامَة: عنق - رأس - أعلى الرأس - قامة طويلة.

٩. بَنان: موضع الخاتم - خنصر - أطراف الأصابع - عقدة الإصبع.

١٠. حَدَقَة: عين واسعة - سواد العين - بياض العين - عين.

١١. ضَفيرة: خصلة شَعر - غرّة - ظفر - شعر قصير.

١٢. مَريء: حَلْق - أمعاء - بطن - مجرى الطعام والشراب.

١٣. أَبْهَر: عضلة في الساعد - عرق في القلب - دم القلب - وريد.

١٤. شَحْمَة: أسفل الأذن - طبلة الأذن - وسخ الأذن - فتحة الأذن.

١٥. زَوْر: مقدّم الصدر - ذقن - كتف - بطن.

١٦. مُهْجَة: وجه - صدر - دم - ضلع.

١٧. جُثْمان: جسم الرجل - جسم الميت - جسم القتيل - جسم.

١٨. خَطْم: لسان - شفة - مقدّم الأنف - أنف قصير.

١٩. بَشَرَة: ظاهر الجلْد - وجه - وجه المرأة - وجه الرجُل.

٢٠. إبْهام: عقدة الاصبع - موضع الخاتم - ظفر - إصبع.

٢١. طَرْف: حاجب - عين - جفن - خَدّ.

٢٢. مِرْفَق: ساعد - بين الذراع والعضد - كفّ - كتف.

٢٣. حُلْقوم: مجرى النفَس - معدة - رئة - لسان.

٢٤. نحْر: خصر - عنق - أعلى الصدر - ذقن.

٢٥. زَغَب: جلد الوجه - شعر صغير - جلدة الرأس - جفن.

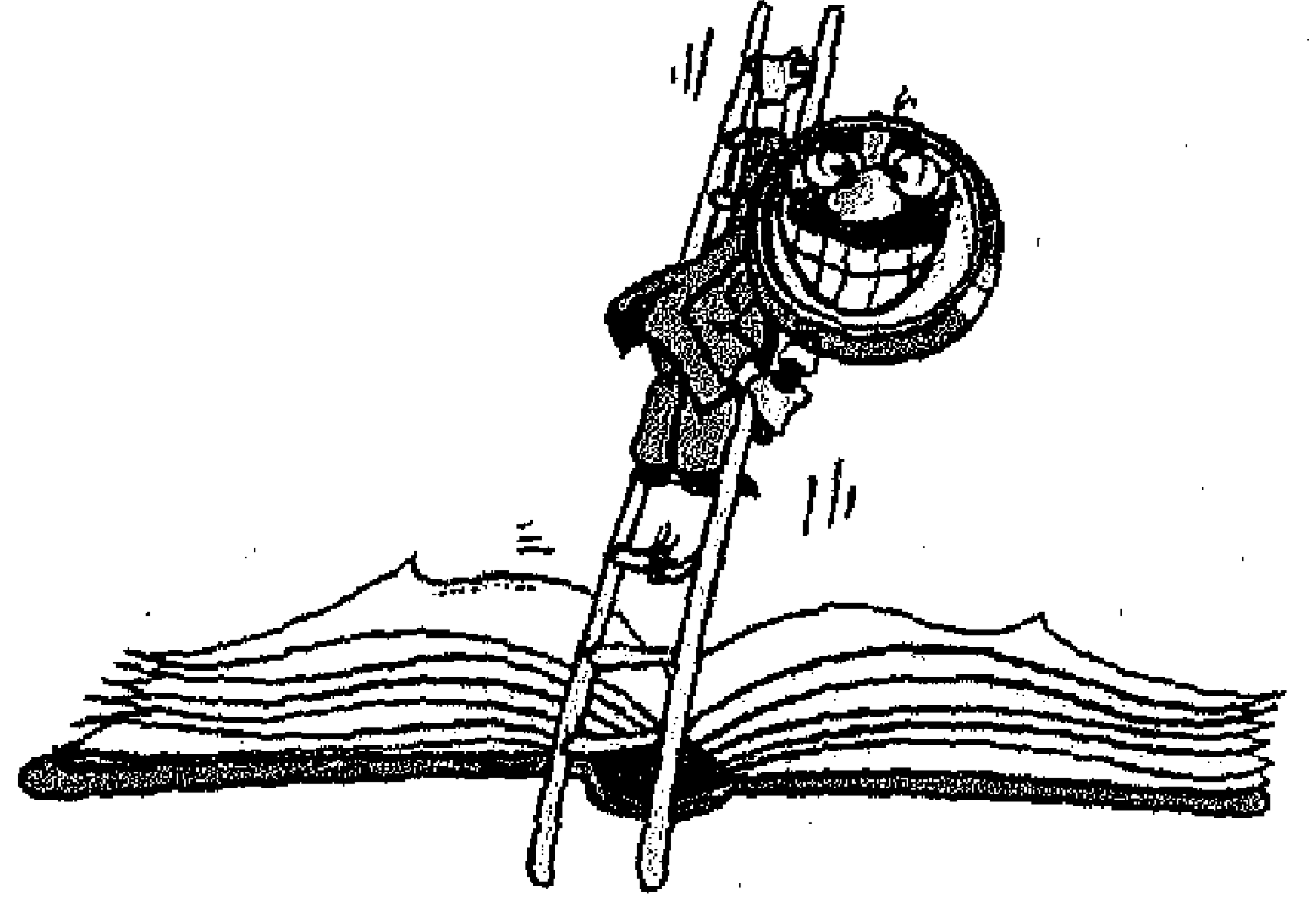
٢٦. مُحَيّاً: جبين - رأس - وجه - خَدّ.

٢٧. ناصِيَة: مقدّم الرأس - شعر خفيف - شعر شائب - مؤخّر الرأس.

٢٨. أَنْمُلَة: ظهر الاصبع - طرَف الاصبع - رأس الشعر - ظفر.

٢٩. رُغامى: قلب - طحال - مجرى الطعام - قصبة الرئة.

٣٠. عِذار: شعر أبيض - شعر كثيف - لحية - شعر يحاذي الأذن.



الأجوبة الصحيحة

١٠ وجْنَة (بتثليث الواو): ما ارتفع من الخدين. المؤجَّن: العظيم الوجنة.
٢٠ أَخْمَص: ما لا يصيب الأرض من باطن القدم، وربما كني به عن القدم كلها.
٣٠ فَوْد: جانب الرأس، وهما فَوْدان. معظم شعر الرأس مما يلي الأذن وناحية الرأس.
٤٠ تَرْقُوَة: عظمة تصل بين ثغرة النحر والعاتق في أعلى الصدر.
٥٠ عِرْنين: عظم الأنف تحت الحاجبين، او الأنف كله. يقال: "شُمّ العرانين"، اي ذوو كبرياء.
٦٠ نياط: عرق غليظ يناط به القلب الى الوتين.
٧٠ كاهل: موصل الظهر في العنق، وهو الثلث الأعلى من الظهر.
٨٠ هامَة: أعلى الرأس. رأس كل شيء. جمعها هامٌ وهامات.
٩٠ بَنان: الأصابع او اطرافها. الواحدة بَنانة.
١٠٠ حَدَقَة: سواد العين الأعظم الذى في وسط البياض. جمعها حَدَق واحداق وحداق.
١١٠ ضَفيرة: كل خصلة من الشعر مجدولة على حدة. ويقال لها عَقيصة.
١٢٠ مَرِيء: مجرى الطعام والشراب، وهو رأس المعدة. جمعها امرِئَة ومُرُؤ.
١٣٠ أَبْهَر: عرق إذا انقطع مات صاحبه، وهما أبهران يخرجان من القلب.
١٤٠ شَحْمَة: ما لان من اسفل الاذن، وهو معلّق القرط.
١٥٠ زَوْر: وسط الصدر ومقدَّمه، او ما ارتفع منه الى الكتفين.
١٦٠ مُهْجَة: الدم، وخصوصاً دم القلب. أيضاً: الروح. جمعها مُهَج ومُهَجات.
١٧٠ جُثْمان: الجسم والشخص.
١٨٠ خطْم: مقدَّم الأنف. المَخْطم والمخْطَم: الأنف. الأخْطَم (والخَطْماء): الطويل الأنف.
١٩٠ بَشَرة: ظاهر جلد الانسان، وهو الذي ينبت فيه الشعر. بَشَرَة الأرض: ما ظهر من نباتها.
٢٠٠ إبْهام: أكبر أصابع اليد والقدم.
٢١٠ طَرْف: عين، او ما تحرّك من شفار العين. طَرَفَ البصرُ (يطرِفُ طَرْفاً): تحرّك.
٢٢٠ مِرْفَق (ومَرْفِق): موصل الذراع في العضد.
٢٣٠ حُلْقوم: الحلق، وهو مجرى النفَس.
٢٤٠ نَحْر: أعلى الصدر او موضع القلادة.
٢٥٠ زَغَب: صغار الشعر والريش، او أوّل ما يظهر منهما.
٢٦٠ مُحَيّا: وجه. طَلْق المحيا: بَشوش الوجه.
٢٧٠ ناصية: مقدّم الرأس. شعر مقدم الرأس اذا طال.
٢٨٠ أنْملة (بتثليث الهمزة والميم): طرف الاصبع، او العقدة، او المفصل الذي فيه الظفر. جمعها أنامل وأَنْمُلات.
٢٩٠ رُغامى: قصبة الرئة.
٣٠٠ عِذار: الشعر الذي يحاذي الاذن، وبينه وبينها بياض.

المستوى

٢٥ - ٣٠: ممتاز
١٩ - ٢٤: جيد
١٣ - ١٨: مقبول



عودة البابا الى بولونيا

الأيام التسعة التي هزّت العالم

بولونيا دولة شيوعية يبلغ عدد سكانها ٣٥ مليوناً، تسعون في المئة منهم مسيحيون كاثوليك يمارسون شعائر دينهم. ولأكثر من ثلاثين سنة كرّس حكام البلاد الشيوعيون جهودهم لقمع الدين. واستولت الدولة على ممتلكات الكنيسة وفرضت الرقابة على المطبوعات الكاثوليكية وحظرت جمعيات الشباب والشابات التابعة للكنيسة وضيقت على المسؤولين الكنسيين، واضعة في عام واحد (١٩٥٣) الكاردينال ستيفان فيجنسكي تحت الحراسة المنزلية وتسعة اساقفة آخرين، فضلا عن مئات الرهبان، في السجون. وعلى رغم ذلك لا تزال الكنيسة الكاثوليكية تحتفظ بمقدار من القوة يثير الاعجاب.

في شهر يونيو (حزيران) ١٩٧٩، عاد قداسة البابا يوحنا بولس الثاني الى مسقط رأسه بولونيا في نطاق اول زيارة يقوم بها حبر كنيسة كاثوليكية لاتينية الى بلد شيوعي. ولم تعد رحلة "الاوديسة" التي قام بها على مدى تسعة ايام مجرد فصل مثير في تاريخ البشرية، بل اصبحت أكبر مجابهة في الازمنة الحديثة بين القوى الملحدة والمشاعر الايمانية العارمة.

وقفت سيدة عجوز في فرصوفيا متكئة على عصاها، وسمحت للدموع بان تنهمر على وجهها. وهمست بعنف وتحد: "سنريهم الحقيقة. فحيثما ذهب البابا، سيلقى من الترحيب ما يدهشه هو. اننا دولة كاثوليكية منذ ألف سنة، وسنظل هكذا على الدوام".

دونال أو هيغينز، يونايتد برس

وهج الضياء

وصور المشهد قبيل وصول البابا على النحو الآتي:

بدأت تتلاطم موجة من المد البشري عند حدود فرصوفيا. وفي كل شارع وطريق وسكة حديد ودرب مزرعة، يتدافع طوفان بشري نحو العاصمة ليشاهد الناس عجباً ويشهقوا دهشة حين يرون البابا يوحنا بولس الثاني هنا غداً.

لعله اعظم تحرك بشري في تاريخ اوروبا المعاصر. ومن المتوقع ان يصطف على الطريق من المطار الى فرصوفيا ما لا يقل عن ثلاثة ملايين شخص. وقد غدت "ساحة النصر" في فرصوفيا، حيث سيؤدي البابا مراسم الصلاة بعد الظهر، كتلة متشابكة من الحواجز البشرية والمقاعد المخملية. وارتفع صليب ضخم ربما بلغ علوه ١٥ متراً، وهو مثبت في منصة أقيم في طرفها مذبح خشبي جلل بستارة بيضاء.

واستمر الناس يتوافدون على الساحة. الفلاحون بأزيائهم القومية التقليدية يضربون بنعالهم في اسواق فرصوفيا، ويشترون الخضر لطبخها في القدور التي يحملونها بين امتعتهم.

بدت الشمس الغاربة في الغسق أشد بهاء من قبل وهي ترسل حزماً من بقايا ضوئها الى الساحة التي راح الصليب المرتفع فيها يتوهج لمعاناً. وكان الجنود الشيوعيون، ببزاتهم الكاكية يعبرون أمام الصليب، فتشخص عيونهم باستغراب الى وهج الضياء.

جون ادواردز، "الديلي ميل" (لندن)

كرنفال ضخم

منذ ان هبطت طائرة أليطاليا - ٧٤٧ في مطار فرصوفيا وخرّ البابا يوحنا بولس الثاني ساجداً ليلثم تراب وطنه في ذلك اليوم الحار - يوم السبت ٢ يونيو (حزيران) - وأبناء الوطن يتحلقون حوله في احتفاء بهيج.

بدت المناسبة كأنها كرنفال او حملة سياسية او احتفال ضخم من احتفالات الزواج على الطريقة البولونية، او هذه كلها في آن. لقد جيء بالاطفال ليطبع البابا القبلات على رؤوسهم او ليباركهم بيده. وتقدمت جدّاتهم ومناديل البَشْك المثلثة تغطي رؤوسهن، وتدافع الشبان نحوه بحركة تشبه الرقص المترنح. وأطلت عليه من كل حدب وصوب الوف مؤلفة من عمال مناجم الفحم بوجوههم الصارمة الملامح واصواتهم الهادرة بالترانيم، فيما كان يرافقهم بصوته العذب من طبقة "الجهير الأول" (باريتون) اول بابا بولوني في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية.

"التايم"

بولونيا الاوروبية

لقد أعدت الحكومة، على غرار ما فعل المؤمنون، عدتها لهذه الزيارة، وقسمت البلاد اربع مناطق رئيسية يتوقف فيها البابا خلال رحلته، وهي فرصوفيا وغنيينزو وتشيستوكوفا وكراكوف. وأبلغت المواطنين انه يسمح لكل منهم بحضور الاحتفالات في منطقته فقط. وقد أنذر مديرو المناجم والمدارس العمال والطلاب من مغبة ادعاء المرض كحجة للتغيب عن مناجمهم ومدارسهم خلال الزيارة، بينما خشي الموظفون الحزبيون الحذرون ان يفضي تدفق مشاعر البهجة بعودة البابا الى انفجار ثورة مفتوحة.

أما الذي حدث فعلا فهو ان البابا البولوني سرعان ما اعلن عن تحدياته للحكم، مخاطباً الجماهير في اليوم الاول لزيارته بالآتي: "إن استبعاد المسيح عن تاريخ الانسان هو عمل يقترف ضد الانسان. وإن فهم التاريخ في بولونيا يستحيل من دون المسيح، وخاصة تاريخ اولئك الاقوام الذين وطئت اقدامهم ارض هذا البلد واولئك الذين تطأ اقدامهم ارضها اليوم".

وفي تلميح مثير الى كفاح امته من اجل الحرية طوال الف عام، قال البابا: "لن تقوم اوروبا عادلة من غير ان تحتل بولونيا مكانها المستقل على خريطتها".

"نيوزويك"

جيش المحبة

وبعث جون بيلغر بالتقرير الآتي عن اليومين الاولين للزيارة:

سخر جوزف ستالين مرة من قوة الكنيسة الكاثوليكية اللاتينية متسائلا: "كم فرقة عسكرية لدى البابا؟" غير ان جوزف ستالين، مع الاسف، ليس موجوداً الآن ليتحقق بنفسه مما شهده البابا نهار السبت حين اعتلى منصة ساحة النصر في فرصوفيا حيث احتشد جيش عارم مطيع ومحب يمثل ملايين البشر، لا بضع فرق عسكرية تدعو الى الازدراء.

لقد تلقى الموظفون الحزبيون الذين استقبلوا البابا تعليمات سرية يبدو أنها ذاعت بين الناس حتى حصل كل فرد تقريباً على نسخة منها. وجاء فيها: "اذا استحال تجنب الركوع امام البابا، فلا بأس من الركوع، ولكن ينبغي تجنب تقبيل خاتم البابا في جميع الاحوال مهما كلّف الامر".

يوم الاحد كان يصعب العثور على اي بولوني يقر بأنه شيوعي. حتى أن سائق تاكسي فتح شباك سيارته حين سئل: "اين اختفى الشيوعيون؟"، وصاح في جمهرة من الناس: "يا جماعة! هل بينكم شيوعي؟" وهدرت الاصوات: "كلا! كلا!" ووقف رجال الشرطة امام المشهد مشدوهين.

"الديلي ميرور" (لندن)

قوة الفرح

تعد رحلة يوحنا بولس الثاني برمتها عملا فذاً في السجلات البابوية. وقد خرج لتحية الجماهير في عدد مذهل من الاحتفالات لا يقل عن الاربعين. وحيثما توجه قداسته تواكب الناس مشياً على الاقدام او ركوباً مسافات طويلة، والتحمت الاكتاف وتراص

الهروب الى فوق

البابا البولوني اليوم في بولونيا الشيوعية. ماركس يستضيف الكاهن. وبعد نصف شهر قمة كارتر وبريجنيف (...)

للوهلة الاولى يكاد الانسان المعاصر، بعفويته، يسارع الى القول ان لقاء الكاهن وماركس سينتهي ببلاغ مشترك حول الحد من انتشار العقيدتين (...)

وللوهلة الاولى ايضاً يكاد الانسان المعاصر، بسذاجته، يتوقع ان يكون لقاء البابا البولوني والشيوعي البولوني تمهيداً للوفاق الامريكي ـ السوفييتي في العاصمة النمساوية الحيادية.

بل يكاد الانسان المعاصر العفوي الساذج يقول، ولو من خلال خياله الواسع، انه اذا لم يتفق المؤمن والملحد في بلاد البابا البولوني، فكيف يمكن ان يحدث وفاق حقيقي بين اقوى دولة مؤمنة هي الولايات المتحدة واقوى دولة ملحدة هي الاتحاد السوفييتي؟

لذلك قد يذهب الخيال المعاصر الى القول، ولو من باب الطرافة، ان الرئيسين الامريكي والسوفييتي قد يضيفان الى جدول اعمال قمتهما نتائج زيارة البابا لبولونيا (...)

ثمة لقاء واقعي ووفاق غير معلن بين اللقاء البولوني والوفاق الامريكي ـ السوفييتي. فالبشرية في الشرق والغرب تتلاقى، ولو في نظر المثاليين، لتغليب الرحمن على الشيطان، لا داخل قلوبها فحسب بل داخل عقولها ايضاً. لان قلب البابا في بولونيا هو الوجه الآخر لعقل الرئيسين كارتر وبريجنيف في فيينا، على الاقل عند المثاليين الذين يؤمنون بالرموز، ولو "بالهروب الى فوق".

ميشال ابو جودة ـ "النهار" ـ بيروت

الناس في كل مكان، وانتظرت الجموع الغفيرة ساعات طويلة لا لشيء سوى ان تحظى برؤية هذا الرجل الذي عمد، على خلاف العادات البابوية، الى زج نفسه بين الناس ليأخذ طفلا بين يديه ويحمله عالياً في الهواء، او ليختطف بين ذراعيه، على طريقة المصارعين، واحداً من معارفه القدماء، او ليعانق الحجاج ويباركهم.

والحق ان مظهر البابا اوحى بوجود قوة من الفرح المتأجج تكاد تلمسها بحواسك لمساً: إنها فرحة الصامد في وجه المصاعب، فرحة المفتخر بوطنه وايمانه.

"تايم"

الاحد تدفق سكان فرصوفيا على الشوارع مرة أخرى ليودعوا قداسة البابا الذي ركب طائرة هليكوبتر بيضاء أقلعت به من وسط ساحة النصر الى مدينة غنييزنو العريقة، حيث برزت بولونيا كأمة اعتنقت المسيحية قبل اكثر من ألف عام.

جون اورغان، رويتر

الراعي الشعبي

بعدما نثرت لآلىء الخطب الفاتيكانية، راح قداسة البابا، الذي يناهز التاسعة والخمسين، يخاطب الناس بلهجاتهم المحلية ويشاركهم إنشاد الاغاني وقص الحكايات والنوادر الشعبية. وفي احدى

الليالي، وبعدما انهى راعي الكنيسة الكاثوليكية الصلاة في الهواء الطلق امام مئة ألف من الشباب والشابات في غنيينزو، أخذ يقودهم في احتفال غنائي من الالحان الشعبية فيما تزايد الحاح الشبان عليه. ولم يسمحوا له بالانصراف إلا بعدما تناول الميكروفون وقال بصوت شبه غنائي: "الحافلات في انتظاركم".

"تايم"

صلوا وبكوا

ذهب راعي الكنيسة يوم الاثنين ٤ يونيو (حزيران) الى تشيستوكوفا حيث مكث ثلاثة ايام في دير "ياسنا غورا" (الجبل اللامع)، وهو من اقدس الاماكن الدينية في بولونيا.

أنشد الناس معه ولوحوا بأيديهم وصلوا وبكوا، وأنشد هو معهم ولوّح بيديه وبكى. واستمد كل جانب من الآخر قوة وسنداً. وذات مرة رفع البابا يده في الهواء، فاذا بجموع المصلين المنتشرين فوق رقعة واسعة من الارض - ويقدر عددهم بمئات الألوف - يخرون على الارض راكعين دفعة واحدة، وكأنهم سنابل قمح حصدها منجل عملاق بضربة جبارة.

ليس الانبهار بسحر شخصية البابا هو ما حدث في بولونيا، وانما الذي حدث هو ان البابا حرك في نفوس الاهالي عواطف زاخرة بالثقة والمحبة من المستحيل ان يحلم بها اي زعيم سياسي مجرد حلم في عالم اليوم.

"تايم"

دعوا الاطفال...

يحب يوحنا بولس الثاني الاطفال ويقبلهم ويعانقهم ويرفعهم بين يديه فوق رأسه. والاطفال، بدورهم، يحبونه. وحتى اولئك الصغار جداً، الذين لا يدركون هويته، يستجيبون بسعادة لدفئه وعاطفته. على ان بين الاطفال في تشيستوكوفا صبياً في العاشرة من عمره غلبه الحياء، او انه كان يستجيب لنواهي امه، وكان واقفاً في الصف الامامي. ومشى ببطء نحو البابا ذي الحلل البهية.

والتفت البابا - وكان يصغي بامعان وحبور الى غناء مجموعة من الشبان - الى الصبي المتردد وابتسم له ابتسامة عريضة وأومأ اليه كي يتقدم. فطأطأ الصبي رأسه واقترب من العرش، وركع امام البابا مقبلا الخاتم البابوي. واذا بالبابا يضع يده اليمنى الكبيرة على رأس الصبي من الوراء حتى كاد الرأس الصغير ان يختفي تحت يده. ثم سحبه اليه وضمه وباركه، وقدم اليه ميدالية من الفاتيكان. وفجأة أخذ الصبي، الذي تملكه الحياء قبل دقيقة، يقفز عائداً الى مكانه وعلى وجهه ابتسامة عريضة فيما كان يشد بحرص على الميدالية التي في قبضته. عندئذ ذاب جليد الحياء، وتجرّأ اطفال آخرون على الاندفاع نحو البابا الذي باركهم وعانقهم واحداً واحداً، وحرص على اعطاء كل منهم ميدالية.

ليون دانيال، يونايتد برس

حرية العبادة

في الخامس من يونيو (حزيران) وجه قداسة البابا، في كلمة خاطب بها اساقفة بولونيا السبعين داخل الدير، أشد ملاحظاته صرامة حيال التوتر السائد بين الحزب والكنيسة،

معلناً ان حرية العبادة هي واحدة من "حقوق الانسان الاساسية"، ومشيراً على الاساقفة أن يصمدوا بحزم في كفاحهم ضد السلطة لضمان ظروف عادية سليمة في حياة الكنيسة.

كانت رسالته صريحة العبارة، لا مواربة فيها: إن على الكنيسة المتحدة في بولونيا ان تصر على تأدية الدور اللائق بها بلا هوادة وعلى نحو كامل ومن دون اي انتقاص من حقها. ومما قاله:"نحن نعلم ان هذا الحوار (بين الحزب الشيوعي والكنيسة) ليس سهلا لأنه يدور بين فكرتين عن العالم هما على طرفي نقيض".

بيتر اوزنوس ومايكل غتلر، "الواشنطن بوست"

"ان قلبي معكم"

مساء الاربعاء ٦ يونيو (حزيران) عاد البابا يوحنا بولس الثاني الى كراكوف، فهب الناس، الذين خدمهم هذا الرجل نفسه طوال عشرين عاماً، لملاقاته وتحيته بحماسة فائقة. وبدا الانفعال واضحاً على محيا البابا لهذا الاستقبال حين حطت طائرة هليكوبتر به امامهم ساعة الاصيل والرذاذ يتساقط من السماء، فقال لهم:"إن قلبي لا يزال ملتحماً بكم، متحداً مع هذه المدينة وهذه الكنيسة ومع روما البولونية هذه".

وفرشت في طريق موكبه اكاليل الزهر. ولولا سيطرة الشرطة الحازمة على مداخل المدينة منعاً لدخول احد باستثناء سكان المدينة وحاملي البطاقات الخاصة، لازدادت الجموع ضخامة. والواقع ان رجال الشرطة بدوا في حال من التوتر. وحين اخترق شوارع المدينة طابور مؤلف من ٧٥ سيارة عسكرية، اطلق مئات الطلبة الهتافات.

وتجلى حب الناس للبابا وتعلقهم به في هذه المدينة التي خدم فيها خمس سنوات برتبة اسقف للكنيسة و١٥ سنة برتبة كبير الاساقفة. وقال بواب الفندق الكهل:"انظر اليه كيف عاد الآن بعدما غادر المدينة بحقيبة صغيرة وفرشاة اسنان ورغيفين صغيرين من الخبز!"

جون فينوكور، "النيويورك تايمس"

الانتصار الآخر

حالت الحكومة دون زيارة البابا للمدن الكبيرة في سيلسيا، قلب بولونيا الصناعي ومركز صناعة الفحم، حيث تقارب الحماسة الدينية احياناً حدود التعصب المتطرف. وقد احجم عمال المناجم عن التوجه الى اعمالهم احتجاجاً على القرار الحكومي. وقال احد المشرفين على تنظيم الاحتفالات الكنسية ضاحكاً:"هذا انتصار آخر تنتزعه الحكومة انتزاعاً، ولكن بثمن فادح. فبدلا من ان تسمح باقامة احتفال رمزي في مكان منعزل وقصي، ستواجه الآن زحف عشرات الالوف من عمال المناجم الذين سيفدون الى كراكوف بهياج كبير".

استمرت المضايقات ولم تؤمن الدولة كل الحافلات التي طلبتها الكنيسة. وفي البرنامج المطبوع حيث أدرجت مناسبات الصلاة، وعددها عشرون يحضرها البابا، ابدل احد رجال الرقابة عبارة "عظات"،

ومعناها في البولونية "رسائل الله"، بعبارة "خطب تلائم المناسبة". كما صادر أعوان الحزب السقالات التي نصبت لاستخدامها في بناء مدرجات استراحة في مراحل زيارة البابا.

"نيوزويك"

قرية الذكريات

يوم الخميس ٧ يونيو (حزيران)، توجه البابا الى قرية فادوفيس حيث ولد وترعرع.

عمّ السرور مسقط رأس البابا، وترددت على الافواه مختلف الذكريات الحلوة عن طفولته. الا ان احداً من الناس لم يتذكر حتى حادثاً واحداً أساء فيه البابا التصرف منذ ولادته في شهر مايو (ايار) عام ١٩٢٠ حتى نزوحه عن القرية بعد ١٨ عاماً. وقالت هيلانة شيزسبانسكا، العجوز ذات الوجه السمح التي تبلغ التاسعة والثمانين، وهي كانت جارة لاهل الطفل كارول فويتيلا وطالما هزته في عربته في باحة الدار تحت منزل اسرته: "الازعاج الوحيد الذي بدر عنه هو كثرة ركضه احياناً حول الباحة". واضافت: "كانت ام كارول تنادينا احياناً بأعلى صوتها لتقول: "انظروا، سترون كيف ينمو رجل عظيم من هذا الرضيع!" " وكنا نضحك لاقوالها".

مايكل غتلر، "الواشنطن بوست"

في "مصانع الموت"

يوم عودة البابا يوحنا بولس الثاني الى بلاده، توجه الى "مصانع الموت" النازية، وهي الزيارة الاولى التي يقوم بها اي حبر اعظم الى هذا المكان. انها رحلة محزنة الى أحلك بقعة على وجه الارض. وقد بلغت المشاعر ذروتها حين شرع البابا في الصلاة عند باحة السكك الحديد في بيركناو حيث يهيمن شبح الموت. وفي هذا المكان اشترك في الصلاة رهبان أسروا في معسكرات التعذيب هذه التي اقتيد اليها اربعة ملايين شخص في حافلات الماشية من أجل اعدامهم في حجرات الغاز. وفي هذا المكان انطلقت مليون حنجرة مع قداسة البابا في اناشيد محزنة.

دونال اوهيغينز، يونايتد برس

اعاننا على البقاء

زار قداسته زنزانة الراهب الفرنسيسكاني ماكسيميليان كولبه الذي طوب اسمه في عداد الابرار الخالدين نظراً الى تضحيته بحياته لانقاذ سجين آخر هو فرنسيس غايوفنيتشك الذي حضر الصلاة هذا اليوم مع آخرين ممن نجوا من معسكرات الموت. وقال رجل طاعن في السن كتبت له النجاة مع انه كان من أوائل الذين زج بهم النازيون في المعتقلات، فضلا عن حقنه بداء التيفوس في نطاق تجاربهم الطبية: "إن ديننا هو الذي اعاننا على البقاء في وجه اسوأ جحيم على الارض".

قال قداسة البابا الذي انخرط شخصياً في مقاومة النازية وأعان، فيمن اعانهم، لاجئين يهوداً: "يستحيل ان يقوم الانسان بمجرد زيارة الى اوشفيتز، بل ينبغي ان تحفزنا هذه الزيارة على التفكير في الخوف من المدى الذي يتمادى اليه الحقد والكراهية، ومدى تدمير

الانسان لاخيه الانسان وفظاعة قسوته".

"تايم"

السلام... السلام

"لا حرب بعد الآن" - صيحة انطلقت من قداسته بينما وقف مصغياً مئات الالوف من الناس الذين انتشروا بين الاسلاك الشائكة والثكنات وابراج المراقبة في ذلك المكان الذي وصفه البابا بأنه "شيد على الكراهية واحتقار الانسان". وصاح البابا من جديد: "السلام... السلام فقط"، ورددت الجموع الغفيرة وراءه: "السلام".

جون فينوكور، النيويورك تايمس"

"الرب قد ملك"

كبير اساقفة فيلادلفيا (الولايات المتحدة) الكاردينال جون كرول رافق البابا في زيارته.

قال قداسته إنه جاء وفي جعبته ٣٥ نصاً للخطب والعظات. لكن المناسبات التي استوجبت القاء الخطب ظلت تتكاثر في برنامجه حتى انه تكلم في الناس في اكثر من خمسين مناسبة رسمية وفي عدد كبير من اللقاءات غير الرسمية.

وحين كانت كلماته توحي الى الناس بكلمات ترنيمة دينية معروفة، كانت الجموع تقاطعه منشدة تلك الترنيمة. واذكر ان شباناً في نوفي تارغ راحوا ينشدون: "الرب قد ملك"، فرفع البابا صوته فوق اصوات المنشدين قائلا: "اذكر انني كنت واحداً بينكم آخر مرة سمعت فيها هذه الترنيمة"، ثم بكى. وبينما تعالى صداح المرنمين نشوة، أخفى البابا وجهه وبكى وهو يقاوم عواطفه ليهدىء من مشاعر الالم التي اهاجتها الذكريات مع هؤلاء الذين عرفهم واحبهم وأرغم على مغادرتهم.

الكاردينال جون كرول

الوداع الحزين

وحل العاشر من يونيو (حزيران) مؤذناً بختام الزيارة. ولوح البابا بيديه لجمع يزيد عدده على المليون نسمة، مودعاً بولونيا بحزن. وكانت الجماهير، قبل نحو ٢٤ ساعة من أزوف هذه الساعة، بدأت تتوافد لوداعه، حتى ان طوابير صفوفهم امتدت من المذبح الى أبعد من كيلومتر ونصف كيلومتر.

وواجههم البابا بصوت متهدج هدرت به مكبرات الصوت، قائلا بصعوبة:

"هكذا، قبل ان اترككم، اريد ان القي نظرة اخيرة الى كراكوف، المدينة التي يعز علي كل حجر من حجارها وكل طوبة... نظرة اخيرة الى بولونيا".

كانت لحظة جاشت فيها العواطف العارمة، وانطلقت اجواق عظيمة بين الناس تصيح: "لا تذهب يا أبانا". وبدأ البكاء والانتحاب.

جون ادواردز، "الديلي ميل"

ACKNOWLEDGEMENTS: AP RELEASE (JUNE 10, 79). (C) 1979 BY THE ASSOCIATED PRESS: DAILY MIRROR LONDON: LONDON DAILY MAIL (JUNE 1.11.79) (C) 1979 BY DAILY MAIL: NEWSWEEK (JUNE 11. 79) (C) 1979 BY NEWSWEEK INC.: NEW YORK TIMES (JUNE 6. 8 79). (C) 1979 BY THE NEW YORK TIMES CO.: «PILGRIMAGE TO POLAND» BY JOHN CARDINAL KROL. (C) 1979 BY JOHN CARDINAL KROL: REUTERS RELEASE (JUNE 3. 79). (C) 1979 BY REUTERS LTD.: TIME (JUNE 18. 79). (C) 1979 BY TIME INC.: UPI RELEASES (JUNE 2.5.7.79). (C) 1979 BY UNITED PRESS INTERNATIONAL: THE WASHINGTON POST (JUNE 6.8. 79). (C) 1979 BY THE WASHINGTON POST CO.

أكرِم أباك وأمّك

ان الحوافز النبيلة على البر
لا تنبثق من الشعور بالواجب، وانما تفيض من الحب
العميق الذي لا يعرف الانانية

– ماذا تفعل أمك هذه الايام؟

واجابت الصديقة التي عادت اخيراً من زيارة لاسرتها عن سؤالي بامتعاض: "امي مشغولة في كيل اللوم، وهذا خير ما تحسنه".

كثيراً ما اسمع مثل هذا القول، ولاسيما من المتزوجين الشباب غير الواثقين مما اذا كانوا ابناء عاقين حقاً أم ان آباءهم يصمونهم بتلك الوصمة تحاملا وأنانية، فيثقلون كواهلهم باثقال خفية من الشعور بالذنب.

ولكن ما الذي يدين به الابناء لآبائهم؟ لا اقصد هنا الابناء المتزوجين فقط، وانما جميع الابناء بلا استثناء من السن السادسة الى السن السادسة والستين. إن احداً لا يستطيع التكلم بلسان الجميع. ولكن ما دام كثيرون يلتمسون الاجابة عن هذا السؤال، فلا بأس في ان احاول المساعدة.

لنبدأ بالابناء المراهقين. انهم مدينون لآبائهم بالاعتبار والولاء والاحترام. وفي الكتاب المقدس وصية بسيطة وواضحة تقول: "اكرم اباك وامك".

ليس الاعتبار في حاجة الى تحديد. ولكن ما معنى الولاء؟ إنه

يعني الثبات والمثابرة حين تضطرب الامور وتسوء الاوضاع. كما يعني كتمان شؤون العائلة، لان الابن الذي يحط من قدر ابويه امام الآخرين انما يعكس ما في نفسه اكثر مما يبوح بمساوىء والديه.

أما الاحترام فيصعب منحه من لا يستحقه. ومن المؤسف ان بعض الآباء لم يحققوا الاحترام لأنفسهم. (في هذه الحال، حاولوا ان تجدوا في قلوبكم رأفة وتفهماً). غير ان غالبية الآباء يستحقون الاحترام، في الاقل، لصمودهم المستمر أمام التضخم المالي والسمنة والانهاك المزمن والاهمال في عالم من الفوضى والاخطار. وهم، مع ذلك، جادون في تدبير شؤون منازلهم ورعاية اطفالهم والمشاركة في النشاطات الاجتماعية.

فما الذي يدين به ابناؤهم لهم؟ انهم ملزمون اولا بالاجابة فوراً وبصدق عن اسئلة مثل: الى اين انت ذاهب؟ ومع من؟ ومتى تعود؟

لكن رسائل كثيرة ترد علي يشتكي فيها الشباب من ان آباءهم يصرون على اختيار الاصدقاء لهم. فهل للآباء حق في ذلك؟

كلا! ليس لهم الحق. بيد اني لا انكر ان الآباء، اذا انتقدوا الاصدقاء، فهم يفعلون ذلك لأسباب وجيهة، إذ لا يخفى ان عشرة السوء تفضي الى المتاعب.

يحق للوالدين ان يتوقعوا من ابنائهم ترتيب حوائجهم والنهوض ببعض الاعباء المنزلية. ومن الواجب على الاولاد، فتياناً وفتيات، ان يتعلموا الطهو والتنظيف وغسل الملابس والخياطة – في الاقل خياطة الازرار على القمصان – وغير ذلك، لان هذه الامور لا تقتصر على النساء، بل تساعد على تعليم الطفل الاستقلال والاعتماد على النفس.

عادة ام استغلال؟ – ما الذي يدين به المراهقون والطلاب الجامعيون لآبائهم من حيث الوقت والاهتمام؟

ليست لدي إجابة شاملة، اذ ان بعض الآباء كثيرو المطالب وبعضهم متساهلون جداً. وفي حين انك ترى بعض الابناء يتطلعون بصبر الى الانعتاق من بيوتهم، تجد آخرين لا يغادرونها الا اذا أخرجوا منها بالقوة.

وينبغي للآباء الا يتوقعوا من ابنائهم الجامعيين رسائل يومية. لكن ارسال بطاقة بريدية مرة في الاسبوع او الاتصال هاتفياً ليس بالامر العسير اذا طلب الآباء ذلك. وفي اعتقادي ان الشباب الجامعيين، ذكوراً وإناثاً على حد سواء، ملزمون بالعودة الى بيوتهم خلال العطلة، وان يكن البعض من اقرانهم سيذهبون في رحلات استجمام خصوصاً اذا كان الوالدان راغبين في رجوعهم. ألم يدفعا هما اقساط الجامعة ونفقات السفر؟

ولكن، ما الذي يدين به الابناء الموظفون الذين يعيشون في كنف والديهم من الناحية المالية؟

ترد علي اسبوعياً عشرات الرسائل من الآباء. وقد كتبت الي إحدى الامهات:

"يسعدنا كثيراً ان تعيش ابنتنا في كنفنا، لكني، مع ذلك، اشعر بأنها تستغل وجودنا. فهي تشتري لنفسها أغلى الازياء وتقتني سيارة وتسافر الى الخارج في اجازاتها ولا تساهم بشيء في مقابل غرفتها وأكلها. بينما انا اغسل الملابس واكويها وانظف

البيت واطهو. نحن لا يعوزنا المال، والحمد لله، الا اني اشعر بان اي مساهمة اضافيةمن جانبها ستكون عملا طيباً".

وأجبت تلك الام على رسالتها:

"ايتها الام العزيزة – يجب ان تتسلمي ٣٠ فيالمئة من دخل ابنتك. واذا ظن الابناء العاملون ان في امكانهم الحصول على مأوى وطعام وغسيل وتنظيف من خادمة في اي مكان آخر، بسعر أقل، فليجربوا!"

ان من الواجب منح اوضاع خاصة واحكام مختلفة للذين يتركون البيت ويستقلون مادياً او يشرعون في حياة عائلية جديدة. والآباءالذين يتمتعون بقسط وافر من الحكمة والمحبة يتخلون راضين عن دورهم كمرجع للسلطة والارشاد والتوجيه، متذكرين كيف كانوا يشعرون هم انفسهم حيال تدخل آبائهم في شؤونهموترى الابناء الحكماء، في المقابل، يقيمون وزناً واعتباراً للآباء او لوالدي الزوج كي يجنبوهم الشعور بانهم فقدوا مكانتهم في المجتمع او انهم مهجورون ومنبوذون.ان للحياة دورات وتقلبات. لكن كفتي الميزان، في نهاية المطاف، متساويتان ثقلا.

عتب الآباء – اذا شئنا الخوض في الخصوصيات،فإننا نتساءل عما يدين به المتزوجون، ذكوراً واناثاً، لآبائهم من حيث تكريس الوقت لهم واظهار الاهتمام بشؤونهم. ان ما أستشفه من رسائل قرائي يوحي بان هذه المسألة تشكل احدى المشكلات الرئيسية التي يواجهها المتزوجون الذين ولجوا العقد الثالث او الرابع من اعمارهم. واليكم نبذاً من حقيبة رسائلي:

"تتصل بي امي هاتفياً اربع مرات يومياً، في الاقل، لتسأل ان كان اطفالي قد تناولوا وجبة فطور جيدة، وماذا لبسوا في حفلة ليلة امس، وما هو طعام العشاء هذا اليوم، وهل سمع زوجي شيئاً من رئيسه عن زيادة راتبه".

"بلغت امي الرابعة والستين من عمرها، وهي ارملة لطيفة واسعة الاطلاع. لكنها تتألم كثيراً كلما دعونا ضيوفاً من دون حضورها. اني احبها كثيراً، لكنها تتشبث برأيها، حتى أني اشعر احياناً كثيرة بان اصدقاءنا يستاؤون من وجودها. هل انا ملزمة بدعوتها لكونها امي؟"

"والدا زوجي لا ينفكان يسألاننا عما اذا كنا نتوقع مولوداً. ويدأبان على تذكيرنا بأن الايام لا تزيدهما شباباً وبأنهما سيضحيان بأي شيء في مقابل مولد الحفيد".

"بلغوالدا زوجي اواسط السبعين. ويمضي زوجي قرابة خمس ساعات كل يوم سبت في التنقل بهما بسيارته بين البيت والمحلات التجارية وعيادات الاطباء والصيدلية ومحلات تنظيف الملابس. ومع ان لهما ابنتين تعيشان في مدينتنا، الا انهما يخصان زوجي بهذه المطالب المرهقة. هل هو ملزم ازاءهما بهذه الخدمات؟"

ليست هناك قواعد وأحكام تشمل جميع المناسبات. لكن ثمة اقتراحات يمكن تكييفها كي تلائم معظم الحالات:

بين الناس عدد لا يحصى من ضحايا الاهل والاصدقاء المصابين بـ"داء المكالمات الهاتفية". وخير وقاية من هؤلاء هو تطوير اسلوب حاذق للتخلص من المكالمات التي لا تنتهي، كأن تقول بعد مضي وقت معقول على المكالمة:"آسف يا عزيزي، فان امامي الف مهمة هذا الصباح. علي ان اقطع المحادثة الآن وسأكلمك قريباً".

لكني أظن انه لا يحق للناس ان

يشتكوا من كونهم في مأزق او انهم فريسة لاستغلال الآخرين اذا كانوا يفتقرون الى الشجاعة والمبادرة الى اثبات انفسهم. وانا اقول لهؤلاء دائماً: " لا يستطيع احد استغلالكم لولا سماحكم انتم بذلك".

ان المرأة غير ملزمة تجاه اهل زوجها بالانجاب. ويجب وضع حد لهؤلاء الآباء الذين يفرضون على ابنائهم "انجاب الاحفاد". ومن غير الضروري ايضاً ان يتوقع الآباء المشاركة في النشاطات الاجتماعية التي يحييها ابناؤهم، كما أن عدم توجيه الدعوة اليهم لا يحتاج الى اعتذار.

اما ان يصبح المرء سائق سيارة لتلبية حاجات والديه فامر يستنزف الوقت والطاقة. الا ان مثل هذا العمل ربما كان ضرورياً اذا انعدمت الوسائل الاخرى. واذا كان هناك اشقاء او اقارب قادرون على المساهمة، فيجب طلب مساعدتهم. واذا كان الوقت احياناً اثمن من المال، فقد يحل سائق سيارة أجرة مكان الابن في حال طارئة، وبذلك يخف التوتر.

هل أنا ملزم؟ ـ لعل اعظم ما يبعث على القلق هو ما يشغل المرء في اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات من عمره: ماذا سأفعل بأمي متى توفي أبي؟ واذا توفيت امي اولا فماذا افعل بأبي؟

ان الظروف هي التي تحكم. ومن الامهات والآباء من يرفض العيش مع ابنائهم في اي حال من الاحوال. وثمة عوامل كثيرة ينبغي اعتبارها، اولها: كيف يتماشى الجد او الجدة مع جو الاسرة؟وهل تتملكه - او تتملكها - نزعة الى السيطرة؟ وهل ستنشأ المتاعب في المطبخ مثلا؟ وهل سيشعر الاطفال ان هناك اشخاصاً عديدين يصدرون اليهمالاوامر المختلفة؟

وللناحية المالية اعتبار آخر: هل يملك الأب او الام ما يكفي لاعالتهما؟ كما أن للناحية الصحية اهميتها: هل صحة الآباء تؤهلهم للعيش بمفردهم؟ من الضروري دراسة الاجابات عن هذه الاسئلة بدقة وعناية.

ومن الناحية الخلقية البحتة، هل انت ملزم بتقديم مكان في دارك الى والديك اذا رغبا في ذلك؟ أنا اقول:"لا". واذا كانا في حاجة الى عناية ومأوى، فمن الواجبان تقدم اليهما ذلك. لكنك لست مجبراً على تقديم المأوى تحت سقف دارك اذا كان ذلك سيزرع بذور الشقاق بين افراد الاسرة. ان الحل الامثل هو ان يبقى احد الابوين الذي فقد رفيق حياته في الدار التي اعتاد العيش فيها، اذا كان ذلك ممكناً من الناحية الاقتصادية.اما اذا كان تأمين المال اللازم مشكلة لا يسهل حلها، فيجب ان يهب الابناء جميعهم للنجدة وان يتقاسموا النفقات.

لكن الحديث عن هذه الامور أيسر كثيراً من تنفيذها. وغالباً ما تحدث الخلافات التي لا تنتهي بين الاشقاء الذين يشتكون من عدم قدرتهم على ايواء والديهم لان ابناءهم يدرسون في الجامعات ومصاريفهم هائلة. ومع ذلك، تراهم يتدبرون تكاليف الاجازات وينتسبون الى مختلف النوادي ويملكون سيارات جديدة.

وتنشأ ازمة حادة حين يبلغ الابوان من الشيخوخة حداً يتعذر معه الاعتناء بالنفس. إن دور العجزة باهظة التكاليف، كما ان عدداً كبيراً من المتقدمين في السن يرفضون دخولها. فما العمل اذاً؟ لقد اقدم العديد من الرجال والنساء على ايواء احد الابوين (او اكثر) من كلا الجانبين، على رغم ما في ذلك من تضحية كبيرة.

واني اناشد الابناء الا يشعروا بالذنب اذا عجزوا عن تقديم هذه التضحية. أما الذين يقدمون عليها فهم يستحقون مكاناً الى يمين الله يوم القيامة (الحشر).

ولكن من ينجو نهائياً من الدَّيْن في هذه الحياة؟ اننا جميعاً مدينون بشيء ما لامرىء ما. لكن الحوافز النبيلة على البر لا تنبثق من الشعور بالواجب، وانما تفيض من الحب العميق الذي لا يعرف الانانية.

■ آن لندرز



آخرة الماس

من اجل التغلب على مشكلة النقص في مصادر الطاقة، تدرس احدى شركات الخدمة وسائل تحويل الماس الى فحم من جديد.

ل.ا.ت.

قرض بفائدة

قال الرجل لزوجته: "هل تذكرين آلة قطع العشب التي استعارها جارنا منا في العام الماضي؟ لقد استعدتها اخيراً. فقد عرضوا محتويات مرآبهم للبيع، واشتريتها منهم".

(مجلة "حديث الطاولة")

اعلانان

ـ علقت اللافتة الآتية على واجهة مخزن يبيع ملابس للمراهقين: "ملابس لن تحبها امهاتكم".

ا.ر.

ـ في مرقص شوهد الاعلان الآتي: "لسنا مسؤولين عن فقدان قبعاتكم او معاطفكم او توازنكم".

م.ب.

الأسطورة

أعطى جون وين العالم صورة عن الفنان المثالي وصار رمزاً للشجاعة وقوة الارادة

كنا ندعوه الدوق. كان عملاقاً في حياته الشخصية كما على الشاشة. كل ما فيه يوحي بالقوة: قامته، اسلوبه، معتقداته. لم يشهد أحد صراعه الاخير إلا ولمس تلك القوة. لكن له جانباً آخر. فهو، بالنسبة الى زوجتي، "ألطف الناس وأرقهم".

في العام ١٩٦٠، عندما كنت رئيس نقابة الممثلين، خضت نزاعاً عمالياً مريراً نشب بين النقابة وارباب صناعة الافلام السينمائية. وحين دعونا الى اضراب عام، شن علي الطرف الآخر سلسلة من الحملات الشخصية لم تستطع زوجتي تقبلها.

وذات يوم، في السابعة والنصف صباحاً، رن جرس الهاتف. وأنصتت زوجتي الى صوت الدوق الهادر يقول لها: "لقد قرأت ما كتبه هؤلاء الصحافيون الاوغاد عن رون. انا اعلم أن في استطاعته الصمود، لكني قلق عليك انت".

بقي جون وين يتصل بزوجتي هاتفياً اسابيع عدة حتى سوي امر الاضراب. وحين صدرت الدعوة الى اجتماع عام للبحث في شروط التسوية، غادر وين مأدبة عشاء دعي اليها كي يكون الى جانب زوجتي. يومها شعرت، على حد قولها، أنها في محاذاة قوة أكبر من الحياة.

لقد أكبر كثيرون فيه تلك القوة، وربما مر" أربعون عاماً قبل ان يدرك النقاد حقيقته. لكن جمهور السينما عرف مكانة جون وين منذ البداية، واعتبره أقوى نجم يشد النظارة الى الشاشة في اي زمان. فقد بقيت افلامه تتصدر شبابيك التذاكر طوال



٤٥ عاماً، وحققت دخلا اجمالياً بلغ ٧٠٠ مليون دولار، وهو الرقم القياسي في هوليوود. ذلك لان جون وين لم يكن ممثلا فحسب، بل قوة تحكي عنها الافلام. وكم صدقت اليزابيت تايلور وارنر حين ادلت بشهادتها في مايو (أيار) ١٩٧٩ مؤيدة منحه الميدالية الذهبية الخاصة التي سكها له الكونغرس الامريكي، قائلة:"إنه أعطى العالم بأسره صورة عن الامريكي المثالي".

الطريق الى الشهرة ـ ولد جون وين في بلدة وينترست في ولاية ايوا الامريكية. واسمه الحقيقي ماريون ميكال موريسون. وفي السادسة من عمره انتقلت أسرته الى كاليفورنيا حيث بدأ الصبي يعرف باسم كلبه دوق، وهو من فصيلة الارديل الضخمة.

كان يستيقظ، في الرابعة صباحاً ليبدأ جولته في توزيع الصحف على البيوت. وبعد عودته من المدرسة ومن تمارين كرة القدم، كان يشرع في توزيع طلبات المتاجر المحلية. لكنه، على رغم ذلك، حافظ على المرتبة الاولى في صفه، وانتخب رئيساً لجمعية اللغة اللاتينية وعريفاً لفوجه المتخرج وعضواً في فريق كرة القدم في المدرسة الثانوية.

ولما شب الصبي داعبه امل كبير في الانضمام الى الاكاديمية البحرية، ورشح بديلا من الفائز في مباراة الدخول الى أكاديمية انابوليس، إلا ان الفائز قبل التعيين.

حصل جون وين على منحة دراسية كاملة بانضمامه الى فريق كرة القدم في جامعة جنوب كاليفورنيا، حيث درج المدرب هوارد جونز على تشغيل اعضاء فريقه في صناعة الافلام خلال العطلة الصيفية. وهكذا تولى جون وين، صيف ١٩٢٦، مهمة مساعد للمسؤول عن الاثاث والملابس في فيلم من اخراج جون فورد.

عرف فورد بصرامته وحبه المزاح الخشن. وذات يوم لمح ذلك اللاعب المديد القامة، فطلب منه ان ينحني قليلا ويمثل له كيف يتأهب لاعب الكرة الامريكي. وما ان استجاب الدوق لطلبه حتى ركل فورد ذراعي الرياضي الشاب فهوى على وجهه. ونهض الدوق قائلا بصوته الآمر:"لنجرب اللعبة ثانية". تلك المرة قذف الدوق بجسم فورد في الهواء، وانفجر المخرج السينمائي ضاحكاً. تلك كانت فاتحة صداقة شخصية ومهنية بين الرجلين دامت مدى الحياة.

تدرج الدوق في عمله من إعداد المشاهد السينمائية الى تأدية بعض الادوار. وفي الثلاثينات، وهي الفترة التي تميزت بالركود الاقتصادي، لعب الدوق ادواراً مختلفة في افلام كاوبوي من الدرجة الثانية، الى ان تمكن المخرج فورد من اقناع شركة يونايتد ارتيست باسناد دور رينغو كيد إليه في فيلمه التاريخي "مركبة السفر". يومذاك بدأت رحلته الى الشهرة. وسرعان ما أثبت جدارته في عدد من أدوار البطولة، كما في دور البحّار الشاب في "رحلة العودة الطويلة" ليوجين أونيل ودور القبطان المأسوي في "حصاد الريح العاتية" ودور مروض الثيران في الفيلم الكوميدي "سيدة مجازفة".

بعد اندلاع نار الحرب العالمية

الثانية حاول الدوق الانخراط في الجندية، لكن طلبه رفض لأسباب ثلاثة: إصابة كتفه خلال مباراة في كرة القدم، وسنه المتقدمة (٣٤ عاماً)، ووضعه كرب عائلة وأب لأربعة أطفال. وطار الى واشنطن ليناشد المسؤولين قبوله، ولكن من غير جدوى. عندها بدأ جون وين يكرس قواه للجهد الحربي عن طريق صنع افلام ملهمةمثل "نحل البحر المقاتل" و "العودة الى باتان" و "تخلوا عنهم".

اصبح الرجل رمزاً، في البلاد وخارجها، لعزيمة المقاتل الامريكي. ولم يعد في الامكان ابقاؤه بعيداً عن الخطوط الامامية. وفي العام ١٩٤٤ أمضى جون وين ثلاثة اشهر متجولا في المواقع الامامية على جبهة المحيط الهادىء مع فيلمه الحربي "رمال ايوو جيما" الذي جعله نجماً متألقاً الى حد حمل الامبراطور الياباني هيروهيتو، عندما زار الولايات المتحدة بعد سنوات من انتهاء الحرب، على طلب مقابلة جون وين ليعرب له عن اعجابه به.

نبذ الدوق النموذج الامريكي لراعي البقر الطيب بلباسه الابيض، ليبتدع بطلا اكثر خشونة وذكاء،وهو مكتشف وادي مونيومنت في صحراء اريزونا - يوتا كموقع لتصوير مجموعة من أروع الافلام. وقد طور اساليب الحركة السينمائية وتوزيع الممثلين، فأدخل عنصراً واقعياً على مشاهد القتال.

من جهة اخرى هاجم جون وين الافلام الاباحية ومناظر الرعب الدموي، قائلا "انها لا تمثل الجنس او العنف، بل البذاءة وانعدام الذوق".

من جهة اخرى كان الدوق احد النجوم القلائل الذين تجرأوا في الاربعينات على كشف مؤامرة ترمي الى سيطرة جماعة متطرفة على صناعة الافلام. وكاد هؤلاء ان يحققوا هدفهم عن طريق سلسلة من الاضرابات العنيفة ووضع بعض الجهات المعينة على القائمة السوداء. لكن الدوق شكل، بالاشتراك مع رئيس نقابة الموظفين المسرحيين روي بروير والكاتب المسرحي موري ريسكيند وآخرين، اتحاد الافلام السينمائية لحماية المثل الامريكية، وذلك تحدياً للحملة الغادرة. وقد أثبتت التحقيقات اللاحقة التي اجراها الكونغرس الامريكي عام ١٩٤٧ حقيقة تلك المؤامرة وأهمية الدور الكبير الذي لعبه الدوق واصدقاؤه.

شاءت المصادفات آنذاك ان أواجه شخصياً، في اوائل عهدي كرئيس لنقابة الممثلين، محاولة من جانب هؤلاء المتطرفين لتسلم زعامة النقابة. ووقفت في أحد الاجتماعات اراقبهم وهم يطيلون خطبهم لتأخير الاقتراع، أملا في مغادرة غالبيتنا المكان كي يخلو الجو لهم. وفجأة سمعت بين الجمع صوتاً يطالب بتأجيل الاقتراع. فتمسكت بهذه الفرصة السانحة لوقف محاولتهم، لكنهم طالبوني بان أعرف بصاحب الاقتراح.

نظرت الى الحاضرين وكلي قناعة بأن ما من أحد يجرؤ على المجاهرة بمعارضته للمتطرفين. ثم أبصرت الدوق بين الحضور، فقلت: "أظن جون وين هو الذي اقترح التأجيل". واذا

بصوته يهدر قائلا:"انا الذي فعلت، وربي!" وهكذا انفض الاجتماع وانتهت معه حملة الراديكاليين.

وفي وقت لاحق، حين اعترف أشخاص، كالممثل لاري باركس، بانتسابهم الى الحزب الشيوعي، لم ينجرف جون وين مع التيار القائل بمعاقبتهم، بل ناهض كل محاولة لاقصاء هؤلاء الذين أقروا بولائهم السابق وقال:"إن الاعتراف بالخطأ دليل على الشجاعة".

كانت للدوق أيضاً الكلمة الاخيرة مع القائلين إن معركته ضد التطرف في هوليوود ستدمر مستقبله المهني. وكثيراً ما فاخر بقوله:"كانت مرتبتي الثانية والثلاثين في احصاءات شباك التذاكر حين قبلت رئاسة الاتحاد، لكني حين تركتها بعد ثماني سنوات وضعني شارو التذاكر في المرتبة الاولى". سافر الدوق الى فيتنام في الايام الاولى من الحرب. وهناك سخر من العناية التي يحظى بها كبار الشخصيات، مصراً على زيارة الجنود في الميدان. وقد هبطت طائرته الهليكوبتر مرة وسط المعركة. وحين عاد الى وطنه أقسم على ان ينتج فيلماً عن بسالة جنود القوات الخاصة.

وقد غصت قاعات العرض بالنظارة الذين جاؤوا لمشاهدة فيلمه "القبعات الخضراء". غير ان النقاد وجهوا اليه أعنف انتقادات كتبت حول أي فيلم. ونددت صحيفة "نيويوركر" بمنتجي الفيلم ووصفته "النيويورك تايمس" بأنه "رديء... عفن... تافه".

ولم يعبأ الدوق بذلك بل ظل يقول:"لا شك في أن تلك الزمرة الصغيرة في الشرق ارتاحت الى آرائي السياسية اكثر منها الى اعمالي الفنية. ولكن سيأتي يوم يصحو فيه هؤلاء الليبراليون النظريون ليجدوا الآية انقلبت".

صديق عند الضيق ـ لم أر الدوق مرة يظهر عداء لناقدين، لكني اسلم بأنه كان قادراً على تسخير لسانه لألذع الكلام وربما شرب من الويسكي ما يغرق قارب طوربيد، لكنه لم يذق الشراب خلال ساعات العمل. كان في عمله اسطورة هوليوود. فهو دائماً اول الواصلين وآخر المغادرين. بيد أن عمله المضني وولعه بالصيد - في اعماق البحر خصوصاً - ولعب الورق (الشدة) مع الاصدقاء كلفته تمزق زواجين ومع ذلك، فما عليك إلا ان ترى اولاده السبعة وأحفاده الاحد والعشرين حتى تدرك أن الدوق كرس وقتاً كافياً ليكون اباً صالحاً. وهو القائل: "حاولت ان أعيش حياة تحفظ لي محبة أسرتي واحترام أصدقائي. وليفعل الآخرون ما شاؤوا".

بالنسبة اليه، كانت المصافحة عقداً ملزماً. وحين دخل المستشفى للمرة الاخيرة، باع يخته "الوزة البرية" بسعر ادنى كثيراً من قيمته. وحين علم ان محركاته تحتاج الى اصلاحات ثانوية أمر بترميمها كلياً بكلفة ٤٠ الف دولار لمجرد أنه قال للشاري إن القارب في حال جيدة.

امتاز الدوق بكرمه واخلاصه للاصدقاء في مدينة تندر فيها هاتان الخصلتان. وكان اذا احتاج صديق الى وظيفة، يضمه الى قائمة موظفيه الذين يتقاضون أجورهم من جيبه الخاص. اما اذا طلب احدهم عوناً

مالياً فقد كانت محفظة الدوق في تصرفه.

وامتد اخلاصه ليشمل جمهور المعجبين. ويقول احد الكتاب إنه رافق الدوق الى مدينة دالاس لحضور افتتاح فيلم "تشيزوم". ولما عاد الدوق الى فندقه ليلا وجد رسالة من امرأة قالت إن ابنتها الصغيرة تعاني مرضاً خطيراً في أحد المستشفيات المحلية، وانه "إذا خصها بزيارة قصيرة، فان ذلك سيعني لها كثيراً".

وفي الثالثة صباحاً توجه الدوق الى المستشفى ليعود الطفلة وسط دهشتها. وبعد ذلك زار كل مرضى الطابق الا من كان منهم نائماً.

لقد لمست اخلاصه مراراً. واذكر، حين جاء مع جيمس ستيوارت لحضور حفلة تنصيبي للمرة الثانية حاكماً لولاية كاليفورنيا، انهما التقيا جماعة من المتظاهرين يحملون علم الفيتكونغ. وكان ستيوارت فقد لتوه أحد أبنائه في فيتنام، فاستأذنه الدوق لحظة واندس بين الجمهور، ثم عاد بعدما اختفى العلم.

الفصل الأخير - كانت لحياة الدوق الفنية خاتمة فيها عظمة أفلامه كلها. وفي السبعينات بدأ فوج النقاد الجدد يعترف باسلوبه التمثيلي الرائد. كانت نقطة التحول دوره في فيلم "عزم صادق"، اذ منحته الاكاديمية الفنية جائزة أوسكار كأفضل ممثل للعام ١٩٦٩. وقال بعضهم إن الجائزة ارتكزت على انجازاته الفنية طوال حياته، بينما فسرها آخرون بأنها طريقة هوليوود في تعويض تقصيرها.

وحين فقد جون وين إحدى رئتيه عام ١٩٦٤ في بداية صراعه مع السرطان، حاول المسؤولون الصحافيون في الاستوديو ابقاء امر مرضه سراً. وما ان اكتشف الدوق ذلك حتى أعلن على الملأ: "ان في امكان الانسان محاربة هذا المرض المخيف". وشن حملة لجمع التبرعات، قدرت حصيلتها بملايين الدولارات، من أجل بحوث السرطان التي تجريها الجمعيات الخاصة. وقال بسخريته المعهودة: "لن نجازف بما لدينا من اجل احتكار حكومي لمحاربة السرطان".

في مطلع ١٩٧٩، أبلغ الاطباء جون وين ان حاله ميئوس منها. فالح عليهم أن يستخدموا جسده حقلا لاجراء تجارب طبية بحثاً عن العلاج. ورفض جميع المسكنات لأنه أراد أن يظل واعياً في أيامه الاخيرة مع أولاده. وحين توفي في ١١ يونيو (حزيران) ١٩٧٩، أبرزت إحدى صحف طوكيو النبأ تحت عنوان "سيد أمريكا يغادر هذا العالم".

"هناك صواب وهناك خطأ"، كما قال الدوق في فيلم "ألا مو" (شجر الحور) "ولا مناص من فعل هذا او ذاك. أحدهما يحييك والآخر تعيش به، ولكن شبه ميت".

لقد كان الدوق جون وين رمزالارادة.

■ رونالد ريغان

يزعم احد العلماء ان موسيقى الروك الصاخبة مفيدة لبعض حالات الصمم. غير ان الصمم مفيد لبعض حالات موسيقى الروك.

ا.و.

٨ نصائح للتخلّص من الوزن الزائد



ها أنذا في أواخر القرن العشرين ذات قوام كم كان الفنان الكبير روبنس يود لو يرسمه٠ مئة واثنان وستون سنتيمترا وثلاثة وسبعون كيلو غراما٠ الا ان روبنس اللعين، توفي عام ١٦٤٠ تاركا اياي اواجه رجالا عصريين مخبولين يعتقد اكثرهم ان الهزال رائع٠

كان علي ان اختار بين امرين اما ان اغير عقلية الرجال واما ان اتبع نظام حمية خاصا، وتلك هي المشكلة٠

لقد حاولت ذلك فعلا من قبل ونجحت خلال السنوات الثلاثين من عمري في التخلص مما يقارب الـ٨٩٥ كيلو غراما٠ لكني اكتسبت ايضا، لسوء الحظ، ٩٢٣ كيلو غراما في الفترة نفسها٠ وقد سمعت عن انظمة غذائية كثيرة وجربت بعضها ومنها الحمية بالماء او بـ"الكريب فروت"، حمية "مراقبي الوزن"، الحمية بالموز او باللبن٠ واستمرت بي الحال بين ازدياد الوزن ونقصه في ارتفاع وانخفاض: بدانة فنحول، نحول فبدانة٠

ثم خطرت لي فكرة٠ ففي ٢١ مايو (ايار) ١٩٧٨ بدا لي ان لا بد من وجود سبب محدد لاكتسابي كل هذا الوزن:

الطعام، لذلك قاطعته.

عندما اقول الطعام فانني اعني الطعام الحقيقي، ذلك الصنف الذي اعتادت امي اعداده: كعكة الجبن، كعكة الشوكولا، الخبز بالزبدة، الخبز المغموس في البيض والحليب والمحمر على الطريقة الفرنسية، الدجاج المحضر بمسحوق الخبز والمحمر بالزبدة، شرائح اللحم بالجبن المَبروش، المعكرونة، البطاطا المطبوخة بالسكر والشراب والزبدة.

وعندما قاطعت الطعام، فانني قاطعت كل ما ذكر سابقا وما يشبهه او يقاربه. في ٢١ مايو (ايار) ١٩٧٨، بدأت نظاما غذائيا خاصا، يستبعد كل ما لذ اكله.. لا شيء محمرا، لا شيء مطبوخا بالزبدة او محضرا بمسحوق الخبز، لا لحم بقر، لا حلوى، واقتصرت على الف سعرة حرارية يوميا، مصدرها اللحم او السمك المشوي والخضر المعدة من دون توابل او زبدة، الفاكهة والجبن.

لم اكن اشرع ابدا في نظام غذائي يمتد ٣٠٠ يوم او اكثر، بل اني لم ابدأ بهدف النحول، كل ما فعلته اني نجحت في الزام نفسي بالحمية ليوم واحد ثلاثمئة مرة او اكثر.

وفي اليوم الواحد والعشرين من هذا النظام الغذائي، بينما كنت اقود سيارتي في احد الشوارع السكنية اقتحم مجنون هائج السيارة بعربته التي ينقل عليها الكعك المحلى. وقد فقدت الوعي على اثر الحادث ووجدت نفسي بعد ذلك فوق نقالة والناس يحاولون انعاشي. وتساءلت وانا في نصف اغماءة اذا كان هؤلاء القوم يمزحون؟ ان الشراب الذي يحاولون انعاشي به يكاد يعادل ١٠٠ سعرة.

تحطمت السيارة كليا لكن النظام الغذائي بقي صامدا.

وفي اليوم الثلاثين لانطلاق نظامي الغذائي، انهارت حياتي الاجتماعية فجأة وبعد لحظات رحت احلل هذا السؤال: ايهما اسرع؟ ان اصل الى محل الجيلاتي (البوظة) في طرف المدينة ام الى ذاك الذي في وسطها؟ وهل تدخل في الحسبان جودة الحلوى الساخنة ام المسافة بالسيارة؟

وقررت ان ابقى حيث انا. فقاعدة هذا النظام الغذائي تقوم على التمسك به مهما يكن من امر.

لقد اخبرتني والدتي في سن يسهل فيها التأثر ان تبديد الطعام معصية. وانا لا اقول الان، ما قالته والدتي، بل من الافضل تبديد الطعام على تناوله، اذا كان سيؤدي الى البدانة او سيتخطى حدود السعرات اللازمة.

اليوم الخامس والاربعون من هذا النظام كان يوما احتفاليا لدي. وعندما انتهت الحفلة حمّلت الضيوف ما تبقى من طعام، او هكذا خيل الي الا انني عندما فتحت قسم التجليد في الثلاجة وجدت ما يؤدي حكما الى البدانة: كعكة الجيلاتي (البوظة) فحدقت بها و... حدقت هي بي بدورها، ولم تكن هناك وسيلة اخرى لتمضية الليلة كلا على حدة. لذا تنهدت بعمق ثم اخرجت الكعكة من الثلاجة لالقي بها في المرحاض واراقبها وهي تذوب ببطء ثم غسلت آثارها.

ان تبديد الطعام في بعض الاحيان مسألة بقاء.

اصغي الي الان آنستي، اتلو عليك

اسرار النظام الغذائي بعد ان تعلمتها بالطريقة الصعبة:

١ – تناسي قوة الارادة.

ان في وسع الذين لا يتمتعون بقوة الارادة تخفيف وزنهم بالسرعة نفسها التي يخفضه بها ذوو الارادة القوية. كل ما في الامر ان تحافظي على الحمية ليوم واحد على الاقل.

٢ – هنئي نفسك في نهاية اليوم.

هنئي نفسك، بل ابتهجي بعض الشيء. لقد كنت جائعة ولم تقبلي على طعام يريحك. لقد كنت رائعة. اكتبي على ورقة الرقم (وضعيها على مكتبك بجانب مغسلتك في مقصورتك، حيثما شئت، بحيث تستطيعين رؤيتها غالب الاحيان. وعندما تجتازين اليوم الثاني، هنئي نفسك بكتابة الرقم ٢ بخط اكبر.

٣ – اطلبي المساعدة من اصدقائك.

احيطي عالمك المباشر علما بالنظام الذي تتبعينه، اذ انك لن تستطيعي اتباعه بمفردك. ان زميلي في العمل، وهو الشره المدمن للطعام المغذي يحدّق بي وهو يلتهم الجيلاتي قائلا بصدق انها اسوأ جيلاتي ذاقها في حياته. وقد ساعدني هذا كثيرا.

لا تأكلي.

٤ – الجوع لا يعني العصبية والتوتر والملل.

ان هذه المشكلات لا تتخلصين منها بالطعام. انه نوع من الشعور المزعج بفراغ في المعدة. فكري فيه كما لو كان ألماً في عنقك. أألفي الالم فكما الفت اجهاد العين والاقتصاد في النوم وارهاق العمل والاجر الضئيل والصراخ والهياج تستطيعين ان تألفي هذا الالم. فالمسألة مسألة تعوّد.

٥ – لا تقبلي الطعام من اي انسان.

وهذا يشمل والدتك ورئيسك او عمتك التي شقيت امام الفرن الساخن اسابيع تخبز لك الكعك والفطائر. تشمل هذه النقطة كل المواقف من دون استثناء. فاذا صادف موعد زواجك في اثناء اتباع النظام الغذائي فارفضي كعكة الزفاف.

لقد ذهبت يوما الى مأدبة عشاء قدمت فيها مضيفتنا معكرونة باللحم المفروم وصلصة الطماطم (البندورة) بالجبن المبروش، فأكل الجميع من هذا الطبق وشربوا والتهموا الخبز بالزبدة والثوم. اما أنا فتناولت من الخس ما شئت واكثر.

هل شعرت بأني بائسة، جائعة او ضعيفة؟ ثقوا بأنني شعرت بهذا. هل شعرت بأنني رائعة وفخورة وممتازة؟ ثقوا بأنني شعرت بهذا ايضا؟

٦ – زني نفسك مرة كل اسبوعين.

لا تحسبي ابدا كم فقدت في الاسبوع. ان هذا مثبط للعزيمة. لا تزني نفسك ابدا قبل الذهاب الى النوم، او عندما تشعرين بانك بدينة او عندما تشربين المياه. حين تشعرين بانك خفيفة، فقد تكونين بالفعل كذلك. وذاك هو الوقت الملائم للصعود الى الميزان.

٧ – لا تحملي نفسك فوق طاقتها.

اذا كنت امينة لنظامك في الافطار والغداء وتخليت عنه في العشاء هنئي نفسك على صمودك في الافطار والغداء. ولكن احفظي المقدار الزائد وخفضي سعرات اليوم التالي بالمقدار نفسه. وقبل ان تأكلي كعكة الجبن اسألي نفسك كيف ستقضين اليوم

التالي من دون ٦٠٠ سعرة حرارية. لقد كان ذلك دائما عاملا كافيا لردعي.

٨ - سلاح المقاومة.

اذا وجدت نفسك وحيدة امام كعكة او فطيرة والحت عليك الرغبة حتى... الصراخ، فلا بأس ان تتناوليها بشرط ان ترشي عليها الملح والفلفل والثوم والقليل من الماء الساخن.

انني الان نحيلة ويبدي الناس اعجابهم، بمظهري طوال اليوم. وما زلت اتبع نظاما غذائيا صارما الا انني رفعت معدل السعرات التي أتناولها الى ١٨٠٠ سعرة لاحتفظ بهذا الوزن. وما زلت ممتنعة عن تناول اللحم بالجبن او البيتزا او كعكة الشوكولا او اي من "عدواتي" القديمات اللواتي جعلنني بدينة غير مرتاحة. انني اتناول الاشياء الجديدة نفسها: اللحم، السمك، البيض، الخضر، الفاكهة والجبن بكميات اكثر قليلا من السابق وما زلت اقول لنفسي كل صباح: سأحاول البقاء على الحمية.

لقد فقدت ١٩ كيلوغراما وازن الان ٥٤ كيلوغراما، وارتدي القياس الذي ترتديه عارضة الازياء.

انت ايضا في وسعك ان تكوني نحيلة مثلي.

■ كارول آغوس



اصالة

ما اروع الظرف الذي احاط آدم، اذ كلما تفوه بكلام جميل كان يعرف ان احداً لم يسبقه اليه.

مارك توين

عقل الكتروني

وصف مدير زميلا له بأن له عقلا يشبه العقل الالكتروني، اذ لا ينفك عن الوقوع في اخطاء مذهلة.

(مجلة "بانتش"، انكلترا)

من حكم الشعوب

- لا يشرب الضفدع ماء البركة التي يعيش فيها.

(مثل هندي امريكي)

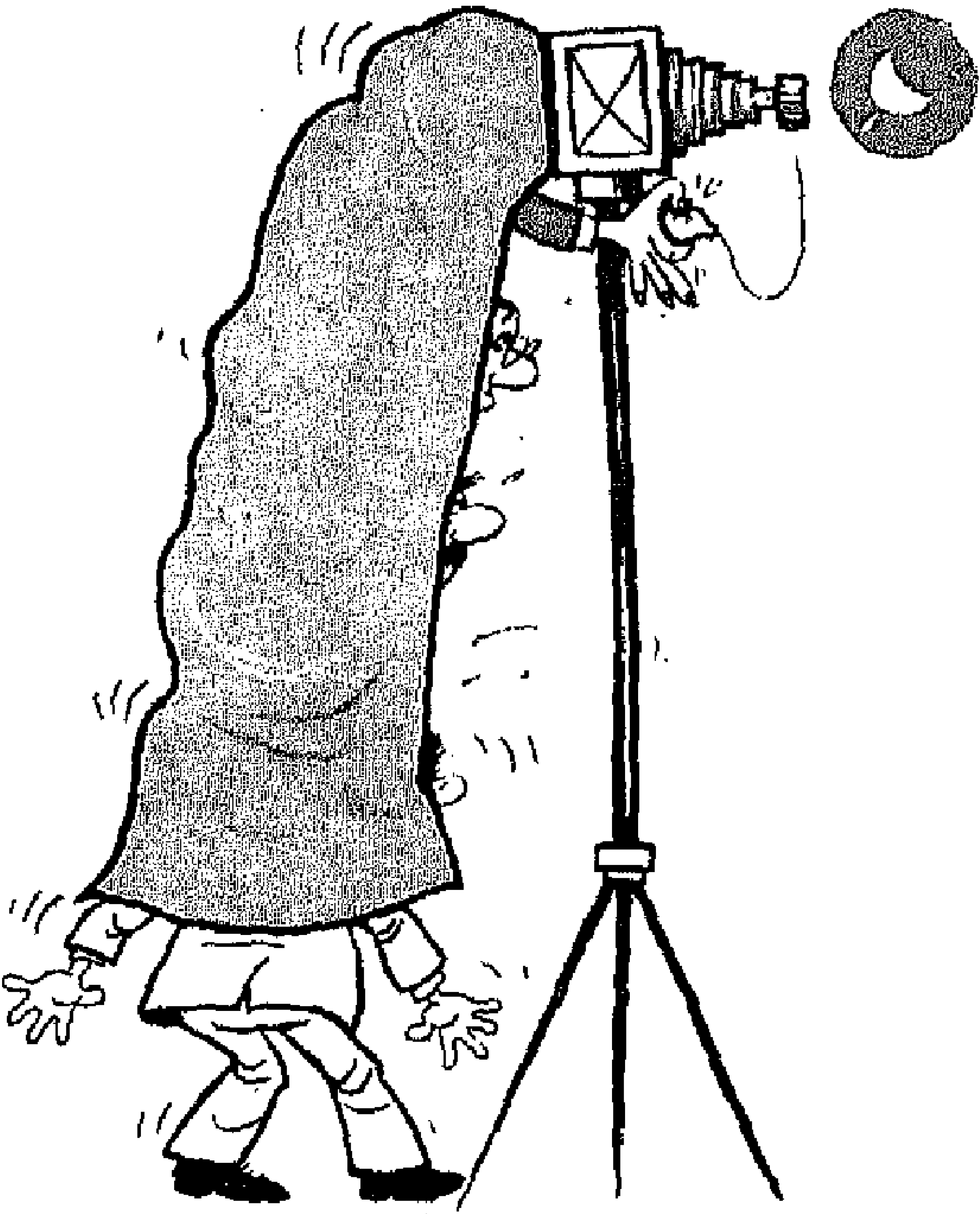
- على المرء ان يبقي فمه مفتوحاً مدة طويلة جداً حتى يصادف ان يقفز اليه طائر مشوي.

(مثل ايرلندي)

- لا تتبختر ايها الديك، فامك لم تكن سوى قشرة بيض.

(مثل افريقي)

صور من الحياة



لغة العصر

قالت امرأة لزوجها، وهو مدير مؤسسة كبرى: "حين تعود الى البيت، لا تحاول ان تعاملني كما تعامل شركة صغيرة تملكها مؤسستك".

د. م.

فضيلة الشيخوخة

حين بلغ جدي سن المئة، سأله مراسل صحافي عن شعوره، فأجاب:
"رائع! فانا اليوم استطيع تسيير اموري خيراً مما كنت افعل قبل مئة سنة".

م. ل.

الانكليز لا يتبدلون

عشية عيد الميلاد اتصلت محطة اذاعة في واشنطن بالسفير البريطاني لدى الولايات المتحدة وسألته عن امنياته في مناسبة العيد. ففكر السفير لحظة ثم أدلى بجوابه. وفي اليوم التالي سمع المذيع يعلن امنيات السفراء الاجانب في عيد الميلاد. فعبر السفير الفرنسي عن رغبة مخلصة في ان يكون العام الجديد عام سلام، وابدى السفير الروسي امله في ان يعم العدل جميع الناس، وتمنى السفير الالماني ان يرى مزيداً من المشاركة في الثروة بين شعوب العالم. اما السفير البريطاني فتلخصت رغبته في الحصول على علبة فواكه مجففة.

صحيفة "صنداي اكسبرس" ـ لندن

هاتف الثعبان

في مسرحية للهواة على مسرح مدينة ابيدافروس اليونانية، كان هناك ثعبان في قفص. وذات ليلة تسلل هذا الثعبان والتف حول سلك الهاتف المستعمل هو الآخر ضمن ديكور المسرحية.

وفي اليوم التالي توجهت بطلة المسرحية، خلال العرض، لتجيب على رنين الهاتف. لكنها فوجئت بالثعبان، فتجمدت في مكانها من شدة الرعب. وظل الهاتف يرن الى ان انتبه مدير المسرح للأمر، واحس بان عرض المسرحية يمكن ان يخفق. فارسل الممثلة التي تقوم بدور الخادمة ـ ولم تكن تخاف من الثعبان ـ للتخلص منه. واقتحمت هذه المسرح وانتزعت الثعبان، لكنها ظلت واقفة وهو في يدها، اذ شعرت بأن عليها ان تقول شيئاً لتبرير حركتها هذه امام الجمهور. واخيراً خاطبت بطلة المسرحية: "عفواً يا سيدتي، لقد نسيت تنظيف البيت هذا الصباح".

ف. ف. و

رأي في غير موضعه

اجاب ولدي على نداء هاتفي، فظهر ان المتكلم من مؤسسة لاستطلاع الآراء اراد ان يعرف رأيه في اهم مشكلة يواجهها في منطقته، فأجاب: "اهم مشكلة هي وجود اشخاص يتصلون بالهاتف ويقطعون علي متعة متابعة لعبة كرة القدم على التلفزيون".

هـ. م.

الرقص يقوي المعنويات

نظمت جمعية خيرية مسابقة للسير على الاقدام لجمع بعض المال، وشاركت وزوجتي في احدى محطات المساعدة المقامة على امتداد مسافة السباق وطولها ٤٥ كيلومتراً، وكان موقعنا عند الكيلومتر ٣٠، حيث يصل معظم المتسابقين منهكين ومتورمي الاقدام، لكنني تأكدت من ان معنويات المشاركين لم تبلغ الحضيض حين جاءتنا مراهقة تشارك في السباق وسألت بلهفة: "أحقاً ان هناك حفلة راقصة في نهاية السباق؟"

ج. ر.

التزام مثالي

ابلغ صديق لي ابنه ذا السبع سنوات انه سيغادر المنزل لفترة قصيرة، وان على الولد الا يفتح الباب لأي طارق مهما تكن الظروف، ولم يمض الاب بعيداً حتى تذكر انه نسي مفاتيحه، فعاد الى البيت وقرع الجرس مرة واثنتين، ولكن من غير طائل، فذهب الى اقرب هاتف واتصل بالمنزل قائلا:

"انا والدك، ارجو ان تفتح لي الباب، فقد نسيت مفاتيحي في الداخل". ولم يجب الطفل بشيء، بل قطع الخط ببساطة.

واخيراً استطاع الاب الحصول على مفتاح بيته من مكان آخر، ودخل الشقة مستفسراً من ابنه:

"ولكن لماذا لم تسمح لي بالدخول؟ لقد ميزت صوتي حينما كلمتك".

فأجاب الابن "ظننتك تختبرني يا ابي".

ن. د.

فرخ البط...

علم ابني ذو السنوات التسع بعزمي على الذهاب في رحلة لصيد السمك في اليوم التالي، فطلب ان يرافقني، ولما ابلغته ان يكون جاهزاً في الخامسة صباحاً، بدت عليه علامات الخيبة ولم يعلق بشيء.

وفي الصباح التالي كنت اتسلل على اطراف اصابعي خارجاً في الخامسة وقد حملت عدة الصيد، فلاحظت ان خيط سنارتي علق بشيء ما، وتتبعت الخيط عبر المطبخ وغرفة الجلوس حتى وصلت الى غرفة نوم ولدي، وهناك وجدت طرف الخيط معقوداً حول اصبع قدمه، فقد كان الصبي عازماً حقاً على مرافقتي.

ج. ف

... وبالشكر تدوم النعم

حين عدت من المدرسة الى البيت يوم "عيد الشكر"، دهشت لرؤية مائدة عشاء فخمة في بيتنا، فأمي ليست من ربات البيوت الماهرات في الطبخ، واذا علمنا انها لم تفلح في فتح علبة حساء قبل ستة اشهر وكادت ان تحطم ادوات المطبخ بسبب ذلك، ادركنا لماذا بدا تحضير هذه الوليمة العامرة، بكل ما يصاحبها من زركشة، مستحيلا.

ثم راح ابي يتلو الصلاة على المائدة، ومنه فهمت كل شيء: "ابانا، شكراً لك على هذا اليوم الرائع، وشكراً لانك منحتنا ولدنا المحبوب، ثم شكراً لانك هديتنا الى مطعم هاري الذي لولاه لما تمكنا من الجلوس الى هذه المائدة".

م. و.







كرنفال الريّو

كل عام يندفع آلاف المحتفلين الى شوارع ريو دي جانيرو في اهتياج يبلغ حد الهذيان

ليس في العالم كله ايقاع يشبه ايقاع سامبا الكرنفال في مدينة ريو دي جانيرو البرازيلية، فهو يتصاعد متواثباً من الاسفلت الاسود، في مقاطع موسيقية تأخذ الالباب بما تضمه من انسجام بدائي بين أصوات الصفائح المعدنية وأجراس البقر الافريقية والعصي والطبول:

بوم – داه! بوم – داه! رات – دادي – آه – داه – ياكيتي – ده – تو – ده!

ليست الريو، في اثناء الكرنفال، مجرد مدينة جميلة حافلة بالزينة او رومانسية المزاج، بل هي مدينة هائجة إلى حد الهذيان، تتفجر نشوة. انها مدينة خرافية تموج باحلام الهلوسة وخيالاتها. ذلك ان الفرق التي تضم مئات الآلاف من مواطنيها تكون قد امضت العام بأكمله في الاستعداد والتمرين، كي تقدم خلال الكرنفال أحد أعظم الاستعراضات على سطح الارض.

والكرنفال – من الناحية الرسمية – هو مهرجان مسيحي قديم تطور عن احتفال وثني لممارسة طقوس

الخصوبة ،وهو أحد أعظم المسرحيات النفسية في التاريخ، كما أنه أعظم نموذج لثقافة المشاركة يعرض على إنسان القرن العشرين. ففيه يندفع مجتمع بأكمله إلى الشوارع كي يكشف - بالكلمات والاغاني والايقاعات والاشارات والرقصات والطقوس والعروض التمثيلية والتنكرية - تلك التخيلات نفسها التي تنطوي عليها قلوب المشاركين فيه.

وأكثر هذه التخيلات شيوعاً هو الشهواني الغريب. فعندما تدوي طبول الغابات في الكرنفال وتتردد أصداؤها على سفوح التلال وفوق الشواطىء، فان الفتاة المستلقية في خمول على رمال شاطىء إيبانيما يجتاحها الامل فجأة في ان تصبح من كبرى النجوم، فتخلع عنها ثوب الاستحمام (التانغا) لترتدي آخر مزيناً بالترتر (نثار معدني لماع) وتتحول الى احدى كاهنات باخوس، اله الخمر، تلوح بذراعيها في الهواء وتقول بكل حركة من حركاتها: "انظر إلي! اشتهني!".

وفي الوقت نفسه يستعد محتفلون آخرون - أقل سحراً ولكن يمتلئون بالدوافع ذاتها - كي يمثلوا أحب احلامهم الشهوانية: تنطلق الخادمات وعمال غسل السيارات يذرعون الشوارع في لباس الملوك، بينما يتجول سادة البرازيل وسط الحشود، متنكرين في ملابس متسولي الشواطىء.

رقصة الفقراء ـ ان الاساس الذي ينهض عليه الكرنفال هو الفقراء "الذين يسكنون "الفافيلاس" اي الاحياء الفقيرة ومدن الاكواخ. فهؤلاء هم الذين نجحوا في خلق احدى اعمق ثقافات العالم الشعبية أثراً في النفس، بفضل ما لديهم من "مدارس السامبا" او نقابات الكرنفال.

ومدرسة السامبا ناد اجتماعي في الاحياء الفقيرة، له نظام رئاسي هرمي صارم وبروتوكول متشدد، وتسوده إلى حد التعصب روح الفريق والعمل الجماعي. ولم يكن ثمة فرق في الماضي بين هذه المدارس وأحيائها الفقيرة "الفافيلاس"، بل كان كل حي مدرسة وكل مدرسة حياً. ولا نزال نجد حتى اليوم ان بعضاً من اعظم هذه المدارس، مثل مدرسة مانغيبيرا، يقوم على ارض احتلها قاطنوها الفقراء من دون سند قانوني، وسط مجموعة متراكمة من الاكواخ والبيوت الفقيرة المتراكمة على سفح التل. غير ان ابرز تلك المدارس تطورت في الضواحي بعيداً عن التلال. واصبحت المدارس الكبرى تتمتع بمركز يجذب إليها الاعضاء، لا من الاحياء الفقيرة التي نشأت فيها فحسب، بل من الاحياء والطبقات الاخرى الاكثر ثراء ونفوذاً في المجتمع.

وبعد انقضاء شهر على الكرنفال ـ ما يحدث عادة في مارس (آذار) ـ تبدأ المدارس تخطيط الاستراتيجية التي ستتبعها لاحراز قصب السبق في الكرنفال التالي. اما الجائزة التي يتنافس عليها الجميع فهي مبلغ صغير من المال وتمثال ذهبي ومقدار هائل من التكريم. ويعود تاريخ المنافسة بين أقدم المدارس الحالية الى نصف قرن.

وأول قرار يجب على المدرسة اتخاذه هو تحديد موضوع عرضها. بعد ذلك تطلب من جناحها الذي يضم مؤلفين موسيقيين ان يدرج هذا الموضوع في لحن سامبا للكرنفال. والسامبا نتاج تقليدي للثقافة الافرو - امريكية، ولها ايقاع مميز يثير في آن صوراً من طقوس الغابة ومن قطار بخاري يشق طريقه صعداً بقوة.

تضم كل مدرسة للسامبا بين ٤٠ و ٦٠ مؤلفاً للأغاني، يمكنهم ان ينتجوا ٣٠ أغنية خلال شهر من الجهد الابداعي المكثف. وطوال أشهر الشتاء البرازيلي الباردة، يجرب "السامبيستاس" كل ألحانهم وأغانيهم الجديدة كي يختاروا أكثرها جاذبية واستهواء. وفي النهاية يقع الاختيار على سامبا واحدة. ومنذ تلك اللحظة، تنصرف كل امكانات المدرسة وبراعتها الى العمل المركز من أجل احياء هذه الاغنية.

وتتعاقد المدرسة مع اختصاصي في الديكور ليتولى تصميم عرضها. ويقوم هذا بدوره باستخدام النحاتين ومصممي الازياء والخياطين وعمال الكهرباء والميكانيك. وبينما يبذل هؤلاء المهنيون جهدهم لصنع عربات المواكب وخياطة الملابس وتصميم اجهزة الصوت ومد أسلاكها، يتولى المديرون تدريب الراقصين، ويتنافس موظفو المدرسة في طريقة ايجاد الاموال اللازمة لهذا النشاط.

الحديث العظيم - انه بالفعل لكذلك بالنظر الى الواقع، ففي هذا الوقت تبدأ احلام اعضاء مدرسة السامبا بالليلة العظيمة، اذ يقولون في الريو: "ان امامك ٤٥ دقيقة لكي تنقش اسمك على الاسفلت"، وهو ما يعني ان تؤخذ صورتك وانت ترتدي ملابس تخطف الابصار او تؤدي رقصة رائعة او تعرض جسداً اسطوري الجمال، صورة تنقل في لمح البصر الى جميع ارجاء شبه القارة البرازيلية الشاسعة او تحملها الاقمار الاصطناعية او اسطوانات الافلام الى اماكن سحيقة يعجز عن بلوغها الخيال، مثل المانيا او اليابان.

يبدأ الكرنفال في استقطاب الاهتمام العام في نوفمبر (تشرين الثاني)، عندما تختار كل مدرسة لحن السامبا الخاص بها وتتأهب "للدفاع" عنه في شوارع المدينة الفسيحة. منذ تلك اللحظة، يبدأ توافد الجمهور بأعداد متزايدة إلى اماكن التجارب والتمارين، كي يراقب ويشارك في الاستعدادات البهيجة للحدث العظيم.

و "التمارين" هنا تعبير بالغ التواضع عن حفلة لجمع المال. فالمدرسة تتقاضى رسماً لدخول الجمهور وتحصل على جزء من اثمان المأكولات والمشروبات التي تباع خلال تمارين حماسية تستمر طوال الليل. ويبلغ ما تحصل عليه بعض المدارس ٧٠٠٠ دولار في التمرين الواحد، او ٢٥٠ الف دولار في الشهر. ويصرف كل منها نحو مليون دولار على الاشتراك في الكرنفال.

يبدأ الكرنفال رسمياً ظهر يوم السبت (*) السابق لاربعاء الرماد (أول ايام الصوم الكبير عند النصارى). في تلك اللحظة، يخرج اعضاء اقدم ناد للكرنفال، وهو نادي

(*) يصادف هذه السنة في الفترة ما بين ١٦ و١٩ فبراير (شباط).



راقصات متحمسات يؤدين رقصة من تراثهن الافريقي.

"بولابريتا"، من مقرهم في المدينة ليختالوا في شوارعها عبر ست ساحات خلف فرقتهم الموسيقية التي تعزف الحاناً ساخنة، ثم يتفرقون.

وفي التاسعة او العاشرة من الليلة نفسها يبدأ أول موكب كبير للكرنفال. ومن الصعب ان يحيط الانسان بالنطاق الهائل للمواكب. فأكبرها - وهو موكب مدارس السامبا - يبدأ قرابة الساعة العاشرة من مساء الاحد وقد يمتد الى ظهر اليوم التالي، وتمر خلاله مواكب ما لا يقل عن عشر مدارس للسامبا، وقد يبلغ عددها ١٤ احياناً. ويضم موكب كل مدرسة نحو ٢٥٠٠ مشترك، يرتدون ملابس خاصة بالكرنفال، إضافة الى عدد كبير من العربات الضخمة والمسارح المتنقلة وغيرها من تجهيزات فن الاستعراض.

حلم سندريلا - لا شيء يعادل منظر مدارس السامبا وهي تسير في مواكبها. ولك ان تتصور ذلك المشهد. فالساعة قد بلغت الثالثة صباحاً، وقد رأيت بالفعل بضعة آلاف من الاشخاص بملابس الكرنفال وسمعت مقداراً كبيراً من موسيقى السامبا وشاهدت الكثير من الرقص المنفرد، وانتهى بك هذا كله الى الاعياء والنعاس وعدم الاهتمام. لكن اضطراباً ملموساً يسري فجأة في المدرجات ليهز كل من فيها.

ويأتيك صوت الطبول الضخمة شبيهاً بتكسر الامواج الهائلة على صخور بعيدة او بارتجاج آلة حفر

عملاقة. ويتحرك ٨٠ الف مشاهد يحتلون مقاعدهم في مدرجات موقتة ترتفع خمسة طوابق، ويمدون رؤوسهم كي يلمحوا هؤلاء السائرين في الموكب البعيد. وتمتد نظرتك عبر نفق من الاضواء اللامعة التي تشق ظلام الليل لترى بينها عربات ذات ألوان زاهية وقد أضيء داخلها لتبدو مثل اجنحة مسرح عتيق الطراز. وفي نهاية هذا النفق الطويل، تبدأ عيناك تمييز الوحدات الاولى للمدرسة وهي تتقدم في بطء نهر ثلج زاحف.

ويتعالى إيقاع الموسيقى، وتمد رأسك لترى في الشارع موكباً ضخماً يقترب، يتقدمه راقصون كأنهم طيور ضخمة ترتفع من حقل، يثبون ويتلوون في عنفوان ونشاط تحت أنف الفرقة الموسيقية. ولكن اي فرقة موسيقية تلك؟ إنها تصدر أصواتاً أشبه بأصوات آلة ضخمة ترعد وتفحّ وهي تزحف على ارض الشارع، تحيط بها هالة من الوهج المنعكس على آلاتها المعدنية المصقولة.

والنساء هن نجوم الكرنفال في المكان الاول. فأجسادهن ورقصاتهن المثيرة تحفر في ذهنك انطباعاً هو من أعمق الانطباعات عن المهرجان وأكثرها حياة. ومن السهل عليك ان تخرج وقد تملكتك فكرة ان الكرنفال هو، في جوهره، احتفال هائل للتهتك والعربدة. لكن هذه الفكرة خاطئة في جانبها الاكبر. فالكرنفال مهرجان حافل باللهو المتهتك، لكنه لهو النزعات الاستعراضية والنرجسية (افتتان المرء بجسده). فعلى مدى العام تعيش الخادمات وعاملات الغسل والكي والحائكات وهن يحلمن حلم سندريلا القديم. ثم تأتي ليلة تنتقل فيها خادمة المنزل او حائكة الثياب التي لا اسم لها الى مسرح الاحلام، تواجه من فوقه جمهوراً غفيراً من المشاهدين الهاتفين، المتأملين، الغامزين، المشجعين. فتستجيب لذلك كله استجابة غريزية تتصاعد من أعماقها حاملة كل ما هو ساحر ومغر فيها كامرأة.

عندئذ تفتح ذراعيها بإشارة السامبا التقليدية وكأنها تريد ان تحتضن العالم. وتلمع على ثغرها تلك الابتسامة المشرقة التي تحيط الوجه البشري بهالة من جمال. وتخطو الى الامام بحركة شهوانية جريئة لا تلبث ان تستثير هدير الجماهير وترسم على وجوه الشرطة الكئيبة ابتسامات خبيثة، بينما يتفجر وميض آلات المصورين الفوتوغرافيين مثل حب الفشار (بوب - كورن) المتواثب في مقلاة ساخنة.

في لحظة مجد رائعة، تصبح العاملة المجهولة ملكة الكرنفال.

■ **البرت غولدمان**

ثمن اباحي

قال الرجل لزوجته وهما يغادران المسرح: "ربما لم يكن العرض اباحياً الى حد كبير، لكن ثمن التذكرة كان هكذا بالتأكيد".

صحيفة "شيكاغو تريبيون".

الحَربُ... بالكلمات

لكل حرب نهاية، لكن حرب الكلام لا تنتهي

كنت اظن ذاكرة الانسان قصيرة الاجل، وبالتأكيد لا تعود ٧٠٠ عام. وبقيت هذه الفكرة تساورني حتى زرت مدينتي بيزا وفلورنسا الايطاليتين.

توجهنا بالسيارة الى فلورنسا، حيث رحنا ننظر بعيون امتلأت دهشة الى لوحات فنية لا تقدر بثمن معروضة في صالة اوفيزي، والى كنوز قصر بيتّي. وكدنا نتلاشى امام تمثال داود لميكال آنجلو. وبقينا نتجول طوال الصباح وبعد الظهر الى أن قال زوجي: "اني جائع، تعالي نأكل".

فقلت بتعجب: "نأكل؟ كيف يمكنك ان تكون مبتذلا الى هذه الدرجة امام هيبة الماضي؟" فأجاب بغرور: "وهل هناك مانع؟ ان داود نفسه كان يأكل احيانا".

وقصدنا الى مطعم مزدحم حيث جلسنا الى طاولة صغيرة شاءت المصادفات ان تكون بين طاولتي سيدين ايطاليين جلسا كما في اللوحات التي رأيناها. وكان المكان مكتظا بالسياح امثالنا الذين بدوا كأنهم خبراء في الاحتيال. وما ان جلسنا حتى بادرنا الايطاليان بابتسامتين كانتا تنمّان عن لياقة. وبعدما طلبنا ما نريد تناوله من طعام، بدأت اتحدث عن مفاتن فلورنسا.

وترك الجالس الى يساري شوكته واستدار الي يسألني عما اذا كنت قد زرت بيزا. فنظرت اليه بدهشة وقلت: "أجل، لقد قضينا هناك نهاراً كاملا".

وترك الجالس الى يميني شوكته

CONDENSED FROM - THE STATESMAN - MARCH 29 1978

ايضا وقال: "ان ذلك اطول من اللازم". وراح يضحك.

اتضح اننا وقعنا بين رجل من بيزا وآخر من فلورنسا، وان الواحد منهما لا يكن وداً للآخر. وكان زوجي خبيرا في السكوت عند اللزوم، لكني لم أكن على ذلك المستوى من الحنكة، فأجبت: "ان بيزا لطيفة، لكن فلورنسا فردوس ارضي".

وجمد رجل بيزا في مكانه وسألني: "هل رأيتما جرن المعمودية وبرج الجرس في بيزا؟ وهل فهمتما ما شاهدتما؟"

ولم تكن بي حاجة الى الرد على تلك الاسئلة، لان الفلورنسي انفجر ضاحكا وقال: "لا تأبهي له يا سيدتي، فهو لا يزال تحت وطأة الهزيمة". ثم مال الي هامسا: "اننا خصمان. فقد كانت المدينتان في حال حرب في القرن الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر، وفي النهاية تغلبت فلورنسا على بيزا. ولذلك لا يزال صاحبنا يشعر بالغضب الشديد".

لم نستطع تصديق ما نسمع، فقلت: "لكن ذلك حدث منذ زمن بعيد".

ورد رجل بيزا بصوت جهوري: "بل ستستمر حربنا الى الابد".

فعقب الفلورنسي عليه قائلا انه ليس لدى بيزا ما تتباهى به سوى برج سيء البناء سيتداعى يوما.

صار الوضع يقتضي بعضاً من الحصافة لم أكن أنا وزوجي معتادين عليه. وواصل الفلورنسي التبجح بمدينته.

وفجأة، وقف شبيه هاملت الكئيب الذي كان جالسا الى يساري وانحنى احتراما، وتوجه وهو منتصب القامة، مرفوع الرأس، ليسدد فاتورته، ثم استدار وقال بصوت مرتفع ونبرة واضحة تردد صداها في ارجاء المكان: "هناك رسامون كثيرون ومعارض فنية كثيرة في العالم. ولكن لم يظهر سوى غاليليو غاليلي واحد. وكان من بيزا".

ثم غادر المطعم الى أشعة الشمس الفلورنسية.

■ بيرين ميتا

الجمال في القلب

حين نشعر بأن العالم خلا من الجمال، فتلك علامة على ان قلوبنا خلت منه قبل ذلك.

جورج دوهاميل

التاريخ لا يعيد نفسه

في حفلة استقبال في مدينة فيلانوف، التقى الرئيس الفرنسي الراحل شارل ديغول الممثلة السينمائية البولونية بياتا تيزكيفيكز. فاخبرته هذه انها انتهت توا من تمثيل دور السيدة فاليفسكا عشيقة نابوليون بونابرت. فقال ديغول: "الآن بدأت فهم الامبراطور نابوليون. ولسوء الحظ، التاريخ لا يكرر نفسه. فأنت افتى كثيرا من السيدة فاليفسكا وانا اكثر..." وهنا خانه التعبير، فاكملت الممثلة: "اطول كثيرا من نابوليون".

مجلة "اوروبا الشرقية"، فرصوفيا

الزَرافـة : فاتنة الطبيعة

هذا الحيوان الذي صمد في معركة البقاء
بات سيداً شامخاً في مملكته،
يجمع بين الضخامة والرشاقة



فـوق سلسلة من التلال الممتـدة تحـت جبـل كيليمنجارو، ابصرت عدداً ضئيـلا من الزرائف يرعى على اوراق شجـر السنـط (الاكاسيا) الغضَّة. وفجـأة لمحت كتلتين ضبابيتين بنيتي اللون تخترقان الاحراج نحو زرافة صغيرة في منأى عن بقية السرب. ولما أيقنت انهما ضبعان، سارعت الى وضع يدي على زمـور سيارتي اللاندروفر تنبيهاً للزرافةالصغيرة. ولكن لم تكن بـي حاجة الى القلق لان الزرافة اخذت للتـو تعدو مسرعة في اتجاهامها وأمنها. وفي ثوان رأت الزرائـف الأخرى رأس الزرافة الصغيرة يهتـز علواً وهبوطـاً وهي تفر، فاطلقت هـي الاخرى سيقانها للريح. والواقـع ان رأس الزرافـة هو من افضـل أجهزة الانذار المبكر الطبيعية.

مهمـا بدت الزرافـة ضخمـة أو خرقـاء، الا انـهـا — وهي سيـدة الحيوانات علواً (بلغ ارتفاع أطول ما قيـس منها خمسة

امتار و٨٦ سنتيمتراً) - من أشد المخلوقات تيقظاً وخفة. ولهذا الحيوان في قمة عنقه المتلع عينان تبرزان خارج محجريهما وتتمحوران على طرفي عضلتين شبيهتين بسويقة النبتة، مما يتيح له مجال رؤية يكاد يبلغ ٣٦٠ درجة. اما قوائمه الطويلة النحيلة ففي امكانها ان تدفع جسمه الذي يزن طناً بسرعة تصل الى ٥٥ كيلومتراً في الساعة.

اسم عربي - تقول اسطورة افريقية ان الله لم يخلق الزرافة الا بعدما فرغ من خلق مملكة الحيوان. ولهذا استخدم في تركيبها فضلات الآخرين، فأعطاها جلد النمر وعدو الظبي وعنق الجمل وساقيه. واعتقد الاغريق القدماء ان الزرافة هي ثمرة التزاوج الذي تم بين الجمل والنمر، فسموها "كاميلوبارداليس"، وهو اسم مركب يدل على ذلك الاعتقاد. لكن الاسم العربي طغى، مع تعديلات طفيفة، على بقية الاسماء في اللغات الاخرى. وهو اسم يفيد معنى السرعة (فعل "أزرف" يعني أسرع وعجّل). ومع ان هناك تسعة انواع من الزرائف، الا أنها تتزاوج وتتوالد بحيث يصح اعتبارها نوعاً واحداً.

وللزرافة، فضلا عن رشاقتها، سحر غامض محير، يتجلى خصوصاً في عيني هذا الحيوان الواسعتين المحجبتين بأهداب طويلة واللتين تنهمر الدموع منهما بغزارة نظراً الى اتساع الغدد المفرزة للدموع والى كون هذا الحيوان معرضاً للسقوط. فاذا انزلق في مشيته وانفرجت المسافة بين قائمتيه الاماميتين، فهو يفقد قدرته على الحركة، وغالباً ما يموت. كما انه يصاب بالدوار، وقد يفقد الوعي، اذا اعطاه الطبيب البيطري مسكناً للألم.

غير ان هذا الحيوان، الذي بدأ تطوره الطبيعي كواحد من انواع الغزلان الهائمة فوق اراضي اوروبا وآسيا وافريقيا، استطاع ان يصمد ٢٥ مليون سنة في معركة البقاء والتطور. وقبل قرن واحد هامت الزرائف على وجوهها عبر رقعة فسيحة من افريقيا جنوب الصحراء الكبرى مباشرة. لكن المدن الحديثة التي اقامها الانسان ادت الى حصرها في سلسلة من الاراضي المنعزلة المنثورة في الغالب شرق افريقيا. وربما بلغ مجموع الزرائف الاجمالي اليوم ٤٥٠ ألفاً.

مستقبل مشرق - على رغم تقلص حجم المراعي، فان للزرائف مستقبلا اكثر اشراقاً مما لوحيدالقرن او الفيل او النمر او الاسد. ففي حين يحطم وحيد القرن المعدات الزراعية من وقت الى آخر، وتدوس الفيلة الحقول المزروعة وتقتلع الاشجار، وتفترس النمور ماشية المزارعين، وتأكل الاسود احياناً المزارعين انفسهم، قلما تضايق الزرائف احداً. وهي لا تحني رؤوسها نحو العشب الذي تقضمه المواشي، بل تقتات من اعالي الاشجار والشجيرات، وتلتهم الواحدة منها يومياً قرابة ٤٥ كيلوغراماً.

ان اشهى طعام عند الزرافة هو شجر السنط، وخصوصاً عناقيد اوراقه واطراف شوكه الطري. وهي تجهز عليه مثلما يجهز طفل على كوز الذرة، فتلف طرف لسانها الذي يبلغ طوله ٤٥ سنتيمتراً حول عنقود غضّ، ثم تسحبه بين شفتيها اللتين هما بحجم

نعلي حذاء وبقسوتهما ايضاً. واخيراً تهز رأسها يمنة ويسرة، وتسلخ ملء فمها من الاوراق واغلفة البذور والاماليد عن اغصان الشجرة بدقة بالغة. ثم يمتزج اللعاب - وهو في كثافة الاسمنت المطاطي - مع الافرازات الكيميائية فيالمعدة المؤلفة من اربعة أقسام، من أجل مباشرة عملية الهضم وتليين الاجزاء القاسية من الطعام.

والجدير بالذكر ان بعض بذار شجر السنط لا ترسل جذورها في التراب ما لمتجتز اولا عملية الهضم في جوف الزرافة. وهكذا، فان قسماً من حركة التشجير في افريقيا هو احد آثار تنقل الزرافة خلال حياتها التي تدوم ربع قرن. الى هذا، فان قضم الزرافة لشجر السنط يشبه تقليم الأظافر. فالقضم يشذب اواسط الشجر مخلفاً شكلا كالساعة الرملية. وقد تعمد الزرائف الى قضم رؤوس الشجيرات القصيرة، فتخلف في الارض على مرمى النظر سطحاً أفقياً. وترى احياناً خطوط قضمها ممتدة مسافة كيلومترات، فيبدو المشهد كأنه لوحة سوريالية صنعها رسام.

عنق الزرافة - اضافة الى فوائد العنق كبرج للمراقبة والحراسة وكمخزن للطعام، فانه لدى الزرافة في مثابة برج للتبريد ذلك ان سطحه الفسيح يساعد في مواجهة قيظ الصيف وتبديد الحرارة.ويمتاز العنق ايضاً بوجود اطول قصبة هوائية جادت بها الطبيعة على المخلوقات، اذ يبلغ طول الرغامى متراً ونصف متر. وبواسطة هذه القصبة يتخلص الجسم من الهواء العفن عند الزفير. أما في الشهيق فيدخل الهواء النقي عبر القصبة بسرعة ريح عاتية بفضل رئتين تفوقان سعة رئتي الانسان سبعة اضعاف.

وللعنق فوائد أخرى. فالزرافة تستعين به لكسب قوة الحركة الى الامام. وحيثما دبّت الزرافة او عدت يندفع رأسها الى الامام من اجل تبديل مركز الثقل، ثم يرتج الى الوراء استعداداً للقفزة التالية. كما ان العنوة سلاح جبار، فيه - كما في عنق الانسان والحوت وبقية الثدييات - سبعة فقارات، الا انها ضخمة، تدعمها عضلات قوية اكبر حجماً من ذراع الانسان. وفي اعلى العنق جمجمة مخيفة ذات قرنين. وتزداد جمجمة ذكر الزرافة سماكة وثقلا مع تقدمه في السن، وقد يزيد وزنها احياناً بمقدار الضعفين.

ويتذكر مدير حديقة الحيوان في فرانكفورت (المانيا الغربية) بخوف ما أسفرت عنه ضربة سددها احد ذكور الزرائف، اوتو، الى رفيقه الظبي الافريقي الذي يبلغ وزنه ٤٥٠ كيلوغراماً. فقد كسرت الضربة كتف الظبي الافريقي وطرحته أرضاً، ولم يكن هناك أمل في إبلاله فنفق.

معنى العناق - لكن مثل هذه العدوانية امر نادر لدى الزرائف. والشائع بينها هو التعانق الذي فسر سابقاً بأنه اسلوب في التقارب بين الذكور والاناث. على انه، في الواقع، تقليد يتبعه الذكور لاثبات منزلة الزعيم بين السرب.واحياناً لا تتلامس الاعناق مطلقاً، وان استمر "العناق" ساعات طويلة، الى ان يثبت احدهم تفوقه "المعنوي" على

غريمه. ومتى فعل، فانه لا يحتاج الى اكثر من استقامة في العنق، مع ارتفاع الذقن حتى يتنحى كل من يقابله اذعاناً لارادته.

وشاهدت يوماً في تانزانيا زرافتين ذكرين لف الواحد منهما عنقه حول الآخر مرة تلو مرة طوال نصف ساعة، ثم افترقا من غير نتيجة حاسمة. واستأنف احدهما قضم اوراق الشجر، فيما ورد الآخر جدولا قريباً. وهنا همس رفيقي المسؤول عن حدائق الحيوانات البرية: "احبس انفاسك. هذا منظر تندر رؤيته". ورأينا الزرافة تباعد ما بين يديها وتثني ركبتيها على نحو غير رشيق، وتمد عنقها الطويل الى الامام في محاولة شاقة للوصول الى الماء. والزرائف تعلم انها في مثل هذا الوضع عرضة للخطر ولا تستطيع المقاومة. ولذا لا تلبث على تلك الحال سوى ثوان. ورأينا ذكر الزرافة يرفع كاهله والماء يتصبب من شدقيه، ويجيل النظر حوله حتى اطمأن الى سلامته. وعاد مرة أخرى الى الانحناء نحو الماء، ثم مرة ثالثة ورابعة قبل ان يروي عطشه.

من العجب الا تصاب الزرافة بدوار كل مرة ينقض فيها رأسها الضخم نحو الارض ثم الى الوراء. فالمعجزة التكوينية في خلق ذلك الحيوان تحول دون انجراف الدم بين القلب والمخ. ذلك لان له جهازاً من الصمامات في العروق الدموية والاوردة يحافظ على معدل واحد لجريان الدم في جميع الاوضاع. ففي اسفل المخ اوعية دموية تتسع وتتمدد لاستيعاب الفائض من الدم عند خفض الرأس، بينما تتقلص هذه الاوعية حتى الانسداد لمنع انسياب الدم حين يرتفع الرأس بغتة.

وللسائل المخي الشوكي المحيط بالاوعية الدموية والمخ فعل مضاد للضغط، شبيه جداً ببذلة تكييف الضغط والجاذبية التي يرتديها الطيار في المقاتلات الحربية منعاً للدوار حين ينقض بسرعة نحو الارض. ومن أجل دعم عملية ضخ الدم الهائلة، زودت الطبيعة الزرائف بضغط دم هو الاعلى بين الحيوانات، اذ ان القلب المستطيل الذي يبلغ وزنه ١١ كيلوغراماً وطوله ٦٠ سنتيمتراً يضخ ما معدله ٥٥ ليتراً في الدقيقة.

خفقة قلب – يبدو ان الحياة لذكر الزرائف ما هي إلا خفقة قلب كبيرة، لأن شغله الشاغل طوال ايامه هو التخيل والخيلاء. ومعاشرة الاناث تستحوذ على تفكيره حتى في اثناء الطعام. وهو مهيأ، في وقفته عند الاشجار، لرصد قدومهن. وما ان يلمح إحداهن حتى يهب، اذا كان هو زعيم السرب، للقيام بدور الزوج. وتلد الزرائف بعد المجامعة بخمسة عشر شهراً. وعند الولادة يسقط الصغار فوق الارض من علو متر ونصف متر، إذ تظل الام واقفة خلال المخاض.

وقد ساد الاعتقاد حتى وقت قريب ان الزرافة الأم لا تكترث لوليدها. لكن روبن بيليو، الاختصاصي في علم الاحياء في جامعة كيمبريدج البريطانية، يعارض هذا الرأي. وقد تعقب هو وزوجته اسراباً من الزرائف ليلا ونهاراً لأربع سنوات، متنقلين بواسطة سيارات الصيد. وشهدا كيف تذود الاناث بضراوة عن صغارهن برفس الوحوش المفترسة. ومع ذلك،

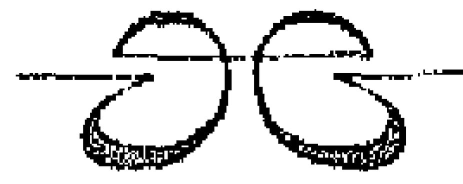
لا يصمد من صغار الزرائف خلال السنة الاولى من حياتها الا اقل من النصف، وينفق النصف الآخر فريسة للامراض والجفاف والاسود. واظهرت ابحاث بيليو ايضاً ان الزرائف لا تتنقل مسافات بعيدة في تجوالها، وانها قلما تنبطح ارضاً. واذا فعلت، ففي صحبة اترابها. ولا يدوم نومها واغلاق عينيها اكثر من خمس دقائق كل مرة. ويقدر بعض العلماء ان الزرافة تنام مفتوحة العينين وهي واقفة على قوائمها.

قيل إن الزرائف المع ذوات الظلف ذكاء. ولكن ليس في هذا القول ثناء كبير، لأن ذوات الظلف تعد من اشد الحيوانات بلادة. غير ان عشاق الزرائف من الناس لا يجدون ضيراً في ذلك، بل ينظرون باهتمام الى ما عبرت عنه كارين بليكسن في كتابها "من افريقيا" حين قالت: "ان رشاقة هذه الزرائف النباتية الغريبة الفذة التي يتعذر وجود مثيل لها تجعلها تبدو من غير اسراب الحيوانات، ولكن من فصيلة نادرة من أزهار مرقّطة عملاقة سامقة السيقان".

ترى اي مستقبل ينتظر هذا الحيوان الرائع الفذ؟

إن زحف المدنية، بما يرافقه من انتهاك لحرمة الطبيعة، يقلل باستمرار من امكان بقاء الزرافة خارج الحدائق الكبرى شرق افريقيا. لكن الزرائف في تلك المناطق الشاسعة المحظورة المخصصة لصيانة الحيوانات البرية - مثل منطقة سيرينغيتي في تانزانيا وأمبوسيلي في كينيا - هي على ازدهار وتكاثر. واذا تصرفنا نحن بتحكيم عقولنا، واذا أسعدنا الحظ، فستبقى الزرائف على وجه البسيطة معنا زمناً طويلا.

■ ادوارد هيوز



صندوق الامانة الدائمة

سمع رجل يقول لصديقه:
"قبل ان اتزوجها كانت سكرتيرتي. اما الآن فهي امينة الصندوق".

ب. غ.

التخلص من الاطفال

يدير احد اصدقائنا ورشة خدمات لنقل القمامة، ويملك شاحنة يعمل فيها رجل وصبيان. ويتولى الصبيان دوس القمامة لضغطها، ثم يستلقيان فوق الحمولة لمنع النفايات من التطاير في الهواء.

وذات يوم كان الصديق يقود سيارته عائداً من رحلة خارج المدينة ومعه صديق له. فصادفا الشاحنة، وكان الطفلان مستلقيين فوق القمامة، كالعادة، لكبسها. فما كان من صديقه الا ان علق: "بحق السماء! هل هناك من يلقي صبيين على اتم حال مع النفايات؟"

ج. ب.

كيف نواجه الصّداع؟

ربما اعتبره الطب أكثر العلل انتشاراً وإقعاداً عن العمل

حديث مع الطبيب ديفيد كودون، المسؤول عن عيادة الصداع في أحد المراكز الطبية في نيويورك. وهو حاز شهرة واسعة بعد انجازاته الرائدة في حقل الصداع.

س: دكتور كودون، هل هناك فئة من الناس اكثر عرضة من غيرها للصداع؟

ج: عموماً، كلا. وارجح الظن ان كل شخص يصاب، في وقت من الأوقات، بنوع من الصداع يتفاقم احياناً بحيث يتطلب علاجاً طبياً.

س: هل يتزايد عدد الذين يعانون الصداع؟

ج: نعم. إن ضغوط البيئة هي حتما من العوامل الرئيسية لذلك.

س: ما العلاقة بين ضغوط البيئة والصداع؟

ج: لا تخلو العلاقات القائمة بين البشر، كذلك قدرتهم على مواجهة الامور في بيوتهم او اعمالهم او اي مكان آخر، من تأثير الضغط البيئي. لكن الغريب في الامر ان عدداً كبيراً من الناس لا يصابون بالصداع الا بعد توقف الضغوط النازلة بهم. وقلما ترى الرجل الذي يعمل باجتهاد يشكو من الصداع. لكنه، متى استراح من اعماله، دهمه ذلك الألم. وثمة صداع يصيب الناس في العطلة الاسبوعية او عقب الجماع او خلال ممارسة الالعاب الرياضية، مثل كرة المضرب، التي تتطلب جهداً كبيراً.

س: كيف يسبب الاسترخاء صداعاً؟

ج: ان معظم حالات الصداع تأتي، في نظري، نتيجة التبدل الذي يحدث في تدفق الدم في الجسم. ولا اعني

بذلك ضغط الدم. ان الرأس يحتوي على اكبر عدد من اطراف الأعصاب الحساسة للالم ومن جزيئات الارسال الكيميائي، وهو اكثر اجزاء الجسم تزوداً بالدم. ويحدث لكل واحد منا هبوط في جريان الدم خلال فترات الراحة والاسترخاء. لكننا لا نصاب جميعاً بوجع رأس حاد.

وفي رأيي ان اجزاء الجهاز العصبي التي تتحكم بحجم الأوعية الدموية المفضية الى الرأس تختلف بين المصابين بالصداع المزمن والآخرين. وعندما يعجز الدم عن نقل كمية كافية من الأوكسيجين الى الرأس، فقد يسفر ذلك عن صداع. وهذا النوع من الصداع، المرتبط بتدفق الدم عبر الأوعية، هو اكثر انواع الصداع الشديد انتشاراً.

س: وما نوع الصداع الذي يأتي في المقام الثاني من حيث الانتشار؟

ج: إنه "الشقيقة". وهو ألم يصيب نصف الرأس ويسمى "الميغرين". ولا تقل نسبة الذين يشكون منه عن ١٠ او ٢٠ في المئة من سكان العالم. وهو مرض وراثي. وقد تبين لنا ان اربعة من كل خمسة مصابين بالشقيقة ينتمون الى اسر يعاني احد الابوين فيها هذا الصداع.

س: وبماذا يحس المصاب بالشقيقة؟

ج: قد ينتابه الالم في اي من جانبي رأسه، انطلاقا من العين حتى مؤخر الرأس. ويبدأ الالم بوخز خفيف، ثم يزداد حدة. ويصبح المصاب عادة شديد الحساسية للضوء او الضجيج. وربما انتابه الغثيان والتقيؤ وشاء التمدد على ظهره في غرفة مظلمة. وتراوح مدة هذا الالم بين ساعات قليلة وثلاثة أيام. وكثيراً ما يتذمر المصاب على اثرها بقوله: "اشعر باني خائر القوى تماماً".

س: ما سبب الاصابة بالشقيقة؟ وكيف يتوقف الألم؟

ج: ثمة عوامل هرمونية لها صلة بالامر. الا اننا لا نعرف كيف تتفاعل بالضبط. والذي نعلمه هو ان ٩٠ في المئة من النساء المصابات بهذا الالم يتحررن منه تماماً خلال فترة الحمل. لكنه لا يلبث ان يعاودهن بعد انتهائها. وتتفاقم الشقيقة لدى النساء بعد استئصال الرحم. لكنها تخف او تتلاشى تماماً في سني الخمسينات او الستينات، لدى الرجال والنساء على حد سواء.

س: وماذا تقول في "الصداع الجيبي"؟

ج: ان الاصطلاح الذي افضل استعماله لهذا النمط من الصداع هو "الصداع البارومتري"، نظراً الى ارتباط حدوثه بتغيرات الضغط الجوي. ويقع هذا الصداع في منطقة العين او الخد او الجبهة. وتحدث اسوأ عوارضه، غالباً، في فترة الصباح، وخصوصاً لدى نهوض الانسان من فراشه. وكثيراً ما يتحسن الوضع اذا استحم المريض بالماء الساخن.

س: هل هناك انواع خطيرة اخرى من الصداع؟

ج: هناك "الصداع العنقودي". وهو من اشد انواع الصداع ألماً، ويسود لدى الرجال. ويسمى هكذا لانه قد ينتاب المريض يومياً على مدى ثلاثة اسابيع او ثلاثة اشهر، ثم ينقطع تماماً. ويكاد هذا الالم ينحصر في منطقة احدى العينين. وهو يدوم من ربع ساعة الى ساعة كاملة، ويرافقه

احمرار في العين وسيلان من الأنف، وقد يكون موجعاً الى اقصى الحدود.

س: كثيراً ما يشكو الناس صداعاً نتيجة اجهاد العينين. فهل هذا هو السبب الحقيقي؟

ج: كلا. قلَّما يكون الاجهاد او تورم عضلات العين الامامية سبباً مألوفاً للصداع.

س: هل ينتج الصداع من نوعية الغذاء؟

ج: نعم. ان الاغذية الغنية بالحامض الاميني "تيرامين" قد تسبب ما يدعى "صداع الحمية". ويتوافر التيرامين، خصوصاً، في الجبن والجوز والبندق والسمك.

س: هل الافراط في الشرب يسبب الصداع؟

ج: نعم. لكن السبب الأشد وطأة هو مزج المشروبات. قد لا تتأثر بكأسين من الويسكي، لكنك اذا الحقتهما بقليل من النبيذ او الجعة، فإني اضمن لك الصداع. وتكاد الشمبانيا تلحق الصداع بكل شخص، وذلك لان في تخمرها عملية كيميائية تؤثر في الجهاز العصبي. وإليك نصيحتي: اذا تناولت بعض المشروبات، فخذ ثلاث حبات أسبيرين (او مركبات اخرى تحتوي على الأسبيرين) قبل النوم. فقد تستيقظ صباح اليوم التالي بلا صداع.

س: هل تخف نوبات الصداع مع تقدم السن؟

ج: نعم. هذا يصح عموماً. ان الصداع أكثر شيوعاً بين الشباب وغير المتقدمين كثيراً في السن. لكن المسنين قد يصابون به لاسباب مختلفة. واذا ما اصبت بالصداع وانت فوق الستين، مثلا، فربما كان نتيجة الزرق (الماء الازرق في العين) او التهاب مفاصل العنق او داء السكر.

س: هل لك ان تذكر لي مدى خطورة الصداع عموماً؟ هل هو الم يمكن احتماله والعيش معه؟

ج: من المؤكد انه يمكن العيش مع الصداع. لكن هذا يتوقف على تحديد كلمة "عيش". فاذا ما شاهدت صديقاً لك، وهو في نوبة مبرحة من نُوَب الشقيقة او الصداع العنقودي او اي نوع حاد آخر من انواع الصداع، لأدركت لتوّك ان امثاله من الناس ينهشهم المرض نهشاً، وانهم مرضى بكل ما في الكلمة من معان.

س: متى ينبغي للذي يشكو صداعاً ان يستشير الطبيب؟

ج: ان كثيراً من المصابين بالصداع يحاولون ان يتحملوه فترة طويلة قبل ان يراجعوا الطبيب. قد لا يكون في ذلك اي ضير، لكنه ربما أدى الى نتائج خطيرة. وفي رأيي ان استشارة الطبيب تصبح ضرورية في حال استمرار الصداع وقتاً طويلا، او اذا تفاقمت حدته او تبدل الى نوع جديد لم يطرأ من قبل، او صحبته اعراض اخرى. واني اعتبر الصداع الدائم لدى الاطفال، الذي يقعدهم عن الحركة، اشد خطراً من الصداع عند الكبار. فإني، كأي طبيب، لا بد لي من التفكير في احتمال وجود ورم خبيث. وبما انك ادرى الناس بأحوال اطفالك فعليك باستشارة الطبيب واجراء الفحوص اللازمة اذا اصيبوا بارتفاع في الحرارة او بالصداع، او اذا تأخروا فجأة في دروسهم.

س: وماذا تعني بقولك: "اذا استمر الصداع وقتاً طويلا"؟

ج: اعني انه اذا استمر الصداع الحاد

اكثر من يوم واحد، او اذا بلغ حدا يعوق نشاطات المصاب، فعلى المريض ان يراجع الطبيب.

س: وما هو الدواء الذي تنصح به لمعالجة الصداع؟

ج: ان الاسبيرين هو العقار الذي اختاره للصداع المألوف. ولكن لا بد من الحذر هنا، لان الافراط في تناول الاسبيرين قد يسبب نزفاً في المعدة والامعاء ومضاعفات خطرة اخرى. لذلك يحسن استعمال الاسبيرين المخفف او عقار آخر مضاد للحموضة.

وكثيراً ما تستخدم مستحضرات الارغوت (التي تستعمل لوقف النزف الدموي) في معالجة صداع الشقيقة (الميغرين)، نظرا الى مفعولها في تقلص الأوعية الدموية الذي يشكل خطوة مهمة في معالجة الشقيقة. وقد صادفنا أيضاً نجاحاً بالغاً في استخدام مركبات توصف عادة لتهدئة الاعصاب او لتبديد الشعور بالكآبة. وهي مركبات يتسنى للجسم تحملها، ولا تشكل خطراً من ناحية الادمان. لكني اصرّ على ان علاجاً كهذا هو للمصابين بالصداع المزمن وبالصداع المقعد عن العمل، لا بالصداع المألوف.

س: هل هناك خطر في تناول العقاقير لمعالجة الصداع؟

ج: نعم. من المحتمل ان يساء استعمال الادوية: فاذا ما تبين للمرء ان جسمه يستجيب استجابة حسنة لاحد العقاقير، فانه يبادر الى تناول ذلك العقار كلما توقع نوبة من الصداع. لكن الخطر يكمن في ان عدداً كبيراً من هذه الادوية، كمستحضرات الارغوت، تصل بالمريض الى الادمان. وهذا ما يوجب الامتناع عن معالجة المصابين بالصداع المزمن بالمخدرات او المسكنات مثل المورفين والديميرول والكودييين. وأخشى ان يكون هناك عدد كبير من الاطباء الذين يصفون هذه العقاقير لمرضاهم.

س: هل يساعد وخز الابر على ازالة الصداع؟

ج: كلا. لقد اسفرت هذه الطريقة عن نتائج ضئيلة للغاية، كذلك التنويم المغناطيسي والطب النفسي.

س: ما هي الاهداف الرئيسية التي ترمي بحوث الصداع الى تحقيقها قريباً؟

ج: ان هدفنا الرئيسي الآن هو الاطلاع، الى اقصى حد ممكن، على طبيعة تركيب المسببات الأساسية للصداع، اي طبيعة تدفق الدم وشبكة الأوعية الدموية والعصبية. ونود أيضاً الوصول الى معرفة طريقة احداث الصداع بوسائل اصطناعية، وما اذا امكن صنع مصل مضاد له، والسبب في حدوث الصداع العنقودي وتوقفه من دون انذار سابق. هذا هو الاتجاه العام في بحوثنا. ومتى توافر لنا المزيد من المعلومات الأساسية، امكننا العمل على الوقاية من الصداع او معالجته بفعالية أكبر.



الحكم الموضوعي

لا تستطيع الحكم على الآخرين بصواب وموضوعية الا اذا لم تكن محتاجا اليهم.

غ.ك.

ثمة شبكة معقدة من القوانين تضعها الحكومات لحماية حقوق العمال، لكنها تؤدي، في الواقع، الى كساد سوق العمل وزيادة البطالة

حماية العمالة اليوم مصدر بطالة غداً!

حدث أخيراً، في منطقة ميلانو الايطالية، أن رفض أحد الصناعيين طلباً لانتاج مليوني عبوة صيدلانية مفضلاً ذلك على الاضطرار الى استخدام مزيد من العمال. فما الذي حداه على مثل هذا القرار؟ لقد رأى انه اذا استخدم عدداً جديداً من العمال، فربما اصبح من المستحيل عليه، بعد ذلك، خفض القوة العاملة في مصنعه، حتى وإن اصيب انتاجه بالكساد.

وثمة صانع سلع الكترونية في مقاطعة ستراود الانكليزية، رأى ان هناك من فرص العمل ما يبرر زيادة القوى العاملة لديه بما يتجاوز ٥٠ في المئة في العام التالي. ومع ذلك، فقد فضل شراء اجهزة اوتوماتيكية تجنباً لابدال العمال المتقاعدين. والسبب الرئيسي في ذلك هو ان قوانين حماية العمال تجعل من الصعب صرفهم.

وشهدت اسوج ازدياداً ضخماً في نسبة البطالة بين الشباب، عقب أزمة صناعية شديدة الوطأة. فلا بد، اذاً، من اعتماد استثمارات جديدة لايجاد الوظائف اللازمة. غير ان هناك شركة للاجهزة الميكانيكية، قرب العاصمة

استوكهولم، رفضت التوسع بحجة ان قوانين العمل تشكل عبئاً لا يطاق.

والواقع ان معظم البلدان الاوروبية عمدت، في غضون العقد الماضي، الى سن القوانين الشاملة التي تقيد حق ارباب العمل في صرف الموظفين. فلم يعد في وسع رب العمل صرف موظف بسبب سوء السلوك، او بداعي الاقتصاد، ما لم يتقيد ببعض الاجراءات الحكومية. وكثيراً ما تنزل العقوبات الصارمة بالمخالفين. لقد اصبح لمفهوم الامن الوظيفي قوة لا تقاوم، سواء أكان ذلك لدى المخططين الاجتماعيين او لدى رجال السياسة.

غير انه يتضح، في الوقت نفسه، ان الامور تشكو من بعض خلل: فبينما تجتهد الحكومات في التغلب على ازمة البطالة، ترتفع الاصوات بالنقد لتقول ان حماية حقوق العمال تعني، في الواقع، القضاء على فرص العمل. ويقول رالف هاريس، المدير العام لمعهد الشؤون الاقتصادية في لندن: "نحن هنا ازاء مثال كلاسيكي لقوانين سنّت بدافع من النيات الحسنة. لكنها توصل، في النهاية، الى نتائج عكسية. لقد ادت حماية حقوق العمال، لدى شعوب كثيرة، الى الحد من فرص العمل".

حماية نقابية – يرجع اعراض الشركات عن توظيف العمال الى تلك الشبكة المعقدة من القوانين والقرارات الصادرة عن محاكم العمل. ان تلك التعقيدات حملت كثيراً من رجال الاعمال على الظن ان القانون ضدهم، لا محالة، وانهم لا بد مغلوبون.

وفي غوتنبورغ (اسوج)، فصل رئيس الندل (ميتردوتيل) في احد المطاعم بعدما أدانته محكمة الجنايات باختلاس ٤٩ الف كرونر أسوجي (قرابة ٦٨٣٠ دولاراً). ومع ذلك، فقد فرضت محكمة العمل على صاحب المطعم ان يدفع للرجل المختلس تعويضاً مقداره ٤٥٬٩٨٢ كرونراً لتأخره اكثر من ٣٠ يوماً في اقامة الدعوى. وتلك هي المهلة القانونية للنظر في قضايا الفصل.

أما في لندن، فقد تلقت شركة "دينكورت انشورنس بروكرز ليميتد" اشعاراً بأن أحد موظفيها السابقين، الذي فصل وادخل السجن بعدما اختلس ١٥٩٨ جنيهاً من الشركة، ادعى عليها بانها اهملت اعلامه خطياً بالاسباب التي ادت الى فصله. ومثل أرباب العمل امام احدى المحاكم الصناعية وشرحوا موقفهم، قائلين ان الشرطة طلبت منهم الامتناع عن اجراء اي اتصالات بالموظف المفصول خلال التحقيقات. وانتهت الجلسة بأن فرض على الشركة دفع ١٧٣ جنيهاً للموظف السابق.

وحدث في فرنسا، في العام ١٩٧٨، ان حاول الاصحاب الجدد لشركة نسيج مفلسة فصل سبعة عمال من اصل مئة موظف يعملون في الشركة. فماذا كانت النتيجة؟ في البداية، اخرت النقابة مدة شهرين الطلب الذي رفعته ادارة الشركة الى الجهات المختصة في وزارة العمل للترخيص لها بفصل العمال السبعة. ورفضت الوزارة اصدار هذا الترخيص واصرت على هذا الرفض طوال ثلاثة اشهر. واخيراً اضطر اصحاب الشركة الى اغلاقها فتحول العمال الى سجلات

البطالة، مما خول كلا منهم تقاضي ٩٠ في المئة من اجره السابق طوال سنة.

ولكن كثيراً ما يدفع الشباب ثمن هذه الحماية. فهم يعجزون عن اقتحام سوق العمل المصابة بالكساد والمحمية بالقوانين. إن نحو ٥٠ في المئة من العاطلين عن العمل، في هولندا وبلجيكا، لا تزيد اعمارهم على ٢٥ سنة. اما في ايطاليا، فان نحو ٨٠ في المئة منهم دون سن الثلاثين.

وقد حذر الاستاذ فرنكو فيراروتي، الاختصاصي في الاقتصاد في جامعة روما، من ان ايطاليا تتجه نحو "مجتمع اقطاعي جديد تقيم داخل حصنه فئة محمية، وان تكن غير منتجة، بينما يعجز عن دخوله اولئك الذين في الخارج، ومعظمهم من الشباب الباحثين عن اول عمل لهم في الحياة".

العامل المدلل — ان قوانين العمل تختلف من بلد الى آخر. وحتى الذين يعارضون قوانين حماية العمال يسلمون بأن هذه القوانين قد ساهمت في حماية العامل من اساءة المعاملة الاعتباطية في اطار الاجهزة البيروقراطية الضخمة لدى الشركات. ويقول مدير قسم التوظيف في احدى الشركات: "ان أرباب العمل ليسوا من الملائكة. والمظالم الناجمة عن هذا التشريع هي، الى حد ما، رد فعل للمظالم التي كانت تحدث في الماضي".

ويقول ستين سفينسون، عضو البرلمان الاسوجي: "المشكلة هي ان كفة الميزان قد رجحت، الى حد بعيد، لمصلحة الحماية". فالقصد من القوانين هو حماية الموظفين النشطين. لكن ما يحدث، في احوال كثيرة، ان قلة من الموظفين تتحايل على القانون وتستغل شتى التعقيدات القانونية ملاذاً تحتمي به من العدالة".

وفي هولندا، هاجم احد العمال زميلا له داخل المصنع. ونقل المصاب الى المستشفى، وفصل العامل المعتدي. ثم شهد عاملان أمام المحكمة على أن الشجار لم يكن الا من قبيل اللعب. فحكم على رب العمل بدفع ٤٠٥٠ غيلدراً هولندياً (قرابة ٢٠٥٠ دولاراً)، تعويضاً للعامل عن فصله ظلماً، وباعادته الى وظيفته.

وثمة بائع في بلجيكا صرف من وظيفته بتهمة تزوير ايصالات بنفقاته الخاصة. واعترض محاميه، في مرافعته امام احدى محاكم العمل، على ذلك، قائلا ان المبالغ التي تضمنتها تلك الايصالات لم تكن تزيد كثيراً على ما كان يستحقه كبدل لمصروفه خلال العمل. وقضت المحكمة بان تدفع الشركة غرامة مقدارها ٢،٥ مليون فرنك بلجيكي (قرابة ٨٦٠٠٠ دولار).

غير ان مشكلات أرباب العمل القانونية لا تقتصر على قاعة المحكمة. فما ان يرفع عامل دعوى على شركته حتى تقع مسؤولية اثبات البراءة على عاتق رب العمل. ويقول الاتحاد العام للصناعة البريطانية ان النفقات التي يتكبدها رب العمل في بريطانيا، على دعوى يرفعها عامل مفصول، قد تصل الى ٤٠٠ جنيه. وذلك لا يتضمن كلفة المحامي التي تبلغ آلاف الجنيهات احياناً، في حين

ان العامل يحصل، بصفته عضواً في النقابة، على المعونة القانونية مجاناً.

وبما ان الشركات الصغيرة والمتوسطة الحجم لا تملك من الموارد ما يكفي لمواجهة الدعاوى، فقد جرت العادة في بريطانيا على تسوية هذه القضايا خارج المحكمة. ويقول ديفيد ميتشل، عضو البرلمان المحافظ الذي يتحدث باسم صغار ارباب العمل: "لقد سمعت من اصحاب الشركات انه من الاوفر لهم ان يتعرضوا للابتزاز حتى وإن كانوا على حق".

ومن الامثلة على ذلك قصة احد العمال في شركة صغيرة للاعمال الهندسية في جنوب انكلترا. فقد وجهت اليه ادارة الشركة تأنيباً رسمياً اكثر من مرة. فترك وظيفته ورفع دعوى امام محكمة عمالية، متهماً الشركة بارغامه على ترك عمله. وكان صاحب العمل مقتنعاً بانه سيكسب القضية. لكنه فكر في ما تتطلبه الاجراءات من تكاليف. والاسوأ من ذلك انه لا بد من توقف العمل في الشركة الصغيرة عند ذهابه هو وكبار موظفيه لحضور الجلسة. فلما اقترح عليه الوسيط الحكومي ان يدفع ٥٠ جنيهاً للعامل كتسوية، لم يتردد رب العمل في القبول، معتبراً ان هذا الحل السهل فرصة سانحة لانهاء المشكلة.

مريض الوهم ـ حتى العام ١٩٧٤، كان الامر يقضي بأن يمضي الموظف عامين على الاقل في شركة ما، قبل ان تحق له مقاضاتها على فصله ظلماً. ثم خفضت هذه المدة الى ستة أشهر. وتكاثرت، من جراء ذلك، قضايا الفصل الجائر في بريطانيا على نحو هائل. فبعدما كان عددها لا يتجاوز الخمسة آلاف عام ١٩٧٢، قفز الى ٣٥ الفاً في العام ١٩٧٧. وهذا ما حدا اصحاب العمل على التسليم بأن افضل مأمن من قوانين حماية العامل هو الامتناع عن تشغيل موظفين جدد.

ولا شك في ان لتلك الحماية الصارمة اضرارها الجانبية الخطيرة. ففي هولندا مثلا، تصل نسبة التغيب عن العمل الى ثمانية في المئة في بعض الصناعات. وهي أعلى من ذلك في ايطاليا. ومثال على ذلك احد مصانع المسامير اللولبية في شمال ايطاليا. فالعمل في هذا المصنع ليس شاقاً على الاطلاق، وهو لا يتطلب من العامل سوى ان يضغط على زر معين في الوقت المناسب. ومع ذلك، فقد ظل احد العمال يتغيب عن العمل، بحجة المرض، فترات بلغ متوسطها ستة اسابيع في السنة، وذلك على مدى خمس سنوات. وقد تغيب عام ١٩٧٨ فترة ١٢٧ يوماً. غير ان مرضه المزعوم لم يمنعه، لحسن حظه، من الذهاب الى المصنع على دراجته النارية لتسليم الاعذار المرضية، كما لم يمنعه من قضاء جزء كبير من اجازاته المرضية في المقهى المجاور لمركز عمله.

وفي هذا الصدد، يقول صاحب ذلك المصنع الصغير:

"يمكننا ان نتقبل تساهل قانون الاجازات المرضية، شرط ان يكون في استطاعتنا فصل العمال الذين يستغلون النظام على نحو فاضح". واضافة الى ذلك، فان التكاليف الناجمة عن التغيب في هذا المصنع، الذي يبلغ احياناً ٣٠ في المئة، تحد

من القدرةالتنافسية للشركة خارج البلاد. فلا عجب، اذاً، الا يعمد صاحب المصنع الى استخدام عمال جدد.

وقد طلب احد اصحاب المصانع في هولندا اجراء كشف طبي على عامل تغيب في اجازة مرضية مدة تزيد على الستين يوماً. فأكد احد اطباء الضمان الصحي ان حال العامل الصحية تمكنه من العمل، وابلغه ذلك كتابة. لكن العامل لم يرتدع، وفصل بعد اسبوع من تغيبه مجدداً. وفي المحكمة، زعم العامل ان المرض تملكه الى حد لم يستطع معه الذهاب الى صندوق بريده الخاص لتسلم تقرير الطبيب. فحكم القاضي باعادة العامل الى وظيفته.

وظفوا الشباب! - ان من شأن القوانين الرامية الى حماية العمالة تعزيز الجمود والركود في الشركات التي تعتمد المواهب الجديدة. وفي هذا المجال نذكر قصة مدير احدى الشركات الكبرى في أسوج، الذي يجد صعوبة في فتح باب العمل للشبان التكنولوجيين من اصحاب المعارف والافكار الجديدة. ذلك ان قوانين حماية العمالة تلزم الشركة التي تقدم على خفض قواها العاملة بأن تبدأ بفصل آخر المعينين لديها أياً تكن وظيفته. وهذا ما يحمل بعض الخبراء الاستشاريين، في اواسط العمر، على التمسك بوظائفهم الحالية خشية فقدهم حماية القانون لهم. وما نتيجة ذلك سوى الجمود والركود.

بل ان هناك، في ايطاليا، قانوناً للحماية يمنع العاطلين عن العمل من البحث عن عمل بأنفسهم. وهو يلزمهم، بدلا من ذلك، بأن يسجلوا اسماءهم في مكتب حكومي خاص، وان ينتظروا ريثما يحين دورهم، حتى وإن كانوا على علم باستعداد ارباب العمل لتعيينهم. ويقول متحدث باسم رابطة الصناعات الصغيرة والمتوسطة في تورينو (ايطاليا): "يمكنني ان افهم لماذا تريد الحكومة ان تجعل فصل العمال امراً صعب التحقيق على اصحاب العمل. لكني لا افهم لماذا تحاول تصعيب التعيين؟"

وقد عمدت بلدان اوروبية كثيرة الى مقاومة البطالة بين الشباب، عن طريق تقديم العون المالي الى ارباب العمل من اجل تشغيل الشباب في اعمال موقتة. لكن النجاح في هذا المجال كان ضئيلا. وقد وضعت خطة حكومية، في ايطاليا، كان من المتوقع ان تؤدي الى تشغيل ٥٠٠ الف شاب في اعمال وقتية تصل مدتها الى سنة كاملة. وتقدم مليون شاب الى العمل في اطار هذه الخطة فلم يعين منهم سوى سبعة آلاف في الشركات الخاصة والصناعات الصغيرة. والسبب الاكبر في ذلك ان ارباب العمل كانوا يخشون ان تتدخل الحكومة، فتضع تلك الوظائف الموقتة تحت الحماية القانونية.

ما هي، اذاً، افضل الوسائل لتشجيع ارباب العمل على ايجاد وظائف للشباب؟

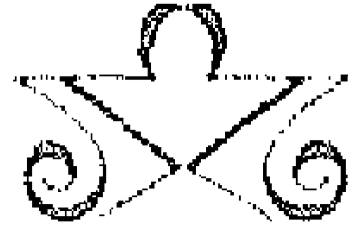
لقد اتضح من استقصاء اجرته غرفة التجارة في استوكهولم (اسوج) ان اثنين من بين كل ثلاثة ارباب عمل في اسوج يفضلان إبدال الاعانات الحكومية بقانون يسمح بفترة تجربة. وتبين في استفتاء آخر، اجرته

الرابطة الاسوجية لاصحاب الاعمال الخاصة، ان نحو ٨٠ في المئة من رجال الاعمال يرغبون في تشغيل عمال جدد، لولا الاعباء الثقيلة التي تفرضها قوانين حماية العمالة. وقد اسفر استفتاء مشابه، اجراه مكتب المحافظين للاعمال الصغيرة في بريطانيا، عن نتائج مماثلة.

ويعتبر الخبراء الثقات في لندن واستوكهولم وروما ان اصلاح قوانين الحماية هو خطوة جوهرية لحل مشكلة البطالة في اوروبا. وفي امكان الحكومات تقديم مساعدة حقيقية في مجال تشغيل الشباب اذا قررت تعزيز نظام فترة الاختبار او استثناء الشباب من قوانين الحماية. فربما وجدت الشركات ما يبرر التوسيع اذا حصلت على بعض الاعفاءات في ما يتعلق بقوانين حماية العمالة. عندئذ لن يخشى صغار رجال الاعمال عواقب تشغيل عمال جدد، خصوصاً اذا تحلت قوانين العمل بالبساطة والوضوح، والغيت نواحي التعسف في تطبيقها.

ويؤكد الداعون الى اصلاح قوانين الحماية ان المستفيد الحقيقي من هذا الاصلاح لن يكون سوى العامل نفسه. وينبغي للعمال والمسؤولين ان يدركوا ان الحماية الكاملة اليوم للعمالة قد تعني انعدام الوظائف غداً.

■ **كينيث توملينسون**



مقارنة علمية

قالت امرأة لصديقتها: "في حافظة نقودي جيب اسميه "مثلث برمودا"، اذ ما ان تسقط فيه محتويات الجيوب الاخرى حتى تختفي".

ل.س.

غير مغرور

كان المدير يجادل زميله حول شخص ثالث، فقال: "الواقع اني لن اصفه بالغرور. لكنه مقتنع تماماً بأنه لو لم يولد لتساءل الناس عن السبب".

صحيفة "لوس انجيليس تايمس"

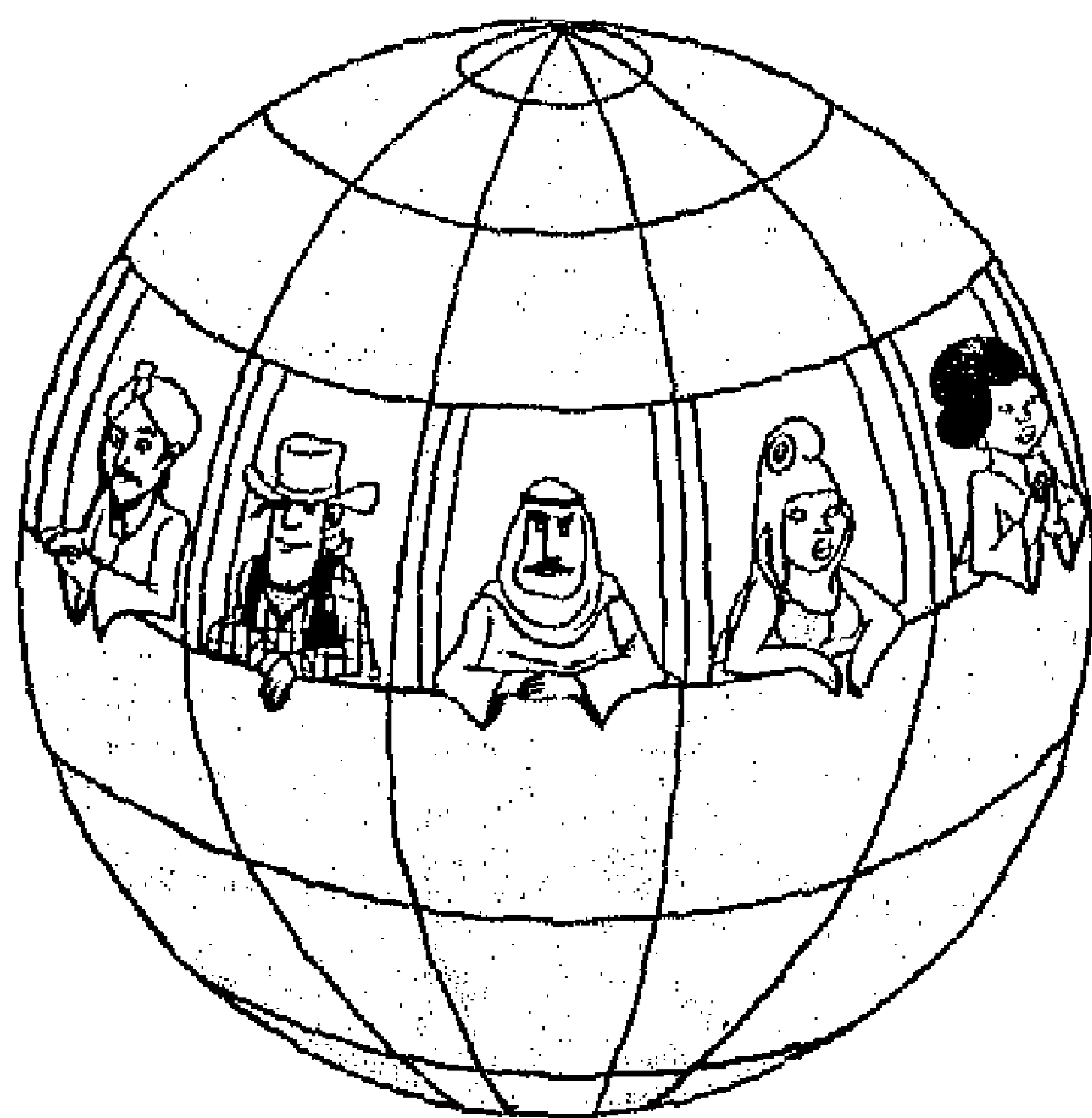
لافتتان

– على طاولة حانة وضعت الملاحظة الآتية:
"التدخين قد يؤذي الصحة التي تشربون نخبها".

ك.ك.

– في مخزن للتحف علقت لافتة كتب عليها:
"نعرف انكم تستمتعون بمشاهدة اطفالكم. لذا نرجو ان تشاهدوهم جيداً حين يكونون داخل هذا المخزن".

م.ب.



حكايات صغيرة من العالم

الملك المجهول!

يصعب على اقسام المتخرجين في الجامعات ان تحافظ على سجلات باسماء الطلاب القدامى ومراكزهم الحالية، الامر الذي يظهر من تجربة جامعة هارفارد. فقد كان مدير القسم يعرض قائمة باسماء المتخرجين النيباليين على نائب رئيس لجنة الخدمات العامة في نيبال، شري رام بوديل، لدى زيارته الجامعة. وفي القائمة ظهر اسم: بيرندرا بير بيكرام شاه ديف، وامام كلمة المهنة كتب: "مجهول العمل". فلم يتمالك المسؤول النيبالي نفسه، وهتف: "لكنه ملكنا!"

ف٠١٠

رسول امين

في مناسبة احد الاعياد، الصق مايكل ويلو - وهو صبي في الصف الابتدائي السادس يسكن مدينة دوبوك في ولاية آيوا الامريكية- بطاقة تهنئة على بالون ملأه بغاز الهيليوم واطلقه في الهواء.

وعثر عليه صبي آخر اسمه ستيف بانيك من مدينة فينيس في ولاية نيويورك، وهو كذلك في السنة السادسة من دراسته الابتدائية. وقد وجد البالون في حقل منكمشاً بعض الشيء. وقرر ان يرد على عواطف ويلو برسالة بريدية.

واستغرق وصول الرسالة الى دوبوك اربعة ايام، فيما قطع البالون مسافة ١٤٠٠ كيلومتر من دوبوك الى فينيس خلال ٣٥ ساعة، اذ انطلق بسرعة ٤٥ كيلومتراً في الساعة.

صحيفة "الاخبار الكاثوليكية القومية"

حرب على التدخين

تشرف جمعية السرطان الامريكية منذ سنوات على تنظيم "اليوم الامريكي ضد التدخين". وتتضمن الحملة سلسلة من النشاطات لتنبيه الناس الى اخطار التدخين وما يسببه من علل، كالسرطان والسكتة الدماغية وامراض القلب وانتفاخ الرئة، ولمحاولة اقناع المدخنين بالتوقف عن التدخين لمدة يوم واحد على الاقل.

وفي العام ١٩٧٨ توقف واحد من بين اربعة مدخنين عن التدخين خلال ذلك اليوم او قلل عدد السجائر التي يدخنها. ومن بين ٦ر٣ ملايين شخص توقفوا عن التدخين ذلك اليوم، ظل ٤ر٢ مليون شخص منقطعين عن التدخين طوال اسبوعين.

م. ر.

"حقيبة" يابانية

هل اضطررت يوماً الى تغيير اطار سيارتك وانت تسير في طريق عام؟
لقد ابتكر اليابانيون اداة لرفع السيارة سموها "حقيبة الثور"، وهي تؤدي هذه المهمة ببساطة. وكل ما عليك فعله هو احكام ربط الخرطوم بانبوب العادم (الاشابمان) في سيارتك، فتنتفخ الحقيبة في ثلاثين ثانية وترتفع السيارة عن الارض. وتستطيع هذه الاداة رفع عربات يبلغ وزنها ثلاثة اطنان.

مجلة "باريد"

اعصار مذكر

اعلن مدير مكتب الانواء الجوية الاوسترالي ان الاعصار الآتي الذي سيضرب مقاطعة كوينزلاند سيسمى "آلان". وبذلك وضع المدير حداً لقائمة طويلة من اسماء الاعاصير المؤنثة. وتضم القائمة الجديدة اسماء مذكرة ومؤنثة، بعدما ارتأت الحكومة انه من غير الجائز اقتصار اسماء الاعاصير على الاناث.
وقد بدأ المسؤول عن مكتب الانواء الجوية في ولاية كوينزلاند قبل ثمانين عاماً باطلاق اسماء السياسيين على الاعاصير. غير ان المكتب تلقى شكاوى كثيرة - لعل معظمها جاء من السياسيين انفسهم - فقرر التحول الى اطلاق اسماء زوجات السياسيين على الاعاصير، ومن ثم صار التقليد اطلاق اسماء مؤنثة عموماً. ومذ ذاك بات هذا تقليداً شائعاً في انحاء العالم.

رويتر

متى تكون السنة كبيساً؟

نعرف جميعاً ان السنة التي تقبل القسمة على الرقم ٤ هي سنة كبيس (٣٦٦ يوماً). لكن تحديد السنوات التي ستحتوي على يوم اضافي ليس بهذه البساطة. فالسنة المئوية (المنتهية بصفرين) لا تكون كبيساً ما لم تكن قابلة للقسمة على الرقم ٤٠٠. ومن الامثلة على هذا ان العام ١٩٠٠ لم يكن كبيساً. فهو، وان كان قابلا للقسمة على ٤، الا انه لم يكن قابلا للقسمة على ٤٠٠. وهكذا.
ان هذه الطريقة الدقيقة لتحديد السنوات الكبيسة ابتكرها فلكي ايطالي بعدما لاحظ البابا غريغوري الثالث عشر منذ العام ١٥٨٢، بناء على مشورة علماء الفلك، ان السنوات الكبيسة تتسارع في الظهور وان التقويم المتبع يسبق الزمن الحقيقي.
ولا تزال طريقة الفلكي الايطالي متبعة حتى اليوم، بحيث ان نسبة الخطأ في التقويم الذي نستند اليه لا تتجاوز اليوم الواحد كل ثلاثة آلاف سنة.

صحيفة "نادجتس"

البندقية: حياة جديدة

تشير دراسة حديثة لمجموعة علماء ايطاليين الى ان مدينة البندقية توقفت عن الغوص، لا بل اخذت ترتفع قليلا فوق سطح البحر.
ومعروف ان هذه المدينة - البحيرة، الجاثمة فوق ١٢٠ جزيرة صغيرة والشهيرة برسومها ولوحاتها الجدارية ونصبها التي تبلغ العشرة آلاف، لا ترتفع اكثر من ٧٠ سنتيمتراً عن سطح الماء. ومنذ مطلع العشرينات حتى ١٩٧٠، هبطت ٢٠ سنتيمتراً عن مستواها، اذ كانت تغوص بمعدل خمسة مليمترات في السنة. فتنبأ العلماء بان البحر سيبتلعها خلال مئة سنة ما لم تتخذ اجراءات عاجلة لانقاذها.
ولم تكن تلك الاجراءات "العاجلة" سوى اغلاق فوهات الآبار الارتوازية واستخدام القنوات لضخ الماء بعيداً عن اليابسة. والنتائج التي توصل اليها العلماء "نهائية وقاطعة"، وقد احيت التفاؤل بمستقبل المدينة التي ظلت تحتضر فترة طويلة.

س. ك.

تائهان وسط المحيط

كانا وحدهما في طوف يغرق بعيداً في المحيط الهادىء.
وكان الموت ينتظرهما اذا بقيا معاً على الطوف.
لكن تضحية احدهما حققت المعجزة

ظهر الثاني من يوليو (تموز) ١٩٧٨، غادر ميناء سان دييغو (في ولاية كاليفورنيا) المزدحم مركب شراعي طوله ١٢ متراً يدعى "مارا"، على متنه ديفيد لوكاس، وهو طالب جامعي في الثامنة عشرة، ونسيبه بيل كونيلان. وراح ديفيد يراقب بشوق اختفاء المدينة وراء الافق كلما ابتعد بهما المركب، لكن بيل لم يكن مطمئناً.



منذ سنوات يحلم بيل كونيلان بالابحار الى جزر غالاباغوس التي تبعد نحو ألف كيلومتر غرب الاكوادور (امريكا الجنوبية). كان تاجر مفروشات في مدينة اركاتا في ولاية كاليفورنيا، وقد تعلم الملاحة بنفسه في اوقات الفراغ وعمل بحاراً على متن المركب "مارا" الذي يملكه احد اصحابه. ولما قرر القيام برحلته تلك التي يجتاز فيها ٥٠٠٠ كيلومتر، استأجر المركب وسأل ديفيد، الذي لم تكن لديه خبرة سابقة في الملاحة إن كان يود مرافقته.

والآن، بعد ظهر هذا اليوم الرائع في المحيط الهادىء، بدأ بيل تحقيق حلمه. لكن اسابيع ثمينة مرت والرجلان ينتظران حضور جواز سفر ديفيد. ومع اقتراب فصل الاعصار كان التأخير يعني انهما سيتركان "مارا" في الاكوادور ويعودان جواً الى الوطن ليرجعا في السنة التالية ويبحرا بالمركب الى كاليفورنيا. وعلى رغم ذلك، شعر بيل بأن الوقت كاف للوصول الى جزر غالاباغوس بسلام. كان واثقاً من ان "مارا"، ببنيته المتينة، يمكنه الثبات امام أي عاصفة استوائية.

وكان على بيل ان يحسب حساب مجازفتين اخريين. فهو، اذا ابحر في الطرق البحرية المعروفة، ربما عرض مركبه للسحق تحت سفينة كبيرة من غير ان يستطيع تحويل وجهة سيره بالسرعة المطلوبة. لكنه، اذا ابحر على بعد بضع مئات من الكيلومترات من الشاطىء ليتجنب البواخر الاخرى، فلن يجد عوناً اذا احتاج اليه في حال طارئة.

واختار بيل ان يبحر بعيداً عن الشاطىء. وقد رأى ان يجتاز ٨٠٠ كيلومتر بدءاً من سان دييغو ثم يتبع خطاً جنوبياً - شرقياً. كان ذلك قراراً مشؤوماً.

في عين الاعصار - سرعان ما وجد بيل وديفيد نفسهما يبحران في ضباب كثيف تحت سماء متلبدة بالغيوم. وبعد ظهر ١٢ يوليو (تموز)، اجبرهما مطر خفيف على الاستعداد لمواجهة طقس عاصف. كانا عندئذ على بعد ٨٠٠ كيلومتر جنوب غرب شبه جزيرة باخا (كاليفورنيا)، ولم يلتقيا سفينة منذ مغادرتهما المرفأ. كما انهما لم يسمعا صوتاً بشرياً غير صوتيهما، ذلك ان شحن بطاريات الراديو لم يكن يتم بالمقدار الكافي. ثم ان جهاز الراديو نفسه كان يسمح بالاتصال ضمن شعاع لا يتعدى ٢٥ كيلومتراً.

في اولى ساعات ذلك المساء غمرهما وابل من المطر، وهبت الرياح وارتفعت الامواج. وفي الساعة العاشرة كان الاثنان يتمسكان بمركبهما طالبين النجاة. لقد ضربهما الاعصار "فيكو" باقصى قوته.

ويقول ديفيد: "ربطت نفسي الى ارض المركب. ومع ذلك كان علي استعمال كل قوتي للصمود. ونظرت الى الصاري الذي يرتفع ١٥ متراً لأرى الامواج تعلو فوقنا ضعفي هذا الارتفاع. اظن اننا كنا مرهقين الى حد لم نشعر معه بالرعب".

قبيل بزوغ الفجر قذفتهما موجة عملاقة الى جانب القارب. ثم جاءت موجة اخرى قلبت القارب رأساً على عقب. ويقول ديفيد: " وجدت نفسي

اسبح تحت الماء. وعندما وصلت الى الجيب الهوائي فيالمركب، الذي يخصص عادة للجرحى،ظننت ان بيل غرق. ثم سمعته يقول:"انيخارج". وعندما سنحت لي الفرصة غطست في الماء وسبحت الى الخارج ايضاً".
واستطاع ديفيد ان يتسلق المركب ويندفع اليه بحبل النجاة.

وبسرعة مذهلة ساد المحيط هدوء. وصرخ بيل من مؤخر المركب:"نحن في عين الاعصار، ومن الافضل ان نخرج قارب النجاة عندما نستطيع ذلك".

وغاص ديفيد الى الجيب الهوائي ليعود بالرزمة ويفك الحبل. وعلت وجهي الرجلين ابتسامة شاحبة عندما انتفخ القارب البرتقالي. وما ان لمحا زعنفة قرش تدور حولهمافي صفحة الماء الهادئة حتى تسلقا قارب النجاة المستدير الذي لم يتجاوز قطره المتر ونصف متر، لكن له سقفاً كالخيمة صمم ليزيد قدرة القارب على مجابهة العواصف.

ومضت عين الاعصار بالسرعة التي ظهرت فيها. وعادت الرياح تهدر والامواج ترتفع اكثر فاكثر لتغمر المياه القارب مهددة باغراقه. وانحل سلك كان يربط قارب النجاة بالمركب الشراعي. ولم تمر دقائق حتى اختفى عنهما المركب المنقلب.

واحتدم الاعصار طوال ذلك النهار وقسماً كبيراً من الليل، تاركاً القارب يتلوى بين الامواج فيرتفع معها ويهبط. وارتفعت الامواج العاتية بالمركب مراراً لتغور به ثانية. وانقلب بيل وديفيد وكادا. ان يغرقا داخل الخيمة الى ان استطاعا تفريغ بعض الماء منها.ولم تهدأ المياه الا في ساعة متقدمة بعد الظهر، فاستسلم الرجلان المنهكان الى غيبوبة عميقة.

صراع البقاء – وبزغ فجر الخامس عشر من يوليو (تموز) بارداً وشاحباً، لكنه لم يحمل رعباً جديداً. كان قد بقي لديهما خمس علب من الماء، سعة الواحدة منها ٣٠٠ مليليتر، اضافة الى علبتين من الطعام المحفوظ. ولعن بيل نفسه اذ لم يربط حبلا الى المركب لينقذ بعض المؤن. وحمل علبة ماء ناظراً اليها بخيبة. ولم تفتح بسهولة، وكانا قد فقدا سكينيهما. ولم يتوافر لديهما سوى سكين نجاة صغيرة ذات رأس مستدير . وقد تمكنا بعد ظهر ذلك اليوم من احداث ثقب في احدى العلب بواسطة تلك السكين وتقاسما اول شراب لهما منذ ثلاثة ايام.

ويقول ديفيد:"لم يكن وصولنا الى غالاباغوس متوقعاً قبل ٤ اغسطس (آب). وعلمت ان ثلاثة اسابيع قد تمضي قبل ان يفتقدنا احد. لكني كنت سعيداً لخروجنا من الاعصار حتى اني لم ارغب في التفكير بذلك".

ومن المؤكد ان بيل كان عالماً بان التيار والرياح قد تحملهما بعيداً داخل المحيط. لكنه اخفى الحقيقة عن ديفيد. ولم يكن خافياً ان الهواء في قارب النجاة بدأ يتناقص. فقد فرغت المظلة جزئياً واخذت المياه تتسرب اليها.

وحاول بيل بلباقته المحافظة على معنويات ديفيد. فمنذ مصاهرته العائلة وهو يمضي فترات طويلة في منزل ديفيد. وعلى رغم ان له ولدين

صغيرين، فقد بقي ديفيد بالنسبة إليه ابناً. وكانا يمضيان اوقاتاً كثيرة يخططان لمستقبل ديفيد المهني.

وصرفا الليلة اللاحقة في رواية قصص مرت في حياتهما، وتحدثا عن احلامهما وخيباتهما، وقد ابتلت ملابسهما واخترق البرد عظامهما فلم يستطيعا النوم سوى فترات متقطعة.

ويقول ديفيد: "كنت اعلم قصده من الكلام، لكني فكرت في ان ذلك ينفعه هو أيضاً. وبدأت تتكون لدي فكرة اننا في مأزق اسوأ مما كان يقول".

فجر ١٦ يوليو (تموز) اشرقت الشمس. كانت اول مرة يريانها منذ اربعة ايام. واستطاعا اخيراً ان يجففا ملابسهما ويشعرا بالدفء. ولكن عند الظهر فرغت المظلة الى درجة اصبح من المستحيل معها البقاء في الظل. وسرعان ما لسعتهما حرارة الشمس وزادت عطشهما. يقول ديفيد: "لم استطع ازاحة نظري عن علب الماء تلك. كنت اعلم ان علينا الصبر حتى نكاد نجن من العطش، لاننا اذا فتحنا علبة فعلينا ان نشربها كلها اذ لم تكن هناك وسيلة لسدها من غير ان تراق".

ووسط الملل الذي تجلبه الشمس الساطعة والبحر الساكن، اذا بسلحفاة بحرية تسبح بجلال قرب القارب. وعلى رغم ان طول غلافها تجاوز المتر، فقد سحبها بيل وديفيد الى القارب املا بقتلها لشرب دمها والتهام لحمها. وراحا يمرران سكينهما الكليلة على الحيوان المسكين من دون ان يجرحاه. ووصل بهما اليأس الى ان حاولا خنقه.

ويقول ديفيد: "لقد ارهقنا الامر حتى اننا رمينا بالسلحفاة خارج القارب. وسبحت السلحفاة وابتعدت كأن شيئاً لم يكن. وكاد بيل ينفجر باكياً اذ كنا عاجزين تماماً، واظن انه في تلك اللحظة حزم امره".

اخبرهما عني — بدأ بيل يلوم نفسه بصوت عال على اخطائه. كان عليه الا يجازف بحياة شخصين في موسم الاعصار. ثم ان فرص النجاة كانت اوفر لو انهما ابحرا قريباً من الشاطىء على رغم خطر الاصطدام ليلا.

في تلك الليلة، بعد ساعات طويلة من الصمت، سأل بيل فجأة: "هل تؤمن بالله؟"

واجاب ديفيد: "اظن ذلك".

فقال بيل: "ولكن يبدو ان احداً لا يحرسنا الآن. واذا كنا نريد النجاة فما علينا الا الاعتماد على انفسنا".

وسأل ديفيد: "ولكن ماذا في امكاننا ان نفعل؟"

فأجاب بيل: "انت لا تستطيع شيئاً. ولكن في امكاني انا ان اسبح الى اللانهاية".

ولكز بيل علبتي الماءالباقيتين واضاف: "اذا حاولت فانك تستطيع ان تحافظ عليهما خمسة ايام او ستة، وبعد ذلك يمكنك البقاء ثلاثة ايام او اربعة".

وذعر ديفيد. كان يعلم ان بيل رجل يقصد دائماً ما يقول. فقال مصراً: "اذا لم يكن من الموت مفر، لنمت معاً".

وعلىرغمأن الكلام كان مؤلماً،فقد امضيا معظم الليل يتجادلان. وصرخ ديفيد غاضباً: "ماذا لو استطعت الخروج من هنا؟ سابقى طوال حياتي

افكر في انك قتلت نفسك من اجلي".
فأجاب بيل:"انت قوي وتستطيع تحمل ذلك".

ولكن ماذا عن زوجة بيل وطفليه، الم يفكر فيهما؟

عند ذلك قال بيل:"انظر يا ديفيد، نحن في مأزق ولا استطيع مساعدتهما. كل ما يمكنني ان افعله هو ان امنحك بضعة أيام اخرى".وذكر بيل الفتى بان القارب يضعف يوماً بعد يوم، وانه يجهل قدرته على احتمال ثقل رجلين.

لدى بزوغ فجر ١٧ يوليو (تموز)، توقف بيل عن الكلام. وامضى الصباح كله يحفر رسالة وداعية الى زوجته وطفليه على علبة ماء فارغة. وقبيل الظهر سلم ديفيد خاتم زواجه وقال له: "اعطه الى ولدي الاكبر عندما يسمح له سنه بأن يفهم. وحاول ان تخبر ولدي عني قليلا".

وكان ديفيد منهكاً، فقبل الخاتم من دون جدال. وانسل بيل الى الماء ليسبح بعيداً ببطء. وعندما اصبح على بعد ٥٠ متراً تقريباً، التفت الى ديفيد طويلا وابتسم له.

ويقول ديفيد:"لم اصدق انه تركني فعلا. وعندما كاد ان يختفي عن نظري بدأت اصرخ له واناديه. كيف يستطيع انسان ان يواصل السباحة كذلك؟ كان عليه ان يعود.وحتى بعد ان اختفى كلياً بقيت اناديه الى ان جف حلقي. ثم انتظرت. لكنه لم يعد".

.ومضت ساعة او اكثر قبل بعدها ديفيد تصديق تضحية بيل. وخامره .شعور قاتل بالذنب والحزن والوحدة. وراح يبكي بجنون، ثم انهار.

في تلك الليلة حاول ديفيد ان يصلي. وقد شعر بالخجل في البداية. فعلى رغم تحدره من عائلة تتمسك بالقيم الخلقية، فان خبرته الدينية كانت محدودة. وهو يقول:"تمنيت لو كانت لدي صلاة خاصة، لكنني اكتشفت بعد ذلك ان الصلاة ليست امراً صعباً".

وظهر ١٩ يوليو (تموز) شرب ديفيد آخر ما لديه من ماء. لم يكن يحميه ظل من لهيب الشمس. لقد انهارت المظلة وبدأ القارب نفسه بالانكماش. وشعر ديفيد بوهن شديد، فتمدد على ظهره واستغرق في نوم عميق.

العين الساهرة - في ذلك اليوم انطلق قارب الصيد "روزا اوليفيا" من مرفأ سان دييغو واتجه غرباً. وكان القبطان قد سمع حديثاً على الراديو بين قوارب اخرى عن صيد كبير على بعد ١٥٠ كيلومتراً غرب مناطق الصيد العادية.

وعند الغروب اتضح ان ذلك مجرد مزاح تعوده صيادو السمك. لقد امضوا النهار بطوله يبحثون عبثاً عن السمك، وابتعدوا داخل المحيط الهادىء كما لم يبتعدوا من قبل. وقبل عودتهم بدقائق لفت نظرهم جسم تحت اشعة الشمس الاستوائية. قد يكون لوحاً خشبياً او حطاماً او حتى ثمرة جوز الهند تجتذب سمك الطون.

واستيقظ ديفيد ليرى "روزا اوليفيا" تقترب منه. ورفعه الصيادون البرتغاليون عن القارب الذي بدا شبه عائم. وفي غرفة القبطان حاول ديفيد ان يوضح ان هناك رجلا آخر. وراح يردد:"ذلك الرجل ساعدني".

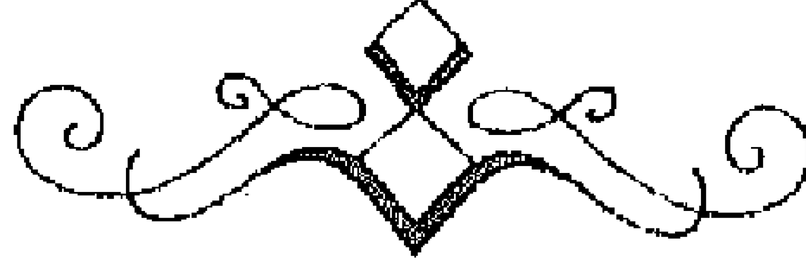
واشار البرتغاليون المؤمنون الى نسخة عن العشاء السري علقت على حائط الغرفة. وقالوا له:"ذلك هو الرجل الذي ساعدك".

ماذا لو بقي بيل كوينلان على القارب؟ هل كان سيحيا؟

يقول ديفيد:"لقد سألت عشرات الصيادين ورجال خفر السواحل. كان علي ان اعرف. لكنهم كلهم قالوا انه حتى وان صمد القارب مدة اطول، فسيجرفه التيار والرياح داخل المحيط الهادىء. ولو بقي بيل بثقله لجرفنا مسافة ابعد. وقد اخبرني ملاحو "روزا اوليفيا" اني كنت في اقصى نطاق نظرهم. ولو كنت أبعد مئة متر لما رأوني أبداً".

بعد شفائه عاد ديفيد لوكاس الى الجامعة. وهو ليس اكيداً بعد من المهنة التي يريد ممارستها، لكنه يقول: "اني اعلم ان علي فعل شيء مهم في حياتي". وهو يمضي ساعات كثيرة مع ولدي بيل، ولا يزال يخطط لما سيخبرهما عنه عندما يكبران.

■ جيم ساندرسون



ومن الفحص ما قتل!

حاول الامين المساعد لقسم علم الاسماك في المتحف الامريكي للتاريخ الطبيعي في مدينة نيويورك، ان يبين ان الصنف المعروف من سمك القرش لا يستحق فعلاً تلك السمعة السيئة التي الصقت بالقرش الابيض الكبير الذي ظهر في فيلم "الفك المفترس"، فقال: " ان التهام البشر لا يستهوي سمك القرش، بل هو يحاول ان يتفحص الاشخاص. واحدى الطرق التي يلجأ السمك اليها لتفحصهم هي ان يعضهم. ويكتفي عموماً بعضة واحدة او عضتين، ثم يذهب في سبيله"!

"يونايتد برس"

متى عرف السبب...

انتقل بعض اصدقائنا للاقامة في مدينتنا الصغيرة، وترقبوا بلهفة انعقاد الاجتماع الاول لمجلس المدينة كي يحضروه.

وحين حل موعد الاجتماع، استقبلهم رئيس البلدية ورافقهم الى مقدم القاعة المزدحمة وقدمهم الى الحضور باعتبارهم مقيمين جدداً، ثم اجلسهم في مواجهة منصة الرئيس. وغمرهم الفرح لهذا الاستقبال من جانب ابناء البلدة المعروفين بتحفظهم. وعبروا عن شعورهم هذا بصراحة. وما كان من رئيس المجلس الا ان اجاب: "ان تخصيص المقاعد الامامية لكم يسهل علينا مراقبة من لا يحق له التصويت بينكم لئلا يرفع يده".

س. ر. ب.

اللحظة السعيدة

نظرة خاطفة، عبر باب مفتوح، الى معجزة الحياة

في مكان ما من الطريق بين "البداية" و "النهاية"، ثمة لحظة كاملة لكل كائن حي.

وقد حانت لحظتي السعيدة عندما كنت في الثامنة من عمري، إذ استيقظت ذات ليلة من ليالي الربيع لأجد الحجرة مغمورة بنور القمر. كان الهدوء شاملا والهواء لطيفاً وعابقاً بشذى زهر الاجاص (الكمثرى).

وتسللت من فراشي وخرجت من البيت على أطراف أصابعي. وعندما أغلقت الباب رأيت أمي جالسة على العتبة. فالتفتت الي مبتسمة وشدتني كي اجلس قربها، وقد لفت ذراعها حولي. كان السكون يسود جنبات الريف. ولم يكن هناك منزل واحد تشتعل فيه الانوار. وسطع ضوء القمر بحيث استطعنا رؤية معالم الغابة على بعد نحو كيلومتر ونصف كيلومتر.

وجاء كلبنا عبر المروج يتمطى بسعادة ورضا، ووضع رأسه في حجر أمي. وبقينا، نحن الثلاثة، في هذا السكون التام لحظات طويلة.

كنا ندرك أن الغابات المظلمة تعج بحركة الكائنات البرية، من أرانب وسناجيب وأبوسومات، وبأصواتها كذلك، وأن الحياة مستمرة في الحقول وفي الحديقة المغمورة بالظلال.

وقريباً يفقد الزهر على أشجار الفاكهة أوراقه التي تتساقط مثل ثلج وردي وأبيض، لتحل محلها على الغصون حبات الثمار الغضة. عندئذ تمتلىء شجيرة الخوخ (البرقوق) البرية بثمار مستديرة تلمع كالفوانيس الصغيرة، وتكسبها الشمس حلاوة بينما يرطبها المطر.

وبعد وقت قصير ترصع الكرمة الزاحفة بثمار الشمام. ويجدد الزهر، الذي يشبه الكرة، مخزونه من الرحيق استعداداً لأفواج النحل الوافدة مع الصباح.

في طيات ذلك الصمت العميق بلا نهاية كانت معجزة الحياة مستمرة، خارج نطاق البصر والسمع، غير خاضعة الا ليد الخالق.

ليس في استطاعة ابن ثماني سنوات أن يحلل أفكاره. وقد لا يدرك أن اللانهاية تحيط به. لكنه ربما رأى نجماً جاثماً فوق غصن شجرة أرز، فسادته نشوة صافية. وربما سمع طائراً يغرد في ضوء القمر، فامتلأت نفسه غبطة لا توصف. وهو إذ يشعر بذراع أمه تطوقه، يدرك معنى الطمأنينة الكاملة.

وقد يستعصي على الطفل فهم تيار الحياة الجارف وحركة الكون وارتفاع المد. لكنه يشعر، على نحو غريب، بأن نظرة خاطفة أتيحت له من خلال باب مفتوح، وأنه مر في لحظة كاملة.

■ **غلاديس بيل**

صورة التقطها راينهولت ميسنر لنفسه على ثلوج قمة نانغا باربات



ذلك الرجل الخارق لا ينثني عن المجازفة بحياته سعياً الى العزلة والسكينة فوق الذرى الشامخة البيضاء

حيث تعشش الصقور

يقول متسلق الجبال الشهير راينهولت ميسنر في وصف الاخطار التي حفلت بها حياته: "ليس الموت امراً يمعن فيه المرء تفكيره. فهو يطل فجأة ويتفرس في وجوهنا كأي احتمال عادي".

والواقع ان الخطر هو رفيق المتسلق الدائم في محاولاته قهر الجبال الجبارة. ولا يدرك ذلك الا كبار المتسلقين. وقد وصفه احدهم بأنه "المتعة التي تخبىء طعمها للمتسلق حتى بلوغ مقصده".

ولا شك في ان متسلقي الجبال يتخذون كل الاحتياطات اللازمة

لضمان سلامتهم. لكن حذرهم، مهما بلغ، يظل قاصراً. فإن مهارة المتسلق قلما تعادل خطر الجبال.

ان تسلق الجبال ينم، اذاً، عن اختيار واع لنوع من النشاط قد يؤدي بالمتسلق الى الموت. وكلما كان الصعود شاقاً زاد احتمال هذه النتيجة. فالى اي نوع من الاشخاص ينتمي ذلك الايطالي من مواليد ١٧ سبتمبر (ايلول) ١٩٤٤، الذي يعده كثيرون أعظم متسلق للجبال في العالم؟

يتصف راينهولت ميسنر، فينواح كثيرة، بالصفات التي يتميز بها سواه من المتسلقين البارزين: فهو ناحل البنية ومعتدل القامة، لا يتجاوز طوله متراً و ٧٥ سنتيمتراً. لكنه يتمتع بقدرة خارقة على الاحتمال وعزيمة لا تعرف الكلل، يوجهها باصرار نحو الهدف المنشود، وهو ان يصل حياً الى قمة الجبل. وقد بلغت ثقة ميسنر باسلوبه وبثبات قدميه على الثلج والجليد حداً بعيداً. فهو يؤثر التسلق بمفرده، ومن دون الاستعانة بحبل، على التسلق مشدوداً الى شخص آخر قد لا تكون له كفايته، فيعرضه للانزلاق. ويتميز اسلوب ميسنر بمقدار عظيم من الاتقان في السيطرة على الصخور، اتاح له تسلق الجدران التي يعجز امامها ابرع المتسلقين ما لم يعتمدوا الوسائل الاصطناعية.

الرغبة الخفية - وكان معروفاً، منذ سنوات كثيرة، ان الوصول الى احدى قمم جبال حملايا في الشرق الاقصى يتطلب جيشاً صغيراً من المتسلقين. ومثال ذلك ان البعثة الامريكية لتسلق قمة ايفرست عام ١٩٦٣ ضمت ٩٠٩ رجال لحمل المعدات. لكن ميسنر أثبت نقيض ذلك. فقد نفذ رحلات لتسلق جبال حملايا كانت أشق من تلك التي حققها المتسلقون السابقون. ولم يصحب سوى مجموعات صغيرة جداً، حملت كميات من المؤن تكفي بضعة أيام.

ولاريب في ان التسلق في مثل هذه الظروف امر شديد الخطورة وان خطأ بسيطاً قد يؤدي الى كارثة. لكن ميسنر وثق تماماً بقدرته الفذة على الاحتفاظ بتوازنه وبأسلوبه المتقن في التسلق وبتدريبه الواسع. كل ذلك كان يبعث فيه الثقة بالوصول سالماً الى هدفه.

وفي مقابل ذلك، فان الجبال لا تبخل بعطاءاتها على ميسنر، مكافأة له على تفانيه في سبيلها. فهي تنفحه بما ينتقل به الى عالم النشوة والسمو. وهو كتب قصة رحلته العظمى في العام ١٩٧٨، عندما تسلق بمفرده قمة نانغا باربات في كشمير (تحت سيطرة باكستان)، فقال: "كثيراً ما تساءلت كيف يكون الامر لو اني مكثت هناك على احدى تلك القمم التي ترتفع ٨٠٠٠ متر. اليست تلك هي الرغبة الخفية التي تراود متسلقي الجبال، في البقاء على الذروة وعدم العودة الى العالم الذي خلفوه؟"

والواقع ان هذه الفكرة ليست غريبة على ميسنر. فهو فقد اخاه في رحلة سابقة لتسلق نانغا باربات، وفقد اصابع قدميه المتأذية بالصقيع، وخسر زوجته بعد طلاقهما.

ولم ينس ميسنر كيف كان يتلوع في رحلته الى جبال حملايا بسبب تفكيره المتواصل في زوجته أوشي

التي، كما يقول، "تخليت عنها كي اشبع طموحي السافر". وكتب في ما بعد: "تركتني زوجتي خلال احدى رحلاتي. ولشدة شعوري بالوحدة عقدت العزم على التوقف عن تسلق الجبال. ومع ذلك فقد اكتشفت، في ايام تلك "الوحدة السوداء"، اني لا اتسلق من اجل احراز الانتصارات الجديدة، بل لان الحياة في الاعالي هي الغاية في ذاتها. واخذت افكر في ذلك السلوان الذي استمده من "الوحدة البيضاء" في المرتفعات. فلم اجد في ذلك عزاء فحسب، وانما وجدت فيه ايضاً منطلقي الى الحرية. ولم البث ان قررت استئناف ما اعتزمت الاقلاع عنه".

المحاولات الاولى — ولد راينهولت ميسنر اخاً لثمانية اطفال في ١٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٤ في جنوب التيرول (منطقة جبلية في إيطاليا). وكثيراً ما كان الاب يصطحب ابناءه في رحلات التسلق والنزهات الطويلة سيراً على الاقدام. وعندما بلغ ميسنر الخامسة، اخذ يرتاد الجبال وحده حيناً ومع أبيه واخوته احياناً. وما ان اصبح في السادسة عشرة حتى راح يتوغل بمفرده في الطرق الشاقة. وفي اوائل عشريناته كان انتهى من اجتياز جميع الطرق الصعبة في جبال دولومايت في الالب (ايطاليا). ومما قاله: "ان تجاربي الاولى في تسلق الجبال، وما حف بها من خوف وأخطار، تركت في نفسي أثراً اقوى مما تركته تجاربي اللاحقة. ذلك لانه لا يمكنني ان اشعر الآن بالقلق والاثارة اللذين اقترنت بهما تلك الايام الباكرة من حياتي".

في هذه الكلمات يتضح الحافز الذي دفع ميسنر الى التسلق معتمداً أسلوبه الخاص. ذلك ان السنوات الاخيرة شهدت التدهور البالغ الذي اصاب رياضة التسلق نتيجة الثورة التكنولوجية. فكاد ان يصبح مجرد سخف تكنولوجي ما لم يعمد المتسلق المعاصر الى التنازل قليلا عن الاستعانة بالمعدات الصناعية.

ويصدق هذا، خصوصاً، في مجال تسلق الصخور حيث بلغت التكنولوجيا ذروتها باستخدام مسامير لولبية متمددة فالمتسلق يحفر الثقوب في الصخر ويدق فيها تلك المسامير، ثم يصل بها سلماً من الحبال، فيتيسر له بذلك تسلق الجبل أياً كان. غير ان ميسنر لا يرى ان استخدام المسامير يسبب تشويهاً في الجبال فحسب، بل ينتهك القواعد الخلقية للتسلق الطبيعي. لذلك هو امتنع عن استخدام المسامير، وتسلق مراراً جبال دولومايت، التي لم ير الآخرون إمكان الوصول اليها، من دون استخدام المسامير.

العودة الرهيبة — وراح ميسنر ينفذ، منفرداً، رحلات عسيرة. فلم يترك درباً غير مطروقة في جبال الالب الا ولجها. وقد حذا المتسلقون من ذوي الطموح حذوه، فراحوا يقصدون الدروب الشاقة وحدهم. وهذا لا يعني فقط ان هؤلاء المتسلقين لا يجدون من يسعفهم في الحوادث المؤسفة، بل يعني أيضاً انهم يخضعون معنوياتهم لامتحان عسير. غير ان هذا النهج الفريد يقصر عنه من لا يتحلى بقدرة ميسنر على تحمل الصعاب، اضافة الى ان ميسنر قلما يجد رفيقاً يضاهيه

قدرة ومهارة كي يصطحبه الى التسلق.

وفي العام ١٩٧٠، انضم ميسنر وأخوه غونتر الى فريق كان يحاول تسلق جانب لم يقهر بعد من جبال نانغا باربات. وكان الاخوان أول من وصل الى القمة. فوجب عليهما، اذاً، ان يتسلقا جداراً رأسيا من الصخر والجليد يبلغ ارتفاعه ٥٠٠٠ متر. وفي رحلة الهبوط الرهيبة انهارت على غونتر كتل جليدية وقضت عليه.

وقد تحدث ميسنر عن هذا الحادث في مقابلة صحافية فقال: "لعل ذلك هو الموقف الوحيد الذي بقيت فيه يومين او ثلاثة كأني على حافة فقدان قواي البدنية والعقلية". واستطاع ميسنر أن ينجو بحياته في تلك الرحلة من دون الاستعانة بخيمة. لكنه فقد في النهاية خمساً من أصابع قدميه وأجزاء من اربع اصابع اخرى بسبب الصقيع. إلا أن ذلك لم يثنه عن العودة في اغسطس (آب) ١٩٧٨ وتسلق نانغا باربات منفرداً.

اما الحادث الذي أثار اكبر اهتمام فقد وقع في ٨ مايو (أيار) ١٩٧٨ عندما وصل ميسنر وبيتر هابلر، الذي رافقه مراراً، الى قمة جبل إيفرست (الحملايا) على ارتفاع ٨٨٤٨ متراً، من دون الاستعانة بأجهزة الاوكسجين. وهو امر كان يعتبره المتسلقون مستحيلا.

وقد روى ميسنر هذه المحاولة الفريدة الرائعة التي تنطوي على فلسفة رجل لا ينفك عن السعي الى تخطي حدود المحال، فقال: "لم يكن في نيتي ان اتسلق ايفرست مهما كان الثمن. لكني اردت ان أتلمس عظمته وقسوته. فقررت ان اكف عن محاولة الوصول الى قمته ما لم يتسن لي ذلك بمعزل عن قناع التنفس.

ولكي أعي ارتفاع الجبل الشاهق، لا بد لي من تسلقه دونما الاستعانة بالحيل التكنولوجية. وعندذاك فقط أدرك ما تمتلىء به على القمة نفس الانسان، وأي ابعاد جديدة تتفتح في وجهه، وما اذا تسنت له هناك آصرة جديدة تربطه بالكون".

قهر المحال - في المرحلة الاخيرة من الصعود، في ٦ مايو (أيار)، وصل ميسنر ورفيقه هابلر والادلاء الثلاثة الى "المخيم ٣" على ارتفاع ٧١٩٠ متراً. ثم اجتازوا، في اليوم التالي، ممر "ساوث كول" الذي قد يكون أعلى ممر في العالم. وبعد ذلك عاد الادلاء الثلاثة الى حيث جاؤوا. وكتب ميسنر: "كل شيء أصبح الآن جاهزاً لمواجهة اليوم الحاسم. وها أنذا أحشد كل ما لدي من طاقات كي تتفجر كما لم تفعل من قبل، فيرتاح الى ذلك فضولي وطموحي. لقد قضيت عاماً وأنا اتأهب للاندفاع الى أقصى حدود ذاتي فأتحدى المحال".

واستيقظ الرجلان في الثالثة صباحاً، وشربا اكبر كمية ممكنة من السوائل تحاشياً لفقد جسميهما الماء، وذلك يحدث في المرتفعات الشاهقة. ثم ارتديا ملابسهما وهما غارقان في كيسي النوم.

ويقول ميسنر: "ما ان خرجت أنا وبيتر من الخيمة حتى صفعنا المطر المتجمد. ووجدنا السماء الموحشة مثقلة بالسحب والرياح تعصف من الجنوب والضباب يحجب الاودية. ووقفنا مشلولين في مكاننا خلال

الثواني القليلة الاولى. ثم عزمت على الذهاب الى ابعد ما نستطيع.

"وها نحن نصعد ببطء ونغور في الثلج حتى ركبنا، فندقه بأخماص اقدامنا. وكلما خطا أحدنا بضع خطوات استند الى فأسه لتخفيف العبء عن جسده، وفغر فاه متلهفاً لتلقي الهواء. ولكم وددت ان استلقي على الارض علني استمر في التنفس.

"لقد ربطنا جسدينا بحبل. وها أنا أهبط الى الفجوة الفاصلة بين القمة الجنوبية وذروة الجبل، واتحسس طريقي الى الامام. ثم اتوقف تحت "هيلاري ستيب"، وهي أصعب المراحل، ليلحق بيتر بي. ثم أصعد نحو الجرف متوقفاً في طريقي اليه ثلاث مرات او اربعاً.

"إننا نتنفس بمشقة ونكاد لا نقوى على الاستمرار. وكلما تقدمنا عشر خطوات او خمس عشرة خطوة غرقنا في الثلج وتوقفنا. ثم بدأنا ندب.

"لم يبق هناك سوى أمتار قليلة تفصلنا عن القمة. ولن تشكل عقبة. وما ان وصلت الى القمة حتى جلست ودليت قدمي فوق الهاوية. ثم لحق بي بيتر. وحين وصل الى جانبي عانقني بكلتا ذراعيه، وأجهشنا بالبكاء".

ولم يلبث هابلر ان شعر بتقلصات في أصابعه ربما كانت نذير عارض قلبي. فسارع الى الهبوط في طريق العودة. وبقي ميسنر هنيهة جالساً على القمة، ثم سار في أعقابه. ولدى وصوله الى "المخيم ٤"، على ارتفاع ٧٩٨٥ متراً، لاحظ أثر انهيار جليدي حديث. لكنه وجد هابلر سالماً داخل الخيمة. فروى له كيف امتطى الانهيار وانجرف معه الى أسفل صادماً كاحله. وغمرت الرجلين نشوة عظيمة.

وفي الليل اكتشف ميسنر أنه مصاب بعمى الثلج. وشعر هابلر بكاحله يتورم. وقضيا ليلة مزعجة، موجعة، حتى اذا جاء الصباح قررا استئناف الهبوط.

ويختتم ميسنر وصفه للرحلة بهذه الكلمات: "لو كتب لرحلتنا الاخفاق لاتضح لنا، في منطقة الموت على القمم، كم يتقارب النجاح والخيبة كتقارب العاصفة والسكون وتقارب الحرارة والبرودة. فما اضيق المعبر بين القبر والذرى الشامخة!"

■ جيريمي بيرنشتاين



شوهدت لافتة على منزل كتب عليها: "احذر المالك ولا تخشَ الكلب".

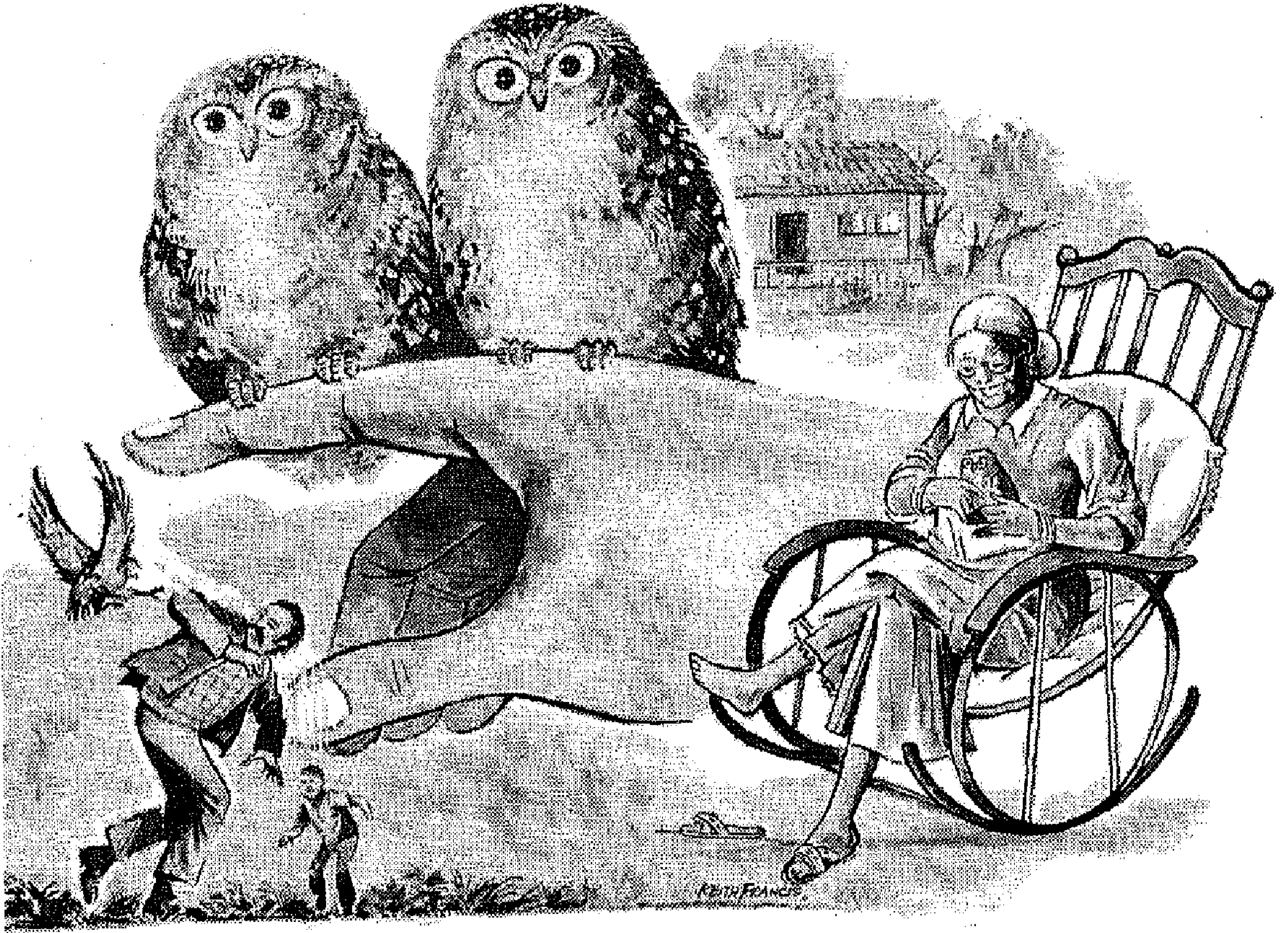
(صحيفة "الاوبزيرفر"، لندن)

ضيف شرف

فسر الممثل الشهير معنى الدور الذي يظهر فيه كضيف شرف بالعبارة الآتية: "انه الدور الذي يستغرق فيه توقيع العقد مع المنتج فترة اطول من فترة ظهورك على الشاشة".

٥٠١

حادث طريف يظهر احدى غرائب السلوك الحيواني



عشْنا مع بومتين!

ذات صباح من شتاء ١٩٤٢، عثرت انا وجدي على بويمة رقطاء قرب درج شرفتنا في مدينة ديرادون الهندية. وحين دنا جدي منها والتقطها بين يديه، أخذت تفح وتصوت بمنقارها. إلا انها، بعد وجبة من اللحم النيء وجرعة من الماء، أنست بنا واستقرت تحت سريري.

لا يزيد حجم البويمة الرقطاء، حتى بعد نموها الكامل، على حجم طائر المينة الآسيوي. وهي تخلو من جميع مظاهر الشؤم التي تتميز بها أصناف البوم الاخرى. وغالباً ما تجد زوجاً منها في عش داخل جذع شجرة مانغو او شجرة تمر هندي قديمة. واذا نقرت جذوع هذه الاشجار، فقد تفلح في اقناع الطائر بالخروج من وكره ليطل بوجه كله استفسار وعجب.

CONDENSED FROM THE SUNDAY TRIBUNE (CHANDIGARH), AUGUST 27, 1978

والواقع أن هذا الطائر لا ينفر من الانسان عادة. وهو ليس من الرواسم (الطيور الليلية)، وإن يكن يفضل المكوث في عشه خلال النهار خشية التعرض لطيور تكنّ العداء لجميع اصناف البوم من غير تمييز.

بدا لي ان البويمة الصغيرة ألفت مكانها تحت سريري. وفي اليوم التالي أبصرت فرخ بويمة آخر في المكان نفسه تقريباً على الشرفة. وعندئذ تحققنا، أنا وجدي، من وجود عش غير متقن البناء عند مخرج ماسورة الماء على سطح البيت. ولا شك في ان الفرخين سقطا منه. وأخذنا البويمة الثانية ووضعناها قرب شقيقتها وأطعمناهما.

ولاحظت، عندما أويت الى فراشي تلك الليلة، ان البويمتين اتخذتا حافة النافذة مقراً لهما، داخل الشبكة الواقية من البعوض التي كانت تحول دون خروجهما. وفي ساعة متقدمة من الليل وجدتهما أمهما وراحت تناجيهما، من خارج النافذة، بالدندنة والقرقرة وقتاً طويلا. وفي الصباح وجدت أنها دست لهما، من خلال الشبكة الواقية، ذنب فأر، كأنها لم تثق بأبوة صبي في مثل عمري وبرعايته صغيريها.

خيبة أم — كبر الفرخان. وبعد عشرة أيام خرجت بهما مع جدي عند الفجر لنطلقهما في الحديقة. ووضعت إحدى البويمتين على غصن شجرة مانغو وانحنيت لالتقاط الاخرى. وإذا بشيء يخبط مؤخر رأسي. وبعد لحظة انقضت الام على جدي. لكنه تفادى ضربتها بخفة وسرعة.

تركت البويمة الثانية عند جذع شجرة المانغو، وابتعدت الى مسافة آمنة كي أراقب ما سيحدث. واذا بالأم تحط عند فرخيها وتقودهما بعيداً عنا، وسط العشب الطويل في نهاية الحديقة. وأيقنت أنها ستهاجر مع اسرتها، الى ديار أخرى.

غير أنني ما كدت أخرج من حجرتي في صباح اليوم التالي حتى وجدت ان الفرخين اتخذا من علاّقةالقبعات، عند مدخل الشرفة، مقراً لهما. وطرت فرحاً لأبلغ جدي النبأ. ولما عدنا الى الشرفة وجدنا أن الأم قد حطت فوق حوض حجري،على بعد أمتار قليلة، وراحت تنعب نعيباً خفيفاً وهادئاً:"هوو... هوو"، كأنها تستميحنا عذراً عما بدر منها يوم أمس. وقال جدي:"ارأيت؟ يا لها من أم سمحة! لا ريب في انها تطلب إلينا ان نرعى فرخيها. فربما كبرا كثيراً وتعذرت عليها تربيتهما".

وهكذا غدت البويمتان من أفراد الاسرة الدائمين. وانضمتا الى الطيور والحيوانات الاخرى التي تسكن دارنا. الا انهما، خلافاً لغالبيتها، حظيتا بحب جدتي وعطفها. وهي التي اعترضت من قبل على جميع الافاعي ومعظم القردة وبعض الغربان التي استضافها بيتنا من حين الى آخر.

نكران الجميل — راحت جدتي، من فرط حبها للبويمتين، تطعمهما السباغيتي (المعكرونة). والغريب في الامر انهما احبتا الاكلة وتعلقتا بجدتي تعلقاً عظيماً. حتى انهما كانتا تظهران الود لأي شخص يرتدي فستاناً، مثل عمتي ميبل التيارتعدت

فرائصهما لمجرد رؤيتهما وراحت تركض مذعورة من غرفة الى اخرى وهي تصيح بأعلى صوتها كلما اقتربت منها إحدى البويمتين.

لكن الاغرب من هذا ان البويمتين تناستا رعايتي ورعاية جدي لهما وتنكرتا لنا واخذتا تظهران العداء لكل من لبس سروالا، فتنفشان ريشهما وتنفخان صدريهما استعداداً للنقر. وتحاشياً لاثارتهما، لجأ جدي الى ارتداء أحد فساتين جدتي وقت اطعامهما. وبادرت انا الى لبس إزارها (مريولها). فاستحسنتا ذلك ورضيتا بنا.

كانت جدتي تدعو البويمتين اليها أحياناً، فتنصاعان لندائها باصوات خفيضة ودودة كأصوات هرة مسرورة. لكنهما، لدى سماعهما نعيق البوم البري ليلا، كانتا تزعقان بنعيب يمزق سكون الليل ويكاد يجمد الدم في عروقنا. غير ان نشاطهما الرئيسي في الليل اقتصر غالباً على صيد الصراصير في المطبخ. والحق أنهما كانتا خير مبيد لتلك الآفات بفضل حدة بصرهما ومتانة منقريهما.

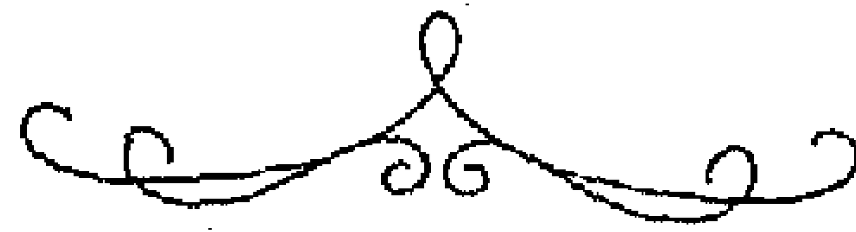
ومن الالعاب المحببة الى البويمتين كان الجلوس في حوض ضحل والتراشق بالماء، خصوصاً اذا سكبنا الماء البارد فوقهما من الابريق. وعندما تبتلان ما فيه الكفاية، كانتا تطيران الى مكان ما وتنفضان الماء عنهما، ثم تعودان الى التبلل والتراشق ثانية.

أما موضع نومهما المفضل، خلال النهار، فكان علا"قمة القبعات عند مدخل البيت. وفي المساء كان المنزل لهما مرتعاً آمناً.

واذ تعود بي الذكرى الى أيام طفولتي، أرى جدتي في كرسيها الهزاز وقد افترشت حضنها بويمة آمنة بسطت جناحيها فوق ازارها. وأذكر أني دخلت غرفة جدتي بعد ظهر ذات يوم، وكانت نائمة. فرأيت بويمة استكنت على وسادتها ودست رأسها تحت أذن جدتي واسترسلت معها في شخير لا ينقطع.

■ راسكين بوند

ولد الكاتب في كاسولي (الهند) عام ١٩٣٤، وهو يعيش الآن في مدينة ماسوري الجبلية، حيث يكرس وقته لتأليف كتب الاطفال. وأول مؤلفاته رواية بعنوان "غرفة على السطح". وقد حاز عام ١٩٥٧ جائزة جون لويلين ريس الادبية.



وزن الافكار

كان المصعد الهرم مليئاً بالركاب الى حد انه رفض التحرك. فخرج منه بعض الركاب بانتظار الرحلة التالية، ومع ذلك لم يتحرك ابداً. واخيراً خرجت منه امرأة صغيرة الحجم، فأخذ المصعد يتحرك. وهنا سمع صوت المرأة يهمهم: "في الواقع اني لا ازن كثيراً، لكن رأسي مليء بالهموم والمشاكل اليوم".

مجلة "المختار الفني".

الصوت الستيريوفوني الذي يَنتقل بأمان .

حيثما تذهب ، لصيد السمك أو صيد الطيور ، الى الشاطىء أو في بيتك ، بإمكانك الإستماع الى البث الستيريوفوني بفضل راديو ومسجل - كاسيت AJ500/FS الجديد ، من إنتاج آكاي .

إن جهاز AJ500/FS ليس جميلاً فحسب ، بل إنك حين تستمع الى نقاوة صوته المدهشة تنساب من المضخّم المزدوج للتردد المنخفض (١٦سنتم) والمضخّم المزدوج للتردد العالي (٥ سنتم) ، ستجزم بأنك وجدت البديل لجهاز هاي فاي الموجود في بيتك .

أمّا الآن فناستمع الى مميزات أخرى لجهاز AJ500/FS نظام IPLS ، مثلاً ، الذي يكتشف أوّل البرنامج المختار ، بفضل مستوى الصوت ومدّة السكوت بين البرنامج والبرنامج . ليتمّ لك ذلك ، يكفي ان تضغط على مفتاح التشغيل وكذلك على مفتاح IPLS ، إمّا للاسراع الى الخلف أو للإسراع الى الأمام ، فيقف الشريط عند بداية البرنامج ثم يشتغل من جديد . وهذه أيضًا بعض الميزات الاخرى لجهاز AJ500/FS سوف تتوقع ان تعثر في الجهاز على عدد أكبر من الوحدات - الثمينة جدا وهي تشتمل على ٣ أوضاع لمنتقي التسجيل (عادي - FeCr-CrO2) ، تسجيل ستيريوفوني من الموجة المعدّلة FM ، نظام تحكم ذاتي بالمستوى ALC ، وميكروفونين مكثفين داخل الجهاز . إذن ، حيثما تذهب ، احمل AJ500/FS واصطحبه معك .

AJ500/FS

الصوت الستيريوفوني الذي ينتقل بأمان .





سمعيات وبصريات

AKAI

AKAI ELECTRIC CO., LTD.
Ohta-ku Tokyo, Japan



اصداء من عالم الطب

التسمم بالعقاقير

ماذا يفعل الاطباء اذا وصلت شابة فاقدة الوعي من الشرق الاقصى وفي حقيبتها اوعية صغيرة تحمل رموزا صينية؟
يتولى مركز حلف شمال الاطلسي دراسة اقتراح امريكي لمعالجة تلك الحالات خلال سنة تقريبا، ويتضمن الاقتراح، في ما يتعلق بخدمات الحالات الطبية الطارئة، دراسة رائدة استغرقت سنتين حول معالجة التسمم، وقد اجريت هذه الدراسة في ايطاليا والولايات المتحدة لمساعدة الاطباء في الحالات الناجمة عن الافراط في تناول العقاقير.

كثير من الناس يصلون الى اوروبا الغربية من الامريكتين او من آسيا وهم على درجات متفاوتة من الانهيار نتيجة تناولهم عقاقير لا يعرفها الاطباء الغربيون، وهي قد تكون مخدرات خطرة او مجرد علاجات عشبية تقليدية، من هنا طورت روما، باعتبارها مركز اسفار كبيراً من الشرق والجنوب، نظاماً متقدماً لتشخيص هذه الحالات وعلاجها ومتابعتها.

ويؤمل ان يدير مشروع حلف شمال الاطلسي للسيطرة على التسمم البروفسور سيرجيو ماغاليني، رئيس قسم مكافحة التسمم في مركز "بوليكلينيكو اغوستينو جيسيلي"، وهو احد مستشفيات روما الكبرى.

"الديلي اميريكان"

اوهام حول الرياضة

يمارس ٩٠ مليون امريكي بالغ شكلا من اشكال التمارين الرياضية سعياً وراء اللياقة البدنية، وقد يفاجأ معظمهم لو علموا انه خلافاً للرأي الشائع:
- يدخن الذين يمارسون نشاطاً رياضياً مثل اولئك الذين لا يمارسونه بانتظام.
- تفيد التقارير ان ذوي النشاط والخاملين ينامون اوقاتاً متساوية.
- يؤكد ٢٣ في المئة من العامة ان لا شيء يمكنه ان يدفعهم الى الانخراط في نشاطات عضلية.

وهذه هي بعض النتائج التي توصل اليها استقصاء امريكي، ان ١٥ في المئة فقط من الامريكيين البالغين يمكن تصنيفهم ضمن "النشاط جداً"، اذ تتمثل رياضاتهم المفضلة في العاب الجمباز والركض وكرة السلة، أما اولئك الاقل حماسة فيفضلون لعبة البولينغ والسباحة والمشي (الذي ما

يزال اكثر انواع الرياضة شعبية) • ومع ان ٥ في المئة من غير النشاط (ذوي المهن المكتبية) قد يمارسون رياضة المشي عام ١٩٧٩ فان هوس المشي يبدو آخذاً في التلاشي• اما الرياضة الاكثر خشونة فلم تعد محبوبة خصوصاً لدى الاباء• ويتنبأ الاستقصاء بان استمرار الآباء في التأثير على ابنائهم سيؤدي الى تقلص الاهتمام بكرة القدم والملاكمة•

س•١٠•

التهموا صودا الخبز!

من المحتمل ان يكون الباحثون في جامعة نبراسكا (الولايات المتحدة) قد توصلوا الى "طريقة ثورية تساعد على التخلص من التدخين وتعتمد مستحضرات الكيمياء الحيوية" • ولا يتضمن العلاج سوى بيكربونات الصودا (صودا الخبز)• وقبل ذلك اكتشف العالم النفسي ستانلي شختر من جامعة كولومبيا ان الاشخاص ذوي النسبة المرتفعة من الحامض في بولهم يدخنون عموماً اكثر من ذوي النسبة المتدنية فالبول المرتفع الحموضة يميل الى طرح المزيد من النيكوتين غير المتحلل خارج الجسم، وهذا بدوره يولد نهماً لتعويض النيكوتين المفقود• اما البيكربونات فتخفض نسبة الحوامض في البول•

واختار العالم النفسي جيمس فيكس والباحث ديفيد دوتون من جامعة نبراسكا، بالتعاون مع جمعية الرئة الامريكية، ٨٨ متطوعاً اكمل ٤٢ منهم التجربة• وقسم هؤلاء الى ثلاث مجموعات حسب الجنس والعمر ومتوسط استهلاك السجائر• وتناولت المجموعة الاولى ما يقارب اربعة غرامات من اقراص البيكربونات يومياً، والثانية غراماً ونصف غرام من فيتامين ج يومياً، ولم تعط المجموعة الثالثة شيئاً•

وتوضح النتائج التي يؤكد فيكس انها أولية ان "من تناولوا البيكربونات حققوا افضل النتائج التي يمكن توقعها سواء من حيث انقطاعهم كلياً او من حيث قدرتهم على تخفيف التدخين" • وفي اثناء الاسابيع الاربعة الاولى من الدراسة اظهر المتطوعون جميعهم ميلا الى تخفيف تدخينهم• بيد ان الاسبوع الخامس شهد تدنياً هائلا في متوسط استهلاك السجائر لدى افراد المجموعة الاولى، بحيث غدا ١٤،٠ سيجارة يومياً، بينما ثبت هذا المتوسط لدى افراد المجموعتين الاخريين عند ٧،٨ سجائر يومياً•

ويقول فيكس ان هذه الدراسة لا تثبت نهائياً قدرة بيكربونات الصودا على معالجة التدخين، كما يحذر من ان تناولها قد يشكل خطراً على بعض الناس كالمصابين بارتفاع ضغط الدم• لكن النتائج تقدم املا•

"اخبار العلم"

عقار متفوق لـ"الغلوكوما"

"التيمولول ماليت" (اسمه التجاري "تيموبتك") عقار جديد واعد، قادر على خفض الضغط الزائد لسائل العين، وهو من علامات المرض المسمى "المياه الزرقاء"• وقد اختبر التيمولول على اكثر من الف مريض في ٢٧ مركزا طبياء في الولايات المتحدة وخارجها، قبل ان توافق عليه ادارة الاغذية والادوية الامريكية• وتوصلت تلك الدراسات الى ان الدواء ذو فعالية عالية في حالات "الغلوكوما" ذات الزاوية المفتوحة (وهو النوع الذي يصيب ٨٠ في المئة من ضحايا الغلوكوما)، من دون ان يترك آثارا جانبية تذكر• وقد تكفي قطرة واحدة منه في اليوم للعين المصابة، فيما يضطر متعاطو الادوية الحالية الى استخدامها تكرارا، وربما مرة كل ست ساعات• ويتقبل كثير من المرضى التيمولول في الوقت الذي لا يتحملون غيره من العقاقير المضادة لـ"المياه الزرقاء"• ولما كان الدواء الجديد لا يؤثر على البؤبؤ، فهو لا يسبب اضطرابا في البصر، كالعمى الليلي والغشاوة، كما يحدث غالبا لدى استخدام العقاقير الاخرى•

"هيلث دايجست"

مجموعة من الاحداث التي ينطبق عليها القول العربي الآتي:

شرّ البليّة ما يُضحِك

اسوأ انتخابات

في العام ١٩٢٨ فاز تشارلز كينغ على توماس فوكنر بمجموع ٦٠٠ ألف صوت في الانتخابات الرئاسية الليبيرية. والجدير بالذكر ان عدد الناخبين في ليبيريا كان ١٥ ألفاً

أسوأ مطلق حديث العهد

قضت محكمة الطلاق، عام ١٩٧٥، يوجين شنايدر من ولاية نيوجيرسي الامريكية ان يتقاسم ممتلكاته مع مطلقته. فما كان منه إلا ان أخذ منشاره الكهربائي الضخم وشق بيته الخشبي، الذي تبلغ قيمته النقدية ٨٠ الف دولار، نصفين.

أسوأ روح نكتة

تزعم الروايات أن كل من كان يقص خبراً مضحكاً على الفاتح المغولي تيمورلنك (١٣٣٦ - ١٤٠٥) كان يقتل على الفور.

اسوأ خطأ فني

بقيت لوحة الرسام هنري ماتيس "القارب". معلقة رأساً على عقب شهراً ونصف شهر خلال عرضها عام ١٩٦١ في متحف نيويورك للفن الحديث.

اسوأ انطباع أولي

عندما دخل جيمس غوردون بينيت



(جونيور) منزل أهل خطيبته في نيويورك يوم رأس السنة عام ١٨٧٧، كان لا يزال يترنح من أثر السكر في الليلة السابقة.

وسرعان ما نسي والدا الخطيبة الصبية أمر تأخره بعدما تهادى الى غرفة الجلوس وبال على مدفأة الحطب فانطفأت نارها.

وفسخت العائلة الخطبة على أثر ذلك الحادث، مضحية بالملايين التي ورثها بينيت.

أسوأ هدف للاغتيال

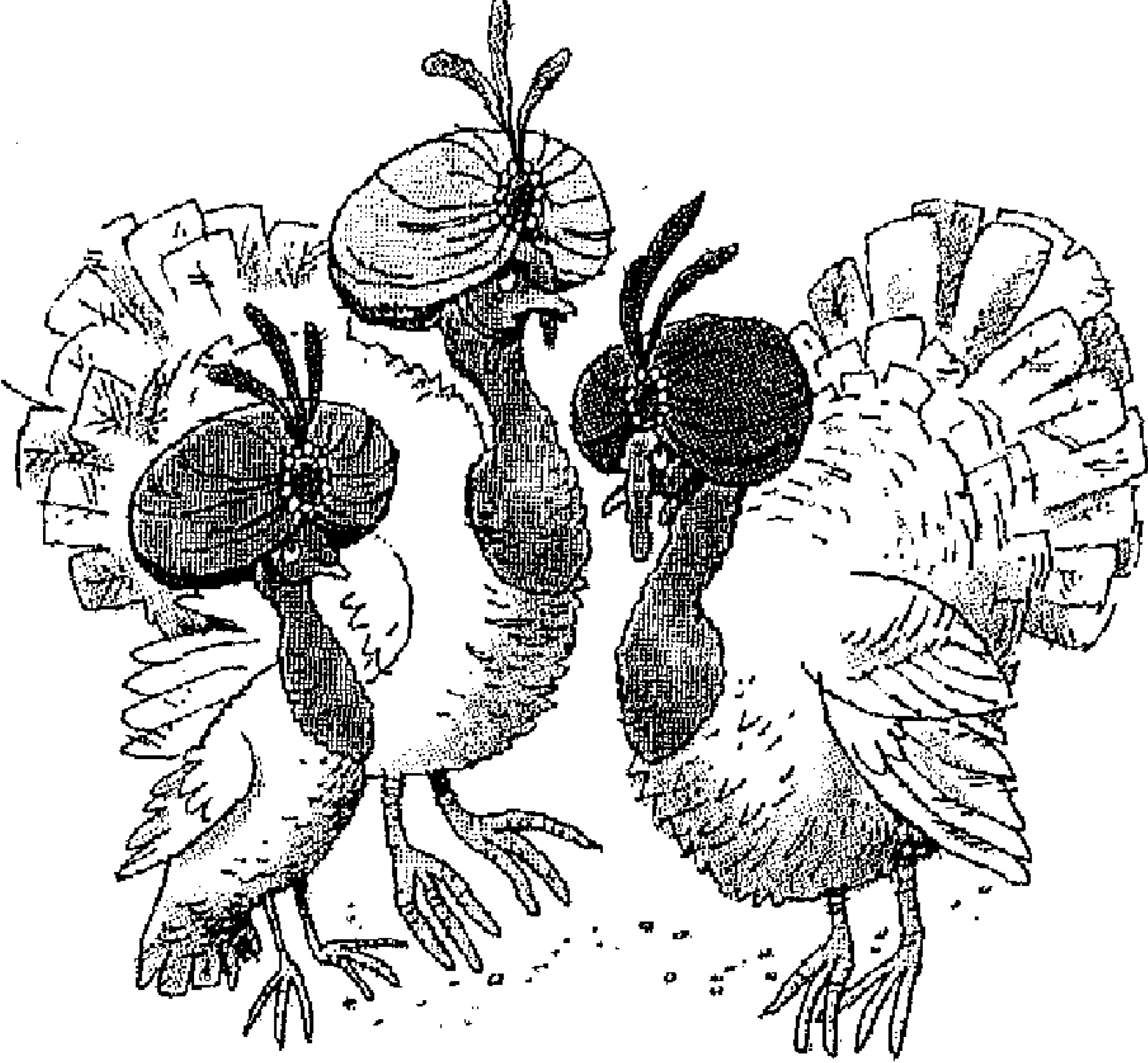
في أحد أيام ١٨٥٨، القيت ثلاث قنابل على العربة الامبراطورية التي كانت تقل نابوليون الثالث وزوجته، بقصد قتلهما. لكن القنابل أهلكت عدداً من حرس الشرف، فقتل ثمانية وجرح مئة وخمسون، فيما لم يصب الامبراطور بأدنى أذى.

أسوأ غرام بالمراسلة

بين العامين ١٩٠٦ و ١٩٠٨، نشرت بيل غانيس من ولاية انديانا عشرات الاعلانات في صحف مختلفة تحت باب التعارف والزواج. وفي تلك الاثناء قتلت بيل بين ١٤ و ٣٧ من الرجال الذين استجابوا لاعلانها بعدما ناولوها المال الذي كانوا يحملونه. وكانت تدس لهم السم ثم تدفنهم في أرضها بعد تقطيعهم إرباً إرباً. لذلك لم يعرف عددهم الصحيح.

أسوأ عالم وراثة

ايغناتس فون رول مزارع الماني يربي الدجاج الرومي (الحبش).



وذات يوم وضع على رؤوس فراخه عمامات تركية صغيرة، ظناً منه أن الفراخ، عندما تلد، ستعطي ذرية ذات عمامات على رؤوسها.

أسوأ خطأ معماري

بعد انجاز "فندق هوارد الجديد" في بالتيمور عام ١٩١٤، تولى العمال اضرام النار في موزع الحرارة ولكن سرعان ما اكتشفوا انهم نسوا إقامة مداخن في البناء.

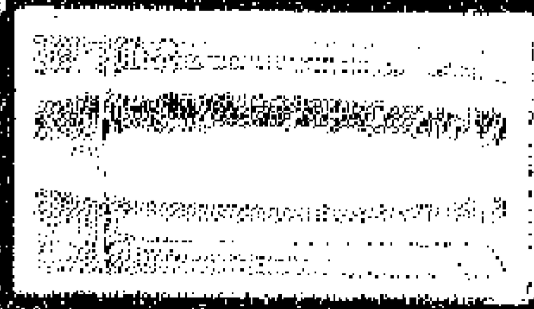
■ ستان لي

عند البطون...

حاولت المسؤولة عن غرفة حفظ المعاطف والقبعات في احد المطاعم تهدئة زبون غاضب ادعى انه فقد قبعته، فقالت له: "سيدي، اني متأكدة من دخولك المطعم فارغ الرأس".

م.ن.ب.

كولورباريست للتصوير الفوري

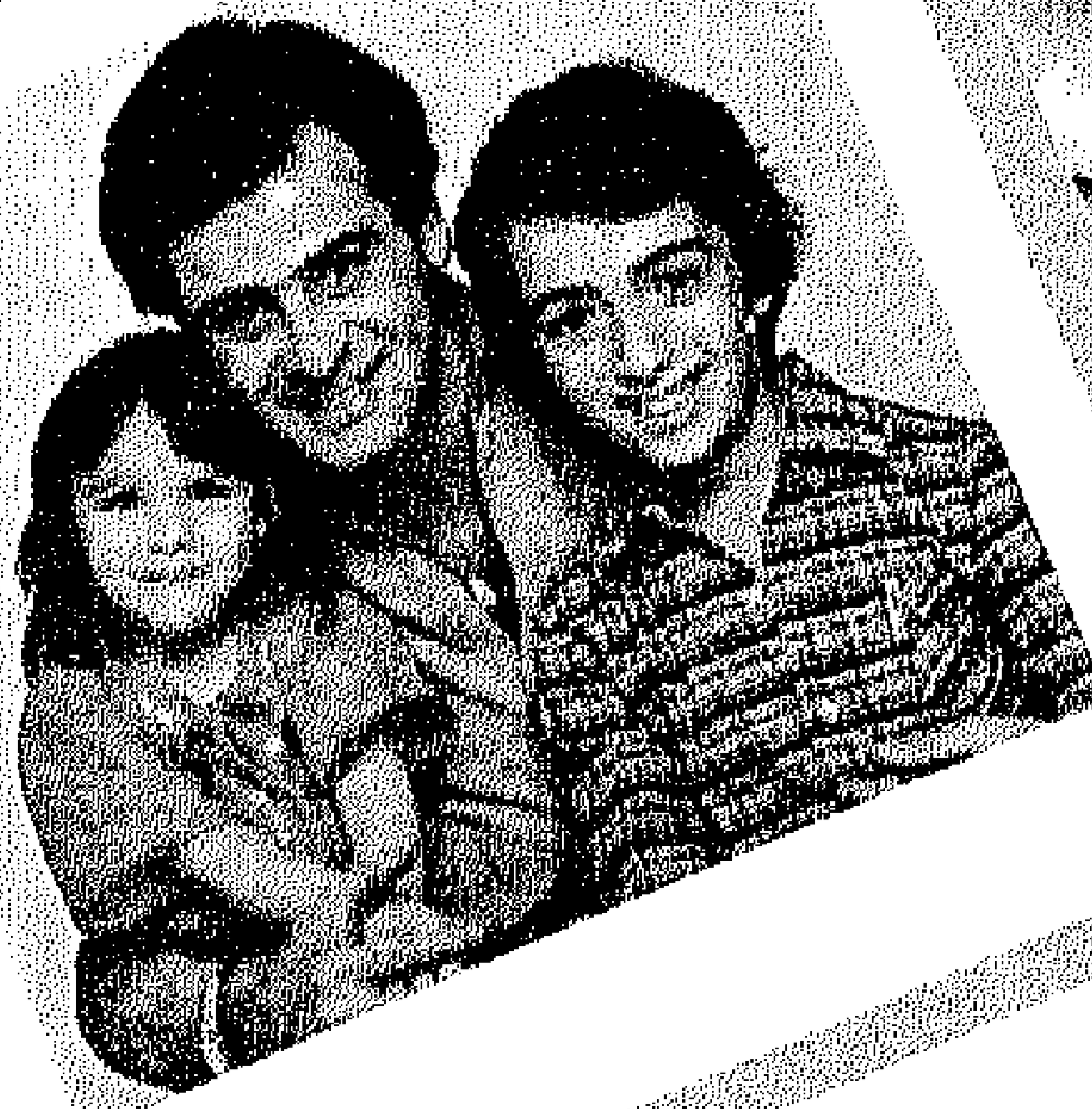












"لا يجوز للفنان ان يظل سجين نفسه وأسير نهج واحد ومقيداً بدوافع الشهرة"
هنري ماتيس

الرسم بالمقص

PHOTO: JACQUELINE HYDE, PARIS



العارية الزرقاء ذات الجوارب الخضر ١٩٥٢.
(مجموعة خاصة).

"كثيراً ما يذكرني إعمال المقص في اقتطاع الالوان بإعمال الازميل في نحت التماثيل". هذا ما قاله الرسام الفرنسي الشهير هنري ماتيس عام ١٩٤٦ عن نهجه الفني الاخير القائم على الاشكال الورقية المعدة للقطع والتلوين.


كان ماتيس آنذاك في عامه السادس والسبعين. وقد أجريت له، سابقاً، جراحة خطيرة اضطر معها الى البقاء فترات متواصلة في فراشه او في كرسيه المتحرك. وعلى رغم ذلك، فقد تمكن ماتيس من انتهاج اسلوب فني - كان جديداً في اوائل الاربعينات - سماه "الرسم بالمقص".

وكان مساعدو ماتيس يعدون له قصاصات ورقية مصبوغة بالالوان المائية القاتمة (الغواش)، فيتناولها

هنري ماتيس في دارته "الحلم" في فانس - فرنسا.

CAMERAPHOTO. VENICE





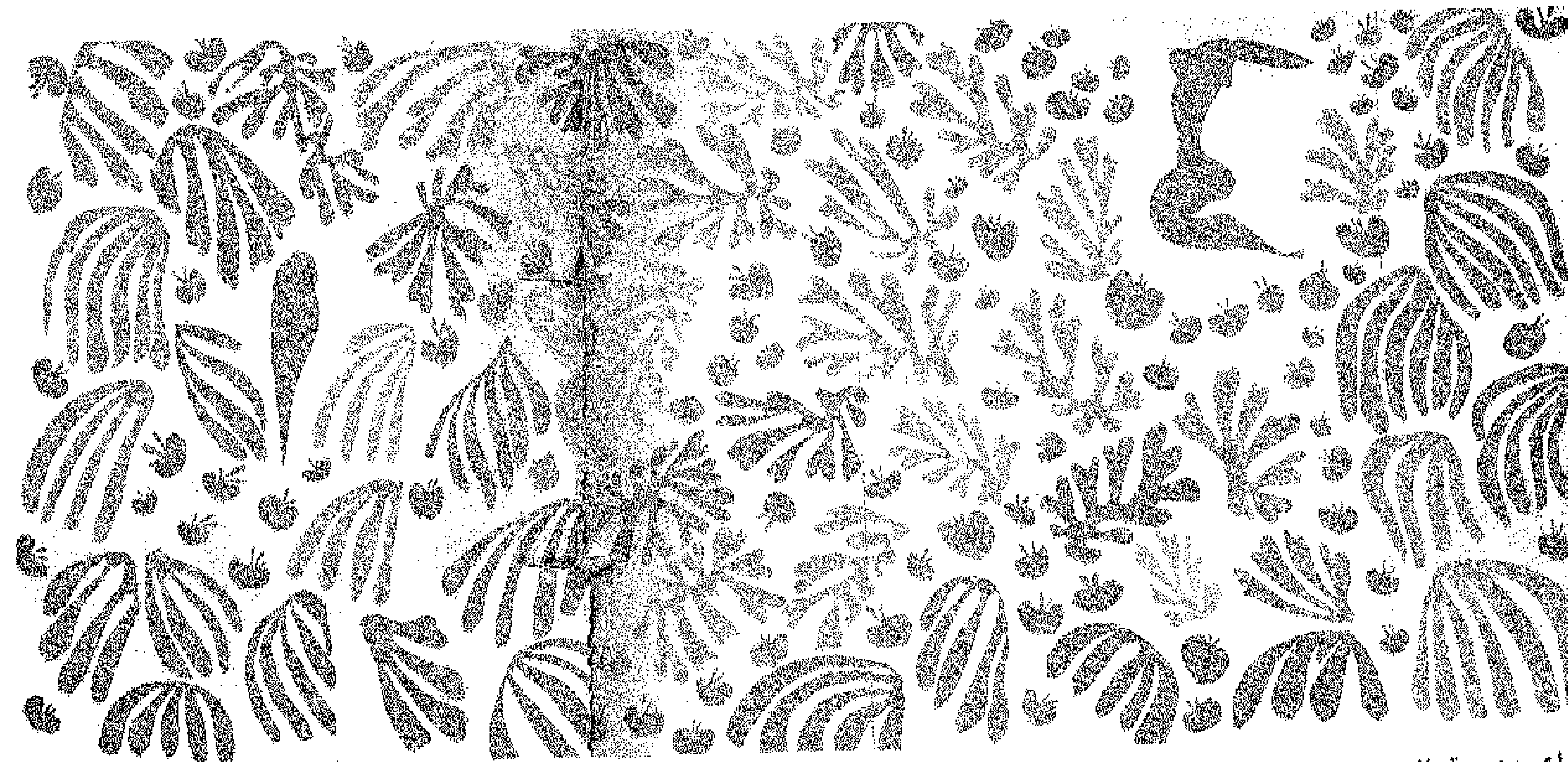


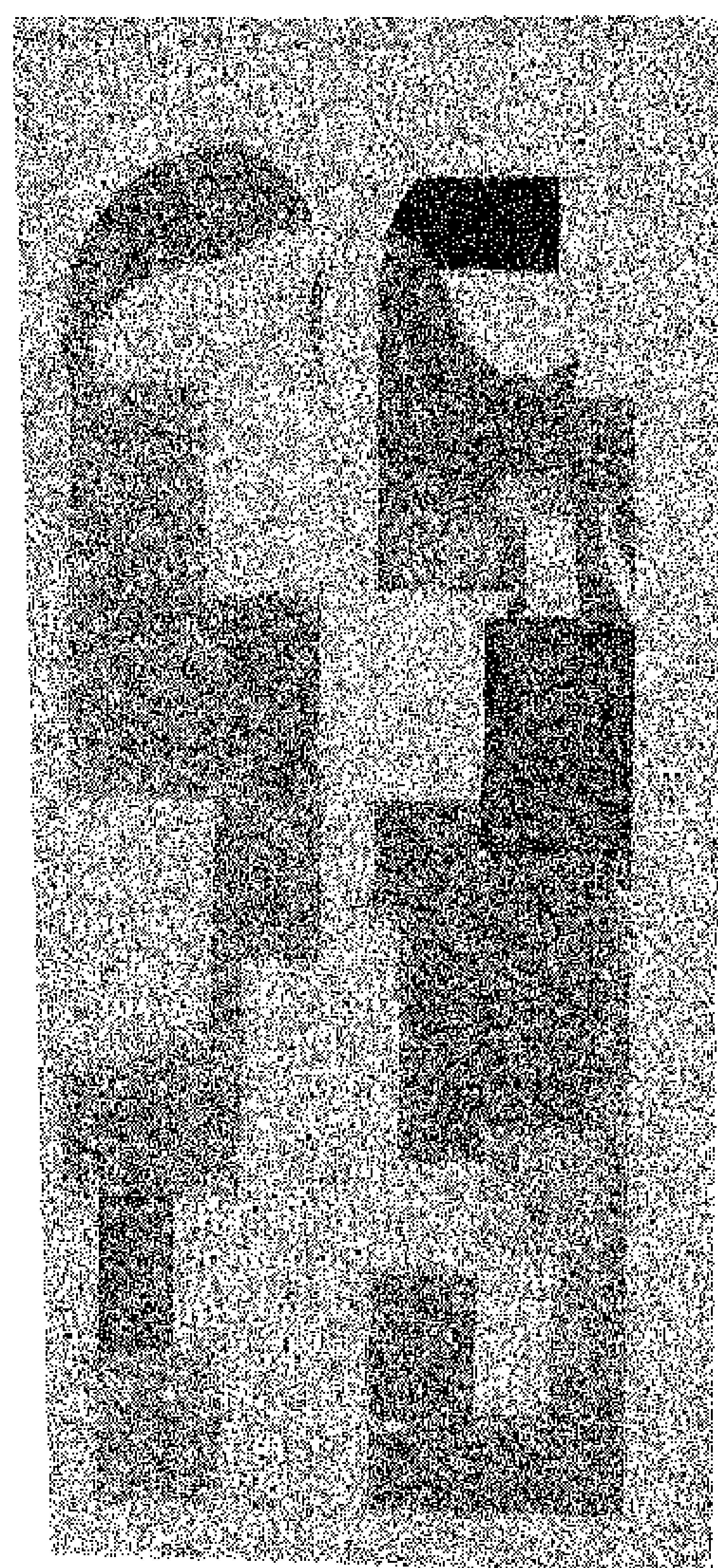
PHOTO: STEDELIJK MUSEUM AMSTERDAM

الببغاء وحورية البحر ١٩٥٢.
قال ماتيس عن هذه القطيعة التي تشغل ست لوحات، كل منها في حجم جدار الغرفة، "نظرا الى ان حالي الصحية تضطرني الى لزوم فراشي في غالبية الاحيان، فقد رأيت ان أقيم حولي حديقة صغيرة".
(مجموعة متحف ستيديليجك في امستردام - هولندا).

PHOTO: JACQUELINE HYDE, PARIS



راقصان ١٩٣٧ - ١٩٣٨.
دراسة لعلها اعدت لستار خاص برقصة الباليه "الاحمر والاسود". وهي صممت على ورق مقوى، وتبدو فيها دبابيس التثبيت. (مجموعة خاصة).



القدس مدينة السماء ١٩٤٨.
نموذج لنافذة القبة في كنيسة الوردية في بلدة فانس - فرنسا. (مجموعة خاصة).
ان تصميم الالوان يبرزها وسط اللونين الاسود والابيض في الكنيسة.



مهرجان ١٩٤٧ ·
ان تصميم اذرعة المهرجين وارجلهما المتشابكة جعل مساعدي ماتيس يطلقون على القطعة لقب "البندورة"، او الطماطم· (مجموعة خاصة)·

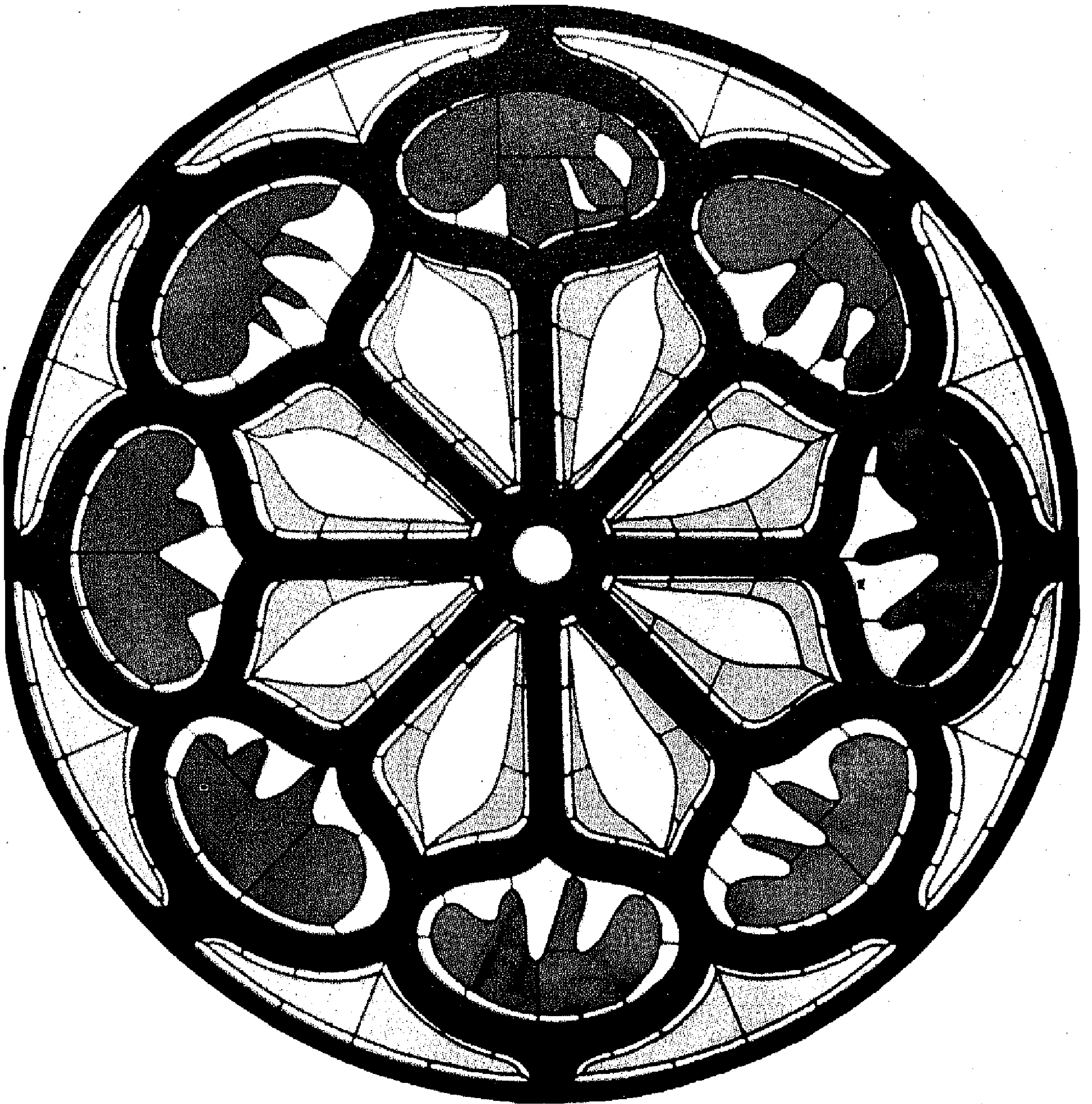
بولينيزيا - البحر ١٩٤٦·
نموذج لسجادة في مجموعة "موبيليه ناسيونال"، باريس· وقد زار ماتيس اوقيانيا عام ١٩٣٠ وظل يكن لها الحنان·





وحوش البحر ١٩٥٠.
الواح مقطعة توحي بالحياة
في قاع البحار.

• PHOTO LEE BOLTIN



وردة (نافذة كنيسة الدريتش روكفلر التذكارية) ١٩٥٤.

في البداية رفض ماتيس عرضاً لتصميم وردة النافذة الزجاجية
لان صحته تحول دونه وزيارة المكان، الا انه ما لبث ان بدل رأيه
عندما ارسل اليه آل روكفلر صوراً وتصاميم للكنيسة.
وقبل وفاته بيومين ارسل ماتيس كلمة الى آل روكفلر
يبلغهم فيها انه انهى تصميم النافذة. (نفذ التصميم بول بوني).

بمقصه الرشيق ·ويقتطع منها ،في لمح البصر، اشكالا مختلفة لراقصات وأجساد عارية وزهر وطير وسمك وغيرها. وهو قال: "ان ما حملني على تبني الاشكال الورقية المعدة للقطع والتلوين هو حافز الجمع بين الرسم والتلوين في حركة واحدة".

ولما كان جمع القطع الورقية الكبيرة امراً يستغرق بعض الوقت، فقد كان الفنان المريض العاجز يشير بعصاه الى معاونيه ويرشدهم الى طريقة تثبيت العناصر المختلفة على قصاصات من الورق العادي او المقوى ووضعها على حاملة الرسوم او على جدران محترفه. وعندما تتحقق له الغاية الفنية المقصودة، كان يوعز بإلصاق عمله الفني على خلفيتها.

شفافية وجمال - اقترح احد الناشرين الباريسيين على ماتيس فكرة اصدار كتاب، فاسفر ذلك عن نشر "جاز"، وهو مجموعة من ٢٠ لوحة ملونة تتناول الفولكلور ومسارح المنوعات (ميوزيك - هول) والسيرك والرحلات، اضافة الى نسخة طبق الاصل عن نص مكتوب بيد الفنان. وتقدر قيمة النسخة الواحدة من الطبعة الاصلية لهذا الكتاب بنحو ٢٠ الف دولار.

كان هذا المشروع نقطة تحول في تطور فن ماتيس. وهو اشار الى ذلك قائلا: "ان كتاب "جاز"، بقصاصاته الملونة، هو الباعث على ولادة النوافذ الزجاجية الملونة التي انتجتها في ما بعد". ومن بين هذه النوافذ الملونة، تجدر الاشارة الى تلك التي صممها لكنيسة "الوردية" الشهيرة في بلدة فانس جنوب فرنسا، حيث اعد ماتيس تلك القطائع المذهلة التي اتخذت نماذج للزجاج الملون لنوافذ الكنيسة الثلاث وللاثواب الكهنوتية الستة وباب القربان.

وقد اقيمت المعارض في الخمسينات لقطائع ماتيس في باريس وبرن واستوكهولم ونيويورك وغيرها من المدن الكبرى، فتركت صدى عميقاً في الأوساط الفنية العالمية، واعتبرها ماتيس افضل اعماله. وقال فيها: "تلك ابسط الطرق واسرعها للتعبير عن ذاتي".

وعندما توفي ماتيس في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٥٤، كان عدد القطائع التي انتجها يزيد على ٣٠٠. وقد راوحت احجامها بين حجم صفحة الكتاب الكبير، مثل تلك التي ضمها كتاب "جاز"، وحجم الغرفة الكاملة، مثل لوحة "الببغاء وحورية البحر". وحرص معظم المتاحف الكبرى للفن الحديث، كذلك العديد من كبار الهواة، على استكمال مجموعاتهم بقطائع ماتيس. كما اقيم اخيراً في الولايات المتحدة الامريكية معرض ضم ٥٨ من هذه الروائع.

ظل ماتيس مكباً على العمل حتى نهاية حياته. فأتم، قبل وفاته بأيام، قطيعته الاخيرة للنافذة الوردية الشكل في كنيسة الاتحاد في بوكانتيكو هيلز (نيويورك). وكان يقول: "لكم وددت ان تتحلى اعمالي بشفافية الربيع وبهجته، بحيث لا يتبين احد ما تطلبته من جهد". ولعل تلك القطائع التي ابتدعها هي المثل الواضح على ذلك.

■ ايفون فوركاد

كتاب الشهر

حوار مع ناس في العالم الآخر!

ملخص من كتاب بقلم جون فولر

حوار مع ناس في العالم الآخر!

الغوامض التي اكتنفت الكابتن رايموند هنشكليف ومركبته الجوّية من طراز "ر-١٠١" في اواخر العشرينات وأوائل الثلاثينات من هذا القرن خلفت أصواتاً لها رجعى في زماننا. واذا كانت تلك الغوامض لا تزال خفية، إلاّ ان المؤلف جون فولر يبوبها ويبسطها في تسلسل كامل وانسجام دقيق يفضيان به الى تدوين سفر آسر يعدّ من أفضل السجلات الوثائقية في ميدان الاختبارات الروحية الخارقة للطبيعة في الأزمنة الحديثة.

وفي معرض حديثه عن هذا الكتاب، يقول تشارلز غيبس - سميث، استاذ تاريخ الفضاء سابقاً في قسم بحوث ليندبرغ التابع لمتحف الجو والفضاء الامريكي، ما يأتي:

"كان لا بد من تأليف هذا الكتاب. وإني أشعر بامتنان عميق لظهوره في خريف حياتي وحياة ابناء جيلي. واعتقد انه سيصبح من اعظم المراجع للدلالة على استمرار الوجود البشري بعد الموت".

وقع صباح ١٣ مارس (آذار) ١٩٢٨ ما أطلق العنان لسلسلة من الأحداث قادت عدداً كبيراً من المتبصر ّين ذوي الفطنة، وحتى من المشككين، الى استنتاج ان ثمّة حياة بعد الموت.

بدأت تلك الأحداث في بلدة غرانتام الانكليزية، وفي مكان لا يبعد كثيراً عن نقطة انطلاق اولئك القوم الذين شرعوا قبل نحو ٣٠٠ سنة من ذاك التاريخ بتأسيس مستعمرتهم على خليج ماساتشوسيتس. ويجمع بين الحدثين هدف واحد مشترك، هو: رحلة آمنة الى "العالم الجديد"، مع فارق انها، في هذا العصر، تتم ّ على متن طائرة ستينسون الاحادية السطح المسماة "المسعى" - ولكم كان هذا الاسم لائقاً بها. أما الطيار الذي سيتولى قيادتها الآن فهو الكابتن رايموند هنشكليف الذي لم ينجح أحد قبله في رحلة كهذه، بل لاقى كثيرون حتفهم في المحاولة.

كان هنشكليف من أعظم الطيارين المحنكين في زمانه . وقد اسقط في الحرب العالمية الأولى سبع طائرات المانية وحاز وساماً من أرفع الأوسمة البريطانية، هو وسام صليب الطيران. وقد أصيب برصاصة المانية أفقدته حاسة البصر في عينه اليسرى، فوضع فوقها عصابة لازمته حتى آخر أيامه. لكنه، على رغم اصابته، استطاع ان يحقق ٩٠٠٠ ساعة طيران مع الخطوط الجوية التجارية بعد الحرب.

وبدا ظاهرياً ان هنشكليف سيصحب في رحلته الجوية الى العالم الجديد رفيقه الطيار الكابتن غوردون سينكلير الذي كان مثله، في الثلاثينات من عمره، ومفعماً بالحماسة العارمة للتحليق في الجو التي تميزت بها تلك الحقبة الأولى من تاريخ الطيران. بيد أن رفيقه الحقيقي - بل الحري ان نقول رفيقته الحقيقية - هي إلسي ماكيه، الممثلة البارعة الممتلئة حيوية. وهي، الى ذلك، فارسة لها على ظهور الخيل صولات وجولات، فضلا عن كونها مهندسة بحرية احترفت الطيران. وأكبر من هذا وذاك انها أغنى الوريثات في انكلترا. فأبوها جيمس ليل ماكيه هو اللورد انشكيب، قطب شركة الملاحة "بي آند أو".

كان هنشكليف قد عقد العزم منذ سنوات على ان يقهر المحيط الاطلسي طيراناً. ولم يحفزه على ذلك طلب المجد وحده، بل كان يبغي أيضاً تأمين المال والضمان الاجتماعي له ولزوجته التي يحبها ولسائر افراد اسرته. ولهذا قدّر هنشكليف احتياجاته المادية بعناية وحرص، طالباً عشرة آلاف جنيه استرليني اجراً لرحلته، وهو مبلغ كان يُعدّ في العشرينات ثروة طائلة.

ومن ناحية اخرى، أقنعت السي ماكيه المسؤولين في وزارة الطيران البريطانية بأن يُعرّفوها على هنشكليف، واستحلفتهم كتمان الأمر لأنها كانت تطمح الى ان تكون المرأة الاولى التي تعبر الاطلسي جوّاً. ولو درى والدها سرها لبذل قُصارى جهده في ردعها واحباطها.

وهكذا تكفلت ماكيه بالضمانات المالية للرحلة، وأمّنت على حياة هنشكليف بمبلغ عشرة آلاف جنيه. وحين بحث هنشكليف المشروع مع زوجته اميلي، اتفقا على ان ّ الوقت قد حان: فإما الاقدام الآن واما

الاحجام أبداً، اذ من المؤكد ان تضعف حاسة البصر في عينه السليمة وتؤثر على مستقبله كطيار في الخطوط الجوّية التجارية، ناهيك بأنه قد يحقق الفخار لبلاده انكلترا والعزّة والدعة لأسرته، باعتباره اول طيار يجتاز المحيط الاطلسي جواً من شرقه الى غربه بعدما قطعه ليندبرغ من الجهة المعاكسة.

غير ان جوهر المسألة كلها هو موضوع التأمين على حياته. واذا ما وقع شرّ الاحتمالات طرأ، فلن تُسدّ ابواب الحياة الكريمة في وجه اميلي وطفلتيها. والحق ان احتمال وقوع مأساة قد خطر في بالهما. ولم يكن الدين يلعب في حياتهما دوراً كبيراً. ومن المرّات النادرة التي تطرقا فيها الى ذكر الدين تلك المناسبة التي طالعا فيها مقالاً نشرته صحيفة "الصنداي اكسبرس" اللندنية حول استحضار الارواح واحتمال استمرار الحياة بعد الموت.

والجدير بالذكر ان تلك الفترة التاريخية تميزت بعزوف السير آرثر كونان دويل عن متابعة تأليف روايات شرلوك هولمز وانكبابه على اكتشاف الميدان النفسي. كما تميزت باقتناع الفيلسوف الفرنسي الكبير هنري برغسون، الحائز جائزة نوبل، باستمرار الحياة بعد الموت، وبدراسات كارل يونغ للظواهر الروحية التي خلفتفي نفسه انطباعاً قوياً عن واقعيتها جعله يحثّ الآخرين على دراستها علمياً. وقد كتب سيغموند فرويد نفسه في إحدى رسائله: "لست واحداً من اولئك الذين يستهجنون منذ البداية دراسة ما يُسمى بالظواهر النفسية الخفية على اعتبار أنها ظواهر غير علمية او تافهة او حتى خطرة".

على ان هنشكليف وزوجته بحثا المقال في صحيفة "الاكسبرس" باقتضاب. وأسرّ هنشكليف في حينه الى زوجته عن حقيقة مشاعره ازاءها، قائلا انها "هراء محض".

لقد انقضى الآن نحو اسبوعين على بداية شهر مارس (آذار)، ولا يزال هنشكليف عاكفاً على فحص طائرته واعادة التدقيق فيها، الى ان آزفت الليلة الثانية عشرة من الشهر فبات مستعداً للرحيل. وما ان أطلّ صباح اليوم التالي حتى كانت "المسعى" ترتجف كالريشة في مهب الريح العاتية فوق المدرج العشبي المقفر في مطار كرانويل قرب غرانتام، بانتظار ساعة الصفر.

كان غوردون سينكلير، شريك هنشكليف الاسمي في تلك الرحلة، اول من صعد الى متن الطائرة. وفي تمام الثامنة والدقيقة الخامسة والثلاثين، صعدت السي ماكيه وحلت مكانه في قمرة القيادة المكتظة. وبعدها اعتلى هنشكليف هيكل الطائرة التي راحت تتهادى بثقل فوق المدرج الى ان أقلعت متعالية فوق سطح الأرض ثم غابت في أبعاد الفضاء.

اما الاتصال التالي الذي تمّ من جانب هنشكليف بعدئذ فكان على مقدار من الغرابة يتعذر معه التصديق حتى بعد اجراء فحوص صارمة للظروف التي احاطت بذلك الاتصال.

حلم المستقبل

على رغم النجاح الذي حققه ليندبرغ أخيراً وما تبعه من حرارة

الجهود الرامية الى تقليد مأثرته، فان الناس في العشرينات من هذا القرن لم يعيروا اهتماما بالغاً للآلات الصغيرة التي لم تتفوق كثافتها على كثافة الهواء إلا قليلا، ولم يعتبروها وسائل صالحة للتنقل عبر مسافات شاسعة. ولا غرو في ذلك - فأيّ مسافر عبر المحيط سيتشوّق الى زج نفسه وسط اسطوانات البنزين وغيرها من لوازم الطيران ليجلس فوق كرسي صلب داخل طائرة في حجم الفراشة؟

من هنا كان الأمل الوحيد في الطيران هو بناء منطاد او مركبة فضائية متينة قابلة للتوجيه. وبدا ان في الامكان صنع مركبات جوية على نمط طائرات زبلين الالمانية التي حملت الرعب والدمار الى لندن إبان الحرب الأخيرة، وادخال تحسينات عليها لتغدو وسائل ذات حمولات معقولة لقطع المحيط الاطلسي.

وبحلول العام ١٩٢٨، اوشكت بريطانيا، التي كانت تنافس كلا من الولايات المتحدة والمانيا في ميدان الطيران، على الانتهاء من بناء اضخم مركبتين جويتين من نوعهما في العالم، وهما "ر-١٠٠" و"ر-١٠١" اللتان حملتا جلّ آمال عصر الامبراطورية الجوي، وهي الآمال في تقريب المسافات بين اطراف الامبراطورية بحيث يتمّ الوصول الى الهند في خمسة ايام او ستة، والى كندا في ثلاثة أيام، والى اوستراليا في عشرة ايام. وهكذا تجسد مشروع بناء فنادق هوائية ضخمة بعدما كان حلماً من احلام اليقظة. وها ان العمل على بناء "ر-١٠١" التي يبلغ طول هيكلها ٢٢٣ متراً قد بلغ الآن مرحلته الثالثة والأخيرة.

وتجدر الاشارة الى ان الميجور اوليفر فيليبيرز، كبير المساعدين في سلك المخابرات في وزارة الطيران، كان، ساعة اقلاع "المسعى" في مغامرتها الجوية الخطرة، منهمكاً جداً في اشغاله. فقد توجب على هذا الرجل الذي يناهز الرابعة والاربعين والذي تزين صدره اوسمة عدة تقديراً لبطولته في الحرب، ان يلّم بكل شاردة وواردة متعلقة بشؤون الطيران وتطوره في ارجاء الامبراطورية كلها. وما كاد بناء "ر-١٠١" ينتهي حتى اقتضى ذلك منه مزيداً من التنبه واليقظة، خصوصاً لأن رئيسه السير سفتون برانكر، نائب ماريشال الجو ومدير الطيران المدني، رجل برم ضيق الصدر، وكثيراً ما يفاجئه رافعا نظارته ذات الزجاجة الواحدة في الهواء وصائحا به: "أف منك ايها الرجل! ألا تستعمل عقلك؟".

والحق يقال ان جزءاً من تلك الضغوط التي تراكمت على كاهل فيليبيرز لم تكن سوى نتيجة لتولي الحكومة بناء الطائرة "ر-١٠١" بينما كانت شركة "فيكرز" المدنية تتولى بناء الطائرة "ر-١٠٠". ولم يُخف وزير الدولة للشؤون الجوية اللورد طومسون، وهو من مقاطعة كاردينغتون، حقيقة مشاعره في إيثار الطائرة الحكومية. وازداد من جرّاء ذلك أوار المنافسة بين القطاعين الخاص والعام.

على ان ثمة سبباً آخر في إلحاح الحكومة، وهو ان اللورد طومسون، المعتد بنفسه، كان يصبو الى تقلد منصب نائب الملك في الهند. ولهذا اراد ان تقلع به الطائرة الحكومية الى بلاد الهند في أقرب فرصة.

وفي أثناء هذه الفترة كانت هناك امرأة في الثلاثينات من عمرها، دكناء الشعر دافقة الحركة، استرعت اهتماماً كبيراً من كبار المفكرين. اسم هذه المرأة ايلين غاريت، وقد مرّت في طفولتها بتجربة مريعة من الاستبصار او القدرة على معرفة المستقبل. وحين شبّت بدأت ترى بعين مخيلتها مشاهد من حيوات اشخاص عرفتهم، معكوسة بالألوان على شاشة فضية باطنية. وعلى سبيل المثال، فقد رأت خلال حضورها حفلة عشاء صاخبة في فندق "سافوي" في لندن ايام الحرب العالمية الأولى مشهد انفجار قنبلة مزّقت زوجها أشلاء. وبعد مرور يومين على تلك الرؤية، أكدّت لها وزارة الحربية صحّة مشاهدتها.

شعرت ايلين بقلق عظيم ازاء هذه القدرات الظاهرة لانها كانت امرأة واقعية تتخذ من النتائج العملية مقياساً لتحديد قيمة الظواهر وصدقها، فضلا عن كونها مفكرة لها اصدقاء ومعارف، من بينهم عمالقة امثال جورج برنارد شو ود.هـ. لورنس وجيمس جويس وهـ.ج. ويلز وروبرت غريفز وكارل يونغ والدوس هكسلي ووليم بطلر ييتس وآرثر كونان دويل وآخرين كثيرين. ومع ان ثقافتها لم تكن اكاديمية، الا انها كانت تضارعهم بديهة وادراكاً.

وقادتها رغبتها في التحليل النفسي الى العالم الاسكوتلندي هيوات ماكنزي المتقد حماسة لعلوم النفس، وهو مؤسس "الكلية البريطانية لعلم الاستجابات للمؤثرات الروحية الخارقة للطبيعة". وكان هيوات في البدء ينزع الى التشكيك، غير انه اقتنع تدريجاً بصحة الظواهر النفسية الخارقة والحياة بعد الموت وامكان الاتصال مع الموتى. بيد انه ظلّ، على سالف عهده، متعنتاً، شديد التمسّك باعتراضاته على كل ما قد يبدو تحايلا او خداعاً في هذا المجال. وبين العديد من الوسطاء - وهم اولئك الذين يتمتعون بملكة الاستجابة لمؤثرات نفسية خارقة - كانت ايلين غاريت الوسيط الذي اثار اهتمامه اكثر من سواه. وقد يكون سبب ذلك رفضها الخزعبلات ورغبتها مثله في التوصل الى معرفة الحقيقة.

وذات يوم كانت ايلين تمشي في حدائق هولاند بارك في لندن، واذا بها ترى في مخيلتها مركبة عملاقة تنبلج من بين الغيوم وتتهادى غرباً ببطء، ثم تجنح وتتأرجح وتغوص في اتجاه الارض فيما كانت تنبعث من هيكلها سحب الدخان التي ملأت قمرة القيادة وخزانات الوقود تحت الجناح. وتغيب الطائرة أخيراً في غياهب السحب التي اكتنفتها. وأحسّت ايلين لتوّها بالخدر يدبّ في أوصالها ويكاد يُفقدُها كلّ احاسيسها من جرّاء الصدمة. ومما زاد في هول المشهد تذكرها رؤية منظر مماثل قبل عامين فقط من ذلك التاريخ، اي عام ١٩٢٦، حين خرجت في نزهة مع كلبها الى حدائق هايد بارك. ولهذا أخذت ايلين تتفقد اعمدة الصحف طوال الاسبوع التالي بحثا عن نبأ سقوط طائرة، فلم تجد له اثراً. فتعاظم اضطرابها واخذت تتساءل عما اذا كانت رؤيتها استبصاراً آخر فحسب، ولكن في زمان لا صلة له بالحاضر، ولذلك فليس له تفسير منطقي يتقبله العقل.

لم تحلق في زمن تلك الرؤية اي طائرة في سماء بريطانيا ٠ ولم تكن تفاصيل رؤية ايلين غاريت مطابقة لما حلّ بالكابتن هنشكليف وطائرة ستينسون الخفيفة٠ ولكن سنرى كيف ستتلاقى تلك المركبات الجوية وهؤلاء الطيارون مع الأيام عبر هذه القدرة العجيبة التي تتمتع بها ايلين غاريت٠

"انا يائس٠٠٠ ضائع"

ما ان غابت طائرة هنشكليف عن الأنظار حتى عاد غوردون سنكلير ادراجه وانضم الى زوجته والى اميلي زوجة هنشكليف٠ ولم يكن على متن "المسعى" اي جهاز اتصال بالراديو، مثلها في ذلك مثل "روح سانت لويس"، طائرة ليندبرغ الذي اجتاز المحيط من شاطئه الغربي٠ ولهذا لم يبق امام المودعين سوى الانتظار لسماع كلمة من ايرلندا عن رؤية الطائرة او تلقي اشعار من إحدى السفن التي تمخر عباب المحيط٠

وفي تمام الاولى والنصف بعد الظهر شاهد كونتي كورك، حارس منارة مايزن هيد، طائرة احادية السطح تطابق اوصاف "المسعى"٠ وادخل هذا النبأ، على اقتضابه، فرحاً عظيماً في نفس اميلي٠ وأمكن بعد ذلك التقاط نبأ آخر بثته احدى السفن البخارية الفرنسية، جاء فيه ان البحارة أبصروا، وهم يقاومون هوج العواصف وتساقط الثلج، طائرة تحلق على ارتفاع خفيض٠ وبعد ذلك ساد صمت مطبق٠

وفي تمام الثانية من صباح ١٤ مارس (آذار)، اي بعد مرور قرابة ١٨ ساعة على اقلاع "المسعى"، كان ريفرز أُولدميدو، وهو قائد سرب في سلاح الجو الملكي البريطاني، ورفيقه الكولونيل ج٠ل٠ب٠ هندرسون، يمخران عباب الماء على ظهر سفينة الركاب "بارابول" التابعة لشركة "بي آند أو" شمالا في اتجاه انكلترا٠ وكانا آنذاك في موقع ما جنوب جزر الكناري٠ وهما صديقان حميمان لهنشكليف، وغالبا ما كانا يدعوانه "هنش" تحبباً٠ لكنهما لم يسمعا برحلته مطلقاً٠

ومن المعروف ان الكولونيل هندرسون كان يتميز ببصيرة قوية حين ينظر الى الصور الفوتوغرافية التي يظهر فيها رهط من الناس، فيميز من كان منهم على قيد الحياة ومن وافته المنية٠ إلا انه كتم امر قدرته هذه عن جميع الناس باستثناء المقربين إليه، ومنهم قائد السرب ريفرز اولدميدو٠

لم يكن البحر عند موقع "بارابول" هائجا في تلك الساعة التي غطّ فيها ريفرز اولدميدو بنوم هانىء في قمرته٠ وعلى حين غرّة فتح هندرسون باب حجرته عنوة واقتحم خلوته صائحا والخوف مرتسم على وجهه:

-إن امراً مرعباً قدحدث يا ريفرز٠ لقد دخل هنش قمرتي بملابس الطيران الكاملة وعلى عينه عصابتها المعهودة، وايقظني من نومي صائحا بي المرّة تلو المرة: "هندرسون، ماذا يمكنني ان أفعل؟ قل لي ما الذي يمكنني ان افعله؟ ان في صحبتي امرأة، وأنا يائس ٠٠٠ ضائع"٠ ثم اختفى من امامي٠٠٠ هكذا٠ مجرد اختفاء امام عيني!

وحاول ريفرز ان يهدىء من روع صديقه، فسكب له قدحاً من الشراب

أسعفه قليلا ۰ وقفل هندرسون راجعاً الى قمرته، وحاول من جديد ان ينام۰ وبعد ثلاثة ايام بالتمام ظهر على لوح النشرات الاخبارية في سفينة بارابول النبأ الموجز الآتي: "الكابتن ريموند هنشكليف مفقود بعد محاولته اجتياز الاطلسي جواً"۰

رسائل غريبة

توجهت اميلي هنشكليف الى مؤسسة المحامين ادريدجز ومارتن ودراموندز في شارع هاي ستريت في كرويدون بالقرب من لندن، بعدما اتضح لها ان زوجها لن يعود اليها۰ وكان هؤلاء محامي اسرة هنشكليف الذين تبنوا، استجابة لمطلبها، الاتصال بالمصارف المسؤولة عن شؤون السي ماكيه المالية بخصوص بوليصة التأمين، خصوصاً لأن ظروف اميلي المادية باتت تضيّق عليها۰ وبعد بضعة ايام جاء الرد: نعم، إن السي ماكيه قد رتبت أمر بوليصة التأمين وسحبت صكاً لدفع رسم التأمين قبل طيرانها۰ إلا ان رصيدها الجاري لم يكن كافياً لتغطية الصك۰ وقد جمّدت جميع ارصدتها وحوّلت الى اللورد انشكيب باعتباره القيم على شؤونها۰ وفي عبارة أخرى، لا توجد اي بوليصة تأمين على الاطلاق لأن المعاملة لم تنفذ أصلا۰

صُعقت اميلي لدى سماع النبأ، نظراً الى انها أصبحت على حافة الافلاس التام۰ وها هي رسوم شراء البيت الذي تنزل فيه تتراكم، فضلا عن متطلبات العناية بابنتها البكر جوان التي لا تزال في الرابعة من عمرها وبطفلتها الثانية بام التي لا تتجاوز الأشهر۰

ومع ان اميلي كانت خبيرة في اعمال السكرتاريا كالطباعة والاختزال، إلا ان واجبات تربية الأطفال تحتل، في نظرها، المرتبة الأولى۰ وهكذا اجترأت على طرق السبيل الوحيد المتبقي لديها، وهو الكتابة الى اللورد انشكيب نفسه۰ ولكن لنتركها عند هذه النقطة ولنعد الى ايلين غاريت ونلتقط خيوط القصة من خلال حادث وقع لهذه خلال اجتماع عقدته زمرة البحث والدراسة التابعة للاتحاد الروحي في لندن۰

لقد اكتشفت ايلين ظاهرة جديدة مقلقة من ظواهر قدراتها النفسية حين تحلّق حولها افراد تلك الزمرة داخل احدى قاعات الاتحاد واسترسلوا في سكون التأمل۰ وكان من عادة ايلين غاريت ان تبدأ الكلام فور انتقالها بالتأمل من حال إلى أخرى۰ لكنها، على رغم تبدل حالات وعيها، تظلّ مدركة ادراكاً تاماً ما تقوله او ما يجري حولها، إلا هذه المرّة التي وجدت فيها نفسها تغطّ تدريجاً في سبات كامل۰ولم تذكر شيئاً مما حدث۰ ولكم بلغت دهشتها حين اخبرها جلساؤها المتحلقون حولها ان صوتاً رجلياً خشناً خرج من حبال صوتها، متحدثا بعبارات بطيئة موزونة ذات لكنة شرقية، ومعرّفاً نفسه باسم "يوفاني"۰ وقد تضمنت اقواله فيضاً من المعلومات التي يمكن التدقيق في صحتها ضمن رسائل بثها من الغيب اموات كان جلساء تلك الزمرة يعرفونهم جيداً۰ وبين افراد تلك الزمرة امرأة مسنة، طيبة السجية، اسمها السيدة بياتريس ايرل، وهي من مقاطعة ساري جنوب

انكلترا. وكانت قد ثكلت ابنها في الحرب العالمية الأولى، فوجدت في زياراتها للاتحاد الروحي وتسلمها الأخبار من ولدها المتوفى عزاء وسلوانا كبيرين. لكن أياً من اخباره السابقة لا يضارع، من حيث الصدق والتفصيل، ما سمعته في تلك الجلسة على لسان ايلين غاريت وصوت يوفاني. والواقع ان السيدة ايرل نفسها تتمتع بمقدار من معرفة الغيب وتلجأ احيانا الى اجراء التجارب مستخدمة لوح "اويجا"، على رغم معرفتها بأنه لا يعدو كونه وسيلة بدائية من وسائل البحث النفسي.

وهكذا، ما ان احست السيدة ايرل وهي قابعة في عقر دارها مساء السبت ٣١ مارس (آذار) بوحشة وحدتها، حتى جلست الى المائدة التي وضعت فوقها لوح "اويجا" وركزت اصابعها على مؤشره بعدما اعدّت مجموعات من الحروف الهجائية، منتظرة "اتصال" ابنها على حد تعبيرها. ومرّت لحظات أحست السيدة ايرل على اثرها بحقيقة وجود تلك الطاقة مهما كان نوعها.

تحرّك مؤشر اللوح. وللتوّ انطلق المؤشر يكتسح صفحة اللوح في اتجاه صفّ من الحروف التي رتبتها تباعاً، مع المحافظة على مسافة قليلة بين الحرف والآخر. وبدلا من ان يشكل المؤشر رسالة من ولدها، صاغ سؤالا أجفلت منه السيدة ايرل: "هل يمكنك مساعدة رجل مات غرقا؟" وقالت السيدة ايرل بعدما استردت أنفاسها: "من انت؟".

وبدأت سلسلة جديدة من الحروف تتشكل على النحو الآتي: "لقد غرقت مع السي ماكيه".

كانت السيدة ايرل قرأت في الصحف عن رحلة هنشكليف. ولكن هل يُعقل انه يحاول الآن الاتصال بها؟ وعادت مرّة أخرى الى اللوح الذي بدأت الحروف تتجمع فوقه بسرعة محمومة لتشكل جملة جديدة: "بلغي زوجتي اني اريد مخاطبتها. اني في يأس عظيم".

هذه رسائل صحيحة لا ريب في فحواها. وهي اشبه ما تكون بنص برقية بريدية. ولكن ما الذي يسع السيدة ايرل فعله؟ لقد كانت تثق بأمر "اتصالات" ولدها المتوفى، لأن في امكانها التيقن من صدق اشاراته الى تفاصيل خاصة في حياتهما. لكن هذه الرسائل الجديدة جاءت من طيار غريب يبدو انه مات غرقاً، وهي لا تعرف عنه شيئاً وليس لديها اي فكرة عن مكان إقامة زوجته السيدة هنشكليف. ولهذا نحّت اللوّح جانبا وحاولت جاهدة ان تقتلع تلك العبارات من فكرها وان تجتثها من أصولها لتمحو كلّ اثر لها، فأفلحت في مسعاها ولكن الى حين. ذلك انه بعد عشرة ايام، اي يوم الأربعاء ١١ ابريل (نيسان)، وجدت نفسها محمولة الى تجربة اللوح مرّة أخرى. واذا بالمؤشر يجمع، بطرفة عين، حروف رسالة أخرى من المصدر نفسه: "هنشكليف. بلغي زوجتي اني اريد محادثتها".

وترددت السيدة ايرل هنيهة قبل ان تسأل: "اين اجدها؟".

تواتر ترتيب الحروف على اللوح بسرعة البرق: "بيرلي؛ واذا لم تبلغها

رسالتك فاتصلي بدراموندز، شارع هاي ستريت، كرويدون"٠

والمعروف ان بلدة بيرلي مجاورة لكرويدون، وكلتاهما ضاحيتان من لندن٠ على ان السيدة ايرل لم تعرف لأسم دراموندز أصلا وفصلا٠ وسألت نفسها كيف سيكون شعورها لدى تسلم الرسالة لو كانت هي مكان السيدة هنشكليف٠ ولهذا قررت التريث في الأمر٠

وفي اليوم التالي تناولت اللوح ثانية باضطراب٠ وما هي إلا لحظات حتى تكررت الحكاية ذاتها:

"هنشكليف٠ رجاءً، بلغي زوجتي يا سيدة إي٠٠٠ اني اتضرع اليك"٠

وترددت السيدة ايرل بمرارة من جديد ولم تثبت على رأي٠ ثم قالت: "انها مجازفة رهيبة٠ وقد لا تصدقني السيدة هنشكليف"٠

وعلى التوّ بدأ المؤشر يتهجأ حروف الاجابة: "جازفي٠ إن حياتي كانت كلها مجازفات٠ يجب ان أكلمها"٠

عندئذ أيقنت انه لا بد من الاستجابة لطلبه٠ فتناولت دليل الهاتف لبلدة كرويدون وراحت تقلبه بحثا عن اسم دراموندز٠ ووجدت ان للاسم عنواناً هو "٤ هاي ستريت، كرويدون"، وفيه اشارة الى مؤسسة المحامين "ادريدجز ومارتن ودراموندز"٠ ومع ذلك تقاعست عن الكتابة الى ارملة هنشكليف مباشرة وخطرت لها فكرة بديلة٠

إن السير آرثر كونان دويل من الشخصيات البارزة وله اطلاع على المسائل الروحية وارتباطات متميزة مع كل من الكلية البريطانية لعلم الاستجابات للمؤثرات الروحية الخارقة للطبيعة والاتحاد الروحي في لندن حيث حضرت هي دورات دراسية في اشراف ايلين غاريت٠ واطمأنت الى ان مكانته الاجتماعية ستساعدها في تبديد الشكوك التي لا بد من ان تخامر من لا خبرة له في الامور النفسية الباطنية٠ لذلك أكبت للتوّ على تدوين نسخ عن جميع الرسائل التي افترضت انها واردة من هنشكليف وأرفقت نسخة منها بخطاب ارسلته الى كونان دويل، شارحة فيه ظروف القضية وطالبة اليه النصح حول قيمة هذه الرسائل وصحتها٠ والحق انها كانت في حاجة الى من يؤازرها٠ وأرسلت في الوقت ذاته مذكرة الى السيدة هنشكليف بواسطة مؤسسة المحامين ضمنتها نصّ الرسائل٠ وباتت السيدة ايرل ترجو في قرارة نفسها ألا يرتاب السير أرثر كونان دويل والسيدة هنشكليف في امرها او يستنتجا انها امرأة اصابها مس من الجنون٠

يوفاني يتكلم

غمر الاكتئاب نفس اميلي حين فضت رسالة بياتريس ايرل وقرأتها يوم ١٣ ابريل (نيسان)٠ وأخذت الرسالة منها كل مأخذ، على رغم انها لم تكن تؤمن بالحياة بعد الموت٠

ومن جهة اخرى، تسلم كونان دويل رسالة السيدة ايرل، لكنه اراد ان يتأكد بادىء الأمر من مدى صحتها لئلا يبعث الأمل جزافاً في نفس أرملة الطيار٠ فارتأى استخدام وسيط آخر لهذا الغرض٠ ورتب لقاء بين السيدة ايرل وايلين غاريت في ١٨ ابريل (نيسان)٠ وتحدث يوفاني في تلك

الجلسة التي دونت السيدة ايرل محضرها بعجلة ومن غير عناية. ودار جُلّ كلام يوفاني حول الظروف التي اكتنفت اخفاق هنشكليف الذي تعاورته الريح الشمالية، على حد قول يوفاني، وأرغمته على الاتجاه جنوبا مسافة ٨٠٠ كيلومتر خارج مسار طيرانه حتى نفد مدده من الوقود. (ومن الواضح انه سيتعذر التثبت من هذه المعلومات نظراً الى عدم العثور على حطام الطائرة).

واضاف يوفاني عن هنشكليف: "ان همه الاعظم زوجته، وهو يريد محادثتها. ولا اظن ان زوجته انكليزية. بل اظن - من غير ان اكون متأكداً - ان لديها طفلا رضيعاً. وربما كان لديها طفل آخر... ان هنشكليف مشوّش الذهن كثيراً".

وجد كونان دويل هذه الملاحظات التي تزود بها من السيدةايرل مثيرة جداً. ولكن لا يمكن اعتبارها سليمة لا يأتيها الباطل، اذ ربما طالعت ايلين غاريت مثل هذه المعلومات في مكان ما في الصحف. ومع ذلك، كتب كونان دويل الرسالة الآتية الى السيدة هنشكليف في ١٤ مايو (ايار): "ربما تسلمت خطابا من امرأة تدعى السيدة بياتريس ايرل. وفي اعتقادي انها تلقت رسالة صادقة من زوجك، امكن تعزيز ما ورد فيها من وسيطة ثانية أبدت ملاحظة عن كونك غير انكليزية وان لك طفلا رضيعاً وربما طفل آخر. وتهمني معرفة مدى صحة هذه المعلومات".

نعم انها صحيحة! ان اميلي هنشكليف قدمت من موطنها هولندا. ازال دخولالسير آرثر كونان دويل محور القضية كل تردد من جانب اميلي التي كتبت في اليوم عينه رسالة الى السيدة ايرل. والتقت الامرأتسان في ١٩ مايو (ايار)، وشعرت اميلي بارتياح عندما وجدت ان السيدة ايرل لم تكن - كما توقعت - وسيطاً محترفا. واستمرّ الحديث بينهما ساعات عدة. وفكرت اميلي انه اذا صدق كل ما قالته السيدة ايرل لها، فهي لن تقوى على تخييب امل زوجها فيها، بل ستمضي في هذه الطريق حتى تكتشف المزيد عنه. واصرّت السيدة ايرل على ان لوح اويجا بطيء لا يفي بالغرض، واقترحت على اميلي الاجتماع بايلين غاريت باعتبارها وسيطا من النوع الذي يغط في غيبوبة يمكنها فيها ان تسبر بعمق باطن الامور لتخرج بادلة وافية يمكن تمحيصها والحكم عليها، وبالتالي رفضها او قبولها. ووافقت اميلي على ذلك.

وبعد مضيّ اربعة ايام، التقت الاثنتان مرة اخرى في مقرّ الاتحاد الروحي في لندن حيث رحبت بهما ايلين غاريت. وقدّمت اميلي اليها من دون ذكر اسمها، ولكن باعتبارها صديقة للسيدة ايرل. واوضحت لهما ايلين ان صوت الوسيط او المرشد من العالم الآخر في اثناء الغيبوبة قد يتحول من رواية الحديث عن الآخرين الى التحدث بضمير المتكلم مباشرة كأنما هو يتقمص شخصياتهم. وهذا يستدعي التحليل لاحقاً لرفع الالتباس وجلاء الغاية. وجلست اميلي ووضعت كرّاس الاختزال فوق ركبتها استعداداً لتدوين ما يقال حرفاً حرفاً.

بدأت ايلين تتنفس بعمق ثم غطت

في النوم. وبعد قليل استقامت في جلستها وصلبت ذراعيها فوق صدرها، ثم انحنت في اتجاه الضيفة المذعورة. وخرجت من حنجرتها كلمات يوفاني بنبرتها الشرقية وبصوت ذي طبقة خفيضة رخيمة هو صوت رجل بالتأكيد. وراح هذا يقول: "ها ان عزيزاً عليك قدم الآن. انه شاب صغير. خرج فجأة. انتقل الى عالم آخر بسبب احتقان القلب".

وتساءلت اميلي وهي تكتب الكلمات بصورة مختزلة: "اي احتقان؟ ايكون ذلك بسبب الغرق؟" ومضى الصوت يقول بواسطة ايلين: "ها انه يريني بعض الصور ويذكر اسم جوان، بل جوان الصغيرة. كان في الثالثة والثلاثين من العمر".

بلى! لقد كان رايموند يدعو ابنتهما التي بلغت الرابعة "جوان الصغيرة". وعمره هو ايضا صحيح. ولكن ليس من الصعب الحصول على مثل هذه المعلومات.

-لا بد انه زوجك. فهو ما فتىء يشير الى خاتم الاصبع. هل تزوج مرتين؟ ام ان لديك انت خاتمي زواج؟

وكان الاحتمال الاخير هو الصحيح.

انه يسألك اذا كنت تحملين ساعة اليد التي اعطاك اياها. انها تحمل اسمه محفوراً عليها، وهو يريدك ان تلبسيها. هل تحملين الخاتم او سوار المعصم الذي اهداه اليك لمناسبة الخطوبة؟

مهما تكن هذه التفاصيل تافهة، الا انها كلها صحيحة فلقد قدّم اليها رايموند ساعة يد وسواراً.

-انه يذكر اسمي هيرمان وفلهلم. لقد رآهما كليهما هنا.

يا للعجب! وما ادق هذه المعلومات. لقد لقي صديقه الحميم هيرمان هس مصرعه في حادث تحطم طائرة عام ١٩٢٥، بينما قُتل فلهلم هيبنو عام ١٩٢٦ في اصطدام جوّي. وبدأت كلمات يوفاني تتدفق سراعا وهو يحاول وصف الحادث:

-يا الهي، ما افظع ذلك! لقد نسي كلّ شيء الا زوجته وطفلتيه. عندما يكبر سنا سيستطيع الاتصال على نحو افضل. لقد كانت محاولته الأخيرة السباحة الى الشاطىء".

وران على المكان صمت برهة، ثم: "قل لهم: ليس هناك موت، بل حياة ابدية. الحياة هنا ما هي الا سفرة وتحوّل الى ظروف مختلفة".

ورويداً رويداً بدأت ايلين تفتح عينيها. لقد انتهت الجلسة.

الورقة المفقودة

لم يصدر بعد اي ردّ فعل من جانب اللورد انشكيب، مع ان اميلي كتبت اليه مراراً. وفي الحقيقة ان اميلي ليست بلا نصير في كفاحها. فقد تبنى السير سفتون برانكر، على رغم كثرة اعماله وانشغاله في بناء طائرة "ر-١٠١"، قضيتها اكراماً لذكرى صداقته مع زوجها. وقال لها السير سفتون ان ثمة شخصاً ذا نفوذ يراقب وضعها باهتمام، وهو اللورد بيفر بروك صاحب صحيفة "الديلي اكسبرس". وعلق على انشكيب بقوله انه رجل قاس يصعب تحريك عواطفه، لكنه قد يستجيب لها اذا ما غطت الصحف انباء محنتها. ومثل هذه الحملة الصحافية ستكون سلاحاً احتياطيا يمكن اللجوء اليه عند الضرورة.

وفي الرابع والعشرين من مايو (أيار) زارت اميلي مقرّ الاتحاد الروحي في لندن مرة اخرى بعدما رتبت موعد زيارتها من دون اعطاء اسمها حفاظاً على كتمان هويتها. وهذا اجراء عادي في ارتباطات الاتحاد. ولدى وصولها الى المقرّ طلبت الى امين عام الاتحاد الانفراد بالسيدة ايلين غاريت حتى يحين موعد الجلسة مغالاة في التكتم. وما ان دخلت السيدة غاريت طور الغيبوبة حتى سمعت اميلي الكلمات الآتية:

-لقد جئت الى هذا المكان من قبل. بل جئت اليه حديثاً. ثمة رجل قريب اليك: رجل مديد القامة، نحيل الجسم، ذو شعر بني فاتح وعينين زرقاوين وأنف مستدق. وقد شغل في الماضي منصباً عسكرياً في الجيش، وما زال حتى ...

هذا كلام حق.

ومضى الصوت متنقلا بين الأوصاف الشخصية والظروف التي رافقت رحلة هنشكليف المهلكة بما فيها السرعة والطقس وتبديل وجهة الطيران، وهي امور هيمنت ولا ريب على فكر زوجها. وخطر لاميلي، وهي تدون تلك الملاحظات حرفاً حرفاً، ان في امكانها على الأقل ان تدقق في موضوع الطقس مع سلطة الارصاد الجوّية.

-هو يعلم انك قلت لجوان انه ذهب في رحلة، فسألتك عن موعد رجوعه.

فعلا لقد سألت جوان عن عودة أبيها في الليلة الماضية فقط.

- انه يشكرك على عدم ابلاغ جوان حتى وقت لاحق. بيتي امرأة حريصة وأمينة وشديدة العناية بكلا الطفلتين. قبلي "جوان الصغيرة" من اجلي ... يقول إنه رأى رسمهما.

كانت تلك الملاحظة تحمل اشارة الى اللوحة التي باشرت اميلي رسمها بالألوان الزيتية منذ وقت. اما بيتي فهي المربية التي تعتني بالطفلتين. ولكن مهلا! ألا يعقل ان تكون ايلين مطلعة على هذه الامور؟ بلى. إن هذا الاحتمال معقول، ولكن لو كان صحيحا لعنى انها امرأة داهية ومخاتلة. وهو أمر يشق على أميلي تصوره.

-يقول الآن انه ينوي الاتجاه شمالا. ولكن كلما حاول تبديل وجهة سيره ازدادت الريح المعاكسة عتواً. لم يكن متأكداً من شموع الاشعال فاستبدلها قبيل الاقلاع.

ووضعت اميلي اشارة في كرّاسها عند هذه النقطة، اذ لم تكن قد سمعت بمسألة شموع الاشعال من قبل. وشاءت ان تسأل غوردون سينكلير عن رأيه فيها. وتبعت تلك الملاحظات تفاصيل كثيرة مؤلمة عن حياة هنشكليف، ومنها قوله: "هو يعرف انك رتبت اوراقه في منضدته. ان الازرار موجودة داخل علبة صغيرة في الخزانة".

لقد فتشت اميلي طويلا، ولكن من غير جدوى، عن ازرار زوجها التي يحتمل ان تكون ذات قيمة ثمينة. لذلك، ما ان انتهت الجلسة حتى اسرعت الى بيتها وذهبت توّاً الى الخزانة التي ذكرها زوجها - هذا اذا كان زوجها هو المتكلم حقاً. لكنها وقفت مشدوهة امامها وكاد الخوف يستبدّ بها، خصوصاً لأنها ألقت في مرة سابقة نظرة عاجلة على درج الخزانة ولم تعثر فيه على الأزرار.

الصورة الدورية: الكابتن رايموند
هنشكليف وزوجته إيملي
تحت الركبة الجوية [illegible] قبل الطلعة الأخيرة

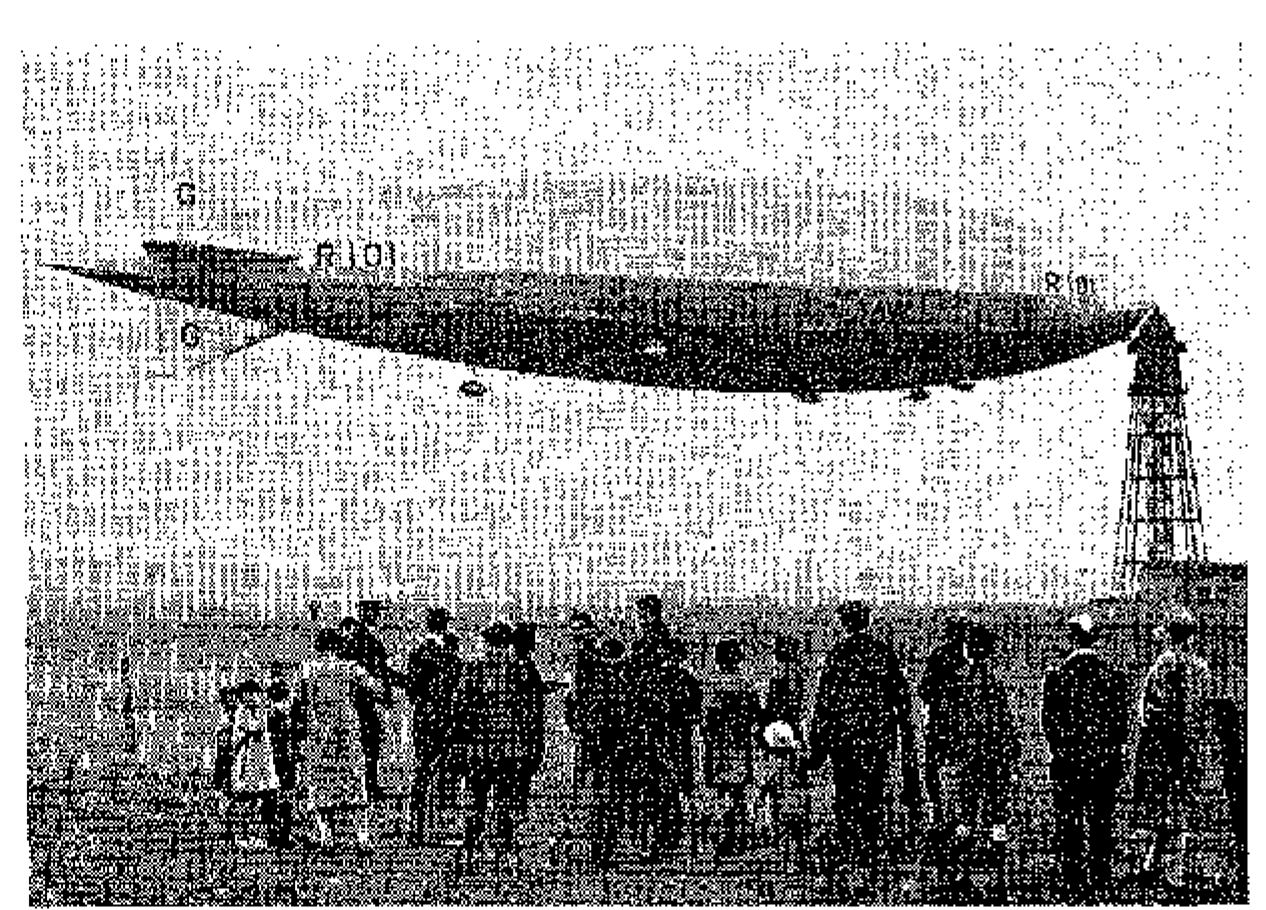


© THE ILLUSTRATED LONDON NEWS



© THE ILLUSTRATED LONDON NEWS

المركبة الجوية «ر - ١٠١» راسية في كاردينغتون عام ١٩٢٩.



© THE ILLUSTRATED LONDON NEWS

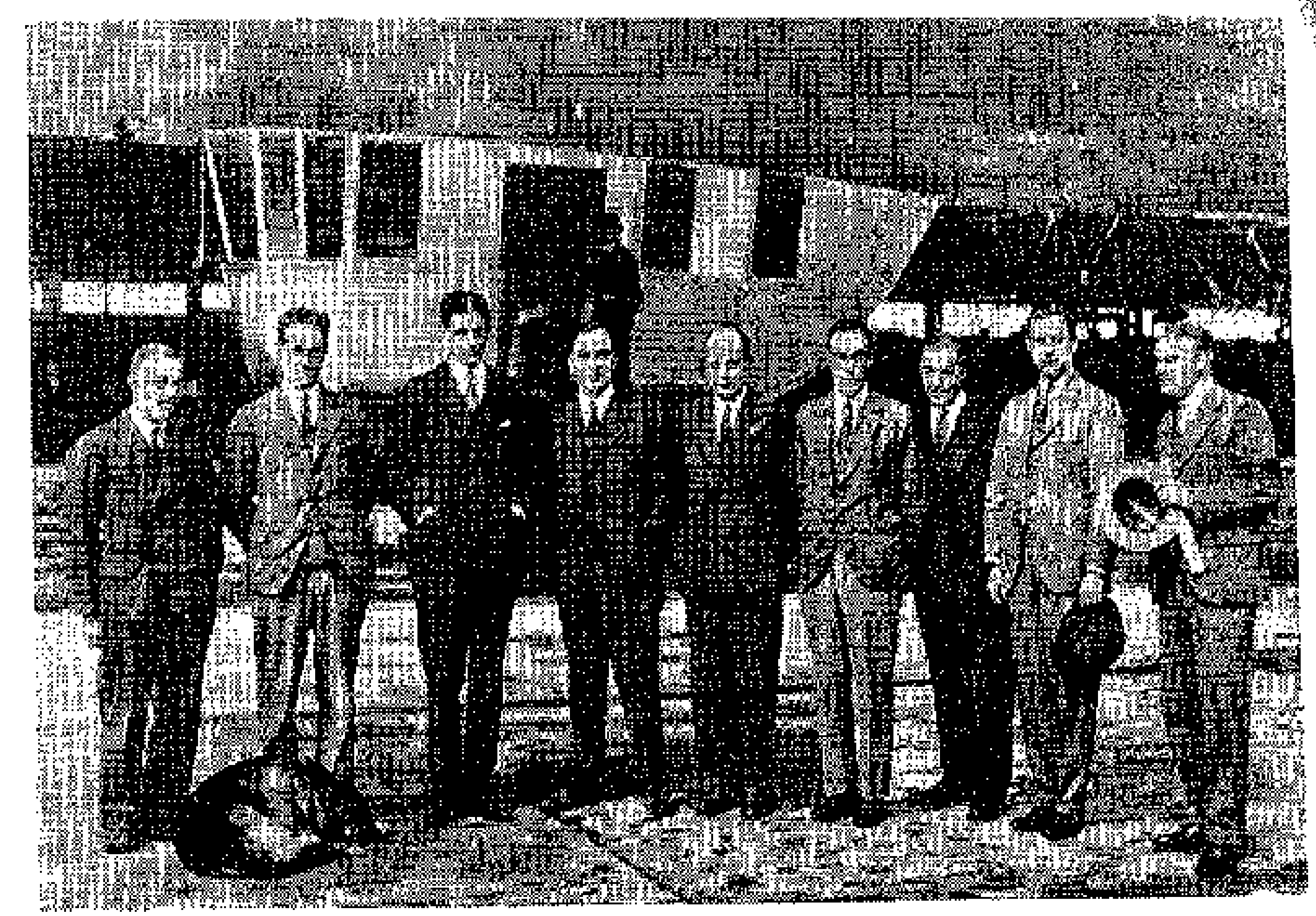


ROYAL AIRSHIP WORKS DRAWING OFFICE



الرسم [illegible] الحلقة [illegible] الأرقام [illegible]
[illegible]

إيملي [illegible] الوسيطة [illegible] الطائرة [illegible]
[illegible]



[illegible] الطاقم «ر - ١٠١» [illegible] (الثالث من اليسار) [illegible]
[illegible]

وبعد جهد فتحت الدرج ورأت علبة صغيرة كانت الأزرار في داخلها • وفي وقت لاحق التقت غوردون سينكلير وأثارت موضوع شموع الاشعال قائلة: "هل ابدل رايموند الشموع قبل الاقلاع؟" فأجاب سينكلير بالايجاب، واضاف انه الشخص الوحيد الذي شاهد إبدالها •

عقدت اميلي جلسة أخرى مع ايلين غاريت في ٩ يونيو (حزيران)، وتطرق يوفاني هذه المرّة الى امور جديدة:

– إن زوجك قلق حيال موقف انشكيب• واذا رفض الاصغاء اليك فان ثمة سبيلا الى فتح الباب الموصد• زوجك يتحدث الآن عن شخص في صحيفة الديلي اكسبرس•

وأخذ يوفاني يتحدث بضمير المتكلم: "انا لست مسؤولا خلقياً عن الرحلة وظروفها• اذا سمع والد إلسي بالأنباء في الصحف، فهو سيقدّم بعض المال• ابحثي الامر مع الديلي اكسبرس• اسم الرجل هناك اللورد بيفر بروك" •

وسرد الصوت بعدئذ تفاصيل كثيرة اخرى ورد فيها اسم صديق مدين لهم ببعض المال والمبلغ المستحق، وتحدث عن علامات مميزة في جسمه وندوب الجروح فيه• وكانت كلها ملاحظات صادقة• ومن جملة ما ذكره العصا المصنوعة من دعامة إحدى الطائرات• وعلى حين غرّة عاد الى موضوع انشكيب وحدّد موعداً لتسلم المال هو يوم ٢٥يوليو (تموز)، أو اليوم الأخير من الشهر نفسه• ثم سأل: "هل ذهبت الى ادريدجز بخصوص الأرض؟" •

لقد اشترت اسرة هنشكليف قبل اربع سنوات قطعة ارض للبناء• لكن اميلي لم تجد وثيقة المسح التي تحدد موقعها وتخومها• وفي نهاية تلك الجلسة رتبت اميلي موعداً آخر مع ايلين غاريت• وقامت في هذه الاثناء بزيارة اخرى الى السيدة ايرل التي تلقت بواسطة اللوّح بضع رسائل يتعلق معظمها ببناء الطائرات، لكنّ فيها ايعازاً واضحاً حول مسألة مختلفة: "ستجدين ورقة مفيدة وراء الدرج على الجانب الأيسر من منضدتي" •

وحين عادت اميلي الى دارها فتحت ذلك الدرج وأخرجته برفق من مكانه• واذا بها تبصر شيئاً أزرق مصنوعاً من ورق مصقول يشبه الجلد في مظهره• وكان ذلك الشيء وثيقة مسح الأرض•

انباء مقلقة

نشر اللورد انشكيب خلال الاسبوع الاول من شهر يوليو (تموز) قراره حول الثروة الخاصة التي خلفتها ابنته السي ماكيه – وهي تقدّر بمبلغ ٥٢٧ ألف جنيه استرليني – معلناً انشاء صندوق مالي خاص باسمها يحرّم مسّه طوال ٤٥ سنة يؤول بعدها، مع ما تجمّع عليه من فوائد وأرباح، الى الحكومة البريطانية للتصرف به من أجل سدّ ديون الدولة فقط• ولم يرد في بيانه ذكر لاميلي هنشكليف•

وفي غضون دقائق معدودة من صدور القرار، وصل احد مراسلي الديلي تلغراف الى بيت اميلي طالباً مقابلتها• وما ان ابصرته حتى لمعت في ذهنها رسالة زوجها الأخيرة خلال جلستها مع ايلين غاريت اذ قال:

"تحدّثي الى الصحف"٠ ففتحت له الباب ودعته الى الدخول٠ وهكذا تصدّرت الصحف في الأيام التالية عناوين بارزة تعلن ان "السيدة هنشكليف على حافة الافلاس"، وانها "قلقة على مستقبل طفلتيها"٠ كما أُثير في مجلس العموم البريطاني نقاش حول التزام اللورد انشكيب خلقياً بمساعدة اميلي٠ على ان ونستون تشرشل، وزير المالية عندئذ، حسم النقاش بقوله ان المسألة لا تدخل ضمن اختصاصات مجلس النواب٠ اما اللورد انشكيب نفسه فقد لزم الصمت٠

واجتمعت اميلي في أواسط شهر يوليو (تموز) مرة اخرى بايلين غاريت، وتحدث يوفاني كالمعتاد: "يجب الا تفقدي الامل٠ هذا ما يقوله زوجك"٠

وشرع يتحدث بضمير المتكلم: "سيهتاج الرأي العام في نهاية الأمر الى حدّ لا يطاق٠ الا تذكرين الخامس والعشرين من يوليو (تموز)؟"٠
- بلى٠ اذكر أنه الموعد الذي حدّدته انت في المرّة الأخيرة٠

وأجابها يوفاني هذه المرة بقوله: "انه يعدك بان الأمور ستسوى في حينها، وان طال فلن يدوم اكثر من اليوم الأخير من الشهر الحالي"٠

والحق ان اميلي لم تفقد املها مطلقاً الى ان جاء يوم ٣١ يوليو (تموز)٠ وأفل النهار وأزف المساء وفرغت من تناول عشائها٠ وعندئذ فقط ادركت ان النبوءة اخفقت٠ غير انها عقدت العزم على ألاّ تسمح للخيبة بأن تزعزع ايمانها الراسخ بانها على اتصال مع زوجها رايموند٠

وفي الثامنة والنصف تماماً رنّ جرس الهاتف، واذا بمراسل من صحيفة الديلي اكسبرس يبلغها بان ونستون تشرشل ادلى في مجلس العموم البريطاني بالبيان الآتي:

«لقد وضع اللورد انشكيب في تصرف وزير المالية مبلغاً اضافياً من جيبه الخاص ، مقداره عشرة آلاف جنيه، لصرفه كما يرى الوزير لمواجهة المسائل الملحة لئلا يصبح صندوق السي ماكيه مثار جدل وشكاوى من الذين تضرّروا بالكارثة التي اودت بحياة كريمته٠

غنيّ عن القول ان الشخص المعني بهذه المنحة التي قُدمت على مضض هو اميلي هنشكليف وحدها التي، ما ان طالبت بالتعويض، حتى حصلت على المبلغ كاملا٠ فغمرتها الدهشة وعمّها شعور عميق بالامتنان وتاقت الى جلسة اخرى مع ايلين غاريت٠ وكان اللقاء لطيفاً ومبهجاً٠ الا ان كلمات زوجها الختامية تحولت فجأة الى نبرة تحذير ملحة: "انهم في عجلة من امرهم٠ كيف لي ان أحذر جونستون؟ انك ، ولا شك، تذكرين الاصطدام المؤسف الأخير"٠

لقد عُين جونستون - قائد السرب في سلاح الجوّ الملكي - ملاحاً لطائرة "ر-١٠١"٠ اما الحادث المؤسف الذي اشار اليه صوت هنشكليف فهو ما حلّ بالمنطاد "ر-٣٨" الذي انشق نصفين فوق نهر هامبر عام ١٩٢١: "اني على يقين من انه، اذا استمرّ العمل على هذا المنوال، فسوف تنبعج الطائرة او يصيبها احديداب بسبب الاسلاك غير المتينة التي تشد هيكلها٠ يجب ابلاغ جونستون٠ لن يتكلل هذا العمل

بالنجاح، بلغيهم ان يكونوا حريصين".

والحق ان اميلي تعرف مصطلحات الطيران وتجيد، الى حد ما، التحدث بها. ولكن كيف السبيل الى جونستون، صديق زوجها؟ أتحذره بناء على رسالة من العالم الآخر؟ألن يبدو الأمر في رأيه سخفاً وحماقة؟ لكن اميلي باتت مقتنعةبان مهمتها الأولى في الحياة هي مساعدة اكبر عدد ممكن من الناس في مشاركتها ايمانها الجديد باستمرار الحياة البشرية بعد الموت. ومن اجل هذه الغاية اعدّت سلسلة من المحاضرات سعياً الى معرفة ما يحدث بعد الموت. ولهذا واظبت على حضور اجتماعاتها مع ايلين غاريت، خصوصاً لأن هذه وافقت على تسخير قدراتها كوسيط من اجل ذلك السعي. واستمرت الجلسات الشاملة المستفيضة من ١٩٢٩ حتى ١٩٣٠. وقد تجمعّت لدى اميلي حصيلة عظيمة من المعلومات التي جاد بها كلّ من يوفاني وزوجها. لكنها معلومات يتعذر التحقق من صحتها، في هذه الحياة على الأقل.

في هذه الاثناء ظل زوجها رايموند يلحّ عليها في التحدث الى جونستون عن المشكلات التي تكتنف بناء طائرة "ر-١٠١" ويقول: "لست اتمنى لهم انيلاقوا مصيري. اذا ارجئت الرحلة فسيكون كل شيء على خير ما يرام. انا ادرك تماماً ما اقول".

والجدير ذكره انه، بحلول خريف ١٩٢٩، حان اخراج "ر-١٠١" من حظيرة بنائها لاجراء سلسلة من التجارب عليها. لكن يوفاني، قبل ذلك التاريخ باسابيع، حذّر بلسان هنشكليف: "لا اظن ان في امكان هذه الطائرات ان تصمد للتقلبات المناخية. وقد تنتهي تجربة "ر-١٠١" الأولى على خير. لكن هناك خطراً جسيماً بكل تأكيد".

وفي تلك الجلسة بلغ الانفعال والقلق بزوجها حداً وجدت معه اميلي صعوبة كبيرة في تدوين اقواله بامانة. وعندما اطلعت الطيار غوردون سينكلير ورفيقه موركهام على هذه الانباء المقلقة، لاحظا ان ما اطلعا عليه من محاضر الجلسات السابقة كان يتضمن معلومات أوفى وتفاصيل تقنية ادق مما ورد في محضر الجلسة الأخيرة. لكن الذي اثار اهتمام موركهام هذه المرة هو اللجاجة في التحذير. فوافق الى جانب سينكلير على ضرورة اتصال اميلي بجونستون.

وبعد اخذ وردّ اتصلت اميلي بكونان دويل الذي انصت اليها بحماسة واهتمام الى حد انه اجرى الترتيباتاللازمة لمرافقة اميلي الى كاردينغتون حيث تبنى طائرة "ر-١٠١". ولما كان جونستون قد قرأ روايات شرلوك هولمز وعرف اميلي منذ زمن بعيد، فانه لم يشعر بأي حرج كما لو كان مع غرباء، بل أصغى اليهما بتعاطف واحترام، وأكدّ لهما ان الجميع حريصون على تأمين كلّ التدابير الاحتياطية الممكنة. وانصرف كونان دويل واميلي مدركين ان مهمتهما خابت.

في اليوم التالي عادت اميلي الى ايلين. وفي مطلع الجلسة وردت رسالة جديدة: "جونستون لن ينصت أبداً. والطائرة لن تصمد طويلا، حتى وان سلمت في رحلتها الأولى".

وصدف في تلك الاثناء ان خرجت ايلين غاريت في نزهة مع كلبها، واذا بها تشاهد في كبد السماء طائرة اخرى فضية اللون تنفث الدخان من جوفها وتغوص خلف احدى البنايات".

"إننا ملتزمون بوعودنا"

تأخر انجاز طائرة "ر-١٠١" كثيراً. وكلما سُوّيت احدى مشكلاتها الفنية برزت مشكلة اخرى. هناك، على سبيل المثال، اكياس الغاز العملاقة التي تصعد الطائرة فوق الأرض وتبقيها مرتفعة في الهواء. وقد ركبت الاكياس في الفراغات بين روافد هيكل الطائرة، فبدت مثل طبول ضخمة مصفوفة على جوانبها، الا ان علو بعضها يضاهي ارتفاع بناية من عشر طبقات. ومع ذلك، فانها طبول رخوة سريعة الاتساخ لأنها صنعت من الغشاء الخارجي الناعم لامعاء الثيران. ولطالما سعى الالمان والامريكيون والبريطانيون الى ايجاد بديل لها، ولكن بلا جدوى.

والواقع ان هذه الاكياس المملوءة بغاز الهيدروجين هي التي ترتفع بالطائرة الى الجو. لكنها، في الوقت نفسه، قد تتسبب في سقوطها اذا رشح الغاز منها وتسرب الى الخارج. ولذلك صنع المهندسون شبكة معقدة من الاسلاك لتطويق كل كيس في مكانه حفاظاً على سلامة سطحها من الخدش والاحتكاك إما بروافد الطائرة واما بارتطام الاكياس بعضها ببعض نتيجة دوران الغاز داخلها. ولكن لم يسبق أبداً استخدام مثل هذا النظام من الشبكات، وبالتالي ما كان احد ليدري مدى فعاليتها.

ولم تنته التجديدات عند هذا الحد. فقد أدخل على الطائرة نظام آخر جديد قائم على استخدام خمسة محركات ديزل بدل المحركات التي تستخدم البنزين. وبلغ وزن هذه المحركات ١٧ طناً في حين لم يزد وزن محركات الطائرة "ر-١٠٠" على التسعة اطنان ومحركات "غراف زبلين" على السبعة اطنان. ولا يخفى ان هذه المحركات الجديدة ستوفر في استهلاك الوقود، فضلا عن انها اقل عرضة لاخطار الاشتعال والنيران، خصوصاً لأن البنزين سريع الاحتراق.

امل المهندسون باديء الامر ان تتسع طائرة "ر-١٠١" لحمولة مقدارها تسعون طناً. بيد ان محركات الديزل وخزانات الوقود خفضت تلك الحمولة الى قرابة ٣٥ طناً مما جعلها واسطة نقل باهظة الكلفة، ناهيك بأن المحركات الجديدة بدأت، بحلول العام ١٩٢٩، تسبب للمهندسين متاعب اجبرتهم في نهاية الامر على استخدام اربعة محركات فقط لدفع السفينة الى الامام خلال طيرانها، والاحتفاظ بالمحرك الخامس احتياطاً لاستخدامه في عكس وجهة الطيران عند الضرورة. وترتب، بموجب هذا النظام، ان تنهض المحركات الأربعة العاملة بحمولة اضافية عديمة الفائدة تقدر بطنين، فضلا عن نقل خمسة اطنان اخرى لم تدخل في حساب التقديرات الأولية. وهي وزن الاسطوانات التي تغلف المحركات الخمسة.

ولكن على رغم تفاقم هذه المشكلات فقد افلحت طائرة "ر-١٠١" في الاقلاع في رحلتها التجريبية الأولى يوم ١٤ اكتوبر (تشرين الأول) عام ١٩٢٩ حين خرج سكان لندن

بالالوف المؤلفة الى الشوارع وسطوح البنايات يراقبونها وهي مقبلة من وجهة شمالية شرقية حتى بلغت منطقة وستمنستر حيث تقوم مباني البرلمان، ثم قفلت راجعة الى برج كاردينغتون بعد رحلة خمس ساعات قطعت خلالها مسافة ٣٠٠ كيلومتر. ولم يفصح احد بشيء عما حدث لدى هبوطها حين ارتطم احد الاسلاك بمقدم الطائرة ذي النسيج الناعم فثقبه. على ان رأب الثقب لم يستغرق سوى نصف ساعة.

لكن الانكى من هذا هو عدم ذكر شيء عن عجز الطيارين عن تشغيل اكثر من ثلاثة من محركات "ر-١٠١" الخمسة. ولهذا، لا عجب ان تكون التجارب استمرت على الطائرة طوال الاشهر التالية مما كشف عيوباً جديدة استوجبت ادخال تحسينات كثيرة واضطرت المسؤولين الى ارجاء موعد اقلاعها.

في هذه الاثناء دلت احصاءات قائد الجناح في سلاح الجو الملكي، ر.ب. كولمور، على ان الرحلة الى الهند ستقتضي نقل كمية من الوقود مقدارها ٢٥ طناً، مما لا يترك سوى عشرة اطنان لنقل الركاب والملاحين والامتعة. وهكذا بدأ المهندسون يتخلصون من قطع كثيرة من معدات الطائرة وانتقلوا الى تقليص وزن قطع اخرى وخفض اتساع هيكل الطائرة الى النصف تقريباً لبناء جناح جديد يتسع لوضع كيس غاز اضافي من شأنه ان يساعد في رفع حمولة اضافية تزن تسعة اطنان.

وبناء عليه، اعيدت "ر-١٠١" الى حظيرتها وأخرج كل كيس من اكياس الغاز فيها. وتبين انها - باستثناء كيس واحد- مثقوبة في اكثر من موضع، بل ان الكيس المرقم ١١ كان مثقوباً في ١٠٣ مواضع. وتعين على المهندسين صنع ما لا يقلُّ عن أربعة آلاف لبادة من اجل لفها على الوصلات والصمولات والبراغي والروافد التي قد تتسبب في ثقب تلك الاكياس المصنوعة من اغشية امعاء الثيران. وفي الوقت نفسه تراكمت شتى الضغوط على كولمور وبرانكر وجونستون والملازم اروين الذي عُيِّن قائداً للطائرة، للاسراع في تجهيزها، لان اللورد طومسون قرر السفر الى الهند على متنها في موعد لا يتجاوز نهاية شهر سبتمبر (ايلول)، خصوصاً لأن وزارة المال دعمت تلك الرحلة تبريراً للأموال الطائلة التي صرفتها عليها حتى ذلك الوقت.

لكن العمل لن ينتهي قبل منتصف الخريف، والطائرة في حاجة الى مزيد من الاختبارات عليها قبل اقلاعها الى الهند. على انه لا يمكن التهاون في ارجاء موعد رحيلها، خصوصاً لأن طائرة "ر-١٠٠" المنافسة - وهي الطائرة التي يتولى صنعها القطاع الخاص - تغلبت على جميع الصعوبات بما فيها المحركات واكياس الغاز، وتمكنت في ٢٨ يوليو (تموز) ١٩٣٠ من الطيران الى مونتريال، حيث استقبلها الكنديون استقبالا حماسياً منقطع النظير، والعودة الى انكلترا سالمة في بحر ١٦ يوماً. بينما اكمد الهمُّ العاملين في طائرة "ر-١٠١" نظراً الى انها ما زالت جاثمة في حظيرة بنائها وقد شطرت نصفين كرغيف من الخبز، وما زال العمل المحموم لاصلاحها جارياً دونما توقف تلافياً لكل خطأ في تصميمها وتسريعاً

لموعد طيرانها، وإلا فقدت هذه الطائرة مستقبلها. فقد تقرر بناء الطائرات جميعها في وقت لاحق وفقاً لتصميم موحد يتم اختياره بناء على النجاح الذي يمكن احرازه.

ولدى اقتراب موعد اقلاع "ر-١٠١"، تلقت اميلي مزيداً من التحذيرات في جلسات استحضار الارواح مع ايلين غاريت. والواقع ان ايلين خامرها قلق شديد لدى صحوتها من غيبوبة التأمل واطلاعها على فحوى التحذيرات التي وردت بواسطتها ولكن من دون علمها. ذلك ان للتحذيرات صلة واضحة وقوية بما شاهدته من سفن محترقة في سماء لندن في ثلاث مناسبات.

غير انها أهملت امر رؤاها باعتبارها هلوسة من أثر الغارات التي شنتها طائرات "زبلين" الالمانية زمن الحرب العالمية الأولى، وكتمت سرها عن جميع الناس. اما الآن فقد بدأت تحس بضرورة تحذير أحد المسؤولين. وشاءت المصادفات ان تهيىء لها مناسبة للاجتماع باحدهم خلال عشاء حضرته مع صديقتها الممثلة المسرحية اوريول لي في اواسط شهر سبتمبر (ايلول)، وهي صديقة السير سفتون برانكر الذي كان احد المدعويين. وهكذا جمعت اوريول لي بين ايلين غاريت وبرانكر اللذين انزويا في احد اركان القاعة حيث اخبرته ايلين بحقيقة الرؤيا التي مرّت بها في ثلاث مناسبات وبالتحذيرات التي يرسلها هنشكليف حول الكارثة التي تنتظر "ر-١٠١".

عندئذ قال السير سفتون برانكر: "انها الطائرة المزمعة على السفر الى الهند. وسأكون شخصياً على متنها مع اللورد طومسون وآخرين لانني التزمت بالطيران معهم".

- اما من سبيل الى ارجاء موعد رحلتها؟

وأجاب السير سفتون: "كلا اننا جميعا ملتزمون بوعودنا".

عندئذ احسّت ايلين بانها ادّت واجبها وليس في امكانها ان تفعل المزيد.

نطاق من السرية

أقلعت "ر-١٠١" من مطار كاردينغتون متوجهة الى الهند في تمام السابعة والدقيقة السادسة والثلاثين من مساء ٤ اكتوبر (تشرين الاول) عام ١٩٣٠. وفي تلك الساعة ذهبت اميلي هنشكليف لزيارة صديقتها السيدة ايرل وقد اخذت منها الظنون كل مأخذ بسبب محاولاتها العقيمة في تحذير جونستون. ولم تشأ اي منهما الاتصال بالعالم الآخر. الا انهما لم تستطيعا مقاومة اللوح مرة واحدة اخيرة للاتصال مع هنشكليف علّه يطمئنهما. وللتوّ تشكلت الكلمات الآتية:

"العواصف تهب. لن ينجوا إلا باعجوبة".

في ذلك الوقت حلقت طائرة "ر-١٠١" في سماء لندن وتابعت طيرانها حتى عبرت القنال الانكليزي. ثم توجهت الى باريس والجنوب حيث تصدّت لها رياح عاتية وامطار غزيرة. ومع ذلك، فقد بقي الاتصال مع الطائرة بالراديو يدعو الى التفاؤل، وإن ظهرت ادلة على انخفاض حاد في مسارها وتعطّل جهاز قياس الارتفاع. وفي تمام الثانية والدقيقة الخامسة من صباح اليوم التالي، اصطدمت "ر-١٠١"

بهضبة على بعد بضعة كيلومترات من بلدة بوفي وانفجرت فوقها، ولم ينجُ من ركابها الاربعة والخمسين سوى ستة ملاحين. اما برانكر وكولمور وجونستون واروين وضباط القيادة الآخرون - الذين لو سلموا لأدلوا بتصريحات مفيدة وواضحة عن اسباب الكارثة - فقد لاقوا حتفهم جميعاً.

وتشكلت على الفور لجنة للتحقيق في الحادث. وبعد يومين من ذلك التاريخ، اي في ٧ اكتوبر (تشرين الأول)، اوردت وكالة رويتر للانباء النبأ الآتي:

"من المقرر ان ترفع اللجنة بيانها الى محكمة التحقيق مباشرة. ولن يصدر في هذه الاثناء اي اعلان حتى تفرغ اللجنة من جمع الحقائق والأدلة".

ولكن لنقدّم الآن شخصاً آخر دخل في حبكة الاحداث، اسمه هاري برايس. والواقع ان الذي اثار اهتمامهفي الموضوع هو تسلمه، قبل موعد اقلاع "ر-١٠١" بثلاثة أشهر، تقارير من وسطاء عدة زعموا انهم تلقوا رسائل من السير آرثر كونان دويل عقب وفاته في ٧ يوليو (تموز) ١٩٣٠. وهكذا بدأ برايس، رجل الاعمال الناجح، يكرس جلّ اوقاته لدراسة الاستجابات للقوى الروحية. وكان من الذين درسوا فنون السحر واطلعوا على مدى امكانات التحايل والخداع، فضلا عن كونه مصوراً فوتوغرافياً حاذقاً لا يخدعه اي زيف في مظاهر الأشياء. والحق انه لم يهتم كثيراً بالمسائل الروحية، وانما اراد فقط ان يعلم كيف يتسنى للوسيط خلال التنويم المغناطيسي ان يحصل على معلومات صادقة يزعم انها جاءته من الأموات.

وصدف في اليوم الثاني من اكتوبر (تشرين الأول) ١٩٣٠ ان اتصل ببرايس هاتفياً صحافي اوسترالي يعمل في انكلترا اسمه إيان كوستر، الذي انيطت به مهمة كتابة تحقيق صحافي حول امكان الاتصال بالسير آرثر كونان دويل في السابع من اكتوبر (تشرين الأول)، اي بعد مرور ثلاثة اشهر على وفاته. وفكر برايس هنيهة في طلب كوستر، ثم قال: "لم لا؟ دعنا نحاول. وعسى ان اجد وسيطاً ملائماً".

وبعد المكالمة فوراً اتصل برايس بايلين غاريت، ولكن لم يعطها فكرة عن هوية الشخص الذي يودّ كوستر الاتصال به. وحدّد معها موعداً لجلسة خاصة ضمت كوستر الذي وصل في الساعة المحددة، وبرايس وايلين غاريت طبعاً، وامرأة اخرى خبيرة في شؤون الاختزال اسمها ايتيل بينهام.

ولدى بدء الجلسة نقل يوفاني رسالة خاصة الى برايس من صديق له توفي قبل عام. غير ان الرسالة لم تأتِ بجديد يمكن التحقق منه. وفجأة اعترى وجه ايلين غاريت اضطراب عظيم، وراحت الدموع تنهمر فوق وجنتيها بينما انقبضت يداها بقوة. وتدفق صوت يوفاني وكلماته تتسارع على لسان ايلين:

"اني ارى ارفينغ او اروين. يقول اروين انه يجب القيام بعمل ما ازاء الموضوع. عفواً لاقحام نفسي في الجلسة، ولكن قل لهم - بالله عليك - ان كاهل الطائرة يفوق طاقة محركاتها. والمحركات نفسها اثقل وزنا مما ينبغي".

وازداد تدفق الكلام حتى كادت خبيرة الاختزال ايتيل بينهام تعجز عن تدوينها.

"ثقل السفينة الاجمالي لم يتم حسابه على نحو دقيق. اما فكرة المصاعد الجديدة هذه فانها محض حماقة. المصعد علق في مكانه وانسد انبوب الزيت. وهذا المشروع المرتفع الكلفة، الذي يستخدم الكربون والهيدروجين، خطأ فادح. لا يمكنك ان ترتفع بواسطة هيدروجين الكربون الى علو يذكر. الطيران على انخفاض شديد. لا يمكن الصعود. والشيء نفسه ينطبق على "شل-٨". بلغوا اكثر. فترة التجارب قصيرة جداً. لم يعرف احد منا المركبة جيداً. نظام دفع الوقود سيء، وكذلك نظام التبريد. سعة القطر الداخلي غير كافية. يجب استعمال اسطوانات في المرة المقبلة، بمحرك قطره ١١٠٠ سنتيمتر مكعب. ولكن حتى هذا القطر ليس كافياً لرفع حمولة ثقيلة".

لم تدرِ ايتيل بينهام شيئاً عن هذه الامور، وفاتها تدوين كلمات عدة. ومضى الصوت يقول:

"الطقس سيء للتحليق مسافات طويلة. جسم الطائرة مغمور بالماء، ومقدمها منحدر صوب الارض. مضت ساعتان ونحن نحاول تقويمها، وكادت تلامس سطوح المنازل في بلدة آشي".

وعند هذه الجملة دوّن برايس ملاحظة خاصة لانه لم يسمع من قبل باسم آشي. واردف يوفاني:

"التحقيقات التالية ستظهر ان البناء الفوقي للطائرة لا يحتوي على اي مقاومة وان وزنه ثقيل جداً. والقسم الأوسط الذي اضيف اليها ينطوي على خطأ كبير، وهو اثقل مما تستطيع المحركات حمله".

دهش برايس لسماع هذه الأقوال وايقن انه ما من احد يستطيع اختراع حكاية من هذا النوع بمثل هذه السرعة، او ان يسوق معلومات فنية ومصطلحات علمية بهذه السهولة. ولذلك ذهب، بعد انتهاء الجلسة مباشرة، الى مكتبة المتحف البريطاني، وراح ينقب في المراجع عن بلدة اسمها آشي تقع شمال فرنسا، ولكن لم يعثر على اثر لها. غير انه، في صباح اليوم التالي، وجد خريطة كبيرة لخطوط السكك الحديد في المنطقة المجاورة لبوفي. وحين دقق النظر فيها تبين له اسم آشي، وهي محطة قطار حديدي على بعد ١٩ كيلومتراً شمال بوفي. وعلى هذا الاساس، شعر برايس بضرورة اطلاع احد الخبراء في وزارة الطيران على محضر الجلسة كما دونته ايتيل بينهام. لكنه اكتشف ان الوزارة ضربت نطاقا من السرية الكاملة حول القضية، ولكن بصورة غير رسمية، ريثما تفرغ اللجنة المختصة من تحقيقاتها.

"كلّنا قتلة"

لم ينس الميجور فيليبرز الحديث الذي دار بينه وبين السير سفتون برانكر حين رافقه الى كارديننغتون قبل صعود برانكر الى متن "ر-١٠١" المشؤومة. وقد عمد الميجور فيليبرز، المعروف بقوة ذاكرته وحفظه للتفاصيل حفظاً شبه كامل، الى تدوين ما دار بينهما في مذكراته التي جاء فيها قول برانكر:

"تشاجرت مع طومسون قبل يومين. وخلال الشهر الماضي تحدثت

مراراً في هذا الشأن مع سكوت وكولمور. (سكوت طيار مُحنك برتبة ميجور، وهو الذي تولى قيادة "ر-١٠٠" في رحلتها الى مونتريال). إن عدم ارتياحهما للرحلة الى الهند تزايد يوماً بعد يوم. وفي رأيهما ان الطائرة لا تصلح للطيران. الا ان طومسون يصرّ على المضي قدماً لا لشيء سوى انه تعهد بذلك. وعندما اعترضت على موقفه قبل يومين، ناصحاً اياه بأن يواجه الحقائق ويتقبلها اذا لم تكن المركبة جاهزة للرحيل، ثارت ثائرته وصاح بي: "اذا كنت خائفاً فلا تأت. هناك آخرون كثيرون يتمنون هذه الفرصة". فانسحبت من الغرفة فوراً احتجاجاً على فظاظة معاملته".

وفي الأيام التي اعقبت الكارثة تعددت المناسبات التي جعلت فيلييرز يستعيد ذكرى هذا الحديث، خصوصاً لأنه تقرر ان تبدأ محكمة التحقيق جلساتها في ٢٨ اكتوبر (تشرين الأول).

واخذ فيلييرز يجمع الملفات الخاصة بطائرة "ر- ١٠١" ويصنفها استعداداً لبدء التحقيق. وقبيل افتتاح جلسات المحكمة دعا فيلييرز صديقه سورزبي، الخبير المالي، الى عشاء مع آخرين. وقد عُرف عن سورزبي - عدا خبرته المالية - اهتمامه الشديد ببحوث الاستجابة للقوى الروحية الخارقة. فلا غرابة اذا تجاذب الضيوف اطراف الحديث في هذا الموضوع.

وسرد سورزبي على مستمعيه بعض الوقائع الخارقة التي صادفها في حياته. وذكر فيلييرز بدوره انه تلقى، في مناسبات معينة، رسائل شخصية شبه مباشرة من شخص متوفى عزيز عليه. وقال ان تلك الرسائل لم تكن شفوية او مسموعة، الا انها مفهومة وواضحة باطنياً على اي حال. وعلق سورزبي على حكايته بقوله إن مثل هذه الظواهر شائعة أكثر مما يتصوره المرء كثيراً للوهلة الأولى.

وفي حدود الحادية عشرة مساء، انصرف الجميع الى حجراتهم الا فيلييرز الذي صب لنفسه كوباً من الشاي وجلس بالقرب من الموقد. وعلى حين غرّة احس بحضور ما. لكنه عزا احساسه الى موضوع الكلام الذي دار في اثناء العشاء. وفجأة سمع ذهنياً صوت الكابتن اروين يقول له: "بربك، دعني اكلمك. ان الخطب مريع. ولهذا يجب ان اتحدث اليك. اننا جميعاً قتلة مجرمون".

وفي صباح اليوم التالي بلغ فيلييرز صديقه سورزبي ما حدث له بعد العشاء. وتطوع سورزبي للجمع بين صديقه فيلييرز وافضل وسيط روحي في انكلترا، الا وهو ايلين غاريت. وضرب موعداً للاجتماع بينهما من دون ان يعطي ايلين اسم صديقه كاملا، بل اكتفى بالحرف الأول منه: "ف". ولم يعلم اي من فيلييرز او سورزبي شيئاً عن الجلسة التي عقدها هاري برايس وإيان كوستر مع ايلين.

وصل فيلييرز يوم ٣١ اكتوبر (تشرين الأول) الى شقة السيدة غاريت التي اوضحت له بايجاز ما ينبغي معرفته عن صوت يوفاني. وامسك فيلييرز بالقلم والكرّاس تأهباً لتدوين ما يقال في الجلسة، واثقاً من قدرته على تسجيل الكلام حرفياً، حتى وإن لم يكن خبيراً في شؤون الاختزال، نظراً الى قوة ذاكرته

التي تمكنه من استعادة جميع التفاصيل بحذافيرها ٠

وبعد دقائق من الصمت سمع صوت يوفاني متحدثا بلسان عدد من الناس لم يعرف فيليبيرز احداً منهم٠ واستمر يوفاني على هذا المنوال قرابة نصف ساعة كاد ينفد فيها صبر فيليبيرز٠ وبعدئذ سمع صوتا خفيضاً يخرج من حنجرة ايلين، تلاه صوت يوفاني كأنما هو يحاول تفسير ما قاله صاحب الصوت الضئيل٠ وفي ما يأتي المادة التي دوّنها فيليبيرز عقب كل جلسة استنادا الى الملاحظات المسهبة التي كتبها والى ما حفظه في الذاكرة٠ على انها ليست سجلا حرفياً لما وقع٠

يوفاني (اروين جزئيا؟): اروي٠٠٠ أروي٠٠٠ (بصوت اعلى): اروين اروين٠ ارجوك ألا تذهب٠ ابقَ هنا٠ اريد ان اتكلم٠ نحن نشعر باننا قتلة مغضوب عليهم٠ كان ينبغي ان نقول لا٠

فيليبيرز: من "نحن" الذين ذكرتهم؟

اروين: جوني وسكوتي وأنا (لا شك في انه يعني الملاح جونستون والميجور سكوت)٠

فيليبيرز: حاول ان تخبرني عما حدث٠

اروين: (بتوتر وسرعة): انها اثقل بأطنان مما ينبغي٠ وبناؤها من صنع الهواة، لا المحترفين٠ اكياس غاز المنطاد والروافد لم تصنع من مواد سليمة تماماً٠

فيليبيرز (وقد عجز عن متابعة الكلام): مهلا يا صديقي٠ دعنا نبدأ من البداية٠

اروين: لاحظت بعد الظهر – قبل ساعات من موعد اقلاعنا – ان مؤشر الغاز يرتج ارتفاعا وهبوطا، مما يدل على رشح الغاز٠

فيليبيرز: حاول ان تفسر الموضوع٠ لم افهم ما تعنيه٠

اروين: لأكياس الغاز مسام ينفذ منها الغاز لانها غير قوية، فضلا عن حركة الأكياس ذاتها التي تعمل كالمنفاخ، محدثة ضغطاً داخليا يسبب رشح الصمامات٠ وعندما نظرنا الى الرسوم البيانية للأحوال الجوية – وهي رسوم احضروها لنا قبل الرحيل – انزويت مع سكوتي وجوني وتشاورنا في الأمر، فنالنا خوف شديد٠

فيليبيرز: ألم يساعدكم طومسون؟

اروين: عندما بلغته امر تسرب الغاز، قال طومسون: "هذا مقدار ضئيل لا يدخل في الحسبان٠ وسنقلع بلا ابطاء في الوقت المحدد"٠

فيليبيرز: كيف كانت النهاية بالضبط؟

اروين: تقوّست احدى الروافد في مقدم السفينة وثقبت الغلاف الخارجي٠ وهي الرافدة عينها التي سببت لنا المتاعب في الماضي٠ وهم يدركون ذلك٠ (يظن فيليبيرز ان الضمير هنا عائد الى مسؤولين في وزارة الطيران)٠ كانت الريح تهب بعتوّ والامطار تنهمر غزيرة٠ واندفاع الريح هو الذي جعلنا نهبط من علونا للمرة الأولى٠ غير اننا قوّمنا من انحدار المركبة الى حين، حتى عصفت الريح مرة اخرى داخل ثقب الغطاء، فاحدثت ضغطاً اضافياً اودى في النهاية بحياتنا٠

فيليبيرز: قل لي، ما الذي سبب الانفجار؟

اروين: الاشتعال الخلفي في محرك الديزل٠ ذلك ان عيار انسياب الوقود اليه لم يكن مضبوطا٠ ومن ناحية اخرى، ازداد الضغط داخل اكياس الغاز بسبب الروافد السفلى التي

تقوست عليها فضاعفت من اندفاق الغاز الى الخارج. وهذا الاقتران بين الاشتعال الخلفي في المحرك وتسرب الغاز اضرم النار في المركبة الجوية. (وانتقل اروين عند هذه النقطة الى ابداء ملاحظة حول محكمة التحقيق التي باشرت جلساتها). ان من المخجل سماع اقوالهم. كلام هراء. انهم يدركون ذلك، لكنهم يحجمون عن قول الحق.

بهذا الكلام انتهت الجلسة الأولى.

التقرير النهائي

اعلن يوفاني في بداية الجلسة الثانية مع ايلين غاريت ان ثمة شخصاً يود التكلم مع فيلبيرز. ومن ثم بدأ يصفه وصفاً حمل فيلبيرز على الظن انه برانكر.

يوفاني: انه يبتسم في وجهك كثيراً ويقول: "كلا، لا اريد ان اذكر اسمي حتى ارى اذا كان يذكرني". ها هو يضع يده في جيب صدرته ويضع زجاجة مستديرة فوق عينه ويقول لك: "استعمل ذكاءك".

واكتسب صوت يوفاني نبرات برانكر، وسجل فيلبيرز ملاحظة في ما بعد تفيد انه احسّ بحضور برانكر في الغرفة. وانتقل يوفاني بعد قليل الى وصف شخص آخر له وجه بشوش مدوّر ورأس كبير، مؤكداً ان فيلبيرز ابصره، في لقائهما الأخير، مرتدياً سترة زرقاء ومعتمراً قبعة مستدقة القمة. وفي لمحة عين تقمص يوفاني شخص الميجور سكوت الذي عرّف نفسه قائلا: "أجل يا صاحبي، انا سكوتي".

فيلبيرز: عرفتك يا صديقي منذ اللحظة الأولى.

سكوت: واحسرتاه يا فيلبيرز! لكم تعجز الكلمات امام هول ما وقع. يا للأرواح والخبرات والأموال والمعدات التي هُدرت وذهبت ادراج الريح!

فيلبيرز: حنانك ايها العزيز سكوتي، قل لي متى بدأت تشك في ان المركبة غير صالحة للطيران؟

سكوت: منذ الرحلة الأولى حين اتضح انها صعبة القيادة. ومن ثم دهمتنا بشتى المتاعب.

فيلبيرز: اي متاعب؟ لقد ذكر اروين مقدم الطائرة.

سكوت: نعم، وكذلك الروافد والمحركات.

فيلبيرز: رويدك لو سمحت. ينبغي ان افهم الموضوع جيداً. هل تستطيع تحديد المكان بالضبط؟ اني اعلم ان الدعامات الطويلة مرقمة من الحرف "أ" الى الحرف "ز".

والجدير بالملاحظة ان فيلبيرز اراد ان يقول "الروافد". لكن العبارة التي دونها في محضر الجلسة كانت "الدعامات". فأبقاها على رغم علمه بخطأه.

سكوت: هذا غير صحيح، لان الترقيم يبدأ من الاعلى بالصفر، ثم يتدرج نزولا الى ا، ب، ج، د، هـ، و، ز. لم لا تلقي نظرة الى نموذجك؟ (والغريب ان فيلبيرز نسي تماما حتى تلك اللحظة انه يحمل في جيبه رسماً بيانياً مرقماً).

سكوت (مرة اخرى): انها الرافدة على ميمنة الطائرة، الرقم ٥ والحرف ج.

فيلبيرز: لحظة. دعني ارى. الرقم ٥ هو الجناح وراء المحرك الأيمن مباشرة. و... ا، ب، ج. نعم! الثالثة. تفضل.

سكوت: وجدنا بعد انتهاء الرحلة ان

الرافدة اجهدت، لكنها لم تتصدع. ومع ذلك، فقد تسببت في مشكلات الغطاء الخارجي التي اودت بحياتنا في المرة الأخيرة. المكان نفسه: ٥-ج.

فيليبيرز: هل انكسرت الرافدة واخترقت الغطاء الخارجي؟

سكوت: كلا، لم تنكسر. لكنها تصدعت كثيراً واحدثت مزقاً في الغطاء الخارجي، ولك ان تتصور المشهد: الغطاء على ميمنة ٥-ج يتمزق ويولد ضغطاً هائلا في الداخل يسفر عن التواء هيكل الطائرة، والضغط الجوي الخارجي يتزايد حدة. واذا بالطائرة تنوء باثقالها وتغوص من علوها للمرة الأولى. اما ما حدث في المرة الثانية فهو اسوأ كثيراً، إذ تزايدت الضغوط على اكياس الغاز الى درجة قصوى وهبت في الوقت نفسه عصفات من الريح العاتية. وهذا الضغط الخارجي الذي اقترن بضعفالصمام ادى الى خلع الصمام من مكانه واذا بالاشتعال الخلفي لمحرّك الطائرة يضرم النار في الغاز الذي بدأ يندفق الى الخارج.

فيليبيرز: صبراً يا سكوتي. لقد استدرجت نوبل الى الحديث عن الروافد ليلة امس عندما كنا مسافرين في القطار، وسألته عما اذا عثر فيها على اخطاء. فرد بقوله: "كلا. أبداً. لا. لا، لا شيء على الاطلاق". ولهذا احجمت عن الاستطراد في الموضوع وطرقت بابا آخر للحديث.

والحق ان "نوبل" اسم مستعار، وكذلك "روبرتس" الذي يرد ذكره بعد قليل. وقد بُدّل الاسمان بناء على طلب فيليبيرز. وكان نوبل يشغل منصب كبير مساعدي كولمور وروبرتس كبير مساعدي اللورد طومسون. وهما آخر مسؤولين نزلا من المركبة الجوية "ر-١٠١" قبيلاقلاعها، واخذا جميع الملفات والاوراق ذات العلاقة بالمركبة. الا انهما، في رأي فيليبيرز، انتهازيان يتسمان بالتملق والنفاق ولا يتورعان عن تمويه الحقائق والتعتيم على تقصير وزارة الطيران واخفاقها.

سكوت: اياك ان تتنفس بكلمة امامه. لا تأمن جانبه يا فيليبيرز. كم يشق علي هذا القول. لكنه يدرك جيداً ما وقع.

فيليبيرز: نوبل يعلم جيداً؟ كيف؟

سكوت: هو وروبرتس معا شاهدان على كل كلمة قيلت في المناقشة الحادة مع طومسون والآخرين.

فيليبيرز: لا شك في ان روبرتس سيصرح بما يعلم.

سكوت: بل هو مسكين لا يقوى على شيء خشية فقدان وظيفته ودفع الثمن غالياً.

فيليبيرز: ثمة امر آخر. كبير المهندسين قال ان المحركات كانت في وضع سليم.

سكوت: يا الهي ما اكذبه! انه لا يتستر من الله بستر. ان المحركين كليهما سببا لنا المتاعب في مختلف الاوقات. لكن الذين نجوا سيتعهدون، بناء علىتعليمات صدرت إليهم،بذكر رواية واحدة تذهب الى ان كل شيء كان على خير ما يرام.

فيليبيرز: ولكن يجب ان احصل على الحقيقة بطريقة ما.

سكوت: لن تفوز بمطلبك. في وسعهم ان ينكروا الحقائق. ولو درى المسؤولون في وزارة الطيران بأنك تشتبه، حتى مجرد اشتباه، بما

يقولون لطاردوك وأقضوا مضجعك. وعلى اي حال، فإن اطلاعك انت بالذات على الحقائق يفرّج من كربنا.

عقد فيليبز سبع جلسات مع ايلين غاريت، تحدث خلالها كل من برانكر وكولمور. غير ان سكوت كان اكثرهم تفصيلا في شرح خلل الاجهزة وظروف انفجار المركبة الجوية. وقد اسهب في ذكر دقائق الامور الى حد مؤلم احيانا (*).

واتضح ان للطائرة "ر-١٠١" ومدى صلاحها للتحليق تاريخاً طويلا حافلا بالمماحكات والنقاش المتسم بالاحقاد والضغائن، ومسجلا بحرص شديد في شتى الرسائل والمذكرات والملفات التي وقعت في ايدي نوبل وروبرتس. على انهما لن يكشفا، ولو جزءاً منها، امام محكمة التحقيق التي رئسها السير جون سايمون. ولهذا راودت فيليبز فكرة الاجتماع بسايمون سراً واطلاعه على المعلومات التي جمعها خلال الجلسات الروحية. ولعل اخطر نقطة فيها ما قاله كولمور في الجلسة الثالثة حول مجموعة كاملة من التقارير عن سير تقدم بناء الطائرة. وهذه التقارير مودعة في درج مقفل داخل مكتبه في كاردينغتون.

واضاف: "ان تاريخ هذه المشكلات مدون في كتاب ذي رقم مسلسل هو الحرف "أ" والأعداد ٥-٧". ولاحظ فيليبز في جلسة لاحقة، هي الجلسة الخامسة، اضطراباً شديداً في صوت كولمور. ودوّن فيليبز في محضر

(*) في إمكان الذين يهمهم الأمر ان يراجعوا النص الكامل لمحضر جلسات فيليبز الذي نشر كاملا للمرة الاولى في الكتاب الملخص هنا.

الجلسة بعد انقضاء فترة ما يأتي:

كولمور: امضيت نهاية الاسبوع الماضي كلها في طيران مستمر دونما انقطاع، محاولا العثور على اوراقي وملفاتي. لقد ذهبت الى مكتبي في كاردينغتون فوجدت ان كلّ شيء قد أُزيل من مكانه. اين اختفت الكتب؟

فيليبز: آمل كلياً ان تكون في حوزة المحكمة، والا فهي مخفية في مكان ما.

وفي الجلسة السادسة اثار فيليبز نقطة مهمة اخرى حول الضابط ن.ج. اثرستون الذي توفي اخيراً في حادث اصطدام. وقد قرىء امام المحكمة جزء من يومياته:

فيليبز: أيمكنك الاتصال باثرستون؟

كولمور: سأحاول. لماذا؟

فيليبز: سمعت ان الكلمات الأخيرة في يومياته هي الآتية: "اننا، كأكباش الفداء، نُقدّم قرباناً لارضاء مجلس الطيران، عليه اللعنة". غير ان كلماته الأخيرة التي قُرئت على المحكمة تؤكد ببساطة ان تجارب الطيران كانت حسنة. والذي اود معرفته هو كيف تسربت رواية "اكباش الفداء" التي سمعتها شخصياً من مصدر موثوق؟ لا يسعني سوى الاستنتاج ان ملاحظته الأخيرة عن الوزارة حذفت من المفكرة في وقت لاحق.

كولمور: ارسلت اروين في طلبه. واروين يقول ان اثرستون خائف جداً ولن ينضمّ الينا. لكنه يقول ان لديه مفكرتين، واحدة رسمية منمقة العبارة واخرى خاصة دون فيها حقيقة خواطره.

وانتهت الجلسة بعيد ذلك الكلام. ولم يفلح فيليبز في الاتصال

باثرستون مباشرة الا في الجلسة الأخيرة التالية:

فيلبيرز: انت تعلم يا اثرستون اني سمعت من افضل المصادر بما دونته انت في احدى مفكرتيك حيث تفصح عن حقيقة مشاعرك. ففي ايهما فعلت هذا؟ وهل لديك حقاً مفكرتان؟ لقد اطلعت المحكمة على مفكرة "جميلة".

اثرستون: لم يكن لدي سوى مفكرة واحدة.

فيلبيرز: هل تعترف بانك كتبت ذلك الكلام؟ اين؟ الا ترى انه يجب اعلامي بالحقيقة؟ انه لأمر كبير الأهمية بالنسبة الى سايمون ان يطلع عليها بنفسه.

اثرستون: انا لم اكن انسانا ذا شأن.

فيلبيرز: ليس هذا موضوع جدل الآن. ارجوك يا كولمور، فسر له ضرورة اطلاعي على الحقائق.

اثرستون: (بعد فترة صمت): عندي مفكرة جيب سلمتها الى زوجتي قبل الرحيل لأني كنت احس بامكان عدم العودة.

وفي نهاية المطاف اجتمع فيلبيرز بالسير جون سايمون رئيس محكمة التحقيق وبكبير مساعديه ل.ف. داربي. وروى لهما القصة كاملة ثم سلمها ملخصة في ثماني صفحات ليس لاستخدامها في التحقيقات ذاتها، لان ما تحويه من معلومات لا يُعدّ ادلة مشروعة، وانما هو للاطلاع فقط، من اجل مساعدة المحققين في ابراز بعض الشواهد المطموسة.

وفعلا، توجه كبير المساعدين داربي فوراً الى كاردينغتون وفتش مكاتبها تفتيشاً دقيقاً بحثاً عن اوراق كولمور التي انكر المسؤولون وجودها.

على ان ارملة كولمور اكدت لداربي حين زار منزلها انها متيقنة من صحة وجودها، لأن زوجها كان يحضر الكتب والملفات احيانا الى داره ويملي عليها بعض الفقرات لادراجها في سجلاته. اما السيدة اثرستون فقد امتنعت عن التصريح بكلمة واحدة، سواء أكانت تأكيداً او نفياً، لوجود المفكرة الخاصة.

وفي ٥ ديسمبر (كانون الأول) فرغت المحكمة من جلساتها، واصدرت بعد اسابيع تقريراً نهائياً غامضاً لم تنحُ فيه باللائمة على احد، وانما ذكرت ان سبب الكارثة هو تسرب الغاز، ولكن "تستحيل" معرفة كيف بدأ. ولم يتضمن التقرير ذكراً لانتقادات كولمور او برانكر او اثرستون وهم على قيد الحياة، او حتى للسجلات او الرسائل او اليوميات ذات الصلة بالحادث. على ان التقرير حرّم طيران "ر-١٠٠"، واهملت الطائرة كلياً في ما بعد. وما ان انفجر المنطاد الالماني "هندنبرغ" بعد ست سنوات من ذلك التاريخ حتى دق الناقوس معلناً موت عصر المركبات الجوية.

مزيد من الغوامض

لم يعلم هاري برايس طوال هذا الوقت بمحاولات فيلبيرز لاكتشاف سر كارثة "ر-١٠١". ولم يعلم فيلبيرز من جانبه بمساعي برايس وكوستر مع ايلين غاريت. غير ان فيلبيرز وبرايس، على افتراقهما، تلاقيا في تيار واحد من ردود الفعل. فقد انقسمت الشواهد في نظرهما الى قسمين: الاول يعزز احتمال استمرار الحياة بعد الموت، والثاني يؤثر في نتائج لجنة التحقيق.

ولما كان برايس جاهلا شؤون السفن الجوية، فقد راح يبحث عن خبير ليدقق في المعلومات التي وردت اليه خلال جلسات استحضار الارواح. وبعث في الوقت ذاته بنسخة عن محضر الجلسات الى وزارة الطيران، اسفرت عن استجابة غير مباشرة تلفت الانتباه. فقد توجه موظفان في سلك المخابرات التابع لسلاح الجو الملكي الى بيت ايلين غاريت من دون ان يقدما سبباً للزيارة. ولما الحت عليهما، أقرّا بانهما اطلعا على النسخة التي بعث بها هاري برايس الى الوزارة، واعترفا بانها تتضمن اموراً سرية. ولهذا فهما لا يجدان مناصاً من توجيه سؤال محرج اليها، الا وهو: هل تربطها علاقة غرامية باحد ضباط الطيران؟

وردّت ايلين على سؤالهما بفتح باب الدار، مشيرة لهما بكل حزم بالخروج.

وفي أوائل نوفمبر (تشرين الثاني) وجه برايس رسالة الى السير جون سايمون، عرض فيها استعداده لتقديم نسخة له عن محضر الجلسات. غير ان رئيس المحكمة امتنع عن قبولها حينذاك.

وبعد انتهاء التحقيقات باسبوعين، نشرت احدى الصحف مقالا بقلم كوستر وبرايس عن محاولة الاتصال بروح الكاتب المتوفى كونان دويل بعدما أقحم اروين نفسه في مستهل جلسات استحضار الارواح. وجاء في المقال انهما سمعا صوتا زعم انه هو الكاتب الذائع الصيت. وكاد المقال كله يقتصر على هذا الموضوع. ولم يأت كوستر وبرايس على ذكر اروين و"ر-١٠١" إلا لماماً وباسلوب غير مباشر لا يتضمن اي تفاصيل.

لكن هذه الاشارة، على اقتضابها، لقيت هوى في نفس وليم تشارلتون، كبير ضباط تموين الطائرة، فكتب بصفة شخصية يطلب السماح له بمراجعة محاضر الجلسات وابداء الرأي في ما يختص باروين وتصريحاته. وبما ان برايس كان يتحين مثل هذه الفرصة، فقد ارسل اليه على الفور نسخة عما دونته خبيرة الاختزال ايتيل بينهام، سائلا تشارلتون ان يعتبر محتوياتها "مادة شخصية خاصة".

وما ان تسلم تشارلتون محضر الجلسات حتى استدعى جميع اعضاء المجلس التنفيذي للفنيين في كاردينغتون واطلعهم على النسخة. ووافق الجميع على انها وثيقة مثيرة للدهشة. وتناقشوا بعد مراجعتها واحداً واحداً، ودوّن كل منهم ملاحظاته الخاصة التي تولى تشارلتون امر تنسيقها. واجمع الفنيرن على ان الوثيقة تحتوي على اربعين اشارة الى امور علمية معقدة وتفاصيل سرية من الحماقة ان نتصور انها صادرة عن مخيلات اشخاص عاديين في حلقة لاستحضار الارواح. واتفقوا على ان تصريحات اروين عن اسباب تحطم الطائرة تراوح بين ما هو "غامض" و"مرجح كثيراً" و"اقوى الاحتمالات ترجيحاً"، وأن مصطلحاته العلمية كلها صحيحة وسليمة بلا استثناء. لكن هناك ثلاثة بيانات تستحق انتباها خاصاً، وهي الآتية:

١. كادت الطائرة تلامس سطوح المنازل في بلدة آشي.

جاءت تحقيقات تشارلتون في هذا

الصدد تعزز ما اكتشفه برايس: "لا تظهر آشي على الخرائط العادية، لكنها مذكورة على الخرائط الكبيرة الخاصة بنقل العتاد الحربي، كالتي كانت في حوزة اروين. والبلدة تقع فعلا على طريق الطائرة "ر-١٠١".

٢. هذا المشروع الباهظ التكاليف، الذي يستخدم الكربون والهيدروجين، ينطوي على خطأ فادح.

علق تشارلتون بقوله: "جرى التفكير ايام اختبار ر-١٠١ في اعداد سلسلة اختبارات تعتمد حرق مزيج من الهيدروجين ووقود النفط (اي الكربون والهيدروكربون) واستمرت الاستعدادات لمثل هذه التجربة العلمية المعقدة التي لم تجرب خلال الطيران. ولا يحتمل ان يدري احد بهذه الشؤون خارج الدوائر الرسمية المعنية".

٣. الشيء نفسه ينطبق على "ش ل-٨". بلغوا اكنر.

"تأكد" ان ش ل-٨ هو رقم الطائرة الالمانية. والحرفان يرمزان الى اسم شوت لانز، احد مصممي المركبات الجوية وصانعيها. واتضح هذا الامر بعدما راجع "ش" (اي تشارلتون) جميع سجلات المركبات الجوية الالمانية. وهذا يعني ان المعلومات لم تكن معروفة لدى اعضاء المجلس التنفيذي قبل التنقيب عنها. الا انها معلومات متوافرة لدى اروين بحكم عمله. اما اكنر فهو الدكتور اكنر الذي بنى طائرات غراف زبلين".

لم يتردد هاري برايس لحظة واحدة في اعلان هذه النتائج التي نشرتها صباح اليوم التالي صحيفة "مورنينغ بوست". وصعق فيليبرز للنبأ. ولكن سبق السيف العذل. فقد صدر التقرير النهائي للمحكمة، وما من رسالة من "عالم الغيب" تستطيع ان تبدل فيه حرفاً واحداً.

النتائج

دأبت ايلين غاريت على مزاولة نشاطاتها عقب الجلسات الخاصة بكارثة "ر-١٠١" لأكثر من ثلاثين سنة. واستمرت حيرتها ازاء قدراتها الغريبة بلا هوادة طوال هذه الفترة. ورضيت بشتى الاختبارات العلمية التي اجراها ج.ب. راين، الاستاذ في جامعة ديوك الامريكية، والدكتور الكسيس كاريل وعلماء النفس في جامعتي كولومبيا في ولاية نيويورك وبالتيمور في ولاية ماريلاند. وانصاعت لمختلف الفحوص والتجارب التي اجراها العلماء والخبراء في باريس وروما واكسفورد وكيمبريدج. على ان النتائج لم تكن مقنعة لأن العلم لم يكن مؤهلا لاستيعاب مثل هذه الظواهر. فحار العلماء في امر قدراتها مثل حيرتها.

اما فيليبرز، الذي كان موظفاً في سلك المخابرات، فقد احجم، نظراً الى طبيعة عمله، عن الادلاء بما لديه من معلومات لسنوات عدة. لكنه كشف النقاب عن بعضها، عقب وفاة السير جون سايمون، لاحد الصحافيين الذين يتمتعون بمكانة مرموقة في مجال عمله، وهو جيمس ليزور الذي باشر تأليف كتاب عن "ر-١٠١". وقال فيليبرز في رسالته الى ذلك الصحافي عام ١٩٥٦: "اشك في امكان اي انسان الادعاء بوجود وفرة من الادلة تشكل برهانا قاطعاً. لكني اعتقد، على كل حال، ان ثمة كثرة من الشواهد المفصلة تمكنني من القول بأن وعينا الفردي، بعد عبوره ابواب

الموت، يستمر في الحياة مستعينا بجسد روحي، وانه يستطيع، في ظروف معينة، جعل أهل الأرض يحسون بوجوده".

وفي العام ١٩٦٧ شرع مايكل كوكس، مخرج الافلام الوثائقية، في تسجيل تحقيقات عصرية لكارثة "ر-١٠١". واتصل بمن بقي على قيد الحياة من أقرباء الضحايا، وتوسع في تحرياته حتى التقى ارملة الضابط اثرستون. وراحت السيدة اثرستون تنقب في اوراق زوجها بعد مرور هذه الاعوام الطويلة، الى ان عثرت على مفكرته الخاصة التي تضمنت سجلا وافياً بسير العمل في بناء "ر-١٠١" وتجاربها. وقد ورد في احدى صفحاتها قوله: "ثمة الحاح جنوني واسراع مفزع لانهاء بناء المركبة الجوية. ان اطلاق هؤلاء الضباط الطيارين فيمركبة جديدة بهذا الحجم لم يسبق اختبارها لهو اجحاف في حقهم. وليس للمركبة قوة تذكر في الصعود بحمولتها. ومن الواضح انها ثقيلة جدا في بنائها السفلي".

وتناولت صحيفة "الصنداي ميرور" اللندنية الخبر بالتعليق الآتي: "لنا ان نتصور مدى الهياج الشعبي لو انكشفت مثل هذه التهم عقب مأساة جوية هذه الأيام".

ولكم أدخل هذا الكشف الجديد الطمأنينة والحبور الى قلب فيليبيرز الذي ظل يتحرى، منذ العام ١٩٣٠، عن ادلة مادية واقعية تؤكد صدق معلوماته. ولهذا، فان اختباراته الروحية مع اصدقائه الذين لاقوا مصرعهم في حادث "ر-١٠١" تعززت الآن بهذه الانباء المتأخرة عن وجود مفكرة اثرستون وطبيعة محتوياتها.

ودعم هذا ايمانه باستمرار الحياة بعد الموت، وأرسى آسسا فكرية راسخة اضيفت الى ايمانه الشخصي بالله.

والحق ان ابطال الرواية الذين ادوا ادوارهم على هذه الشاشة الكبيرة تأثروا كلهم بنتائج الكارثة: فانقلبت نظرات اميلي هنشكليف بين ليلة وضحاها من الشك المطلق الى الايمان الصامد، واصبح هاري برايس اقل تشككاً بعد خبرته مع الكابتن اروين، وانتقل ايانكوستر الى نقطة اقل تطرفاً واكثر تعقلا في شكه. ولم يقو وليم تشارلتون على التمسك بمذهبه التشكيكي، وغدا من المؤمنين بوجود الارواح. وبدأ يدرس علماً نظيراً لعلم النفس.

أما ايلين غاريت، وهي المنبع الذي انبثقت منه هذه الاحداث جميعاً، فقد دأبت ، حتى وفاتها عام ١٩٧٠، على تسخير كل ما لديها من وسائل في دعم المساعي الرامية الى دمج العلوم الطبيعية بالظواهر الخارقة للطبيعة. غير انها لم توفق على الاطلاق في بلوغ غايتها. ومع ذلك فهي جديرة - لما امتازت به من توقد الذهن والفطنة - بأن تكون صاحبة الكلمة الاخيرة في هذه القضية. وقد كتبت الآتي:

"ان اثبات وجود الروح عقلياً مسألة ترك امرها للدين والشعور الشخصي. على ان اياً من الاثنين لا يرسم طريقاً واضحة ومحددة بالنسبة الى الحياة بعد الموت تتقبلها المقاييس العلمية. اما انا فاعيش في عالم حافل بظواهر ما وراء الطبيعة. وهي ظواهر لا تسمح لنفسها بأن تتنحى جانباً، بل تتصرف على الدوام كقوة مرشدة".

■ جون فولر

المختار

من ريدرز دايجـ



وفروا ٥٠٪

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢د



آذار (مارس) ١٩٨٠ - ربيع الثاني ١٤٠٠

المختار

الجزيرة العربية عمرها ١٣٠ مليون سنة ص٦٣

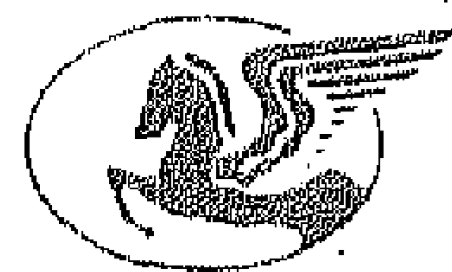
مَن يحكم أمريكا في الثمانينات؟ ص٢١

صور مصرية نادرة من القرن التاسع عشر ص٥٢

AL MUKHTAR *min* Readers Digest March 1980 Nº 16

آذار (مارس) ١٩٨٠ - ربيع الثاني ١٤٠٠

المختار



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً ب ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢د٠

سيكون التلفزيون أكثر متع
لو أنتجت البرامج بنفس



وجهاز تعيين المنظر ذي الدورة الكاملة.
بهذه الطريقة بالضبط صممنا آلة التصوير التلفزيوني الملون ج.س – ٤١٠٠. فاذا اضفت اليها مسجل الكاسيت هـ.ر – ٤١٠٠ المرافق للشريط التلفزيوني الملون النقال وجهاز تنغيم تلفزيوني، فستحصل على كل ما تحلم به: نظام تلفزيوني منزلي متعدد الاستعمالات في مجموعة متكاملة.

VHS

اننا نعرف ذلك. فنحن JVC – شركة الصناعات الالكترونية السمعية / التلفزيونية التي حققت ابتكارات عدة وطورت نظام VHS طوال ٥٢ سنة من الخبرة.

اعتمد علينا في جعل حياتك اكثر تشويقا وفائدة.
زر اقرب وكيل معتمد لـ JVC اليوم واكتشف طريقتنا في جعل تلفزيونك اكثر متعة.

JVC جي في سي



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي : مؤنس طه حسين ·
رئيس التحرير : ادمون صعب ·
رئيس التحرير المعاون : اديب صعب ·
مدير التحرير : فؤاد غطاس كرم ·
امانة التحرير : رينا نداف ·
الاخراج : اروى سيف الدين ·

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس ·

الناشر :
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية ·
المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح ·

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I

الادارة والتحرير والاشتراكات:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات :
شركة تمام TAMAM
19, Av. Franklin D. Roosevelt — 75008, PARIS

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ·

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية - باريس ·

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا ·

الخط: محمد ماجد ·

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ· اوهارا ·
مدير التحرير: آلان دوليرو ·

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية الاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية ·

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D
N° DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: الى البحر (روبنسون)

AL MUKHTAR min Reader's Digest
March 1980 N° 16 *(New Series)*. VOL.2



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA
PRINTED IN ITALY

اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب أن تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- ○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...).
- ○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- ○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر أجنبية.
- ○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France



وداعًا للتلفزيون!

اتسع نطاق اعتماد التلفزيون كوسيلة وحيدة للتسلية في المنزل الى حد بدأ الناس معه يفقدون متعة الحياة العائلية. فماذا عساه يحدث اذا اطفىء جهاز التلفزيون؟

ان معظم الناس ـ اذا سئلوا ـ يتبرأون من سيطرة التلفزيون عليهم الى حد يصبحون معه أسرى له. ومع ذلك فاني اعترف بأن عائلتي وقعت في هذا الاسر اياماً، بل اسابيع لا تحصى. فالطقس بارد ومزاجي حاد والاطفال مرضى وفي حاجة الى التسلية. ويبدو ان هناك على الدوام سبباً وجيهاً لتشغيل الجهاز.

ويزعم الراشدون انهم يحسنون اختيار البرامج التي يودون مشاهدتها. غير أن لكل برنامجه المفضل. واذا اضطرتنا واجباتنا الى الابتعاد عن جهاز التلفزيون احياناً،

فالواقع يشهد على اننا مهيأون لمشاهدة برامجه كلما سمحت لنا الظروف. اما اختيارنا لما نود مشاهدته، أو متابعته مكرهين، فهو قضية اخرى. ويمكن القول انه متى استولت علينا عادة المشاهدة، فاتتنا القدرة على ابتداع اشكال بديلة للترويح، بل فقدنا الرغبة في ابتداعها.

كنت تجاوزت التاسعة عندما اشترى والدي جهاز تلفزيون. وجاءت صوره ضبابية وغير واضحة. وكانت وسيلتي للترويح الحقيقي ان اقضي اوقات فراغي وامسياتي الطويلة في القراءة ولعب الداما الصينية وتدوين الاكاذيب في مذكراتي اليومية. ولكن ما عسى ان يظل عالقاً في ذاكرة اطفالي؟ لن يبقى فيها سوى ذكرى الامسيات الصامتة حيث يتسمَّر كل من افراد الاسرة في مقعده، فيتابعون البرامج المتتالية التي تتراكم في عقولهم حتى تصبح كتلة زهنية لا شكل لها ولا طعم، تعجز الذاكرة، مهما حاولت، عن استعادة اي حدث تخللها على الاطلاق.

وأخيراً وقعت في اسرتي بضعة احداث جعلتني احزم امري على التصرف بجدية. فقد ادركت ذات امسية اني شجعت اطفالي على الصعود الى الطابق الاعلى وتشغيل جهاز التلفزيون حتى اتمكن من انهاء قراءة قصة قصيرة. ولم البث ان تبينت اني دفعت الاطفال الى الاذى حرصاً مني على الاستمتاع بغذائي الثقافي. فتملكني الخجل. وكان ذلك هو النذير الاول.

الى ان جاء السيرك الى بلدتنا، فذهبت الاسرة كلها لمشاهدته. وغصت خيمة السيرك بالمتفرجين. واقبل مدرب الحيوانات المفترسة، فوضع رأسه الاشقر بين فكي احد النمور وهو يتقي، في الوقت عينه، خطر ١٤ نمراً آخر تدور حوله مهددة. وكان من المتوقع ان يسود المشاهدين توتر شديد، لكن ذلك لم يحدث. وغاية ما جرى هو ان المتفرجين تكرموا على المدرب ببعض التصفيق الفاتر. ونظرت الى اطفالي فرأيتهم يحدقون ببلادة الى حلبة السيرك. فخطر لي ان نفوسهم لم تعد تتأثر بمثل هذا العرض مع الحيوانات بعدما اعتادوا مشاهدة التلفزيون وبطولات "الرجل البيوني" (الالكتروني) وهو يصد بذراع واحدة، ابلغتها الصناعة الميكانيكية حد الكمال، سقوط شجرة عملاقة. وكان ذلك هو النذير الثاني.

ثم لاحظت ان ثرثرة اطفالي البريئة اخذت تتخللها العبارات "الجاهزة" على نحو يثير القلق. فأصبحوا يرددون، كالببغاوات، تلك العبارات السخيفة التي تتكرر في برامج التلفزيون. وكان ذلك هو الانذار الثالث.

ودعيت، منذ بضعة اشهر، الى ندوة في عطلة نهاية الاسبوع. وعلى مائدة الفطور تفضلت السيدة الجالسة الى يميني وعرفتني بنفسها ثم سألتني: "ما هي برامج التلفزيون المفضلة لديك؟"

وظننت انها تختبرني، فقلت لها: "وماذا يهمك من ذلك؟"

فأجابت: "اوه! لقد بدا لي انه ربما وجدنا موضوعاً مشتركاً نتبادل الحديث حوله". وهو الانذار الرابع.

ومنذ وقت قريب كنت في مأدبة عشاء، ودار الحديث حول المباريات الرياضية، فقال احد الحاضرين: "لقد تغيرت الاوضاع اليوم. فالجميع يشاهدون المباريات الحية كما لو كانت تعرض على شاشة التلفزيون، ويكادون لا يبدون اي حماسة لأي ضربة جيدة، بل ان البعض يتذمرون من عدم امكان اعادة اللقطة". وكان ذلك هو الانذار الخامس.

عود الى الحرية ـ أخيراً أعلنت في البيت اعتزامي ابعاد جهاز التلفزيون، وقلت: "ان هذا يكفي. سيرحل التلفزيون عن منزلنا غداً". وقرنت القول بالفعل.

لقد احتل جهاز التلفزيون مكانه بيننا زمناً كافياً، وبدا كأن اسرتنا استعاضت به عن كل شيء "حي" فأصبح هو العنصر الوحيد الثابت في مجتمعنا الذي يتزايد فيه عدم الاستقرار.

اما الآن، وقد تحررت أسرتنا من قيود التلفزيون، فإننا نهتم بأمور لم نكن نفعلها ابداً عندما كنا اسرى ذلك الجهاز. وسرعان ما تكيف الاطفال مع الاوضاع الجديدة، فاصبحوا يعملون عقولهم في البحث عن وسائل اخرى للتسلية، وظهرت العاب جديدة على المائدة، وأنزلت الكتب عن الرفوف، واكتشف الاطفال لذة اللعب الهادىء بدمية وهم جلوس على بساط.

وذات مساء جلس الاطفال الثلاثة جميعاً، من تلقائهم، وراء طاولة المطبخ، وراحوا يكتبون الرسائل الى بعض الانسباء الذين يسكنون خارج بلدتنا. ولم يعد غير مألوف أن يبقوا على المائدة بعد العشاء ويتجاذبوا معي اطراف الحديث. وأعظم من ذلك ان حديثهم بدأت تعاوده الاصالة الشخصية وتتلاشى منه، تدريجاً، تلك العبارات السخيفة الملتقطة.

وسألت الاطفال ذات ليلة: "ما هي الحسنة الكبرى في غياب التلفزيون؟"

فأجاب اكبرهم سناً وأفصحهم نطقاً، متكلماً بلسانهم جميعاً: "حسنته هي اننا نتمكن من ان نفعل الاشياء التي نحب".

فأدركت أخيراً مدى الحرمان الذي قاسوه.

■ فيليس ثيروكس



الطبعة الثانية

بعض معالم ارتفاع الاسعار والتضخم اكثر وضوحاً من سواه. ففي المكتبات كتاب ذو غلاف ورقي رخيص عنوانه: "كيف تعيش بدولار واحد". وفي إسفل الغلاف جملة مطبوعة بحرف رفيع تقول: "العنوان السابق للكتاب: "كيف تعيش بنصف دولار".

صحيفة "اخبار ديترويت"

تقدم مجلة

النهار العربي والدولي

على ڤيديو كاسيت

مأساة قرية جنوبيّة:

حكاية قرية وحرب

وثائق مصورة للاعتداءات الاسرائيلية،
صور من الحياة والحرب،
اغنية الجنوب.

قسيمة شراء

اقطع هذه القسيمة وارسلها مرفقة بمبلغ "٣٠٠" فرنك فرنسي
أو ما يعادلها الى العنوان الآتي:

AN NAHAR PUBLICATIONS INTERNATIONALES S.A.
19, Avenue Franklin D. Roosevelt — 75008 PARIS

الاسم ________
الشهرة ________
المدينة ________
الشارع ________
البلد ________
التوقيع ________
شيك ________ اسم المصرف ________

نوع الكاسيت
- ڤ. اش. اس V.H.S ☐
- بيتامكس BETAMAX ☐
- يو - ماتيك U. MATIC ☐

طريقة اللون
- سيكام SECAM ☐
- بال PAL ☐



إن الألم يجمع البشر ويفتح أبصارهم
على طاقات لم تسبق لهم رؤيتها

القلب الكبير

ما ان ولج جيم جيفريز ذلك المبنى القرميدي الحقير بكرسيه ذي العجلات حتى انتابه شعور بأنه يعرف هذا المكان. فقال لزوجته: "لقد كنت هنا من قبل".

ذلك كان معهد الاطفال المقعدين، في ولاية نيوجيرسي الامريكية، الذي دخله جيم، أحد ضحايا مرض العظام الهشة، منذ أربعين سنة. لكنه جاء هذه المرة بناء على طلب احدى المرشدات الاجتماعيات في الولاية. وقد قالت له المرشدة: "اننا نبحث عن مكان لايواء بيتر. انه خلاسي (أحد أبويه أبيض والآخر أسود) في الثامنة من عمره. وهو يعاني، منذ الولادة، خللا في عموده الفقري سبب له شللا

جزئياً في رجليه وفي مثانته. وقد تخلى عنه ذووه. فهل يمكنك إيجاد مكان له؟"

لقد سبق أن استضاف جيفريز وزوجته خمسة أطفال معاقين. لكن جيم لم يتردد في اتخاذ قراره، اذ كان بيتر، بالنسبة إليه، طفلا آخر، في حاجة الى العطف والحنان. وهو يقول: "كلنا يشكو عاهة ما، سواء أكانت جسدية أو نفسية. وبعض هذه العاهات أكثر بروزاً من غيرها. والسؤال المهم هو: ما عساك أنت فاعل للتغلب عليها؟"

لا يعتبر جيم معاقاً، بل مجرد انسان لم تهبه الطبيعة راحة كاملة. كان طوله ١٣٠ سنتيمتراً، كبير الصدر، مستديره، وقد دب الشيب الى لحيته. لكنه كان دائم الابتسام، يعتز بعمله في صنع الخزائن في ورشة صغيرة اقامها في بيته. وكان يقول: "أعطني سلماً كي أتسلقه، فاصبح انساناً معاقاً. ولكن اذا طلبت مني ان اصنع خزانة فسوف ترى صانعاً ماهراً. إن الدليل على قيمة الانسان هو امكانياته وليس عاهاته".

لقد أصيب جيم بأكثر من مئة كسر مختلفة، وأمضى معظم حياته في كراسي المقعدين. وعندما بلغ الرابعة تمكن أحد الاطباء من اقناع والديه بإدخاله إحدى المؤسسات المتخصصة كي يتلقى العلاج المناسب. لكن ما حدث هو أن جيم ووالديه لم يستطيعوا تحمل الفراق. وعاد جيم الى بيته بعد ثلاثة أسابيع.

وترك ذلك الحادث في نفس جيم شعوراً بالخوف من المستشفيات ومن تخلي الاهل عنه. ولازمه هذا الشعور طوال حياته، لكنه ساعد، في الوقت نفسه، على ايقاد جذوة في قلبه. وقبل بلوغه السادسة كانت رياضته المفضلة ان يجره اصدقاؤه في عربته الى قمة تلة شديدة الانحدار، ثم يتركوه لينطلق الى اسفل باقصى سرعة ممكنة.

وعند التحاقه بالمدرسة الثانوية اعتاد جيم ان يجول بكرسيه مسافة ثلاثة كيلومترات كل يوم، ذهاباً واياباً، في جميع الاحوال الجوية. وفي السادسة والعشرين من عمره كان يملك سيارة خاصة، واصبح سائقاً محترفاً للسيارات القديمة التي يجدد محركها فتستعمل للسباق.

عظمة العطاء – في العام ١٩٦٢ التقى جيم، للمرة الاولى، هارييت ويذربي. وهي ممرضة تفيض دفئاً ونعومة، عادت لتوها الى نيويورك بعدما خدمت في احدى الارساليات في نيجيريا. ومن أجل هارييت توقف جيم عن سباق السيارات.

ثم تزوجا، وراحا يخططان لعائلة قوامها اثنا عشر ولداً. لكن ابنهما الاول، مارك، ولد مصاباً بمرض العظام الهشة. واكد طبيب العائلة لجيم وزوجته ان ذلك لن يحدث مرة اخرى. وهكذا ولدت الين بكامل صحتها. لكنهما اكتشفا في ما بعد أن طبيبهما كان على خطأ. فقد كان احتمال انتقال المرض الى أطفالهما يشكل نسبة ٥٠ في المئة.

قرر جيم وزوجته أن يتبنيا ولداً. ولكن تعين عليهما الانتظار فترة طويلة دامت حتى العام ١٩٦٩، عندما أبلغا أن هناك طفلة كورية في حاجة الى بيت يرعاها. وكانت الطفلة،

كيمبرلي، ابنة ثلاث سنوات. وقد تركها الجوع أشبه بشبح بعدما تخلى عنها ذووها في مدينة سيول. كان جلدها ضارباً الى الزرقة، مما يدل على نقص في نسبة الاوكسيجين في الدم. ولم يسبق لهذه الطفلة ان تكلمت ابداً.

وافق جيم وهارييت فوراً على تبني كيمبرلي. ويقول جيم: "كانت كيمبرلي في أمس الحاجة الى العناية، وذلك لشعورها العميق بعدم الامان. وكانت كلما اعطيناها شيئاً تحاول اخفاءه. واذا خيل اليها اننا سنبعد الطعام عنها، كانت تطلق صيحات الرعب".

وأحاط جيم وزوجته تلك الطفلة بالمحبة والعناية كي تشعر بأنها جزء من العائلة. وهكذا تبددت مخاوف كيمبرلي تدريجاً، ونطقت أخيراً بكلمتها الاولى: "كيمبرلي". بعد ذلك اخذ قلبها يتفتح لهما يوماً بعد يوم.

بعد ثلاث سنوات طلبت جمعية تبني الاطفال المعاقين والمهجورين في ولاية نيوجيرسي من آل جيفريز النظر في امكان تبني الطفل جيمي، ذي الاربع سنوات، الذي ولد بلا ساقين. وكان جواب جيم على الفور: "بالتأكيد!"

ووهبت جمعية تبني الاطفال المقعدين والمهجورين في ويلمينغتون (ولاية ديلاوير الامريكية) الصبي أطرافاً اصطناعية. وثبت جيم عارضتين أفقيتين متوازيتين أخذ يدرب جيمي عليهما ساعتين، على الاقل، كل يوم لمدة سنة. لكن ارتفاع الساقين الاصطناعيتين أخاف الصبي، فرفض ان يخطو بهما خطوة واحدة.

وكان يقف ويصيح باكياً: "لا أستطيع! لا أستطيع!" فيرد عليه جيم صائحاً هو الآخر: "بل إنك تستطيع!"

وحدث يوماً أن حظر جيم عليه مشاهدة التلفزيون لمخالفة ارتكبها. فهدد جيمي بالهرب. وشد الساقين الاصطناعيتين الى جسمه، وتمكن بعد جهد من الوصول الى ساحة البيت الخلفية حيث اختبأ خلف شجرة. ويقول جيم: "كان ذلك بمثابة البداية، لانه في ذلك اليوم غادر البيت على ساقيه الجديدتين من دون أي مساعدة.

أغلى من العين – في العام ١٩٧٣، استقبل آل جيفريز طفلا آخر هو ريتشارد. وكان ضريراً في الثانية عشرة من عمره، وله سجل حافل في البيوت التي استضافته منذ كان في السادسة، وذلك بسبب نشاطه المفرط الذي كان اشبه بحال مرضية.

كان ريتشارد، أول الامر، لا يهدأ على حال. فاذا اصطدم بكرسي سارع إلى قذفه عبر الغرفة. كان صوته عالياً وحاداً مما جعل الحديث في حضوره أمراً صعباً للغاية. وانتاب هارييت، لما لديها من خبرة في التمريض، شك في صلاح جرعات الدواء الموصى بها للتخفيف من نشاط ريتشارد المفرط الذي كان سبب سلوكه الشاذ. وقد أكد أحد الاطباء صحة شكوكها، اذ عندما اوقف اعطاؤه الدواء تحسن سلوكه على نحو فوري تقريباً.

بعد منع الادوية عن ريتشارد بدأ يشعر بخيبة الامل. ولذلك قرر جيم أن يكل اليه أعمالا منزلية لا تشكل عبئاً عليه. ويقول جيم: "لقد حاولت ان

هذا سؤال بديهي لا بد وقد تساءله احيانا الاف من زبائننا في جميع انحاء العالم .

طبعاً هناك الكثير من مختلف الأسباب . ولكن لسبب الجوهري يجب أن يكون كثرة الأصناف التي نقدمها ومداها . وبلا شك فان Mothercare هي أكبر الجهات في العالم اختصاصاً فيما قد تتطلبه السيدة التي ستصبح أماً وما يحتاج اليه طفلها واولادها حتى سن العاشرة .

وأن خدماتنا البريدية معضدة بأكثر من ٣٦٠ مخزناً في أنحاء بريطانيا وأوروبا والولايات المتحدة ، وكل ما نبيعه قد صمم وصنع خصيصاً لنا ونرسله مباشرة اليكم ، مما يعني أن أسعارنا شديدة المنافسة حتى بعد اضافة رسوم الارسال بالبريد .

ومن باب الأهمية الزائدة ، تمكننا من وضع معايير الأمان الشديدة وكونها عملية مع الجودة .

ومع ذلك ، فاذا لم نكن قد تمكننا من اقناعك حتى الآن ، ربما حان الوقت كي تتطلعي على كتالوجنا الذي يقدم اليك مجاناً وسيدهشنا حقاً اذا لم يحز على اعجابك بمحتوياته . فهناك ٢٤٤ صفحة مليئة بكل ما قد تتطلبه الام ، ونظام الفهرس البسيط الذي نتبعه سيجعل من ملء استمارة الطلب المزودة معه على غاية من السهولة . فجميع الأحجام مذكورة بكل توضيح ، ولأن الكتالوج مطبوع بالألوان فلن يكون من الصعب مزج وملاءمة تشكيلتنا الواسعة من الأصناف .

وحال استلامنا لطلبك سترسل لك البضائع فوراً . وقد يزيد في اطمئنانك أن تعلمي أنه لسبب مستبعد ما لن تحوز بضاعتنا على رضائك التام سنرد اليك ما دفعتيه بدون أي سؤال .

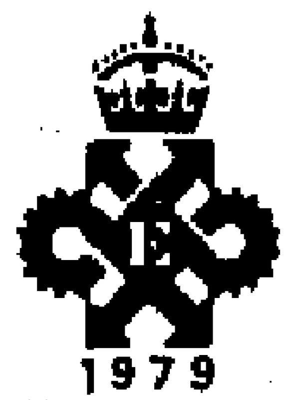
والآن وقد أصبحتي على علم بالأسباب التي تدعو العديد من الامهات لارسال طلباتهن « كل الطريق الى انكلترا » ابدئي أنت بملء الكوبون أدناه .

Mothercare-by-Post ـ أمر سهل مثل ١ـ٢ـ٣

١ ـ الرجاء ملأ الكوبون وارساله بالبريد الجوي .

٢ ـ عند استلام الكتالوج ، املأي ما تختارينه من البضاعة على استمارة الطلب المزودة وارسليها الينا .

٣ ـ سنقوم بارسال ما تطلبينه فوراً .



Mothercare®-by-Post

كل ما تحتاج اليه الأم وطفلها .... وأولادها حتى سن العاشرة .

وآخر لصديقتك

رجاءً اطلبي الآن كتالوج الربيع / الصيف ١٩٨٠
الجديد المطبوع بالالوان الكاملة والمحتوي على ٢٤٤ صفحة .

To: Mothercare-by-Post (Dept. CA) P.O. Box 145, Watford, England.

الاسم : ______________________

العنوان : ______________________

____

البلد : ______________________ GS

Mothercare®-by-Post

كل ما تحتاج اليه الأم وطفلها .... وأولادها حتى سن العاشرة .

واحد لك

رجاءً اطلبي الآن كتالوج الربيع / الصيف ١٩٨٠
الجديد المطبوع بالالوان الكاملة والمحتوي على ٢٤٤ صفحة .

To: Mothercare-by-Post (Dept. CA) P.O. Box 145, Watford, England.

الاسم : ______________________

العنوان : ______________________

____

البلد : ______________________ GR

Mothercare®-by-Post

كل ما تحتاج اليه الأم وطفلها .... وأولادها حتى سن العاشرة .

لماذا ترسلي طلبك لملابس طفلك كل الطريق إلى إنكلترا ؟

FREE!

mothercare

everything for the mother-to-be and her baby
...and children up to ten

spring and summer 1980








أنميّ في ريتشارد عادة انجاز المهمات الصغيرة. وكنت أطريه كلما أدى إحداها، مما غرس فيه إحساساً بالمسؤولية ولذة الإنجاز".

ورافق هذا التطور بروز شعور بالثقة في النفس لدى ريتشارد، مما أثار دهشة جيم وهارييت. كان ريتشارد لا يرى سوى الظلال بسبب اصابته بالعمى. لكنه تعلم ركوب الدراجة الهوائية. ويقول جيم في ذلك: "إن الدراجة هي جزء من نمو أي طفل. ولم نشأ أن يشعر ريتشارد بأنه مقيد، اذ ان ذلك يؤكد إحساسه بعاهته الدائمة".

وبعد مجيء ريتشارد واصلت عائلة جيفريز السعيدة نموها. فانضم إليها، في العام ١٩٧٣، الصبي الكوري كلارك الذي اقعده شلل الاطفال. كما انضمت اليها، بعد سنة، الطفلة أليس التي تخلت عنها والدتها، وبيتر الذي كان يشكو خللا في عموده الفقري. وفي العام ١٩٧٧، التحق بها الطفل جون، المصاب بداء السكري والذي تنقل بين منازل كثيرة قبل أن يستقر به المقام لدى آل جيفريز.

حياة كشفية - ويعلم جيم اطفاله، قبل اي شيء آخر، ان يثقوا بانفسهم وبالآخرين. وهو يقول: "اذا كسرت ساقاً او ذراعاً فسوف يعيقني ذلك. لكنها ليست بكارثة، اذ يمكن ان تكون المصيبة أسوأ. تلك هي الفكرة التي ارسخها في اذهان اطفالي. وإني أقول لهم دائماً: تستطيعون ان تفعلوا افضل من ذلك بقليل".

على ان اكبر امتحان لايمان جيم يأتي عندما يحين الوقت لدفع الفواتير. ذلك أنه، إضافة الى الضروريات التي تتطلبها عائلة مكونة من أحد عشر فرداً، يواجه آل جيفريز نفقات طبية هائلة. وبينما تتلقى العائلة اعانة حكومية ضئيلة، فان ما يكسبه جيم من عمله كصانع خزائن، وما تكسبه هارييت من عملها الليلي كممرضة في أحد المستشفيات، يكادان لا يسدان حاجات هذه العائلة.

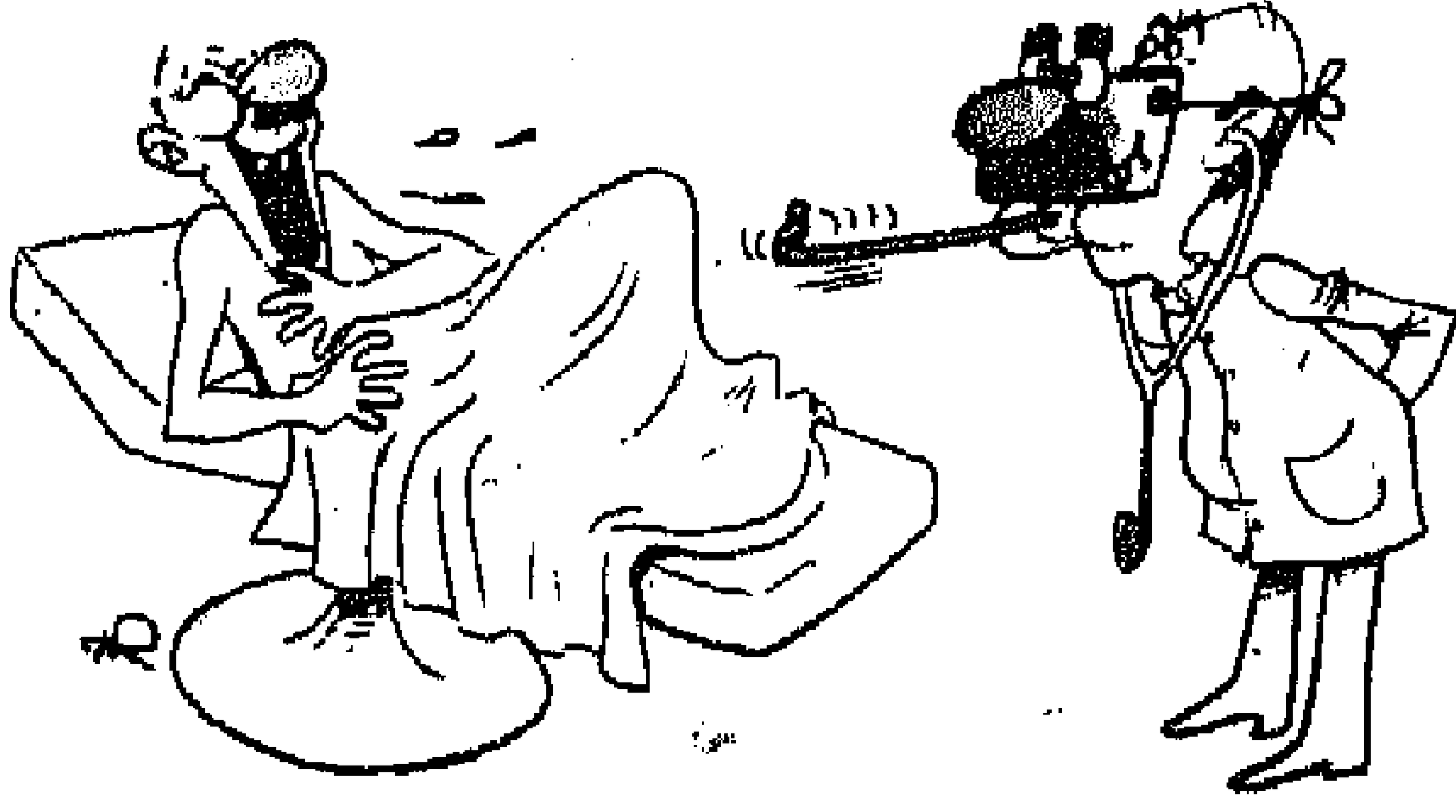
وعندما يحين وقت الاجازة السنوية يركب آل جيفريز سيارتهم الستايشن في رحلة تخييم قليلة التكاليف.

ويقول جيم: "ان حياة المخيم تعلمك الاعتماد على النفس، وان مارك هو الدليل على ذلك الى حد مخيف أحياناً. لقد قفز بعض الاصدقاء، مرة، من منحدر صخري يبلغ ارتفاعه نحو خمسة امتار، الى مياه البحيرة. وتبعهم مارك فوراً. وسألته هارييت ما اذا كان الاطباء يعلمون بحاله الصحية. فأجابها باعتداد: "طبعاً لا، والا لما تركوني افعل ما فعلت!"

وغالباً ما تسود منزل آل جيفريز حركة صاخبة، إذ يمكن الاطفال، على رغم تباين شخصياتهم وطباعهم، ان يكونوا اصدقاء للحظة وان يتشاجروا في اللحظة التالية. إن مارك، مثلا، متدفق الشعور. أما ريتشارد فهو اكثر انطواء على ذاته. ومنذ سنوات، عندما كان الاثنان يلعبان كرة السلة، حدثت بينهما مشادة كلامية. فقد رمى مارك الكرة الى ريتشارد الذي لم يستطع رؤيتها الا في اللحظة التي ضربت وجهه. عندئذ لكم مارك على خده.

■ روث وينتر

الضحك خير دواء



برهان تجاري

في حانوت يبيع معجوناً يعيد الشباب الى البشرة، سألت امرأة بشيء من عدم التصديق:"هل منه نفع؟" فاعاد البائع سؤالها بسخرية:"هل منه نفع؟" ثم التفت الى شابة تقف الى جواره وقال:"ناولي السيدة علبة يا... امي".

صحيفة "فايننشال تايمس"، لندن

رجوع الشيخ...

ذهبت لزيارة صديق مسن في دار للتمريض، وكان عمره ٩٧ سنة وقد اصيب بالعمى التام ومضى عليه ما يزيد على السنتين وهو طريح الفراش. وخلال زيارتي دخلت ممرضة غرفته واخذت يده بين راحتيها وقالت:"جئت لاودعك يا سيدي، اذ لن اعمل هنا بعد اليوم لاني سألد طفلا عما قريب".

وبعد برهة صمت خاطفة، لاح طيف ابتسامة على وجهه وجاء جوابه لاذعاً:"حسناً، ولكن لا تلوميني، فلست انا السبب".

ا.ا.

خجل الزهور

بينما كنت ازرع بذور زهرة البق في الربيع الماضي، لاحظت ان غلاف علبة البذور يتضمن تعويضاً كاملا في حال عجز البذور عن ان تنبت. لذا كتبت بعد بضعة اسابيع الى الشركة، معبرة عن خيبة املي من ان البذور لم تنبت فعلا. وذكرت عرضاً ان بذور ازهار الزينة والزهرة النجمية التي اشتريتها من شركة اخرى وزرعتها في اليوم نفسه آخذة في النمو.

وبعد ايام قليلة تسلمت المبلغ الذي خسرته وعلبتي بذور جديدتين، اضافة الى رسالة ودية تتضمن مقترحات حول طريقة زراعة البذور. وختمت الرسالة بالآتي:"نظن ان المشكلة تكمن في ان بذورنا شعرت بخجل شديد لانها وضعت في حوض واحد مع بذور شركة اخرى الى حد انها عجزت عن كشف وجهها من شدة الحياء".

ي.م.ر.

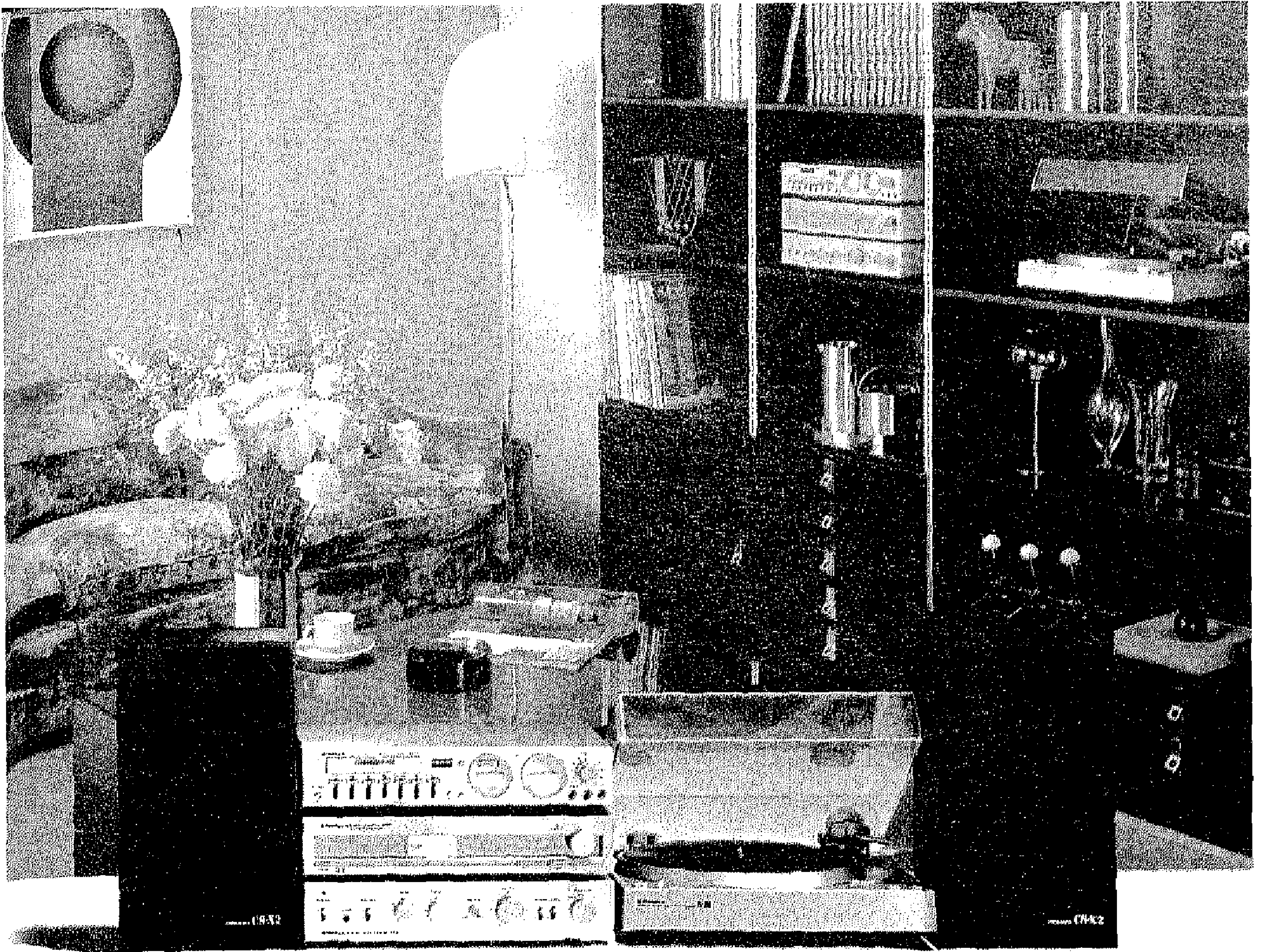
هاجس "الفردة" الثانية

كان احدهم يقطن في شقة تقع مباشرة تحت شقة رجل اعتاد ان يأتي متأخرا في الليل فيخلع حذاءه ويرمي الفردة الأولى ثم بعد دقائق يرمي الفردة الثانية مما يسبب ازعاجاً لجاره فلا يستطيع النوم من جراء توتر اعصابه.

وذات يوم قال له: "ارجوك ايها الجار حين تأتي في الليل اخلع حذاءك بهدوء لانك تزعجني". فوعده خيراً.

وفي اليوم التالي طرح الرجل، كالعادة، فردة حذائه الأولى ثم تذكر ما وعد به جاره فوضع الفردة الثانية بهدوء. وبعد نصف ساعة سمع قرعاً على الباب ولما فتحه وجد جاره يقول له: ارجوك اخلع الفردة الثانية لأني اريد ان انام.

نشات حلمي - حمص (سوريا)



Mini Hi-fi System النظام الجديد "ميني هاي - فاي"

الآن، صوت ستيريو أفضل نوعيّة في جهاز أصغر حجماً وأكثر ملاءمة

نظام بايونير الجديد "ميني هاي - فاي" لموسيقى الستيريو يلفت النظر والسمع معاً. لقد أخذنا أفضل فوائد الأجهزة الصغيرة المتناسقة حجماً ودمجناها بنجاح عظيم بخبرة تنوف عن ٤٠ عاماً في عالم الصوت. النتيجة، كانت نوعيّة أفضل في تصميم فريد أكثر ملاءمة وتماشياً مع حياة ومتطلبات العصر، نوعية صممت خصيصاً لعالم من الصوت أكثر كمالاً.

صغير، ليس تماماً. نسق حجمه بحيث أصبح أكثر تحملاً وديمومة.

مطور في تصميمه وتقنيته، إلا أنه بعيد عن التعقيد بسيط الأداء سهل التشغيل.

ثم، نظام بايونير "ميني هاي - فاي" لموسيقى الستيريو هو نظام كامل. "بيك آب" مضخم للصوت، جهاز إستقبال FM/AM، وخيار لأنظمة مكبرات الصوت. بالاضافة إلى "كاسيت دك" متجانس التصميم. وبايونير قد حافظت على وحدة الشكل والقياس. فكل وحدة من النظام تقيس في عرضها فقط ٣٨ سم. فلا تحريف في جمال الموسيقى ونقائها، ولا تحريف في جمال وترتيب غرفتك.

نظام بايونير الجديد "ميني هاي - فاي" لموسيقى الستيريو. يمتعك بعالم "الهاي - فاي" الحقيقي بسعر معقول. فالشيء الوحيد "الميني" فيه هو فقط المساحة التي يستهلكها.

PIONEER بايونير

Pioneer Electronic Corporation 4-1, Meguro 1-chome, Meguro-ku, Tokyo 153, Japan

الانترفيرون بداية الطريق في معالجة السرطان

هذه المادة الشبيهة بالهرمون تبشر بالخير كسلاح فعال ضد عدد من الامراض، من بينها بعض أشكال السرطان

"لست ازعم أن الانترفيرون سيكون العلاج الساحر ضد السرطان". هذا ما قالته الدكتورة ماتيلد كريم، الاختصاصية في علم الوراثة والخبيرة في الفيروسات السرطانية والمديرة المساعدة لمختبرات الانترفيرون في مركز سلون - كيترينغ التذكاري لمكافحة السرطان في نيويورك. وأضافت: "لكن هذا العقار يبشر، في مراحله التجريبية الاولى، بخير كثير في مكافحة الاشكال الرئيسية لهذا المرض الخبيث. كما أن ما ظهر من آثاره الجانبية قليل حتى الآن، وكله قابل للتدارك".

لقد شهد العام ١٩٥٧ النجاح الاول في عزل الانترفيرون - الذي يطلق عليه اسم "اف" اختصاراً - وذلك في المعهد الوطني البريطاني للبحوث الطبية، على يد العالم الراحل الدكتور أليك أيزاكس ومعاونه الدكتور جان ليندنمان السويسري الاصل. وكانت المادة التي تم عزلها شبيهة بالهرمون وتتألف من جزيء بروتيين متحد مع نوع من الكربوهيدرات.

وتنتج خلايا الجسم نفسها هذه المادة بكميات ضئيلة كرد فعل لدى تعرضها لهجوم فيروسي. لكن الامر يحتاج الى كميات ضخمة من الدم البشري لاستخلاص مقدار صغير من الانترفيرون (بواسطة عملية كيميائية كان رائدها العالم الفنلندي الدكتور كاري كانتل) بحيث أنه لو أمكن الحصول على نصف كيلوغرام من الانترفيرون فان كلفته ستبلغ مليارات الدولارات. ولحسن الحظ أن وحدات الانترفيرون تقاس بالبيكوغرام، أي بجزء من ألف مليار من الغرام.

والانترفيرون مادة مثيرة للعجب الى أبعد حد، بما لها من آثار بعيدة في معظم العمليات التي تجري داخل الخلية الحية. ولذا فهي محط الاهتمام الشديد لعلماء الفيروسات والجراثيم والمناعة والوراثة وبيولوجيا الخلايا. ومن الممكن أن تصبح هذه المادة من أكثر العلاجات تنوعاً في فوائدها فيتاريخ الطب.

وتقول ماري لاسكر، رئيسة مؤسسة ألبرت وماري لاسكر التي تشجع تقدم البحوث الطبية: "حتى وإن أسفر الانترفيرون عن خيبة أمل في مجال علاج السرطان – وهو ما أشك فيه – فسيبقى أكبر أمل لدينا للوقاية من مجموعة متنوعة من الامراض التي تسببها الفيروسات".

عندما حقق ايزاكس وليندنمان انجازهما، كان من الامور المعروفة ظاهرة تسمى ظاهرة "تدخل الفيروسات"، وفحواها أن وجود أي فيروس يعوق تأثير أي فيروس آخر. فاذا حقن لقاحان من فيروسات حية في مكانين متقاربين من الجسم، فان كلا منهما يعوق تأثير الآخر. لماذا؟ المنطق يقول إن الكائن الذي يضعفه فيروس معين لا بد من أن يصبح أكثر تعرضاً للاصابة بفيروس آخر والتأثر به.

وقد حقن أيزاكس وليندنمان فيروس الانفلونزا في خلايا غشائية مأخوذة من بيض الدجاج. وبعد تكاثر الفيروس أزالا جميع الفيروسات الاخرى والخلايا وجاءا بخلايا جديدة سليمة من كل عدوى. وعندما أدخلا فيروساً جديداً بقيت ظاهرة التدخل على قوتها تماماً، وحمت الخلايا الجديدة من العدوى. وتبين عندئذ أن تدخل فيروس ما لا يلغي تأثير الفيروس الآخر، وانما الذي يحدث هو أن الفيروس الاول يحفز الخلايا على إنتاج مادة معينة هي مادة التدخل التي كشفت بحوثهما عن أنها ذلك البروتيين الذي أطلقا عليه اسم "إنترفيرون".

رسائل إنذار – عندما تتعرض الخلايا لغزو أحد الفيروسات فانها تبدأ إنتاج الانترفيرون. ولا تدخل جزيئات الانترفيرون معركة مباشرة مع الفيروسات المهاجمة، وإنما تذهب، بدلا من ذلك، إلى الخلايا المحيطة وتحفزها على إنتاج مواد أخرى تقمع تكاثر الفيروس داخل الخلية قمعاً فعالا، وتنقل القدرة على مقاومة الفيروسات الى خلايا أخرى، فتحميها بدورها وتحمي الكيان العضوي كله من الفيروس. وعلى ذلك فان جزيئات الانترفيرون هي، في واقع الامر، رسائل "إنذار" من خلية الى أخرى.

وواضح أن هذا النظام هو خط

الدفاع الاول للكيان العضوي ضد الفيروسات. وهو يتحرك الى "مواقع القتال" خلال ساعات قليلة من اكتشاف رؤوس الحراب الفيروسية الاولى، قبل أن تتمكن العناصر الاخرى في نظام الحصانة لدى الجسم من تعبئة قواتها بفترة طويلة. وعندما تبين من هذا الاكتشاف أن الجسم ينتج مادة مقاومة للفيروسات خاصة به، انتعش الامل في أن يصبح الانترفيرون - بعد عزله وتنقيته والتوصل الى إنتاجه صناعياً بكميات كبيرة - علاجاً ناجحاً للأمراض الفيروسية يعادل، في فعاليته، النجاح الذي تحرزه المضادات الحيوية في مجال أمراض العدوى الجرثومية.

وتنبع موجة الاثارة، التي تحيط بإمكانات الانترفيرون في الاجل الطويل، من الانجازات التي ثبت أنه يحققها في عدد من الامراض، من بينها أشكال عدة من السرطان لا تستجيب للعلاج الكيميائي. ويحذر العلماء من الافراط في التفاؤل، ذلك لأن الحالات التي شملتها التجارب قليلة جداً ولأن الانترفيرون المستخدم لم يكن على درجة من النقاء تكفي لاستبعاد احتمال وجود مواد أخرى أحدثت ما لوحظ من تأثيرات. إلا ان أولئك العلماء يظنون أن الانترفيرون - على أقل تقدير - سيكون بالغ الفائدة كعامل مساعد ومكمل للعلاجات الحالية في بعض أنواع السرطان.

وقد أسفر استخدام الانترفيرون عن بشائر جيدة في السيطرة على بعض الثآليل والاورام غير الخبيثة كما أنه قد يساعد على عدم رفض الجسم للاعضاء المزروعة جراحياً.

وعلى رغم أن الدراسات تنطلق، أساساً، من زاوية اعتباره مادة مضادة للفيروسات، إلا أن الاختبارات التي تجرى على النماذج الحيوانية تشير إلى أنه يوفر الوقاية من بعض الامراض المعدية التي تسببها أنواع من الجراثيم والبروتوزوا (الحيوانات الوحيدة الخلية) وسواها - بما في ذلك الملاريا - ومن بعض أمراض المناعة الذاتية، مثل التهاب المفاصل الروماتيزمي.

وتبدو امكانات الانترفيرون جيدة، كذلك، بالنسبة الى العلاج الطويل الاجل لمرض "التهاب الكبد - ب"، وهو النوع المزمن من التهاب الكبد الذي يمكن أن يهدد أداء الكبد وظائفه بالخطر، وربما ساهم، أيضاً، في إحداث أكثر أنواع سرطان الكبد انتشاراً. أما داء "المنطقة" (القوباء)، وهو مرض فيروسي يصيب كتلة عصبية وترافقه بثور جلدية، ومرض جدري الماء، وكلاهما ينتجان عن نوع واحد من الفيروس، فهما من الامراض المرشحة للعلاج الفعال بالانترفيرون، مثلهما في ذلك مثل تقرح الشفة وغيره من أنواع العدوى التي يسببها فيروس القوباء.

نتائج مدهشة - ظهرت، بالفعل، دلائل تشير الى فعالية الانترفيرون في مكافحة حالات العدوى بالفيروسات التي تؤثر في الجسم كله لدى الاطفال الحديثي الولادة، كما تشير الى فعاليته الكبرى في أمراض الجزء الاعلى من الجهاز التنفسي، بما في ذلك الانفلونزا والزكام، وفي العلاج الموضعي للامراض المعدية التي تصيب العين وتؤدي الى العمى.

وفي العام ١٩٧٢ اجرى الدكتور توماس ميريغان، رئيس قسم الامراض المعدية في جامعة ستانفورد في كاليفورنيا، بالاشتراك مع باحثين في قسم الزكام في المركز البريطاني للبحوث الطبية في سالزبوري (انكلترا)، اختبارات أظهرت عملياً، وعلى نحو يثير الدهشة، مدى امكانات الانترفيرون كوسيلةللوقاية من فيروسات الزكام. غير أن الامر احتاج الى ما قيمته ٢٠٠٠ دولار من رذاذ الانترفيرون لوقاية شخص واحد من إصابة واحدة. وإلى أن يتوافر الانترفيرون بكلفة أقل، سيظل الباحثون يركزون جهودهم في أنواع العدوى الفيروسية التي تهدد الحياة بأخطار أكبر.

ويقول الدكتور ميريغان: "إن المصاب بورم خبيث يتعرض لخطر مزدوج، ذلك لأن جهاز المناعة لديه يكون أضعف من الطبيعي. ثم يزيد من ضعفه العلاج الكيميائي والعلاج بالاشعة. وعندما تتدنى المقاومة الى هذا الحد فان أي عدوى تصيب المريض تظهر في أشد صورها ضراوة. وهناك العديد من مرضى السرطان لا يموتون من السرطان، وإنما من عدوى تصيبهم وهم تحت وطأته. ومن أكثر أنواع هذه العدوى شيوعاً إصابتهم بفيروس القوباء (هربيس - زوستر).

"وقد أجرينا سلسلة من ثلاث تجارب شملت ٩٠ مريضاً بالسرطان. ولاحظنا فعلا بعض الآثار الجانبية للانترفيرون، مثل الحمى والتوقف الموقت عن إنتاج نخاع العظام عند مستوى الجرعات العالي الذي يتطلبه علاج السرطان. لكن التجارب أثبتت أن الانترفيرون يمكنه منع انتشار عدوى القوباء لدى مرضى السرطان. ونحن نعتقد الآن أن الانترفيرون قد يكون له دور مهم في علاج الاصابات بعدوى الفيروسات التي تؤثر فيالجسم بأكمله".

بين الشك والرجاء - من أوائل مستخدمي الانترفيرون في علاج السرطان الدكتور هانس ستراندر في مستشفى كارولينسكا في استوكهولم عاصمة اسوج. وهو راقب، بدقة، نتائج تجارب العلاج بالانترفيرون لدى الفئران المصابة بالسرطان، قبل أن يبدأ تجربة علاج الناس بهذا العقار.

وكانت إحدى مجموعات التجارب التي أجراها الدكتور ستراندر تضم مصابين بورم خبيث في العظام، وهو نوع نادر من السرطان قد يصحب دفقة النمو التي تطرأ عند البلوغ. ويتفشى الورم غالباً حول العظام الطويلة، ويكون البتر هو العلاج المعتاد. ويتميز هذا المرض بامكان توقع تطوره، في معظم الحالات، الى انتشار الورم في أجزاء أخرى من الجسم، ثم الوفاة خلال عامين.

ويقول الدكتور ستراندر: "في الحالات الـ٣٤ الاولى التي عالجناها بالانترفيرون، لم ينتشر المرض في بقية أجزاء الجسم إلا لدى نصف المرضى الذين كان متوقعاً أن يحدث لهم ذلك. بل إن الذين أصابهم هذا الانتشار عاشوا فترة أطول من المعتاد". وقبل علماء كثيرون النتائج التي انتهى إليها الدكتور ستراندر. ومع أنهم لم يعتبروها نهائية، إلا

أنهم وجدوها مشجعة. وقد أيدتها نتائج الاختبارات التي أجراها أطباء آخرون.

وأقبل الباحثون في بلدان مختلفة على بذل جهودهم لتحديد امكانات الانترفيرون. وفي العام ١٩٧٨ بدأت الجمعية الامريكية لمكافحة السرطان برنامجاً للاختبارات اعتمد له مبلغ مليوني دولار. وتلك هي المرة الاولى في تاريخ الجمعية يخصص مثل هذا المبلغ لمشروع محدد الاهداف كهذا. وتشمل التجارب أربعة أنواع من السرطان، لكن ندرة الانترفيرون وارتفاع كلفته فرضا اقتصار التجارب على عدد لا يتجاوز ١٥٠ مريضاً.

وقد يثور السؤال: لماذا استغرق الباحثون هذه السنوات كلها قبل أن يبدأوا العمل الجدي؟ الواقع أن أحد الاسباب هو طبيعة الانترفيرون نفسه، إذ أنه - خلافاً للجزيئات كالانسولين الخاص بعلاج مرض السكر - "نوعي مختص" إلى حد كبير، بمعنى أن علاج الفئران يستلزم إنترفيرون الفئران، وعلاج البشر يتطلب إنترفيروناً بشرياً. يضاف الى ذلك أن استخلاص الانترفيرون كان، منذ البداية، عملية بالغة الصعوبة.

ويقول الدكتور ساموبل بارون، رئيس قسم الميكروبيولوجيا في الفرع الطبي لجامعة تكساس في غالفستون: "كانت هناك صعوبة واحدة أخرى على الاقل، وهي الشك. وقد شاركت أنا أيضاً في هذا الارتياب تجاه امكانات الانترفيرون حتى رأيت بنفسي ما يحدث في مزارع الخلايا، وكيف بدت هذه الخلايا متمتعة بالحماية التامة من الفيروسات القاتلة. وارتفعت أصوات تنتقد ضآلة النتائج العلاجية، لكن الحقيقة أن هناك تقدماً مطرداً ومشجعاً".

وليس من قبيل المبالغة أن نتصور يوماً نصبح قادرين على تنظيم جهاز المناعة لدينا حسب رغبتنا، فنحتفظ بمقاومتنا لأمراض كثيرة ومتنوعة في جميع الفصول والاعمار، ونتمكن من العيش بالاعضاء المزروعةجراحياً من دون أن يرفضها الجسم. ومن الجائز، أيضاً، أن يصبح في قدرتنا اعتماد الانترفيرون لعلاج السرطان والوقاية منه.

هل هذه كلها محض أوهام؟ أبداً. إنها أمور يمكن أن تتحقق ذات يوم. ■ **ألبرت روزنفلد**



النور الطبيعي

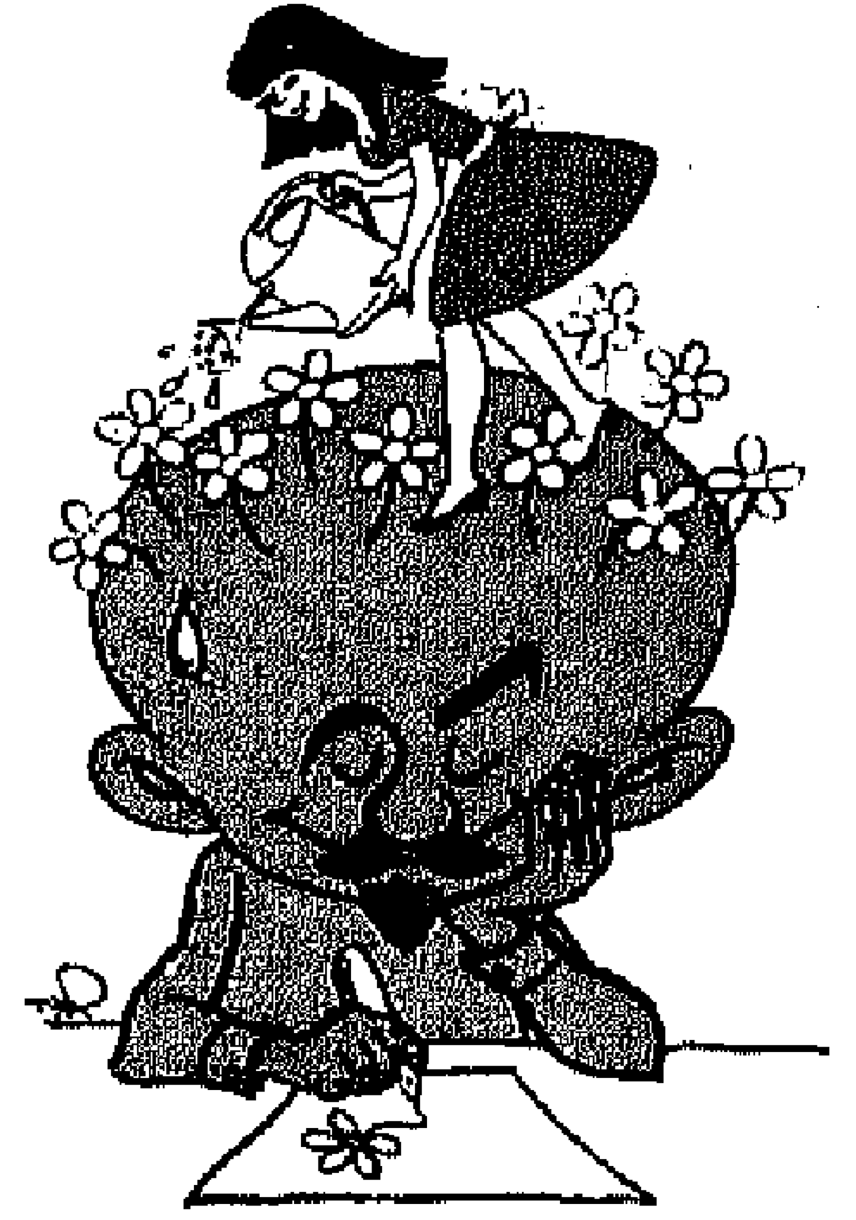
الابتسامة تكلف اقل من الكهرباء، لكنها تؤمن مزيدا من النور.

حكمة اسكوتلندية

دمعة وابتسامة

انا لا ابدل احزان قلبي بافراح الناس، ولا ارضى ان تنقلب الدموع التي تستدرها الكآبة من جوارحي وتصير ضحكاً. اتمنى ان تبقى حياتي دمعة وابتسامة.

جبران خليل جبران



حديقة افكار

■ من يحاول حنق اشاعة هو كمن يحاول الا يقرع جرساً ٠

ش٠ ا٠

■ لا يصنع التقدم اشخاص قانعون ٠

ف٠ ت٠

■ معظم ابتساماتنا تبدأ بابتسامة شخص آخر ٠

غ٠ ر٠

■ القراءة من غير تأمل كالاكل من غير هضم ٠

ا٠ ب٠

■ المحن تمتحن المبادىء ٠ فمن دونها لا يعرف المرء ان كان مخلصاً ام لا ٠

هـ٠ ف٠

■ لا بد من ان نحب ما يستحق الحب ونكره ما يستحق الكراهيه٠ ولكن ليس كل عقل قادرا على التمييز بين هذين ٠

روبرت فروست

■ خلال الصيف يعاني ثلث شعبنا من المسكن الرديء والغذاء الرديء والملبس الرديء ، لكنهم يسمون ذلك اجازة صيفية ٠

ج٠ س٠

■ كم نتعود لبس الاقنعه امام الآخرين بحيث نبدو في النهايه مقنعين امام انفسنا ٠

ل٠ ك٠

مَن يحكم أمريكا في الثمانينات؟

ثمانية اشهر تفصل المواطنين الامريكيين عن انتخاب رئيس جديد للولايات المتحدة في ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠. وهي اشهر قد تحمل الكثير من المفاجآت. وقد احتلت معركة الرئاسة مكاناً بارزاً في جميع الصحف الامريكية التي انبرى معلقوها يضعون التحليلات والتوقعات، وتشبع الجو السياسي بالخطب الرنانة التي يوجهها الديموقراطيون والجمهوريون المتنافسون بعضهم ضد بعض في مناظراتهم كل ليلة على شاشة التلفزيون كما على اعمدة الصحف.

وتبدو هذه المعركة السياسية معقدة ومحيرة جداً لمن يتتبعها عن بعد. ومن اجل تكوين وجهة نظر حول الموضوع، يقدم مدير مكتب "الريدرز دايجست" في واشنطن صورة عن اهم المرشحين المتنافسين، مع عرض لبعض ما لهم وما عليهم بالنسبة الى جمهور الناخبين.

قبل عام واحد من انتخابات الرئاسة الامريكية الأخيرة (١٩٧٦)، لم تكن نسبة اعضاء الحزب الديموقراطي الذين أيّدوا جيمي كارتر تتجاوز الواحد في المئة. وسبق ان كان كارتر حاكماً خلال دورة واحدة لاحدى الولايات المغمورة جنوب الولايات المتحدة. ويمكن فهم موقف كارتر اذا هو تساءل اليوم عن جدوى العذاب الذي قاساه في حملته الانتخابية التي استمرت اربع سنوات للوصول الى رئاسة البيت الابيض.

وقد تبين في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٩ ان اثنين فقط من كل عشرة ديموقراطيين يؤيدون اعادة ترشيح كارتر للرئاسة. وهذا أضعف وضع يجد رئيس أمريكي نفسه فيه منذ ٣٠ سنة. الا ان اسهم كارتر ارتفعت على نحو مثير في ديسمبر (كانون الأول) الماضي من جراء الأزمة الايرانية من ناحية والتوقيت غير الملائم لاعلان ترشيح السناتور

ادوارد كينيدي، منافس كارتر الرئيسي، من ناحية اخرى. وهناك مرشح ثالث عن الحزب الديموقراطي، هو جيري براون حاكم ولاية كاليفورنيا. لكن حظه في الفوز ضئيل.

غير ان التأييد الذي حصل عليه كارتر اخيراً قد لا يعدو كونه وقتياً. فالتضخم المالي مستمر بمعدل ١٤ في المئة سنوياً. ويبدو ان جميع العوامل، بما فيها الركود الاقتصادي الراهن، غير قادرة على وقف الارتفاع الخيالي في اسعار المواد الغذائية والطاقة. يضاف الى ذلك ان احد اصدقاء كارتر على وشك المثول امام محكمة اتحادية، وهو مصرفي من جورجيا كان الرئيس الامريكي اتى به الى واشنطن لادارة شؤون الموازنة. كذلك يخضع كبير موظفي البيت الأبيض لتحقيقات تتعلق بتعاطي المخدرات.

لكن اكبر المشاكل التي يواجهها كارتر هي الرأي الشائع بأنه ليس اهلا للرئاسة. واذا القينا نظرة الى الوراء، ربما تبيّن لنا ان انتخابه لم يكن بالحدث المفاجىء. ففي تلك الآونة كان المواطنون مشمئزين من تورط ريتشارد نيكسون في فضيحة "ووترغيت"، كما كان املهم خائباً في حكومة باردة تجاه مطالبهم، بحيث باتوا مستعدين لترئيس رجل لا تربطه اي صلة بالبيت الأبيض او واشنطن. الا ان الرجل الذي استقدموه لم يكن لديه تخطيط او برنامج عمل، ولا حتى قيادة حقيقية. وعلى هذا يشهد كاتب خطاباته السابق الذي اكد حديثاً ان كارتر، في الفترة الأولى من رئاسته، "لم يكن يدري ماذا يريد ان يفعل في حقول خطيرة تتناول الضرائب والخدمة الاجتماعية والطاقة واعادة تنظيم الحكومة".

ديموقراطيون وجمهوريون – نتيجة لما سبق، لم تتجاوز نسبة الذين اطروا سياسة كارتر، حسب استفتاء اخير للرأي العام، الثلاثين في المئة. ولا عجب اذا كان رجال الحزب الديموقراطي البارزون يتسابقون لترشيح انفسهم ضده، وقد بلغ عدد هؤلاء العشرة.

ان ابرز المنافسين الديموقراطيين هو رونالد ريغان، حاكم كاليفورنيا السابق الذي لم يعلن ترشيحه الا في نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي. وتبيّن الاستطلاعات ان ريغان – وهو ذو موقف محافظ عنيد – سيحصل على ترشيح حزبه، وانه اكبر حظاً من كارتر في بعض المناطق الرئيسية. لكن هناك عاملين لغير مصلحة ريغان: الاول هو السن. ذلك ان ريغان، المولود في ٦ فبراير (شباط) ١٩١١، سيبلغ السبعين بعيد التنصيب. والعامل الثاني هو ان الناس – على رغم ان ريغان كان حاكماً ناجحاً لولاية كاليفورنيا في دورتين متتاليتين – لم يبدلوا نظرتهم اليه كممثل في هوليوود على مدى سنوات.

وفي ودّ الرئيس السابق جيرالد فورد ان يكون مرشحاً. لكنه يؤثر عدم خوض مراحل الانتخاب الأولية الشاقة، ويفضل الانتظار ريثما يرشحه حزبه بعد ان يجد فيه خشبة خلاص. غير ان فورد سينتظر طويلا. فمنذ العام ١٩٤٠، لم يرشح الحزب الديموقراطي احداً لم يسع جدياً الى ترشيح نفسه.

وقد لفت انتباه الصحافة اخيراً وزير المال السابق جون كونالي، عضو الحزب الجمهوري الذي كان ديموقراطياً في الماضي. ولكن على رغم ان ظروفاً كثيرة صبّت في مصلحته، وعلى رغم تبرئته من تهمة الرشوة، الا ان هذه الصورة الأخيرة لا تزال تهيمن عليه. ولا شك في ان الديموقراطيين الشامتين لن ينتظروا طويلا قبل ان يطوقوا عنق كونالي بالنصيحة التي اسداها الى نيكسون بحرق اشرطة البيت الأبيض التي تشهد على فضيحة ووترغيت.

وهناك هوارد بيكر، زعيم الاقلية في مجلس الشيوخ. لكن شعبيته متدنية من جراء مواقفه المضطربة. فبعد ان ابعد الديموقراطيين المحافظين عنه بسبب تأييده اتفاقات قناة بناما، نراه اليوم يتودد اليهم عن طريق قيادته الخط المعارض لمحادثات "سولت - ٢" الخاصة بالحد من انتشار الاسلحة الاستراتيجية.

وربما كان اكبر مرشحي الحزب الجمهوري جدارة جورج بوش، الذي كان سابقاً عضواً في الكونغرس ورئيساً للحزب الجمهوري ومبعوثاً الى الصين وسفيراً لدى الأمم المتحدة ومديراً لوكالة الاستخبارات المركزية. الا ان بوش يحتاج الى نسبة ٦ في المئة من المؤيدين الجمهوريين للحصول على ترشيح حزبه. يضاف الى هذا انه يفتقر حتماً الى صفات الزعامة في وقت يطمح الشعب الامريكي الى زعيم.

الحاجة الى قائد — والجدير بالذكر ان شعب الولايات المتحدة اليوم يتوق الى صفات قيادية اكثر من اي شيء آخر. وقد تبين في استطلاع اخير للرأي العام اجرته مؤسسة "يانكيلوفيتش وسكيلي ووايت" ان الجمهور الامريكي لم يجذبه رونالد ريغان وادوارد كينيدي بسبب موقفهما من القضايا الراهنة بمقدار ما جذباه لقوة شخصيتهما.

وفي الايام الاخيرة من العام الماضي ١٩٧٩، تكونت قناعة لدى الخبراء السياسيين في كلا الحزبين بان كارتر، اذا امكنه اظهار قوة وقيادة في معالجة الأزمة الايرانية، فان حظه في اعادة الترشيح والانتخاب سيزداد كثيراً. وقد اظهرت استطلاعات الرأي العام ان الجمهور يعتبر كارتر رجلا شريفاً ونظيفاً ومهتماً بالامور الملحة. واذا استطاع ان يضيف الى نظرة الجمهور اليه عنصري المبادرة والزعامة، فربما بقي في الرئاسة اربع سنوات اخرى.

ولكن لنفترض ان الحزب الديموقراطي تبنى ترشيح كينيدي.

فعلى رغم ان استفتاءات الرأي العام التي اجريت اواخر الخريف اظهرت تفوقه على مرشحي الحزب الجمهوري فانه ليس مرشحاً مضمون الفوز ففي انتخابات ١٩٧٦ الرئاسية كان جيمي كارتر يتفوق على جيري فورد بـ٢٩ نقطة قبل عشرة اسابيع من موعد الانتخابات، لكن كارتر فاز عليه بنسبة نقطتين فقط.

ولا محالة ان شعبية كينيدي ستتقلص كما حصل بالنسبة الى كارتر. وهناك عوامل عدة لهذا الانحسار، منها الغموض الذي يلف حادث السيارة القاتل الذي تعرضت له

سكرتيرة شقيقه الراحل روبرت في يوليـو (تمـوز) ١٩٦٩، والاسئلة المعلقة التي لم يجب عنها كينيدي بعد (راجع كتاب الشهر). ومن هذه العوامل ايضاً ان الرئيس كارتر لن يمد يد المساعدة الى رجل حرمه اعادة ترشيح حزبه له. لكن العامل الأكثر خطورة الذي سيضعف شعبية كينيدي هو ان جماعة الحزب الجمهوري المنافس لن يتوانوا عن جعل الجانب السلبي من سيرته موضوعهم الرئيسي.

يضاف الى هذا كله ان السناتور كينيدي سجل مواقف متطرفة من المستبعد ان تحظى بتأييد قوة انتخابية تزداد مواقفها المحافظة يوماً بعد يوم. وهو حالياً في الطليعة لأن الجزء الأكبر من سيرته لا يزال غير مدروس، ولأنه رجل وسيم ومرح وخطيب بليغ. والأهم من هذا كله انه آخر آل كينيدي، وانه يأتي بعد شقيقين استشهدا. وهذه العوامل تضفي عليه صفة التألق.

ويستبعد ان يتمتع مرشح الحزب الجمهوري بفتوة كينيدي او سحر شخصيته. ولكن ستكون بين يدي هذا المرشح سيرة كينيدي ليمعن فيها تحليلا وتجريحاً، وهي من اكثر السير تطرفاً في مجلس الشيوخ. وأياً يكن المرشح الجمهوري، فهو سيشير الى معارضة كينيدي لبرامج التسلح الرئيسية الجديدية طوال السنين العشر الماضية: قاذفة القنابل "ب-١"، قنبلة النيوترون، الغواصة المثلثة، صاروخ "ام-اكس". كما انه لن ينفك عن الطعن بمساندة كينيدي للمشاريع الباهظة الكلفة المشكوك في جدواها. ولن ينسى هذا الخصم ان كينيدي صوّت باستمرار ضد خفض الضرائب.

ولكن لا شك في ان كينيدي سيتخذ موقفاً وسطاً. وهو سيختار رجلا معتدلا لمنصب نائب الرئيس، كما فعل اخوه جون عام ١٩٦٠ باختياره ليندون جونسون. وربما أيّد كينيدي خفض الضرائب، ولكن بنسبة اقل من تلك التي سينادي بها الجمهوريون. وسيدلي ببعض التصريحات المحافظة بخصوص الفوضى الادارية، وسيتكلم عن الحاجة الى سياسة دفاع قوية. اما اذا نجح الجمهوريون في مخططهم، فإن الحملة ستدور على عاملين: شخصية كينيدي وسيرته.

ان اغلبية ملحوظة من المواطنين الامريكيين - بعد ثلاث سنوات من الفراغ القيادي في البيت الأبيض، او بعد خمس سنوات ونصف سنة بما فيها رئاسة فورد - تذهب الى القول بأن "الأمة تعاني مشكلة عميقة وخطرة". وهؤلاء المواطنون، الذين لا يعرفون كيف يحررون انفسهم من المأزق ويضعون حداً للتضخم المالي الهدام ويستعيدون امتياز امريكا في الخارج، يضعون كل آمالهم في رجل تكون له المبادرة والزعامة.

من هو هذا الرجل؟ وهل ستكون له هاتان الصفتان؟

هذا سيعرف قبيل موعد الانتخاب في ٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠. الا ان ثمة امراً واحداً مؤكداً، وهو ان القوة الانتخابية، اي المواطنين الامريكيين، وجدوا في مراحل حرجة كثيرة من تاريخهم الرجل الصحيح لاخراجهم من المحنة. وهم يطمحون الى الشيء نفسه عام ١٩٨٠.

■ **وليم شولتز**

الاختلاف الآخر بين الذكور والاناث

... انه كامن في الدماغ، وقد آن لنا ان نستغله

ما من سبيل- الى نكران حقيقة كون الصبيان يفكرون باسلوب يختلف عن البنات. ولئن تكن الأدلة التي ابرزتها بحوث الدماغ لا تزال موضع اخذ ورد، إلا ان الاختلاف بين الجنسين حقيقة يتعذر التهرب منها.

اني لأعلم كم سيغضب هذا القول انصار مساواة الأناث بالذكور، وغيرهم ممن التزموا الكفاح من اجل التغلب على جمود الانماط الجنسية التي تحدد ادواراً معينة لكل من الجنسين. غير ان المساواة الاجتماعية الصحيحة بين الرجال والنساء تعتمد، في جوهرها، على الاعتراف بوجود هذه الفوارق في الدماغ وطريقة عمله.

ولا يخفى ان المدارس وانظمة الامتحانات العامة لا تزال تمارس حتى اليوم سياسة التفرقة والتمييز ضد الجنسين كليهما، متجاهلة الاختلافات التي لاحظها الآباء والمربون منذ سنين. وبناء على ذلك، يقاسي الصبيان الامرين في المرحلة الابتدائية من دراستهم، لان المرحلة تلك تتلاءم على نحو مثالي مع نزعات التفكير لدى البنات. غير ان البنات يقاسين بدورهن في مرحلة لاحقة، حين يتوجب عليهن مواجهة امتحانات خاصة تناسب اساساً قدرات الذكور واسلوبهم في التفكير.

ان كل من أمضى وقتاً من حياته مع الاطفال، في الملعب او في الصف،

Condensed from «The Brain: The Last Frontier» (c) 1979 by Richard M. Restak. Published by Doubleday & Co., Inc., New York, N.Y. Part of This Material Appeared Also in the Washington Post (June 24, '79)

يعي وجود اختلافات في الاستجابة بين الصبيان والبنات ازاء المواقف المتماثلة.

الاكتساب والوراثة – هناك من يعلل، عادة، وجود هذه الاختلافات بناء على أسس ثقافية مكتسبة، قائلا ان المجتمع يتوقع عدوانية اكبر والعاباً خشنة من الذكور، بينما يشجع الاناث على التزام اللطف وعدم تأكيد الذات. ويذهب هذا التعليل الى القول ان الرجال والنساء يصبحون، بعد سنوات طويلة من التعرض لمثل هذه القواعد الثقافية، مختلفين اختلافاً كبيراً في التفكير والسلوك. ولذا، هناك من يعتقد انه ما ان يتسنى لنا تقويم تفكير المجتمع وتحقيق المساواة بين الجنسين خلال فترة النشوء والتربية، وما ان تتم إزالة الانماط الجنسية التقليدية المتحجرة التي تفرّق بينهما، حتى تختفي على الاثر جميع الفوارق بين الذكور والاناث.

ما من شك في ان ثمة اختلافات ناجمة فعلا عن التقاليد المتعارف عليها، وهي مبنية على الانماط المحددة والادوار المنفصلة لكلا الجنسين. لكن هناك ايضاً مؤشرات ظهرت في بحوث الدماغ الحديثة، تدل على ان بعض الاختلاف في سلوك الجنسين عائد الى فوارق في وظيفة الدماغ، وهي اصيلة وموروثة، ومن المستبعد تبديلها بتغيير العوامل الثقافية وحدها.

يبرز احد الأدلة على وجود اختلاف في نظام الدماغ بين الجنسين لدى مراقبة الاطفال الصغار. فقد تبين من البحوث التي اجريت على اناث بعد فترة وجيزة من ولادتهن انهن اكثر حساسية من الذكور ازاء اصناف معينة من الاصوات، خصوصاً صوت الأم. ولوحظ ان الرضائع يستجبن فوراً لدى تبديل مصدر صوت الأم في المختبر، بينما لا يعير الرضعاء ذلك ادنى انتباه، فضلا عن ان الاناث يجفلن بسهولة اكبر لدى سماع الضجيج.

ميزة البنات... – كشفت التجارب كذلك ان للبنات حساسية في البشرة اعظم مما للصبيان، خصوصاً في اطراف الاصابع، وانهن اكثر جدارة في اداء الحركات الجسدية الدقيقة فضلا عن كونهن عموماً أكثر تيقظاً للمضمون الاجتماعي حولهن، كالوجوه واسلوب الحديث والدلالات الصوتية الخفية.

وما ان تبلغ الرضيعة الأشهر الخمسة حتى يصبح في امكانها تمييز صور الوجوه الأليفة، وهو امر يندر حدوثه بالنسبة الى الرضيع في تلك السن، وبين الأشهر الخمسة والثمانية، تصوّت الرضائع حين يرين وجه الأم، كأنما هن يعترفن بوجودها كشخص مستقل. اما الرضعاء فلا يميزون في تلك السن بين الوجه البشري ودمية مدلاة امامهم، بل يصوتون للاثنين بالطريقة عينها. هذا عدا قدرة الاناث على تعلم الكلام في وقت ابكر. ولهن عادة موسوعة من المفردات اكبر مما للذكور، ونادراً ما يظهرن شوائب في النطق. وتكاد التأتأة، مثلا، تنحصر في الكذور. كما انهن يتفوقن على الذكور اجمالا في مقدرتهن على تعلم اللغات، وهو تفوق يبدأ منذ العاشرة ويستمر غالباً مدى

الحياة. واضافة الى كل ما سبق، فانهن اسرع في تعلم القراءة ويجدن سهولة اكبر في تعلم اللغات الاجنبية. ولهذا يرجح ان ينخرطن مستقبلا في اعمال تتطلب مهارة لغوية.

... **وميزة الصبيان** ـ بالمقارنة، يظهر الصبيان تفوقاً مبكراً في المرئيات. الا انهم اثقل حركة وأقل اتقاناً في اداء الوظائف الدقيقة مثل تنضيد الخرز في العقود. لكنهم يبدعون في مجالات اخرى تقتضي تناسقاً في الحركة وتساوقاً بين اعضاء الجسم. كما ان طرق تركيز انتباههم مختلفة، وهم يستجيبون للجماد مثل استجابتهم للأحياء. وقد يتجاهل الطفل امه ويثرثر ويناغي ضوءاً مترجرجاً او يحدّق في شكل هندسي. وتراه، في مرحلة لاحقة، يتناول ذلك الشيء بين يديه ويحاول تفكيكه وتحليله.

لقد وجدت ديان ماكغينيس، استاذة علم النفس في جامعة ستانفورد (ولاية كاليفورنيا الامريكية) ان لدى الذكور فضولا اكبر لاكتشاف ما يحيطهم. وأكدت دراساتها انهم خير من الإناث في التعامل مع الابعاد الثلاثة، ولهذا يتفوقون عليهن تفوّقاً ساحقاً حين يطلب اليهم ان يحركوا او يطووا شيئاً ما ذهنياً. والاستجابة بالقول: "لقد طويته بفكري" هي استجابة صبيانية اصيلة، في حين ان البنات قد يعطين تلك الاشياء وصفاً كلامياً موسعاً، وكثيراً ما يخطئن نظراً الى كونهن اقل كفاية في هذه الوظائف الذهنية.

ومن الادلة ما يشير الى ان بعض الاختلاف في الاداء يرجع الى فوارق في نظام الدماغ، اذ يغلب ان تكون القدرة الكلامية والقدرة على تحليل الابعاد الثلاثة واستغلالها "محزومة" لدى الصبيان عموماً في نصف الرأس المعاكس للبنات، بحيث يتولى النصف الأيمن من الدماغ النشاطات غير الكلامية، بينما تتمركز في النصف الأيسر منه النشاطات الكلامية. ويُرجح ان تكون المراكز الكلامية وغير الكلامية لدى الاناث في جانبي الدماغ كليهما، مما يعني ان جانبي دماغ الانثى اقل اختصاصاً من جانبي دماغ الذكر.

ويذهب بعض العلماء الى القول بان هذا الاختلاف في نظام الدماغ واختصاصاته يفسر جزئياً انعدام وجود تمثيل قوي لاحد الجنسين في بعض الاعمال والحرف. ولما كان المهندس المعماري، مثلاً، في حاجة الى احساس قوي بالاتساع والابعاد الثلاثة - وهو ما يتميز به دماغ الذكر - فانه يرجح ان تكون هناك اكثرية من الرجال في ميدان الهندسة المعمارية.

فوارق ثابتة ـ والجدير بالذكر ان المقاييس النفسية لوظائف الدماغ تُظهر اختلافات واضحة بين الجنسين. وقد تبين في احد عشر اختباراً فرعياً من اختبارات الذكاء الاوسع انتشاراً في الولايات المتحدة (وهي خاصة بالارقام والصور) ان التكافؤ او التماثل في نتائج الذكور والاناث اقتصر على اختبارين فقط. اما بقية الاختبارات فقد اظهرت باستمرار فوارق ثابتة، حتى بات في الامكان اعتبارها دليلا او مرجعاً في

اي محاولة للموازنة بين مواطن القوة والضعف لدى اي من الجنسين.

ومما يذهل العقل ويحفزه على التفكير تلك الاكتشافات التي حققتها كل من اليانور ماكوبي وكارول ناغي جاكلين من جامعة ستانفورد الامريكية بعد التجارب التي اجرتاها في مجال الخصال الشخصية والانجازات العقلية. فقد تبين لهما ان التطور الذهني لدى الاناث ينمو ويترعرع لدى الفتيات اللائي ينزعن الى اثبات ذواتهن والاكثار من الحركة والنشاط، واللائي يثقن بقدرتهن على التحكم بالاحداث التي تؤثر في حياتهن من خلال سلوكهن. ولا تظهر لهذه العوامل اهمية كبرى في النمو الفكري لدى الذكور، بل توحي آخر الدراسات ان المستويات الرفيعة في الانجاز الفكري مرهونة بامتزاج الخصائص من كلا الجنسين: اي بالقدرة على الاعراب شخصياً عن الخصال والاهتمامات التي يتميز بها الجنس الآخر. ويقول العالم النفسي التربوي ا.ب. تورانس من جامعة جورجيا الامريكية ان التقيّد بالانماط الجنسية البحتة عائق في وجه الابداع، لان القدرة على الابداع تتطلب حساسية تجاه الاشياء، وهذه خصلة انثوية، كما تستلزم الاستقلال النفسي واستقلال الارادة الاجتماعي، وهما خصلتان تُنْسبان عادة الى الذكور.

اختلاف محض – من الاهمية بمكان ان نتذكر ههنا اننا لا نتحدث عن تفوق جنس على الجنس الآخر او تقصير الواحد عن الآخر. كما يجب ان نتذكر ان هذه المحاولات ليست سوى دراسات احصائية جماعية لا تنبئنا بالكثير عن الحالات الفردية. ولا يخفى، في الوقت ذاته، ان النتائج التي ظهرت حتى الآن لا تزال موضع نقاش وجدل. لكنها، على رغم ذلك، قد تساعدنا في تحقيق عدالة اجتماعية حقة. وهي غاية يمكن بلوغها بتبديل النظم السائدة حالياً في الامتحانات والمسابقات الدراسية العامة. ذلك لانه اذا كان الذكور، على سبيل المثال، يتفوقون فعلا في الاعمال المرتبطة بنصف الدماغ الأيمن، وجب اعادة النظر جذرياً في تصميم الامتحانات لضمان تكافؤ الفرص امام الجنسين. ومن الواضح ان لميزان الامتحانات حالياً كفة ترجح بمواضيع تضمن تفوق الذكور.

ومن الضروري أيضاً تبديل وجهات النظر والمواقف ازاء الاطفال "المفرطين في النشاط" او "العاجزين عن التعلم". فالادلة على وجود اختلافات جنسية في مرحلة الطفولة مذهلة حقاً، اذ ان اكثر من ٩٠ في المئة من الذين يوصمون بانهم "مفرطون في النشاط" هم من الذكور.

ولا غرابة في ذلك، لان الدماغ الذكري هو دماغ مرئيات على نحو رئيسي، فيما تعتمد الدراسة داخل جدران المدرسة اساساً على السمعيات والاصغاء. الى هذا، فان الدماغ الذكري يتعلم بالإيداء، اي بالعمل الناشيء عن استخدام اليدين في محيطه. ومع ذلك، فان الاطفال الذكور ملزمون بالجلوس على مقاعدهم بهدوء ساعات طويلة، وما من مجال لانطلاقهم جسدياً والتعبير

عن استجابات سريعة لمحيطهم الا في اوقات الاستراحة بين الدروس. وهذا يعني ان قاعات الدراسة في معظم الصفوف الابتدائية مهيأة للمهارات والقدرات التي تنساب تلقائياً لدى الاناث، والتي لا يتقنها الذكور الا ببطء شديد. فلا عجب اذا وصم الواحد منهم بوصمة "طفل عاجز عن التعلم". وهو، في الغالب أيضاً، طفل "مفرط في النشاط".

إننا - وقد توافرت لدينا هذه الاستنتاجات الناجمة عن وجود اختلافات في وظائف الدماغ وسلوكه بين الجنسين - نملك فرصة ثمينة لاعادة بناء الصفوف الابتدائية لكي تصبح اولى صلات الذكور بالتربية والثقافة أقل ايلاماً. والفرصة متاحة امامنا أيضاً لادماج الاساليب الكلامية واللغوية بطرق تعليم الفيزياء والهندسة النظرية والهندسة المعمارية (وهذه ثلاثة فقط من الميادين التي يقل فيها تمثيل الاناث على نحو يسترعي الانتباه).

إن البديل الوحيد امامنا هو ان نترك الامور على اعنتها ازاء هذا الاختلاف في وظائف الدماغ. والحق ان هذا لا يخلو من حسنات. ففي الماضي القريب تم احراز تقدم في المجال الاجتماعي نتيجة التركيز على اوجه الشبه والتقارب بين الجنسين، لا عن طريق التركيز على الفوارق بينهما. بيد اننا حين نتجاهل وجود اختلافات جنسية في وظائف الدماغ، فانما نفعل ذلك على حساب وقوع التباس بين علم الاحياء وعلم الاجتماع، بل نكون قد خلطنا بين التمني والحقيقة العلمية.

■ ريتشارد ريستاك



الحقيقة العارية

الحقيقة عارية اكثر مما هو مطلوب، بحيث لا تثير الرجال.

جان كوكتو (اديب فرنسي)

تثمير الثقة

يمكن ان اقدر الخسارة التي جرتها علي ثقتي بالآخرين. لكن ما ربحته عبر هذا الطريق لا يقدر بثمن.

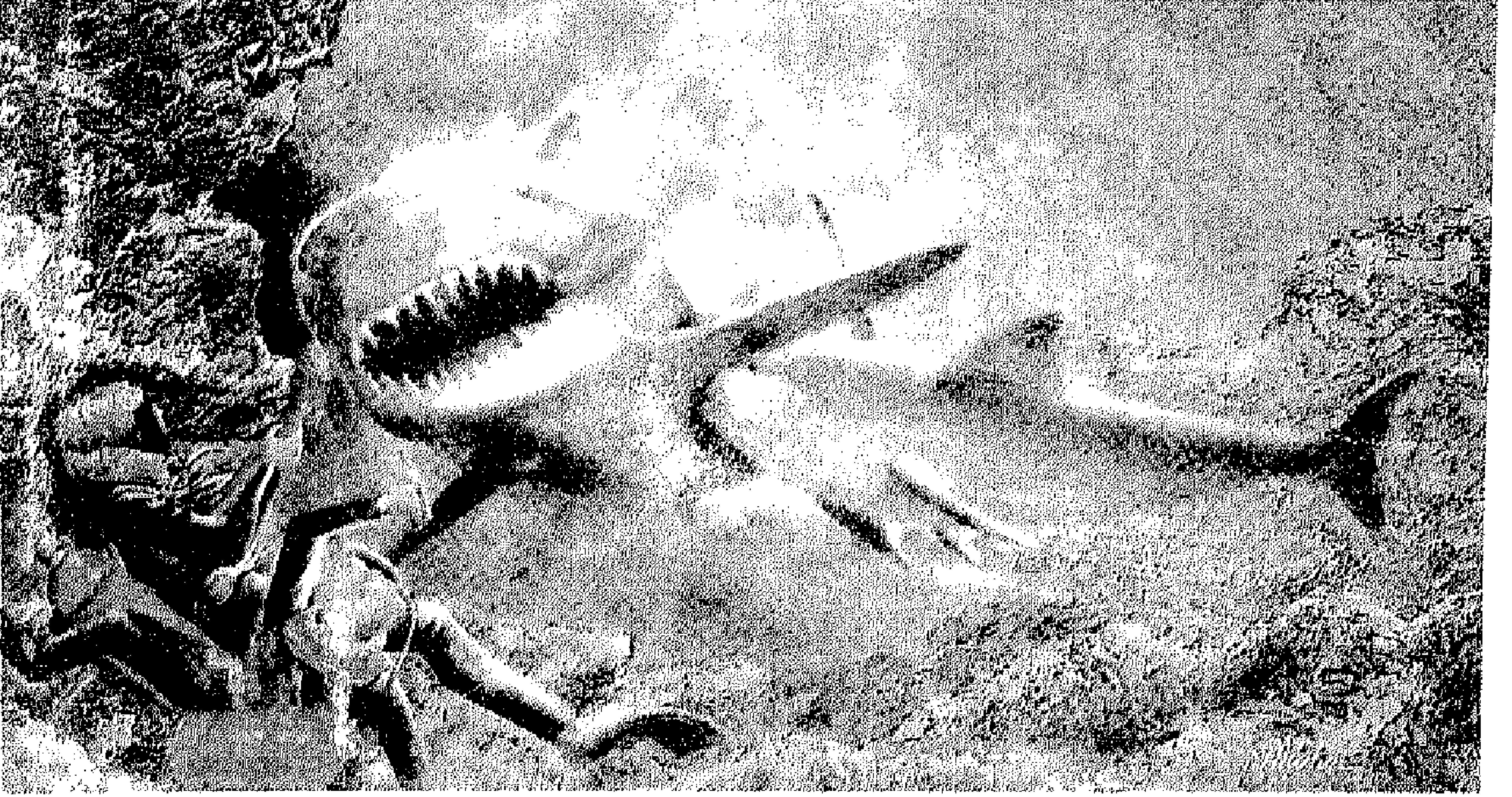
غ. س.

بطون ممتلئة

ما اكثر الذين يظنون ان طيبتهم عصمتهم عن ارتكاب الجرائم، بينما لا يعدو السبب ان يكون امتلاء بطونهم. فلتنخفض ايرادات هؤلاء الى النصف، وسيمتلكون من القبح واللؤم ما يمتلك غيرهم.

توماس كارلايل

هاجمت الدلفينة القرش فتدفقت من فمه كتلة سوداء كبيرة



معركة بحرية بين قرش ودلفينة

على شاطىء جزيرة كوزوميل التي تجتاحها الرياح في عرض شبه جزيرة يوكاتان المكسيكية الشهيرة بمنتجعاتها، اهتديت وزوجتي ليندا الى بحيرة صغيرة تحفها سلسلة من الصخور المتقاربة من سطح الماء. والبحيرة منعزلة يتعذر الوصول اليها الا بسيارة "جيب" على طريق وعرة تكاد تقصم الظهر، عبر غابة من اشجار النخيل.

غير ان هذه البحيرة كانت مثالية الموقع لرياضة الغطس بالمعدات الاصطناعية. وقد تفرعت منها مجموعة من الصخور المترامية على الشاطىء عند الطرف الشمالي، فتنعطف نحو البحر مسافة ٣٠٠ متر تقريباً. وتختفي الصخور عند خندق عميق تغمره المياه، احدثه المد السريع الذي ترك منفذاً الى البحر عرضه قرابة عشرة امتار. واكتملت الدائرة بسلسلة من الصخور الجيرية (الكلسية) الصلبة.

وبلغ قطر هذا السد الطبيعي نحو ٤٠٠ متر وعمقه ١٥ متراً. وكانت الامواج تتقاذف صاخبة خلف هذا الحاجز وتتكسر عليه، بينما ظهر كل شيء هادئاً في الداخل، او هكذا بدا فوق سطح الماء على الاقل.

اما تحت السطح فقد حفلت البحيرة بأنواع غريبة من الاعشاب والاسماك الاستوائية. الا ان معظم الاسماك المفترسة، مثل البركود والقرش، فبقيت خارج السد. وكانت البحيرة تنبض بالحياة. وتملكتنا متعة الغوص في اعماقها لما يتيحهذلك من مشاهد خلابة وراحة نفسية.

وفي الساعة الثالثة بعد ظهر ١٨ مارس(آذار) تسللنا بزعانفنا الى عمق عشرة امتار عند فم البحيرة. وكان المد قد سحبني، قبل بضع دقائق، الى البحر خارج الثغرة. لكن زوجتي ليندا – وهي رابطة الجأش دائماً وحسنة التصرف في المآزق – استجمعت قواها وجرتني الى داخل البحيرة. ولم يستغرق ذلك اكثر من ثلاثين ثانية. وقد زفرت كمية لا بأس بها من الهواء بسبب الخوف، لكن رئتي لم تتوقفا عن العمل.

وقلما يحافظ الشخص على حذره بعد حادثكهذا .لذلكلمتدرك ليندا، ولا انا ادركت، ماذا جرى عندما اندفع بجانبنا جسم قاتم اللون، ضخم الحجم، خلّف موجة عنيفة ضغطت علينا فأرغمتنا على الدوران حول انفسنا وانتزعت القناع عن وجه ليندا. وسرعان ما خطر لي ان هناك قرشاً. فمددت يدي ابحث عن هراوتي التي لا تفارقني. ثم لمحت ليندا تسبح في اتجاهي وقد استعادت قناعها. واذا بي اشاهد جسماً اصغر منها يندفع عبر الثغرة الى داخل البحيرة.

وفي الحال استندنا غريزياً احدنا الى الآخر، والتصقنا ظهراً الى ظهر، ورحنا ننعم النظر فوقنا وخلفنا وتحتنا. فابصرنا على بعد ٤٠ متراً دلفينة مع صغيرها يمخران الماء في شكل دائري. وكنا نسمع صرخاتهما الحادة. وما ان دنا الدلفين الصغير حتى لاحظنا انه مصاب بجرح عميق وراء احد منخريه.

وفيما انا اتساءل عن سبب انفصال هذين الدلفينين عن سربهما اجتاحتني قشعريرة خلف عنقي. فدنوت من ليندا ودفعتها الى قاع البحيرة، شعوراً مني بوجود قرش في جوارنا.

الوحش الرهيب – في اللحظات المتوترة التالية ساد البحيرة سكون عميق. وبدا لي أن جسماً قاتماً يتموج خارج البحيرة. وانقطعت عن التنفس، وراح عرق صدغي الايمن ينبض بسرعة. وفجأة ولج الثغرة قرش من فصيلة النمر يقارب طوله الثلاثة امتار ونصف المتر ويزن نحو ٢٢٥ كيلوغراماً، راح يطوح رأسه من جهةالى اخرى وهو يتحسس الماء حوله، وقد تحلقت حول زعانفه مجموعة من سمك الزامور(وهو سمك بحري صغير أزرق كثيراً ما يرافق سمك القرش والسفن كأنه يرشدها). ولم تلبث ملامح القرش ان ظهرت لنا بوضوح: رمادي البطن، ذو ظهر بني مزعنف تتخلله خطوط باهتة متموجة. وما ان أصبح القرش على بعد ستة امتار حتى برقت احدى عينيه

السوداوين تحدّق الينا ٠وفتح فكيه فتحة خفيفة، وانتفخت خياشيمه، وراح يلطم الماء بذنبه اذ اثارته رائحة الدم المنبعث من جرح الدلفين الصغير٠

لو صح ظننا أن القرش كان يركز عندئذ على فريسته النازفة، لربما ساعدنا الحظ على السباحة زحفاً في محاذاة قاع البحيرة بحيث نصل الى المياه الضحلة ونخرج منها سالمين٠

وشددت نفسيبالكلاّبالى حزام ليندا (كي تستكشف هي الطريق واترصد انا الامور خلفها)٠ وبدأنا نتحرك ببطء في قاع البحيرة، فاجتزنا مئة متر من غير ان نرى القرش او الدلفينين٠ ثم قطعنا عشرين متراً أخرى فلم نلمح شيئاً ولا سمعنا أي صوت٠ واخذنا نتساءل عن مكان القرش وعما يفعل٠

وفجأة شعرنا بحركة الى جانبنا الايمن٠ فتلفت لأرى ظلا اسود يتموج فوق القاع الرملي٠ وسرعان ما استدرت على ظهري وامتشقت هراوتي لازرع مساميرها في خياشيم القرش٠ وبدا القرش فوقنا بفكيه الضخمين المفتوحين، ورأيت صفوف اسنانه المثلثة على بعد بضعة سنتيمترات من وجهي٠ وتلوى كالثعبان الرهيب ودفعنا الى خندق صغير في القاع٠

وسمعت قضمة عنيفة عندما اغلق القرش فكيه على الماء امامي، ثم فتحهما من جديد واطبقهما على صدري مرة تلو اخرى ينهش عدتي٠ ولميثنه الا مقبض الهراوة التي دفعها بأسنانه الى الصخور في اسفل الخندق٠وتلوت ليندا تحتي وأغمدت مديتها في حلق القرش، فانهمر الدم منه وصبغ الماء بلون أحمر قاتم٠ ثم سمعت فرقعة، ورأيت رأس الهراوة يفلت من العصا٠ وعاد القرش الي فاغراً فكيه، واذا بضربة عنيفة تنقض على جانبه وتبعده عنا٠

وامتزجت الدماء والرمال حولنا في الخندق٠ ولمعت عينا ليندا ومدت يدها الى صدري تتحسس فيه آثار الانياب الحادة التي ظنت ان الوحش تركها في جسمي٠ وكادت لا تصدق اني نجوت من الفك المفترس على رغم تمزق عدتي٠

وراح القرش يدور حول نفسه متخبطاً على بعد عشرة امتار منا، وهو يتشنجويعضالماء٠لكننا لم ندرك مصدر تلك الضربة التي اقصته عنا وانقذت حياتنا٠

غضب الامومة – عاد القرش الينا بفكيه الفاغرين وعينيه الشرستين٠ وما ان صار على بعد اربعة امتار ونصف متر حتى انقضت عليه الدلفينة الام من جانبه الايمن وألقمته ضربة عنيفة قرب زعنفته الصدرية، فتدفقت من فمه كتلة سوداء كبيرة واستدار ليضرب مهاجمته٠ ولا ريب في انه الحق بها بعض أذى، ولكن لم يتسن لنا ادراك مداه٠

وصار القرش على بعد متر ونصف متر عنا، في الجزء الموحل من البحيرة٠ وراح يتقلب على جنبه لمطاردة الدلفينة٠ فاغتنمنا الفرصة للعودة الى المياه الصافية٠ وبينما كنا نبتعد عن المياه المخضبة بالدم والوحل، متوقعين ظهور خطم القرش امامنا، نفد مني الاوكسيجين٠ فسحبت انبوب الاحتياط واشرت الى

ليندا لاعلامها بأني بدأت اعتمد على الاوكسيجين الاحتياطي، وهي تعلم ان ذلك لا يكفي اكثر من دقائق.

وانزلق الدلفين الصغير فوقنا منطلقاً كالسهم الى عرض البحر. وحسبنا ان امه ستلحق به. وكنا لا نزال على بعد ٧٠ متراً من الشاطىء، والقرش الجريح على مسافة ١٥ متراً منا. وبقينا راكعين على الرمل في قاع البحيرة، فرأيناه يستدير في اتجاهنا مرة اخرى، لكنه مر فوقنا وخياشيمه تطفح دماً.

ومن زاوية عيني رأيت الدلفينة الام تسبح على مسافة غير بعيدة الى يميننا وتقرقع بمنخريها، بينما اصبح القرش في المياه الضحلة، يفصل بيننا وبين اليابسة. وتوقف عن التخبط وراح يسبح بسرعة في محاذاة الشاطىء. ولم يلبث القرش أن استدار بعنف وانطلق في اتجاهنا. وسارعت الى الصعود مبتعداً عن ليندا وفي يدي قبضة الهراوة المكسورة. وخطر لي ان ادفع العصا بين فكيه. وما ان اصبح القرش على مترين مني حتى ضربت، لكني لم اصب شيئاً. وفي اقل من ثانية عبر المسافة الفاصلة بيننا وغطس تحتي. لكنه، بدلا من مهاجمتي، اخذ يتجه نحو الثغرة منطلقاً الى عرض البحر حيث توارى في بضع ثوان. وما هي الا لحظات حتى استدارت الدلفينة الام حولنا واتجهت بدورها الى عرض البحر في اعقاب ذلك الوحش.

وتسمرت انا وليندا برهة مشدوهين وسط المياه. ثم اخذنا نطفو الى السطح، ولم نرفع رأسينا فوق الماء الا على مقربة عشرة امتار من الشاطىء. وتابعنا السباحة صامتين الى المياه الضحلة، ومنها الى الشاطىء حيث ارتمينا منهكين على صخرة في مواجهة المحيط. وكدت لا اعي تباطؤ النبضات في عرق صدغي. وانفجرت ليندا في ضحكة خاطفة وابرزت لي ساعتها التي اشارت عقاربها الى الثالثة والدقيقة العاشرة بعد الظهر، اي ان الحادث كله لم يستغرق اكثر من عشر دقائق.

وفي مساء ذلك اليوم عدنا الى شاطىء البحيرة امام غرفة فندقنا، وحاولنا ان نستعيد تفاصيل الحادث: لماذا عمد القرش الى مهاجمتنا نحن بدلا من الفريسة الاولى التي وقع عليها اختياره؟ لكننا لم نستطع فهم ذلك.

ولا يهمني ان أفهم ما قصده القرش فعلا، بل اني اشك في ان يعرف هو نفسه لماذا فعل ذلك. وانما أظن ان الدلفينة الام انتهزت فرصة اهتمام القرش بنا، فحاولت ابعاد الخطر عنها وعن صغيرها.

اما ليندا فترى غير ذلك: إنها تعتقد ان الدلفينة الام حاربت من اجلنا، وانه على رغم القسوة الوحشية التي تتلفظ بها الطبيعة يبقى هناك متسع للشفقة والحنان.

■ كارستن ستراود

الحساب الحديث

اقصر مسافة بين نقطتين هي تلك الممتدة بين اول الاجازة وآخرها.

لويس ارماند مجلة "المشاكس"، فرنسا

صور من الحياة

من بعيد

كانت السيدة ليليان كارتر، والدة الرئيس الامريكي، في رحلة الى لوس انجيليس لالقاء خطب لمصلحة مرشحين لمجلس النواب عن الحزب الديموقراطي. واعترفت بأنها لم تلتق اياً من الرجلين من قبل، لكنها اضافت: "احياناً من الافضل للمرء الا يعرف الشخص لكي يمتدحه".

مجلة "الناس"

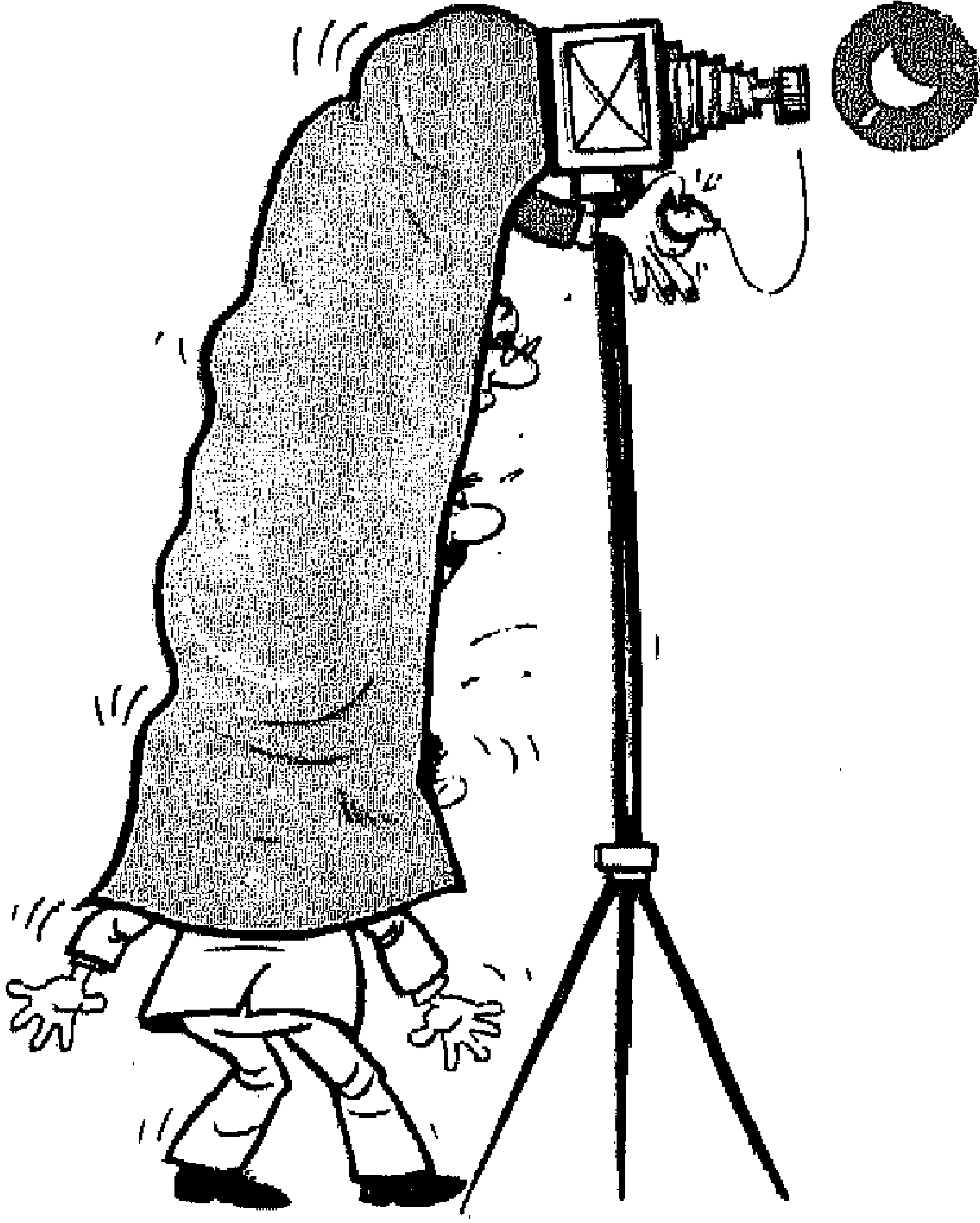
وجبة تقاعد

طوال سنوات ظل صاحب مطعم صغير يزود مكتبنا بالقهوة والشطائر. وكان يرفق قائمة الطعام باقتراح يتضمن عادة وجبة اليوم، كأن تكون سمك السلامي او لحم البقر المعلب، مصحوباً بسعر الوجبة. لكنه، اذ اقترب موعد تقاعده، ارسل الينا قائمة الطعام المعتادة، وتحت فقرة "نقترح" اكتفى بكتابة السعر.

ج. ر.

استفهام انثوي

حين عملت كبيراً للمراقبين على باخرة نقل ركاب عبر المحيط، كان علي، كجزء من عملي، ان اصحب الركاب الى منصة القيادة واجيب عما يخطر في بالهم من اسئلة حول عمل الباخرة. ومرة كنت اشرح للركاب كيف ان السفينة العملاقة تستهلك يومياً اكثر من ٨٠٠ برميل من النفط الغالي الثمن. فأثارت امرأة شابة واحداً من الاسئلة القليلة التي عجزت عن الاجابة عنها طوال



فترة عملي في البحر، اذ هي ارادت ان تعرف ماذا نفعل بالبراميل الفارغة.

م. ك.

اصطدام نادر

استقل زوجي سيارته ذاهباً في رحلة تستغرق اسبوعاً، وتوجهت انا بسيارتي الى العمل. وظل زوجي يقود سيارته ورائي طوال الطريق، حتى اضطررت الى التوقف فجأة لان سيارة اخرى انحرفت يساراً نحو موقع للبناء. وكان زوجي يراقب البنائين، فلم ينتبه في الوقت المناسب لتوقفي، واصطدم بمؤخر سيارتي. ونزلنا لمعاينة الضرر، وكان طفيفاً، فعدنا الى سيارتينا. ولم ادرك سر النظرات المندهشة لعمال البناء الا في ما بعد. فقد رأوا سائقين يهبطان ويهزان اكتافهما من غير اكتراث للحادث، ثم يتبادلان العناق والقبل ويمضي كل في طريقه.

ا. ب. ك.



رأى جـان مونـيـه، مهنـدس السوق المشتركـة، في الكآبة هزيمة لانها تؤدي الى الجمـود

أبو أوروبا المعاصرة

لم يكن الرجل قائد جيوش ولا شخصية انتخابية. وهو لم يعتد القاء الخطب الرنانة ولم يتولّ امر اي جهاز بيروقراطي ضخم، سواء اعلى الصعيد العام او على الصعيد الخاص. ومع ذلك، فانه ساهم اكثر من اي شخص آخر، منذ عهد الملك الفرنسي شارلمان (٧٤٢ ــ ٨١٤)، في بناء صرح اوروبا المتحدة. فاستحق لقب "المؤسس" او "الاب الروحي" للسوق الاوروبية المشتركة، بل كان "مصدر وحيها" حسب قول الجنرال شارل ديغول.

انه جان مونيه الذي توفي في مارس (آذار) ١٩٧٩ عن تسعين عاماً، فازدحمت كنيسة بلدته الصغيرة مونفور ــ لاموري بعظماء الرجال الذين جاؤوا يعربون، للمرة الاخيرة، عن تقديرهم. وكان بينهم الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان وهيلموت شميت مستشار المانيا الاتحادية وروي جنكنز الرئيس

البريطاني للجنة الاسر الاوروبية، وغيرهم من وجهاء اوروبا والولايات المتحدة الامريكية.

حفلت حياة مونيه العملية، التي تجاوزت السبعين عاماً، بالانجازات الكبيرة، بدءاً بجهوده الفذة في مجال التعبئة الصناعية خلال الحرب العالمية الاولى. وهو الذي نفذ، بعد انتهاء الحرب العالميةالثانية، "خطة مونيه" الشهيرة لتحديث الاقتصاد الفرنسي. وفي العام ١٩٥٠ نجح في اعتماد خطته لانشاء الاسرة الاوروبية المشتركة للفحم والصلب (الفولاذ) التي اصبح اول رئيس لها. ولم يلبث بعد ذلك ان عرض خطتيه المتعلقتين باقامة السوق الاوروبية المشتركة وانشاء الهيئةالمشتركة للطاقة الذرية في اوروبا الغربية. وكان هدفه حمل الدول الاوروبية على التنازل عن سيادتها تدريجاً حتى يتم قيام "الولايات المتحدة الاوروبية". وان يكن هذا الهدف لم يتحقق بعد، الا ان الاسرة الاوروبية اخذت تتبلور بفضل الدوافع التي رسم مونيه معالمها.

ولم يأبه مونيه اطلاقاً بالمناصب ولا بالسلطة السياسية، ولا حتى بالتفاخر بأنه هو المبدع الباني. فتوافرت لديه مفاتيح النجاح، وبات في وسعه ان يساند الافكار الفذة الخلاقة من دون ان يتهم بالسعي الى كسب المجد او المنفعة الشخصية. فعوض بالقوة المعنوية والخلقية ما فاته من النفوذ السياسي، بل زاد عليه. وكانت خططه كلها ترشح بالطابع العملي، بفضل بصيرته الفريدة التي صاحبها حس مرهف بالتوقيت وتقدير الامكانات.

والواقع، فعلى رغم ما تمتع به مونيه من نفوذ، فانه جمع بين صفات متناقضة. كان رجلا هادئاً ومثابراً لا يبدو عليه اي مظهر من مظاهر التألق والذكاء المتقد. قصير القامة، ممتلىء البنية، اصلع الرأس، متورد الوجنتين، هش الشاربين، ذا صوت خفيض. الا انه، على رغم مظهره المتواضع، عرف قدر نفسه حق المعرفة، وكان لديه الانضباط الكافي لتجنب ارغام الآخرين على تقبل آرائه.

وكان مونيه يتمتع بمقدار كبير من الكياسة، على طريقته الخاصة الهادئة، ويتحلى بروح المجاملة الرقيقة. وكثيراً ما اثار خجل الرجال الاصغر سناً والاطول قامة باصراره على معاونتهم على ارتداء معاطفهم. وكان بارعاً في الاطراء، يصغي بكل اهتمام الى محدثيه ويردد على مسامعهم: "هذا ممتع وجدير بالاهتمام". ويقول أحد زملائه السابقين: "حين تخرج من مقابلة مع مونيه تحس بأنك اكثر ذكاء منك عندما جئت للاجتماع به". وكان مونيه يعامل مرؤوسيه كأنداد له.

غير انمونيه كان رئيساً مرهقاً، شديد التدقيق الى درجة متعبة. ولم يحدث ان اكتفى بمسودة واحدة للوثائق، بل كانت كتابتها تعاد مراراً فتزداد صيغتها نقاء ومفاهيمها دقة ووضوحاً. وتلك كانت طريقة مونيه في معالجة الامور والنظر اليها من مختلف زواياها وفوارقها. وهو عبر عن ذلك لاحد معاونيه: "اني لا اعرف كيف اكتب، ولكني اعرف كيف اصحح".

ومن المدهش ان مونيه بقي عرضة للاوهام والوساوس المرضية، ومع ذلك فقد أكب على العمل الى حد الارهاق. وقلما غادر مكتبه قبل الثامنة مساء. وكان لا يتردد في رفع سماعة الهاتف في اي ساعة من الليل او النهار اذا خطر له ان يستعلم امراً ما. ويذكر جورج بول، وكيل وزارة الخارجية الامريكية السابق وصديق مونيه القديم، ان مونيه اتصل به يوماً عبر المحيط الاطلسي كي يسأله عن الساعة في واشنطن. وعندما افاده بما طلب اعرب له مونيه عن شكره وانهى المكالمة.

واعتاد مونيه امطار معاونيه بالمراجعات. وكانت ذراعه الطويلة تعرف كيف تطولهم حتى خارج اوقات العمل. ويذكر احدهم، وهو ماكس كونشتام، انه عاد من رحلة مرهقة الى الولايات المتحدة وهو عازم على قضاء عطلة الاحد مع اسرته براحة وهدوء. واذا بجرس الهاتف يرن في العاشرة صباحاً، فرفع السماعة ليسمع صوت مونيه. عندئذ أعاد كونشتام السماعة الى مكانها بحذر، وطلب من زوجته الا ترد اذا رن الجرس ثانية، وقال لها: "خلال عشرين دقيقة ستصل الى منزلنا سيارة، فلا تفتحي الباب. وسوف اختبىء في الحديقة". ووصلت السيارة فعلا في الموعد المتوقع، ثم عادت على اعقابها. وتمكن كونشتام من قضاء ذلك اليوم في بيته.

نافذة على العالم — كانت افكار مونيه المتعلقة بتوحيد اوروبا، والتي كرس لها الثلث الاخير من حياته، نتيجة مباشرة لخبراته الشخصية. ولد مونيه في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٨٨٨ في بلدة كونياك الفرنسية. وكان ابوه يعمل في انتاج نوع من الكونياك يحمل اسم العائلة "ج.ج. مونيه". وقد كتب مونيه في مذكراته: "كان حديثنا العادي على مائدة الطعام يتناول الشؤون العالمية. وكنا نعرف ان وجودنا مرهون برخاء الناس واذواقهم في مختلف انحاء العالم".

أنهى مونيه دراسته الثانوية في السادسة عشرة من عمره. ولم تكن لديه ادنى رغبة في الحصول على درجة جامعية، بل فضل الالتحاق السريع بتجارة اسرته. فأرسله ابواه الى انكلترا ليعيش مع اسرة احد تجار النبيذ ويتعلم الانكليزية. ولم يلبث مونيه ان اعتمر قبعة بريطانية مستديرة ورافقه شغف بالبريطانيين دام كل حياته. وفي الثامنة عشرة من عمره ركب الباخرة الى امريكا الشمالية حيث عمل في بيع الكونياك وترويجه.

وفي العام ١٩١٤، حين بلغ مونيه الخامسة والعشرين، كان قد اصبح رحالة محنكاً جاب العالم بأسره، وشاباً تواقاً الى استكشاف الامور، مليئاً بالهمة والنشاط وشغوفاً بالاستطلاع. ووصلت ثقته بنفسه الى ابعد حد كما اتضح من خطوته التالية.

اعفي مونيه من الخدمة العسكرية لعدم لياقته البدنية، لكنه كان يطيل التفكير في أمر الحرب. واستغرب مونيه ذلك الافتقار التام الى التنسيق الاقتصادي بين الحليفتين — فرنسا وانكلترا — اللتين بلغ بهما الامر حد التنافس في الاسواق العالمية للحصول على المواد الاولية. ورأى ان الحاجة ملحة الى توحيد الجهود.

وسأل نفسه: "ما العمل؟" ولم يلبث ان اعتزم عرض افكاره على المسؤول الاول في الدولة.

وكان مونيه في تلك الفترة رجلا مجهولا الا في اوساط تجارة الكونياك. غير انه اكد على ان تنفيذ الفكرة التي راودته مرهون بسلطة رئيس الوزراء نفسه. وراح مونيه يتصرف حسب الطريقة التي درج على اتباعها، حيث كان يقول: "اني اجد الفكرة اولا، ثم ابحث عن الرجل الذي يستطيع تنفيذها".

ووافق احد اصدقاء الاسرة على تقديم مونيه الى رئيس الوزراء الفرنسي رينيه فيفياني. فعرض عليه مونيه افكاره، ثم عرضها على وزير الحربية. وأسفرت هذه المحادثات عن تكليفه مهمة لدى مكتب الاتصال الفرنسي في لندن. وهناك عمل مونيه على انشاء هيئة شحن بحري مشتركة، وعقد اتفاقاً في شأن المشاركة في شراء القمح، الى جانب انجازات اخرى. وكان لهذه النتائج العملية تأثيرها البعيد على تفكير مونيه في ما يختص بفعالية التعاون بين الامم.

تخطيط جريء - بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى شغل مونيه منصب نائب الامين العام لعصبة الامم. وظل يعمل في مقر العصبة في جنيف حتى العام ١٩٢٣، عندما تقهقرت اوضاع اسرته التجارية. فعاد مونيه الى بلدة كونياك من غير تذمر، واستعادت اعمال الاسرة، بفضله، اسباب السلامة والعافية. ثم قبل عرضاً للعمل في الحقل المصرفي الدولي مع مؤسسة "بلير" الامريكية.

وفي مأدبة عشاء اقيمت في باريس عام ١٩٢٩، التقى مونيه ايطالية شابة هي سيلفيا دي بونديني التي كانت تصغره بنحو عشرين عاماً. وكتب مونيه في مذكراته: "كانت رائعة الجمال، وقد نسينا المدعوين الآخرين". غير ان السيدة كانت لسوء الحظ، متزوجة من رجل اعمال ايطالي ابى ان يمنحها الطلاق. وفضلا عن ذلك كان الطلاق غير مشروع في ايطاليا.

لكن مونيه كان مثابراً، كدأبه في كل امر. وفي العام ١٩٣٤ سافر الاثنان الى موسكو، حيث لم تكن موافقة الزوج ضرورية للحصول على الطلاق، فتزوجا هناك ولم يلبثا ان ذهبا الى الصين لمدة عام، ثم استقرا في نيويورك. وقد صمد زواجهما حتى وفاة مونيه.

في اواخر الثلاثينات تزايد قلق مونيه حول الحرب التي رآها على الابواب. وبعد اندلاع المعارك فعلا أوفد الى لندن في المهمة نفسها التي أوكلت اليه خلال الحرب العالمية الاولى. واصبح هذه المرة رئيساً للجنة التنسيق الانكليزية - الفرنسية التي اشرفت على توفير الامدادات المشتركة من الاغذية والنفط والمواد الاولية والاسلحة. وبعد استسلام فرنسا للنازيين أوفده تشرشل الى واشنطن ليكون الرجل الثاني في بعثة الامدادات البريطانية، وهي وظيفة مرموقة لم ينتظر اسنادها الى فرنسي.

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥، عهد الجنرال ديغول الى جان مونيه في مهمة احياء الاقتصاد

الفرنسي· وكانت "خطة مونيه" الحل الذي ارتآه لتنفيذ المهمة· وهو شكل جديد من التخطيط الديموقراطي، يتولى فيه ممثلو ارباب العمل والنقابات العمالية والحكومة تقدير امكانات البلاد في كل صناعة، ويرسمون الاهداف الواقعية التي ينبغي تحقيقها خلال فترة خمس سنوات· وكان من شأن هذه الخطة ان حملت الملتزمين الصناعيين على الشعور بمقدار كاف من الامان شجعهم على التوسع في الانتاج· وسجلت مفوضية التخطيط التي رأسها مونيه خلال سنواتها الخمس الاولى نجاحاً باهراً·

ولم يتوقف مونيه عند ذلك الحد، فعرض في ابريل (نيسان) ١٩٥٠ على روبير شومان، وزير خارجية فرنسا آنئذ، خطة جريئة لانشاء الاسرة الاوروبية للفحم والصلب· وكانت الخطة تقضي بأن توضع صناعات الفحم والصلب في فرنسا والمانيا، وفي اي دولة اخرى تود الانضمام اليهما، تحت سلطة هيئة متعددة الجنسيات تلغي التعريفات وتمارس سيادة تامة على هاتين الصناعتين، وبذلك تزول اسباب قلق الفرنسيين من انتعاش المانيا ويطمئن الالمان بدورهم الى المساواة في المعاملة·

وقرأ شومان خطة مونيه في احدى عطلات نهاية الاسبوع، ثم قال: "سوف استخدمها"· ولم تلبث الخطة ان اصبحت تعرف باسم "خطة شومان"· لكن مونيه كان سعيداً بأن ينسب الفضل الى الوزير الذي تعهد مسؤولية تنفيذها· وبعد مفاوضات شاقة اجراها مونيه، عقدت معاهدة تقضي بانشاء الاسرة الاوروبية، ووقعتها فرنسا والمانيا وايطاليا وبلجيكا وهولندا واللوكسمبور، واصبح مونيه اول رئيس لهيئتها العليا· تلك كانت الخطوة الاولى في المسيرة نحو توحيد اوروبا·

خلف الكواليس – بحلول العام ١٩٥٤، بعد ان احرزت الاسرة الجديدة تقدماً حثيثاً على طريق النجاح بفضل جهود مونيه، اذا بنكسة تنتاب الحركة الاوروبية بأكملها· لقد رفض البرلمان الفرنسي معاهدة "دفاع الاسرة الاوروبية"، وهي خطة ضخمة معقدة، من تصميم مونيه كذلك، تستهدف اقامة جيش اوروبي موحد· عندئذ استقال مونيه من وظيفته كرئيس للهيئة العليا كي يتفرغ لتجميع القوى الاوروبية حول مبادرات جديدة·

وفي العام ١٩٥٥ انشأ مونيه "لجنة العمل من اجل الولايات المتحدة الاوروبية"، فكان لها نفوذ كبير وضمت مندوبين من جميع الاحزاب الديموقراطية واتحادات نقابات العمال في الدول الاوروبية الست الاعضاء في اسرة الفحم والصلب· واتجهت اولى جهود اللجنة الى دعم مشروع "يوراتوم"، أي المنظمة الاوروبية للطاقة الذرية، والحث على انشاء "الجماعة الاقتصادية الاوروبية" التي اشتهرت باسم السوق الاوروبية المشتركة· وقد تم انشاؤها بعد حين بمقتضى معاهدة روما المعقودة عام ١٩٥٧·

وكان فريق مونيه يرسم المعالم الرئيسية للخطط الشاملة، فيحملها مونيه ويطوف بها في انحاء اوروبا،

يجادل حولها ويستميل اليها القلوب. وكان مونيه، كعادته دائماً، ماهراً خلف الكواليس، لا يقصر اهتمامه على كبار الرؤساء بل يوجهه ايضاً الى المرؤوسين الذين يملكون مفاتيح الحسم.

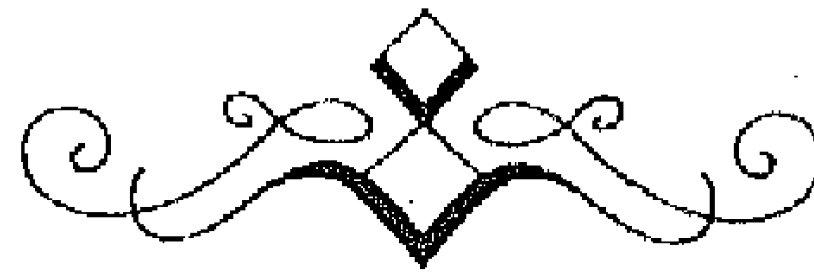
وعلى رغم تقدمه في السن، فقد واصل" ابو اوروبا " جهوده بلا كلل. وفي العام ١٩٦٨، عندما بلغ مونيه الثمانين من عمره، قام بست عشرة رحلة خارج بلاده. وظل حريصاً على توجيه اكبر مقدار من الاهتمام الى التفاصيل من دون ان يترك شيئاً للمصادفات. وكان اذا وجه رسالة الى شخص ما يجد دائماً الوسيلة كي يستوثق من ان الرسالة قرئت. وكان يوافي الشخصيات المهمة بهدايا الكونياك في عيد الميلاد، ويحرص على توطيد صلته بالصحافة، وعلى ان يكون الاتصال به سهلا لكل من يريده.

وحافظ مونيه على تفاؤله وبعد نظره عقب شتى النكسات التي تعرضت لها الحركة الاوروبية. وكان يرى في الاكتئاب هزيمة للذات لانه يؤدي الى الجمود. وكان واثقاً من ان معارضة ديغول عام ١٩٦٣ لجهود بريطانيا الاولى في سبيل انضمامها الى السوق الاوروبية المشتركة امر سيتم التغلب عليه. وثبتت صحة رأيه عام ١٩٧١ عندما تمت مفاوضات انضمام بريطانيا الى الاسرة الاوروبية، وكان ديغول ترك السلطة منذ عامين. وجلس مونيه في مقعد الشرف في شرفة مجلس العموم البريطاني الذي استعد للتصويت على قبول شروط الانضمام.

وبعد انقضاء خمس سنوات اجمع رؤساء الدول الاعضاء في الاسرة الاوروبية على منح مونيه لقب "مواطن شرف اوروبا"، وهو لقب لم يحظ به اي شخص آخر.

وكان لهذا الشرف ما يبرره في الفكرة السامية التي نشدها مونيه، الا وهي تضافر الامم الاوروبية على خدمة السلام والتعاون العالميين. والحق ان الفكرة اصابت قسطها من النجاح.

■ اروين روس



الرأس والعقل

كان ابي يؤمن بانه كلما كبر رأس المرء كان تطور عقله اكبر. وذات مرة كان يناقش نظرته هذه بحماسة مع احد كبار رجال المال، وقد ترك هذا قبعته على كرسي في مكتب ابي. فما كان من ابي الا ان دس خلسة بعض الاوراق المطوية داخل القبعة.

وبعدما انهيا حديثهما تصافحا. ووضع الرجل قبعته ثم رفعها واعتمرها ثانية. وعلق: "غريب. ان القبعة ضيقة". فقال ابي مزهوا: "أرأيت؟ محاورة واحدة معي تجعل رأسك..." .

ريتشارد لويد جورج، كتاب "ابي لويد جورج"



على ارتفاع شاهق تجمد الطيار من البرد ونفد الاوكسيجين من طائرته لكنه وجد من طار حوله وانقذه

"... لقد أنقذتني"

"الى برج المراقبة في كالغاري. هنا قبطان طائرة سيسنا ايكو ويسكي تانغو. هل تسمعونني؟ اجيبوا!"

ذلك هو النداء الذي وجهه الطيار راسل لابا في محنته فوق مقاطعة ساسكتشوان الغربية في كندا. وكان وحيداً في طائرته الصغيرة، ولم يبق لديه، حسب تقديره، الا دقيقة واحدة يكون خلالها في حال وعي تام.

"الى برج المراقبة في كالغاري. اجيبوا من فضلكم!"

ذلك ما كرره لابا. ثم حدد موقع طائرته في الجو وقال انه على بعد ثلاث دقائق شرق ايمبرس، وهو يتجه نحو البر على ارتفاع ٢٨ الف قدم (٨٥٣٤ متراً) وقد تعطل جهاز الاوكسيجين لديه.

والتمس لابا السماح له بالهبوط

فوراً، لكنه لم يتلق جواباً. فاتجه شمالا كي يبتعد عن مسار الطائرات الاخرى، وهيأ طائرته المتوسطة الحجم للطيران بواسطة جهاز التوجيه الاوتوماتيكي على ارتفاع ٢٥ ألف قدم (٧٦١٠ امتار). ثم ضبط جهازه اللاسلكي الراداري وضغط على الزر المشار اليه بكلمة "ارسال". وبدأ الجهاز يبث اشارة الطوارىء. عندئذ استسلم لابا الى شبه غيبوبة.

وكان الخميس في ٢٨ ابريل (نيسان) ١٩٧٧ يوماً رائعاً لم تعكر سماءه سحابة واحدة، او هكذا بدا على الأقل بالنسبة لراسل لابا، وهو طبيب اسنان من وينيبيغ في مقاطعة مانيتوبا الكندية. إنه رياضي في السادسة والاربعين من عمره، ذو شعر اشقر مائل الى الاحمرار. وكان في رحلة الى جزيرة فانكوفر الكندية في مهمة طبية من ناحية، ولقضاء عطلة نهاية اسبوع من ناحية اخرى مع ابنته شيريلين البالغة من العمر ١٩ ربيعاً، وهي طالبة في السنة الاولى في جامعة فيكتوريا.

وحلق راسل لابا على ارتفاع ٢٨ ألف قدم كي يتجنب رياحاً معاكسة سرعتها ٥٠ عقدة (٩٣ كيلومتراً في الساعة). ويشار الى ذلك الارتفاع في اصطلاحات الطيران بالرقم ٢٨٠. ومع ان راسل لم يسبق له ان قاد طائرة على ذلك الارتقاع، الا انه تلقى تدريباً مستفيضاً على الطيران العالي، ولديه خبرة ١٥ عاماً كطيار خاص. وقد خولته خبرته الحصول على حق الطيران في الارتفاعات التي تبلغها الطائرات التجارية. وفي اختصار، كان طياراً ذا تأهيل عال.

والواقع ان لابا اشترى طائرته عام ١٩٧٤، وهي من طراز "سيسنا ٣١٠"، ذات محركين وتحمل شهادة بصلاحية استعمالها في ارتفاعات تصل الى ٣٠ ألف قدم (٩١٤٤ متراً).

وابتاع لابا، من اجل رحلته الى فيكتوريا، جهاز اوكسيجين اضافياً معبأ في المصنع لان خزانات الاوكسيجين في طائرته كانت نصف مملوءة وليس في الامكان تعبئتها بسهولة وسرعة. وقد اراد الا يترك للمصادفة مجالا.

واقلع لابا من وينيبيغ في الرابعة الا ثلثاً بعد الظهر. واخذت طائرته ترتفع ببطء الى المستوى ٢٨٠ ثم اتجهت غرباً في الممر الجوي العالي الرقم ٥٠٤، وهو خط جوي تحدده اشارات الراديو. وفي السادسة مساء ظهرت اول الدلائل على وجود عطل ما، وذلك فوق شمال مدينة ريجينا، حين طرأ تقطع على عمل اللاسلكي وجهاز التدفئة في غرفة القيادة. وعندما اصبحت الطائرة فوق بحيرة ديفنبيكر غرب ساسكتشوان توقف جهاز التدفئة عن العمل وانخفضت الحرارة الى ٤٠ درجة مئوية تحت الصفر.

ولم يكن لابا مستعداً لمواجهة هذا البرد الشديد، اذ كان يرتدي ملابس رياضية وسترة خفيفة. الا ان اشعة الشمس نفذت عبر نافذة قمرته فحافظت على دفء جسده، لكنه شعر بيديه وقدميه تتجمد من شدة البرد. وحاول لابا الاتصال ببرج المراقبة في ريجينا، ثم في كالغاري، طلباً للاذن بالهبوط، ولكن ما من جواب. واستخدم ثلاث موجات لاسلكية اخرى

بما فيها تلك التي يستخدمها طيارو شركة الخطوط الجوية الكندية للاتصال في ما بينهم، غير ان احداً لم يسمعه.

وهكذا واصل لابا الطيران ملتزماً بخطة رحلته الاصلية. وقد بقي من الاوكسيجين في الجهاز الرئيسي ما يكفي نصف ساعة. وعندئذ تحول لابا الى جهاز الاوكسيجين الاضافي. واعترى ذلك الجهاز خلل كذلك، ربما بسبب انخفاض درجة الحرارة، فلم يصل عبر انبوب الاوكسيجين سوى كمية ضئيلة.

ان افتقار الجسم الى الاوكسيجين، او ما يعرف طبياً باسم هيبوكسيا، هو كارثة خطيرة. وهو يؤدي، لدى الطيارين المنفردين، الى فقدان الوعي ثم الى الموت. وبدأت الكارثة زحفها الوئيد الى لابا الذي شعر بدوار في البداية ثم بقليل من الاضطراب الفكري والتشويش. وبدأ يفقد سرعة التفكير، فأدرك سبب الاعراض وعلم انه في مشكلة. وكان قد وصل الى الحدود بين مقاطعتي البرتا وساسكتشوان، على بعد ٢٩٧ كيلومتراً عن كالغاري.

حتى العجوز ـ لاحظ المراقب الجوي، دنيس ريبلي، على حافة شاشة الرادار في الطابق الارضي من برج المراقبة في مطار كالغاري، نقطة بيضاء لامعة. وانطلق ازيز من جهاز التنبيه، واومض ضوء اصفر على لوحة المفاتيح امامه، ثم تحولت النقطة اللامعة الى مستطيلين كبيرين احدهما خلف الآخر. وأدرك ريبلي ان شخصاً ما يبث اشارة طوارىء. لكنه لم يعرف هوية الشخص ولا الازمة التي يواجهها.

وراجع ريبلي سجلات حركة الطيران لذلك اليوم، فوجد ان الطائرة الوحيدة المتوجهة غرباً فوق ايمبرس في ذلك الوقت هي من نوع "سيسنا ٣١٠" وتحمل وثيقة تسجيلها الاحرف "كف - اوت". وحاول ريبلي الاتصال بالطيار لاسلكياً لكنه لم يتلق جواباً. وعندئذ اتصل بطائرات اخرى في ذلك الجوار آملا ان يكون بعضها قريباً من الطائرة فيتصل بها.

وكانت طائرة الخطوط الجوية الكندية "دي سي - ٩" في رحلتها الرقم ٢٣٧ من ساسكتشوان الى كالغاري على ارتفاع ٢٨ الف قدم، ويقودها ديفيد مورو البالغ من العمر ٣٩ عاماً، وهو طيار مقاتل سابق. وكان مساعده الاول توم اولدريتش. فاتصل بهما ريبلي وطلب اليهما المساعدة.

وهبط مورو بطائرته الى ارتفاع ٢٦٥٠٠ قدم (٨٠٧٧ متراً) ليتجنب احتمال حدوث اصطدام ولكي يتمكن من مشاهدة طائرة لابا جانبياً. واخبر ركاب طائرته بما كان يجري وقال لهم ان المسألة تحتاج الى كل زوج من عيون للبحث عن الطائرة الضالة.

وفي ذلك الوقت كانت ثلاث مضيفات يدفعن عربات خدمة المسافرين في ممر الطائرة، فوقعت كلمات مورو وقعاً شديداً على المضيفة بيرسرليونا شوتشك التي قتل اخوها في حادث تحطم طائرة خاصة منذ بضعة اشهر. وتجاوب الركاب كأنهم جنود يمتثلون للاوامر، وكانت بينهم سيدة عطوفة الملامح، صغيرة البنية، جلست في المقعد ذي الرقم ٥ ـ أ فراحت تحدق الى الفضاء الرحب باحثة عن الطائرة المنشودة.

وفي هذه الاثناء ابتعدت طائرة لابا عن مجال الرؤية كما ظلت تغير اتجاه طيرانها. وراح لابا، الذي استعاد بعضاً من وعيه، يصغي الى المكالمات التي دارت حوله على الراديو من دون ان يعلم انه مدار الحديث. وقال في نفسه: "يبدو ان شخصاً وقع في ورطة. فيا لحسن حظي اني لست ذلك المسكين!"

إنها هناك! ـ حلق مورو بطائرته على ارتفاع ٢٦٥٠٠ قدم فوق لابا. وكانت طائرة الاخير تبعد ١٥٠٠ قدم (٤٥٧ متراً) تحت طائرة مورو الذي لم يتمكن من رؤيتها. وعندما ادرك مورو انه ابتعد عن الهدف غير وجهته. وسمحت له سلطات مراقبة الحركة الجوية في كالغاري باتخاذ ما يعتبره ضرورياً من اجراءات في ما يتعلق بالارتفاع او بالاتجاه. واعلمه ريبلي، المراقب الجوي، ان لا طائرات اخرى حوله. وبناء على حسابات ريبلي، كانت طائرة لابا على بعد ثمانية كيلومترات عن طائرة الخطوط الجوية الكندية ٢٣٧.

لكن ومضاً من الذاكرة مر في ذهن ريك جويس الطيار المساعد في طائرة اخرى من طراز "دي سي ـ ٩" للخطوط الجوية الكندية، وهو يصغي الى الحديث الدائر على جهاز الراديو. وكانت طائرته متوجهة الى فانكوفر في مقاطعة كولومبيا البريطانية (كندا). لقد خطر له انه قاد سابقاً طائرة "سيسنا ٣١٠"، ذات الرقم المسجل "كف ـ اوت"، قبل مجيئه الى شركة الخطوط الجوية الكندية. فاتصل لاسلكياً على الفور ليقول انه يعرف تلك الطائرة وانها ملك ايف هوفر من وينيبيغ، وذلك هو اسم صاحبها السابق.

وكان ذكر اسم هوفركافيا لاخراج راسل لابا من غيبوبته الجزئية. فأدرك انه ذلك المسكين الذين يبحثون عنه. وفي الوقت نفسه كان ديفيد مورو يرتفع خلف طائرة سيسنا، وقد ظهرت على شاشة الرادار في قمرته، الا انه راح يبحث عنها في ارتفاع اعلى من مستوى طائرته ظناً منه ان لابا لايزال محلقاً على ارتفاع ٢٨ ألف قدم. غير ان السيدة الجالسة في المقعد ٥ ـ أ كانت تنظر الى اسفل. وفجأة صرخت بأعلى صوتها: "تلك هي الطائرة! انها تحتنا الى اليسار!"

وبالفعل ظهرت طائرة لابا امامهم. فخفف مورو سرعة طائرته. وراح يناور كي يبقى وراء الطائرة الضالة، بينما اعطى مساعده اولدريتش معلومات باللاسلكي عن موقعها، قائلا انها الى يسارهم وهي تتجه شرقاً، وانهم لا يعلمون ما اذا شاهدهم لابا او لم يفعل.

لكن لابا لم يتمكن من رؤيتهم، الا انه استعاد من وعيه ما يكفي للرد على استفسار اولدريتش حول المشكلة. فقال انه كان متجمداً من البرد، وان الاوكسيجين قد نفد لديه.

الهواء الغالي ـ ادرك مورو انه ينبغي انزال لابا بسرعة الى مستوى تؤدي وفرة الاوكسيجين فيه الى انتعاشه. فطلب اولدريتش من طبيب الاسنان المتجمد ان ينحدر بطائرته، غير ان هذا كان واهناً بحيث احتاج الى اربع دقائق لتحريك اجهزة التحكم التي ما زالت موصولة بجهاز

التوجيه الاوتوماتيكي الذي ابقى الطائرة على ارتفاع ٢٥ ألف قدم (٧٩٢٥ متراً). وكانت يداه من البرودة بحيث لم يستطع تحريكهما، فاضطر الى ضرب مفتاح الراديو بمعصمه لتشغيله. ووجد لابا في التنفس عملية شاقة، وانتابته الخواطر فناجى نفسه قائلا ان الانسان في هذه الحال لا يعيش من يوم الى يوم ولا من وجبة طعام الى اخرى بل من شهيق الى شهيق.

واخيراً بدأت طائرة لابا هبوطها التدريجي حتى وصلت الى ارتفاع ١٦ الف قدم (٤٨٧٧ متراً). وهنا شعر لابا براحة وسط الهواء الكثيف نسبياً، وافاد أنه لم يبق في خزانات وقوده سوى ٩٥ ليتراً تسمح له بالطيران ٤٥ دقيقة فقط، وذلك ليس كافياً للوصول الى كالغاري.

وفي هذه الاثناء بدأت طائرة الخطوط الجوية الكندية تواجه نقصاً في الوقود بعد ما قامت به من تحويم ومناورات، ذلك لانها كانت تقتفي اثر طائرة لابا منذ نحو نصف ساعة. واخيراً قرر مورو ومساعده اولدريتش ان يتوجها بطائرتهما وركابها نحو كالغاري، الا انهما بقيا على اتصال مع لابا بواسطة الراديو. وهبط لابا بطائرته الى ارتفاع ٨٠٠٠ قدم (٢٤٣٨ متراً) واتجه بها نحو اقرب مطار في بلدة هانا، على بعد ١٥٠ كيلومتراً من كالغاري: حيث يوجد مدرج طوله ٧٩٠ متراً. لكن لابا لم يكن في وعيه التام، ولا بد من شخص آخر يقوم بانزاله.

وشعر لابا في طائرته بانه واع تماماً لما يحدث. ولزيادة مدة الطيران خفف نسبة الوقود المستعمل. الا ان جهاز الملاحة في طائرته لم يلتقط اشارات كالغاري، فلم يعرف موقعه تماماً. واخذ يصغي الى الاصوات المختلفة التي انهالت عليه عبر الاثير وهي تحمل التعليمات والنصائح. وقال في نفسه: "ها هم في حال هدوء اعصاب بينما انا اتصبب عرقاً لشدة الخوف والارهاق".

والحقيقةان مزيداً من المصاعب والعرق المتصبب كان ينتظره. لقد انخفضت كمية الوقود الى ٣٨ ليتراً في المحرك الايمن و١٠ ليترات في الايسر، الا انه دخل مجال الارشاد اللاسلكي وتوجه نحو كالغاري. واعلن ريبلي بسرور انه على بعد ١٣٥ كيلومتراً وأنه يبدو في حال حسنة.

تحية الطيار – بقي على لابا ان يعثر على مطار قبل ان ينفد الوقود من طائرته. وفي هذه الاثناء ظهرت طائرة "سيسنا ٣١٠" اخرى تابعة لشركة "غيتواي افييشن" ويقودها دين ديكسون المتمرس في الطيران التجاري. وكانت على بعد ١٥٠ كيلومتراً، لكنها تقترب بسرعة. وابلغ ديكسون برج المراقبة انه سيتوجه نحو لابا، واتصل بالاخير يخبره انه مر لتوه فوق مطار هانا وانه على بعد ٣٢ كيلومتراً من مدينة درامهيلر جنوب مقاطعة البرتا الكندية. وابلغه ديكسون ايضاً انه سوف يصل اليه ويرشده الى درامهيلر. فعاد الامل الى قلب لابا.

وقبيل الساعة السابعة والدقيقة الخمسين عثر ديكسون على ضالته المنشودة، وابلغ لابا لاسلكياً انه على مرأى منه وان طائرته على مقربة من

الجناح الايسر لطائرة لابا الضالة.

لكن لابا لم يتمكن من رؤية مرافقه ولم يعرف مكان المطار. ووصل مؤشر الوقود الى ٢٦ ليتراً في احد الصهريجين و٣٤ ليتراً في الآخر. وقال لابا في نفسه: "علي الا اتجاوز مدرج المطار بل ان اهبط في المحاولة الاولى".

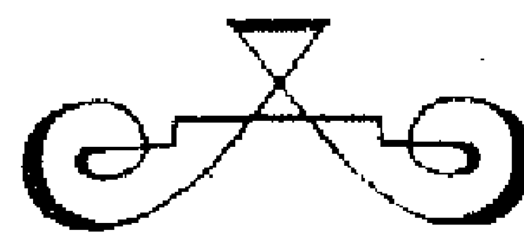
عندئذ رأى لابا طائرة ديكسون للمرة الاولى، بينما الطائرتان تحلقان شرق دراميلر. وكان المطار يبعد ٣ كيلومترات من شمال غرب المدينة، في منخفض غير سحيق. لكن لابا لم ير المدرج في الوقت المناسب فارتفع بطائرته واخذ يحوم بها. فأوعز اليه ديكسون بأن يتبعه وبأنه سيكون على ما يرام.

وخلال دقيقتين حلقت الطائرتان في دورة كاملة وتوجهتا الى المدرج. وبدأ ديكسون يعطي تعليماته الى لابا لمساعدته على الهبوط. وامتثل لابا لتعليمات ديكسون على خير وجه، فهبطت طائرته بسلام بينما ارتفع ديكسون بطائرته كي يفسح له المجال.

وهكذا لامست عجلات طائرة لابا مدرج المطار بعد مرور ساعتين على ارساله اشارة الطوارىء. وجاءت عملية الهبوط سليمة. وتولى الطيار مورو ابلاغ النبأ الى ركاب طائرة الخطوط الجوية الكندية في الرحلة ٢٣٧، فاعترتهم بهجة وانشراح.

واطفأ لابا محركات طائرته، ثم نزل من قمرته وجلس على جناح الطائرة وأغمض عينيه في صلاة طويلة. ولما رفع رأسه رأى ديكسون الذي حوم بطائرته ثانية وخفض جناحيها تحية، ثم هبط بها خلف طائرة لابا. وما كان من لابا الا ان قفز عن جناح طائرته واندفع نحو ديكسون وهو يقول: "لقد انقذتني". فهو لم يقو على التفكير في عبارة اخرى.

■ جون بلاشيل



عندما يعشق السياسي

شغف سياسي فرنسي شهير في القرن التاسع عشر بممثلة شابة حسناء، فأرسل اليها بطاقة وهي وراء الكواليس تقول: "حين يراك المرء يعشقك، وحين يعشقك فأين يراك؟"

غ. ب.

بداية متواضعة!

سأل الصحافي مغنيا شعبيا: "لقد غدوت نجما عالميا بسهولة نسبية. اليس كذلك؟" فاجاب المغني: "الحق ان الامر لم يكن سهلا تماما. فقد اضطررت الى ان ابدأ بداية متواضعة، مستعينا بأغاني براهمز وشوبرت".

ف. ك. د.

امراض العيون

طبيب يوصي بالفحص الدوري لعيون الأطفال

هذه مقابلة مع الدكتور برادلي ستراسما، مدير معهد جول شتاين للعيون في جامعة كاليفورنيا في لوس انجيليس.

س: دكتور ستراتسما، هل يمكن القول ان السد (اعتام عدسة العين) والزرق (الماء الاسود) هما السببان الرئيسيان للعمى؟

ج: كلا. ان ترتيب هذين السببين يأتي، في رأيي، بعد اضطرابات الشبكية، وهي النسيج الحساس للضوء الذي يوجد في مؤخر العين. وأحد هذه الاضطرابات، ويسمى التدهور الكلفي، يعتبر سبباً رئيسياً للعمى بتعريفه القانوني (★). وقد تظهر اعراضه الاولى في تشوه صور الاشياء المرئية، فتبدو عارضة الباب معوجة، او تخون القارىء رؤية احد حروف الكلمة، وربما عجز عن قراءة الحروف المطبوعة العادية بعد حين.

س: وماذا يحدث عندئذ؟

ج: هناك انواع من التدهور الكلفي تختفي آثارها بعد فترة. وهناك اشكال اخرى يمكن علاجها بأشعة ليزر او عن طريق الجراحة. غير ان هناك انواعاً من التدهور الكلفي لم يهتد الطب، بعد، الى علاج لها.

س: واذا اهمل التدهور وترك بلا علاج فهل يتفاقم وينتهي الى العمى؟

ج: ان التدهور الكلفي قد يعني فقدان الرؤية المركزية، اي العجز عن قراءة الحروف، بل عن رؤية الكبير منها احياناً، على لوحة اختبار البصر. غير ان المصابين بهذا النوع من الاضطراب البصري يحتفظون بكامل نطاق الرؤية لديهم. ومن ثم فانهم يستطيعون التنقل والرؤية يميناً ويساراً والى اعلى والى اسفل.

(★) يعتبر الشخص اعمى، حسب التعريف القانوني، اذا كان لا يستطيع - حتى بالنظارات الطبية - ان يرى على بعد يزيد ستة امتار في المجال العادي للنظر الطبيعي (٦٠ مترا)، او اذا كان مجال نظره الجانبي يقل عن ٢٠ درجة.

س: وماذا عن السد (اعتام عدسة العين)؟ هل طرأ على طريقة معالجته تطور ملحوظ خلال الخمسة عشر عاماً او العشرين عاماً الاخيرة؟

ج: لقد سجل علاج هذا المرض احدى اكبر خطوات التقدم في مجال طب العيون. وعندما تدعو الضرورة الآن الى اجراء جراحة، فانها تتم بمقدار كبير من الامان بالنسبة الى ما كانت الحال قبل سنوات. كما ان الآثار التي تخلفها تلك الجراحة تقلصت الى حد ملحوظ. ان المريض يدخل المستشفى حيث تجرى له الجراحة في اليوم التالي، ثم يغادره بعد ذلك بيوم واحد. وكان الامر يقتضي، منذ عشر سنين فقط، ان يبقى المريض في المستشفى بعد الجراحة فترة تراوح بين ستة ايام وعشرة.

ومن اهم نواحي التقدم، ايضاً، عمليات زرع العدسات، اي وضع عدسات من البلاستيك بدلا من العدسات الطبيعية بعد استئصال اسباب السد. وفي رأيي ان هذه العملية ملائمة، في الوقت الحالي، لبعض المرضى. ذلك لان استخدام العدسات اللاصقة يزداد صعوبة مع تقدم السن.

س: كثيراً ما تتردد التحذيرات من الزرق. فما هي الحال بالضبط؟

ج: يطلق اسم الزرق على مجموعة من الامراض، تتميز كلها بارتفاع ضغط السائل داخل العين، مما يؤدي الى اتلاف الانسجة الدقيقة في العين وبالتالي الى التأثير على البصر.

س: وكيف يحدث ذلك؟

ج: لا بد للعين من الاحتفاظ بمستوى معين من الضغط كي تبقى سليمة. وفي حال الزرق يتخطى الضغط مستواه الطبيعي فتتأذى بذلك العين

س: وكيف يتم اكتشاف الزرق؟

ج: في اكثر انواع الزرق شيوعاً، قد لا تظهر الاعراض الا بعد تفاقم المرض. وفي هذه الحال يدرك المريض ان هناك خللا في مجال بصره، وقد يشعر بغشاوة في حالات نادرة. وهناك نوع آخر من الزرق يحدث فجأة، وترتبط اعراضه بالالم واحمرار العينين وغشاوة البصر وظهور هالات حول الانوار.

س: هل تظهر هذه الاعراض ثم تختفي، ام انها تستمر على نحو متواصل؟

ج: ان هذه الاعراض تظهر وتختفي في نوع نادر من الزرق. ولكن في معظم حالات الزرق الحاد، يبدأ الامر فجأة ويتطور خلال ساعات قليلة الى اضطراب شديد الوطأة

س: هل يمكن علاج الزرق؟

ج: من الممكن ان يكفل العلاج الطبي، والعلاج الجراحي في بعض الاحيان، السيطرة على المرض والمحافظة على بصر المريض بقية حياته.

س: وهل يمكن اصلاح ما حصل من تلف؟

ج: كلا. ان تلف اي جزء دقيق من العين بسبب الزرق هو تلف دائم.

س: ما هي أصغر سن يمكن ان يصاب المرء فيها بالزرق؟

ج: ربما وجد الزرق لحظة الميلاد بالذات. غير ان معظم المرضى يصابون به بعد ان يبلغوا سن النضج.

س: ما هو المعدل الذي تراه مناسباً لتكرار فحص العينين، وخصوصاً لاستكشاف الزرق؟

ج: ذلك امر يتوقف على صحة العين وصحة الشخص المعني والعمر. واظن انه يتعين على الراشدين عموماً ان يراجعوا طبيب العيون لاجراء فحص دقيق مرة كل عامين على الاقل.

س: ما هي الانواع الاخرى من امراض العيون التي تحوز المقدار الاكبر من اهتمام الاطباء؟

ج: اود ان اذكر، على نحو خاص، امراض القرنية، وهي الطبقة الامامية الشفافةفي العين.فكون القرنية مكشوفة يعرضها لاذى الجراثيم من بكتيريا وفيروساتوانواع مختلفة من الفطر.

س: وما هو مدى خطورة هذه الاصابات، اذا حدثت؟

ج: يشعر المريض، في بداية الامر، ببعض ألم. غير ان اضطرابات القرنية تحول ايضاً دون نقل الصور الواضحة الى الشبكية، مما يؤدي الى ضعف البصر.

وقد بات في امكاننا اليوم ان نعالج بفعالية انواعاً كثيرة من الاصابات. لكن هناك ضروباً من الندوب و"اللاشفافية" قد تتكون على القرنية، مما يحمل مرضى كثيرين على اجراء جراحة زرع القرنية، وهي من انجح عمليات الزرع.

س: وماذا عن المشكلات الاخرى التي تتعرض لها العين؟

ج: هناك اضطرابات العصب الحركي في العين، وهو يتحكم بحركة العين في الاتجاهات المختلفة وفي بقاء العينين متحاذيتين ومركزتين على شيء واحد. وتتسبب هذه الاضطرابات احياناً بدوران احدى العينين الى الداخل، وهو ما يسمى الحول المتقارب، او بدوران احدى العينين الى الخارج، وهو ما يسمى الحول المتباعد.

س: وهل يمكن تصحيح اي منهما؟

ج: نعم. ولكن لا بد من اجراء فحص طبي كامل للعينين، لان الحول قد يكون عرضاً ثانوياً لمرض آخر. وربما تطلب العلاج تغطية احدى العينين بعض الوقت، او استعمال عدسات طبية، او تناول الادوية، او القيام بتمارين للعينين، او اجراء جراحة في العضلات المتحكمة بحركة العين.

وهناك مظهر من مظاهر الحول المتقارب والحول المتباعد يستدعي الاهتمام: فالطفل عندما يضطرب تحاذي احدى عينيه، يغمض هذه العين ليتجنب ظاهرة الرؤية المزدوجة. ومن ثم فهو لا يستخدم الا عيناً واحدة. واذا استمر هذا الوضع - خصوصاً اذا كان بدأ في سن مبكرة - فانه يترسخ اكثر فاكثر في العمليات الحسية لدى الطفل. واذا لم يتم اكتشافه في الوقت المناسب واهمل علاجه فقد يؤدي الى خلل دائم في حاسة البصر.

وعلى ذلك، فانه من الاهمية بمكان ان يخضع جميع الاطفال لفحص سلامة نظرهم في سني عمرهم الاولى.

س: هل يحتمل ان يكون نظر الطفل طبيعياً خلال السنوات الاربع او الخمس الاولى من حياته، ثم تستدعيه الحاجة فجأة الى الاستعانة بالعدسات الطبية في السن السابعة او الثامنة او التاسعة؟

ج: نعم. فكما ان الجسم يتغير خلال مراحل الحياة، كذلك قد تتغير قدرة العين على رؤية الاشياء بوضوح.

س: في اي سن يحتاج الاطفال الى فحص عيونهم؟

ج: اذا لم يكن هناك سبب للشك في سلامة بصر الطفل، فاني اوصي بان تبدأ الفحوص الدورية منذ السنة الثالثة او الرابعة من عمره، اذ يكون الطفل آنئذ في سن تسمح له بان يتعاونمع الطبيب.غير انه لا يزال،

في الوقت نفسه، صغيراً الى حد لا يتسنى معه اكتشاف انواع عدة من الضعف او الخلل التي تتطلب العلاج.

س: هل تؤدي مشاهدة التلفزيون او الانكباب على القراءة الى ايذاء عيون الاطفال؟

ج: ليس لدي اي مؤشرات تدل على ان استخدام العينين استخداماً معقولا يتسبب في ايذائهما، سواء في ما يتعلق بمشاهدة التلفزيون والسينما او في القراءة.

س: هل تعتبر الحوادث من الاسباب الرئيسية لاختلال البصر؟

ج: ليس للحوادث، من الناحية الاحصائية، ما لغيرها من تأثير في ما يتعلق بالخلل البصري. لكنها غالباً ما تواجه الشباب في بداية حياتهم المنتجة. ومن الحوادث الكثيرة الوقوع انفجار بطاريات السيارات، اذ ان معظم الناس يجهلون ان بطارية السيارة العادية تطلق غازات قابلة للاشتعال. وعندما يتعطل محرك السيارة ليلا فانهم لا يترددون في رفع غطائه واشعال عود ثقاب لاستكشاف الخلل. وكثيراً ما يسفر ذلك عن انفجار تذهب ضحيته احدى العينين او كلتاهما.

س: هل من الممكن معاونة الشخص الذي يشرف على فقد بصره على التمتع بحياة مرضية نسبياً؟

ج: نعم. فعندما يعجز الطب عن قهر المرض يجب إطلاع المريض على حاله بصراحة وامانة، وتقديم العون الممكن اليه كي يتمكن من تكييف نفسه مع الحياة من دون بصر. وقد نجح اشخاص عديدون في هذا التكيف نجاحاً باهراً.

س: هل من تجارب، حالياً، لغرس اقطاب كهربائية في الدماغ تتيح للضرير ان يبصر الخطوط والنقط؟

ج: هناك طائفة من التطورات المذهلة في هذا المجال، بما في ذلك اجهزة التكبير البصرية والاجهزة التي تتيح للضرير ان "يقرأ" عن طريق الاستشعار بأطراف انامله. وهناك ايضاً تجارب مهمة تقوم على غرس الاقطاب الكهربائية. غير انه لا يزال يعوزنا مزيد من المعلومات قبل ان ندرج هذه الامور في اطار التطبيق الفعلي. ومن المحتمل بعد بضع سنوات، نصرف خلالها كثيراً من الوقت والجهد والبحث، ان نتمكن من تطوير الامكانات الراهنة وتزويد الانسان بالبديل البصري.



مقارنة

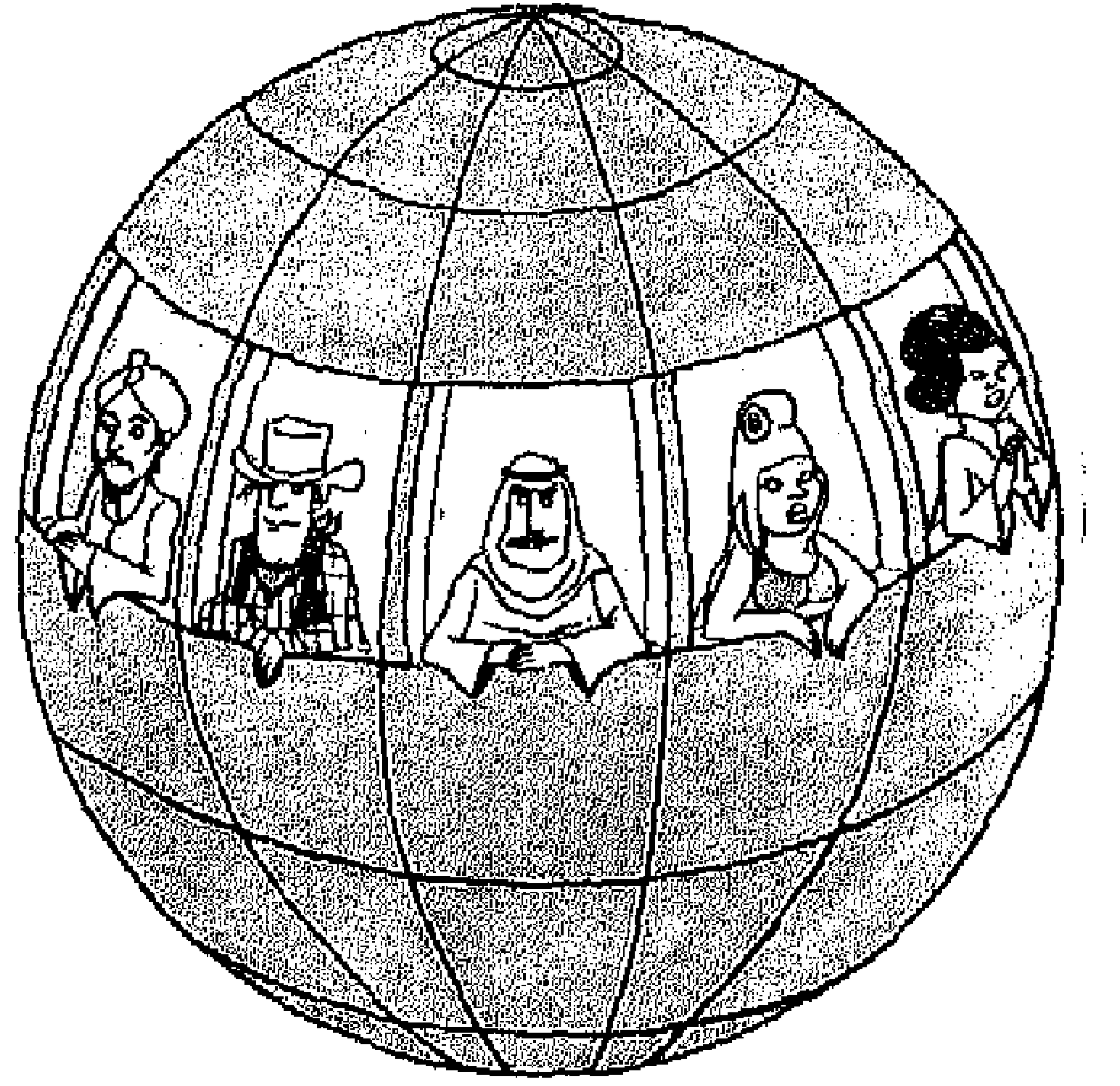
الخبرة كعيدان تنظيف الاسنان: انها معدة للاستعمال الشخصي فقط.

ا.س.

منطق

جرى اختبار لطلاب مدرسة لاعداد المخبرين الخاصين بغية قياس قدراتهم على الاستنتاج. وكان أحد الاسئلة يقول: "ماذا تستنتج اذ ترى صبيا تورّم خده الايمن؟" وكانت الاجابة التي حصلت على اعلى علامة: "اما انه يشكو من ألم في ضرسه واما ان يكون ابوه اعسر".

مجلة "شتوتغارت زايتونغ"، المانيا



حكايات صغيرة من العالم

الاجدر بالمساعدة

إذا اصيبت سيارتك بعطل في احدى الطرق العامة المزدحمة في المانيا، فان حظك في الحصول على مساعدة اذا كنت شيخاً او راهبة يفوق حظك اذا كنت امرأة حسناء، حسبما تفيد مجلة "كويك" الاسبوعية الالمانية.

فقد اجرت هذه اختباراً للتعرف على استجابة اصحاب السيارات الالمان لاشارات طلب المساعدة التي يطلقها ثمانية اصناف من الناس. وكان أن حلت شابة جذابة في المرتبة الرابعة، فيما احتل المركز الأول "شيخ وقور" في السبعين من عمره، والمركز الثاني "راهبة". وجاءت "امرأة حامل" في المرتبة الثالثة.

بعيداً عن الحضارة

خلال شهر فبراير (شباط) الماضي قرر فريد ليبو رئيس نادي نيويورك للركض الحر الامتناع عن استخدام سيارته او سيارات الاجرة او اي شكل من اشكال النقل العام. وارتدى الرجل البالغ ٤٧ عاما بدلة ركض وقطع ما مجموعه ٣٨٣ كيلومترا في اثناء ذهابه الى العمل وعودته منه ولتلبية المواعيد التي يفرضها عليه عمله والتزاماته الاجتماعية.

واضافة الى الفوائد البديهية التي اكتسبها ليبو في تحسين لياقته البدنية، فقد استطاع توفير ١٧٠ دولارا و٦٠ ساعة كانت تضيع في انتظار سيارات الاجرة والحافلات والقطارات.

ن.ي.ت.

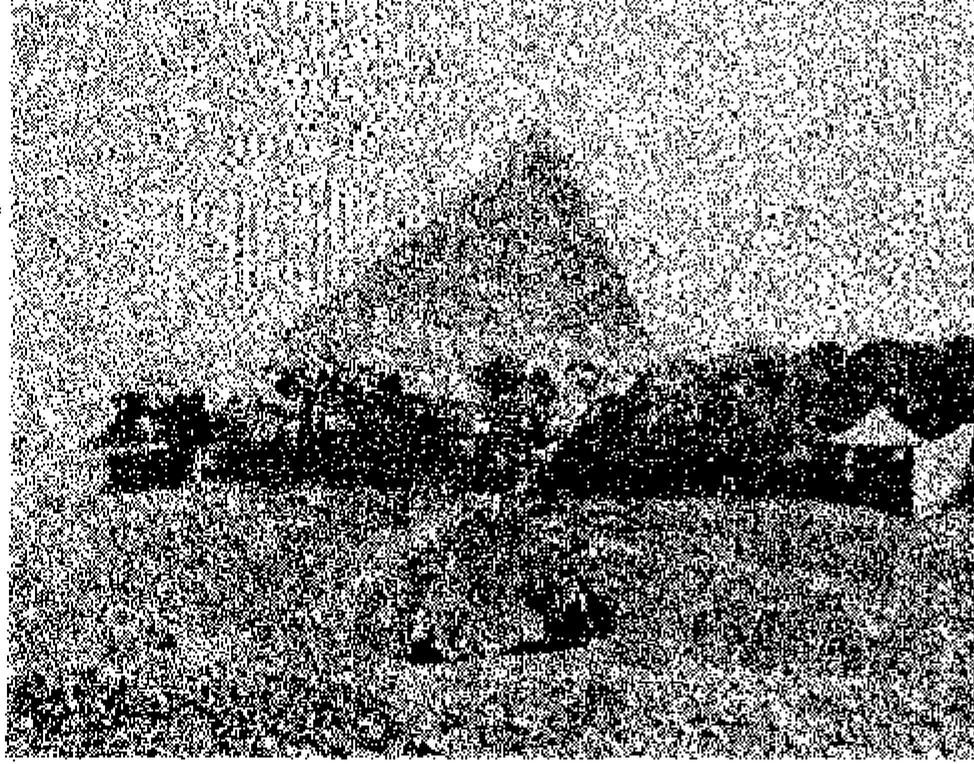
كازانوفا الياباني

كنت وزوجي نقضي اجازتنا في جزر هاواي. وذات مرة، بينما كنت مستلقية على ساحل وايكيكي، وقعت عيناي على سائح ياباني يتنزه متأبطاً آلة تصوير. وكان، بين حين وآخر، يقف ليثبت آلة التصوير على منصتها ويوقتها، ثم يتجه للجلوس على حصيرة الى جانب احدى الحسناوات النائمات على الشاطىء. وهكذا يتم التقاط صورة لهما من دون ان تعرف المرأة بالامر. وعند ذاك يسير هذا السائح حتى يعثر على حسناء اخرى نائمة ليعيد الكرة. وتأملت في الامر: ترى كم من القصص الغرامية سيروي هذا الرجل لدى عودته الى اليابان؟

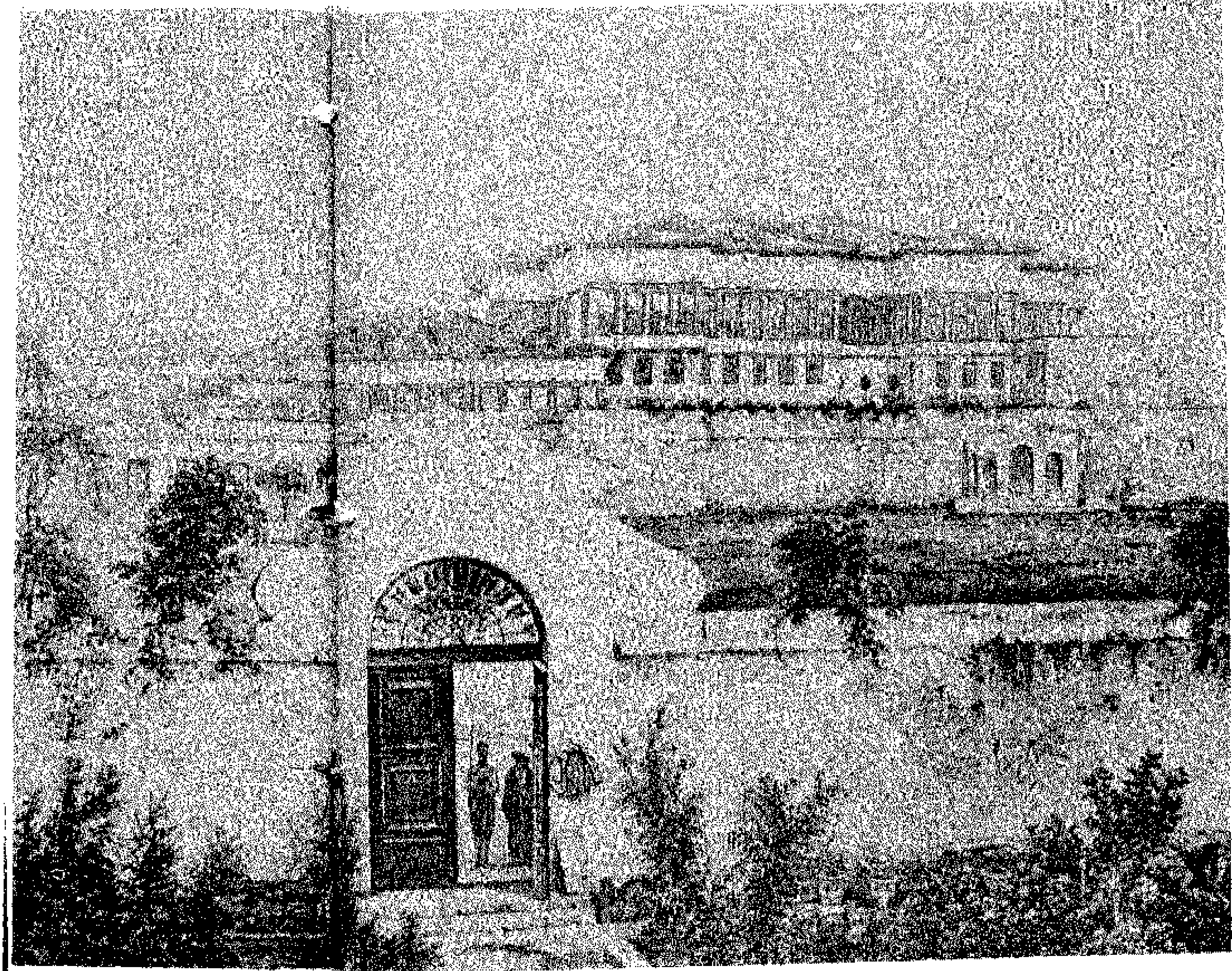
ب.ب.

على ضفاف النيل

اروع الصور الفوتوغرافية لمصر، التي حفظت من القرن الماضي ونشرتها ديبورا بل مع دونالد لوريمر في كتاب حديث



هرم خوفو، وهو أحد أكبر ثلاثة أهرام في الجيزة، وقف أمامه كذلك المصور الفرنسي المقدام غوبيل – فسكيه عام ١٨٣٩.
(مجموعة جيرار ليفي، باريس)



جناح النساء (الحريم) في الاسكندرية، وهذه قد تكون الصورة الفوتوغرافية الاولى التي أخذت في افريقيا. وقد حفرت من صورة على لوح فضة التقطها، عام ١٨٣٩، المصور الفرنسي فريديريك غوبيل – فسكيه.
(مجموعة جيرار ليفي، باريس)

قبل ابتكار آلة التصوير الحديثة التي تحمل باليد أو تعلّق بالكتف، كان السائح الذي يريد رسوماً لبعض المناظر يعتمد على مصورين محترفين. وقد وصلت طليعة هؤلاء المصورين الى مصر عام ١٨٤٠، ونالت الصور التي التقطوها نجاحاً فورياً.

وكانت مصر فتنة مواطني اوروبا الغربية منذ عهد بعيد. أما بعدما غدت الصور الفوتوغرافية برهاناً حسياً على روائع مصر، فقد أخذ الاوروبيون يتوافدون على أرض الكنانة بأعداد متزايدة.

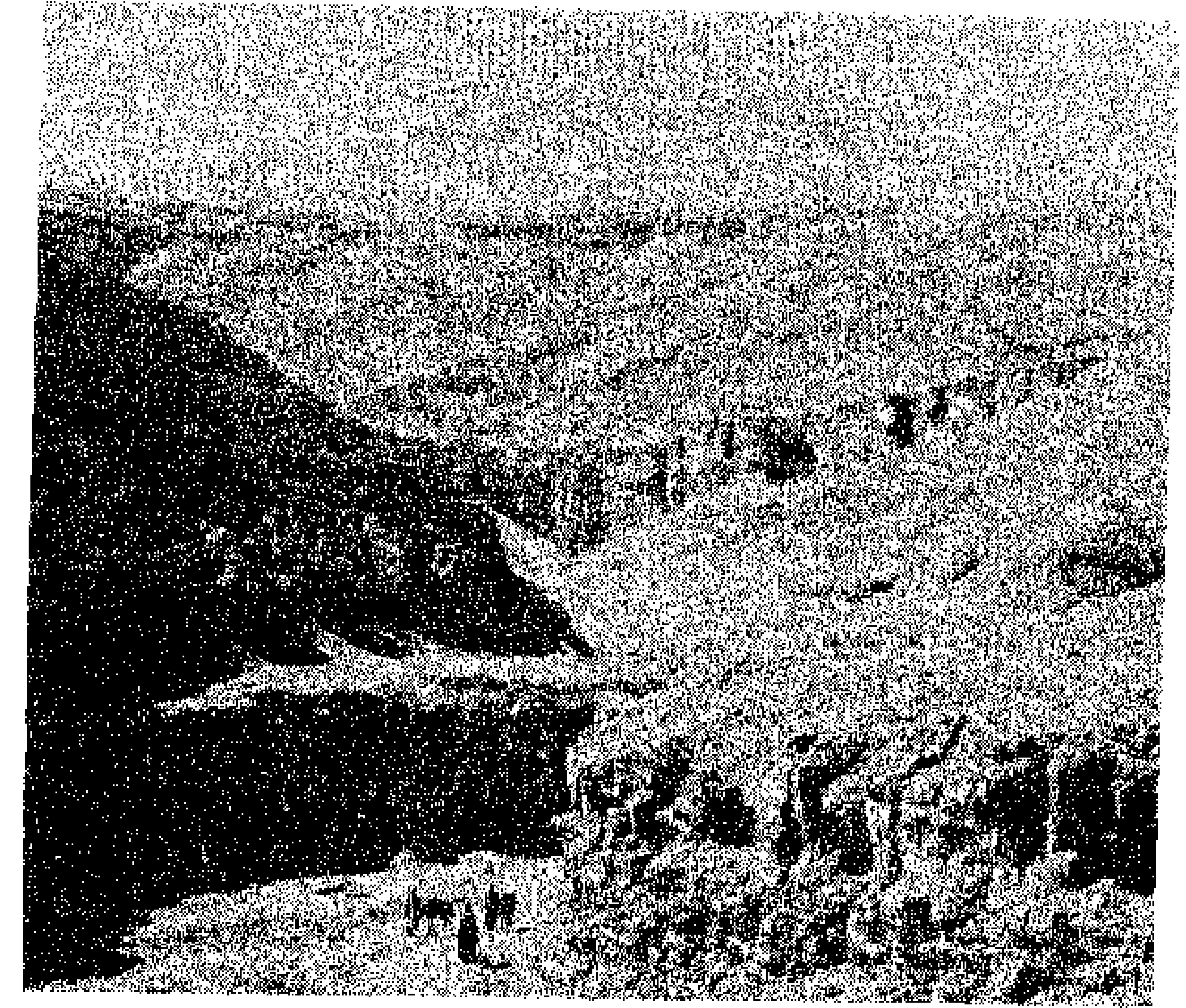
لكنّ السفر قبل العام ١٩٠٠ كان بطيئاً وأحياناً غير مريح. وكانت الرحلة بالفاكرة – وهي عربة اجرة صغيرة – الى الاهرام خارج القاهرة تستغرق ساعات عدة. أما الرحلة على امتداد النيل، في مركب شراعي كبير، فكانت تستغرق من ستة أسابيع حتى ١٢ أسبوعاً اذا كانت الغاية أسوان.

وهناك قلة من سياح جسورين قطعوا مصر كلها على ظهور الجمال. ومن اولئك الكاتب الفرنسي غوستاف فلوبير الذي عبر الصحراء "القزحية الحارقة" عام ١٨٥٠، وكتب أن الرمال التي تذروها الرياح الحارة "تحدث صريراً في أسناننا وتسدل غشاوة على وجوهنا".

أما الصور الفوتوغرافية التي حفظت منذ تلك الايام فهي سجل نادر وفريد عن مصر القرن التاسع عشر التي لم تعد موجودة اليوم.



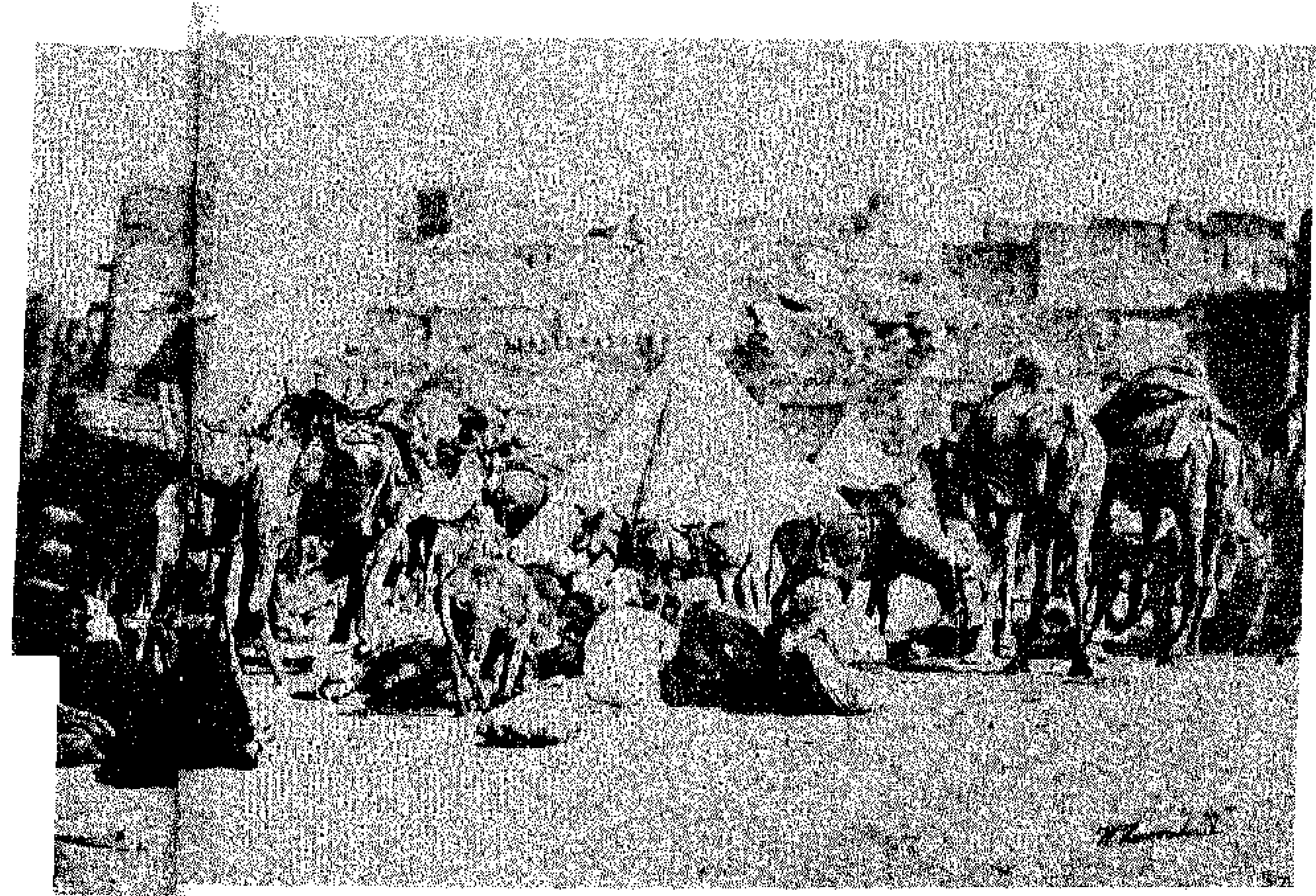
أحد أهرام الجيزة، بكاميرا المصور الانكليزي المغامر فرنسيس فريث (١٨٥٧)، (مكتبة جامعة برنستون، مجموعة الفنون التصويرية)



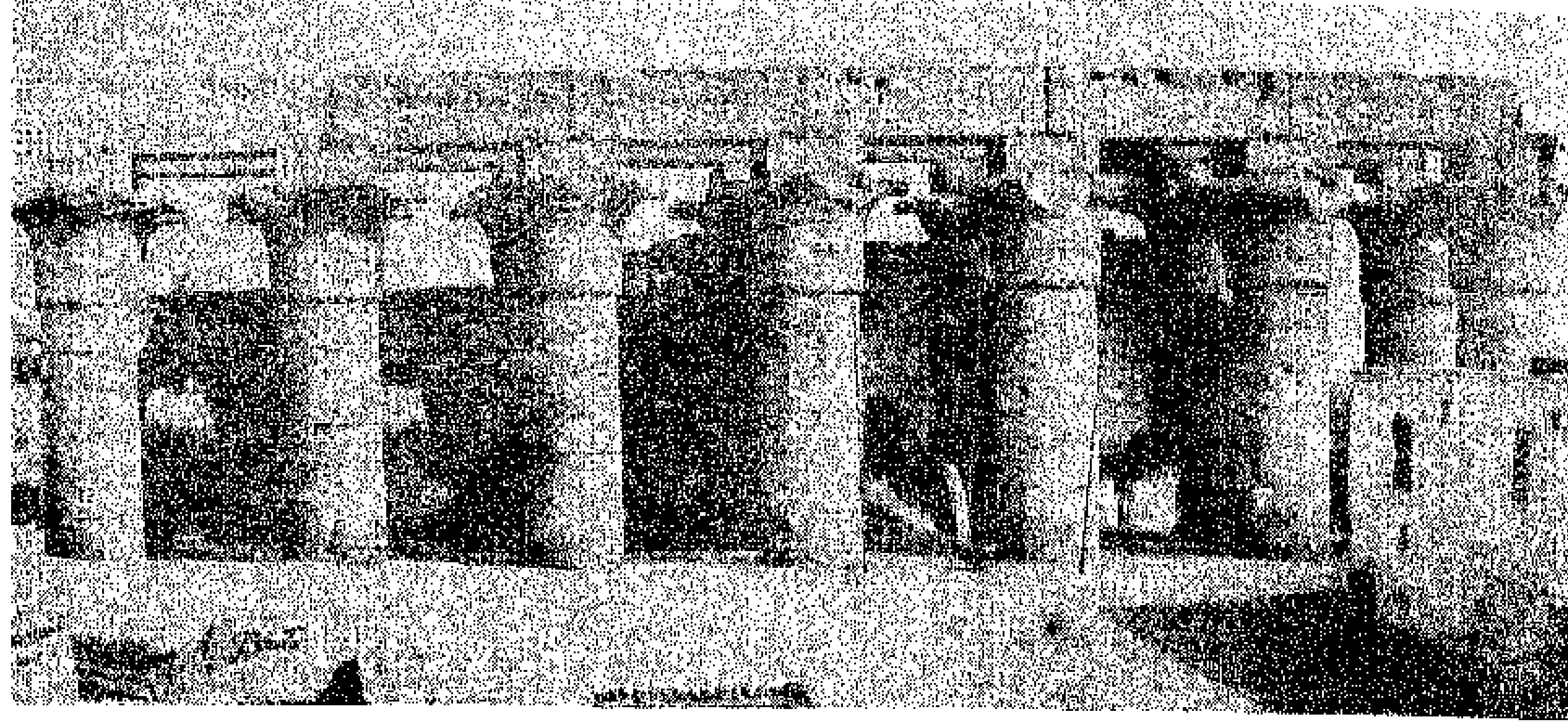
وادي الملوك في طيبة (الاقصر)، بكاميرا فرنسيس فريث (١٨٥٧)٠ (مجموعة خاصة)



شارع في القاهرة، في حدود العام ١٨٥٠، صوره الطبيب الانكليزي س٠غ٠ ويلهاوس٠ (مجموعة الجمعية الملكية الفوتوغرافية، لندن)



قافلة جمال صورها، قبل ١٨٦٠، و٠ هامرشميت٠ (مجموعة جيرار ليفي، باريس)

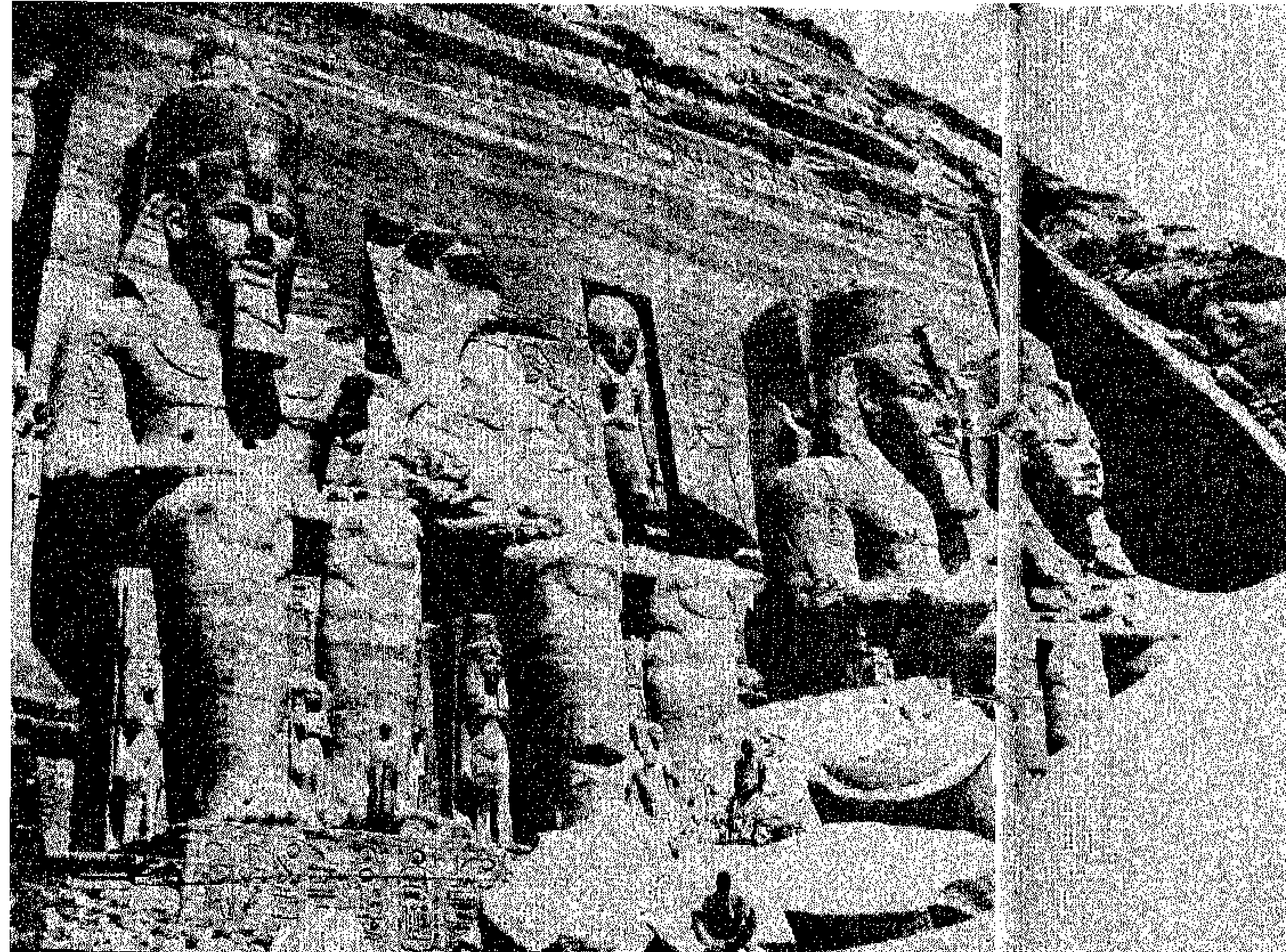


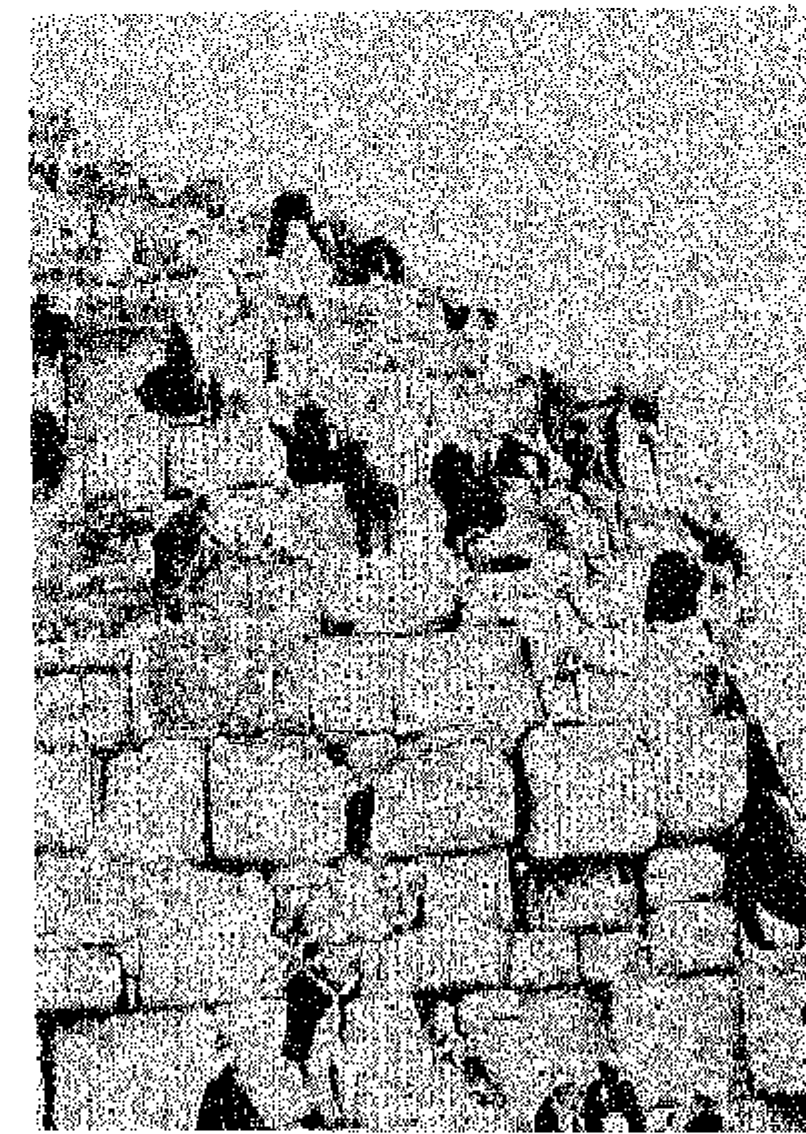


ـورة لظـاهـرة غـيـر
عتياديـة: امـرأة عربيـة
افرة ٠ وهي تحمل توقيع
٠ بيشار وتعود الى ما قبل
عام ١٨٧٥٠
(مجموعة خاصة)

صف أعمدة في معبد الفرعون امنحوتيب الثالث في الاقصر، بكاميرا أ٠ بيتو (بعد ١٨٦٢)٠.
(مجموعة بيتر كوفين)

صورة رعمسيس الثاني جالسا (٢٠،٤ مترا)، أخذها أ٠ بيتو قرب قرية ابو سمبل قبل ١٨٧٥٠
(مجموعة دائرة الفن المصري والكلاسيكي؛ متحف بروكلين)





ان السائح يحتـاج الـى
لاثة رجال محليين للوصول
لى قمـة الهـرم الكبيـر،
الصورة التقطها هـ٠ بيشار
قبل ١٨٧٨٠
(مجموعة دائـرة الفـن
المصـري والكلاسيكـي،
متحف بروكلين)

كيف تتفادى الخلافات العائليّة

كثيراً ما نكون نحن المسؤولين
عن تلك الخلافات الهدامة· فلو دخلنا أعماق نفوسنا
لوجدنا الطريق إلى استئصال بواعث كل خلاف

لعلنا، جميعاً، سمعنا مثل تلك الاقوال:

"ان الشجارات السليمة تنعش العلاقات العائلية"·

"يتشاجر افراد الاسرة بهدف تنقية الجو العائلي"·

"ليست الشجارات سوى امر طبيعي"·

"العتاب صابون القلوب"·

ومع ذلك، يفوتنا دائماً ان نلاحظ ان كل شجار يحدث في اطار العائلة يثير شعوراً بالتعاسة· فلا بد، اذاً، من الاعتراض على الفكرة الخاطئة في أن التشاجر هو تصرف متأصل في الانسان ومرغوب في العلاقات بين البشر·

والواقع ان الانفعالات المتأججة تسيء الى الاطراف المعنية كلها، فتؤدي الى قطع حبل التفاهم وتوسيع الشق بينها، فضلا عن الاذى الصحي الذي تلحقه بها مثل ارتفاع ضغط الدم والصداع والارق· فاذا رغبت في تجنب مشاهد العراك في اسرتك، فلا بد من ان تنبذ الفكرة القائلة بان الشجار امر طبيعي ملازم للحياة·

وعلى رغم اقتناعك بأن التشاجر لن يأتيك بأي فائدة، الا انك لا تحجم عنه فعلا· فلو لم يكن لديك استعداد

لما تعددت انماط الشجار في علاقاتك. ولكن من المهم ان تعلم ان مثل هذه العمليات تؤدي غالباً الى نقيض غايتها. فأسأل نفسك: "ماذا يفيدني الانغماس في هذه الشجارات القديمة المتكررة؟" واذا اخلصت في الجواب، فقد تنتهي الى واحد او اكثر من الاستنتاجات الآتية:

- ربما شعرت بالأسى لانك لا تجد من يفهمك.

- اذا حاولت ان تجعل من حادث عابر شجاراً حامياً، فقد ترغم الآخرين على ان يفعلوا ما تريده.

- قد تحاول ان تتهرب من مسؤوليتك عندما تشتبك في شجار تمتلىء نفسك بعده غيظاً. إن الشجار هنا يحل محل التغيير الذي تنشده.

- ربما احسست بأنك صاحب حق عندما تدخل شجاراً تعمد بعده الى التشكي الى شخص ما من سلوك افراد اسرتك المتهور.

ويجدر بك ان تلاحظ ان اشتراكك في اي شجار عائلي يعني إقدامك عليه بملء ارادتك. لكنك ما ان تعتبر الشجار امراً اختيارياً حتى تكون قد خطوت الخطوة الاولى نحو تغيير سلوكك.

واذا شئت، حقاً، القضاء على النزعة الى التشاجر، سواء أفي حياتك الشخصية او في حياتك العائلية، فلا بد لك من العدول عن بعض العادات القديمة. واليك بعض المبادىء التي يمكنك الاسترشاد بها:

- تدور معظم المشاحنات حول فكرة خاطئة مؤداها: "لو انك اكثر شبهاً بي لما تملكني الغضب". لكن الاشخاص الذين تمتلىء بهم حياتك، من زوجة وأطفال ووالدين وأصدقاء، لا يسعهم ان يكونوا كما تريدهم انت تماماً. وعندما تغضب من شخص فأنت في الحقيقة تطالبه بأن يتصرف بالطريقة التي تريدها. فلو استطعت التخلص من مثل هذه الاعتبارات لوجدت انك تخلصت، في الوقت نفسه، من مشاحنات كثيرة.

- ان المعاملة التي تلقاها من الآخرين هي تلك التي علمتهم اتباعها. وبدلا من ان تلومهم على تصرفاتهم السيئة نحوك، عليك ان تسأل نفسك: "كيف عودتهم على ذلك؟" واعقد العزم على تجنب المبادرات التي تقود الآخرين الى معاملتك بطريقة تؤدي، في ما بعد، الى التشاحن.

- ان الناس اهم من الاشياء. وليس هناك شيء يستحق الشجار. فمن الافضل الا تؤنب طفلك بعنف وعصبية لانه اتلف شيئاً من غير قصد، كأن يكسر مصباحاً في غرفة الجلوس. بل اكتف بأن تنهاه عن اللعب في الغرفة بعد ذلك.

- من المتعذر ان تجد شخصاً يفهمك طوال الوقت. فكل منا كائن فريد. وهذا يعني انه ما من احد يستطيع ان يفهمك على الدوام، لان ذلك يتطلب منه، اولا، ان يصبح هو انت. وبمجرد ان يستقر ذلك في وعيك ستتمكن من تجنب جميع المشاحنات الناشئة عن منطق "انت لا تفهمني".

تلك هي المبادىء. ولكن ما هي التصرفات العينية التي يمكنك اتباعها كي تتجنب تكرر المشاحنات؟ إليك النصائح الآتية:

١ ـ كف عن تحميل نفسك مسؤولية سلوك كل شخص آخر: اذا اهمل اطفالك تنظيف غرفهم، فاغلق الابواب. واجعل لسعادتك مكان الاولوية في حياتك، بدلا من ان تبحث عن اسباب الانزعاج والاثارة.

٢ ـ عندما يحاول الآخرون استدراجك الى الجدل، استخدم الجمل التي تبدأ بكلمة "انت" بدلا من تلك التي تبدأ بكلمة "انا". قل مثلا: "انت في الحقيقة منزعج لاني لم افعل ما تريده"، بدلا من أن تقول: "انا لم اكن ملزماً بأن افعل ذلك". واذا ثار الآخرون، فتذكر ان ثورتهم أمر يعنيهم هم، وليس هناك ما يدعوك الى مشاركتهم.

٣ ـ لا تحاول ان تعادل دائماً بين تصرف الآخرين وكرامتك الشخصية. وإذا حصل اطفالك على درجات سيئة في المدرسة، فانظر الى ذلك على انه امر يعنيهم هم، وحاول ان تفهمهم انه يتعين عليهم ان يتحملوا نتائجه. وتجنب أن يكون سلوكهم هذا مصدراً لامتعاضك.

٤ ـ غادر الغرفة بمجرد ان تدرك استحالة اقناع احد افراد الاسرة بسلامة حجتك. فمن الاسهل لك ان تخلي المكان وتتيح للشخص الآخر ان يلقى في العزلة شيئاً من كرامته الشخصية. وكثيراً ما تكون اتاحة الانفراد لكل من الاطراف المعنية كافية، في ذاتها، لتفادي التشاحن قبل اندلاعه.

٥ ـ اتخذ لنفسك سلوكاً عملياً فعالا بدلا من الانغماس في المحاورات التافهة التي لا تنتهي. فاذا تحدث ابنك الصغير بصفاقة، فأفهمه انك تأبى الاستماع الى مثل هذا الحديث. ثم اعقب ذلك بتصرف حاسم، كأن ترفض مصاحبته في سيارتك الى الحفلة التي يقيمها اصدقاؤه. فاذا تشكى من ذلك، فذكره، في هدوء، بأنك لا تهتم بتأدية الخدمات الى الاشخاص القليلي الاحترام نحو الآخرين.

٦ ـ احرص على اثارة المناقشات في الاوقات التي تخلو من أسباب القلق. فاذا وصل طفلك متأخراً الى مائدة العشاء فلا تصرخ في وجهه، ولكن حدثه عن الامر في ساعة اكثر هدوءاً لئلا تضطره الى اتخاذ موقف دفاعي.

٧ ـ عندما يبدي شخص آخر مشاعر سلبية او عدائية كي يمنعك من فعل امر ما، علّمه ان حياتك غير موقوفة على سلوكه. فاذا تلكأ الزوج، مثلا، في ليلة عطلة الاسبوع وهو يقول: "لست ادري ما اذا كان يحسن بنا ان نشاهد ذلك الفيلم"، فعلى الزوجة ان تقول له: "لقد قررت انا ان اذهب لمشاهدته"، ثم تذهب فعلا. وبعد ان يتكرر ذلك مراراً سيبدأ الزوج في الاقلاع عن سلوكه المثير.

٨ ـ اجتهد في تأجيل انفجار غضبك. وعندما تشعر بالسخط، اضبط مشاعرك نحو دقيقة، وأقنع نفسك بان تصرف الشخص الآخر ليس سبباً كافياً لإثارتك. وسيتيح لك هذا التأجيل وقتاً تقرر فيه ما اذا كنت تريد الشجار فعلا.

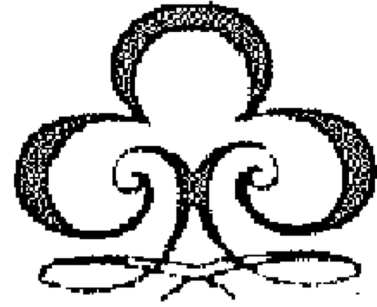
٩ ـ عندما توشك على التورط في المشاحنات، حاول ان تقارب "خصمك" ما امكن. فسوف ترى كم يصعب عليك ان تستمر في غضبك

وأنت على ملمس منه، وبعد ان تهدأ اعصابك، يصبح في وسعك ان تعبر له عن اسباب انزعاجك.

١٠ – تذكر دائماً ان ما يقتنع به الآخرون لا يتوافق، بالضرورة، مع اقتناعاتك. فاذا قال زوج لزوجته انها غبية، فهذا لا يعني انها غبية حقاً ما لم تبرهن هي ان رأيه فيها يتفوق على رأيها في نفسها. واذا تعلمت الزوجة ان تتجاهل هذا النوع من الاحكام، لوجدت بعد حين ان زوجها انقطع عن ابداء مثل تلك الملاحظات الفظة التي لم تعد تفضي الى النتائج التي كان ينشدها.

ولا شك في امكان القضاء على جميع المشاحنات التي تقوم بين افـراد الاسـرة الواحـدة، او بـيـن الانسباء والاصدقاء، اذا وضعنا نصب اعيننـا الكلمـات الحكيمـة للشاعـر الامريكي روبرت فروست: "نحب ما نحب لذاته". ولن يمكنك التصرف حسب هذا التعريف للحب ما لم تكف عن التوقع من الآخرين ما تشتهيه انت، وما لم تتقبلهم كما هم. وعندما تطبـق هـذا المفهـوم علـى علاقاتك الخاصـة، فلـن تلبـث تلـك المشاحنات أن تتقلص كلها وتزول.

■ واين داير



جهود ضائعة

الشخص الوحيد الذي يقدر باخلاص جهودك لتحسين منزلك هو مخمن الضرائب.

ب. س.

فلسفة المؤتمرات

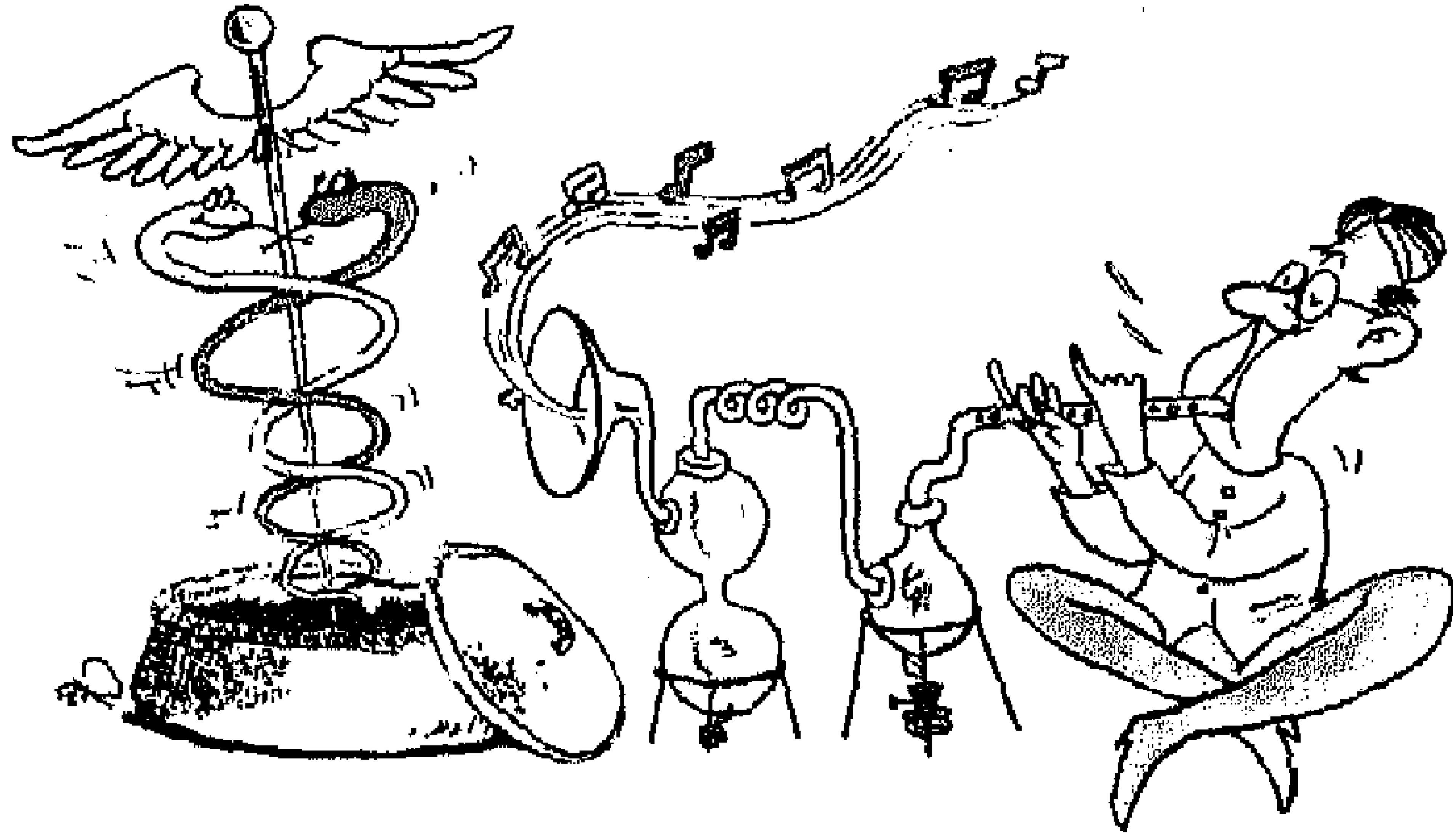
المؤتمر الديبلوماسي هو، في العادة، اجتماع وفود من بلدان مختلفة تحاول الاتفاق على موعد المؤتمر الديبلوماسي المقبل.

موريس كوف دي مورفيل

ضمان الوصول

يعتقد معظم الناس ان الوصايا الدينية تعمدت التشدد في المبادىء بعض الشيء، مما يشبه تقديم الوقت في ساعاتنا نصف ساعة لكي نضمن الوصول الى اماكن عملنا صباحا في الموعد المطلوب.

سورين كيركيغارد



اصداء من عالم الطب

يد من فولاذ

تفيد وكالة "انباء الصين الجديدة" ان الدكتور يو زونغجيا وزملاءه في شنغهاي توصلوا الى اعادة بناء يد يمنى لرجل فقد كلتا يديه قبل اربع سنوات. وتضمنت العملية بناء الاطباء لراحة يد تشبه شوكة من الفولاذ غير القابل للصدأ وتغطية الهيكل بعضلات وأوعية دموية واعصاب وجلد مأخوذة من ساعد الرجل. كما تولى الاطباء زراعة اصبعين من قدم المريض في يده. وهو يتمتع الآن بحاسة لمس طبيعية، كما يستطيع تناول الطعام والكتابة واشعال عود ثقاب، اضافة الى رفع ثقل يقارب الثلاثة كيلوغرامات.

ف.ب.

الاطباء لا يجترحون المعجزات

هل يجدر بالاطباء ان يحاولوا اطالة اعمار المرضى المصابين بامراض لا شفاء منها؟

ان احداً لم يقدم جواباً نهائياً عن هذا السؤال، سواء من الناحية القانونية او الخلقية. لكن باحثين من جامعة واشنطن توصلا الى ادلة تفيد ان الاطباء لا يطيلون حياة المرضى الميئوس حقاً من امكان علاجهم.

فقد درس الطبيب نورمان براون والاحصائي دونوفان طومسون سجلات ١٩٠ مريضاً اصيبوا بالحمى التي يمكن ان تهدد حياتهم. والمفترض ان تلك الاصابات كانت قابلة للمعالجة بواسطة المضادات الحيوية والمكوث في المستشفى. لكن الباحثين توصلا الى ان ٨١ مريضاً ـ اي اكثر من ٤٠ في المئة ـ لم يتلقوا علاجاً كهذا قط. وكنتيجة جزئية على الاقل، توفي ٤٨ مريضاً من بين هؤلاء. اما المرضى الباقون، وعددهم ١٠٩، فلم يمت منهم سوى عشرة، لان هؤلاء تلقوا علاجاً.

وقد خلص براون وطومسون الى النتيجة الآتية: "نعتقد ان معظم القرارات بعدم معالجة اشكال الحمى الوهمية هذه بفعالية انما كانت جزءاً من خطة متعمدة تبناها الاطباء والممرضات". وتؤيد استنتاج الباحثين ادلة صريحة في حالات عدة. ففي سجلات ٤٣ مريضاً توفوا، وجدت عبارات من نوع: "مائت. لا تبذلوا جهداً لاطالة حياته، لا تحاولوا اعمالا بطولية".

م.ك.

قبل ٤٠٠ مليون سنة ولدت "بانغيا"، ام الارض وفي البحر المتوسط اصطدمت افريقيا باوروبا ثلاث مرات وانسلخت الجزيرة العربية عن افريقيا والتصقت بآسيا

هكذا تكوّنت القارات قبل نصف مليار سنة

لقد تعرض وجه الارض، عبر العصور، لتغيرات عديدة نتجت عن تحرك القارات. وترتكز القارات على شرائح هائلة الاحجام من قشرة الارض، يمكن لها التصدع فتنفصل احداها عن الاخرى، مثل انفصال شبه الجزيرة العربية عن افريقيا والتصاقها بآسيا او تتحرك فتتعارض في صدمات جبارة. ويحاول العلماء، من خلال هذه الانحرافات، ان يكشفوا النقاب عن حقائق لا تزال خافية حول عمر الارض ومناخها ومواردها.

في العام ١٩٦٢، عندما ظهرت فكرة الشرائح "التكتونية" وما تنطوي عليه من نظرية انجراف القارات، لم يتوقع احد أن تصبح قريباً في عداد اهم الاكتشافات العلمية في العصور كلها وكانت الفكرة ترمي، في الاساس، الى هدف بسيط هو الاجابة عن هذا السؤال: إذا ترابطت الشواطىء الاطلسية في افريقيا وامريكا الجنوبية وفي الولايات المتحدة الامريكية وشمال غرب افريقيا بعضها ببعض، فكيف يمكن تفسير هذا الشكل الجامع الذي يشبه احجية الصور المقطوعة التي يتعين على المرء ترتيب اجزائها؟

وقد تم تفسير هذه الظاهرة عن طريق العملية التكتونية التي ثبتت صحتها الآن واصبحت جديرة بأن تسمى نظرية. واعتمدت هذه النظرية في ما بعد لايجاد التفسير العملي لجميع الظواهر الرئيسية الاخرى التي ما زالت تحير علماء الجيولوجيا منذ

قرون، ومنها الاسئلة الآتية: كيف تكونت القارات واحواض المحيطات والجبال والجزر؟ ما هي اسباب حدوث البراكين والزلازل؟ كيف وصلت الاحافير (المتحجرات) البحرية الى اعلى الذرى؟

ويمكن وصف الطريقة التكتونية في ايجاز كما يأتي: تتكون قشرة الارض من نحو ثماني شرائح كبيرة ومن عدد آخر من الشرائح الصغيرة يزيد على ١٢ شريحة. وتطفو هذه الشرائح على سطح الطبقة الارضية الساخنة، وتتحرك عبرها في اتجاهات شتى وبسرعات هائلة، من الوجهة الجيولوجية، تراوح بين سنتيمتر واحد و١٥ سنتيمتراً في السنة. وفي المواضع التي تنفصل الشرائح او تتصادم او تنسلخ احداها عن الاخرى، تحدث الاضطرابات في القشرة الارضية فتسبب الزلازل. ولسنا نعرف قطعاً طبيعية القوة التي تدفع الشرائح. غير ان بعض العلماء يعتقد ان هذه القوة تتولد من تيارات الحمل الحراري (انتقال الحرارة من جزء من السائل أو الغاز الى جزء آخر) في غلاف الارض، وهي تدور كما يدور الماء في اناء الغلي.

الاصطدامات القارية - اما ما يحدث عندما تتصادم الشرائح فيتوقف على ما اذا كانت هذه الشرائح تحمل على متنها قارات او محيطات. فاذا تصادمت شريحتان محيطيتان فأن احداهما تقع، حتماً، تحت حافة الاخرى ليتكون، من ثم، ما يشبه الخندق. ولما كان لوح القشرة الصخري يغوص في الغلاف الارضي الخارجي وترتفع حرارته الى ١٠٠٠ درجة مئوية فانه ينصهر. ويتزايد الضغط وتتفجر بعض الحمم المتأججة، فتنشأ عن ذلك سلسلة من البراكين تحت سطح البحر. واذا استمر التفجر مدة طويلة فان الحمم ترتفع، في نهاية الامر، فوق مستوى البحر وتكون "قوساً" من الجزر. ومن امثلة ذلك جزر المنطقة الشرقية من البحر الكاريبي وجزر ألوشان في غرب ولاية ألاسكا الامريكية وجزر الفيليبين وجزر الهند الشرقية.

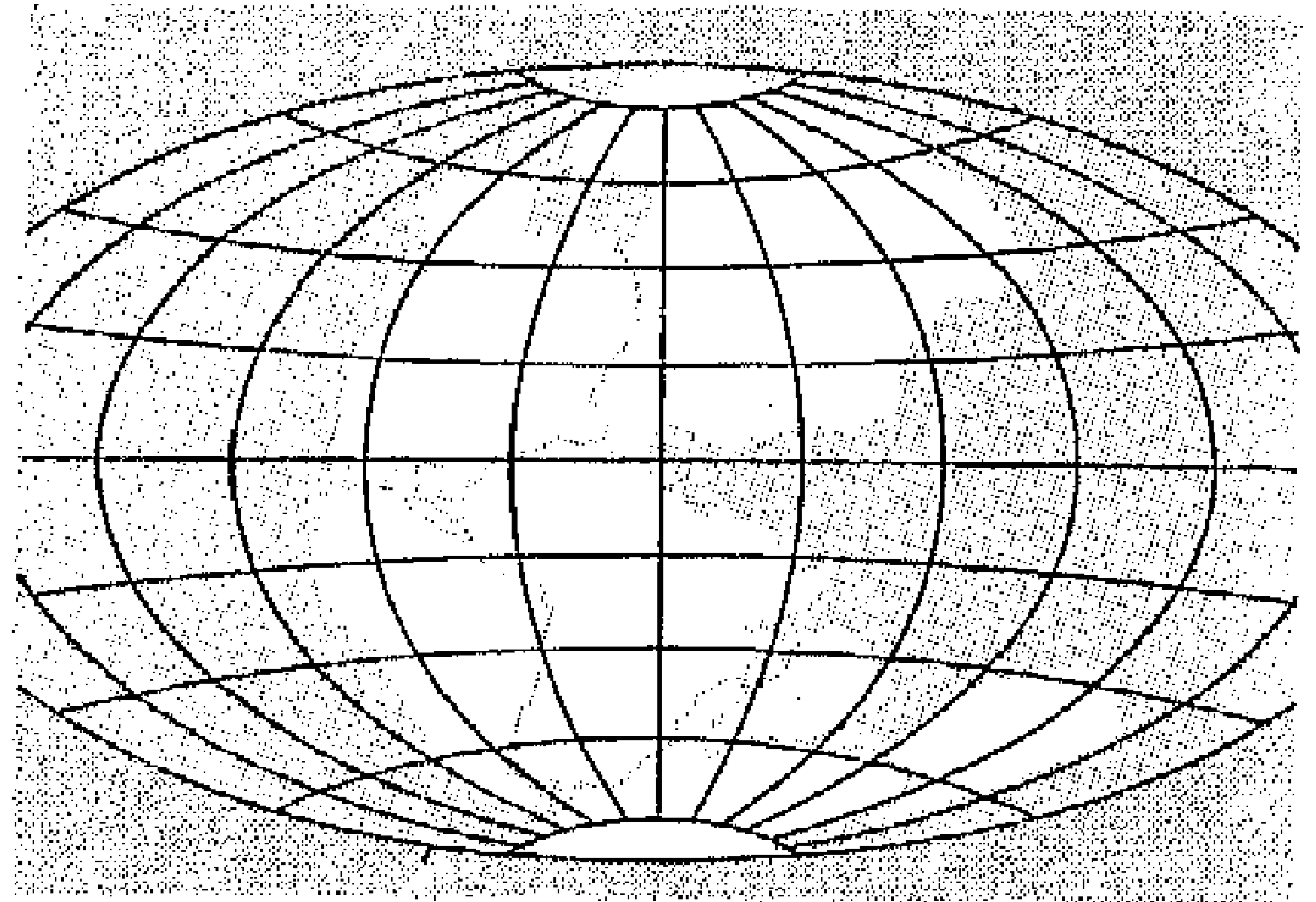
أما إذا التقت شريحة أرضية (من الصوان في معظم الاحوال) تتحرك في اتجاه معين، شريحة أخرى محيطية (من البازلت الكثيف) تتحرك في الاتجاه المعاكس، فان الشريحة الاولى، وهي الاكثر قابلية للعوم، ترسو على الشريحة الاخرى فتغمرها. وتنزل الشريحة الارضية على الشريحة المحيطية نزول جرار عملاق، فتكشط الرواسب المتراكمة في قاع البحر طوال ملايين السنين، وتقتطع الصخر القشري ذاته. وعندئذ يتراكم الحطام على حافة الشريحة الارضية فتتكون سلاسل من الجبال التي تتجعد كملاءة ألقيت جانباً. وفي هذه الاثناء تبدأ الشريحة المحيطية الغوص في الغلاف والانصهار، فتتفجر وترتفع الى السطح مكونة البراكين. وتنشأ عن ذلك سلسلة داخلية من الجبال الى جانب السلسلة الشاطئية.

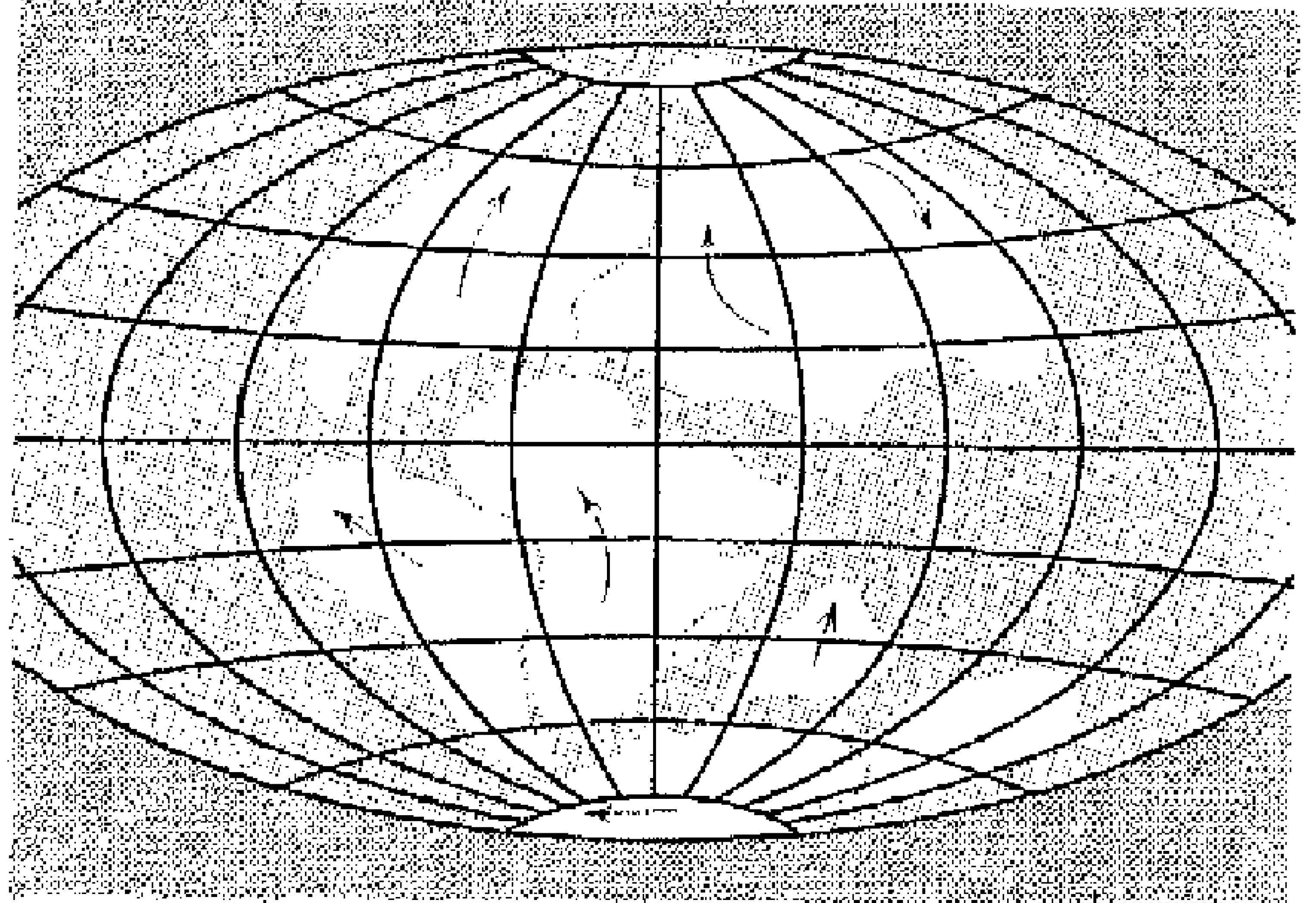
لكن اكثر ما يثير الذهول هو ما يحدث لدى تصادم قارتين، اذ ان كلتيهما تتمتعان بالقدرة نفسها على العوم، فلا تستطيع اي منهما اعتلاء سطح الاخرى. ولذلك فان حافتيهما تتراكمان على هيئة كتل مثلمة هائلة.

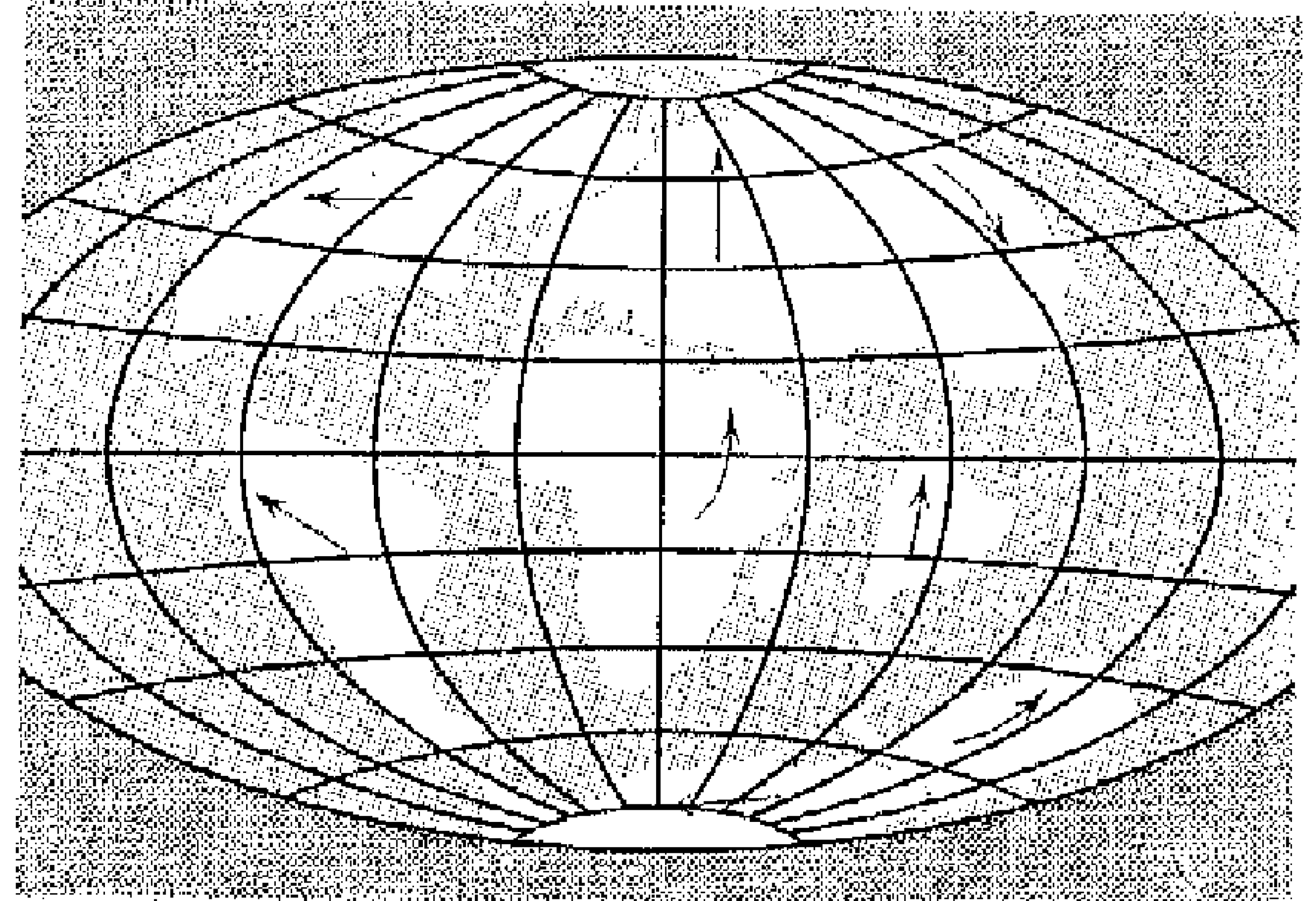
هكذا تكونت، مثلا، جبال الالب عندما اصطدمت افريقيا بأوروبا منذ ١٣٠ مليون سنة٠ وهكذا، ايضاً، انتصبت جبال حملايا عندما اصطدمت الهند بحوف آسيا (الجزء الداخلي منها) منذ ٨٠ مليون سنة٠ اذاً، يبدو ان جبال الارض جميعها، بل القارات ذاتها تكونت نتيجة التصادم بين الشرائح القشرية، وانها تتألف، في معظمها، من المواد الناشئة في قاع المحيط٠

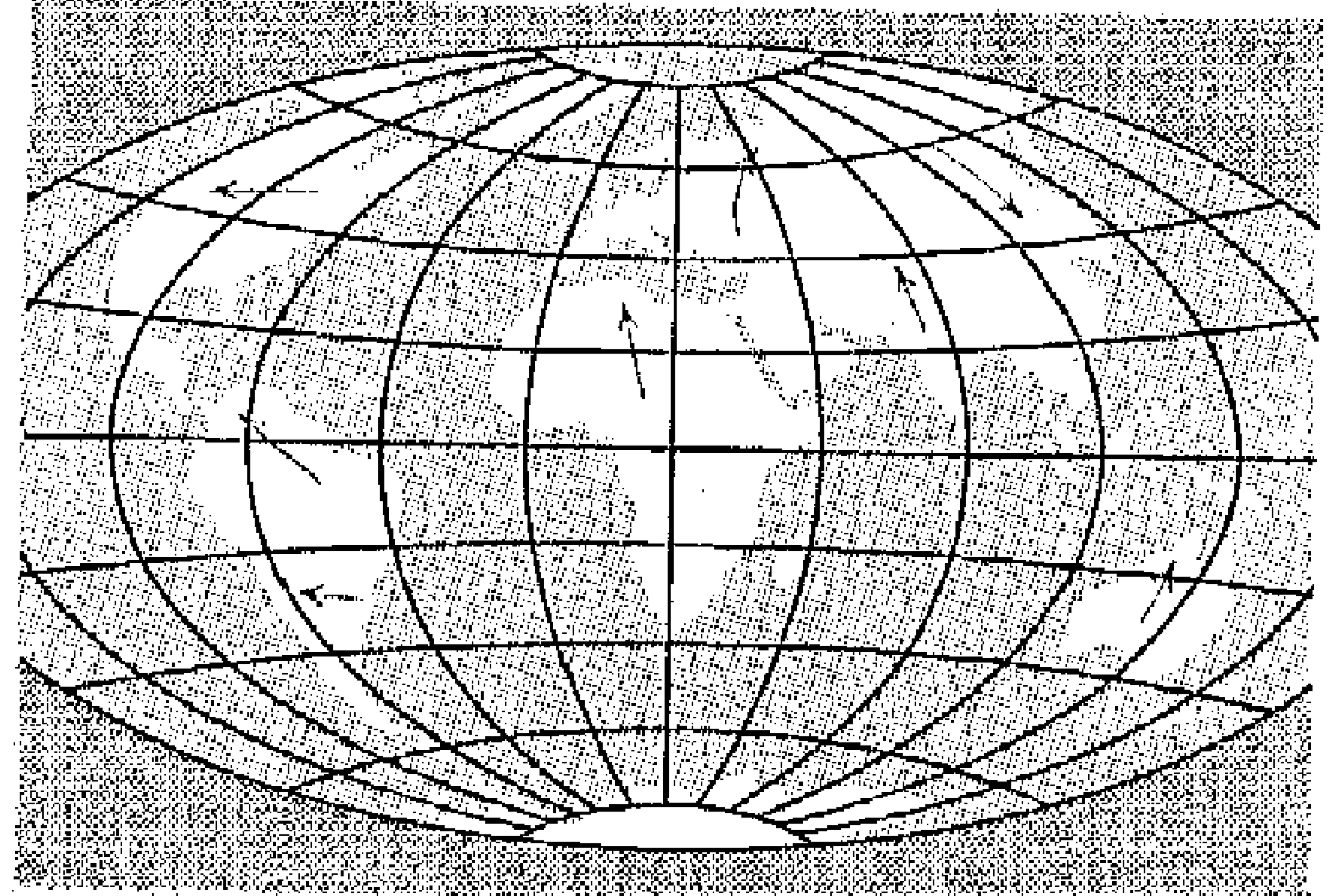
ومن الظواهر التي لا تقل تدميراً عن التصادم القاري، وان تكن اقل منه عنفاً، ما يحدث لدى الاحتكاك الجانبي بين شريحة وأخرى مثل الحركات التي تعمل على انتزاع شظايا من تركيا ونيوزيلندا وحركة أخرى تباعد بين ضفتي نهر الاردن، الشرقية والغربية، في اتجاهين مضادين٠ وعلى امتداد صدع سان اندرياس في كاليفورنيا توشك حركة الاحتكاك على اقتطاع جزء من الارض من سان فرنسيسكو الى طرف باخا في كاليفورنيا وربما دفعت بهذه القطعة الى الاسكا٠

ومن التطورات المهمة أيضاً ما يحدث عندما تتباعد الشرائح في عرض المحيط٠ ذلك ان مياه البحر، عندما تسخن حتى درجة الغليان من جراء الحمم المتصاعدة، تحلل المواد المعدنية في القشرة التي ما زالت لدنة، وتدفع بها عبر قاع المحيط على شكل رواسب فلزية٠ وينتج من ذلك تمدد قاع المحيط، فتنتهي المواد المعدنية الى الفجوات والشقوق، وتنصهر هناك لتستقر اخيراً على الارض بفضل النشاط البركاني٠ وهذا


"بانغيا" قبل ٢٠٠ مليون سنه٠


بعد ٨٠ مليون سنه٠


بعد ١٤٥ مليون سنه٠


الوضع الحالي، غير المستقر، للقارات٠

ما يفسر وجود معظم الرواسب المعدنية في الجبال او في الاودية المجاورة لها.

الانصهار الهائل – ليس من الممكن تحديد الزمن الذي بدأت فيه حركة الشرائح القشرية. لكن التقديرات الجيولوجية تبين انه لم يكن هناك، منذ ٥٠٠ مليون سنة، سوى ثلاث قارات تقابل ما نسميه اليوم امريكا الشمالية واوروبا وآسيا (وان كانت تلك القارات، قديماً، اصغر الى حد بعيد منها في الوقت الحاضر). وكانت القارات الثلاث آنذاك واقعة في موازاة خط الاستواء. اما القارات الاخرى، المعروفة اليوم، فقد تكونت من شريحة رابعة في نصف الكرة الجنوبي.

وقد حدث منذ ٤٠٠ مليون سنة ان اخذت الشرائح المتناثرة تتقارب وتنصهر في قارة ضخمة واحدة يسميها العلماء "بانغيا" (وهو ما يعني، في اليونانية، مجموع الاراضي). ولم يكن ذلك التلاقي نتيجة حدث بسيط هادىء. فقد أدى التصادم العنيف بين امريكا الشمالية وافريقيا الى ارتفاع سلاسل جبال ابالاش – كاليدونيا التي تمتد من اسكنديناڤيا، عبر ما يعرف حالياً بشرق الولايات المتحدة، وتتفرع شرقاً الى الاتحاد السوفييتي وغرباً الى اوكلاهوما (في وسط الجنوب الغربي من الولايات المتحدة). ويبدو ان جبال ابالاش كانت، قبل تحاتّها، أضخم مرتفعات وجدت على الاطلاق، اذ بلغ علوها ١٤٤٥ كيلومتراً.

وفي زمن لاحق اصطدمت افريقيا والقارات الجنوبية المتلاصقة باوروبا وامريكا الشمالية، من الجنوب، فامحت المحيطات بينها. كما اصطدمت آسيا بأوروبا من الشرق، فكانت جبال الاورال في سيبيريا.

وخلال معظم فترة وجود بانغيا كان مناخ الارض من الدفء بحيث نما المرجان فوق المنطقة القطبية الشمالية. وعجت البحار بالكائنات العضوية التي تحللت واستقرت بقاياها في قاع المحيط، مكونة نصف الاحتياط المعروف من النفط العالمي. وغطت البحار الضحلة الارض، فامتدت مياهها الى داخل اليابسة حتى وصلت الى مينيسوتا (في شمال وسط الولايات المتحدة الامريكية). وترامت في جوار البحار مستنقعات ازدهرت فيها النبتات المائية وشجيرات السرخس (الخنشار) العملاقة التي وصل علوها الى ١٤ متراً. تلك كانت اكثف الغابات التي شهدها التاريخ (وقد تعرضت انسجتها لضغط هائل في عصر لاحق وتكربنت، فتكونت منها مناجم الفحم في العالم).

انجراف القارات – كان تكاثر النبتات على الارض ايذاناً بنقطة تحول في تاريخها. ذلك لأن النبات ينفذ، عن طريق التمثيل الضوئي، عملية تحويل ثاني اوكسيد الكربون الى اوكسيجين وهو المادة الحيوية بالنسبة الى معظم الكائنات. وكانت غالبيةالحيوانات، في فترة بانغيا، حيوانات برمائية انقرضت جميعها (باستثناء الضفادع المائية والطينية والسمندل).

وما ان انقرضت البرمائيات حتى اصبحت الارض عالماً تسوده

الزواحف، وسكنتها من القطب الى القطب وحوش الديناصور الرهيبة٠

ونشر الاكصور (ديناصور مائي يشبه السمكة) الرعب في البحر٠ وتكاثرت الزواحف المجنحة التي اتسعت اجنحتها احياناً ١٥ متراً، وفاقت اعدادها عدد الطيور ذات الريش٠ اما الانسان فلم يظهر على مسرح الحياة الا بعدما انقضت على ذلك العهد فترة اخرى لا تقل عن ٢٠٠ مليون سنة٠

في ذلك الحين بدأت القارة العظمى تتجزأ٠ وقد حدث الانفصال الاول على اثر تصدع هائل اصاب قشرةالارض منذ ٢٠٠ مليون سنة، فتسبب بانشطار بانغيا الى نصفين: نصف شمالي يضم امريكا الشمالية واوروبا وآسيا، وكتلة جنوبية عظيمة تشمل بقية القارات٠

واستغرقت عملية الانفصال التام للقارات ١٤٥ مليون سنة٠ ثم انقضت ٥٥ مليون سنة اخرى قبل ان تبلغ القارات مواقعها الحالية٠ وعلى رغم ان امريكا الشمالية وامريكا الجنوبية تستقران على شريحتين مختلفتين، الا انهما انجرفتا، كلتاهما، نحو الشمال الغربي، وتلاصقتا منذ اربعة ملايين من السنين عبر برزخ بناما (البرزخ قطعة ارض ضيقة بين بحرين تصل أرضاً بأرض)٠ اما الشريحة الاوراسية (الاوروبية ـ الآسيوية) فقد انحرفت بمقدار ٣٠ درجة في اتجاه عقارب الساعة، وتحركت نحو الشمال الشرقي٠ ثم تلتها افريقيا التي تحركت في اتجاه مضاد لعقرب الساعة٠

وكان الانفصال الاخير من نصيب قارتي القطب الجنوبي واوستراليا منذ ٥٥ مليون سنة٠ وقد ترتب على انفصالهما ان تدفقت المياه الجليدية القطبية الجنوبية في محيطات العالم، وادت الى شتى الفوارق المناخية والحرارية التي لا تزال سائدة٠

ولعل الانفصال الاهم هو انفصال الهند عن افريقيا وقارة القطب الجنوبي واوستراليا منذ ١٢٠ مليون سنة٠ فقد انطلقت الهند، كالقذيفة البحرية، عبر الكرة الارضية الى ان اصطدمت بآسيا بعد نحو ٧٠ مليون سنة، جارفة جبال حملايا في مقدمها٠ وما زالت الهند، حتى الآن، تتحرك داخل آسيا وتحتها٠ فهي، بالتالي، آخذة في التقلص، فيما تزداد جبال حملايا ارتفاعاً٠

الحلقة النارية ـ من الاحداث التي تكاد لا تقل عنفاً عن ذلك، ما وقع في البحر الابيض المتوسط، حيث اصطدمت افريقيا بأوروبا ثلاث مرات ثم تراجعت خلال الـ١٣٠ مليون سنة الماضية٠ وقد أسفرت هذه الاصطدامات عن بروز سلاسل جبلية تمتد من سويسرا الى إيران، حتى ان قسماً من جبال الالب الجنوبية ليس، في الواقع، سوى قطع من افريقيا ابتعدت عن الشاطىء٠ كما أدت هذه الاصطدامات الى انشقاق الحذاء الايطالي وانفصاله عن اوروبا، والى انفصال شبه الجزيرة الايبيرية عن فرنسا، بينما انسلخت شبه الجزيرة العربية، في الشرق، عن افريقيا والتصقت بآسيا٠

وبعد اندفاع افريقيا نحو اوروبا وآسيا منذ نحو مليون سنة، ظهرت

بينها البراكين مثل فيزوف وسترومبولي. وما برحت الزلازل تزداد حدة وتنزل الدمار بشمال ايطاليا ويوغوسلافيا وتركيا وايران. وهكذا فان البحر الابيض المتوسط يبدو محكوماً عليه بالتقلص والزوال، مرة اخرى، لتحل محله سلسلة من الجبال.

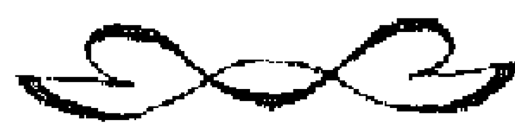
واذا نظرنا الى الجانب الآخر من الكرة الارضية، فاننا نجد الشرائح الامريكية والآسيوية والاوسترالية تتقارب عبر المحيط الهادىء المتقلص. وكلما غاصت الشريحة التي تحمل البحر تحت القارات والجزر، ارتفعت الجبال وتفجرت البراكين التي تطوق المحيط الهادىء بما يشبه الحلقة النارية. ومثال ذلك الحمم البركانية التي تفجرت عام ١٩٤٣ في احد حقول الذرة في بلدة باريكوتين في المكسيك، فتكون منها مخروط بركاني يبلغ ارتفاعه ٦٠٠ متر. وثمة مناطق اخرى تسودها البراكين والزلازل كالتي تقع في جزر الهند الشرقية حيث تفجر بركان كراكتوا عام ١٨٨٣، وفي وادي الصدع الكبير في افريقيا حيث تتشقق القارة، وفي الجنوب الغربي من خندق بورتوريكو الذي انبثقت منه اقواس الجزر في البحر الكاريبي.

وكان لتفتت بانغيا آثار في تطور الحياة لا تقل خطورة عن التغيرات الجيولوجية الناشئة عنه. فطالما بقيت مناطق اليابسة كلها متحدة في مساحة ارضية واحدة تتجول الكائنات في مختلف ارجائها، فان الانواع الاحيائية الراسخة تبقى متفوقة على الانواع الناشئة التي ما زالت في مرحلة التكوين، وتقل بالتالي فرص التطور والتنوع. لكن انفصال القارات وانتقالها الى مناطق مناخية جديدة ادى الى نشوء بيئات جديدة، فاصبحت كل قارة كأنها فلك نوح متميز بكائناته.

وظهر الكنغر وغيره من الحيوانات الجرابية في اوستراليا. وظهرت الحيوانات المدرعة في امريكا الجنوبية، ووجد الحصان الاول في امريكا الشمالية، والفيلة البدائية في افريقيا. وخلال العصور الطويلة التي تصادمت فيها افريقيا واوراسيا، ووصل برزخ بناما بين الامريكتين، وامتدت المعابر بين امريكا الشمالية وآسيا بسبب انخفاض مستوى البحر، هاجرت شتى أنواع الحيوان واهتدى بعضها الى ديار جديدة حيث اصابه التطور، بينما انقرض بعضها الآخر.

وكان بين افواج الثدييات الحديثة المهاجرة كائن ضئيل الحجم، كبير المخ، ذو قدمين، اسمه الانسان. ولعله لم ينوجد لو لم تكن لقشرة الارض حركتها التي لا تتوقف.

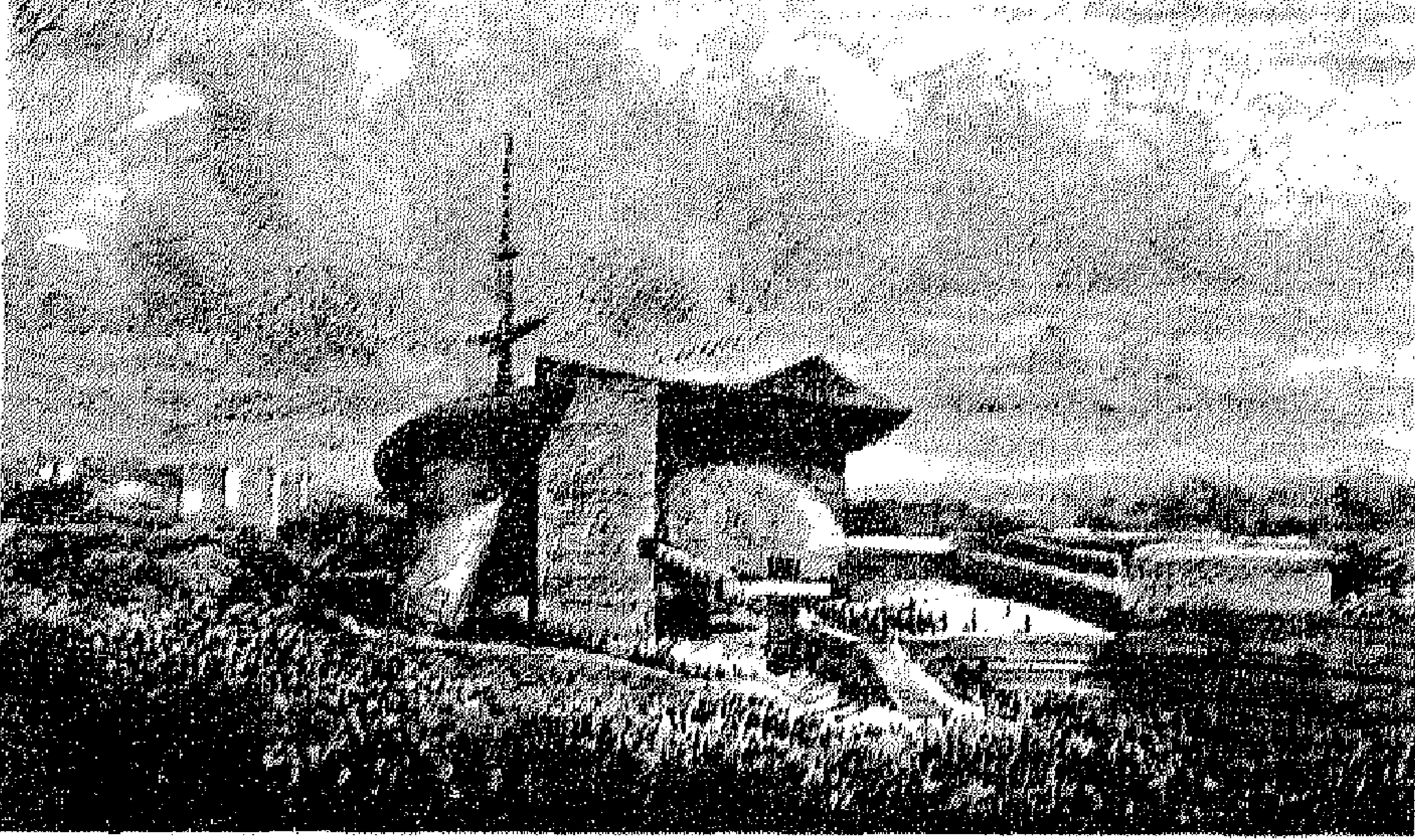
■ رونالد شيلر



اقتصاد

توفر الحاسبات الالكترونية على الانسان كثيرا من اعمال الحدس والتخمين الفائقة، وكذلك مايوهات البكيني.

"صحيفة الأحد"، فرنسا



ان قيود الدنيا كلها تعجز امام عظمة الايمان

فُلكٌ في بحرٍ أحمر

في ٢٧ أبريل (نيسان ١٩٦٠ عم الشغب نوفا هوتا، وهي مجموعة صناعية في احدى ضواحي مدينة كراكوف في بولونيا. واعقب ذلك يومان من القتال اقيمت خلالهما الحواجز. ولم يخمد التمرد حتى تدخل رجال الشرطة واستعملوا الغاز المسيل للدموع وخراطيم الماء. وكان سبب الانتفاضة صليب خشبي ارتفاعه ثمانية امتار.

وتعود جذور هذا الحادث الى اوائل الخمسينات. في ذلك الوقت بدأت السلطات البولونية، في ظل ارشاد اخوي مرهق من الاتحاد السوفييتي، بناء مدينة نموذجية اسمها نوفا هوتا (مسبك المعادن الجديد) لتأمين مساكن للعمال في مصنع حديث ضخم للفولاذ. ولما كانت الغاية من نوفا هوتا تقديم نموذج للتنظيم الاشتراكي الحديث، فقد جاءت توفر لنحو ١٠٠ ألف مقيم جميع متطلبات الحياة والراحة، باستثناء كنيسة.

والقرويون الذين نقلوا الى نوفا هوتا كانوا، كغالبية سكان الريف البولوني الكاثوليك، متدينين بحماسة وحرارة.

ولما تجاهلت السلطات المحلية مراراً طلب السكان بناء كنيسة، فقد اتخذ هؤلاء لانفسهم مقر عبادة كنيسة صغيرة على مفترق طرق، بنيت في القرن التاسع عشر لتكون في خدمة عابري السبيل. وكل يوم احد كان يأتي كاهن من كراكوف ليقيم قداساً على مذبح بسيط، بينما يقفنحو عشرة آلاف من المؤمنين في الحقول المجاورة. لكن الرعية لم تتخل ابداً عن فكرة بناء كنيسة. واخيراً منحت السلطات سكان القرية قطعة ارض اقاموا عليها، في مارس (آذار) ١٩٥٧، صليباً خشبياً ثابتاً لتحديد موقع كنيستهم.

وبعد سنتين ونصف سنة اعلن المسؤولون المحليون انهم في حاجة الىالارض التي يقوم عليها الصليب، لبناء مدرسة جديدة. فلا بد، اذاً، من نزع الصليب. وغضب سكان نوفا هوتا من هذه الفكرة التي تهدد حلمهم الكبير، ونظموا حراسة مستمرة، للصليب.

وبعد بضعة ايام وصلت مجموعة من المتطوعين البروليتاريين في سيارتين كبيرتين لفك الصليب عنوة. وقوبلت المجموعة بعصبية مصممة من النساء وعمال الفولاذ العزّل.وبذلك اندلعت نار العصيان وجرت اعتقالات واسعة. لكن الصليب بقي مكانه، وبنيت خلفه المدرسة الوحيدة في الكتلة الاشتراكية التي يرتفع صليب في ساحتها الامامية.

الراعي الذكي - بقي مشروع الكنيسة عالقاً حتى اواسط الستينات، حين حصل رئيس اساقفة كراكوف على موقع جديد في جوار الكنيسة القائم على مفترق الطرق. وعين الاب جوزف غورزيلاني كاهناً لابرشية نوفا هوتا. وهو كان بين الذين شاركوا في حرب العصابات خلال الاحتلال النازي. ام الآن، وقد بلغ الخمسين، فان شعره الاشقر قد وخطه الشيب وابتسامته صارت خجولة. لكن بنيته القوية كانت تدل على ميل الى العمل الجدي، وكانت عيناه، بزرقتهما الصافية، تعبران عن تصميم عجيب.

التحدي الاول الذي واجه الاب جوزف كان الحصول على ترخيص، من السلطات المحلية المترددة، لبناء الكنيسة. ولما اخفق مسعاه لجأ الى حيلة بارعة. فتقدم بطلب للموافقة على "توسيع" الكنيسة القائمة، ونال ترخيصاً بذلك، وباشر تنفيذ مشروعه. ثم طلب من فويتشيك بيترزيك، احد ابرز المعماريين في البلاد، ان يصمم البناء. وكان بيترزيك يدرك ان قبوله تلك المهمة يعرض حياته المهنية للخطر. لكنه استسلم امام قدرة الكاهن على الاقناع.

وكان تصميم بيترزيك للكنيسة، بالاجنحة البيضوية المنتفخة الى الخارج لتلتقي في ما بعد، اشبه بسفينة غريبة الشكل تمخر البحر. وازداد هذا الشبه نتيجة للسقف الكبير، الشديد الانحراف والمكسو بالواح خشب متداخلة، وللقبة الصليبية التي تشبه الشراع. وما ان بدأ البناء يأخذ شكله حتى اطلق عليه اسم الفُلك. وراح عمال الفولاذ يدعونه "الفلك الذي يسافر في بحر أحمر".

وتابع الاب جوزف معركته ضد البيروقراطية. وطلب من بيترزيك ان

يصنع نموذجاً للمساكن المحيطة بالكنيسة. فجاءت غابة الابراج، ذات الارتفاع البالغ عشرة طوابق، تظهر الكنيسة غير ذات اهمية. ولم يتنبه الموظفون الى ان البناء سيتسع، عندما يتم انجازه، لما يزيد على الخمسة آلاف مؤمن.

وعمل الاب جوزف على الافادة، الى اقصى الحدود، مما يسمح به النظام الاشتراكي. وفي العام ١٩٦٧ حقق خطوة جريئة عندما حول سقيفة للآلات الى صف للتعليم الديني. وقضت المحكمة بسجنه عشرين يوماً، لكن عمال الفولاذ هددوا بالاضراب قبل ان تطأ أرجل الكاهن السجن. ومع ان الاضرابات في بولونيا غير قانونية، فقد فضلت السلطات عدم ملاحقة القضية، تاركة الكاهن المثير للمتاعب طليقاً.

في ثياب الاحد - ازداد تضامن سكان نوفا هوتا ودعمهم للاب جوزف. وبدا كأن ما من شيء يمكنه ان يحول دون قيام الكنيسة. فهل تقوم؟

ولم تكن لدى أي شخص فكرة عن مصدر المواد والادوات. وفي البداية انتشر المتطوعون في البلاد يستجدون قضبان حديد مهملة من هنا، وبضعة اكياس اسمنت من هناك. وفي هذه الاثناء قام الاب جوزف برحلات عدة الى خارج البلاد لجمع التبرعات، بما في ذلك عشرة آلاف دولار من البابا الراحل بولس السادس.

وبدأ البناء الفعلي بعد القداس مباشرة في ١٥ مايو (ايار) ١٩٦٨. وباشر حفر الاسس ٢٠٠ متطوع من عمال الفولاذ الذين ارتدوا افضل بذلاتهم السوداء المخصصة لايام الاحد. وتابعت فرق العمل حفر الاسس، بالمعاول والرفوش، طوال السنتين التاليتين. وكان نقل التراب يتم في عربات قروية من خشب.

ولعب الاب جوزف دور الناظر المشرف على المشروع. فكان في الليل يدقق في مصورات البناء ويجتمع الى الخبراء المتطوعين، وفي اليوم التالي يتنقل بين العمال، بثوبه الكهنوتي الملطخ بالطين، ليوزع عليهم تعليماته.

والظاهر ان جميع سكان نوفا هوتا ارادوا المساهمة في هذا المجهود المشترك. وازاء عدم توافر العدة والفسحة للجميع كي يعملوا معاً في وقت واحد، فقد كانت احدى اصعب مشاكل الكاهن ان يتأكد من عدم انتقاص احد حقه. وحتى اعضاء الحزب الشيوعي انفسهم عرضوا المساعدة، ولم يرغب بعضهم في العمل مباشرة، فكانوا يدفعون المال لرجال آخرين يقدمون يوم عمل في المقابل. كذلك تطوع عمال من اكثر من ستة بلدان في اوروبا الشرقية والغربية.

اما الهيئات الوحيدة التي رفضت التعاون فهي السلطات التي كانت تزيد العراقيل في وجه المشروع. لقد كانت لجهاز الطاقة الكهربائية عادة مزعجة هي التوقف في اوقات غريبة، وبالضبط قبيل بدء عملية لحم مهمة. ثم ان مراقبي التدابير الوقائية ظلوا يبحثون، من غير جدوى، عن مبرر لوقف العمل.

لكل حجره - طرح البناء مشاكله الخاصة. ولما كانت الجدران مصممة كقطعة واحدة متصلة، فلا بد من صب

الاسمنت في قالب خشبي بلا توقف. ووجد سكان نوفا هوتا انفسهم في سباق مع الزمن. وطوال اسبوعين محمومين بالنشاط، من دون اعتبار لحال الطقس وفي وهج المصابيح ليلا، تناوب ٥٠٠ من عمال الفولاذ تشغيل جبالة صغيرة للاسمنت مقدمة من النمسا. وكانوا يملأون العربات، ثم يرفعون الحمولة بالايدي الى اعلى البناء على سلالم لولبية. وعندما صارت الجدران عالية جداً، بدأ رفع العربات بواسطة الآلة الرافعة. واخيراً، حملا بعد حمل، بلغت الجدران ارتفاعها الكامل، اي ٢٦ متراً.

وعزم الاب جوزف والمهندس المعماري بيترزيك على كسو الجدران، من الخارج، بحجارٍ مستديرة ناعمة تتوافر في المجاري الجبلية جنوب بولونيا. وفي القداس أعلنت حملة تأمين الحجار. وسرعان ما اخذت العائلات تستغل اوقات الاجازة لجمعها، حتى ان الحجار كانت تصل بالبريد في طرود مغفلة. وبلغ مجموع ما نقل الى موضع البناء نحو مليوني حجر. وبذلك صار لكل شخص "حجره" في الجدران.

وبلغ التحدي بين المؤمنين والبيروقراطيين ذروته خلال صيف ١٩٧٦، عندما حان وقت رفع القبة. فقد كانت هذه مصنوعة من قطع الفولاذ الذي لا يصدأ، تبدأ كبيرة وتصغر تدريجاً. وبلغ طولها كلها ٧٠ متراً، وزاد وزنها على ٩٠ ألف كيلوغرام (٩٠ طناً).

وبسبب الحاجة الى جهاز آلي ضخم لرفع القطع الى مواضعها، ابتدع الاب جوزف حلا كان في الواقع خدعة جريئة. فقد قال للموظفين المحليين: "اننا سنقيم تلة ترابية كبيرة، تشكل منحدراً نجر عليه القطع بالايدي الى اعلى. وسنستعين بالحبال والبكر عند الحاجة". واكد ان الشارع سيطمر، موقتاً، تحت المنحدر.

وانطلت الخدعة. وسمح الموظفون المتعبون للاب جوزف باستئجار رافعة المصنع الفولاذية الضخمة. وارتفعت القبة خلال ٤٨ ساعة.

وأخيراً، في ١٥ مايو (ايار) ١٩٧٧، وبعد ما يزيد على العشر سنين من العمل المخلص، احتفل بتكريس كنيسة "سيدة بولونيا". وبقيت بعض القوالب الخشبية هنا وهناك، غير ان الفلك كان متيناً ونظيفاً الى حد مدهش. ان ٤٠ امرأة قضين الليلة السابقة للتكريس على ايديهن وركبهن، ينظفن الاسمنت والفولاذ والبلاط. وكن، كعمال الفولاذ منذ عشر سنين، يفعلن ذلك في افضل اثوابهن المخصصة لايام الاحد.

وسقط مطر غزير في يوم التكريس، لكن احداً لم يبال. فان الفلك، على كل حال، يحتاج الى ماء وفير كي يعوم! واحتشد جمهور من ٥٠ ألف شخص يستمعون الى كارول فويتيلا، رئيس اساقفة كراكوف الذي اصبح، منذ ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨، البابا يوحنا بولس الثاني، وهو يعلن: "ان الشروط الاقتصادية تعجز وحدها عن تقييم الشخص وتاريخه. ان الانسان اكبر من ذلك".

وقد ادركت عائلات عمال الفولاذ قصده.

■ رودولف تشيلمنسكي

كثيراً ما يتحدث الصلع عن واقعهم المرير، واليك بعض الحقائق حول تساقط الشعر



٣ أسباب رئيسيّة لتساقط الشعر

لقد درج الناس، اذا تملكهم الغضب والاهتياج او ساورهم شعور بالخيبة، على التشفي من شعرهم، فيشدونه بعنف كأنهم يحاولون اقتلاعه. أما انا فلم تترك لي الطبيعة فرصة الاقدام على ذلك، اذ هي تولت بنفسها تلك المهمة.

ومن المؤسف ان الناس ينظرون الى الرؤوس العارية نظرة رعب ووجوم. وقد انطبعت في اذهانهم فكرة الانتقال من مرحلة الشعر الغزير الى مرحلة الصلع، وكأنها تلك المسيرة الكئيبة من الحياة الى الموت او الانهيار من الرجولة الى ذل العجز.

Condensed from PSA California, April 1979 by East West Network Inc. Los Angeles Calif. Reprinted courtesy of PSA California Magazine [illegible] Airport Pacific Southwest Airlines

ينشأ الصلع عن اسباب مختلفة، كالمرض وعدم انتظام افراز الهرمونات في الجسم والمعالجة بالمواد الكيميائية وكثرة التعرض لاشعة ايكس وسوء استعمال المواد الكيميائية. وكثيراً ما يكون فقدان الشعر، في هذه الأحوال، موقتاً وقابلا للمعالجة. ولكن غالباً ما يتكفل الزمن بهذه العملية. اما هذه الأحوال كلها فلا تتجاوز الخمسة في المئة من مجموع حالات الصلع، بينما تعود الـ٩٥ في المئة الباقية الى الصلع المنتشر لدى الذكور.

إن السن هي احد العوامل الثلاثة الرئيسية في الصلع لدى الذكور. فجميع البشر تقريباً - رجالا ونساء - يبدأون فقدان شعرهم في سن العشرين. وفي الثلاثين يبدأ ارتداد الشعر الى الوراء لدى واحد من كل ثلاثة رجال. وفي الخمسين ينضم واحد من كل اثنين الى نادي الصُّلع. وفي الخامسة والستين ترتفع نسبة الصلع الواضح الى اثنين من كل ثلاثة رجال.

العامل الرئيسي الثاني في الصلع هو الوراثة. فمن المحتمل ان يقفز الصلع جيلا او اثنين إذا حالفك الحظ. لكنه يبقى متغلغلا في الجينات (أجسام داخل نواة الخلية تحمل الخصائص الوراثية) ويمكنه الظهور في اي وقت. وتكفيك نظرة سريعة الى شجرة العائلة للحصول على مفتاح اللغز. فاذا رأيت رؤوساً صلعاء على فروعها، اقتضى عليك ان تواجه الحقيقة: فربما كان الصلع من نصيبك.

لقد تنوعت آراء أسلافنا حول اسباب الصلع وطرق معالجته. فإن أرسطو، مثلا، كان اصلع، وكان يؤكد ان للصلع علاقة كبيرة بالممارسة الجنسية. لكنه، لحسن الحظ كان على خطأ - كما سنتبين في ما بعد - اذ اتضح ان صلعه لم يحل دون اتقاد حيويته أكثر من ذي قبل.

اكثر رجولة! - يصرف الناس ملايين الدولارات سنوياً على شعرهم. ذلك لأن الشعر يعتبر مصدراً لطائفة منَ المشاكل النفسية. فهو ليس كساء للرأس فحسب، بل هو أيضاً رمز للقدرة، سواء أكانت جنسية ام غير ذلك.

والواقع ان الصلع لا يعني فقدان الرجولة ولا زخمها. غير ان له علاقة وثيقة بالهرمونات الذكرية، مما يحمل على اعتبار الاندروجينات (الهرمونات الذكرية) ثالث الاسباب الرئيسية لفقدان الشعر. وبصرف النظر عن السن او عن نسبة الصلع في العائلة، يمكنك الاحتفاظ بشعرك في حال توقف انتاج الاندروجين في جسمك.

اما النساء فيبدأ تساقط شعرهن بعد سن اليأس، او موقتاً بعد الحمل او بعد التوقف عن تناول حبوب منع الحمل، نظراً الى تدني نسبة الاستروجينات (الهرمونات الانثوية)، مما يحول دون ابطال مفعول الهرمونات الاندروجينية. ان الشخص لا يتعرض لفقدان شعره في غياب هرمونات الاندروجين. لكن ذلك لا يعني ان هذه الهرمونات تتدفق بقوة لدى الصُّلع، او ان لدى الرجال الذين احتفظوا بشعرهم نقصاً في تلك الهرمونات. وكثيراً ما يعزّي الصلع

انفسهم قائلين: "إن الرجال الصلع هم اكثر رجولة".

شعر الملوك — ربما توصل ارسطو الى نظريته حول الصلع بعد ملاحظته شعر الخصيان الكثيف، إذ لم تكن لهؤلاء اي نشاطات جنسية. ولو اردنا العمل بنظرية ارسطو لوجدنا ان العلاج الاكيد لصلع الرجال هو الخصي.

وعلى اي حال، لا يمكن الخصي ان يعيد الشعر الذي ولى، ولا هو احد الطرق المحببة الى وقف تساقط الشعر. وجل ما في الامر ان عملية الخصي من شأنها ان توقف، فجأة، افراز هرمونات الاندروجين، فيستطيع اي رجل، عندئذ، الاحتفاظ بما تبقى لديه من شعر اذا تعرض لاستئصال اعزّ ما يملك.

وبينما تنتظر ان يأتيك العلم الحديث بعلاج اكيد فعال، فامامك خياران لمواجهة خطر الصلع الداهم: فإما ان تستعين بشعر مستعار (لِمة) وإما ان تستعيض عما فقدته من شعر بزرع شعر آخر. ويرجع عهد الشعر المستعار الى ماض بعيد، لكن نطاق رواجه لم يتسع الا بفضل الملك الفرنسي لويس الرابع عشر (تولى عرش فرنسا بين ١٦٤٣ و١٧١٥) الذي استخدم ٤٠ اختصاصياً في صنع الشعر، ولم يسمح لاحد في بلاطه بأن يراه عاري الرأس، حتى انه كان يتسلم "شعره" الصباحي من خلال اربع ستائر تحيط بفراشه.

لن يسقط — يعتبر الشعر الاصطناعي اسهل طريقة لحجب الصلع. وترتبط النتيجة بمدى استعدادك للدفع، فتبدو كأنك بشعر طبيعي او كأنك تحاول ستر صلعتك. ويراوح سعر الشعر المستعار الرخيص بين ٢٥ دولاراً و٥٠ دولاراً. لكنك، في هذه الحال، تبدو كأن على رأسك فروة حيوان. اما الشعر المستعار الممتاز، والمصنوع خصيصاً لك، فقد يصل ثمنه الى ٥٠٠ دولار.

وتصنع اللمة من الشعر الطبيعي او من الشعر الاصطناعي او من كليهما. وقد ساعدت المواد اللاصقة الجديدة والالياف الخفيفة على ازالة التذمر من الحرارة والحك، واصبحت تتيح السباحة بلا خوف من سقوط اللمة. ويقتني معظم الرجال لمتين على الأقل، بحيث يمكنهم استخدام احداهما بينما يجري تنظيف الاخرى وضبط لونها وتسريحها مرة كل اسبوعين. واذا شئت شراء لمة فاسأل صديقك من اصحاب اللِمَم الجميلة عن مصدرها، او خذ بنصيحة مزينك، او استشر طبيب الأمراض الجلدية.

ولكن هل يمكن تثبيت اللمة على نحو دائم من دون اجراء جراحة؟ ذلك هو الهدف من حياكة الشعر. فهناك طرق مختلفة، لكن عملية الحياكة تقوم على جدل الشعر الطبيعي المتبقي بحيث تثبت عليه اطراف اللمة، سواء أكانت مصنوعة من شعر طبيعي او من شعر اصطناعي.

وفي جميع الأحوال فان اللمة التي يسمونها "دائمة" ليست، في الواقع، الا موقتة. وكلما استمر نمو الشعر الطبيعي على جلدة الرأس ازداد ارتخاء الجدائل، مما يستوجب اعادة شدها او حياكتها. ويكون ذلك، عادة، مرة كل ستة اسابيع او ثمانية واقل من ذلك احياناً. وتراوح تكاليف هذه العملية بين ٣٠٠ و٢٠٠٠ دولار.

ومن مزايا عملية الحياكة انها تحول دون رؤية الصلعة كل ليلة. ومن مساوئها صعوبة تنظيف تلك المناطق المجدولة في الرأس، والشعور ببعض الانزعاج من الجدائل المشدودة، إضافة الى الضغط على شعر جلدة الرأس الذي يرتكز عليه الشعر الاصطناعي مما يؤدي الى فقدان الشعر الطبيعي.

عروس فرنكنشتاين ـ هناك نكتة قديمة تقول ان السر الوحيد في انقاذ شعر الرجل المقبل على الصلع موجود داخل علبة سيجار. لكن تلك النكتة لم تعد شائعة منذ ١٩٥٢، عندما اجرى الدكتور نورمان اورنتريش، في عيادته في مدينة نيويورك، العملية الاولى لازدراع الشعر (وهي غير عملية الزرع المكلّفة والمحفوفة بالمجازفات). وتنطوي عملية الازدراع على استعمال مثقب صغير مستدير لحفر التجاويف في جلدة الرأس الاصلع كي يزدرع فيها الشعر المنقول من الجوانب الخصبة في الرأس.

اما لماذا ينبت الشعر في المحيط الدائري للرأس على شكل نضوة الجواد بينما لا ينمو في مقدم الرأس او في وسطه، فهذا لا يزال سراً غامضاً. والمهم في هذه العملية ان يحتفظ الشعر المزدرع بالحيوية التي كان يتمتع بها في مقره الاصلي، فيتيسر نموه في المكان المنقول اليه ويصبح هو الشعر الحقيقي الذي يكتسي به رأسك، مع العلم بأنه لن تكون له كثافة شعرك عندما كنت في سن العشرين. لكنك لم تبقَ اصلع.

غير ان نجاح عملية ازدراع الشعر هذه لا يبرر اغفال بعض الحقائق. فالعملية بطيئة وباهظة الثمن. واذا لم تكن واثقاً من الاختصاصي الذي ستضع رأسك بين يديه فقد تنتهي بشعر أشبه بشعر عروس فرنكنشتاين.

وتدل المساحة التي ترغب في تغطيتها على عدد الثقوب الدقيقة المطلوب احداثها في جلدة الرأس، وعلى الوقت الذي ستستغرقه عملية الازدراع والتكاليف التي تتطلبها. ومن الصعب اعطاء فكرة واضحة عن ذلك. لكن عدد الثقوب يراوح عادة بين ٢٠٠ و٦٠٠، ويكلف الواحد منها بين عشرة دولارات و٥٠ دولاراً. وقد تستغرق الجلسات يوماً واحداً او تمتد أشهراً عدة. وعلى اي حال، فإن الشعر المزدرع لا يبدأ في النمو قبل انقضاء نحو ثلاثة اشهر على عملية الازدراع.

بقي الحل الاخير والاسهل لمشكلة الصلع، الا وهو التسليم بالأمر الواقع. وفي هذه الحال يمكنك ان تعزو الصلع الى عوامل السن والحنكة والتربية الصالحة، بل تستطيع أن تفاخر به كدليل على الحكمة، فتذكر اولئك الصلع من عمالقة التاريخ أمثال سقراط وشكسبير وتشرشل وبيكاسو.

اما اذا لم تكن فريسة الصلع، فتباهَ بشعرك!

■ **توماس بيديل**



اذا كانت الشمس تطلق طاقة هائلة، فكيف نشعر بالخمول عندما نجلس تحت اشعتها؟

ب. ف.



العُمر الطويل

كنت راكعة على ركبتيّ بعد ظهر احد الايام وأنا احاول اسناد سريرين اثبت احدهما فوق الآخر لأتمكن من وضع الركائز التي تشدهما · وإذا بزوجي يسألني: "ماذا تفعلين هناك؟" ·

فأجبته بجفاء: "احاول اطالة عمري!" (وكنت قرأت في تقرير طبي من بريطانيا ان النهوض بالاعباء المنزلية هو سرّ طول عمر الاناث) ·

– بل انت تحاولين تقليص عقلك في سجنك المنزلي · عليك ان تخرجي اكثر فأكثر من هذا القفص · لم لا تقومين بعد انتهائك من تثبيت هذه الاشياء بما كنت ترغبين في انجازه؟

جلست القرفصاء واطلقت العنان للتفكير حتى ادركت ان ما كنت ارغب في انجازه دائما هو الهرب من البيت. ولا أخال القارىء الا ملما بهذا الشعور الذي ينتابنا عادة اثر التزام الحمية طوال اسبوعين نكتشف بعدهما ان الوزن زاد، بدلا من ان ينقص، كيلوغراما ونصف كيلوغرام، او بعد ان تكاد القدمان لا تقويان على حمل الجسم من جراء الكد والركض في الاسواق بحثا عن تلك الملاءات التي تباع في التنزيلات، لنعلم في ما بعد، لخيبتنا، انه لم يبق منها سوى اغطية فوقية كبيرة جدا وأكياس وسادات ضخمة. حينئذ يطفح الكيل ولا يعود في الامكان تحمل المزيد.

النساء المنطلقات - قرأت ذات يوم مقالة في احدى المجلات النسائية بعنوان "نساء اليوم المنطلقات". وتصدرت المقالة صورة امرأة شقراء مكتنزة الجسم يتحلق حولها بعض الرجال امام ورشة بناء وهي تملي عليهم مواصفات التصميم المعماري. ولاحظت ان لون حذائها يناسب لون خوذتها الصلبة الصفراء التي يرتديها عمال البناء لوقاية رؤوسهم. وفي صورة ثانية ظهرت المرأة في قميص نوم فضفاض وهي تقلب قطع اللحم في الفرن، بينما راح زوجها يحضر طبق السلطة وتراكض الاطفال بكل همة ونشاط وحب الى اعداد المائدة.

اردت ان اكون انا الاخرى في عداد اولاء النسوة "المنطلقات". تصوروا! الذهاب الى ميدان الوظيفة كل صباح... الى جهاز تلفون غير دبق بعصير العنب... الى العطور. وقلت في نفسي: "اني، باذن الله، لذاهبة بعد ان أ وفق الى من يعتني بالاطفال في اثناء غيابي".

ورحت اقابل الواحدة بعد الأخرى لمدة ستة اشهر بعد ان عزمت على الخروج الى العمل بحثا عن امرأة مناسبة تتولى العناية بالاطفال. ولكم حزنت عندما ادركت انه ما من احد يريد الاعتناء بالاطفال حتى بالاجرة، في حين اني افنيت سني حياتي في الاعتناء بهم بلا مقابل! وعلى كل حال، فقد حصلت آخر الامر على وظيفة وتركت البيت لاستقبال حياة جديدة.

على كل امرأة ان تجرب العمل، ولو مرة واحدة، حتى تتيقن من ان شعار "نساء اليوم المنطلقات" مجرد وهم. واظن انهم في تلك المقالة قلبوا الصور والتفسيرات رأسا على عقب. فربما كانت تلك المرأة البدينة ترتدي الخوذة الصلبة داخل بيتها. وما احوج ربة البيت الى قبعة واقية في عقر دارها! واني أتساءل: لماذا لم ينشروا صورا تبدو فيها المرأة وهي تركض بخفي غرفة النوم، متأبطة قطعاً من اللحم تحاول تذويب الثلج عنها بسرعة وهي تصرخ بشراسة: "اعلم يا معشر الرجال انكم هنا في البيت لاني اسمع قرقرة معدكم!".

ومن اجل ان تصبح الحياة طيبة وهنيئة، لم تتجاوز المسألة، حسب تلك المقالة، وضع جدول اعمال يعين لكل من افراد الاسرة مسؤولياته المنزلية. عندئذ سيتسنى للأم وقت كاف لا للنهوض بأعباء العمل الخارجي فحسب، بل للاعتناء برتق معاطفها وركوب الخيل والخوض في معترك الحياة السياسية أيضاً.

من وجهة نظر اخرى فإن الواقع يناقض تلك الصورة. واذكر انني اتصلت ذات مساء هاتفياً بمنزلي، وكان قد مضى على حياتي العملية قرابة اسبوع. ورد علي ابني، فقلت له: "اود ان اكلم اباك".

– ابي عند طبيب الاسنان. لقد كسر سنه هذا الصباح وهو يقضم الخبز المجمد في الثلاجة.

فسألت: "ولكن من كان مسؤولا عن تسخين الخبز حسب الجدول؟

– انا. غير اني بت الليلة الفائتة لدى صديقي لأني لم استطع فتح باب دارنا المقفل من الداخل.

□ وأين اختك؟

– انا رتبت سريرها. وهي قابعة في الفراش. انها لا تتكلم. وهناك ملابس مبللة في المغسلة يعلوها لون بني ... ماما! متى تعودين الى البيت؟

□ غداً، هل افتقدتني يا ولدي؟

– كلا. ولكن حسب جدول العمل، انت المسؤولة غداً عن جلي الصحون.

في رأيي انه اذا كان للنسوة ان يحظين بالتقدير، فما على الرجال الا ان يجربوا بانفسهم نقل اطفالنا واطفال الجيران من البيت الى المدرسة والعكس. وقد حذرت زوجي ابان تجربته الأولى قائلة: "تذكر انهم اطفال صغار وليسوا أكياساً بريدية. عليك ان توقف السيارة عن الحركة كلياً قبل انزالهم وان تفتح لهم الأبواب بنفسك. لا تصرخ فيهم. وتأكد من ان كلا منهم جالس قرب نافذة ... أتمنى لك حظاً سعيداً".

وبعد غياب طال ساعة ونصف ساعة عاد يجرجر قدميه فوق عتبة الدار. فسألته: "ماذا الذي أخرك هذا الوقت كله؟".

– اولا، ذلك الشقي الذي تفوح انفاسه كالخميرة رفض الصعود الى السيارة لان امه قالت له الا يركب مع غرباء.

ثانيا، ابنتك ظلت تبكي نصف الطريق لانها نسيت صندوق أكلها عند الارجوحة. واخيراً، مايكل ادعى انه لا يعرف مكان بيته في الشارع. وأرغمت على شراء الحلوى له كي اصادقه. وبعد لف ودوران دام ثلاثين دقيقة، فتح فاه ليقول: "هذا بيتي". وقلت له مؤنباً: "ولكن يا مايكل مررنا معاً بهذا البيت عشرين بل ثلاثين مرة، فلماذا لم تسألني ان اتوقف؟" فأجاب: "لانه ممنوع علي الكلام وفمي مملوء طعاماً!".

قوانين اساسية – يقول بعضهم ان توزيع المسؤوليات على الصغار يساعد في نموهم. ويقول آخرون ان هذا سيزيد فقط من نمو اقساط التأمين على الممتلكات والارواح. ولكن مهما تكن الحقيقة، فلا بد من وجود بضعة قوانين اساسية تنبغي مراعاتها حين تناط بالأم واجبات خارجية. اول هذه القوانين ينبغي ان يتناول الوقت الذي يجوز فيه الاتصال بالأم في مكان عملها. لا شك ان الطوارىء تحدث احياناً. ولكن لا بد من وضع ارشادات لتعريف الطوارىء.

مثلا، على الطفل ان يسأل نفسه قبل الاتصال بامه الاسئلة الثلاثة الآتية:

١. هل ستسقط امي ميتة على الارض اذا سمعت ما سأقوله لها؟

٢. هل يمكنها العثور على مصلح

مواسير بعد الخامسة مساء؟
٣• هل هي صادقة في تهديدها بالانتقال الى مدينة أخرى وتبديل اسمها؟
واذا جاءت اجاباته حسب الترتيب الآتي: "نعم، لا، نعم"، فعليه الاتصال بامه فوراً.
اليكم مثلا آخر، حين يجمع اطفال الحي على ان بيت طفلك هو خير بيت للعب لانه خلو من الكبار، ينبغي لطفلك ان يسأل نفسه: "هل احب ان أقضي سني طفولتي محبوساً بين جدران المنزل بلا طعام او تلفزيون؟" وما عليه اثر هذا السؤال الا ان يوصد جميع ابواب المنزل من غير استشارة والدته.
اما اذا جاء البيت رجل او اكثر في سيارة شحن صغيرة وقال للطفل ان امه طلبت وضع غطاء لجهاز التلفزيون وخزن الآنية الفضية وتنظيف المجوهرات وتزييت الدراجة الهوائية ذات العيارات العشرة، فعندئذ ينبغي الاتصال بالام بأسرع من البرق.
كنت جاثمة على ركبتي بعد ظهر احد الايام في المكتب حيث اعمل، محاولة اسناد خزانة الملفات فوق طرف السجادة الارضية، حين سألني رئيسي: "ماذا تفعلين على الارض هناك؟" فقلت له بجفاء: "احاول اطالة عمري. فقد قرأت لتوي تقريراً طبياً يقول ان النساء اللواتي يعملن خارج بيوتهن يعشن حياة اطول وافضل واغنى وأكمل!".
فأجابني: "يبدو لي انك متعبة. لم لا ترجعين الى بيتك وتخبزين خبزك وتنظفين بلاط دارك. ثم تخرجين في زيارة مع اطفالك؟".
والحق اني اشعر، في منطلقي بين الدار والمكتب، باني سأعمر حتى المئة... او هكذا يجعلني اشعر مضي الايام على هذا المنوال!

■ **ارما بومبيك**



ما أكثر الذين ينعمون بالنوم خلال العواصف، في حين تقض مضجعهم بعوضة.

ف.هـ.

الغرام المضجر

علق ناقد على رواية مضجرة طولها ١١٠٠ صفحة بالآتي: "لقد كانت كتابتها ثمرة عمل غرامي... أو غرام في العمل".

هـ. ك.

محبو الفن

في احد معارض باريس الفنية سجل للزوار. وقد كتب أحدهم رداً على سؤال حول أسباب الزيارة:
"المطر الغزير في الخارج".

س. ج.

سيأتي يوم فتزول المخدّرات!

تمعن المخدرات في شباب العالم قتلا وتدميراً· وتجري في تايلاند حالياً تجربة رائدة لاقتلاع هذه الآفة من جذورها

اندفعت سيارة اللاندروفر عبر المنعطف الشاهق في اعالي جبال تايلاند الشمالية التي يكسوها الضباب· ولم البث ان وجدت نفسي في قرية ماي ساماي، موئل ٦٠٠ نسمة من قبيلة ميو ذات التقاليد الغريبة·

وكانت اسراب الدجاج تسرح بين البيوت المنتشرة فوق منحدر الهضبة وتضرب مناقيرها في تراب الارض العارية· ولا يزيد عدد منازل القرية على الستين· وتطل من ابوابها الظليلة بضع نساء جبيات في صحبة اطفالهن، وهن يكتسين سترات مطرزة انيقة ويتزين بمجموعة من الحلي الفضية الثقيلة·

لم يبد لي، للوهلة الاولى، اي فارق يذكر بين ماي ساماي وبقية المستوطنات القبلية التي تقارب الالف والتي تنتشر في ارجاء الغابات الممتدة على طول حدود تايلاند وبورما ولاوس، والمعروفة باسم "المثلث الذهبي"·

ان انتاج هذا الاقليم من الافيون الخام يراوح بين ٤٠٠ طن و٧٠٠ طن سنوياً، أي ما يعادل، بعد تصنيعه وتنقيته، نصف ما يتزود به العالم من مادة الهيروين· لكني، بدلا من نبات الخشخاش، لم ار فوق مصاطب المزارع الانيقة على منحدر ماي ساماي سوى مئات من غراس البن واحواض الكرنب (الملفوف) الريان

والخس والعرائش المثقلة بالعناقيد المخملية.

إن ماي ساماي هي احدى القرى العشرين التي استعاضت، كلياً او جزئياً، عن زراعة الخشخاش بمحاصيل جديدة يستدر منها الاهالي مزيداً من الكسب مما يتيح لهم حياة افضل. وذلك دليل على النجاح المطرد - وإن يكن محدود النطاق بعد - الذي تحققه البرامج التي تشرف عليها الامم المتحدة ويرعاها ملك تايلاند وحكومته سعياً الى وقف تدفق الافيون من تلك الحقول النائية. وقد حظيت هذه البرامج بدعم ١٨ دولة اخرى.

وقال لي خبير زراعي في قرية ماي ساماي: "كان القرويون في الماضي يكسبون من زراعة الافيون ما يراوح بين ٥٠ دولاراً و٧٥ عن كل راي (الراي يعادل نحو ١٦٠٠ متر مربع). اما اليوم فهم يجنون ما لا يقل عن ٥٠٠ دولار سنوياً من زراعة المساحة نفسها بالخضر خلال موسمين. ومتى اينعت غراس البن فسوف يزيد دخل المزارع من الراي الواحد على ٣٠٠ دولار في السنة".

فضة لا تدوم - حاولت بعض البلدان، مثل افغانستان وتركيا والمكسيك، ان تعالج مشكلة الافيون عن طريق اتلاف حقول الخشخاش، تاركة للمزارعين ان يتدبروا امر معيشتهم بطرق بديلة. لكن تلك الوسيلة اخفقت، وايقن الملك بوميبول ادوليادج، عاهل تايلاند، ان مثل هذا الاجراء لن يجدي فتيلا في بلاده. وذلك ليس فقط نظراً الى صعوبة الاهتداء الى جميع الحقول المزروعة بالخشخاش في اعالي جبال تايلاند، بل لان هذا التدبير سيحرم نحو ١٥٠ الفاً من ابناء القبائل الجبلية دخلهم الرئيسي مما قد يسبب مجاعة مؤسفة تقذف بالاهالي الى احضان الشيوعيين المتمردين.

وقد اسفرت هذه الاعتبارات عن تحقيق المشروع الملكي لتنمية مناطق القبائل الجبلية عام ١٩٦٩، والذي وضع بموجبه برنامج تجريبي لتعيين المحاصيل البديلة في تلك المرتفعات. ولهذا الغرض عين الملك احد انسبائه، وهو الامير بيسادج رجاني، مديراً للبرنامج. والامير ناحل القامة، يهوى الرياضة البدنية واجتياز المسافات الطويلة عبر الجبال، ولا يبالي اذا اضطر الى قضاء ليلته في كوخ يعج بالبراغيث.

وسرعان ما اوضح المشروع لمزارعي الافيون ان المثلث ليس "ذهبياً" على الاطلاق. ويقول الامير بيسادج: "على رغم ان الارباح المستدرة من الافيون تعتبر ضخمة جداً، الا ان القبائل الجبلية لا تنال منها الا النزر اليسير". فقبيلة ميو، مثلا، التي تعد اكبر القبائل المهتمة بزراعة الافيون، لا تجني من هذه الزراعة الا ما يكفي شراء بعض الاساور الفضية ومؤونة القبيلة من الرز حتى موسم الحصاد التالي. واذا ما هبطت اسعار الافيون فان القبيلة تضطر الى بيع مقتنياتها الفضية.

الوادي السعيد - اثار مشروع الملك التايلاندي لاستبدال الافيون بمحاصيل اخرى اهتمام مختلف الدوائر الحكومية في تايلاند وشتى الوكالات العالمية في الخارج، التي يهمها وضع حد لتدفق الافيون من تلك التلال. ويتولى الامير بيسادج رئاسة



منظر للمحطة التجريبية في تشانغ خيان.

اللجنة التنسيقية للبحوث الزراعية في المرتفعات، وهي تشرف على نشاطات مجموعة من البرامج لاختبار مئات المحاصيل البديلة. ومن اهم هذه البرامج ذلك الذي بدأ تنفيذه رسمياً عام ١٩٧٣، بالتعاون بين الحكومة التايلاندية وبرنامج الامم المتحدة المتعلق بسوء استعمال المخدرات وبإدارة الانكليزي ايان وليمس في العاصمة بانكوك.

ورصدت الامم المتحدة قرابة مليوني دولار لبرنامج تجريبي مدته خمس سنوات ابتداء من ١٩٧٣، ثم عززت تايلاند هذه الموازنة بخمسة ملايين دولار سلعاً ونقداً. وقد مدد البرنامج، أخيراً، مدة ستة اشهر. ويدير المبشر الامريكي السابق

ابناء القبائل الجبلية يحملون السلع الى السوق.



ريتشارد مان، من مكتبه في ضواحي مدينة كيانغماي، هيئة من ٣٠ تقنياً زراعياً تايلاندياً من موظفي خدمات التنمية الاجتماعية.

وتجرى التجارب الاولية لاكتشاف اصلح المحاصيل في منطقة تشانغ خيان الرابضة في احضان الوادي الهادىء على مشارف كيانغماي، حيث اصطحبني المرشد الزراعي التايلاندي بونغساك انغاسيت في جولة استطلاعية. وفي رحاب تلك التلال رأينا اصنافاً مختلفة من غراس البن المزدهرة في الهواء البارد، وأنواعاً رائعة من زهر المناخات المعتدلة زرعت لإنتاج البذور، وقطاعات تنمو فيها اشجار المشمش والدراق والخوخ وجوز الصابون والتفاح، واخرى مخصصة لزراعة القمح والشعير وأصناف الرز التي يجري اختبارها في المرتفعات.

وتزهو المنحدرات بالنبتات السحلبية المرجانية المثيرة للاعجاب بزهرها المعد للتصدير. وقد نظم الخبراء في هذه المزارع بحوثاً رائدة لاكتشاف الامراض النباتية والحشرات المؤذية وامتحان المناخ وطبيعة التربة.

تدريب قيادي ـ ما ان تتجلى تباشير نجاح بعض المحاصيل في تشانغ خيان حتى يبدأ اختبارها في خمس قرى رئيسية اخرى موزعة استراتيجياً في الجبال الشمالية. ويحيط بكل منها عدد من القرى الصغيرة التابعة، يراوح بين اربع وسبع قرى تقطنها القبائل التي كان نشاطها مقتصراً على زراعة الخشخاش. وبالتالي، فان ردود الفعل في هذه القرى وتوابعها



امرأة من احدى القبائل الجبلية تقف وسط حقل مزروع بالخضر في ماي ساماي.

يعتبر دليلا واضحاً على تجاوب القبائل الجبلية الاخرى.

ويعيش في تلك القرى،لفترات متقطعةومتناوبةتمتد بضعة اسابيع، عدد من المزارعين التايلانديين الناشئين، فينقطعون خلالها عن العالم الخارجي الذي لا تربطهم به الا اجهزة الراديو.

ويقدم هذا البرنامج الزراعي الى القبائل الراغبة في اختبار المحاصيل الجديدة البذور الملائمة لمناخ المنطقة، شرط ان تدفع ثمنها، اضافة الى الفائدة المتوجبة، اذا كان الموسم حسناً. والى جانب ذلك، فالمشرفون على البرنامج يختارون عدداً من رجال القبائل الذين يتحلون بالصفات القيادية اللازمة، ويلحقونهم بمركز الاختبار الرئيسي في تشانغ خيان للتدرب طوال عشرة اشهر على الاساليب التقنية الزراعية، يتقاضون في أثنائها راتباً شهرياً يعادل ٢٥ دولاراً. وعندما يعود هؤلاء الى قراهم يعملون على اقناع اخوانهم بتجربة المحاصيل الجديدة.

لقد اسفر موسم ١٩٧٧ ــ ١٩٧٨ عن انتاج ١٣١ طناً من الفاصوليا الحمراء، اشترك في استغلالها ٧٠٠ مزارع وبيعت بنحو ٤٥،٥٠٠ دولار، أي بمعدل ٦٥ دولاراً لكل مزارع. ولقيت هذهالفاصوليا بعد تجفيفها رواجاً في اسواق بانكوك حيث تباع بنصف سعر الفاصوليا المستوردة. وهي تصدر ايضاً الى الخارج.

وقيل لي ان قطاف اشجار الدراق المحلية خلال السنة الماضية بلغ، في بعض القرى، ما يراوح بين عشرة اطنان وثلاثين طناً، وان هناك قرية من الملحقات انتجت وحدها نحو ١٣٠ طناً من الدراق. وتقدر مؤسسة البحوث الزراعية الامريكية، التي تتعاون مع جامعتين في تايلاند ومع دائرة الاحراج الملكية وغيرها من المؤسسات والدوائر الحكومية في عدد من المشاريع الزراعية، ان معدل الدخل السنوي للاسرة الواحدة المعنية بزراعة الدراق في تايلاند سيرتفع خلال السنين العشر المقبلة الى ٧٣٨٠ دولاراً في السنة.

أقرب الى المعجزة ــ غير ان زراعة البن تثير حماسة الاهالي اكثر من اي زراعة اخرى كبديل من الافيون. وقد بلغ انتاج البن عام ١٩٧٧ نحو طنين، وارتفع محصوله فيالسنة التالية الى

البرنامج اللبناني

يعتبر لبنان المنتج والمصدر الرئيسي - غير الشرعي طبعاً - للحشيش في منطقة الشرق.

ومنذ عرف الحشيش في لبنان (عام ١٩٣٦) وزراعته تتركز في قضاءي بعلبك والهرمل (شمال شرق البقاع) خصوصاً في جرودهما النائية. لكنها انتقلت في الستينات الى بعض مناطق سهل البقاع نفسه عندما ادرك المزارعون مقدار الارباح التي تؤمنها هذه الزراعة قياساً على ما تدره عليهم المحاصيل الاخرى، من حبوب وخضر وفاكهة.

ولم تتوافر يوماً احصاءات دقيقة عن المساحات المزروعة واحجام الانتاج، لكن المصادر الرسمية قدرت في العام ١٩٦٥ ان الحشيش زرع في ٦ آلاف هكتار خلال تلك السنة، وانه انتج نحو ٢٠٠ طن.

والمساحات كانت تتوسع، كذلك الانتاج يكبر، كلما ازداد الطلب على الحشيش في الاسواق المستهلكة خصوصاً في اوروبا الغربية واميركا الشمالية فضلا عن بعض دول الشرق.

وتبدو ارقام ١٩٦٥ مهمة لانه كان العام الاخير قبل ان تبدأ الحكومة اللبنانية في العام ١٩٦٦ خطة لمكافحة زراعة الحشيش بغير الوسائل الاكراهية التي استخدمتها سابقاً، وذلك عن طريق احلال "زراعات مفيدة" مكان الحشيش.

ووضع دوار الشمس في رأس قائمة الزراعات المفيدة واعد مشروع في هذا الشأن ينفذ خلال سبع سنوات يرمي الى احلال دوار الشمس مكان الحشيش ورفع المستوى الاجتماعي والثقافي والصحي لمزارعي الحشيش وعائلاتهم.

وقدرت تكاليف المشروع بـ٢٠ مليون دولار، تساهم الامم المتحدة في السنوات الثلاث الاولى بجزء من تكاليفه كما تزوده بفريق اداري - فني.

ولحظ المشروع مجموعة اغراءات للمزارعين. فالسلطة تقدم اليهم البذور والسماد مجاناً،

قرابة ٢٠ طناً. وفي استطاعة كل اسرة قبلية ان تعنى بزراعة هكتار من الارض بغراس البن، مما يتيح لها ان تستدر من هذا الموسم ما يعادل ١٨٧٠ دولاراً في السنة، باعتبار ان متوسط سعر الكيلوغرام الواحد هو ٣ دولارات. ثم ان زراعة البن لا تتطلب من القرويين جهداً وعناية الا في موسم القطاف، مما يوفر لهم الوقت الكافي لزراعة محاصيل اساسية اخرى كالرز.

وقد غرست في بداية الامر ٧٦ ألف شجيرة بن في القرى الرئيسية وملحقاتها، اضيف اليها ٢٥٠ ألف غرسة في العام ١٩٧٨، اي ان هناك الآن مجموعاً من ٣٢٦ الف شجيرة يتوقع ان يبلغ مجمل انتاجها عام ١٩٨٠ بين ١٦٠ طناً و٢٠٠ طن من البن.

لكن مشروع استبدال المحاصيل يشكو صعوبة النقل والمواصلات، إذ ان عدداً كبيراً من القرى القبلية تبعد عن اقرب طريق مسافة يوم مشياً على الاقدام، مما يستوجب نقل المحاصيل على الدواب او على ظهور سكان الجبال انفسهم مسافة كيلومترات عبر دروب وعرة وضيقة قبل بلوغ اقرب نقطة للتجميع.

وثمة صعوبة اخرى هي تسويق المحاصيل. وفي ما يختص بالفاكهة

وتسلفهم المبالغ اللازمة لدفع تكاليف حراثة الارض ونقبها، ثم تشتري الانتاج منهم بسعر تشجيعي (٥٠ قرشاً كحد ادنى للكيلوغرام). كذلك اعدت دراسات لتحويل نفايات بذور دوار الشمس الى زيوت واعلاف.

وبعد حملة اعلامية استمرت بضعة اشهر، بدأ التنفيذ.

والى دوار الشمس، وزعت السلطة خلال سنة واحدة، (١٩٦٦) ٣٠٠ الف غرسة مشمشاً. وزادت عدد الاطباء والاسرة في المستشفى الحكومي في بعلبك، وعينت طبيباً بيطرياً ومساعداً له في المنطقة.

كما شقت ٤٢ كيلومتراً طرقاً داخلية، واصلحت خطوط الهاتف وشبكة الكهرباء لنحو ٣٢ قرية.

وكان ١٩٦٦ عاماً تجريبياً بالنسبة الى دوار الشمس. وشملت هذه التجربة ١٤ قرية في القضاءين، انتج ١٧ فلاحاً فيها ٤٣ طناً من دوار الشمس. وما لبث عدد المستفيدين منه ان ارتفع عام ١٩٧١ الى نحو الف مزارع في ٤٣ قرية انتجوا ٢٦٠٠ طن.

وبدأ العمل حثيثاً لتنفيذ الخطوات الاخرى الملحوظة في المشروع خصوصاً زيادة مساحة الاراضي المروية والاستعمال الافضل للسماد من اجل زيادة الانتاج في الاراضي البعلية والمروية على السواء.

كذلك كان لا بد في هذه الفترة ايضاً من مباشرة تنفيذ المهمات التي اخذتها الامم المتحدة على عاتقها وهي: تطوير الموارد المائية وتحسين الاراضي واعادة التشجير، واقامة مراكز لتثقيف الفلاحين حول احدث الطرق الزراعية، وانشاء تعاونيات زراعية لتسهيل التوضيب والتخزين والتسويق، وتأهيل فريق زراعي لتحسين الري وجني الانتاج.

ولقد عطلت الاحداث التي عصفت بلبنان منذ العام ١٩٧٥ امكانات توسيع نطاق المشروع وتحسين اوضاع المزارعين وزيادة السعر التشجيعي لدوار الشمس، الا ان ذلك لم يمنع السلطة من تجريد حملة على منطقة بعلبك ـ الهرمل في العام ١٩٧٧ لمكافحة نبتة الخشخاش التي يستخرج منها الافيون.

والخضر، فالاسواق المحلية لم تألف بيعها بعد، ولا بد بالتالي من تنشيط الاقبال عليها. وهي مسألة قد تتطلب بعض الوقت للتغلب على التقاليد والعادات.

ولا يجوز للمرء ان يتوقع المعجزات بين ليلة وضحاها. فأشجار الفاكهة تستغرق بضع سنوات قبل ان تؤتي ثمارها، كما ان شجيرات البن لا تنتج كميات تجارية الا بعد سنوات من غرسها. ومع ذلك، فقد اصبحت فكرة التغيير تجوب المنطقة، اذ تقلصت زراعة الخشخاش في شمال تايلاند الى الثلث، بل ربما الى النصف، بفضل مشروع الحكومة وبرنامج الامم المتحدة الخاص بسوء استعمال المخدرات. واختفى زهر الخشخاش كلياً في عدد من القرى. ولم يبق في قرية ماي ساماي سوى عائلتين تتعاطيان زراعة الخشخاش لاستعمالهما الخاص.

وسرت بشرى المحاصيل الجديدة واحدثت تأثيرها في المناطق القصية. واخذ القبليون يفدون الى كيانغماي للاستعلام عن المحاصيل المربحة مثل البن والفاصوليا. واذا ما راجت زراعة هذه المحاصيل في تايلاند نفسها، فانها ولا ريب ستمتد الى لاوس وبورما حيث باشر برنامج الامم المتحدة الخاص بسوء استعمال

المخدرات مشروعاً مماثلا رصد له ستة ملايين دولار.

وبعدما كانت الحكومة التايلاندية تنزع الى القول بأن تجارة المخدرات ليست الا "مشكلة غربية"، اصبحت تتخذ الآن موقفاً حازماً من هذا الامر. فهي اختارت عام ١٩٧٦ صفوة من الموظفين ورجال الامن، وعينتهم في مجلس مستقل للحد من تجارة المخدرات. ويرئس هذا المجلس رئيس الوزراء نفسه. وهو يضم اربع لجان فرعية تتفرغ احداها لمعالجة مسائل استبدال المحاصيل.

ويقول رئيس الوزراء التايلاندي كريانغساك شومانان: "تتزعم تايلاند اليوم محاولات القضاء على انتاج الافيون وتدفقه الى الاسواق العالمية. واني اناشد البلدان الاخرى التي تضنيها هذه المشكلة ان تساعدنا، لا في القضاء على تجارة الهيرويين فحسب، وانما في اتخاذ الاجراءات الوقائية كذلك".

إن تايلاند، بفضل جهود ابنائها، انطلاقاً من مليكهم، أصبحت مثلا يحتذي به العالم.

■ وليم وارن



ثرثة النساء

ليس هناك انسان كامل، خصوصا حين تدور الاقاويل بين امرأتين.

صحيفة "ايفننغ نيوز"، ادنبره

صيت هوليوود

في مكتبة صغيرة في قرية علقت اللافتة الآتية: "اقرأ رواية جيدة قبل ان تخربها هوليوود".

ا. و.

كيف تصير اباً؟

كتب احدهم في مذكراته: "ظللت وزوجتي نصلي كل مساء لكي نرزق اطفالا، حتى اكتشفنا ان انجابهم لا يتم بهذه الطريقة. ومذ ذاك صار لدينا خمسة اطفال".

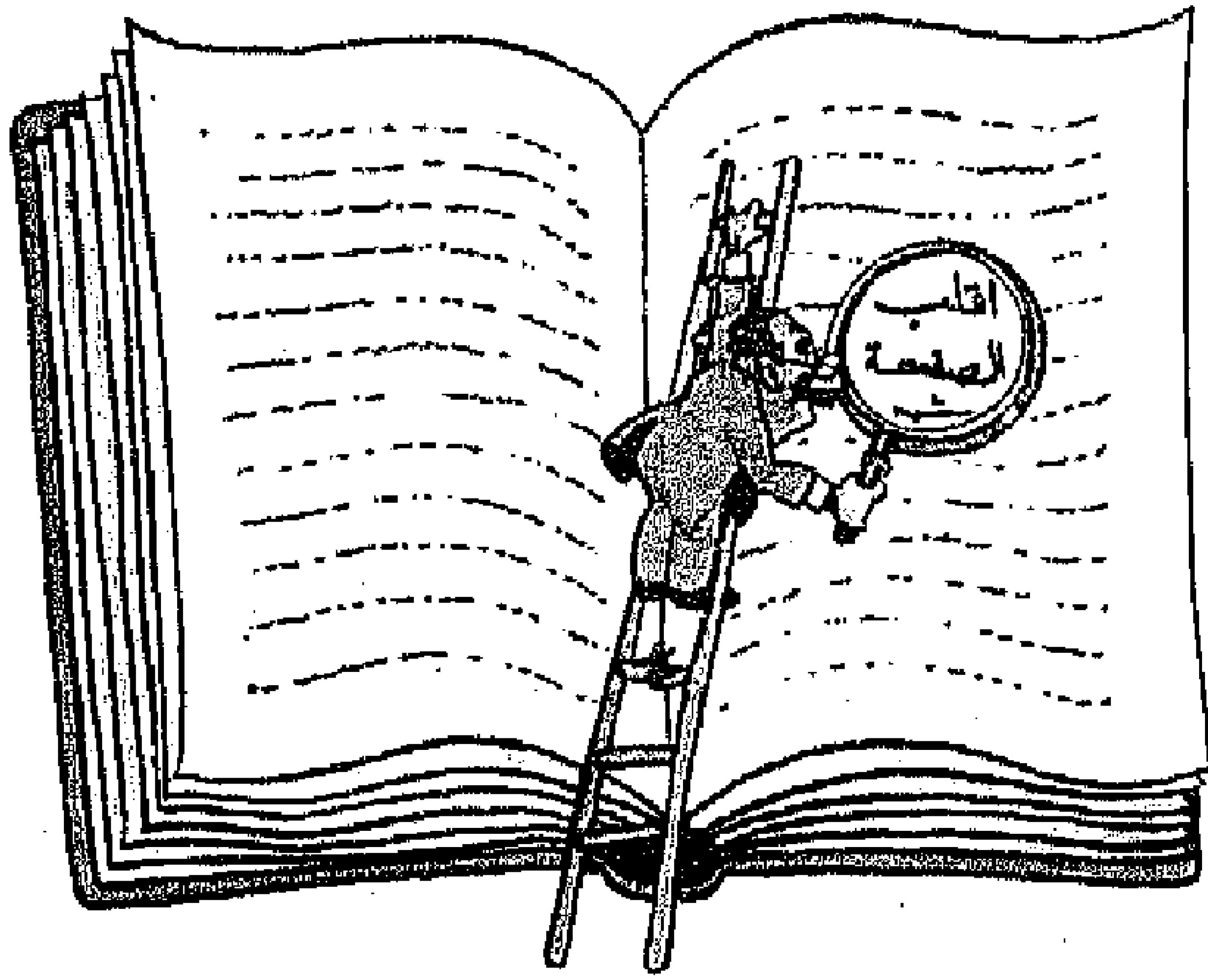
م. س. ف.

سياسة صينية

قاربت الطائرة السوفييتية الهبوط في مطار بكين، فوجهت المضيفة التعليمات المعتادة: "اننا نحط على ارض الصين، فالرجاء شد الاحزمة". وهنا قاطعها شاب صيني بغضب: "الرجاء الا تتحدثي في المواضيع السياسية".

مجلة "اوروبا الشرقية"

دائرة المعارف



كلمات الدائرة في هذا العدد أفعال رباعية.

وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المرادف أو المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

١ • **هيمن**: ظلم - استولى - راقب وحفظ - تكبَّر.

٢ • **اكفهرَّ**: عبس - كفر - بطش - ارتعد.

٣ • **تبهرج**: ابتهج - تبذتر - بَهَرَ - زيَّف.

٤ • **دندن**: نغَّم - ضجَّ - وشَى - كذب.

٥ • **تلعثم**: عجز عن النطق - غصَّ - تعثَّر - تأنَّى.

٦ • **هرول**: ركض - هرب - أسرع - ترنَّح.

٧ • **تنحنح**: سعل - تمايل - اشتكى - تردَّد صوتُه في جوفه.

٨ • **اشمأزَّ**: عبس - بكى - شتم - نفر.

٩ • **برهن**: أجاب - نفى - بيَّن - اعترض.

١٠ • **عربن**: دفع سَلَفاً - شهد - اعترض - أفصح.

١١ • **تمنطق**: ارتبك - لبس - تسلَّح - تسلَّق.

١٢ • **اقشعرَّ**: تلاشى - اذتنق - ارتعد - غضب.

١٣ • **جمجم**: اغتاظ - تمتم - تألَّم - غصَّ.

١٤ • **عَنْدَلَ**: صوَّت - ضحك - تدلَّل - ناح.

١٥ • **اشرأبَّ**: أشار بيده - ضرب - فاز - مدَّ عنقه.

١٦ • **وَسْوَسَ**: صفَرَ - أصيب في عقله - ضجَّ - كذب.

١٧ • **بعثر**: وقع - فرَّق - أهلك - أضاع.

١٨ • **تسربل**: ارتبك - أساء الظنَّ - سقط أرضاً - لبس.

١٩ • **اشمخرَّ**: كسر - شمخ - هوى - صوَّت من أنفه.

٢٠ • **حشرج**: سال دمه - مات - تردَّد صوته في حلقه - تنفَّس.

٢١ • **تجلبب**: لبس - تعطَّر - تضرَّع - تفوَّه.

٢٢ • **عربد**: ساءَ خُلقه وآذى - سَكِرَ - تشاجر - صاح.

٢٣ • **تفندر**: ركض - غنَّى - مشى متبذتراً - ضاع.

٢٤ • **تململ**: أسرع - وقع - ارتبك - تقلَّب.

٢٥ • **عرقل**: شوَّش - ركل - قلب - رفض.

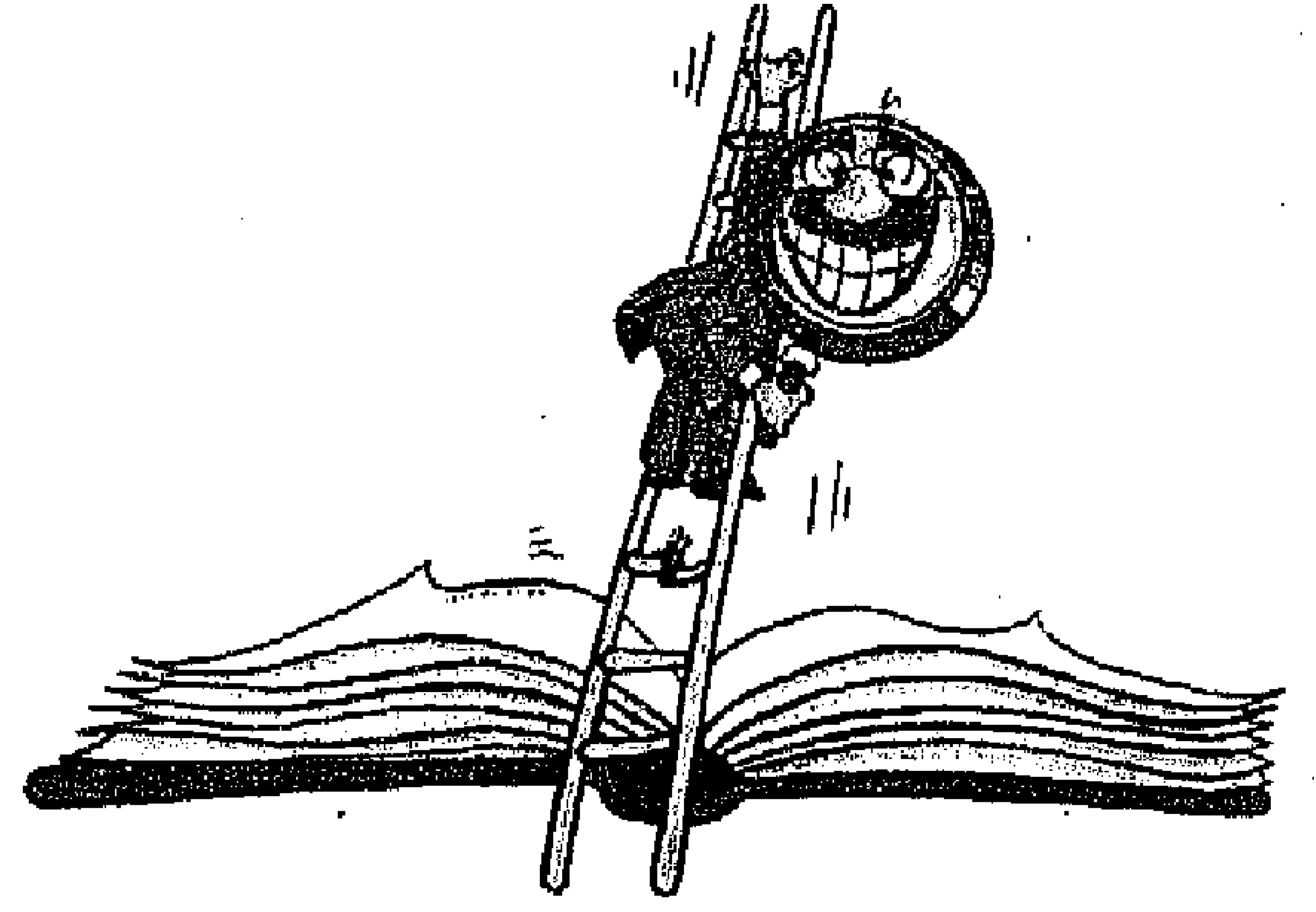
٢٦ • **تغطرس**: شتم - تبذتر - أخذ الشيء بالعنف - سَمِنَ.

٢٧ • **غربل**: طحن - دقَّ - جمع - نذل.

٢٨ • **زخرف**: كتب - ملأ - زيَّن - صنع الذزف.

٢٩ • **جندل**: جَدَلَ - طعن - صرع - تجنَّد.

٣٠ • **تجمهر**: اجتمع - تشاجر - اكتظَّ - احتجَّ.



الأجوبة الصحيحة

١. **هيمن:** صار رقيباً وحافظاً. قال آمين. المهيمِن والمهيمَن: من أسماء الله تعالى، بمعنى المؤمن والأمين والمؤتمَن والشاهد والقائم على خَلْقه بأعمالهم وأرزاقهم وآجالهم.

٢. **اكفهرّ:** عبس. اكفهرّ الليل: تراكم واشتدّ ظلامه.

٣. **تبهرج:** تبذتر كبراً. تبهرجت المرأة: تزيّنت وأظهرت جمالها.

٤. **دندن:** نغّم ولم يُفْهَم منه كلام.

٥. **تلعثم:** تأنّى وتلكّأ وتوقّف في الامر. لعثم لسانه: حبسه.

٦. **هرول:** اسرع في مشيه. الهَروَلة: بين العَدو والمشي.

٧. **تنحنح:** تردّد صوته في جوفه.

٨. **اشمأزّ:** نفر كراهةً وانقبض.

٩. **برهن** الشيء وعليه وعنه: بيّنه بالحجة والدليل.

١٠. **عربن:** أعطى العَربون، أي بعض الثمن المدفوع مقدّماً عند البيع أو قبله.

١١. **تمنطق:** لبس المنطقة شادّاً بها وسطه. وقد تعني تعاطى علم المنطق: "من تمنطق فقد تزندق".

١٢. **اقشعرّ:** ارتعد. القُشَعْريرة: برد خفيف يسبق نوبة الحمّى.

١٣. **جمجم:** تمتم الكلام ولم يبيّنه. جمجم الامر: أخفاه في صدره.

١٤. **عندل:** صوّت (الهزار).

١٥. **اشرأبّ:** مدّ عنقه لينظر. ارتفع.

١٦. **وسوس:** أصيب في عقله وتكلم بغير نظام واعترته الاوهام والهواجس. تكلم بكلام خفيّ.

١٧. **بعثر:** فرّق وبدّد. بعثر الشيء المخبوء: استخرجه فكشفه وأثار ما فيه.

١٨. **تسربل:** لبس السربال، أي القميص أو الدرع أو كلّ ما يُلبس.

١٩. **اشمخرّ:** شمخ. ارتفع كثيرا. تكبّر.

٢٠. **حشرج:** تردّد صوته في حلقه وغرغر عند الموت.

٢١. **تجلبب:** لبس الجلباب، وهو قميص أو ثوب واسع.

٢٢. **عربد:** ساءَ السكرانُ خُلُقاً وآذى.

٢٣. **تغندر:** مشى الغندرة، وهي مشية فيها تبختر وخُيَلاء.

٢٤. **تململ:** تقلّب مرضاً أو غماً.

٢٥. **عرقل:** شوّش وصعّب.

٢٦. **تغطرس:** تبختر. غطرس: اعجب بنفسه وتطاول على أقرانه. الغِطْرِس والغِطْرِيس: الظالم المتكبّر.

٢٧. **غربل:** نخَل الدقيق وغيْرَه.

٢٨. **زخرف:** زيّن وحسّن وكمّل. زخرفَ الكلام: حسّنه بترقيش الكذب.

٢٩. **جندل:** صرع الى الارض.

٣٠. **تجمهر:** اجتمع القوم جمهوراً.

المستوى

٢٥ – ٣٠: ممتاز
١٩ – ٢٤: جيد
١٣ – ١٨: مقبول

لقد ألهمت هذه الغابات الساحرة عدداً كبيراً من الفنانين والعلماء والعشّاق. وقيل ان المرء يحتاج الى اكثر من حياة واحدة ليكتشفها ويتذوقها

ليالي الأُنس في ڤيينّا

تزهو مدينة نيويورك بحديقتها العامة المعروفة باسم سنترال بارك، وتحلي باريس جيدها بقلادتها الشهيرة غابة بولونيا. الا أن مدينة فيينا وحدها، بين عواصم العالم، هي التي أنعم الله عليها بالفينرفالد، وهي غابات تفترش ١٢٥٠ كيلومترا مربعا من الخضرة وتنتشر فيها القرى ومزارع الكروم، الى الغرب من المدينة، فتهيىء لسكانها، البالغ عددهم مليونا ونصف مليون، متعة لا تقدر، في مقابل ثمن بخس لا يتجاوز ثمن تذكرة قطار. تلك الغابات هي الدافع الرئيسي الذي يحملنا، انا واسرتي، على السكن في فيينا.

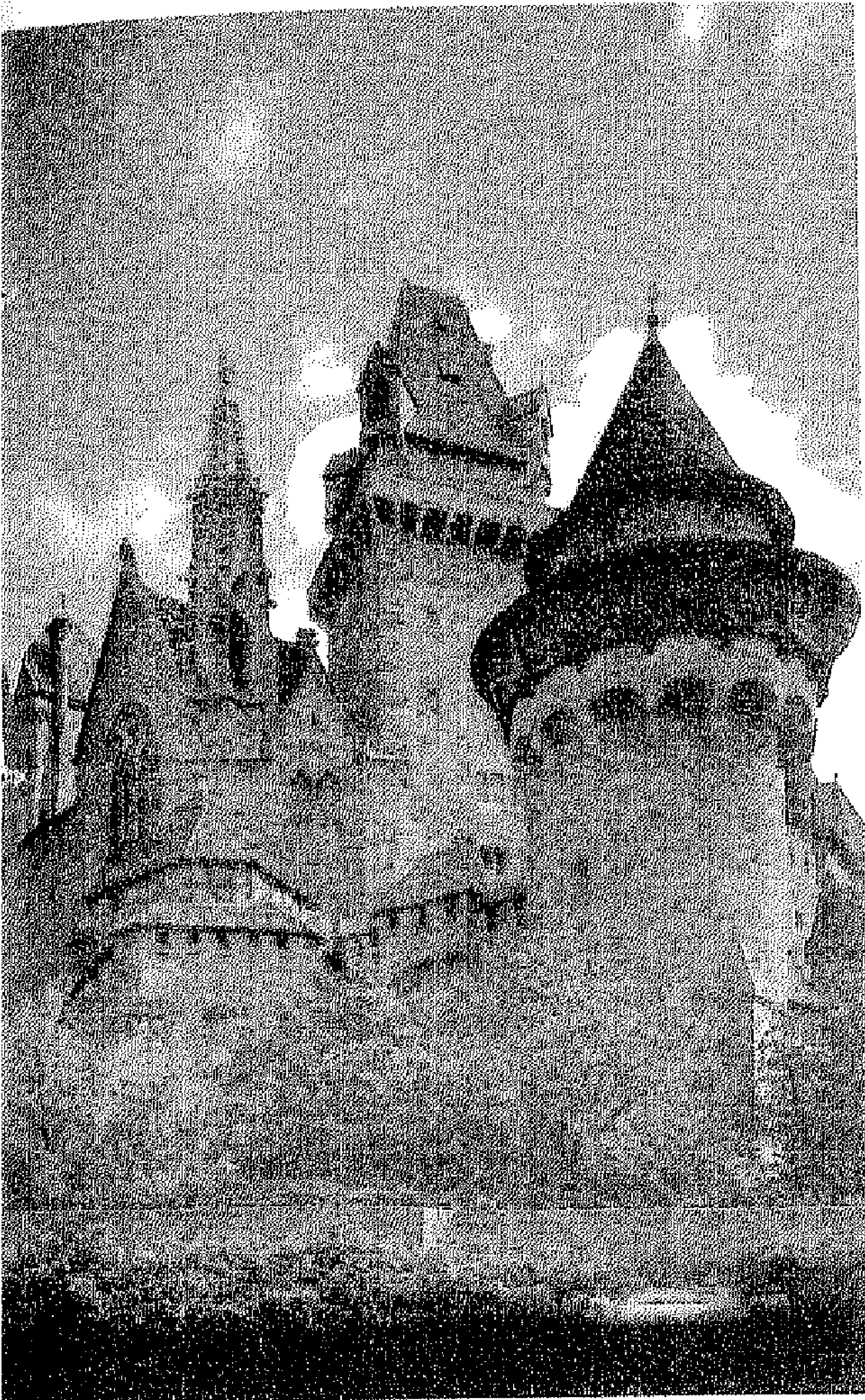
حامد هي عبدالمتحيرخن

والفينرفالد ليست وحدة جغرافية رسمية، بل مجرد رقعة من الارض يحدد أبعادها التراث الشعبي. ويحدها من الشمال الغربي سهل تولن ونهر برشلينغ، وهو أحد فروع نهر الدانوب، ومن الجنوب الشرقي سهل منبسط يعرف باسم فينر بيكن، كما يحدها جنوبا نهر تريستينغ. ومن الناحية الجيولوجية، يشبه الجنوب الغربي جبال الألب الطبشورية حيث تنتشر أشجار الصنوبر وأشجار البيسيه (من الفصيلة الصنوبرية). أما في ما عدا ذلك، فتسود تربة من الحجر الرملي تزدهر فيها خصوصا الاشجار ذات الاوراق العريضة، وجلها من الزان والبلوط.

ونظرا الى أن المسؤولية عن غابات فيينا ليست محصورة في دائرة حكومية واحدة، فاننا نفتقر الى احصاء لما فيها من حيوان ونبات. وقد حاولت ذات مرة أن استخلص من أحد المسؤولين عن الغابات رقما محددا، فلم أفز منه الا بابتسامة وهزة من الكتفين. وبعد الحاح مني أجاب: "انت تعرف المثل القائل: اذا بدأت تعد الاشجار، فانك لن تعود ترى الغابة!".

والحقيقة انهم أحرياء بأن يغيب عنهم مرأى المروج التي لا تحد بما فيها من زهر لا يحصى، وقلاع وأديرة لكل منها تاريخ ضارب في القدم لكنه في أغلب الاحيان محير، وفراشات كفراشة فيينا الامبراطورية، أكبر الفراشات الاوروبية حجما، وممرات لا تخلو من هواة التنزه على الاقدام او العدو الوئيد.

وأينما وجدت نفسك في غابات



قلعة كرويتزنشتاين

فيينا هذه، فلا يمكن أن تكون على بعد أكثر من ساعة عن نزل تديره عائلة يمكنك أن تستمتع بالجلوس الى احدى موائده، بينما تقوم فتاة ريفية مرتدية الدرندل، وهو زي محلّي، بخدمتك، فتضع امامك صحافا من اللحم والزلابية وكروكيت البطاطس باللوز والتوت البري، مع أقداح من الجعة النمسوية الفاخرة. كما تضم الغابات عددا من أكثر الحانات الريفية في اوروبا أناقة وجواً حالماً. وحانة كرينرهوت واحدة من تلك، وهي في واد سحري صغير لا

يعرفه كثيرون، اسمه وادي هيليننتال. وهذا الوادي، الذي لا يزال متنزها للعشاق، هو الذي أوحى بتلك الاغنية العاطفية من أغاني فيينا الشهيرة عن "المعبر الصغير في وادي هيليننتال".

دروب العشّاق ـ في تلك البقعة من الغابات تضيق الدروب حتى لا تتسع الا للمحبين يسيرون فيها متلاصقين. وما أكثر قصص الحب التي يزخر بها تاريخ غابات فيينا. ولعل أشهرها تلك الحكاية التي انتهت نهاية فاجعة في مكان غير بعيد عن حانة كرينزهوت يعرف باسم مايرلنغ، كان منزل صيد لآل هابسبورغ وهو الان دير للرهبان الكرمليين. وقد حوّل المخدع الذي عثر فيه على ولي عهد النمسا آنئذ، الامير رودولف، وعشيقته التي لم تكن بلغت العشرين من العمر، البارونة ماري فيتسيرا، ميتين بالرصاص، يوم ٣٠ يناير (كانون الثاني) ١٨٨٩، فبات الان كنيسة شيدت على الطراز القوطي المحدث. وفي تلك الكنيسة تواصل الراهبات صلاتهن، ملتزمات بقسم الصمت، بينما المرشدون السياحيون يوشّون غوامض فاجعة مايرلنغ.

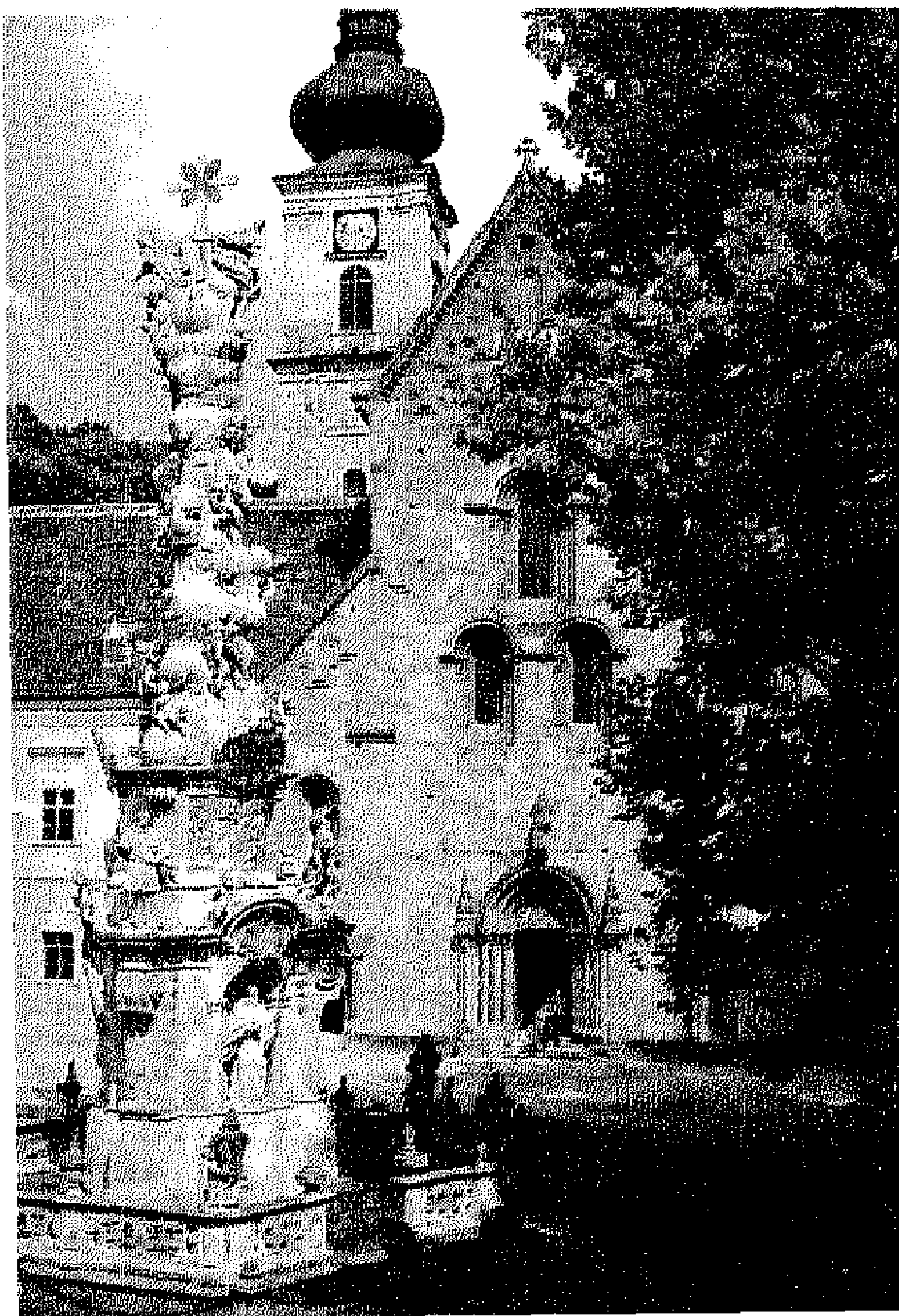
الا ان غابات فيينا ليست مجرد مكان للعشق وتمضية أوقات الفراغ. فهي تضم أكثر من خمسين مجمعا سكنيا يتفاوت حجمها من المناسك الشعرية الصغيرة، مثل كيركشنيتن (٣٠٠ نسمة)، الى المباني الكبيرة مثل منتجع بادن بيي فين (٢٥ الف نسمة). ويبلغ عدد سكان المجمعات قرابة ٢٠٠ الف نسمة. ومن سكان فينرفالد المرموقين الاستاذ كونراد لورنز، الحائز جائزة نوبل والبالغ من العمر ٧٦ عاما. وهو عالم أنجز دراسات حول سلوك الانسان والحيوان تُعَدّ من روائع العلم الباقية. ويعيش الاستاذ لورنز ويعمل في قرية ألتنبيرغ - آن - در - دوناو في غابات فيينا. وقد قال لي لورنز، الحجة في علم الاحياء الذي تجعله هالة شعره الابيض أشبه بأسد عجوز: "ان غابات فيينا هي التي جعلت مني عالم بيولوجيا، حتى قبل دخولي المدرسة. وأول حيوان درسته كان السمندل الذي يسكن هذه الغابات".

ولعل كثيرين يعرفون غابات فيينا بفضل مقطوعة موسيقى الفالس الشهيرة التي وضعها يوهان شتراوس بعنوان "حكايات من غابات فيينا". غير ان آهالي فيينا يرون أن الرابطة بين غاباتهم والموسيقيَّيْن بيتهوفن وشوبرت أقوى وأهم من تلك الرابطة بالموسيقي يوهان شتراوس. فالمعروف أن بيتهوفن قضى ١٥ صيفا في بادن، جنوب الغابات، حيث كتب جزءا من قطعته "ميسا سولمنيس" ومعظم سيمفونيته التاسعة. وكان الموسيقي العظيم يحب الاختفاء بين أشجار غابات فيينا لفترات كانت تطول أحياناً الى أيام بأكملها، متجولا حيث قادته قدماه، بوجه غير حليق وشعر منفوش، حتى أخطأته الشرطة يوما فحسبته متشرداً. وعندما ألقي القبض عليه قال انه الموسيقي لودفيغ فان بيتهوفن، فألقت به الشرطة في السجن باعتباره مجنونا، ولم ينقذه من تلك الورطة الا زميل شهد بأنه فعلا الموسيقي الاشهر بيتهوفن.

عابد بيلشتاين

دير هيليغنكرويتز للراهبات

الطاحونة المطعم في هولدريخشمول





وفي العام ١٩٧٧، حين احتفل بالذكرى المئة والخمسين لوفاته، نظمت جولات سياحية الى معظم الاماكن التي طرقتها قدما الموسيقي الكبير أو كانت له علاقة بها. الا أني وأسرتي نعتز بما نسميه "طريق بيتهوفن" الخاص بنا، وهو ممشى يبدأ بالقرب من نهر الدانوب في هايليغنشتات وينساب في الغابات محاذياً نهر شرايبرباخ. ويقال ان تلك الدرب ألهمت بيتهوفن بألحان سيمفونيته الرعوية (السادسة).

ومن هناك تأخذنا درب أخرى الى موقع جميل آخر، هو تل يرتفع ٤٨٤ متراً ويعرف اليوم باسم كاهلنبرغ، ثم الى تل آخر يرتفع ٤٢٥ مترا ويعرف باسم ليوبولد سبيرغ. وقد كتب المؤلف المسرحي فرانتز غريلبارزر عن تأثير المنظر الطبيعي الأخاذ لتلك المنطقة من الغابات في نفسه، فقال: "اذا رأيت ذلك المنظر من قمة احدى تلك التلال، فستفهم فورا ما أنا وتفهم ما أكتب".

ينابيع الالهام – في هينتربرول، وهو وادٍ في الجزء الجنوبي من غابات فيينا، وجد فرانتز شوبرت، كما وجد بيتهوفن، ينابيع الهامه، وهو ما يتضح أثره لدى شوبرت، خصوصا في مجموعتيه الغنائيتين "الفتاة الجميلة عند الطاحونة" و"رحلة الشتاء". ويقال ان أحد المشاهد التي تصفها أغنيته البادئة ببيت من الشعر يتحدث عن "موقع عند البئر بالقرب من بوابة تعربش فوقها شجرة زيزفون"، انما هو صورة للبقعة المعروفة باسم هولدريخشمول. وقد تحولت الطاحونة الكبيرة الان الى نزل من ١٦ حجرة ومطعم طارت شهرته في كل أنحاء فيينا والنمسا السفلى، لا بفضل زخرفاته التي تذكر المرء بالموسيقي شوبرت فحسب، بل بالطيبات التي يخرجها مطبخ السيد ارنست موزر وزوجته كذلك. ومن تلك الطيبات أطباق من سمك السلمون المنقط الطازج وطبق آخر تعتبره أسرتي من أفخر ما أنتجته غابات فيينا، وهو طبق من الحلوى يصنع بالجبن الحلوم ويقدم عادة ساخنا مع سائل الفانيليا، ويعرف باسم ميلخرامشترودل. وعندي أن ذلك الصنف من الحلوى، في ختام وجبة من طيبات مطعم هولدريخشمول، يعتبر خير تتمة للسيمفونية، فلا تظل ناقصة.

اننا نحب أن نجعل من هولدريخشمول نقطة ارتكاز لنا لانه على مسافة يمكن أن نقطعها سيرا على الاقدام الى بحيرة سيغروت التي تبلغ مساحتها ٦٢٠٠ متر مربع، وهي أكبر بحيرة جوفية في اوروبا. وقد كانت تلك البحيرة أصلا منجما يستخرج منه الجص، ثم غمرها الماء عام ١٩١٢، وجففها الالمان عام ١٩٤٤ واستخدموها موقعا آمنا تحت الارض لاحد مصانعهم. لكنها عادت فأصبحت بحيرة داخلية باردة الجو، يبلغ عمق الماء في أماكن منها ١٢ مترا، ويمكن المرء ان يستمتع بنزهة بحرية على سطحها تدوم ٤٥ دقيقة.

وعلى مقربة من مطعم هولدريخشمول يقوم ايضا مقر أمير ليختنشتاين في النمسا السفلى، وهو احد ثلاثة قصور لا يزال يحتفظ بها في بلاده. كما تقوم حديقة سبارباخ

العامة، وهي احدى منطقتين حظر الصيد فيهما حماية لحيوانات غابات فيينا من الانقراض. أما المنطقة الاخرى والاكثر شهرة فهي حديقة لينزر للغزلان. وكانت سابقا أرضا للصيد تخص أباطرة آل هابسبورغ، الى أن قضت الحرب العالمية الاولى على النظام الملكي. وتجتذب حديقة الغزلان هذه،التيباتت منطقة تابعة لمدينة فيينا يحرم الصيد فيها، ما لا يقل عن نصف مليون زائر كل عام.

وابان المجاعة التي عانتها النمسا في أعقاب الحرب العالمية الثانية، تكاثر لصوص الصيد على الحديقة حتى كادوا أن يقضوا على كل ما فيها من حيوانات برية. لكن حيواناتها، كالغزال والمفلون والخنزير البري، عادت وتكاثرت من جديد.

حلم ليلة صيف — في اعماق حديقة الغزلان هذه، يقوم بناء لا سبيل الى وصفه الا بأنه حلم ليلة صيف، ويعرف باسم فيلا هرمز. وهو كان في وقت ما منزلا ملكيا أحبته كثيرا الامبراطورة اليزابيت، زوجة الامبراطور فرانتز جوزف، واعتبرته ملاذا ريفيا مريحا كانت تعتزل فيه أحيانا. واسطبلات ذلك البيت هي اليوم مصيف تقضي فيه أجازاتها جياد فيينا البيضاء المعروفة باسم "ليبيتزانرز".

وفي ركن آخر من أركان غابات فيينا، في فيلا "بل فو" (المنظر الجميل)، كان سيغموند فرويد يقضي اجازاته. وقد كتب المحلل النفسي العظيم عن ذلك البيت، في رسالة مؤرخة ١٢ يونيو (حزيران) عام ١٩٠٠، الى صفيه ومعاونه عالم الفيزيولوجيا فيلهلم فليس، ما يأتي: "هل تعتقد أنه سيأتي يوم يوضع لوح رخام على أحد جدران هذا البيت، تحفر عليه هذه الكلمات: "في هذا البيت تكشّف سر الاحلام للدكتور سيغموند فرويد، يوم ٢٤ يوليو (تموز) ١٨٩٥"؟ أنا، في هذه اللحظة، لا أرى املا كبيرا في ذلك". وقد كان فرويد على حق. فقد انقضت السنوات من ١٨٩٥ الى ١٩٧٧ قبل أن يخطر لاهالي فيينا أن يقيموا في تلك البقعة نصباً يخلّد ذكرى فرويد.

والنمسويون لا يتعجلون أبدا. وحتى أشد دروب غابات فيينا حفزا للسائر على التمهل تكثر فيها المواقع المخصصة للراحة. فضلا عن الحانات التي تتدلى فوق ابوابها حزم متأنقة من اوراق الصنوبر ترحيبا بروادها.

فلا غرو ان عاد المرء من جولة بين تلك الحانات منتشيا، يكاد لا يعجب لماذا تعتبر تلك الحال من البهجة والمودة والوئام المستعصية على التعريف، التي تعبر عنها لفظة المانية (Gemütlichkeit) تسربت الىكثير من معاجماللغات الاخرى، وصفاً نموذجياً للتعبير عن فيينا.

والحق ان أحدا لم يعبر عن ذلك بأفضل مما عبر عنه سائح مجري كان يقوم برحلة على القدمين التقيته خارجا من غابات فيينا، فقال: "هذه هي الطبيعة في أجمل صورها. أليس كذلك؟ ان المرء لفي حاجة الى حيوات طويلة حتى يكتشف كل ما فيها. لكنك كلما أطلت البقاء في هذه الغابات، طال عمرك كما أعتقد".

■ الان لافي

رحلات كاثي باسفيك
إلى الشرق الأقصى

رحلات من القلب إلى القلب، لأكثر مناطق آسيا سحراً وروعة





CX53

بانكوك/سنغافورة/هونغ كونغ

١٠٤٠ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٢ ليلة .. رحلة اسبوعين من اللهو والمرح في ثلاث مدن آسيوية مشهورة .. للتسوق والسياحة والليالي الساهرة ..

بانكوك/بتايا

٧٠٤ دولار أمريكي

٧ أيام و٦ ليالي بين روعة وهيبة معابد بانكوك المشهورة .. وسوقها الاسطوري العائم .. وهدوء الطبيعة الساحرة في مصيف بتايا، أشهر مصايف تايلاند الساحلية ..

بانكوك/مانيلا/هونغ كونغ

١٠٤٥ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٢ ليلة .. إن بانكوك وهونغ كونغ مكانان لابد لكل سائح من زيارتهما إلا أن هذه الرحلة تشمل أيضاً مباهج مانيلا حيث يجد الزائر متعة في شراء الهدايا بالثمن الذي يناسبه، وحيث يستقبله الناس بكل بشاشة ومودة كما أن الانطلاق منها في جولات خلوية في الارياف يزيد من قيمة وروعة هذه الرحلة.

ستجد وأنت على متن طائراتنا في كل هذه الرحلات كل ترحيب وعناية وستحيطك مضيفاتنا المتعددات الجنسية واللواتي يأتين من ٩ أقطار مختلفة، بكل رعاية وبخدمة لا يقدمها غيرهن.

من صميم آسيا.

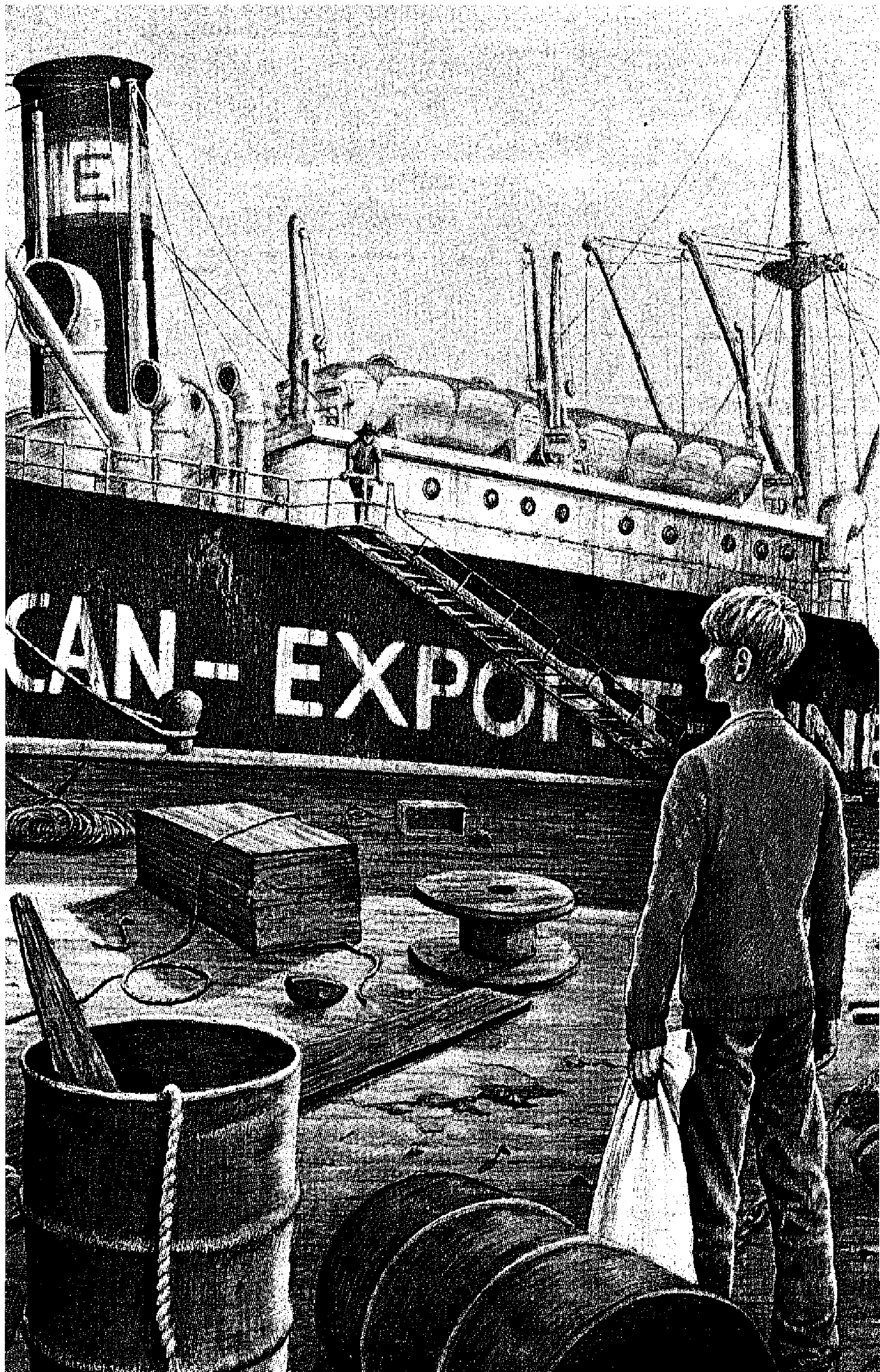


Hong Kong's discovery airline
CATHAY PACIFIC
The Swire Group



يمكنكم مراجعة الاسعار والحصول على كتيب الرحلات من اقرب مكتب لشركة طيران كاثي باسفيك

البحرين ٢٥٨٨٥٠ - الخبر ٨٦٤٢٧٢٧ - جدة ٤٦٢٢٥ - الرياض ٤٦٤٥٦٦١/ ٩٦٥٠٤١٢ - الكويت ٤٧٢١٠٦ - الدوحة ٢٢٠١٨٢ - ابوظبي ٣٢٢٢١٠ - دبي ٢٢٤١٥٦ - مسقط ٧٠٢٩٥٢ - بيروت ٢٦١٢٣٠ - دمشق ٢٢٨١٥٥ - عمان ٢٤٢٦٣ - القاهرة ٤٣٣٢٦


CAN- EXPO

البحّار الصغير

حنين خفي الى المغامرة يراود مخيلة كل صبي

يحمل الفتى في طويته رجلا يتوق الى الانفلات. وفي طوية كل رجل فتى يستعيد الذكريات الحلوة المرة لتلك المحاولات التي اوشكت ان تحقق احلامه. اما حلمي انا فكان ان اتعقب المغامرة، فرحت اطلبها في عباب البحر. وكنت آنذاك في الخامسة عشرة من عمري.

حفلت ميناء نيويورك في الثلاثينات بالسفن من امهات البواخر النظامية مثل "اكويتانيا" و"موريتانيا" و"إيل دو فرانس" التي شمخت ابراجها فوق الارصفة، وسفن الشحن التي ارهقها البحر، ومراكب الرحلات والمهرجانات، وزوارق القطر التي تذرع نهر هدسون جيئة وذهاباً.

وفي ايام الربيع كنت واصدقائي نقصد الهضبة المطلة على النهر، ونستلقي هناك عند الاصيل نراقب السفن العابرة ونتجاذب اطراف الحديث. فنخطط للابحار الى الكونغو او الى مالابار في الهند حيث كنا نمني النفس باقتلاع حجار الماس من عيون الاصنام.

وتعاهدنا على الابحار سوية، لكن العطلة المدرسية ادت الى انفراط عقدنا. فسافر بيل لقضاء الاجازة بصحبة والدته، وذهب هاري وشارلي الى المخيم الكشفي، وبقيت وحدي مع احلامي. وكثيراً ما كنت اعود من مطارح خيالي محملا بالجواهر والقصص الغريبة. وفي بعض احلام يقظتي كنت ارى السفينة تغرق بي او اشاهد نفسي وقد انزلقت عن متنها وسقطت الى الاعماق، ثم اعود الى السطح لارى والدتي تشبك يديها توجعاً ويأساً.

وذات يوم ارتديت ملابس البحر: سترة من الصوف الغليظ وحذاء من المطاط، وسروالا بحرياً. وقصدت

الميناء بحثاً عن عمل لي. وبدت لي السفن عن كثب اضخم مما عرفتها عندما كنت أعاينها من الهضبة.

وسألني احد رجال الشرطة بعطف: "اضائع انت يا بني؟" فأومأت برأسي نفياً، ثم سألني مجدداً: "عسى انك لا تفكر في الاستخفاء على متن احدى السفن". فهززت رأسي نفياً مرة اخرى، لكنه نهرني قائلا: "اذاً، هيا تحرك من هنا".

والحق اني ما كنت لاعود الى البحر ابداً لو لم يهدني صديق الى احد معارفه من ربابنة الميناء، وقال لي هذا: "انك محظوظ، لقد اعتزمت شركة خطوط التصدير الامريكية اعادة تشغيل احدى سفنها بين مدينة جيرسي (ولاية نيوجرسي الامريكية) وشمال افريقيا، اذهب الى حوض فليتشر الجاف في مدينة هوبوكن (المجاورة لمدينة جيرسي والتي يفصلها نهر هدسون عن مدينة نيويورك) وسلم هذه المذكرة الى السيد مارتينيز، كبير المضيفين في السفينة "ايكزامينر"، فسوف يوظفك".

الموت قبل العار – لم يكن حوض فليتشر الجاف سوى شبكة ضخمة من الحبال وصناديق التعبئة واكوام الخشب. ولمحت عند طرفه الاقصى ما بدا سفينة مهجورة، قرأت على مقدمها اسم "ايكزامينر" الذي كاد يكون ممحياً. ولم ار احداً على متن السفينة، بل باباً مفتوحاً في وسطها. ودخلت لاجد السيد مارتينيز رجلا متجعد الوجه، ذا لحية لم تحلق منذ ايام.

وقرأ مارتينيز المذكرة ثم نظر الي وسألني وهو يحدق بي: "كم عمرك؟"

فأجبته كاذباً: "ثمانية عشر عاماً".

– تبدو صغيراً جداً بالنسبة الى هذه السن.

"اني من عائلة افرادها صغار الجسم".

فتنهد السيد مارتينيز وقال: "تعال كي اريك قاعة الطعام".

كانت القاعة ضيقة ومزدحمة بطاولة قائمة بين مقعدين خشبيين متواجهين، مثبتين الى ارض الغرفة، وفي احدى الزوايا مغسلة مكسوة بالصفيح وقد تكدست الصحون الوسخة فوقها على رفوف مكشوفة. وقال لي مارتينيز: "اغسل هذه الصحون ثم رتبها".

وفي اصيل ذلك اليوم جاء رجل ناحل طويل القامة، يعتمر قبعة رعاة البقر وينتعل حذاء عالي الكعبين، وكان كُما قميصه مقصوصين، وقد وشمت ذراعاه بالثعابين المتلوية وبقلب تخترقه مدية كتبت تحتها العبارة الآتية: "الموت قبل العار". ومد الرجل يده الي مصافحاً، ورفع قبعته بيده الاخرى معرفاً بنفسه: "انا تيكس الخباز ومساعد الطاهي".

وبعيد الساعة السادسة من مساء ذلك اليوم اقبل السيد مارتينيز الى قاعة الطعام، وقال لي ان عملي لذلك النهار قد انتهى وان في استطاعتي اما البقاء على متن السفينة وإما مغادرتها على ان اعود في السادسة من صباح اليوم التالي.

عدت الى البيت واذعت الخبر بأني وجدت عملا على متن سفينة متجهة الى افريقيا، وبدا لي ان والدي اضحكه الخبر، لكن والدتي صعقت

وبادرتني قائلة: "لا يمكنك الذهاب، فانت ما زلت قاصراً". فاجبتها: "بل اني ذاهب". وعند ذلك استدارت والدتي ودخلت غرفتها واوصدت الباب خلفها. فشعرت بأن الغبطة التي غمرتني طوال ذلك اليوم خمدت لبضع لحظات. واخذت افكر في ما اذا كان علي ان اتخلى عن مغامرتي.

لكن والدي سرعان ما حل الازمة عندما قال: "كنت آمل في انك ستتريث مدة اطول، لكنك مادمت عزمت على ذلك فسوف اصلح الامر مع والدتك".

وبينما كنت اهم بمغادرة البيت صباح اليوم التالي، حاملا امتعتي على ظهري في كيس للغسيل، خرجت والدتي من غرفتها، فعانقتها بأحر ما يكون العناق وانصرفت. ونادتني امي مذكرة: "اكتب الي. تأكد من انك ستفعل ذلك".

رفيق المغامرة – عندما عدت الى السفينة وجدت تيكس في المطبخ، فقال لي: "تعال وتناول طعام الفطور". واشتملت الوجبة على شرائح البيكون والبيض المقلي والقهوة. ثم جاء السيد مارتينيز وقال لي: "هيا ايها الصبي! قم ونظف خزائن الطعام. ولا اريد ان ارى شيئاً يستوجب الملاحظة بعد ان تفرغ من عملك".

ومضى الاسبوع الاول ولم تزل الباخرة راسية في الحوض الجاف. وكدت اموت تعباً من عملي الرتيب المتواصل في تنظيف الصحون وتقديم وجبات الطعام والكنس والمسح. وكنت، عندما افرغ من عملي بعد انسدال الليل، اتمدد باسطاً ذراعي وقدمي، ارقب النجوم متسائلا متى تبدأ المغامرة.

وفي احدى الليالي سألني تيكس، الذي اصبح صديقي الوحيد على متن الباخرة، لماذا اردت المجيء الى البحر. فتجنبت الاجابة خشية ان اصبح هزأته اذا بحت له برغبتي في المغامرة.

وقال لي تيكس: "اراهن على انك تحاول ان تجد شيئاً تفتقده في حياتك الساكنة. ان ذلك هو الدافع الذي حملني انا ايضاً على الرحيل. فقد شعرت وانا في المزرعة بأن شيئاً ينقصني، وهكذا توجهت الى غالفستون، على شاطىء تكساس، حيث عملت على متن احدى السفن. كان ذلك منذ اثنتي عشرة سنة. وما زلت، منذ ذلكالحين، اتنقل من مكان الى آخر من دون ان اشعر بأي اثارة".

وجلسنا صامتين. ثم نهض تيكس ولم يلبث ان عاد وبين يديه رزمة من المجلات. ونظر الي قائلا: "هنا تجد الاثارة. فهذه المجلات ملأى بجميع انواع المغامرات".

فاحتفظت بالصمت. وبعد برهة قال لي تيكس: "هيا بنا يا رفيقي، لقد حان لنا ان نأوي الى الفراش".

انهض للمتاعب – مرت الايام والسفينة ما زالت راسية في الميناء. وأخذ اليأس يدب الى نفسي. وذات صباح، بينما كنت اتسلم راتبي البالغ خمسة دولارات، قال لي السيد مارتينيز: "كن حريصاً على هذا المبلغ، فلن يصرف لك اي راتب آخر قبل ان نصل الى ميناء طنجه". فقفز قلبي فرحاً لدى سماعي هذه الكلمات.

وفي امسية ذلك اليوم اصطحبني تيكس الى البر، وكانت مدينة هوبوكن مليئة بالحانات، فدعاني تيكس الى احداها وطلب كأسين من البيرة.

لم اعتد تناول الكحول من قبل. وسرعان ما شعرت بدوار، واذا بفتاة شقراء لها سن امامية مكسورة تدنو مني وتضع ذراعها على كتفي وتقول: "مرحباً ايها البحار، الا تريد ان تطلب لي كوباً من البيرة".

وتصدى لها تيكس قائلا: "هيا انصرفي".

فسألته: "لماذا فعلت ذلك؟ يبدو انها حسناء لطيفة".

والواقع اني فوجئت بهذه الجرأة في حديثي، اذ لم يسبق لي ان احطت بذراعي خصر فتاة او شربت البيرة مع احداهن. فرد علي تيكس: "ان النساء يجلبن المتاعب، وانت في غنى عنها".

وشعرت اني افتقدت بذلك جزءاً من المغامرة التي كنت امني النفس بها يوم اعتزمت على المجازفة.

وعلى رغم تحذير السيد مارتينيز باقلاعنا الى طنجة، الا ان السفينة بقيت مسمرة في الحوض الجاف، ولا شيء يدل على قرب مغادرتها. فاخذت اتساءل عما اذا كان فصل الصيف سينتهي قبل الابحار. لكنني اخبرت تيكس اني لا ابالي بطول الوقت الذي ستستغرقه الرحلة، واني مصمم على رؤية افريقيا حتى وإن لم اعد الى المدرسة اطلاقاً.

واكتفى تيكس باصدار نخير من حلقه وأنفه. ولكن عندما سألته عن اسطنبول، آخر ميناء سنعبره قبل ختام رحلتنا، اجابني: "بما اني لست مثقفاً فلست معجباً بتلك الاماكن التاريخية كما يتذوق قيمتها بعضكم ممن أمضى في الدراسة وقتاً اطول مني".

أماه! - صباح اليوم التالي، بينما كنت اعدو بين المطبخ وقاعة الطعام حاملا وجبات البحارة، لاحظت ان الطاهي الأول كان وحده، فسألته: "اين تيكس؟" فأجابني: "عندما نزل الى البر ليلة امس وقع وكسر عظم فخذه، وهو الآن في مستشفى البحرية. وبعد ان تنتهي من تقديم طعام الفطور يمكنك ان تحزم امتعته وتأتي بها الى الرصيف. وقل للرجال في قاعة الطعام ان يستعدوا، لاننا سنبحر غداً وعلينا ان ننتهي من خزن المؤن للرحلة".

وما ان سمعت هذين الخبرين حتى تشوش فكري. واندفعت كالسهم الى المعبر الخشبي كي اتصل بأهلي هاتفياً واودعهم. ثم كتبت رسالة الى صديقي تيكس ووضعتها في حقيبة ملابسه قبل انزالها الى الرصيف.

وفي صباح اليوم التالي، بينما كانت السفينة تغادر الرصيف، ركضت الى الحافة كي ينطبع المشهد في ذهني: ابراج مانهاتن الذهبية اللون، وضجيج الزوارق القاطرة، والبواخر الضخمة الراسية، وسفينة الركاب التي مرت في محاذاتنا بسرعة جعلت باخرتنا تتأرجح وراءها. وقلت عندئذ لاحد افراد الطاقم: "ان هذه السفينة حملتنا على الظن بأننا تجمدنا في مكاننا لا نتحرك". فأجابني: "نعم، هذا ما أظنه انا ايضاً: ان المحركات تعطلت ولم يبق لدينا الا انتظار احدى

السفن كي تقطرنا وتعيدنا الى مدينة جيرسي".

وبعد يومين بدأت الرحلة من جديد، ولكن ليس في اتجاه شمال افريقيا بل الى مدينة بالتيمور (ولاية ماريلاند) لشحن مزيد من البضاعة. واستغرقت الرحلة يومين، ووصلنا في لحظة شروق الشمس على خليج تشيزابيك. وانتقلت الى حافة السفينة لاعاين المشهد على الرصيف. فرأيت امرأة تعتمر قبعة ثلاثية الزوايا وفي يديها قفازان ابيضان. انها والدتي. وحالما توقفت السفينة وأنزل المعبر الخشبي سارعت الى الرصيف وصحت: "اماه! هاأنذا".

وتعانقنا طويلا، وسألتها كيف تسنى لها الاهتداء الي. فقالت: "اتصل بي صديقك تيكس وناشدني ان اعيدك الى البيت".

وكان السيد مارتينيز واقفاً على حافة السفينة ينظر الينا. ثم صاح: "ايها الصبي، ان لم تعد الى السفينة فأنت مطرود".

فأجبته بحدة: "انت لا تطردني، بل انا اترك العمل".

وعدت مع والدتي في القطار الذي يصل بالتيمور بولاية اوهايو. ولم التق تيكس بعد ذلك. غير اني تلقيت منه بعض البطاقات البريدية لفترة من الزمن.

ولم اعد بعد ذلك الى البحر، وتركت مقاعد الدراسة لاذهب الى الحرب. ثم رجعت الى البيت لاصبح كاتباً وأحيا حياة مليئة بمغامرات لم تتصورها مخيلتي. والتقيت اشخاصاً من جميع المسالك، غير اني لم التق احداً اثر في نفسي اكثر من ذلك الملاح الناحل الموشوم الذراعين، الذي انتشلني من طيش الفتوة.

■ **جيمس ستيوارت غوردون**

خطر السلاح

النساء كالاسلحة النارية، يظهر خطرها حين تقع في ايد غير مجربة.

جاك مارتان

متى يبدأ القرن؟

لو سألت احداً متى بدأ القرن العشرون لاجابك، على الاغلب، انه بدأ عام ١٩٠٠. لكن ذلك خطأ. فالقرن العشرون بدأ عام ١٩٠١، لان القرون تنتهي بسنة آخرها صفر وتبدأ بسنة آخرها الرقم ١. لذا كان العنوان الرئيسي لصحيفة "النيويورك تايمس" في ١ يناير (كانون الثاني) ١٩٠١: "بداية منتصرة للقرن العشرين. مات القرن، عاش القرن". وبدأ المقال كالآتي: "امس كان القرن التاسع عشر واليوم القرن العشرون. ففي لحظة ما ليلة امس، مات الاول وولد الثاني".

ان اقتصاديينا ومعلقينا السياسيين ومخططي مدننا وخبراءنا الزراعيين وعلماءنا يتحدثون عن العام ٢٠٠٠ مستندين الى فكرة خاطئة مفادها ان القرن الحادي والعشرين سيبدأ حينذاك. ويبدو ان احداً لم يتجنب الوقوع في هذا الخطأ عدا الفيلم السينمائي "٢٠٠١ - اوديسا الفضاء".

ب. ت.

المختار

من ريدرز دايجست



وفروا ٥٠٪

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢د٠

اشتركوا اليوم
في المختار
ووفّروا ٥٠٪
(عرض خاص ينتهي في ١٩٨٠/٣/٣١)

ادفعوا ١٣ دولارًا بدلاً من ٢٥ دولارًا
واربحوا جوائز تصل قيمتها الى ٥ آلاف دولار

NAME ..KHALED ANWAR Bicher.............. : الاسم
ADDRESS 15 Hussien nouh st .... : العنوان
....
PROFESSION ..student (faculty of commerce). : المهنة
SIGNATURE ...K... ANWAR.................. : التوقيع

تملأ هذه القسيمة وترسل مرفقة بشيك مصرفي باسم
AL MUKHTAR min Reader's Digest

يعطى كل مشترك رقما ويجري السحب على هذه الارقام في تاريخ ١٩٨٠/٤/٣٠ وتنشر النتائج في الصحف في حينه.
ترسل القسائم الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V
75008 PARIS, FRANCE

وجود المرأة

هذه الحقيبة من الصور المعبرة
شهادة على التنوع اللامتناهي الذي تتمتع به النساء



o by Patt Blue U S A

تقول لنفسها: كيف ابدو حقاً؟"
- لا ادري بالضبط ... حقاً!

راندال جاريل

انها الانوثة نفسها قـُدّت كاملة
من مقلع الخليقة.

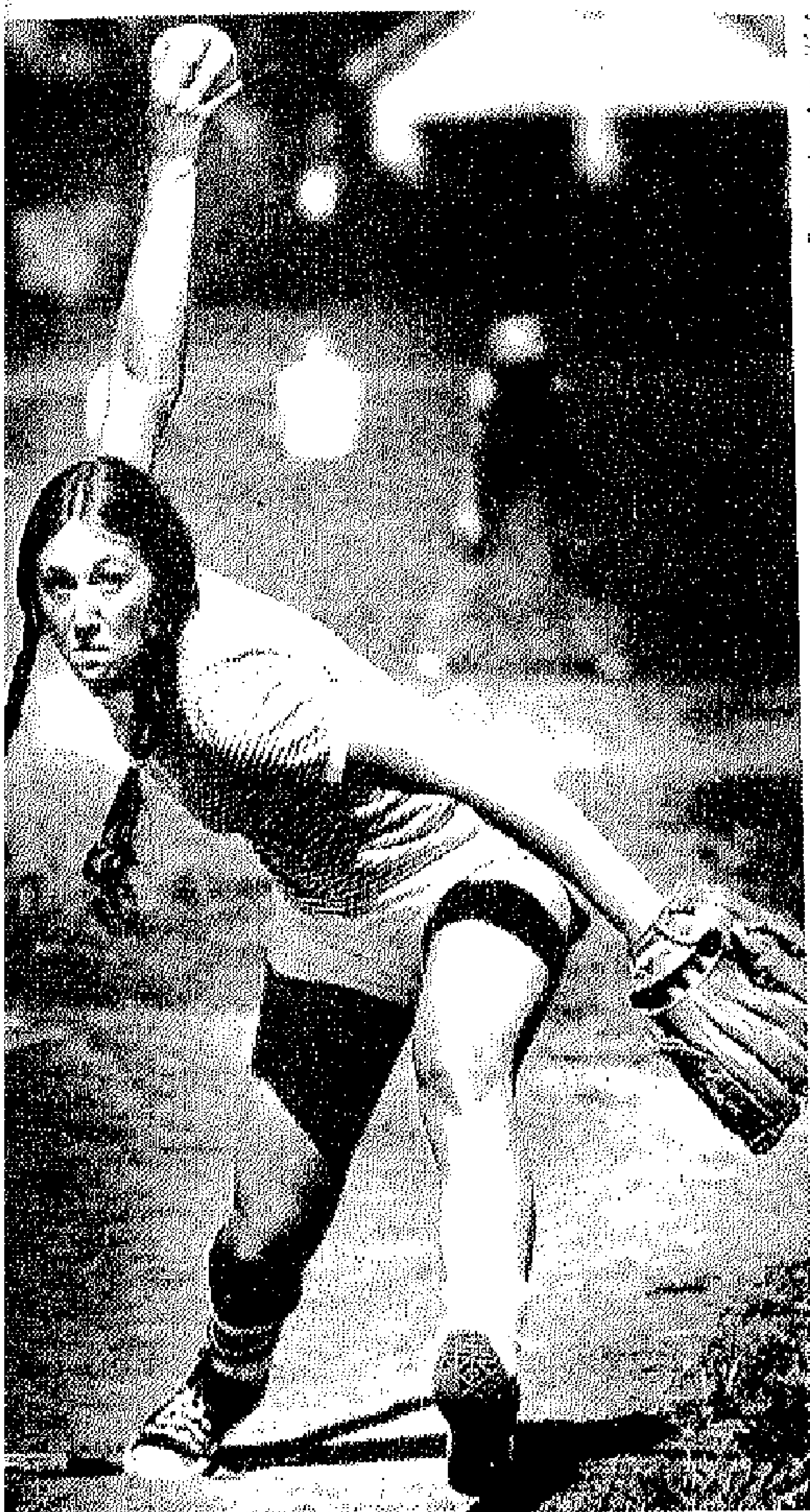


Photo by John Avery USA



Photo by Nancy Moran USA

كم هو مثير الشعور بالحرية
الذي تمنحك اياه حريتك في الحركة.

إيف ميريام


Photo by Bill Binzen U.S.A.

انني مصابة
بدوار الترقب

وليم شكسبير



كلما تخيلت
السعادة تمثلت
أمامي امرأة
لها عقل رجل.

قاسم أمين



Photo by Arthur Tress U.S.A

انت مرآة امك:
فيك تستعيد
ربيع حياتها الجميل •

وليم شكسبير

Photo by Ken Heyman Japan



Photo by Homer Sykes John Hillelson Agency England



تراقب طُرُق اهل بيتها ،
ولا تأكل خبز الكسل •

سفر الأمثال، ٣١:٢٧



كل إنسان يحتاج الى الآخرين، لأنه، ما من شيء يبدو عادلا او جيداً اذا كان المرء وحيداً،

رالف والدو امرسون

Photo by Alison E. Wachstein U.S.A



انه لضيق نظر من جانب اخوتنا في الانسانية الأكثر حظاً - الرجال - ان يقولوا بأن على النساء الاقتصار على صنع الحلوى ورتق الجوارب،

شارلوت برونتي

Photo by Sepp Seitz Woodfin Camp U.S.A

، يا ربّ الحياة،
سل المطر الى جذوري،

جيرار مانلي هوبكنز

Photo by Eva Robinstein Sjoon



المرأة حليف المرأة الطبيعي ،

يوريبيديس





نحن الاثنين ابتكار فذ: طائرة مصنوعة
من زوجين، بجناحيها وكل ما فيها،
ولقد قفزنا قليلا، بل طرنا حتى علونا
عن الأرض،

ي. اميشاي

في داخلي
تـوْق الى الخلود،

وليم شكسبير



لأني لم أتمكن
من الوقوف للموت،
تكرّم هو بالوقوف لي

اميلي ديكنسون

١٢٥ مليوناً العبها واربح معها

أكبر يانصيب في أوروبا

يتيح لك مرة اخرى

فرصة شائقة للربح ،

يتوافر لك فيها امكان لم يسبق له مثـ

يجعلك من اصحاب الملايين

بين ليلة وضحاها

- فقط ٤٠٠،٠٠٠ ورقــة تعرض للبيع
- في مقابل ٢٠٠،٤٨٦ جائزة مضمونة في كل دورة!
- ويبلغ مجموع الأرباح: ١٢٥،٦٣ مليون مارك الماني ،
- سبع جوائز كبرى كل منها بمليون مارك ،

الضمـــــان

ان دفع هذه المبالغ مضمون
في الدورة الواحدة (نصف عام)

١ × ١،٥ مليون	= ١٥٠٠٠٠٠ مارك
٥ × ١ مليون	= ٥٠٠٠٠٠٠ مارك
٨ × ٢/١مليون	= ٤٠٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ١/٤ مليون	= ٣٠٠٠٠٠٠ مارك
٦ × ١٠٠٠٠٠مارك	= ٦٠٠٠٠٠ مارك
١٤ × ٨٠٠٠٠م	= ١١٢٠٠٠٠ مارك
١٨ × ٥٠٠٠٠م	= ٩٠٠٠٠٠ مارك
٢٢ × ٤٠٠٠٠م	= ٨٨٠٠٠٠ مارك
٢٦ × ٣٠٠٠٠م	= ٧٨٠٠٠٠ مارك
٣٠ × ٢٠٠٠٠م	= ٦٠٠٠٠٠ مارك
٣٠٣ × ١٠٠٠٠م	= ٣٠٣٠٠٠٠ مارك
٤٤٠ × ٥٠٠٠م	= ٢٢٠٠٠٠٠ مارك
١٦٨٠ × ٢٠٠٠م	= ٣٣٦٠٠٠٠ مارك
١٣١٢٠ × ١٠٠٠	= ١٣١٢٠٠٠٠ مارك
١٨٤٨٠٠ × حتى ٨٠٠م	= ٨٥٠٤٠٠٠٠ مارك
٢٠٠٤٨٥ جائزةمجموعها	١٢٥١٣٠٠٠٠ مارك

منذ ٣٢ سنة ويانصيب "سودوتش كلاسنلوتري" يصنع رابحين سعداء ، وما زالت أعدادهم تتزايد عاماً بعد عام، نظراً الى الفرص الممتازة التي يتيحها لاصحاب الحظوظ، كونه لا ينفق شيئاً من دخله على التبرعات الخيرية، وكون الرابحين يتسلمون جوائزهم خالية من الضرائب.
ومن المعروف ان المارك هو من أقوى العملات في العالم، وفي ذلك حفز للكثيرين على شراء ورقة من هـذا اليانصيب الـ تشرف الحكومة عليه، وفي استطاعة أي فرد ان يشترك فيـ والأمر سهل وبسيط. يجري اعلام الرابحين شخصيا وبكتـ بمعرفة الحكومة وفي اشرافها ، اذا شئت ان تصبح را محظوظاً فلا تتأخر، بل اكتب اليوم للحصول مجاناً على كرا اليانصيب وصورة الطلب الخاص بقسيمة الاشتراك:

GREGOR FRANKFURT

STATE ACCREDITED LOTTERY OFFICE

WORLD WIDE SERVICE
State Accredited Lottery Office
GREGOR
Rüsterstraße 24, P.O.Box 119020
D-6000 Frankfurt/Main (W.-Germany)

Please mail order form and Free brochure with all details for the next cycle of the SÜDDEUTSCHE KLASSENLOTTERIE

Mr./Mrs./Miss

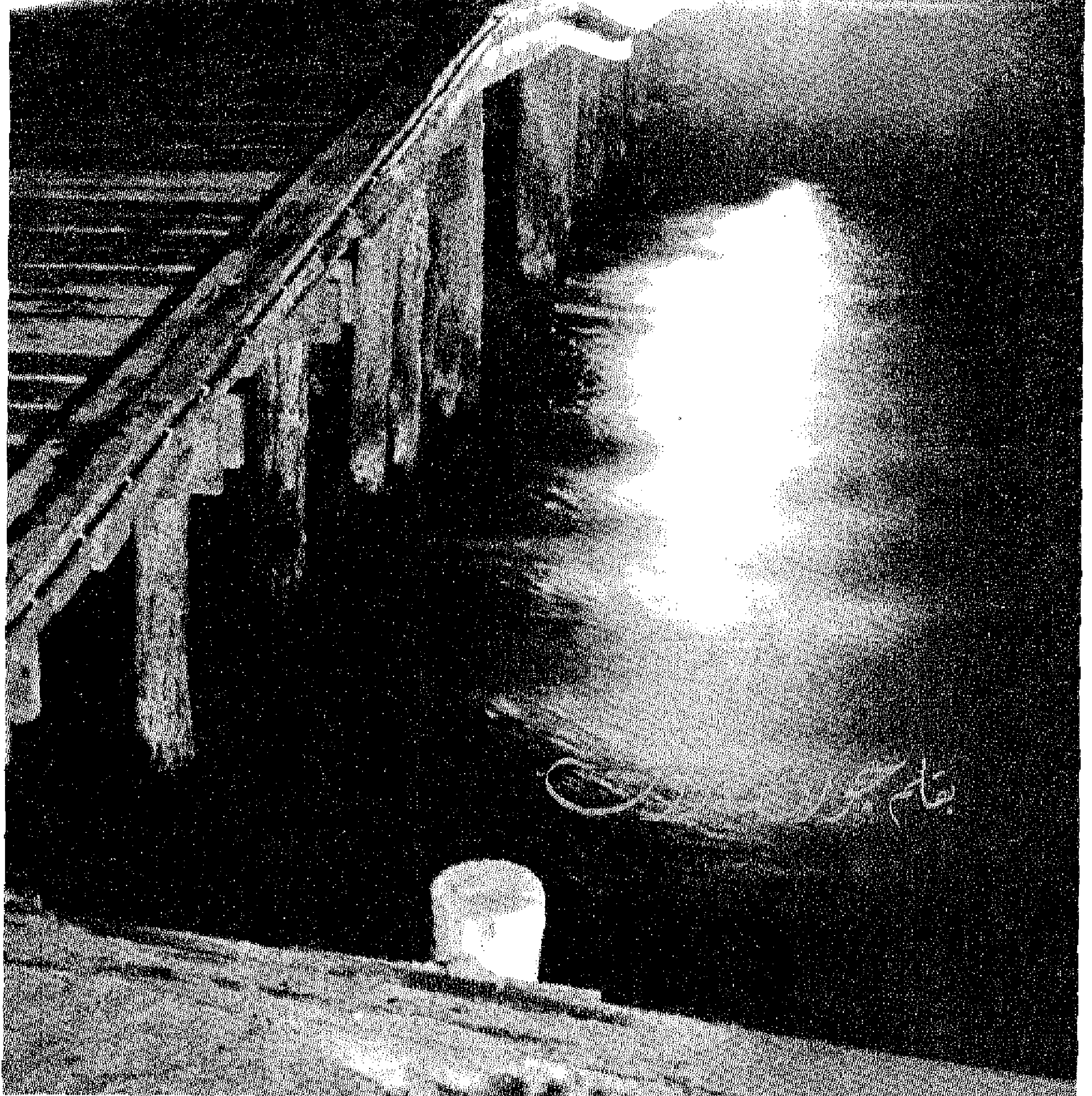
Street address (or P.O.Box-No.)

City (Postal code No.)

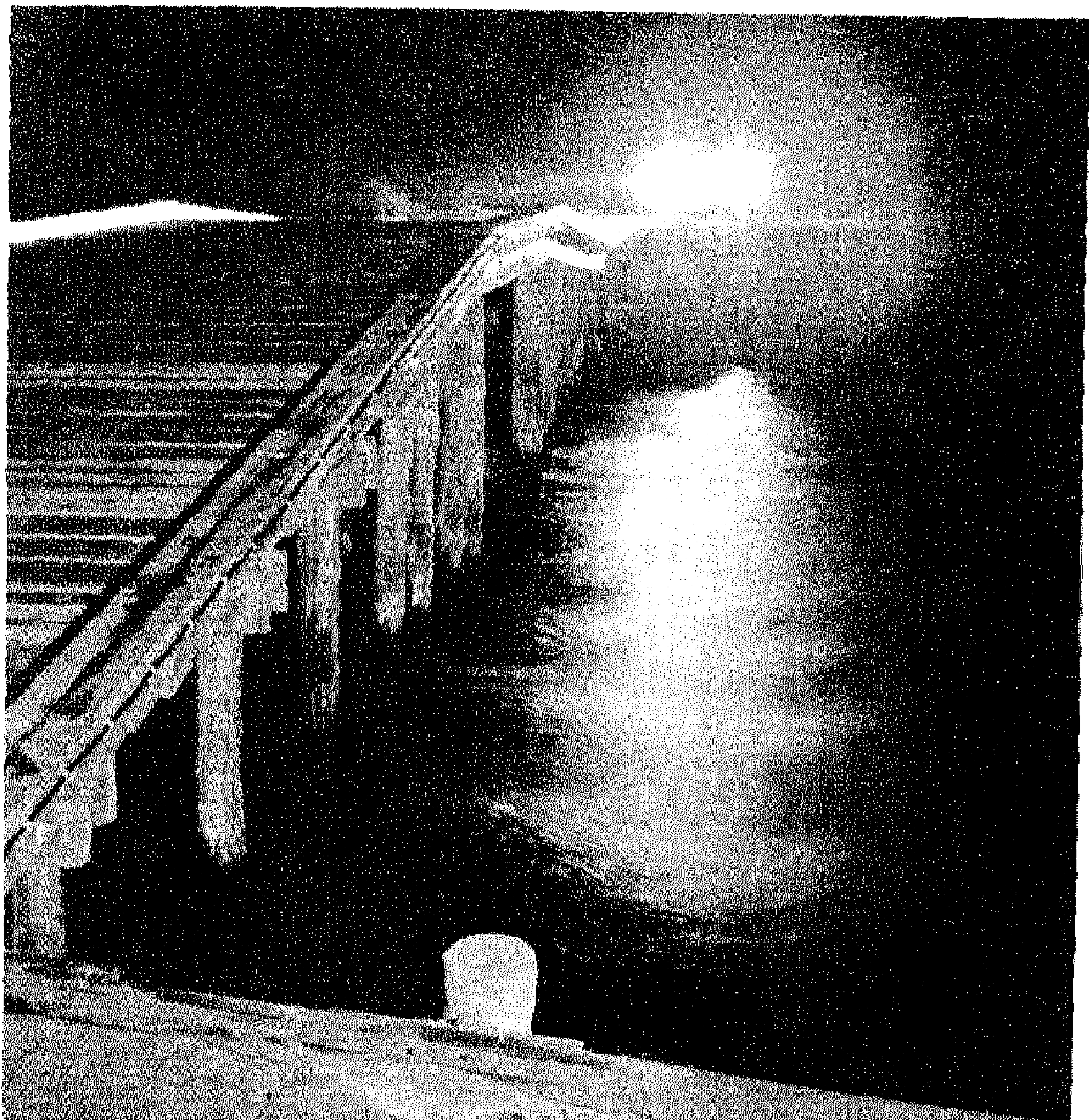
Country

Please print or type all entries.

مأساة ادوارد كينيدي



مأساة ادوارد كينيدي



لقد اصبحت لفظة "تشاباكويديك" في عقول الامريكيين رمزاً للمأساة، والاحجية الغامضة، وربما للفضيحة كذلك.

ولا شك في ان وفاة امرأة شابة - لاقت حتفها بعد ان تدهور السناتور ادوارد م. كينيدي بسيارته فوق جسر في جزيرة تشاباكويديك ليلة ١٨ - ١٩ يوليو/تموز ١٩٦٩ - لا تزال مأساة لاسرتها ولاسرته كذلك. والسؤال المطروح الآن هو: هل يعتبر حادث تشاباكويديك وما احاط بهذه المأساة امراً يجيز للرأي العام ان يهتم له اليوم؟

هناك كثرة من المعلقين المسؤولين توافق على مثل هذا الاتجاه. فصحيفة "غلوب" التي تصدر في مدينة بوسطن تقول: "ان اشهر فاجعة سجلتها حركة السير في هذا القرن ستلعب دوراً مؤكداً تقريباً في اختيار الرئيس القادم للولايات المتحدة الامريكية. وهذا شيء واجب، لان تشاباكويديك لم تكن مجرد حادث سيارة. وكثير من الامريكيين يخامرهم الشعور، وهم معذورون، بان تصرف كينيدي في اعقاب الحادث ليس الا ضرباً من ضروب المماطلة والتعويق التي يألفها السياسيون. وهم يتساءلون عما اذا كان في وسع كينيدي ان يكذب على الشعب الامريكي في حال وقوع ازمة عامة. وما لم يتمكن كينيدي من عمل شيء ما لتوضيح ظروف ذلك الحادث في اثناء حملته الانتخابية، فسيظل محكوماً عليه بأن يعيش في ظل هذا الارتياب".

وتقول" وول - ستريت جورنال": "ان قدرته على الاضطلاع بمهمة الرئاسة تتوقف الى درجة لا يستهان بها، على شعور الامة بأنه ذاك الرجل الذي يكون موضع ثقتها بالتزام الصراحة في ايضاح تصرفاته بكاملها. ومن هذه الثقة لا بد للقيادة الوطنية ان تصبح امراً مستحيلا في نهاية الامر. وعلى رغم ان مأساة تشاباكويديك لا تمت مباشرة الى نهج التصرف بالشؤون العامة الا انه يصعب على المرء ان يتغاضى عما تثيره من تساؤلات حول مستوى الثقة، وما يتجاوز ذلك من طباع شخصيته.

وان التغاضي عن هذه التساؤلات لم يعد جائزاً، لان اعلان ادوارد كينيدي ترشيح نفسه لانتخابات الرئاسة يوجب على الناخبين ان يتساءلوا عما اذا كانوا يستطيعون تصديق روايته عن اكبر ازمة في حياته، وعما اذا كانوا يستطيعون ان يصدقوا ما سيقوله لهم عن اي ازمة تحدث في اثناء رئاسته".

وتقول صحيفة "لوس انجيليس تايمس": "ان التساؤلات المعلقة عن تشاباكويديك تزعج حتى اولئك الذين يأملون له الفوز".

وتقول صحيفة "النيويورك تايمس": "لا ينبغي ان يكون هناك اي تردد في اعادة فحص هذه القضية المربكة. واذا تبين ان كينيدي قد استغل نفوذه الضخم لحماية نفسه ومستقبله السياسي بستر سوء سلوكه - وهو ما تحمل الوقائع المعروفة على التشكك فيه - فان ذلك لا يضطره فحسب الى العيش في ظل المأساة، بل في ظل فساد من نوع ووترغيت. وقد تعلمنا من قضية ووترغيت ان ليس هناك تساؤل يتعلق برئيس الجمهورية اشد خطورة من التساؤل عن مدى الوثوق به في التزامه احترام القانون. فجميع الذين لهم اي علاقة بقضية تشاباكويديك وذيولها مدينون للامة بتقديم حساب عنها لم يضطروا - لسبب ما - الى تأديته طوال عشرة أعوام".

وفيما كانت "الدايجست" تعد هذا المقال، طلبت مراراً من السناتور ادوارد كينيدي اجراء مقابلة معه لكي تتسنى له الاجابة المتعمقة عن التساؤلات القلقة حول حادث تشاباكويديك والتي لم تلق جواباً منذ بضع سنوات. ولكن السناتور كينيدي لم يوافق على استقبال اي صحافي من الدايجست.

أياً تكن طبيعة الازمة النفسية العنيفة التي هزّت السناتور إدوارد م. كينيدي في باكورة ذلك الصباح، فانه أفلح تماماً في إخفائها. فقد بدا حسن الهندام في بنطلونه الابيض وحذائه الأبيض كذلك وقميصه الرياضي الأزرق كما بدت عليه مظاهر العافية والاطمئنان وهو يمشي متمهلا من فندق "شايرتاون إن" في بلدة مارثاس فانيارد قرابة الساعة ٧،٣٠ صباحاً. والتقى السناتور المتين البنية الذي يبلغ ٣٧ سنة، رفيقاً له في رياضة اليخوت يدعى روس س. ريتشاردز، الذي فاز عصر اليوم السابق بالمرحلة الاولى من سباق الزوارق وتبادل الرجلان التحيات الوديـة، وعاد كينيدي بصحبة ريتشاردز إلى الفندق حيث جلسا على الشرفة أمام غرفتيهما. ولم يظهر على كينيدي أي شيء غير عادي سواء في حديثه او تصرفه وظل يتبادل مع رفيقه حديثاً ودياً عن الطقس والسباق حتى الساعة الثامنة صباحاً.

ثم أقبل اثنان من أصدق أصدقاء كينيدي، هما جوزف ف. غارغان وبول ف. ماركهام، ولاحظ ريتشاردز ان هندامهما مهمل وعليهما آثار البلل.

فنهض كينيدي على الفور ومضى واياهما الى غرفته مباشرة، وأغلق الباب. ومر في تلك اللحظة تشارلز و. تريتر مساعد كينيدي، وبدا له من خلال النافذة أنه لاحظ على وجه السناتور ايماءة تدعوه الى دخول الغرفة. ولكنه عندما دخل صدم بلهجة رئيسه يطلب منه الانصراف.

وقرابة الساعة ٨،٣٠ صباحاً، خرج كينيدي الى بهو الفندق، وطلب نسخاً من صحيفة "بوسطن غلوب" وصحيفة "النيويورك تايمز"، واقترض قطعة عشرة سنتات من أحد موظفي الفندق ليجري مكالمة تلفونية. وبعد دقائق قليلة، مشى هو وغارغان وماركهام مسافة قصيرة لا تتجاوز بضع بنايات في اتجاه المعدية التي تعبر باستمرار قناة ميناء إدغارتاون البالغ عرضها ١٥٠ متراً وتفصل بلدة مارثاس فانيارد عن جزيرة تشاباكويديك.

وبعد العبور، وقفوا على مرسى المعدية في جزيرة تشاباكويديك فترة تقارب العشرين دقيقة، رأوا بعدها ان المعدية تنزل سيارة القطر التي ارسلتها محطة جون آليوم لانقاذ السيارات الغائصة، وصاح أحد عمال المعدية يخاطبهم قائلا: "هوه! هل انتم على علم بما حدث؟"

فأجاب غارغان بهدوء: "نعم، سمعنا به لتونا".

ولم يعد هناك مجال للاختيار، فاضطر كينيدي في نهاية الامر للتوجه الى مركز الشرطة. وقد حرص كينيدي – وهو محام – قبل أن يركب المعدية في طريق العودة على أن يصدر تعليماته لغارغان – وهو محام أيضاً – ولماركهام – وهو نائب عام سابق – فقال لهما: "اسمعا، أنا لا أريد الزج بكما في هذا الموضوع، ولا أريد أن يمسكما منه شيء. وفي ما يتعلق بكما، فانكما لم تعلما بأي شيء عن الحادث في تلك الليلة".

ماتت السيدة الشابة

وبينما كان كينيدي واصدقاؤه المؤتمنون، يبحثون في الامر كان هناك رجال آخرون على بعد خمسة

كيلومترات يحاولون مواجهة ما بدا لهم أنه طارىء يتهدّد بالخطر حياة ضحاياه. فراح الغطاس جون ن. فارار يستكشف سيارة الاولدزموبيل الكبيرة من طراز عام ١٩٦٧ المقلوبة على ظهرها والمغمورة بالماء في قاع بركة مجاورة لجسر خشبي، يزيد عمقها على المترين. وتبين له للوهلة الاولى من خلال الضوء المتسرب عبر المياه الصافية انه يرى قدميين بشريتين داخل السيارة، فانزلق بسرعة من النافذة الخلفية اليمنى إلى الداخل آملا في أن يكون من فيها على قيد الحياة. ولكن فارار ورفاقه وصلوا متأخرين، فكانت "ماري - جو كوبتشني" قد اصبحت جثة متصلبة المفاصل وانشبت قبضتيها كالمخالب في المقعد الخلفي والتوى رأسها الى الخلف وإلى أعلى كأنه يستنجد الهواء.

واستوى دومينيك جـ. أرينا، رئيس شرطة إدغارتاون، بجسمه الضخم في الماء فوق السيارة، وهو يحتضن الجثة بين ذراعيه في انتظار قدوم القارب. وراعه ما يبدو على الآنسة كوبيتشني من حياة وجمال، حتى وهي ميتة، بشعرها الاشقر البديع وعينيها الواسعتين، والاناقة التي يضفيها عليها قميصها الابيض الطويل الكمين، وبنطلونها الفضفاض الداكن وخفّاها الابيضان. وكانت ناحلة الجسم وحجمها يكاد يعادل حجم ابنته البالغة من العمر ١٤ عاماً.

وكانت لوحة رقم السيارة الخلفية ظاهرة، فطلب رئيس الشرطة أرينا معلومات عنها بالراديو، وجاءه الرد يثبت أن السيارة مسجلة باسم إدوارد م. كينيدي، بمبنى جون فيتزجيرالد كينيدي في مدينة بوسطن. وبعد عودته الى الشاطىء اسرع أرينا إلى مبنى الحاجز الصخري المجاور للطريق، على بعد حوالي ١٣٠ متراً من الجسر، بقصد الاتصال تلفونياً برجاله ليبحثوا عن كينيدي، ولكن سكرتيرته ردت عليه بأن كينيدي موجود في مركز الشرطة، واعطت الخطّ للسناتور.

فقال له أرينا: "يؤسفني أن تكون لدي أخبار سيئة، لقد وقع حادث هنا لسيارتك وماتت السيدة الشابة".

فأجاب كينيدي: "أعرف ذلك. هل يمكنك أن تخبرني ما إذا كان هناك أحد آخر في السيارة؟".

- نعم

"وهل هو لا يزال في الماء؟"

- كلا

"هل يمكنني أن أحدثك؟"

- نعم.

"هل تريد أن تحدثني؟"

- أفضل أن تأتي الى هنا.

وفي مركز شرطة إدغارتاون الذي يشغل غرفتين في مبنى البلدية القديم الذي بني قبل ١٤١ عاماً، طلب أرينا من كينيدي أن يدلي بمعلوماته، فسأل السناتور ما إذا كان يمكنه أن يقدمها كتابة، فرد عليه أرينا بالايجاب، ولكي يتيح له الخلوة، اصطحبه هو وماركهام إلى مكتب قريب من مكاتب البلدية حيث قضيا ما يقرب من ساعة. وقرابة الساعة ١١ صباحاً، قرأ أرينا أول محضر لكينيدي عن الحادث، مكتوب بخط ماركهام (من دون توقيع)، وكان نصه كالآتي:

"يوم ١٨ يوليو/تموز عام ١٩٦٩، الساعة ١١،١٥ مساء تقريباً، في تشاباكويديك في بلدة مارثاس فانيارد في ولاية ماساتشوستس، كنت أقود سيارتي في الشارع الرئيسي متجهاً الى المرسى لأعبر بالمعدية عائداً الى بلدة إدغارتاون. وكان الطريق غير مألوف لي، فانحرفت الى اليمين على طريق الحاجز الصخري بدلا من أن أتبع المنحنى الحاد الى اليسار، على الطريق الرئيسي. وبعد أن قطعت قرابة ثمانمئة متر على طريق الحاجز الصخري، هبطت على هضبة بلغت في آخرها جسراً ضيقاً خرجت السيارة عن جانبه. وكان معي في السيارة راكبة واحدة هي الآنسة ماري....(١) السكرتيرة السابقة لأخي السناتور روبرت كينيدي. وقد انقلبت السيارة وغاصت في الماء واستقر سقفها على ارض القاع. وقد حاولت عندئذ ان افتح باب السيارة ونافذتها، ولكنني لا أتذكر كيف خرجت منها. وبعد أن بلغت سطح الماء عاودت الغطس الى السيارة مرات عدة كي أرى ما إذا كانت الراكبة لا تزال في داخلها، ولكن محاولاتي لم تنجح. وكنت في حال إعياء وصدمة. وأذكر أني مشيت عائداً الى حيث كان أصدقائي يتناولون الطعام. وكانت هناك سيارة واقفة أمام البيت، فدخلتها وجلست في المقعد الخلفي، ثم طلبت أن يعيدني أحد الى بلدة إدغارتاون. وأتذكر أني تمشيت بعد ذلك فترة قصيرة ثم عدت الى غرفتي في الفندق. وعندما ادركت بوضوح هذا الصباح ما حدث، اتصلت بالشرطة على الفور".

ولم يلق هذا المحضر الارتياح التام لدى جورج و. كينيدي، المراقب في إدارة تسجيل السيارات في ولاية ماساتشوستس المسؤولة عن التحقيق في حوادث السيارات التي تتسبب في الوفاة. وبعد ان قرأ المراقب جورج كينيدي المحضر في مركز الشرطة، قال للسناتور: "هناك شيء أود ان اعرفه".

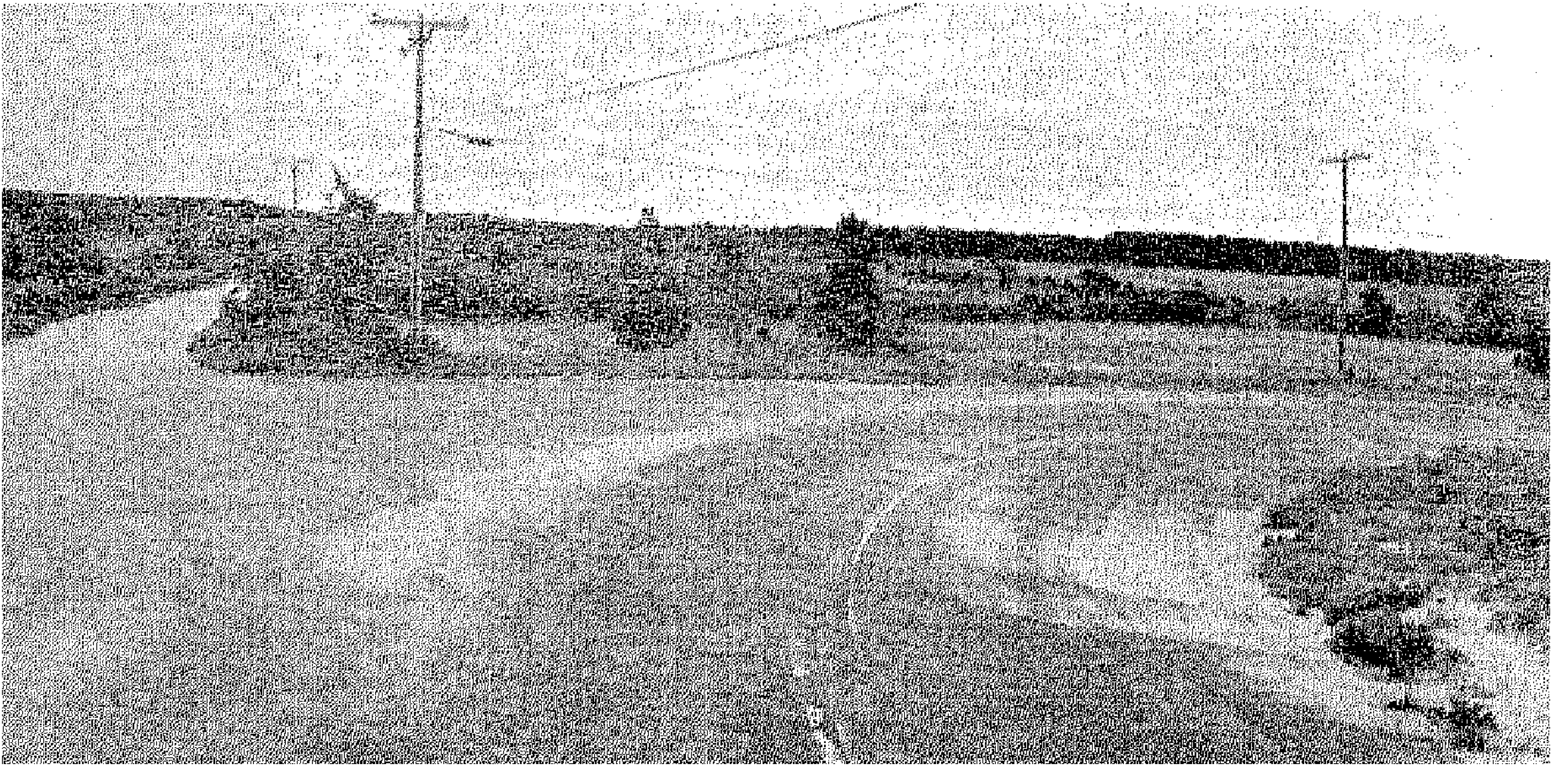
فرد السناتور: "ليس لدي أي تعليق آخر".

وادار المراقب نظره إلى ماركهام وغارغان. وقد افاد في وقت لاحق بانهما "قالا لي إنه سيدلي بأقوال أخرى في ما بعد، وأنه سيجيب عن المزيد من الاسئلة".

وابل من الاسئلة

ان رئيس شرطة ادغارتاون دومينيك أرينا رجل عملاق يبلغ طوله ١٩٠ سنتيمتراً ويزيد وزنه على مئة كيلوغرام، وهو نجم سابق في لعبة الكرة أثناء دراسته الثانوية، ورقيب سابق في قوات مشاة البحرية وشرطي سابق من شرطة الولاية. وهو نموذج الشرطي الامين الشريف الذي لا يعرف المواربة في بلدة صغيرة. ولم يكن أجره من عمله في ذلك الوقت يزيد على ١٠٥٠٠ دولار في السنة. وقد احزنه الحادث باعتباره مأساة جديدة تنتكب بها عائلة كينيدي وهذا ما حمل أرينا على السماح لكينيدي بالانصراف من دون استجواب، عندما قال السناتور انه يرغب في الاتصال

(١) لم يرد في المحضر الأول اسم الآنسة كوبتشني كاملاً، لأن كينيدي لم يكن متأكداً من طريقة هجائه بالضبط.



تقاطع الطرق حيث اتجه كينيدي يميناً نحو طريق الحاجز الصخري بدلا من التوجه يساراً.

بمحامي أسرته بيرك مارشال الذي كان مساعداً سابقاً للمدعي العام، ووعد بأن يتصل مجدداً برئيس الشرطة أرينا. ولم يكن في أقوال كينيدي اي الماع على الاطلاق الى احتمال وجود اي معلومات عن الحادث لدى ماركهام وغارغان ولذلك لم يخطر لأرينا أن يحاول الحصول على مثل هذه المعلومات منهما، كما أنهما لم يتطوعا من جانبهما لذكر شيء.

وتوسل ماركهام الى أرينا أن يحجز المحضر عن الصحافيين الى ما بعد تشاور كينيدي مع مارشال، كما اتصل به تلفونياً بعد الظهر ليكرر هذا الطلب. ولكن أرينا كان ابلغ الصحافيين مضمون المحضر قرابة الساعة الثالثة بعد الظهر. وبدلا من أن يؤدي هذا العمل الى تهدئة الصحافيين، إذا به يثير منهم وابلا من الاسئلة:

لماذا لم يطلب كينيدي النجدة لانقاذ الآنسة كوبتشني؟ لماذا انتظر عشر ساعات كاملة قبل أن يبلغ عن الحادث؟ أين كان وماذا كان يفعل طوال هذا الوقت كله؟ لماذا اندفع بسيارته خارج حافة الجسر؟ وكيف حدث ذلك؟ ومن هم الاصدقاء الذين كانوا "يتناولون الطعام"؟ وأين كانوا يتناولونه؟ ولماذا لم يفعل "أصدقاؤه" هؤلاء شيئاً؟ وما هو وضع التحقيق الآن؟

وتزاحمت هذه الاسئلة في رأس ارينا وتعذرت عليه الاجابة عن أي منها الا انه راح يمني نفسه بامكان الحصول على الاجوبة خلال حديث مقبل مع السناتور كينيدي. ولم يكن يدري آنئذ أن تلك الفرصة لن تتاح له أبداً، وأن هناك عشرة أشخاص آخرين كان يمكنهم ان يقدموا اليه معلومات عن الحادث ولكنهم اختفوا جميعاً من الجزيرة دفعة واحدة، ولم يبق في مارثاس فانيارد سوى ممثل واحد لكينيدي، هو ك. دن جيفورد، الذي لا يستطيع تقديم اي معلومات أو أدلة، إذ أنه وصل الى الجزيرة في طائرة خاصة عصر ذلك اليوم نفسه

مكلفاً مهمة واحدة: نقل الجثة بأسرع ما يمكن. وقد لازم جيفورد الجثمان في بيت المأتم وهو يسأل بقلق عما إذا كانت الجثة ستشرح ام انها ستحتجز فعلم أنه لن يجري شيء من ذلك.

ودفنت الآنسة كوبتشني يوم ٢٢ يوليو (تموز) ١٩٦٩ في مقبرة ريفية في ولاية بنسلفانيا، حيث رفض والداها، وهما زوجان رقيقا الحال ولكنهما معتزان بكرامتهما، عرضاً من كينيدي لدفع نفقات الجنازة، وفضلا الاقتراض من المصرف وسحب ما كانا قد ادخراه على مدار السنين لانفاقه على عرسها!

المجلس الكبير

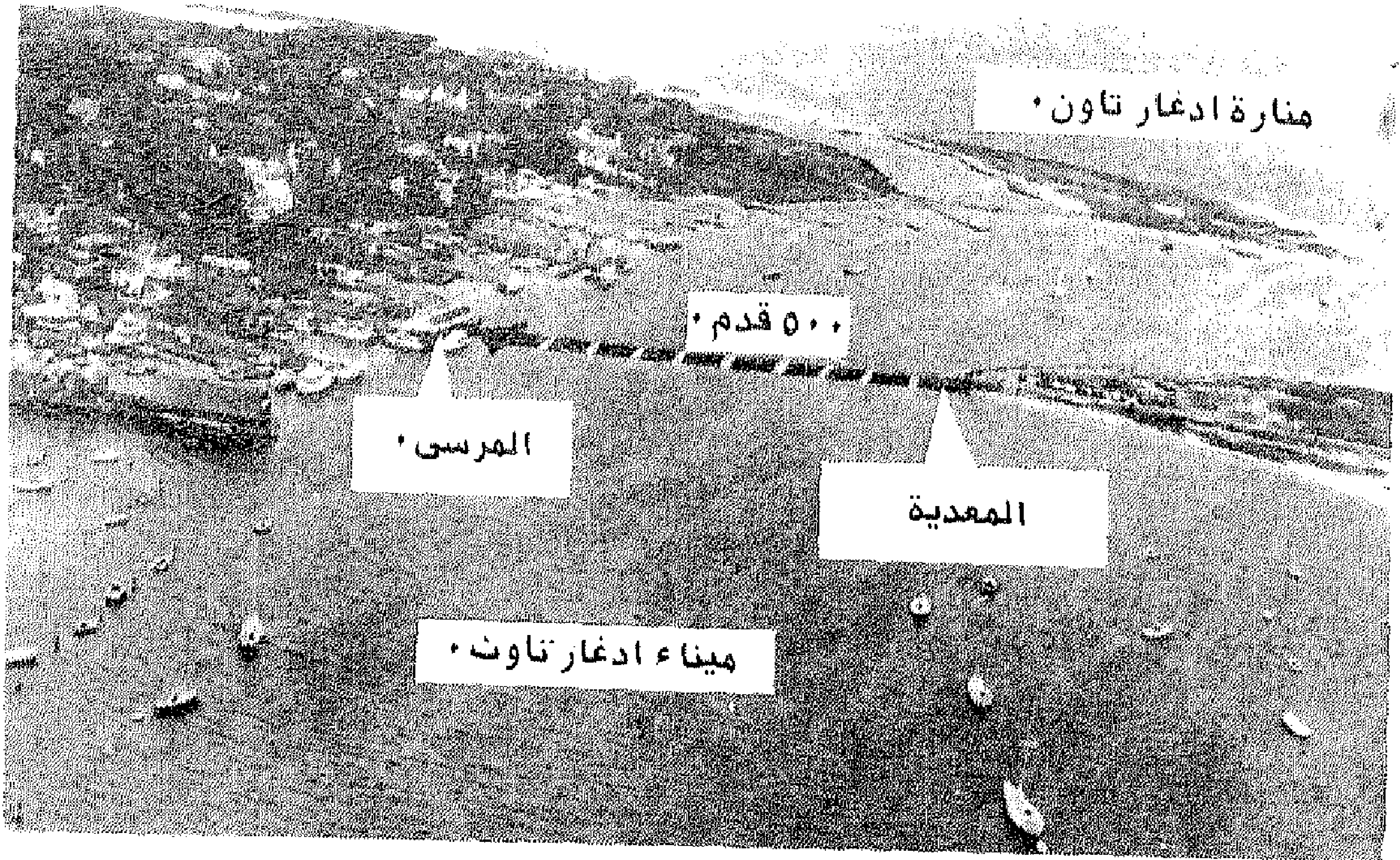
وطوال الايام الستة التالية لاذ كينيدي بالصمت وحبس نفسه خلف أبواب ضيعة الاسرة في هيانيس بورت في ولاية ماساتشوستس، ولم يغادرها إلا لكي يحضر جنازة الآنسة كوبتشني ويعود منها على الفور بالطائرة. وكان هو والقريبون منه يدركون حرج الموقف. وأخذ مشاهير الرجال يتجمعون في الضيعة لتقديم المشورة، ووضع استراتيجية التصرف والمعاونة في إعداد محضر ثان، لان المحضر الاول كان مثاراً للتساؤلات والشكوك على نطاق واسع.

وكان من بين الذين وفدوا لحضور المجلس الكبير وزير الدفاع السابق روبرت مكنمارا وجون كوليفر وجون توني اللذان كانا آنئذ عضوين في مجلس النواب ثم أصبحا عضوين في مجلس الشيوخ عن ولايتي أيوا وكاليفورنيا، وثيودور سورنسن وريتشارد جودوين اللذان كانا يكتبان خطب الرئيس الراحل كينيدي، ورئيسا النيابة العامة بيرك مارشال وميلتون غويرتزمان، والاستاذ في جامعة هارفرد آرثر شلزينجر الابن والمستشار السياسي كينيث أودونل ومدير أعمال الاسرة ستيفن سميث. وفي هذه الاثناء كان المحامون الذين أوفدوا الى بلدة مارثاس فانيارد يتفاوضون بالنيابة عن كينيدي.

وقد أتاح نجاح هؤلاء للسناتور أن يخرج عن صمته يوم ٢٥ يوليو (تموز). فبعد إتمام الترتيبات المناسبة مع ممثل الادعاء، عاد كينيدي الى بلدة إدغارتاون وأقر بأنه مذنب في جنحة مغادرة موقع الحادثة، فأدانه القاضي - بموافقة الادعاء - بأدنى عقوبة ينص عليها القانون، وهي الحبس مدة شهرين مع وقف التنفيذ، وسحب رخصة قيادة السيارات التي يحملها لمدة عام.

وبعد ذلك أعلن كينيدي: "لقد استعدت الليلة حريتي فيمكنني ان أنبئكم بما حدث"، وقدم كينيدي في ذلك المساء "الى اهل ماساتشوستس" (والى المشاهدين الذين استبد بهم الفضول على صعيد الامة كلها) بياناً بالتلفزيون استغرق ١٧ دقيقة واحدة يختلف اختلافاً ملموساً عن الاقوال التي ادلى بها الى رئيس الشرطة آرينا قبل ستة أيام. وبعد ستة أشهر، في يناير (كانون الثاني) عام ١٩٧٠، أدلى كينيدي وماركهام وغارغان وغيرهم بأقوالهم بعد حلف اليمين القانونية في تحقيق سري تناول وفاة الآنسة كوبتشني.

فماذا حدث بالفعل في تلك الليلة المشؤومة؟



منظر جوي لميناء ادغار تاون٠

إن تتابع الاحداث كما رواها السناتور وأصدقاؤه، سواء في الحديث التلفزيوني أو في التحقيق السري (الذي أعلن نصه في ٢٨ أبريل /نيسان ١٩٧٠)، لم يطرأ عليه أي تعديل من جانبهم طوال السنين العشر التي انقضت منذ وقوع الحادثة٠ وفي ما يأتي ملخص لاقوالهم، يتلوه تحليل للنقاط الدقيقة ولبعض الوقائع الجديدة:

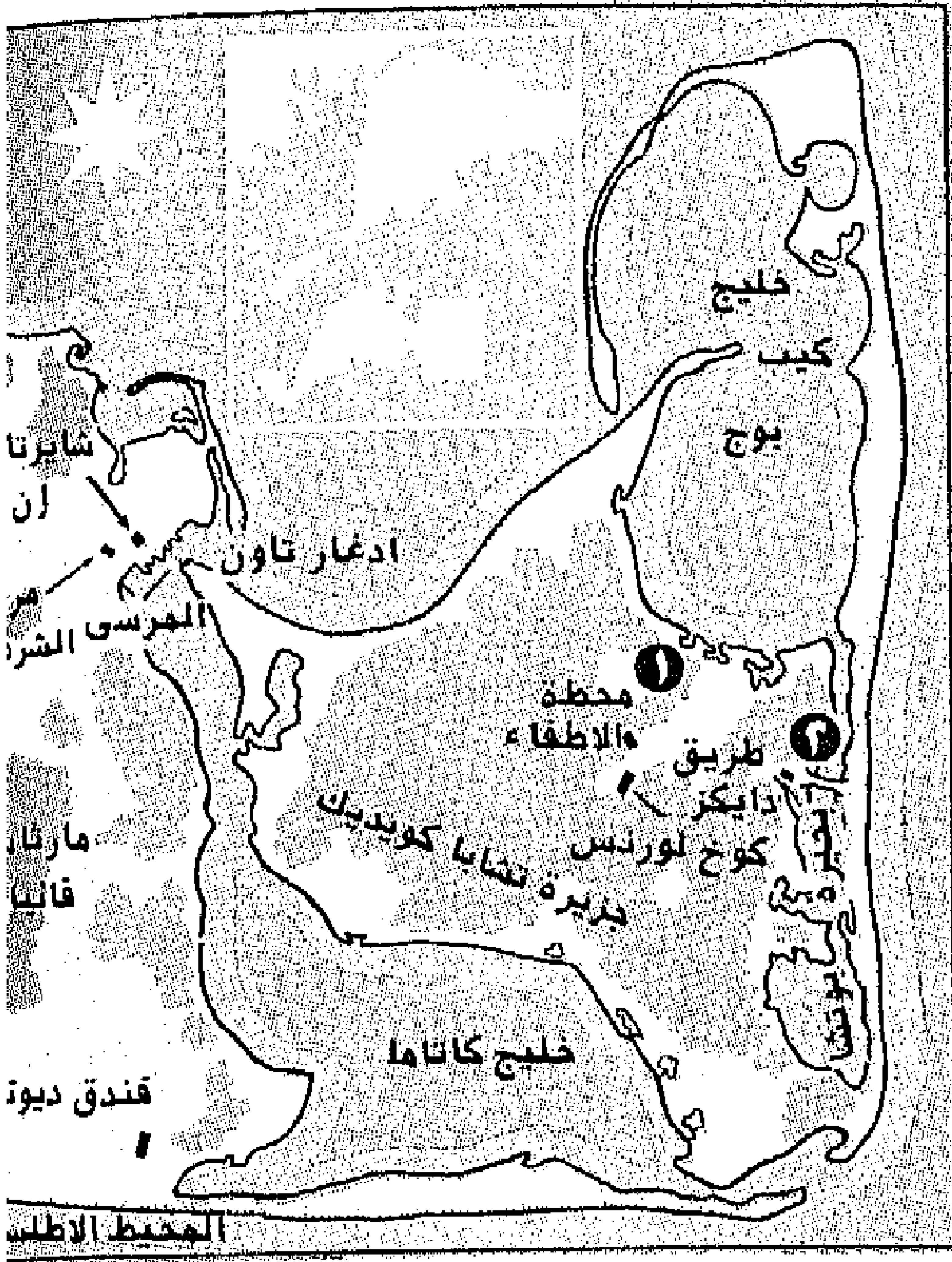
انحراف الى اليمين

درج آل كينيدي طوال ثلاثين عاماً على الاشتراك في سباق الزوارق في ادغارتاون٠ وتمشيا مع هذا التقليد، وحضور حفلة "شجع السناتور كينيدي على اقامتها وشارك في رعايتها، تكريماً لمجموعة مخلصة من سكرتيرات حملة ترشيح كينيدي للرئاسة"، قدم السناتور الى بلدة إدغارتاون حيث وصل قرب الساعة الاولى بعد ظهر يوم ١٨ يوليو (تموز)، في سيارة يقودها مستخدمه جون ب٠ كريمينز البالغ من العمر ٦٣ عاماً٠ وركب كينيدي المعدية الى تشاباكويديك ليستحم هناك في المحيط الاطلسي انعاشاً للقوى قبل بداية السباق٠ ولكي يصلا بالسيارة - هو وكريمينز - الى الشاطىء، كان عليهما أن ينحرفا بالسيارة عن الطريق الوحيد المرصوف في الجزيرة ويتجها بها نحو طريق الحاجز الصخري وعبر الجسر القائم فوق بركة بوتشا والذي يزيد عرضه قليلا على ثلاثة أمتار، كما كان عليهما بعد ذلك أن يعودا من الطريق ذاتها٠ (وعلى ذلك، فان كينيدي قد عبر مرتين هذا الطريق البالغ الخشونة وذلك الجسر المتميز الذي يعلو المكان الذي قدر للآنسة كوبتشني أن تلاقي حتفها فيه بعد قليل)٠

وانتهى كينيدي من السباق وهو يحتل المركز التاسع، ثم سجل اسمه في فندق شايرتاون - إن، وغير ملابسه، وشرب "ثلث زجاجة بيرة تقريباً" مع بعض الاصدقاء قبل أن يعود به كريمنز في السيارة إلى تشاباكويديك الساعة ٧،٣٠ مساء. وكان "غاريدغرانت" الذي يتولى تشغيل المعدية يعمل من الساعة السادسة مساء حتى الساعة الاولى والثلث صباحاً. وهو يتذكر المناسبة، فيقول: "إن الليلة كانت بديعة شديدة الهدوء، وكان الماء كالزجاج".

وكان غارغان قد استأجر لإقامة الحفلة بيتاً من غرفتين للنوم يعرف باسم "كوخ لورنس"، ويقع على مسافة عشرة أمتار تقريباً من الطريق الرئيسي المرصوف الذي يؤدي إلى مرسى المعدية على بعد خمسة كيلومترات تقريباً. وكان بين ضيوف الحفلة ست نساء غير متزوجات، جميعهن في العشرينات من عمرهن، وكانت الآنسة كوبتشني في الثامنة والعشرين أكبرهن سناً. واما سائر الحاضرين، فكانوا: كينيدي، وكريمنز، وغارغان (٣٩ عاماً)، وماركهام (٣٩ عاماً)، وتريتر (٣٠ عاماً)، وريموند لاروزا (٤١ عاماً). وهو أحد موظفي الدفاع المدني في ولاية ماساتشوستس.

وكان كريمنز قد زود المنزل بثلاث زجاجات كبيرة من الفودكا تسع كل منها نصف غالون (أكثر من ليترين)، وبقرابة أربعة ليترات من الويسكي، وزجاجتين من الروم، وصندوقين من البيرة. وطبقاً للشهادات التي وردت في التحقيق، فان أحداً ممن اشتركوا



على اثر مغادرته مكان الاحتفال في "كوخ لورنس"، استقل كينيدي سيارته متوجهاً الى المرسى، وهو انحرف بها يميناً (١) ثم اتجه نحو طريق الحاجز الصخري قبل ان يعبر الجسر (٢).

في الحفلة لم يتناول طوال تلك الامسية أكثر من ثلاث اقداح من الشراب. وشرب كينيدي آخر قدح من الروم الممزوج بالكوكاكولا في الساعة التاسعة مساء. وكان الاصدقاء يتسلون بأكل شرائح اللحم المشوية، وبالغناء والرقص والاستماع إلى الراديو وتبادل الذكريات والمشي.

وفي الساعة ١١،١٥ ليلا، كما يصرّ كينيدي على القول، قرر أن يعود الى فندقه ليحصل على قسط واف من النوم. وتصادف أن كانت الآنسة كوبتشني تتحدث معه آنئذ، فقالت أنها هي ايضاً تريد مغادرة المكان ورجته أن يتكرم باصطحابها الى فندق "ريونز" حيث تنزل هي واخريات. وكان فندق كوبتشني يبعد

بضعة كيلومترات عن فندق كينيدي. (راجع الخريطة) فأخذ السناتور مفاتيح السيارة من كريمنز وقادها بصحبة الآنسة كوبتشني على الطريق الرئيسي متجهاً الى مرسى المعدية.

إلا أنه بدلا من ان يواصل السير على الطريق الرئيسي المرصوف حيث ينحني انحناءة حادة نحو اليسار، دار كينيدي خطأ الى اليمين واندفع في الطريق الترابي الوعر بسرعة تناهز ثلاثين كيلومتراً في الساعة. وعلى رغم أنه كان صاحياً، غير ثمل، "وفي كامل وعيه" مركزاً كل انتباهه على الطريق من امامه ولا يلهيه عنه أي شيء آخر، إلا أنه لم يدرك خطأه، ولم ير الجسر إلا قبل أن يبلغه "ببضعة أجزاء من الثانية". واندفعت السيارة الضخمة وتجاوزت الحافة اليمنى من الجسر، وانقلبت على ذاتها وغاصت في الماء حتى استقر سقفها فوق ارض قاع بركة يوتشا.

وتدفق الماء الى داخل السيارة من نافذتها الامامية اليسرى التي كانت مفتوحة، ومن نافذتي الجانب الايمن اللتين حطمهما الاصطدام. ويقول كينيدي عن ذلك: "أتذكر، عندما اندفع الماء البارد حول رأسي، أنني تصورت انني غارق لا محالة، ولكنني قاومت على نحو ما وبلغت سطح الماء حياً". (لم يتمكن كينيدي أبداً في تعليقاته وتصريحاته العلنية اللاحقة من ان يتذكر كيف نجا بنفسه من السيارة المغمورة بالماء، ولكنه يتذكر "حركة ماري - جو إلى جواري وهي تقاوم، وربما ترتطم بي وترفسني").

وعندما بلغ كينيدي سطح الماء "جرفه التيار الذي كان ينساب بقوة غير عادية خلال ذلك الممر الضيق، وعجز عن السباحة في ذلك الوقت بسبب التيار". ولكنه بعد أن خاض الماء الى الشاطىء واسترد أنفاسه، عاود الغطس سبع مرات أو ثماني في اتجاه السيارة التي كانت أنوارها لا تزال مضاءة، ولكن التيار القوي أفسد كل جهود الانقاذ التي بذلها. وبعد ١٥ أو ٢٠ دقيقة بلغ به الاعياء درجة منعته من الاستمرار في المحاولة، فاستراح على الشاطىء قرابة ١٥ أو ٢٠ دقيقة أخرى، ثم بدأ "يمشي، ويعدو، ويركض، ويتعثر" عائداً الى كوخ لورنس.

كان لا بد لكينيدي في طريق عودته هذه من أن يمر على نحو بضعة أمتار من بيت مضاء على يساره قرب الجسر، وأمام بيت آخر مضاء ايضاً الى جهة اليمين، بعد البيت الاول بقليل، ولدى كل من هذين البيتين جهاز تلفون. كما كان لا بد له أيضاً من ان يمر سيراً أو عدواً على مسافة أمتار قليلة من محطة مطافىء مضاءة ومفتوحة ومزودة بمقبض إنذار يكفي مجرد جذبه لإيقاظ الجزيرة بأكملها).

وحين بلغ كينيدي كوخ لورنس، اندفع داخل سيارة واقفة من طراز "فاليانت" وجلس على مقعدها الخلفي بعدما نادى لاروزا الذي كان واقفاً عند مدخل الكوخ، وطلب منه أن يستدعي غارغان، ثم ماركهام.

وقال لهما حين جاءا: "لقد سقطت السيارة من فوق الجسر قرب الشاطىء وفي داخلها ماري - جو". وفي أثناء انطلاقهم مسرعين نحو الجسر قرابة

الساعة ١٢،٢٠ بعد منتصف الليل، لم يطلع كينيدي صديقيه على اي تفاصيل عن الحادثة، وهما لم يسألاه عن اي معلومات.

سأتولى الامر

قاد غارغان السيارة الفاليانت عبر الجسر وسلط أضواءها على البركة، فاستطاعوا بذلك رؤية السيارة الاولدزموبيل المقلوبة. وخلع ماركهام وغارغان ملابسهما وظلا طوال الدقائق الخمس والاربعين التالية يكرران الغوص مرة بعد أخرى وهما يحاولان دخول السيارة الغائصة. ولكن التيارات القوية أفسدت محاولاتهما. ويتذكر كينيدي أنه عندما خرج غارغان من البركة، "كان مصاباً بخدوش كثيرة ابتداء من مرفقه، وكان ما تحت ذراعه مليئاً بالرضوض ودامياً".

وتخلوا أخيراً عن محاولات الانقاذ غير المجدية، ومضوا بالسيارة الفاليانت إلى مرسى المعدية، وكينيدي ينشج وعلى وشك الانهيار التام وسط دموعه. وقال: "إن ما حدث لم يكن ممكناً. ولست ادري كيف حدث". فقال ماركهام: "لقد حدث. وحدث بالفعل".

قال كينيدي: "ماذا عساي أفعل الآن؟ وماذا استطيع فعله؟"

وجلسوا في السيارة عند مرسى المعدية يتحدثون مدة عشر دقائق أو نحوها، وحث غارغان كينيدي على الاتصال تلفونياً بأسرته وبمساعده الاداري "ديفيد بيرك" قائلا: "يجب أن تبلغ عن هذا الحادث على الفور".

قال كينيدي: "حسناً، حسناً، سأتولى الامر. ارجعا الى حيث اتيتما ولا تعكرا مزاج الفتيات، ولا تزجاهن في هذا الموضوع، وسأتولى أنا الامر". ثم خرج كينيدي من السيارة ومشى بضع خطوات الى الشاطىء، ثم اندفع فجأة إلى قناة الميناء وبدأ يسبح في اتجاه إدغارتاون. "بدأت آنذاك أسبح متخبطاً في ذلك التيار. واشتد التيار فجأة... فشعرت به يقذفني قذفة غير عادية ثم يكاد يجذبني الى أسفل مرة أخرى، والماء يستقطبني الى أسفل. وأدركت فجأة في تلك اللحظة ما فاتني أن أدركه قبل أن أغطس، وهو أني في حال ضعف وأرهاق... وبدأ التيار يجرفني الى الخارج، وشعرت للمرة الثانية في ذلك المساء بأني على وشك الغرق، وبأن قواي تتناقص باستمرار. وكنت في تلك اللحظة على حوالي ٥٠ متراً من الشاطىء. وتذكرت أن التيار جرفني في اتجاه منارة إدغارتاون ثم ابتعد بي الى الظلمة. وبعد ذلك بفترة قليلة - وأظنني كنت قد بلغت منتصف القناة أو أكثر من ذلك قليلا - اصبح التيار أكثر هدوءاً وأقل قوة، وبدأت أسترد بعض قواي، وأحرز بعض التقدم، حتى تمكنت في النهاية من بلوغ الشاطىء الآخر...".

وسار كينيدي جاهداً في اتجاه فندق شايرتاون إن لـ"يستند إلى احدى الاشجار ليستريح فترة من الوقت" حتى يسترد قواه. وقبل الساعة الثانية صباحاً بقليل، بلغ غرفته في الفندق وخلع ملابسه المبللة "وهوى في فراشه". وكان رأسه يدوي بالخفقان، والالم يجتاح رقبته وظهره، وكان "واعياً بالمأساة وفقد

صديقة شديدة الاخلاص"٠ ونظراً الى انه "لم يكن متأكداً مما إذا كان الوقت صباحاً أو عصراً أو ليلاً"، فقد ارتدى ملابس جافة ونزل الى بهو الفندق وسأل موظف الفندق عن الوقت، فوجد أن الساعة كانت ٢،٤٥ صباحاً٠

"لم ابلغ عن ذلك"

وفي جزيرة تشاباكويديك ـ حسب الافادة التي ادلى بها غارغان وماركهام بعد حلف اليمين القانونية ـ وقف الاثنان يرقبان كينيدي بعد أن قفز الى الماء حتى بلغ نصف المسافة الى الشاطىء الآخر او ثلاثة أرباعها، واطمأنا الى سلامته والى أنه سيبلغ عن الحادث كما وعدهما، فتجولا بالسيارة قليلا ثم عادا الى كوخ لورنس بين الثانية والثانية والربع صباحاً٠

وحرصا هناك على الظهور بمظهر الراحة والاطمئنان، وأنبأ غارغان عدداً من صديقات الآنسة كوبتشني بان هذه قد قادت السيارة الالدزموبيل وذهبت وحدها الى إدغارتاون وعبرت بها على آخر معدية وبلغت فندقها بأمان٠ وبما انهما لم يجدا بعد ذلك قارباً لنقل السناتور، فقد اختار هو ان يعود الى فندقه سباحة وقفز الى الماء، فقفزا تلقائياً وراءه، ثم قررا بعد ذلك أن يتركاه يسبح وحده الى الفندق٠

وعندما أعيد تمثيل هذا المشهد أثناء التحقيق، ثار فضول القاضي جيمس أ٠ بويل الذي اشرف على التحقيق٠ وعندما أخذت إحدى موظفات حملة كينيدي الانتخابية ـ وهي ماري ايلين ليونز ـ تروي بعد حلف اليمين القانونية ما قاله غارغان وماركهام، تدخل القاضي بويل، ودارت بينهما الاسئلة والاجابات الآتية:

ـ ألم تقولي لهما: "حسناً، كيف حدث أن تأخذ ماري ـ جو السيارة ويعود السناتور سابحاً؟"٠

فبدأت الآنسة ليونز تجيب قائلة: "لقد افترضت أن٠٠٠"

ـ ألم يخطر في بالك أن هذا أمر شديد الغرابة؟

"في الحقيقة لا٠ وكما كنت أقول، فان الامر لم يبد على هذه الصورة"٠

ـ هل كنت تعرفين أنهما انصرفا سوياً في السيارة؟

"نعم"٠

ـ وقد افترضت عندئذ أنهما اتجها الى إدغارتاون؟

"كلا، لم أكن أعرف وجهتهما، ولم ينبئني أحد بشيء عندما انصرفا"٠

ـ ثم علمت أن السناتور قد اضطر الى السباحة بسبب عدم وجود قوارب، وان السيارة ـ سيارته التي انصرف فيها بصحبة ماري ـ جو ـ قد عبرت على المعدية وفيها ماري ـ جو؟

"حسناً، لقد افترضت أنه قد قرر لسبب ما ألا يذهب في السيارة"٠

ـ ولم يبد لك أن في هذا الامر ما يبعث على الاستغراب؟

"كلا، في الحقيقة، يا سيادة القاضي"٠

وفي الصباح، عندما جاء غارغان وماركهام ووجدا كينيدي يتحادث مع رينشاردز على شرفة الفندق، ثم مضيا معه الى غرفته، سألاه: "ماذا حدث؟"

فقال كينيدي: "إنني لم أبلغ عن الحادث"٠ فهو قضى الليل "يتقلب ويدور ويمشي في غرفته جيئة وذهاباً"، غير قادر "على استجماع قواي الداخلية، لكي أتصل تلفونياً بمسز كوبتشني (٢)٠ فقد "كنت أؤمن على نحو ما بأنه عندما تشرق الشمس على صباح جديد فان ما حدث في الليلة الفائتة لن يكون قد حدث وسأتبين أنه لم يحدث(٠٠٠) وأنه كان مجرد حلم مروع٠ ولم أكن واثقاً حتى من وقوعه "بالفعل"٠

فقال ماركهام: "ولكنه حدث، ولا بد لك من الابلاغ عن هذا الامر وعليك أن تفعل ذلك الآن"٠ وأصر غارغان على أن يتصل كينيدي حالا بالهاتف ببيرك مارشال وديفيد بيرك٠ ونظراً الى ان كينيدي أراد ان يكون منفرداً لدى إجراء الاتصالين التلفونيين فقد اقترح عليه غارغان أن يستخدم جهاز التلفون الموجود على مرسى المعدية في جزيرة تشاباكويديك٠ وبناء على ذلك استقل ثلاثتهم المعدية الى تشاباكويديك لاستخدام التلفون الموجود على المرسى حيث بدأ كينيدي سباحته في الليلة الفائتة٠

هذا هو ما أقسم كينيدي وصديقاه اليمين القانونية على أنه قد حدث، وهذا ما يدعي كينيدي اليوم انه قد حدث بالفعل٠

وقد قرر طبيب الاسرة الذي فحص كينيدي يوم ١٩ يوليو (تموز) أن السناتور قد أصيب "بارتجاج بسيط في المخ"، وأن "التصرف غير المنطقي لا يتعارض مع مثل هذه الحال"٠ وقال كينيدي في حديثه التلفزيوني: "غير أني لا أسعى الى التنصل من مسؤولية أعمالي عن طريق التلطي بالصدمة البدنية او العاطفية التي ترتبت على الحادث او اسنادها الى أي شخص آخر"٠ وأقر بعد ذلك بأنه ـ أياً تكن الحال ـ كان "متمالكاً حواسه" في الصباح الباكر عندما التقى ريتشاردز وتحادث وأياه٠

وصرح كينيدي أن تصرفاته، كما يسردها مجدداً "لا تبدو لي منطقية على أي وجه اطلاقاً"، وأن عدم إبلاغه عن الحادث فور وقوعه "تصرف لا يمكن الدفاع عنه وان تعليل اقواله وافعاله المختلفة، كان متعذراً، كذلك كانت هذه متناقضة وغير حاسمة٠ وقال لمشاهدي التلفزيون: "أقول بكل صراحة أني كنت نهباً لخليط من المشاعر المتضاربة: الحزن والخوف والشك، والارهاق، والذعر والارتباك والصدمة"٠

ثمانية اسئلة اساسية

ولما كان تفسير كينيدي النهائي هو أن سلوكه يتحدى كل تفسير، فقد لا يكون هناك مجال للدهشة من أن السجل قد بقي مشحوناً بالنقاط غير القابلة للتصديق وبوجوه التعارض، والتناقض الصريح، وأنه يثير الشكوك في صحة ما يقوله كينيدي٠ وفي ما يأتي ثمانية أسئلة اساسية تثب الى الذهن من ثنايا البيانات المتاحة:

١ ـ إلى أين كان كينيدي يصحب الآنسة كوبتشني بالفعل؟

خطر هذا السؤال للقاضي بويل بسبب مجموعة من الوقائع التي أبرزها التحقيق٠ فكينيدي لم يخبر أحداً، سوى كريمنز بأنه والآنسة

(٢) اتصل كينيدي بوالدة ماري ـ جو كوبتشني تلفونياً في النهاية في الساعة ١٠،٣٠ صباحاً٠

كوبتشني سيغادران الحفلة، ولم يودع أحداً من الضيوف على رغم أنه هو المضيف. وعلى رغم أنه في الظاهر كان يعتزم الذهاب للتمكن من عبور القناة بالمعدية قبل آخر رحلة لها في منتصف الليل، وعلى رغم أن ثمانية من الضيوف الذين بقوا في الحفلة كانوا يعتزمون العودة للبيت في إدغارتاون، إلا انه لم يعرض على أحد منهم أن يصحبه في سيارته(٣). وفي هذه المناسبة آثر كينيدي أن يقود السيارة بنفسه، وهو نادراً ما يفعل ذلك. وقد شهد كريمنز بأن كينيدي عندما طلب منه المفاتيح أوضح له أنه سيصطحب الآنسة كوبتشني الى إدغارتاون لأنها منحرفة الصحة. ولكن الآنسة كوبتشني لم تذكر لأحد أنها مريضة، ولا حتى لكينيدي، كما أقر هو نفسه في ما بعد. كذلك لم تودع الآنسة كوبتشني قبل انصرافها أياً من أصدقائها وصديقاتها. وعلى رغم أن مفتاح غرفتها في الفندق لم يكن معها فانها لم تطلبه من رفيقتها في الغرفة بل أنها لم تجشم نفسها العناء لأخذ حقيبة يدها.

والصعوبة الكبرى التي تعترض ادعاء كينيدي انه كان يتجه بالسيارة إلى المعدية، يعود أمرها الى طبيعة الطرق التي سلكها. فالسائق الذي يتحول خطأ عن الطريق الرئيسي المرصوف الى طريق الحاجز الصخري غير المرصوف، لا بد أن يخفف سرعة سيارته الى ما يقارب التوقف كي يدور على اعقابه دورة يبلغ انفراج زاويتها ٩٠ درجة. ذلك أن السائق يشعر على الفور بما يطرأ من تغيير على سطح الطريق. فالطريق الرئيسي مرصوف ناعم، في حين ان طريق الحاجز الصخري ـ كما أفاد عدد لا يحصى من المحققين ـ "شديد الخشونة" مثل لوح الغشيل. ويدعي كينيدي أنه يتعذر التمييز بين المرصوف وغير المرصوف بالنسبة الى اي شخص يعيش في منطقة "كيب كود" أو يزور الجزيرة... ولكن جيمس ر. ديكنسون، مخبر صحيفة "واشنطن ستار"، لخص النتيجة التي انتهى إليها عدد كبير من الصحافيين الآخرين على مدى السنين في ما كتبه في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي، حيث قال: "إلا أن ادعاءه بأنه انحرف سهواً في اتجاه خاطىء وظل يظن أنه منطلق الى الغرب على الطريق المرصوف نحو المعدية التي تعبر الى ادغارتاون، وليس في اتجاه الشرق على الطريق غير المرصوف نحو جسر الحاجز الصخري وشاطىء الاطلسي، يبدو لأي شخص قاد سيارته فوق هذه المنطقة أمراً لا يقبل التفسير بل يعصو على التصديق. وهذا هو أفضل ما يمكن أن أفسر به المسألة".

وقد بدا ادعاء كينيدي مستعصياً على التصديق ايضاً في نظر القاضي بويل. وكان القاضي خلال التحقيق أبعد ما يكون عن اتخاذ موقف عدائي من السناتور، بل إنه في الحقيقة كان يستبعد أحياناً بعض الاسئلة او الشهادات التي يمكن أن تؤذيه. وعلى رغم ذلك، فقد ذكر في تقريره النهائي عن نتيجة التحقيق ما يأتي:

(٣) تلك الليلة، لم يعد اي من الضيوف الى ادغارتاون بل هم بقوا في تشاباكويديك.

"إن التفسير المعقول والمحتمل الذي أستنتجه من مجموع الوقائع التي تقدم ذكرها هو أن كينيدي وكوبتشني لم يكونا يعتزمان العودة الى بلدة ادغارتاون في ذلك الوقت، وان كينيدي لم يكن ينوي قيادة السيارة الى مرسى المعدية، وأن انحرافه الى طريق الحاجز الصخري كان متعمداً...

"ان سرعة ثلاثين كيلومتراً في الساعة حسبما شهد بذلك كينيدي – بسيارة بضخامة الاولدزموبيل – أمر أقل ما يقال فيه هو انه ليس بذي بال، بل يمكن اعتباره عملا طائشاً ومتهوراً. وإذا كان كينيدي على علم بهذه المخاطرة (خطر الجسر والطريق) فان قيادته للسيارة على هذا النحو تشكل سلوكاً إجرامياً.

"وفي تاريخ سابق اي في يوم ١٨ يوليو (تموز) ذاته، كان كينيدي قد مر بسيارته – يقودها سائقه – فوق طريق تشاباكويديك الرئيسي ثلاث مرات، وفوق طريق الحاجز الصخري والجسر الخشبي مرتين. وكانت كوبتشني قد ركبت سيارة مرت بها فوق طريق تشاباكويديك خمس مرات وفوق طريق الحاجز الصخري والجسر الخشبي مرتين. "وفي اعتقادي انه من المحتمل ان يكون كينيدي دارياً بالمخاطرة التي يقدم عليها على طريق الحاجز الصخري ولكنه، لسبب غير مذكور في شهادته، لم يلتزم جانب الحرص الواجب وهو يقترب من الجسر.

"وبناء على ما تقدم أرى ان هناك مبرراً للاعتقاد بأن ادوارد م. كينيدي قد قاد سيارته باهمال عبر طريق أو في مكان يحق للجمهور اجتيازه، ويبدو أن هذه العملية قد ساهمت في التسبب بموت ماري – جو كوبتشني".

٢ – هل حصل الحادث على النحو الذي يرويه كينيدي؟

خلال العقود الاربعة التي انقضت على قيام الجسر كان كينيدي الشخص الوحيد الذي يتدهور فوقه.

لقد أقسم خمسة من أصدقاء كينيدي الذين حضروا الحفلة على أنه هو والانسة كوبتشني ظهراً في تمام وعيهما حين غادرا المكان. ونظراً الى ان السناتور لم يذهب إلى مقر الشرطة إلا بعد الحادث بساعات، فانه لم يخضع لاختبارات قياس الكحول في الدم أو في الزفير، ومن ثم فلا دليل هناك على أنه لم يكن "صاحياً تماماً" كما يقول هو.

ومع هذا، فان طريقة قيادته لسيارته على طريق الحاجز الصخري لا يستدل منها انها صادرة عن رجل مسؤول متمالك لنفسه.

وشهد كينيدي في التحقيق بأنه لم يدرك أنه قد تحول في الاتجاه الخاطىء إلا في اللحظة التي سقط فيها بسيارته في الماء تقريباً. ولكن ماركهام ذكر ايضاً في التحقيق أن كينيدي قال له "إنه انحرف في اتجاه خاطىء وانه لم يستطع الاستدارة بالسيارة". والواقع ان هناك أماكن عدة كان يستطيع فيها الدوران بالسيارة، ومن بينها مدخلان للسيارات على جانبي الطريق على مسافة ١٥٠ متراً قبل بلوغ الجسر.

كذلك أقسم كينيدي على أنه، فيما كان يحدق الى الامام، لم ير الجسر

إلا قبل هنيهة أو "جزء من ثانية" من مروره فوقه. لكن ماركهام، حين كان عائداً مع كينيدي وغارغان في وقت متقدم تلك الليلة، أمكنه أن يبصر الجسر على رغم أنه كان مسرعاً. من ناحية اخرى، ورد في تقرير لشركة "آرثر د. ليتل" وضع بناء على طلب كينيدي، أنه "كان من المتعذر حتماً رؤية الطريق فوق الجسر خلال الليل وعلى مسافة تتجاوز كثيراً ١٨ متراً أو حتى ٢٧ متراً". وتشير المعطيات الاكثر موضوعية الى ان سرعة ٣٢ كيلومتراً في الساعة لا تمنع سائقاً معتدل الانتباه من ايقاف سيارته فوق الحصي" الجافة ضمن مسافة تقل عن ١٨ متراً. لذلك كان لايزال لدى كينيدي، حتى تحت أقسى الظروف التي ذكرها تقريره، متسع من الوقت لرؤية الجسر والتوقف إذا كان فعلاً، كما شهد السناتور كينيدي وافترض مستشاروه، يقود السيارة بسرعة ٣٢ كيلومتراً في الساعة.

حتى هنا لم يكذب أحد تقدير السناتور كينيدي للسرعة التي كان يقود السيارة بها. وربما كان ذلك عائداً الى تقرير المراقب كينيدي الذي أيد كلام السناتور. فالآثار التي أحدثها انزلاق عجلات السيارة على حافة الجسر جعلت المراقب كينيدي، خبير مصلحة تسجيل السيارات والآليات، يحسب أن السرعة كانت بين ٣٢ كيلومتراً و٣٥ كيلومتراً في الساعة. ولكن لا يجوز علمياً استنتاج السرعة بناء على آثار الانزلاق فحسب، خصوصاً اذا تمت مراقبتها ودراستها بسرعة كما حصل في حال الاولدزموبيل. إلا أن أحداً لم يطرح على المراقب كينيدي خلال الاستجواب هذا السؤال التقني. كما ان القاضي منعه منعاً باتاً من التصريح بأن آثار انزلاق العجلات ربما اختفى معظمها بفعل السيارات التي مرت من هناك صباح اليوم التالي.

لقد مات المراقب كينيدي، ورفضت مصلحة تسجيل السيارات والآليات في ولاية مساتشوستس في اكتوبر (تشرين الاول) الماضي إعطاء نسخة عن تقريره الاساسي حول الحادث إلا بإذن خطي مصدق من السناتور كينيدي نفسه.

كم كانت السرعة التي قاد بها كينيدي سيارته؟ من أجل الاجابة عن هذا السؤال استشارت الـ"ريدرز دايجست" عدداً من مهندسي السير ذوي الخبرة الطويلة في ميدان دراسة حوادث السير بتكليف من الحكومة الفيديرالية والافراد. وقد أقنعتهم الشواهد المتعلقة بمسار السيارة والمسافة التي قطعتها من الجسر، بأن كينيدي كان يقود السيارة بسرعة تفوق كثيراً ٣٢ كيلومتراً في الساعة.

ثم مولت الدايجست دراسة موضوعية مفصلة عهدت بها الى السيد رايموند ماكهنري، أحد أبرز الخبراء الامريكيين في تحليل حوادث السيارات. واعتمد ماكهنري أساليب تحليلية متقدمة سبق أن أيدت صحتها وزارة المواصلات الامريكية واستخدمت في قضايا قانونية متعددة. فألقم دماغاً الكترونياً من نوع "آي. بي. إم" معلومات من بينها وزن السيارة وقوة عجلاتها وارتفاع الطريق وخصائص الجسر

الهندسية، حتى توصل، بعد محاولات عدة، الى حساب حركات السيارة. وفي ما يأتي الارقام النهائية والنتائج:

كان كينيدي يقود السيارة على الجانب الخطأ (اليسار) من الطريق حين وصل الى الجسر بسرعة ٥٥ كيلومتراً في الساعة تقريباً. (بناء على مقاييس علمية دقيقة، يقول ماكهنري ان هذا الرقم قد يكون زائداً أو ناقصاً سبعة كيلومترات في الساعة. من هنا كانت السرعة في حدها الادنى ٤٨ كيلومتراً في الساعة، وقد تكون بلغت حدها الاقصى وهو ٦٢ كيلومتراً).

ورأى كينيدي الجسر حين كان على مسافة ١٥ متراً منه على الاقل، وربما أبعد من ذلك. وعلى بعد خمسة أمتار من الجسر، داس كابح السيارة (الفرامل) بقوة فأوقف العجلتين الاماميتين على الفور. وبفعل السرعة الشديدة انزلقت السيارة خمسة أمتار على الطريق ثم حوالي سبعة أمتار ونصف متر فوق الجسر قبل أن تقفز عن حاجز يرتفع ١٥ سنتيمتراً فوق الجسر وتنحدر قرابة عشرة أمتار لتلامس الماء. وكانت السيارة لا تزال تتحرك بسرعة تراوح بين ٣٥ و٤٥ كيلومتراً في الساعة قبل أن يوقفها اصطدامها بالماء.

لقد وصف القاضي بويل قيادة السيارة بسرعة ٣٤ كيلومتراً في الساعة على طريق دايك المرتجة وغير المستقرة بأنها عمل يدل على "إهمال وربما على تهور". فكم بالحري اذا بلغت السرعة ٤٨ أو ٦٢ كيلومتراً في الساعة؟

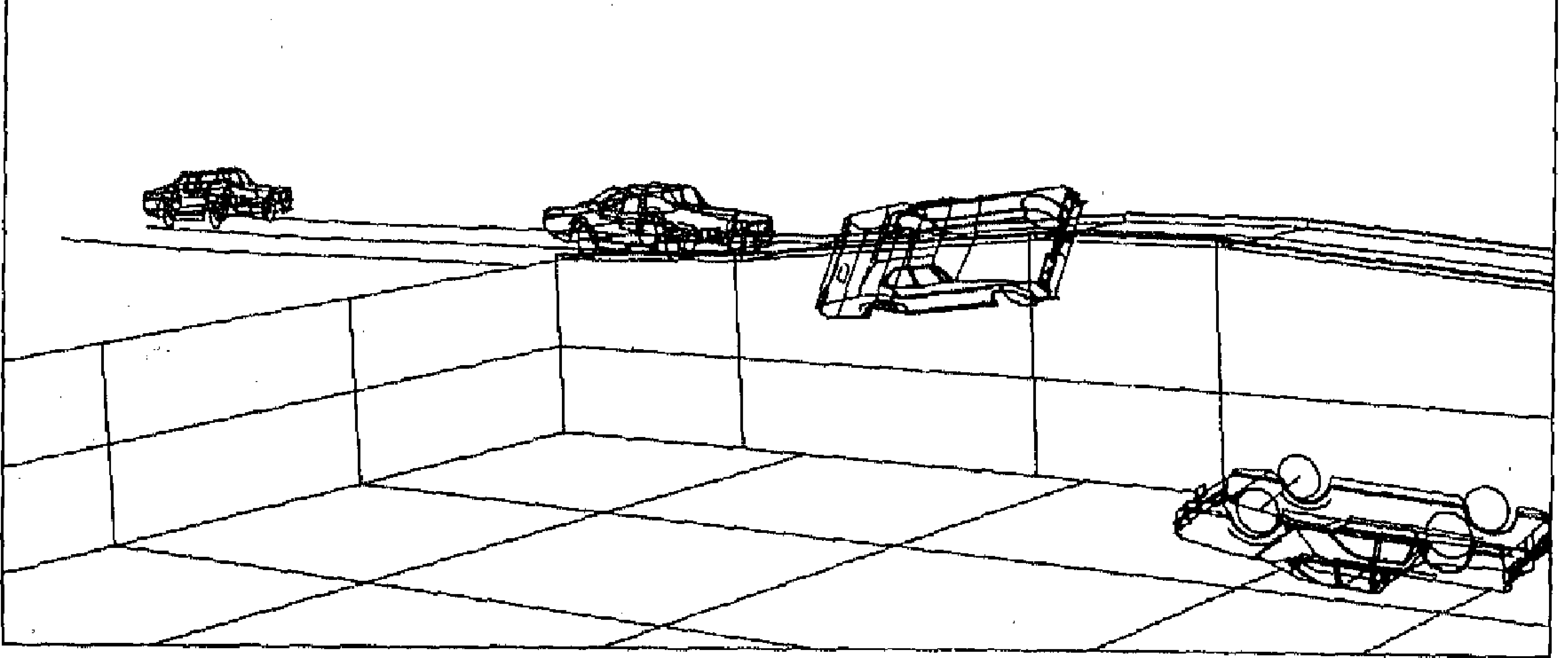
يضاف الى ذلك كله اعتبار آخر، هو أنه طوال فترة الخمسة والثلاثين عاماً التي انقضت على إنشاء الجسر فوق بركة بوتشا، كان كينيدي هو الشخص الوحيد الذي سقط بسيارته من فوقه.

٣ – هل حاول كينيدي أو ماركهام وغارغان إنقاذ الآنسة كوبتشني بالفعل كما يدعون؟

لم يكن هناك شهود على محاولات الغوص التي يقول كينيدي إنه قام بها. وطبقاً لروايته، كان السبب في فشله وجود تيار قوي "بصورة غير عادية".

ولتحديد مدى قوة التيار الذي يحتمل ان يكون كينيدي واجهه، كلفت الـ "ريدرز دايجست" في نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي برنارد ليميهوتي . مهندس علم المحيطات المشهود له عالمياً، اجراء دراسة علمية في هذا الصدد. فتولى مساعده إرنست داديو قياس قوة التيار في بركة بوتشا مرات متتابعة في مواعيد مختلفة طوال يوم ٩ نوفمبر (تشرين الثاني) عندما كانت ظروف التيارات في الموقع مطابقة الى حد كبير للظروف التي كانت سائدة ليلة ١٨ – ١٩ يوليو (تموز) ١٩٦٩. وقد التزم ليميهوتي في دراسته هذه التزاماً دقيقاً بالمنهجيات العلمية الموثوقة، وانتهى إلى أنه في الوقت الذي قال كينيدي إن الحادث وقع فيه، كان التيار ينساب بسرعة ٠،٨ عقدة(٤) في الساعة في وسط البركة، و٠،٢

(٤) العقدة توازي ١،٨٤ كيلومتر.


هذه الرسوم التي انجزها الدماغ الالكتروني، استناداً الى تحليل ماكهنري، تمثل الثواني القليلة المأسوية الأخيرة من الحادث.

عقدة في الساعة على جانب البركة الشرقي، وعقدة واحدة في الساعة تقريباً عند الموضع الذي غرقت فيه السيارة. وكان رأي الغواصين التابعين للأسطول والغواصين المدنيين الذين استشارتهم "الدايجست" أن تياراً تراوح قوته ما بين ٠،٨ عقدة و٢،١ عقدة في الساعة يشكل عائقاً له أهميته بالنسبة الى اي شخص يحاول أن يسبح ضده لمسافة طويلة، خصوصاً اذا كان مرتدياً ملابسه.

ولكن بناء على الشروط السائدة يظن خبراء سلامة المياه أن تياراً كهذا لا يمكنه أن يشكل عائقاً يستحيل اجتيازه على سابح متمرس، رابط الجأش، عقد عزمه على إنقاذ غريق.

لقد استقرت السيارة على بعد تسعة امتار تقريباً من حافة البركة، وحددت أضواؤها الكاشفة موقعها، اذ كانت لاتزال تلمع تحت الماء. وتشير المعطيات حول المد والجزر في المنطقة الى أن العمق الاقصى للمياه في البركة لم يتجاوز المترين في تلك الاثناء. فلو قصد شخص ما إنقاذ غريق لاجتاز جزءاً من المسافة سابحاً في اتجاه التيار، ثم عبر الامتار القليلة الباقية مخلفاً التيار وراءه. عندئذ يمسك بمحمل السيارة المقلوبة وينزلق نحو ١٢٠ سنتيمتراً الى داخلها، عبر احدى النوافذ المفتوحة الثلاث، كي يصل الى قسم الركاب.

ويقول برنارد امبلتون، المدير التنفيذي لمجلس التعاون المائي القومي: "ذلك ما كان في الامكان فعله، وتلك هي الطريقة التي وجب اتباعها".

وقد ذكر غارغان وماركهام أيضاً ان التيار القوي كان السبب الرئيسي لفشلهما في الوصول الى الآنسة كوبتشني. وفي الساعة ١٢،٢٠، وهو

الموعد الذي يفترض أنهما بدآ الغوص فيه، كانت قوة التيار قد زادت الى ١،٣ عقدة في الساعة وسط البركة والى ١،٥ عقدة في الساعة على الجانب الشرقي. وهنا أيضاً يرى خبراء الغوص أن مثل هذا التيار يزيد من صعوبة جهود الانقاذ ولكنه لا يجعل نجاحها مستحيلا.

وقد سئل بعض أصدقاء كينيدي في التحقيق عما إذا كانوا لاحظوا وجود اي إصابات في جسمي ماركهام وغارغان لدى عودتهما، فكانت إجابتهم جميعاً بالنفي. وكان غارغان في اليوم التالي في مركز شرطة إدغارتاون يرتدي قميصاً قصيرة الكمين، ولكن رئيس الشرطة أرينا والمراقب كينيدي لم يلاحظا وجود اي إصابات في أي من ذراعيه، اللذين كانت احداهما ـ طبقاً لرواية السناتور ـ قد امتلأت بالجروح من المرفق الى أعلى... وانتشرت فيها الرضوض وأصبحت دامية".

وبعد الساعة التاسعة تقريباً من صباح يوم ١٩ يوليو (تموز)، عاد غارغان إلى كوخ لورنس حيث أنبأ عدداً من صديقات الآنسة كوبتشني بأن هناك حادثاً قد وقع وأن الفتاة مفقودة، فسألنه: "وماذا عملوا لمساعدتها؟ هل استدعي حرس السواحل؟"

فأجاب المحامي غارغان برزانة: "لا اعرف"، وذلك على رغم الزعم القائل بأنه هو نفسه قد غاص تكراراً قبل بضع ساعات مجازفاً بحياته من أجل إنقاذ الآنسة كوبتشني.

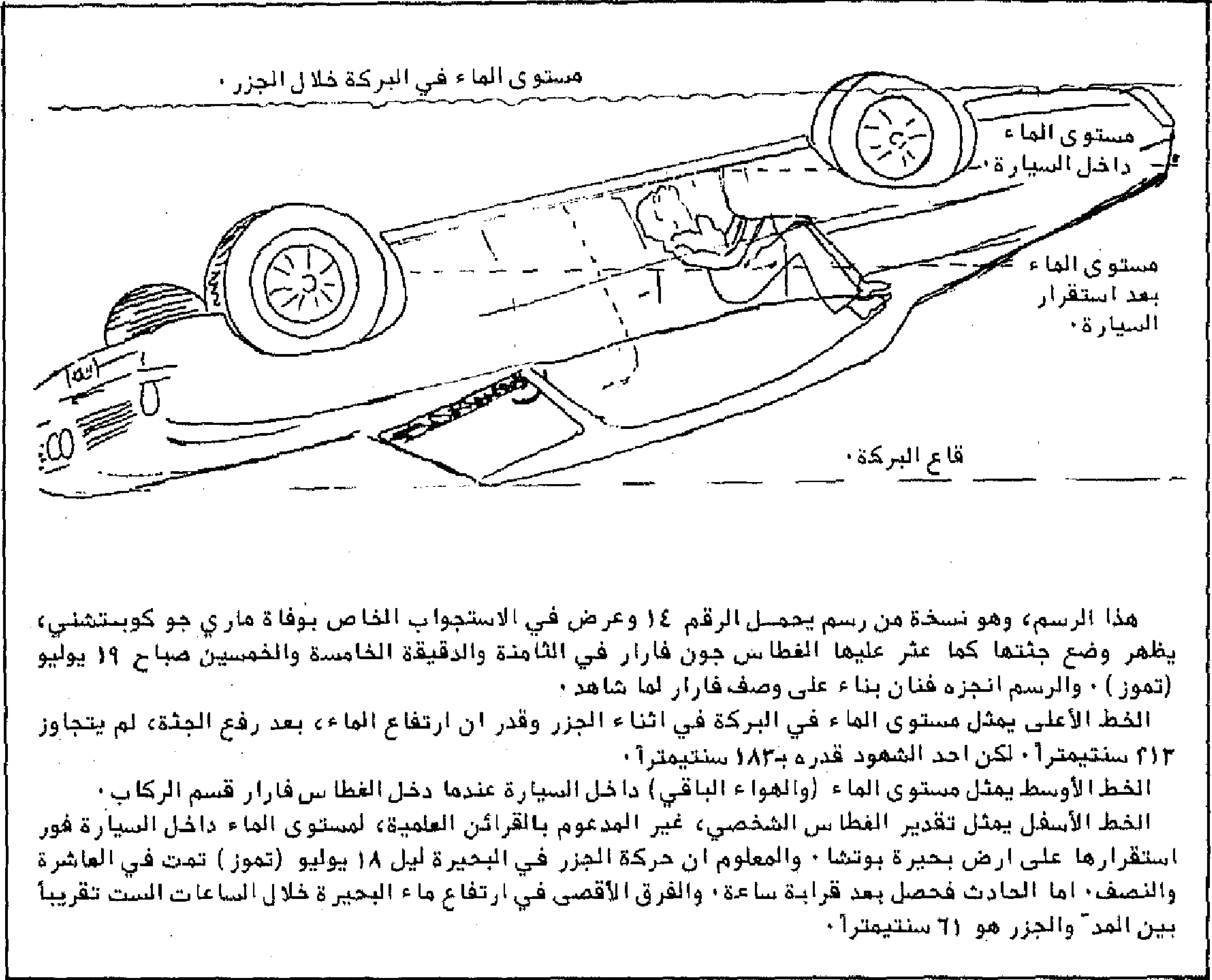
والواقع أنه كان انقضى أسبوع كامل على الحادث، تصاعدت خلاله نغمة النقد من الرأي العام عتباً على كينيدي لانه لم يبذل مزيداً من الجهد لانقاذ الآنسة كوبتشني، قبل أن يتقدم كينيدي برواية الاستعانة بغارغان وماركهام للقيام "بحملة إنقاذ" في البركة.

٤ ـ لماذا لم يلجأ كينيدي وصديقاه على الفور إلى طلب المعونة؟

بعد أقل من ثلاث دقائق من وقوع الحادث، كان كينيدي يستطيع الحصول على عون فعال من محترفين وهو في طريقه، بمجرد السير الى المنزل المضاء الذي لا يبعد عن الجسر اكثر من ١٣٠ متراً. ولو كان فعل ذلك لتولى أصحاب المنزل - آل بيار مالم ـ إجراء الاتصالات التلفونية اللازمة، ولما كان هو أضاع الوقت في الركض الى كوخ لورنس (١٥ دقيقة حسب روايته، و٢٥ دقيقة حسب المخبرين الصحافيين الذين قاموا فيما بعد بقطع المسافة سيراً أو عدواً).

ولم يكن أي من غارغان أو ماركهام أصيب باي صدمة، وقد شرب غارغان نحو أربعة أقداح من الكوكاكولا طوال المساء لأنه أراد الاحتفاظ بصفاء ذهنه بصفة خاصة لكي يتولى طهي شرائح اللحم. وفي طريقهم الى البركة معاً، كان يمكنهم التوقف دقيقة واحدة لاعلان الانذار في محطة المطافىء أو لإجراء اتصال تلفوني من أحد البيوت. ولكنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك.

وقد سأل وكيل النيابة ادموند دينس صراحة عن سبب عدم قيامه بطلب عون خارجي بعد الحادث، فطلب كينيدي "أن تكون المحكمة رحبة الصدر" كي يرد، وأجيب إلى



هذا الرسم، وهو نسخة من رسم يحمل الرقم ١٤ وعرض في الاستجواب الخاص بوفاة ماري جو كوبتشني، يظهر وضع جثتها كما عثر عليها الغطاس جون فارار في الثامنة والدقيقة الخامسة والخمسين صباح ١٩ يوليو (تموز) ٠ والرسم انجزه فنان بناء على وصف فارار لما شاهد ٠

الخط الأعلى يمثل مستوى الماء في البركة في اثناء الجزر وقدر ان ارتفاع الماء، بعد رفع الجثة، لم يتجاوز ٢١٣ سنتيمتراً ٠ لكن احد الشهود قدره بـ١٨٣ سنتيمتراً ٠

الخط الأوسط يمثل مستوى الماء (والهواء الباقي) داخل السيارة عندما دخل الغطاس فارار قسم الركاب ٠

الخط الأسفل يمثل تقدير الغطاس الشخصي، غير المدعوم بالقرائن العلمية، لمستوى الماء داخل السيارة فور استقرارها على ارض بحيرة بوتشا ٠ والمعلوم ان حركة الجزر في البحيرة ليل ١٨ يوليو (تموز) تمت في العاشرة والنصف ٠ اما الحادث فحصل بعد قرابة ساعة ٠ والفرق الأقصى في ارتفاع ماء البحيرة خلال الساعات الست تقريباً بين المدّ والجزر هو ٦١ سنتيمتراً ٠

طلبه ٠ وكان رده على السؤال "مونولوجاً" طويلا متعرجاً كرّر فيه رواية سباحته "الرهيبة" عبر القناة وحكاية أفكاره المشوشة المضطربة، ولكنه لم يرد على السؤال نفسه ٠ وبعد دقائق باشر وكيل النيابة حث كينيدي على شرح اسباب تأخره في ابلاغ الشرطة بما حدث الا ان القاضي بويل بادر الى رفع الجلسة لتناول طعام الغداء ٠ ولم يوجه السؤال الى كينيدي بعد ذلك ٠

وقرب ختام شهادته، ذكر كينيدي بالفعل أنه بعد أن فشل غارغان وماركهام في إنقاذ الآنسة كوبتشني اقتنع هو بأنها قد ماتت، ومن ثم لم تعد هناك فائدة من طلب المعونة ٠ إلا أن كينيدي ظل بقية المساء ـ طبقاً لروايته ـ يأمل في أن تكون على قيد الحياة ويتصرف وكأنها يحتمل أن تكون كذلك ٠

ومع ذلك كله، فان هذا ليس هو بيت القصيد، وإنما بيت القصيد كان ـ ولايزال ـ هو السؤال الآتي: لماذا لم تطلب المعونة مباشرة بعد الحادث في فترة كان يمكن منطقياً ان تعني الفرق بين الحياة والموت؟

إن أحداً لم يضطر كينيدي ولا ماركهام ولا غارغان الى الاجابة ٠

٥ ـ هل كان يمكن إنقاذ الآنسة كوبتشني؟

إن الدراسة التي قامت بها شركة آرتر د. ليتل، بناء على طلب كينيدي، انتهت إلى أنه لا بد وأن يكون الماء قد اندفع داخل السيارة وطرد الهواء منها بسرعة شديدة، بحيث أن الآنسة كوبتشني لم تستطع البقاء في وعيها سوى فترة تراوح بين دقيقة واحدة وأربع دقائق فقط. وكان يمكن إنعاشها خلال فترة قد تصل إلى عشر دقائق بعد فقدها الوعي. وعلى ذلك، فطبقاً للتحليل الذي أجري بطلب من كينيدي نفسه، كان في إمكان السناتور انقاذ الآنسة كوبتشني لو تكللت جهوده الاولى بالنجاح.

وقد دق جرس التلفون لدى الغواص "فارار" في محل "تورف وتاكل" الساعة ٨و٢٥ دقيقة من صباح يوم ١٩ يوليو (تموز)، وانتشل هو الجثة من السيارة الساعة ٨،٥٥، بعد أن تأخر في الوصول الى موقع الحادث خمس دقائق لأن المعدية كانت غادرت الشاطىء لتوها حين وصل هو اليه. وعلى ذلك، فمن المعقول الافتراض أنه لو كان "فارار" استدعي بعد الحادث مباشرة لأمكنه إخراج الآنسة كوبتشني في حدود ٣٠ دقيقة، وربما في حدود ٢٥ دقيقة. ولكن، إذا أخذنا بصحة الدراسة التي قامت بها شركة آرتر د. ليتل، فان هذه الفترة لا تكفل السرعة اللازمة لانقاذ الفتاة.

غير أن "فارار" الذي كان في مكان الحادث عندما رفعت السيارة الاولدزموبيل من الماء، يقول انه رأى فقاقيع هوائية كبيرة تنبعث من السيارة في أثناء سحبها خارج الماء. ويفيد فارار وجون البوم، اللذان اشرفا على رفع السيارة، أن الوضع الذي وجد فيه قرار جسد الآنسة كوبتشني يحمل على الاعتقاد القوي بأنها قد استمرت لفترة لا يمكن تحديدها وهي تتنفس في جيب هوائي.

وقد تولى الفاحص الطبي المساعد دونالد ر. ميلز – وهو طبيب محترم السمعة ولكنه ليس أخصائياً باتولوجياً – فحص الجثة لمدة عشر دقائق ولكنه لم ينتزع في هذه العملية كامل الثياب عن الجثمان ولم يفحص كل أجزائه، وانتهى منه إلى أن الآنسة كوبتشني قد توفيت غرقاً. غير أن مجهز الموتى للدفن "يوجين فريه" عندما اتبع الاجراءات العادية المألوفة في تفريغ الماء من جثث الغرقى، أدهشته قلة الرطوبة المنبعثة من جثمان الآنسة كوبتشني. وهو ابلغ الصحافيين ان ضآلة الماء تشير الى ان الاختناق وليس الغرق هو سبب الوفاة.

وقد كان السبيل الوحيد لتحديد سبب الوفاة وموعدها على وجه الدقة هو تشريح الجثة، لكن هذا التشريح لم يحصل إطلاقاً(٥) ومع ذلك فان هناك أمراً واحداً مؤكداً هو أنه أياً تكن الفرصة المتاحة للآنسة كوبتشني كي تعيش، فان هذه الفرصة قد أضاعها عدم استدعاء كينيدي من

---

(٥) ان سبب عدم حصول تشريح للجثة لا يزال غامضاً. ويشهد المدعي العام المحلي دينيس على انه خابر شرطة الولاية في العاشرة من صباح الأحد ٢٠ يوليو (تموز) طالباً تشريح الجثة. "غير ان الضابط الملازم جورج كيلين أعلمني بأن جماعة كينيدي اخرجت الجثة من الجزيرة".

وفي اغسطس (آب)، طلب دينيس من محكمة في بنسلفانيا اصدار امر بنبش الجثة وتشريحها، لكن والدي الآنسة كوبتشني المفجوعين عارضا الطلب.

كانوا قادرين على إنقاذها.

٦ - هل يقول كينيدي الحقيقة في ما يرويه عن سباحته عبر قناة الميناء؟

يتضح من أحدث الاستنتاجات العلمية أن روايته هذه تخالف الحقيقة.

ومن بين جميع الوقائع التي صاغها كينيدي، تبقى واقعة سباحته عبر القناة أكثرها مثاراً للشجاة. فها هو يعي مرة أخرى أنه كان على وشك الغرق"، ويكرر ثلاث مرات ذكر التيار العنيف الذي كاد أن يجره الى أسفل وجرفه بقوة نحو الشمال "في اتجاه منارة إدغارتاون وابعده الى الخارج في الظلمة" عندما أخذت قواه تخور على نحو يهدد بالخطر...

ولكن الاستقصاء العلمي يحكي رواية أخرى.

ان الانواء والرمال المتحركة قد غيرت طبيعة ميناء إدغارتاون منذ العام ١٩٦٩ لذلك يتعذر اليوم أخذ قياسات في القناة تحدد علمياً وبدقة سرعة التيار بين الساعة ١،٣٥ و١،٤٥ من صباح يوم ١٩ يوليو (تموز) ١٩٦٩، حيث يدعي كينيدي واصدقاؤه انهم قاموا بالسباحة تلك. الا ان هناك بيانات أخرى، من بينها بيانات فروق ارتفاع المد، أتاحت لبرنارد ليميهوتي حساب الاندفاع النسبي للتيار وللوجهة التي يتخذها الاخير. وهو يقول في تقريره: "قرابة الساعة ١،٣٠ صباحاً كان التيار ضعيفاً لا بل معدوماً وبعد ذلك جنح التيار جذباً صوب خليج كاتاما وزادت سرعة انسيابه، واستمرت هذه الحركة حتى قرابة الساعة الرابعة". ولو صادف كينيدي أي تيار على الاطلاق في سباحته، لكان ذلك التيار قد دفعه - لا نحو الشمال في اتجاه المنارة كما يقول - وإنما نحو الجنوب، في الاتجاه المضاد تماماً لما يقوله هو.

وفضلا عن ذلك، فان تحليل ما ورد في محضر التحقيق يكشف عن أن رواية كينيدي عن سباحته تتناقض مع ما ورد في الشهادة التي أدلى بها على حدة، وبعد حلف اليمين القانونية، كل من حليفيه الوفيين غارغان وماركهام.

فقد وقف الاثنان على مرسى المعدية في تشاباكويديك مدة ثلاث أو اربع دقائق يراقبان كينيدي حتى اجتاز بين نصف المسافة عبر القناة وثلاثة ارباعها - وهو ما يتخطى بكثير تلك المنطقة التي يدعي أن التيارات العنيفة اعترضته فيها - ولم يبد لهما أن التيار يدفعه بعيداً. بل إن ماركهام يقول - على نقيض ذلك - أن كينيدي كان يسبح نحو مرسى العوامة المقابل في إدغارتاون، ولم يلاحظ أي من ماركهام أو غارغان أن كينيدي كان يتعرض لاي متاعب، ولم يريا أي سبب يدعو الى القلق.

وقد طرح القاضي بويل على ماركهام السؤال الآتي: "ألم يبساورك القلق في شأن قدرته على قطع المسافة؟"

فأجاب ماركهام: "كلا، على الاطلاق، لأن السناتور يمكنه أن يسبح هذه المسافة جيئة وذهاباً خمس مرات أو ستاً دفعة واحدة".

٧ - لماذا انتظر كينيدي عشر ساعات قبل أن يبلغ عن الحادث؟

لقد أجاب كينيدي عن هذا السؤال مرات عدة بقوله إنه - ببساطة - لم

يتحمل أن يتصل تلفونياً بالسيدة كوبتشني (أم الضحية) في منتصف الليل كي يبلغها النبأ.

وعلى رغم ذلك، فإن السؤال هو: "لماذا لم يبلغ كينيدي الشرطة؟"

لقد وجه اليه مخبرو صحيفة "غلوب هذا السؤال عام ١٩٧٤، فقال كينيدي إنه في أثناء سباحته عبر القناة كان يقول لنفسه: "لا يمكنني أن أفعل ذلك. لا يمكنني أن أفعل ذلك. لا يمكنني أن أفعل ذلك".

غير أنه الساعة ٧،٣٠ صباحاً كان تمالك نفسه بدرجة كافية لكي يرتدي ملابس أنيقة، ويتنزه مشياً على الاقدام، ويتجاذب مع ريتشاردز حديثاً عابراً عن الجو. فلماذا لم يذهب هو الى الشرطة عندئذ؟ يقول كينيدي إنه لم يذهب الى الشرطة آنئذ لأنه كان لا يزال يأمل في أن تكون الحادثة لم تقع وأن تكون الآنسة كوبتشني على قيد الحياة. هذا ما كان "يريده" هو.

ويقول ماركهام وغارغان إنهما أكدا له أن الحادث قد وقع بالفعل، ونصحاه بالابلاغ عنه فوراً. ولكن السناتور وصديقيه لم يبلغا عن الحادث عندئذ بالذهاب الى مركز الشرطة القريب، بل ركبوا المعدية عائدين الى تشاباكويديك حيث وقفوا عند المرسى حتى ووجهوا فجأة بما يدل على أن السيارة قد اكتشفت في البركة. وهنا فقط أسرعوا بالابلاغ عن الحادث.

وفي سلسلة المقالات التي نشرتها "بوسطن غلوب" عن حادثة تشاباكويديك، ذكرت الصحيفة في عددها الصادر يوم ٢٩ أكتوبر/تشرين الاول عام ١٩٧٤ ما يأتي: "وفضلا عن ذلك، فأن مصدراً وثيق الاطلاع قد أخبر الصحيفة بأن الرواية التي أدلى بها كينيدي تفتقر الى الدقة في وجوه عدة، وأن الرواية الحقيقية للموضوع تتناقض مع عناصر مهمة في ما أدلى به السناتور من بيانات علنية وما شهد به بعد حلف اليمين القانونية في التحقيق الذي تناول وفاة الآنسة كوبتشني.

"وعلى وجه التحديد، فان جوزف غارغان - نسيب كينيدي - قد وافق في لحظة ما على أن يتحمل هو مسؤولية الحادث - طبقاً لما يرويه المصدر - إلا أنه رؤي التخلي عن هذه الخطة قبل قليل من إبلاغ الشرطة عن الحادث.

"ويلاحظ أن هذا المصدر لم تكن له صلة بالمدعين في تهمة السيارة التي وجهت الى كينيدي، كما أنه نفى بشدة صحة عدد من النقاط التي وردت في رواية كينيدي، بما في ذلك الزعم باجراء محاولة إنقاذ بعد وقوع الحادث بساعة".

إن أقوالا لا يؤيدها دليل تصدر عن شخص لا يكشف عن هويته ويرى أنه ليس حراً لكي يتكلم ويتقدم لاستجوابه صراحة وعلناً لا يمكن في طبيعة الحال أن تتخذ دليلا على أي شيء. لكن المخبرين الثلاثة الذين أعدوا سلسلة مقالات صحيفة "غلوب" يعتبرون من أحسن الصحافيين، من حيث السمعة، كما أن كل ما راجعه باحثو الـ"ريدرز دايجست" لاختبار صحته مما ورد في هذه المقالات قد ثبتت دقته تماماً.

٨ - هل حدثت عملية تغطية؟

يدّعي كينيدي أنه حرص منذ البداية على أن يجيب إجابة كاملة وأمينة عن جميع ما وجه اليه من أسئلة عن تشاباكويديك، وأنه سيستمر في انتهاج هذه الخطة. وهو يقول إن كل من يساوره الشك يستطيع أن يطلع على سجلات الحادثة المتاحة للجمهور ويحكم بنفسه.

ولكن سجل التحقيق الخاص بما قاله كينيدي لماركهام وغارغان قبل إبلاغ الحادثة الى الشرطة بدقائق يورد هذه العبارة الموجهة منه إليهما: "في حدود ما تعرفانه، فانكما لم تعلما بأي شيء عن الحادث في تلك الليلة". وهذا يبين بوضوح أن كينيدي، وان في البداية على الاقل، كان يعتزم ابلاغ السلطات بما هو أقل من الحقيقة الكاملة.

كما ان التقرير الذي أعدّ بعناية، وسلّم الى رئيس الشرطة آرينا، قد أخفى بالفعل حقيقة وجود عشرة شهود على الوقائع السابقة واللاحقة للحادثة، من بينهم اثنان يعرفان معلومات تفصيلية. وباغفاله هذه الوقائع أتاح كينيدي الفرصة لجميع هؤلاء الشهود كي يهرعوا الى مغادرة الجزيرة قبل حلول الظلام في ١٩ يوليو (تموز) وليتجنبوا استجوابهم في وقت كانت الاحداث لا تزال جديدة في ذاكرتهم.

وعندما أراد أحد موظفي الولاية – وهو المراقب كينيدي – أن يؤدي واجبه ويستجوب السناتور رد عليه هذا باقتضاب قائلا: "ليس لدي أي تعليق" ثم انصرف، ولم يضع نفسه بعد ذلك في متناول رئيس الشرطة آرينا كما كان وعد، ولا في متناول المراقب كينيدي كما كان صديقاه وعدا.

وعلى نقيض الانطباع الذي حرص كينيدي على نشره، فانه لم يخضع مطلقاً لأي اختبار أو استجواب في جلسة محكمة علنية، وأجرى محاموه مساومة ناجحة مع ممثل الادعاء المحلي "وولتر أ. ستيل" الذي تقاعس عن أن يوجه الى كينيدي تهمة الاهمال الخطيرة، واكتفى بدلا من ذلك بأن سمح له بالاعتراف بأنه مذنب في جنحة نظير الحكم عليه فيها مع وقف التنفيذ. وبذلك كله استطاع كينيدي ان يتجنب ما كانت ستفضي إليه المحاكمة من فحص دقيق واستجواب له طابع الخصومة.

وقال ممثل الادعاء المحلي "ستيل" في ما بعد: "مهما يكن الامر فانك لا تعامل عضواً في مجلس الشيوخ الامريكي متهماً بجريمة كما تعامل سمساراً في البورصة. وهذا من ضعف الطبيعة البشرية".

واستجابة لما ثار من ضجة ونقد على مستوى الجمهور، طلب وكيل النيابة إدموند ج. دينيس" إجراء تحقيق، وحدد القاضي بويل لإجرائه يوم ٣ سبتمبر (أيلول) ونص الوكيل في قراره على أن هذا التحقيق سيكون مفتوحاً للصحافة. وهنا قدم محامو كينيدي استئنافاً إلى المحكمة العليا لولاية ماساتشوستس، فقررت هذه في ٢ سبتمبر (أيلول) تأجيل التحقيق الى أجل غير مسمى.

ولم يحدث أبداً أن كانت أي من الشابات اللائي اشتركن في الحفل موضع شك في قيامها بأي عمل خاطىء، لكن كينيدي صرف "مبلغاً

يقرب من ٣٢٠٠٠ دولار" من ماله الخاص لتعيين محامين لهن ولكريمنز ولاروزا وتريتر كذلك. وقد رفع هؤلاء المحامون مع محامي كينيدي دعاوى يطلبون فيها من المحكمة العليا للولاية أن تأمر باغلاق التحقيق أمام الصحافة والجمهور وجعله سرياً، وقد أكرمتهم المحكمة العليا للولاية في النهاية بالموافقة على هذا الطلب.

وأخيراً بدأ التحقيق يوم ٥ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٠، وكانت لإجرائه سراً آثار ملحوظة. فلو كان مخبرو الصحف حاضرين لوصف الثغرات والتناقضات لكان الارجح أن يتصاعد ضغط الرأي العام من أجل إجراء تحقيق جدي لا يقاوم.

ولكن منع الصحافة من حضور التحقيق فرض عليها الاقتصار على نشر تأكيدات كينيدي المليئة بالثقة من دون غيرها، مثل:"إنني أتوقع تبرئتي وتبرئتي تماماً عندما يعلن مضمون محضر التحقيق ويؤذن لي عندئذ أن أجيب عن الاسئلة". ولكن محضر التحقيق لم يعلن سريعاً، لأن المحكمة العليا للولاية أمرت بحفظه حتى ينتهي أجل كل احتمال لاتخاذ اي إجراءات قضائية أخرى ضد كينيدي.

وكانت هيئة المحلفين الكبرى في مقاطعة ديوكز تتلهف للبحث في وفاة الآنسة كوبتشني، ولكنها وافقت على التريث الى ما بعد التحقيق، لاعتقادها أن محضره سيسهل عليها مهمتها. وفي مارس(آذار) ١٩٧٠، تقدم رئيس هيئة المحلفين ليسلي هـ. ليلاند - وهو صيدلي شاب مثالي - بطلب رسمي من وكيل النيابة دينيس لدعوة هيئة المحلفين الكبرى الى دورة خاصة، معلناً "أن كل إنسان يشعر بأن إساءة كبيرة قد لحقت بالقواعد الديمقراطية، وان هناك عملية تبرئة وتغطية، وان الامور قد أخفيت على نحو غير قانوني. وأنا أشعر بأنه يتحتم علينا النهوض بالواجبات والمسؤوليات التي نضطلع بها بصفتنا أعضاء في هيئة المحلفين. وقد انقضت فترة كبيرة من الزمن منذ وفاة الفتاة، وقد حان الوقت لكي يتبين الجمهور ما حدث".

ورأس الجلسة الخاصة لهيئة المحلفين القاضي "ويلفرد ج. باكيت" البالغ من العمر ٦٧ عاماً ويعد من كبار المتحمسين للحزب الديمقراطي.

وقد ألقى القاضي باكيت في المحلفين عظة مدتها ٩٠ دقيقة للفتهم الى القيود التي تحد من مسؤولياتهم، وكان يجلس الى جانبه طوال الوقت قسيس أقام صلاة قبل مباشرة المحلفين عملهم ابتهل فيها الى الله أن يستوحي المحلفون "العدل والمحبة". وحذر القاضي الشيخ المحلفين بان عليهم ان يقتصروا على المعلومات المقدمة من المحكمة أو من دينيس أو المعلومات التي يعرفونها شخصياً. وقرر - وسط دهشة المحلفين - أنه غير مصرح لهم بمطالعة محضر التحقيق ولا النتائج التي انتهى إليها القاضي بويل (والتي قرر هذا القاضي في ختامها أن كينيدي يحتمل أن يكون مذنباً في تهمة السلوك الاجرامي).

ووجد المحلفون أنفسهم مقيدين باحكام بهذه الموانع، وان ليس

لديهم سوى البيانات الهزيلة التي قدمها دينيس، فعجزوا عن أي شيء، ولم يلبثوا أن فضوا دورتهم في خيبة من دون اتخاذ أي قرار. وأصبح كينيدي حراً طليقاً.

وفي ٢٩ ابريل (نيسان) ١٩٧٠ أعلن محضر البحث والتحقيق الذي أجراه القاضي بويل. وفي وقت لاحق من ذلك النهار أصدر كينيدي بياناً قال فيه:"إن وجهة نظري الشخصية هي أن الاستدلال والنتائج النهائية الواردة في تقرير القاضي لا تقوم على أساس، وأنا أرفضها. وقد أصبحت كل الحقائق المتعلقة بهذه الحادثة معلنة الآن بكاملها، ويعود امر بتها وتفهمها الى الجهات المختصة. أما عن نفسي، فلست أنوي إصدار أي بيان آخر عن هذه المأساة".وهذا كل ما في الامر.

وعلى مدى سنوات، ظل كينيدي والعشرة الآخرون الذين كانوا معه على جزيرة تشاباكويديك متحصنين خلف جدار من الصمت العميق إزاء لغز تشاباكويديك. وكان التعليق الوحيد الذي قاله ماركهام: "لست أرى اي امكان لمناقشة هذه القضية. لا اليوم ولا غداً، أرى ضرورة للحديث عنها ولا حتى في أي موعد على الاطلاق". أما غارغان وتريتروكريمنز واربع من الفتيات فقد التزموا بدورهم جانب الصمت الابكم.

وفي عام ١٩٧٤، تمكن مخبرو صحيفة "بوسطن غلوب" انتزاع بضع كلمات من الفتاة الخامسة، الآنسة استرنيوبرغ، التي قالت: "هذه أسئلة كان يجب طرحها في التحقيق، ولكن ذلك لم يحدث. وقد تثير الاجابات عنها قضايا على مستوى البلاد كلها، وأنا لست على استعداد لأتسبب مرة اخرى في هذا النوع من الشهرة (...) إني كأي شخص آخر يحيرني غموض ما حدث، ولا يمكنني ان أصدق كل شيء قيل في مصلحته (أي كينيدي)، لأن هناك تعارضات كثيرة".

وقد تفوه "راي لاروزا" بالكلمات القلائل الآتية:"لقد لقننا المحامون تلقينا جيداً، وكنا نعرف تماماً ما ينتظرنا".

وفي خريف عام ١٩٧٩، مع اقتراب موعد دخول كينيدي معركة الترشيح لرئاسة الجمهورية، بدأ يسمح ببعض المقابلات معه، ولكنه لم يحد أبداً عن الرواية التي أدلى بها قبل عشر سنين. وفي إذاعة تلفزيونية سجلتها معه إذاعة كولمبيا في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي، سأله مراسل الاذاعة روجر ماد:"حضرة السناتور، هل تعتقد حقاً أن هناك أحداً على الاطلاق يمكن أن يصدق شرحك لما حدث في تشاباكويديك؟"

فكان رد كينيدي كالآتي: "أوه، هناك... مشكلة أن... منذ تلك الليلة... أنا... أنا وجدت السلوك، المسلك، شيئاً يتجاوز التصديق في نظري أنا بالذات.

"أعني ان هذا هو ما كان عليه الامر... ولكني أظن أن ذلك... ذلك ذلك هو الامر كما كان.

"ذلك... ذلك هو ما حدث.

"الآن، أجده كما اشرت، أنني قد وجدت أن السلوك في، في تلك الليلة... نتيجة لتأثير حادث ال... والاحساس بالخسارة، والشعور بالامل، و، ال، والشعور بالمأساة،

والمجموعة الكاملة من بعض الظروف، أن السلوك لا يمكن توضيحه.

"لذلك أجد أن تلك، تلك... تلك الانواع من الاسئلة تنطبق على تلك... وهي أسئلة من أعماق روحي ذاتها، بالمثل.

"ولكن، ذلك، ذلك هو ما حدث".

وبعيد اعطائه هذا الايضاح، صرح السناتور كينيدي لبرنامج "لقاء مع الصحافة" الذي تقدمه شبكة "ان. بي. سي" بالآتي: "لن يكون هناك أي معلومات جديدة تقف في وجه شهادتي. وفي حال ظهور أي معلومات جديدة تخالف أو تتحدى الشهادة التي أقسمت عليها، فلن يبقى لدي أي عذر قط لممارسة الحياة العامة، ناهيكم بترشيح نفسي لانتخابات الرئاسة الامريكية".

وقد أظهرت التحريات العلمية أخيراً، التي تولاها مهندس البحار برنارد ليميهوتي، ان الجزء الرئيسي من شهادة كينيدي المحلفة الخاصة بسباحته عبر قناة ميناء ادغارتاون باطل. كما أظهرت التحريات العلمية التي تولاها خبير الحوادث المرموق رايموند ماكهنري أن شهادة كينيدي المحلفة حول قيادته السيارة عبر دايك رود باطلة. وبين التحليل الدقيق لاستجواب كينيدي أن تصريحه المكرر مراراً حول تعاونه المخلص مع المستجوبين باطل أيضاً.

وعلى رغم هذه "المعلومات الجديدة" كلها، لا يزال السناتور كينيدي متمسكاً بالرواية التي أعطاها منذ عشر سنين، مصراً على ان "الامور حصلت على ذلك النحو".

■ **جورج بارون**

جون بارون حاز، عندما كان في "الواشنطن ستار"، جوائز تقديرية عدة واكتسب شهرة واسعة في عالم الصحافة الامريكية. ومنذ التحاقه بـ"الريدرز دايجست"، كمحرر بارز، اثمرت استقصاءاته كتاباً عن "جهاز الاستخبارات السوفييتية" وآخر عن "مقتل الارض الطيبة" (مأساة كمبوديا). اما كتابه الأخير فكان عن فرار طيار "الميغ" فيكتور بيلينكو.



لا داعي للانتظار

دعتني ابنة جارنا الصغيرة لمشاهدة اختها المولودة حديثا، فقلت لها اني سأزورهم حين تتحسن صحة امها. واذا بها تبادرني هاتفة: "لا تقلقي، فمرضها غير معد".

م.ت.

الله ... والاطفال

طلبت مني ابنتي ان اصف لها الله. فقلت لها الحكمة التي ترددها زوجتي دائما "تستطيعين ان ترى الله في هذه الزهور الجميلة وتلك الطيور المغردة". فقالت ساهمة: يا له من اله جميل.

ماهر خليفة - سلطنة عمان

مــاكديـــرموت

السباقة في ميدان الانشاءات الساحلية ومد الانابيب البحرية

تحتل ماكديرموت وفروعها مركز الصدارة عالميا في ميدان انشاء الارصفة الساحلية الضخمة ومد الانابيب تحت الماء.

وتتيح لنا مرافقنا الصناعية في مواقع استراتيجية مثل دبي ورأس الخيمة في الامارات العربية المتحدة، وعين السخنة بجانب السويس في مصر، انشاء الارصفة البرية ذات المنافذ المباشرة الى المواقع الساحلية، كما ان خبرتنا مكنتنا من مد انابيب قطرها ١٤٢ سم على عمق يتجاوز ٣٠٥ م.

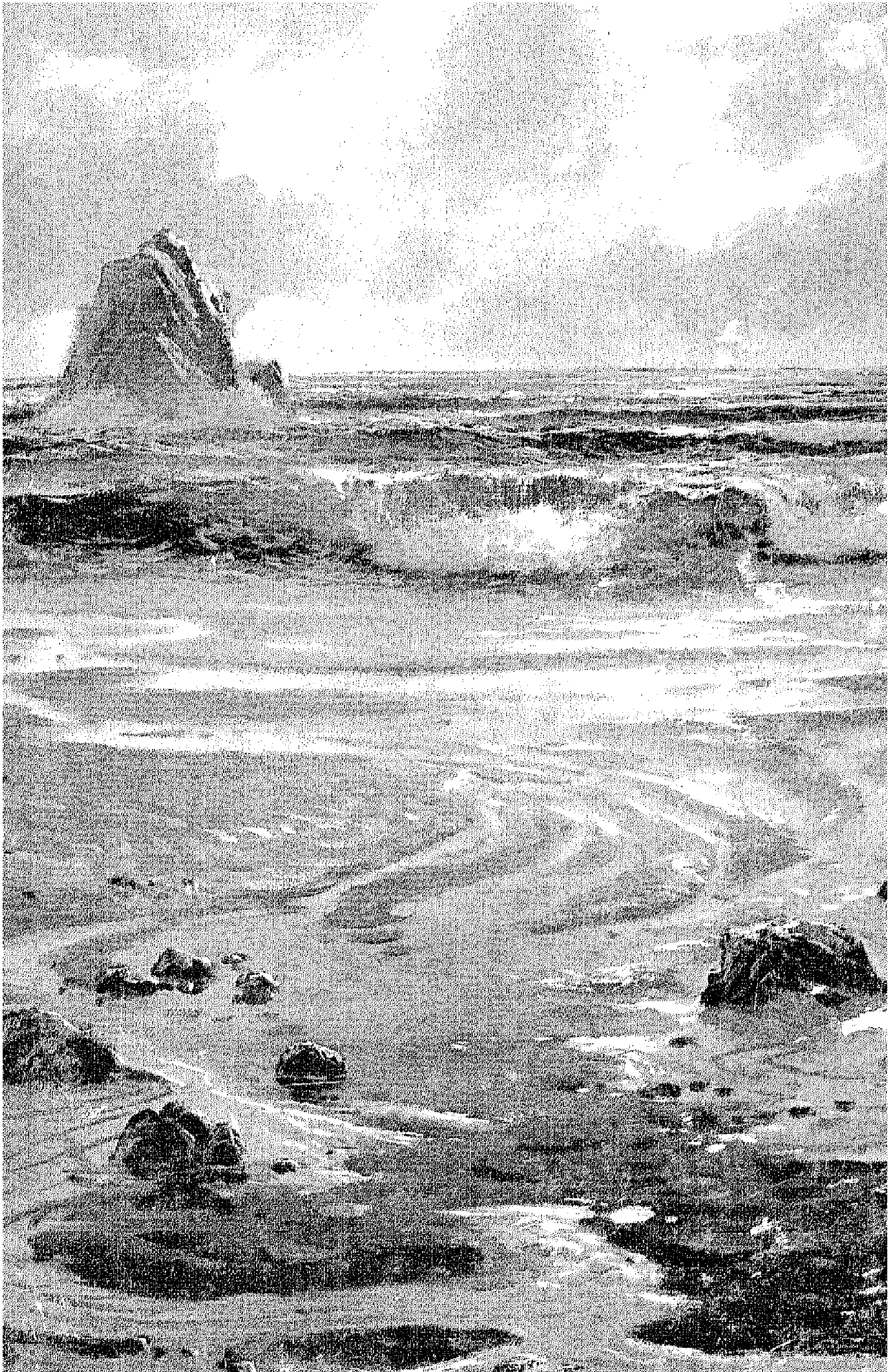
ولدينا الخبرة والتكنولوجيا اللازمة لخدمات منشآت السواحل في سائر انحاء الشرق الاوسط.

مــاك ديرموت

دبــــي



ص. ب. ٣٠٩٨، دبي ـ الامارات العربية المتحدة
تلفون : ٢٢٧١٣١ ، تلكس : ٤٥٤٣٧
لدينا مكاتب في : دبي ، ابو ظبي ، رأس الخيمة ـ الامارات العربية المتحدة. القاهرة ـ مصر . السالمية ـ الكويت الدوحة ـ قطر . الظهران ـ المملكة العربية السعودية. طهران ـ ايران .



نيسان (ابريل) ١٩٨٠ - جمادى الاولى ١٤٠٠

المختار



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢د

نيسان (ابريل) ١٩٨٠ – جمادى الاولى ١٤٠٠

المختار



من ريدرز دايجست

وقتها ٥٠٪

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق – سورية ٦٠٠ق – الاردن ٥٠٠ف – الكويت ٥٥٠ف – الامارات العربية المتحدة ٦د – قطر ٦ر – البحرين ٦٠٠ف – السعودية ٦ر – مصر ٥٠٠م – السودان ٥٠٠م – ليبيا ٦٥٠د – اليمن الجنوبية ٦ر – مسقط ٦ر – العراق ٦٠٠ف – تونس ٧٠٠م – المغرب ٣د – الجزائر ٧د – فرنسا ٧ف – انكلترا ٧٥ب – اليونان ١٠٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢د.

اشتركوا اليوم في المختار

ادفعوا ١٢ دولارًا بدلاً من ٢٥ دولارًا
واربحوا جوائز تصل قيمتها الى ٥ آلاف دولار
(عرض خاص يستمر حتى آخر السنة)

NAME	الاسم :
ADDRESS	العنوان :
....	
PROFESSION	المهنة :
SIGNATURE	التوقيع :

NAME	الاسم :
ADDRESS	العنوان :
....	
PROFESSION	المهنة :
SIGNATURE	التوقيع :

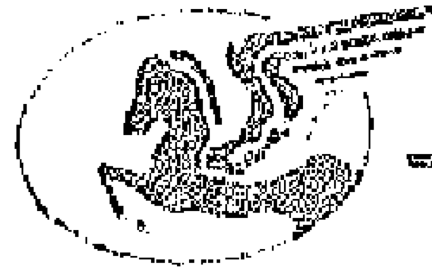
تملأ القسيمة وترسل مرفقة بشيك مصرفي باسم

AL MUKHTAR min Reader's Digest

يعطى كل مشترك رقماً ويجري السحب على هذه الارقام في تاريخ يعلن في ما بعد وتنشر النتائج في الصحف.

ترسل القسائم الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V
75008 PARIS, FRANCE



المختار
من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي : مؤنس طه حسين ·
رئيس التحرير : ادمون صعب ·
رئيس التحرير المعاون : اديب صعب ·
مدير التحرير : فؤاد غطاس كرم ·
امانة التحرير : رينا نداف ·
الاخراج : اروى سيف الدين ·

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس ·

الناشر :
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية ·
المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح ·

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I

الادارة والتحرير والاشتراكات:
AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V, 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات :
TAMAM شركة تمام
19, Av. Franklin D. Roosevelt — 75008, PARIS

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ·

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية - باريس ·

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا ·

الخط: محمد ماجد ·

الطبعات الدولية لـ "ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ. اوهارا ،
مدير التحرير: آلان دوليرو ·

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية ·

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D
Nº DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

نسيج لحيوان خرافي (متحف المتروبوليتان للفن - نيويورك) ·

AL MUKHTAR min Reader's Digest
April 1980 Nº 17 *(New Series)*. VOL.2



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY



أكتُبْ واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

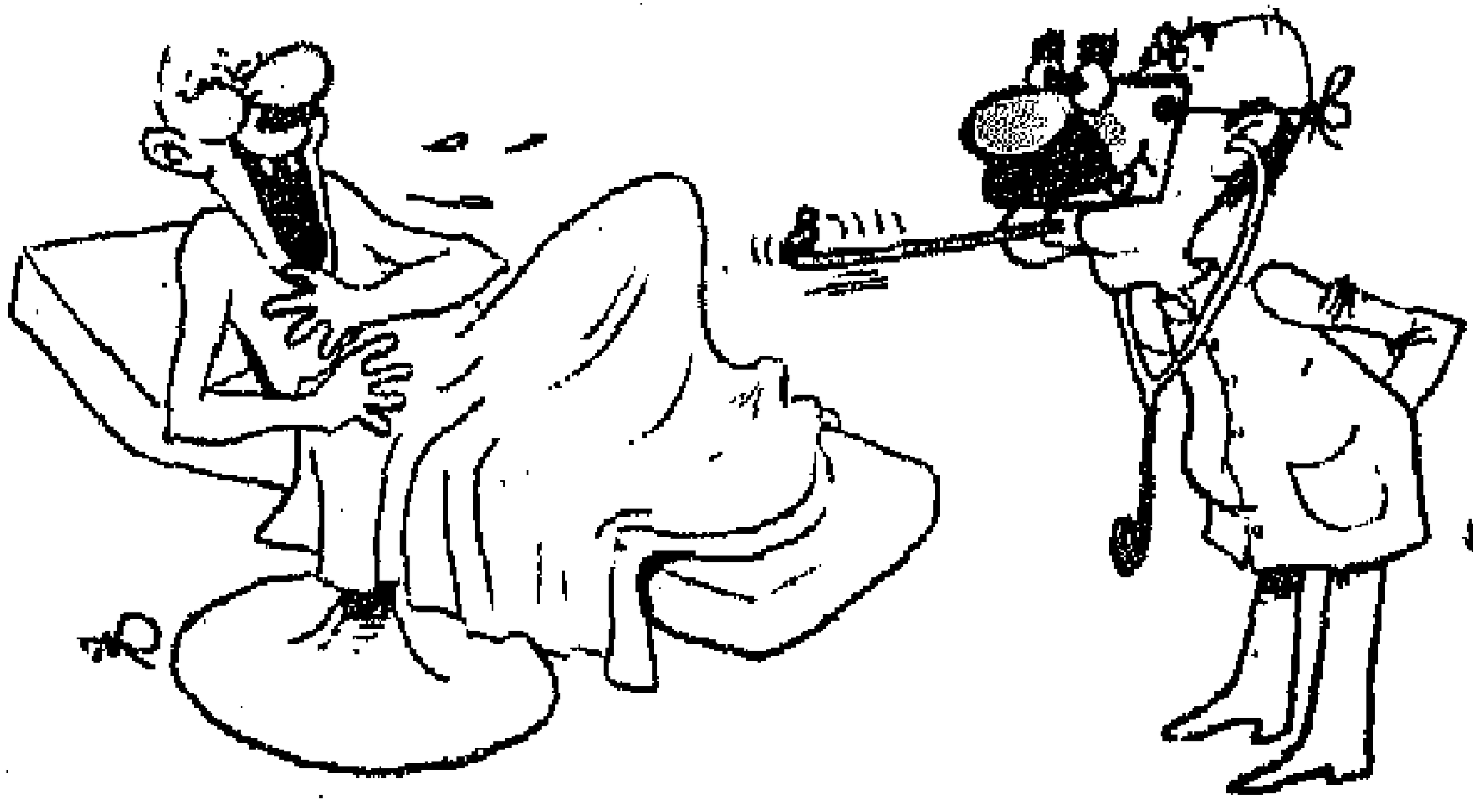
الشروط

- ○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...).
- ○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة، ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- ○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر أجنبية.
- ○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

الضحك خير دواء



لفقير والشاوي

قف فقير بباب شوّاء يشوي اللحم رائحته تفوح منه. وكان الفقير جائعاً، فاشترى رغيفاً، وجلس بالقرب من دكان لشواء واكل الرغيف على رائحة لشواء، فرآه الشواء فخرج اليه وطلب منه ثمن رائحة الشواء، فلم يدفع له الفقير شيئاً، فامسك بخناقه وساقه الى القاضي(جحا) وقال له:"يا سيدي القاضي، ان هذا الرجل اكل رغيفاً على رائحة الشواء، وقد طلبت منه ان يدفع لي ثمن رائحة الشواء فلم يرضَ بدفع شيء". ففكر القاضي قليلا ثم قال:"كم قرشاً تطلب ثمناً لرائحة شوائك؟" فقال الشوّاء:"اطلب خمسة قروش".
فاخرج القاضي قطعة فضية من ذات الخمسة قروش، ورنها على رخامة امامه وقال للشوّاء:"هل سمعت رنين النقود؟" فقال الشوّاء:"نعم يا سيدي القاضي". فقال جحا:"خذ الرنين فهو ثمن رائحة الشواء".

عاصم هاشم، عن كتاب "جحا العربي"

نغمة مألوفة

في احدى الامسيات، ادرت قرص التلفون الى الرقم الذي كنت اظنه رقم مسرحنا المحلي. ويبدو ان الرجل كان قد عانى طويلا، وربما تلقى مكالمات كثيرة مماثلة، وانتهى الى قرار حسم الامور وفقاً للمثل العامي:"الذي لا يجيء معك، اذهب معه".

وسألته:"ما هو برنامجكم الليلة، من فضلكم؟"
فاجاب:"كان في نيتي ان آخذ حماماً ثم آوي الى فراشي، فبماذا عساك تفكرين انت يا عزيزتي؟"

ب. س.

تجارة حرة

المريض: لقد بت اشعر بأن كل شخص يستغلني.
الطبيب النفسي: لا تقلق لذلك.
المريض: حقاً؟ شكراً دكتور. ما المبلغ الذي يجب ان ادفعه لك في مقابل معالجتي؟
الطبيب النفسي: ما هو المبلغ الذي معك؟

ت. م.

الحمية بالابر والدبابيس

كانت الفتاة على موعد مع بالع السيوف في السيرك. ولما كانت لم تر ذلك العرض من قبل، فقد طلبت ان يعرض فنه امامها. فابتلع عدداً من الدبابيس والابر.
فقالت الفتاة متهكمة:"لكن هذه ليست سيوفاً، وانما هي مجرد دبابيس وابر".
فرد بالع السيوف:"اعرف ذلك. لكنني اتبع نظاماً غذائياً لتخفيف وزني هذه الايام".

ا. ب.

"ليت جميع المطارات لها ما لمطار فرانكفورت"

هذا تقرير حقيقي ومعتمد لأحد الركاب

Frankfurt Main



Lufthansa

الخطوط الجوية الالمانية



مملكة النحل

إن داخل كل قفير عالماً متكاملا يشهد نظامه على عظمة الحياة

غمرتني بهجة عظيمة حين عثرت على اربعة قفران نحل تـوارت تحت الحشائش عند طرف حديقتي. انها قفران ابني وقد نسيت أمرها بعد ان تزوج وغادر المنزل. وأخـذت اقطع الاعشاب المتشابكـة، لكنـي وثبت جانباً عندما انطلقت من احد القفران آلاف الاجسـام الدقيقـة المندفـعـة بغضب وطنين.

ولما كنت من المتحمسين للاكتفاء الذاتي فقد راقتني فكرة انتاج عسل منزلي. وقررت ان اشارك النحل، فأرعى خلاياه وازوده بمؤونته من السكر خلال الشتاء في مقابل عسل الخريـف. وفـي سقيفـة الحديـقـة اهتديت الـى القبعـة الخـاصـة ذات الحافـة العريضـة التـي كـان ابنـي يرتديها، والى خمار طويل وقفازين جلديين ومئزر أبيض (فالنحل لا يحب الالوان القاتمة). وحصلت على ثلاثة اسراب نحل اخرى لبقية القفران. وهاانذا الآن - وان لم اكن خبيراً بعد - أوفر السعادة لنحلي كي يعطيني حاجتي من العسل.

وقفراني من النوع الخشبي المستطيل البسيط، ولهـا سقـف مسطـح يفتـح

كغطاء علبة. لكن النحل لا يعبأ بهذا كله، بل اني سمعت أن أحد مربي النحل يستخدم صناديق شاي مقلوبة، ويجني من العسل مقدار ما تقدمه القفران المجهزة الغالية. والنحل يلصق اقراص العسل بسقف بيته غريزياً. لكن جني العسل يكون ايسر اذا وضع المربي اطارات خشبية متحركة تساعد على صنع الاقراص. وفي كل من قفراني احد عشر اطاراً معلقة جنباً الى جنب.

وكنت في البداية اقضي ساعات قلقة الى جانب القفران، أراقب ما يفعلهالنحل واتساءل عما اذا كان يؤدي عمله على خير وجه. ثم ادركت ان النحل ليس في حاجة الى عوني، فتركته وشأنه. وفي الجوار مرعى طيب للرحيق فيه ممرات وأسيجة نما عليها الزهر البري، وقد ازدان بشجر الزيزفون والاجاص (الكمثرى) والكستناء. فكانت المساعدة التي قدمتها الى نحلي زراعة زهره المفضل، وخصوصاً زهر الاضاليا والخزامى والبدلية، كذلك اعشاب الحبق والصعتر التي تعطي العسل نكهة طيبة.

وربما بلغ محصول العسل ٥٠ كيلوغراماً لكل قفير. وأفضل وسيلة لجني هذه الكمية الوافرة هي ان توضع القفران في اماكن غنية بالرحيق، بحيث لا يتوجب على النحل ان يطير بعيداً للحصول عليه. لكنك لا تستطيع ان تتكهن بما يفعله النحل. فقد نقل احد اصدقائي كل قفرانه الى بستان تفاح وأطلق النحل هناك، فتجاهل النحل كل الزهر المتفتح وانطلق بعدها نحو الاعشاب البرية.

وحين تعلمت المزيد عن النحل، من الكتب ومن الدروس المسائية التي تنظمها هيئة التعليم المحلية ومن مربي النحل ذوي الخبرة، بدأت افهم ذلك الاحترام شبه الصوفي الذي احس به الانسان تجاه هذه الحشرات الصغيرة طوال قرون. لقد اعتبر النحل من آلهة العالم القديم، وكان العسل تقدمة ونذراً. وربما كان هناك صدى لذلك في ما لدينا من معتقدات خرافية بأنه ينبغي اعلام النحل بأنباء الوفيات والمواليد في العائلة. وثمة مربي نحل عجوز اعتاد ان يذهب الى قفرانه حاملا الرسالة التي استلمها من ابنه في اوستراليا، فيقرأ امام النحل في وقار نبأ مولد أصغر احفاده.

لغة النحل ـ لقد ربطت الفضيلة دائماً بالنحل، وربما كان ذلك بسبب نقاء عسله وشمعه. ويقال ان النحل ينفر من مدمني المسكرات ومن القذرين وانه يلدغهم عمداً. وفي ذلك مقدار من الحقيقة. فالنحل يشعر بالضيق من رائحة الكحول والعرق، كما يكره الشعر المتطاير والحركات السريعة ويمقت الخيول.

ولا شك في ان مشهد سرب يضم نحو ٤٠ الف نحلة، وقد التصق موقتاً باحدى الاشجار او بعمود كهرباء في كتلة طنانة نابضة بعدما ترك قفيره المزدحم، مشهد يثير الرعب. لكنه ليس خطراً. فقبل ان يغادر النحل قفيره يملأ اكياس عسله بالمؤن لداره الجديدة. وبهذا الحمل الثقيل يكون صعباً عليه ان ينحني. ولا بد للنحلة من احناء جسدها اذا ارادت ان تلدغ. لكن اللدغات ليست خطرة ما لم تكن

لخطوط الجوية الباكستانية تشعر وكأنك تقصد منزلك.
ليس هناك افضل من ذلك.

نحن نطير بك اكثر من ١٥٠ رحلة أسبوعيا من والى الشرق الأوسط . إن طائراتنا النفاثة الفسيحة تنقلك الى مايزيد عن ستين وجهة حول العالم .

نحن نشعرك بانك فى بيتك تماما منـذ لحظة صعودك على متن طائراتنا حتى لحظـة وصولك إلى وجهتك . ابتسامات تدغدغ وتنعش فؤادك . خدمـه ممتـازه تدوم فى الذاكرة إلى امد بعيد .

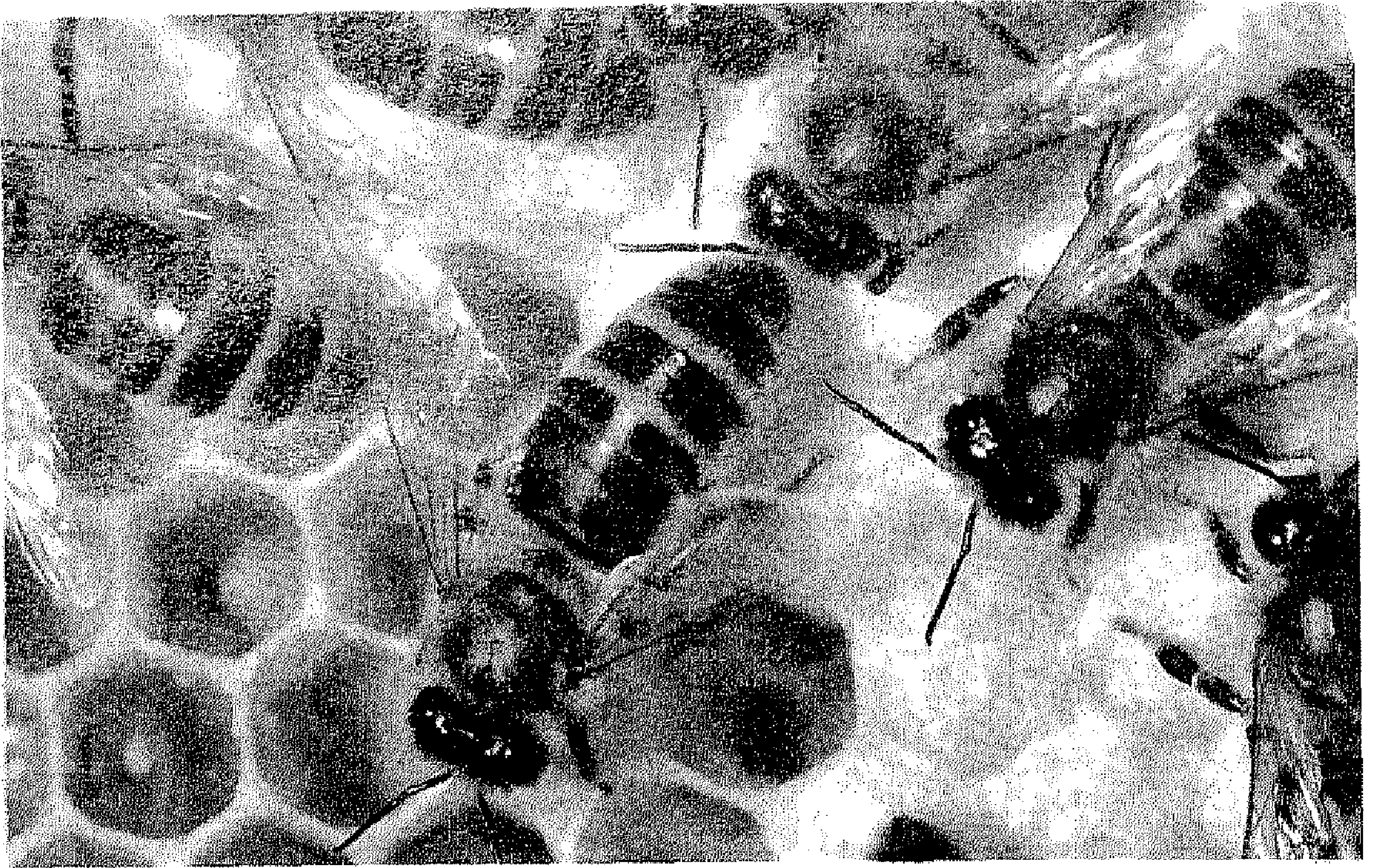
ان طيارى المليون ميل فى طيارى الخطوط الجوية الباكستانية يعدون فى بين افضل الطيارين خبرة فى العالم . ولهذا فان احدى عشر من الخطوط الجوية يرسـلوا لنا طياريهم للتدريب . واثنان وعشرون من الخطوط الجوية يرسلوا لنا مهندسيهم وطاقم صيانتهم . وعشر خطوط جوية يرسـلوا لنا طائراتهم لفحص وإصلاحها طبقاً لأحدث الأساليب .

فى طيرانك للمرة القادمة الى امريكا ، اوروبا ، الشرق الأوسط ، افريقيا وآسـيا ، اركب مع النجاح على متن الخطوط الجوية الباكستانية تشعر وكأنك تقصد منزلك .



زيد من المعلومات والحجوزات يرجى الاتصال بوكيل مبيعاتنا
عام او مكتب الخطوط الجوية الباكستانية
وظبي ، البحرين ،دبى،الدوحة،الكويت،مسقط،الشارقة ،جدة،عمان، بغداد، دمشق

خيرة القوم لتطير معهـــم .



بضع نحلات على القفير . اما الخلايا المختومة فتضم نحلات لم يكتمل نموها بعد.

لديك حساسية تجاهها. والحق ان بعض الاشخاص يقصدون المناحل كي يتعرضوا للدغات، ظناً منهم أن سمها يشفي من داء المفاصل (الروماتيزم).

ولكن هل يعمل النحل بالغريزة وحدها ام ان لديه نوعاً من الذكاء؟ إذا نظرنا الى "لغة" النحل التي اكتشفها عالم الطبيعة الاوسترالي كارل فون فريش، وجدنا ان النحلة العاملة، حين تريد ان تهدي شقيقاتها الى مصدر جديد للرحيق، تندفع في خط مستقيم كي تريهن الاتجاه الدقيق لمصدر الرحيق بالنسبة الى موقع الشمس، وفي الوقت نفسه تهز الجزء الخلفي من جسدها مشيرة الى بعد المسافة التي يتوجب عليهن اجتيازها. وبمقدار ما تكون الهزات بطيئة تكون المسافة بعيدة. لكن النحل يواجه، كالبشر، مشاكل لغوية. فحين ادخلت نحلات اوكرانية (من احدى جمهوريات الاتحاد السوفييتي) على مجموعة من النحل الايطالي، كانت تسيء فهم اتجاهات المراعي وتدور عبثاً بعيداً عن المكان الصحيح.

ويبدو النشاط المحموم داخل القفير ضرباً من الفوضى في نظر المبتدىء. غير اني تبينت مع الوقت ادوار سكانه المختلفة. وهناك نحلة معينة يسهل على الناظر اكتشافها. تلك هي الملكة، وان لم تكن حاكمة او قائدة بأي معنى من المعاني، وإنما مجرد منتجة للبيض. وهي اكبر حجماً من حاشيتها العاملات اللواتي يحطن بها عادة، لكن دماغها اصغر حجماً وليست لديها اعضاء خاصة لحضن الصغار او للبحث عن الطعام. ولو لم تتعهد العاملات نسلها لهلك.

وتضع الملكة بيضاً صغيراً يكاد لا

يرى بالعين المجردة بمعدل يصل الى ٢٠٠٠ بيضة في اليوم، وذلك في خلايا سداسية الشكل من الشمع • وبعد ثلاثة ايام يفقس البيض وتخرج منه يرقات (كائنات صغيرة تشبه الدود) تهتم العاملات بإطعامها، ويكون غذاؤها معجوناً ابيض كالحليب تفرزه من غدد في رأسها • وذلك هو الطعام الملكي الذي يدفع البعض نحو ١٠٠ دولار ثمناً لما يقل عن ٣٠ غراماً منه، مؤمنين ـ وان لم يؤكد العلم ذلك حتى الان ـ بأنه يشفي الصلع ويعيد القدرة الجنسية ويزيد متوسط العمر ويضفي على النساء شباباً وجمالا • ومهما يكن فعل الغذاء الملكي هذا في البشر، فهو ولا شك مفيد ليرقات النحل، ومعظمها يتغذى به ثلاثة ايام ثم ينتقل الى غذاء من العسل وحبيبات اللقاح يشكل "خبز النحل"، ليصبح بعد ٢١ يوماً من العاملات •

وهناك يرقات تخرج من بيض مماثل وضع في خلايا اكبر حجماً على شكل الكشتبان • وهي تتغذى بالطعام الملكي • ومع الوقت يتغير شكل هذه الكائنات ويكتمل نموها • وبعد ١٦ يوماً تزحف اولى الحشرات مترنحة الى الخارج••• لقد ولدت ملكة •

واول ما تفعله الملكة هو ان تغرز معقصها في الخلايا التي تضم بيض الملكات الاخريات لتقتل منافساتها المحتملات • وخلال هذه الفترة تكون الملكة الحاكمة غادرت القفير على رأس سرب • لكن العاملات يتجاهلن الملكة الجديدة، الى ان يأتي يوم مشمس فيدفعنها الى خارج القفير لتقوم بأولى رحلاتها الزواجية المتعددة • ويشم ذكور النحل رائحة الملكة عن بعد كيلومترات • وقد تزاوج الملكة خلال الرحلة نحو خمسة عشر ذكراً يلقون حتفهم في العملية • وبعد بضعة ايام تبدأ وضع البيض •

جنى العمر ـ اما النحلة العاملة فهي تستحق اسمها عن جدارة • فما ان تستطيع السير حتى تأخذ في تنظيف الخلايا التي خرجت منها اخواتها الصغيرات وتصقلها بمادة شمعية، جمعتها العاملات الاكبر سناً من براعم الشجر وورقه، كي تكون جاهزة لاستقبال الدفعة الجديدة من البيض • وفي اليوم الرابع من عمرها تبدأ العاملة اداء واجبها في تلقي الرحيق وحبوب اللقاح من النحل الذي يجمعها، وتخزنها في خلايا خاصة • وفي اليوم الرابع عشر من عمرها تتجمع وشقيقاتها ليشكلن ما يشبه مصنعاً صغيراً، فيلتهمن العسل ويحولنه شمعاً، ثم يبدأن بناء الخلايا السداسية • ومن كل خمس كيلوغرامات من العسل تنتج العاملات نحو نصف كيلوغرام من الشمع • والى جانب ذلك تشكل العاملة جزءاً من جهاز تكييف الهواء في القفير، اذ تقف عند مدخل الخلية وتصفق بجناحيها كي تدخل الهواء البارد •

وبعد فترة من اداء العاملة واجب الحراسة عند المدخل ـ تكون خلالها على استعداد للموت وهي تقاتل اي غاز سواء أكان زنبوراً (دبوراً) او حتى مربي النحل ذاته ـ تنطلق الى العالم الواسع بحثاً عن الطعام • وهي تطير خافقة جناحيها نحو ٢٠٠ مرة في الثانية بسرعة تبلغ حوالى ٢٥ كيلومتراً في الساعة وعلى ارتفاع يصل الى ستة امتار، وهي مزودة بكمية من الرحيق تكفيها مدة ١٥

دقيقة. ولو انها خاطرت بالابتعاد أكثر من ثلاثة كيلومترات عن الخلية ولم تجد رحيقاً فربما نفد وقودها وهلكت في رحلة العودة.

وتبعاً لحاجات القفير تمضي العاملة الى جمع المادة الشمعية من البراعم، او تعود بالماء في اكياس العسل لتخفيف حدة حبوب اللقاح والعسل التي تتغذى بها اليرقات، او تجمع حبوب اللقاح فتحمل منها ما يعادل خمس وزنها في جيبين خاصين فوق قائمتيها الخلفيتين، محاطين بشعيرات كثيفة. وتندفع العاملة من زهرة الى اخرى، منفذة عملية التلقيح التي لولاها لما حملت معظم نبتات العالم ثماراً.

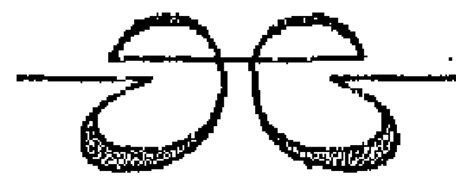
وبعد بضعة ايام تبدأ العاملة آخر وظائفها: جمع الرحيق. فترتشف ذلك السائل المائي الحلو بلسانها الانبوبي وتصفيه وتخزنه في بطنها، ثم تصبه في افواه نحلات الخلية اللواتي يتناقلنه، فتضيف كل منهن اليه مقداراً من انزيمات الهضم (الخمائر) لتحويل سكر الرحيق الى مادتي الغلوكوز والفركتوز. وتكون النتيجة عسلا يخزن في خلايا تغلق على نحو صحي بسدادات من الشمع.

والعاملات اللواتي يولدن في الخريف، حين يكون جمع الرحيق خفيفاً، يعشن الشتاء بكامله. اما النحلة التي تولد في الربيع او الصيف فهي تموت في اسبوعها الخامس او السادس بعد ان يبلى جناحاها ويهدها التعب. وربما تكون خلال حياتها القصيرة هذه قطعت مسافة ٣٠٠ كيلومتر، وحملت ما يفوق وزنها ١٨٠٠ مرة من الماء والرحيق وحبوب اللقاح، وزارت مليون زهرة. وجدير بالذكر ان مربي نحل عجوزاً اعتاد ان يقول، وهو يضرب بملعقته عميقاً في وعاء العسل: "هذا جنى عمر نحلة واحدة". وهو كان مخطئاً تماماً، فان انتاج ما يكفي من العسل لشريحة واحدة من الخبز المحمص يتطلب مئات من النحل العامل بدأب طوال حياته.

ولقد حصلت في العام ١٩٧٨ على اكثر من ٤٠ كيلوغراماً من العسل من كل قفير، ووضعت مكانه نصف تلك الكمية من السكر المذاب في الماء الدافىء كي يحوله النحل الى عسل رخيص يستعمله في غذائه ايام الشتاء.

وتسألونني ماذا اصنع بالعسل الذي أجنيه. إني ابيع نصفه وآكل منه وأهدي، أو اقايض به جيراني في مقابل اي شيء احتاج اليه، وخصوصا سماد الحظائر. فعلى هذا السماد ينمو الزهر الذي يوفر لنحلي رحيقاً يحوله عسلا. وهذا هو الاكتفاء الذاتي الذي به استمتع.

■ آرشي لونغ



كان الحلزون يقضي اجازته حين صادف مجموعة من اليرقان، فتأوه معتذرا: "يبدو اني دخلت مخيما للعراة".

جريدة "فرانس سوار"، باريس

المختار
نيسان (ابريل) ١٩٨٠ السنة الثانية (سلسلة جديدة)



المسلمون في اوروبا

إن تدفق ملايين المسلمين على اوروبا هدأ الصراع القديم، بدلا من أن يقويه، بين الهلال والصليب. وبدأ الاوروبيون يدركون أن الاسلام ليس ديناً فحسب، بل هو طريقة حياة مستمرة

بالقرب من حديقة ريجنت العامة في لندن جامع جديد، تومض قبته النحاسية فوق رؤوس الشجر. وفوق شارع مزدحم في مدينة آلميلو الهولندية تشرئب مئذنة في وجه السماء. وفي ميونيخ ومانشستر وكوبنهاغن وكوفنتري جوامع تعلن للقارة الاوروبية عودة الاسلام. حتى روما، مدينة الآثار الوثنية والكنائس المسيحية، سيقوم فيها جامع قريباً.

وفضلا عن دلالتها على استمرار الحضور الاسلامي في اوروبا، تعكس هذه الجوامع روح التقارب بين المسيحية والاسلام، هذين الدينين اللذين تحارب أتباعهما يوماً ما بضراوة برهاناً على تمسك كل فريق بإيمانه. كما تشهد هذه الجوامع على أن بعض السلطات الاوروبية اعترفت أخيراً بحاجات مسلميها من مواطنين وعابرين.

ليس الاسلام بالوافد الجديد على اوروبا. فالبرتغال وصقلية اليوم كان يطغى عليهما العنصر الاسلامي. وفي اوروبا الشرقية مجموعات إسلامية كبيرة مستمرة منذ تسعة قرون، وبعضها يتحدر من الفاتحين المغول

جامع في شفيتزينغن في المانيا الغربية، بناه الامير كارل ثيودور قبل مئتي سنة.

Condensed from Aramco World Magazine, January February 1979, published by Aramco: a Corporation: New York. N.Y.



الذين وصلوا الى بولونيا وليتوانيا. وهناك سلالات اسلامية لاتزال مستمرة في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وهولندا، وبالطبع في اسبانيا حيث أضاف الحكم الاسلامي فصولا مجيدة الى تاريخ الاسلام وتاريخ اوروبا على السواء.

كان دخول المسلمين اوروبا عام ٧١١ للميلاد. وهناك أنشأوا مدنية مزدهرة في القسم الأكبر من شبه الجزيرة الايبيرية دامت نحو ثمانية قرون. وفي العام ٨٣١ للميلاد استولت قوات الفتح الاسلامي على جزيرة صقلية وحكمتها طوال ٢٦٠ سنة. وأخيراً جاء العثمانيون الذين حكموا بلاد البلقان قرابة ستة قرون (من القرن الرابع عشر حتى القرن التاسع عشر). وفي القرن السابع عشر، الذي شهد ذروة قوتهم، امتد سلطانهم غرباً حتى أبواب فيينا.

وكانت النتيجة، كما يقول سالم عزام، الأمين العام للمجلس الاسلامي الاوروبي، "أن الغرب عرف الاسلام عموماً كعدو وخطر داهم". وكنتيجة اخرى، يقول خورشيد أحمد، المدير العام السابق للمؤسسة الاسلامية، وهي مؤسسة تربوية في مدينة لستر (انكلترا)، "كان الاسلام هو الدين الذي يعاني أكبر سوء فهم في اوروبا اليوم".

وللاسلام أتباع كثيرون في أوروبا، يبلغ عددهم اليوم ستة ملايين في بلدان السوق الاوروبية المشتركة. وقد ساهم هؤلاء، وهم من العرب والأسيويين والافريقيين والاتراك، في ازدهار اوروبا من خلال عملهم وفي ازدهار أوطانهم من خلال المدخرات التي أرسلوها الى عائلاتهم هناك.

ولكن كان لا بد من نشوء مشكلات عن هذا التدفق الجماعي للقوة العاملة. فالمهاجرون المسلمون، بما حملوه من تقاليد وثقافة ودين تختلف - كما هي حال المهاجرين جميعاً - عما هو سائد في البلدان المضيفة، واجهوا سوء فهم وعداوة، كما واجهوا قيوداً ثقافية ودينية فرضتها عليهم تقاليدهم.

وإذا كان المسلمون في اوروبا يتفقون في الايمان والعقيدة، إلا انهم يختلفون من حيث العدد والخلفية والطابع العام. وبما ان لكل من هذه الجماعات أصلها وتاريخها الخاص، فان طرائق حياتها في اوروبا متباينة.

فرنسا: اكبر جماعة

ان اكبر جالية إسلامية في اوروبا تعيش في فرنسا. ويبلغ عدد أفرادها مليونين، وهي تشكل سدس عدد العمال الاجانب في بلدان السوق الاوروبية. وبما ان عدداً كبيراً من العمال المسلمين في فرنسا اتوا من بلدان كانت خاضعة للحكم الفرنسي سابقاً، فهم دخلوا فرنسا حاملين رصيداً حاسماً هو أنهم يتكلمون الفرنسية. وكانوا، الى ذلك، مطلعين على طرق الحياة الفرنسية، مما أتاح لهم سرعة التكيف مع المجتمع الجديد. وهكذا ارتقوا سلم الاقتصاد بخطى سريعة. وفي فرنسا اليوم عديد من المسلمين الذين احتلوا مراتب عالية في عالم الاعمال والتجارة وحتى الفن. ويقول أحد المراقبين إنهم تركوا طابعاً لا يمحى في المجتمع الفرنسي الحديث.

لكن روابط الماضي لها سيئاتها

أيضاً. فالمسلمون الآتون من مستعمرات فرنسية سابقة، وخصوصاً الجزائر، واجهوا في فرنسا شيئاً من الصد والمعارضة. وحين اضطرب الوضع الاقتصادي، ظهرت آثار التضخم المالي والبطالة اولا على العمال المهاجرين. حتى إذا أتى التضخم على القسم الاكبر من اجورهم، وجد هؤلاء العمال أنفسهم في وضع لا يسمح لهم بالادخار ولا بالعودة الى أوطانهم. والاسوأ من هذا أنهم وجدوا أنفسهم يتنافسون مع العمال الفرنسيين على اعمال كان يأنفها هؤلاء يوم اعطيت للمهاجرين.

ومن أجل حل هذه المشاكل، أغلقت الحكومة الفرنسية الباب قبل ست سنوات في وجه المهاجرين الجدد. وعلى رغم سماحها السخي لعائلات العمال المقيمين سابقاً بالانضمام إليهم، فقد شجعت الحكومة الفرنسية هؤلاء العمال، في الوقت نفسه، على الرحيل في مقابل تعويضات وهبات.

المانيا الغربية: الاتراك

في المانيا كما في فرنسا، كان للهبوط الاقتصادي المفاجىء أثره السلبي على العمال المسلمين. لكنهم، مع ذلك، صمموا على البقاء. وهنا أيضاً أدخلوا عنصراً مفعماً بالحياة على الانماط الاجتماعية الجامدة.

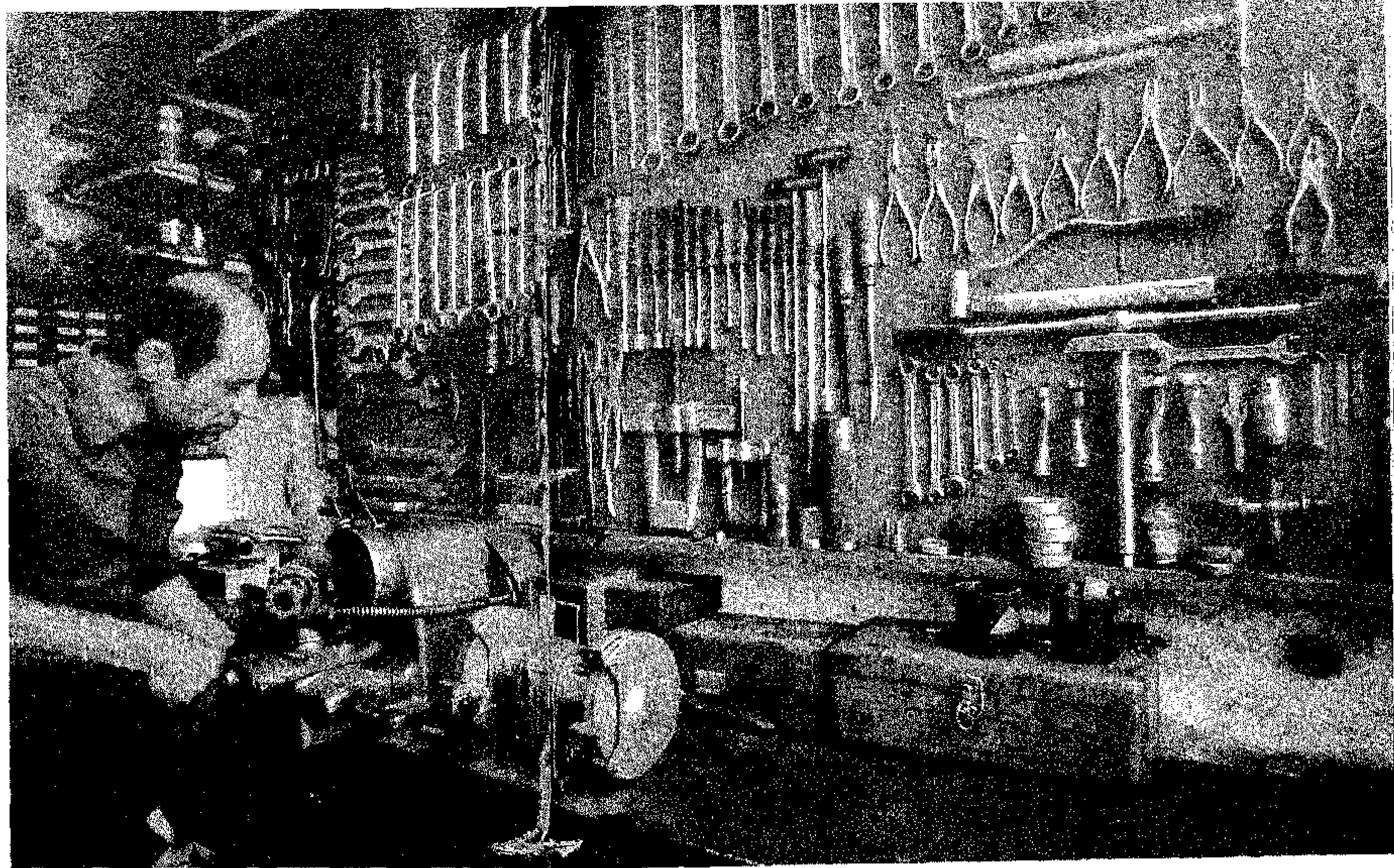
غير أن هذا العنصر تركي أكثر منه افريقياً شمالياً. ففي المانيا مئة ألف مسلم من شمال افريقيا والشرق الاوسط. لكن عدد الاتراك فيها يتجاوز المليون. فلا عجب إذا وجدنا شوارع في برلين الغربية وميونيخ تعج بالنساء اللواتي يرتدين السراويل التركية الملونة بينما رؤوسهن مغطاة بالمناديل وهن يشترين الخبز ولحم الضأن والزيتون والجبن.

وكما حصل في فرنسا، فقد كان من أثر المشكلات الناجمة عن البطالة أنها أقنعت المسؤولين الحكوميين في المانيا بحظر توظيف العمال الأجانب وبفرض قيود اخرى. ويعارض الكثيرون من المهاجرين هذه التدابير، قائلين ان على الحكومة الاهتمام بتحسين أوضاع العمال الذين على ارضها بدلا من اعادتهم الى بلادهم. ويعيش معظم المسلمين في المانيا في مناطق صناعية، ولذلك يواجهون ازمات سكنية فضلا عن ازمات تربوية تتعلق باطفالهم.

ولكن من ناحية اخرى، يزداد التأييد للعمال المسلمين. فهناك شركات المانية تعترف بأن صناعات كثيرة ستتأذى إذا كفت ايدي هؤلاء العمال، كما ان الحكومة على علم تام بأن الاقتصاد الالماني مدين لمقدرة هؤلاء العمال ومثابرتهم.

ويقول هيرمان بوشفورت، أحد المسؤولين في وزارة العمل في بون: "إنه لأمر مهم أن تتاح لأولاد العمال المهاجرين فرص التربية نفسها التي يتمتع بها الاولاد الالمان، وإلا سيدفعون الى هامش المجتمع". وقد وعت حكومة بون هذا الخطر، مما حثها على تأمين المزيد من المساعدة الخاصة للتلاميذ المهاجرين، سواء أكانوا في المدارس العادية أم المهنية.

وقد وعت المنظمات الاسلامية هذه المشكلة قبل وقت طويل، ونظمت برامج للغة الالمانية والنشاطات



عامل تركي عاد الى بلده نهائياً ليؤسس مشغلاً خاصاً قرب اسطنبول.

Photo: Tor Eigeland Aramco

الثقافية في المراكز التابعة لها. وهذه المنظمات تعزز جهود الاهل الرامية الى نشر التعليم الديني.

هولندا: قضية مشتركة

المسلمون في هولندا لم يأتوا من بيئة واحدة. وعلى رغم أن عددهم قليل بالنسبة الى عدد المسلمين في بريطانيا والمانيا الغربية وفرنسا، إلا أنهم يأتون من مناطق مختلفة. ففي هولندا ٢٠٠ ألف مسلم، معظمهم عمال هاجروا من تركيا والمغرب. لكن بين مسلمي هولندا مهاجرين من مصر والهند واندونيسيا والعراق وايران والاردن وماليزيا وباكستان وسورينام (امريكا الجنوبية) وتونس والجزائر واوغندا ويوغوسلافيا. ونشاطاتهم خير برهان على تخطي الفروق القومية والجغرافية واللغوية وتوحيد الجهود من أجل قضية مشتركة.

وفي بيلمرمير، وهي ضاحية جديدة في أمستردام، شاهدت مجموعة نساء متحلقات حول طاولة في غرفة كانت

مخزناً. وكانت إحداهن ترتدي ثوباً هندياً فضفاضاً زاهي الالوان، واخرى تكتسي بجلباب بسيط من القطن الرمادي حملته من افريقيا الشمالية، فيما كانت امرأة ثالثة، وهي هولندية اعتنقت الاسلام، تضع عليها "توجة" أنيقة، وهي ثوب روماني طويل. وكانت النسوة يتكلمن الهولندية والانكليزية والعربية وحتى الاوردية، وبينهن مشتركات يتولين ترجمة الحديث الى اللواتي لا يعرفن سوى لغة واحدة. وكان هدف الاجتماع تنظيم حملة تبرعات من أجل شراء مطبعة "اوفست" لكتب حول الاسلام، يعود ريعها الى صندوق لتشييد مركز إسلامي في امستردام يكلف ١٧ مليون غيلدر (نحو ٩ ملايين دولار) ليحل مكان المراكز الموقتة التي تلبي بعض حاجات مسلمي المدينة الثقافية والروحية، وعددهم أربعون ألفاً.

وقد عرف الهولنديون في التاريخ — وهذا يميزهم عن شعوب اخرى — بالتسامح. وتظهر هذه الفضيلة في جوانب عدة من علاقتهم مع المسلمين

المقيمين بينهم. ومن الامثلة على هذا أن أكثر من نصف المبلغ اللازم لإقامة جامع في مدينة آلميلو - وهو ٢٢٠ ألف غيلدر (نحو ١١٥ ألف دولار) - تبرع به مواطنو المنطقة المسيحيون. وهذا سيكون أول جامع حقيقي في هولندا.

بريطانيا: الاستقرار

على رغم ان بعض المسلمين هاجروا الى بريطانيا في اوائل الستينات وكانوا عنصراً في الانفجار السكاني آنذاك، إلا أن كثيرين منهم دخلوا بريطانيا قبل وقت طويل كمواطنين بريطانيين من دول الكمنولث. وهذا جعل المسلمين في بريطانيا من اكثر الجاليات الاسلامية استقراراً في اوروبا الغربية. كما ان الدين الاسلامي في بريطانيا نزع عن نفسه صفة "الدين الاجنبي". ويقول المطران الانكليكاني ديفيد براون، وهو من الثقات في الدراسات الاسلامية: "الاسلام اليوم دين يعتنقه مليون شخص من مواطنينا البريطانيين".

كذلك نجد ان أثر المسلمين في المجتمع البريطاني يختلف عنه في المجتمعات الاوروبية الاخرى. ولأن بريطانيا كانت تحكم في الماضي أجزاء كثيرة من العالم العربي، فقد وفد رجال الاعمال العرب اليها لاستثمار عوائد النفط في شراء البنايات والمصانع والمزارع والفنادق.

وكان للمال الذي يصرفه المستثمرون المسلمون في بريطانيا، فضلا عما يصرفه آلاف السياح والمتبضعين العرب، أثره الملحوظ في الحضور الاسلامي هناك. كذلك نجد الشوارع تعج بالطلاب العرب الذين ارسلوا الى بريطانيا، خصوصاً لدراسة الهندسة والطب.

ونظراً الى أن المسلمين الآسيويين والافريقيين رعايا بريطانيون وليسوا مقيمين عابرين، فهم يتمتعون بنسبة من الحقوق القانونية اوسع من تلك التي يتمتع بها كثير من المهاجرين المسلمين في البلدان الاوروبية الاخرى. ولكن، كما يرى خورشيد أحمد، رئيس معهد الدراسات التخطيطية في باكستان، "الديموقراطية في بريطانيا ذات وجه سياسي وليست ذات وجه ثقافي، غير ان المسلمين يريدون ان يعيشوا في اوروبا كمسلمين، لا كقوم مغربين ثقافياً. وعلى الاوروبيين ألا يتوقعوا من المسلمين تقليد الغرب في جميع امورهم".

ان ما يريده المسلمون هو، على الاخص، الاعتراف بالشرع الاسلامي والاعياد الدينية والسماح للمسلمين بالانصراف من أعمالهم ومدارسهم في أوقات الصلاة اليومية واداء صلاة الجمعة.

وبما أن المشكلات التي تعانيها الجاليات الاسلامية تختلف من بلد اوروبي الى آخر، فقد بذلت الجهود الرامية الى المساواة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية لأبناء هذه الجاليات مع المواطنين الاوروبيين على أساس فردي. ولهذا الغرض احدثت الجمعية الاسلامية في ايرلندا مركزاً للشبيبة المسلمة. ولكن كخطوة مهمة نحو توحيد المساعي، يحاول المجلس الاسلامي الذي أسس في لندن عام ١٩٧٣ تنسيق جهود نحو سبعين منظمة إسلامية في بريطانيا

والمانيا الغربية وفرنسا والبلدان الاسكندينافية وايطاليا وسويسرا والنمسا وبلجيكا وهولندا واللوكسمبور.

ويقول سالم عزام، الامين العام للمجلس الاسلامي الاوروبي، ان للمجلس هدفين رئيسيين: "الاول هو حماية الحياة الدينية والثقافية للمسلمين في اوروبا والمحافظة عليها وتعزيزها، والثاني خلق فهم أفضل للاسلام في الغرب".

وفي محاولة لبناء جسور من المعرفة والتعاون بين الغرب المسلم والغرب المسيحي، نظم المجلس برامج ومؤتمرات عدة. وفي مناسبة افتتاح أحد هذه المؤتمرات، شدد الامير محمد الفيصل على أثر الاسلام الهائل في تاريخ العالم ومساهماته الفذة في حقول التربية والفن والعلم والتكنولوجيا. وحث الامير السعودي أصحاب العقائد الاخرى على "التفحص النزيه لذلك الدين الذي يعتنقه اكثر من ثمانمئة مليون من اخوتهم في الانسانية".

وربما كان غريباً أن يكون تدفق ملايين المسلمين على اوروبا هدأ الصراع القديم، بدلا من أن يقويه، بين الهلال والصليب. ويقول القس مايكل فيتزجيرالد من المعهد البابوي للدراسات العربية في روما: "صحيح أن الاحتكاك اليومي بين المهاجرين ومحيطهم الجديد يخلق المشكلات، لكنه في النهاية يفضي الى فهم أفضل". ومن التطورات التي طرأت زيارة العاهل السعودي الراحل فيصل بن عبد العزيز لروما عام ١٩٧٣ وما أسفرت عنه من تمهيد الطريق لبناء جامع في العاصمة الايطالية.

وهناك أمثلة اخرى. ففي مناسبة "يوم المهاجرين" عام ١٩٧٧، نشر مجمع الكنيسة الاسقفية البروتستنتية الهولندية كراساً رعائياً يدعو الى العمل فوراً من أجل ضمان حقوق جميع الاجانب المقيمين في هولندا، وأكثر من نصف هؤلاء مسلمون. كما حاز كتيب ألفه ديفيد براون، اسقف أبرشية غيلفورد الانكليزية، بعنوان "بداية جديدة"، إطراء المسلمين والمسيحيين معاً.

وهناك جسر آخر من التفاهم تعاونت طوائف مسيحية عدة على إقامته. وهو كذلك دعوة الى العمل المباشر. فبعد الاضطرابات التي شهدتها المناطق الصناعية وسط بريطانيا عام ١٩٧٦، عملت الكنائس المحلية بحماسة في أوساط الشبيبة من مختلف الاديان من أجل تحسين العلاقات في ما بينها.

والمدهش أن الكنائس نجحت حيث أخفقت سواها من الجماعات غير الدينية. وسر هذا النجاح، في رأي القس جاك اندروز من الكنيسة المتجددة المتحدة في بلدة وولسول البريطانية، هو "أن المسيحيين عندما يقتربون من الاسلام بتلك الروح التي يختص بها الدين، فلا شك في أنهم سيلقون ترحيباً حتى من أكثر الفئات الاسلامية تطرفاً". ويضيف القس اندروز: "إنه لأمر يؤسف له أن يكون المسيحيون، لا المسلمون، هم الذين يأتون الى الحوار على مضض. أما المسيحيون الذين اختبروا البلدان الاسلامية فقد اكتشفوا أن عيسى القرآن ويسوع الانجيل يمكنهما الاتفاق اذا هما وقفا وجهاً لوجه".

■ هشام بدوي

مقال مقتبس من عدد خاص اعده لمجلة ارامكو جون لوتون.

إختبر زواجك في ٩ أسئلة

لئن كان الزواج امتن النظم الاجتماعية التي عرفتها الحضارة، الا أن اقامة العلاقة الزوجية الطيبة ليست أمراً سهلاً. وما اكثر من ينتابهم اليأس من حياتهم الزوجية فيسارعون الى نفض ايديهم منها. فهل لديك من الصبر والتفاهم ما تتطلبه العلاقة الزوجية المستديمة؟

لكي نساعدك على التحقق من ذلك رأينا ان نزودك في ما يأتي بمجموعة من الاسئلة اقتطفناها من برنامج تلفزيوني قدمته احدى المحطات الامريكية وأعده المشرف على قسمها العلمي الدكتور فرانك فيلد. اما الاجوبة فقد عني بوضعها فريق من اطباء النفس الامريكيين البارزين ضم الدكتورة هيلين سينجر كابلان مديرة برنامج النشاط الجنسي الانساني في مستشفى نيويورك الجديد التابع لمركز كورنل الطبي، والدكتور وليم ابلتون الذي اشترك في وضع كتاب "كيف تقي أسرتك من التفكك"، والدكتور هارولد ليف مدير مجلس الزواج في ولاية فيلادلفيا، والدكتور سيدني ليكر مدير قسم العلوم السلوكية لدى الفريق التنفيذي للممتحنين الصحيين.

١ . ما هي الشكوى الأكثر شيوعاً التي يواجه بها الاطباء النفسانيون والعلماء المتخصصون في معالجة مشاكل الحياة الزوجية؟

هل هي تدور حول الافتقار الى:

☐ الجنس؟
☐ المال؟
☐ التفاهم؟

٢ . هل تؤدي الصراحة المفرطة بين الزوجين الى خلق مصاعب كبيرة؟

☐ نعم.
☐ لا.

٣ . هل تتعرض المرأة التي تلازم البيت للمشاكل الزوجية:

☐ اكثر من الزوجة العاملة؟
☐ اقل من الزوجة العاملة؟

٤ • كلما زاد ايرادك المالي طال عمر زواجك•
- ☐ صحيح•
- ☐ غير صحيح•

٥ • ما هي العاطفة التي تعدّ الحافز الأقوى لدى الزوج او الزوجة على اقامة علاقة غرامية خاصة؟
- ☐ الغيرة•
- ☐ الغضب•
- ☐ الكراهية•

٦ • هل يحتمل ان تكون لزوجك او زوجتك علاقة واحدة على الأقل مع شخص آخر؟
- ☐ نعم•
- ☐ لا•

٧ • اذا تورطت في علاقة تبعث على تأنيب الضمير، فان الاقرار بالذنب يساعدك على استعادة راحتك النفسية•
- ☐ صحيح•
- ☐ غير صحيح•

٨ • الزواج الذي يتمتع الزوجان فيه بعلاقة جنسية ممتازة يدوم اكثر من ذلك الذي تتخذ فيه حياة الزوجين الجنسية طابعاً عادياً او سيئاً•
- ☐ صحيح•
- ☐ غير صحح•

٩ • لنفترض ان شخصاً عزيزاً يعاني مصاعب زوجية خطرة ويرغب في التحدث اليك عن تلك المشاكل، عندئذ عليك:
- ☐ ان تشجعه على الافصاح عن اي مشاعر مكتومة•
- ☐ ان ترشده اذا شعرت بضعفه امام تلك الصعوبات•
- ☐ ان تكتفي بالاصغاء اليه من دون اي تعليق•

الاجابات الصحيحة

١ • الافتقار الى التفاهم•

تقول الدكتورة هيلين سينجر كابلان ان الناس يعانون هذه المشكلة عندما يعجزون عن الاعراب عن مشاعرهم الخاصة، او عن الاحساس بمشاعر الطرف الآخر• لنفرض ان الزوجة ترى ان زوجها اسرع مما يجب او هو ميكانيكي في علاقتهما الجنسية• تلك الزوجة قد تخشى المجاهرة بما تشعر به، فتعبر عما تعانيه من خيبة عن طريق مطالبة زوجها بشراء اثاث جديد على رغم ادراكها انه يمر في ضيق مالي• وهكذا فبدلا من ان تقدم اقتراحاً بنّاء مثل: "دعنا، يا حبيبي، نمارس حياتنا الجنسية بطريقة افضل"، تقول انها تريد تجديد اثاث غرفة الطعام• وينتهي الامر بشجار بينهما•

٢ • نعم•

في نظر الدكتور وليم ابلتون ان الصراحة المفرطة تدل احيانا على قلة اعتبار مشاعر الطرف الآخر• فلا حاجة بك الى الاعراب عن كل ما يجول في ذهنك• وهناك فرق شاسع بين مشاركة الرفيق في افكاره بلباقة ومحبة والتدفق المتواصل لمشاعر المرء وما يجول في ذهنه من انتقادات• فكثيراً ما تكون الصراحة خصلة حميدة، الا ان الامعان فيها يجعلها ضرباً من القسوة• فحري بالزوج ان يتجنب جرح مشاعر رفيقه لان ذلك لا يعود بأي نفع على احد•

٣ • انها اكثر تعرضاً للمشاكل الزوجية•

يرى الدكتور هارولد ليف ان الدراسات تبين على نحو يدعو الى

الدهشة ان ربة البيت اكثر تعرضاً للعلل الجسدية والعقلية من الزوجة العاملة. والسبب هو ان ربة البيت غالباً ما تكون عاجزة عن تحقيق ذاتها وبلوغ المكانة التي تتمناها. ولذلك فان عبء الزواج يقع على عاتقها ثقيلا. ان المرأة التي تلازم بيتها تحتاج الى اتصالات جماعية خارجية، سواء في الجمعيات الخيريـة ام فـي المؤسسات الترفيهية او غير ذلك، مما يوفر لها الشعور بالتعاضد والصلة بالآخرين. وينبغي للزوج ان يدرك، من جهته،طبيعـة المشكلـة الخطيـرة التي تواجهها زوجته.

٤. صحيح.

في ضوء استقصاء جدي يحتمل ان يكون زواج من يفوق دخلهم السنوي العشرين الف دولار ابقى من زواج اصحاب الدخل الضئيل.

٥. الغضب.

ان الدكتور سيدني ليكر يحذر من ان هذا الانفعال ليس سوى دليل على مشاعر اخرى. ومن المهم ان نقف على الدافع الى الغضب. فالزوج الذي يخون رفيقه يقول عادة في سريرته: "سوف اريه/ او اريها/ ان احداً لا يمكنه ان يعاملني بهذه الطريقة". ووراء مثل هذا الانفعال يكمن عادة شعور بالوحدة ورغبة في الحصول على الحب. غير ان البحث عن ذلك الحب لدى شخص آخر يضني كلا الزوجين، ولكن في امكانهما الافادة من الدرس الذي يلقيه عليهما تورط احدهما في مثل تلك العلاقة الغرامية، فيعملان على تدعيـم زواجهمـا بـأن يحـاولا اكتشاف مواطن الخلل في علاقتهما والاهتمام الصادق بتحسينها.

٦. نعم، لسوء الحظ.

تعتبر الدكتورة كابلان ان تورط احد الزوجين في علاقة ما لا يؤدي بالضرورة الى وضع نهاية للزواج. والى حد ما، فان اي زواج قد يواجه هذه الأزمة او غيرها. وهذا يعتبر من مخاطر الزواج، وهو، في الوقت ذاته، فرصة لتعميق التفاهم بين الزوجين وتقوية التزامهما بعلاقتهما الزوجية.

غير ان علامة الخطر التي ينبغي الانتباه اليها هي وقوع تغير في المشاعر. هل تشعرين بالغبطة، مثلا، عندما تسمعين صوت مفتاحه في قفل الباب الخارجي؟ هل تضع لنفسك برنامجاً مشحوناً بالاعمال في عطلة نهاية الاسبوع بقصد الابتعاد عنها؟

ان هذا التغير في المشاعر يعني ان زواجك لم يعد كسابق عهده وان الوقت حان للتبصر في الأمر وفي نفسك. والخطوة الأولى نحو حل اي مشكلة هي الاعتراف بوجودها.

٧. صحيح.

ان الاقرار بالذنب يريح ضميرك. لكن الدكتور ابلتون ينصح بأن يسأل الزوج نفسه عن السبب الذي يحمله على الاقرار. اهو رغبته في ان يمنعه رفيقه من تكرار غلطته؟ في هذه الحال يجب التنبه الى ان احدا لا يستطيع ان ينهاك عن امر ما لم تنته انت نفسك عنه. ام هو طلب للمغفرة؟ ان المشكلة هنا هي ان تغفر انت لنفسك. ولا تنسَ ان اعترافك سيؤلم رفيقك وقتاً طويلا. ولذا فمن الأفضل للمرء عادة الا يزيد المشكلة تعقيداً من غير داع من خلال الاعتراف بذنبه.

٨. غير صحيح.

يقول الدكتور ليف ان ليس هناك ما

يضمن ان تمتع الزوجين بحياة جنسية جيدة يحول دون فشل الزواج. واضافة الى ذلك، فان العلاقة الجنسية الجيدة لا تستمر بالضرورة طوال مدة الزواج. فالاثارة الجنسيةالتي يشعر بها المرء في بداية الزواج تتضاءل مع الوقت او يحل الضجر محلها .وعلى الزوجين ان يجعلا زواجهما باعثاً على الاثارة.

٩ . عليك ان تسمع فقط.

يقول الدكتور ليكر انه من الأهمية بمكان ان تعرف ما يجدر بك تجنبه في مثل هذا الموقف وما يتعين عليك ان تفعله. فمحاولتك التعمق في المشكلة، ما لم تكن انت خبيراً، ربما سببت اذى يفوق نفعها. اضف الى ذلك انك اذا استأثرت بمعالجة الوضع، فسوف تحرم صديقك فرصة السعي الى انماء قدرته على التحكم في الموقف،علماً بأن الأزمة التي نجتازها كثيراً ما تكون لنا فرصة جيدة للنمو. ان عليكان تتيح لصديقك الفرصة كي يتعلم من الأزمة التصرف.

ان هذا الاختبار لا يخضع لدرجات، الا ان الفائز فيه هو من يتعلم من خلاله كيف يحسن حياته الزوجية.



مشاكل الزواج

الزواج هو تلك المؤسسة العجيبة التي تمكن شخصين من المعاناة المشتركة لصعوبات ما كانا ليواجهاها مطلقا لو لم يتزوجا ".

ك.ف.

ما يهواه الصبية

كان ابني ذو الاعوام التسعة على وشك انهاء اجازة قضاها مع جدته في بيتها، فسألته قبل رحيله:"قل لي ما افضل شيء احببته في زيارتك هذه". ففكر الصبي لحظة ثم اجاب:"حسناً يا جدتي. لو صحبتني الى مباراة لكرة القدم لكان ذلك افضل ما احببته".

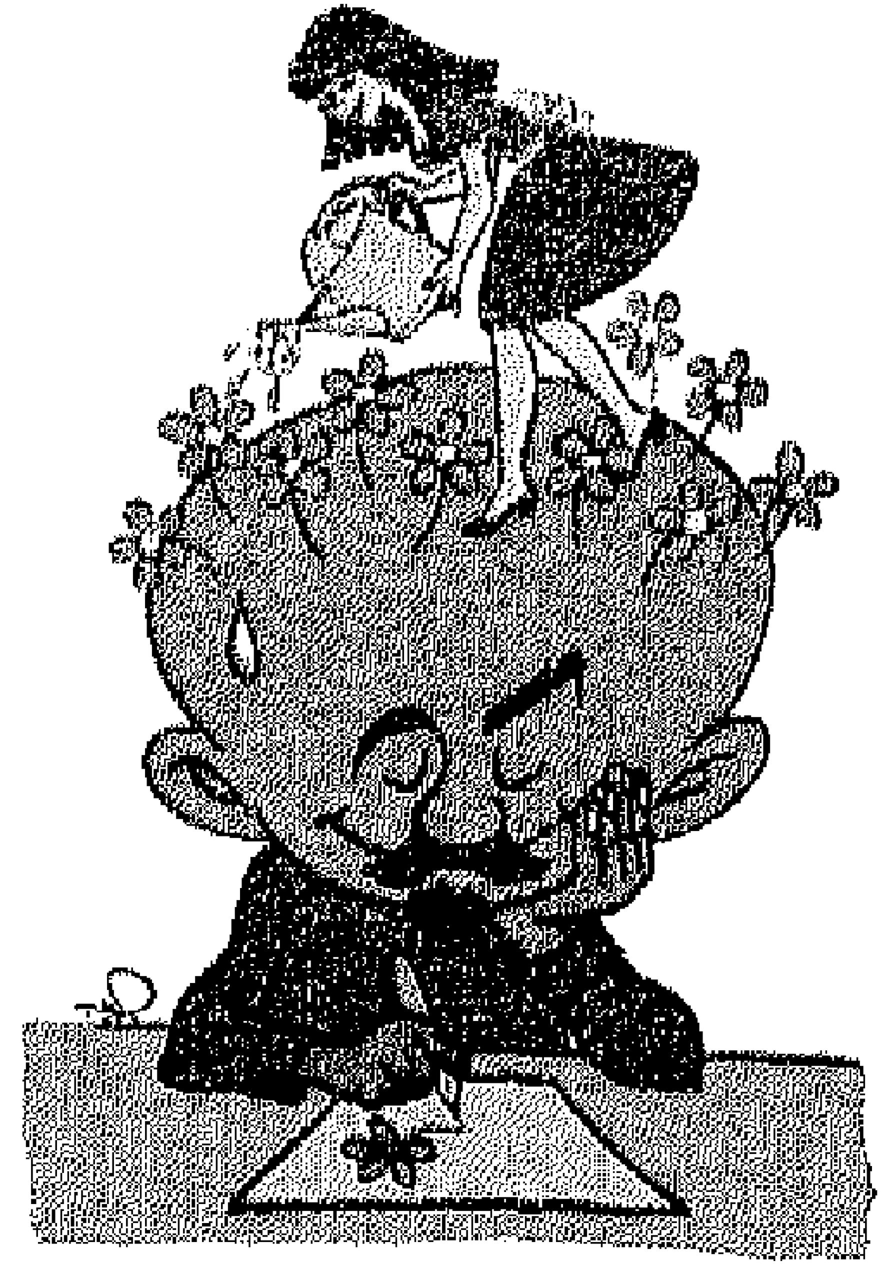
هـ. س.

الاتفاق والتأويل

قال سهل بن هارون:

عدد حروف العربية ثمانية وعشرون حرفاً على عدد منازل القمر، وغاية ما تبلغ الكلمة منها مع زيادتها سبعة احرف على عدد النجوم السبعة. وحروف الزوائد اثنا عشر حرفاً على عدد البروج الاثني عشر. ومن الحروف ما يدغم مع لام التعريف، وهي اربعة عشر حرفاً مثل منازل القمر المستترة تحت الارض، واربعة عشر حرفاً ظاهرة لا تدغم مثل بقية المنازل الظاهرة. وجعل الاعراب ثلاث حركات: الرفع والنصب والخفض، لان الحركات الطبيعية ثلاث: حركة من الوسط كحركة النار، وحركة الى الوسط كحركة الارض، وحركة على الوسط كحركة الفلك. وهذا اتفاق ظريف وتأويل طريف.

ابن النديم (الفهرست)



حديقة أفكار

■ الحسم سكين حادة تحدث قطعاً نظيفاً مستقيماً. والتردد سكين مثلومة تهلهل وتمزق وتخلف وراءها اطرافاً قبيحة رثة.

ج. م. ك.

■ السلطة مثل الخمر: كلما زادت سرعة تعاطيها زاد تأثيرها على العقل.

ل. هـ.

■ انا اعد ذكرياتي كالبخيل الذي يعد هانئاً دراهمه.

كارل ساندبرغ

■ الحظ وحده يمكنه حمل سفينة بلا ربان الى الشاطىء الامين.

وليم شكسبير

■ الثناء هو ان يقول لك شخص آخر ما كنت تعتقد طوال الوقت انه من صفاتك.

ف. ف. و.

■ اننا نتوصل الى رؤية الاشياء الغامضة بعد حين. لكن رؤية الاشياء الواضحة تستغرق وقتاً أطول.

ا. م.

■ صحيح انك تعيش مرة واحدة، ولكن اذا احسنت التصرف فستكفيك هذه المرة.

ف. ا.

■ من لا يقضي بعض الوقت احياناً من غير ان يصنع شيئاً، لا يمكن ان يكون رجلا حراً.

شيشرون

■ النجاح يغطي عورات كثيرة.

برنارد شو

■ الفرق بين الخبر والاشاعة ان الخبر يقال بصوت عال، بينما تقال الاشاعة همساً.

ف. ج.

قنديل البحر

الدكتور لويس توماس، رئيس مركز سلون - كيتيرينغ لعلاج السرطان في نيويورك، عالم يتميز عن سائر العلماء؛ فهو ليس من أبرز الاطباء والبيولوجيين فحسب، وإنما هو أيضاً شاعر معروف وكاتب مقالات من الطراز الاول؛ وفي المختارات التي نوردها هنا من كتابه الرائج "الفوقعة وقنديل البحر"، يتحدث الدكتور توماس عن الخفايا الكامنة في الانسان وفي الطبيعة بالبلاغة نفسها التي حققت له الفوز بالجائزة القومية للكتاب عن مجموعة مقالاته السابقة التي نشرها بعنوان "حيوات الخلية".

ذكاؤنا الخارق

ان الثآليل (المعروفة بالشامات او الشاميات) تركيبات مثيرة للعجب، تبرز بين ليلة وضحاها في اي ناحية من الجلد كما يبرز الفطر على المرج الرطب، فتنمو نمواً رائع التعقيد والتكوين. وأغرب ما في هذه الثآليل انها، على رغم صلابة مظهرها وقابليتها للدوام، فان ازالتها تتم بمجرد الاعتماد على امر يمكن ان نسميه التفكير. وتلك من اعظم الغرائب التي حار فيها العلم، فإن في الامكان أمر الثآليل بالاختفاء من الجلد عن طريق الايحاء المغناطيسي.

ولربما صعب على المرء ان يصدق هذا الواقع، لكن اجيالا متتابعة من الاطباء والاختصاصيين في الامراض الجلدية اقتنعت بهذه الظاهرة. كما ان دراسات اجريت في هذا الصدد على ايدي باحثين طبيين اعتمدوا في دراستهم ضوابط دقيقة. وفي احدى هذه الدراسات اجري تنويم مغناطيسي لأربعة عشر مريضاً يشكون ثآليل بدت عسيرة المعالجة. واوحي الى المرضى، بعد تنويمهم، بأن جميع الثآليل ستختفي من احد جانبي الجسم. وكانت النتائج التي تحققت خلال الاسابيع القليلة التالية ايجابية على نحو لا يقبل الشك، اذ حدث في

Condensed from «The Medusa and the Snail.» (c) 1974-79 by Lewis Thomas, published by Viking Press, New York, N.Y. Original version of «Youngest and Brightest». (c) 1978 by The New York Times Co.

تسع حالات ان اختفى معظم الثآليل من جانب الجسم المعني، بينما احتفظ الجانب الذي لم يشمله الايحاء بجميع ثآليله.

ومنذ ان نشرت نتائج هذه التجربة وأنا احاول اكتشاف طبيعة التعليمات التي اصدرها العقل اللاواعي في هذا الشأن. فالعقل قلما يستسيغ الاعتقاد بأن مجرد امر الثآليل بالاضمحلال يكفي لزوالها، ما لم تتح له بعض التفاصيل عن طريقة حدوث هذه العملية.

ومن المحتمل ان تكون هذه التعليمات بالغة البساطة، تقتصر على اصدار الامر بوقف تدفق الدم في الاوعية الصغيرة الموجودة في الثآليل وحولها، مما يؤدي الى قطع الاوكسيجين عن هذه الثآليل فتموت خلاياها. وانما يصعب علي فهم الطريقة التي يتوصل بها العقل بدقة تامة الى قطع تيار الدم عن ثؤلول معين مع الابقاء على الثآليل الاخرى. وآثرت ان اتقبل الامر كما هو. غير ان المشكلة ازدادت تعقيداً في الآونة الاخيرة، بعدما اكتشف الباحثون ان الثآليل تنشأ عن نوع من الفيروس، وان من المحتمل جداً ان تكون لجهاز المناعة في الجسم مساهمة في عملية نبذ تلك الثآليل.

واذا تمكن عقلي اللاواعي من معرفة طريقة التحكم بالاجهزة اللازمة لمقاومة ذلك الفيروس، واستطاع توجيه مختلف فئات الخلايا الليمفاوية، التي تختص كل منها بوظائف يفوتني فهمها، وفقاً للمراحل التي تقتضيها مهمة رفض النسيج غير المرغوب، فذلك يعني، بلا شك، ان عقلي اللاواعي يتميز في هذه الحال بذكاء خارق يتجاوز ذكائي وبمعلومات تفوق معلوماتي الى حد بعيد.

انها حقاً لمشكلة عجيبة تحتاج الى حل. فلنتأمل ذلك المدى الذي تبلغه معارفنا اذا ما تسنى لنا ان نفهم بوضوح ما يحدث عندما يضمحل احد الثآليل بمجرد امره بالاضمحلال. لو تيسر لنا ادراك ذلك لامكننا ان نعرف طبيعة الخلايا والمواد الكيميائية الموجودة داخل الجسم كي تصد عنه غزو الاجسام الغريبة، ولعرفنا كيف تجري حركة اولئك المدافعين بمثل هذه الدقة وهذا الاحكام. والاكثر من هذا كله اننا سنكتشف آنئذ نوعاً من الذكاء الخارق في طوية كل منا، ومقداراً من البراعة والحذق يتجاوز حدود ادراكنا الحالية بمراحل كبيرة.

الدهشة الكبرى

منذ فترة وجيزة كانت احدث اعاجيب الطب التي احتلت الصفحات الاولى في الصحف هي مولد طفل انكليزي تم حمله داخل انبوب. اما الاعجوبة السابقة التي مازالت، حتى اليوم، تثير حيرتنا فهي ان خلية منوية منعزلة وبييضة واحدة يمكنهما ان تندمجا في اي ظروف وتواصلا النمو حتى تصبحا طفلا بشرياً وزنه ثلاثة كيلوغرامات ونصف كيلوغرام. غير ان هذه العملية تتكرر منذ زمن طويل، فألفناها ولم تعد تدهشنا. ومن هنا كانت صيحات العجب والذهول امام امر هو في الحقيقة انجاز تقني بسيط لا يزيد على مجرد ابدال المكان الذي تبدأ فيه العملية، وهو احدى القناتين اللتين تنتقل

البييضة عبرهما من المبيض الى الرحم، بانبوب خارجي من البلاستيك.

اما الاعجوبة الحقيقية فهي ما يأتي: كل انسان يبدأ بخلية واحدة تنقسم خليتين، فتنقسمان بدورهما اربع خلايا، ثم ثمان وهلم جرا. وفي مرحلة معينة، عندما تبدأ الخلايا التمايز بعضها عن بعض يظهر بينها عنقود من الخلايا ينتهي الى تكوين الدماغ البشري.

ان مجرد وجود هذه الخلايا الخاصة لجدير بأن يكون اعظم بواعث العجب والدهشة على ظهر الارض. فهي تبدأ مثل غيرها، ثم تتحول لتصبح ذلك الجهاز الخطير المشتمل على نحو الف مليار من الخلايا والذي يضطلع بمهمات التفكير والتخيل. فجميع المعلومات اللازمة لتعلم القراءة والكتابة او للقيام بالحركة الرائعة عندما يمد المرء احدى يديه ويتكىء الى شجرة، كامنة في تلكالخلية الاولى، الى جانب كل ما تملكه البشرية من علوم اللغة والنحو والحساب والموسيقى.

ولا يدري احد كيف يتم تحول الخلايا على هذا النحو. ففي البداية الباكرة لحياة الجنين، وهو لايزال مجرد عنقود من الخلايا، تكون هذه المعلومات جميعها كامنة في كل واحدة من خلايا العنقود. وليس لدى اي انسان ادنى فكرة عن طريقة تحول بعض هذه الخلايا فجأة واضطلاعها بميزاتها الدماغية. واذا نجح احد في كشف هذا السر، وكنت لا ازال حياً، فسوف اصرف كل ما املكه على استئجار طائرة، بل اسطول من الطائرات، يخط علامات التعجب الهائلة بالدخان الملون على صفحة السماء، علامة تلو اخرى حتى آخر فلس من اموالي.

حول الموت الطبيعي

من المشاهد التي رأيتها مراراً في طفولتي مشهد موت فأر من فئران الحقول بين فكي قطتي المنزلية اللطيفة. وكان المشهد يؤلمني دائماً، فأوجه كلمات قاسية الى القطة وامطرها بوابل من الاتهامات لعلها تفهم اي نوع من الحيوانات اصبحت. وبدت لي الطبيعة في ذلك الوقت بغيضة منفرة.

غير اني اعدت التفكير اخيراً في امر ذلك الفأر، ورحت اتساءل عما اذا كان موته على ذلك النحو يختلف كثيراً عن موت شجرة صفصاف في حديقتي اصابتها آفة هذا الصيف. ان الفرق الرئيسي بين موت الاثنين - ان وجد - سيكون فرقاً في الشعور بالالم. ولست اعتقد ان لشجرة الصفصاف خلايا عصبية تستقبل الشعور بالالم، اما الفأر المتدلي بذيله الى اسفل بين اسنان قطة رمادية فان امره يبدو لك مختلفاً، لانك تظن ان كل جزء من جسمه الصغير يجتاحه الم لا يحتمل.

لكن هناك الآن بعض الاسباب الوجيهة للاعتقاد بان الامر ليس كذلك على الاطلاق، وان في وسعك ان تروي قصة مختلفة تمام الاختلاف عن مصرع الفأر. ففي لحظة وقوعه بين اسنان القطة التي تخترق جسده، تبدأ خلايا معينة في دماغه اطلاق هرمونات الببتيد التي تسمى "اندورفينات"،

فتلتصق على الفور بسطوح الخلايا الاخرى المسؤولة عن الاحساس بالالم. ولهذه الهرمونات خواص عقارية هي نفسها التي للافيون المخدر، ومن ثم ينعدم الاحساس بالالم.

ولست ادري مدى صحة هذا القول، ولا كيف اثبته اذا كان صحيحاً. ولعلك، اذا استطعت ان تتدخل في الاشتباك بين القط والفأر بسرعة كافية تتيح لك ان تحقن الفأر بمادة "النالوكسون" المضادة للمورفين فتبطل بذلك مفعول الاندروفينات وتعيد الى الفأر احساسه بالالم وتتسنى لك ملاحظة ذلك. اما انا فلست ابالي بأن افعل ذلك ولا بأن اشاهده، وأفضل ان اترك الامر عند هذا الحد، كتخمين لا بأس به عن مصرع الفأر الذي يقضمه القط وربما عن الموت عموماً.

واسوأ حادث شهدته في حياتي كلها وقع في جزيرة اوكيناوا اليابانية فياواخر الحرب العالمية الثانية عند بدء الغزو الامريكي لجزر المحيط الهادىء. فقد اصطدمت سيارة جيب بناقلة جنود ضخمة، فانسحقت سيارةالجيب حتى اصبحت شبه مسطحة. وكان فيداخلها شابان من رجال الشرطة العسكرية حصرتهما قطع الصلب الملتوية واصابتهما بجروح قاضية، ولم يبق ظاهراً من جسديهما غير الرأس والكتفين. وجرى بيني وبين الشابين حديث خاطف بينما كان فريق الانقاذ يعمل على انتشال جسديهما بالادوات اللازمة. وقال الشابان انهما آسفان لهذه الحادثة، كما ذكرا انهما في حال جيدة. واستعلم احدهما عما اذا كان الآخرون جميعهم بخير، وأضاف الثاني انه لم يعد هناك ما يدعو الى العجلة. ثم اسلم الاثنان الروح.

ان الالم مفيد لتفادي الخطر وللهرب قبل فوات الاوان. ولكن عندما تكون اللعبة منتهية ولا سبيل هناك الى التراجع، فالاوفق ان يتوقف الالم وان تتكفل بايقافه تلك الاجهزة الرائعة الدقة والسرعة. ولو قدر لي ان اضع تصميم نظام بيئي تعيش فيه المخلوقات بالتهام بعضها البعض،ويكون فيه الموت جزءاً لا يتجزأ من الحياة، لما استطعت ان افكر في وسيلة افضل من هذه لتدبير الامور.

اصغرها سناً واكثرها نبوغاً

اني اؤمن بالبشرية ايماناً حاراً، ولا اطيق تلك البدعة الرائجة للتقليل من قيمة الانسان واعتباره مجرد جزء مفيد من الطبيعة. فنحن، على عكس ذلك تماماً، مظهر رائع ومذهل لعبقرية الحياة: اننا نتحلى بميزة الكلام وخاصية العاطفة، ونمتلك فوق ذلك كله موهبة الموسيقى. واذا اخذنا في اعتبارنا مقاييس الوجود الزمنية التي تحسب بعشرات الملايين من السنين، لتبين لنا ان الجنس البشري لا يزال في طفولته الباكرة ولم يكد يتخطى مرحلة الميلاد. ومع ذلك فانه، على رغم حداثته، انتج روائع خالدة كموسيقى يوهان سباستيان باخ، وذلك ليس بالامر اليسير.

يضاف الى ذلك اننا نعد، من جميع النواحي، اكثر الكائنات الحية اقبالا على الحياة الاجتماعية وتمسكاً بها،

وأكثرها اعتماداً على بعضها البعض، مما يفوق، الى حد بعيد، ما تتميز به الحشرات الاجتماعية المعروفة كالنمل والنحل. كما أننا نتمتع بخيال اوسع وأكثر ابداعاً في تنظيم الحياة الاجتماعية من خيال اي كائنات اخرى. وقد بلغنا في هذا الامر شأوا بعيداً، ويشهد على ذلك ما انتجته حضاراتنا من ثقافات وآداب. ونحن نضع المقاييس المثلى لسلوكنا الاجتماعي. وعندما نخفق في الالتزام بها ونعرض جنسنا للخطر، كما حدث مراراً في هذا القرن، فان اقسى ما ندين به انفسنا على هذا الاخفاق ينحصر في عبارة واحدة: "لا انساني".

وليس في وضع الانسان ما يعتبر منافياً للعقل، فنحن بشر لنا اهميتنا. ويبدو لي ان التخمين الصادر عن كثيرين ممن تناولوا هذا الموضوع بالتفكير، والقائل بأننا ربما نكون عاكفين على صنع شيء يمكن ان نسميه عقلا للحياة على هذا الكوكب، هو تخمين سليم. واذا صح هذا الافتراض، فلا بد اننا لا نزال في المراحل البدائية الساذجة من هذه العملية الخطيرة، نتعثر في مجالات اللغة والتفكير، لكن لدينا قدرات غير محدودة لبناء المستقبل.

واذا نظرنا الى الامر على هذا النحو، فلا بد لنا من الاعجاب بقدرتنا على قطع هذا الشوط فيهذه الفترة القصيرة التي لا تذكر اطلاقاً اذا قورنت بالمقاييس الزمنية التي يعتمدها الجيولوجيون. فنحن احدث ما انجبتهالحياة على هذه الارض وأصغره سناً وأكثره نبوغاً.

■ لويس توماس



المشي العصري

هل لاحظت كيف يمشي كل شخص في الطريق هذه الايام؟ فهو اما شخص يريد المحافظة على رشاقته، واما مواطن يريد النجاة بحافظة نقوده.

ر.ن.

امانة

كان مارك توين يلقي حديثاً عن الامانة، فروى القصة الآتية:

"ذات مرة وانا صبي صغير كنت اسير في الشارع، فلمحت عربة مليئة بثمار البطيخ. ولما كنت مغرماً بالبطيخ، فقد تسللت الى العربة بهدوء واختلست احدى الثمار، وركضت بها الى زقاق قريب وغرست فيها اسناني. الا اني لم اكد افعل ذلك حتى انتابني شعور غريب. ومن غير ان اتردد لحظة واحدة، اتخذت قراري. فقد سرت عائداً الى العربة واعدت البطيخة... واخذت اخرى ناضجة".

اذا كان الغرب يريد حقاً مساعدة الدول الحديثة الاستقلال، فعليه اولا عدم النفور من كونها "ماركسية" او "متطرفة"

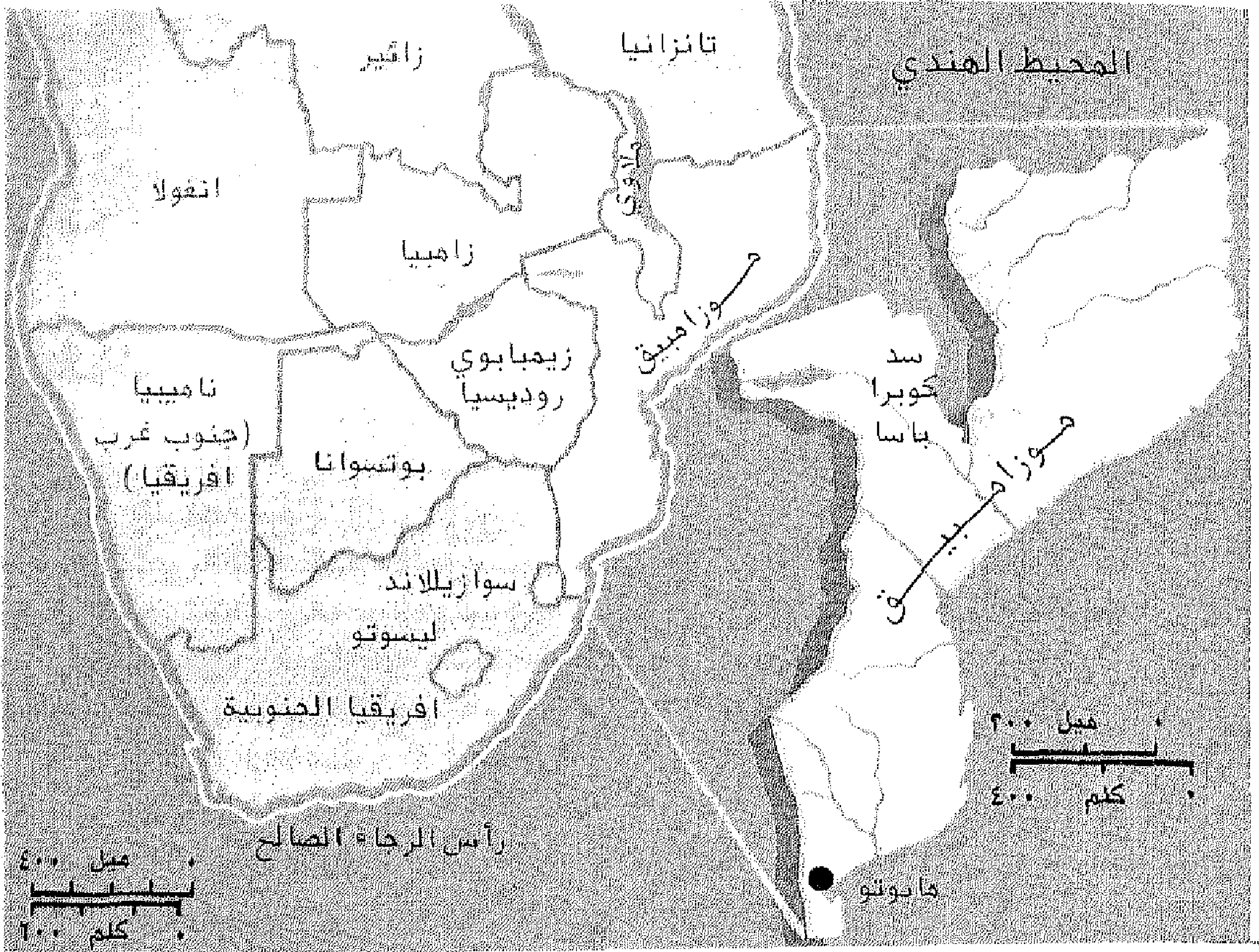
موزامبيق:

تعايش الماركسيّة والقوميّة في الدول الناشئة

ان ميلاد امة ما يكون عادة مناسبة بهيجة. ولكن حين انهت موزامبيق يوم ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٧٥ ليل الحكم البرتغالي الذي دام نحو ٥٠٠ سنة، لم تجد لديها سوى هذا الانجاز الباعث على الذهول والحيرة، والتي كانت فرص استمراره ذاتها مشكوكاً فيها.

وكان سبب تلك الحال واضحاً على نحو موجع. فقد كانت موزامبيق مستعمرة يحكمها البيض لمصلحة البيض. وقد امتلك البرتغاليون جميع المزارع، وتحكموا بكل المشروعات الاقتصادية، وشغلوا كل الوظائف ذات الاجر، حتى تلك الخاصة بسائقي سيارات الاجرة ومنظفات الغرف في الفنادق. في حين كان الافريقيون يعيشون في الاحياء البائسة، ويمنعون حتى من السير في احياء البيض المعزولة من غير تصريح خاص، ويحرمون كل الوظائف عدا اشدها ضعة، كما كانوا يصرفون من غير رحمة اذا حملوا مريضاً الى مستشفى البيض.

لكن رياح التغيير كانت تعصف بافريقيا. وبدأت الامبراطورية البرتغالية تتصدع وتنهار. ولاحت في الافق نذر الثأر الاسود المهددة، مما دفع البرتغاليين ببساطة الى ترك موزامبيق التي غادروها بين ليلة وضحاها، مخلفين بلداً يستبد به الفقر، ولا أثر فيه عملياً للاطباء او المدرسين او الفنيين، ولا حتى للسيارات. وحين انتهت تلك الموجة



من الرحيل الجماعي، بقي في موزامبيق ٢٠ ألف برتغالي فقط. وكان التدمير شاملا كل نواحي الحياة في البلاد، حتى غدا البلد وكأنه ضرب بقنبلة نووية اقتصادية.

وقد ورثت هذه الدولة التي تقع في شرق افريقيا، من عهد الاستعمار البرتغالي ديناً يبلغ ٦٤٠ مليون دولار، ونسبة من الامية تصل الى ٩٠ في المئة، ومتوسط عمر يقدر باربعين سنة للمواليد الجدد. وليس في موزامبيق، التي يبلغ عدد سكانها عشرة ملايين نسمة، سوى ستة من حملة الشهادات الجامعية، واقل من الف طالب مسجل في المدارس الثانوية. وهذا البلد الذي يقوده اليوم الرئيس سامورا ماشيل ذو النزعة المثالية، يواجه مشاكل هائلة وهو يخطو خطواته الاولى المترددة على طريق الاستقلال.

ووفق معايير الغرب، يعتبر ماشيل متطرفاً. فهو يتبنى العقيدة الماركسية ـ اللينينية، ويربط توجهات امته بسياسة "حلفائها الطبيعيين" الذين ساندوا موزامبيق على مدى عشر سنين في حربها التحريرية. ومن بين هؤلاء الحلفاء كوبا والاتحاد السوفياتي. وهناك اليوم في موزامبيق جهاز للشرطة السرية دربته المانيا الديموقراطية (الشرقية)، ومعسكرات "اصلاحية" تغص بالوف المواطنين الذين لم يتمكنوا من فهم الثورة. وهناك ايضاً مستشارون كوبيون

واساحة سوفييتيــة ونظـام سياسـي قائم على حزب واحد على الطراز السوفييتي.

نظرة واقعية ـ ربما كان من السهل وصف موزامبيق بانها دمية شيوعية اخرى. الا انها تستحق نظرة اكثر واقعية. فهي من اهم بلدان افريقيا من الناحيتين السياسية والجغرافية، اذ يبلغ طول ساحلها ٢٦٠٠ كيلومتر، مما يكسبه اهمية قصوى بالنسبة الى طرق نقل النفط حول رأس الرجاء الصالـح والـى التحـكـم بالمـحـيـط الهنـدي. وساهمـت موزامبـيـق، باعتبارها احـدى "دول المواجـهـة" الخمـس ضـد الحكـم الابيـض فـي روديسيـا، بنـحـو عشـرة آلاف مـن ممتهني حرب العصابات ضد النظام الروديسي. وتتاخم موزامبيق ايضاً جنوب افريقيا، مما يجعلها موقعاً مناسباً للنفاذ السوفياتي الى جنوب افريقيا.

ولكن في افريقيا السوداء، كثيراً ما يكون اللجوء الى الماركسية ـ اللينينية مرتبطاً بنقص في رأس المـال اكثـر مـن ارتباطـه بالعـداء المتعمـد للرأسمـالـيـة او للـغـرب، وبالرغبـة فـي الحفـاظ علـى عـدم الانحياز اكثر من ارتباطه بالرغبة في اقامة علاقات وثيقة مع المعسكر الشرقي.

ومن المؤكد ان موزامبيق لا تدور في الفلك السوفييتي ولا تعتزم ان تصبح كذلك. والواقع ان ماشيل احاط موسكو علماً بأنها لا تستطيع الحصول على تسهيلات عسكرية في موزامبيق. وتحاول هذه الدولة الناشئة اتباع مسار مستقـل، وتسعى الى اقامة علاقات جيدة مع المعسكر الغربي ومع مؤسسات الاستثمار الخارجية.

ولـم يقـدم حلـيـف موزامبـيـق السوفييتي سوى القليل لمساعدتها على مواجهة الدمار الاقتصادي الذي حاق بها من جراء الرحيل الجماعي للبيض ونتيجة الفيضانين الخطرين اللذين اصاباها، اضافة الى موجة الجفاف ومئات الغارات الروديسية على الثوار الذين ينطلقون ضدها من موزامبيق، والمشقة التي تكابدها في رعاية ٥٠ ألف لاجيء روديسي لديها.

وفي مواجهة هذه المشاكل الهائلة، اظهرت حكومة ماشيل مقداراً غير متوقع من المرونة والواقعية والصبر، وحققـت تقدمـاً ملفتـاً فـي بعـض المجالات، خصوصاً في مجالي التعليم والصحـة، علـى رغـم الصعـوبـات الضخمة.

بيد ان مشاكل موزامبيـق لا تزال هائلة. فكل يوم تصطف النساء في المدن، منذ ما قبل الفجر، في طوابير طويلة للحصول على القليل من الخبز والسكر واللحم وملح الطعام. اما بضائع الترف التي تحتوي عليها المتاجـر فهـي تلـك التـي خلفـهـا البرتغاليون. وكثيراً ما يضطر الزوار في مطار مابوتو الى التماس مكان في سيارة خاصة لكي يصلوا الى فنادقهم، اذ ليسـت هنـاك عمليـاً سيارات اجرة، كما ان السيارات الخاصة قليلة.

وقد هبط الانتاج الزراعي منذ الاستقلال بنسبة ٧٠في المئة.ولا تبذل المصانع سوى ٥٠ في المئة من طاقتها. وسلم ماشيل بتلك الحقائق في قوله: "لا شك اننا ضعفاء من حيث

القدرة وسيئون من حيث الادارة الرأسمالية. لكن ما نستطيع تنظيمه حقاً هو عملية بناء النظام الشعبي. اننا امة افريقية تبني نظاماً اشتراكياً، ودولة غير منحازة تواجه مشكلات حقيقية".

شخصية الرئيس ـ ان ماشيل رجل ناحل، ذو شخصية جذابة وعينين بنيتين واسعتين تلوح فيهما نظرة حزينة، وله لحية مشذبة. وكثيراً ما يرتدي حلة ميدان عسكرية مكوية بعناية وقد شمرت اكمامها باناقة، ويبدو حذاؤه البني لامعاً براقاً. وهو ولد لأبوين من الفلاحين وغادر موزامبيق الى تانزانيا عام ١٩٦٢ ليشارك في حرب تحرير بلاده ويخطط لها، واخيراً ليقودها.

وكان ماشيل واحداً من ٢٥٠ مقاتلا هاجموا مخفراً للشرطة البرتغالية عام ١٩٦٤ خلال العملية الاولى التي نفذتها جماعة "الفريليمو" (جبهة تحرير موزامبيق) التي تحكم البلاد اليوم والتي كانت حينذاك حركة تخوض حرب عصابات. ولايزال ماشيل، البالغ من العمر ٤٧ عاماً، يتصرف اليوم، من وجوه كثيرة، كقائد لحركة كفاح مسلح اكثر منه كرئيس دولة. فهو دائم السفر في طول البلاد وعرضها لكي يتفقد المصانع والمزارع والمستشفيات والسجون، ولكي يسجل الملاحظات وهو يصغي الى شعبه.

وعلى رغم ان موزامبيق قدمت في نضالها ضد البرتغال نحو ٣٥ ألف شهيد، الا ان ماشيل، ذا اللون الاسود كأغلبية بني قومه، يرئس اليوم احدى الحكومات الافريقية القليلة التي يشارك فيها افراد يتحدرون من اجناس متعددة. ففي الوزارة التي يرئسها ثلاثة مواطنين بيض يحملون جنسية موزامبيق، وتضم دائرة معاونيه القريبين افراداً من البيض والهنود اضافة الى السود. واذا كانت موزامبيق اليوم احدى اكثر دول القارة الافريقية التي تمتزج فيها الاجناس بتآلف ووفاق، فذلك لان ماشيل فسح دائماً مجال العمل للبيض الراغبين في التعاون بدلا من الاستغلال. والشائع انه لم يحدث، طوال سنوات حرب التحرير، ان مات شخص واحد ممن سجنتهم جماعة الفريليمو من جراء سوء المعاملة. وقد صرح ماشيل عام ١٩٧٥ بالآتي: "يجب ان نحصل على تأييد كل الشعوب من كل الاجناس في كل القارات من اجل خير الوطن وبنائه".

ولايزال ماشيل اليوم يرحب بالاوروبيين الذين يرغبون في مساعدة موزامبيق على انعاش اقتصادها، ويشجعهم على القدوم اليها عن طريق السماح لهم بتحويل نصف مداخيلهم الى احد المصارف الخارجية باي عملة صعبة يختارونها.

وقد استجاب لهذا النداء قرابة عشرة آلاف برتغالي، واكتسب خمسة آلاف آخرون جنسية البلاد.

بيروقراطية ـ ان هؤلاء، وان كانوا يأتون المعجزات، الا ان عملية النهوض بالاقتصاد تواجه عوائق مذهلة. فنتائج التأميم الذي شمل الملكية العقارية ومعظم المشروعات التي خلفها البرتغاليون كانت متفاوتة. ذلك لان موزامبيق، مثلها مثل معظم البلدان الاشتراكية، تنوء تحت وطأة القوانين والقيود. فلكي

يغير مواطن موزامبيقي مسكنه، عليه ان يحصل على بضعة عشر تصريحاً. واذا اراد صاحب مصنع توظيف خراط، فانه يحتاج الى ترخيصات من خمسة مستويات في لجان العمل. ونتيجة لذلك، يظل الاقتصاد، في افضل احواله، راكداً، ويعوقه ان ماشيل يصرف ٣٩ في المئة من موازنته لتحويل جيشه البدائي المكون من ٣٠ ألف رجل الى قوة ضاربة تستطيع رد اعتداءات روديسيا المجاورة.

الا ان الحياة في موزامبيق اليوم افضل على الاغلب، بالنسبة الى المواطن العادي، مما كانت وقت الاحتلال البرتغالي. فاليوم يبلغ متوسط اجر العامل في الصناعة ١٠٠ دولار شهرياً، اي اربعة اضعاف اجره في الماضي. وتعتبر المساكن في موزامبيق من ارخص مساكن افريقيا السوداء وافضلها حالا. وقد زاد عدد طلاب المدارس ثلاثة اضعاف، وبنيت المستشفيات في مقاطعات البلاد العشر، كما تم تلقيح جميع السكان ضد الكوليرا والجدري، وانتقل ١٥ في المئة من السكان الى قرى جماعية.

وترجع قدرة ماشيل على تحمل كلفة القيام بالتجارب الاجتماعية، في جانبها الاكبر، الى انه لم يواجه حتى الآن معارضة ذات وزن. فما زالت الفريليمو حزباً طليعياً محكم البنيان، صارماً لا يقبل المساومة. والذين لا يشاطرون ماشيل نظرته جزاؤهم العقاب السريع الحاسم. وقد قال ماشيل بصراحة قبل وقت غير بعيد: "اننا لا نستطيع انقاذ ثورة عن طريق توزيع الحلوى". كما ان هناك مراكز "اصلاحية" اعدت على نمط مثيلتها في فيتنام.

واذا كان ماشيل قاسياً مع المعارضة، الا انه يتحلى بنزعة عملية قصوى في ما يخص العلاقات الاقتصادية. ويكفي ان ننعم النظر في العلاقات الوثيقة الملفتة التي تربط موزامبيق الماركسية وجنوب افريقيا، جارتها التي تمارس التمييز العنصري. وليس في افريقيا كلها بلدان آخران كهذين، يمثل كل منهما قطباً ايديولوجياً وسياسياً مضاداً للآخر وفي الوقت نفسه يعتمد احدهما اقتصادياً على الآخر الى هذا الحد. فمن جنوب افريقيا يحصل ماشيل على ٦٠ في المئة من عملات موزامبيق الاجنبية و٤٥ في المئة من انتاجها القومي القائم، في حين تحصل جنوب افريقيا سنوياً على طاقة كهربائية تعادل قيمتها ٣٥ مليون دولار من مولدات الكهرباء في سد كابورا باسا في موزامبيق.

ويعتبر اعتماد كل من الدولتين على الاخرى من قبيل تقديم الخط الواقعي على الخطوط الايديولوجية المثالية في السياسة. وقد شجعت موسكو هذه الخطة، ونصحت ماشيل بألا يقطع صلاته بجنوب افريقيا لانها، اي موسكو، لا تريد ان تتحمل عنه ما يترتب على ذلك.

أهلا بالمساعدة — ولعل صلة موزامبيق بجنوب افريقيا هي افصح دليل على استعداد موزامبيق لالتماس معونة اي طرف يستطيع المساهمة في تنمية البلاد. كما ان علاقات موزامبيق الاقتصادية مع العالم غير الشيوعي هي اكثر اهمية من علاقاتها مع

المعسكر الشيوعي. فعلى سبيل المثال، تشتري الولايات المتحدة وجنوب افريقيا واوروبا الغربية اكثر من ٧٠ في المئة من صادرات موزامبيق، في حين يشتري الاتحاد السوفييتي ٤ في المئة فقط.

ولا سبيل الى انكار حقيقة كون موزامبيق تريد، بل تحتاج، كسب جانب الغرب. لكن الحكومات في واشنطن وبعض العواصم الاوروبية لا تشجعها صورة موزامبيق المتطرفة. ولا يقوم، في نظر كثير من الغربيين، سبب يدعوهم الى التعاون مع حكومة مؤلفة من ثوريين متعصبين تستخدم لغة الماركسية وتحكم من خلال بيروقراطية الحزب الواحد. وينبغي، في نظرهم، ترك موزامبيق وحدها حتى يطلب ماشيل معونة الغرب او حتى يخفق ويغرق معه اقتصاد البلاد. الا ان هذه السياسة تدفع ماشيل قدماً في اتجاه المعسكر الاشتراكي. فهو يحتاج فعلا الى المعونة، واذا لم يجدها في الغرب فانه لا شك متوجه الى المعسكر الاشتراكي.

ويعتقد بعض المراقبين الغربيين ان في الامكان اقامة علاقات اقتصادية جيدة مع موزامبيق، وان المعونة الغربية يمكن ان تكون بديلا من المعونة الشرقية. كما يلاحظون ان المساعدة العسكرية من الكتلة السوفييتية، التي قد توفر نوعاً من الأمن الموقت، لا تقدم سوى القليل من اجل زيادة قدرة موزامبيق في الاعتماد على نفسها اقتصادياً، الامر الذي لا يستقيم بدونه استقلال حقيقي. وقد بدأ عدد متزايد من الدول الافريقية التي كانت تتبع سياسات متطرفة في السابق يتحقق من ان الغرب وحده هو الذي يمكن ان يوفر الخبرة التقنية ورأس المال الذي تحتاج اليه من اجل التنمية.

ولكن لكي تتبنى الحكومات الغربية النهج الاخير، عليها اولا التغلب على نفورها من كل ما يحمل لافتة ماركسية، والتسليم بان الحماسة المتطرفة التي تتميز بها البلدان الافريقية الحديثة الاستقلال لا تزيد، معظم الاحيان، على كونها تعبيراً قوياً عن النزعات القومية والواقعية. انها معضلة ستظل تواجه الغرب في عدد آخر من بلدان العالم الثالث، مثل انغولا. ولذلك، فان قرار الغرب في موزامبيق لن يحدد مستقبل هذه الامة فقط، بل سيحدد كذلك مصير عدد كبير من دول جنوب القارة السوداء.

■ ديفيد لامب



مكتب التوظيف الزوجي

الزوج: لقد وجدت وظيفة ممتازة ــ راتب جيد، تأمين مجاني ضد الحوادث، تأمين صحي مجاني، اجازات مدفوعة الاجر، وفترات استراحة لتناول القهوة.

الزوجة: هذا رائع يا حبيبي.

الزوج: كنت اعرف ان هذا يسعدك. وستبدئين العمل صباح الاثنين.

م. هـ. و.

٨ طرق لجعل حياتك أكثر سعادة

الحلول لكثير من مشاكلنا الشخصية المحيرة غالباً ما يمكن العثور عليها باللجوء الى نوع من العمليات الحسابية الخلاقة

كنت واحدى صديقاتي القدامى نتناول أخيراً وجبة الغداء، فأخذنا نتحدث عن الحياة. أقرت لي صديقتي بأنها تشعر بالوحدة منذ وفاة زوجها. واضافت: "ومع ذلك لا اشكو ضيراً. فقد نعمت بزواج سعيد واصبح الاولاد مسؤولين عن أنفسهم. صحيح ان عملي ليس مثيراً، لكنه مضمون. وسوف اتقاعد في غضون خمسة عشر عاماً. فماذا يبقى هناك؟".

ماذا يبقى هناك؟

ان امرأة في الخمسين من عمرها، قديرة ومجربة وجذابة مثل صديقتي، تفترض ان حياتها انتهت. لقد صادفت ذلك في عدد من الاشخاص الذين يقلون عن صديقتي تلك سناً، وقرأت في ملامحهم الاعتقاد بأن التغيير في نمط حياتهم أمر مستحيل. لكن المشكلة هي ان معظمنا لا يدرك انه في الامكان تحسين نوعية حياتنا في اي مرحلة.

علينا ان نبدأ التغيير بأنفسنا، وذلك بان نضطلع بعمل جديد او ننتقل الى منطقة سكنية اخرى. عندئذ

نشعر بأننا ندفع انفسنا بعنفوان واثارة في مسيرة الحياة. وهذه العملية أشبه بتشذيب شجرة معمرة، تكون نتيجته نمواً جديداً وزيادة في الثمار.

اعرف ارملة باعت بيتها واشترت بيتاً متنقلا على عجلات (كارافان) لتذرع به البلاد طولا وعرضاً بغية عرض اشغالها الفضية في معارض المصنوعات اليدوية. وبذلك استطاعت ان تنشىء كثيراً من الصداقات اينما حلت. وهي تمضي فصول الشتاء في الجنوب وفصول الصيف في الشمال، ويبدو عليها انها صغرت عشر سنين. وهي تقول: "هناك الكثير مما لم أره بعد، ولكن لم يفتني الوقت لمشاهدة المزيد من المعالم".

غالباً ما لا يكون الوقت قد فاتك لتفعل ما كنت دائماً تشتهي فعله. المهم هو التحرك الى الامام لاحداث التغييرات المرغوب فيها في نمط حياتك. والسبيل الذي سلكه الكثيرون من معارفي لتحقيق مقدار اعظم من السعادة يمكن ان نعتبره نوعاً من العمليات الحسابية الخلاقة، بما فيها من جمع وطرح وضرب وقسمة. والاحتمالات واردة بأن تخدمك مثل هذه العمليات

١. اضف الى حياتك تجربتك لشيء جديد.

هل تتذكر يومك الاول في المدرسة؟ ان ترددك على المدرسة لا بد من أن يكون اجبرك على الاختلاط والانطلاق والاكتشاف. في الشتاء الماضي قررت ان آخذ دورة تعليمية في اعمال السمكرة. وكمعظم البنات اللواتي في عمري، فقد نشأت على عدم معرفة التعامل بالادوات الميكانيكية. ولكن سرعان ما اكتشفت اني اصبحت مأخوذة بالملزمات ومفاتيح المعدات التي صرت اعرف كيف استعملها.

عندما افكر في صديقاتي الاحظ ان أسعدهن واكثرهن حيوية هن اولئك اللواتي يسعين دائماً الى تنمية مواهبهن وزيادة اهتمامهن وحبهن للمعرفة. الشيء نفسه ينطبق على اصدقائي من الجنس الاخر.

لدي صديق التحق بالكلية سنة احالته على التقاعد. لدي أيضاً صديق شاب يعمل في حقل التدريس، امضى عطلة صيفية كاملة في رحلة للبحث عن اقاربه في مقاطعة نوفاسكوتيا الكندية. وقد عقد العزم على ان يقوم في السنة المقبلة بزيارة اقربائه الايرلنديين الذين اكتشفهم نتيجة لتلك الرحلة الصيفية.

٢. انك تستطيع اضافة جديد الى حياتك، وذلك بتحويل الحدود التي تراها محيطة بك الى تحديات تجدر الاستجابة لها بدلا من الخنوع.

المهم ان تكافح ضد العقبات التي تعترضك وأن تحولها لمصلحتك. عندما ادى احد حوادث العمل الى تقييد الشاب مارتن الى كرسي متنقل كالذي يستعمله المقعدون، طغى عليه شعور باليأس وبأنه لم تعد له اي فائدة. وسألت يوماً اذا كنت استطيع اعطاء رقم هاتفه الى معلمة ابنتي، كي ينوب عنها في الاتصال بي اذا واجهت ظرفاً اضطرارياً تعذر معه اتصالها المباشر. وسرعان ما صار مارتن يؤدي خدمات مماثلة لغيري من الامهات العاملات. وذاع الخبر فاصبح

هذا الشاب اليوم يدير مكتباً لمثل هذه الخدمات. والدخل الذي يحصل عليه من هذا العمل يساعده على مواجهة مصروفاته الاضافية التي لا يغطيها معاش العجز الذي يحصل عليه. ويعلق مارتن بالآتي: "الاهم من ذلك اني افعل شيئاً ما، وان هذا الشيء يمس حياة الآخرين".

٣. احذف من حياتك الممتلكات التي تشعر بانها صارت عبئاً عليك، ودع جانباً النشاطات التي لم تعد تتمتع بها.

عندما كنت صغيرة كنت معجبة بالاواني الزجاجية التي حصلت عليها والدتي يوم عرسها. وكانت تلك الاواني محفوظة في خزانة على سبيل العرض، ولم تكن تمس الا عند تنظيفها. وقالت لي والدتي: "ستصبح هذه الاواني يوماً ما ملكاً لك". وخلال السنوات الاولى من زواجي، عندما كنت اتوق الى تكريم الضيوف الذين ادعوهم الى بيتي، بقيت تلك الاواني الجميلة مصفوفة في مكانها في الخزانة. وعندما آلت الي اخيراً في السنة الماضية ادركت اني، في هذه المرحلة من حياتي، لم اعد في حاجة الى المقتنيات التي تتطلب عناية خاصة. وهكذا اعطيت تلك الاواني الى بناتي اللواتي سررن بها. اما انا فقد شعرت بارتياح لتخلصي منها!

عندما رويت هذه القصة لأحد جيراني، قال لي: "لقد اعطيتني الآن فكرة". وفي اليوم التالي تناول معوله وأخذ ينقب تراب حديقته الامامية الغناء. لم اصدق عيني، وسألته مستغربة: "أتفعل ذلك بعد كل الجهد الذي بذلته في هذه الحديقة؟" فأجاب: "تلك هي عين المسألة. كفاني تسميد الحديقة كل ربيع، وكفاني سقيها وتشذيبها كل صيف واعادة غرس البذور فيها كل خريف. ان هذه الحديقة تكلفني مئات الساعات سنوياً. ومن يحتاج اليها؟" اما اليوم فلم يعد ينبت في حديقته الامامية سوى نبات الآس الاخضر الذي تتفتح ازهاره في الربيع ولا يحتاج الا الى قليل من العناية، مما يتيح له الوقت الكافي لفعل الاشياء التي يتمتع بها حقاً.

٤. وسع نطاق اتصالك بالآخرين.

لقد شعرت بأن قيمة حياتي ازدادت عندما بدأت احاول التعرف على اناس يختلف اسلوب حياتهم عن اسلوبي، بل تختلف نظرتهم الى الحياة عن نظرتي. ومن الامثلة على ذلك الصداقات التي انشأتها مع بعض اولاد اصدقائي، ففتحت امامي باب التعرف على الموسيقى والشعر وبعض الافكار الاخرى التي، لولا هؤلاء، لما اتيح لي فهمها وتذوقها.

اعرف امرأة "تتبنى" أجداداً وجدات عن طريق العمل الطوعي. لكن ذلك يتم لها احياناً عبر الاتصال المباشر. وقد أخبرتني الآتي: "التقيت هاري في السوبر ماركت، وكان يحاول جاهداً قراءة الاسعار. فعرضت عليه المساعدة، وما لبثت ان اخذته بسيارتي الى بيته. فدعاني الى تناول الشاي وصرنا الآن نتسوق معاً. ووجدت ان اولادي يحبون الاستماع الى قصص هاري. اما هاري فيظن اننا نؤدي له الكثير من الخدمات، من غير أن يدري انه يعطي عائلتنا شيئاً لا يقدر بثمن، الا وهو الاحساس بالماضي.

٥٠ عزز اتصالاتك بمحيطك موثقاً اياها٠

قال لي أحدهم:"لقد كانت زوجتي الطرف الاجتماعي في زواجنا٠ وبعد وفاتها شعرت بالوحدة الشديدة، الى ان خطر لي ان مشكلتي ليست في وجود الناس حولي ـ وانا ألتقي كثيراً منهم يومياً ـ بل في اني لا أتحدث معهم"٠ ومرة تحدث الى مدير احد المخازن عن صيد السمك النهري، فوجد أنه يشاركه الهواية نفسها ومنذ ذلك الحين والرجلان يذهبان الى صيد السمك النهري كلما سنحت لهما الفرصة٠

٦٠ قسم مسؤولياتك وحدات صغيرة يسهل تدبرها، وأوكل بعض هذه الوحدات الى الآخرين٠

ان التمتع بالعيش الرغيد ناتج جزئياً عن اتخاذ القرارات الحكيمة٠ اذا كنت تريد المزيد من الوقت أو المزيد من الحرية او المساعدة، فعليك ان تسلم بان بعض الامور لن يسير كما تشتهي نفسك٠ ومثال ذلك انه في امكانك توزيع الواجبات المنزلية على جميع افراد العائلة، حتى وإن كان ذلك يعني الحصول على مستوى ادنى من الطهو والتنظيف٠

لدي صديقة عادت الى عملها في سن الكهولة، فتوزعت خدمات المنزل مع زوجها بحيث كان كل منهما يتولى المسؤولية الكاملة للتسوق واعداد وجبات الطعام والغسل طوال شهر كامل٠ وعندما سألتها عن سير الامور اجابت ضاحكة:"ان طهوه يراوح بين "عديم المذاق" و"رديء"٠ لكني، مع ذلك، لا ابالي، لأن الشهر الذي يتولى فيه زوجي مهمات البيت يمنحني شعوراً بحرية لا توصف"٠

٧٠ حاول تفكيك المشاكل التي تبدو صعبة الى وحدات صغيرة تمكن معالجة كل منها على حدة٠

اذكر صديقة تركت الكلية، على رغم اعتراض والديها، لتتزوج بموسيقي٠ وبعد سنتين وولدين اختفى زوجها من حياتها تاركاً لها جبلا من الفواتير غير المدفوعة٠ قالت لي:"كنت اتمدد على فراشي في الصباح واحس بأني غير قادرة على مواجهة يومي"٠ وبدأت تكتسب القوة عندما اخذت تضع برنامجاً بالاولويات لمعالجتها بمعزل عن بقية المشاكل المتراكمة٠ واقتنعت بأن افضل امل لها يكمن في اتمام دراستها٠ وانطلقت تعمل على هذا الاساس٠ وهي تقول: "بدأت ببيع السيارة لاستفيد من ثمنها٠ وسعيت الى الحصول على قرض تعليمي٠ ثم تقدمت بطلب للالتحاق بالجامعة٠ وبعد ذلك بحثت عن شقة سكنية في ضاحية آمنة وفتشت عن مركز جيد لرعاية الاطفال خلال النهار٠ وكتبت الى والدي واتصلت بالدائنين لاسدد الديون شيئاً فشيئاً"٠ تلك هي السياسة التي اتبعتها صديقتي٠ وعندما اتصلت بوالديها اللذين قطعا كل صلة بها اثر زواجها، ابديا اعجابهما بالخطة التي اتبعتها للوقوف على قدميها من جديد٠

٨٠ ارتفع بالجهد الذي تبذله الى مستوى القوة٠

كنت استغرب لماذا يكرر المعلنون على شاشة التلفزيون الاعلان نفسه مرات عدة٠ ولكن ثبت لي ان للتكرار قوة خاصة٠ وفي مجال العلاقات بين الناس، يؤدي تكثيف الجهود الى مكاسب مهمة، كما حدث مع صديق

لي يعيش بعيداً عن بيت الشيخوخة الذي تنزل فيه والدته. ومع انه كان يرسل اليها بانتظام رسائل طويلة، فهي كانت دائمة الشكوى كلما حدثها على الهاتف. وكانت تبدأ الحديث معه بقولها: "كنت اشك في ما اذا كان لدي ولد". فيرد عليها بأنه كتب إليها مطولا، بينما تصر هي على انها لم تستلم منه كلمة واحدة منذ اسابيع. وهكذا توقف عن كتابة الرسائل اليها بين الحين والآخر، مستنتجاً أن والدته لم تعرها الاهتمام الكافي. وبدلا من ذلك أصبح يرسل إليها تحيات يومية ومقتضبة في مذكرة قصيرة او بطاقة بريدية او صورة يكتب على ظهرها عبارة "اني افكر فيك". ولا يفوته يوم واحد من دون ان يرسل اليها شيئاً من هذا القبيل. وهذا أحدث تغييراً مدهشاً في موقف والدته.

السعادة شأن فردي. وكذلك الطريق اليها. واذا كنت تنشد مستوى افضل من الحياة، فلن تلجأ بالطبع الى جميع الطرق التي سبق ذكرها. أما اذا كانت مشكلتك تتمثل في الانطواء او الملل او الوحدة، فلا بد من ان تفيد من اللجوء الى وسائل الاضافة او المضاعفة المشار إليها. واما اذا كانت ايامك حافلة بالمشاكل، فربما احتجت الى الطرح او القسمة. واهم ما في الأمر هو انك، اذا لم تكن راضياً، الآن، فعليك ان تتحرك فوراً.

■ فريديل مينارد



الحرية النسبية

من اكبر القضايا لدى انصار تحرير المرأة هذه الايام ان النساء يردن الخروج من المطبخ. ولو كانت امي حية لما وافقت على ذلك ابداً. فقد كان في اسرتنا ١٢ طفلا، وكانت فكرة امي عن التحرر هي ان تدخل المطبخ وان تخرج من غرفة النوم.

الممثل الهزلي جورج بيرنز

الشاري المثالي

ذهب رجل لرؤية منزل معروض للبيع بقصد شرائه. فاستقبله صاحب المنزل، وهو رجل مهذب لبق، واخذ يريه انحاء المنزل. وعندما دخلا احدى الغرف، رأيا على الاريكة رجلا وامرأة. فقال صاحب المنزل: "اوه. تلك زوجتي وذلك صديقي العزيز". فغمغم الراغب في الشراء بتحية خاطفة وغادر الغرفة. لكن المالك لم يبد عليه اي اضطراب.

وبعد انتهاء جولتهما، دعا المالك الراغب في الشراء الى المطبخ لتناول قدح من القهوة. وبينما هو يملأ القدحين، لم يتمالك الزائر نفسه من السؤال: "وماذا عن زوجتك وصديقك؟"

فرد المالك: "فليأخذهما الشيطان. اذا كانا يريدان بعض القهوة فليصنعاه هما".

ف. ش.

الاختيار النووي شر لا بد منه؟

هل تتكشف الطاقة النووية
عن ذلك المارد المشؤوم الخارج من القمقم؟

لم يجد العالم الصناعي بديلا من النفط، حتى الآن، غير الطاقة النووية التي يواجه اعتمادها صعوبات جمة ومعارضة شعبية قوية.

وكانت ١٩٧٩ سنة سيئة بالنسبة الى هذه الطاقة سواء أفي الولايات المتحدة او فيأوروبا. وفي ألمانيا الغربية جمدت مشاريع نووية جديدة بموجب أحكام قضائية، كما عمدت الحكومة الاسوجية الى الاجراءات نفسها. وفي النمسا فرض حظر تام على النشاطات النووية بعد استفتاء شعبي أجري في العام ١٩٧٨.

واثار الولايات المتحدة ذلك الحادث المشؤوم فيالمركز النووي في "ثري مايل آيلاند" وانقلب الرأي العام ضد مشاريع الطاقة النووية فيالوقت الذي يواجه العالم أزمة طاقة تزداد سوءاً يوماً بعد يوم.

ورغبة في تقدير الدلائل على ما يمكن حدوثه في العام ١٩٨٠ اجرى دون كوك، من الـ"ريدرز دايجست" مقابلة مع الدكتور سيغفرد ايكلند، وهو عالم أسوجي من كبار الخبراء في الطاقة النووية. ويشغل ايكلند منصب المدير العام للوكالة الدولية للطاقة الذرية، ومقرها مدينة فيينا عاصمة النمسا، وهي منظمة تابعة للأمم المتحدة تهدف الى تعزيز الاستخدام السلمي للطاقة النووية وتكشف على نشاطات المنشآت النووية كاجراء لمنع استخدام الوقود النووي لاغراض عسكرية.

س. دكتور ايكلند، هل يشهد العالم حالياً نزعة الى مناهضة الطاقة النووية؟

ج. أشك في ذلك. وعلينا هنا أن نسأل أنفسنا عن طبيعة الاختيارات التي أمامنا. فأسعار النفط ستبقى في تزايد مستمر بينما تتضاءل الكميات المتوافرة منه، كما أن استثمار حقول جديدة من الفحم الحجري يتطلب تكاليف هائلة ووقتاً طويلا، حتى وان تم ذلك فان عواقب خطيرة ستواجه البيئة الى جانب كلفة النقل الباهظة من مراكز الاحتياط الرئيسية فيأوستراليا وسواها.

وهكذا فلا بد منالعودة الى الطاقة النووية. ومن الممكن طبعاً لجماعات ترغبفي حياة أكثر بساطةأن تنجح

فيتجميد البرامج النووية. غير أن لدي قناعة بأنالناس ما ان يواجهوا نقصاً حقيقياً في البنزين وزيت الوقود والطاقة الكهربائية حتى يصبحوا أكثر تقبلا للطاقة النووية.

س. ولكن أليس هناك ما يبرر القلق حول سلامة المفاعلات النووية بعد حادث "ثري مايل آيلاند"؟

ج. لا شك في أن هناك قلقاً جدياً. لكن الحقيقة تبقى أنه خلال أكثر من ٣٠ عاماً من العمل في الحقل النووي لم يسجل حادث وفاة أو تضرر خطير بسبب التعرض للاشعاع، كما لم يحدث أي تسرب للاشعاعات من المنشآت النووية. إن ما حدث في "ثري مايل آيلند" هو أسوأ ما واجهنا، لكن الجهاز استمر في العمل ونجحنا في السيطرة التامة على الاشعاع.

س. نعم، لقد استمر الجهاز فعلا فيالعمل. ولكن هل استطاع العمال الاستمرار؟ إن اللجنة التي شكلها الرئيس كارتر للتحقيق في الحادث حملت السلطات مسؤولية التقصير في التقدير الفوري لطبيعة الانفجار ومدى أضراره، كما اتهمت الشركة المسؤولة عن تشغيل المفاعل النووي بانه لم يكن لديها خبراء وفنيون كافون. ألا يعني ذلك أن التكنولوجيا النووية هي من التعقيد والخطورة بحيث لا يمكن للانسان أن يوجهها كما يريد؟

ج. كلا، ليس ذلك صحيحاً. وأحد استنتاجات لجنة التحقيق هو أنتطوير الطاقةالنووية ليس خطراً الى حد يتوجب معه ايقافه. إن احتمال الخطأ البشري وارد دائماً، الآن ما صادفته التكنولوجيات الحديثة المعقدة، كالمركبات الفضائية والطائرات التي تفوق سرعتها سرعة الصوت، يظهر بوضوح أن في الامكان دائماً تصحيح الاخطاء ومواجهة الطوارىء والمفاجآت. ولا شك فيأن المفاعلات النووية تتطلب طواقم من الخبراء الكاملي التدريب، لكن بعض الدول تجاوزت ذلك الى استخدام أجهزة سلامة أوتوماتيكية تعمل في معزل عن التحكم البشري خلال المرحلة الحاسمة من أي طارىء. والى ذلك يواصل الخبراء في انحاء العالم تعزيز خطط السلامة كلما اقتضت الحاجة. وتشكل الوكالة الدولية للطاقة النووية "فرقةاطفاء نووية" خاصة تضم خبراء مستنفرين لتقديم الارشادات والتعليمات الفورية اللازمة في حال حدوث أي طارىء، فيالبلدان غير المتطورة صناعياً.

س. ولكن ألا تظن أن خوف الناس من الطاقة النووية سيكون منالصعب تبديده؟

ج. هذا صحيح. الا أن أعداداً متزايدةمنالناس باتوا يعرفون الاسس التي تقوم عليها المفاعلات النووية ويلمون بالتدابير الوقائية التي تتطلبها. وهم بدأوا يعتادون، وان ببطء، المقارنة بين المجازفات التي تنطوي عليها الابتكارات التكنولوجية المختلفة. فهم يقارنون مثلا حوادث التفاعلات النووية بكوارث الطيران وأخطار العمل في مناجم الفحم ومآسي الحرائق.
إن الرعب الذي يتملك الناس ازاء الطاقة النووية سيتحول، مع الوقت، الى مجرد قلق عادي.

س٠ لنفترض أن مخاوف الناس تقلصت الى حدود القلق العادي الذي ذكرته، فما هو إذاً مستقبل الطاقة النووية في المدى القريب؟ وكم سيكون عدد المنشآت النووية في العالم في بداية ١٩٨٠، وفي نهاية هذا القرن؟

ج٠ في بداية ١٩٨٠ سيبلغ عدد المنشآت النووية نحو ٣٠٠ موزعة على ٢٥ دولة٠ سوف تستمد الولايات المتحدة وأوروبا بين ١٠ و١٢ في المئة من طاقتها من مصادر نووية، بينما لن تحصل الدول النامية مجتمعة الا على ١،٥ في المئة٠ أما في نهاية القرن العشرين فتبين تقديراتنا أن المحطات النووية سوف توفر بين ١٤ و١٨ في المئة من حاجة العالم الى الطاقة الكهربائية، وذلك يعادل استهلاك ١،٧ مليار طن من النفط، اي اكثر من نصف الانتاج العالمي سنوياً٠ وقد تصل نسبة الكهرباء المستمدة من الطاقة النووية الى ٣٥ في المئة لدى البلدان الصناعية٠

س٠ في ضوء هذه المعطيات، ما هي الدولة الغربية التي تحقق اكبر مقدار من الفعالية في برنامجها النووي؟

ج٠ انها فرنسا ولا شك٠ لقد اعتمد الفرنسيون خطة منظمة ترمي الى الاتكال على النفط مع البقاء في الطليعة من حيث التكنولوجيا النووية٠ وجدير بالذكر أن الفرنسيين أعلنوا، عقب حادث "ثري مايل آيلاند"، أنهم سيواصلون تنفيذ خطتهم النووية حتى يصبح في امكانهم، عام ١٩٨٥، استمداد ٥٥ في المئة من حاجتهم الكهربائية من الطاقة النووية٠ وتتبع بلدان اوروبية أخرى، وخصوصاً بريطانيا والمانيا الغربية، خطة عقلانية في الحقل النووي٠ وتستمد بلجيكا وأسوج وسويسرا، حالياً، نحو ٢٥ في المئة من حاجتها الكهربائية من مصادر نووية٠ وقد قصرت ايطاليا زمنياً عن تنفيذ خطتها بينما لاتزال اسبانيا منطلقة في برنامجها بعزم وثبات٠

س٠ وماذا عن أوروبا الشرقية؟

ج٠ من الصعب تحديد الموقف الشعبي من البرامج النووية في تلك المنطقة، الا أن الاتجاه الرسمي يميل بقوة الى الاعتماد على الطاقة النووية٠ فالطاقة النووية التي يملكها الاتحاد السوفياتي وبلدان اوروبا الشرقية مجتمعة تقدر بنحو ١٠،٢٣٠ ميغاواط، أي خمس ما تملكه الولايات المتحدة، ومن شأن المحطات الجديدة التي تنشأ حالياً مضاعفة هذه الطاقة٠ وسوف يشهد العام ١٩٨٠ توافر ٦٠ محطة نووية في الاتحاد السوفييتي و٤٠ محطة أخرى في اوروبا الشرقية٠

س٠ ماذا سيكون دور الطاقة النووية في البلدان النامية؟

ج٠ لن تشكل الطاقة النووية، للأسف، العلاج الناجح لجميع المشاكل كما يظن البعض٠ فهي تتطلب، أولا، رأس مال هائلا٠ ثم ان بعض الدول النامية لا تملك، حتى الآن، التجهيزات التكنولوجية اللازمة لصيانة المفاعلات النووية، من جهة، ولتوفير عوامل السلامة الضرورية٠ فحادث "ثري مايل ايلاند" أرهق الولايات المتحدة نفسها٠ إن الاثر الحقيقي للطاقة النووية على البلدان

النامية سيكون، في رأيي، توافر النفط لديها في الوقت الذي يسير العالم الصناعي حثيثاً نحو اعتماد الطاقة النووية. فكلما تحقق انتاج ألف ميغاواط من الطاقة النووية في بلد صناعي تم تحرير أكثر من مليون طن من النفط يمكن استغلالها في مكان آخر.

س. نحن نتكلم عن التكاليف الهائلة بالنسبة الى البلدان النامية، ولكن ماذا عن البلدان الصناعية؟ إن انتاج الطاقة النووية يوجب اتخاذ تدابير وقائية وابتكار أساليب فعالة للتخلص من النفايات النووية الخطرة، وربما حدث تأخر في تنفيذ الخطط. أليس من شأن ذلك أن يجعل من الطاقة النووية اختياراً باهظ الثمن؟

ج. إن التكاليف تختلف من بلد الى آخر، بل من منطقة الى اخرى. وكلفة بناء محطة نووية تزيد على كلفة بناء محطة عادية تستهلك الطاقة الفحمية بما يراوح بين ٤٠ و٥٠ في المئة. ولكن اذا قارنا القيمة الانتاجية لوجدنا أن الطاقة التي تنتجها كمية معينة من الوقود النووي تفوق بنحو ٥٠ ألف مرة ما تنتجه الكمية نفسها من الفحم. إن حمولة شاحنة من الاورانيوم تزود مفاعلا ذا قوة ١٠٠٠ ميغاواط بالطاقة مدة سنة، بينما يستهلك مصنع ذو قوة مماثلة حمولة ١٠٠ شاحنة من الفحم كل يومين. وهكذا، فعلى رغم ثمن الاورانيوم المرتفع إلا أن المحطة النووية تنتج طاقة بكلفة تقل عن نصف كلفة الفحم الضروري. وفي الوقت الذي تلقى كلفة الوقود النووي اهتماماً ضئيلا في الولايات المتحدة، حيث تتوافر مصادر أخرى لانتاج الطاقة، فانها تستقطب اهتماماً بالغاً في أوروبا التى تستورد الوقود على جميع أنواعه.

س. وماذا عن النفايات النووية؟ هل تتوافر، حالياً، طريقة مأمونة للتخلص منها؟

ج. تتوافر حالياً وسائل مضمونة، وقد سبق ان نجحنا في تدبر امر النفايات الحربية والمدنية عبر عشرات السنين. وأكثر تلك الوسائل فعالية هي مزج الفضلات النووية بالزجاج المصهور لتوضع، فور تجمدها، داخل براميل فولاذية تخزن في كهوف عميقة لا تهددها الزلازل ولا هي تصدع الصخور. وفي الامكان تغليف الفضلات الخفيفة والمتوسطة الخطورة بالاسمنت أو القار أو الراتينغ (مادة صمغية) أو الخزف، ودفنها في كهوف بحرية قليلة العمق أو طمرها تحت الارض.

س. ومع ذلك يؤكد العلماء المخلصون والمواطنون الواعون أن تلك الاجراءات غير مضمونة النتائج، وأن الفضلات النووية قد تبقى طوال سنوات مصدر خطر عام.

ج. ذلك قول خاطىء. لقد أثبتت الدراسات في بلدان شرقية وغربية على السواء أن النفايات المطمورة تحت الارض، حيث لا خطر عليها من التحرك، لن تكون مصدر اشعاعات يتعرض لها الناس حتى على المدى البعيد. ولنكن صادقين مع أنفسنا، إن المشاكل الحقيقية التي تولدها المفاعلات النووية ليست فنية بل

سياسية، فهناك جماعات ذات مصالح خاصة تستغل مخاوف الناس لتحقيق أغراضها. فقد مضت عشر سنين، مثلا، على استخدام منجم الملح في آس (المانيا الغربية) لطمر ما يزيد على مئة ألف برميل من النفايات النووية، الا ان المعارضة الشعبية منعت السلطات من مواصلة استغلاله. وهذا الموقف غير منطقي، فبينما يساورنا القلق في شأن النفايات النووية تطوف غواصات نووية المحيطات وتنتشر الزوارق "الصديقة" ذات الرؤوس النووية حولنا.

س. إن ذلك يصل بنا الى نقطة حاسمة: ألا يؤدي اتساع نطاق الاعتماد على الطاقة النووية الى انتشار الاسلحة النووية؟

ج. من الممكن، طبعاً، انتاج قنابل ذرية بواسطة الوقود النووي المعد للمفاعلات التجارية. ومن هنا ولدت فكرة معاهدة الحد من انتشار الاسلحة النووية التي وقعتها حتى الآن ١١٠ دول تعهدت بالامتناع عن حيازة قنابل نووية.

إن ٩٨ في المئة من المنشآت النووية في العالم، في ما عدا الدول التي تملك حالياً أسلحة نووية، تخضع لرقابة تضمن عدم استخدام أي مقدار من الوقود النووي المخصص لمحطات انتاج الطاقة او للمفاعلات التجريبية في التسلح النووي.

س. وماذا عن البلدان التي رفضت توقيع المعاهدة؟

ج. هنا تكمن المشكلة. فالهند، مثلا، لم توقعها. كما منعت الوكالة الدولية للطاقة الذرية من معاينة المنشآت النووية حيث يعالج البلوتونيوم الذي استعمل في التفجير النووي عام ١٩٧٤. وليس في وسع الوكالة، كذلك، التحقق مما يحدث في باكستان والبلدان العشرة الاخرى التي هي خارج نطاق المعاهدة والتي تملك منشآت نووية. إن هناك احتمالا قوياً لوجود نشاطات سرية في التسلح النووي، وهدفنا هو الوصول الى الاشراف على هذه المنشآت.

س. ولكن هل نظام الرقابة هذا فعال على نحو كاف؟

ج. إن ملاحقة كل كيلوغرام من الاورانيوم أو كل غرام من البلوتونيوم ليست طريقة عملية ولا حتى ضرورية. وما نعتمده هو ضبط محلي ودولي تدعمه رقابة دائمة بواسطة آلات التصوير واشرطة التلفزيون وتسجيلات الادمغة الالكترونية وغيرها. ويجري مفتشو اللجنة في فيينا، وهم ينتمون الى جنسيات مختلفة، تحقيقات ميدانية سريعة. وخلال نحو عشرين عاماً لم نقع على أي عملية تهدف الى تحويل مواد نووية الى أغراض لم تعد لها اصلا.

س. ما مدى احتمال لجوء جماعة ارهابية الى انتاج قنبلة نووية من مواد مسروقة؟

ج. إن هذا احتمال ضعيف. ففي المنشآت الكبيرة يصل وزن الوقود الضروري الى نصف طن، كما يصعب تفكيكه. ثم ان معالجة وقود المفاعلات التجارية بهدف الحصول على بلوتونيوم صالح للاستعمال في التسلح أمر شاق ويتطلب وقتاً طويلا. ومن المنطقي في هذه الحال أن يعمد الارهابيون الى سرقة قنبلة جاهزة.

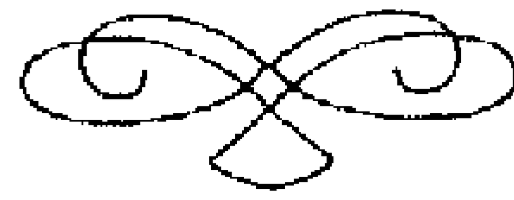
س٠ وماذا عن المشاكل البيئية التي تطرحها النشاطات النووية، كارتفاع حرارة مياه الانهار مثلا ؟

ج٠المسألة، هنا أيضاً، وهم أكثر من كونها حقيقة٠ فجميع المصانع، سواء أهي اعتمدت الفحم أوالنفط أوالغاز أو الوقود النووي، تنتج حرارة لا فائدة منها٠ وتخضع المنشآت النووية لأنظمة صارمة٠ وقد بين تقرير أمريكي، أخيراً، أن بين كل ٥٧٣٨ سمكة نفقت لأسباب مختلفة هناك ٣٠ سمكة فقط قتلتها المياة الساخنة، وسمكة واحدة كانت ضحية محطة نووية٠ إن السبب الرئيسي لنفق الاسماك هو تلوث المياه بأقذار المجارير٠

س٠ هل هناك في المدى القريباختيار آخر غير الطاقة النووية يحل محل النفط المتضائل ؟

ج٠ كلا، ليس هناك اختيار آخر في رأيي٠ ان العالم الصناعي يعتمد على النفط والغاز الطبيعي لانتاج ٦٦ في المئة من الطاقة التي يحتاج اليها، وكلا الوقودين في طريقهما الى النضوب٠ ثم ان تصويراً واسع النطاق للثروة الفحميةيتطلب نفقات هائلة الى جانب المشاكل البيئية التي يطرحها٠

ان الطاقتين الشمسية والجيو ـ حرارية والطاقات الاخرى المستمدة من الرياح لن تساهم إلا بمقدار ثانوي خلال السنين العشر أو السنوات العشرين المقبلة٠ ولذلك فان الطاقة النووية تتجاوز كونها اختياراً لتصبح ضرورة ملحة في المجتمع الصناعي المطرد النمو٠



العمل والسعادة

لا شيء يولد السعادة كالاستعاضة عن القلق بالعمل٠

موريس ميترلنك

مات مدفوناً

اعتاد رجل ان يخترق المدافن ليلا لدى عودته الى بيته٠ وذات ليلة لم ينتبه الى قبر جديد محفور في طريقه فسقط فيه٠ وناضل كثيراً ليخرج، ولكن عبثاً، لان عمق القبر كان يزيد على المترين٠ فعجز عن الخروج٠ فاستسلم في النهاية وقبع في ركن من القبر ليقضي ليلته٠

وبعد ساعة، كان احد المزارعين عائداً من محاولة لصيد القطط البرية٠ فاخترق المدافن هو الآخر، ولم يلبث ان سقط في القبر نفسه٠ وحاول المزارع مستميتاً ان يخرج من القبر من غير ان ينتبه لوجود شخص آخر فيه٠ وظل الرجل الاول بضع دقائق ينصت الى محاولات المزارع٠ ثم مد يده نحوه في الظلام الحالك ووضعها على كتفه وهو يقول: "لن تستطيع الخروج من هنا "٠

لكن المزارع كان قد اصبح في عداد الموتى قبل ان يكمل الرجل جملته٠

ك٠ ب٠

عندما تصبح
على قاب قوسين
او أدنى من الموت،
فلا بد
من أن تتعلق بالحياة



... وفي اليوم الرابع خرج من تحت الأنقاض

مأساة واقعية

كان فندق كونور بطوابقه الثمانية احد المعالم البارزة في قلب مدينة جوبلين في ولاية ميسوري الامريكية. وظل كذلك طوال ٧٠ عاماً. وها هو فريق العمال يستعد الآن لهدمه تمهيداً لانشاء مكتبة عامة مكانه، ولم يبق عليه سوى نقل بعض المعدات وفتح بعض الثغرات في عدد من الجسور الفولاذية لحشوها بأصابع الديناميت ونسف البناء.

وبعيد الساعةالتاسعة من صباح السبت في ١١ نوفمبر (تشرين

الثاني) ١٩٧٨ اطفأ آل سمرز (٣١ سنة) مشعل اللحام الذي كان يحمله، بعد ان فرغ من فتح ثغرة في عارضة حديد في القسم الشمالي الشرقي من قبو الفندق، وهم بالانتقال الى عارضة اخرى. وفجأة سمع قعقعة فوقه كادت ان تصم اذنيه. فحول نظره الى اعلى ليرى سقف القبو يتأرجح ثم ينهار كسد متفجر. وسرعان ما تراكمت حوله اكوام الاسمنت والفولاذ والاجر والجص، محدثة أصواتاً رهيبة.

وفي اقل من لمح البصر انتهى كل شيء. ثم ساد سكون كأنه سكون الموت، وخيم على القبو ظلام دامس. وظن سمرز ان الطابق الارضي قد انهار ولن تلبث بقية الطوابق ان تتبعه في اي لحظة، وقال في نفسه: "علي ان اخرج من هنا".

وما ان استطاع سمرز تحرير نفسه من الانقاض التي سمرته في مكانه لفترة قصيرة حتى وجد انه محتجز في فراغ هرمي الشكل، يقل ارتفاعه عن متر واحد، تكون باستقرار لوحين من الاسمنت على جسر ملتو من الفولاذ.

وشعر سمرز بألم في الجانب الايسر من قفصه الصدري، وراح يتحسس الاسمنت محاولا ان يجد بقعة طرية يستطيع ان يحفر عبرها طريقه الى الخارج. ثم صاح: "اغيثوني! اما من احد يسمعني؟" لكن احداً لم يسمع. واخذ سمرز يحدق الى الظلام، وخيل اليه انه ينظر الى وجه الموت.

وفوق سطح الارض لم يبق من فندق كونور سوى كومة من الركام على ارتفاع طابقين. ان ما خشيه سمرز حدث فعلا، اذ انهار المبنى بكامله كبيت من ورق. وارتفعت سحابة ضخمة من الغبار، وترددت اصداء الانهيار الشديد على مسافات بعيدة.

وعندما وصلت قوات الشرطة ووحدات الانقاذ الى مكان الحادث علمت ان عدداً من العمال كانوا داخل الفندق، وظلت طوال ساعة كاملة تمشط موقع الانهيار. وأرسلت من الورشات المجاورة معدات رفع الاثقال على اختلافها وجرارات شق الطرق (البولدوزر) وسيارات الشحن.

أنتم الذين فوق! – استيقظ آل سمرز من غفوة قصيرة تحت جبل الحطام. وهدأت دوامة الغبار فاستطاع ان يتنفس ملء رئتيه. لكنه عندما حاول ان يعدل وضعه اجتاحه تيار جارف من الذعر: "يا الهي! لا استطيع تحريك ساقي اليمنى، بل اكاد لا اشعر بوجودها". وشعر بألم رهيب في جنبه الايسر وكأنه يتلظى بالنار. ان شعوره بهذا الالم اضاف الى ذعره احاساً بالعجز. ثم سمع سمرز ضجيج الجرارات فوقه، فاستبشر خيراً وقال: "حسناً. لقد اتوا"، وراح يصرخ: "اغيثوني، انتم الذين فوق!" لكنه لم يتلق أي جواب.

وراح سمرز يتحسس المكان بيديه في الظلمة. فعثر على انبوب معدني أخذ يضرب به جسر الصلب لعله يستلفت الانتباه، ولكن من غير طائل.

وفي هذه الاثناء كانت بات، زوجة سمرز، في منزلها في ضواحي جوبلين. فدخل عليها احد الجيران وفاجأها بقوله: "الم يبلغك خبر فندق كونور؟ لقد انهار".

وهلع قلب بات. فهي تعلم ان زوجها يعمل هناك. وسارعت الى مكان الحادث، فأرهبها الحطام

المتراكم. ولم يكن شيء قد اتضح بعد عن هوية العمال المفقودين. لكن احتمال وجود آل تحت تلك الانقاض الرهيبة جعل ركبتيهما ترتجفان.

وتسمر آل سمرز في زنزانته عندما لاحظ أن ضجيج الآلات الثقيلة قد خف. وتساءل:"ترى هل توقفوا عن الاستكشاف ويئسوا من العثور على الاحياء؟ هل سيتركونني وحدي لاموت هنا؟ ربما ظنوا اني مت فعلاً، وربما لا يدرون اني هنا على الاطلاق". وشعر آل بانقباض شديد في معدته بمجرد ان خطرت في باله تلك الهواجس.

والواقع ان فريق الانقاذ احضر معدات متنقلة لسبر الزلازل تستطيع التقاط الذبذبات المنبعثة من تحت سطح الارض. ولذلك طلب الى المشرفين على جميع المعدات الثقيلة ايقاف المحركات كي يتسنى لفنيي المعدات الزلزالية البالغة الحساسيةالتقاط اي اشارات قد تساعدهم على تحديد مكان العمال المدفونين. لكنهم لم يعثروا على شيء. عندئذ عمد الفنيون الى تركيب مجسات دقيقة على ما ظهر من اطراف العارضات الحديد، واخذوا يضربون عليها املا في تلقي اي اشارة صوتية قد تصدر عن العمال في الجهة الاخرى. كما انزلوا مكبرات صوت في الفراغات التي عثروا عليها وسط الحطام. ومع ذلك لم ينجحوا في الحصول على اي اجابة.

واطمأن آل عندما سمع دوي المعدات فوقه مرة اخرى، وأخذ يعلل نفسه قائلا:"انهم يعملون ببطء لتفادي انهيار بقية المبنى. وربما استغرقت عملية الانقاذ وقتاً طويلا. ولكن ماذا يمنع احد هذه الجرارات الضخمة من المرور فوق جسمي؟ انهم لا يدرون بوجودي هنا ويستطيعون سحقي من دون ان يعلموا".

وفي التاسعة مساء ايقن عمال الانقاذ ان آل سمرز قضى تحت الانقاض. وانتقلت بات سمرز عبر الشارع الى محطة الاوتوبيس حيث كان ابنها تومي، البالغ من العمر ١١ عاماً، ينتظرها مع بعض الانسباء.

حمامة السلام — في ساعة مبكرة من صباح يوم الاحد جمع هارولد سنايدر، رئيس فريق الانقاذ، عماله وقال لهم:"لاحظت وجود انبوب غاز رئيسي تحت الارض، وقد كانت آلاتنا تمر عبره طوال الوقت. فلو اصيب هذا الانبوب بعطب وتسرب منه الغاز، لتسبب ذلك في نسف المدينة بأسرها. لنعمل اذاً على ازالة حطام الطوابق الخمسة لاني متأكد من ان الرجال الذين نبحث عنهم محتجزون بين القبو والطابق الارضي. وعندما نصل الى هناك ينبغي علينا الاهتمام بازالة الحطام ببطء وروية".

وبدأ رفع الانقاض من دون انقطاع، واتضح اخيراً ان عدد العمال المفقودين في الفندق ثلاثة: آل سمرز وتوماس اوكس وفريدريك كو. وفي اليوم التالي، بينما كان سنايدر ينظر الى الانقاض، جاء احد رؤساء عماله وقال:"من المستحيل ان يكون احد على قيد الحياة هناك".

وفي تلك اللحظة انطلقت حمامة من احدى زوايا الحطام ثم تبعتها اخرى. وفكر سنايدر انه ربما كان مجثم هاتين الحمامتين في مكان ما من الطوابق العليا قبل انهيار الفندق، فازداد امله وقال في نفسه:"اذا

استطاع الحمام ان يبقى حياً في مثل هذا الوضع، فلماذا لا يستطيع الانسان ذلك؟".

بعد ظهر ذلك اليوم اخذ العمال يفتحون جيوب التهوئة في الحطام، التي تكفي لابقاء رجل على قيد الحياة، فازدادت بذلك آمال سنايدر.

اما آل سمرز فلم يعد يميز بين ليله ونهاره. وتخدرت ساقه اليمنى تخدراً كاملا، بينما اتقد الجانب الايسر من قفصه الصدري بحرارة لا تحتمل. وشغله الالم الشديد عن جوعه، لكنه لم ينسه عطشه. وشعر بأن لسانه وفمه يتورمان وان شفتيه تشققتا من الظمأ.

وأخذ الضعف يستولي على سمرز، فلم يعد يميز لحظات نومه من لحظات يقظته. وكان يفيق من احلامه ظاناً انه متمدد على فراشه فيالبيت. وخيل اليه في حلم آخر ان جراراً يكاد يدهسه. وفي كابوس رهيب شعر بأن قوة الانهيار دفعته الى جزء آخر من المبنى، واخذ يهذي:"ماذا دهاني؟اهكذا يشعر من اصابهم مس جنون؟ ربما كنت احتضر من غير ان اعلم ذلك".

وفي صباح يوم الاثنين تمت ازالة معظم انقاض الطوابق الخمسة العليا، وراح العمال يتابعون العمل بحذر شديد. وبعد ظهر ذلك اليوم تقدم احد مهندسي البناء، الذي كان يساعد في عملية الانقاذ، من سنايدر وقال له:"اذا لم نعثر سريعاً على احد فقد يفوت الوقت". فرد عليه سنايدر:"اعلم ذلك، وكل واحد منا يدركه".

وفي هذه الاثناء كان سمرز يتساءل:"هل ستكون هذه الحفرة قبري؟" واخذت فكرةالموت تراوده فيقاومها بكل قواه ويشجع نفسه قائلا:"انك خرجت من فيتنام حياً،فتستطيع ايضاً ان تخرج من هذا المكان". وفكر آل في زوجته وابنه وخيل اليه انه يسمعهما، بل يراهما، وهما ينتظرانه فيمكان ما عند موقع البناء. ولكن انى لهما ان يعرفا ما اذا كان حياً او ميتاً. وفجأة اجهش آل بالبكاء وهو يتمتم:"يا الهي! لا اريد ان اموت فيهذا المكان. انقذني ودعني انضم الى عائلتي مرة اخرى". واخذ يغالب النعاس ظاناً انه لن يستيقظ اذا اغمض جفنيه مرة اخرى.

عذوبة صوت ـ قضى العمال بضع ساعات من صباح الثلثاء يفتحون الجيوب الواحد تلو الآخر. وكانوا يطلقون صيحاتهم عبرها، ولكن من غير جدوى. وعند ظهر ذلك اليوم رفع العمال صحيفة كبيرة من الاسمنت كشفت لهم عن فراغ آخر. فتقدم منه هارولد سنايدر بنفسه وصاح:"هاي!" فجاءه الجواب:"هاي!".

وأمر سنايدر فنييالمعدات بالتوقف فوراً عن العمل ، ثم نادى مرة اخرى بصوت مرتفع:"هل من احد هناك؟"

وجاءه الجواب ثانية:"نعم".

ـ ما أسمك؟

ـ آل سمرز.

ـ هل انت بخير؟

ـ نعم اني بخير.

وتقدم مايك ماكي، احد اصدقاء سمرز، من سنايدر وقال له:"سأساعدك علىالوصول اليه".

وتجنباً لاي انهيار آخر زحف ماكي وسنايدر بحذر نحو الثغرة فوق سمرز، وبدآ يحفران بأيديهما. فأزالا نحو

نصف متر من حطام الجص والغبار والاجر والخشب المتراكم فوق الاسمنت الذي احتجز سمرز· ومد سنايدر يده عبر ثقب صغير، فاستجمع سمرز قواه لتلامس اصابعه اصابع سنايدر· وكانت الساعة آنذاك الثانية والنصف بعد الظهر· وقد مضى على الحادث اكثر من ثلاثة ايام·

وتحدث ماكي عبر الثقب قائلا: "مرحباً يا آل! هذا مايك يحدثك"·

- لم يبد صوتك بهذه العذوبة من قبل·
- كم من الوقت تعتقد انك امضيت هنا؟
- نحو يوم ونصف يوم·
- هل تصدق انك قضيت ثلاثة ايام ونصف يوم؟
- يا له من يوم سبت طويل·

وبعد لحظات اسرع احد عمال الانقاذ الى محطة الاوتوبيس يزف البشرى صائحاً: "لقد عثروا على آل سمرز تحت الانقاض، وهو حي يرزق"· فتعالت الهتافات في المحطة، وانطلقت العبرات الحبيسة من مقلتي زوجته وهمست: "الحمد لله!" بينما قفز ابنه فرحاً وهو يردد: "كنت اعلم ذلك· كنت اعلم انه لم يمت"·

لكن عملية الانقاذ استمرت ببطء شديد، واخيراً، في السابعة والنصف مساء، اي بعد ٨٢ ساعة ونصف ساعة من انهيار فندق كونور، تم سحب سمرز من زنزانته· وتعالت هتافات آلاف المشاهدين بينما انهمرت دموع بات على وجنتيها وهي تتابع العملية من احدى سيارات الشرطة·

وما ان وصل سمرز الى مستشفى القديس يوحنا حتى اعلن الاطباء انه في حال صحية جيدة، وقد اصيب بكسور في ثلاثة من اضلاعه وكسر بسيط في حوضه ويعاني نقصاً شديداً في الماء·

وبعد يومين امكن العثور على جثتي اوكس وزميله كو اللذين قضيا نحبهما فور وقوع الحادث·

لم يكن هذا النبأ مفاجئاً، الا انه ترك سمرز في حزن شديد· ولم تمض اربعة ايام على دخوله المستشفى حتى سمح له بالعودة الى عائلته واصدقائه·

ويقول سمرز اليوم ان ذكريات تلك الساعات زادت توثيق العلاقات التي تشده الى عائلته· ويضيف: "عندما تصبح على قاب قوسين او ادنى من الموت فلا بد من ان تتعلق بالحياة وتتمسك بالذين تحبهم"·

■ لاري وود



نهاية القرن

لقد اصبحت نهاية القرن العشرين على بعد عشرين عاماً منا· والراجح ان معظم الناس الذين بلغوا منتصف العمر اليوم سيكونون احياء ليشهدوها· وهو امر له اهميته· فكما قال لي احد جيراني: "حسناً· ان بقائي حياً حتى ذلك الحين امر مهم، لان ذلك هو الموعد الذي اسدد فيه آخر قسط مستحق من ثمن بيتي"·

ا· ك·

عـروس الجُزُر

إن انجازات هذا المعماري العصامي تعلم شعوب الأرض كيف تجمع بين التقدم والجمال الطبيعي

قال لي أحد السكان المحليين: "إن جزيرة لانساروتي هي نتاج عمل فنانَين عظيمَين هما الله وسيزار مانريكي".

إن كل زائر يمتع عينيه بعجائب هذه الجزيرة، التي تقع في الشمال الأقصى لأرخبيل جزر الكناري، يمكنه أن يرى بوضوح ما يقصده هذا المواطن: ان الله هو الذي خلق تلك التضاريس القمرية الرهيبة من البراكين وحقول الحمم الشاسعة. ثم جاء سيزار مانريكي، الرسام والمهندس المعماري المحلي ذو الشهرة العالمية، ليبرز روعة ذلك التكوين.

نظر مانريكي الى الجزيرة، التي تمتد بعرض ٢٠ كيلومتراً وطول ٦٠ كيلومتراً في مواجهة ساحل افريقيا الغربي، وكأنها إحدى لوحاته، واختار لها الألوان على النحو الآتي:

الأبيض - انه اللون الكلسي الذي يتلألأ نصاعة ونقاء من القرى التي اعادت طلاء بيوتها الزاهية الألوان استجابة لالحاحه.

الأسود - انه الرماد البركاني الذي ينثره حول قواعد النبتات الاستوائية، ذات الورق العريض، كي يبرز تقابل الالوان في حدائقه ومتنزهاته النادرة المثال.

الأحمر والأصفر والأزرق - تلك هي الجدران ذات الاضاءة الناعمة في الاماكن التي كانت كهوفاً مظلمة لا يمكن اجتيازها.

تلك الكهوف هي احدى مناطق الجمال الطبيعي التي استجابت تكاوينها لفن "العمارة العضوية" الذي يقول عنه مبتدعه مانريكي انه بسيط في أساسه، "إذ يجب الابقاء، ما أمكن، على تكاوين الطبيعة".

إن هذا يؤلف، في مجموعه، درساً

فريداً للناس عن طريقة الجمع بين التقدم وصون الطبيعة. فخلال عقدين من الزمن تحولت جزيرة لانساروتي من أرض برية موحشة الى احد اندر منتجعات الاجازات والراحة جمالا في العالم. ويؤمها كل عام نحو نصف مليون زائر، تجذبهم إبداعات مانريكي كي يتنزهوا وسط إطار من الروائع الطبيعية التي تثير العقل والحواس.

الحلوى الالهية - ولد سيزار مانريكي عام ١٩٢٠ في مدينة أريسيفي، عاصمة جزيرة لانساروتي. وهو يتحدث بحرارة عن جمال جزيرته العذري المجرد، الذي يلهمه حوافزه الفنية والروحية، فيقول: "هذه هي الطبيعة في اروع صورها، مشحونة بقوة التكوين التي لا حدود لها".

تفوه مانريكي بتلك الكلمات بينما كنا نرسل البصر عبر نافذة مرسمه، وقد امتد أمامنا سهل يكسوه الصهير البركاني الأسود عند قاعدة جبل تاهيتشي. وقد تحول ذلك الصهير - بعد ان برد منذ زمن بعيد - الى حلقات حلزونية كالحبال. واستطرد مانريكي في نشوة: "تبدو لي تلك

سيزار مانريكي يعرض واحدا من احدث اعماله، وهو لوحة استوحى فيها متبسطا من الصهير بدا (خلفه) كأمواج في طرف المحيط.



المناطق الريفية الخضراء في شمال اوروبا كقطع دسمة من الحلوى".

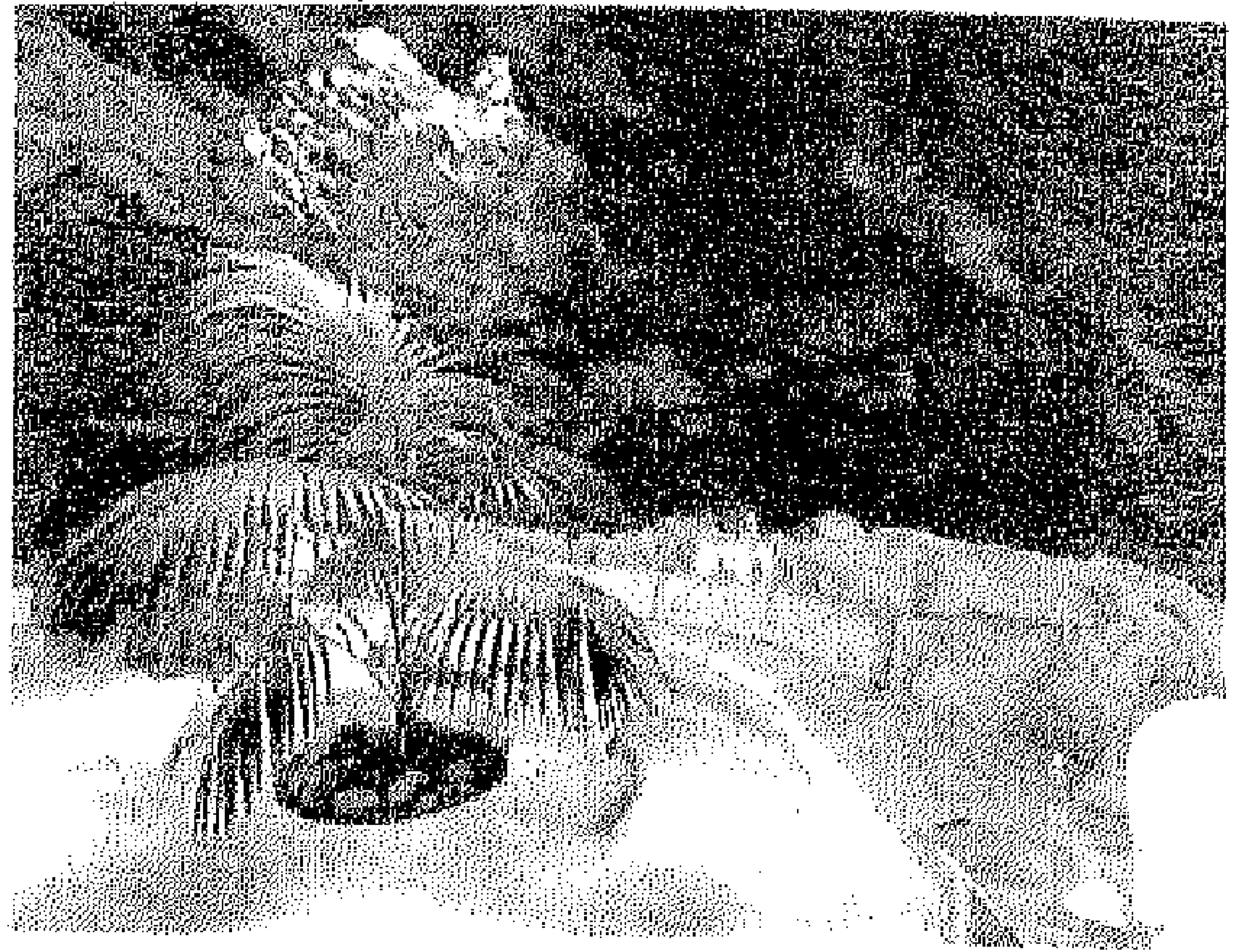
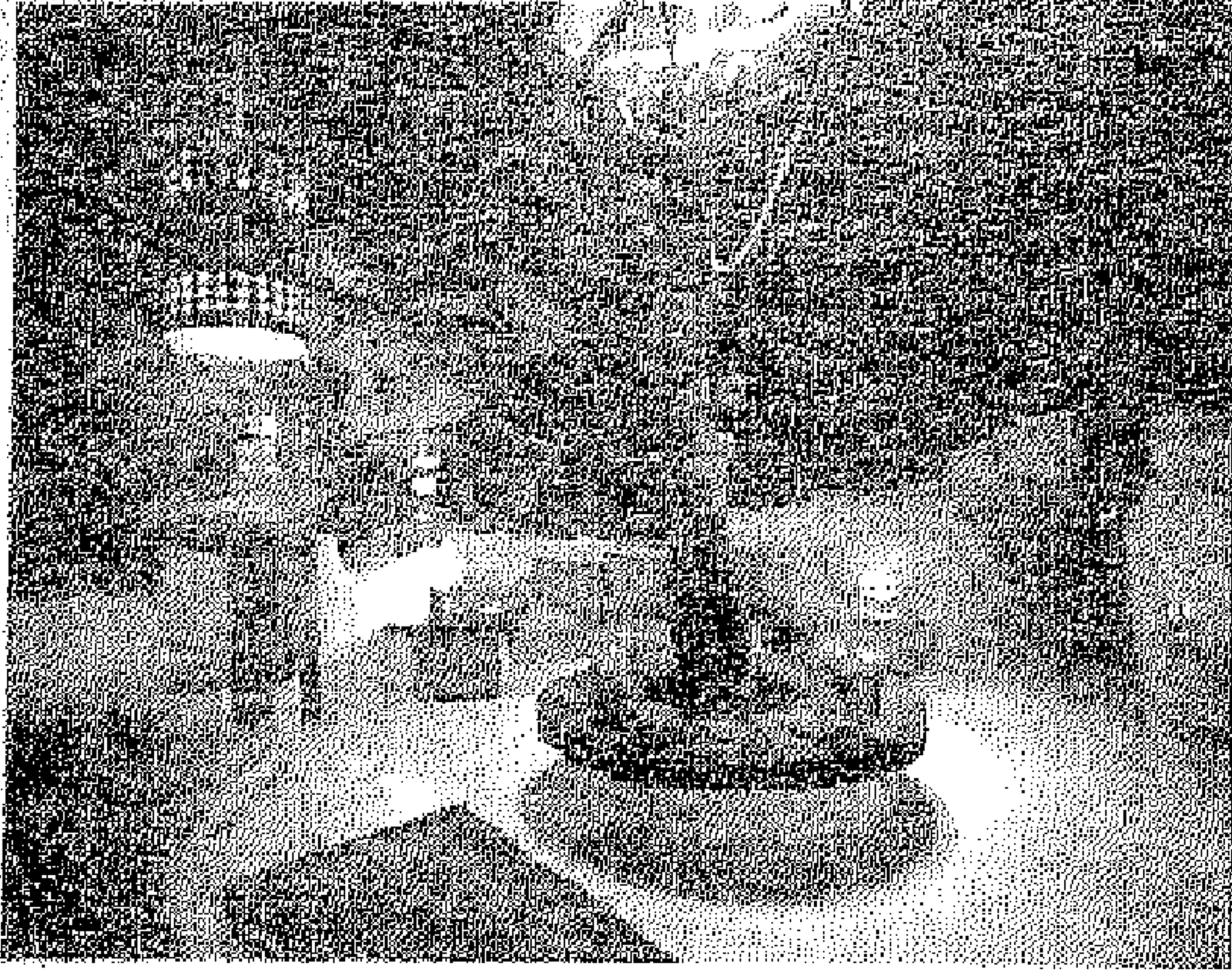
ومانريكي رجل متحمس، ودود، ذو عينين عسليتين تنبضان بالحياة. وهو رسام قبل اي شيء آخر. وقد تلقى تدريبه في معهد مدريد للفنون الجميلة، وله أعمال معروضة في أماكن تمتد من سان باولو في البرازيل الى طوكيو في اليابان. وهو مهندس معماري بالفطرة وليس بالتدريب.

ولعل أفضل مكان يتجلى فيه اسلوبه "العضوي" هو ميرادور ديل ريو، عند الطرف الشمالي للجزيرة. والموقع هو تجويف تم حفره في جدار صخري عال ينتصب عمودياً، على ساحل البحر مباشرة، الى ارتفاع ٤٠٠ متر. وأقيمت في قلب الصخر قاعة طعام شاسعة، تطل على البحر من خلال نوافذ زجاجية تمتد في قوس يبلغ طوله ٣٥ متراً. وقد أعيد سد جميع الفراغات حول الغرفة بالصخور نفسها التي اقتلعت عند الحفر. وحرص العمال على عدم مس الطحالب الخضراء النامية على الصخور التي أعيد تثبيتها. ومن داخل هذه القاعة، التي تضم ١٢٠ مقعداً، يشاهد الزوار منظراً يثير البهجة لمضيق وثلاث جزر صغيرة تمتد حتى الأفق، وعلى صفحاتها نثرت العيون البركانية. لكن الناظر من أسفل، او من قارب في البحر، لا يمكنه ان يرى تلك الفتحة التي حفرت في الصخر.

ان ما دفع مانريكي الى ابراز المحاسن الطبيعية لمسقط رأسه كان اقتناعه بان السياحة هي افضل جرعة مضادة للفقر الذي بدا كأنه كتب على الجزيرة ان تتردى فيه الى الأبد. غير



احد المسابح التي لا حدود لها وسط جنة من الخضرة التي حافظ عليها مانريكي.

قبل ١٠ سنين اكتشف الفنان خمسة كهوف مكونة من رماد ناري في حقل بركاني في تارو دو ماتيش. وقد حول هذه الكهوف الى منزل رائع. هنا كهفان في منزل مانريكي.

ان للسياحة جانباً قبيحاً كان يفزعه. ذلك ان الشركات الخاصة العاملة في التعمير السياحي لا تلبث - اذا تركت من غير ضوابط - ان تفسد المناظر والمواقع الطبيعية نفسها التي يأتي السياح لرؤيتها، وذلك بما تقيمه من منشآت رتيبة ذات طابع حضري.

كيف يمكن، إذاً، ان تفلت لانساروتي من هذا المصير؟ كانت لدى مانريكي اجابة ثورية عن هذا السؤال: ينبغي لأهل الجزيرة انفسهم ان يتولوا استثمار بيئتهم.

ولم يشاطره اهل الجزيرة حماسته في البداية. كما انهم، على رغم شمسهم البديعة وشواطئهم الذهبية، لم يستطيعوا ان يتصوروا اقبال موجات ضخمة من السياح تدفعها تلك الحماسة. لكن مانريكي لم يكن من اولئك الذين تفتر عزائمهم بسهولة. فهو، مع كل وداعته وحساسيته المرهفة، رجل حديدي الارادة لا يحيد عن هدفه حتى يبلغه.

وانطلاقاً من ذلك كانت خطة مانريكي في العمل تقتضي انشاء مراكز رسمية لمشاهدة مناظر الجزيرة، تتيح للسياح ان يخترقوا بيئة بدائية تصدهم اذا هم حاولوا التوغل فيها من دون ارشاد. وكان موقع البداية هو لوس جاميوس ديل أغوا، وهي مغارة تحت الأرض على بعد ٢٥ كيلومتراً شمال العاصمة أريسيفي. فقد ذهب مانريكي، في العام ١٩٦٠، لمقابلة جوزيه راميريز سيردا الذي كان آنئذ رئيساً لحكومة الجزيرة، وقال له: "تلك المغارة هي احدى العجائب الطبيعية القليلة في العالم، ولا نزال نهملها".

ووقف الاثنان عند مدخل مغارة لوس جاميوس تحيطهما اكوام القمامة. وهبطا على سلم خشبية متداعية مسافة ٤٠ متراً، ثم دخلا كهفاً يزيد طوله على ثلاثة اضعاف ملعب كرة القدم وقد امتلأ بمياه البحر الراشحة حتى نصفه، وسكنه نوع نادر من السرطان الابيض الذي لا عيون له.

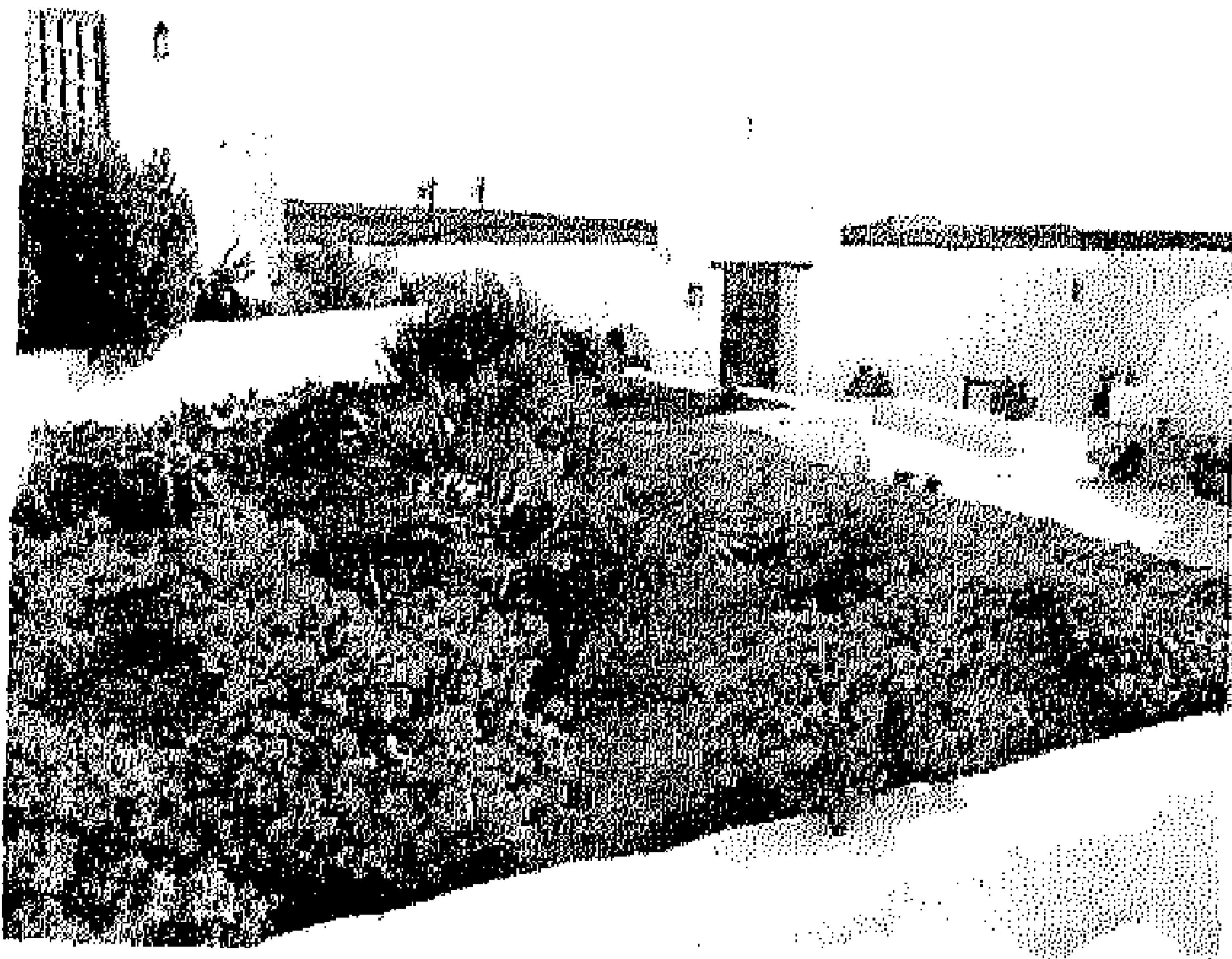
وقال مانريكي في ثقة: "سنبني هنا قاعة من أجمل قاعات الطعام ومن اروع النوادي الليلية في العالم"٠

وذهل راميريز٠ وقال في ما بعد وهو يتذكر الموقف: "لقد ظننت ان سيزار فقد صوابه٠ من يتصور ان الناس يمكنهمان يأكلوا ويرقصوا في مثل هذا المكان الموحش المظلم؟" وعلى رغم ذلك اجتاحته حماسة رفيقه، فعرض عليه المساهمة بفريق من العمال والتقنيين٠

وفي اشراف مانريكي وتوجيهاته، تم تنظيف مدخل الكهف والبحيرة الداخلية من القمامة٠ وعلق العمال في سقف المغارة قدوراً زرعت نبتات مختلفة٠ وجاؤوا بشجر الصبار، وبنوا سلماً ثابتة متينة٠ وعلى رغم ان الجدران السوداء تركت على حالها، فقد أضيف في ما بعد عدد من البقع البرتقالية الكبيرة الى منصة عريضة تطل على البحيرة٠ ولم تكن هذه البقع اللونية سوى وسادات المقاعد في ناحية خصصت للعشاء والرقص، لتميزها عن خلفية المكان٠

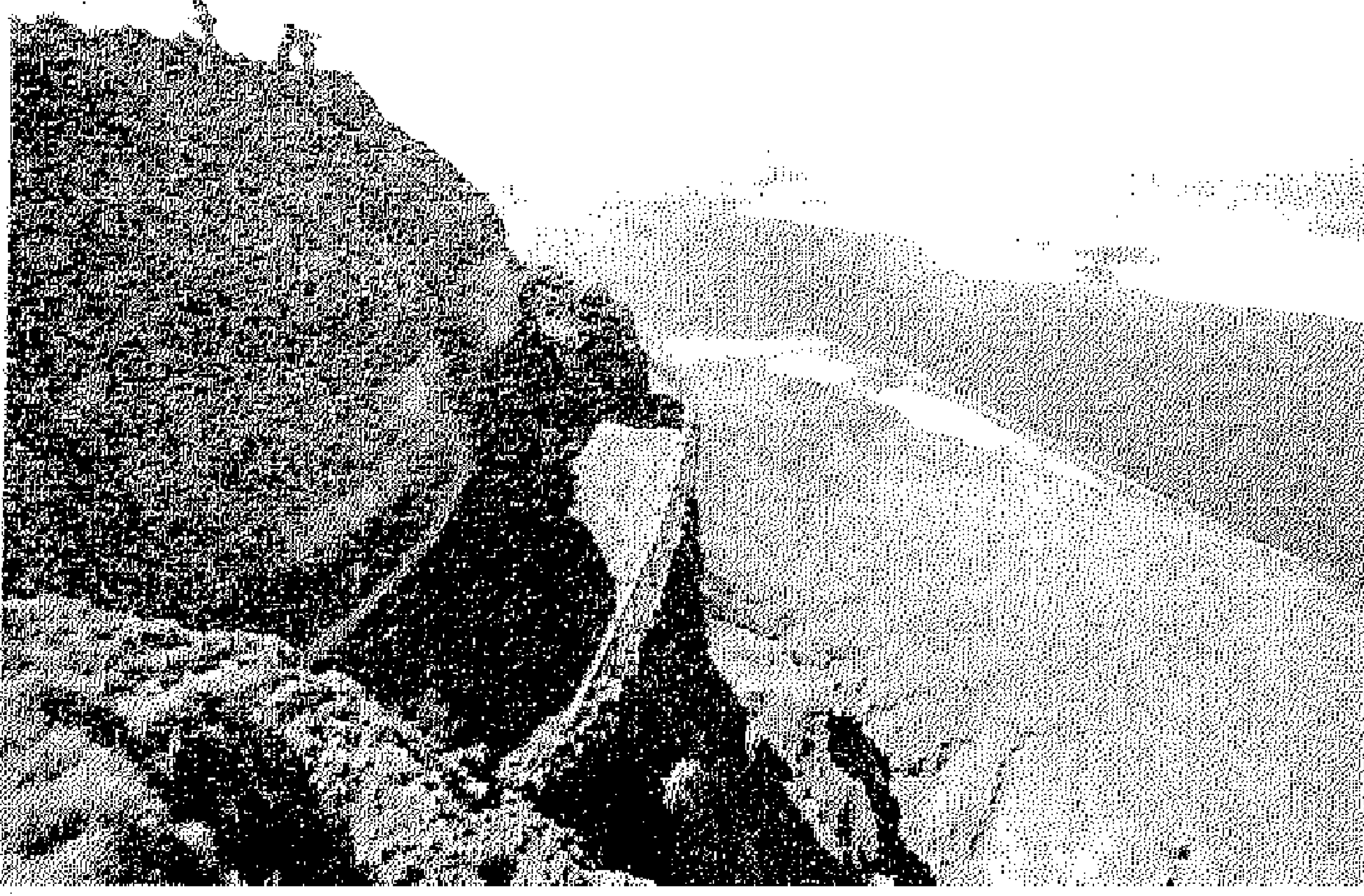
وقد روعي في الاضاءة ان تكون خفيفة وظليلة٠ فلا تجد خلال النهار سوى شعاع عريض من نور الشمس يخترق فتحة طبيعية في السقف ليغوص في المياه القاتمة٠ اما السرطانات البيضاء فقد ظلت على حالها٠ وعندما افتتحت مغارة لوس جاميوس عام ١٩٦٦، فغر اهل الجزيرة أفواههم عجباً٠ وكان العمل، في الوقت نفسه نشطاً في مركز سياحي آخر هو لا كويفا دي لوس فيرديس (كهف الخضرة)٠ ويقال ان اسمه هذا اطلقه عليه، منذ زمن بعيد، رعاة وجدوا لماعزهم مرعى أخضر قرب مدخله٠ ويمتد هذا الكهف متعرجاً مسافة ١٧ كيلومتراً، ويرتفع سقفه في بعض المواضع الى ٤٠ او ٥٠ متراً٠

اما الاضافات التي ادخلها مانريكي فكانت غير ملحوظة، لكنها اتت بنتائج مذهلة٠ فقد حوّل جزء من الارض الخشنة الى ممر ضيق للسير على الأقدام، يتعرج في مسار دائري مسافة ١٨٠٠ متر ويكفي لنزهة هادئة موجهة لا خطر فيها من الضلال٠ وركبت آلاف المصابيح خلف الصخور وداخل التجاويف، فبدت الجدران البركانية تتوهج كأن قوة سحرية تشع فيها٠ وعند منتصف المسافة، في فسحة عريضة منخفضة السقف، أقيم مسرح بسيط جهز بألف من الكراسي القابلة للطي لتتهيأ بذلك قاعة استماع٠ وقد وصف عازف الغيتار الكلاسيكي الشهير، ريجينو ساينز دي لامازا، تلك القاعة بانها "تفوق في مستوياتها الصوتية جميع قاعات الموسيقى الأخرى التي أعرفها"٠



نثر مانريكي الحصى والرماد البركانيين حول قواعد النباتات لابراز مقابل الالوان٠

في الواقع كانت مهمة مانريكي التالية ان يعيد الجمال الى قرى الجزيرة ومدنها الخمسين. وكان الطراز المعماري الشعبي الذي جاء به المستعمرون الاسبان يتزايل امام غارة انماط البناء الحديثة المختلطة والمجردة من الذوق، والمدهونة بألوانها الحمراء والزرقاء والخضراء الزاهية. وقام مانريكي بجولات متكررة في نواحي الجزيرة كي يقنع القرويين بان اسلوبهم التقليدي في البناء كنز ثمين من تراث الاسلاف، وان عليهم حفظه.



"العينان" اللتان تطلان من هذه الشرفة ليستا سوى نافذتين في "ميرادور ديل ريو".

ولم تلبث حملة مانريكي ان ارست جذورها بين سكان الجزيرة الخمسين ألفاً. وشجع أصحاب مشاريع البناء الاستثمارية على احترام الطراز التقليدي، فأقبلوا عليه راغبين. وكان الطلب الوحيد الذي توجب على مقاولي البناء مراعاته المحافظة على "طراز لانساروتي": أي اقامة جدران سميكة من دون نوافذ تحيط بفناء داخلي للوقاية من الرياح، وبناء سقوف مدرجة خفيفة الانحدار تساعد على جمع مياه الامطار للشرب. وعاد اللون الأبيض، بكل نقائه ونصاعته، يسود بيوت الجزيرة.

وفي العام ١٩٧٠ نقل مانريكي حملته الى المنطقة الجرداء الواقعة جنوب غرب الجزيرة، والمسماة "مونتانياس ديل فويغو" اي جبال النار، حيث ٣٣ فوهة بركانية كانت تطلق، في ما مضى، أنهاراً من البازلت المصهور على مدى ست سنوات رهيبة، وذلك بين عامي ١٧٣٠ و١٧٣٦. وتكونت من ذلك حقول الصهير.

وتولى مانريكي الأمر بحرص بالغ. فأمر بان تشق الطرق، شرطان يراعى تماثل لونها مع لون الصهير الذي تخترقه بحيث يتعذر تمييزها عن بعد. وتتلوى احدى هذه الطرق الآن حول مجموعة من الفوهات البركانية. ولا يزيد اتساعها عما يكفي مرور حافلة، فيشاهد ركابها تلك المنطقة التي لا يؤذن بدخولها إلا لهذه الحافلات.

وتنطلق الحافلة من بناء أقامه مانريكي، هو "مطعم الشيطان" (إل ديابلو) قرب فوهة بركانية لا تزال تتأجج بهدوء. وقد شيد البناء المستدير، ذو السقف المنبسط، من حجار الصهير ومن الفولاذ الذي يماثلها لوناً. وعبر جدران المطعم الزجاجية الفسيحة يبدو منظر الفوهات البركانية، الممتدة في مستوى البصر، مثيراً ومذهلاً، كأنك

تنظر الى سطح كوكب آخر. وأضيفت الى ذلك كله اعجوبة ركن الشواء في الهواء الطلق. وهو يستمد الحرارة اللازمة عبر شق يصل الى باطن الجبل البركاني نفسه.

يوم الخليقة الثامن – يعتبر المتحف الدولي للفن المعاصر من احدث المنشآت التي تجتذب الزوار. وقد صممه مانريكي وافتتح في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٦ في قلعة سان جوزيه، التي شيدت في القرن الثامن عشر قرب منطقة الميناء في مدينة أريسيفي. وعندما ترى ذلك البناء المربع الساحر، يتعذر عليك ان تتصور انه كان مهدماً، يستخدمه الجيش لتخزين البارود، قبل ان يتولى مانريكي امره. وبموهبته النادرة في تحقيق الانسجام بين القديم والجديد، علق مانريكي لوحات حديثة على جدران الصخر البركاني العارية.

وقد شاهد الجزيرة، منذ عهد قريب، المؤلف المسرحي والكاتب الصحافي الشهير انطونيو غالا. فوصف جهود مانريكي بايجاز قائلا انها "يوم الخليقة الثامن". ويضيف رئيس الحكومة المحلية في الجزيرة، اغوستين اكوستا، قائلا: "ان سيزار عبقري. فهو لم يبتدع صناعة سياحة تحتاج اليها حياتنا فحسب، بل أعطى سكان لانساروتي كبرياء جديداً يجعلهم فخورين ببيئتهم". ولم يتقاض مانريكي من أهل الجزيرة فلساً واحداً بدل جهوده.

وتقديراً لخدمات مانريكي، منحه الملك الاسباني خوان كارلوس الأول وسام الصليب الأعظم المدني في ابريل (نيسان) ١٩٧٨، وهو من أرفع الأوسمة الاسبانية. وكان مانريكي نال، قبل ذلك بشهر واحد، جائزة السياحة وعلم البيئة التي تمنحها، كل عام، رابطة كتاب السياحة في المانيا الغربية للشخصية العالمية التي تبذل اكبر جهد من اجل حماية البيئة.

وقد ظهرت النتائج العملية بجلاء في اقتصاد الجزيرة، ففيها الآن ١٦ فندقاً بعد ان كانت تكتفي بفندق حكومي واحد (بارادور) في ١٩٦٧. وهناك مؤسسة استثمار اسبانية كبيرة باشرت بناء قرية سياحية لطالبي الراحة في الاجازات، تضم وحدات سكنية تكفي ٢٥ ألف شخص (بعد ان طلبت موافقة مانريكي على ان مشروعها يتلاءم مع المعطيات الجمالية المحلية).

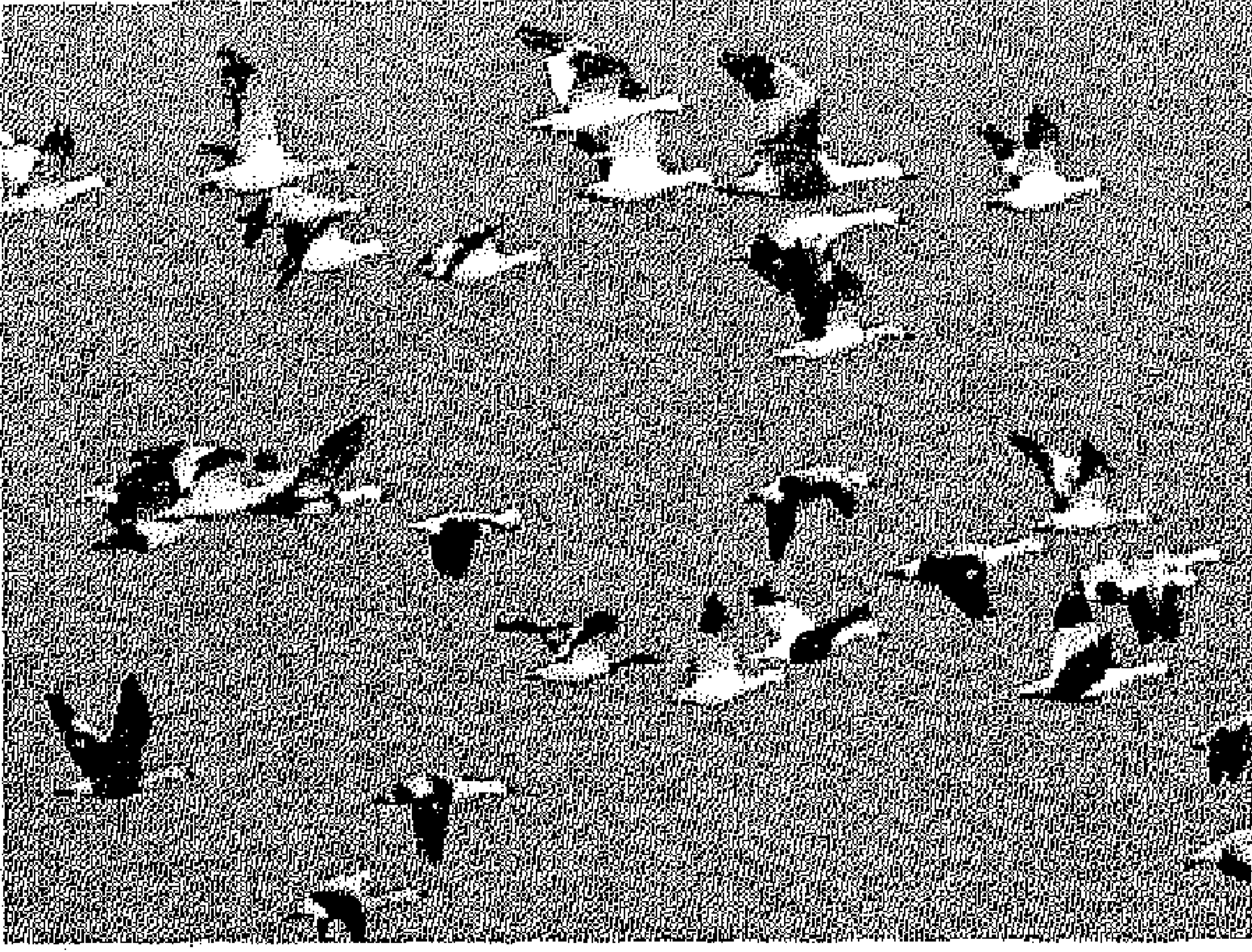
وفي الوقت نفسه يتولى مانريكي بناء مسرح تحت الأرض، يضم ألف مقعد، لعرض المسرحيات ولاحياء الندوات والحفلات الموسيقية. وهو أقام معرضاً للصناعات المحلية في جزيرة لانساروتي دعاه "المتحف الريفي"، لا يزال يجتذب الزائرين منذ ١٩٧٧.

ويقول مانريكي: "ان السياحة يمكن ان تكون نعمة في أي مكان في العالم، لكن عملية تنميتها يجب ان تخضع للفن ولمقتضيات الذوق السليم".

ولعل صدى هذه النصيحة ينفع في انقاذ روائع الخالق العظيم مما يتهددها من دمار.

■ راوول فاسكيز دي بارغا

المهاجرون



منذ قرون تثير ظاهرة الطيور التي تهاجر عبر العالم مرتين في العام اعجاب الناس. فكيف يتسنى لمئات الملايين من الكائنات الضئيلة الحجم ان تتحمل وعثاء السفر مسافة ٣٠ الف كيلومتر؟ وكيف تهتدي الطيور الى غاياتها؟

القصة بحذافيرها غير معروفة بعد. وهناك تفاصيل كثيرة لا تزال محجوبة عنا. لكن التجارب العلمية المتصلة بدأت تشق افق معرفتنا لتلك الكائنات ذات القدرات العجيبة، التي تتمتع باحساس غريب، بل شاذ وطاقة على التحمل تفوق كل ما نعرفه عن مملكة الحيوان

في خريف كل عام يجتاز طائر الدخلة من فصيلة "تينيسي"، الذي لا يتجاوز طوله ١١ سنتيمتراً ووزنه ١٥ غراماً، مسافة ٥٠٠٠ كيلومتر فوق اليابسة، هاجراً اعشاشه في كندا وشمال الولايات المتحدة الامريكية طلباً لمشتاه في وسط القارة الامريكية وجنوبها. وهو، كغيره من الطيور المهاجرة، يهتدي الى البقاع نفسها التي صرف فيها الشتاء الماضي. ثم يسلم جناحيه الى الريح وينطلق في رحلة الربيع عائداً الى الموقع الذي هجره، واحياناً كثيرة الى الشجرة عينها التي رعى فيها فراخه في المرة الاخيرة.

ثمة صنف آخر من طائر الدخلة يتميز ذكره بسواد في اعلى الرأس. وهو طائر امريكي من فصيلة "بلاكبول" الذي يفقس بيضه في الغابات الامريكية الشمالية ايضاً، لكنه يطير في الخريف الى شاطىء المحيط الاطلسي، ومن هناك يقوم برحلة جوية لا تصدق فوق البحار في اتجاه امريكا الجنوبية، مجتازاً مسافة

٣٧٠٠ كيلومتر بلا توقف خلال ٨٦ ساعة. وتحلق طيور بلاكبول في هذه الرحلة احياناً الى ارتفاع ٦٤٠٠ متر فوق سطح الارض طلباً للريح التي تساعدها في الطيران. الا ان الطبقة الجوية في ذلك العلو صاقعة وتفتقر الى الاوكسيجين. وتعد هذه اطول رحلة تم رصدها حتى الان بين الطيور الصغيرة، من حيث الطيران بلا توقف والمسافة والوقت والارتفاع جميعاً.

الا ان الطيور الاكبر حجماً تجتاز مسافات اطول كثيراً وأشد قسوة. وبطل هذا المضمار هو طائر الخرشنة القطبي، وهو طائر مائي شبيه بالنورس، يبني بعض افراده اعشاشاً لفراخه على بعد لا يتجاوز الـ٧٠٠ كيلومتر من القطب الشمالي. غير ان معظم افراده يهاجر في اتجاه معاكس نحو القطب الجنوبي في رحلة تطول ٣٠ الف كيلومتر.

اسباب الهجرة ـ السؤال الذي يتبادر الى الاذهان هو: لماذا تهاجر الطيور؟ ألكي تتجنب البرد القارس وتعثر على طعام؟ الحق انه لو كان مطلبها اموراً كهذه، لما تجاوزتها الى مسافات ابعد كثيراً مما ينبغي!

يبدو ان هذه الرحلات الجماعية الالزامية تطورت لدى الطير عبر دهور لا تحصى إبّان تقلبات كونية متعددة من حيث المناخ. ولربما وقع ما كيّف حركات الطير وتحكم بها في زمن كان العالم اصغر سناً! كما يبدو ان الفترة الضوئية هي التي تحفز الطيور على الهجرة في فصلي الخريف والربيع حيث يقصر النهار او يطول، فيؤثر هذا العامل الزمني في غدد حساسة كالغدة النخامية او الصنوبرية، ويزيد من ارق الطائر وتململه حتى يوقن بأن أوان رحيله قد أزف اخيراً.

يجدر بنا الآن ان نلقي نظرة خاطفة الى هيكل الطائر. ولنبدأ بعضلات الصدر التي تمد اجنحة هذه الطيور بالطاقة على الخفقان. انها عضلات أكبر حجماً واقوى نمواً وتطوراً، بالنسبة الى الحجم الاجمالي، من اي عضلة مثيلة لدى الحيوانات الثديية. وهي مثبتة جزئياً على ضلع ناتىء من عظمة الصدر يعرف برافدة القص. وهي الرافدة التي تساعد العصفور الطنان مثلا (وهو طائر ذو حنجرة دكناء في لون الياقوت) على ان يخفق بجناحيه خمسين مرة في الثانية وأن يقطع ٨٠٠ كيلومتر عبر خليج المكسيك في مأثرة مذهلة من مآثر السرعة والصبر والتحمل. وتستغرق رحلة الطنان، الذي لا يزيد وزنه على ٣٥ دسيغراماً (الدسيغرام يساوي عشر الغرام)، ٢٥ ساعة.

ويظهر ان جهاز التنفس لدى الطيور تطور بتميز. فهناك اندفاق تيار مضاد من الدم والهواء في الرئتين يمكن الطير من استخلاص الاوكسيجين بجدارة تفوق جدارة اي كائن فقاري آخر الى حد بعيد. وتكتسب معظم الطيور قبل موسم الهجرة طبقات من الشحم تعينها على الصمود في الاجواء. وطائر الدخلة من فصيلة بلاكبول، مثلا، يحمل في طبقاته الشحمية احتياطاً من الوقود يمكنه من الطيران المتصل وقتاً يراوح بين ١٠٥ ساعات و١١٥ ساعة. ويحتاج الانسان الى ركض ٨٠ ساعة بلا توقف



طرق الهجرة الرئيسية لطيور اليابسة والبحر.

من أجل تحقيق نسبة الايض، أي تمثل الطعام وتأمين الطاقة، التي يحققها هذا الطائر خلال طيرانه المتصل.

اشارات الاتجاه ـ منذ وقت طويل درج عدد كبير من المراقبين على الاعتقاد ان القواطع تعتمد في رحلاتها، على نحو رئيسي او كلي، معالم مألوفة تسترشد بها في معرفة الطريق. والحق ان اصنافاً من الطيور قد تلجأ الى اعتماد مثل هذه المعالم اذا راقها ذلك. فالطيور التي ترحل خلال ساعات النهار، كثيراً ما تسلك ممرات جوية موحدة فوق الشواطىء والانهار وسلاسل الجبال، اي انها تطير في "خطوط رئيسية" كما يسميها العلماء.

لكن بعض العلماء الذين يبحثون في ميدان الطيران فكر في انه لو صح اعتماد الطائر كلياً على المعالم الارضية، لسهل التباس الامور عليه، كذلك ضياعه اذا هو انطلق مثلا من مكان مجهول وبعيد عن مواقع اعشاشه ومسالكه المألوفة.

وفي العام ١٩٣٧ جمع العالمان البريطانيان ر. م. لوكلي وديفيد جاك عدداً من طيور جلم الماء من فصيلة مانك التي تعيش في جزيرة سكوكولم قبالة شاطىء ويلز في بريطانيا، وهي طيور طويلة الجناحين تسلك دروباً مائيةوتنخفض احياناً حتى تخالها تقص الماء قصاً، كما تتميزبقدرتها على الرجوع الى مواقع اعشاشها. ورحل العالمان بهذه الطيور الى اماكن قصية وسط البحار وفوق الارض، علماً بانها لا تطير عادة فوق اليابسة. وأطلق احد هذه الطيور من مدينة البندقية في ايطاليا، فشوهد طائراً في اتجاه بلاده في مسالك تفرض عليه اجتياز

جبال الالب وفرنسا، حتى عاد هذا الجلم الى بقعته المألوفة. وأطلق آخر عام ١٩٧١ من مدينة بوسطن الامريكية، فوصل بعد ١٢ يوماً ونصف يوم الى وطنه بريطانيا.

نتائج مذهلة ـ هكذا يتضح انه من المستبعد ان تكون هذه الطيور التي اطلقت من شتى الاصقاع قد اعتمدت كلياً على المعالم الارضية في تسيير دفة طيرانها. لذلك، اقدم العلماء على تجربة أخرى دامت عشرة اعوام وانتهت عام ١٩٥٧. واقتضت هذه التجربة حشر ١١ ألف زرزور في هولندا واطلاقها بعد سنوات في موسم هجرة الخريف من سويسرا. واذا بالتجربة تسفر عن نتائج مذهلة: لقد عمد معظم الطيور الكبيرة سناً الى تصحيح مساره، متجهاً الى مشاتيه المعتادة في الجزر البريطانية والشمال الغربي من فرنسا. اما الزرازير التي لم تكن بلغت الرشد بعد، فقد اعتمدت اتجاهاً وراثياً قديما في الهجرة، هو الطيران في اتجاه جنوبي ـ غربي انطلاقاً من الغرب، وأنشأت لنفسها مشتى جديداً في جنوب فرنسا واسبانيا. وتتضح اهمية هذه التجربة في الاستنتاج الآتي: إن الطيور الصغيرة سناً تتبع حساً موروثاً في الاتجاه، في حين تتمتع الطيور الكبيرة بنظام يشبه البوصلة المذهلة لتصحيح مسارها حين ترغم على النزوح الى مكان آخر غير مألوف.

وفي اوائل الخمسينات اكتشف غوستاف كرامر، العالم الالماني المختص في علم الطيور، ما يصح تسميته ماهية تلك البوصلة، حين وضع زرازير اوروبية في اقفاص مستديرة وراقب تحركاتها من خلال ارضية القفص الشفافة. وما ان تملك هذه الطيور احساس باقبال فصل الربيع حتى اتجهت وهي في قفصها، نحو الشمال الشرقي، وهو الاتجاه الصحيح. ومرة أخرى في الخريف، وقفت الزرازير في مواجهة الناحية الجنوبية الغربية، التي هي الاتجاه الصحيح ايضاً. وبعد فترة حجب كرامر عن القفص كل شيء باستثناء نور الشمس، فبقيت الزرازير تتجه الى الناحيةالصحيحة في موسمي هجرتها. ثم عمد الى استخدام المرايا لتبديل زاوية دخول نور الشمس الى القفص بحيث تصبح ٩٠ درجة. واذا بالطيور تصحح اتجاهها بمقدار ٩٠ درجة بالضبط. وهكذا أظهر كرامر ان الطيور تسترشد بالشمس في ضبط وجهتها.

ساعات باطنية ـ في تجارب اخرى بعيدة النظر مع الطيور الحبيسة في اقفاصها، استخدم كرامر نوراً اصطناعياً لينوب عن نور الشمس، فاكتشف ان للزرازير حساً مذهلا لمعرفة الوقت بدقة متناهية. ذلك ان الطيور ـ وان لم تتحرك شمسها الاصطناعية ـ أبدلت اتجاهاتها في المواعيد المحددة، كأنما الساعات الباطنية فيها عوضتها معرفة موقع الكرة الارضية منالشمس الحقيقية، على رغم ان شمسها الاصطناعية لم تتبدل. واستطاع العلماء اعادة "توقيت" هذه الساعات الباطنية تدريجاً بتبديل مصادر النور. حتى ان طائراً اعتاد الوقت الزائف حسب شمسه الاصطناعية طار في الوجهة

الخاطئة بمعدل ١٥ درجة لكل ساعة تبدلت في نظام توقيته الباطني حين أطلق في يوم مشمس·

اذاً، في استطاعة الطيور معرفة الاتجاه بواسطة الشمس وتعويض تحرك النظام الشمسي· ولكن هل تستطيع الاهتداء بالنجوم ايضاً؟

ما ان خطر للعالم الالماني فرانز ساور وزوجته اليانور ان معظم الطيور تبدأ موسم الهجرة ليلا حتى وضعا عدداً من طيور الدخلة الاوروبية في قفص لا تبصر منه سوى جزء من السماء خلال الليل· واكتشفا ان الطيور قادرة على معرفة الاتجاه الصحيح ما دامت تستطيع رؤية بعض النجوم· وحين حجبت الغيوم صفحة السماء، التبست الامور عليها وراحت ترفرف باجنحتها بلا هدف·

وفي التجربة التالية نقل الزوجان القفص الى البلانيتاريوم، وهو المبنى الذي يمكن فيه، عبر جهاز خاص، عكس الاضواء على قبة فضية لتمثيل حركات الشمس والقمر والكواكب السيارة والنجوم في مختلف الفصول·وحين جعلا القبة تبدو كأنها سماء الربيع، اتجهت الطيور نحو الشمال الشرقي· ولما بدت القبة مثل سماء الخريف، بدلت الطيور اتجاهها نحو الجنوب الغربي، تماماً كما تفعل الطيور الطليقة·

في خطى النجوم ـ من هنا يتضح ان القواطع تسترشد في طيرانها بمواقع النجوم لتحديد مسالكها، وهذه حقيقة اكدها علماء آخرون، ولاسيما الاستاذ ستيفان إملم من جامعة كورنيل في ولاية نيويورك، وهو من رواد بحوث الطيران، عندما اجرى اختباراته على طيور الدرسة النيلية التي تهاجر ليلا، ليثبت انها تعتمد على النجوم في الجزء الشمالي من السماء وانها ليست في حاجة الى رؤية جميع النجوم للاسترشاد في طيرانها بنجاح·

وتحقق هذا العالم من ان قدرة الطيور على الملاحة مكتسبة لا مطبوعة· فقد تعلمت فراخ الدرسة في البدء تحديد المحور الشمالي ـ الجنوبي بواسطة تحرك النجوم، لكنها سرعان ما تعلمت تقدير الوجهة الصحيحة من مشاهدة الهيئات التي تكون عليها النجوم· الا ان هذه الاكتشافات لم تحل اللغز الملاحي، بل اضافت اليه بعداً جديداً· وتواترت بعد ذلك الادلة على ان الطيور لا تستخدم الشمس والنجوم إلا لمعرفة الاتجاه· اما معرفة الموقع ـ وهو جوهر علوم الملاحة ـ فأمر آخر، لان البحّار،مثلا،يجب ان يحدد موقع سفينته بالضبط قبل ان يتمكن من معرفة الاتجاه الذي ينبغي اتباعه· ويعترف العلماء اليوم بثلاثة انماط من السلوك في ملاحة الطيور، وهي:

اولا ـ اعتماد الطائر على المعالم المألوفة·

ثانياً ـ قدرته على اختيار وجهة الطيران والمحافظة على المسار الصحيح عبر بقاع غير مألوفة·

ثالثاً ـ القدرة على اختيار الوجهة الصحيحة للطيران الى الموقع الذي يرغب في بلوغه، وعثوره على ذلك المكان حتى وان انطلق من مكان قصي ومجهول·

ويشتبه بضعة خبراء بان للنمط الثالث، الذي يعد أكثر الانماط

هجرة الطيور
في لبنان والعالم العربي

في ٢١ أبريل (نيسان) ١٩٧٤، تلقى فريق دراسة حيوانات لبنان في كلية العلوم التابعة للجامعة اللبنانية حلقة معدنية وجدها صياد في ساق عصفور اسود الرأس يعرف، حسب المناطق، باسم "الهازجة" او "الزريقة" او "التيان". وفي حينه ارسلت الحلقة الى المتحف البريطاني في لندن، الذي كانت الحلقة تحمل عنوانه. وبلغتني من لندن رسالة تفيد ان الحلقة وضعها في ساق العصفور، في ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ فريق بريطاني موفد الى اثيوبيا يعمل في اشراف الجمعية البريطانية لدراسة الطيور. وقد قطع الطائر مسافة تفوق الالفي كيلومتر، متخطياً اخطاراً لا تحصى.

ان لهذا الحدث اهمية علمية كبيرة، اذ يتأكد للمرة الاولى، على نحو لا يقبل الجدل، ان الطيور التي تعبر لبنان في اول الربيع تأتي من افريقيا الشرقية.

وقد تمكنا، بوسائلنا الخاصة وبواسطة نداءات متكررة في صحيفة "النهار" البيروتية، من استعادة ما يناهز الخمسين حلقة في بضعة اشهر.

وقد دلت بحوثنا في هذا المجال ودراستنا في الحقل ومشاهدة الطيور في الطبيعة ونتائج وضع الحلقات المعدنية في مركزنا وفي مراكز اخرى، ان لبنان وسورية هما من أهم المناطق التي تعبرها الطيور الآتية في الخريف من اوروبا قبل برد الشتاء او العائدة في الربيع من افريقيا الى اوروبا لتمضية الصيف هناك.

فالانواع التي تعشش في لبنان، كالبوم والصقر الجارح والحجل والترغل، يقارب عددها الثمانين. والتي تمضي الشتاء، كالسمن ودجاج الارض والشكب، ستة وثلاثون. والتي تعبر في الخريف من المناطق الباردة نحو اواسط افريقيا اثنان وعشرون، وفي الربيع سالكة الطريق المعاكس ستة واربعون. وهناك اربعة واربعون، كاللقلق (او البجع)، تهاجر مرتين في الربيع والخريف.

اللقلق أو البجع — ماذا عن الطيور العابرة فوق البلاد العربية؟

من أشهر تلك الطيور طائر اللقلق او البجع كما يسمى في بعض المناطق. عبوره مؤشر على بدء الربيع او نهاية الصيف.

يعشش اللقلق في اوروبا ابتداء من شهر مارس (آذار) ويبقى هناك حتى مطلع سبتمبر (ايلول) حين تبدأ رفوفه التجمع. فاللقالق التي تعيش غرب نهر فيزر في المانيا، وخصوصاً تلك المنتشرة في هولندا وبلجيكا ومقاطعة الالزاس الفرنسية، تعبر فرنسا واسبانيا وجبل طارق والمغرب وجنوب الجزائر والتشاد حتى تصل الى بحيرات افريقيا. اما التي تعيش شرق نهر فيزر فانها تعبر المجر ومضيق الدردنيل وتركيا وسورية ولبنان وفلسطين والسعودية والبحر الاحمر ومصر حتى تصل الى نقطة التجمع الواحدة حول البحيرات. وفي

تعقيداً، صلة بالحقل المغناطيسي للارض.

وقد تولى ثنائي الماني آخر يتألف من زوجين — وولفغانغ وروزفيتا ويلتشكو — وضع طيور ابي الحناء، وهي طيور صغيرة ذات صدور حمر ضاربة الى الصفرة، ضمن قفص مستدير لا يحوي اي شيء متميز، وحجبا عنها السماء نهاراً وليلاً. ومع ذلك، بدت هذه الطيور كلها في حال

كلتا الحالين تقطع اللقالق ما يفوق العشرة آلاف كيلومتر. وذاكرة الطيور القوية للامكنة التي تعبرها هي مضرب المثل. وقد استعان الانسان بهذه الذاكرة لدى الحمام الزاجل، فحمله رسائله. ومن اللقالق ما يبقى قرب الفرات شمال سورية والعراق، ومنها ما يبني اعشاشه في جنوب تركيا.

تعودنا، ونحن صغار، ان نربط بدء الربيع بعودة السنونو الى سماء القرية، والفنا رؤية هذا العصفور يعبر السماء كالملوك.

في الخريف تقل الحشرات وتقلق السنونو خائفة من مجاعة تهددها، فتتنادى للرحيل. فاذا رأيناها منشورة على الاسلاك ايقنا قرب نهاية الصيف. وذات صباح نفاجأ باختفاء السنونو التي تسافر ليلا نحو اثيوبيا وجنوب افريقيا. وسفرها تحت جناح الظلام دليل حكمة، اذ هي تتجنب هجمات الجوارح النهارية.

الجوارح النهارية، كالنسور والعقبان والعقيب والبواشق والحدايا والصقور والمرز، يعبر معظمها الاجواء اللبنانية والسورية في الخريف والربيع. وقد شاهدنا منها خلال اسبوع واحد ٢٥٨٥ عقاباً صغيراً. كما شاهدنا عبور الرخمة المصرية (اليرخوم) المعروفة باسم الشوحة وام جعران. وهي من انواع النسور، وتعبر الاجواء بين ١٩ مارس (آذار) و٤ ابريل (نيسان)، آتية من افريقيا ومصر ومتوجهة الى جنوب اوروبا للتوالد.

طيور اخرى — هناك طائر آخر عابر هو الفري. إنه من فصيلة الدجاج وفي حجم اليمام، وهو يعبر البحر المتوسط من اوروبا الى الجزائر وتونس وليبيا ومصر، قاطعاً ٥٥٠ كيلومتراً من غير توقف، او الى الشرق الاوسط مروراً بقبرص. وهو يطير محاذياً البحر، وربما ساعده ذلك في الاتكاء على صفحة المياه، كبعض وسائل النقل البحري الحديثة التي ترتفع قليلا فوق البحر مما يزيد سرعتها. وتبقى هذه الطيور في البلاد العربية وقتاً قصيراً في اول الخريف، ثم تتابع طريقها نحو بحيرات افريقيا لتعود منها في منتصف فبراير (شباط)، فتبقى نحو ثلاثة اسابيع في سهول مناطق الشرق الاوسط قبل عودتها الى اوروبا.

من الطير العابر ايضاً البط. وأصنافه لا تقل عن العشرة، اهمها الخضيري المعروف لدى الصيادين بالشريف الخضيري. وهو يستوطن شمال اوروبا وآسيا وبعض انحاء امريكا الشمالية. ويهاجر الى الشرق الاوسط والى شواطىء البحر المتوسط ومصر واثيوبيا والعراق والبحر الاسود وتركيا في اوائل الخريف، ويكثر عندما تشتد الصقيع في المناطق الشمالية.

هذه امثلة عن الطيور العابرة، وقد درس هجرتها في البلاد العربية علماء اجانب. الا ان اساتذة جامعات عربية عدة، خصوصاً في سورية والعراق والاردن ولبنان ومصر، تنبهوا حديثاً الى هذه الظاهرة وساهموا مساهمة فعالة في التعرف على الطيور وعلى طرق حياتها وهجرتها. وتُعَدّ في الامارات العربية المتحدة دراسة عن الطيور يساهم فيها احد اعضاء فريق كلية العلوم في الجامعة اللبنانية. كذلك هناك دراسة تعدّ في الموضوع نفسه في المملكة العربية السعودية.

الدكتور جورج طعمه

رئيس الجامعة اللبنانية

تأهب وتململ استعداداً للرحيل، واتجهت نحو المسار الصحيح لموسم هجرتها حتى من غير استعانة بالشمس او بالنجوم. ثم احاط وولفغانغ ويلتشكو وزوجته هذه الطيور بأسلاك هلمهولتز التي يمكن تمرير تيار كهربائي فيها لتكوين حقل مغناطيسي جديد. ولوحظ انه حين تبدل اتجاه الحقل المغناطيسي الطبيعي، بحيث اصبح الشمال

المغناطيسي، مثلا، هو الشرق الجغرافي، بدلت الطيور من وجهتها. ويبدو انها استجابت للحقل المغناطيسي واهتدت به لمعرفة الاتجاه.

لغز محير - كيف تمكنت الطيور من معرفةوجهتها ؟هذا هو اللغز المحير! حتى انه يكاد يخيل الى المرء ان الطائر يستخدم الحقل المغناطيسي في طيرانه، تماماً كما يسترشد الملاح بابرة بوصلته لمعرفة الشمال. واظهرت التجارب ان الطيور ربما تقيس فعلا الزاوية التي تقع بين الخطوط المغناطيسية المحيطة بالارض واتجاه الجاذبية العمودي.

لقد حقق الاستاذ وليم كيتون من جامعة كورنيل خطوة ابعد من ذلك عندما استخدم الحمام الزاجل. والمعروف ان الحمام الزاجل لا يهاجر، وانما يستغل على نطاق واسع في مختلف التجارب نظراً الى طاقاته العجيبة وامكان اعادته الى نقطة انطلاقه. وقد ربط كيتون قطعاً مغناطيسية صغيرة على ظهور بعض الحمام لتشويش حقلها المغناطيسي الطبيعي، بينما شد الى البعض الآخر قطعاً نحاسية غير ممغنطة. واطلق الحمام كله دفعة واحدة في يوم مشمس، فعادت الفئتان الى مواقعهما بدقة وسلام. ولكن حين اطلقت في يوم غائم، لم تتمكن سوى الفئة "النحاسية" من الطيران والعودة طبيعياً. اما الحمام المزود بالقطع المغناطيسية، والذي لم يستطع الاهتداء بالشمس هذه المرة، فقد تشوش حسه بالحقل المغناطيسي الصحيح، ولم يتمكن من الطيران على نحو سليم.

وهناك قدرات حسية غريبة أخرى لدى الطيور تساعدها على الملاحة في طيرانها.

لقد أظهر ميلفين كريتن، العالم البحاثة في جامعة كورنيل، ان الحمام، على الاقل، يستطيع تحري ادق الاختلافات في مقياس الضغط البارومتري، وان له حاسة بصر حادة جداً الى حد يمكنه من رؤية الضوء المستقطب والاشعة فوق البنفسجية.

ومما يزيد اللغز غموضاً تلك الاختبارات التي اجراها كريتن مع العالمة مارلين يودلوفسكي وكشفا فيها النقاب عن ان الحمام يسمع اصواتاً دون الحد السمعي، اي انه يلتقط الذبذبات المتدنية جداً للموجات الطويلة التي تحمل اصواتاً من مسافات شاسعة عبر الجو، في حين ان الاذن البشرية لا تلتقط الموجات الصوتية التي تقل عن العشر دورات حتى العشرين دورة في الثانية. ويقول العالم ستيفن إملم من جامعة كورنيل:

"لا تعيش الطيور في العالم الحسي الذي نعيش فيه نحن، بل هي تسمع وترى وتلمس عالماً ارحب وأوسع من عالمنا".

■ آلان فيشر (الابن)

من القاتل؟

نتحدث عن قتل الوقت وننسى - مع الاسف - ان الوقت هو الذي يقتلنا.

الفونس اليس

دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد ذات علاقة بالبحار والأنهر والمطر والماء عموماً.

وقد وضع امام كل كلمة اربعة معان ، واحد منها فقط صحيح ، والمطلوب من القارىء ان يختار المرادف او المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الأجوبة ويقيس مستواه.

٠١ لُجَّة: معظم الماء - قعر - حفرة - مياه ريّ.

٠٢ رافد: بحيرة - قارب - بركة - نهر يصبّ في آخر.

٠٣ ينبوع: شلاّل - عين ماء - بركة - بئر.

٠٤ ديمة: مطر - رعد - طائر بحري - عاصفة.

٠٥ خليج: شاطىء - مرسى ارض - داخل بحر - بحر داخل ارض.

٠٦ زَبَد: عشب بحري - قشّ طاف - موج - رغوة تعلو الماء.

٠٧ ساقية: بركة ضيقة - نبع ماء - نهر صغير - مياه جوفية.

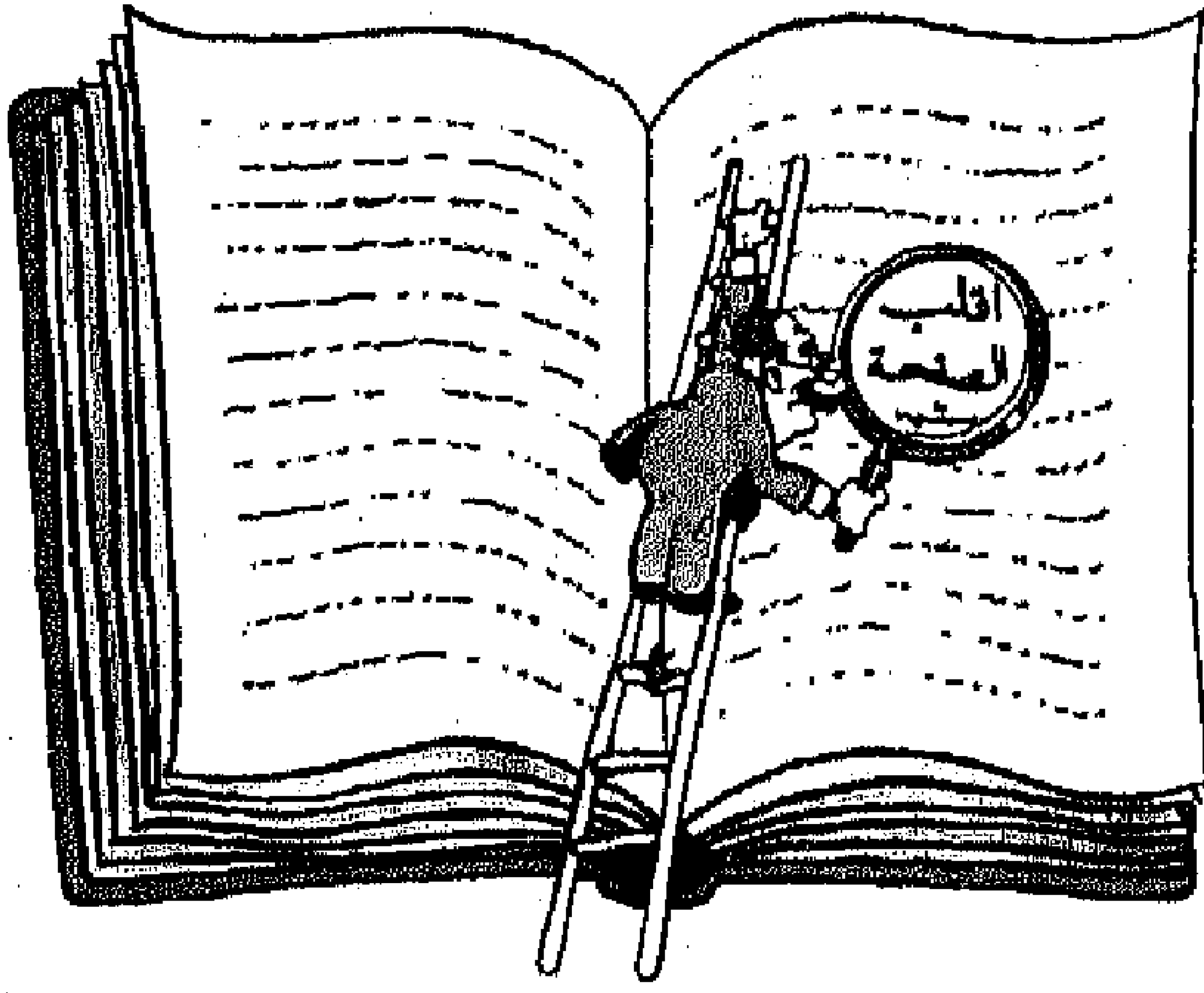
٠٨ لسان: ارض داخلة في البحر - صخور مائية مسنّنة - ملتقى النهر والبحر - جزيرة.

٠٩ مستنقع: مياه آسنة - نهر صغير - مجتمع الماء - موضع شرب الطيور.

١٠ قصَبَة: قناة ضيقة - بئر - مصبّ النهر - سمكة نهرية.

١١ طَوْف: فيضان - قارب - مجذاف - ما يعوم على وجه الماء.

١٢ مَضيق: مرسى سفُن - بحر بين ارضين - كهف بحري - جسر.



١٣ جَدْوَل: نبع - شلاّل - نهر صغير - ماء بارد.

١٤ غمام: ندى - سَحاب - برق - مطر.

١٥ ثَغْر: نهر - مدينة على الشاطىء - منبع النهر - مصبّ النهر.

١٦ اوقيانوس: شبه جزيرة - مجموعة جزر - بحر مُحْدِق باليابسة - نهر جليد.

١٧ سَبَل: مطر - موضع للشرب - مياه شرب - مياه ريّ.

١٨ حَوْض: قاع - بركة - مسبح - مجتمع الماء.

١٩ بَرْزَخ: ارض بين بحرين - كهف بحري - جسر - عاصفة.

٢٠ رَذاذ: نسيم - رمل - مطر ضعيف - حصى.

٢١ جُرْف: شلاّل - صخور بحرية - ما جرفته السيول من ارض - عاصفة.

٢٢ مَسيل: رمل ناعم - مياه متدفقة - فيضان - موضع سيل الماء.

٢٣ يَمّ: نهر - بحر - مطر - ماء.

٢٤ تُرْعَة: خزّان ماء - قارب - قناة - مجذاف.

٢٥ غَمْر: امواج عاتية - مطر قوي - حفرة - ماء كثير.

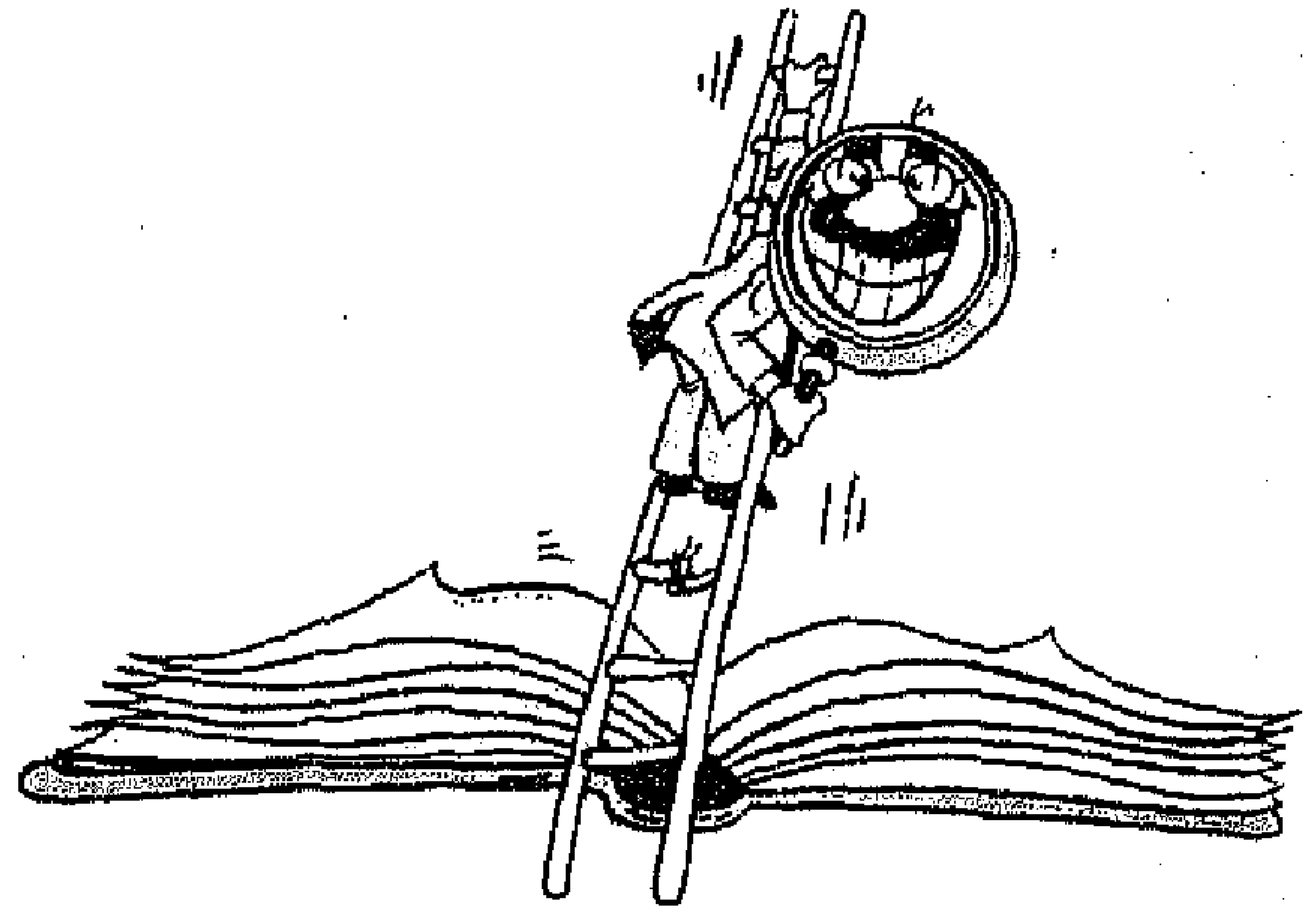
٢٦ ضفّة: منبع النهر - جانب النهر - عشب نهري - بركة.

٢٧ نَوْء: مطر - ريح شديدة - اضطراب البحر - جليد.

٢٨ جُبّ: بئر - قاع - ضباب - نهر صغير.

٢٩ مُزْن: برق - رعد - سحاب - ثلج.

٣٠ أرْخبيل: نهر واسع - مجموعة جُزُر - حيوان بحري - محيط.



الأجوبة الصحيحة

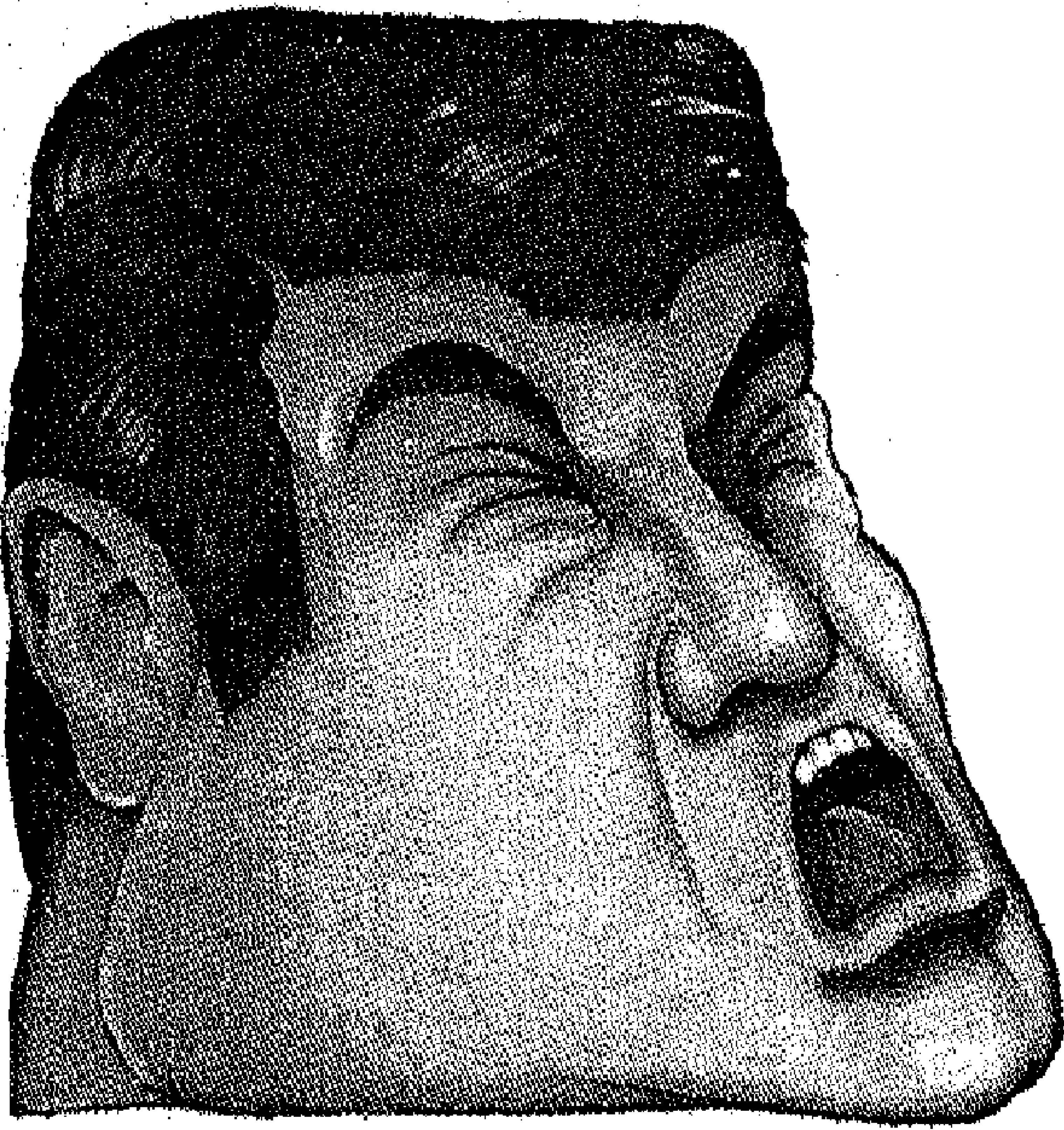
١٠ لُجَّة: معظم الماء. "فلان لجة واسعة": شبيه بالبحر في سعته.
٢٠ رافد: نهر يصبّ في نهر آخر. الرافدان: دجلة والفرات.
٣٠ ينْبوع: عين ماء. جدول كثير الماء.
٤٠ ديمة: مطر يدوم في سكون بلا رعد ولا برق. ارضٌ مَديمة: اصابتها الديمة.
٥٠ خليج: بحر داخل قطعة من اليابسة.
٦٠ زَبَد: ما يعلو الماء ونحوه من رغوة.
٧٠ ساقية: نهر صغير.
٨٠ لسان: قطعة ارض سهلة داخلة في البحر. وتعرف ايضاً بالأنف.
٩٠ مستنقَع: مكان يجتمع فيه الماء. موضعٌ من الغدير ينزل فيه المرء ويغتسل.
١٠٠ قصَبَة: بئر حديثة الحفر.
١١٠ طَوْف: ما يعوم على وجه الماء.
١٢٠ مَضيق: قطعة ضيقة من البحر بين ارضين.
١٣٠ جدْوَل: نهر صغير.
١٤٠ غَمام: سحاب.
١٥٠ ثَغْر: مدينة قائمة على شاطىء البحر. ومعناها الأصلي مكان يُخاف منه هجوم العدوّ.
١٦٠ اوقيانوس: محيط: بحر مُحدق باليابسة من كلّ جهاتها.
١٧٠ سَبَل: المطر النازل من السحاب قبل ان يصل الى الأرض. أسْبَلَ الدمعَ او الماءَ او المطر: ارسله وصبه.
١٨٠ حَوْض: مجتمع الماء.
١٩٠ بَرْزَخ: قطعة ارض ضيقة محصورة بين بحرين: تصل برّاً ببر او شبه جزيرة ببر.
٢٠٠ رَذاذ: مطر ضعيف.
٢١٠ جُرْف: ما جرفته السيول من الأرض او من جانب النهر.
٢٢٠ مَسيل: موضع سيل الماء.
٢٣٠ يَمّ: بحر.
٢٤٠ تُرْعَة: قناة تصل بحرين او نهرين او قطعاً اخرى من الماء. مَسيل الماء الى الروضة.
٢٥٠ غَمْر: ماء كثير. معظم البحر.
٢٦٠ ضفّة: جانب النهر. ساحل البحر.
٢٧٠ نَوْء: مَطَر. النَّوّ (عند الملاحين): شدّة هبوب الريح واضطراب البحر.
٢٨٠ جُب: بئر عميقة: سُمّيت هكذا لأنها قُطعت قطعاً.
٢٩٠ مُزْن: سحاب: او ذو الماء منه. حَبُّ المزْن: البَرَد.
٣٠٠ أرخَبيل: مجموعة جُزُر متجاورة.

المستوى	
	٤٥ - ٣٠: ممتاز
	١٩ - ٢٤ جيد
	١٣ - ١٨: مقبول

آخ... تشوا

العطس هو العامل الكبير الذي يتساوى فيه جميع الناس. وقد كتبت الروائية الانكليزية جورج ايليوت: "هناك ظروف يضطر فيها الى العطس اكثر الناس اجلالا ووقاراً".

كلنا، اذاً، يعطس. وهذا فعل غير ارادي، لا سيطرة كبيرة لنا عليه. لكن معظمنا، لحسن الحظ، يعطس مرة واحدة وينتهي الامر عند ذلك الحد.

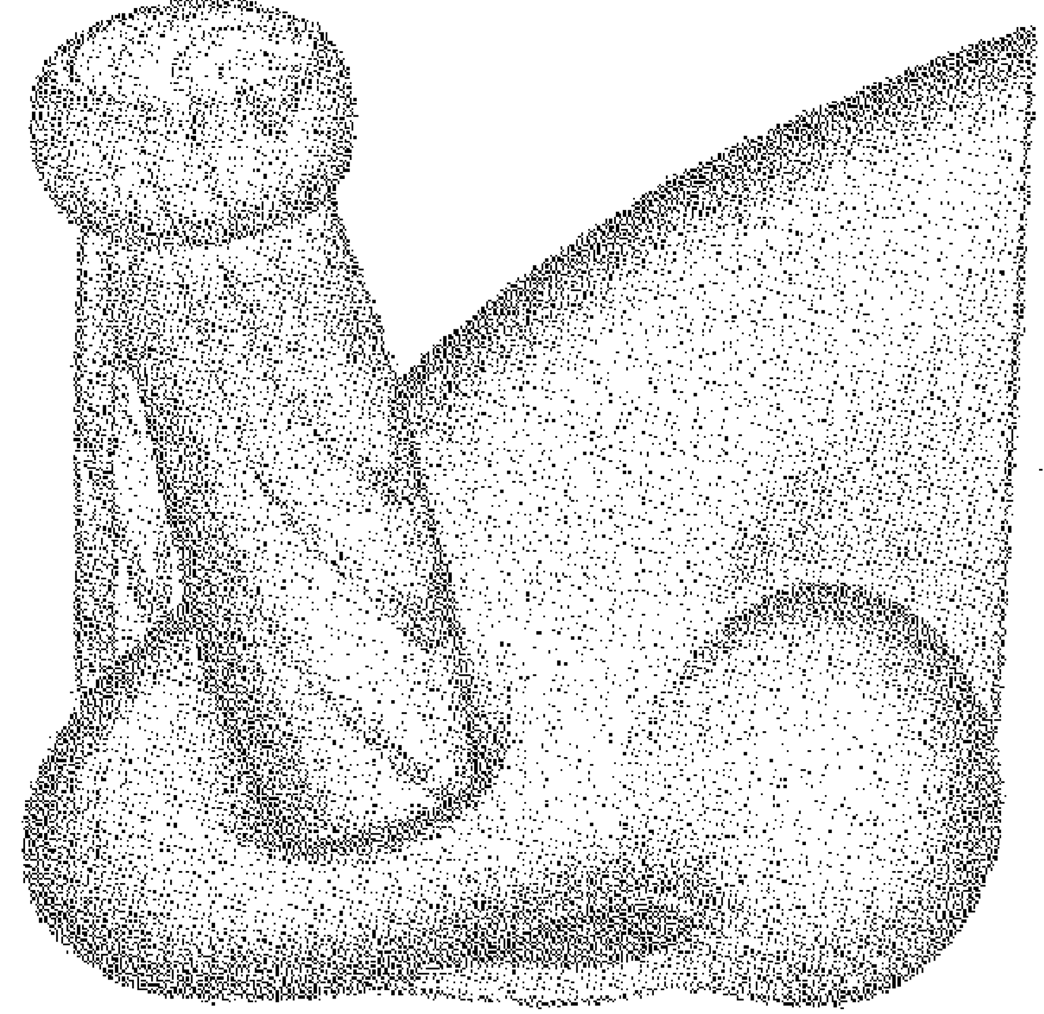


غير ان البعض الآخر يعطس مرتين متتاليتين، بينما يعطس آخرون ثلاث مرات متتالية. وهناك شخص يبدو انه لم يجد شيئا افضل يفعله، أجرى دراسة على هذا الموضوع فتوصل الى ان بعض عادات العطس لدينا ربما نكون ورثناه عن والدينا. فكما تعطس الام يعطس طفلها.

اذا لم تستطع وقف نوبات العطس، فلا نقص هناك في طرق العلاج الشهيرة لذلك. واليك بعض الوسائل التي جربها الاطباء على اختلاف قناعاتهم: حقن كلسيوم في

للعطس أسباب جسدية ودوافع نفسية، ولئن تعذر قطعه، ففي الامكان تخفيفه

العضل، تدليك العمود الفقري باليد بقصد تقويمه، عقار الادرينالين المنبه للقلب، مساحيق التخدير لمسح جدران الانف من داخل، كي العظم الغشائي للانف، مضادات



الهيستامين، المسكنات، سوائل التنقيط والحبوب... وحتى العلاج النفسي!

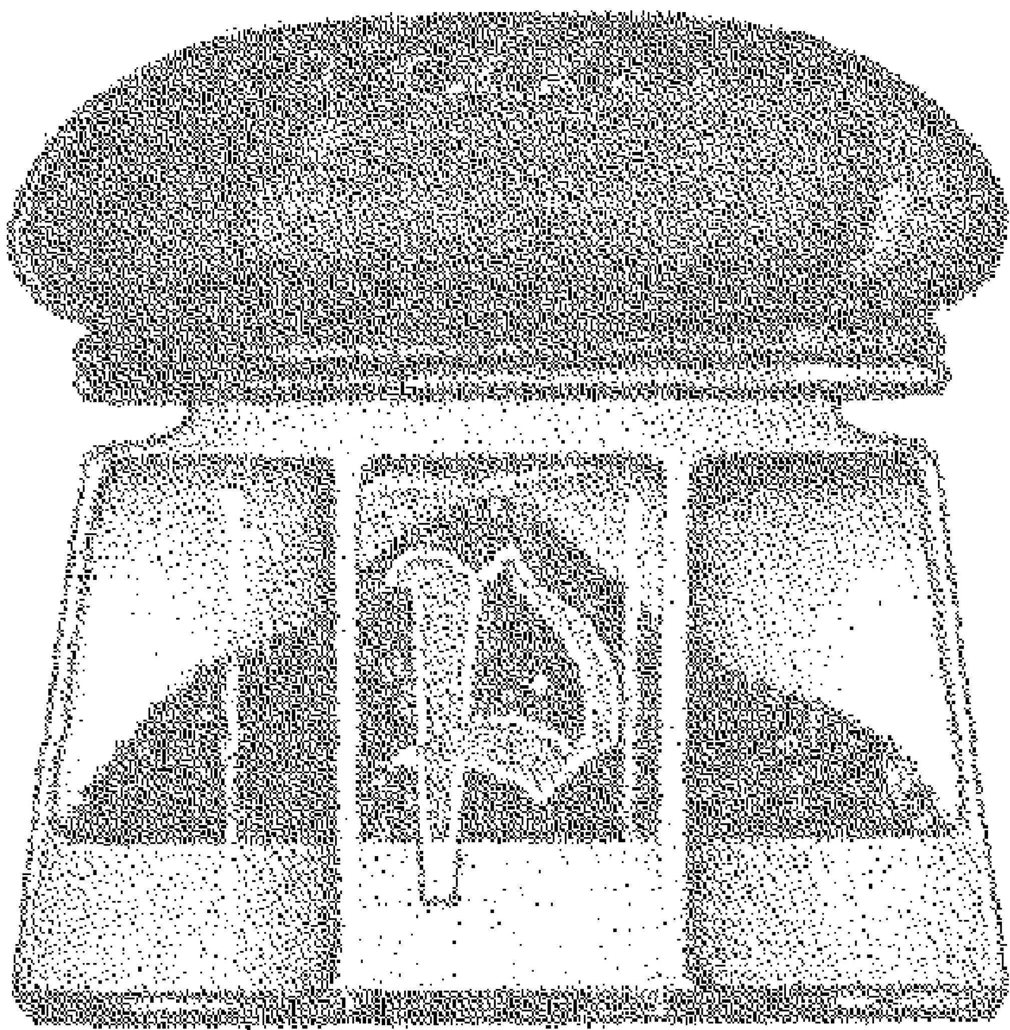
هناك اقتراحات اخرى تستند الى ما تناقلته اجيال من العجائز، منها: قف على رأسك، اضغط على شفتك العليا، ضع دبوساً على انفك، ردد الحروف الابجدية معكوسة من نهايتها الى بدايتها، شم رائحة الثوم او الفجل، ادهن وجهك بالسمن او ضع بعض قطع الثلج عليه. وربما اجدى العمل بهذه الوصايا الفولكلورية اذا لم تستطع التوقف عن العطس بطرق اخرى.

ما سبب العطس؟

ان تهيج العظم الغشائي للانف يدفع الدماغ، عبر عصب ممتد بين الانف والرأس، الى اطلاق سلسلة من ردود الفعل الوثيقة الصلة بعصب العضلات، فيحدث العطس. وتتسلسل العملية كالآتي: يتهيج الانف فيرسل اشارات الى الدماغ. يوحي الدماغ الى الانف بانتاج سائل صاف. يتصل الانف مرة اخرى بالدماغ، وبمركز التنفس على وجه التحديد، فيحملك الدماغ على الشهيق يتبعه زفير عند الفم مع صوت انفجار.

دور الانفعالات – عموماً، المسؤول عن التهيج حبة، بل حبيبة، من الغبار او شعرة او ذرة من مسحوق الفلفل او روائح البهارات الاخرى. لكن الدور الذي تلعبه الانفعالات في انتفاخ العظم الغشائي للانف أو تقلصه لا يقل عن دور العوامل الاخرى. فالتهيج الجنسي، مثلاً، يثير نوبات العطس. كما ان الصرع وسواه من الاعراض يمكن ان تحدث العطس. وكذلك الامر بالنسبة الى الاضواء الخاطفة وحالات الرشح وغير ذلك من العوامل التي تؤثر في الجهاز العصبي.

قديماً قال ارسطو اننا لا نعطس ونحن نيام. وهذا يبدو صحيحاً. ومن المستبعد أن يعطس أحد وهو يؤدي دوراً ما امام الناس. وربما كان هذا عائداً الى ان تدفق المزيد من الادرينالين يخمد العطس ويحول دون



انطلاقه. لكن هذا لايزال محض افتراض.

عندما تعطس تتطاير آلاف الذرات

على هامش العطس

□ لا تستطيع ان تلاحظ نفسك وانت تعطس اذ تكون عيناك دائماً مغلقتين.
□ التفوه بلفظ "عطس" في بعض اللغات قد يبدو كأنه صوت العطس بعينه. فهو "كوشامي" في اليابانية و"كيتشنيبيشي" في البولونية و"كيتشنوني" في التشيكية.
□ قبل قرن كانت تطلق على اللصوص عبارة "مترصدي العطس"، لأنهم كانوا يقتربون من الغرباء ويرمون السعوط في وجوههم، فيسرقونهم وهم يعطسون!
□ اوصى ابقراط (ابو الطب الاغريقي الذي يؤدي متخرجو كليات الطب قسمه الى يومنا هذا) بالعطس كعلاج للفواق (الحازوقة). وربما لاحظ انه يتعذر على مرضاه الفواق والعطس في آن واحد.
□ في بعض القبائل الافريقية كان العطس يعتبر دفقاً لحياة الروح. لذلك كان ينظر اليه على انه حدث مبارك. وفي الصين اعتقاد شائع قديم يقول: "اعطس وانت تقامر، فستربح حتماً"!

المشبعة بالرطوبة. وقد تولى مرة خبيران من معهد مساتشوستس للتكنولوجيا تصوير العطسات وقياسها، مستعملين اداة خاصة للقياسات الدقيقة، فوجدا ان سرعة انطلاق تلك الذرات تبلغ ١٦٦،٧ كيلومتراً في الساعة وتصل الى مدى ثلاثة امتار ونصف متر. ويهبط بعض الذرات فور خروجه من الانف، بينما يستغرق هبوط البعض الآخر وقتاً اطول.

واذا كانت ذرات العطسة تحتوي على الجراثيم المؤذية، فويل لمن يمر بجانبها. ويمكن ان تسبب العطسات في الهواء الطلق أكثر من رشح لمن يصادفها. وقد عزيت الى تلك العطسات المشبعة بالجراثيم مسؤولية انتشار الانفلونزا عام ١٩١٨، كما انها ساهمت في اشاعة وباء الطاعون الذي خيم على اوروبا في القرون الوسطى.

لذلك من الافضل ان تغطي فمك عندما تعطس. واذا صوبت عطستك الى اسفل، فان معظم الرذاذ الذي يفلت سيهبط مباشرة الى الارض ويستقر هناك بدلا من ان يتطاير في الجو وينقض على المارة الابرياء.

واذا حاولت كبت عطسة، فربما أسفر ذلك عن خدش بعض الانسجة الدقيقة في انفك او حتى عن كسر بعض العظام داخل الانف وحوله. وان سد الخياشيم قد يحول الجراثيم الى داخل الجيوب الانفية ويعمل على التهابها. والاسوأ من ذلك ان كبت عطسة قد يؤدي الى انتزاع عظمة في وسط اذنك من مكانها. لكن ذلك لا يحدث الا نادراً. وعلى اي حال، من الافضل لأولئك الاشخاص الذين تحملهم لياقتهم على خنق عطسة في مهدها ان يطلقوها من عقالها مع مراعاة احتواء رذاذها ما امكن.

سئل مرة المعلق اللاذع الشهير آرت بوكوال عما يجعله سعيداً، فاجاب: "عطسة جيدة... اذ لا يوجد مثلها مما يجعلك تشعر بأنك شاب ومليء بالنشاط ومستعد لمواصلة مسيرة الحياة".

■ دان كارلينسكي

اوجاع الدولار

إن المتاعب التي يعانيها الدولار أدت الى أزمة ثقة واسعة النطاق

في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨، هبطت قيمة الدولار الامريكي الى حد مخيف انتهى به الى انزلاق خطير في الاسواق الدولية. ثم استعاد الدولار جزءاً من عافيته، لكنه لم يلبث ان هبط مرة اخرى في ربيع ١٩٧٩، وأمضى بعد ذلك صيفاً قلقاً حافلا بالتقلبات.

ويرى بعض الخبراء ان الدولار سيظل عرضة لمزيد من التقلبات في السنوات المقبلة، وستهبط قيمته مراراً بالنسبة الى بقية العملات الصعبة كالمارك الالماني والين الياباني والفرنك السويسري. فعلى من تقع المسؤولية في متاعب الدولار؟

لقد رأينا ايضاح ذلك من خلال الاسئلة الاساسية المتعلقة بهذه المتاعب على الصعيد الدولي:

■ **ما هو سبب انخفاض قيمة الدولار بالنسبة الى العملات الاخرى؟**

لقد خسر الدولار، منذ العام ١٩٧٠، نصف قيمته تقريباً بالنسبة الى المارك الالماني، وقرابة ٦٠ في المئة من قيمته بالنسبة الى الفرنك السويسري. واذا تجاوزنا التعابير الفنية، فسنجد امامنا تفسيراً بسيطاً للامر:

ان قيمة الدولار تهبط نظراً الى وفرته في الاسواق. وبعبارة اخرى، فان التضخم في النقد المعروض

يتسبب في انخفاض قيمة الدولار في بلاده، لكنه يؤدي أيضاً الى تقلص قيمته في الخارج "ذلك لأن قانون العرض والطلب ينطبق على المال كما ينطبق على اي حقل آخر. فالاستمرار في انتاج الدولارات من دون رادع يفضي حتماً الى خفض قيمتها، ليس داخل الولايات المتحدة فحسب، بل حيثما كان". ذلك ما قاله فيرمونت رويستر من "وول ستريت جورنال".

ان قيمة الدولار الامريكي، بالنسبة الى العرب او الالمان او الفرنسيين او اليابانيين، مرهونة بقدرتهم على صرفه في الولايات المتحدة الامريكية. وهناك سوق دولية شاسعة للعملات الاجنبية تمتد في نواحي العالم كلها وتربط بين اطرافها وسائل اتصال فائقة السرعة، تيسيراً للعمليات التجارية الدولية. وهكذا يتم تحويل الدولارات الامريكية الى ينات لشراء الراديوات اليابانية، وتحويل الجنيهات الاسترلينية الى فرنكات فرنسية لدفع ثمن العطور. كما يتسنى للامريكي الذي يستورد السيارات من المانيا الغربية ان يحول دولاراته الى ماركات المانية لهذا الغرض. ويؤمل، طبعاً، ان يقبل رجال الاعمال الألمان في الوقت نفسه على تحويل الماركات الى دولارات كي يشتروا بها، مثلاً، تبغاً امريكياً.

غير ان الدولار فقد، في غضون السنوات الاخيرة، جانباً كبيراً من قوته الشرائية، بحيث اصبح الامر يستلزم كميات متزايدة من الدولارات لشراء سيارات مرسيدس - بنز من المانيا او ساعات سايكو من اليابان او ملابس كاشاريل من فرنسا.

وبينما تدنى معدل التضخم في ١٢ بلداً من البلدان الصناعية الاربعة عشر في العام ١٩٧٨، ارتفع في الولايات المتحدة وواصل ارتفاعه خلال ١٩٧٩ على نحو يثير القلق. ونتيجة لذلك تراجع الدولار في العام ١٩٧٨، ليس امام الفرنك والمارك والين فقط، بل امام الليرة الايطالي نفسه الذي اشتهر بعدم الاستقرار.

وقد امكن وقف الانزلاق الخطر للدولار بفضل الخطة الامريكية "لانقاذ الدولار" التي استهدفت سحب الدولارات الفائضة من الاسواق العالمية. وعمل مصرف الاحتياط الفيديرالي (المصرف المركزي الامريكي)، في الوقت نفسه، على تقييد النقد المعروض داخل الولايات المتحدة. الا انه من غير المحتمل ان يتمكن الدولار من استعادة كامل القيمة التي فقدها خلال السنوات الاخيرة.

■ **ما هو تأثير هبوط قيمة الدولار على المواطن الامريكي العادي؟**

لا شك في ان هبوط قيمة الدولار يزيد من حدة التضخم بالنسبة الى المواطن الامريكي العادي. ذلك لان ٢٠ في المئة من مجموع السلع المبيعة في الولايات المتحدة اليوم هي سلع مستوردة. ولما كانت قيمة الدولار قد تدنت بالنسبة الى العملات الاخرى، فان ذلك أدى الى ارتفاع اسعار جميع السلع المستوردة. وتشمل هذه السلع الاجنبية اكثر من نصف الاحذية التي يشتريها الامريكيون، ونصف السترات الصوفية، وثلث القمصان، و١٦ في المئة من اجهزة التلفزيون الملون، و٢٢ في المئة من السيارات. ولا شك

في ان ارتفاع اسعار هذه السلع يبعث على تفاقم التضخم داخل البلاد.

ومع ارتفاع اسعار السلع الاجنبية شعر المنتجون الامريكيون، تحت ضغط الكلفة الزائدة، بمزيد من الحرية في رفع اسعار منتجاتهم بالمثل. وفي العام ١٩٧٧ خفضت شركة جنرال موتورز اسعار سياراتها الشيفروليه "شوفيت" بنسبة ١١ في المئة كي تتمكن من منافسة السيارات الاجنبية المستوردة في مناطق الساحل الغربي للولايات المتحدة. غير ان الارتفاع الذي طرأ بعد ذلك على اسعار هذه السيارات الاجنبية (هوندا ١٨،٩ في المئة، تويوتا ١٧،٣، داتسون ١١،٢) بسبب انزلاق الدولار، اتاح لشركة جنرال موتورز ان ترفع سعر السيارة "شوفيت" بنسبة ١١ في المئة ليعود الى مستواه السابق.

ويضاف الى ما تقدم ان هبوط قيمة الدولار يحفز مواطني بلدان "العملات الصعبة" على تثمير اموالهم في العقارات الامريكية، ويتيح لهم منافسة المشترين الامريكيين، مما يؤدي الى تزايد اسعار هذه العقارات. وتقول صحيفة "يو إس نيوز آند وورلد ريبورت": "ان اغراء الصفقات العقارية الامريكية، التي تعتبر اربح الصفقات في العالم، يجتذب المستثمرين البريطانيين والهولنديين والفرنسيين الى شراء مباني المكاتب في العاصمة واشنطن وفي هيوستون (ولاية تكساس) وغيرهما من المدن المزدهرة، بينما تجتذب المزارع القائمة في دلتا نهر المسيسيبي المشترين الالمان والايطاليين واليابانيين".

■ الم يكن منتظراً من برنامج الطاقة الشامل الذي وضعه الرئيس كارتر ان يؤدي الى انقاذ الدولار؟

لقد صرحت الحكومة مراراً خلال العام ١٩٧٨ بأن ضخامة المستوردات النفطية هي مصدر الصعوبات التي يعانيها الدولار، وان حل المشكلة مرهون بموافقة الكونغرس الامريكي على برنامجها الخاص بالطاقة. ولكن ماذا حدث بالفعل؟

لقد اصدرت السوق الدولية حكمها، بسرعة وحسم، على مشروع قانون الطاقة باعتباره الدواء الناجع للمتاعب التي ينوء بها الدولار. ففي ١٦ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨، أي اليوم التالي لموافقة الكونغرس على برنامج الطاقة الشامل، هبطت قيمة الدولار على نحو حاد بالنسبة الى العملات الرئيسية الاخرى. ثم اعقب ذلك انزلاق سريع لتلك القيمة، مما اثبت بوضوح ان حل المشكلة لا يكمن اطلاقاً في قانون الطاقة.

وحقيقة الامر ان الدولار كان يتراجع حتى قبل الحظر النفطي الذي فرضه العرب عام ١٩٧٤. وظلت الولايات المتحدة تشهد الانخفاض الخطير في قيمة دولارها وهي لا تستورد سوى ٤٠ في المئة تقريباً من حاجتها النفطية، بينما كانت المانيا واليابان وسويسرا تشهد ازدياد قيمة عملاتها وهي تستورد جميع حاجاتها من النفط.

وكانت هذه البلدان تدفع ثمن نفطها، عموماً، بأموال مكتسبة داخل نطاق اقتصاداتها، بينما كانت الولايات المتحدة تمول استيراداتها من النفط بالاعتماد على تضخم

عملتها. ويقول الكاتب الامريكي هوربارت رووين المتخصص في الشؤون المالية: "لما كانت هذه البلاد (الولايات المتحدة) تبتاع المزيد من السلع وتصرف من المال في الخارج اكثر مما تجني من مبيعاتها واستثماراتها الخارجية، فقد بادرت الى سد الفجوة المحدثة بطبع كميات اضافية من الدولارات".

وكانت النتيجة المنطقية ان انتهى الذين يتقاضون هذه الدولارات الى الارتياب بقيمتها، إذ ان تلك الكميات الضخمة منها كانت توجه الى الخارج لتسديد المستحقات على الولايات المتحدة. والواقع ان "اوبيك" (منظمة الدول المصدرة للنفط) اظهرت ميلا الى زيادة اسعار النفط كي تعوّض الخسارة المترتبة على انخفاض قيمة الدولار.

■ **هل يكمن العلاج الناجع في خطة "الدفاع عن الدولار"؟**

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨، أعلن الرئيس الامريكي جيمي كارتر برنامجاً جريئاً واسع النطاق "للدفاع عن الدولار"، تتدخل الولايات المتحدة بمقتضاه في اسواق النقد العالمية لتشتري الدولارات دعماً لسعرها. وقد كان للصدمة التي احدثها ذلك الاعلان اثرها الفوري، اذ حققت سوق الاوراق المالية اكبر كسب سجلته في يوم واحد طوال تاريخها. فصعد مؤشر "داو جونز" لمتوسط اسعار الاسهم الصناعية بما يزيد على ٣٥ نقطة، كما ارتفع سعر الدولار بنسبة ملحوظة في مختلف اسواق العملات الاجنبية.

غير ان هذا الارتفاع الحاد في قيمة الدولار قصر عن تعويض خسائر العامين السابقين. ويشك الاختصاصي الاقتصادي ميلتون فريدمان في ان تتجاوز "عملية الانقاذ" هذه حدود التأثير السياسي او النفسي. ويبدي فريدمان وغيره توجساً، له ما يبرره، في شأن برنامج "الدفاع عن الدولار"، لان هذا البرنامج استلزم اقتراض كميات ضخمة من الماركات الالمانية والفرنكات السويسرية والينات اليابانية من اجل استخدامها في شراء الدولارات لتعويم قيمتها المتدهورة. وقد بلغ ما صرفته الولايات المتحدة في هذا الصدد، حتى اول يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩، ما يزيد على ٦،٧ مليارات دولار من هذه العملات الاجنبية، استعانت بها على شراء بضعة مليارات من الدولارات دلالة على رواج الدولار وسعياً الى دعم قيمته. لكن هذا الاسلوب لا يخلو من الشوائب. ويقول ليندلي كلارك الابن في صحيفة "وول ستريت جورنال": "ان هذه العملات الاجنبية لا مفر من تسديدها بعد حين. وهذا امر سيترتب عليه، بالضرورة، عكس الاثر الذي احدثه شراء الدولارات من قبل".

ويعقب الاقتصادي دين تيلور، من جامعة ولاية نيويورك في مدينة ألباني، على ذلك بقوله: "ان هذه العملية غالباً ما تكون خاسرة. فليس للولايات المتحدة، في ما يتعلق بانقاذ الدولار، سجل محمود، بل انها خسرت فعلا قرابة ملياري دولار في مثل هذه المضاربات منذ ١٩٧٣".

■ **كيف يتحقق، اذا، انقاذ الدولار الامريكي؟**

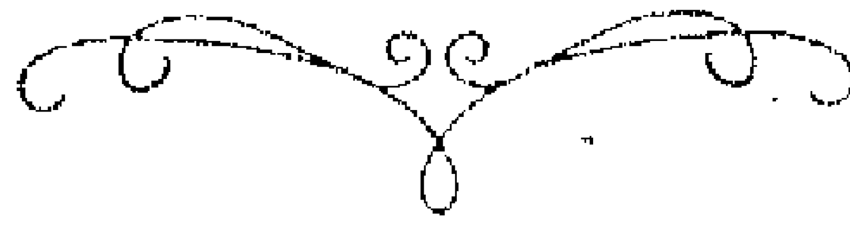
ان جوهر المشكلة هو التضخم، ذلك

التضخم الذي يقع فيه اللوم على عاتق الحكومة نفسها. وعلى الحكومة ان تكف عن صرف اموال تزيد على دخلها من الضرائب، لانها درجت على تعويض العجز باغراق الاقتصاد بأوراق النقد الجديدة المطبوعة. وهو امر يؤدي حتماً الى ارتفاع الاسعار.

ولعلنا نستطيع القول، في التحليل الاخير، ان ازمة الدولار هي ازمة ثقة، ازمة ثقة بقدرة الحكومة على القيادة. لكنها، قبل كل شيء، ازمة ثقة باعتزام الحكومة على ترتيب امورها المالية. غير ان ضعف ثقة البلدان الاخرى بهذا الاعتزام افضى الى تدهور الدولار. وعلى رغم ان خطة "الدفاع عن الدولار" حققت بعض النجاح، الا ان التضخم في الولايات المتحدة استمر بمعدل مرتفع. وما زالت البلدان الاخرى تراقب الموقف لترى كيف ستعالج واشنطن هذه المشكلة.

ان الثقة لا تكتسب بعمليات انقاذ في اسواق النقد، ولا ببيع احتياط الذهب الثمين للحصول على النقود الورقية التي تصدرها الدول الاخرى. الثقة لا تكتسب الا باتباع خطط التقشف والالتزام الدقيق بها، وبالحرص على تناسب النمو في حجم الكتلة النقدية مع النمو الحقيقي لنتاج البلاد، وبالاطمئنان الى استقرار قيمة النقد كي يستطيع الناس الركون الى ثبات الدولار اليوم وفي العام المقبل والعام الذي يليه. ان لهذا الاستقرار اهميته العظمى في ضمان صحة الاقتصاد وسلامته.

■ رالف كيني بينيت



نقودك ونقودهم

حين يقول لك شخص: "ان الامر لا يتعدى بعض النقود"، فهو يتحدث عادة عن نقودك انت.

صحيفة "شيكاغو تريبيون"

فلسفة الشك

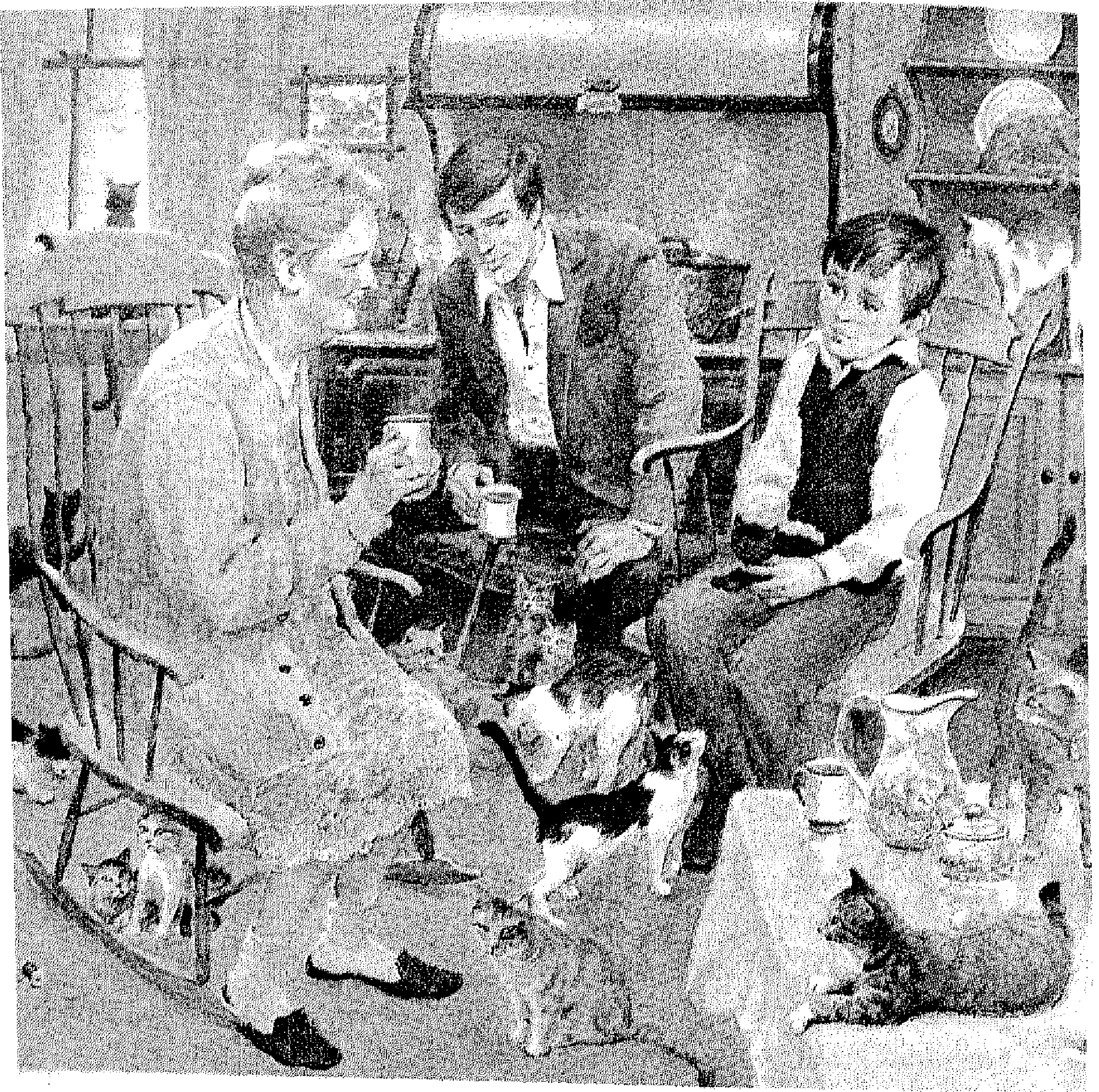
سئل الفيلسوف برتراند راسل اذا كان مستعداً للموت في سبيل ما يعتقد، فاجاب: "كلا بالطبع، اذ بعد هذا كله، ربما كنت على خطأ".

ل.ل.

الاسوأ

اعلان عن عقار في صحيفة محلية:
"شقة رائعة لاعزب. كفى احلاماً، فقد حققنا لكم ما تريدون. بيت مترف مصمم خصيصاً للباحثين عن المتعة. قابل للتحويل الى بيت عائلي اذا حصل الأسوأ".

ب.ن.



قصّة قِط

عالم الطفولة
ساحر وغريب
لا يستطيع ولوجه الا الحنان

صوت طفولي سألني عبر الهاتف: "هل أنت الرجل الذي يبحث عن القطط الضائعة؟"

أجبت: "هذا صحيح، ماذا أستطيع أن أفعله من أجلك؟"

قال: "ساعدني في العثور على تشارلي، إنه رمادي اللون، ذو خطوط سوداء، أعطتني اياه أمي، وقد اختفى منذ أربعة أيام".

قلت: "حسناً، هل يمكنني أن

أتحدث الى والدتك؟" فقد اعتدت، عندما يتصل بي الاطفال، أن أستوثق من روايتهم بالتحدث الى ذويهم واطلاعهم على ما يجري.

وسمعت، عبر الهاتف، صوت رجل تملكه التوتر والارهاق:"أنا والد مايك، وقد توفيت زوجتي. اسمع يا سيدي، إن الصبي يلاحقني بلا رحمة في شأن ذلك القط اللعين. وقد نشرنا إعلاناً في الصحف، وقلت للولد أننا لا نستطيع تحمل أي تكاليف أخرى".

قلت:"إن الاطفال يتعلقون عادة بحيواناتهم الاليفة، وخصوصاً ان والدة مايك هي التي أعطته تشارلي".

أجاب:"هذا هو الامر بالضبط. وعندما توفيت والدته كان منضبطاً كجندي صغير شجاع، فلم يبك أو يبد أي تصرف من هذا القبيل. وقد انقضى على ذلك ستة أشهر، ظل طوالها في حال حسنة حتى طرأ علينا حادث القط".

قلت:"فهمت. هل يمكنني أن أتحدث الى مايك ثانية؟"

وسألت مايك إذا كان يهمه أن أمر عليه في ذلك الصباح كي نتحدث عن تشارلي. فقال متلهفاً:"بالتأكيد. إن معي نحو ١٢ دولاراً، فهل يكفي ذلك؟"

ومس كلامه وتراً في نفسي، فقد عرض علي بعض الناس آلاف الدولارات كي أجد لهم حيواناتهم الأليفة المفقودة، ولكن لم يسبق لي أبداً أن عرض علي أحد كل ما يملكه. ووجدتني لا أستطيع أن أرفض الصفقة.

كان مايك كنغهام يعيش ووالده في الجانب الغربي من مدينة سان فرنسيسكو في ولاية كاليفورنيا الامريكية. وعندما وصلت الى البيت فتح لي مايك الباب، فوجدته صبياً صغير الجسم، قاتم الشعر، ذا عينين بنيتين واسعتين، بدا في العاشرة من عمره. وعلمت منه أن أباه ملتزم بوظيفتين، مما يفرض الوحدة على مايك معظم الوقت. فلا عجب، إذاً، من تلهفه لاسترجاع تشارلي.

وأدركت أن لا بدّ لي من قبول المهمة، سواء أحصلت على أجرتي أو لا. وقال لي مايك إن تشارلي يتميز ببقعة بيضاء على صدره شبيهة بالبيضة تماماً.

وقلت:"هذا هو ما سنبرزه في اعلاننا". وشرحت له ما ننوي عمله من طبع الملصقات والبحث في ملاجىء الحيوانات. وبدت على الصبي ملامح اليأس والتعاسة فاقترحت عليه أن يصحبني وقلت:"كن مساعداً لي في مهمتي وسأمنحك خفضاً في الاجرة".

وفي اليوم التالي، وكنت أضع ملصقاً في محل كبير لبيع المواد الغذائية، لاحظت أن هناك طاولة على الطراز القديم لبيع اللحوم. وتذكرت أني عندما كنت طفلا كان تاجر اللحوم يعرف أسماء جميع الحيوانات الاليفة في الحي. وسألت هذا القصاب عما إذا بلغ مسمعه أن أحداً عثر على قط اسمه تشارلي.

فقال اللحام:"هل تحدثت الى السيدة المولعة بالقطط والتي تأتي الى هنا لتجمع أحمالا من بقايا السمك والعظام تكفي لتغذية بيت كامل من القطط؟"

وبينما كنت أتجول بسيارتي عصر ذلك اليوم لاحظت مجموعة من القطط مستلقية على الدرج الامامي لبناء قديم متداع. وخطر لي أن هذا قد يكون بيت السيدة المولعة بالقطط. فأوقفت السيارة وصعدت الدرجات القليلة وقرعت الجرس ففتح الباب فتحة صغيرة، وسمعت صوت سيدة تسأل بلكنة بريطانية خالصة:"نعم، ماذا هناك؟"

فقدمت اليها إحدى بطاقاتي، وأنبأتها بأني متخصص في البحث عن الحيوانات الاليفة الضائعة.

فقالت السيدة:"هذا ما تعمله إذاً!" ثم فتحت لي الباب وهي تقول محذرة:"انتبه لقططي".

وما إن خطوت داخل البيت حتى رأيت تلك القطط، بين متشامخ وجاثم ورابض ومتسكع ومتكاسل. قطط في كل مكان! وقادتني السيدة الى مطبخ مزدحم على نحو يكاد لا يصدق، لكنه مع ذلك يوحي بالالفة والراحة، وفي جانب منه موقد عليه ابريق ووعاء هائل مغطى في داخله شيء يطهى.

وقالت السيدة:"اجلس يا عزيزي.أنا السيدة بنتويسل، وسأحضر لك كوباً من الشاي اللذيذ".

العائلة السعيدة ــ كانت السيدة في أواخر العقد السابع من العمر حسبما قدرت، قصيرة القامة، وقد جمعت شعرها الرمادي خلف رأسها بالامشاط وطلت وجهها وشفتيها بمساحيق من دون اعتناء أو ترتيب.

وتناولت السيدة كوبين من خزانة المطبخ وملأتهما بالشاي. فأخذت رشفة أوشكت بعدها أن اتقيأ لأن الشاي كان ثقيلا إلى درجة لا تصدق.

وسألتني:"ما رأيك في هذا الشاي؟"

قلت:"إنه... حاد المذاق الى درجة غير عادية".

فقالت موافقة:"نعم، لا مثيل له". ورشفت جرعة كبيرة.

وقلت:"إني أبحث عن قط رمادي اللون مقلم بخطوط سوداء".

فصاحت:"ها! إن لدي ملايين القطط، فلماذا لا تنظر بنفسك؟" واتجهت متثاقلة الى الموقد وهي تقول:"لقد حان وقت إطعام القطط يا سيد بونز. رؤوس سمك وبطاطا رائعة". ثم رفعت الغطاء عن الوعاء الهائل فتصاعدت منه رائحة رهيبة. وأخذت تدق على جانب الوعاء بملعقة معدنية وهي تصيح:"الطعام جاهز".

فامتلأ المطبخ فجأة بالحياة، في كتل متواثبة من الفراء. وأخذت السيدة بنتويسل تغرف من محتويات الوعاء الضخم وتفرغها في جرنين كبيرين على الارض. ولم تنقض خمس دقائق حتى اختفى الطعام واختفت القطط.

وقالت السيدة بلهجة الرضا:"ها قد شبعت. فهل وجدت بينها القط الذي تبحث عنه؟"

قلت:"للأسف لم أجده". ثم رويت لها قصة مايك وقطه، وختمت حديثي قائلا:"إنه صبي شجاع جداً، بل لعله أجرأ من اللازم".

قالت:"أوه! إنه أمر مؤسف حقاً! لماذا لا تمر غداً لتلقي نظرة أخرى؟ **هناك قطط جديدة تأتي الي كل يوم**".

وجلست في اليوم التالي أرشف شاي السيدة بنتويسل الرهيب. فعلمت منها أنها جاءت مع زوجها

الى الولايات المتحدة قبيل نهاية الحرب العالمية الثانية قادمين من شرق لندن الذي دمرته القنابل. وقالت: "إننا قضينا هنا حياة طيبة، أنا وزوجي. وقد توفي منذ نحو عشر سنين رحمه الله. لكن الحياة تستمر، وعندي قططي التي أرعاها. مسكين مايكي. كل هذه القطط هنا وليس بينها قط" تشارلي!"

وأستأذنتها كي اتصل بمكتبي هاتفياً واستعلم عن ورود أي رسائل، فقيل لي أن أحد الاشخاص اتصل بي ليعلمني بأنه وجد جثة قط مهشمة وسط الشجيرات قرب منزل مايك. فأنهيت المكالمة وقلت للسيدة بنتويسل إني اخشى أن أكون قد بلغت خاتمة بحثي.

فقالت: " ياللصبي المسكين! انتظر لحظة". واختفت هنيهة ثم عادت تحمل صندوق أحذية فارغاً وهي تقول: "إذا كان القط الميت هو تشارلي فسوف يحتاج مايكي الى صندوق يدفنه فيه على نحو لائق".

ووجدت القط" في المكان الذي أشار اليه صاحب المكالمة. وكانت مواصفاته مطابقة تماماً لمواصفات تشارلي. فوضعت الجثة في الصندوق الفارغ، وقدت سيارتي بقلب مثقل الى بيت مايك.

حنان وكبرياء - قرعت الجرس، ففتح مايك لي الباب وسألني بلهفة: "هل عثرت على تشارلي؟"

قلت: "اسمع يا مايك، إن لدي أنباء سيئة. لقد مات تشارلي". فتلاشى الدم من وجه الصبي.

ولم أشأ أن أترك مايك وحده قبل أن يعود أبوه من عمله. فاقترحت عليه ان اقوم وإياها سوياً بدفن تشارلي.

وبينما كنا نسجي القط في مقره الاخير طرأت فكرة على ذهني، فقلت للصبي: "اسمع يا مايك، هناك سيدة لطيفة تسكن قريباً من هنا ولديها عدد من القطط، فما رأيك في أن نزورها؟"

فأجاب مايك مذعناً: "نعم. موافق".

وفتحت السيدة لنا الباب فقلت: "سيدة بنتويسل، اني اصطحبت مايك معي. وقد قمنا لتونا بدفن تشارلي".

قالت: "ادخلا. لقد جئتما في الوقت المناسب لتتناولا كوباً من الشاي".

وعندما دخل مايك المطبخ وجلس جاءت قطة سوداء ووثبت الى حجره فأخذ يربت عليها بشكل عفوي.

وقالت له السيدة بنتويسل: "حسناً، حسناً. هل فقدت قطك؟"

فأجاب بفتور: "نعم. لقد دهمته سيارة".

فتنهدت السيدة قائلة: "ياله من أمر مؤسف". ومضت تشرب الشاي وهي تهز رأسها في أسى. وأخذ مايك رشفة من شايه من دون أن يبدي أي انفعال باستثناء نظرة سريعة الي. واستطردت السيدة بنتويسل: "والاسوأ من ذلك أن والدتك، رحمها الله، هي التي أهدت إليك تشارلي. هل تعلم يا بني أن هذا يذكرني بوالدتي؟"

فرفع مايك رأسه منتبهاً.

وأستأنفت السيدة كلامها قائلة: "أعطتني أمي قبيل وفاتها طقماً من الصحون الجميلة الزرقاء كانت سبباً لبهجتي واعتزازي. وذات مساء تساقطت على رؤوسنا قنابل

هتلر اللعين فدمرت نصف بيتنا ، لكنني لم أجزع إلا على الصحون. وكان حزني عليها شديداً، فهي هدية من أمي".

فتوقف مايك عن التربيت على القطة القابعة في حجره.

واستطردت السيدة: "طبعاً لم يكن الذنب ذنبي. ولكني حزنت على رغم ذلك. كان الامر شبيهاً بعض الشبه بقصتك مع تشارلي، أليس كذلك؟ فليس الذنب ذنبك في موت تشارلي. وأمك تعرف ذلك بلا شك".

ثم خاطبتني قائلة: "أليس كذلك يا شرلوك؟"

فهززت رأسي مؤيداً، إذ استولت حكايتها على مشاعري كما استولت على مشاعر مايك.

واستأنفت تقول برقة: "نعم. ومازالت أمك تحبك، تماماً كما أن أمي لا تزال تحبني. حسناً. كفانا حديثاً في هذا الموضوع، فلا أحد يستطيع أن يعود فيحيا أيامه الماضية". وتوقفت برهة ثم قالت: "والآن، ما رأيك في تلك القطة الراقدة في حجرك؟ هل تريد أن تأخذها؟"

فلم يقل مايك شيئاً.

وعادت السيدة بنتويسل تسأله في إصرار: "هيا! هل تريدها؟"

فهز مايك رأسه بعنف وقال: "كلا، لا أريدها". ثم احتبس صوته وقال في غصة: "أريد تشارلي!" ووثب من مكانه واندفع الى غرفة الطعام باكياً. فهممت بأن ألحق به، لكن السيدة بنتويسل منعتني قائلة: "اتركه وشأنه. إنه في حاجة الى نوبة بكاء. والصبية يعوزهم ان يتركوا وشأنهم عندما يبكون، فأنا ادرى بطباعهم".

وبعد فترة لحقت السيدة بنتويسل بالصبي. وعندما عادا معاً كان مايك أحمر العينين وقد بدا عليه التعب، لكنه قال: "لقد قالت لي السيدة بنتويسل اني أستطيع مساعدتها في إطعام القطط كلما أردت".

فقلت: "تلك فكرة جيدة حقاً". وبدا لي أن ما قالته السيدة بنتويسل للصبي في غرفة المائدة أحدث في نفسه تحولا كبيراً.

وقال مايك: "هل تعلم يا شرلوك أن السيدة بنتويسل كان لها ابن صغير في ما مضى؟ وأنه قتل في الحرب؟"

فقاطعته السيدة بنتويسل قائلة: "صه!" ثم قالت لي: "انصرف أنت".

ومضيت الى بيتي أفكر برهبة وإجلال في تلك القوى الخفية التي اتخذت من مأساة قط أليف سبيلا للجمع بين إنسانين وحيدين.

وبعد بضعة أسابيع اتصلت هاتفياً بالسيدة بنتويسل وسألتها: "كيف تسير الامور؟"

فردت ببشاشة: "على خير ما يرام. "إن مايكي صبي رائع. وهو يساعدني في رعاية القطط وشراء الحاجات. ولا أعرف كيف كنت أتدبر أموري قبل مجيئه. وقد أخذ تلك القطة السوداء أيضاً". ثم ضحكت وأضافت: "لقد قال إنه سيحتفظ بها بعض الوقت، لكنه لا يستطيع أن يخدعني. إنه صبي عنيد حقاً!"

قلت: "مايك عنيد؟"

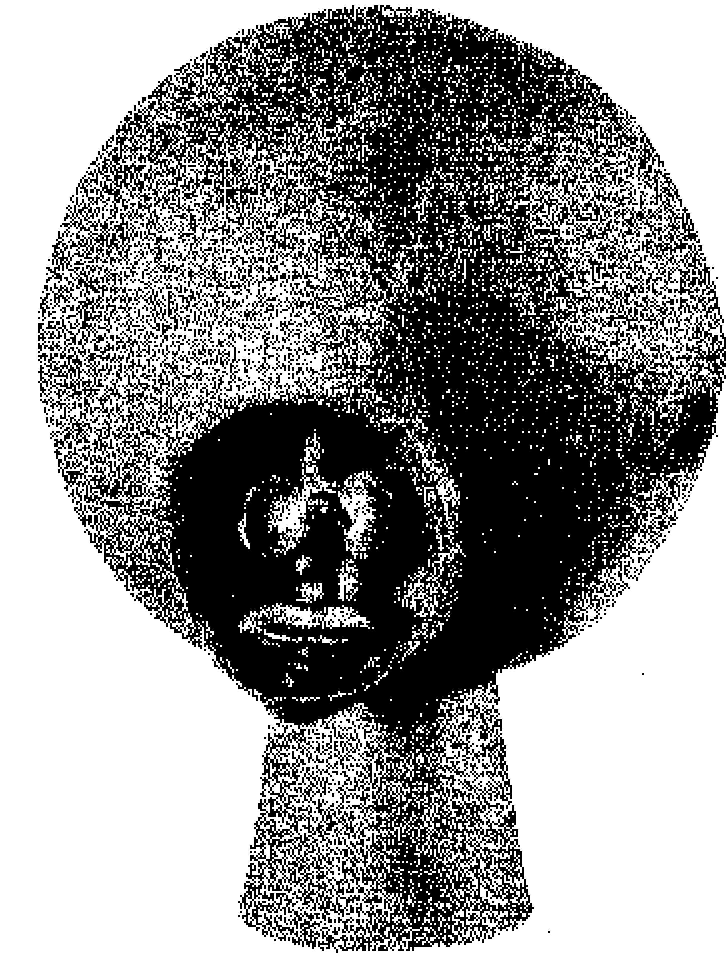
فصاحت: "إنه يرفض شرب الشاي الذي أعده! هل سمعت بمثل ذلك؟ لكنه لن يلبث أن يقتنع، وسأجعل منه صبياً جيداً. انتظر وسوف ترى".

■ جون كين

روائع الفن الزنجي

أغنى الزنوج الامريكيون تراث بلادهم الفني بكنوز تتكشف روائعها يوماً بعد يوم

"اشكال في حرم الجامعة"، ١٩٧١. خزفية من عمل ايرل هوكس (ولد عام ١٩٢٧) وهو يعمل استاذاً للفنون في جامعة فيسك.



Fisk University Art Department

في العام ١٨٧٦ اشترك ادوارد بانيستر في معرض اقيم في مناسبة الذكرى المئوية الاولى لاستقلال الولايات المتحدة الامريكية في **فيلادلفيا، حيث عرض لوحة تمثل منظراً طبيعياً** وعنوانها **"تحت اشجار السنديان". وفازت اللوحة** بالميدالية البرونزية التي اشتد عليها التنافس. ولكن عندما وصل الفنان الى المعرض



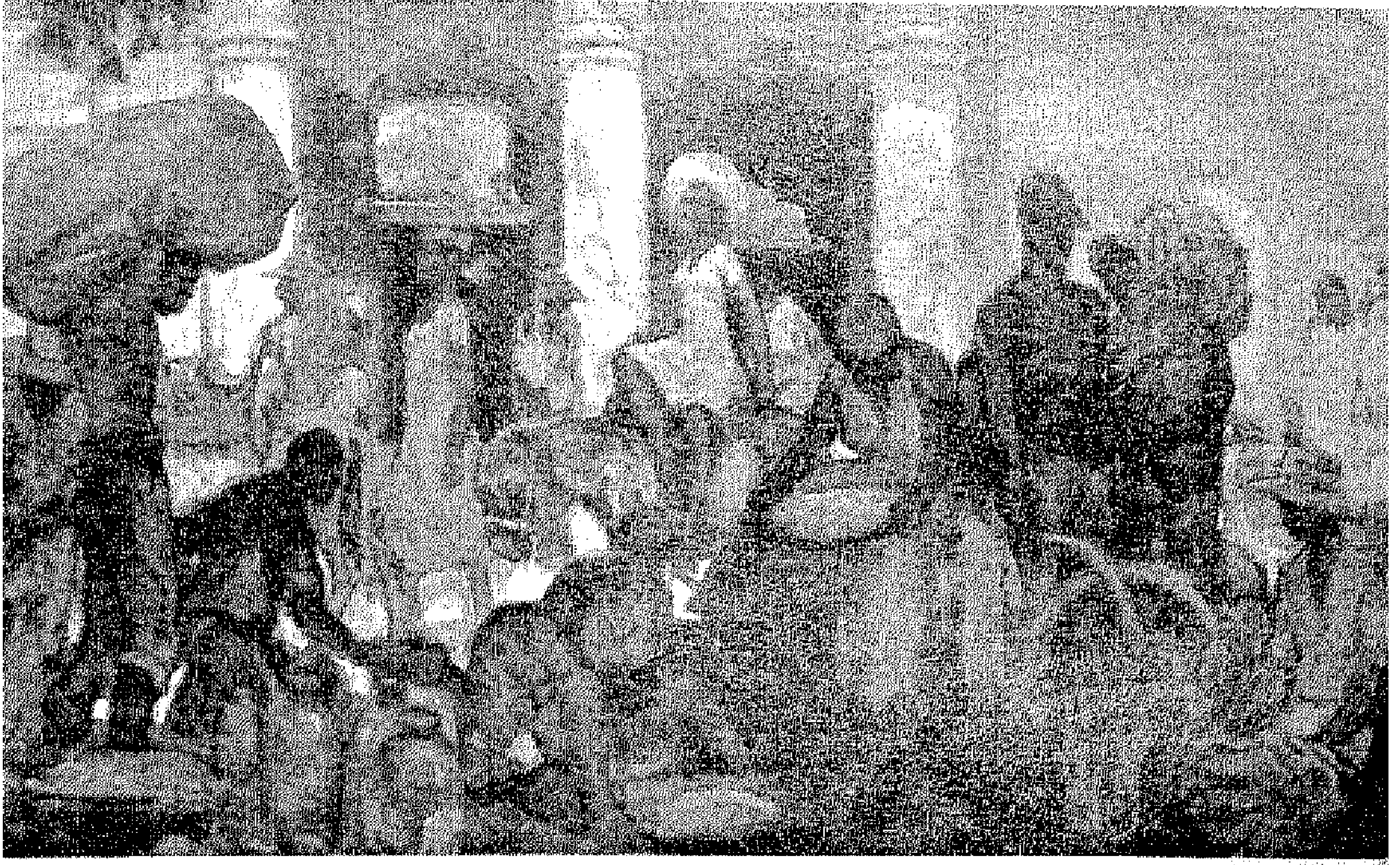
Edward L. Sha

"صيد السمك". بريشة ادوارد بانيستر (١٨٢٨ - ١٩٠١). وقد ضاعت لوحته التي ربحت جائزة العيد المئوي الأول للولايات المتحدة، اما لوحة "صيد السمك" الزيتية فقد رسمها في العام ١٨٨١.

لم يسمح له بالدخول في البداية لكونه زنجياً.

ولم يكن التحيز العنصري الا عقبة واحدة ضمن عقبات كثيرة. فقد كان من المألوف ايضاً ان يجد الفنانون السود انفسهم في مواجهة الاعتقاد القديم الشائع بان الزنوج مجردون من موهبة الفن الجميل، على رغم ثبوت مهارتهم الحرفية. ويقال ان بانيستر قرر ان يتخذ الفن مهنة له بعد ان قرأ في العام ١٨٦٧ مقالا في جريدة "النيويورك هيرالد" جاء فيه: "يبدو ان الزنجي مؤهل لتذوق الفن، وان يكن من الواضح انه عاجز عن انتاجه".

ولا عجب اذا اتجه الفنانون السود الاوائل الى التركيز على صور الاشخاص والمناظر الطبيعية، وهي



"سوق في هاييتي"، بريشة وليم سكوت (١٨٨٤ - ١٩٦٤)، وكان الفنان يمارس الرسم الزيتي اضافة الى رسم اللوحات الجدارية، وهو درس مع تانر في باريس، ويعود تاريخ رسم هذه اللوحة الزيتية الى العام ١٩٥٠.

"درس البانجو" • لوحة زيتية من العام ١٨٩٣، رسمها هنري اوساوا تانر (١٨٥٩ - ١٩٣٧) • وهو درس على توماس ايكنز في اكاديمية بنسلفانيا للفنون الجميلة، وانتقل بعد ذلك الى باريس• وشملت اعماله كثيراً من الموضوعات الدينية، واشترتها المتاحف الامريكية الكبرى وكذلك المتاحف الفرنسية•

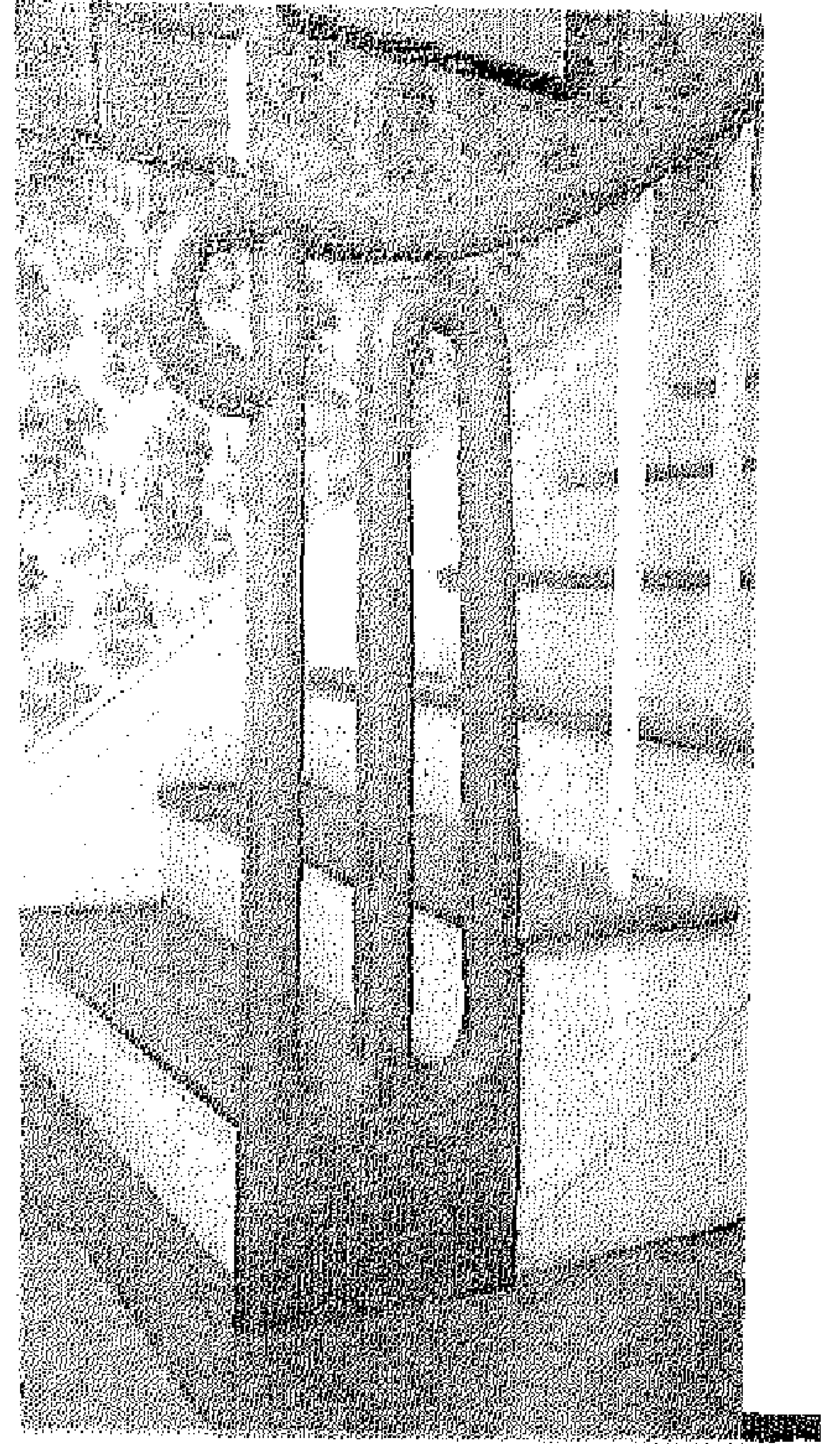


Hampton Institute, Hampton, Viginia

ـنتصف الصيف في هارلم" • لوحة زيتية بريشة بالمر هايدن (١٨٩٣ - وهو احد الفنانين الذين استمدوا املا جديداً وتحقيقاً لذاتهم من حركة "نهضة لتي برزت في العشرينات من هذا القرن•



"منظر طبيعي في الخريف"، ١٩٤٠، لوحة زيتية على الخشب استخدم فيها الخشب المحروق. وهي من انتاج هوارس بيبين (١٨٨٨ - ١٩٤٦) الذي يعتبر اعظم اساتذة الفن البدائي لدى الزنوج. وكان بيبين يعمل وهو يعاني شللا جزئياً في ذراعه اليمنى نتيجة حرق اصابه في الحرب العالمية الأولى.



"بئر السلم". هذا العمل هو للفنان توماس داي، الذي اكتسب شهرته وثروته كناقش في الخشب اقام ورشته في كارولينا الشمالية عام ١٨٢٣.

"رتق الجوارب". لوحة زيتية رسمها عام ١٩٢٤ ارشيبالد موتلي الابن. وهو نشأ في رحاب "نهضة هارلم" في العشرينات، واشتهر برسومه عن حياة السود.



تمثال يتميز بقوة الملامح، من الخشب والقماش المطلي. وهو من اعمال سارجنت جونسون (١٨٨٧ - ١٩٦٧). ويرجع الى العام ١٩٣٣، ويبرز فيه تأثر الفنان بالنحت المصري.





Mr. and Mrs. Peter H. Tillon

"شابة على اريكة حمراء"٠ هذه لوحة زيتية تعود الى العام ١٨١٠، من رسم جوشوا جونستون (١٧٦٥ - ١٨٣٠)٠ وكان هذا محرراً يرسم لوحاته بطلب من الاغنياء٠



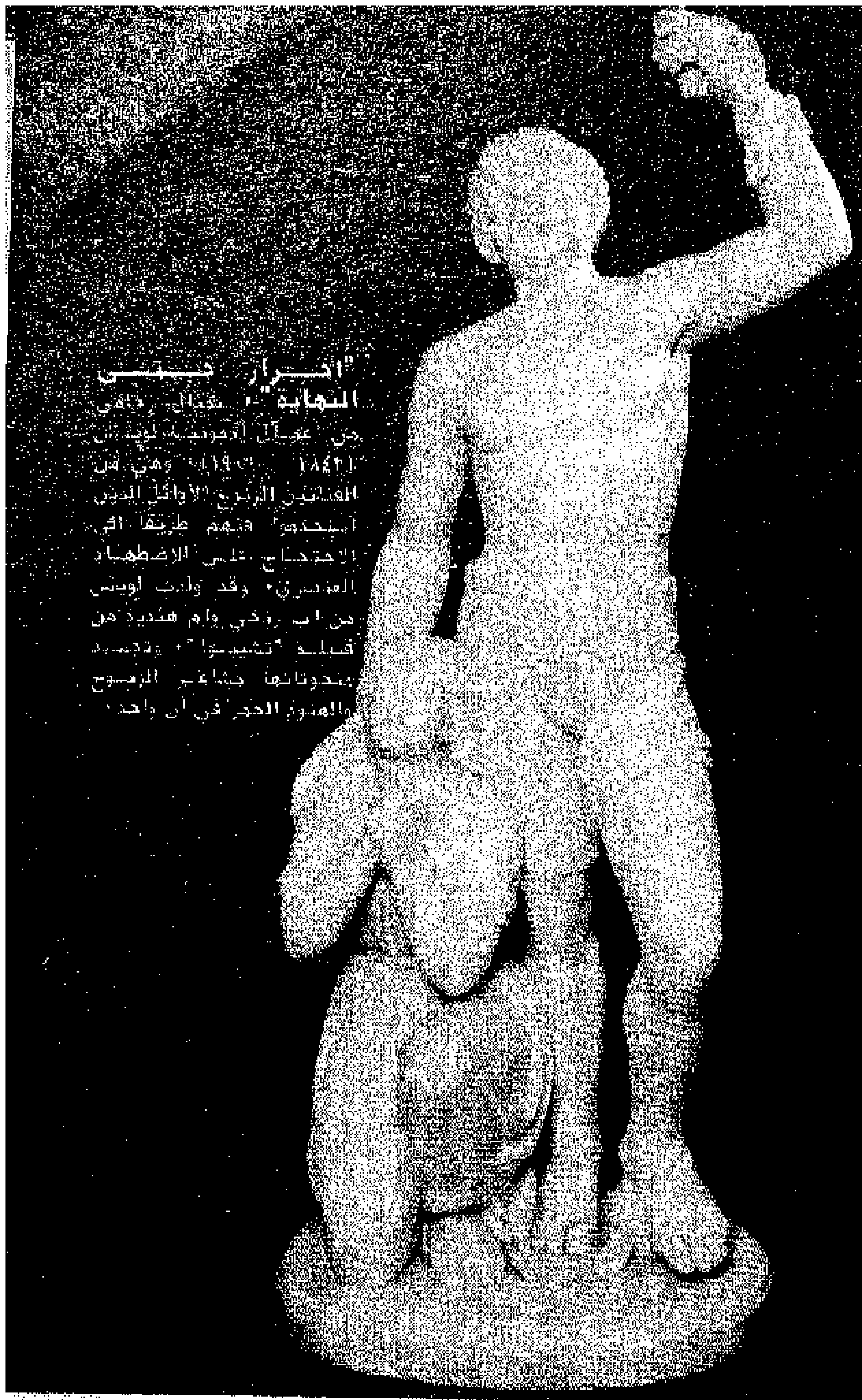
Louisiana State Museum

جون اودوبون، الفنان وعالم الطيور الامريكي٠ نقشها على الحجر جول ليون، وهو فنان اسود يعود اليه الفضل في ادخال التصوير على الواح فضية الى نيو إنغلاند (شمال شرق الولايات المتحدة) من موطنه فرنسا في العام ١٨٤٠٠ ويعد اودوبون (١٧٨٣ - ١٨٥١) اعظم رسام للطيور والحياة البرية انجبته امريكا الشمالية٠ اما الأمر غير المعروف جيداً فهو انه ولد في هاييتي من ام خلاسية وأب كان ضابطاً في البحرية الفرنسية٠

rothy B. Porter.



"عبد راكع"٠ هذا نقش يرجع الى العام ١٨٣٥ من اعمال النيويوركي الحر باتريك ريزون٠ وقد استعان ريزون (١٨١٧ - ١٨٥٠) بفنه لمناهضة نظام الرقيق؛ وكانت نقوشه ومطبوعاته الحجرية المتعلقة بالسود مرجعاً اساسياً لكتابات انصار تحرير الرقيق٠



"احرار حتى النهاية"، تمثال رخامي من عمل ادمونيا لويس (١٨٤٣-١٩٠٠)، وهي اول الفنانين الزنوج الاوائل الذين استخدموا فنهم طريقا الى الاحتجاج على الاضطهاد العنصري. وقد ولدت لويس من اب زنجي وام هندية من قبيلة "تشيبيوا"، وتجسد منحوتاتها مشاعر الزنوج والهنود الحمر في آن واحد.

Photo: J. Wells, Gallery of Fine Art, Howard University



"الرجل"، ١٩٦٥، رسم بالفحم من عمل جون بيغرز (ولد عام ١٩٢٤)، وهو رئيس قسم الفنون في جامعة تكساس الجنوبية في مدينة هيوستون.

Golden State Mutual Life Insurance Co.



"الام وطفلاها"، ١٩٧٢، تمثال من خشب الجوز الاسود، من عمل سلمى بيرك (ولدت عام ١٩٠٠)، وهي عملت ممرضة ثم انصرفت الى ادارة مدرسة الفن والنحت في مدينة نيويورك.

Collection of the Artist; Photo: North Carolina Museum of Art

"لعب"، ١٩٦٩، من عمل ريتشارد هنت، وهو ولد في ١٩٣٥، ويمثل الجيل الشاب من النحاتين الزنوج، واداته في العمل هي مصباح اللحام.

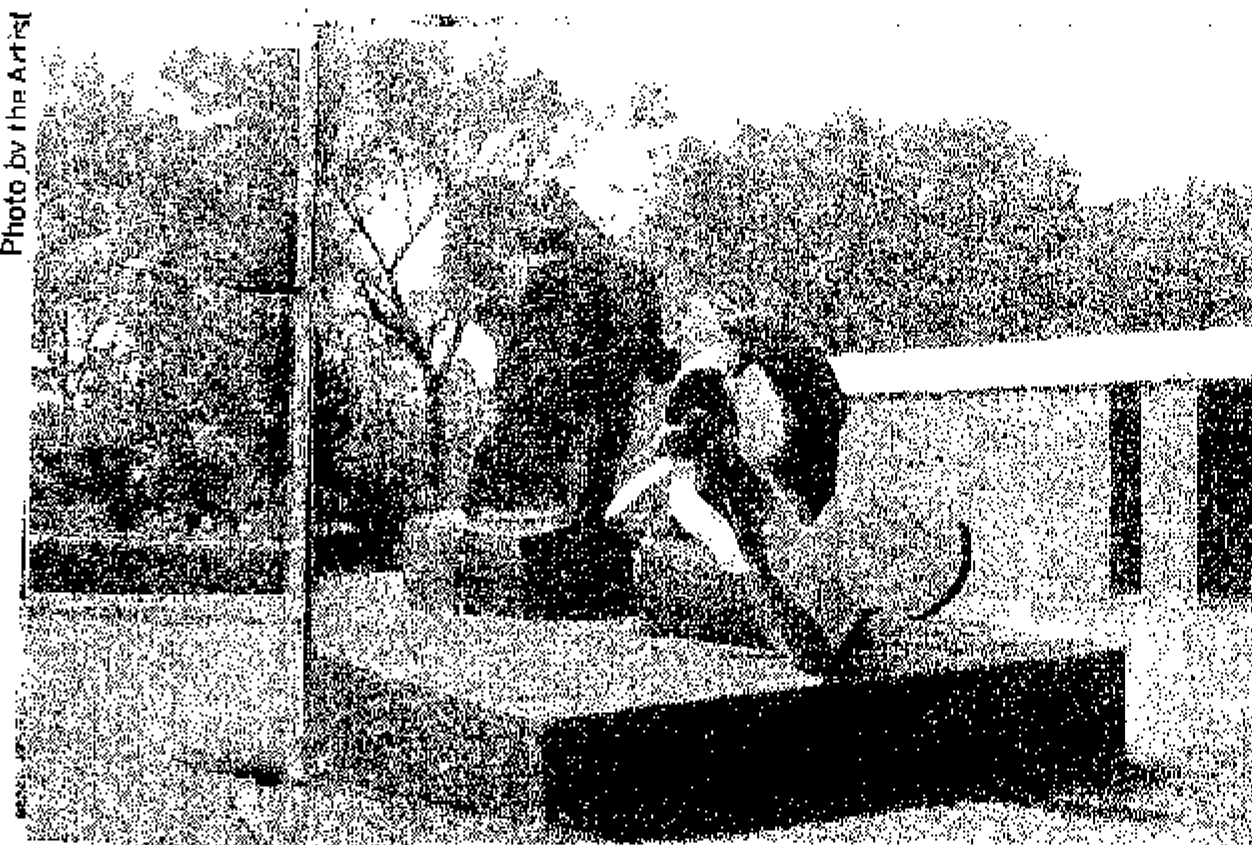


Photo by the Artist

اخي"، ١٩٤٢، رسم بالزيت على لوحة من خشب، من عمل جون ويلسون (ولد عام ١٩٢٢) هو يعمل في التدريس الى جانب ممارسة الفن.

"ضحية الغوغاء"، ١٩٤٤، لوحة زيتية من عمل لويس جونز المولودة عام ١٩٠٥، وهي فنانة متعددة المواهب، وتشمل اعمالها مناظر تمثل الظلم الاجتماعي، ورسوماً على انسجة اصطناعية.

"اصحب امي الى البيت"، ١٩٥٠، هذا رسم بالحبر الصيني والحبر الملون من عمل تشارلز وايت، وقد ولد في جنوب مدينة شيكاغو (ولاية الينوي) عام ١٩١٨، وبدأ يمارس الرسم على ستائر النوافذ التي خاطتها امه.

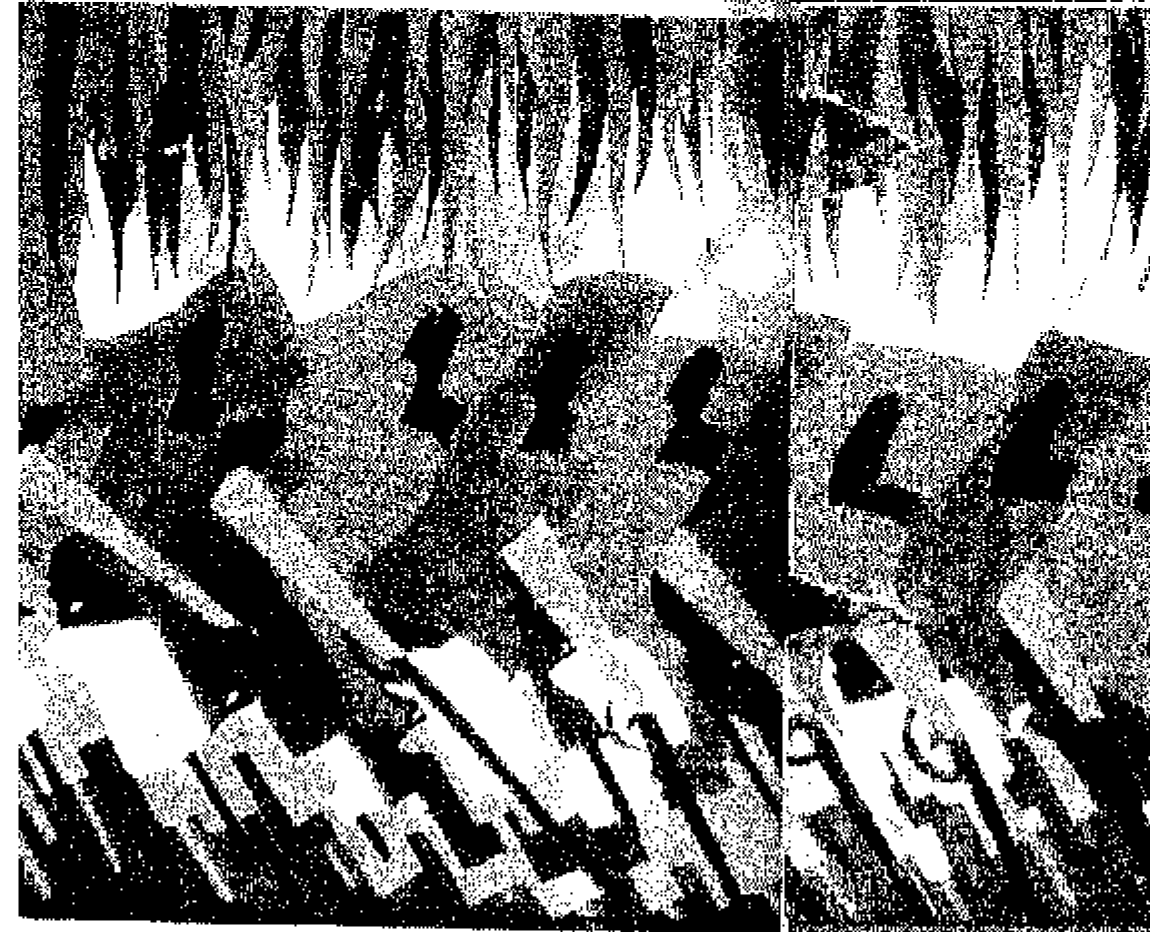



Metropolitan Museum of Art

"سقيفة الحطب"• لوحة ملصقة على لوح خشبي انتجها عام ١٩٦٩ رومار بيرون (ولد في ١٩١٤)، الذي ربما يعد اليوم افضل فناني الملصقات•


Collection of the Artist

"دعوا شعبي يرحل"، ١٩٤٧• رسم زيتي على الخشب من عمل آرون دوغلاس• وهو رسام ومصور وصانع لوحات جدارية ولد عام ١٨٩٨• ويبرز الاثر الافريقي في كثير من اعماله من خلال الاشكال ذات الزوايا الحادة وتوزيع الضوء الذي يوحي بجو صوفي•


Aaron Douglas Collection, A.M.A.C.

رسم مائي على الورق من عمل جاكوب لورنس في ١٩٣٨• وهو من رسامي الفن البدائي المحدث، ولد عام ١٩١٧ واشتهر برسمه الروائي عن تاريخ الزنوج•



"مهرجو هارلم"• رسم بالزيت والغراء على لوحة من الياف الخشب المضغوطة، من عمل تشارلز سيبري (ولد عام ١٩١٤)•

موضوعات ضعيفة الصلة بحياة السود• فقد كان اسيادهم ومناصرو فنهم من البيض• وكان فنهم، وهو من افضل ما شهدته تلك الفترة، تجمعه المتاحف والهواة في اوروبا وامريكا•

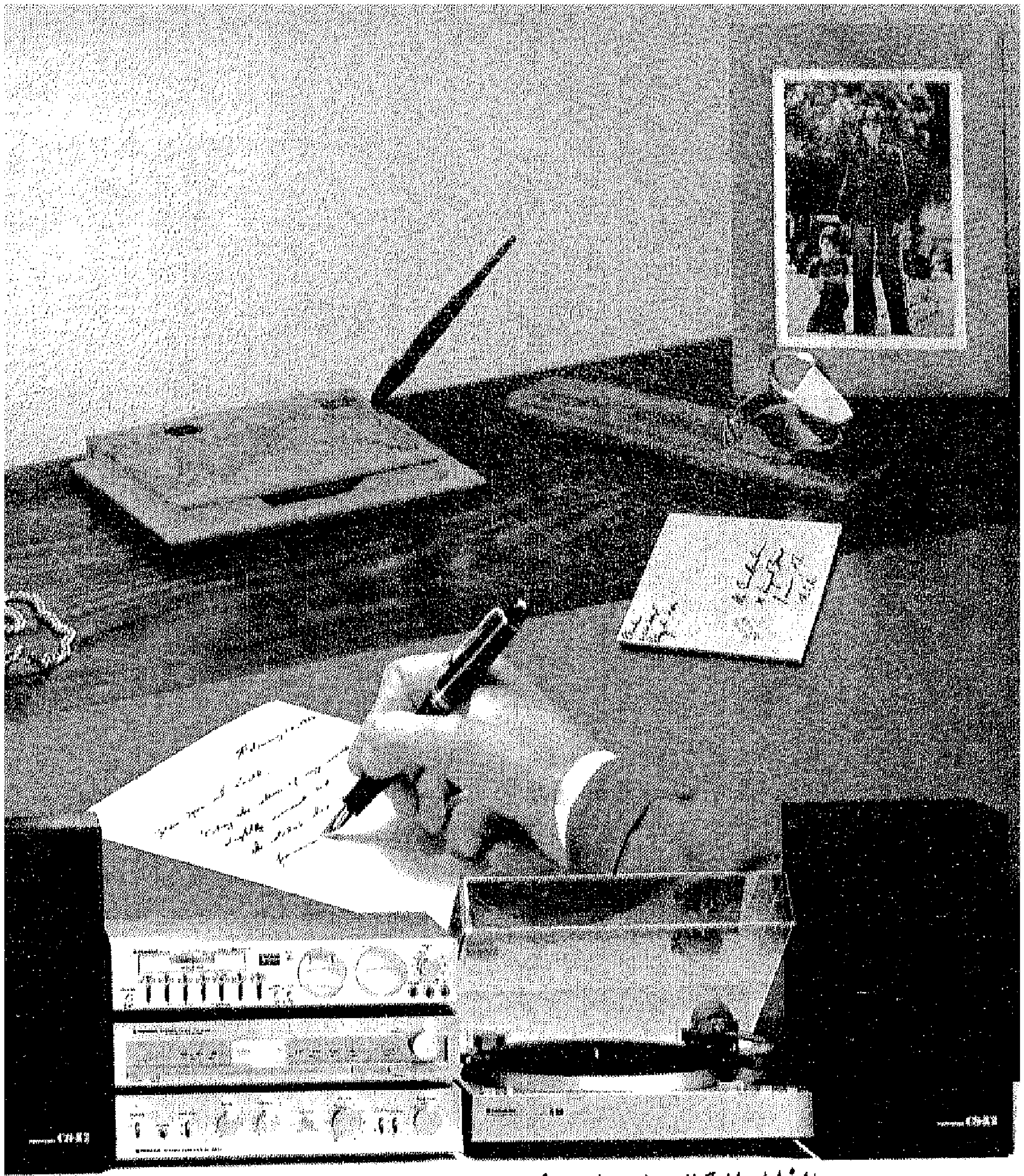
واستمر الامر على هذا النحو حتى العشرينات من القرن الحالي، حين ظهرت نهضة هارلم التي تميزت بالنشاط الادبي والابداع الفني البارزين، وحولت فن الامريكيين السود وأدبهم من المحاكاة التقليدية للكتاب والفنانين والموسيقيين البيض الى الاستكشاف الواعي الدقيق لثقافة السود على نحو ابرز المشاعر الجديدة بالثقة والاعتزاز•

وأفعمت نهضة هارلم قلوب السود بالامل المتجدد وبالاحساس بالذات والتفاخر بتراثهم الافريقي• وبدأ الفنانون السود يركزون على موضوعات ترتبط بحياة الزنوج، فأنتجوا فناً يتميز بالجمال وبالسمات العرقية•

والآن، مع ازدياد التقبل العام للفنانين السود ولاعمالهم، اصبح السود يتمتعون بالحريات نفسها التي يتمتع بها سائر الفنانين في امريكا، خصوصاً حريتهم في رسم ما يشاؤون والحصول على التقدير الذي يستحقه انتاجهم• ويقول الفنان جون بيغرز: "يتميز فن السود بدفئه وخصبه وعمقه"•

وقد نقلت معظم اللوحات المنشورة مع هذا المقال من معرض "٢٠٠ عام من فن السود في امريكا"، الذي اقامه في ١٩٧٦ - ١٩٧٧ متحف الفنون في مقاطعة لوس انجيليس في ولاية كاليفورنيا الامريكية•

■ بونشيتا بيرس



Mini Hi-fi System النظام الجديد "ميني هاي - فاي"

هل موسيقاك من ضمن كنوزك الخاصة ؟

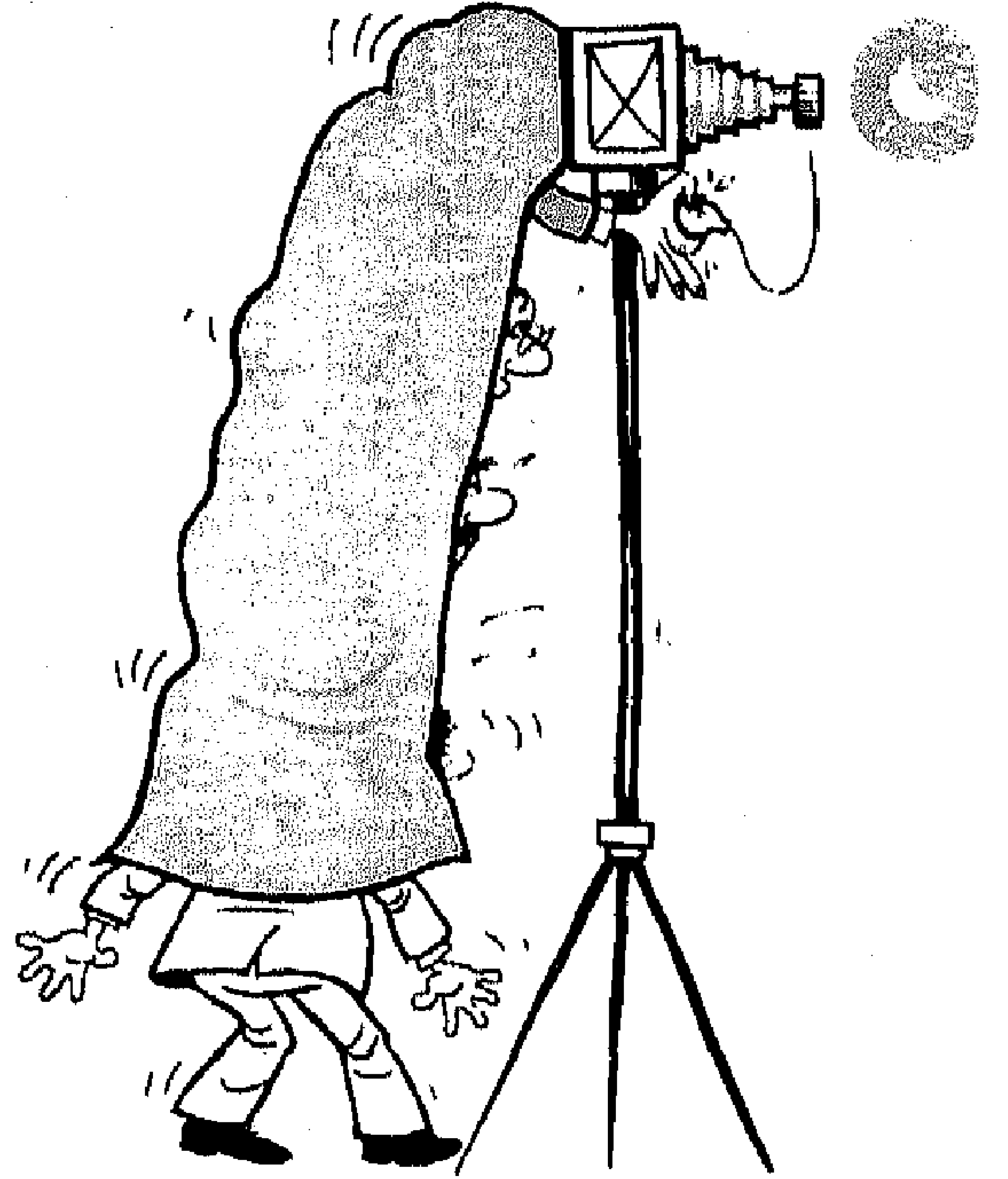
بايونير تعلم أهمية موسيقاك الخاصة. وتدأب دوماً أن لا يعكر أي شيء صفو العلاقة الشخصية بين الموسيقى ومحبيها. لذلك، تقدم لك اليوم نظام "الميني هاي - فاي" للموسيقى كنظام شخصي. صُمم بشكل تناسق ليستعمل بسهولة وليلائم متطلبات هوايتك. طاقته الموسيقية ضخمة بشكل يملأ أجواء منزلك بكل أبعاد الصوت والموسيقى.

وخلافاً للكثير من الأجهزة الأخرى، فإن نظام بايونير "ميني هاي - فاي" هو نظام كامل للموسيقى. "بيك آب" يعمل بالدفع الشريطي المباشر، مضخم للصوت بطاقة ٤٠ وات للقنال الواحدة، جهاز استقبال AM / FM، ونظام لمكبرات صوت ثنائية الاتجاه، بالإضافة إلى كاسيت "دك" فريد مناسب. ثم، فقط بايونير تحافظ كلياً على وحدة الشكل والتصميم. صغير الحجم، ليس تماماً.. فحجمه يضمن قدرته الفائقة على الأداء.

ولتحافظ على تنسيق وجمال غرفتك يمكنك أيضاً اختيار حامل خاص مناسب للنظام. لكن، لم لا تستمع لنظام "الميني هاي - فاي" الآن. إنه نظام "الهاي - فاي" الذي يظهر مدخراتك الموسيقية بلمسة شخصية.

PIONEER بايونير

Pioneer Electronic Corporation 4-1, Meguro 1-chome, Meguro-ku, Tokyo 153, Japan



صور من الحياة

التهب الوداع... فأحرق!

اوحى الي مقال قرأته في صحيفة نسائية بأني اعد زوجة مخفقة ان لم اودع زوجي كل صباح بقبلة مصحوبة بتمنيات التوفيق، واجعله يشعر باهميته، واقنعه بأني مؤمنة بقدراته. وفي الصباح التالي صحت بزوجي وهو على اهبة الخروج:"رافقتك السلامة يا حبيبي". وظللت اعانقه واقبله على طول المسافة حتى الباب الخارجي وانا اقول:"حظاً سعيداً، مع السلامة". وكانت ابنتانا المراهقتان ترتديان ثيابهما استعداداً للذهاب الى مدرستهما حين سمعتا ضجة الوداع الحار. فاندفعتا بدورهما خارجتين وهما ترسلان القبلات وتصيحان بصوت واحد:"مع السلامة يا بابا ،حظاً سعيداً". وهنا دفع ابوهما عن نفسه ضمة اخيرة من ذراعي، ورماني بنظرة ملؤها الفزع، وصاح:"الى اين تحسبينني ذاهبا؟"

ب. و.

ثروة لا تقدر بثمن

قال رالف والدو امرسون، الاديب والشاعر الامريكي (١٨٠٣ — ١٨٨٢):"عندما اشتريت مزرعتي، كنت اجهل قيمة الصفقة الفعلية. ولم اكن ادري اني حصلت على ثروة من الطيور المغردة من انواع كثيرة. وكأني قد اشتريت كل رائع من شروق الشمس وغروبها".

م. ر.

سوء فهم

قصدت احدى الفتيات الجميلات فناناً شهيراً وطلبت اليه ان يرسمها بلا ثياب في مقابل خمسة آلاف دولار. لكنه رفض قائلا ان ذلك يتنافى مع مبادئه. وبعد اسبوع عاودت طلبها وهي تعرض عشرة آلاف دولار. لكنه رفض مرة اخرى. وفي المرة الثالثة عرضت عليه ٢٥ الف دولار، فطلب مهلة ليفكر في الامر.

وفي اليوم التالي حدثها هاتفياً واخبرها انه يوافق بشرط واحد، قائلا:"يجب ان البس جوارب على الاقل، لاني احتاج الى مكان اضع فيه فرش الرسم".

س. ب.

شريعة الغاب

كان ثلاثة من حيوانات الغابة يتجادلون حول ايهم اكثر ارهاباً. فادعى اولهم، وهو الصقر، ان قدرته على الطيران تمكنه من الانقضاض المتكرر على اي مخلوق من غير ان تتاح للفريسة ادنى فرصة. اما الثاني — وكان اسداً — فقد اسس دعواه على قوته التي لا يجرؤ على تحديها احد في الغابة. وكان الثالث قنفذاً اصر على انه لا يحتاج الى الطيران ولا الى القوة، وانما تكفيه الرائحة الكريهة التي يستطيع اطلاقها. وفي خضم الجدال الدائر، تقدم دب ضخم وابتلع الثلاثة — الصقر والاسد والقنفذ النتن الرائحة.

على الحدود النمسوية ـ الايطالية تحول ممر عسكري قديم، بفضل جهود ضابط جيش نمسوي، الى نصب تذكاري للاخاء بين الشعوب، وكأنه يقول: "عفا الله عما سلف...وطوبى لصانعي السلام".

طريق السلام

عندما كان وولتر شومان يتجول مع زوجته وابنه البالغ من العمر ثلاث سنوات ذات يوم من صيف ١٩٧٢ في منطقة الدولوميت على الحدود النمسوية ـ الايطالية، عثر على ممر حربي غطته النباتات البرية. وبصفته مؤرخاً في الجيش النمسوي، فهو كان يعلم ان الممر استخدم في حملة الدولوميت خلال فترة ١٩١٥ ـ ١٩١٨ من الصراع النمسوي ـ الايطالي كحمام دم شهد هلاك اكثر من ٧٥٠ ألف نسمة. وقاده الممر الى ما اثار في نفسه ذكريات تلك الحرب المروعة: خنادق مليئة بالانقاض وعوارض متهالكة متآكلة كانت تغطي المخابىء العسكرية وكهوف تموين اصبحت خاوية. واذ كان ينبش في احد الخنادق، التقط شومان بوصلة جيب لاحد الضباط، وكانت من الفضة المدموغة وتحمل التاريخ ١٩١٤.

وفيما كان يراقب ابنه وهو يلعب بين صفين من الخنادق، تراءى له كأنه صورة لوالده هو ـ ذلك الوالد الذي حارب هناك وطالما تحدث عن تلك الحرب. وطغى الانفعال على شومان الذي يتذكر انه، في تلك اللحظة، قرر تحويل المنطقة الى اثر باق ينادي، بعد مرور ثلاثة اجيال، بالصفح ونسيان الماضي.

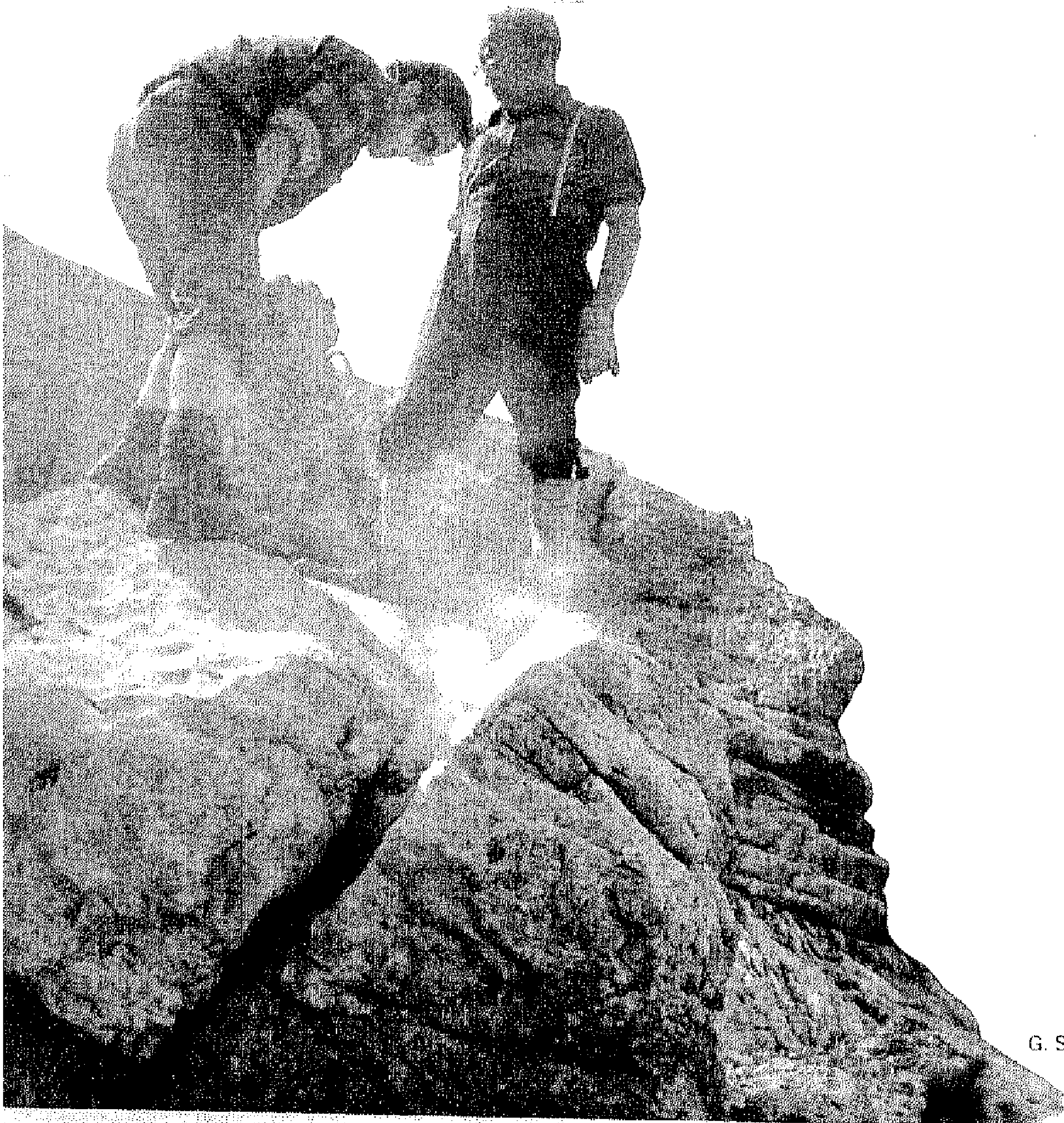
وفي طريق هبوطهم من موقع كول دي لانا الواقع على ارتفاع ٢٤٦٢ متراً، كان شومان - وعمره آنذاك ٤٩ عاماً - يعد خطة لبناء نصبه التذكاري. لقد صمم على اعادة بناء اجزاء كبيرة من الخطوط الامامية كي تستمتع بها كلتا الامتين اللتين تحاربتا يوماً عليها، وعلى تحويل وسائل النقل العسكرية الى شبكة من الممرات بين الجبال تسهيلا لاستجمام الجوالة وناشدي الخلاء والمخيمين. وسوف يكون ذلك اعظم المتاحف الحربية في اوروبا

واكثرها غرابة. وربما نجح في شفاء الجروح الدفينة والتئامها الى الابد بعد ذلك الصراع البعيد.

ولدى عودته الى فيينا، بدت الفكرة جنونية لاصدقاء شومان من اعضاء الرابطة النمسوية لجبال الالب. وذكروه بأن هناك نحو ٤٥٠ كيلومتراً من الطرق العسكرية في ذلك الموقع، وانه لم يبق شيء على حاله.

ونصحه احد اصدقائه، وهو بناء محترف، بأن ينسى مشروعه غير العملي. وقال له:"ستكون في حاجة الى مئات المعاونين. وهب انه امكنك ان تجدهم، فكيف لك أن تدفع نفقات المعدات الخاصة التي ستحتاج اليها؟ ان مشروعك غير ناجح". ورأى رفقاء السلاح في فكرة زميلهم العقيد رأياً مخالفاً له، وقال احدهم لشومان:"لنتصور فقط ما سيفعله الايطاليون عندما يجدون ضابطاً نمسوياً يحاول اعادة بناء منشآت عسكرية على الحدود. من ناحيتهم، سيعتقدون انك تدبر غزواً".

هذه الاعتراضات كانت كلها معقولة. لكن شومان صمم على المضي قدماً، فحصل على اجازة بلا راتب من



G. Schaumann

الجيش كخطوة اولى، وسحب معظم مدخراته من المصرف لتغطية النفقات الاولية، ثم اخذ من زوجته صندوقاً لحفظ النقود، وعندما سألها عن رأيها في ما يكتب عليه، اقترحت عبارة: "طريق السلام"، واعجب شومان بالتسمية فاستقرت.

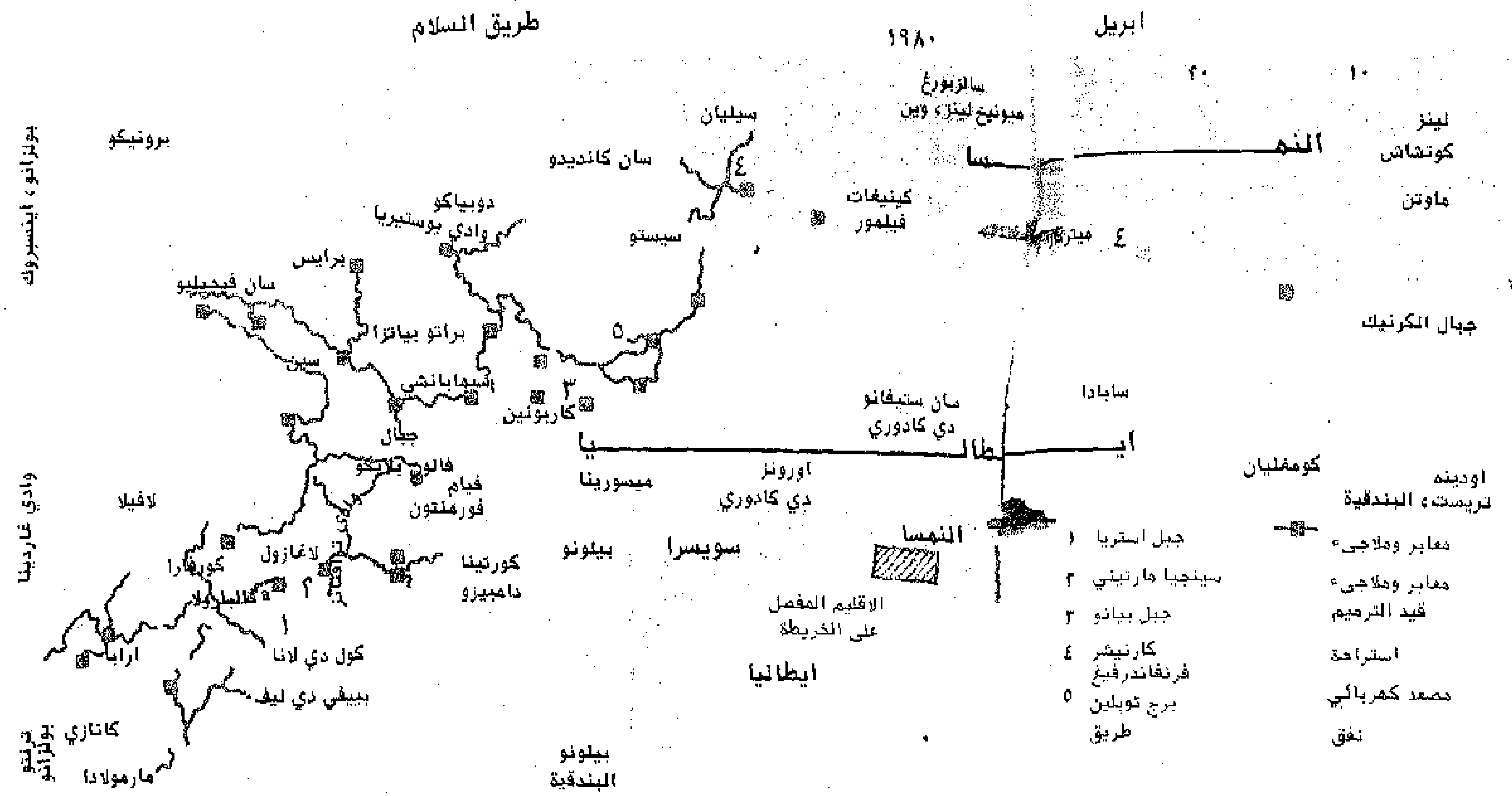
وكخطوة تالية، شرع شومان وزوجته في اعداد المادة الاعلامية للمشروع بهدف ارسالها الى دوريات رياضة تسلق الجبال وجمعيات جبال الالب، واحتوت نداء للزائرين المتطوعين كي يساهموا في المشروع، لكن آمال شومان في هذا النوع من المساعدين لم تكن كبيرة.

بريد المفاجآت — غير أن البريد العائد حمل معه المفاجآت، فقد كتب عشرات المتطوعين من النمسا والمانيا الغربية وبلجيكا وهولندا، بل ان مجموعات كاملة تقدمت، مثل قطاع الشباب في جماعة اصدقاء الطبيعة في فيينا، ومجموعة الشباب من رابطة جبال الالب النمسوية في براوناو، مسقط رأس ادولف هتلر.

وعكف شومان على التخطيط للمتطوعين بدقة عسكرية، فأعد قائمة بحاجته من المعدات، ابتداء بالمعاطف وانتهاء بالمركبات ذات العجلات الاربع، وقائمة اخرى باسماء المتطوعين النمسويين المحتملين، ثم بدأ مناشدة مديري المصارف ورجال الاعمال والرسميين الحكوميين والمقاولين ورؤساء الجمعيات العسكرية وجماعات المحاربين القدامى.

وجاء ربيع ١٩٧٣ بالمفاجأة الثانية: لقد بلغت الهبات من الاموال والمعدات حداً يكفي عمل المتطوعين في مشروع شومان طوال فصل بناء كامل، فلديه المعاطف، ولديه عدد من البغال وسيارتان أهداهما اليه اكبر منتج للسيارات في النمسا، لكن الشيء الوحيد الذي لم يحصل عليه بعد كان التعاون من جانب الايطاليين، علماً بأن معظم الاشغال التي اقترح تنفيذها كانت على الاراضي الايطالية.

ومرة اخرى صمم شومان على المضي في طريقه، فالممرات باتت مفتوحة للجميع، ثم تدخل الحظ السعيد، فقد زاره ذات يوم الحاكم الايطالي لمنطقة الالب، الكولونيل رافاييل كارليسيمو الذي كان قد سمع بنشاطات النمسويين، وحين سأله

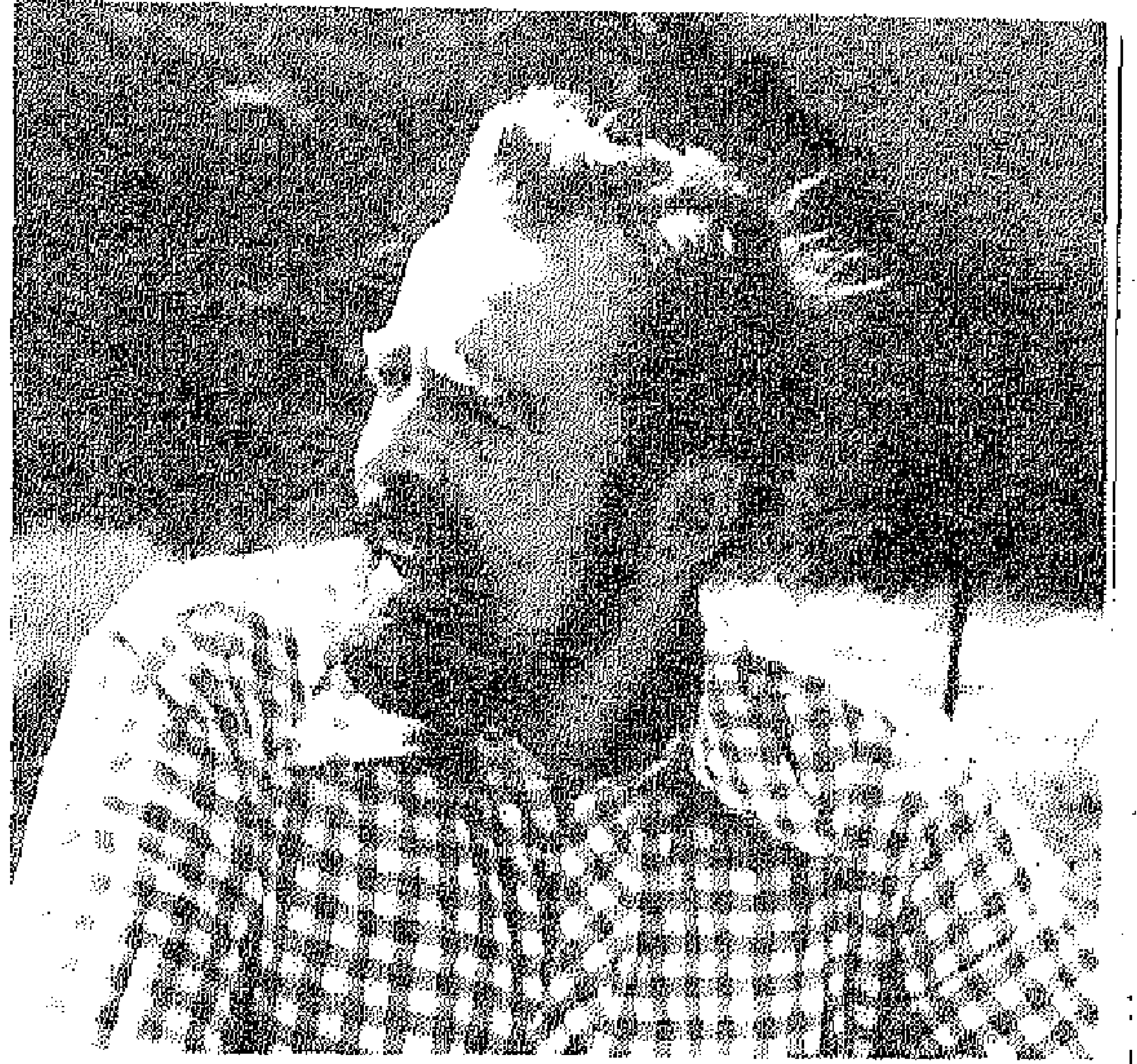


الكولونيل: "هل استطيع ان اقدم اليك اي مساعدة؟"، اجاب شومان بغير اكتراث: "شكراً على اهتمامك هذا". ثم طلب السماح باستعمال ثكنات ايطالية مهجورة، تقع في المنطقة المجاورة، كمأوى اضافي، وبعد يومين عاد القائد الايطالي بوجه يشع سروراً وهتف: "يسعدني ان تكون، ابتداء من هذه اللحظة، اول قائد نمسوي لثكنات ماريو فيريجليو".

وكان لزيارة كارليسيمو الودية آثار اخرى: مقالات في الصحف، وتعاون وثيق من النوادي الايطالية، وافواج من المتطوعين الايطاليين. والحق ان نسبة الايطاليين كانت تمثل، على الاقل، ربع المتطوعين السبعمئة والثلاثين الذين اعانوا شومان طوال سنوات، بينما كان ثلث الباقين من الناطقين الالمانية. اما الآخرون فكانوا من البلاد الاوروبية الاخرى، وكانت دوافعهم قوية، وإن تنوعت. وحول هذا يقول برونوغالاروتي من بلدة بييف دي كادوري، وهو ابن جنرال ايطالي: "كان ذلك، بالنسبة الي، تدريباً على توحيد اوروبا". ويقول فريديريك تسيشتلر، وهو طبيب في الشرطة من بلدة لوبن النمسوية، انه حضر من اجل "روح الزمالة القديمة"، بينما تعلن طالبة من مرسيليا تدرس علم النفس انها تطوعت لتنجز شيئاً ملموساً من أجل التضامن العالمي، لا لتتكلم عنه فقط.

أفواج أفواج — وايا تكن دوافعهم، فالمتطوعون يعملون افواجاً متناوبة

لمدة اربعة عشر يوماً: يحملون اثقالا الى قمم حادة، ويستخدمون ادوات ضخمة لمعالجة الصخر العنيد،


وولتر شومان

ويجرفون الحجار بعربات يدوية... كل ذلك في الهواء الرقيق الذي تتصف به المرتفعات العالية. وفي نهاية الاسبوعين يحل محلهم فوج جديد.

واستطاع المتطوعون حتى الآن اعادة بناء تسع قناطر وثلاثة معسكرات موقتة وكوخين، واكمال شبكة من الطرق والممرات طولها ٣٠٠ كيلومتر، ومعظمها يغري بالمشي.

ويجب على المتسلقين الاستعانة بخريطة تاريخية لحملة الدولوميت، أو بأحد الكتب السياحية التي وضعها شومان، للتعرف على الممرات نظراً الى ضآلة علامات الطرق. وقد اصبح العسكريون النمسويون والايطاليون، خلفاء المحاربين في فترة ١٩١٥ – ١٩١٨، أعظم معاوني شومان على الاطلاق. فالايطاليون يزودونه كل عام بعشرة اشخاص ذوي دراية بجبال الالب، وهم طبيب وطباخان وسبعة مكاريين للبغال. وذات مرة خف الجيش النمسوي لنجدة شومان واضعاً في تصرفه طائرتي هليكوبتر لنقل الاسمنت والخرسانة اللازمين لاعادة بناء أسس كوخ بورتسي الواقع على ارتفاع ١٩٠٠ متر على الجانب النمسوي.

وفي العام ١٩٧٥ ظل شومان، ومعه مئة متطوع، يكدحون طوال الفصل لاعادة بناء جسر خشبي بديع عبر واد يبلغ عمقه ٤٠٠ متر. وفي يوم الافتتاح شوهدت جماعة من الوجهاء المحليين يصاحبهم فريق من التلفزيون الايطالي. وعلق مقدم البرنامج التلفزيوني على المناسبة، واضعاً اياها في اطار رمزي، قائلا: "في هذا الموقع كان يقوم جسر طالما خدم اغراض الحرب". واضاف: "اما اليوم فاعيد بناؤه ليجمع شمل الناس بسلام".

وكانت هناك رموز تقدير اخرى مماثلة طوال الافتتاح. الا ان شومان سعد بنوع خاص عندما رفع الدكتور رودلف كيرشليغر، رئيس جمهورية النمسا، قبعته تكريماً له، قائلا بالالمانية: "ان طريق السلام هو المسار الذي يتخطى الخلافات القديمة ويقود الى مستقبل افضل. انه السبيل الصحيح لتعزيز التفاهم بين الشعوب".

وبفضل تفاني شومان، فان الاجيال القادمة من محبي الطبيعة وعاشقي التاريخ لن يفكروا، وهم يتجولون عبر هذه الممرات، في وحشية الانسان تجاه اخيه الانسان فحسب، بل في عبقرية السلام واثره الساحر الشافي أيضاً.

■ اينجه سانتنر



Illustration Huntley Brown

الشرطي الروحاني

انه ظاهرة غريبة: يكشف الاحداث قبل وقوعها ويتمتع بطاقة تتخطى نطاق الادراك الحسي العادي

في صباح يوم دافىء من صيف ١٩٧٣، كان فريق التصوير يعد العدة، في محل فيرفيو في مدينة تورنتو (كندا)، لالتقاط مشهد لشريط وثائقي دولي عن الظواهر الروحانية. وكان موضوع الفيلم ريغنالد ماكهيو (ريغ)، رجل الامن السري في محلات "شوبرز دراغ مارت" الذي اشتهر باعتقاله لصوص المتاجر بفضل بصيرته التي تتخطى نطاق الادراك الحسي العادي.

وبينما كان الفريق يصمم لقطات التصوير في غرفة خالية من النوافذ قال ريغ: "احس باهتزاز". ثم تنبأ بأن امرأة سمراء ترتدي ثوباً برتقالياً طويلا ستدخل المحل وتسرق صندوقاً ازرق عليه خطوط صفراء. واسرع ريغ ينذر الشرطي السري الذي يعمل في المحل.

وبعد عشر دقائق دخلت المحل امرأة ترتدي ثوب ساري برتقالياً وتوجهت الى فرع الادوية. وفي

طريقها دست في حقيبتها صندوقاً صغيراً. ولدى مغادرتها المحل القى الشرطي السري القبض عليها واصطحبها الى الغرفة الخلفية لاستجوابها. وحين طلب منها ان تفرغ حقيبتها ابرزت صندوقاً مسروقاً يحتوي على اقراص خاصة بالتهابات الحلق. وتملكت الدهشة فريق التصوير. وصاح طوني بوند، مساعد المنتج، مذهولا: "حبذا لو التقطت كاميراتنا هذا المشهد".

وفي اليوم التالي تنكر اعضاء فريق التصوير بملابس موظفي المحل، واخفوا آلة التصوير والمعدات الاخرى في العربات اليدوية الصغيرة الخاصة بنقل البضائع. واستطاعوا ان يلتقطوا، خلسة، صور ريغ وهو يتنبأ بوقوع اربع سرقات تحققت فعلا. وتمكن الفريق من تسجيل مشاهد لكل منها.

بدأت شهرة ريغ ماكهيو كشرطي سري يتمتع بطاقات خارقة عندما باشر عمله، لعشر سنين خلت،مع مؤسسات شوبرز دراغ مارت الناشئة. فتمكن، بفضل غريزته الخاصة او"العون الذي يتلقاه من العالم الآخر" من اعتقال آلاف السارقين بل كثيراً ما القى القبض على سبعة لصوص في اصيل يوم واحد، وعلى خمسين لصاً خلال شهر. وبفضله تدنت الخسائر الناتجة من السرقة في احد المحلات من ٧٥ الف دولار الى ٤٠ الفاً خلال العامين الاولين.

ويشهد كبار المسؤولين ورجال الشرطة السرية في تلك المؤسسات على تفوق ريغ. ويقول باري فيليبس، صاحب فرعي المؤسسة في شارعي جين وفينش في تورنتو: "ليس ريغ شرطياً سرياً عادياً بل لديه موهبة خاصة". ويضيف موراي غروسمان، صاحب مخزن في ساحة ايغلنتون في بلدة سكاربورو في ولاية ماين الامريكية: "لقد استخدمنا ريغ على اساس التجريب، لكننا احتفظنا به بعد التحقق من نتائج خدماته. فقد شاهدته في المحكمة مع ثلاثين من لصوص المحلات في وقت معاً".

ويصرح بوبي كاتز، مدير محل "مول" في وستوود: "ان معدل من يقبض عليهم ريغ يفوق ١٥مرة معدل الذين يعتقلهم اي شرطي سري آخر".

ويشير جيم ماكوليمز، احد مديري المبيعات في المتجر، الى قدرة ريغ على منع سرقة المحلات فيقول: "كان تلاميذ المدرسة الثانوية المجاورة يحذرون بعضهم بعضاً من الاقتراب من محلات شوبرز لان احداً لا يستطيع الافلات من هناك".

وقد تعذر على زملاء ريغ ايجاد الكلمات التي تفي بالتعبير عن موهبته، فاكتفى البعض بقولهم: "ان له عينين في مؤخر رأسه". ونسب البعض الآخر موهبته الى نوع من التخاطر (الاتصال العقلي) او الاستبصار (الاحساس بما يحدث خارج نطاق البصر) او القدرة على معرفة الاحداث قبل وقوعها.

ويذكر ريغ انه نبه، مرة، العاملين في شوبرز دراغ مارت في ساحة ايغلنتون الى أنه رأى شاباً يختلس علبتين من الانسولين من ثلاجة الادوية ويدسها في الجيب الايسر من سرواله. وبعد ساعة ونصف ساعة شاهد العاملون في قسم الادوية شاباً يدخل المحل ويسرق الانسولين بالطريقة التي وصفها ريغ.

حاسة سادسة — يقوم القسم الاكبر من عمل ريغ على حل قضايا سرقات

موظفي المحلات التيتشكل نحو ٧٠ في المئة من مجموع مفقوداتها. وكان صاحب احد محلات شوبرز دراغ مارت في تورنتو يلقي مسؤولية ٨٠ في المئة من خسائره على عاتق المستخدمين، غير ان محله بقي عرضة "لتسرب"مستمر لم يقو على تحديد مصدره. وتمكن موراي بورن، ضابط الشرطة السابق في مقاطعة اونتاريو الذي يعمل في مكافحة تسرب البضائع في شركة كوفلر ستورز من حصر الشبهةفي موظفين معينين، ثم قال: "ليس هناك سوى شخص واحد يستطيع حقاً ان يحل هذه المسألة".

فسأله صاحب المحل: "ومن يكون ذلك الرجل؟ " فأجاب: "ريغ ماكهيو".

وسرعان ما بدأ ريغ، ذلك الرجل الناحل الانيق الذي يبلغ طوله ١٨٣ سنتيمتراً، يستجوب المستخدمين في غرفة صغيرة. وما ان تحدث الى الموظفة الثالثة حتى اعلن اختتام التحقيق، وقال لصاحب المحل: "لقد تحدثت لتوي مع اللصة، وانتابتني رعشة وأنا اتحدث معها". وقد كان ريغ محقاً، فعلى اساس هذا القول استجوبت الشرطة تلك المرأة رسمياً، فاعترفت بفعلتها وفصلت من عملها.

ولكن ما هو سر نجاح ريغ؟

يشك بعض زملائه في ان لديه "طاقات خاصة". ويقول برني غلازير، احد نواب رئيس شركة كوفلر: "ان تدربه السابق على اعمال الشرطة يساعده على الاسراع في تقييم المواقف".

وتقول جين سميث، احدىالبائعات في محل فيرفيو: "اظن انه يقوم بعمل جيد. اما عن وجود قوى خارقة للطبيعة لديه فذلك من قبيل الاخراج المسرحي". ويقول الرقيب الاول بوب وايت، الذي يعمل في قسم المحققين وحرس الامن في اونتاريو: "اذا كانت لدى ريغ قوى روحانية فأنا لا اعلم شيئاً عنها".

ومع هذا فان شرطية التحري، نانسي سورد، التي عملت مع ريغ سابقاً في محلات شوبرز والتي تشغل الآن مركز مديرة قسم حماية البضائع في محلات كوفلر في اونتاريو، تقول: "لا يمكن عزو هذه النتائج الى مجرد الملاحظة. ان عمل ريغ ليس بالامر البسيط السهل. قل لي انك لا تؤمن بالقوى التي تتجاوز الحواس فأريك سجل ريغ".

صوت خفي ـ شغف ريغ بعمل الشرطة منذ صباه في كينغستون عاصمة جامايكا. ففي مستهل مراهقته أعطاه والده، وكان ملاحاً في سفينة تجارية، صورة لمجموعة من شرطة الخيالة الملكية الكندية بمعاطفهم الحمراء. وكان ريغ يقضي الساعات الطوال في تأملها، متصوراً نفسه واحداً منهم.

وفي العام ١٩٤٦ هاجر ريغ الى كندا وهو في السادسة عشرة من عره. وعمل موظفاً مبتدئاً في مطبعة لدى شركة تهتم باعداد استمارات العمل. ثم انتقل الى الغناء ودق الطبل في فرقته الخاصة، وتقلب بعد ذلك في سلسلة من الاعمال، فكان حمالا في محطات السكة الحديد وسائق سيارة شحن وعامل تشحيم في محطة الوقود.

وفي العام ١٩٥٦ اصبح ريغ عميلا سرياً لدى شرطة الخيالةالملكية الكندية، يلعب دور الموسيقي بينما يتحرى نشاط اولئك الذين يستخدمون المخدرات على نحو غير مشروع.

وازاء التهديد الذي تلقاه من جانب الذين كان سبباً في ادانتهم، اضطر ريغ الى ترك شرطة الخيالة الملكية في ١٩٥٨ ليعمل في شرطة مدينة شومدي في مقاطعةكيبيك الكندية. ثم عمل شرطياً سرياً في شركة متروبوليتان للتأمين في تورنتو، حيث التقى كيت، المسؤولة عن الاستعلامات، وتزوجها.

وانضم ريغ الى العمل في محلات شوبرز دراغ مارت في العام ١٩٦٧. وذات يوم، بينما كان يجول في محل دراغ مارت في شارع البرلمانفي تورنتو،انتابه "ارتعاش مزعج "امام امرأة في المحل. ويستعيد ريغ الحادثة قائلا: "تبعتها الى الخارج في حذر، ورأيتها تخرج علبة سجائر من تحت ثيابها. وكان واضحاً انها لم تدفع ثمن العلبة. وفي اليوم التالي عدت الى المحل ذاته حيث ضبطت سارق سجائر آخر، وكان صبياً في الرابعة عشرة من عمره. عندئذ قال لي صاحب المحل في انفعال: نستطيع استخدامك بالتأكيد".

وكانت التطورات التالية مذهلة. وترويكيت: "بدأ ريغيشعر بالغثيان في اثناء العمل، حتى اننا اخذنا نتساءل هلسيستطيع الاستمرار. ولكن عندما بدأنا نستجمع ملاحظاتنا ونستخلص منها الوقائع، تبين لنا انه لا يشعر بالغثيان الا حين يقترب من احد اللصوص، وكلما اقترب منه ازدادت حدة الارتعاش".

وذات مرة شاهد ريغ امرأة تتناول شيئاً من فوق احد الرفوف وتضعه في حقيبتها. لكنه لم يستطع ان يتبين بالضبط ما اخذته.فراح يحدق اليها مركزاً نظره على مؤخر رأسها-كأنه عين - وهو يردد في قرارة نفسه: "لماذا لا تستديرين وتريني ماذا تحملين؟ وكم كانت دهشته عظيمة حين اخرجت المرأة علبة من حقيبتها ورفعتها على مرأى من الجميع، وكانت علبة دواء للمعدة، ثم اعادتها الى الحقيبة.

وقبض ريغ على المرأة خارج المحل، وسألها لماذا اقدمت على هذا التصرف، فقالت: "لو اخبرتك لظننتني مجنونة". ثم اعترفت في ذهول: "لقد سمعت صوتاً يقول لي: "اريني! استديري!"

اشبه بالمستحيل - تتخذ اساليب ريغ اشكالا شتى. فهو يجد نفسه احياناً يحدّق الى رف عامر بالبضائع، ويرى ان احدى السلع اختفت موقتاً، وتلك دلالة اكيدة على انها ستسرق لاحقاً. وأحياناً "يرى" شخصاً في زاوية المحل يسرق شيئاً، وما ان يهز رأسه ليطرد الرؤيا حتى يجد ان لا احدهناك. لكنه يدرك ان السرقة ستحدث من دون اي شك. وكانت تحدث بالفعل.

وذات مرة كانت كيت في صحبة ريغ في محل فيرفيو، فأشار ريغ الى امرأة وقال لزوجته: "ها هوذا الشخص الذي سأقبض عليه"، وحين بادرت الشرطةالى تفتيش المرأةعثرت في ملابسها على مسروقات قيمتها ٥،٢٥ دولارات من شوبرز دراغ مارت، كما عثرتفي سيارتها على بضائعمسروقة من محلات "سيمبسون" قيمتها ٣٥٠ دولاراً. وقال ريغ للشرطة: "هناك خاطر يحدثني بوجوب تفتيش منزلها ايضاً". وهناك وجدت الشرطة ملابس مسروقة تقدر قيمتها بثلاثمئة دولار.

وفي العام ١٩٧١ اسس ريغ وزوجته كيت شركتهما الخاصة. وهي "شركة

لتحريات والامن المتحدة"٠ ولم يطل لوقت حتى اصبحت الشركة تستخدم ٣٠ شخصاً، وتتولى مسؤولية الامن في عدد من المؤسسات المعروفة٠ ومع نهاية العام الثاني بدأ الزوجان يوسعان نشاط شركتهما ليشمل انواعاً اخرى من العمل٠فساعدا مرةعلى حل مشكلة ارث معقدة تتناول ١٩ وريثاً بين مفقود ومجهول وغير شرعي تفرقوا في انحاء العالم٠

٠ وعهد ريغ في القضية الى احد المحامين العاملين في مكتبه٠ لكنه خلال نهاية الاسبوع بدأ يحل اسرارها بنفسه٠ وقد قال في هذا الصدد: "توافدت علي الرؤى عن وينبيغ، وشاهدت امرأة كانت تعمل في شركة الطيران الكندية منذ ١٥ عاماً٠ وحين راجعت محفوظات شركة الطيران الكندية في وينبيغ عثرت على المفتاح الذي كنت ابحث عنه٠ وبدأت احل تلك الخيوط المتشابكة"٠ وقد قال المحامي المذهول لاحقاً: "لا اعرف كيف فعل ذلك، فالحل كان اشبه بالمستحيل"٠

عون روحاني – وفي العام ١٩٧٦ عرضت شركة "كوفلر اتلانتيك" على ريغ منصب مدير قسم مكافحة السرقات لديها٠ فكان يشرف من مكتبه، الكائن على الساحل الشرقي من مدينة مونتون في مقاطعة نيو برونسويك الكندية، على امور ٦٥محلا، بينها ٣٦ من محلات شوبرز دراغ مارت في اقاليم الاطلسي و٢٩ محلا تعرف باسم "فارمابري" في كيبيك٠

وبدأ الحديث يتردد مرة اخرى عن تلك "الحاسة السادسة" الغريبة عندما انتقل ريغ من مونريال الىبلدة غلاس باي في مقاطعة نوفا سكوتيا، ثم الى مدينة ستيفنفيل في مقاطعةنيوفاوند لاند٠

وفي اليوم الأول لمجيء فيرا دويل، مساعدة ريغ الجديدة في جزيرة بريدنس ادوارد، قال لها: "لن نقبض على احد في هذا المحل قبل ايام عدة، ولكن حين نفعل فان اللصوص الثلاثة الأول سيكونون من المتقدمين في السن"٠

وتقول فيرا: "هذا ما حدث بالضبط٠ فبعد ايام من الراحة التامة وقع بين ايدينا، في يوم واحد، ثلاثة رجال فوق السبعين"٠

ماذا عسانا نستخلص من هذا كله؟ هل يتمتع ريغ فعلا بطاقات روحانية ام ان ما يملكه هو مجرد قوة ملاحظة غير عادية؟

لقد تحدثت الصحف عنمواهب ريغ الخارقة، كما ظهر على شاشة التلفزيونفي برنامجوثائقي ضم عدداً من كبار علماء النفس والاختصاصيين في التخاطر (الباراسيكولوجيا) في العالم٠ ويصنف المسؤولون عن الامن ريغ وفريقه في "اعلى مستويات المهنة" ويعترف له مديرو الشركات بالكفاية والفلاحولكنهم قلما يدعون معرفة اسلوب عمله٠

والآن، هل من المتوقع ان تظهر، بعد انجازات ريغ ماكهيو الرائدة، "شرطة سرية روحانية" تحذو حذوه وتقتفي آثاره المذهلة؟

يبدو من تجربة العمل في شركة كوفلر ان هذا الامر ليس مستحيلا٠ ويقول رونكاربنتر، احد المتدربين على يد ريغ والذي له سجل حافل في مضمار التحريات: "لقد شجعني ريغ على الاذعان لنداءاتي الداخلية، واتبعت هذه الخطة منذ ذلك الحين، فتكللت جميع تحركاتي بالنجاح"٠

ومنذ فترة قريبة شعر كاربنتر، وهو يسلم احد لصوص المحلات الى الشرطة، باحساس غريب مفاجىء . فخط على قصاصة من الورق : "مخدرات في الحذاء". وتولى رجال الشرطة تفتيش الرجل، فعثروا في حذائه على نحو ٩٠ غراماً من الماريوانا والحشيش.

اما ايرمغارد شميت، التي تتولى التحريات فيمحلين من محلات شوبرز دراغ مارت في تورنتو، فانها اكتسبت شهرة حملت احد اصحاب المؤسسة على القول: "انها الوحيدة التي بلغت مرتبة ريغ". ولو انك سألت ايرمغارد بصراحة عما اذا كانت تتلقى العون الروحاني لاجابتك ببساطة: "وهل هناك تفسير آخر؟".

■ لايل بارتليت

الكاتبة عالمة اجتماع واستاذة زائرة في جامعة بيركلي في كاليفورنيا. لها مؤلفات عدة وابحاث واسعة في ميدان الظواهر الروحانية.



الانانية

ان تكون صالحا تجاه نفسك فقط يعني الا تكون صالحا لشيء.

فولتير

درس في الاقتصاد

لا تتجاهل الشحاذ الذي يطلب منك قرشاً ليحتسي به فنجاناً من القهوة. اعطه القرش واتبعه لتكتشف المكان الذي لا يزال يبيع فنجان القهوة بقرش واحد.

ا. و.

الجغرافيا المصورة

يقول محام شهير انه يقرأ مجلة "بلاي بوي" للصور العارية للسبب نفسه الذي يجعله يقرأ مجلة الجمعية الجغرافية "ناشونال جيوغرافيك": "لارى صور الاشياء التي لن اراها على الطبيعة ابداً".

م. ب.

السيجارة والمسدس

على رغم ان التدخين كان ممنوعاً خلال مباراة في الشطرنج، الا ان احد المتسابقين اخرج بهدوء علبة سجائر ووضعها على الطاولة في بداية المباراة. ولم يكن هذا المتسابق يعتزم الخروج على القواعد المفروضة، لكنه كان يأمل في ان يؤدي التهديد بالتدخين الى اثارة اعصاب خصمه. غير ان اللاعب الآخر نظر الى علبة السجائر، ثم مد يده الى جيبه واخرج بدوره اداة تهديد اخرى وضعها على الطاولة... وكانت مسدس ماء تام التعبئة.

ج. ا. س.

خاص



ملخص من كتاب بقلم
غبرييل روي





هي معلمة لم تبلغ الثامنة عشرة بعد، في قرية صغيرة وسط سهل مانيتوبا الفسيح في كندا. وهو صبي في الرابعة عشرة، في عينيه عنف وكآبة. في هذه القصة تروي الكاتبة بحنان ما حدث بينهما خلال سنة دراسية، فتثير مشاعر الغموض والقلق التي ترافق البلوغ

خلال سنواتي التي امضيتها في التعليم لم يخفني احد كما فعل ذلك الصبي، حتى قبل ان اراه.

كنت وصلت لتوي لتسلم وظيفتي في تلك القرية المنعزلة وسط المروج. وبدا كل شيء حسناً بيني وبين تلاميذي. ولكن كلما توقفت لتسلم رسائلي من مخزن البلدة وتكلمت عن المدرسة بحماسة، برز احدهم يخمد حرارة اندفاعي: "آه ... كل شيء يسير على ما يرام، اليس كذلك؟ حسناً. تمتعي بوقتك لان الوضع سيتغير عندما يأتيك الصبي ميديريك".

أخبروني انه هدد المعلمة السابقة بمدية حملها في جيبه. ولم يبق احد الا تنبأ بمعركة لا بد من أن تنشب بيننا.

Condensed from «Children of My Heart.»
Translation by Alan Brown. (c). 1979. published by McClelland and Stewart Ltd., the Canadian publishers, Toronto, Ontario. Originally published by «Ces Enfants de Ma Vie.» (c) 1977. by Editions Internationales Alain Stanké Ltée.

ومضى النصف الاول من سبتمبر (ايلول)· وبدأ تلاميذي الكبار الذين كانوا يساعدون أولياءهم في الحصاد، يفدون الى المدرسة واحداً بعد الآخر· كلهم ما عدا ميديريك! لكن الامر لم يطل· فقد جاء على حين غرة، وتلك كانت طريقته·

كنت واقفة بجانب اللوح الاسود· وفجأة ساد خلفي سكون تام· فالتفت· لم يكن انتباه الصف موجهاً الي· رأيت عيون التلاميذ مسمرة على بقعة بيضاء تقترب بسرعة عبر المروج البعيدة، ثم تكشفت عن حصان أبيض ذي عرف اسود· ورأيت فارساً صغيراً منحنياً على عنق جواده الجاري بأقصى سرعته وهو يحثه على المزيد· وكان يضع على رأسه قبعة كاوبوي ضخمة·

وصل الفارس الى مدخل الملعب· وبدلا من ان يتبع الطريق الخاصة، اكره حصانه على القفز فوق الاسلاك الشائكة، وتابع سيره في اتجاه السارية حيث رفرف علم الاتحاد· وبقفزة واحدة اصبح على الارض، الى جانب العلم، يربط رسن جواده الذي راح يهز رأسه بعنف فيرتجف معه العلم كأن ريحاً قوية هبت عليه·

وبدت قبعة الفارس الضخمة تغطي عينيه· ووصل الى الباب بحذاء مكسيكي ضخم عالي النعل، ورجلاه متباعدتان ويداه غارقتان فيجيبي سرواله ذي الشراريب، وقد ربط على وسطه حزاماً· وتقدم بين المقاعد، يصفر بلا مبالاة كأنه يمشي في الطريق·

وكانت غرفة الصف، كما في معظم مدارس ذلك العهد، مزودة بمقاعد مزدوجة· وقد وصل كل مقعد بطاولة طويلة، في كل من طرفيها دواة وفجوة خاصة لوضع الاقلام· وثبت في أسفل الطاولة رفان للكتب·

وصل ميديريك الى طاولة وسط القاعة حيث جلس احد أصغر تلاميذي، وارتمى الى جانبه ودفعه بعنف الى الارض· وساعدت الصغير الباكي على النهوض قائلة: "تعال· من الافضل لك ان تجلس في مكان آخر بعيداً عن ذلك الشرس الضخم"·

وكنت ارغب في مواصلة الكلام بالنبرة نفسها، لكني سيطرت على رغبتي وتابعت الدرس· كنت آنذاك في الثامنة عشرة وهو في الرابعة عشرة· ولم يتجاوز طولي ارتفاع كتفيه· لكن ذلك لم يكن الامر الوحيد الذي فاقني فيه·

ولم ادر كيف اتصرف مع صبي في ذلك العمر· لكني استطعت، بصمتي، ان اوصله الى اقصى درجات الانزعاج· فراح، لفرط ضجره، يمزق صفحات دفتره ويصنع منها كرات يغمسها في الغراء ثم يقذفها بمسطرته لتلتصق بالسقف·

وفي الساعة الرابعة، بينما كان التلاميذ ينصرفون الى بيوتهم، ناديته للمرة الاولى: "ميديريك ايمارد! اجلس من فضلك"·

واستدار بغتة، كأنه في حال دفاع عن النفس· كانت عيناه حادتين وقبضتاه محكمتين· لكنه جلس· ووقفت قرب طاولتي اتوسل رباطة الجأش، فأخذت ارتب الاوراق وانظر الى دفاتر التمارين· وفي النهاية تجرأت على النظر اليه· لقد بدا لي أنه في مثل اضطرابي· عندئذ نهضت

ومشيت نحوه وجلست بوجل على الجانب الآخر من مقعده. فتحرك قليلا ليفسح لي مكاناً أوسع. في تلك اللحظة تبين لي أنه، على رغم ذلك العنف، لا يزال ولداً هزيلا.

وفي النهاية تكلمت كأني اخاطب نفسي: "افترض يا ميديريك ان ناظر المدرسة، او الكاهن، جاء الى هنا وسألني من اين اتت هذه الزخرفة المضحكة الى السقف، فلن يكون في وسعي الا ان اقول:" هل تصدق؟ انها صنع اكبر تلاميذي. وليست لي قوة لردعه، فهو أطول مني بأكثر من ١٥ سنتيمتراً، كما انه الوحيد الذي يستطيع ازالة تلك النقوش اذا رغب في ذلك".

وللتو نهض ميديريك ليحضر سلماً نقالة. وراح يعمل بمكنسة على ازالة تعب يومه.

وعندما انتهى، وقد احمر وجهه من الجهد، نظر الي بمزيج من التحدي والخجل. ومن دون ان يتفوه بكلمة اصبح خارجاً، وقفز الى حصانه دافعاً قبعته عن رأسه الى الخلف وانطلق باقصى ما يستطيع. وسرعان ما تحول الى بقعة صغيرة على السهل العاري الفسيح.

حكمة الجواد

اخطأت في ظني اني نجحت في ترويض ميديريك. واستعملت شتى الطرق لجذب انتباهه. كان ينظر الي لحظات قصيرة احياناً، كأنه على وشك الوقوع في شرك، ثم يتيه في احد احلام يقظته كأنه يحتقرنا جميعاً.

وكنت، كلما نظرت اليه، تصورته حيواناً بريئاً على وشك الوقوع في فخ الصياد. وفي الوقت الذي تمنيت اسره خامرني شعور بالذنب، اذ لم يكن قد مر وقت طويل على تركي دنياي الطفولية. لقد استيقظت لتوي من احلام مراهقتي، ولم اتكيف بعد مع حقيقة بلوغي سن الرشد. وكلما لاح لي تلاميذي الصغار على تلك المروج في الصباح الباكر، تملكتني رغبة في اللحاق بهم والبقاء في رفقتهم الى اللانهاية بدلا من انتظارهم وسط جدران المدرسة.

وذات يوم التفت لارى ميديريك شارد النظرات يحدق الى الحقول. وكان غاسبارد، الحصان الابيض ذو العرف الاسود، مشدوداً الى سارية العلم وقد رفع رأسه الجميل في اتجاه المدرسة. وبعد لحظات سمعنا صهيله المليء باللوم كأنه يشكو لنا عذاب قضاء العمر في القيود. فهو مشدود الى سارية العلم، ونحن مسجونون في مقاعدنا. لكن النهار كان رائعاً وفاتنا ان نفهم حكمته.

وقال ميديريك: "لولا المدرسة لكنت اليوم على تلال بابكوك".

فأجبته: "بصراحة يا ميديريك، اذا كنت تكره المدرسة الى هذا الحد فلست ادري سبب مجيئك".

واستحال اللون البنفسجي في عينيه ظلاماً. ورأيت، للمرة الاولى، الصبي الغاضب الذي وصفه لي الجميع. واجابني بخشونة: "ابي هو الذي يرغمني على المجيء. وقد ارسل الشرطة في طلبي مرتين: مرة عندما حاولت العمل في احدى المزارع، ومرة اخرى عندما تسللت الى تلال بابكوك". واضاف وهو يرتجف غيظاً: "لكني سابلغ الرابعة

عشرة قريباً، ولن يستطيع ابي بعد ذلك ارغامي على المجيء الى المدرسة. سوف أنال حريتي!"

وذات يوم مررت قرب طاولة ميديريك، وسمعت نفسي أسأله: "تلالك هذه ليست سوى هضاب صغيرة، اليس كذلك؟"

وانتزع ميديريك قلمه ليرسم جبلا صغيراً نثر عليه بضع اشجار وصخور فكانت النتيجة مكاناً سحرياً في عالم آخر.

وقال متتبعا خطوطه: "هناك في الوسط جدول، وقد تبعته مرة الى منبعه. ان الماء هناك بارد كالجليد، وفيه يسبح سمك السلمون. هل تعلمين ايتها الآنسة؟ ان اغرب ما هناك..."

منذ اللحظة التي بدأ فيها يتكلم عن التلال بدا ميديريك كطفل منح حريته. وأضاف: "يسبح سمك السلمون عكس التيار أحيانا. وعندما يصل الى المنبع، حيث الماء المتجلد، يسمح لك بامساكه. فما رأيك في ذلك؟"

قلت: "ربما كان السبب ان برودة المياه تخدره".

فقال حالما: "تستطيعين ان تمسكيه وتمرري يدك عليه بلطف". ورأيت في عينيه البنفسجيتين الكسولتين حبا في أسمى درجات الرقة.

واخبرني مرة عن أعجب اكتشافاته. انه هناك على القمة، محفور في الصخر: "هل لديك تفسير لذلك أيتها الآنسة؟ انها صورة سمكة".

فقلت: "ربما كانت سمكة متحجرة. ان بحيرة أغاسيس كانت تغمر قسما كبيرا من قارتنا منذ زمن بعيد". ثم ارسلته كي يحضر احد اجزاء الموسوعة العلمية وينظر تحت عنوان "اغاسيس". وقرأنا معاً الفقرة الطويلة.

ووسط عجبه من اثبات حقيقة اكتشافه، صرخ بفرح: "ذلك هو ما رأيته تماماً!"

وسألته: "اخبرني يا ميديريك: تلالك تلك، هل هي بعيدة؟"

فقال: "ابداً. اذا تبعت طريقي المختصرة فلن تسيري اكثر من ١٤ كيلومتراً". ثم بدأ يدرك سبب سؤالي، فقال: "هل ترغبين في الذهاب الى هناك؟"

اجبته: "نعم، ولكن ليس عندي حصان".

فقال: "ان لدي فرساً صغيرة، وهي ودودة جداً".

وظهر ترددي. لم اكن افكر في الحماقة التي اوشك على القبول بها، وانما في الفائدة التي سأجنيها من الرجاء الذي اوقدته في صدر ميديريك. فقلت: "لنعقد صفقة انا وانت. انت تدرس كل هذا ـ واشرت الى جزء كبير من كتاب القواعد ـ وعندما اتأكد من معرفتك قواعد تصريف الافعال، ربما بعد اسبوعين، ارافقك الى تلال بابكوك".

انها في يدي!

لست افهم كيف فعل ميديريك ذلك في الامتحان الشهري. هل تراه نسخ ما كتبه زميله؟ لا اظن ذلك، فقد كنت اراقبه طوال الوقت. كل ما اعلمه ان علامته هذه المرة تجاوزت المعدل بقليل بعدما كانت دائماً في ادنى القائمة.

وفي الصباح الباكر من يوم السبت جاءني ميديريك ممتطياً جواده

"غاسبارد" وممسكا بعنان فرسه "فلورا" التي احببتها على الفور.

لن انسى ذلك المشهد مدى حياتي. وكلما استعدت ذكرياتي امتلأت نفسي سعادة. ما سر تلك البهجة الغريبة التي غمرتنا لدى رؤيتنا ذلك المنظر عن ارتفاع؟ لست ادري. لكني واثقة من أمر واحد: أني لم ار المروج في تلك الرهبة والجلال والسعة من قبل، ولا رأيت حزنها النبيل كما في ذلك الصباح وقد جلست على صهوة فرسي الى جانب جواد ميديريك.

في الوادي الضيق، الذي قادني اليه ميديريك عبر تعرجات كادت لا تنتهي، رأيت سيلا من الماء يتدفق تحت شجرة ضخمة رماها الموت لتبدو كرجل يشرب من ماء الجدول.

ومرر ميديريك يده تحت جذع الشجرة اللزج يتحسس الماء. وقال: "انها هنا أيتها الانسة! لقد انزلقت احداها على يدي الآن. انظري، ها هي ثانية. انها تدعني امسك بها".

كان يصرخ في همس كي لا يخيف السمكة، وقد تملكته حماسة لم يستطع السيطرة عليها. ورجاني بلهفة: "حاولي بنفسك يا آنسة".

ووضعت يدي في الماء. وتوهمت شيئاً يلامس اطراف اصابعي، لكني ظننت انه العشب المائي. وفجأة انزلق وسط يدي مخلوق صغير ناعم، لم يحاول الهرب مني عندما ضممت اصابعي حوله برفق. وقلت لميديريك: "لو رويت لي ذلك لما صدقتك".

وجلس ميديريك القرفصاء على العشب وقال: "لقد قرأت كتباً كثيرة يا آنسة. فكيف تفسرين جرأة سمك السلمون؟"

فأجبته: "في امكانك انت ان تجيب عن هذا السؤال أفضل مني. انت تعلم اسراراً في الطبيعة لا ادري بها".

وقال ميديريك، وفي صوته وعينيه وقار عميق: "ان هناك غموضاً في كل مكان. اليس كذلك؟"

سألت صاحبة الغرفة التي اسكنها اي نوع من الرجال كان والد ميديريك. فاخبرتني قصة مدهشة: كان رودريغ ايمارد شاباً وسيماً ثرياً، وقد تزوج سراً فتاة نصف هندية. لكن هذه السعادة الشاعرية لم تدم طويلا. فبعد ولادة ميديريك بوقت قصير اختفت المرأة الشابة. وقال البعض ان رودريغ طردها من بيته، بينما ظن آخرون انها تسللت ليلا كي تنضم الى القبيلة التي تنتمي اليها والتي تحميها من محاولة زوجها اعادتها.

وحاولت زوجة رودريغ رؤية الطفل مراراً من غير جدوى، ذلك لأن المحكمة منحت الوالد حق الوصاية عليه. ومهما يكن الامر، فقد بدأ رودريغ يشيخ منذ ذلك الحين. صار يكثر من شرب الخمر، وظهرت عليه عوارض اضطراب عقلي. وكان يحاول السيطرة على نفسه أحياناً، لكنه يعود دائماً الى الاسراف في الشراب.

وبعد رواية صاحبة الغرفة بأيام، جاءني ميديريك يحمل الي بلهفة دعوة والده الى تناول طعام العشاء مساء الاحد التالي. وقال لي عاتباً: "عائلتنا هي الوحيدة التي لم تشرفيها بزيارتك. وربما ظن الجميع ان منزل ايمارد هو الوحيد الذي لن تطأه قدماك. وقد قال ابي ان في

استطاعتي اخذك في العربة اذا كان الطقس سيئاً، وانا اتمرن على قيادتها منذ سنتين".

في الساعات الاولى من صباح الاحد بدا واضحاً ان الطقس سيكون سيئاً. وبغتة لاحت على الثلج اغرب عربة رأيتها في حياتي. كانت في الحقيقة مزلجة عالية ذات مقعد واحد يظلله جلد أسود اسدل الى مستوى العينين. وسمعت صاحبة الغرفة تقول: "يا للسماء! تلك عربة الزواج التي اوصى رودريغ بصنعها لدى نجار شهير. لم يرها احد بعد اختفاء ماريا".

وفي الطريق انهمر الثلج بغزارة. وهبت الريح من جميع الجهات، فغرقنا في حلم لذيذ كأننا على متن زورق تتلاعب به الامواج فيرتجف فوق المياه البيضاء. والتقت نظراتنا في عتمة العربة وقد امتلأت عيوننا إثارة.

حلم الطفولة

لم ار ما يدعو الى الكآبة، بعد اغنية الريح الصاخبة، اكثر من ذلك البيت الذي قصدته. وما ان وطئت العتبة حتى استقبلني رجل ضخم في افضل ثيابه وقد فاحت منه رائحة الكحول. ولم يلبث ان رفع الكلفة بيننا. وتملكتني شفقة على ميديريك. ان ذلك الولد الذي يعشق الحرية مجبر على ملازمة هذا المكان.

في غرفة الطعام المظلمة، بأثاثها الضخم وستائرها المخملية الشاحبة، بدت الوليمة بطيئة ومملة. وجلس رودريغ ايمارد على الطاولة الضخمة، كأنه ملك على عرشه، يصب الخمر من إناء امامه. وخاطبني: "يقولون انك معلمة ممتازة وتستطيعين تدبير الامور مع الاولاد. هل انا مصيب في ان اتوقع خيراً من ارسال ابني الى المدرسة، ام ان ذلك ليس سوى اضاعة وقت ومال؟ هل لمحت فيه بارقة ذكاء ايتها الآنسة؟"

والتقت عيناي عيني مديريك حيث رأيت ثانية، في البقعة البنفسجية، نظرة العداء القديمة. واجبت: "ان ميديريك، من بعض النواحي، افضل تلاميذي. انه اكثرهم اخلاصاً للامور التي تهمه، كالطبيعة".

وضرب رودريغ ايمارد الطاولة بقبضته وصرخ: "الطبيعة! لتذهب الطبيعة الى الجحيم. ما اريده هو العلم. اذا كان ميديريك ذكياً حقاً، فلماذا لا يأتي في مقدم الصف؟"

واجبته: "ربما لان قلبه ليس في الصف".

وانفجر رودريغ ايمارد بضحكة احتقار وقال: "من الضروري طبعاً ان يضع قلبه في الصف. لكن القلوب تختلف، وقد يؤدي بك القلب الى اخطاء كبيرة". ثم اضاف: "هكذا وقعت في خطئي الاول. عندما كنت في سن ميديريك احببت المدرسة، وكنت أظن ان لدي موهبة ما. والله يعلم ما كان سيحصل لو توافر لي من يرشدني وينير طريقي".

في ذلك الوجه المتجعد والعينين الثقيلتين خلت نفسي ارى العذاب الصامت، حين يذكر المرء في نهاية حياة خائبة، حلم الطفولة. ورحت اصغي بانتباه، وقد اخذتني الشفقة، الى ذلك الرجل المغرور المعذب.

وهمس لي رودريغ، وهو يجذب كم ثوبي كأنه يفشي سراً: "لهذا اريد لميديريك ان ينال ما لم استطع

نيله"٠ ثم صرخ عالياً: "والا حطمته!"
وسرعان ما هدأ٠ وشعرت بأسى من اجله٠ لكني قلت له ان ميديريك سينال فائدة اكبر لو تركه يختار ما يحب ويتعلم على طريقته٠
وفي غمرة سكره سدد الي رودريغ نظرة حقد خلت معها انه عاد الى الصواب٠ وقال: "سعيد على طريقته؟ هل تلك اغنيتك التي تغنينها له عندما تذهبان وحدكما الى التلال؟"
واستطعت السيطرة على اعصابي بعد تلك الاهانة، مجبرة نفسي على النظر عبر الستائر الى المشهد الرهيب في الخارج٠وعندما استعدت هدوئي قلت: "ان الطقس يزداد سوءاً كل دقيقة٠ واظن من الافضل لي ان اذهب الآن"٠
فقال ايمارد: "لا، ابداً٠ لن تبدأ العاصفة الحقيقية قبل ساعة او ساعتين٠ ولدينا الوقت الكافي لشرب القهوة"٠

عندما دخلنا الردهة توقفت مشدوهة امام صورة لصبية جميلة٠ في عينيها رأيت عيني ميديريك: لوناً بنفسجياً قاتماً، مليئاً بالاحلام الحزينة، خلف اهداب سوداء طويلة٠

وهنا انفجر رودريغ باحدى ضحكاته العالية وقال: "انها زوجتي الراحلة٠ وانا ادعوها كذلك لمجرد الشعور بالراحة٠ انها حية مثلك تماماً، لكنها شبه ميتة مذ تركتنا٠ لقد اختارت ان تقطن اكواخ الهنود"٠ ثم هز ذقنه باحتقار نحو ميديريك وتابع: "لن اعجب اذا هو فعل مثلها يوماً٠ وأملي الوحيد ان يكون لك اثر فيه"٠
ثم أضاف: "لكني احذرك٠ لن تسيء اليه ملاطفة الفتيات المتوحشات٠ وهو، لو أخذ بنصيحتي، لقلت له ان ينتظر الفتاة التي تستحقه٠ وفي هذه القرية الصغيرة لا يجود الانتظار بأفضل من معلمتنا الفتية التي ربما هبطت من السماء في يوم سعيد٠ لو انتظرتها انا، عندما كنت في سن هذا المغفل الصغير، لرافقتها الى حفلات الرقص و٠٠٠ لكنها لم تأت لتوقظني من الضلال وترشدني الى الحياة٠ ان ابني محظوظ لمجيئك، ولذلك نبهته الى عدم اضاعة هذه الفرصة"٠
وهنا نهضت وقلت لميديريك: "هيا بنا٠ هل ستعود بي الى البيت؟"

في جنون العاصفة

على رغم بدء العاصفة التي كنا نسمع هديرها كالمياه المتدفقة من سد متهدم، لم نقاس هولها وسط الاشجار المغروسة في الممر٠ فهي ساعدتنا على اقتفاء طريقنا وسط الثلج الذي يعمي البصر٠ وجلسنا متباعدين بصمت٠ وفي النهاية همهم ميديريك بصوت يكاد لا يسمع: "اني آسف يا آنسة٠ لم اتصور انه سيهينك تحت سقف منزلنا"٠
ومددت يدي لالمس يده واطمئنه٠ لكني توقفت، فقد فكرت في ان علي الا افعل ذلك٠ وراودني شعور بالحرمان امتد الى المستقبل المجهول٠ لم اكن ادري من يستحق الشفقة: انا ام هو؟ ام أنه شخص آخر بلغ سن الرشد ليكتشف انه خسر جزءا من روحه التي تحطمت عفويتها؟
عندما خرجنا من الممر الى المرج المفتوح احسست كأننا في مركب ننتقل من رافد شبه هادىء الى نهر

هائج علينا ان نشق طريقنا فيه عكس التيار. وكان غاسبارد مقدم مركبنا. ورأيت ميديريك غارقاً في الاهتمام، يبذل اقصى جهده لتمييز اعمدة الهاتف التي كانت دليلنا الوحيد. وقررت مساعدته في رؤية علامات مميزة. وكنا، إذا طال بنا الامر، سادنا خوف من ان نكون قد تهنا وسط الحقول واننا سنبقى ضائعين الى الابد. ثم لا يلبث احدنا ان يرى عموداً فينادي الآخر.

وفجأة قال، كأنه لم يستطع مواصلة التكتم: "اظن من الافضل الا اعود الى المدرسة ... بعد ما قاله ابي". وامتدت يدي ثانية لتمسك بيده، لكنها توقفت في منتصف الطريق. وقلت له: "بل على العكس. عليك ان تأتي الآن اكثر من اي وقت مضى. انها طريقك الى الهرب".

ومن غير ان يجيب، راح يحث غاسبارد على الاسراع. ورفع الحيوان الشجاع رأسه ومضى يشق طريقه تحت وابل مخيف من الثلج ووسط صفير الرياح. واختفت اسلاك الهاتف. كذلك الارض الصلبة، تحت تلال الثلج الناعمة. ورأينا غاسبارد يغوص فيها الى صدره ثم يستعيد توازنه ليقع ثانية. وقال لي ميديريك: "أظن اننا اضعنا الطريق يا آنسة".

تلك هي الكلمات التي تفوه بها. لكن نبرة صوته كانت تقول لي خفية: "لقد نجونا أيتها الآنسة". وشعرت بنفسي ارتجف كأني سمعت خبراً ساراً.

وذهب ميديريك الى غاسبارد، فاستسلمت الى حلمي وسط دفء الاغطية. حلمت باننا غادرنا هذا

العالم، وباننا سألمان وقد نجونا من الشر ومن الفساد الموروث ومن تشوه الروح الذي يخافه الانسان، اكثر من اي شيء، في كبرياء شبابه. وخلتنا، ميديريك وانا، تمثالين جميلين طاهرين عندما يجدوننا، بعد هدوء العاصفة، وقد زين الثلج شعرنا واهدابنا.

وفجأة تحرك الجواد الابيض وخرج بالعربة من الثلج الذي غرست فيه. وقفز ميديريك الى العربة وارخى العنان وقال: "لقد عدنا الى الطريق ثانية".

واغمضت عيني، لا رغبة في النوم بل في مواصلة حلمي. لقد غادرتني فكرة الموت، كذلك فكرة الكبر، ورحت احلم بحياة تطول ولا ترافقها شيخوخة.

وفتحت عيني لارى امامي احد المصباحين الجميلين اللذين ثبت زجاجهما بالرصاص في كل من جانبي العربة. وانعكست صورة وجهي على الزجاج القاتم، ورأيت فيه عينين غامضتين تنظران بعيداً الى الثلج المنهمر، وقد تدلت على الجانبين خصل شعر متلألئة. ولم استطع ان ازيح نظري.

والى جانب وجهي رأيت وجه ميديريك الذي اقترب مني، من دون ان يدري ان الزجاج يعكس وجهه ايضاً، ومال برأسه الي، ربما ليرى ان كنت نائمة. ورحت اراقبه، بعينين نصف مغمضتين، في زجاج المصباح حيث بدا وجهانا، خلف الغشاوة، كأنهما صورة زواج قديمة.

واقلتت خصلة شعر من قبعتي ولامست وجهه. وحدقت الى زجاج القنديل لاراه يخلع قفازه كي يمسك بالخصلة الهائمة. وكاد ان يمسكها، لكنه توقف وفي يده حيرة. كان في نظرته تلك دهشة عميقة وحنان لا يتذوق الانسان لذته ثانية بعد ارضاء ثورة حبه، او حتى بعد ان يدرك ان ما يشعر به هو الحب بعينه.

بدا ميديريك كأنه يعوم على جزر من ثلج. وسادني شعور غريب بان كل ما اراه لم يحدث الا في زجاج المصباح. لكني رأيت وجهه وقد اغمض عينيه بذعر لدى رؤيته المنظر للمرة الاولى.

خلف حجاب العمل

لم تعد علاقتنا ابداً كما كانت سابقاً. ومع ان ميديريك بلغ الرابعة عشرة، فقد تابع المجيء الى المدرسة. ولكن لماذا؟ كان انتباهه يخف يوماً بعد يوم. ولم يحاول مصادقة احد اذ كان أكبر سنا من معظم التلاميذ. وابتعد عن الجميع ولم يرض الا بجواده رفيقاً.

وذات يوم، بينما كان ميديريك يقرأ بصوت عال، تغيرت نبرته فجأة حتى ان الجميع التفتوا ليروا من ذلك الغريب. وكانت البنات الصغيرات اول من ادرك انه صوت ميديريك. وانفجرن بالضحك. وتابع ميديريك القراءة، وسط ارتباكه، بهمهمة خافتة لم استطع معها سماعه من طاولتي اذ توقفت عن الجلوس بجانبه على المقعد. واقتربت منه وامسكت بيده. لقد كان يحتاج الي اكثر من اي وقت مضى.

وذات مساء، بعد انتهاء الدروس، عرض علي ميديريك ان يساعد في ترتيب الغرفة. وكنت اطلب ذلك من

التلاميذ الكبار، لكنني استثنيت ميديريك لانه كان يسكن بعيداً. فان اقل تأخير يعني انه قد يصل الى بيته ليلا. لكن ساعات النهار صارت أطول الآن.

وخامرني شك في انه يريد ان يكلمني على انفراد. فعزمت على مساعدته. وسألته، والقلم في يدي كأن لا وقت لدي: "هل تحسنت علاقتك بأبيك الآن؟" وكنت احاول ان اتكلم بعفوية.

وارتفع عن ميديريك حمل تردده الثقيل. فاقترب وقال: "آه، ايتها الآنسة! ان أبي نادم كثيراً على ما حدث عندما زرتنا. انه لا يشرب الى هذه الدرجة عادة. وهو مستعد للتضحية بكل شيء في مقابل محو اساءته بعشاء آخر اذا كنت تقبلين".

فقلت: "لكني ظننت اننا طوينا تلك الصفحة يا ميديريك".

وهنا نظر الى الارض وقال: "اخبرني ابي ان في امكاني مرافقتك بالعربة الى اي مكان تريدين، هذا اذا لم ترغبي في زيارتنا ثانية. هناك مسرح في القرية المجاورة واشياء جميلة اخرى. وأبي يظن أنك تضجرين هنا، فانت فتاة وحيدة وليس عندك من يرافقك".

وحاولت ان اظهر كأني مغرمة بوظيفتي، فقلت: "ان عملي ليس مملا يا ميديريك. انه حياتي وحبي".

وحدق الي بعينيه البنفسجيتين بلون الغروب، وقال بحزن كأنه يطلب النجدة بصمت: "انك لم تعودي تحبينني ايتها الآنسة".

ونظرت اليه طويلا. وادركت انه،

من دون ان يعلم حقيقة شعوره، كان يقصد اني لم أعد أهتم به في الصف كما كنت أفعل سابقاً. فابتسمت له وقلت: "طبعاً احبك يا ميديريك. واذا كنت ترغب في معرفة المزيد فاعلم أني لا أفكر في أي من تلاميذي كما أفكر فيك. واذا نجحت في دروسك فسوف أكون أسعد معلمة في العالم".

فقال: "لكنك لن ترافقيني ثانية الى التلال، ولا حتى في نزهة بالعربة".

أجبته: "كلا يا ميديريك. كل ذلك انتهى بالنسبة إلي. ومنذ الآن سأكرس وقتي للصف. واذا اردت ارضائي فعليك ان تفعل الامر نفسه".

كان ميديريك واقفاً قرب طاولته يجمع كتبه وأوراقه. وخطر لي انه ربما كان يختبر حقيقة شعوري، لذلك علي الا أحمل الامر محمل الجد. وهكذا تظاهرت باللامبالاة على رغم ان قلبي كان يتمزق أسى. ذلك لان مجرد التفكير في فقدانه أظهر لي أن وجوده بجانبي هو أغلى كثيراً مما تصورت.

وربط ميديريك كتبه بحزام جلدي، وحدق الي بتلك النظرة الغريبة التي تحمل التعب والوحدة، وقال: "أيتها الانسة، لست ارى فائدة في بقائي هنا. وأظن اني لن آتي الى المدرسة بعد الآن".

وثارت في قلبي آلاف الكلمات، اردت ان أتفوه بها لاردعه عن قراره. لكنني، أنا ايضاً، كنت صغيرة وتنقصني البراعة، فقلت: "اذا كان مجيئك الى المدرسة لا يغير شيئاً ولا يزيدك معرفة، فلست ادري لماذا..."

ولم يكن هناك وقت لقول المزيد. فقد استدار ميديريك وغادر الغرفة بذلك العنف القديم، يجر كتبه العالقة بطرف الحزام الجلدي كأنها كرة حديد في سلسلة أصبح على وشك التخلص منها.

ذلك الطفل الشاب

جاء الربيع، وقد لاحت تباشيره منذ أسابيع عبر غيم كثيف وسماء رمادية ومطر غزير. في ذلك اليوم سطعت الشمس للمرة الاولى، فظهر لنا الربيع بكل جلاله. لكن مجيئه احيى في نفسي شعوراً بالندم. ولم يكن هناك ما يعزيني بعد خيبتي مع ميديريك، فتوقفت عن الرجاء. ولكن عندما انحنيت على حافة النافذة ذات يوم، اذا بي ارى في البعيد ذلك العرف الاسود للجواد الجميل.

وقفز ميديريك عن ظهر جواده غاسبارد، وربطه الى سارية العلم وركض في اتجاه المدرسة. وارتجفت إذ رأيته يحمل كتبه، فقد اسعدني أني انتصرت اخيراً.

ورأيت ظل ميديريك يسبقه الى عتبة الباب. وهناك وقف ذلك الشاب الطفل، وفي عينيه نظرة قلقة كمن ضل طريقه أياماً. وبدا لي كأنه استنفذ طاقاته كلها، فعاد بعد أن لم يبق أمامه مكان آخر.

لم يلق ميديريك تحية على أحد، بل مشى وسط الغرفة وهوى على مقعده. كنت أريد بحرارة ان أجد كلمة رقيقة كي ارحب به، لكن التغير الذي رأيته فيه اذهلني فلم استطع ان افتح فمي.

وازدادت دهشتي ساعة الانصراف. فقد بقي ميديريك جالساً على مقعده.

وكان واضحاً أنه اراد التحدث الي، لكن خجله عقد لسانه. وعندما لم اعد استطيع احتمال ذلك الصمت، سألته: "ما الامر يا ميديريك؟"

ورأيت شفتيه ترتجفان. وللحظة ظننت ان سؤالي البسيط سيدفعه الى البكاء. ولم اكن قد رأيت الدمع في عينيه من قبل. ودفعني ذلك الفيض من الانفعال الذي تعذر على الطفل الشاب ضبطه، الى الجلوس بجانبه على المقعد كما فعلت منذ فترة وجيزة. لكنني لم أعرف ماذا أقول. وبقينا صامتين فترة طويلة نحدق الى الفراغ. وخلت أننا مسافران نجلس على مقعد واحد في قطار يمتنع عن مغادرة المحطة.

ونظرت اليه أخيراً. فرأيت في عينيه وقد تسمرتا في عيني، حيرة الحب الاول وعذابه، ذلك الحب المتفتح الذي لم يكتشف ذاته بعد، بل هو يرتجف خوفاً وسعادة ورغبة.

وكما لو أنه لم يعد يحتمل ذلك المجهول، ومن دون ان يعي ما يحدث، ترك ميديريك رأسه يتكىء برفق على كتفي. كان وجهه شاحباً، وقد وضع يديه على ركبتيه. وفجأة رفعهما الى قلبه كأن الالم الذي يعانيه قد انبثق من هناك. وقال: "آه، ايتها الانسة! أخبريني ماذايحدث لي. أشعر كأني واقع في... ليس الذنب ذنبي، فلم اقصد ذلك".

وشعرت به يغص خجلا. وتجرأت على لمسة صغيرة، فرحت أمسد شعره القاتم بحنان، وقلت: "ما من أحد قصد ذلك يا ميديريك".

وقبل ان يعي ما حدث، أخذت رأسه بين يدي وأسندته برفق الى ظهر المقعد. ثم عدت الى طاولتي. في تلك اللحظة أحسستبأني أشهد موت الصبي تحت ضغط الرجل الذي ينبثق منه، وان علي" انقاذ ذلك الجانب المهدد من ميديريك مهما يكن الثمن. لكنني لم أكن أدري كيف أبدأ.

وفتح ميديريك عينيه، فرآني جالسة على طاولتي وقد شغلني العمل ووقفت الاوراق والكتب سداً بيننا. ورأيت في عينيه دمعتين حجبتهما أهداب كثيفة. ثم بدأ يجمع كتبه. ولم يفعل ذلك غاضباً هذه المرة، بل متردداً. ثم قال بأدب: "لقد كان وقتاً جميلا بالنسبة الي".

وخانه صوته،فقلت له:"لماذا تتكلم كذلك يا ميديريك؟ ما الذي يمنعك من العودة؟ ان مقعدك سيكون دائماً في انتظارك".

وهز ميديريك رأسه بحزن، كأنه يشير الى انه خسر مقعده بسبب خطأ ارتكبه من غير قصد. فقلت: "بحق السماء، ماذا ستفعل يا ميديريك؟"

فالتفت الي وقد أظلمت عيناه، وقال: "وماذا يهمك في ذلك؟"

فقلت: "لقد أخبرتنيأنك تفكر فيّ كثيراً. لكن ذلك لا يدفعك حتى الى محاولة تحقيق ما أرجوه لك".

واستدار ميديريك بعنف هذه المرة. ورأيت في نتوء فكيه شبح رودريغ ايمارد. وقال: "ماذا تريدين بعد؟ قولي!"

وانتظرت حتى هدأت ثورته، وقلت كأني أخاطب نفسي: "قبل ان ترحل - اذا كان لا بد من الرحيل - أريد ان التقي رفيقي الى التلال. هل أراه ثانية يا ميديريك؟"

ورفع ميديريك الي عينين سكنهما

الالم وامتزج فيهما الغضب والحنان، ثم غادر المدرسة يعدو كطفل مذعور.

الهدية الغالية

حلت نهاية العالم الدراسي من غير ان أشعر. لم أكن قد رأيت ميديريك منذ ذلك اليوم الربيعي المحموم. وكنت اشعر بالاسى من أجله، لكني وجدت من الحكمة ان يبقى بعيداً. ومع ذلك تمنيت رؤيته قبل رحيلي، بعدما عرضت علي وظيفة في مدرسة في المدينة. وكان علي مغادرة القرية نهائياً في أواخر يونيو (حزيران)، وقد اعدت لي حفلة وداع في الصف. وفكرت في ان ميديريك سوف يسمع بذلك ويأتي لوداعي.

كانت الحفلة بسيطة ومؤثرة. وقد زين الاولاد المدرسة بالاوراق والزهر، وأرسل أهلهم الحلوى والمآكل الشهية. وأحاطتني طفلة بذراعيها وانفجرت باكية: "ماذا سيحل بنا بعد رحيلك؟" فطوقتها بذراعي وقلت لها: "سوف تأتي سيدة اخرى في السنة المقبلة، وقد تحبينها أكثر مني".

وراحت الطفلة تنتحب كأني انتهكت حرمة ذلك الحب الذي تكنه لي، وقالت: "كيف تستطيعين قول ذلك؟"

وعندما انحنيت كي أقبل الطفلة أدركت أني، بذلك، أعزي نفسي لعدم استطاعتي مواساة الولد الآخر. وأمضيت النهار بطوله أراقب السهل علني المح فارساً صغيراً يجري في اتجاه المدرسة.

وفي اليوم التالي جاء الاولاد الى المحطة لوداعي. ومددت رأسي عبر نافذة القطار، وقد بدأ يتحرك، لأرى تلك الاجساد الصغيرة تشير الي كأني في باخرة تبحر بعيداً. وبدأت صور الاولاد تختفي عن ناظري. وشعرت كأني تخليت عن اطفالي المساكين، وأن المسافات المتزايدة أصبحت سداً بعيدا بيننا.

ورحت انظر بلا مبالاة الى الريف الذي اجتازه. كانت افكاري سابحة في مكان آخر. ولاح لي أن الطريق الموحلة والموازية لخط السكة الحديد، هي نفسها التي اجتزتها مع ميديريك في تلك الليلة العاصفة. لقد بدت طريقاً هادئة، لكن صفير الرياح بقي يتردد في أذني، وعاودتني انفعالات تلك الليلة العنيفة.

وفكرت في ميديريك، وقد انعكست صورته على زجاج المصباح، وهو ينظر الي بوجه ملأته الحيرة. وتسمرت صورته أمامي فوق الزهر المنتشر في حقول القمح والشوفان. ومع أني لم اقصد أبداً تشجيع ميديريك على اذكاء جذوة حبه المتفتح، الا أني، في تلك اللحظة، ادركت كم سيكون حزني كبيراً لو علمت بموت ذلك الحب. ولم أكن أتمنى سوى ان يهيم بي، من بعيد، كما لو كنت نجمة تقوده في طريق الحياة. فأنا أيضاً ما زلت طفلة.

في تلك اللحظة بينما كنت القي نظرتي الاخيرة على ذلك المكان، رأيته آتياً من السهل البعيد. كان منبطحاً على حصانه الجاري بسرعة خطرة وقبعته ترقص على كتفيه. وكان يرتدي الثياب نفسها التي رأيتها عليه في اليوم الاول من لقائنا، ويمتطي حصانه الابيض ذا العرف الاسود والحقول حوله عارية. لقد حفر في نفسي صورة هي ذاتها

تلك التي تركها في اليوم الاول. تلك كانت المرة الاخيرة التي رأيت فيها ميديريك.

ورحت أحثه في خيالي وقد خامرني اليأس. ثم رأيته يعبر نقطة كان القطار سينحرف عندها. ولمحت على السرج شيئاً كان ميديريك يحميه باحدى يديه. وخامرني شعور قوي بأن ذلك الشيء لي.

وعندما انحرف القطار حول تلك النقطة كان ميديريك ينتظر فوق تلة صغيرة. ورأيت في وجهه قوة لم أرها من قبل. كان يبحث عني بيأس بين وجوه الركاب. وبما ان الوقت كان صيفاً، فقد تركنا نوافذ القطار مفتوحة. ومددت رأسي كي يراني. وبخفة، رفع ميديريك ما في قبضته وادار يده مرتين او ثلاثاً، زيادة في قوة الزخم، وقذف به بدقة رائعة ليستقر في حجري. تلك كانت باقة ضخمة من زهر الحقل، خفيفة كالفراشة، تكاد أعناقها الجميلة تتبعثر. لكنها وصلت الي سالمة وقد تفككت قليلا لتظهر وريقاتها مكللة بالندى.

لم يسبق لي ان رأيت تشكيلة من زهر الحقل جمعت من ذلك الريف كهذه. ولا شك في ان بعضها جمع من الحقول المجاورة، لكن بينها زهراً لا ينمو الا في منابت خفية، كزهر السحلبية الآتي من ناحيةالجدول حيث يتوافر له الظل طوال الصيف. وتخيلت ميديريك يبحث بين الاشجار، مع بزوغ الفجر، كي لا تغيب زهرة من ذلك الفصل الحنون عن هديته.

والتقت عيوننا. ورأيت في وجهه، تحت قبعته البالية، يقظة وجدية وحباً كما في ذلك اليوم، منذ أجيال، عندما سمح له سمك السلمون بمداعبته فسألني حينئذ: "ان هناك غموضاً في كل مكان، اليس كذلك؟"

وتحركت شفتاي بصمت لترسما الكلمات الوحيدة التي صرخ بها قلبي: "آه، ميديريك... ميديريك..."

ورفع ميديريك يده عالياً الى السماء الصافية بحركة بدت كأنها أبدية. وحياني غاسبارد بطريقته الخاصة، رافعاً رأسه بعصبية مرتين. ثم انحرف القطار واختفيا عن ناظري.

وحدقت الى باقة الزهر الراقدة في حجري، وقد جدل حولها رباط من العشب وفاح منها أريج رائع. لقد حدثتني عن الصيف الفتي الذي ما ان يولد حتى يموت.

■ غبرييل روي



في حياة كل امرأة فترة لا بد من ان تكون فيها جميلة لكي تكون محبوبة، ثم تصل الى عمر لا بد من ان تكون فيه محبوبة لكي تبقى جميلة.

فرانسواز ساغان، صحيفة "ويست فرانس".

يتوق الشباب الى المزيد من المراعي الخضر، وما ان يطل منتصف العمر حتى نتعثر في حصاد المتوافر لنا منها.

أ.ث.

خاص

رحلة في أدغال الأمازون

بقلم

اليكس شوماتوف

رحلة في أدغال الأمازون

ان الادغال الواسعة في امريكا الجنوبية، الحاملة اسم "امازونيا"، تعتبر، حتى في يومنا هذا، قارة ضائعة تلفها الاسرار والاساطير.

منذ زمن قريب تغلغل فيها طولا وعرضا شاب امريكي خبير بعلم الطبيعة، اسمه اليكس شوماتوف. وهو يروي هنا احدى المغامرات الفريدة التي عاش مراحلها خلال رحلته في هذا العالم المجهول المليء بالمتناقضات.

طرحت السؤال على نفسي: هل يجوز ان اضع ثقتي بهذا الرجل، ابن الادغال الحافي القدمين، الذي لا تتجاوز قامته متراً ونصف متر والذي يسمي نفسه "البيروانو"؟

لقد عرض علي ان يقودني في زورقه المقدود من الشجر في رحلة تستغرق عشرة ايام على مجرى نهر امازوني مهجور. قال لي انه ينوي زيارة مسكنه هناك والعودة حالا.

كنت آنئذ في رحلة استطلاع في وادي الامازون كلفني بها نادي "سييرا"، وهو جمعية امريكية خاصة تعنى بالحفاظ على نوعية المناخ وصفائه وعلى صيانة البيئة، خصوصاً في جبال سييرا نيفادا في المنطقة الشرقية من ولاية كاليفورنيا. وبدا لي عرض هذا الرجل فرصة مناسبة اطلع فيها على نوعية الحياة التي يعيشها شعب الادغال في الامازون.

جلسنا في كوخ سقفه من قش النخل، في جزيرة تقوم على مصب نهر كاتريماني وتبعد نصف درجة عن شمال خط الاستواء. يبلغ طول هذا النهر نحو ٦٤٠ كيلومتراً، وينحدر متعثراً من الاعالي الجبلية في فنزويلا لينساب في الادغال والبراري في اقصى شمال منطقة الامازون

البرازيلية المسماة رورايما، ثم يصب في نهر برانكو الذي يصب بدوره في نهر نيغرو، اكبر روافد نهر الامازون.

قدم البيروانو الى منطقة رورايما عام ١٩٤٣ ليعمل في مزارع المطاط. ومنذ ١٩٦٨ عاش بين جماعة "الأيكا"، وهي قبيلة هندية تنتمي الى شعب يانومامو في المنطقة العليا من نهر كاتريماني، وتصطاد النمور المرقطة وتبيع جلدها بطريقة غير مشروعة في ماناوس، المدينة العصرية الكبيرة القائمة على مصب نهر نيغرو.

والد هذا الرجل ابن البيرو، ووالدته ابنة القبيلة الهندية توكانو. عمره يناهز الخمسين، وعظام خديه مرتفعة وحنكه متهدل ينتأ نحو الخارج فيسهل عليه عملية فتح قناني الكاشاسا، وهو نوع من شراب الروم الابيض المسكر. وقد سكر به البيروانو في هذه اللحظة مع ان الساعة لم تتجاوز الحادية عشرة صباحاً.

لم يكن لدي سبيل لمعرفة ما اذا كان البيروانو اهلا لان اسلمه حياتي. واخيراً كان لا بد من القرار، فقررت ان اجازف.

في هذه الليلة اقيمت في الكوخ حفلة رقص، دارت فيها اسطوانات السامبا على آلة فونوغرافية تحركها بطاريات. ورقص اهل كاتريماني حتى بزوغ الفجر.

عدد اكواخ هذه المستعمرة لا يزيد على الثلاثة. غير ان اسمها يبرز واضحاً على معظم خرائط امريكا الجنوبية المقبولة الحجم. والسبب انه لا منافس لها على وجه الخريطة على مدى ١٥٠ كيلومتراً من الجهات المختلفة.

تناولت قيثارتي ولحقت بهم، فنقرت على اوتارها عدداً من الاغاني. وحولت انتباهي نحو فتاة هندية في سن المراهقة اخذت تلعب مع الاولاد الى حين، ثم مالت عنهم وغرقت في صمت عميق. سألتها، باللغة البرتغالية، عن اسمها، فارتبكت ارتباكاً شديداً ورفعت طرف ردائها تستر به وجهها. وبعد برهة سألت البيروانو عنها فقال: "هي زوجتي. وقد وهبتني اياها قبيلة الايكا بعد وفاة زوجتي "المتمدنة" منذ تسع سنوات. كانت وقتئذ في الثامنة من عمرها، وكانت تحمل اسماً ذا علاقة باحد الحيوانات. فاخترت لها اسماً "متمدناً" هو ماريا، وعلمتها ان تكتسي الثياب وان تتكلم اللغة البرتغالية".

قلت: "لماذا اخذها الحياء حين سألتها عن اسمها؟"

فاجاب: "لأن اهل الايكا يعتقدون ان معرفتك لاسمهم الاصيل يخولك سلطاناً عليهم".

وكان الصباح. فزودنا الزورق، الذي يبلغ طوله اربعة امتار، باكياس من السكر والملح والبارود والملابس، وبمجموعة من الهدايا اختارها البيروانو لأصدقائه الايكا. فرزح الزورق تحت العبء وبقي منه ١٥ سنتيمتراً فقط فوق سطح الماء. وركبناه ودفعناه بعيداً عن الضفة، ضاربين الماء ضربات رشيقة بمجاذيفنا. وجلس البيروانو القرفصاء في مقدم الزورق واخذ يفرش في الماء راحة مجذافه العريضة المعينة الشكل، وجلست انا في الوسط اساعد ما استطعت بمجذاف اصغر، بينما تربعت ماريا

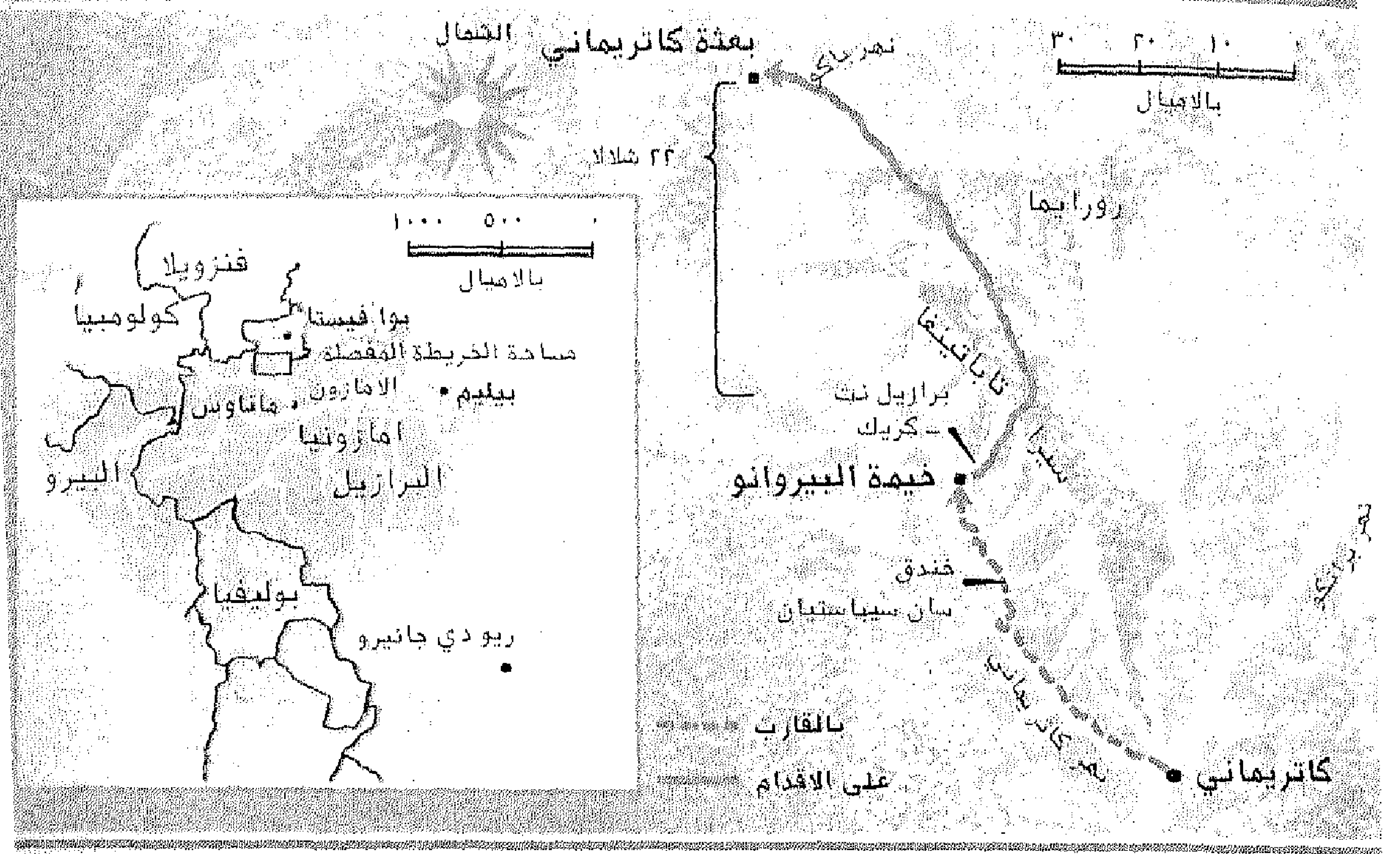
في المؤخر، ترنم الحانا لنفسها وتلون اظافر رجليها، وحينا آخر ترفع الماء الراشح الى الزورق بطاسة من خشب.

لم يمض قليل من الوقت حتى انصبت علينا قوافل من الذباب الدقيق الطنان المدعو "بيوم"، تجمهرت حول كواحلنا ومرافقنا تمتص منها الدم لتغذي بطونها الشفافة حتى تكاد جوانحها تعجز عن حملها. وسرعان ما غطتني بلسعاتها. لكن الاذى الناجم عن هذه اللسعات لا يولد خطراً في ذاته، كما انها، معظم الاحيان، لا تنقل معها الامراض. الا انه، بعد ساعات من لسعاتها، يستحكك جلدك الى حد لا يطاق، وتزداد فيك الحاجة الى الحك فتتضخم اللسعة لتصبح في حجم حبة المشمش وتتحول، بفعل ما تحوي الاظافر الوسخة من "الاميبا" وسواها من الجراثيم الخطرة، الى تلوثات متفشية تؤدي حتماً الى الموت اذا لم تعالج في الحال. وهذه المرة لم تترك لسعات البيوم اثراً لدى البيروانو وماريا لانه سبق لهما ان اخذا نصيبهما الوافر منها. لكنهما لاحظا امارات البؤس على وجهي. فقال البيروانو معزياً: "سنيور، سيعجبك المسكن الذي نعيش فيه: انه خال من ذباب البيوم".

واصلنا رحلتنا اياماً يكتنفنا فيها قفر تام لا يعكر جوه شيء. ولحقت بنا دلافين قرنفلية اللون تحوم حول الزورق مداعبة وتقفز فوق سطح الماء نافخة. ودارت حولنا على مرمى سهل المنال من رمح البيروانو، لكنه تركها وشأنها. وتتعدد الخرافات حول هذه الحيوانات عند شعب الادغال، ويعتقد ان فيها شبهاً بشرياً. ولكن مهما يكن من هذا كله، فان لحمها لزج وقاس، وكل من يتجاسر على اصطيادها فانما يقدم عليه كي يستخرج من عيونها الشمالية المشعرة مشروباً سحرياً يولد الحب في اعتقادهم.

كان الموسم جافاً جرت فيه مياه النهر ثلاثة امتار تحت مستواها العادي بالنسبة الى شهر يوليو (تموز). سال التيار ضمن خنادق طويلة مستقيمة متوازية مع الاشجار العالية المتكاثفة في هذه الادغال الغزيرة بامطارها. وسرنا نحن متلاصقين احياناً مع جدار من الطين الشفاف، وجذفنا تحت قوس متواصل من الجذور العالقة والعرائش المتدلية. وفاجأتنا احياناً اخرى منعطفات واسعة كاشفة، فالتوينا مع مجرى النهر وقطعناه من ناحية الى ناحية متلمسين دوماً حماية الظل. واعترضتنا ايضاً سدود وافرة من الرمل، فترجلنا ومشينا جارين وراءنا الزورق. والتقينا على طول مسيرتنا سمك "الراي" النهري الذي كان يهب من مخابئه الرملية ثم يغوص في بطن المياه الكثيفة الخضراوية. ان ضربة واحدة من ذيل هذا السمك المنشاري كافية لان تسبب اوجاعاً لا تحتمل تدوم اياماً بكاملها. اما اليوم فبدا الراي غير آبه بنا لحسن طالعنا.

صوبت ماريا اهتمامها الاكبر الى السلاحف، اذ كنا في ختام الموسم الذي تطرح فيه سلاحف الامازون بيضها. فأخذت تقتفي آثار زحفها على الرمال الى حيث تقوم اعشاشها، حتى جمعت مقدار مئة بيضة. وهذا



البيض مليء بالبروتيين ولذيذ الطعم، خصوصاً اذا جبل بدقيق "الكاسافا". وعلى رغم ان السلاحف تتمتع بحماية القانون البرازيلي، إلا ان هذه الحماية لم تكن لتوقف شعب الادغال عن اصطيادها والاستيلاء على بيضها.

اما أدهش الحيوانات التي صادفناها فكان صنفاً من القوارض الضخمة المسماة "كابيبارا". انها بنية اللون وذات خطم مربع، وهي تهجم منتفضة من بطن اعشاب الغابة لتقفز الى عمق الماء وتختفي عن الانظار. وقد قال لي احد العلماء في وقت لاحق ان هذه الحيوانات تستطيع ان تحبس انفاسها تحت الماء مدة ثلاثين دقيقة. اما البيروانو فصرح بانها تهيىء لنفسها حجوراً تحت المياه تأوي اليها هرباً من اعدائها.

واشار البيروانو بحركة واسعة من يده الى الطيور: هناك طائر الطوقان بالوانه الغنية ومنقاره العريض، يتعالى صراخه من قمم الاشجار. وهناك رفوف اوزات "الاورينوكو" الرشيقة تحلق بانتظام فوق رؤوسنا. وهناك ايضاً مختلف اصناف الببغاء: الببغاء القرنفلي الناري اللون، المدعو "ماكاو"، يملأ الفضاء بنداءاته الخشنة، والببغاء الاخضر الزمردي يطير من ضفة الى ضفة حاملا وراءه ذيله الطويل... وفي اختصار، لقد اتيح لي ان احصي ثمانين صنفاً من الطيور، اغربها ذاك الصنف المدعو "اورو بوندولاس". وتحط افراده على شجرة حتى تمتلىء بأعشاشها الشبيهة بالجوارب، التي يزيد طول الواحد منها على المتر.

ويتفرد هذا الطائر بنغم خاص، فيه قرقرة دامعة يتبعها صوت كصوت الوقواق، يرن في الاذن كأنه ساعة الكوكو السويسرية بالذات.

والتقينا حيوانات اخرى لاعد لها، منها ثعالب الماء (القضاعة)، يلاحق بعضها بعضاً على طول ضفة النهر،


ماريا زوجة البيروانو على ضفة نهر كاتريماني.

ومنها الافاعي التي تلف امتارها الثلاثة حول الاغصان، ومنها الخفافيش الصغيرة، ينتابها الاهتياج لدى مرورنا ضمن جناح شديد العتمة من الغابة فتضرب الفضاء بأجنحتها ضرباً عشوائياً، ثم لا تبرح ان تعود فتغط متجمعة بعضها على بعض، لا يميز بينها وبين الغاب شيء.

ارض مجهولة

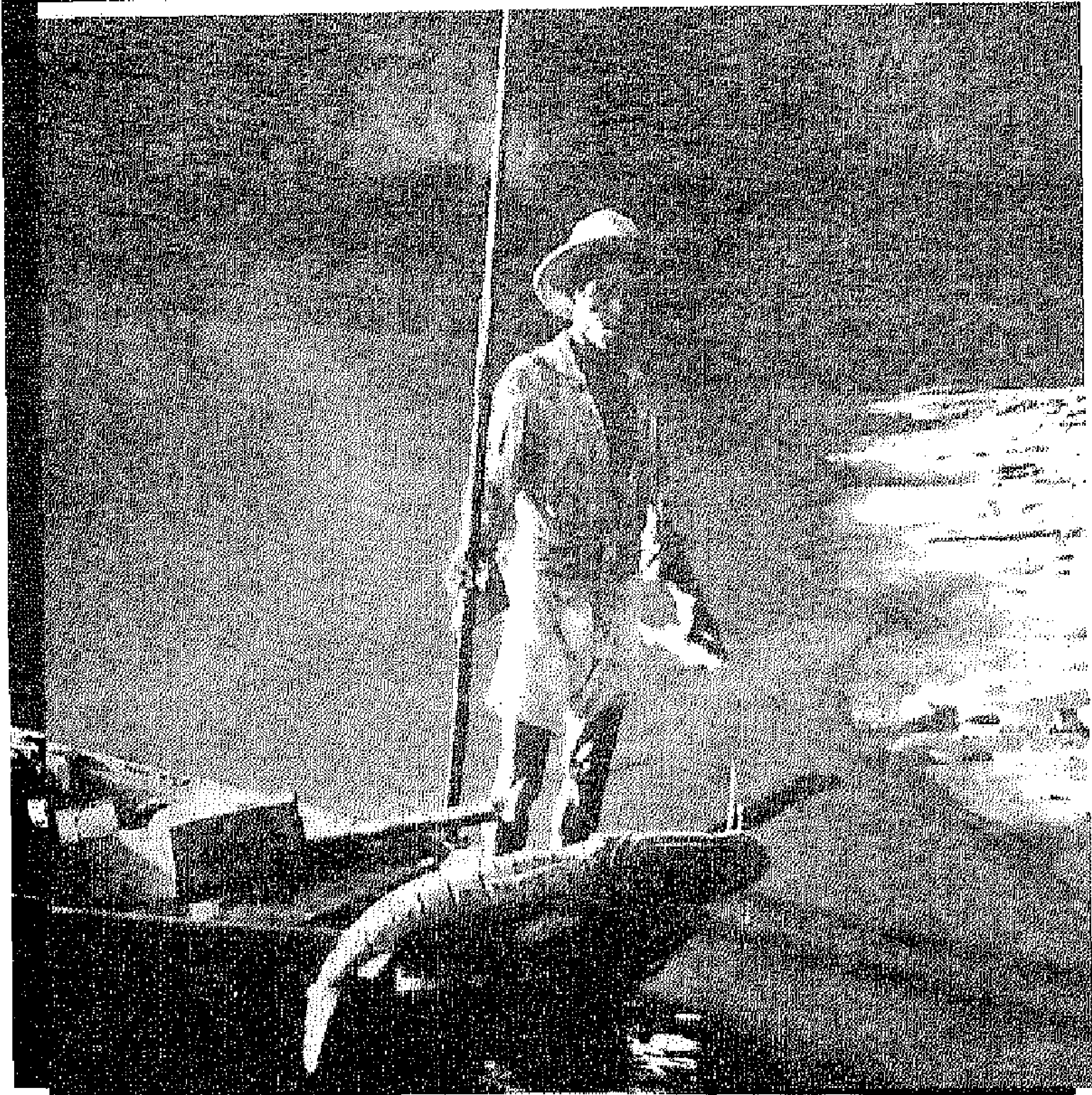
في الحادية عشرة من كل صباح، عندما تشتد حرارة الشمس فلا نعود نتحملها، نميل الى أحد الروافد الكثيرة التي تغذي نهر كاتريماني ونحط رحالنا. واحاول ان اغطس في ماء الرافد سابحاً، فيصدني البيروانو ويذكرني بأنها تعج بسمك الراي السابق ذكره والانقليس الكهربائي الذي له القدرة على ان يوزع في الجسم هزات عنيفة تبلغ قوتها ٦٠٠ فولت، كذلك بأفاعي "الاناكوندا" التي تحبس انفاس فريستها في طياتها، فضلا عن اصناف الحيتان الشرسة، وهي اربعة اكبرها الصنف الأسود. ان عضة واحدة من هذا الصنف تقلع من فخذ الانسان قطعة لحم توازي حجم الدولار الفضي. ويسكن اخيراً في هذه النهيرات ارهب الخلائق على الاطلاق، وهو صنف من السمك دقيق جداً يبدو في حجم المسواك ويدعى "كانديرو". وهو يتغلغل في فتحات الجسم ويشق طريقه، مخلفاً صفاً متواصلا من الشوكات الحادة، لا يستطيع الانسان التخلص منها الا بواسطة عملية جراحية.

يعتبر علماء الطبيعة ان اصناف سمك نهر الامازون المعروفة لديهم حتى اليوم لا تتجاوز ثلثي عددها الكامل، علماً بأن عدد الاصناف المعروفة يراوح بين ١٣٠٠ و١٤٠٠.

هذا الشح في المعرفة ليس جزءاً من جهل كثيف متراكم حول وادي

الامازون. وتعادل مساحة هذا الوادي مساحة اراضي الولايات المتحدة القارية. وهو القفر الاخير والاوسع الذي تغطيه الاشجار بهذه الكثافة على وجه الارض. ولا يعرف من اصناف نباتاته سوى ٢٥ ألفاً، اي نصف عددها الاجمالي، فيما لم يتعرض للتحليل العلمي اكثر من ١٠ في المئة من المقومات الكيميائية لهذه النباتات. ومن يدري كم صنفاً من الادوية العجائبية، الشبيهة بتلك المادة الصمغية "الكوراري" التي يستخدمها الهنود لاسهمهم المسممة، لا تزال تنتظر من يكشف عن اسرارها؟ الشعوب الهندية ذاتها لم تُحدَّد مواقع اقامتها بعد. كما ان الانهر الرئيسية لم تكتشف بكاملها. وحدث في العام ١٩٧٦ ان حلقت طائرة تابعة للقوى الجوية البرازيلية فوق القاطع الجنوبي الغربي من ادغال امازونيا وصورتها، فكشفت الصور عن نهر مجهول تماماً يبلغ طول مجراه ٦٤٠ كيلومتراً، تغطيه الاشجار من البداية حتى النهاية.

ذات يوم تتبعت بنظري السحابة البيضاء الرقيقة التي تجرها وراءها الطائرة النفاثة في الفضاء الازرق. انها، بلا شك، الطائرة الاسبوعية التي تنقل المسافرين كل ثلثاء من مدينة ريو دي جانيرو في البرازيل الى مدينة ميامي في الولايات المتحدة. وفكرت في المسافرين وهم ينهمكون بالكشف عن طعامهم المعد سابقاً والملفوف بورق السيلوفان الصقيل الشفاف، واستولى علي شعور قوي باني بعيد فعلا كل البعد عن العصر الذي تعيش فيه هذه الطائرة وركابها.



البيروانو مع سمكة من صيده.

اعتدنا ان نأوي عند الغسق الى احد النهيرات الجانبية، فنصف زورقنا على ضفته ونبدأ قطع اغصان الشجر من حولنا بالفؤوس لكي نعد مكاناً لاستراحتنا ونعلق اراجيحنا المشبكة. اما ماريا فكانت تهتم باشعال النار، توقدها من قشارات الحطب ثم تغذيها بقضبان ضخمة، فيعلو اللهب ويقينا لمعانه الباهر خطر النمور المرقطة.

بعد ايام من الرحلة كانت خطتنا

مرسومة بانتظام: ننهض باكرأنحو الثالثة والنصف ونبدأ مسيرتنا بعد ساعة، فنسعى الى قطع مسافة طويلة قبل بزوغ الفجر. وكلما تركنا وراءنا بضعة كيلومترات، كنت اسمع البيروانو يهمس وهو ينظر وراءه: "عشرة اخرى منها اليوم".

بقي امامنا الشوط الثاني من الرحلة، وهو شاق، قويم الخط. طوال الايام الثلاثة اللاحقة لم نجد في مسيرتنا اي اثر لضفة النهر. لقد ضاق مجراه واشتدت سرعة التيار، تعترضنا وتمنعنا احياناً من التقدم على رغم ضربات مجاذيفنا العنيفة. وبدا التعب على وجه البيروانو، فاعترف قائلا: "انني رجل مسكون بالامراض". ثم دخلنا سان سيباستيان، وهو خندق مستقيم طويل يبلغ عمق المياه فيه خمسين ذراعاً على حد قول البيروانو. وراح يخبر انه في موسم الامطار، تعج الماء هنا بقوة يعجز الانسان عن مجابهتها في زورقه: هنا يعيش الصل الكبير، وهو هول خرافي يتحدث عنه الفولكلور الامازوني: يمتد ثلاثين متراً ويغرق الزوارق ويبتلع البشر. وقال البيروانو: "لم ار قط في حياتي الصل الكبير. ولكن يخبر الناس ان لعينيه لمعان الحباحب الناري".

"إياكم ان تقتلوه"

سألت البيروانو عن قبيلة ماريا. قال انه تعرف على جماعة الأيكا للمرة الاولى عام ١٩٤٨ حين كان يعمل في مزارع المطاط. كان عددهم آنذاك نحو مئتين، وكانوا يسكنون ضفة نهر آخر. وفي اواخر الخمسينات لقي رئيس القبيلة وعدد كبير من افرادها حتفهم من جراء "حمى" حملها اليهم احد رجال الادغال. وتجدر الاشارة الى ان عبارة "حمى" قد تعني، لمواليد الامازون، اي نوع من الامراض، من الملاريا حتى السل. وقد تمكنوا من التكيف مع بيئة الادغال القاسية، لكنهم فقدوا اي مناعة ضد الامراض التي تصل اليهم من عالم ليس بعالمهم. ففي عصرنا هذا وحده هبط عدد هؤلاء الهنود من ٢٥٠ ألفاً الى ٧٥ ألفاً.

ثم رحلت قبيلة الأيكا في اتجاه نهر كاتريماني. وانتقل البيروانو عام ١٩٥٩ ليسكن معهم هناك. وكان هدفنا في هذه الرحلة احدى مستعمراتهم، "برازيل- نت كريك"، حيث تعيش ثلاث عائلات. وعلى مسافة ست ساعات من تلك المستعمرة يعيش ثلاثون هندياً آخر، بينما يعيش بعض العائلات الباقية على ضفاف نهر باكو، احد روافد كاتريماني. ويجتمع هنود هذه المنطقة من وقت الى آخر لاقامة الاحتفالات. انهم شعب يعشق الطرب. وهم يسترخون في اراجيحهم ويتبادلون النكات طوال الليل. وينهض احدهم من حين الى آخر ويباشر الرقص او يروي احدى الروايات، بينما يظل الباقون منصتين اليه. وقال البيروانو: "انهم سيحبونك. وستكون هذه المرة الاولى في حياتهم التي يسمعون نغم القيثارة".

في اليوم العاشر من رحلتنا تراءت لنا المستعمرة المقصودة. وهرع نحونا ثلاثة من رجال الهنود فيما تعالت صرخة ابتهاج من حنجرة البيروانو لدى رؤية مسكنه. وما ان ترجلنا الى

ضفة النهر حتى تناولت يده واخذت اهزها بحرارة، كما كنت اتصرف مع دليل من جبال الالب يقودني الى تسلق احدى قمم جبال بلاده. وللحال خامرتني فكرة العودة التي تبدو سهلة جداً لانها في اتجاه تيار النهر من بدايتها الى نهايتها. ولكن سرعان ما تبين لي ان مغامراتي لما تنته، واني ما زلت في المراحل الاولى منها.

جلسنا في الغرفة الرئيسية من الكوخ المرتفع، مع روبي ومانويل وبدرينيو، وهي الاسماء التي اختارها البيروانو للهنود الثلاثة. اما اسماؤهم القبلية الاصيلة فقد علمتني خبرتي السابقة ان امتنع عن السؤال عنها.

ووزع البيروانو هداياه عليهم: سراويل قصيرة وشراب الكاشاسا وقبضة من قذائف بندقية الخردق. وجلسنا في اراجيحنا نمضغ قطعاً مجففة من اللحم. وقال البيروانو: "لا اظن اني سأعود حالا الى كاتريماني. لن اترك هذا المكان عاجلا، اذ لا داعي الى ذلك. ان ظهري يؤلمني من جهة، ومن جهة اخرى انوي زرع بعض حبوب الكاسافا".

وحاولت ان احافظ على هدوء اعصابي عند سماع هذا الكلام، فسألت: "متى تنوي العودة اذاً؟"

– من يدري؟ ربما عدت "غداً".

لكن الغد ههنا قد يمتد من النهار الآتي حتى السنة المقبلة. فقلت له: "هل يمكنك ان تكون أكثر وضوحاً، فتقول لي متى تنوي العودة الى كاتريماني؟"

– من يدري؟

بعد شهرين او ثلاثة!

قلت محاولا السيطرة على اعصابي: "انت تعلم جيداً انه لا بد لي من الرجوع حالا والا سيقلق الاهل في امريكا على مصيري".

فأجاب: "لا داعي الى هذا القلق. اذا كانت امريكا تبعد مسافة اربع سنوات بالزورق عن هذا المكان، كما صرحت لي سابقاً، فما الفرق اذا طال غيابك شهرين او ثلاثة؟"

واصابتني الملاحظة في الصميم، فلم اجرؤ على اضافة اي كلمة. لكني صممت على ان اعمل كل ما في وسعي لئلا ابقى دفيناً هنا هذه الاشهر كلها. ان مهمتي العلمية، من جهة، لم تنته بعد، ولا يزال امامي مناطق كثيرة اخرى تدعو الى الاستكشاف. وان مناخ هذا المكان، من جهة اخرى، لا يدعو الى الارتياح، بل يوهن العزائم. فالمسكن وزريبته هما ملعب تسرح الصراصير فيه وتمرح، كما تفوح منه الرائحة الكريهة المتصاعدة من اللحم العفن.

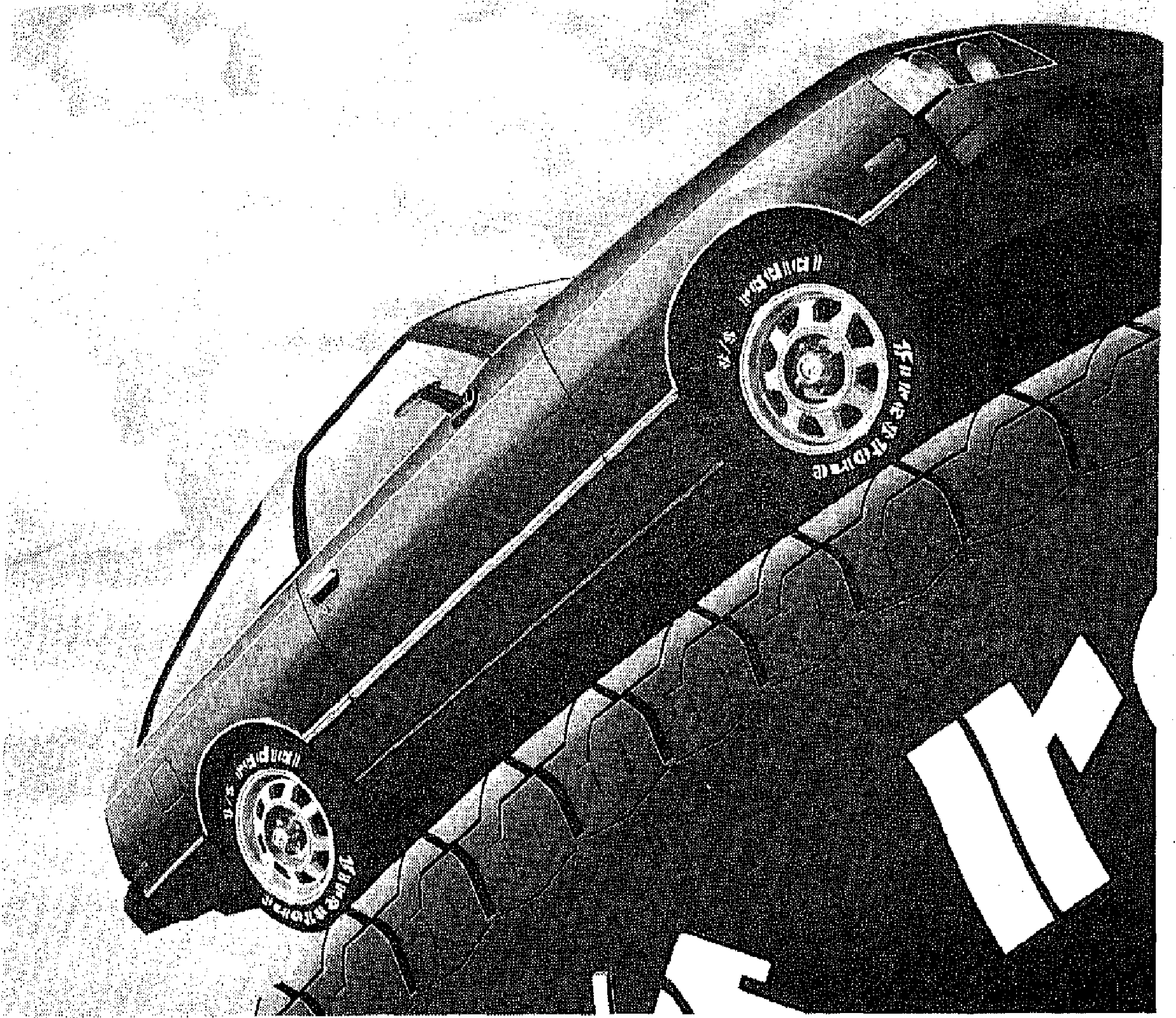
وفي النهاية افشيت كربي، فقلت: "اذاً، ما العمل؟ وكيف السبيل للخروج من هنا؟"

اجاب البيروانو: "اذا سلكت مجرى النهر، فانك على مسافة اسبوع من ارسالية كاتريماني. ولكن يعترضك في طريقك اليها اثنان وعشرون شلالا، لا رغبة لي الآن في مواجهتها. واذا سلكت اليابسة عن طريق الجبال، فانت امام المسافة ذاتها".

سألته: "هل ترافقني؟"

قال: "لا. ان المسافة طويلة بالنسبة الي. لماذا لا تسأل الاصحاب هنا؟ اطلب مساعدتهم وقدم اليهم بدلا عنها، فيطيب لهم الامر".

وهكذا كان. ووقع اختيار مانويل على بطاريتي، ولعبت عين روبي على فأسي الجديدة. اما بدرينيو فارتضى



هدية من فايرستون

أعبر الطرق انيقاً مع اطارات س/س من فايرستون ، تلك الاطارات العريضة تلامس الارض بعنف لتلتهم المسافات ، انها الاطارات المثلى للقيادة القوية ،
اطارات س/س متفوقة في متانتها ، صممت الكترونياً لفعالية أكبر وجودة لا تضاهى ، كما أن الحروف البيضاء على الاطار تلفت الانظار وتثير الاعجاب ،
تفحص اطارات س/س الجديدة ، انها ضخمة وأنيقة ،

يعكس مظهرها الرائع عظمة ادائها ، وهي تصلح للسيارات الصغيرة والكبيرة ، انها هدية فايرستون اليك ،

Firestone
INTERNATIONAL COMPANY

S/S Radial

الحصول بدوره على قميص بنصف كم.

بلغ مانويل الثامنة عشرة من عمره، وهو ذو رجلين ضخمتين وشعر محلوق على هيئة طاسة. وكان روبي في السابعة عشرة، وهو يتقن استعمال نحو مئة كلمة من اللغة البرتغالية. وراقبته في ساعة الظهر وهو يسلخ جلد هرة برية، فبدت لي عيناه فارغتين، لا حس فيهما ولا نور، مع شيء يجلب الرعب. اما بدرينيو فظهر اللطف.

وبعدما تم الاتفاق بيننا وزع البيروانو عليهم ارشاداته الاخيرة، فقال: "اياكم قتله. انه رجل ذو شأن. واذا حدث ان قضيتم عليه، فستأتي طائرة تحوم فوق رؤوسكم وترميكم بوابل قذائفها".

لقاء مع ساحر

في الصباح الباكر خرجنا، نحن الاربعة، الى مرعى تعلو اعشابه خمسة امتار. حمل مانويل سلة من دقيق الكاسافا، اضافة الى قيثارته وبندقية محشوة بالخردق. وحمل روبي بندقية اخرى مع صرتي ورفعها معكوسة كي يلف حزامها حول رأسه. وحمل بدرينيو قدراً للطبخ مع حزمة من ثمار استوائية شبيهة بالموز. اما انا فعلقت على كتفي حقيبتي الملأى بالتجهيزات التصويرية والتسجيلية المختلفة مع دفاترمذكراتي.

سرت وسار الهنود الثلاثة وشفاههم السفلى منتفخة بأوراق الدخان الملفوفة. وقطعنا الغابة نماشي مجرى النهر، وأشرفنا على سهل واسع ارتفعت اعشابه بكثافة، وهو ذو أرض رملية تعترضها هنا وهناك بعض الاشجار القصيرة الملتوية. وانتصبت امامنا في الافق البعيد قمم سييرا تاباتينغا الصخرية الناتئة، يؤلف اعلاها مثلثاً كامل الهندسة، وقامت في ظل الجبل قرية تخص قبيلة الايكا.

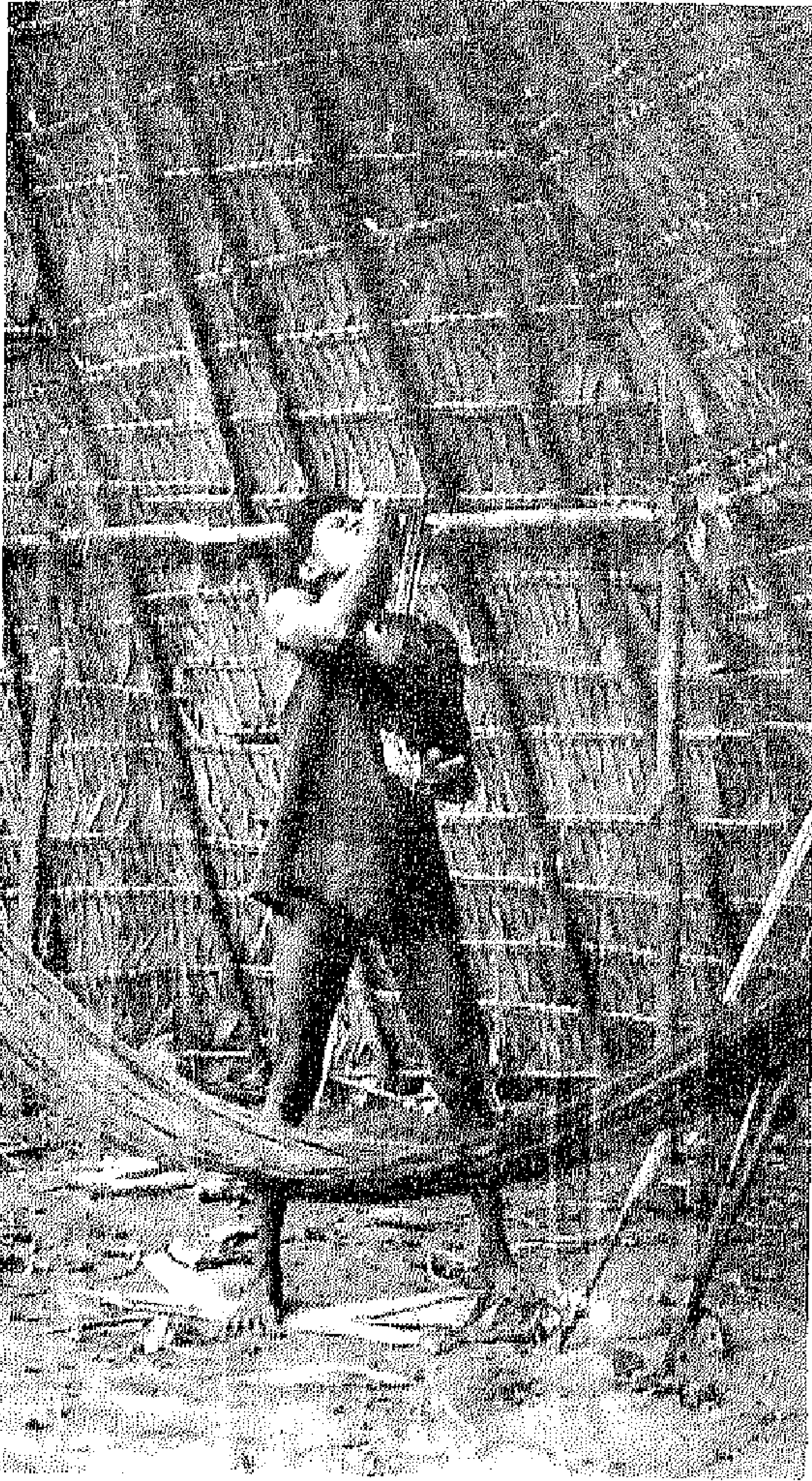
وسألتهم: "ما المسافة بيننا وبين القرية؟" فمد بدرينيو يده بحركة واسعة، مشيراً الى الموضع الذي تصل اليه الشمس عند الساعة الخامسة. وكان خط السير الذي يقطع السهل المعشب ممراً ابيض ضيقاً، لا يتجاوز عرضه العشرة سنتيمترات. ويعود ضيقه الى الطريقة التي يتبعها الهنود في سيرهم. فهم يضعون رجلهم الواحدة امام الاخرى من دون أن يحيدوا عنها، ويمكنون في الارض اصابع ارجلهم العريضة ويقطعون المسافات ركضاً لا مشياً. ويبلغ معدل سيرهم على هذا النحو ٦٥ كيلومتراً في النهار. واجهدت نفسي كل الجهد كي الحق بهم، غير اني تعثرت مراراً بالجذور والعرائش، وانبطحت ارضاً بملء قامتي. وعندما كنت أنهض وانتصب على رجلي، كان الهنود يغيبون عن نظري من جديد وتضيع علي معالم الطريق. فاناديهم بصوت يسجع كهديل الحمام كي استرعي انتباههم، فيرجعون على خطاهم وينتصبون حولي وايديهم على خواصرهم للدلالة على نفاد صبرهم... اني مقتنع بان اي انسان في حالي الخرقاء هذه يعرض نفسه للهلاك المحتم في عالمهم.

وكانت الغابة عند الطرف الآخر من السهل المعشب فتغلغلنا فيها وسلكنا طريق الصعود في اتجاه قمم الجبال. وتسلق روبي شجرة كاكاو وقطف من ثمارها الناعمة المشوكة،

فتلذذنا بلبها الابيض الشهي. وأظهر مهارته في تسلق الاشجار على الطريقة الهندية: تناول بيديه جذع الكاكاو العاري ورفع رجليه الى مستواهما، ثم رفع اليدين الى مستوى اعلى والحقهما سريعاً بحركة مماثلة من الرجلين، واخذ يصعد هكذا الى ان بلغ القمة.

دخلنا القرية في الخامسة بعد الظهر حسب الموعد المحدد، فوجدناها خالية من سكانها. لقد خرجوا جميعاً للاعتناء بحدائقهم. وبدا مسكنهم الجماعي رائع البناء، مصنوعاً من سعف النخل المنسوج حول هيكل من السواري يبلغ قطره ٤٥ متراً وعلو محوره ١٢ متراً. ويعيش في هذا المسكن ثمانية رجال وست نساء وستة اولاد. ولكل عائلة منهم منطقة خاصة مقطوعة على شكل اسفين، تحتوي على مقود مع عدد من الدعامات التي تصلح لتعليق الأراجيح والطعام والمقتنيات الاخرى. ووجدنا حول المواقد قدوراً معدنية اكتسبوها من البيروانو، وهي المظهر الوحيد لديهم الذي كان يدل على الحضارة الغربية ومنتجاتها.

بعد غروب الشمس عاد جماعة الايكا من عملهم في ضوء البدر الكامل. وبدا رجالهم طوال القامة بالنسبة الى المقياس الهندي العادي. وكانت رؤوسهم حليقة الشعر على هيئة طاسة وأسنانهم لماعة. اما رقابهم واعالي اذرعتهم فبرزت مزينة بجدائل من الخيزران الصغيرة البيضاء. وحمل كل منهم قوساً طولها متران ونصف متر مع سهامه. وبدت النساء قصار القامة، مع مسحة حياء على وجوههن، وقد ارتدين مآزر



ليونسا الساحر يتنشق مسحوق "واشاهاروا" المخدر.

منسوجة قصيرة. اما الاولاد فقد زينوا شحمات آذانهم واعالي اذرعهم بعناقيد من ريش الطوقان.

استقبلني شاغاس، وهو شقيق مانويل الاكبر ورئيس القبيلة، ببشاشة، وتوصل الى افهامي ان عدد الايكا بلغ ١٤٠ شخصاً لثلاث سنوات خلت، وان معظم الذين توفوا ذهبوا ضحية "الحمى". وبلغني في وقت لاحق ان البيروانو ابتلي بداء السل، وهو داء مجهول لدى قبيلة الايكا والبيروانو بالذات. فراودتني فكرة أن البيروانو، الذي يعتبره الهنود

صاحب اليد البيضاء عليهم، هو في الحقيقة المسبب لوفاة معظمهم.

بعد ظهر اليوم التالي عاد ساحر القرية ليونسا من رحلة الى بطن الغابة قام بها وحده. هذا الهندي عمره اربعون سنة، وجهه منبسط كوجه الطفل وجسمه صلب مثل جسم الراقص. طرح قوسه وسهامه على الارض ومد يده الى جعبته الخيزرانية، وطولها ٤٥ سنتيمتراً، متناولا غطاء مصنوعاً من جلد الخنزير. ووضع في طياته ثلاثة انواع من اسنان الاسهم: سن من الخيزران العريض لاصطياد الخنزير، وسن شائك من عظم السعدان لاصطياد الطيور، واخيراً سن من خشب مستقيم شبيه بالصنارة لاصطياد السعادين. وطلى كلا من هذه الاسنان بمادة صمغية مسحوقة لها، من جهة، مفعول السم، ومن جهة اخرى مفعول مخدر يولد الهذيان.

تناول ليونسا قبضة من هذه الاسنان واخذ يفركها فوق ورقة موز، الى ان تجمع لديه ركام كاف من مسحوق يراوح لونه بين الاحمر والبني. ورفع المسحوق الى انفه وتنشقه من منخريه، ثم اوى الى ارجوحته. وما ان مضت عليه خمس عشرة دقيقة حتى هب من مكانه واخذ يغني ويبصق ويئن ويرقص مؤدياً حركات رشيقة من يديه وملقياً نظرات مستعطفة الى اعلى. وقام غناؤه على نغمة جميلة هادئة، شبيهة بالاغاني الروحانية الخاصة بزنوج امريكا، ترافقها مقاطع طويلة من الكلمات الغريبة تنطلق متدحرجة من فمه. وأسر روبي في اذني: "هو وحده يدرك ما يقول".

ان هذه التنشيقة، التي يسميها الايكا "واشاهاروا"، يتناولها رجالهم فقط، ولاسيما السحرة منهم. وقال روبي: "انها تزجك في عوالم اخرى، فترى الأفاعي الطويلة (الاناكوندا) تسبح في الفضاء، وترى عيون النمور المرقطة تهيج باللمعان من خلال الاغصان". ويعتقد جماعة الايكا ان الموت والمرض ليسا مصادفة، وانما تسببهما روح شرير او عدو بشري. ويتنشق الساحر الواشاهاروا لمعرفة هوية المذنب، لانها تساعده على ادراك الاسباب الخفية للأحداث.

أفعى "سن الرمح"

ضم روبي ومانويل جهودهما كي يقنعا ليونسا بمرافقتنا الى الارسالية، فقبل. وقمنا نسير تاركين وراءنا بدرينيو بعدما فقد الرغبة في مواصلة الرحلة. واظهر ليونسا براعة في استعمال القوس، من دون ان ننتظر ذلك. ولدى سماعه نداء من مجموعة اشجار، صادراً من حنجرة طائر الكوراسو، هيأ واحداً من سهامه ثم قفز نحو مصدر الصوت برشاقة. وتنقل بقفزات طويلة وهو ينحني نصف انحناءة. وقبل ان يشعر الطائر به، انتصب على مقربة منه وصوب اليه ضربة جعلته يهوي على الارض والسهم معلق في عنقه.

واكلنا كل ما وقعت عليه ايدي الهنود. في احدى الليالي اكلنا سلحفاة سلخ روبي جلدها وقلبها يضرب حياً. وفي ليلة لاحقة اكلنا القاطور، وهو تمساح امريكي هرّم روبي ذيله بضربات متتالية من فأسه. ثم وضعه فوق النار، فأخذ الذيل

رحلات كاثي باسفيك
إلى الشرق الأقصى

رحلات من القلب إلى القلب، لأكثر مناطق آسيا سحرًا وروعة





CX53

بانكوك/سنغافورة/هونغ كونغ

١٠٤٠ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٢ ليلة .. رحلة أسبوعين من اللهو والمرح
في ثلاث مدن آسيوية مشهورة ..
للتسوق والسياحة والليالي الساهرة ..

بانكوك/بتايا

٧٠٤ دولار أمريكي

٧ أيام و٦ ليالي بين روعة وهيبة معابد بانكوك المشهورة ..
وسوقها الأسطوري العائم .. وهدوء الطبيعة الساحرة في مصيف
بتايا، أشهر مصايف تايلاند الساحلية ..

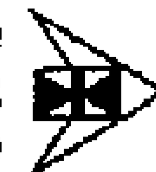
بانكوك/مانيلا/هونغ كونغ

١٠٤٥ دولار أمريكي

١٤ يوماً و١٢ ليلة .. إن بانكوك وهونغ كونغ مكانان لابد لكل
سائح من زيارتهما إلا أن هذه الرحلة تشمل أيضا مباهج مانيلا حيث
يجد الزائر متعة في شراء الهدايا بالثمن الذي يناسبه،
وحيث يستقبله الناس بكل بشاشة ومودة كما أن الانطلاق منها في
جولات خلوية في الأرياف يزيد من قيمة وروعة هذه الرحلة.
ستجد وأنت على متن طائراتنا في كل هذه الرحلات كل ترحيب
وعناية وستحيطك مضيفاتنا المتعددات الجنسية واللواتي يأتين
من ٩ أقطار مختلفة، بكل رعاية،
وبخدمة لا يقدمها غيرهن.

من صميم آسيا.

Hong Kong's discovery airline
CATHAY PACIFIC
The Swire Group





يمكنكم مراجعة الأسعار والحصول على كتيب الرحلات من أقرب مكتب لشركة طيران كاثي باسفيك

البحرين ٢٥٨٨٥٠ - الخبر ٨٦٤٢٧٢٧ - جدة ٤٦٢٢٥ - الرياض ٤٦٤٥٦٦١/٤٦٥٠٤١٢ - الكويت ٤٢٢١٠٦ - الدوحة ٣٢٠١٨٢ - ابوظبي ٣٢٢٢١٠ - دبي ٢٢٤١٥٦ -
مسقط ٧٠٢٩٥٢ - بيروت ٣٦١٢٣٠ - دمشق ٢٢٨١٥٥ - عمان ٢٤٣٦٣ - القاهرة ٤٣٣٢٦

يلتوي وينتفض فوق لهبها. وسألت روبي اذا كان هناك شيء يمتنعون عن اكله، فقال: "اننا لا نأكل الايل والنمور السوداء او المرقطة لانها حيوانات مقدسة، تسكنها ارواح الموتى".

في هذه الليلة بعينها، بينما كنت مستلقياً في ارجوحتي، ادركت اخيراً اني نلت مبتغاي واتممت المهمة التي من اجلها قدمت الى بلاد الامازون. واستولت علي الرغبة في ان اهجر عالم حضارتنا لمدة معينة، وانتقل الى حضارة اخرى اقدم منها في الزمن واقرب الى الطبيعة، حضارة لا يزل الناس يعيشون فيها عيشة الطبيعة بالذات. ووجدت في شخص ليونسا الانسان الطبيعي الذي ابحث عنه. ولمست من خلال الوهج اللطيف الذي تشع به شخصيته انه مدرك كل الادراك حقيقة الوحدة الضمنية التامة التي تربط بينه وبين بقية الكائنات الحية حوله. وفي الوقت نفسه لمست من خلال انقطاعي التام عن الحضارة التي نشأت فيها، العزلة الرهيبة حولي، فثارت فيّ هزة خفيفة من الوجل والرهبة.

ان الكتاب الوحيد الذي حملته معي يروي تفاصيل رحلة الى بلاد الامازون هذه، وقد كتبه أحد الرحالة منذ مئة سنة. والجدير بالذكر أن كل ما وصفه الكتاب عن هذه البلاد لا يزال هنا اليوم، ثابتاً على حاله الاولى، كما لا يزال مهيمناً عليها ذاك السأم المخيف الذي يجر البشر الى شفير الجنون. واستولى علي شعور غريب بأني غدوت سجين تلك الرتابة التافهة في لونها الاخضر الذي تفرضه هذه الادغال الغزيرة الامطار. وشعرت بالتعب يلوعني من جراء طنين الذباب الذي يحوم حولي دونما انقطاع، كذلك من هجمات الاسهال المتتالية. وادركت ان اعضائي بدأت تنضح بالنتانة المتفشية في جسم لا يكف عن إفراز السوائل. واقلق راحتي اخيراً هاجس المحافظة على حلق ذقني ونظافة اظافر يدي والعناية بكل ما من شأنه ان يعيد الي ذكرى انسانيتي "المتمدنة".

في اليوم التالي اشرفنا على مطل بني اللون، يكشف عن مشهد شامل للغابات الممتدة اميالا وراء اميال والمتراصة بعضها على بعض، مع قمة جبل شاهق تنتصب وراءها عند حدود الافق. وكانت تلك المرة الاولى التي نرى كرة الشمس ونورها الذي جرح وهجه عيني. وهبطنا مرة اخرى نحو عتمة الغابة والامطار تهطل من جديد.

في اليوم التالي بلغنا نهر باكو الذي يجري بعرض ٤٥ متراً ويتقلب فوق ركام من صخور ملساء ضخمة، تتلألأ بسوادها تحت رذاذ الماء، فاتيح لنا، للمرة الاولى منذ ايام، ان نغسل ثيابنا التي امتصها العرق، ثم نضربها على الصخور وننشرها في عين الشمس الى ان تنشف. وهرع روبي ومانويل وليونسا الى متابعة مسيرتهم من غير شفقة. وجريت وراءهم مترنحاً كالسكران وباذلا غاية جهدي، خصوصاً بعد ليلة قضيتها اعاني اوجاع الاسهال.

فجأة توقف ليونسا كالمصعوق واوقفني معه. هنا امامنا، وسط الممر الضيق، ربضت الافعى المسماة "سن الرمح"، بطولها البالغ ٧٤ سنتيمتراً.

فوق رؤوسنا، فاخذنا نركض غير مبالين بها· وحين توقف المطر، توقفنا بدورنا وحططنا رحالنا للاستراحة· وقال لي روبي: "على اثر المطر، تخرج الافاعي من اوكارها· وهي، اذا لسعتك، اماتتك حتماً· فاحذرها"·

وهذا الصنف هو اكثر الافاعي السامة انتشاراً في امازونيا· ويعرف عنه انه شديد الشراسة وقادر على ان يحقن في جسم الانسان كمية هائلة من السم الاصفر القتال· لكن أفعانا تلك لم تبد اي مقاومة عندما تقدم منها ليونسا وتناولها بلطف على سن سهمه ليلقيها على جانب الممر· وكان نظره الحاد اكتشفها بين الاوراق الزيتية اللون، فاوقفني عن السير لئلا ادوسها فتلسعني· وكنت احمل ستة انابيب للحقن المضادة للسم، لكن مفعول الدواء لن يحميني تماماً من سم الافعى· وانا مقتنع باني مدين بحياتي لليونسا·

نهاية الطريق

مرت ساعات قبل ان نصل الى مستعمرة الايكا على نهر باكو· وهي مؤلفة من اربع سقائف هزيلة او خمس وسط حديقة موز· ووجدناها خالية، فتوجه ليونسا ومانويل وروبي الى الصيد· واذ لم يحالفهم الحظ، عادوا بسرعة وهم يحملون كومة من جذور الكاسافا الحلوة الطعم· وكان أكلنا في اليومين السابقين قليلا وحقيراً، والآن هذه الجذور وحدها·

وتكلم روبي باسم الهنود الثلاثة، قائلا ان التعب اخذ منهم كل مأخذ وانهم عائدون الى مسكن البيروانو في مطلع الصباح· وأضاف: "عليك ان تجد سبيلك بمفردك الى الارسالية"· فاستولى علي الرعب وصرخت بهم: "كيف يكون ذلك وانا لا اعلم اين تقع الارسالية؟" فاجاب روبي: "اما ان تجد سبيلك واما ان تموت جوعاً"· فاستحال الرعب في الى غيظ، واخذتني رغبة في ان امنع عنهم البطارية والفأس وبقية الاشياء التي وعدتهم بها· ثم فكرت في نفسي: ولكن من يمنعهم عن قتلي والاستيلاء على كل شيء؟

وبدا مانويل اقلهم تصلباً في موقفه· كان ينام خلال رحلتنا على قطع خشب ضبط بعضها مع بعض بحبل لانه لم يكن يملك ارجوحة· فعرضت عليه ان يرافقني في مقابل ارجوحتي· فقبل العرض·

لم تكن الارسالية بعيدة عنا، بل كانت على مسافة ثلاث ساعات فقط كما تبين لي لاحقاً· وسلكنا مزارع واسعة من الموز والكاسافا· وفي العاشرة صباحاً أخذ يبلغ آذاننا ضجيج الشاحنات من الوادي على الطريق العام تحتنا· فتوقف مانويل وارتدى افضل ما عنده من لباس وصبغ وجهه بعصير لامع، احمر وبرتقالي معاً، اسمه "اوروكتو"، ثم شك ريشة في شحمة اذنيه وهو يفسر لي موقفه قائلا: "يؤم الارسالية نساء قادمات من القرى البعيدة· ومن يدري؟ قد يسعدني الحظ فاجد بينهن واحدة تناسبني"·

وصلنا الى مسكن مستدير يبلغ علو سقفه ٢٣ متراً، وجدنا في داخله هنوداً يحركون بمجاذيفهم معجوناً من الموز الحار في زند من الخشب واسع مجوف· ولمعت عيونهم اهتياجاً لدى

رؤيتنا، ثم اقتادوني تواً الى المستشفى حيث التقيت حسناء بيضاء في الاربعين من عمرها. انها كلوديا اندوجار، احدى شهيرات فن تصوير الهنود في البرازيل. وعرفتني على رجل ايطالي ملتح اسمه كارلو زاكيني. وهو يعيش هنا منذ ثماني سنين، يمارس خدمة الكهنوت ويقدم العناية الطبية الى قبيلة يانومامو، وفي الوقت نفسه يهتم بدراسة حضارتهم وأساطيرهم. ويبلغ عدد أفراد قبيلتهم العشرة آلاف هندي، وهي تعد من اضخم المجموعات البشرية البدائية في عالمنا اليوم.

أجفل كلوديا وكارلو في البداية لرؤيتي. فهما يعلمان كل العلم انه ليس من السهل اطلاقاً ان يحل على هذه الارض زائر. وتبعد الارسالية ١٤٣ كيلومتراً عن الطريق العام الذي يشق حالياً وينتظر ان يلف اطراف الحدود الشمالية من منطقة الامازون البرازيلية. وعند حدود الكيلومتر ٤٩، اقامت المؤسسة الهندية القومية حاجزاً لتمنع المرور على كل انسان لا يحمل تفويضاً رسمياً. وقبل اقامة هذا الحاجز، غزا المنطقة جماهير من المنقبين عن الاورانيوم وحملوا معهم داء الحصبة الذي مات بسببه عشرون هندياً من قبيلة يانومامو.

واطلعني كارلو على النظام الذي تتبعه الارسالية في علاقاتها مع الهنود. وقال: "اياك ان تهبهم شيئاً من غير بديل من صنع ايديهم او من غير خدمة يؤدونها". والغاية من هذه القاعدة منع الهنود من ان يتحولوا الى طلاب حسنة ويخسروا مميزات حضارتهم. ووزع عليهم كارلو



روبي وبدرينيو: اثنان من مرافقي الكاتب.

بطاقات تحمل نقاطاً متعددة الالوان يبدلونها بفؤوس ومرايا وقدور من الالومينيوم. اما الشيء الوحيد الذي يحصلون عليه مجاناً فهو العناية الطبية التي كرس لها كارلو وكلوديا معظم اوقات النهار. الى ذلك يعمل كارلو، ببعض المرارة، على مقاومة الدور الذي يقوم به اناس مثل البيروانو، إذ يقنعون الهنود بهجر الاعمال الاساسية المرتبطة بحضارتهم، كالعناية بحدائقهم والانصراف الى صيد النمر المرقط وابدال جلده بزوج من السراويل.

ويدرك كارلو تماماً ان نظام المكافأة هذا سينهار يوم افتتاح الطريق العام. فعلى هذا الطريق بالذات سيعود ابناء الادغال النازحين الى مساقط رؤوسهم، حاملين معهم شراب الروم والالبسة والبنادق، والامراض حتماً. ويأمل كارلو اليوم

في ان يتعلم الهنود في الارسالية، بواسطة نظام البطاقة ذات النقاط والالوان، قيمة المال وطريقة استعماله، اذ ان مفهوم المال مفقود تماماً من حضارتهم. لكن تفاؤله ضئيل. فهو يعلم ان ادخال البنادق، مثلاً، سيقضي على مهارتهم في الرمي بالقوس - تلك المهارة التي مارسوها وطوروهامنذ آلاف السنين - وبالتالي سيكون قاضياً على مستقبل القبيلة بكاملها... عندما يفتح طريق الاستعمار سيرحل كارلو من هنا الى مكان آخر.

واخبرني كارلو ان اليانوماmو يعتقدون ان الكون مركب من ثلاثة مستويات:الأرض، ما فوق الأرض، ما تحت الارض. الكائنات استمدت وجودها منالمستوى الأعلى،الا ان قسماً منها سقط على الأرض، تاركاً وراءه ثقباً واسعاً فيالفضاء، وهوى قسم آخر من الارض الى عالم اللاوعي. وبعد الموت تعود بعض الارواح الى المستوى الاعلى، مرتقية سلماً من العرائش. وهذا المستوى مرتع سعيد يحفل بالمآكل والنساء الحسان، كما انه ملتقى اعضاء العائلة الواحدة الذين فرقتهم الايام. وهناك ارواح تستحيل حيوانات بسبب افعالها الرديئة.

وفي عقيدتهم ان اسم الانسان الاول "أوماما"،وان هذا ضاجع رجلا آخر فحبل في فخذه. اما المرأة الاولى فقد اصطيدت في نهر او طلعت من الصخر. وهناك روايتان مختلفتان في هذا الشأن. ويبدو انالمرأة في حضارة اليانوماmو لم تخطر في البال الا في وقت لاحق. ومهمتها ان تحمل الموز وخشب الموقدة، وان تكون فريسة الخطف. وتتعرض الزوجة عندهم للضرب المستمر او للحرق بجمر متوهج. وهي تنتظر مثل هذه الخشونة في المعاملة وتقيس اهتمام زوجها بها بعدد الضربات التي تتلقاها منه.

والنساء هن المسبب الاكبر لحروب اليانوماmو. فخطفهن من قرية الى قرية يعني، من جهة، القضاء على اجيال المستقبل لدى العدو، ومن جهة اخرى زيادة عدد افراد القبيلة وتسرب دم جديد الى دمها يحول دون انقراض النسل.

وختم كارلو حديثه قائلا ان شعب اليانوماmو منتشر في قرابة مئة قرية، هنا في منطقة رورايما وفي جنوب فنزويلا، وان نصف هذه القرى فقط تعرض حتى اليوم لغزو الاجانب. لكن الطريق العام الجديد سيغير هذه الحال نهائياً.


في صباح اليوم التالي هبطت طائرة تنقل جمهوراً من المرسلين الايطاليين يقومون برحلة استطلاعية على منشآتهم في امريكا الجنوبية، فطرت معهم. وبعد ظهر اليوم نفسه كنت في بوافيستا، عاصمة رورايما، اغازل كأساً من البيرة الباردة.

وجلس قربي رجلان، سمعت احدهما يتذمر من شعب الهنود الذين يربضون على سطح ارض زاخرة بالمعادن وقادرة على ان تجعل من البرازيلبلداً غنياً،واردف:"لو كان الحكم في يدي لقطعتهم عن بكرة ابيهم".

في تلك اللحظة بدا عالم اصدقائي الهنود بعيداً عني مسافة أجيال...

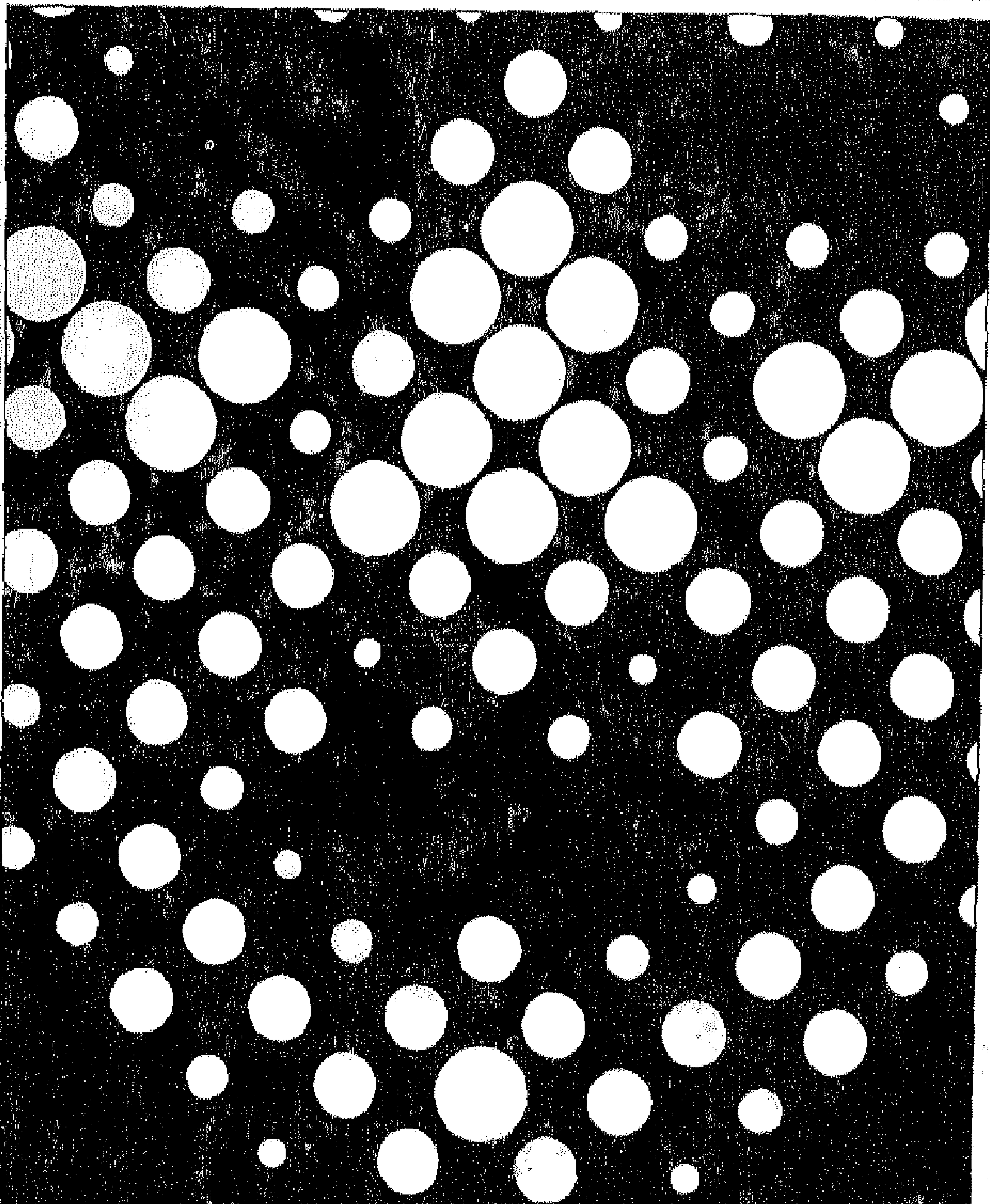
■ **اليكس شوماتوف**


كرونومتر كوارتز اوميغا كونستاليشين
حصيلة الانسجام المثالي بين التقنيات العصريه
ومهارة صانعي الساعات
OMEGA
Constellation
أجود ابتكارات أوميغا على صعيد التقنيه والدقّه وروعة الذوق والاسلوب
يتمّ الاختيار والاختبار لكل جزء بعناية خاصّه قبل انجازه وصقله بالمهارة والعناية
والدقّـة اللامتناهيه، والتي تتحلّى بها جميع ساعاتنا دون استثناء .
أضف الى ذلك أن كل ساعة تمرّ بالفحوصات الشديده والنزيهه في المعهد
السويسري الرسمي لاختبار الكرونومترات . وعند ذلك فقط ، يصبح في الامكان تسمية
الساعه باسم كرونومتر كوارتز أوميغا كونستاليشين .
أوميغا كونستاليشين ، الاسم الذى يعرب عن كلّ شيء .
Ω
OMEGA



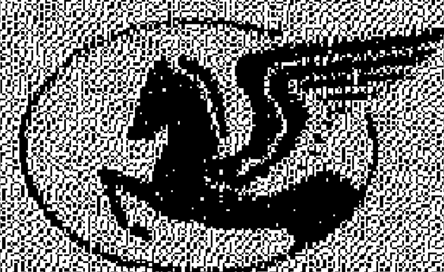
أيار (مايو) ١٩٨٠ - جمادى الثانية ١٤٠٠

المختار



ايار (مايو) ١٩٨٠ - جمادى الثانية ١٤٠٠

المختار



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٣٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٢٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٥٧٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢د

مُسجل الكاسيت جي ڤي سي المتناسب مع الأشرطة المعدَنية يفتح الطريق أمَام الجَودة في التسجيل

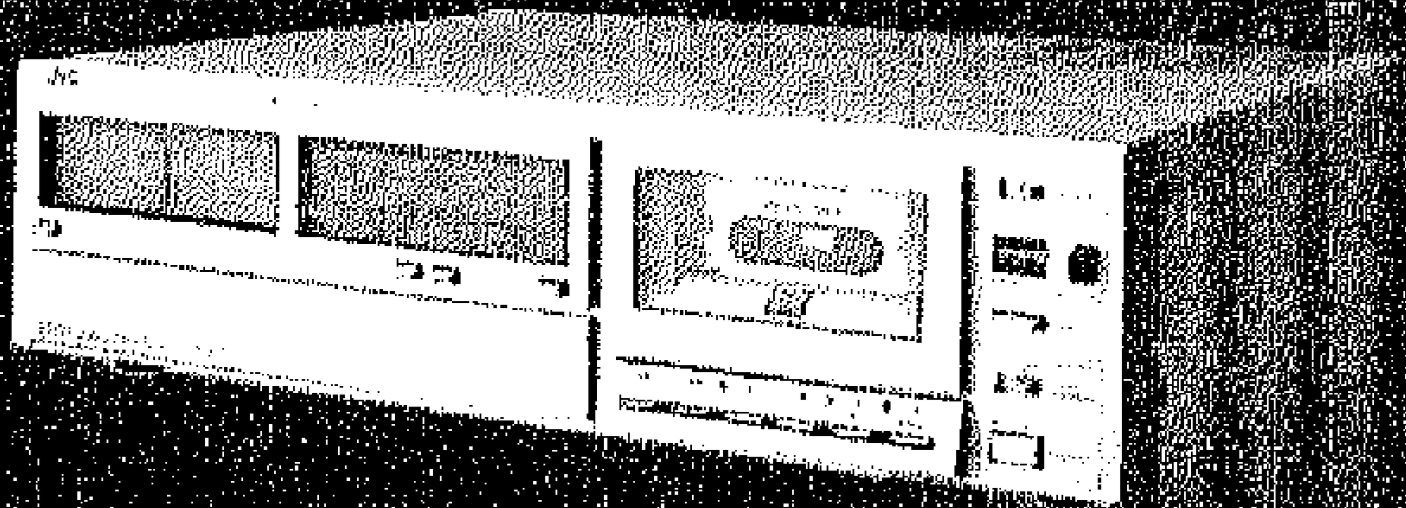
الشريط المسمى "شريط معدني"، الذي ابتدعه صانعو الاشرطة، هو ثورة صغيرة في عالم التسجيل.

فهو يستوعب معلومات تفوق باربع مرات ما يسجل على شريط "كروم" مما يؤدي الى تسجيلات افضل واعادة اوضح.

وهو، بكلمة واحدة، أفضل ما انتج للتسجيل على الكاسيت. والمسجل JVC KD-A8 المجهز برؤوس التسجيل "SA" المتناسب مع الاشرطة المعدنية والذي يحتوي على دماغ الكتروني صغير هو بدون شك أفضل المسجلات لاستعمال الاشرطة المعدنية للتسجيل والاعادة.

نحن نعرف. نحن JVC، الشركة المجددة في عالم التسجيل والفيديو الالكتروني ولنا ٥٢ سنة من الخبرة.

استمعوا الينا، انظروا الى اجهزتنا - بنائي - عند أقرب موزع JVC



جي ڤي سي JVC



اكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ صور من الحياة: ٥٠ دولارا

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ الضحك خير دواء

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ حديقة افكار

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ السدات

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ المقالات

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك. حديقة افكار...).
- في حال ورود مادتين متطابقتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France



المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي : **مؤنس طه حسين .**
رئيس التحرير : **ادمون صعب .**
رئيس التحرير المعاون : **اديب صعب .**
مدير التحرير : **فؤاد غطاس كرم .**
امانة التحرير : **رينا نداف .**
الاخراج : **اروى سيف الدين .**

الامتياز:
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس .

الناشر :
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية .
المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح .

الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I

الادارة والتحرير والاشتراكات:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37, Avenue George V. 75008 Paris, FRANCE
Tel. 7204542 7237422 Telex 612687 F

الاعلانات :
شركة تمام TAMAM
19. Av. Franklin D. Roosevelt — 75008. PARIS

التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات .

الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية - باريس .

الطباعة:
بوليغرافيتشي اديتوريالي - بولونيا - ايطاليا .

الخط: **محمد ماجد .**

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: **جون أ. اومارا .**
مدير التحرير: **آلان دوليرو .**

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنرويجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية .

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D
N° DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف: بحيرة زنبق (جاك بيل) .

AL MUKHTAR min Reader's Digest
May 1980 N° 18 *(New Series)*. *Vol. 2*



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA PRINTED IN ITALY

الرجل الطائر

علبة مدهشة فوق الامواج
قلبت حلم البشر حقيقة

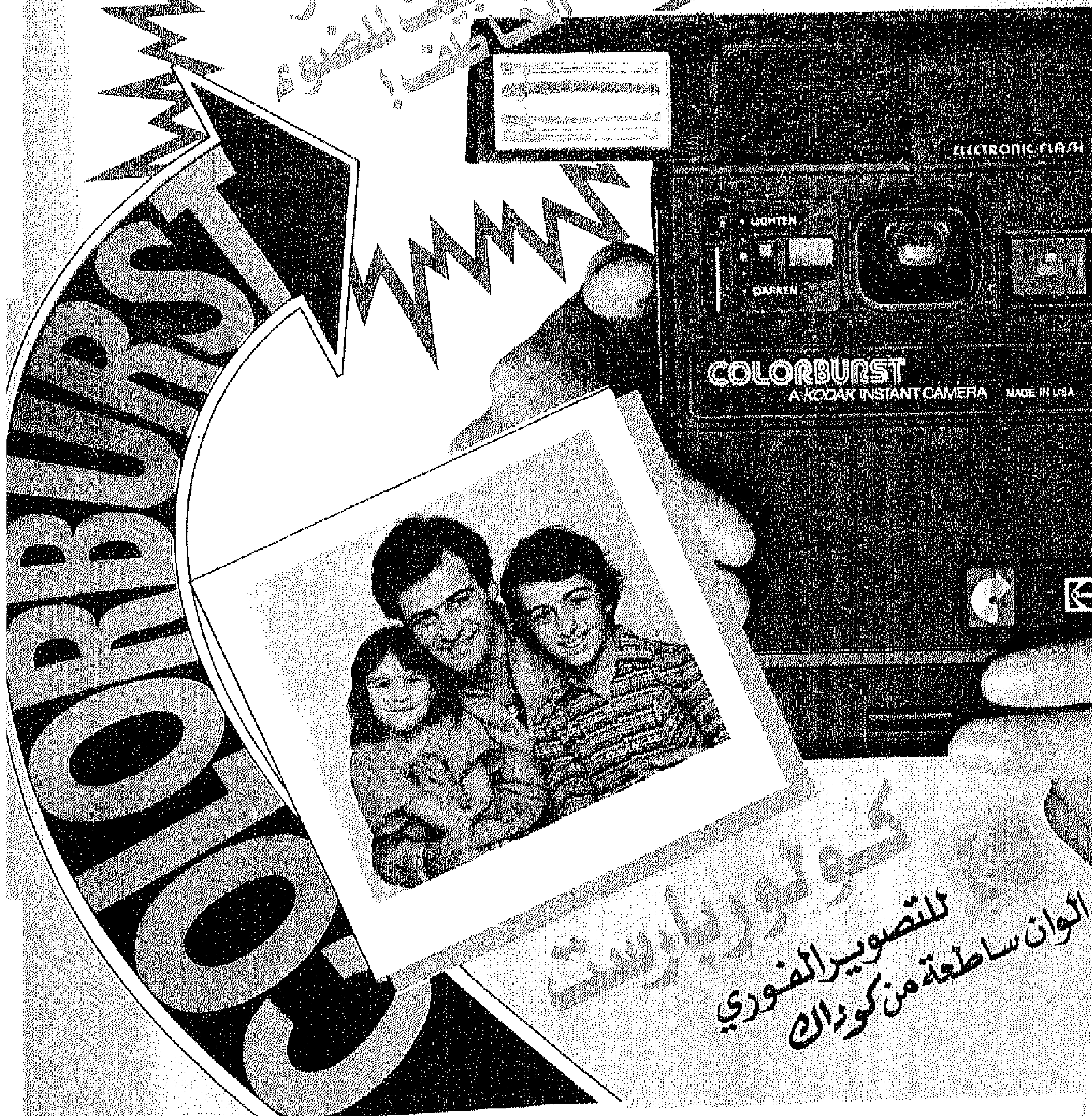
بزغ الفجر فوق بحر المانش (القناة الانكليزية). وكان الجو صحواً لا تعكر صفوه الرياح، بينما خيمت فوق المياه سحب من الضباب الرقيق. وبعيد الساعة الثامنة من صباح ١٢ يونيو (حزيران) ١٩٧٩ احتشد نحو مئة شخص عند شاطىء ويسان في كاب غري نيه على الساحل الفرنسي، وراحوا يمعنون النظر في اتجاه الساحل البريطاني عند مدينة فوكستون (مقاطعة كنت الانكليزية) على بعد ٣٥ كيلومتراً من هناك.

وإذا بصبي يصيح "ها هي قد أقبلت!" ويشير باهتياج الى نقطة نيرة تدنو فوق الامواج. ولم تمض دقائق حتى تبين للجمهور ان ذلك الشيء المتألق انما هو جسم طائر يحلق على ارتفاع منخفض كأنه يمشي في ركب الغوارب الصغيرة التي تواكبه. وانجلت ملامح المجسم الشفاف رويداً رويداً لتقلب حلم البشر حقيقة.

وهبطت الطائرة الغريبة في هدوء الريشة على الرمال الجافة، مسجلة بذلك حدثاً جديداً في تاريخ الطيران.

Photo: Dan Mourre Courtesy Du Pont Company

كولوربارست للتصوير الفوري



لقد كانت "غوسامر آلباتروس" او "القطرس الغشائي" (★) اول طائرة تجتاز بحر المانش بقوة طيارها الجسدية. وتحقق بهذه الخطوة الجبارة واحد من اقدم احلام الانسان: ان يحلق في الفضاء معتمداً على عضلاته.

كثيراً ما داعب هذا الحلم مخيلات المخترعين منذ ايام الاغريق والصينيين القدماء. وغالباً ما الصقت تهمة الشذوذ وغرابة الاطوار بأولئك الذين حاولوا اصطناع اجنحة. وانبعث هذا الهوس من جديد في اواخر الخمسينات عندما شرعت مجموعة من العاملين في مجال الطيران، بعضهم من الطيارين الهواة المتحمسين وبعضهم مهندسون ذوو مؤهلات عالية، في استئناف محاولات الطيران الذاتي التي توقف عندها الاسلاف، مستعينين بأحدث انجازات التكنولوجيا.

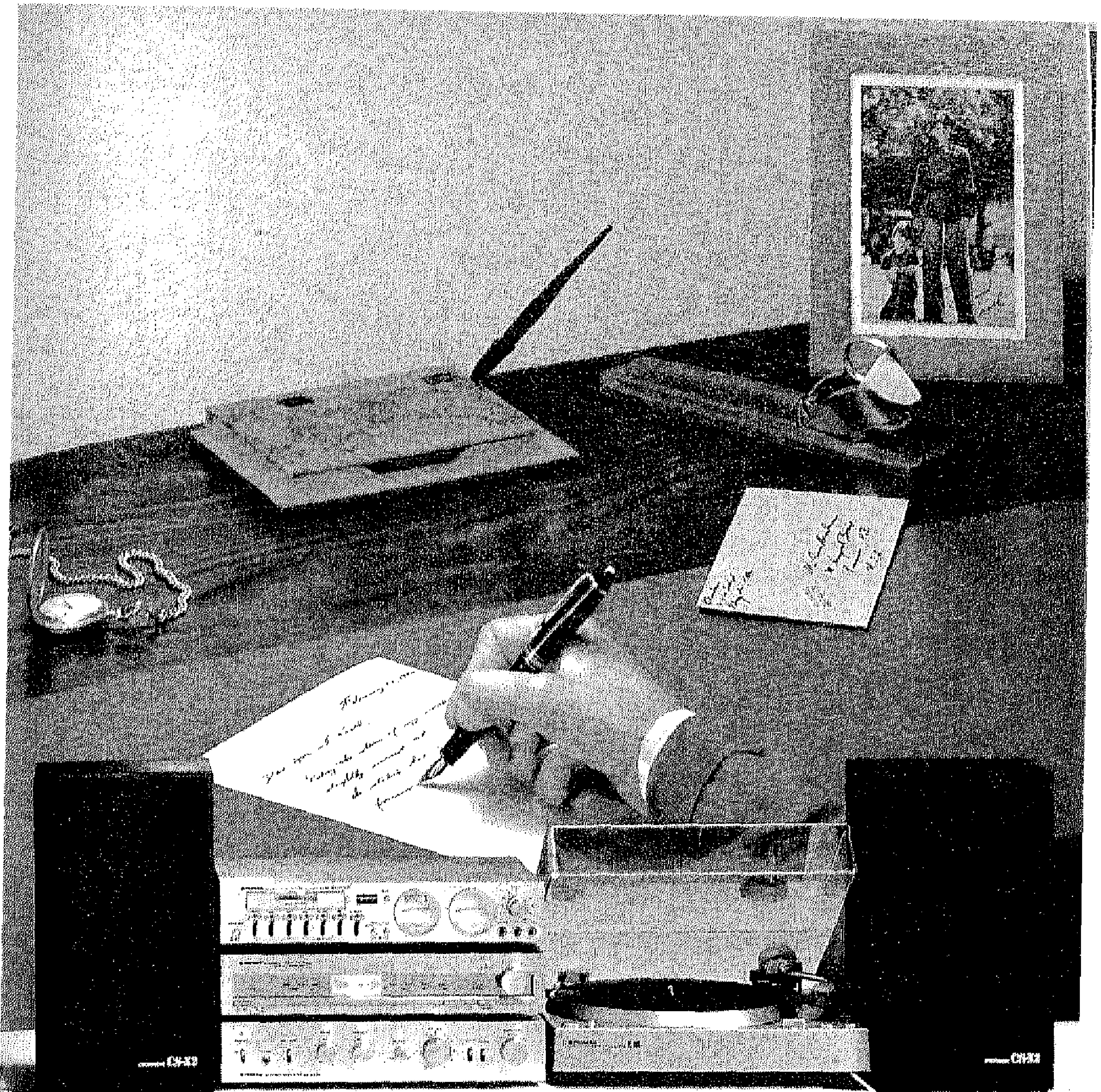
وحاولت فئة من تلك المجموعة محاكاة الطيور في حركة اجنحتها، بينما حاولت فئة أخرى الاستفادة من المبدأ الذي تعمل به طائرة الهليكوبتر، فعملت على نقل الطاقة من الذراعين والساقين الى المراوح العلوية. لكن الطريقة الوحيدة التي احرزت بعض التقدم اعتمدت الجناح الثابت والمروحة العادية لسحب طائرة تستقي قوتها من الطيار الذي يحرك ساقيه كأنه يقود دراجة هوائية.

وفي العام ١٩٥٩ حاول الصناعي البريطاني هنري كريمر تنشيط حركة الطيران الذاتي. فخصص جائزة مقدارها ١٤ الف دولار، رفعها عام ١٩٦٧ الى ١٠٠ الف، لمن يطير مسافة ٢،١٧ كيلومتر تتخذ شكل الرقم ثمانية (8) معتمداً طاقته الذاتية. وهكذا فان ما اعتبر يوماً رياضة يتعاطاها بعض الهواة المهووسين أصبح الان مطلباً علمياً يلقى مساندة بعض هيئات الطيران المرموقة كجمعية الطيران الملكية في بريطانيا والمعهد الامريكي للطيران والملاحة الفضائية.

انتصار النسر – لم يحظ احد بجائزة كريمر طوال ١٨ سنة، على رغم مئات المحاولات التي اقدم عليها عشرات المتنافسين، الى ان واجه الامريكي بول ماكريدي هذا التحدي. وكان ماكريدي ربان طائرة شراعية وحائزاً جوائز عدة في الطيران الشراعي ومن المتحمسين للطيران الانزلاقي (يتعلق هاوي هذه الرياضة بجناحين كبيرين من البلاستيك وينزلق بهما من مكان مرتفع ليحلق في الجو على ارتفاع منخفض). وكان ماكريدي متخصصاً في الديناميكا الهوائية، وهي فرع في الفيزياء يبحث في القوى المؤثرة على الاجسام المتحركة عبر الهواء. وبصفته رئيساً لمؤسسة متخصصة في تطبيق مبادىء الملاحة الجوية لحل بعض المشاكل الصناعية، كان بول ماكريدي يجري بحوثاً عن العوامل المساعدة على الطيران الذاتي كتخفيف الاحتكاك واستعمال المواد الخفيفة في بناء الطائرة وتحويل القوة من مكان الى آخر وتطوير وسائل مقاومة الريح:

وكان بين العاملين مع ماكريدي بيتر ليسامان، المتخصص في الطيران البطيء، وبريان آلن

(★) القطرس هو طائر بحري كبير.



النظام الجديد "ميني هاي - فاي" **Mini Hi-fi System**

هل موسيقاك من ضمن كنوزك الخاصة ؟

بايونير تعلم أهمية موسيقاك الخاصة. وتدأب دوماً أن لا يعكر أي شيء صفو العلاقة الشخصية بين الموسيقى ومحبيها. لذلك، تقدم لك اليوم نظام "الميني هاي - فاي" للموسيقى كنظام شخصي. صمم بكل تناسق ليستعمل بسهولة وليلائم متطلبات هواياتك. طاقته الموسيقية ضخمة بشكل يملأ أجواء منزلك بكل أبعاد الصوت والموسيقى.

وخلافاً للكثير من الأجهزة الأخرى، فإن نظام بايونير "ميني هاي - فاي" هو نظام كامل للموسيقى. "بيك آب" يعمل بالدفع الشريطي المباشر، مضخم للصوت بطاقة ٤٠ وات للقنال الواحدة، جهاز استقبال AM / FM، ونظام لمكبرات صوت ثنائية الاتجاه، بالإضافة إلى كاسيت "دك" فريد مناسب. ثم، فقط بايونير تحافظ كلياً على وحدة الشكل والتصميم. صغير الحجم، ليس تماماً.. فحجمه يضمن قدرته الفائقة على الأداء.

ولتحافظ على تنسيق وجمال غرفتك يمكنك أيضاً اختيار حامل خاص مناسب للنظام. لكن، لم لا تستمع لنظام "الميني هاي - فاي" الآن. إنه نظام "الهاي - فاي" الذي يظهر مدخراتك الموسيقية بلمسة شخصية.

PIONEER بايونير

Pioneer Electronic Corporation 4-1, Meguro 1-chome, Meguro-ku, Tokyo 153, Japan

المتخصص في الكيمياء الحيوية، وهو شاب في اواسط العشرينات ربح جوائز عدة في سباقات الدراجات الهوائية كما كان خبيراً في الطيران الانزلاقي ويتمتع بجميع مزايا الطيار المثالي.

وجاءت حصيلة جهود هؤلاء طوال سنة طائرة فريدة من نوعها اطلق عليها اسم "غوسامر كوندور" او "النسر الغشائي"، صنعت من انابيب الالومينيوم واسلاك البيانو ورقاقات البلاستيك والورق المقوى (الكرتون) وأشرطة السيلوفان الشفافة. وكان جناحها البالغ طوله ٢٩ متراً مستدق الطرف، وهيكلها مربعاً علقت عليها من الخلف مروحة ذات شفرة واحدة طولها اربعة امتار. لكن اغرب ما في هذه الطائرة كان ذلك الجناح الصغير الناتيء امامها مسافة ٤،٥ امتار على طرف عمود، مما اعاد الى الاذهان قصة الاخوين رايت اللذين لجأا الى المبدأ نفسه لحفظ توازن طائرتهما في الجو. لكن جناح الطائرة الجديدة كان قابلا للتحريك بواسطة رافعة يتحكم فيها الطيار من داخل حجرته المربعة، فتتسنى له الاستدارة بطائرته وتغيير ارتفاعها، وبذلك يخفف من خطر الجنوح الجانبي.

في ٢٣ اغسطس (آب) ١٩٧٧، وبعد ٤٠٠ رحلة طيران اختبارية لفترات قصيرة، دخلت "غوسامر كوندور" تاريخ الطيران لدى تحليقها على شكل (8) فوق مطار شافتر قرب مدينة بيكرسفيلد في ولاية كاليفورنيا الامريكية. واستغرقت هذه الرحلة اقل من ٧،٥ دقائق على ارتفاع لم يتعد الـ٣،٦٥ امتار. وبذلك فاز ماكريدي وفريقه بأضخم جائزة في تاريخ الطيران.

التحدي الجديد — في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٨ اعلن هنري كريمر عن جائزة جديدة مقدارها ٢٠٥ آلاف دولار لاول من يجتاز بحر المانش في طائرة معتمداً قوته الجسدية من دون الاستعانة بأي محرك آلي.

ولم يستطع ماكريدي وزملاؤه ان يتجاهلوا التحدي. وقال ماكريدي: "كان الطيران بالكوندور حدثاً طريفاً. فما ان علمنا ان امر تلك الطائرة سينتهي في معهد سميثونيان (الشهير في واشنطن) حتى بادرنا الى اعداد طائرة جديدة على غرارها مع ادخال بعض التحسينات عليها كي نستطيع المواظبة على الطيران. واتضح من تقديراتنا ان هذا الطراز الجديد يمكنه ان يغطي المسافة فقررنا التقدم الى الجائزة".

وقد تم بناء الطائرة الجديدة التي اطلق عليها اسم "غوسامر الباتروس"، في رعاية شركة دوبون. وصممت على شكل سابقتها، ولكن باستخدام منتجات وطرق فنية جديدة لزيادة قوتها وتحسين ادائها. وادخلت عليها انابيب مصنوعة من الشعيرات الكربونية (البالغة الخفة والمتانة والتي تم تطويرها للحلول محل القطع المعدنية في الطائرات النفاثة ذات الاداء العالي) والراتينج (مادة صمغية) لعمليات اللصق والميلار (غشاء بلاستيكي شفاف تبلغ سماكته ٠،٠١٣ مليمتر). وهكذا تمكن الفريق من انقاص الوزن الاساسي للطائرة الجديدة من ٣٢ كيلوغراماً (وزن الكوندور) الى ٢٥ كيلوغراماً.

كما ادخل ماكريدي ومعاونه ليسامان بعض التحسينات الهيكلية مستعينين بدماغ الكتروني مبرمج خصيصاً لكل ما يتعلق بالديناميكا الهوائية، ولولاه لتطلب الامر اشهراً طويلة من التجارب.

ووصل فريق ماكريدي الى فوكستون في الجانب البريطاني من بحر المانش في اواسط مايو (ايار) ١٩٧٩. وعندما رأوا الامواج المزبدة والمتراقصة امامهم عبر مضيق دوفر تملكهم قلق عظيم، اذ لم يسبق لهم ابداً ان حلقوا فوق الماء. وكان الطقس عاملا آخر من عوامل قلقهم، فالاحوال الجوية المؤاتية لعبور بحر المانش لا تتوافر عادة الا خلال ستة ايام من شهري مايو (ايار) ويونيو (حزيران)، وها هم الان في شهر يونيو (حزيران) وليس في الافق ما يبشر بتحسن الجو.

وثمة مشاكل اخرى كان لا بد للفريق من مواجهتها، فيكفي مرور سفينة شحن متوسطة الحجم كي تحدث وراءها اضطراباً في الهواء يسفر عن ارجحة طائرتهم مسافةكيلومتر ونصف كيلومتر. بل ان القوارب الصغيرة نفسها قد تؤثر عليها اذا دنت منها. كما ان مرور طائرة هليكوبتر على مسافة تقل عن ٦٠٠ متر من جانبها، او فوقها على اي ارتفاع، كان كافياً لاحداث كارثة. واذا تجاوزت سرعة الريح العشرة كيلومترات في الساعة فقد تؤثر تأثيراً خطيراً على تحكم الطيار بها، بينما تتسبب الريح المعاكسة المعتدلة في ابطاء سرعة الطائرة، فيضطر الطيار (الذي يحركها بقوة ساقيه كما يحرك الدراجة الهوائية) الى اجهاد نفسه، فيدركه الضنى قبل ان يبلغ الساحل المقابل.

العلبة الطائرة - بعد شهر من الانتظار افادت تقارير الاحوال الجوية عن توافر احتمال نسبته واحد الى خمسة بمرور فترة هدوء غير معتادة على المانش.

وفي الثانية والنصف من صباح ١٢ يونيو (حزيران)، تم اخراج هيكل الطائرة وجناحيها بعناية من الحظيرة الموقتة التي اقيمت على الشاطىء. وركز الجناحان على الهيكللتهيئة "غوسامر الباتروس" لهذه الرحلة التاريخية. وكانت سرعةالريح قريبة من الصفر، لكن حرارة الهواء كانت مرتفعة، وذلك عامل غير مشجع بالنسبة الى طيار سيجهد نفسه الى اقصى حد ممكن وهو مغطى في شرنقة من البلاستيك ولا مصدر لديه للتهوئة سوى انبوب صغير امامه.

وفي منتهى العناية وجه اعضاء الفريق طائرتهم نحو الجنوب الشرقي في اتجاه الساحل الفرنسي. ودخل الطيار بريان آلن الطائرة وجلس علىالمقعد المرتفع متخذاً وضعاً اقرب الى الوقوف، وذلك كي تتسنى له الافادة من قوة عضلاته الى اقصى حد ممكن.

ووقف خارج الطائرة رجلان من الطاقم الارضي، وأمسكا بالحبال على جانبي الجناح البالغ طوله ٢٩ متراً، وذلك للمحافظة على توازن الطائرة وهي جاثمة على الارض. وبدأ آلن يحرك قدميه على الدواستينبسرعة وقوة، وما ان شعر باندفاع الطائرة الخفيف الى الامام حتى بدأ الرجلان

العدو وهما مازالا قابضين على الحبال من الجانبين.

وفي الساعة (٥،٥١ صباحاً اقلعت الطائرة وراحت ترتفع تدريجاً الى العلو المقصود والبالغ نحو ٤،٥ امتار ثم اتجهت فوق المياه بسرعة ١٨ كيلومتراً في الساعة. وسارع عضوا الفريق اللذان ساعدا على الاقلاع الى احد القوارب المطاطية الاربعة المجهزة بمحركات صغيرة، وذلك بهدف مواكبة "غوسامر الباتروس" في رحلتها القصيرة.

وداخل تلك العلبة البلاستيكية كانت ساقا بريان آلن تعملان بانتظام، وقدماه تحركان الدواستين بايقاع رتيب تدرب عليه. وكان صوت المروحة الدائرة بسرعة ١٠٠ دورة في الدقيقة يبعث في نفسه شعوراً بالرضا والارتياح. وبدا توازن الطائرة مثالياً.

وفي منتصف المسافة، وكانت الساعة ٧،١٥ (، بدأ آلن يشعر بالتعب وبصعوبة في التحكم بالطائرة نتيجة لاضطرابات الهواء. وفجأة سمع صوت ماكريدي، عبر جهاز لاسلكي صغير فوق رأسه، يحذره من ناقلة نفط ضخمة تمخر البحر على بعد ثلاثةكيلومترات او اربعة منه. فلوى آلن جناح الطائرة بلطف، وحول اتجاهه قليلا نحو الغرب كي يبتعد عن الناقلة الجبارة ما امكنه ذلك، ويتفادى المزيد من الاضطرابات الهوائية الشديدة.

ولم تلبث الطائرة ان انخفضت، ثم هبت ريح اضطرت آلن الى الهبوط بطائرته الى ارتفاع ١٥ سنتيمتراً فوق سطح الماء. لكن ذلك لم يدم، لحسن حظه، الا بضع ثوان. وسرعان ما لاح له طرف الساحل عند "كاب غري‌نيه". الا ان الشاطىء الفرنسي بدا كأنه ما زال بعيداً بعد ساعتين ونصف ساعة من الطيران.

ويسترجع آلن ذكرى تلك اللحظات فيقول: "كانت ساقاي تؤلمانني كثيراً، كما شعرت بالجفاف الشديد. فقد استغرقت الرحلة اكثر مما توقعنا واستنفد جسمي مخزونه من الماء".

يضاف الى ذلك ان آلن يكافح من اجل الهواء داخل علبته الضيقة. وقد قال: "راودتني فكرة ان الكم بقبضتي عبر البلاستيك كي أملأ رئتي بالهواء المنعش. لكني ايقنت اني اذا فعلت ذلك فقد اتسبب في عائق لا استطيع التغلب عليه".

ورأى آلن الشاطىء يزداد قرباً على بعد بضع مئات من الامتار، فصاح مهللا: "يا الهي! كتب لنا النجاح اخيراً!"

وفي الساعة ٨،٤٠ (اي بعد ساعتين و٤٩ دقيقة من الاقلاع، هبطت "غوسامر الباتروس" على الشاطىء قريباً من موضع تلامس المياه واليابسة. وبذلك انتهت رحلتها ودخلت سجلات التاريخ.

■ ويلبور كروس وجيمس ماكستون غراهام

لعبة جديدة

قضى اولادي الثلاثة النهار كله يلعبون لعباً كالعسكر واللصوص ورعاة البقر والهنود والرجل الخفاش. واخيراً لم تعد لديهم افكار جديدة، فصاح الاصغر: "لدي فكرة: لنتظاهر بأننا أطفال".

د.١٠ل.



أصداء من عالم الطب

الادمان الرياضي

تظهر على عدد متزايد من ممارسي رياضة الجري سمتان رئيسيتان من سمات الادمان الحقيقي، على حد تعبير الدكتور وليم ب. مورغان استاذ التربية الرياضية في جامعة ويسكونسن الامريكية. وهاتان السمتان هما اصرار العدّاء، مهما تكن العاقبة، على الاستمرار في ممارسة رياضته اولا، وظهور اعراض الانزواء (اي الانقطاع عن تناول المخدر في حال ادمان المخدرات) عندما لا يستطيع ممارسة الركض ثانية. ومن هذه الاعراض الكآبة وسرعة الانفعال والارق وتقلص العضلات اللاارادي.

ويصل العداء الى المرحلة النهائية من الادمان حين يصر على الاستمرار في الركض حتى وان طلب منه التوقف. فمدمن التمرين الذي يعاني التهاباً حاداً في اوتار العضلات او كسوراً يتجاهل الالم ويتناول المهدئات، او يتردد على طبيب يعطيه مسكنات للالم.

وحين يبلغ المدمن هذه النقطة فانه لا يستطيع العيش من غير تمرين، ويستحوذ الركض يومياً على اهتماماته، بحيث تكون له الاولوية على العمل او الالتزامات العائلية او الاصدقاء. ويصف مورغان هؤلاء بانهم "يمارسون رياضتهم غالباً حتى تهددهم الاخطار بالشلل التام. فاذا عجزوا عن تحمل الالم اخذوا يبحثون عن حذاء متقن التصميم او عن حقن تزيل الالم او عن علاج نفسي يمكنهم من العدو من جديد".

والاشخاص المعرضون اكثر من سواهم لادمان التمرين هم اولئك الذين يركضون مسافة تراوح بين ١٠٠ كيلومتر و١٥٠ كيلومتراً في الاسبوع. اما الهواة الذين يبلغ متوسط ركضهم كيلومترين الى خمسة كيلومترات ويمارسون رياضتهم بين ثلاثة ايام وسبعة في الاسبوع فبعيدون عن ذلك في العادة.

ر. ك.

مرض الشيخوخة

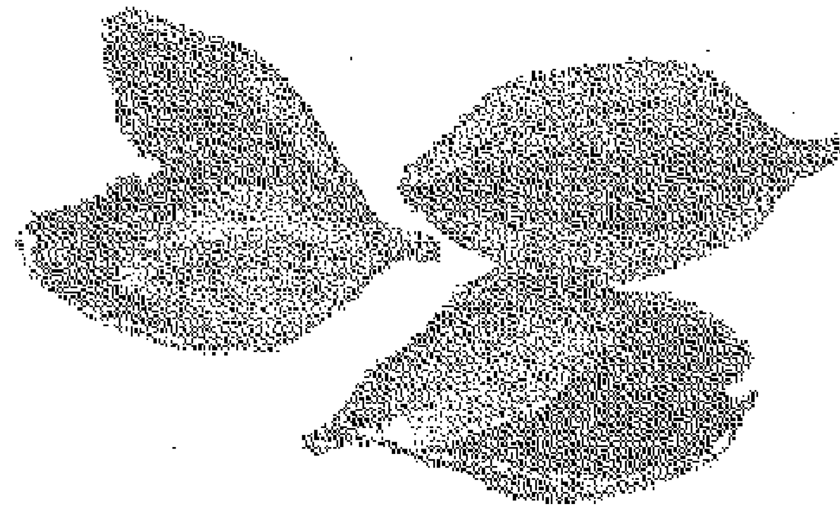
لم يتعد عمر بيني فانتين السنوات الخمس، لكن الاطباء في مصح اطفال سان دييغو (كاليفورنيا) يقولون انها قد تموت خلال سنة بسبب الشيخوخة. فمع ان وزنها اربعة كيلوغرامات وطولها ٧٤ سنتيمتراً، الا انها تبدو من نواح اخرى عجوزاً عمرها ٨٠ عاماً. فوجهها مجعد وشعرها خفيف، وهي شبه صماء وتعاني من اصابتها بالمياه الزرقاء والعتمة في كلتا عينيها واضطراب دورتها الدموية وارتفاع ضغط الدم والتهاب المفاصل.

ومرض بيني الرئيسي يسمى "كوكاين"، وهو مرض يندر ان يصاب به احد (اذ ليست هناك سوى ٤٠ حالة معروفة منه). وقد توافد مئات الاطباء والممرضات والمعالجين وسواهم من المختصين لملاحظتها.

ولا احد يعرف اسباب هذا المرض. ولكن يظن انه ناجم عن اضطراب في جهاز بناء الخلايا او في الغدد الصماء، يودي بضحيته الى الشيخوخة بمعدل ١٥ سنة او ٢٠ سنة كل عام.

"يونايتدبرس"

منذ أكثر من ٣٠ قرناً والناس يتوقعون ان تشفي ثمرة



غابات الهند الحارة كل مرض، من داء اليرقان الى علة الحب

حَبُّ الهَال ماردٌ في قمقم



حدثنا دليلنا الهندي عن اسطورة الهال، قائلا "انها مفعمة بالانوثة مشبعة بالحياء". واشار بيده الى شجيرة الهال "انها لا تستجيب الا للمسة ناعمة من امرأة، ولهذا لا يلتقط حبها الا النساء. وما لم تلامس المرأة الشجيرة بيدها، فهي لن تجود بثمارها".

وابتسم المزارع الشاب الواقف جانب الدليل وقال بارتباك صحيح اننا نبعث النساء ليلمسن نبتات الهال في مواسم الحصاد. ولا ندري لذلك تفسيراً منطقياً، لكنه واجب نحرص على تأديته".

كنا واقفين وسط غابة كثيفة في كيرالا وحولنا تكتلات ضخمة من نبتات شبيهة بالزنبق منتشرة فوق الارض الدكناء، مشرعة اوراقها كالرماح في الهواء الى علو اربعة امتار. وفي اسفل الجذوع تبرعمت السويقات حاملة الثمار المغلفة، وفوقها النسوة في اردية الساري البهية الالوان، ينحنين حاصدات اثمن بذور طيب في العالم من وسط غابات الهند الكثيفة.

ويقول الدليل: "ما من سبيل آخر لالتقاط الهال"، مؤكدا على ان تكاتف هذه النباتات وتكتل بعضها على بعض يجعل من

المستحيل مرور واسطة آلية بينها لجمع الحصاد... انها فعلا خجولة!".

لا يقل هذا الوصف جودة عن أي وصف آخر لهذه البذور الضئيلة الحمراء الضاربة الى اللون البنّي والمتسترة في جوف غلافها.

على ورق البردي - يعرف هذا النبات علميا باسم "ايليتاريا كاردامؤم". وهو من فصيلة الزنجبيل، وله رائحة عطرية وطعم حاد". وقد ظل يبرز احيانا ويختفي احيانا أخرى عبر التاريخ، كأنه فتاة حيية فعلا. وورد اول ذكر له على ورق البردي في سجل "ايبيرز" الشهير الذي اكتشف في مصر، ويرجع تاريخه الى العام ١٥٥٠ قبل الميلاد. وفيه ذكر قرابة ٨٠٠ عقار طبّي مع منافعها وطرق استعمالها. كما ورد ذكر الهال وخصائصه في ديوان الشعر الطبي السنسكريتي القديم الذي حفظه الهنود عن ظهر قلب، وهو "آيور ويدا". ووصف الطبيب الهندي ساسروتا الاكبر في القرن الرابع قبل الميلاد الهال علاجاً للبدانة والامراض المتعلقة بالبول والبواسير واليرقان. وهو لا يزال يستعمل في موطنه الاصلي كيرالا كعلاج بيتي لازالة اضطرابات الهضم.

لم تقتصر استعمالات الهال على الوصفات الطبية، بل استخدم قديما في بلاد الاغريق والرومان لصنع العطور. ويعتقد ان المصريات في الازمنة الغابرة كن يحرقن الهال للاستحمام في دخانه العطري. وفي الغرب كثر الاقبال عليه بحلول القرن الثالث عشر، نظرا الى خصائصه في حفظ المأكولات ونكهته الطيبة.

ان الطريق خارج كوشين، عاصمة ولاية كيرالا التجارية، تمر فوق تجمعات مائية تتلألأ في وهج الشمس وتنعطف مع قنوات متعرجة، ثم ترتفع تدريجا نحو الهضاب المعروفة باسمها الملائم: "هضاب الهال". وتمر السيارة فوق مساحة عُرّيت من الاشجار حتى منطقة ارناكال حيث يزرع الهال. وحين مررنا من هناك أخذت تتعلق في كبد السماء سحب ضبابية زرقاء. ثم ابصرنا النار المضرمة في الاخشاب ومن فوقها صفائح معدنية محملة بكتل من التراب الذي بدأ الدخان يتصاعد منه لشدة حرارته.

وقال مساعد المدير، وهو مزارع في الثلاثينات من عمره: "نحن لا نجازف بشيء. اننا نهيىء التربة لأحواض البذور. ولا شك في أن تسخين التراب سيقتل الدودة الخيطية التي تتطفل على النبتات، كما سيقضي على الفطريات التي قد تؤذيها".

تزرع البذور بعد الحصاد مباشرة في تربة رطبة، ولكن غير مبللة، ومنقاة من الاعشاب ومطهّرة بالرش من الاوبئة. وبعد سنة تعاد زراعة النبتات في احواض ثانوية، وفي المرحلة الثالثة تنقل الشتلات لزرعها في الحقول الرئيسية.

وسط الاخطار - الا ان كلمة "حقول" تسمية غير دقيقة لان الهال، منذ آلاف السنين حتى حدود العام ١٨٠٠ للميلاد، لم يكن محصولا زراعيا معروفا. بل كان الناس من القبائل التي تسكن الغابات ومن سكان السهول المغامرين يخاطرون بأنفسهم ويشقّون دروبهم عبر هضاب كيرالا،

متحدّين الحيوانات البرية وما هو أدهى منها، وأعني بعوضة الملاريا التي تنقل عدوى هذه الحمّى اللعينة. ولا يزال الهال أقل التوابل الفة"·

وزرنا حقلا جديدا بدأ للتو اعداده، ورأينا العمال يكابدون ويكدحون فوق هذه الارض الدكناء وتحت الاشجار السامقة الدائمة الخضرة من أجل تكوين ظروف مثالية، وسط الغابة الكثيفة، لهذه النبتات التي يصعب تطويعها. وأخذوا يقطعون ويبترون ويزيلون بسكاكين الغاب كل ما نبت تحت هاتيك الاشجار، ومن ثم ينبشون الحفر للنبتات الجديدة قبل موعد هطول الامطار الموسمية.

واذا سارت الامور على خير وجه، فهطلت الامطار في مواعيدها وبلغ الظل نسبته الفضلى وأقصيت الحشرات المتطفلة، فسيزهر الهال في ابريل (نيسان) ومايو (ايار)، وتنمو اغلفة الزهر تدريجا بين اغسطس (آب) وفبراير (شباط). وتأتي اللاقطات في هذا الفصل ويزرن كل شجيرة مرة كل فترة تراوح من ٢٠ يوما الى ٤٠ يوما، ويلمسن كل عنقود زهري وكل سويقة متبرعمة، ولا يلتقطن سوى الاغلفة الناضجة. وبعد تجفيفها في المصانع يصبح الهال جاهزا للتصدير وللاستهلاك المحلي.

القهوة العربية ـ ان العرب هم افضل مستهلكي الهال الهندي. وجدير بالذكر ان الهند تنتج منه سنويا أربعة آلاف طن، وهذا يعادل ٦٣ في المئة من صادرات العالم الاجمالية. وتجد نسبة ٩٠ في المئة من الانتاج الهندي طريقها الى العالم العربي. وقد عزا أحد كبار المصدّرين، وهو دات بيتهه، السبب الى ابريق القهوة النحاسي التقليدي وانبوبه الطويل، مذكراً "بأن معظم البيوت العربية، ولاسيما تلك المتحدرة من اصول بدوية، فيها ابريق كهذا. وتقديم القهوة الى كل ضيف يدخل الدار واجب محتوم، والامتناع عن تقديمها يُعدّ انتهاكا للتقاليد والعادات". والقهوة العربية مطيّبة بحبّ الهال، وقد تزيد نسبة الهال فيها على نسبة القهوة. وفي بعض البيوت في شرق المملكة العربية السعودية ووسطها، يفضل ان تكون نسبة القهوة في الابريق ١٠ في المئة فقط، على ان تكون التسعون في المئة الباقية كلها من الهال.

ويعتقد البعض ان الهال يبرّد الجسم في الطقس الحار. وفي كتب عربية قديمة اشارات الى ارتباط الهال بالقوة الجنسية. ولا يقتصر ذلك على العرب. ففي الخريف الماضي، بينما كنا مسافرين في شمال الهند وتفصلنا مسافات وحضارات عن كيرالا الهادئة، ابصرنا في احدى اسواق كشمير التي يرتادها الغجر قطعة فضية بين المجوهرات، وسألنا الصائغ عما اذا كانت مدلاّة لقلادة العنق. فنفى ذلك وقال انها قطعة "ايلادهاني"، تلبسها العروس عادة في معصمها. ثم نزع الصائغ سدادة ذلك القمقم وقال: "يجب ان تضع العروس في هذا الحقّ اول طعام تقدمه الى عريسها، وهو مفيد جدا". وحين سألناه اذا كان يعني الحلوى، أجاب الصائغ العجوز:

– كلا! كلا! بل الهال طبعاً!

■ هيو وكولين غانتزر



ان ركوب طائرة جمبو العملاقة ليس بالفتح الجديد في تايلاند، بل هو تقليد يعود الى تأسيس المملكة. الا ان السفر بهذه الطريقة الفخمة - ولكن غير المريحة كليا - كان وقفا على الملوك والحكام وعلية القوم.

أما اليوم فقد تبدّلت الامور ولم يعد السفر مقتصرا على فئة خاصة من الناس، بل أصبح في متناول الجميع. وغدا السفر على متن طائرة جمبو التابعة لشركة "تاي" ناعما كالحرير. ويزيده متعة جمال المضيفات وبشاشة المضيفين الذين يلبّون حاجات الركاب تمشيا مع تقاليد الضيافة التايلاندية العريقة.

وهناك سبب آخر لتفضيل جمبو شركة "تاي" على سواها، وهو انه ما من شركة أخرى لها خبرة ١٠٠٠ سنة في هذا المجال.

Thai
ناعمة كالحرير

المختار

ايار (مايو) ١٩٨٠ — السنة الثانية (سلسلة جديدة)



هذا الشهر يتقرر

زوال الجدري من العالم

كان هذا الوباء المخيف لعنة تهدد الناس في جميع أنحاء العالم· وكان ضحاياه يعدون بالملايين، يصرعهم أو يشوههم أو يصيبهم بالعمى· أما الآن فالمرض نفسه بات يواجه الفناء· ويتوقع ان تعلن منظمة الصحة العالمية التي تباشر جمعيتها العمومية السنوية اجتماعاتها في جنيف في الخامس عشر من شهر مايو (ايار) الحالي - تعلن رسميا القضاء النهائي على الجدري في انحاء العالم· وكانت الصومال ودجيبوتي وكينيا واثيوبيا آخر "مواقع" هذا الوباء·

١٧ أبريل (نيسان) ١٩٧٨·

على مكتبي تستقر البرقية الواردة من مدينة نيروبي عاصمة كينيا بالنص الآتي:

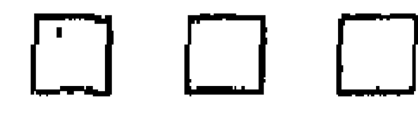
"تم البحث· لم تكتشف اي اصابة المدعو علي ماوو معلين هو آخر حالة جدري في العالم"·

لقد ظللت طوال عشر سنين أدير الحملة التي شنتها منظمة الصحة العالمية للقضاء على مرض الجدري واستئصاله نهائياً من العالم· وقد اشترك في هذه الحملة ٧٠٠ مستشار ينتمون الى ٥٥ بلداً، وعدد من موظفي الدوائر الصحية المحلية والمتطوعين يقارب المئتي ألف·

ويبدو الآن أننا بلغنا هدفنا، وهو انعدام الاصابات كلياً بهذا الوباء الذي يعتبر من أخطر الاوبئة الكبرى وأرهبها وأشدها فتكاً وتخريباً· وبذلك أصبح الجدري أول مرض يستأصله الانسان تماماً·

ووجدتني قادراً على أن أفهم

بعقلي هذا النصر الذي أحرزناه، بينما أحسست نفسياً بخدر تام.



يوم ٢٦ أكتوبر (تشرين الاول) انتاب علي ماوو معلين، وهو طباخ يعمل في مستشفى بلدة ميركا في الصومال، مرض شديد وارتفعت حرارته الى درجة عالية، وظهر على جلده طفح الجدري المتميز. وعلى الفور تولت الفرق الصحية الصومالية وموظفو منظمة الصحة العالمية عزله كلياً ووضعه تحت المراقبة، والبحث الدقيق عن ١٦١ شخصاً كانوا على اتصال به من أجل تلقيحهم ضد المرض. وبالفعل، لم يصب أحد منهم بالجدري.

واتسع نطاق البحث ليشمل بيتاً بعد بيت في أنحاء البلدة التي تضم ٤٠ ألف نسمة، ثم امتد الى صحراء اوغادين المحيطة بالبلدة وعبر المناطق المجاورة في كينيا واثيوبيا وجيبوتي. وتم فحص آلاف المصابين بجدري الماء (الجدري الزائف) وسواه من أمراض الطفح الجلدي، وجمعت أكثر من ألف عينة وفحصت في المختبر، فلم يسفر ذلك كله عن اكتشاف اصابة جدري واحدة.

وعلى رغم ان التأكد من القضاء على الوباء يتطلب مواصلة البحث في كل واحدة من مناطق ظهوره طوال عامين على الاقل، الا أننا مع حلول شهر أبريل (نيسان) ١٩٧٨ كنا قد أصبحنا واثقين من أن علي ماوو معلين هو آخر ضحايا الجدري المتوطن.

غير أنه في أواخر أغسطس (آب) ١٩٧٨، وقع في أحد المختبرات الجامعية في مدينة برومنغهام الانكليزية حادث أكد صواب ما يراودني من قلق ازاء الاحتفاظ بالفيروسات الحية في المختبرات. فقد اخفقت التدابير الوقائية في احتجاز الفيروس، وتوفيت مصورة فوتوغرافية طبية بعد اصابتها بالجدري. وامتدت العدوى الى أمها، لكن العلاج أنقذها.

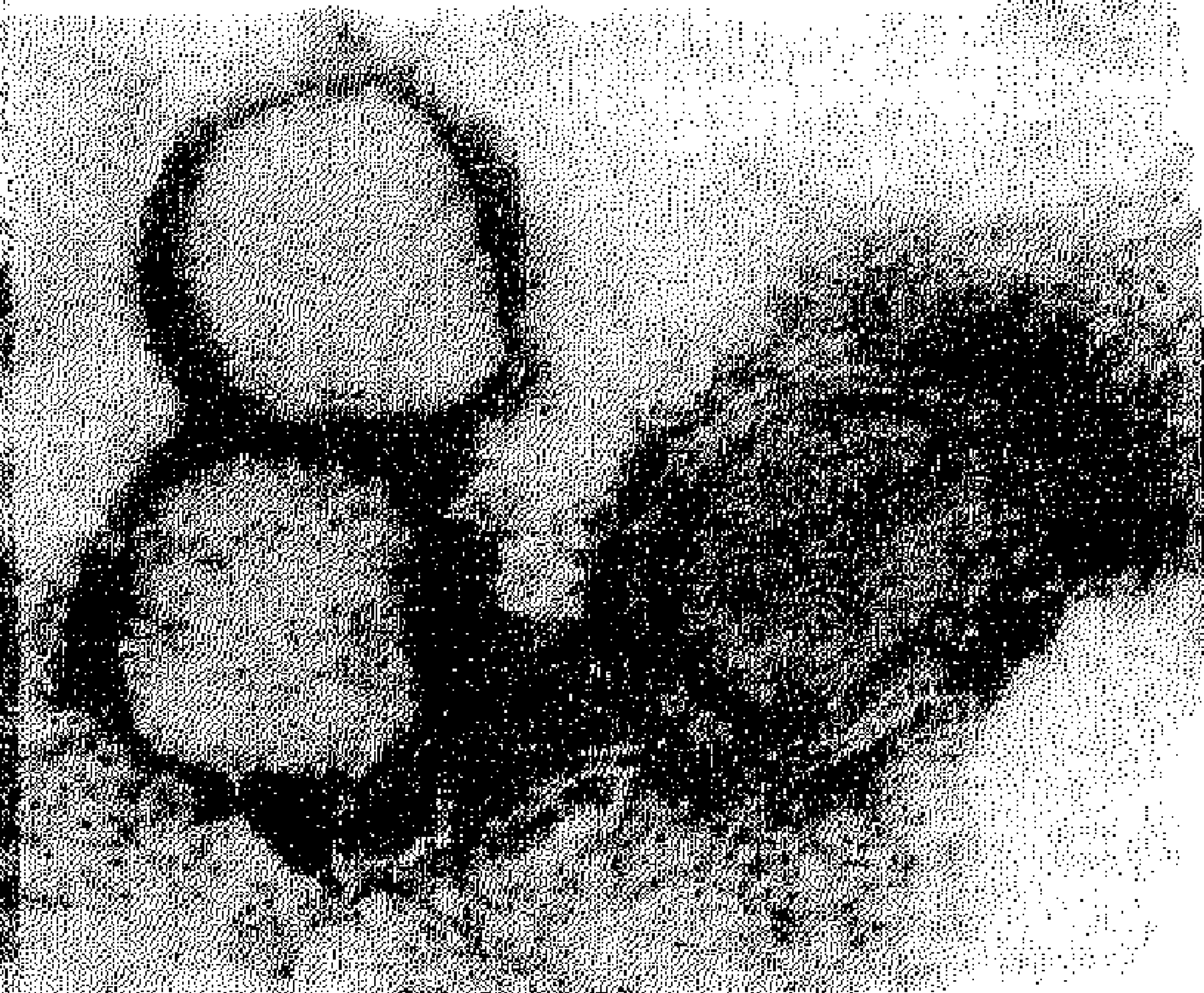
وكان الدرس واضحاً: كلما زاد عدد المختبرات التي تحتفظ بفيروسات حية، كان الخطر أعظم. وقد نجحت مساعي منظمة الصحة العالمية فعلا في خفض عدد المختبرات التي تستخدم فيروس الجدري من ٧٦ مختبراً على الاقل الى سبعة فقط. وينتظر ان يهبط هذا العدد الى أربعة، وكلها مراكز تتعاون مع المنظمة وتطبق فيها اجراءات أمن مشددة.

المرض المعدي — الجدري مرض يحدثه فيروس ينتقل عادة من شخص الى آخر في قطيرات دقيقة تتناثر من الفم والانف. فاذا استنشق هذه القطيرات شخص غير ملقح أو لم يسبق له ان أصيب بالمرض، فهو سيصاب بعد فترة تراوح بين عشرة ايام و١٤ يوماً بارتفاع كبير في درجة الحرارة تصحبه آلام مبرحة. وبعد ذلك بفترة تراوح بين يومين وأربعة أيام، ينتشر الطفح على جسده كله، فتغطيه حويصلات تمتلىء بالصديد. ثم بعد فترة تراوح بين عشرة أيام و١٤ يوماً، تتكون على هذه الحويصلات قشور.

وفي الماضي، كان بين ٢٠ و٣٠ في المئة من المرضى المصابين بالسلالة



علي ماوو معلين
والفيروس الذي أصابه مكبراً مئة ألف مرة.



الآسيوية القوية من هذا الفيروس يموتون. أما الناجون فكانوا يخرجون من المرض بندوب دائمة، وربما فقدوا بصرهم أحياناً. وليس للمرض أي علاج.

وقبل اكتشاف اللقاحات، كان المرض ينتشر في أي مناخ وأي مكان. وهو غيّر مسار التاريخ مرات عدة. وعندما حمله الغزاة الاسبان الى العالم الجديد عام ١٥٢٠، فتك في وقت قصير بثلاثةملايين ونصف مليون من الهنود الحمر، فساهم بذلك الى حد كبير في انهيار حضارتي الانكا والازتيك. وكانت ابادة المرض لأعداد هائلة من هنود أمريكا الشمالية من العوامل المهمة التي مهدت الطريق أمام انتشار الاوروبيين واستقرارهم فيها. وفي كتاب اللورد توماس ماكولي "تاريخ انكلترا"، هناك وصف لآثار هذا المرض الشديدة على المجتمع البريطاني في القرن السابع عشر:

"كان الجدري آنئذ أفظع رسل الموت. فهو حاضر على الدوام، يملأ المدافن بالجثث في ساحات الكنائس، ويجهز على عيني العذراء المخطوبة الساحرتين ومحياها البديع، فيحولها مسخاً رهيباً يفزع حبيبها".

وفي العام ١٧٩٦، أوضح طبيب الارياف الانكليزي ادوارد جينير ان العدوى الخفيفة المكتسبة من الابقار تحصن المصاب بمناعة تجاه الجدري. وبالتالي، فالمادة المأخوذة من بثرة جدري الابقار يمكن ان تستخدم لوقاية البشر. وفي سنوات قلائل كان لقاح جدري الابقار يوزع في أنحاء العالم. غير ان مشكلات انتاج اللقاح

والمحافظة عليه ظلت تحصر امكانات السيطرة على الوباء في حدود جزئية حتى بداية القرن العشرين.

ولم تتمكن أوروبا وأمريكا من التخلص من الجدري تماماً الا في أربعينات هذا القرن، بينما ظل المرض وبائياً في البلدان النامية. وكثيراً ما كان المصابون "يصدِّرون" من مناطق الاصابة الى المناطق الخالية من الوباء. واستمرت برامج التلقيح في جميع البلدان، وظل مفتشو الحجر الصحي يواصلون جهودهم لفرض اللائحة الدولية التي تقضي بأن يكون جميع المسافرين ملقحين ضد المرض.

حملة عالمية - وفي العام ١٩٥٩ بدأت منظمة الصحة العالمية محاولة أولى للقضاء على الجدري. لكن الموارد المتاحة في معظم الاقطار كانت أقل مما يجب، ولم يكن في وسع المنظمة أن تقدم سوى مساعدات صغيرة في هذا المجال. ثم بدأت في مايو (أيار) ١٩٦٦ حملة عالمية مكثفة للقضاء نهائياً على وباء الجدري خلال عشر سنين. وطلب مني ترك وظيفتي كاختصاصي في الاوبئة في وزارة الصحة العامة الامريكية لكي ارأس البرنامج.

وكان القلائل فقط هم الذين يصدقون أن مرض الجدري - أو اي مرض آخر - يمكن القضاء عليه على نحو تام. فقد أخفقت الجهود المبذولة للقضاء على الملاريا والحمى الصفراء، بينما كان مرض الجدري يتنقل بسهولة عبر الحدود المفتوحة. وبدا غير معقول تنسيق برامج المكافحة في ٤٤ بلداً سجلت فيها اصابات بالمرض، من بينها عدد كبير من أقل البلدان تقدماً في العالم، تضم مناطق شاسعة نائية وسكاناً لم يسبق لهم أن رأوا أحد موظفي الصحة.

لكن طبيعة وباء الجدري أتاحت مجالا للتفاؤل على رغم ضخامة المهمة، وذلك لأن فيروس الجدري، على خلاف الكثير من الامراض الاخرى، ليس له موئل معروف سوى الانسان، وهو ينتقل عادة نتيجة لاتصالات المواجهة. كما ان ضحيته نادراً ما تنقل العدوى الى أكثر من خمسةاشخاص آخرين. وفضلا عن ذلك، فان المرض ينتشر ببطء، ويترك في ندوب ضحاياه دليلا واضحاً على سبق وجوده.

وقبل التفكير في القضاء نهائياً علىالمرض، كان علينا التخطيط لوقف انتشاره. وهذا حتم علينا أولاالبحث عن أماكن وجود الاصابات. وكان نظام التقارير عام ١٩٦٧ مشتتاً، اذ كان بعض البلدان يقدم تقارير غير منتظمة، والبعض الآخر ينكر وجود المرض.وبلغ عددالاصابات التيذكرتها التقارير ذلك العام ١٣١٤١٨. لكننا نقدر اليوم ان العدد الفعلي آنئذ كان يراوح بين عشرة ملايين و١٥ مليوناً في الـ٤٤ بلداً.

وبدأت فرق متجولة من منظمة الصحة العالمية تقيم في المستشفيات والمراكز الصحية شبكة للمعلومات والتقارير، فاكتشفت أعداداً متزايدة من الاصابات. وهذا جعلنا ندرك مع الوقت حقيقة حجم العبء الذي أخذناه على عاتقنا.

وكان لا بد لنا من الحصول على

اللقاح بمعدل ٢٠٠ مليون الى ٢٥٠ مليون جرعة سنوياً. لكن الاختبارات كشفت ان ١٠ فيالمئة فقط من اللقاحات المستخدمة آنذاك كانت تحقق الشروط المطلوبة. بل ان بعضها لم يكن يحوي اي فيروسات تلقيح. وازاء هذا الوضع بدأنا نستجدي الحكومات، الواحدة بعد الاخرى، للحصول على هبات من اللقاح. وكان الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية أكبر المتبرعين. لكن أكثر من ٤٠ بلداً آخر ساهم في تلك الحملة. واستخدمنا هذه التبرعات مع أموال منظمة الصحة العالمية لاقامة مختبرات لانتاج اللقاح، معظمها في البلدان المتأثرة بالمرض. ووضعنا نظاماً لضمان مراقبة جودة اللقاح.

واحتجنا بعد ذلك الى طريقة بسيطة وسهلة وفعالة واقتصادية لاعطاء اللقاح، فوجدناها في ابرة حقن ذات شعبتين صممتها معامل شركة "وايث" الامريكية. وعندما تغمس الابرة في فيروس المرض تلتقط منه كمية كافية للتلقيح، وتعطى للشخص عن طريق ١٥ وخزة سريعة في الذراع. ولم يكن التدريب على استخدام ابرة الحقن يقتضي أكثر من دقائق معدودة. كما ان الابر يمكن تعقيمها واعادة استخدامها. وقد كانت جميع عمليات التلقيح ايجابية. والاهم من هذا ان القنينة الواحدة من اللقاح أصبحت، بهذهالطريقة الجديدة، كافية لتلقيح مئة شخص بدلا من ٢٥ شخصاً فقط بالطرق السابقة.

مدافع وذخيرة ــ وبينما كنا نبذل الجهد لتأمين كميات كافية من ابر الحقن واللقاح ــ وهي في مثابة مدافع الحملة وذخيرتها ــ بدأنا ننفذ برامج التلقيح والقضاء على المرض في بلد تلو الآخر. وفي العام ١٩٦٩ كان معظم البرامج قد بدأ فعلا. حتى اذا جاء العام (١٩٧١)، كان العمل فيها جميعاً يسير بأفضل ما يرام في جميع البلدان المعنية. غير انه حتى بعد تلقيح ٩٥ في المئة من السكان، ظل الوباء يواصل انتشاره بعض الاحيان.

ورأينا، ازاء ذلك، ان نلجأ الى استراتيجية أخرى تقوم على المراقبة والحصر. فبدأت "فرق اطفاء المرض" تندفع الى مناطق ظهوره،حيث تعزل المرضى وتلقح سكان القرى المحيطة كلهم، ثم تتبع مصدر العدوى حتى تعثر على الاصابات الاخرى وتحصرها بدورها، وبذلك تكسر سلاسل انتقال المرض.

وفي العام ١٩٧٣ تدنى عدد البلدان التي توجد فيها اصابات الجدري من ٣٣ بلداً الى ستة فقط. وكانت الهند وبنغلادش وباكستان ونيبال بين هذه البلدانالتي يزيد عدد سكانها على ٧٠٠ مليون نسمة. وقال لي أحد أساتذة الطب الانكليز محذراً:"لا تسقط من حسبانك أن آسيا هي الموئل القديم للجدري. واذا أمكن القضاء على هذا المرض في أمريكا الجنوبية او أفريقيا، فالقضاء عليه في آسيا أمر مستحيل تماماً".

وتساءلت عن احتمال صحة هذا الكلام. لكن العام ١٩٧٣ كان نقطة تحول. فقد أمضينا صيفه الحار نعمل مع زملائنا الهنود على ابتكار أساليب وبرامج تدريب ونماذج تقارير جديدة. وبدأ الهجوم في الخريف، فأسفر عن

جائزة لمن يأتي برأسه!

منذ ايار ١٩٧٨ خصصت منظمة الصحة العالمية جائزة مقدارها ١٠٠٠ دولار امريكي لاول شخص يبلغ عن اصابة حقيقية بالجدري. وعمم هذا الاعلان في انحاء العالم، وزينت جدران المطارات والمستشفيات والمدارس وغيرها بملصقات عن هذه الجائزة صممها الفنان السويسري رينه غوش.

هذه الدعوة العامة للمواطنين في انحاء العالم الى المشاركة في المراحل الاخيرة من الحملة ضد الجدري لاقت تجاوبا قويا. فوردت على مقر منظمة الصحة العالمية في جنيف تقارير عن عدد كبير من الحالات المشتبه فيها موزعة على القارات الخمس.

وحقق في كل من تلك الحالات، وارسلت عينات منها الى المختبرات لتحليلها. وجاءت نتائج التحاليل سلبية. وبين ٩٠ تقريرا تلقتها المنظمة حتى اواخر سبتمبر (ايلول) ١٩٧٩ ورد ٢٤ تقريرا من افريقيا، أي نحو واحد بين كل أربعة، كما يظهر في القائمة ادناه:

البلد	الاصابات	نوع المرض
بينين	١	جدري القرود
الكاميرون	١	غير محدد
جمهورية جنوب افريقيا	٢	جدري الماء
غينيا الاستوائية	١	الحصبة/جدري الماء
اثيوبيا	٢	لا أساس لهما من الصحة
غامبيا	١	لا أساس له من الصحة
غينيا	١	لا أساس له من الصحة
ساحل العاج	٢	رد فعل للمخدرات
كينيا	١	مرض جلدي
ليبيا	١	جدري الماء
مالي	١	لا أساس له من الصحة
نيجيريا	٢	جدري الماء
رواندا	١	لا اساس له من الصحة
الصومال	٢	لا اساس لهما من الصحة
السودان	١	لا اساس له من الصحة
زائير	٢	لا اساس لهما من الصحة
زامبيا	٢	احداهما حالة حصبة والاخرى لا اساس لها من الصحة

(المصدر: منظمة الصحة العالمية).

اكتشاف عشرات الآلاف من الاصابات الجديدة. لكن اجراءات التطويق الصارمة خففت من انتشار المرض. وقد وظفنا حراساً لمنع المرضى من مغادرة بيوتهم وعمدنا الى تلقيح جميع زائريهم، وراح موظفو الصحة والقرويون المتطوعون يلقحون جميع الناس في القرى التي ظهرت فيها اصابات. وفعلوا الامر نفسه مع الذين يقيمون في نطاق دائرة يمتد شعاعها ثمانية كيلومترات حول كل قرية مصابة.

الخلافات البناءة – لن أنسى ليلة حارة رطبة في قرية صغيرة في بنغلادش، حيث كنا جماعة من الرجال الذين تعلوهم القذارة، وقد طالت لحاهم من غير حلاقة واستبد بهم القلق، مجتمعين حول مائدة. وكان الفريق يضم عدداً من مواطني بنغلادش واثنين من الامريكيين وسوفييتياً واندونيسياً وبرازيلياً وسويسرياً. وكانت المناقشة حامية ونحن نحاول ان نجد حلولا لمشاكلنا شبه المستحيلة.

وأخذنا نضيّق الحلقة على الخصم باطراد. وفي العام ١٩٧٤ ظهرت في باكستان آخر اصابة جدري، ثم شهد العام ١٩٧٥ آخر اصابتين في نيبال والهند. وفي ١٦ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥، كانت فتاة من بنغلادش في الثالثة من عمرها، تدعى رحيمة بانو، آخر من يصاب بالجدري الآسيوي الشديد. وهي شفيت لاحقا.

ومع بداية العام ١٩٧٦، بقيت أثيوبيا وحدها تضم أشخاصاً مصابين بسلالة من الفيروس أقل حدة بكثير من السلالة الآسيوية. لكن امكانات التنقل في ذلك البلد كانت تعترضها عقبات يكاد يستحيل التغلب عليها نظراً الى ظروف الحرب الاهلية داخل اثيوبيا من جهة والى الحرب بين اثيوبيا والصومال المجاورة لها من جهة اخرى فضلا عن المجاعة وأمطار الصيف الغزيرة.

وتعرضت فرق المراقبة التابعة لنا للخطف من جانب الثوار الذين احتجزوا أفرادها فترات تراوح بين ايام وأسابيع. كما تعرضت طائرات الهليكوبتر التي تحمل هذه الفرق لنار البنادق، ونسفت احداها بقنبلة يدوية أسفرت عن جرح عدد من العاملين وقتل عدد آخر. لكن المشاركين في الحملة من الاثيوبيين وموظفي منظمة الصحة العالمية كانوا مصممين على بلوغ هدفهم. وفي شهر أغسطس (آب) ١٩٧٦، سجلت آخر اصابة جدري معروفة في مخيم للقبائل الرحل في صحراء اوغادين.

واعتقدت أن النصر بات قريباً. لكن الفترة التي شهدت ظهور آخر اصابات الجدري في اثيوبيا شهدت أيضاً استيراد المرض الى الصومال التي كانت خالية منه قبل ذلك. وتعرضت جهودنا لتأخر أدى الى نتائج محزنة، اذ أصاب المرض أكثر من ٣٠٠ شخص. غير انه في أوائل أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٧ تقلص عدد الاصابات الى اثنتين، وهما اللتان تسربت عدواهما الى الطاهي علي ماوو معلين.

وعلى رغم ان عمليات التلقيح الروتينية ستتوقف الآن في كل مكان، الا ان منظمة الصحة العالمية وعدداً من المختبرات ستظل تختزن اللقاح على سبيل الاحتياط. وهذا اللقاح يحتفظ بفعاليته فترة طويلة تبلغ عشرات السنين عندما يختزن تحت درجات حرارة متدنية. والحق ان احتمالات حدوث انفجار آخر للمرض ضئيلة وبعيدة، الا اننا على استعداد دائم لمكافحته.

ان الاطفال يولدون اليوم، للمرة الاولى في التاريخ، في عالم متحرر من الجدري.

■ **الدكتور دونالد هندرسون**

الحاجة أمُّ الاختراع

تنمو في العالم الثالث تكنولوجيا بعيدة عن التعقيد تبعث في ابنائه شعوراً بالاعتزاز

☐ هناك جهاز رخيص الثمن لغلي الماء وتعقيمه بواسطة الطاقة الشمسية. وهو مصنوع من انابيب الفلوريسانت المحروقة، ويؤمن ماء الشفة للعائلات الفقيرة في المناطق الاستوائية.

☐ وهناك ايضاً صندوق محكم الاقفال لحفظ الغلال، يتيسر للمزارعين الفقراء صنعه من المواد المتوافرة لديهم محلياً. وفي وسع المزارع ان يختزن في الصندوق بين ٣٠ في المئة و٤٠ في المئة من محصوله من الحبوب التي لولاه تصبح نهباً للآفات.

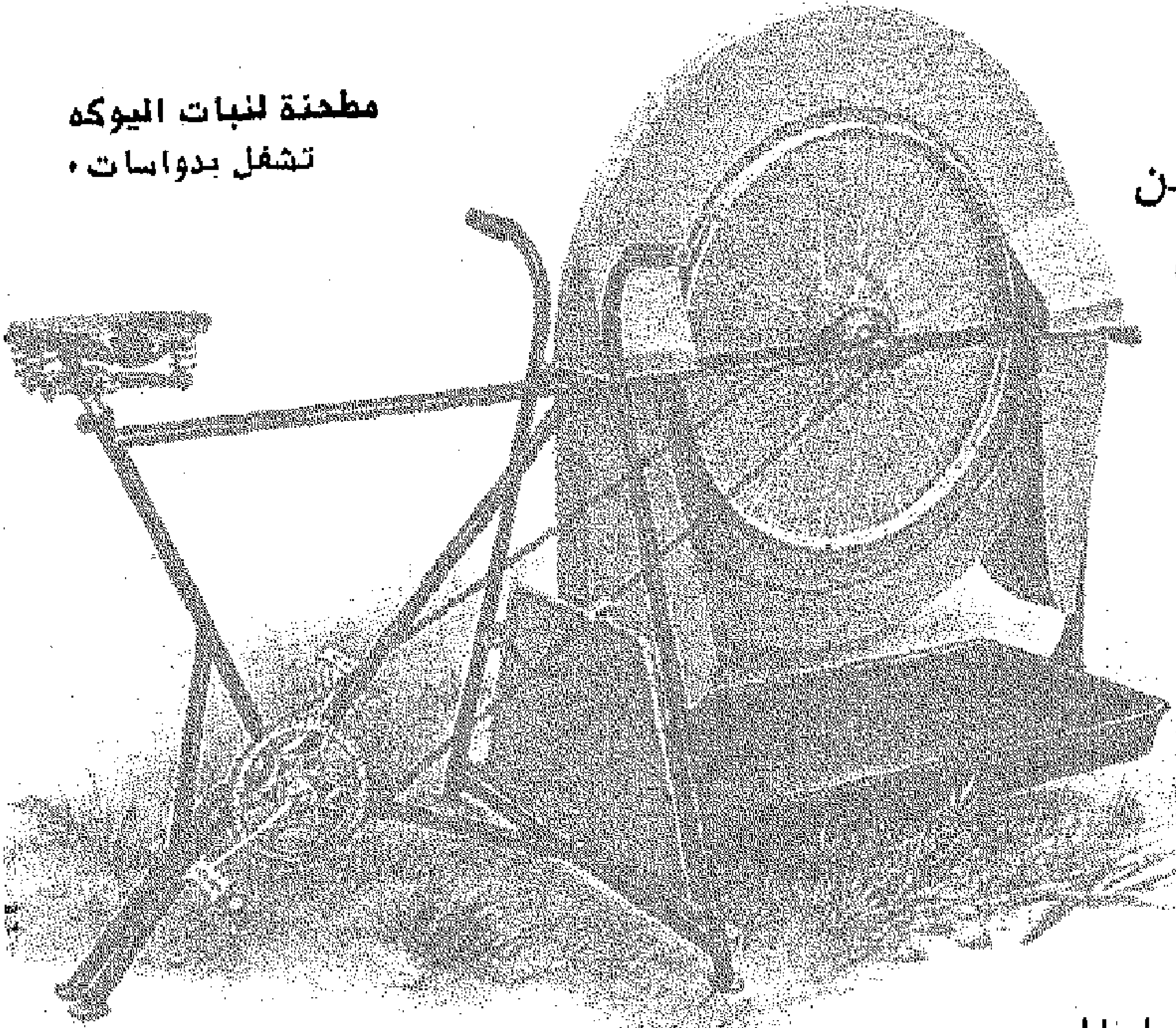
☐ وثمة محرك صغير يستمد طاقته من الماء الجاري في احد الجداول، ويزود العائلة الريفية بكيلوواط واحد من الكهرباء. ولا يتجاوز ثمنه ١٥٠ دولاراً. وهو يعمل مدة خمس سنوات من دون حاجة الى اصلاح.

هذه الامثلة جميعها هي وليدة عبقرية جيل جديد من المخترعين والعلماء والمهندسين من ابناء العالم الثالث. ويتبع هؤلاء الطليعيون فلسفة "التكنولوجيا المناسبة" التي تقضي بانتهاج ابسط الاساليب العملية لتأمين الادوات المعدنية الضرورية وانجاز العمليات الصناعية بكلفة اقل.

لقد مر عدد كبير من البلدان الفقيرة في تجارب قاسية خلال العقود الاخيرة، عندما سارع الى ولوج ميدان الاقتصاد الصناعي، فأقدم على استيراد معدات مصانع الصلب وغيرها من اجهزة التصنيع الضخمة. وكثيراً ما ادى ذلك الى الفوضى الاجتماعية بسبب ندرة الفنيين وهجرة الريفيين الى المدن التي اسفرت عن شل الانتاج الزراعي وتفاقم البطالة. وكانت



طاحونة هواء زهيدة الكلفة.



مطحنة لنبات اليوكه
تشغل بدواسات.

النتيجة ان ازداد الاعتماد على العالم الصناعي بدلا من توطيد الاستقلال الذي كان العالم الثالث ينشده.

ويرى عدد من اولياء الامور ان هناك حلا اكثر حكمة يكمن في تشجيع التكنولوجيات البسيطة والصغيرة التي يتيسر تصميمها محلياً وتطبيقها على نطاق واسع. ولا تقتصر هذه المحاولة على تلبية الحاجات الاساسية، بل تتعداها الى شحذ الشعور بالاعتزاز والثقة بالنفس اللذين يتعرضان غالباً للوهن والذبول من جراء استيراد التكنولوجيا الاجنبية والفنيين الاجانب.

ولعل افضل مثل نضربه لابراز هذه الحركة الجديدة هو ما نجده في مركز "التكنولوجيا المناسبة" في لاس غافيوتاس. وهو مركز للبحوث في اقليم يانوس غير المأهول في كولومبيا، اسسه منذ عشر سنين، عالم الاجتماع باولو لوغاري كاستريون (٣٢ سنة)، وهو يشغل حالياً منصب المدير العام في المركز.

ويعني مركز لاس غافيوتاس بتأمين حاجات سكان الاقليم البالغ عددهم ١٠٠ الف نسمة. وهو نجح في تصميم عدد من الاجهزة الجديدة واختبارها،بما فيها جهاز دواسي لطحن محصول اليوكه (نبتة من الفصيلة الزنبقية) فيحقق في يوم واحد ما يستلزم شهرين من العمل بالطرق التقليدية، وبالتالي يحفز الفلاحين في اقليم يانوس على زراعة اليوكه ذات الجذور الغنية بالنشويات.

وصمم علماء المركز طاحونة هوائية لضخ مياه الري ومياه الشفة، وتكفي لتحريكها نسمة هواء لا تتجاوز سرعتها الثمانية كيلومترات في الساعة. كما اعد المركز نوعين من مضخات الماء الزهيدة الثمن، احداهما تعمل باليد والاخرى بالكهرباء.

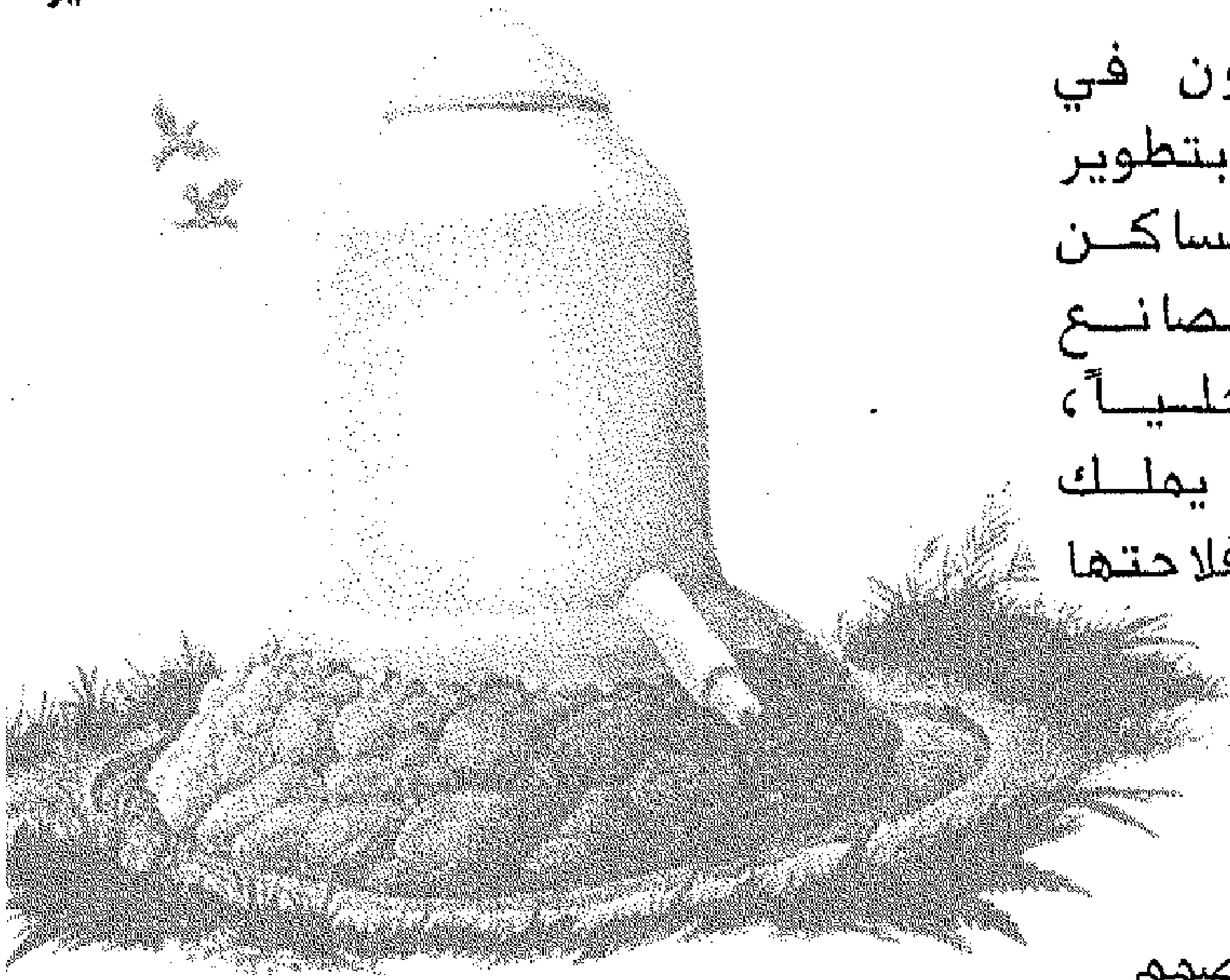
تحطيم العوائق - لقد راج الآن انشاء المراكز التكنولوجية من هذا الطراز في بعض البلدان الاخرى، كالهند، حيث يعمل الباحثون المحليون على تطوير اجهزة صغيرة تحول النفايات العضوية على انواعها الى غاز يستعمل وقوداً للطهي

والتدفئة. كما يهتم التقنيون في ليسوتو، في جنوب افريقيا، بتطوير مواد وطرق فنية لبناء المساكن بتكاليف منخفضة. وتنتج مصانع الفيليبين آلات مصممة محلياً، يستخدمها المزارع الذي يملك مساحات واسعة لا تتيسر له فلاحتها باليد ويعجز، في الوقت نفسه، عن اقتناء الآلات الزراعية ذات الحجم التقليدي.

وفي زامبيا (في افريقيا) صمم المهندسون صندوقا لخزن الغلال يدعى "فيرومبو"، يتسم بتركيبه المتين الثابت والمنيع ضد الماء والجرذان والحشرات والنار وتقلبات الحرارة. وقد وضع المهندسون تصاميم مرحلية تتيح للمزارع ان يبني هذه الصناديق بنفسه، علماً بان كلفة الصندوق الواحد الذي يتسع لطن من الغلال لا تتجاوز العشرين دولاراً.

وهناك مستحدثات تكنولوجية اخرى آخذة في الانتشار على نطاق اوسع. فقد اهتدى العلماء، مثلا، في مختبرين حديثين في البيرو وبوليفيا (في امريكا الجنوبية) الى اسلوب جديد لتنقية النحاس الخام هو اقل كلفة وأكثر بساطة من الطريقة التقليدية. ومن حسنات هذا الاسلوب انه يتيح تنقية المواد الخام الرديئة النوعية والتي كانت التكاليف الباهظة تحول في الماضي دون تنقيتها.

ولئن تكن التكنولوجيات تنتقل دائما من مكان الى آخر، الا ان هذا



فيرومبو: مخزن للحبوب اسطواني الشكل.

الانتقال قد يكون غاية في البطء حيثما تتعذر وسائل المواصلات المؤاتية. وهذا ما حمل برنامج الامم المتحدة للتنمية (★) على مساعدة المراكز التكنولوجية في البلدان النامية على الاتصال ببعضها البعض. وفي نهاية العام ١٩٧٨ عقدت الامم المتحدة مؤتمراً موسعاً في بوينس ايرس عاصمة الارجنتين لتدارس مسألة "التعاون الفني بين البلدان النامية".

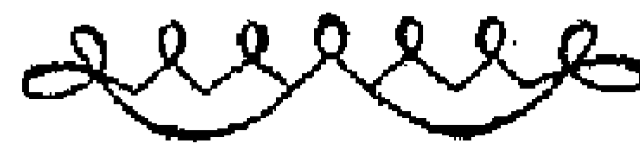
وخلال احدى جلسات المؤتمر قال شريدات رامفال، الامين العام لرابطة الشعوب البريطانية (الكومنويلث) والوزير السابق في حكومة غويانا (امريكا الجنوبية): "على شعوب الامم النامية ان تحطم العائق النفسي

(★) هناك مكاتب اقليمية لهذا البرنامج يتولى شؤونها الممثلون المقيمون في دول افريقيا وأمريكا اللاتينية والعالم العربي وآسيا والمحيط الهادىء، ويمكنها تقديم المزيد من المعلومات حول هذا النوع من التنمية.

والتقبلي الذي تسبب في غسل ادمغتنا مدة طويلة، بحيث صرنا نعتقد ان افضل العلوم وأفضل التكنولوجيات وأفضل الخدمات وأفضل الافكار وأفضل ما يتناوله الخاطر انما يأتي مما يسمونه العالم المتقدم، وان كل ما هو ريفي هو رديء النوع وكل ما هو حضري هو الافضل وكل ما هو اجنبي هو الامثل. وكان من شأن هذه المعتقدات انها خنقت عملية التنمية التي لا يزال مفهومها مرادفاً لمفهوم الحضارة الغربية".

ويخلص رامفال الى القول: "ان التنمية الطويلة الامد هي عملية معقدة لا تتوقف فقط على اقتباس الطرق الغربية. فسر تلك التنمية انما يكمن في تعزيز الثقة بالنفس واقتناع المجتمع بقدرته على حل مشاكله بذاته وعلى ابتكار الحلول الاصيلة الملائمة".

■ بويس رنسبرغر



تعريف النفاق

دائما نحب الذين يمدحون، ولكن لا نحب دائما الذين نمدح.

لاروشفوكو

اخطاء الآخرين

ان الاهتمام المفرط الذي نوليه أخطاء الآخرين يجعلنا نموت قبل ان تتاح لنا فرصة التعرف على اخطائنا.

لابروبير (اخلاقي فرنسي)

من السكران؟

بعد ما فرغ الطبيب من الكشف على المريض، قال: "لا استطيع ان اجد سبباً لما تشكو منه، واظن ان ذلك راجع الى شرب الخمر".

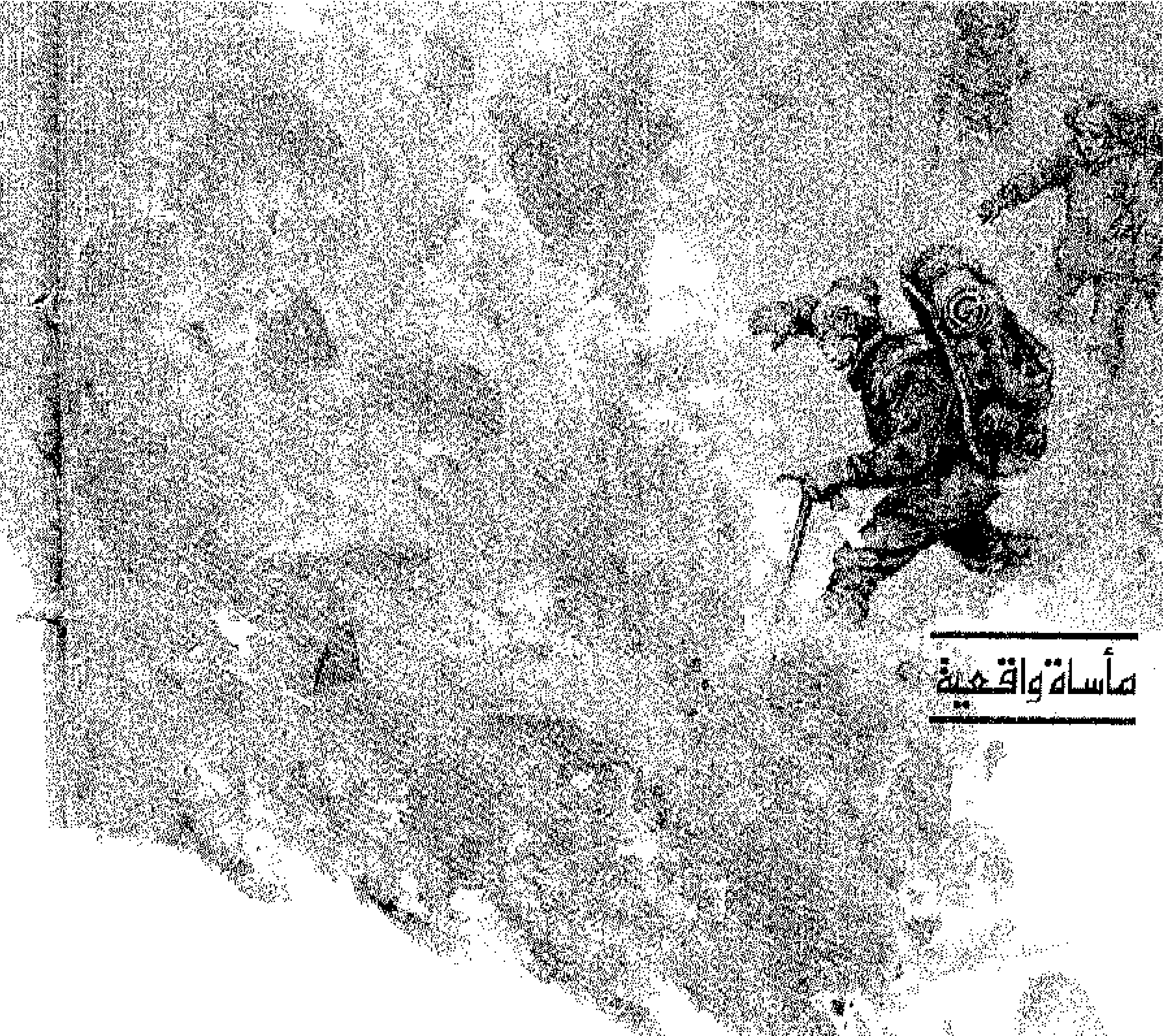
فاجاب المريض: "الافضل ان اعود عندما تكون صاحياً".

ج. م.

فطنة المأمون

"جمع المأمون الخليفة العباسي العلماء وجلس للناس، فجاءت امرأة وقالت: "يا أمير المؤمنين، مات اخي وخلف ستمئة دينار. فأعطوني دينارا وقالوا هذا نصيبك". فحسب المأمون التركة ثم كسر الفريضة وقال لها: "هذا نصيبك". فقال له العلماء: "كيف علمت يا أمير المؤمنين؟" فقال: "هذا الرجل خلف ابنتين؟" قالت: "نعم". قال: "فلهن الثلثان اربعمئة وخلف الوالدة فلها السدس مئة وخلف زوجة فلها الثمن خمسة وسبعون؟ وبالله عليك الك اثنا عشر اخاً؟" قالت: "نعم". قال: "اصابهم ديناران كل واحد منهم واصابك انت دينار..."

ر. س، من كتاب "تاريخ الخلفاء" للسيوطي



مأساة واقعية

مصيبة الجبل

استمرت العاصفة الثلجية بعنف شديد يوماً تلو يوم، تلو آخر، فتجمع الفتيان الثلاثة الذين تسلقوا الجبل وتلبدوا بالأرض متلاصقين في ملجأهم، يقاومون في سبيل النجاة والحياة.

□ اليوم الأول، ٣١ ديسمبر (كانون الأول).

"يا له من مكان يقضي فيه الأنسان ليلة رأس السنة!". صرخ الفتى مت ميتشام، الذي يبلغ السادسة عشرة، وهو يندفع في كومة من الثلج كثافتها ثلاثة امتار. انطلق ميتشام واثنان من زملائه الطلبة في اكاديمية وادي والاوالا في كوليج بلايس (ولاية واشنطن)، من تيمبرلاين لودج لتسلق جبل هود المهيب في ولاية اوريغون. وقد هبت الريح في ذلك اليوم وبلغت سرعتها ١٠٠ كيلومتر في الساعة، وجرفت السحب من السماء، فتبين الفتيان الثلاثة سلسلة القمم المغطاة بالثلوج، الممتدة من جبل راينيير في ولاية واشنطن الى جبل جيفرسون في ولاية اوريغون.

Condensed from Campus Life (February '78), copyright 1978 by Youth for Christ International, Wheaton, Ill. 60187

الثلاثة طلبة في السنة الثانوية الثالثة، وكان ثانيهم غاري شنايدر الذي يبلغ السادسة عشرة ايضا اكثرهم تمتعاً باللياقة البدنية. فأبوه مدرس يعلم تسلق الجبال والانزلاق على الجليد وملاحة الزوارق في كلية والاوالا وقد غرس فيه حب الرياضة في الاماكن الطليقة. وكان غاري يفضل تسلق المرتفعات في فصل الشتاء، "حين لا يكون هناك سياح يعوقون مسيره". وكان ثالث المتسلقين راندي ناب، وهو فتى خافت الصوت في الثامنة عشرة.

وفي اليوم الأول من رحلة التسلق المتمهلة التي قدروا لها اربعة ايام لبلوغ القمة، راح الثلاثة يلتقطون صورا فوتوغرافية ويلوحون بأيديهم للمتزلجين الذين كانوا في المصعد فوقهم. ولكن حين وصلوا في العشية الى الملجأ القائم عند اعلى مصعد التزلج فوجئوا بأنه محكم الاغلاق. فالقى غاري حبلا، عبر سقفه، وزحف بطريقة متسلقي الجبال الى فتحه بمفصلة في الطابق الثاني. ووجد الجوالة الثلاثة انفسهم من دون كهرباء ولا نار في ذلك المأوى فاستغنوا عن الاحتفال برأس السنة وزحفوا داخل اكياس نومهم حيث استغرقوا في النوم حتى الصباح.

□ اليوم الثاني

كان اول يوم في السنة قارس البرد. وقضى المتسلقون الجانب الأكبر منه وهم يصعدون تحت وطأة الحقائب التي تثقل ظهورهم، من ارتفاع ٢١٠٠ متر الى ٢٧٠٠ متر فوق سطح الأرض. وكان الجو نقياً صافيا.

وبعد تجاوزهم مستوى ٢٧٠٠، زادت حدة الارتفاع حتى وجدوا انفسهم يصعدون على زاوية يبلغ انحناؤها ٣٠ درجة. واذ راحت الشمس تهبط في اتجاه المحيط الهادىء، بدأوا يحفرون مأوى لهم في المنحدر المسمى "سرج النور". ومكنتهم حيوية الشباب من نحت كهف ثلجي انيق مساحته ستة امتار مربعة، وارتفاع سقفه يكفي للوقوف، وفيه رفوف لوضع معداتهم. فبدا الكهف في النهاية وكأنه قطعة فنية.

□ اليوم الثالث

كان راندي قد حدد طريقاً عبر نهر جليد "ريد" يتجه صعداً حتى القمة خلال ممر ضيق يسمى "زجاج الساعة". لكنه لم يحسب حسابا للثلج الرخو المتجمع اكواماً ترتفع حتى الخصر على نهر الجليد، مما جعل عبوره يستغرق معظم الصباح. وكانت الحال اسوأ من ذلك في "زجاج الساعة"، لأنه كان نظيفا من الثلج وسطحه الشديد الانحدار كان زلقا الى درجة خطرة. واستعان الثلاثة بفؤوس الجليد وارتدوا نعالا ذات خطاطيف فوق احذيتهم، وساروا عرضا فوق الجليد الناعم الزلق لمدة ساعة. ولكن بما ان الفتى مت لم تكن له خبرة في الجليد قرروا اخيرا ان يعودوا الى ملجأهم على منحدر "سرج النور"

لقضاء الليل، على ان يتسلقوا في الصباح التالي عبر الطريق الاسهل والاكثر مباشرة الذي يسمى "طريق ظهر الخنزير".

ولدى عودتهم الى الملجأ تولى راندي تحضير الحساء والمعكرونة على الموقد الصغير الذي ينقله معه. وتحلق الثلاثة حول الموقد والشمعة التي اضاؤوها وراحوا يناقشون خطة سيرهم. وكان راندي وغاري تسلقا جبل هود من قبل، فقرروا جميعا ان ينصبوا خيمة على القمة ويقضوا ليلتهم التالية فيها. وناموا وهم يحلمون بالغد حين يبلغون القمة وينبسط امام اعينهم منظر من اروع مناظر العالم.

□ **اليوم الرابع**

جاء الصباح، غير انهم لم يروا المنظر الذي انتظروه. فقد هبت عاصفة ثلجية قوية نشرت ضباباً تتعذر الرؤية معه على أكثر من ٢٠ متراً، مما جعلهم يقررون العودة الى تيمبرلاين لودج. وكانوا يعرفون انه ينبغي الا يسيروا عبر الضباب الأبيض، لكنهم كانوا واثقين من ان تيمبرلاين لودج يقع مباشرة عند أسفل المنحدر حيث يقفون.

غير ان الرؤية قد تضاءل مداها خلال ساعة الى اقل من عشرة امتار. ولم يتمكنوا من الاهتداء الى اي معالم يسترشدون بها، فحولوا اتجاههم نحو الجنوب الشرقي وساروا متشابكي الاذرع. وفجأة سقطوا جميعاً في هوة ضحلة وغرقوا حتى خصورهم. وهزتهم الصدمة، لكنهم لم يصابوا باذى، فتعاونوا على الخروج وادركوا انهم تجاوزوا هدفهم وبلغوا نهر الجليد الأبيض، وان الهوة التالية قد يكون عمقها بضع مئات من الامتار. فعادوا صاعدين وغيروا اتجاههم نحو الغرب.

وتسلل اليهم القلق: فمعالم الارض التي امامهم لا تشبه معالم الجبل فوق تيمبرلاين. ومعنى هذا انهم ضلوا الطريق. فقرروا، على رغمهم، ان يحفروا ملجأ ثلجياً ينتظرون فيه هدوء العاصفة.

وبعدما حفروا مترا واحدا في الثلج، اصطدمت مجرفة مت الالومنيوم الصغيرة بالجليد. فكرروا المحاولة في موضع آخر، لكنهم انتهوا الى النتيجة نفسها. ولم يكن في استطاعتهم ان يحفروا ملجأ في الجليد القاسي، فاضطروا الى تسطيح الثلج لكي ينصبوا فوقه خيمتهم. واستغرق ذلك ساعتين من العمل الشاق. وحين دخلوا الخيمة في النهاية، كانت ملابسهم مشبعة بالماء. فقبعوا حول عمود الخيمة الأوسط وهم يرتعشون من البرد.

وكان يترامى الى اسماعهم صوت جرارات الثلج الضعيف المنبعث من مكان ما. ولو كانت الليلة صافية لاستطاعوا ان يروا تيمبرلاين لودج على مرمى البصر، فهم كانوا قريبين منه فعلا. لكن العاصفة الثلجية جعلت الاصوات غائمة وغير محدودة الاتجاه. ولم يكن وضعهم يختلف عن ذلك لو وجدوا على الجانب الآخر من الجبل.

□ **اليوم الخامس**

تراكم الثلج على الخيمة في الليل، وناء عمودها الأوسط بثقله فانثنى مثل صنارة صيد السمك. ولو ظل الثلج يتراكم بمعدل متر في اليوم، فلن

تتحمل الخيمة ذلك، بل ستنهار فوقهم. لذلك قرروا ان يهجروها.

وراحوا يرهفون السمع لعواء جرارات الثلج من دون ان يتمكنوا من تحديد اتجاههم. ثم قرروا السير نحو الغرب. وبعد دقائق قليلة سمع غاري صوتا مكتوما كدوي الرعد، فجمد غريزيا في مكانه من دون حراك. ولم يلبث ان هوى امام عينيه جدار هائل من الجليد والثلج بسرعة القطار المنطلق. والقى نظرة عجلى على قدميه، فرأى ان الثلج يرتفع الى ركبتيه لكنه ينتهي فجأة عند طرف حذائه، اذ جرفته الكتلة الهاوية في طريقها بحيث انه لو تقدم خطوة واحدة لاطاحته كتلة الثلج المنهارة وحملته في طياتها.

وعلى بعد ثلاثين مترا فقط، اختفى الثلج المنهار فجأة بصوت كالرشيش. وادرك غاري ان ذلك يعني هوة سحيقة، فارتعد مرة اخرى اذ تبين له ان خميتهم كانت قريبة جدا من حافة الهوة وهم لا يدرون.

ثم تكاثف الضباب واستمر هبوب الريح التي تسفي الثلج في وجوههم، فرأوا ان يعودوا من حيث اتوا. ولم يلبثوا ان وجدوا انفسهم على منحدر زاويته ٦٠ درجة يتعذر مجرد التوقف عنده. فحفروا لانفسهم ملجأ في الثلج اقتضى منهم بذل جهد جهيد وبدأوا ينقلون معداتهم الى داخله. لكنه لم يلبث ان انهار بصوت مكتوم لان الثلج المبلل لم يتحمل ثقل السقف. فحفروا ملجأ اخر صغيرا لا يتسع الا لاكياس النوم وتركوا معداتهم خارجه. وصمد هذا الملجأ الجديد، على رغم انه ضيق لا يتيح لهم مجرد الجلوس. وكان العياء والبرد قد هدا الفتيان الثلاثة، فزحفوا في اكياسهم وناموا.

واذابت حرارة اجسادهم ارض الملجأ وحولتها الى برك صغيرة. وفي منتصف الليل استيقظ مت" ورأى ان الثلج سد مدخل الملجأ وقطع عنهم الاوكسجين. فاسرع الى الحفر في الثلج مرة اخرى، مما جعل الهواء الرطب المحتجز داخل الملجأ يندفع الى الخارج. وقضوا ليلة بائسة، كان عزاؤهم الوحيد فيها الأمل في ان العاصفة لن تستمر طويلا.

□ **الأيام من السادس الى التاسع**

اصبحت الأيام تنقضي في رتابة مرهقة للاعصاب، ليس فيها سوى الانتظار داخل الملجأ الثلجي وجرف الثلج والحديث واذكاء الأمل. وكان الثلج يتساقط بلا انقطاع، وتتجمع كوم جديدة منه لتسد مدخل الملجأ مما يقتضي جرفه وتجميعه في كومة مستديرة. وبعد يومين عمد الثلاثة الى توسيع مأواهم واقامة دورة مياه منفصلة.

وكانت الليالي اسوأ حالا بالنظر الى ضيق الفسحة المخصصة للنوم ووجع عضلاتهم من البرد والمكوث في وضع غير مريح واكياس النوم المشبعة بالماء، حتى ان الريش داخلها اصبح متجمعا في كتل مبتلة. ومن حسن الحظ ان ملابسهم كانت من الصوف الذي يحتفظ بخصائصه العازلة حتى وهو مبتل. وكان غذاؤهم يتألف من كسر الخبز الجاف والحلوى والفطائر الجاهزة والفواكه المجففة. ولم يخطر في بالهم ان يقننوا كميات الطعام، لانهم كانوا يتوقعون الا

تطول العاصفة اكثر من خمسة ايام على اقصى تقدير.

وكان الثلاثة يدركون مدى قلق اهلهم لغيابهم، اذ لا بد ان تكون سيارتهم الـ"تويوتا" قد اكتشفت في موقف سيارات تيمبرلاين لودج. وقدر غاري ان اباه الخبير في تسلق الجبال قد نظم فرقة للبحث عنهم. لكنه لا يدري اذا كان ابوه اليائس قد اكتشف ملجأهم الثلجي الأول، وتبين انه مهجور وقد سده الثلج.

وكان كل من الثلاثة اصطحب معه نسخته من الكتاب المقدس. وكانوا يتناوبون على قراءته بصوت عال ثماني ساعات يوميا. وبدا منظرهم غريبا: ثلاثة اجسام مستندة الى اذرعها داخل مربع مساحته متران ونصف متر، والكتاب المقدس ينيره ضوء شاحب منعكس من النفق المؤدي الى الملجأ. وكان سفر المزامير يحمل اليهم اكبر مقدار من العزاء، اذ ان النبي داود كتبه على الارجح وهو يعاني حالات متأزمة لا تختلف كثيراً عن حالهم: جائعا، وحيداً، قابعا احيانا في كهف. كان المزمور يقول: "اخدم الرب، واعطه ثقتك". لقد كان الموقف صعباً.

وساعدتهم الصلوات. وكانوا يغنون بصوت عال كل اغنية يعرفونها آملين في ان يسمعهم احد الباحثين عنهم لانقاذهم. وقد اراحهم التنفيس عن مشاعرهم على هذا النحو.

□ **اليوم العاشر**

الجمعة، ٩ يناير (كانون الثاني)، استيقظ راندي مبكراً كي يزيل الثلج من النفق الذي اصبح طوله الآن اكثر من ستة امتار. ولم يكد يدفع الثلج خارجا حتى انطلقت صيحة منه: انه يستطيع الرؤية! لقد اصبح مدى الرؤية مئتي متر على الأقل. واسرع غاري ومت زاحفين الى الخارج. وكان الثلج قد توقف عن السقوط. ربما كان هذا هو يوم خلاصهم. وراحوا يحركون عضلاتهم التي آلمها الركود وينشطونها استعدادا للهبوط.

وسمع غاري صوت طائرة هيليكوبتر. وايقنوا ان السحب لن تلبث ان تنقشع فتتمكن الطائرة من أكتشافهم! لكن الضباب هبط مرة اخرى، وبدأت ندف كبيرة مبللة من الثلج تتساقط فعادوا الى داخل ملجأهم زاحفين، وهم يكادون لا يصدقون اعينهم ويتساءلون عما اذا شاء الله ان يعاملهم بهذه القسوة!

وللمرة الأولى تبادلوا الحديث صراحة في امرهم. فهم حاولوا كل شيء تعلموه عن التجول فوق الثلوج. بيد ان العاصفة اذا استمرت فانهم سيموتون في ملجأهم من دون ريب. اما محاولة السير نحو تيمبرلاين لودج في حال انعدام الرؤية فهي امر بالغ الخطر، اذ انهم لن يلبثوا ان يسقطوا في حفرة عميقة او ان تزل خطاهم الى زاوية سحيقة.

وعرض راندي الموقف في ما يتعلق بالطعام: كانت لديهم وجبة حساء واحدة وخمس وجبات من الرقاق وخمس وجبات من العصيدة. وفحص غاري الموقد، فوجده يحتوي على ربع قدح من الوقود فقط، اي ما يكاد يكفي لتسخين ثلاثة او اربعة ليترات من الماء.

وكانت حالهم المعنوية تحتاج الى دفعة تنعشها. فتغلب مت وغاري

تلك الليلة على معارضة راندي، واعدا الحساء. وكان لرائحة الطعام الساخن فعل السحر في رفع معنوياتهم. وزاد من دهشتهم ان الوقود لم يفرغ بعد طهي ليترين من الحساء. فاذابوا عليه من الثلج مقدارا امدهم بسبعة عشرة ليتراً من الماء.

واثار مت" مشكلة عملية تعترضهم: ان تراكم الثلج المتساقط امام الملجأ جعلهم الآن على بعد ستة امتار من الخارج، فلا بد اذا من ان يكون ثقل الثلج الذي تراكم فوق سطح الملجأ بلغ حدا لا يصدق. وفي هذه الحال، ربما كان من الأفضل ان يبنوا لهم ملجأ آخر اقرب من المدخل ولا ينوء سقفه الجديد بثقل الثلج المتراكم. ووافقه زميلاه مرغمين. وراح الثلاثة يعملون في بناء مأوى جديد حتى انجزوه، ثم اقاموا الصلاة شاكرين الله على انهم ما زالوا أحياء.

□ **الايام من ١١ الى ١٦**

ايقظهم في الصباح الباكر صوت قرقعة وصرير. وتبينوا ان مأواهم الجديد يتداعى. ولم يلبث ان انهار وغمرهم بالثلج. وحين ادركوا انهم اضعف من ان يستطيعوا بناء مأوى آخر قرروا المجازفة بالبقاء في الملجأ الذي هجروه الليلة السابقة، آملين في ان يظل متماسكاً.

وانقضت الأيام في موكب رتيب من الرطوبة والساعات المرهقة، يقضونها مضطجعين في اكياس النوم وهم يتحدثون او يقرأون في الكتاب المقدس. وتضاءل نشاطهم فكفوا عن الغناء. وحددوا غذاءهم بوجبة واحدة في اليوم، قوامها ملعقتان من عجين الرقاق غير المطهي.

وكان انخفاض حرارة اجسامهم خطرا ماثلا على الدوام، لان حرارة الجسم اذا هبطت الى اقل من ٣٢ درجة مئوية، يتغلب النعاس على الشخص ويفقد القدرة على التفكير المنطقي وقد يدخل في غيبوبة الموت. وظل غاري يحذر زميليه من لذعات الصقيع. وقد بدأت قدما مت" ينتابها الورم ويميل لونهما الى الزرقة فتولى غاري تدليكهما بشدة، كما راح يحث راندي على مواصلة تحريك اصابع قدميه.

وعلى نحو ما، لم يعاودهم اليأس الذي انتابهم في اليوم العاشر. واذا حدث وتضاءلت معنويات احدهم تعاون الاثنان الآخران على تشجيعه، على رغم ان العاصفة الثلجية ظلت لاصقة بالجبل كالخرقة المبللة، وهي تكسو الملجأ كل يوم بكمية اضافية من الثلج لا تقل كثافتها عن متر.

وكان يوم الجمعة ١٦ يناير (كانون الثاني) اليوم الرابع عشر لسقوط الثلج على التوالي. وفي تلك الليلة جرف مت" الثلج من النفق المؤدي الى الملجأ، ونظر خارجه فرأى النجوم. لقد انقشعت السحب تماما! ونظر الى اسفل، فرأى على مدى البصر انوار تيمبرلاين لودج. وتناقش الثلاثة في ما اذا كان يحسن بهم ان يسيروا الى تيمبرلاين لودج في الظلام، ثم قرروا الانتظار حتى الصباح.

□ **اليوم السابع عشر**

طالعتهم سماء زرقاء صافية في الصباح التالي، فتولى غاري وراندي حزم المعدات بينما تولى مت" توسيع النفق الذي اصبح طوله الآن تسعة امتار. وتمكنوا من جر" امتعتهم خلال

النفق ورفعها على ظهورهم،وبدأ مسيرهم في اتجاه تيمبرلاين الذي ينخفض ٦٠٠ متر عن موقع ملجأهم. ودهشوا لشدة ضعفهم حين رأوا انفسهم مضطرين الى التوقف، بعد كل خمس خطوات، من اجل الراحة.

وكان والد غاري يبحث عنهم مع جماعة من الناس، في موقع يعلو عن مكانهم ٣٠٠ متر.

ولم يلبث ان رأى الفتيان الثلاثة، فصاح فرحا واندفع هابطا الجبل. لكنه لم يتمكن من الاستمرار ووجه نداء بالراديو الى دايف بولسن الذي كان يفتش المنطقة القريبة من الفتيان وهو يقود جرارا جارفاً للثلج. وانفجرت الدموع فرحا في عيني بولسن عندما وجد غاري وعانق الثلاثة، وحاول ان يرفع احمالهم على عربته. وكانت كل واحدة من هذه الربطات الثلاث المشبعة بالماء تزن ٤٠ كيلوغراما تقريبا.

واحتشد خارج كوخ تيمبرلاين لودج جمهور من المتلزجين الذين سمعوا بما جرى، وراحوا يهتفون بالتحية عندما وصل الجرار. وقدمت الاسعافات الطبية فورا الى غاري وراندي ومت ثم نقلوا بسرعة الى احد مستشفيات مدينة اوريغون لوضعهم قيد المراقبة، بعد خروجهم احياء من حصرهم في احدى عواصف جبل هود العاتية طيلة اسبوعين. (كان الرقم القياسي السابق للحياة في احدى عواصف جبل هود خمسة ايام، سجلته مجموعة من ثلاثة متسلقين مات احدهم في الحادث).

وبعد قضاء ثلاثة ايام في المستشفى، قرر الاطباء ان الثلاثة في حالة جيدة. وكان كل منهم قد فقد ما بين ١١ و١٤ كيلوغراما من وزنه، كما اصيب كل من راندي ومت ببعض لذعات الصقيع الطفيفة. وبعد انقضاء اسبوع، عاد كل من غاري وراندي الى المدرسة (ولحق بهم مت بعد قليل) في الوقت المناسب للمشاركة في احتفال عيد الشكر الذي يتميز تلك المرة بحرارة في الصلاة الجماعية لم يسبق لها مثيل.

وقد عزا الخبراء بقاء الفتيان الثلاثة على قيد الحياة الى تدريبهم الممتاز ومعنوياتهم الايجابية. فالكثيرون من الضحايا يستسلمون للاحساس بانهم لا محالة هالكون! لكن هؤلاء الفتيان فعلوا نقيض ذلك، وظلوا يحافظون على روحهم المعنوية بتبادل التشجيع والصلاة.

والآن، ما ترى يكون شعور هؤلاء الفتيان نحو تسلق الجبل؟ لقد عاد راندي وغاري بعد عام الى جبل هود يتسلقانه احتفالا بالذكرى السنوية لنجاتهم. وسارت الامور هذه المرة طبقا للخطة المرسومة!

■ **فيليب يانسي**



ضرورة

... اما وقد تناقص عدد الراجلين في الشوارع، فلا بد لاصحاب السيارات من شراء قوارب لدهس السابحين.

ف.هـ. ت.

البيت المرح

كتاب صغير لم تسبق نشره حملة اعلامية، وهو الكتاب الذي وعد بأن "يجعل حياتك اسهل وأكثر مرحاً"، ظل في السنة الماضية على رأس قائمة الكتب الاكثر رواجاً في الولايات المتحدة الامريكية طوال ١٢ اسبوعاً.
في هذا الكتاب قدمت السيدتان ماري ايلين بينكهام وزميلتها بيرل هيغنبوثام نصائح بسيطة، لكنها فعالة تدعو الى العجب، حول معالجة المشاكل المنزلية الشائعة. وفي ما يأتي مجموعة وافية من تلك الوصفات التي اشتمل عليها الكتاب.

ارشادات مطبخية

- كي تحفظي الخس طازجاً اخزنيه في الثلاجة في اكياس من ورق بدلا من السيلوفان (مادة شفافة شبيهة بالورق).
- اذا اشتدت ملوحة الحساء او اي طعام مطهو آخر، أضيفي اليه قطعاً من البطاطا النيئة المقشرة. وبعد طبخ هذه القطع وامتصاصها الملح اسحبيها من الطعام واطرحيها جانباً.
- اغمري الليمونة بالماء الساخن مدة ١٥ دقيقة قبل عصرها، فتدر كمية اكبر من العصير.
- اخزني الجبنة البيضاء (الحلوم) مقلوبة رأساً على عقب، فتضمنين سلامتها مدة اطول.
- في امكانك اعادة الهشاشة الى الحبوب المبتلة والبسكويت البالي بتسخينها بضع دقائق على صفيحة الفطائر في الفرن.
- اذا اخشوشن السكر الاسمر وأصبح صلباً كالحجر، واحتجت اليه حالا، فما عليك الا ان تبشري (تحفي) عن سطحه المقدار المطلوب.
- لاخراج صالصة البندورة (الطماطم) من زجاجة جديدة، ضعي في الزجاجة

انبوبة ورقية (يمتص بها الشراب عادة) وادفعيها الى قاع الزجاجة، عبر الانبوبة فيدخل مقدار كاف من الهواء الى داخل الزجاجة مما يؤدي الى تدفق الصالصة.

التنظيف والصقل

– لتنظيف الاوعية النحاسية اغمسي نصف ليمونة في الملح وافركي بها الوعاء. أما البقع البيضاء على الفولاذ غير القابل للصدأ، والناتجة عن محلول من الماء وأملاح الكلسيوم والمغنيزيوم لا يرغو فيه الصابون، فتمكن ازالتها بالخل الابيض.

اما الاوعية فعليك ان ترشيها بصودا الخبز (بيكربونات الصودا) وبقليل من الماء لترطيبها، واتركيها بضع ساعات، فينفصل الجزء المحروق عن الوعاء.

– لتنظيف الارض المصقولة بالورنيش (طلاء لامع)، او الادوات الخشبية، افركيها بالشاي البارد.

– لازالة خيوط العنكبوت من اماكن يصعب الوصول اليها، غلفي طرف العصا بجورب وثبتيه بطوق مطاطي صغير. وبذلك تستطيعين مسح الاماكن الصعبة بما في ذلك تلك التي تقع تحت الثلاجة او خلف انابيب التدفئة المركزية.

– لتنظيف النظارات من غير ان تتركي اي خطوط او لطخات، ضعي نقطة خل على كل عدسة.

الخزن والحفظ

– كي تتجنبي خدش الصحون الصينية الدقيقة الصنع، ضعي منديلا من الورق بين الصحن والاخر عند تكديس الصحون.

– كي تفوح من خزانة الثياب رائحة عطرة، علقي جورباً قديماً من النايلون وضعي فيه رقاقات من خشب الارز. وقد يساعد هذا ايضاً على ابعاد العث.

– للمحافظة على قصاصات الجرائد والمجلات ذوبي حبة من هيدروكسيد المغنيزيوم (مادة كيميائية تستعمل عادة لتسهيل عمل الامعاء لدى الامساك) في ليتر من الصودا واتركيها طوال الليل. صبي المحلول في وعاء يكفي لاحتواء القصاصة الممددة من دون ثنيها. اتركي الورقة مدة ساعة ثم اسحبيها بعناية وانفضي السائل عنها برفق واتركيها كي تجف.

– عندما تتلاصق طوابع البريد ضعيها في الثلاجة، فتنفصل ويظل الصمغ الذي عليها قابلا للاستعمال.

– احفظي لفائف البلاستيك في الثلاجة للحؤول دون تلاصقها.

تنظيف السجاد

– قبل ان تنظفي سجادتك بالصابون ضعي اكياس بلاستيك صغيرة حول قوائم الاثاث تحاشياً لظهور اثار الصدأ على السجادة الرطبة. واضافة الى ذلك فان هذه العملية تغنيك عن نقل الاثاث من مكان الى آخر ريثما تنظفين السجاد تحته.

– جربي معجون الحلاقة كمزيل للبقع واتركي لرغوة المعجون وقتاً كافياً، ثم اغسلي مكان البقعة بالماء او الصودا فتحصلين على نتيجة جيدة.

– اذا اريق النبيذ الاحمر على سجادتك او على غطاء المائدة، حاولي ازالته بالنبيذ الابيض.

– لازالة اثار بعض انواع الحبر الجاف انقعي الموضع الملوث بمستحضر لرش

الشعر ثم اتركيه كي يجف. بعد ذلك امسحي الموضع بالفرشاة بلطف مستخدمة مزيجاً من الماء والخل.

- اذا ضغط الاثاث الثقيل على وبر سجادك فجعله مسطحاً، ففي امكانك رفع هذا الوبر من جديد باستعمال فرشاة ومكواة بخارية. امسكي المكواة بينما يندفع البخار منها فوق الموضع المطلوب، ولكن من دون ان تمس السجادة. بعد ذلك افركي الموضع بالفرشاة بسرعة.

الملابس والاحذية

- لازالة العلكة ضعي قطعة الملابس التي التصقت بها في كيس من البلاستيك وادخلي الكيس في الثلاجة واتركيه حتى تتجمد العلكة. عندئذ تستطيعين ازالتها بسهولة.

- كي ينزلق السحاب بسهولة افركيه بقلم رصاص.

- قبل ارتداء ثوب جديد، ضعي وسط كل زر (من الامام ومن الخلف) لمسة من المادة المستعملة في صقل الاظافر. فمن شأن ذلك ان "يختم" الخيطان فتبقى الازرار ثابتة مدة أطول.

- اذا كنت في عجلة ولاحظت لطخة على ردائك او كنزتك البيضاء، غطي اللطخة عن طريق فركها ببودرة الاطفال.

- لتجفيف الاحذية علقيها من كعوبها على رافدة الكرسي (دعامة قائمتين من قوائمه). وبذلك يتم تعريضها للهواء من كلا الجانبين.

الخياطة

- استعملي خيطاً حريرياً او مطاطاً لتثبيت الازرار على ملابس الاطفال. فهذه الخيطان تتحمل الدعك طويلا.

- عندما تثبتين الكبسونة (زر ذو فلقتين) خيطي الجزء المكور اولا وحفي عليه بطبشور، ثم حكيه على الطرف الآخر من الثوب. ان العلامة الناتجة تشير بدقة الى الموضع الذي يجب ان يثبت فيه الجزء المجوف.

- اذا كنت تحيكين بأكثر من كرة من الصوف او القطن ضعي الكرات في كيس من البلاستيك تتخلله ثقوب صغيرة. مرري خيط كل كرة في واحد من هذه الثقوب، وبذلك تحافظين على نظافة الخيطان وتحولين دون تشابكها.

النبات والزهر

- استخدمي ماء ذا حرارة معادلة لحرارة الغرفة. اتركي الماء في وعاء مدة يوم كي يتحرر من الكلورين (مادة كيميائية تستعمل لقتل الجراثيم). والافضل من ذلك ان تستعملي الصودا القديمة التي فقدت غازاتها الفوارة، فهي تحتوي على المواد الكيميائية المناسبة لانعاش نبتاتك.

- عندما تغلين البيض بردي الماء الذي استعملته في الغلي واستخدميه في سقي نبتاتك، فهو غني بالمعادن.

- لزيادة طول الزهر ذي الجذوع القصيرة، ادخلي الجذوع في انابيب بلاستيك (تلك المستعملة في امتصاص السوائل) قبل وضعها في اناء الزهر.

- في ما يختص بزهر الشتاء اقطعي بعض اغصان الشجيرات المزهرة وضعي الجذوع في دلو ماء دافىء. اربطي كيس بلاستيك حول الدلو والاغصان، فستلاحظين ظهور البراعم.

الدهان او طلاء الجدران

- كي تخدمك فرشاة الدهان الجديدة مدة اطول ويسهل عليك تنظيفها ضعيها في علبة تحتوي على زيت بزر الكتان طوال ١٢ ساعة قبل استعمالها.

- اذا اردت ان تتخلصي من رائحة الدهان اضيفي ملعقتين كبيرتين من مسحوق الفانيليا الى كل ليتر من الدهان، والا فاقطعي بصلة كبيرة وضعيها في وعاء من الماء البارد، فتمتص البصلة رائحة الدهان.

- عندما تكبين على عملية طلاء تستغرق يومين متتاليين، يمكنك ان توفري الوقت الذي يتطلبه تنظيف الفرشاة المستعملة بلفها في رقاقة معدنية (غالباً ما تكون فضية اللون) وابقائها كذلك الى اليوم التالي. اما اذا كنت تستعملين طلاء ممزوجاً بالماء فحاولي تثليج الفرشاة المستعملة وهي ملفوفة على النحو المذكور اعلاه. وقبل العودة الى العمل دعي الصقيع يذوب عن الفرشاة. وربما استغرق ذلك مدة ساعة او اكثر.

متفرقات

- اذا احتقن قلم الحبر الجاف الذي تستعملينه بسبب تخثر الحبر على رأسه او التصاق بعض الوبر، فما عليك الا ان تفركي رأس القلم بفلتر سيجارة فيعود نظيفا من جديد.

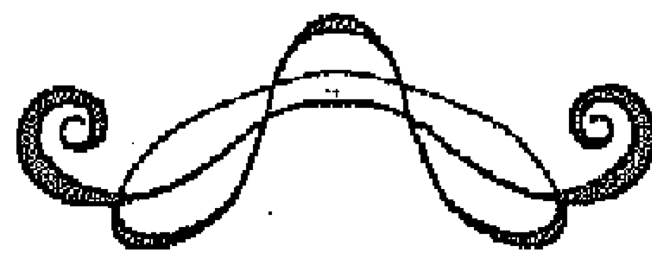
- اذا وضعت الشموع في الثلاجة لعدة ساعات قبل الاستعمال، فانها تحترق بسرعة أقل وبأدنى مقدار من التنقيط.

- يمكنك نقل الملصقات في سهولة بدهنها مرات عدة بالخل الابيض. دعي الملصق يتشرب الخل ثم انزعيه بلطف.

- في حال الارض الخشبية التي يسمع صريرها عند وطئها، رشي مسحوق الطلق (سيليكات المغنيزيوم المستخدمة عادة كمستحضر لتنعيم الوجه) في شقوقها فيختفي الصوت.

- اذا وجدت نحلة او اي حشرة مجنحة داخل البيت، فما عليك الا رشها برذاذ تثبيت الشعر. فالمواد التي يحويها هذا المستحضر تجمد اجنحة تلك الحشرات وتشل حركتها فوراً.

■ **ماري ايلين بينكهام وبيرل هيفنبوثام**



النساء وقيادة السيارات

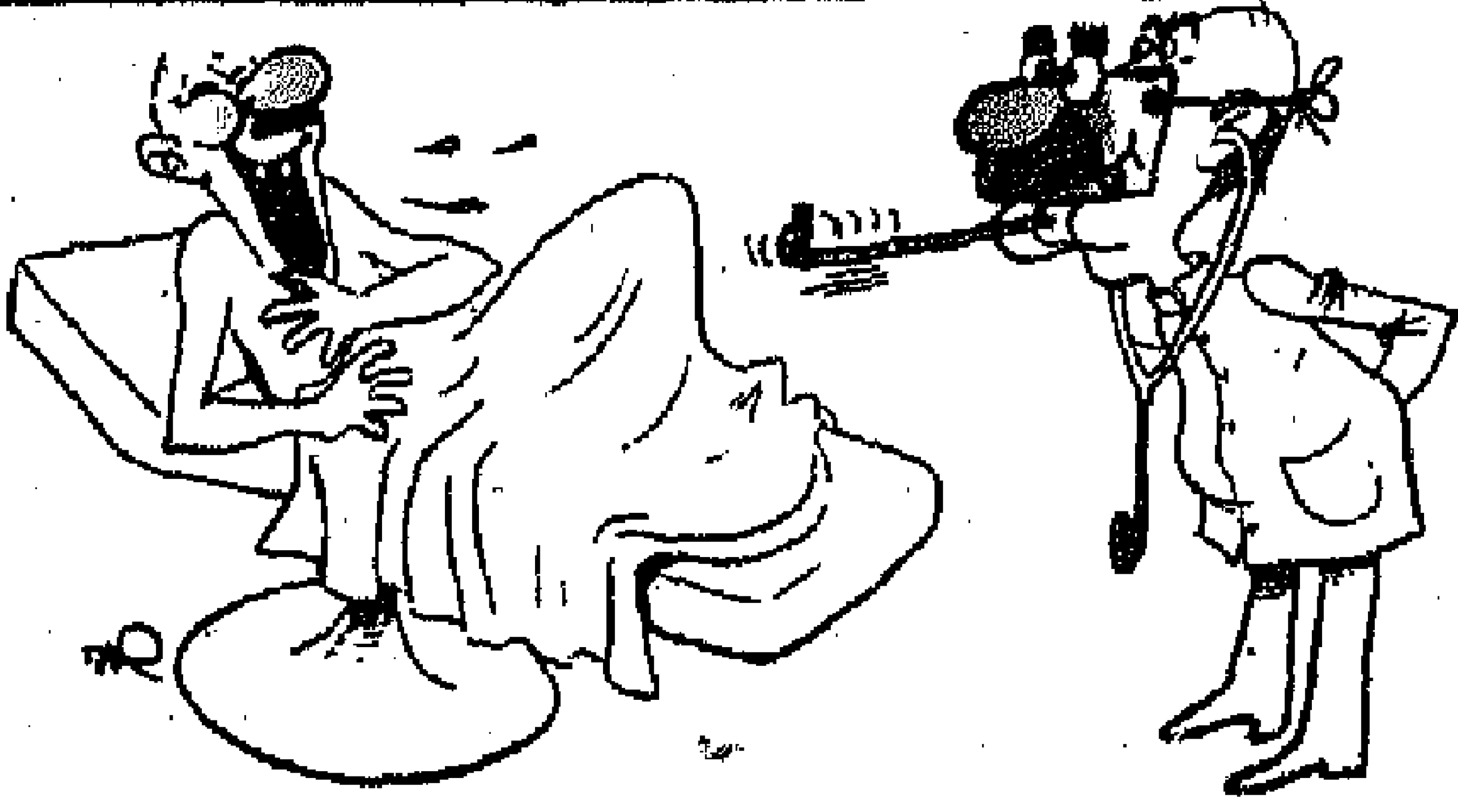
"القيادة" من المقعد الخلفي لا تكون دائماً بصوت مسموع.

يروي صديق ان والده المسن ظل سنوات عدة يركب مع ابنته التي تقود السيارة من غير ان يتفوه بكلمة واحدة عن طريقتها في القيادة طوال تلك المدة.

وذات يوم ركب ابنه معهما. واذا بالاب الصامت يغمغم بعصبية: "راقب الطريق دقيقة يا ابني بينما اعقد انا رباط حذائي".

ب. ك.

الضحك خير دواء



الشاهد الصادق

حين غادر الابن ابويه ليمضي عامه الاول في الجامعة، اعطياه نسخة من الكتاب المقدس قائلين انه سيكون له عوناً كبيراً. وكان كلما كتب اليهما يطلب مالا، أجاباه بأن عليه قراءة الكتاب المقدس، محددين له السفر والآية. وكان يرد عليهما بانه، على رغم مثابرته على قراءة الكتاب المقدس، فهو مازال في حاجة الى المال.

ولدى عودته الى البيت خلال العطلة الدراسية الاولى، اخبره والداه انهما واثقان من انه لم يكن يقرأ الكتاب المقدس، لانهما شبكا اوراقاً نقدية عدة الى جانب الآيات التي اوصياه بقراءتها.

ج.ت.س.

هناك حل!

قال المسؤول عن شؤون الطلاب في كلية الطب لطالب في السنة الاعدادية: "الدرجات التي حصلت عليها تؤهلك لدخول كلية الطب اذا كنت جثة".

ك.غ.

عبقرية مقامر

نقل جندي الى فرقة جديدة في الجيش ومعه رسالة من ضابطه السابق موجهة الى آمر الفرقة، وفيها الآتي: "هذا الرجل سيكون جندياً عظيماً اذا امكنك انقاذه من داء المقامرة".

ونظر الآمر الى الجندي وصرخ في وجهه: "اخبرني، على اي شيء تقامر؟" فأجاب: "على كل شيء. وها انا اراهن على ان هناك علامة تحت ذراعك اليمنى حملتها منذ ولادتك. فاذا كان هذا صحيحاً اعطيتني راتب اسبوع، واذا لم يكن اعطيتك الراتب من جيبي".

فصاح الآمر صيحة المنتصر وقال: "ضع دراهمك على الطاولة". ثم خلع قميصه واراه ذراعه اليمنى خالية من اي علامة. ووضع النقود في جيبه. ثم تكلم على الهاتف مع الضابط السابق فقال: "اني متأكد من ان هذا الجندي الذي تخرج في فصيلتك لن يقامر بعد الضرب الذي فعلته معه الآن".

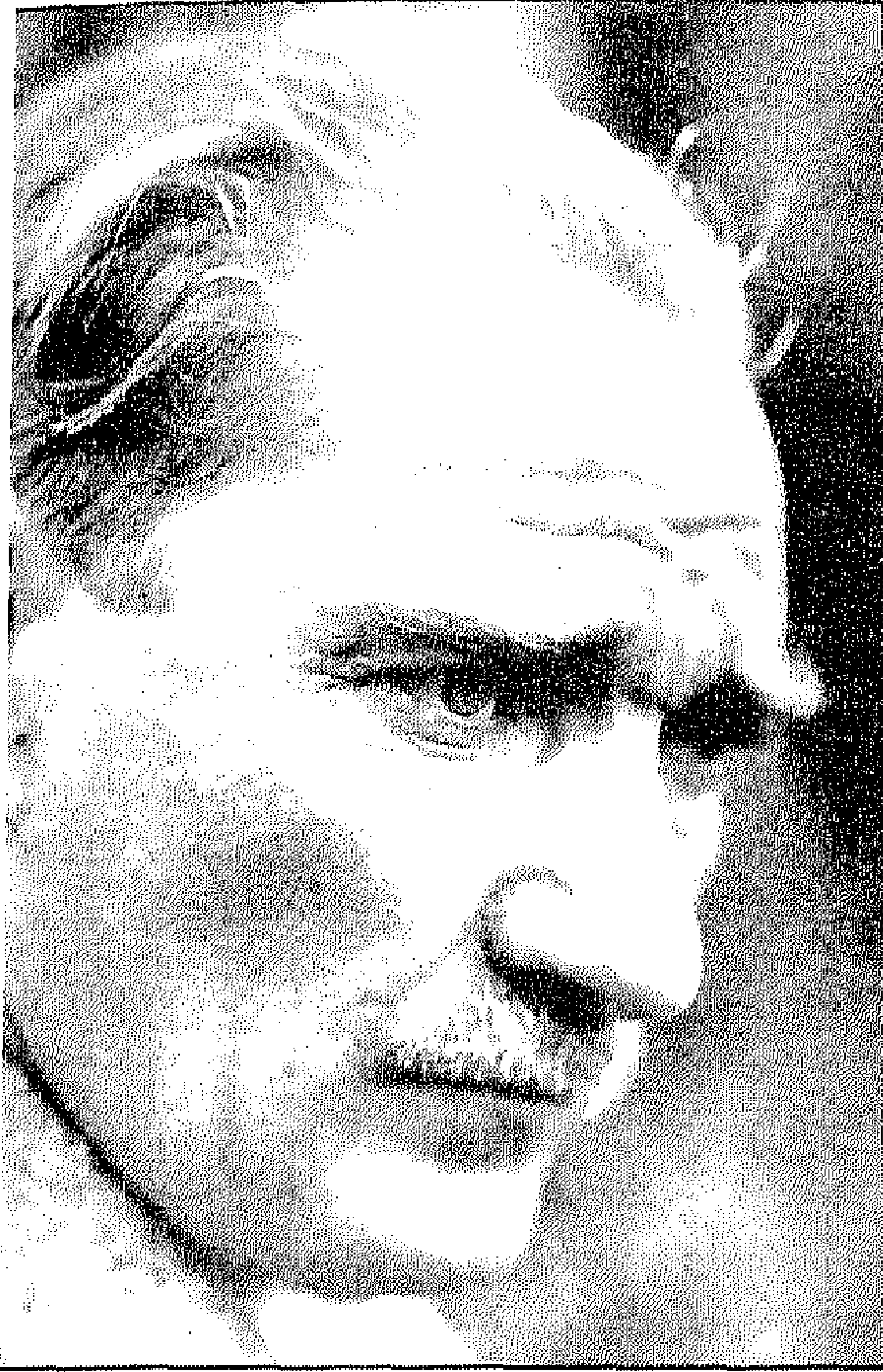
فأجاب الضابط: "لا تكن جازماً في رأيك. فقد راهنني على ٢٠٠٠ دولار اذا نجح في حملك على خلع قميصك".

ب.ف.

ثقيل الدم وخفيف العقل

جاء ثقيل الى الجاحظ وقال له: "سمعت ان لك الف جواب مسكت فعلمني منها". فقال له الجاحظ: "لك ما تريد". فقال له الثقيل: "اذا قال لي رجل يا ثقيل الدم ويا خفيف العقل فبماذا اجيبه؟" فقال له الجاحظ: "قل له صدقت".

محمد عطية، جدة.



كمال اتاتورك

اتاتورك لا يزال حيا

واحد من أعظم زعماء هذا العصر، لا يزال حياً بروحه في كيان الامة التي أسسها قبل ٥٧ سنة

فوق الهضبة المهيمنة على مدينة انقره، عاصمة تركيا الحديثة، يقع ضريح عظيم ذو اعمدة كثيرة، ولا يقل في مظهره عن هيكل "البارثينون" في اثينا روعة وجمالا. والطريق الى الضريح رحبة وعريضة، يصطف على جانبيها ٢٤ اسداً رابضاً مصنوعاً من المرمر. ويبدو المبنى مثيراً للاعجاب. ويحتوي الضريح على ناووس حجري يضم رفات مصطفى كمال اتاتورك، أبي تركيا الحديثة الذي توفي عام ١٩٣٨.

وعلى رغم عظم الحجار التي تطوق رفاته وثقلها، فان كمال اتاتورك لا يزال حياً في هذا اليوم كعهده في الامس، حين اوجد هو هذه الامة التي شهد ولادتها قبل نحو ٥٧ سنة. ولا تزال صوره تزين جدران كل منزل في تركيا، كما ان ذكراه ما برحت مقدسة في مهجة كل مواطن تركي.

ان شخصية اتاتورك، كأحد اعظم رجالات القرن العشرين، تبرز فوق شخصيات العديد من الزعماء في عالم اليوم الذي تعصف به الثورات ويقوده رجال انانيون مستبدون وتظهر فيه امم جديدة. وهو الذي انتشل امته، في فترة رئاسته بين ١٩٢٣ و١٩٣٨، من غياهب الجهل وظلمات الطغيان، ودفع بها الى الامام قرابة ٤٠٠ سنة.

انه خليط من المتناقضات. فهو فاتح عسكري نبذ بزته العسكرية وامتيازاتها. وهو ايضاً ديكتاتور، لكنه لم يستبد برأيه. وهو جندي، ولكن بروح معلم. وهو كذلك زعيم اختار ان يحكم بالحجة والاقناع، فتوجه الى الشعب، لا الى الجيش، للحصول على السلطات.

لقد كان نزيهاً على نحو مطلق لا يعرف حلا وسطاً. ولم يرهب في حياته شيئاً ولم يدن الفساد منه ابداً، وهو الذي التهبت روحه بنار حماسته القومية وبحبه العميق المطلق لوطنه الذي قلما ترى له مثيلا. وفي أوج أيامه كان سيداً على ثروة لا مثيل لها في العالم. فهناك دار الخزانة في قصر توبكابي في متحف اسطنبول الذي يعج بالماس والياقوت والزمرد في أحجام بيض الدجاج، والعباءات المنسوجة باللؤلؤ والذهب المطروق والفضة والخزف الصيني، والمنسوجات المزدانة بالرسوم والصور. وهي كلها تحف لا تقدر بثمن. ومع ذلك، فلم تمس يداه فلساً نحاسياً واحداً من تلك الثروات. وعندما عاش في اسطنبول كان ينزل في غرفتين صغيرتين في قصر دولما باشا الذي كان مرتع الملذات المتألق زمن السلاطنة العثمانيين. ولدى وفاته ترك ممتلكاته للدولة، باستثناء اشياء تافهة.

الثوري اليافع ـ ولد مصطفى كمال في مدينة سالونيك من أعمال مقدونية عام ١٨٨١ في عائلة مسلمة تنتمي الى الطبقة الوسطى. ومنذ مطلع حياته، ظهرت عليه بوادر الارادة القوية والثورة الملتهبة التي اتسم بها بقية حياته. وقد وصفه اللورد كينروس بصورة آسرة جذابة في مؤلفه الموثوق به "اتاتورك:انبعاث امة"، والذي يتناول سيرة اتاتورك والاحداث المثيرة والعناصر المؤثرة التي واكبت ايامه.

كان الصبي مصطفى في السابعة من عمره عندما ثار على الجلوس أرضاً، وهو أمر فرض على الاطفال عند الكتابة المضنية بالابجدية العربية، اذ كانوا يرغمون على ان يجلسوا القرفصاء ويكتبوا مسندين القرطاس على الركب. وسبق ان راقب مصطفى الاهالي الغربيين في مدينة سالونيك اليونانية ذات الجنسيات المتعددة، فوجد انهم لا يقرفصون ولا يكتبون على تلك الصورة. وتحداه معلمه غاضباً:"ماذا؟ اتجرؤ على عصياني؟"

فأجابه الصبي ببرود يجمد الدم في العروق:"نعم. أنا اجرؤ على عصيانك".

وقفز سائر طلاب الصف واقفين على أرجلهم ورفضوا متابعة الدرس فوق الارض.

في مثل هذا الوقت المبكر بدأت بوادر زعامته تظهر للعيان. وفي المدرسة الثانوية تفوق الشاب مصطفى على زملائه في الرياضيات حتى انه اصبح المعلم المساعد في هذا الموضوع لاستاذه الذي خلع عليه لقب كمال، اشارة الى كمال عقله. وفي وقت لاحق ساعد كمال، وهو ضابط في الجيش، زملاءه الجنود على اتمام دراستهم، وعمل في الوقت نفسه على تنظيم خلايا ثورية، وزج به في السجن بسبب نشاطاته تلك.

كانت التربة التركية جاهزة لاستقبال بذور الثورة لان الفساد قد تسرب الى كيان الامبراطورية العثمانية الى حد بدأت معه تتداعى تحت وطأة سلسلة من الانهزامات العسكرية في ظل السلطان الضعيف المستبد برأيه. واصبح الشباب الاتراك الذين طالبوا باصلاح الجيش هم اساس الحركة الثورية في البلاد.

زعيم غير عادي ـ في خضم النكبات المتلاحقة التي اجتاحت تركيا بين ١٩١٢ و١٩١٩، برز اتاتورك كقائد للبلاد، وهو بطلها الاوحد الذي لم يهزم في الحرب. ومرة وجدت فصيلة من الجنود الاتراك نفسها في مواجهة بضع مئات من الجنود البريطانيين المتقدمين عند مضيق الدردنيل، فأمر اتاتورك، وهو برتبة كولونيل، رجاله بفتح النار. غير ان قائد الفصيلة احتج قائلا: "ان ذلك هو الجنون بعينه يا سيدي. فهم يفوقوننا عدداً بنسبة ٢٠ الى ١، وفي امكانهم افناؤنا عن بكرة ابينا". فأجابه اتاتورك: "هذا صحيح. وأنا آمركم بمواجهة الموت. فاذا متنا، متنا كلنا معاً... افتحوا النار!"

فوجىء البريطانيون بهذا التحدي الذي لا رجاء فيه، وارغموا على وقف تقدمهم برهة قصيرة، لكنها كانت مهلة كافية لوصول المساندة التركية. وتكبدت الفصيلة التركية خسائر فادحة، لكن اتاتورك بقي حياً ولم يهزم. والهب مسلكه البطولي في تلك المعركة حماسة الاتراك الى حد التعصب الجنوني. ومنذ تلك اللحظة بدا اتاتورك في نظر الناس شخصاً محاطاً بهالة كبيرة من السر والسحر.

وجدير بالذكر ان مظهر اتاتورك كان كذلك طاغياً ومختلفاً عن سائر الاتراك حتى تخال انه ليس من جبلتهم. وقد تميز بشعره ذي اللون الفاتح، وشاربيه الاحمرين القصيرين اللذين يعلوان فماً ذا شفتين مزمومتين باحكام، وعظام وجنتيه المرتفعة، وعينيه الغائرتين المسيطرتين على بقية ملامحه. انهما عينان زرقاوان صارمتان، تفصلهما فرجة واسعة، ولهما بؤبؤان فاتحا اللون الى حد يكادان يبدوان معه بلا لون. وتميزت عيناه بالحدة والقدرة على النفاذ حتى بدتا كأنهما تسبران اعمق مكنونات الانسان. كما كان ذا وجه حساس ومرن وزئبقي، يذوب في ضحكة فيبدو كوجه صبي صغير، او يشتد ويتأزم في هيئة لها سطوة مخيفة على النفس. وكان متميزاً في شخصيته وفي جسمه المهيب الذي يسهل تمييزه بين جمهرة كبيرة من الناس. وهذه الميزة التي اتصف بها طفلا لازمته واصبحت مطبوعة فيه طوال حياته.

لا عجب، اذاً، ان استطاع مصطفى كمال تجميع القوات في قلب تركيا، أي انجاد الاناضول الوعرة، عام ١٩٢٠، في اثناء احتلال الحلفاء لاسطنبول الذي رافقه الهجوم اليوناني. وكان سلطان البلاد الضعيف آنذاك قابعاً في قصره من شدة خوفه. وشكل هو وعصمت اينونو ـ ساعده الايمن ـ حكومة وطنية في انقره وكذلك مجلساً نيابياً. وتمكن الرجلان من تأليف جيش دحر اليونانيين في اتجاه البحر. وفي العام ١٩٢٣ أعلنت

تركيا جمهورية بعد الغاء نظام السلطنة، وصار مصطفى كمال رئيساً للدولة وعاصمتها انقره. وفي تلك الساعة ولدت تركيا الحديثة.

اللوح الاسود — بدت المشكلات التي واجهها جنرال الجيش السابق في مستهل رئاسته للجمهورية قاسية وعنيدة لا يسهل قهرها، خصوصاً لأن المجتمع التركي كان يتألف من اقلية متعلمة من علية القوم في اسطنبول ومدن أخرى، وهي طبقة ساخرة ومتهكمة عموماً، ومن اغلبية ساحقة من الفلاحين الجهلة الذين يعيشون بموجب نظام قبلي بدائي. وليست هناك طبقة متوسطة او صناعية، وكانت المؤسسات المصرفية والتجارية كلها في أيد أجنبية. وكانت منطقة الاناضول في وسط تركيا الآسيوية وعلى الجانب الايمن من البوسفور، تعيش على نحو متخلف، ويتوزعها زعماء من قطاع الطرق، لكل منهم جيشه الخاص. ولم تكن وسائل النقل فيها سوى عربات تجرها الثيران في دروب غير معبدة. وما من واسطة للاتصال عبر المسافات الطويلة سوى سلك تلغرافي رفيع بين انقره واسطنبول.

بدأ كمال اتاتورك جملة من الاصلاحات التي ادخلت نور العلم الحديث الى بلاده، ووحدتها ورفعتها الى مستوى الامة الحديثة التي يكن لها العالم الغربي احتراماً كبيراً، خصوصاً لأنها الحارس الذي يقف على بوابة البحر الاسود في مواجهة الاتحاد السوفييتي.

في زيارتي لتركيا أخيراً، تحدثت الى بعض اصدقاء اتاتورك وأقرانه.

واتفق رأي الجميع على ان اتاتورك انجز مهماته بالمواظبة والدأب على الدرس، وبالمطالعة والتخطيط الاستراتيجي الدقيق، وبالاتصال مع الفلاحين وحسن توقيته للامور، وبنزاهته التي لم تنحرف مطلقاً. وقال عصمت اينونو في حديثه عن انجازات اتاتورك: "ان اصلاح اتاتورك للابجدية لا يقل اهمية عن كسب الحروب". والمعروف ان اينونو شغل منصب رئيس الوزراء في عهد اتاتورك ورئيس الجمهورية بعد وفاته.

لم ينطلق اتاتورك الى احلال الابجدية اللاتينية محل الابجدية العربية الا بعدما قبل الناس خطوته الرئيسية في الفصل بين الدين والدولة، ولم يقدم على تأليف لجنته الابجدية من اجل التمهيد لاستعمال الاحرف اللاتينية بدلا من العربية في الكتابة التركية الا عام ١٩٢٨. ويقول اللورد كينروس في كتابه ان اللوح الاسود اصبح رمز الجمهورية الجديدة، وهو السلاح الذي شهره اتاتورك في وجه الجهل. ودأب اتاتورك نفسه على الخروج بجيش من المعلمين والاساتذة الجامعيين واللغويين الى الريف حيث كان ينصب اللوح الاسود وسط الساحات العامة في المدن والقرى، ويقف في الناس خطيباً شارحاً بواعث خطوته واهدافها: "... ايها الاصدقاء تعلموا حروف الهجاء سريعاً، واذهبوا بعد ذلك وعلموها للجميع. ان واجبنا يحتم علينا فهم اللغة الخاصة بنا".

ان عصمت اينونو لا يزال أحد كبار رجالات السياسة في تركيا. ويقول عن خطوة تبديل الابجدية ان اتاتورك

قذف بالبلاد كلها دفعة واحدة بين فكي الامية المطبقة. غير انه استطاع، بفضل قوته وحماسته، ان يبقي الامة متماسكة، مرغماً رجال الدولة والوزراء والمحامين والتجار والمعلمين على تعلم الابجدية الجديدة بسرعة تخطف الانفاس. وفي غضون اقل من سنتين كان الانتقال الى الابجدية الجديدة قد تم نهائياً، وبوشر على الفور نقل التعليم الى القرى.

الطربوش والحجاب - يعتقد الصحافي والروائي يعقوب قدري قره عثمانغلو ان أجرأ عمل أقدم عليه صديقه كمال اتاتورك كان الغاء الطربوش المصنوع من المخمل الاحمر الذي كان الرجال يعتمرونه بشرابته السوداء. وكان الاتراك العثمانيون والمسلمون عموماً يتميزون عن سواهم بلبسه. ويقول قره عثمانغلو ان غطاء الرأس هذا قيد الناس الى طرق الحياة القديمة. وينقل هذا الصحافي عن اتاتورك قوله:"لو تمكنت من قلب الطربوش عن رؤوسهم، لربما استطعت ادخال الهواء النقي الى عقولهم".

غير ان المسألة كانت حساسة الى درجة ارغمت كمال على بدء الحملة قبل اشهر عدة من ظهوره امام اهالي بعض الاقاليم الرجعية فيتركيا. وقد ظهر أولا حاسر الرأس، ثم ظهر حاملا قبعة خفيفة من القش الملون بين يديه. واخيراً ظهر معتمراً تلك القبعة. وفي تلك المناسبة ألقى خطاباً في جمهور عارم وأسمعه كلاماً كان التفوه به يعد، حتى ذلك الحين، من قبيل النجاسة في تركيا. ومما قاله:"ان اللباس المدني المتطور يليق بأبناء قومنا. وسنضع الاحذية في أرجلنا ونرتدي السراويل العصرية والقمصان وأربطة العنق والمعاطف والصداري، كما سنضع غطاء للرأس له حافة واسمه قبعة".

وأسفر "قانون القبعات"، الذي حرم لبس الطربوش، عن كثير من اعمال الشغب التي وقعت في الجزء الشرقي من البلاد. وأمر كمال اتاتورك بقمعها فوراً لانه اعتبر التخلص من الطربوش جزءاً من حملته لتخليص بلاده من ربقة الاوهام والخرافات. على ان اتاتورك عرف متى يقف في اصراره على التنفيذ.

وهو حين اقدم على تحرير المرأة كان عازماً على نبذ حجابها. وقال للنساء:"اكشفن عن وجوهكن وادرسن العالم بأعينكن، ولا خوف عليكن من شيء". لكنه لم يسن القوانين لنزع الحجاب، بل اعتمد على اقبال النساء عادة على التقليد التدريجي للزي العصري. وحين أصر المجلس التشريعي على تبني الميثاق المدني السويسري، أنجز اتاتورك احب القضايا اليه، وهي قضية تحرير المرأة. وقد ألغى الميثاق الجديد تعدد الزوجات، كما حرم نظام الحريم وجعل حقوق المرأة في الارث والطلاق خاضعة للمحاكم المدنية. وفي نهاية المطاف، وبمساعدة الدكتورة اللامعة عفة عنان الاستاذة في جامعة انقره، وهي احدى البنات اللائي تبناهن اتاتورك، تم تثقيف المرأة سياسياً، واعطيت الانثى حق التصويت وحق ترشيح نفسها لمنصب نيابي.

وفضلا عن ذلك استشار اتاتورك

في جميع الاصلاحات التي ادخلها الى البلاد مجلسي النواب والوزراء أولا، ثم طرح عليهما تلك الاقتراحات للتصويت عليها في جلسات رسمية. وكان ايضاً على صلة وثيقة ببعض رجال الصحافة الذين احبوه كثيراً وشغفوا بالاستجابة له في لعبته المفضلة، وهي اللجوء - كلما اوشك على ادخال اصلاح جذري - الى التآمر مع بعض المحررين او كتاب الافتتاحيات الصحافية لمهاجمته في حملة شعواء باعتباره رجعياً لا يمضي الى مدى كاف في الاصلاحات المرجوة. وهذا جعل أتاتوك يبدو، وقت اتخاذ الاجراءات الاصلاحية، كأنه ينساق وراء عاصفة من المطالب الشعبية. واتبع اتاتورك الاسلوب نفسه حين استعان بالمساعدة الروسية، لكنه قاوم جهود ستالين الرامية الى ادخال النظام الشيوعي الى تركيا.

ووقع اختيار أتاتورك على جلال بايار، رئيس جمهورية تركيا السابق، لوضع اساس اقتصادي سليم. وكان بايار كاتباً في مؤسسة مالية أجنبية. فأسس نظاماً مصرفياً نزيهاً قائماً على قواعد تركية خالصة. ويذكر ان اتاتورك قال ذات مرة:"انا اعطيته النقود وهو اعطاني المصارف".

لقد عرف اتاتورك باحتقاره الشديد للغدر والنميمة. وقدّر في وزرائه، النزاهة فوق كل قيمة خلقية اخرى. وفي نقاشه مرة مع بايار حول ترشيح احد النواب من المعارضين الاشداء الصريحين لمنصب وزاري، قال اتاتورك:"اني اريده. لأنه اذا لم يكن حولي احد ليخبرني عن حقيقة ما يحدث في بلادي، فأنى لي ان أعرف؟"

وكان في استطاعة اتاتورك ان يزأر احياناً وان يتوعد عند الضرورة. وحدث ذات يوم ان زاره في مكتبه الملحق ببيته في انقره سفير الرئيس الايطالي موسوليني. واحتد النقاش بينهما، ولم يتورع السفير الايطالي عن التبجح الشديد تجاه اتاتورك وعن شيء من التهديد. فاستأذنه أتاتورك لحظة وصعد الى الطابق العلوي وأبدل ملابسه المدنية ببزته العسكرية. وعاد الى المكتب برتبة مشير وعلى صدره وسام وحيد: هو الذي انعمت به الدولة عليه تكريماً لانتصاره على اعداء تركيا. وجلس اتاتورك مرة اخرى على كرسيه وراء المكتب، وأكمل الحديث مع السفير الايطالي قائلا:"نعم... كنت تقول يا سعادة السفير..."

ابو الاتراك - ان اذكى ما فعله اتاتورك هو توجهه المباشر الى الشعب، وهو لم يدخر جهداً في هذا السبيل. فلم تكن هناك رحلة ابعد مما يطاق ولا قرية احقر من ان تعتبر. وقد توجه الى الناس ليعلمهم ويقنعهم بالحجة والمنطق ويصغي بدوره الى ما يقولونه. وهناك صورة فوتوغرافية يظهر فيها اتاتورك بملابسه غير الرسمية وهو جالس فوق كيس من الصوف ومحاط برعيان كأنهم قطاع طرق، ومن وراء كتفه جملان يطلان عليه باستعلاء.

أما الناس فقد تعلموا كيف يثقون به. واستطاع هو بتلك الثقة ان يهزم الرجعيين في المدن. وبما انه كان مطلعاً على ما يريده الناس وما

يقولونه، فقد أمده تأييد الشعب بسلاح لا يقاوم. وهو لم يكن متهكماً أو ساخراً في مواقفه السياسية. ويقول كيرجا جوسكن، احد نواب انقره وصديق اتاتورك طوال حياته:"لقد كان الديكتاتور الوحيد الذي لم يكن يسارياً ولا فاشياً، ولم يأبه كثيراً لشكل الحكومة المنتخبة هل هو ديموقراطي او جمهوري، بل اراد ان يقرر الناس بأصواتهم ما يريدون".

لقد آمن اتاتورك بالشعب واحب شعبه. وفي كثير من الليالي كان يجوب الشوارع خفية في اسطنبول وانقره، بعيداً عن انظار حراس الامن، ويتوقف في احد المقاهي المفتوحة ليلا ويسامر رواد المقهى حتى يسمع صفير سيارات الامن. وعندها ينهض عن كرسيه متنهداً:"أخشى انهم جاؤوا من اجلي مرة أخرى".

ونقل بايار عن اتاتورك:"اذا كان الحاكم المطلق هو الذي يريد ان يفرض ارادته على الملأ، فأنا لست حاكماً مطلقاً. أما اذا كان الحاكم المطلق هو الذي يقنع الناس ويفسر لهم ما يحدث معهم ويحاول ان يقود شعبه في مجرى تفكيره، فأنا حاكم من هذا النوع".

توفي اتاتورك صباح ١٠ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٣٨. ويمكن الزائر ان يشاهد قرب فراش موته في قصر دولما باشا بقية السيجارة الاخيرة التي دخنها وساعته التي توقفت عقاربها عند التاسعة وعشر دقائق.

لقد خلف الزعيم امة انتحبت كلها بعد موته، لأنه كان "أبا" لكل رجل وامرأة وطفل. وهذا هو معنى اتاتورك: أبو الاتراك.

لقد جعل اتاتورك من تركيا، في غضون ١٥ سنة، دولة عصرية عظيمة. وعسى ان تفيد الدول التي تحاول التخلص من بعض أشكال الحكم التقليدي وتأسيس نفسها على قواعد ديموقراطية حديثة، من المثل الذي اعطاه للعالم واحد من أعظم زعماء الازمنة الحديثة وأقلهم انانية.

■ بول غاليكو



الرتبة والشعر

فتح ضابط يقود وحدة للمشاة مكتبه ذات يوم ليجد ان احد المعترضين على صرامة تنفيذ تعليمات الجيش بقص الشعر قصيراً قد الصق على الباب صورة لاحد كبار القادة منتزعة من مجلة. وكان على الصورة سهم يشير الى اطراف شعر القائد الطويلة التي تتجاوز ياقة سترته العسكرية، وقد كتبت على الصورة عبارة:"انظر الى هذا الشعر".

وبدلا من ان ينزع الضابط الصورة عن الباب، اكتفى باخراج قلمه من جيبه، وزاد في طول السهم. ثم غير كلمة واحدة في العبارة المكتوبة وترك التعليق والصورة ليراهما افراد الوحدة جميعاً. وكان التعليق الجديد هو الآتي:"انظر الى هذه الرتبة!".

ج. م.

غرائبٌ واقعيّة من عالم التوائم

ان المطابقة المذهلة بين التوائم تتجاوز احيانا حدود ما هو طبيعي وتدنو مما هو خارق للطبيعة

لم تمس يدا لوي دو فرانشي مسدساً من قبل قط. ومع ذلك وقف في حلبة المبارزة في ضواحي باريس يواجه خصماً محنّكاً. ورفع الرجلان مسدسيهما في الهواء ودوّت طلقة نارية. وشدّ لوي يده فوق جذع جسمه بعد إصابته بجرح مميت.

في تلك اللحظة انتاب أخاه التوأم لوسيان، الذي كان راكباً جواده في ريف كورسيكا على بعد ٨٠٠ كيلومتر، احساس بألم شديد مفاجىء، وشعر كما لو اصابته رصاصة في جذعه فوق الضلع السادس واخترقته حتى خرجت من فوق مفصل وركه، وهو المكان عينه الذي أصيب فيه لوي.

هذا المشهد المثير مقتطف من رواية الكساندر دوما الشهيرة "الأخوان الكورسيكيان" التي صدرت عام ١٨٦٦. لكن المشهد لا يبدو ضرباً من الخيال في عالم الاخوة التوائم المتطابقين في جميع الصفات.

والذي قدّمه دوما في روايته ما هو الا نظرية في التوائم لا تزال اصداؤها تتردد بين حين وآخر في الكتب والصحف. وقد جاء في تقارير صدرت حديثا ما يأتي:

هناك توأمان ذكران متطابقان ولدا في ولاية اوهايو الامريكية قبل ٤٠ سنة وتبنتهما، بعد ولادتهما بوقت قصير، عائلتان مختلفتان. ولم يلتئم شملهما قبل يناير (كانون الثاني) ١٩٧٩ بعد فراق دام ٣٩ سنة.

واكتشف التوأمان انهما اعطيا الاسم نفسه (جيمس)، وتلقيا دروساً وتدريباً في الحقوق، وانهما يهويان الرسم الآلي والنجارة، وان كلاً منهما تزوج امرأة اسمها ليندا ورزق ابناً سمّاه جيمس آلان. وطلّق كل منهما زوجته وتزوج ثانية، واختار امرأة اسمها بيتي. وربيا كلاباً دأبا على تسميتها توي. واكتشفا، الى ذلك، انهما يفضلان قضاء اجازاتهما على شاطيء سانت بيترسبورغ في ولاية فلوريدا.

امرأتان توأمتان تفرق شملهما منذ ساعة الولادة، ولم تجتمعا الا بعد ٢٦ سنة. وعاشت احداهما في ولاية مين حيث عملت مزيّنة للشعر ورزقت ابنة سميت كريستين، بينما سكنت الاخرى ولاية قريبة في نيوانغلاند وعملت مزيّنة للشعر، ورزقت هي الاخرى ابنة سميت كريستين.

هناك ايضا التوأمتان البريطانيتان بريجيت ودوروثي اللتان فصلت احداهما عن الاخرى، وفوجئتا لدى اجتماعهما حديثا بأن لكل منهما ابناً اسمه ريتشارد اندرو.

وهناك روايات كثيرة أخرى عن التوائم المتطابقين. ويمضي عالم النفس توماس بوشارد من جامعة مينيسوتا، الذي قابل ووصف عدداً كبيراً من التوائم الذين تفرّقوا منذ الولادة، قائلا: "ان بعض القصص غريب الى حد يبعث على الخوف. والافعال المماثلة التي اتاها عدد من الاخوة التوائم بلغت درجة لا يمكن معها ادراجها في نطاق المصادفات".

لا أحد من الناس يعلم كيف تتكون الروابط الذهنية. غير ان البحوث الراهنة بدأت تطرح نظريات جديدة حول العلاقات بين التوائم.

"ساعة الحياة" — من بين كل تسعين ولادة، هناك واحدة يولد فيها توأمان. وربع التوائم المولودين يكونون عادة متطابقين في جميع الاوصاف. والتوأمان المتطابقان هما اللذان يولدان من بيضة واحدة ويكونان على الدوام من جنس واحد. اما التوأمان اللذان يولدان من بيضتين اثنتين فلا يرتبطان وراثياً على نحو وثيق كالتوأمين المتطابقين.

وقد اتضح من المقابلات التي اجريت مع المشتركين في مؤتمر واشنطن الدولي الثاني للدراسات الخاصة بالتوائم عام ١٩٧٧ ان وقت انفصال البيضة الملقّحة له أهمية قصوى في تقرير مدى تماثل التوأمين المتطابقين. واذا تم الانفصال خلال الايام العشرة الاولى، فلا يتوقع ان ينفرد كل توأم بمشيمة منفصلة (اي بغشاء الجنين الذي يخرج معه عند الولادة). ولكن اذا حصل الانقسام بعد الايام العشرة الاولى، فقد يحتوي الجنين على غشاء واحد، ويتكوّن عندئذ "تشابه معكوس بينهما، مثل الصورة في المرآة"، كأن يكون الواحد أعسر والآخر أيمن، وأن ينمو شعر الاول في اتجاه حركة عقارب الساعة بينما ينمو شعر الآخر في الاتجاه المعاكس.

ولكن اذا تمّ الانفصال بعد اليوم الثالث عشر، فعندئذ يحدث بينهما التصاق، وهو ما يعرف بالتوأم السيامي. وكلما تأخر زمن الانفصال

بينهما ازدادت العلاقة بين التوأمين قوة وتماسكا .

يبدو ان التوافق الزمني ظاهرة مألوفة في حياة التوائم المتطابقين . ومنذ اللحظة التي تستقر البيضة الملقحة على جدار الرحم، تبدأ "الساعة" ضبط توقيت التوأمين . وفكرة "ساعة الحياة" طرحها الاستاذ لويجي غيدّا من معهد غريغور مندل في روما بعدما درس، منذ العام ١٩٥٣، أكثر من ١٥ ألف توأم . ويذكر غيدّا في مجلة "كرونوجينيتكس" (الزمن والوراثة) مثلا مدهشاً على التواقت الزمني في حياة توأمين في سلاح الجو الملكي البريطاني، يبلغ عمر الواحد منهما ٦٦ سنة:

"مساء ٢٢ مايو (ايار) ١٩٧٥، أصيب كلّ من جون وآرثر موفورث بآلام في الصدر استوجبت نقلهما الى المستشفى . ونقل الاول الى مستشفى في مدينة بريستول، بينما نقل الثاني الى مستشفى في مدينة وندسور، من غير ان يدري اي منهما او من ذويهما بما جرى للتوأم الآخر . وبعيد دخولهما المستشفيين توفيا بسبب واحد هو النوبة القلبية . وعلّقت اختهما على ذلك بقولها: "منذ طفولتهما وهما يفعلان كل شيء معاً . وما كان يحدث لاحدهما يحدث عادة للآخر" .

المشاركة في الألم – يُعَد الدكتور لويس كيث من كلية الطب في جامعة نورث وسترن في مدينة ايفانستون (ولاية ايلينوي الامريكية) واحداً من كبار الخبراء في التوائم . وهو نفسه أحد توأمين، ثانيهما الضابط دونالد كيث الذي تقاعد من الجيش الامريكي وبدأ يعمل مديراً تنفيذياً لمركز بحوث الحمل المتعدد . ويشعر الاخوان بامكان التخاطر بين التوائم، ويذكر لويس انه يستجيب احياناً لدافع لا يقاوم يحثّه على الاتصال بأخيه هاتفياً . ويقول: "في هذه الظروف أكتشف دائماً ان مشيئة أخي هي التي دفعتني الى مخابرته" .

ويقترح الدكتور كيث في تفسيره للروابط بين التوائم وجود مراتب في الاتصالات الذهنية، أقلّها شأناً هو الاحساس بمثل ذلك الدافع المفاجيء الذي يستمدّه هو من اخيه . ويأتي تقاسم الخواطر والافكار في مرتبة ارفع . وما يحدث هنا شبيه ببث صورة ذهنية كاملة عن بعد . لكن ارفع المراتب شأنا وخطورة هو ما يتمثل في الظاهرة النادرة المثيرة التي يتشارك فيها التوأمان في الشعور بالألم . ويضرب الدكتور كيث المثل الآتي على ذلك:

"استشارني احد المحامين وعرض عليّ هذه الحالة: هناك امرأة كانت تعيش في لوس انجيليس حين توفيت توأمتها على متن احدى الطائرتين اللتين اصطدمتا فوق الارض في جزر الكناري . وقالت لي انها احست ساعة الاصطدام بحرارة دبّت في جسمها، واكتنفها ألم شديد وشعرت بفراغ حالك . ومنذ ذلك الوقت لم تعد الى حالها الذهنية الطبيعية . وأراد المحامي برواية القصة ان يستشيرني كطبيب وخبير في شؤون التوائم ليعرف ما اذا كنت سمعت بتجارب مماثلة . فقلت له: بكل تأكيد . ليس لدي ما يجعلني اشكك في صحة اقوالها" .

وفي كتابه "نظرة الى التوائم"،

يؤكد تد وولنر على هذا النوع من المشاركة في الألم. ويفضي بما روته له فتاة عن الوقت الذي بدأت الزائدة الدودية تسبب ألماً لشقيقتها التوأم:

"حين جاؤوا ليخبروني عن التهاب الزائدة الدودية لدى اختي، وجدوني مرتمية على الارض من شدّة الألم. وبعدما نقلت أختي الى غرفة العمليات، عرفت اللحظة التي شرعوا فيها يشقون بطنها، ثم حين بدأوا يخيطون الجرح. وكنت في هذه الاثناء في غرفة الانتظار مع أمي التي قالت بعد فترة: "لا بد من ان تكون العملية انتهت الان". فأجبتها: "كلا. ان الطبيب لم يباشر العملية الا لتوّه". وأكد الطبيب فعلا في ما بعد على تأجيل موعد العملية بعض الوقت.

نقل الرسائل – كثيرا ما يحصل التوائم على علامات متطابقة في المدرسة. ويعطي كتاب "نظرة الى التوائم" المذكور مثالا نموذجياً على ذلك، وهو ما ذكرته احدى الصحف عن الامتيازات المدرسية التي منحت لتوأمين اسمهما بيتر وبول، وقد انتُخب الاثنان عضوين في جمعية الشرف الامريكية المعروفة باسم "في. بيتا. كابا"، وعضويتها مقصورة على الذين يتفوقون دراسياً بامتيازات عالية جداً. وقد نال كلاهما درجة شرف في اللغة الانكليزية، وفازا بمنح جامعية للدراسة في كلية واحدة ودائرة اختصاص واحدة.

وكما تتواءم اذهان الطلبة التوائم، فان ابدان الرياضيين التوائم متماثلة ايضا. ونجد مثلا قوياً على ذلك في الاخوين فان أرسديل، اللاعبين المحترفين سابقاً في الجمعية الامريكية القومية لكرة السلة. وهما لعبا طوال ١١ عاماً من سني احترافهما الاثنتي عشرة مع فرق مختلفة ذات اساليب متباينة، ان في اللعب او التدريب او التفكير او التنفيذ. وعلى رغم ذلك، فقد تقاربت سجلاتهما الرياضية الى حد مذهل. ففي خلال ١٢ عاماً سجل ديك ٥٤١٣ اصابة، بينما سجل شقيقه توم ٥٥٠٥ اصابات. ولعب ديك ٩٢١ مرة ولعب توم ٩٢٩. وبلغ معدل النقاط التي سجّلها ديك في كل لعبة ١٦،٤ وتوم ١٥،٣.

ولك ان تفكر ايضا في طبيعة التعاون الفنّي بين التوأمين المتطابقين تيم وغريغ هلبراند اللذين رسما اللوحات الفنية لفيلم "حرب النجوم". وقد جاء على لسانهما في كتاب "نظرة الى التوائم" انهما تعاونا على نحو فريد: "اننا نباشر الرسم معاً وجنباً الى جنب. وربما ذهبت انا للنوم وبقي تيم يرسم، او ذهب هو للنوم وواصلت أنا الرسم. لكنّ أياً منا لا يستيقظ من نومه ليجد رسماً لا يروقه. بل – كما لو كان الامر سحراً – أجد ما يرسمه تيم كأنما هو من رسمي أنا".

وهناك تجانس مماثل بين روث غروفر من ستونتن (ولاية فرجينيا) وشقيقتها التوأم نانسي اللتين درستا في حداثتهما في احدى مدارس نيويورك الثانوية. وتقول روث ما يأتي: "مرة في أثناء الامتحانات، اخذت المعلمة ساره رودي تتنقل من طاولتي الى طاولة اختي في الزاوية الاخرى من قاعة الامتحان طوال

الوقت، لتقرأ من وراء ظهورنا ما نكتب. وحين فرغنا من الامتحان طلبت الينا ان نتريث قليلا، ثم كتبت في اسفل اوراق الامتحان: نانسي وروث شنايدر جلستا في ركنين متباعدين، لكنهما، مع ذلك، اختارتا الموضوع نفسه وكتبتا القصة عينها كلمة كلمة. وأظن اننا سنعزو ذلك في سجلاتنا الى كونهما توأمتين".

نمط غير مألوف – ولكن لماذا لا يستمر مثل هذا الاتصال الذهني بين التوائم؟

يقول الدوس هكسلي في كتابه "ابواب الادراك" ان الدماغ مثل "صمّام الاختزال"، من وظائفه الرئيسية حجب معظم الرسائل الواردة والاقتصار على ادخال أهمّها. ويبدو ان لبعض التوائم نوعاً من الافضلية في استقبال رسائل من نمط غير مألوف مطلقاً الا لدى قلة ضئيلة من الناس. وقد اختبرت التوأمتان ماري بروكس وسلينا سترونغ قبل عشر سنين اتصالا من هذا النمط غير المألوف. وتقول سلينا:

"كانت ماري ذاهبة الى الطبيب بسبب مضاعفات رئوية. وفي وقت مبكر من بعد الظهر انتابتني قشعريرة. ونظرت امامي فشاهدت، كما في رؤيا، اختي ماري، وسمعتها تقول لي: "ليني. اني ذاهبة الان". وصعقت لسماعها، وصرخت: "كلا، كلا، لا تذهبي. اني آتية!" وعلمت في ما بعد ان ماري في حال جيدة، لكن قلبها توقف وقتياً عن النبض في الثانية والنصف بعد الظهر، أي اللحظة عينها التي ايقنت فيها انها ذهبت".

وفي عالم غير التوائم نجد ان حكايات التوائم تأسر الألباب. ويقول الدكتور كيث: "اني مندهش باستمرار لكثرة ما يخبرني الناس ان رغبتهم الخفيّة العميقة في الحياة هي ان يكون لهم شقيق (او شقيقة) توأم". وربما كان هذا الحنين عائداً الى ظاهرة تسمى "التوأم المتلاشي" حسب وصف الدكتور لوسيان شنايدر من جامعة باريس، الذي يقول ان نسبة من حالات حمل التوائم، حسب الفحوص فوق الصوتية الدقيقة، لا تسفر الا عن ولادة طفل واحد، بينما يمتص الجسم التوأم الآخر الذي يختفي كلياً. وهكذا، فان عدداً كبيراً من الرجال والنساء يمثلون في الواقع التوأم الذي كتب له ان يبصر النور.

على ان كون الانسان توأماً هو، كما يبدو، ظاهرة عامة في حياة كل انسان. وتدلّ الدراسات الاخيرة في ميدان الدماغ على ان الوظيفة الخاصة التي يضطلع بها كل من جانبي الدماغ متميزة الى حد يؤيد الرأي القائل بأن في رأس الانسان شخصيتين!

ويقول رينيه زازو، عالم النفس الفرنسي: "من وجهة نفسية وبدرجات متفاوتة، نحن جميعاً توائم!".

■ ادوارد زيفلر

قالت المرأة لزوجها وهو يحمل حزمة من قمصانه الوسخة: "انها من طراز "اغسل والبس"، وهذا يعني ان من يلبسها عليه ان يغسلها بنفسه".

د.ت.

أريد أن أحيا

كاتبة تصف نفسها بأنها "فتاة من الطراز القديم" تواجه القرن العشرين

ثمة من الناس من يولد في قرن لا يناسبه. وانا، لا شك، واحدة من هؤلاء.

أما دلائل وجودي في الزمن الخاطىء فهي قائمة حولي في كل اتجاه:رفوف مكتبتي مليئة بروايات القرن التاسع عشر، وبيتي يخلو من آلات تجهيز الطعام الحديثة، وأنا أعاقب أطفالي عقاباً بدنيا وأؤمن بأن المواد الكلاسيكية يجب أن تدرس في جميع المدارس، لا أن تلغى من برامج الدراسة. كما أؤمن بالواجب والعمل والاخلاص والمعاناة، وأعتقد أن الافراط في الترفيه والتسلية أمر سيىء.

وأنا لا أتحدث لغة القرن العشرين. فلست أريد أن أشارك أحداً آخر همومه، أو أن ايسِّر أو أنفذ أو أجمع المعلومات، أو أن تصبح جهودي جزءاً من الجهد الجماعي أو أن أنشىء علاقة ذات مغزى. لكني أفضل أن أفعل هذه الامور عينها تحت أسماء الحب والمساعدة والعمل والفهم والزواج، أي اني أريد كلمات حقيقية تقطعها فترات صمت حقيقية.

إن أحداً لم يعد يرضى بأن يكون مجرد إنسان عادي طبيعي. ومعنى صفة "العادي الطبيعي" أنك لا تحتاج إلى أن تضفي على نفسك لقبا وهمياً خلابا، وإنما يمكنك أن تسمي نفسك نادلا أو ساعياً أو جامع قمامة أو واعظاً، أو ان تكون أعلى موظف أو أدنى أجير في الهرم الاداري، من غير أن تسيطر عليك هستيريا التمسك بالمبالغات الوهمية. اني أنشد رؤية اناس مستغرقين في إنجاز أعمال لها قيمتها وأهميتها إلى حد يشغلهم عن

قضاء الوقت في تأمل أنفسهم والاعجاب بذواتهم وهدهدتها ٠

أريد الاشياء الحقيقية، وأتوق إلى رؤية الرؤوس التي يتوجها شعر لم تقصه يد الحلاق على غير طبيعته، والوجوه المجعدة والايدي الخشنة والاظافر المتسخة والعيون التي تبرق فيها الحياة والنشاط٠ أريد أمهات تفوح منهن رائحة الطهو وآباء تفوح منهم رائحة الجد والرصانة والحنو٠ أريد قهوة لها رائحة القهوة، وزهوراً حديثة القطف، وحشائش طبيعية، ومدارس تؤدي مهمة المدارس، وكنائس ومعابد تنهض بوظائف الكنائس والمعابد٠

أما نزعات القرن العشرين الاستعراضية كلها فانها ليست مسلية ولا ظريفة على الاطلاق٠

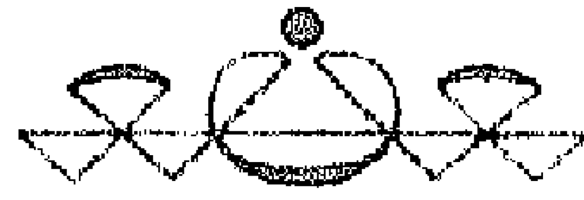
لقد سئمت أهل الفكر المتحذلقين، والبيروقراطيين المتلعثمين المتنوقين، والتكنوقراطيين من عشاق الارقام، والنظريات المبسطة، والاحصاءات، والعيادات الجنسية، والكتب التي توضح لك كيف تفعل هذا أو ذاك، ومصطلحات البيع المفرط والقيمة المتدنية وما الى ذلك٠

أريد أن أفكر في الله، وأن أضحك من أعماق قلبي٠ أريد الحقيقة٠ أريد الحياة، ولا أريد مجرد أسلوب أو طراز للحياة٠

إن المكان الذي أريد أن اكون فيه هو بيتي٠ وعندما يشبع الناس المتعلقون بما يسمى القرن العشرين من هذرهم الغزير، فقد يتقدم أحد آنئذ ليشعل المصباح ويمهد وسائدهم ويكشف لهم اغطية الفراش ويهيىء لهم مكاناً يريحون فيه رؤوسهم المتعبة٠

هذا ما آمل فيه، على اي حال٠

■ **سوزان بريت جوردان**



السكن الحديث

هل لاحظت ان بعض الحجرات في الشقق السكنية الجديدة صغير الى درجة ان وضع المفتاح في الباب يعوق التهوئة؟

ل٠١٠

ايها الزوج ٠٠٠ اطع زوجتك

ان اليوم العادي مع ابنائنا الاربعة قد يسبب ارتباكاً لا يمكن تصوره٠ فاعمارهم هي عشر سنين، وسنتان، وتوأمان في السابعة٠

وذات يوم عدت من عملي الى البيت، مشوقاً الى صحبة اسرتي ومتطلعاً الى عشاء لذيذ٠ فوجدت في استقبالي سرية من الكوماندوس، وقبيلة من الهنود الحمر، ودورية من رجال الفضاء يتواثبون جميعاً بفوضى عارمة٠

وعندما حيتني زوجتي بحرارة قائلة: "انني سعيدة بعودتك"، احسست بالقوة والفخر لاني رب هذه الاسرة، لولا انها اضافت: "٠٠٠ فانت الوحيد الذي تطيعني"٠

ج٠١٠



خيرة العلماء الشباب
من مختلف بلدان اوروبا
تجمعهم سنوياً مسابقة
رائدة تنظمها شركة فيليبس للتباري في حقول علمية مختلفة،
من الرياضيات الى علم الحيوان

العلماء الشباب

في طريقه الى المدرسة، اعتاد الفتى خوسيه ماريا غوميز - دوران من مدينة اشبيلية الاسبانية ان يتوقف لمراقبة السحالي على حائط وراء منزله. ودون ما رآه طوال ست سنوات حتى اصبح لديه سجل مستفيض عن السحالي يخبر اكثر مما يعرفه علماء الحيوان الكبار انفسهم.

وفي بلدة راينفلدن السويسرية، اكتشف الاخوان كليمنس ومارتن تروسل عن طريق المصادفة، وهما يدرسان الممرات الجوفية قرب منزلهما، انه اذا سلط شعاع على جدار كهف وصور الجدار، فهو سيبدو خطاً مستقيماً مضيئاً. وأفضت بهما تلك النتيجة الى ابتكار آلة لقياس

المقاطع العرضية للكهوف قد تغدو أهم آلة من نوعها يعول عليها علماء الكهوف والمغاور في ما بعد٠

والامر ليس وقفاً على اسبانيا وسويسرا٠ ففي اوروبا كلها هناك فتية مثل غوميز ـ دوران والاخوين تروسل، دفعهم فضولهم العلمي الى دراسة الحياة النباتية والحيوانية، او الى تفكيك الآلات الالكترونية، او الى مراقبة الاجرام ليلا بواسطة تلسكوبات تولوا تركيبها بأنفسهم، او الى نقب الارض بحثاً عن كنوز أثرية او جيولوجية٠

ان هؤلاء الشبان الدؤوبين في البحث واثارة الاسئلة قد يبقى جهدهم مجهولا لو لم يكن هناك نوع من المهرجان العقلي٠ وهو عبارة عن مسابقة اوروبية نظمتها مؤسسة فيليبس للعلماء والمستكشفين الشبان٠ وهي فرصة سنوية تجمع أفضل الادمغة العلمية في اوروبا٠

والدراسات التي قدمت حتى الآن تنتمي الى جميع حقول العلم، من النظريات الرياضية المتطورة الى القناة الهضمية لدى الحلزون، كما تضم ابتكارات منها آلة مبسطة لتنظيف الدم لدى مرضى الكلى، وتصميم لدار اوبرا لم يسبق لها مثيل٠ وهناك مشترك في مباراة ١٩٧٨ تتبع المعابر المائية الصغيرة سيراً على القدمين في بلدة سونيمو الاسوجية بحثاً عن آثار قضم على الاشجار٠ وكانت نتيجة عمله دراسة على حيوانات القندس المائية المحلية ونطاق اثرها السلبي٠ وفي مباراة اخرى وقفت اللجنة التحكيمية مشدوهة امام تلسكوب شمسي صنعه ابن مصور فوتوغرافي من مدينة ميلانو الايطالية في منزله وزينه على نحو رائع٠ وهو الآن يستعمل في مختبر متطور في احدى مدارس ميلانو الثانوية٠

هذه المسابقة التي احدثتها شركة فيليبس الكهربائية في هولندا منذ اثنتي عشرة عاماً يشترك فيها سنوياً اكثر من ألفي عالم ناشىء ينتمون الى اكثر من عشرة بلدان اوروبية، ويتم اختيارهم عن طريق مباراة محلية٠ ومن هؤلاء الالفين يجري اختيار نحو ثلاثين متبارياً مبرزين للاشتراك في دورة الربيع العالمية النهائية التي تقام كل سنة في مدينة اوروبية٠ ففي الاعوام ١٩٦٩ و١٩٧٢ و١٩٧٥ و١٩٧٨، اقيمت المباراة النهائية في آيندهوفن (هولندا)، وفي العام ١٩٧٣ في لندن، وفي العام ١٩٧٤ في آخن (المانيا الغربية)، وفي العام ١٩٧٦ في مدريد، وفي العام ١٩٧٧ في باريس، وفي العام ١٩٧٩ في أوسلو عاصمة النروج٠ وهي تقام هذه السنة في امستردام (هولندا) بين ١٩ و٢٧ (أيار)٠ ويفترض ان يكون المتبارون بين الثانية عشرة والحادية والعشرين، وان تكون دراساتهم في اي حقل علمي يختارونه، بشرط ان تكون من ابداعهم الشخصي٠ ويحصل الفائزون الخمسة الاول على جوائز مالية قيمة الواحدة منها ٧٠٠٠ غيلدر (١٢٥٠ دولاراً) تمنحها لجنة تحكيم عالمية قوامها اثنا عشر عالما بارزا٠

طابع ريفي ـ وعلى رغم الجدية التي تطغى على المباراة في ايامها الثلاثة، فهي تتصف بطابع ريفي

أنيس ينتقل كالعدوى من شخص الى آخر. وقد اقيمت مباراة السنة الماضية في المتحف البحري في اوسلو، المبني حديثاً بالحجر والزجاج. وفيما كنت أسير عبر بهوه الرئيسي الفسيح، رأيت العمال في بذلاتهم الزرقاء منهمكين في تشييد آخر الاكشاك الخشبية البالغ عددها ٤٨ والتي سيعرض فيها المشتركون الشبان رسومهم ونماذج مصغرة عن اختراعاتهم بالاضافة الى عدد من الدراسات. ورأيت المتبارين يضعون اللمسات الاخيرة على معروضاتهم التي وضعوها في الاكشاك الجاهزة.

وفي صالة لافتة عرضت مجموعة من الطحالب المختلفة، فوضعت طحلبة ضخمة برتقالية اللون واحيطت بطحالب نهرية من ذوات الخلية الواحدة التي لم يدرسها العلماء الا قليلا. وكان هذا المشروع من انجاز كاري فاغرنايس، وهي شابة مرحة في العشرين من عمرها. وقد اخبرتني كاري انها، بعد ألف ساعة من العمل الدقيق، تمكنت من احصاء نحو عشرة آلاف طحلبة في مستنقع لانغراستا جنوب شرق النروج. وكان ٥٧ نوعاً من هذه الطحالب غير معروف في النروج، بينما كان نوع واحد منها غير معروف في العالم. كما وجدت ان بعض الطحالب النهرية ذات الخلية الواحدة ينمو بين بعض انواع الطحالب الكبيرة.

وقالت لي كاري: "كنت أتوق الى معرفة السبب الذي يجعل نبتة مائية صغيرة تختار البيئة نفسها التي تنمو فيها الطحالب، كما أردت أكتشاف الروابط بين النبتة الصغيرة والطحلب". وهذا خير تعبير عن العقل العلمي الذي يثير الاسئلة ويعمل بنشاط. والدراسة البيئية المقارنة التي أنجزتها كاري كانت فريدة من ناحية اجزائها وكمالها.

وفي الجانب الآخر من الجناح الذي قابلت فيه كاري، كان هناك ثلاثة فتية وبنتان من اسكوتلندا غائصين حتى الركب في بحر من الحبال والاسلاك التي استعملوها لمعرضهم الخاص بآلات لقياس النبض والحرارة واللون والمقاومة في جلد الانسان، بغية التوصل الى دراسة العوامل البيولوجية والفيزيائية لظاهرة احمرار الوجه عند الخجل. وعلى مقربة منهم وقف فتى ايرلندي في السابعة عشرة من عمره، خجول، وسيم، اسمه جيرفيس غود، يعرض دراسته حول "ذات المقص"، وهي حشرة صغيرة مؤذية في مؤخرها ما يشبه المقص. وقد بدأ جيرفيس ملاحظة هذه الحشرة وهو في الخامسة عشرة من عمره، بعدما تولى رعاية ثلاثين هكتاراً من الارض في مزرعة ابيه وبعد مئات الساعات من مراقبة شاقة ودقيقة، تبين له ان هذه الدويبة، كسواها من الحشرات، معرضة كثيراً لهجمات الاعداء الكامنة في الطبيعة، ومنها الفطر. وفي النتيجة، توصل جيرفيس الى ان يبرهن على امكان ابتكار اساليب فعالة قائمة على اسس بيئية صحيحة لمكافحة الحشرات التي تحمل الاوبئة. وتعد معرفة جيرفيس لحشرة "ذات المقص" مساوية لمعرفة افضل الخبراء في هذا الحقل.

المعرفة غاية ذاتها — وكان هناك ايضاً فرنسوا غييوشو، وهو فرنسي

في التاسعة عشرة من عمره قدم تحليلا رائعاً للمواد المترسبة في خليج روسكانفيل قرب مرفأ بريست من اجل تقرير حال الجغرافيا والبحر والمناخ والحيوان كما كانت قبل ٣٦٥ مليون سنة. وقال فرنسوا: "والدي مهندس. وهو دائماً يسألني عن النفع الذي يمكن ان يجنيه العلم الحديث من معرفة الاحداث الضاربة في القدم.وكل ما كان في وسعي قوله هو ان اي اضافة الى معلوماتنا المتراكمة حول العالم الذي نعيش فيه هو نفع في ذاته". وجواب فرنسوا هذا يعبر عن موقف جميع المتبارين.

وفي حجرة قريبة كان هناك معرض للاسفنج نظمه ثلاثة فتية انكليز هم وليم هتشينغر (١٣ سنة) ومايكل بينيت (١٤ سنة) ومارتن ساير (١٦ سنة). وقد بدأ اهتمامهم بالاسفنج بعد جولة غوص الى قاع البحر بحثاً عن الاسفنج وحطام السفن. وجرهم حب الاطلاع على حقائق مفصلة عن هذه "النباتات" الغريبة، التي هي في الواقع حيوانات تفتقر الى جهاز عصبي، الى مراجعة الكتابات المطبوعة حول الموضوع. ولكن سرعان ما وجدوا ان المادة المنشورة عن الاسفنج ليست ذات فائدة ترتجى. وقد اعرب لي مارتن ساير عن شكه في ان يكون اي من خبراء الاسفنج حول العالم قد وضع رأسه تحت الماء ليراقب الاسفنج في مراحل حياته ونموه. وقال:"ان ما يفعله اولئك الخبراء هو دراسة عينات من الاسفنج الميت الذي رفع بالشباك، في حين نغوص نحن الى قاع البحر لانجاز دراستنا". وقد حقق هؤلاء الفتية الثلاثة مقداراً من الخبرة في هذا الحقل حتى باتت الجامعات ترسل اليهم الاسفنج لتعيين انواعه.

وقد جعلني حديثي مع العلماء الناشئين اكتشف ان العنصر المشترك بينهم ليس حب الاستطلاع فحسب، بل البراعة والابداع ايضاً. ولنأخذ خوسيه ماريا غوميز - دوران مثلا. انه فتى خجول وابن تاجر بحري، سجل عادات السحالي في منتهى الحرص. وكان من الفقر بحيث لم يستطع شراء آلة تصوير لدعم دراسته بالشواهد الحسية، فاضطر الى تسجيل عشرين صفحة من الرسوم الجميلة بيده. واضافة الى الحرص والدقة، يتمتع هذا الفتى بمقدار كبير من الصبر، وهو ميزة قيمة لا غنى عنها لكل عالم ناشىء. وقد قال لي أحد مسؤولي شركة فيليبس:"اذكر اني شاهدت خوسيه خلال ساعة فراغ في الصباح الباكر جالساً على قطعة ارض معشبة، ملقياً ذقنه على يده وهو يراقب بامعان مستعمرة نمل. وبعد ثلاث ساعات كان لا يزال هناك وفي الوضع نفسه".

جائزة نوبل - التقيت مدير المسابقة س.ج. نيجسن بين حجرات العرض، فقال لي:"اننا لم نخرج بعد أحداً حصل على جائزة نوبل. ولكن يجب الا يغيب عن بالنا ان اكبر خريجينا يبلغ الثلاثين. وكل ما نحتاج اليه لبلوغ هذا الهدف هو الوقت". والواقع ان الذين اشتركوا في هذه المباراة حتى الآن حققوا نتائج ممتازة هي مدعاة اعتزاز أوليائهم. وقد انصرف معظمهم الى متابعة الدراسات العلمية العليا والمهن المتخصصة. واستغل

آخرون المشاريع التي تباروا بها، وسوقوها على نطاق تجاري. ومن هؤلاء الشاب الاسوجي ماتس ريمبورغ الذي اعتمد دراسة حول الادمغة الالكترونية قدمها في مباراة ١٩٧٦ وهو تلميذ في المدرسة الثانوية، فأنتج اجهزة معلومات مصغرة وباعها للشركات الصغيرة.

أما الشاب الايرلندي دونالد ماكدونل الذي فاز، وهو في السابعة عشرة، بمباراة ١٩٧٨، فقد تمكن عبر دراسته من اسداء خدمة اجتماعية مباشرة لبلدته ليميريك. وكان دونالد أمضى اكثر من ثلاث سنوات دارساً التلوث على امتداد قسم من نهر شانون. وقد اعتاد قطع مسافة عشرة كيلومترات يومياً على دراجته الهوائية لجمع عينات مائية، كما اعتاد النهوض في الثانية فجراً لمعاينة حركة المد والجزر وتسجيلها. وهذا جعله يصل الى تقرير النتائج المذهلة الآتية: (١) هناك كمية من الرصاص في بعض اجزاء النهر تسبب للشخص الذي يشرب ماءها مرضاً خطراً. (٢) ان القريدس والحلزون النهري تحتوي على كميات من المعادن السامة المركزة تركيزاً قوياً. (٣) هناك محطة للطاقة غيرت أحد مجاري النهر على نحو رديء بات يهدد مستقبل النهر بأكمله.

ولاحظت لجنة التحكيم لدى فيليبس ان دونالد انجز بمفرده ما قد يعجز فريق اختصاصيين كامل عن انجازه. وكان ان احتاجت ادارة ميناء ليميريك الى مستشار دائم في شؤون تلوث المياه، واتخذت قراراً حكيماً حين اعتبرت الفتى دونالد ماكدونل افضل خبير في هذا الحقل.

ولئن لم يحالف الحظ جميع المتبارين الى هذا الحد، الا انهم جميعاً يشعرون بأن مسابقة فيليبس كانت ذات اثر ملحوظ في حياتهم. فهناك ميشال جرباك، احد المشتركين الفرنسيين، الذي كان مزمعاً على دخول مدرسة تجارية، لكنه، على اثر المباراة، قرر متابعة دراسته الجامعية العالية للحصول على درجة الدكتوراه في علم المتحجرات. وانضم اليه في قراره صديقه برنار لاموي. وكان الاثنان قد فازا بجائزة مباراة ١٩٧٢ على دراستهما حول حلزون يعود الى ما قبل التاريخ. وهذا الاعتراف العالمي الذي حصل عليه ميشال لم يقتصر اثره على جعل والديه اللذين يملكان حانوتاً يحبذان اهتماماته العلمية، بل "اتاح ايضاً تحويل الاهتمام الى التزام حياتي".

وهناك متبار آخر اسمه جير ميليتو، وهو ابن رجل يملك محطة محروقات في قرية يونانية صغيرة. هذا الفتى صار طالباً في اكاديمية علمية رفيعة المستوى في اثينا بعد فوزه بجائزة فيليبس على دراسته في الرياضيات. ثم نال منحة من جامعة ولاية نيويورك. وبعد تخرجه حصل على وظيفة في شركة امريكية متعددة الجنسيات. وجاء في رسالة امتنان كتبها والد جير الى شركة فيليبس:"لقد اتاحت المباراة امام ولدي فرصة لاظهار مواهبه للعالم". وهذه واحدة من رسائل كثيرة من نوعها يستلمها منظمو المباراة. وقد كتب شاب من الدانمرك اسمه بيتر تييل، وهو احد الفائزين في مباراة

١٩٧٥ على دراسة في الفيزياء الفضائية، ان زملاءه في الصف كانوا "شغوفين حتى الجنون بموسيقى البوب الشعبية وكرة القدم". وأضاف: "كانت لدي حاجة الى الاشتراك في المباراة للتأكد من اني لن ابقى على الدوام ذلك الطائر المغرد خارج سربه".

اما المتبارون الذين احتلوا المرتبة الاولى في مسابقة اوسلو فكانوا النروجية كاري فاغرنايس لدراستها على الطحالب النهرية الصغيرة، والغواصين البريطانيين الثلاثة لدراستهم عن الاسفنج. وبينما كان الاربعة واقفين على المنبر والجمهور يصفق لهم، كانت وجوههم تتألق كبرياء وفرحاً بانجازاتهم.

اما أنا فتذكرت ما قاله العالم الفرنسي البارز لوي لوبرانس – رينغيه في كلمة وجهها الى المشتركين في احدى مباريات فيليبس الماضية: "اننا نحتاج اليكم من أجل مستقبلنا".

■ ا٠ اولبس



فائدة!

في حديث على الغداء قال رجل لزميله: "لقد حان الوقت كي نثق بحكومتنا".
فرد الآخر بلهجة المتشائم: "لست واثقاً من ذلك تماماً. فقد بلغتني تواً حوالة بالمبلغ الزائد الذي دفعته للضرائب، وعليه العبارة الآتية: "لا يمكن صرفه قبل يوم الاربعاء".

ا٠ غ٠

تحريك

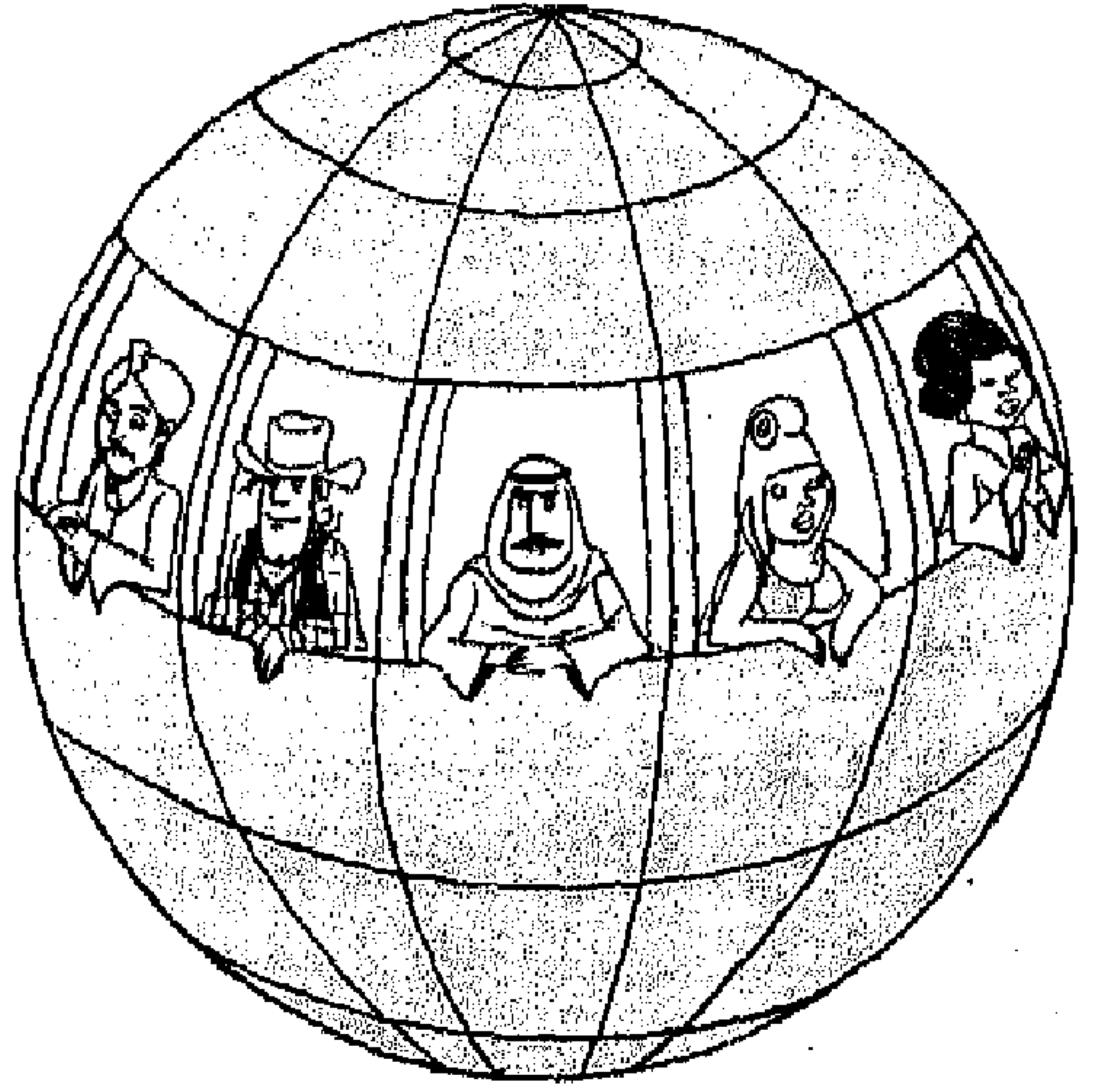
– هل تؤمن بالقدرة على تحريك الاشياء عن بعد؟
□ طبعاً. لقد حققت ذلك مراراً لا حصر لها. كل ما علي فعله هو ان ارى حافلة ركاب وافكر في اللحاق بها، فاذا بها تتحرك بعيداً عن الرصيف في الحال.

ب٠ ع٠

سيارة في الفم

تصر احدى جمعيات حماية المستهلك على ان احد انواع العلكة الشعبية مصنوع من مطاط اطارات السيارات. وقد ظهر هذا الاكتشاف المروع على يد شاب ظل يمضغ هذه العلكة كل يوم، فلم تصب اسنانه بالتسوس ابداً. الا انه، في عيد ميلاده الحادي والعشرين، اضطر الى زيارة معمل تصليح السيارات حيث ابدلت مواضع اسنانه وضبط اتزانها.

ج٠ ب٠



حكايات من العالم

التمساح يحب النظافة!

في حديقة حيوان في كينيا، كتبت على احدى اللافتات الملاحظة الآتية: "الزوار الذين يلقون الفضلات في حظيرة التمساح سيطلب منهم مشكورين ان يزيلوها بأنفسهم".

صحيفة "يوركشير بوست"، انكلترا

كرم شرقي

كتبت بيفرلي سيلز في مجلة "فقاعات" بعض ذكرياتها الذاتية، ومنها: "ان لاهل الفيليبين عادة رائعة. فاذا اعجبت بشيء اهدوه اليك، وغالباً ما يكون ذلك في الحال. وحين قلت لهم اني احببت الفاكهة التي تسمى "مانغوستين" والتي قدمت الينا في الطائرة، لم تمض نصف ساعة حتى كان امام باب فندقنا ٥٠٠ ثمرة من هذه الفاكهة. وعندما سألت المضيفة اذا كان يحسن بي الظهور في حفلاتي الموسيقية في زي فيليبيني، أرسلت الي اربعة اردية جميلة. ولم يسمح لي بأن ادفع شيئاً في مقابل ذلك. وقد وصلنا الى الفيليبين بثماني حقائب سفر، وغادرناها بسبع عشرة حقيبة".

سيكولوجية خاصة بالافيال

ليس غريباً ان يصطحب الراغبون في شراء الافيال في الهند المنجمين الى السوق، حيث يتولى هؤلاء دراسة العلامات والآثار على جسم الحيوان التي يعتقد انها تفصح عن مزاجه وقدرته على العمل وحالته الصحية وعمره المتوقع.

س.ب.

حبل الحرية قصير...

في محاولة هروب جريئة من احد سجون سيدني في اوستراليا، اختبأ سجين تحت غطاء محرك عربة نقل. وعندما توقفت العربة جاهد للخروج من مخبئه... ليجد نفسه في فناء سجن آخر يبعد عن الاول ستة كيلومترات ونصف كيلومتر.

. ي.ب.

اخشوشنوا منذ صغركم

يُعَوَّد اطفال الاسكيمو منذ نعومة اظفارهم على الحياة الخشنة. كما يعودون على دقة النظر والسمع ومراقبة السماء والسهوب يومياً. وحين كنت اعيش في قرى الاسكيمو كي اراقب اطفالهم، كان الاطفال بدورهم يراقبونني. وحين كنت أسألهم ان يرسموا بعض الصور، كنت افاجأ بمدى انصرافهم عن انفسهم الى العالم خارجهم. وعلى سبيل المثال، لم اجد بينهم طفلا واحداً اراد ان يرسم صورة لنفسه.

ر.ك.

"الثقب الأسود"
رائعة جديدة
من والت ديزني

"الثقب الاسود"، الفلم الذي استغرق اعداده خمس سنوات وبلغت تكاليفه ٢٠ مليون دولار، يقودنا الى مغامرة جديدة في عمق الفضاء. وهو، فضلا عن كونه رحلة خارقة الى المجهول، عرض فني باهر شاءته استوديوهات والت ديزني تصوراً اقرب ما يكون الى حقيقة هذا "الثقب".

"ثمة قوة عنيدة وجبارة في الكون يندغم فيها الزمان والمكان".

ويمضي الصوت ذو النبرات المترنمة: "انه مكان أبعد من مدى الرؤية لدى الانسان، الا انه ليس بعيد المنال، وان يكن اشد ما في الكون غموضاً ورهبة. ففي هذه النقطة يدوم الزمان والمكان ابد الدهر... وهذه قوة لا يمكن تجنبها. فهي تتحرك عبر الفضاء وتلتهم كل ما في وسعها، حتى موجات الراديو والموجات الضوئية، بل الكواكب والنجوم ايضاً... وها هو الانسان الآن، على وشك ان يدخل في الثقب الاسود".

لا عليك ايها الكائن الارضي! فما هذا المصوات سوى راوية في نبذة دعائية والكائنات البشرية الوحيدة التي تتأهب لمثل هذه المخاطر ليست سوى شخصيات في فيلم من انتاج والت ديزني اسمه "الثقب الاسود"، وقصته تدور حول مغامرة في عمق الفضاء تكلل بالوصول الى ثقب والعبور في جوفه الى ما وراءه.

تستحيل "رؤية" الثقوب السود – ان جاز التعبير – خارج نطاق الروايات العلمية الا بأجهزة الفلكيين التي تلتقط اشعة اكس من تلك الثقوب. "والواقع ان للثقوب السود

Photo: Jerry Dantzic

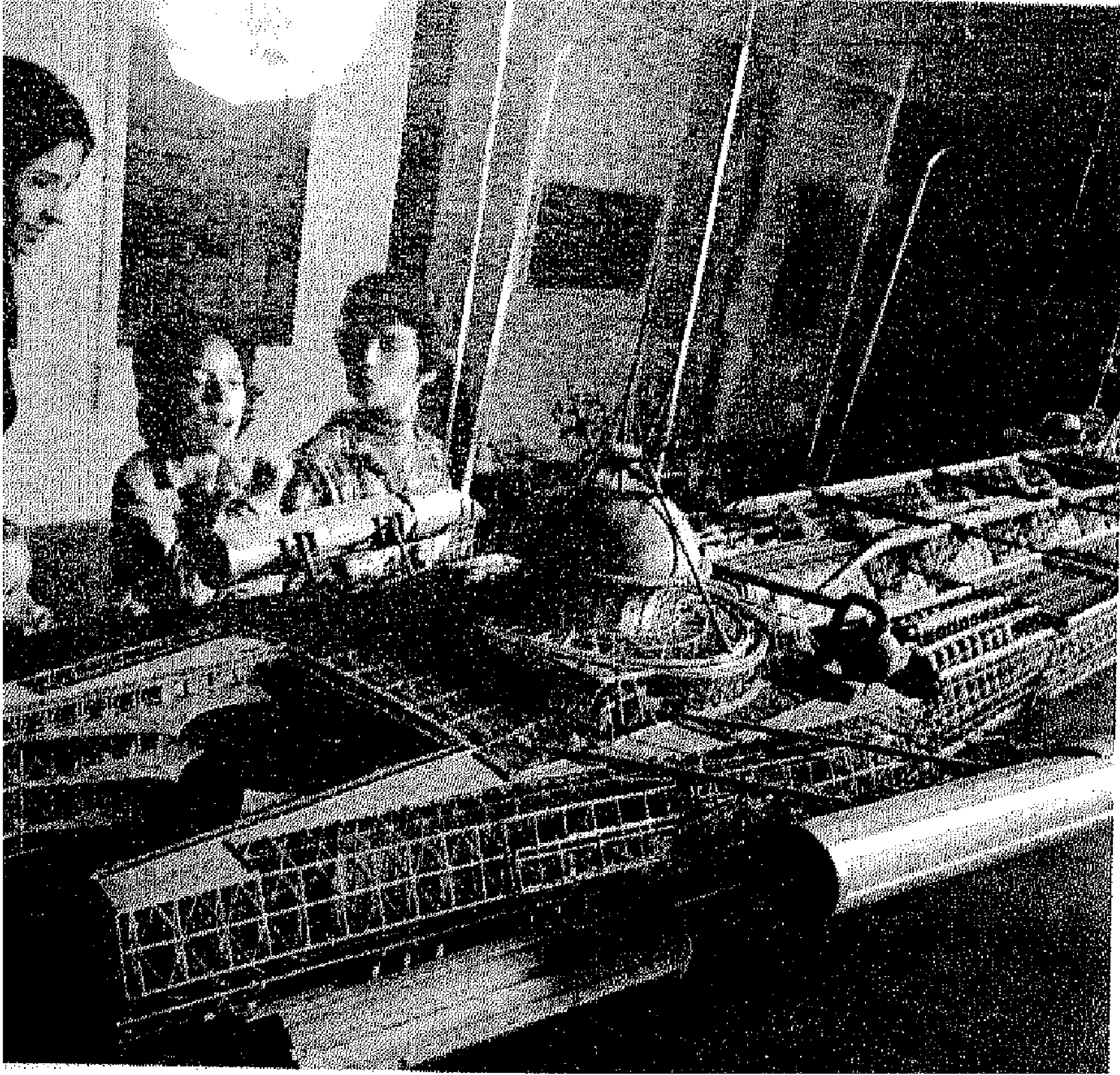
كياناً غامضاً لا يعرف كنهه حتى العلماء الذين تنبأوا اصلا بوجود الثقوب نفسها"، كما يقول منتج الفيلم رون ميلر الذي يمضي مفسراً: "يتكهن بعضهم بأن الوقت يأخذ في التباطوء حتى يتوقف كلياً عند حافة الثقب الاسود. ويقول آخرون ان الثقب الاسود قد يكون درباً مفضياً الى كون آخر. وهناك نظرية تزعم انه اذا دخل شخص الثقب الاسود، فسيجد نفسه عند نقطة بدايته مرة اخرى".

من الواضح طبعاً ان ما هدفت اليه استوديوهات والت ديزني هو تكوين صورة صادقة لما يحتمل ان يكونه مظهر الثقب الاسود، لو لم تتعذر رؤيته. وهكذا غدت صناعة هذا الفيلم، منذ الخطوة الاولى، مسرحاً للخيال ولمحاولات الربط والتوفيق والتزامن بين مخيلات عشرات الافراد لدى والت ديزني.

ولم يكن غريباً ان ترى الممثل جوزف بوتومز، قبل الانتهاء من الفيلم، يجري محادثات جادة مع رجل آلي حتى قبل ان يصبح ناطقاً، والكتّاب يطلقون عنان مخيلاتهم لابتكار اسماء تليق برجال فضاء المستقبل ومركبتهم الفضائية، وبيتر الينشو، المصمم البريطاني الاصل المسؤول عن احداث المؤثرات البصرية الدقيقة عاكفاً على رسم سفينة الفضاء الامريكية "سيغنوس" (كوكبة الدجاجة)، ويتخيلها وهي تتفكك وتتحطم لحظة دخولها جاذبية الثقب الاسود. وبعد الينشو، تولى العملية فريق من "السحرة"، اي المهندسين الذين يعدون المؤثرات الخاصة، من اجل نفخ الحياة في ذلك الرسم عن طريق تصميم نماذج فضائية مصغرة، ثم بنائها وتفكيكها الى قطع صغيرة.

"تمكن الثقب منا!" — يبدأ الفيلم برحلة الملاحين في سفينة الفضاء "بالومينو" التي قضت ١٨ شهراً تبحث من غير طائل عن منطقة مجهولة من الفضاء، غير مسجلة في الخرائط. وملاحو بالومينو هم القبطان دان هولاند (روبرت فورستر) والملازم الوسيم تشارلز بايزر (جوزف بوتومز) واستاذه الآلي فين سنت الذي يتمتع بسرعة الخاطر. وفي السفينة ركاب آخرون هم العالمان اليكس ديورانت (انطوني بيركينز) وكيت ماكري (ايفيت ميميو) والصحافي هاري بوث (ارنست بورغنين). وكان السأم من طول عزلتهم في الفضاء قد نال من نفوسهم، واوهنت الخيبة عزيمتهم بعد اخفاق مهمتهم حين احسوا فجأة بوجود سفينة فضاء مهجورة راسية عند فوهة ثقب اسود. انها "سيغنوس" التي حملت الى الفضاء اعضاء الفريق العلمي، بمن فيهم والد ماكري، قبل عشرين سنة، وانقطعت اخبارها منذ ذلك الوقت.

واذ ترسو "بالومينو". في محاذاة "سيغنوس"، يجد الركاب انفسهم مجردين من السلاح ومطوقين من حراس آليين تابعين للسفينة "سيغنوس" التي اصبحت مستعمرة فضائية مكتفية ذاتياً. انها مستعمرة الدكتور هاينز رانيهارت (ماكسيميليان شل)، كبير العلماء في المستعمرة التي يديرها رهط من



نموذج للمركبة "سيغنوس" في متحف الفن الحديث في نيويورك.

مخلوقات غريبة ليست بشرية تماماً ولا آلية تماماً. وبعد نزاع على السلطة يسفر عن تحطيم المركبة "سيغنوس"، لا يبقى على قيد الحياة سوى اربعة اشخاص انجذبت مركبة نجاتهم الفضائية بقوة الى جوف الثقب الاسود، ويصيح احدهم: "يا الهي! لقد تمكن الثقب منا".

تضافر الجهود - على مدى الاعوام الخمسة التي استغرقها انتاج الفيلم في استوديوهات ديزني، تضافرت جهود عدد متزايد من المفكرين ذوي الخيال الواسع على انتاج العمل، وفي مقدمهم ونستون هيبلر المعروف بحماسته للروايات العلمية، وهو الذي انتج سلسلة افلام ديزني الشهيرة "مغامرات واقعية" التي لعب فيها ايضاً دور الراوية. ولما توفي هيبلر عام ١٩٧٥، تسلم مسؤولية المشروع رون ميلر، وهو زوج ابنة والت ديزني. وقد صعد ميلر سلم الانتاج تدريجاً منذ وفاة والت ديزني عام ١٩٦٦، الى ان اصبح كبير المنتجين.

وكان هيبلر في بداية تسلمه المشروع قد وظف مواهب الرسام الشهير الناجح بيتر الينشو لتصميم محطة الفضاء والثقب الاسود نفسه.

وهذا الفنان معروف في عالم صناعة الافلام منذ ١٩٣٤ ونال جائزة اوسكار لبراعته في ابداع المؤثرات الخاصة لفيلم "ماري بوبينز". وعندما اوكل اليه تصميم مشاهد للثقب الاسود، لم يشأ تقليد التصاميم التيتضعها "ناسا"، وهي الوكالة الامريكية القومية لبحوث الطيران والفضاء، بل اتبع اسلوباً مغايراً تماماً، وجعل سطح مركبته يبدو كشبكة عصرية الطراز من الراوفد الفولاذية الدقيقة والستائر الزجاجية بدلا من الصفائح المعدنية. وأتاح تصميمه للمركبة على هيئة مجموعة من العربات المستقلة امكان فصل اجزائها متى شاء ربان المركبة تركها في مواقع اخرى. أما انتقال الركاب داخل المركبة الام فانه يتم بواسطة عربات هوائية تنسرب داخل انفاق او انابيب شفافة.

رأى الينشو بعين مخيلته جميع التفاصيل في المركبة التي يبلغ طولها ٨٠٠ متر: هنا برج المراقبة الذي دهنه وصممه بحيث تنسجم الجدران مع المعدات وآلات القيادة. وهناك مرصد المركبة بمناظيره الفلكية التي تجمع زوايا مختلفة للمشهد وتعكسه بأبعاده الثلاثة فوق اجهزة الاستقبال الكروية. وهناك ايضاً العربة المزخرفة الخاصة بالزراعة ذات النماء الوافر.

وبعد انتهائه من تصميم المركبة عني الينشو بمسألة المؤثرات الصوتية التي من شأنها ترجمة رؤياه الى مشاهد حية، فجمع حوله مجموعة من الفنيين المختصين. وكان بين هؤلاء ثلاثة من حملة الجوائز الاكاديمية الفنية، هم داني لي الذي صنع الرجال الآليين، وآرث كروكشانك ويوستاس ليسيت اللذان صنعا المؤثرات الفوتوغرافية. وعهدت الى هاريسون الينشو، ابن بيتر الينشو، مسؤولية رسم ١٥٠ لوحة زجاجية، وهو الذي رسم سابقاً اللوحات الثلاث عشرة جميعاً في فيلم "حرب النجوم". وهاريسون في حدود الخامسة والثلاثين من عمره. وهو يقول ان النقاط الخالية من الرسم في لوحاته الزجاجية "تتيح عكس شريط سينمائي لبعض المشاهد وللممثلين المشتركين فيها. ونتولى بعدئذ رسم كلا الصورتين معاً — اي صفحة الزجاج والشريط المعكوس عليها — بحيث تتكون صورةجديدة كلياً لا يمكن تقليدها من غير انفاق ملايين الدولارات لاخراج نسخة مماثلة لها، او من غير بناء المشاهد ذاتها في قلب الفضاء وليس هذا امراً يسيراً".

المصغرات الجبارة — نقل الفنانون تصميم الينشو للمركبة الفضائية "سيغنوس" الى اجسام ذات ابعاد ثلاثة حين صنعوا ثلاث مركبات فضائية مصغرة، واحدة بقياس ستة مليمترات واثنتان بقياس مليمتر ونصف مليمتر.

وعكف النحاتون المحترفون طوال تسعة اشهر على بناء هذه النماذج بقطع من النحاس قُصّت باليد وبلغت كلفتها ربع مليون دولار. وبعد اتمامها شيدت مجرة فلكية مصغرة بحجم حوض‌مائي خلفه ستارة عملاقة طولها ١٢ متراً وارتفاعها تسعة امتار، رسمت عليها نجوم وغيوم سديمية وعناقيد كروية ضوئية وفجوات ونخرت صفحتها بالآف الثقوب، وعكست عليها من الوراء انوار الف مصباح كهربائي، فراحت تتلألأ كصفحة السماء. وفي بقعة منها رست‌سفينة الفضاء "سيغنوس". لكن الحاجة اقتضت كذلك استخدام كاميرا في الاستوديو من نوع جديد لتصوير انطلاق المركبة الفضائية في دروب المجرة. وقد اراد بيتر الينشو ان تبدو المركبة الفضائية ذاتها مضاءة بنور النجوم الخافت لانها لو انطلقت في الفضاء الحقيقي، لبدت كذلك فعلا.

لكن مثل هذه الانارة تتطلب تعريض الفيلم للضوء ببطء شديد جداً. لذلك استغرق تصوير بعض اللقطات ١١ ساعة، وصرفت استوديوهات ديزني مبلغ مليون دولار على نظام جديد في التصوير التلقائي يعتمد الدماغ الالكتروني. ووضعت مجموعة من الادمغة الالكترونية التي

تتحكم بآلة التصوير في كوخ له بضع نوافذ. ويتيح هذا النظام تصوير ١٣ حركة مختلفة في آن. واذا تعب المصور، تولت الادمغة الالكترونية اعادة التصوير.

غير ان مثل هذا السحر "التقني" خلق مشكلة عويصة لمخرج الفيلم غاري نيلسون الذي ادرك انه، ما لم يكن الممثلون الحقيقيون بارعين في اداء ادوارهم على اكمل وجه، وعلى مستوى لا يقل عظمة واقناعاً عن مستوى الانسان الآلي وبقية معدات الفيلم الآلية كالعربات الفضائية، فان الفيلم سيصبح مجرد مأثرة فنية ويفقد عنصره الانساني كلياً. كما ستطغى عليه بقية المؤثرات التقنية، خصوصاً في اللقاءات بين الانسان والآلة، كما يحدث حين يجتمع المعلم – الآلة فين سنت بالملاح البشري بايزر، وهي لقاءات في منتهى الحساسية احياناً.

بايزر: قل لي يا فين سنت، هل انت مبرمج للتجسس علي؟

فين سنت: كلا يا سيدي، بل لتثقيفك.

وعلى خلاف الآلات في فيلم "حرب النجوم"، التي يكمن في جوفها انسان يؤدي هو دور الآلة، (مثل آرتو ديتو وسي تريبيو)، فان آلات الثقب الاسود تعمل تلقائياً وعلى نحو آلي محض عبر شبكات من الاسلاك، بحيث اصبحت لها شخصيات متميزة كما هي الحال مع فين سنت ورفيقه بوب.

خيال خارق – يحافظ الفيلم حتى نهايته على سر الثقب الاسود. وتبقى التجربة التي احس بها الفنانون خلال تصميم المشاهد لما يكمن وراء الثقب امراً مكتوماً. غير اني استطعت ان اعرف كيف صنعوا "الثقب الاسود":

"ان الثقب الحقيقي في فضاء المجرة، بالمقارنة مع "الثقب" الذي صنعناه، مخيب كثيراً للآمال، لانه يبتلع الضوء ولا يترك لنا النور الذي نحتاج اليه في الكشف عن سر تكوينه". هذا ما يقوله هاريسون الينشو. ولكن بما انه يحق للفنان ما لا يحق للعالم، فقد صور الفنانون الثقب الاسود، على هيئة غيمة لولبية تدور حول نفسها دورات غير مألوفة ولها حواف مضيئة. والعجيب ان هذه الصورة هي عين ما كنت رأيته تحت تأثير المخدر في غرفة العمليات الجراحية.

ويقول الينشو حول صناعة الثقب: "ان شئت ان تصنع ثقباً اسود. فامزج دهاناً من "ورنيش اللك" الصقيل مع الماء في دوامة داخل صهريج بلاستيكي شفاف، وسلّط عليه الضوء من اسفل وصوره بسرعة كبيرة جداً تفوق سرعة التصوير العادية ١٥ مرة. واحمل الفيلم الى حجرة مظلمة، وهناك ادمج ثلاث صور سينمائية. وخذ الشريط الناتج من ذلك لدمجه مع رسم للسواد خارج الثقب، مع استخدام الزجاج ذي الانعكاس الانتشاري لادارة ذلك السواد ببطء شديد. ثم احرق ثلاثة عناصر اخرى، بما فيها قطع من الدهان الابيض، فوق مخمل اسود، واجعله يلف ويدور امام الكاميرا. وفي الوقت نفسه اعكس الصورة التي تلتقطها من خلال عدسة محولة لكي تفلطح السطح. عندئذ سيتحرك الثقب الاسود على

نحو اهليلجي، وليس على نحو دائري تام.

هل هذا كلام معقد؟ انه ليس معقداً كانهيار احد النجوم. وهو ما يفعله الخالق سبحانه وتعالى لتكوين ثقب اسود حسبما يعتقد العلماء.

احتفظت استوديوهات والت ديزني عبر السنين بسمعة جديرة بالاحترام في مجال سبر عمق الفضاء في الافلام. واذكر اني شاهدت في الخمسينات ثلاثة برامج تلفزيونيةمن انتاج ديزني، هي "الانسان والقمر"، "الانسان في الفضاء"، "المريخ وما وراءه". واذكر اني شاهدت في الستينات والسبعينات رحلات حقيقية، لا خيالية، في عمق الفضاء، نقلتها شاشة التلفزيون الينا. فلم اقو على التخلص من مقارنتها بالبرامج الخيالية التي شاهدتها، وذلك لشدة شبه الرحلة الحقيقية بالبرنامج الخيالي الذي تصوره الفنانون في شركة ديزني.

لذلك اذا قدر لي ان اكون على متن مركبة فضائية يوماً ما وان انجذب بقوة نحو ثقب اسود، فلن اعجب اذا سمعت نفسي قائلا: "يا للغرابة! انه يبدو كالافلام تماماً".

■ جون كلمين

المنطق البدائي لدى الاطفال الانطوائيين

الانطوائية حالة نفسية تلم بالاطفال عادة منذ ولادتهم وتجعل سبل اتصالهم بالعالم الخارجي ـ حتى وان تمتعوا بذاكرة جيدة ونظر حسن وسمع سليم ـ عسيرة جداً، ويراوح مستوى ذكاء الاطفال الانطوائيين من درجة منخفضة جداً الى درجة عادية متوسطة فما فوق. وتعوزهم المهارات العلمية والاجتماعية، الا أنهم يظهرون احياناً عمقاً مدهشاً في البصيرة وتصرفاً لطيفاً خفيف الظل.

تعطي الحكايات الآتية، التي جمعتها ام طفل انطوائي عبر سنوات عدة، فكرة عن طبيعة الحياة بالنسبة الى طفل مصاب بالانطوائية وكذلك بالنسبة الى اسرته.

وهذا الطفل هو اليوم شاب في الرابعة والعشرين من عمره، وهو وسيم، لكنه غير ناضج، ويبدو احياناً حزيناً وخائباً، واحياناً كثيرة مرحاً وراضياً، الا انه دائماً في حاجة الى من يفهمه ويرشده. ويقضي نيل ايام الاسبوع في مجمع خاص بالانطوائيين.

نيل: أمي! تعالي هنا الى الخزانة تحت الدرج.

الام: لماذا يا نيل؟

نيل: لكي تري أيهما أكثر وحشة: الخزانة مع امي وجهازي ترانزيستور وجهاز كاسيت، أم الخزانة مع جهازي ترانزيستور وجهاز كاسيت ومصباح مضاء؟

نيل: امي! انظري في المرآة من وراء كتفك وادخلي الغرفة رجوعاً الى الوراء، لعلك تفلحين في قلب هذا اليوم الى يوم أمس!

وبما ان الام آلت على نفسها الا ترفض اي طلب معقول (في رؤوس الانطوائيين طبعا)، فقد استجابت لطلب ابنها. ولكن حين تعثرت بطرف السجادة وسقطت أرضاً، تفوهت بكلام بذيء. فردّ نيل على ذلك بمنتهى العفة والفضيلة: "لا يجمل بك ان تشتمي".

نيل: امي، ما هو أصغر شيء يمكن ان تحمليه بين الابهام والسبابة؟

الام (بعد محاولات لا تعد): أسلم بعجزي عن الاجابة.

نيل (بانتصار): قطعة من الهواء! ترى لماذا يمكننا ان نمسك لا نهاية الاشياء الدقيقة بين الاصبع والابهام ولا يمكننا ان نمسك لا نهاية الاشياء الكبيرة؟

وتعجز الام مرة اخرى عن الاجابة، وتستعطفه كي يكف لأنها مرهقة، علماً انها اشترت كتاباً اسمه "الفلسفة المبسطة" صار في بيتها بمثابة كتاب مقدس.

ويتغضن جبين نيل بالتأمل، وفي ذلك علامة تنذر بالخطر، ويقول: "ما السبب في ان خمس ابر مجموعة تبدو ضئيلة، في حين ان خمسة فيلة مجموعة تبدو ضخمة؟"

وتتناول الام الكتاب وتقلب الصفحات، ظناً منها ان الاجابة موجودة - بلا شك - في مكان ما بالقرب من الباب الذي يبحث في السؤال الميتافيزيقي: "كم هو عدد الملائكة الذين يمكن ان يرقصوا على رأس دبوس؟"

عند الحديث مع الانطوائيين، يجب ان يراعي المرء الدقة المتناهية في الكلام لأنهم "منطقيون بدائيون" على حد تعبير فيلسوف فرنسي، ولا يأبهون احياناً لقطع تيار التفكير والكلام.

الاب: ارجوك يا نيل ان تعد لي ابريق شاي. أنت صبي رائع.

ويوافق نيل ويذهب الى المطبخ، لكنه يعود الى أبيه خالي الوفاض بعد عشر دقائق.

الاب: ألم اطلب اليك يا نيل ان تحضر الشاي؟ أين هو؟

نيل (وقد جرح السؤال شعوره): الشاي في الابريق طبعاً.

غسل نيل شعره في الحمام قبل ان يتوجه الى نادي الشباب. وغالباً ما تحرضه امه على الاسراع لانها لا تحب ان يتأخر في مواعيده، بينما ينزع نيل الى ارجاء الاستعداد للخروج حتى آخر لحظة.

الام: هيا، اسرع! استعمل مجففة الشعر للتعجيل قليلا.

وبعد دقائق يسترعي انتباه الام نداء جارتها وهي تشير الى نافذة غرفة نوم نيل الذي وقف بكل وسامة، رافعاً ذراعاً في الهواء ومصوباً خرطوم تجفيف الشعر باليد الاخرى تحت ابطه!

نيل: كيف تلومينني؟ هل ذكرت اي شعر تريدينني ان أجفف؟

بعد سهرة طويلة تعثر نيل وهو ينزل الى الطابق الارضي. فأخذ يتمطى ويتأوه وهو يستقبل الصباح الجديد حافي القدمين ومنفوش الشعر وبذقن غير حليقة. وكان يرتدي قميصا أحمر ملطخاً بالدهان وسروال جينز ذا سحاب مكسور.

الام: اسرع واغسل وجهك واحلق وبدل ملابسك، فسنخرج بعد قليل.

وتبصر الام - كما لو في الرؤيا - شخصاً قادماً نحوها بعد خمس دقائق،

مرتدياً سروالا مخملياً أخضر، وفوقه ازار فضفاض تستخدمه الام في المطبخ، وعلى صدره شارة فضية ضخمة براقة، وفي اصابعه بضعة خواتم، وعلى شفتيه مسحة من احمر الشفاه! وتفوح منه رائحة عطر قوية.

وتقول الام وهي تحاول قصارى جهدها عدم الضحك او البكاء: "لا... هذا أنيق فوق ما ينبغي. اكتفِ يا نيل بملابسك العادية".

ويعجب نيل من براعته في ارتداء الملابس ويقول: "يبدو اني متطرف جداً في اختيار ملابسي!".

في احد الايام اشترت الام زوجاً من القفازات المطاطية القرنفلية اللون التي يمجها الذوق، لأنها ارادت استخدامها في صبغ شعرها لئلا تتلوث اصابعها واظافرها. وفجأة يصرخ نيل مرتعباً من غرفة الحمام، وتتيقن الام من انه وقع على شيء لا يسره. ويقول نيل بنبرة من أصيب بالغثيان: "امي! يدا من هاتان؟"

في أثناء الصلاة الخاصة التي أقيمت للمعاقين، جلست الام وابنها نيل في صف امام طفل صغير كان يئن بصوت مرتفع جداً يبعث على الاكتئاب كلما قطعت مراسم الصلاة فترة صمت.

نيل (بصوت مسموع): أمي! هناك خروف يثغو خلفنا.

الام (محاولة اسكاته): هس! هس!

نيل: لم اكن اعرف ان الخراف يحظر لها ان ترتاد اماكن العبادة.

الام: هس! اخفض صوتك يا نيل.

نيل: آه... ربما كان هذا هو "حمل الله"!

نيل (يسأل للمرة الالف): آه لو كان هناك لون أحلك من الاسود!

الام: ولكن يا نيل، للمرة الالف أقول لك انه ليس من لون أشد سواداً من الاسود.

نيل (ملاطفاً امه وفي الوقت نفسه مستمراً في فرضيته على رغم احجامها عن قبولها خوفاً مما يكمن وراء هذه الفرضيات من اخطار ومزالق): نعم، نعم... يكفي ان تتظاهري بأن هناك لوناً.

الام (وقد ارهقتها المقاومة): حسناً، سأتظاهر. ولكن تذكر انه ليس هناك مثل هذا اللون في الواقع!

نيل (منتصراً): عظيم! لو افترضنا ان ثمة لوناً اشد سواداً من الاسود، فسأدهن به جدران الحمام وسقفه وأرضه ونافذته وبابه، ومن ثم أصبغ الحمام نفسه والمغسلة باللون الاسود لكي أخفف من قتام لون الغرفة.

نيل: امي. لو كان الوقت متقدماً اكثر من منتصف الليل، فكم يكون الوقت؟

الام: لا يمكن ان يتقدم الوقت اكثر من منتصف الليل، لأنه بعد الساعة ١٢ ليلا يبدأ صباح اليوم التالي.

نيل: اعرف ذلك، ولكن دعينا نفترض!

صَبَاح الخيْر!





نسكافه



كوبٌ من نسكافه مع الحليب ، في الصباح
وفي أيّ وقت ، يجعل نهارك أكثر بهجة وإشراقاً.
نسكافه ، خلاصة القهوة اللذيذة ، تملأك حيوية ونشاطاً.
نسكافه ، قهوة ١٠٠ بالمئة صافية ، سريعة التحضير.

PI 2959

نسكافه قهوة الشباب العصريّ الناجح

تسلم نيل قبل سنوات هدية هي دمية تمثل اسداً مصنوعاً من مادة البلاستيك، مكسواً بفرو اصطناعي وله عنق من الزغب الناعم يغري بالمداعبة. لكن نيل لم يحب الدمية مطلقاً. وذات صباح دخلت الام غرفة ابنها ووجدت الدمية مرمية على الارض وقد انسلخ جلدها، فبدا الاسد عارياً برتقالي اللون، وكان يبعث على الاشمئزاز. فصاحت بحزم: "ما هذا؟"

وأجابها نيل: "انه أسد مسلوخ".

الاب (من الطابق العلوي): أظن اني طلبت اليك ان تأتيني بزوج من الجوارب النظيفة، لكنك جئتني بفردة حمراء وأخرى زرقاء.

نيل (مسروراً، من الطابق الارضي): انهما، في أي حال، اثنان كما طلبت.

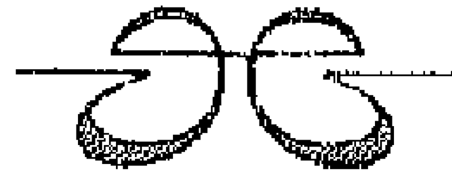
في حديقة الحيوان أخذ نيل يحدق الى الفيلة.

العامل في الحديقة: أتحب الفيلة؟

نيل: نعم، احبها. لكنها تحتاج الى كي".

■ روبرت مورلي

الكاتب ممثل ومؤلف بريطاني معروف، تبرع بعائدات كتابه الذي اقتطف منه هذا المقال الى الجمعية البريطانية القومية للاطفال الانطوائيين.



لا يستطيع المرء ان يحسب نفسه متزوجا حقا حتى يفهم مغزى كل كلمة لا تقولها زوجته.

اللورد مانكروفت

رياضة

صباح يوم عطلة، نادى والد ابنه اليافع الذي يمارس التمارين الرياضية العنيفة كل يوم، واعطاه مجرفة واشار الى الثلج الابيض المتراكم في ممرات الحديقة. لكن الفتى صاح معترضاً: "كلا يا ابي، لا استطيع، لان ذلك ينمي عضلات في المواضع الخاطئة".

ي. ب.

الزوج اللائق

ذهبت سيدة للقاء محاميها وهي تحمل طفلا رضيعاً وتصطحب اربعة اطفال آخرين لا يتجاوز اكبرهم الخامسة من عمره. وقالت للمحامي: "اريد الطلاق من زوجي".

– وما هي الاسباب؟

☐ الهجر يا سيدي.

فقال المحامي وهو يجيل عينيه في الصغار الخمسة: "اي هجر يا سيدتي؟"

فاجابت بصوت خفيض وبلهجة من يفضي بسر خطير: "الحقيقة ان زوجي يعود فعلا الى المنزل بين وقت وآخر... ليعتذر عن سلوكه".

س. ت.

مزيداً من النور!

وراء غوته العالم وقف غوته الشاعر
ينظر الى الامور بعين العلم وقلب الشعر

كان اعظم شخصية ادبية ظهرت في المانيا، وله آراء بارزة في مختلف المواقف البشرية وفي كل عاطفة خالجت قلب انسان. وهو، الى جانب شاعريته التي تميز بها، روائي ومؤلف مسرحي وأحد اخر عمالقة الفكر في العالم الغربي. ولا ريب في ان هذا التنوع الغزير في مجالات عبقريته يبعث على الدهشة والذهول في نفوس الذين يتفرسون فيها اليوم من زوايا التخصص الرائجة في عصرنا.

ذلك هو يوهان فولفغانغ فون غوته (١٧٤٩ - ١٨٣٢). وقد امتدت حياته بين قرنين، فقدر لعبقريته ان تسود قطاعات كبيرة من كليهما. وغدا ذلك المفكر الخلاق والباحث المبدع اسطورة قبل وفاته بوقت طويل. وخلف فيضاً من المؤلفات في شتى المواضيع يضم الآن ١٤٣ مجلداً. ومع ذلك فقد اعتبر الحياة نفسها موضوع اهتمامه الأسمى، فمن واجبه "ان يرفع هرم الوجود الى اعلى الذرى الممكنة".

كان والد غوته رجلا مترفاً ورث امواله عن ابيه الذي كان صاحب فندق. وكانت امه ابنة عمدة مدينة فرنكفورت (حاليا في المانيا

الشرقية). وعاش الزوجان في منزل كبير في المدينة حيث ولد يوهان فولفغانغ وترعرع في جو ملائم لميوله ولتفتح مواهبه: فهنا رفوف مزدحمة بالمؤلفات الكلاسيكية، وهناك اروقة عارمة باللوحات الفنية جمعها الوالد وتجلت فيها المناظر الايطالية الخلابة التي اضرمت في الفتى شعلة الرغبة في اكتشاف تلك البقاع، حيث يزهر شجر الليمون وتومض ثمار البرتقال الذهبية بين الاوراق الخضراء.

ولعل ابرز ما رافق طفولة ذلك العبقري هو مسرح الدمى المتحركة في صالة لعب الاطفال. فقد استعاد غوته في ما بعد ذكريات الصبي الصغير المندفع الى اخراج مسرحيات مكتملة يجمد لرؤيتها الدم في العروق، وتتخللها "العواصف البحرية والآلهة الهابطة الينا على غيوم ووميض البرق وقصف الرعد".

وقد تفتح نبوغ غوته في غضون سنواته الدراسية في لايبزيغ وستراسبور حيث تعلم القانون والرسم وحفر الكليشيهات وطباعتها. وتشهد الرسوم الباقية على براعته وموهبته في رسم الوجوه والمناظر الطبيعية. وفي تلك الفترة اخذ غوته يقرض الشعر ويدبج المقالات وينادم معاصريه من الفنانين والادباء فينال اعجابهم بفطنته وقدرته على الاقناع.

العاشق الملهم — لم يكد غوته ينعتق من حمى ابويه حتى اطلق العنان لحياته الغرامية التي استوحى من احداثها اجود الاشعار التي فاضت بها قريحته. ولما بلغ الحادية والعشرين، وكان طالباً في ستراسبور، ذهب مع صديق له في رحلة على ظهور الخيل الى قرية زيزنهايم على ضفاف نهر الراين. وهناك التقى ابنة راعي الابرشية، وكانت شابة شقراء الشعر وزرقاء العينين، فأمضى غوته شهراً كاملا طافحاً بعبير القصائد الرومنطيقية والخلوات والنزهات في الليالي المقمرة. وبدت تلك العلاقة فاتحة مغامرات عاطفية تجددت مرة تلو اخرى الى ان طلبت منه الفتاة عهداً بالزواج. فسارع غوته الى هجرها فجأة، وهي التي خلد اسمها في ما بعد في شخصية غريتشين (مرغريت) البطلة البريئة.

لقد تمخض هذا الحب الوجيز الأمد عن اولى قصائد غوته الغزلية التي نبذ فيها اسلوب التصنع لدى الشعراء الالمان. واطلق غوته لعواطفه العنان فتدفقت في ابيات تنبض، في وقت معاً، بزفرات الالم وتهاليل الابتهاج. وهو يقول في قصيدته "اهلا ووداعا": "ما اسعد الانسان ان كان محبوباً. ايتها الآلهة، اليس النعيم في ان نحب؟".

ان ذلك الينبوع الفضي ترقرق شعراً طوال حياة غوته، ذلك الرجل الملهم الذي قال عن قصائده: "لا تقرأوها بل انشدوها". ان مئات من قصائد غوته صبت فعلا في الحان لمشاهير الموسيقيين امثال شوبرت وموزار ومندلسون.

وشهدت بلدة فيتسلار، شمال فرنكفورت، مغامرة غوته الثانية. فهو قصدها على مضض لممارسة مهنة المحاماة. وهناك هام بفتاة اسمها شارلوت باف كانت مخطوبة لشاب

آخر. فلم يمكث غوته في منصبه الجديد الا شهرين ذاق خلالهما عذاباً مراً. فهجر المهنة والديار، لكنه لم يقو على النسيان. وتمخضت تجربته عن احدى رواياته الخالدة، وهي تتناول صراع شاب اسمه فيرتر يقوده اليأس من حبه الى الانتحار باطلاق النار على نفسه. وكانت للرصاصة التي اودت بحياة بطل الرواية اصداء ترددت في انحاء العالم.

ولم يكن غوته قد تجاوز الخامسة والعشرين من عمره حين نشر روايته "احزان فيرتر الشاب" عام ١٧٧٤. ولئن سبق له ان نال شهرة مرموقة بعد نشره مسرحية تاريخية، الا ان قصة بطله فيرتر وضعته في مرتبة الكتاب العالميين. كما ان اسلوبها الشعري حمل القراء الى ذروة الخيال والنشوة وحفز شبان ذلك العصر على ارتداء المعاطف الزرقاء والقمصان الصفراء والسراويل القصيرة المعدة لركوب الخيل، اقتداء ببطل الرواية (وبكاتبها يوهان فولفغانغ غوته نفسه). بل ان بعض الشبان اوغلوا في هذا الاقتداء الى حد الانتحار باطلاق النار على انفسهم بعدما يئسوا من الحب. ونقلت هذه الرواية الى لغات عدة واصبحت موضوع حديث الناس.

غير ان الكتابة في ذلك الحين لم تكن تدر على المؤلف الا النزر القليل من المكافأة المادية. ولهذا، فما ان عرض دوق ساكس - فايمار الشاب، كارل اوغست، استعداده لرعاية غوته وتوفير حياة كريمة له في بلاطه حتى انتقل يوهان فولفغانغ الى فايمار، عاصمة الدوق الحالمة (حالياً في المانيا الشرقية) واستقر فيها. وسرعان ما نشأت بين الشابين صداقة حميمة تمكنت اواصرها طوال ٣٥ سنة حتى وفاة الدوق.

وكان غوته عضواً في مجلس امناء الدوق. فوقف جهوده على المشاريع البناءة، اذ ادخل اصلاحات على نظام الضرائب واستأصل جذور الفساد وخفض حجم الجيش وعزز سياسة استصلاح الاراضي. وفي هذه الاثناء رفعه امبراطور المانيا، بناء على توصية من الدوق، الى طبقة النبلاء واغدق عليه لقب "فون غوته".

وعصف الحب بقلب غوته من جديد. وربما اكتفى هذه المرة بتوثيق عرى الصداقة بينه وبين شارلوت فون شتاين، زوجة القيم على اصطبل الدوق. وتمكنت هذه المرأة المحنكة من ترويض الضرغام الشاب وصقله ليصبح عضواً لامعاً في المجتمع الراقي.

الطبيعة المقدسة - كان من شأن مدينة فايمار شبه الريفية انها فسحت للحضري غوته منطلقاً جديداً لاكتشاف اسرار الطبيعة. فراح يعمل عقله الخلاق الفضولي في الظواهر الطبيعية، من تكوّن الغيوم في كبد السماء الى هبوب الزوابع والعواصف. وكثيراً ما كان يتجول منفرداً في الطرق الوعرة عبر التلال النائية، حاملا على ظهره كيساً وفأساً ليجمع شظايا الصخور والبلور.

وذات يوم، بينما كان غوته يصطاد في صحبة صديقه الدوق، توقف للتحدث الى الحطابين وهم يجمعون اعشاباً طبية. واعطاه احدهم نبتة من الفصيلة الجنطيانية ذات الزهر

الرائع الالوان. فأذهله تركيبها وجمال شكلها، مما دفعه الى الانكباب طوال حياته على دراسة كل ما يتعلق بالنبات. فأخذ يجمع شتى الاصناف ويدرس اسماءها اللاتينية ويتفحص غرساتها تحت مجهره. وحوّل حديقته الخاصة الى معرض لفن زراعة الاشجار والخضر والزهر. وكثيراً ما تساءل عما اذا كانت هناك نبتة بدائية اصيلة يكمن فيها سر سلالات النبات كلها. وتلك فكرة تتناسب مع نهجه الصوفي في ما سماه غوته "الطبيعة - الاله".

واستمر غوته في جهوده العلمية الجادة، على رغم نزعته الروحية الغامضة. وبقي ردحاً من الزمن يعتبر "نظرية الالوان" مؤلفه المفضل، فقال: "لقد جاء قبلي شعراء خير مني، وسيأتي بعدي آخرون. لكن عنوان افتخاري هو اني وحيد زماني في كشف الحقيقة في علم الالوان المعقد".

ولئن استهدف هذا العمل الضخم، الذي يملأ ثلاثة مجلدات، لبعض الملاحظات الانتقادية، الا ان غوته ثابر باقدام على تجاربه في المنشورات (وهي بلورات هرمية يخترقها الضوء) والمرايا والشموع المضاءة حتى آخر حياته. ولا يزال عدد من اكتشافاته حول استجابة العين للالوان صحيحاً من الوجهة العلمية.

بيد ان ما يشدنا، في الحقيقة، الى مؤلفات غوته العلمية هو انها كتبت بقلمه. فوراء غوته العالم يقف غوته الشاعر، فينظر الى الامور بعين العلم وقلب الشعر. انه يتأمل المحارة البحرية الصغيرة العالقة بالصخور من خلال مجهره، فيجد فيها "كائناً مقدساً ترمز اوصافه الطريفة الى ملامح الطبيعة". ثم يعلن انه ينبغي للعالم المفكر "ان يكتشف كل ما يمكن اكتشافه، وان يقف خاشعاً امام ما يتعذر عليه كشف سره".

وبعد ان قضى غوته ١١ عاماً في فايمار انتفض الفنان داخله، فشاء ان ينأى عن قيوده المكتبية وعن تفاهات البلاط الصغير. فرحل سراً في عربة اجرة تجرها الخيول الى ايطاليا المشمسة التي طالما حنّ اليها. وهناك كتب غوته ورسم، وبالطبع عشق حسناء رومانية سمراء.

وبعد سنتين عاد المغامر الى فايمار، لكنه ابى الانزلاق ثانية في نير العمل الرتيب. وهكذا تخلص غوته من مضايقات عمله وبقي متمتعاً برتبته الرفيعة واجره العالي. فغدا حراً طليقاً يتبع ما تمليه عليه ميوله الابداعية.

سكوت! - عندما قدم غوته الى فايمار للمرة الأولى احضر معه مذكرات مخطوطة لمسرحية بعنوان "فاوست"، تدور احداثها حول ساحر من القرن السادس عشر اتخذه الكاتب المسرحي الانكليزي كريستوفر مارلو بطلا لاحدى مسرحياته المأسوية. فأعجب غوته بهذا الموضوع، وعمل فيه طوال ٦٠ عاماً. وقد نشر الجزء الأول منه وهو في السن التاسعة والخمسين، وواظب على كتابة الجزء الثاني حتى اليوم الأخير من حياته.

وقال غوته عن مؤلفه "فاوست": "انه عملي الرئيسي". وكان محقاً في قوله. لان شهرة غوته ترتكز اليوم

الخطوط الجوية الباكستانية إلى أوروبا . تشعر وكأنك تقصد منزلك ليس هناك أفضل من ذلك .

رحلتان اسبوعيا نطير بك إلى لندن . إن طائراتنا النفاثة الفسيحة تاخذك إلى وجهتك بكل راحة وعناية .

شعور غامر من السعادة منذ لحظة صعودك حتى لحظة وصولك إلى وجهتك . نشعرك بانك فى بيتك . ابتسامات تبعث فى النفس السعادة . خدمة كريمة مضيافة . استرخاء طبيعى يتسرب إليك بكل راحة وعلى طبيعتك .

عند طيرانك فى المرة الثانية إلى امريكا ، اوروبا ، الشرق الاقصى ، افريقيا واسيا ، اركب مع النجاح على متن الخطوط الجوية الباكستانية . تشعر وكانك قاصد إلى منزلك .

PIA پی آئی اے

خيرة القوم لتطير معهم

احتياجاتكم
للمزيد من الاستعلامات يرجى الاتصال بمكاتبنا :
جده : تليفون ٤٤١١٠ ـ ٢٢٠٨٠ الدمام : تليفون ٨٦٢٥٧٤٤
الخبر : تليفون ٨٦٤٣٠٣٣ ـ ٨٦٤٢٥٩١ الرياض : تليفون ٢٧٣٩٩



A679-80

Stackverbery

على تلك المسرحية اكثر منها على اي من انجازاته الأخرى. وتدور فصول المسرحية حول عالم مسن يهب الشيطان روحه الخالدة في مقابل اعطائه فرصة اختبار كل ما امكن اختباره في هذه الدنيا.

ومسرحية "فاوست" هي اعظم اثر ادبي على الاطلاق في اللغة الالمانية، وتنطوي على مجموعة من اروع القصائد التي جادت بها قريحة غوته. وانما يشوبها، اسوة بالحياة نفسها، انها في كثير من المواقف تبدو سائبة الاطراف، غامضة المعاني، حتى ان غوته نفسه قال: "يسألني الناس عن مضمون مسرحية "فاوست"، كأنما انا ادرى به!".

في تلك الاثناء بلغت مدينة فايمار نصيباً من الازدهار جعل منها عاصمة الفن والأدب والعلم في المانيا. ودعا الدوق، بناء على توصية غوته، كبار العلماء والادباء والفنانين الى بلاطه. وكان بينهم الكاتب المسرحي العملاق فريدريك فون شيلر. وتولى غوته نفسه اخراج المسرحيات في البلاط حيث عرض، الى جانب مؤلفاته، مسرحيات شيلر المأسوية العظيمة ومغنيات موزار.

وكان غوته نفسه يختار الممثلين والمغنين ويدربهم ويصمم المشاهد والازياء، حتى انه لعب دور البطولة في احدى مسرحياته. فهو في هذا المجال ايضاً يقدم الدليل على براعته وعبقريته. لكنه كان غضوباً ضيق الصدر ازاء المواقف المزعجة. فعندما بدأ المشاهدون يضحكون بصوت خافت في اثناء عرض مسرحية ركيكة صرخ غوته من مقعده: "سكوت!".

وتزوج غوته، وهو في السابعة والخمسين من عمره، امرأة مرحة لامبالية هي كريستيان فولبيوس التي سبق ان عاش معها ١٨ عاماً مغمورة بالدفء والراحة، وان لم تكن دائما عامرة بالاخلاص. ورزق الزوجان صبياً سمياه اوغست. لكن غوته عمر اكثر من كليهما.

واستقر غوته في دار فخمة في المدينة وهبه اياها صديقه الدوق، حيث امضى سنوات شيخوخته وسط كتبه ولوحاته الفنية ومجموعاته النباتية والحيوانية والصخرية وما جمعه من قطع نقد نادرة. وزاره في داره كبار رجال عصره، مثل بيتهوفن ونابوليون وهايني (شاعر الماني)، ليعربوا له عن تقديرهم لمواهبه.

احذية ذهنية - كان غوته ناحل العود في شبابه، ثم اصبح بديناً في اواسط عمره، لكنه عاد ناحلا من جديد في شيخوخته. وكان لبق الحركة بحيث ان مظهره النبيل، سواء افي المشي او في الوقوف والجلوس، اتاح له ان يستر قصر ساقيه، بل ان يبدو اطول قامة مما هو عليه. وكان غوته وسيم الطلعة، عريض الجبين، دقيق الانف، ذا فم حسن التكوين وعينين بنيتين واسعتين تتفتحان عن بريق غريب ونظرة ثاقبة شبهها الناس بنظرة النسر.

وعرف غوته، الى جانب ذلك، ببديهة حاضرة وحيوية نابضة وطلعة نبيلة تتناسب مع هيبته وجلاله. ولم ينفك غوته حتى النهاية عن الكتابة بيراع من ريش الأوز، مرتدياً معطفه المنزلي القطني الابيض.

والسؤال الذي يتبادر الى الذهن

هو: كيف يتسنى لرجل ان ينصرف، في وقت واحد وبجدية واندفاع، الى اهتمامات عدة مختلفة؟ لقد قال غوته ذات مرة ان بعض الناس ينتعلون احذية ذهنية تمتد سبعة فراسخ، فيتجاوزون بخطوتين اثنتين ما لا يستطيع سائر البشر تحقيقه في يوم كامل.

ولا شك في ان قوى غوته الذهنية في التركيز كانت خارقة. لكنه لم يفرط في استخدامها، بل حرص على رعاية مواهبه بحكمة واتزان. فآثر ان يتجنب صخب الحياة في المدن الكبرى وان يمد جذوره في تربة فايمار حيث تدور عجلة الحياة على نحو طبيعي اكثر هدوءاً. وفي مناخ فايمار المعتدل اتيح لنبوغ غوته ان تؤتي ثماره في مواسمها.

وقبيل الاحتفال بعيد ميلاد غوته الاخير اصطحب حفيديه الصغيرين الى كوخ على هضبة كان قد امضى فيه ليلة كاملة قبل ٥١ سنة. وهناك اشار الى قصيدة صغيرة خطها على الجدار تلك الليلة جاء فيها:

هجع السكون فوق الهضاب،
وكاد السمع الا يعي همس نسمة
في قمم الاشجار.
حتى الطيور صمتت في الغابات.
مهلا! فعما قليل تحين ساعتك
في الراحة انت ايضاً.

وفاجأت المنية غوته، على غير ما كان يتمنى، في غرفة نومه البسيطة وهو جالس في كرسيه الفخم والى جانبه اوتيلي، ارملة ابنه. كان ذلك في ٢٢ مارس (آذار) ١٨٣٢، في مستهل فصل الربيع. وقيل ان كلماته الأخيرة كانت: "مزيداً من النور!"

■ ارنست هاوزر

الصمت من ذهب

طوبى لمن لا شيء لديه يقوله، ولا يقول شيئاً.

جورج دوهاميل

المرأة والرجل

ما من امرأة تستطيع تحويل رجل احمق الى حكيم. لكن كل امرأة يمكن ان تحول رجلا حكيما الى احمق.

صحيفة "لا ارجنتينا"

قراءة

قال خادم الفندق لمجموعة صاخبة من الطلبة المجتمعين في غرفة نوم في الفندق: "لقد ارسلتني الادارة لأطلب منكم تخفيف صخبكم، لان الرجل النازل في الغرفة المجاورة يقول انه لا يستطيع القراءة".

فصاح به احد الطلبة الصاخبين: "قل له انه ينبغي ان يخجل من نفسه. فأنا، مثلا، تعلمت القراءة في الخامسة من عمري".

ر. د.

صُورة المـرآة

في مملكة العجائب كل شيء ممكن الحدوث، والغريب هو المألوف. واذا حملنا الصورة الظاهرة على هذه الصفحة قبالة مرآة، وجدنا فروقاً كبيرة بينها وبين الصورة على الصفحة المقابلة التي هي "انعكاس" لها. فهل يمكنك العثور على ٣٩ فرقاً بين الصورتين، بمساعدة المرآة، او من دونها؟ ولكن يجب ان تقتصر على الفروق الواضحة وتهمل الفروق الطفيفة الناجمة عن كون الصورتين رسمتا باليد. الاجوبة في الصفحة ١٠٠



الوقودُ الاصْطناعي
هَل حَان وقته؟

الارتفاع المتزايد في اسعار النفط في العالم، حمل الدول الصناعية على التفكير في مجموعة من الطاقات البديلة، خصوصا الطاقة النووية والوقود الاصطناعي. الا ان الاخير، على رغم أهميته لا يزال بعيد المنال نظرا الى ارتفاع كلفة انتاجه من جهة والى تردد الشركات الخاصة في الاقدام على توظيفات في هذا الحقل.

يرجع نقص النفط في الولايات المتحدة الامريكية الى انقطاع الامدادات الايرانية. وقد زاد من حدة الامر اللجوء الى ضوابط الاسعار التي وضعتها الحكومة والى التوزيع غير الحكيم لحصص النفط. وادى هذا النقص الى ارتفاع اصوات غاضبة في واشنطن تطالب بتطوير بدائل النفط والغاز الطبيعي التي تعرف باسم "الوقود الاصطناعي".

هذا كان مظهراً مألوفاً للاعراض التي تصيبنا حين نواجه موقفاً يملي علينا فعل "شيء ما". وقد كتب احد الصحافيين "ان حمى الوقود الاصطناعي امتدت الى الكونغرس حين وافق شيوخ ونواب من كلا الحزبين، الجمهوري والديموقراطي، على حاجة البلاد الى برامج عاجلة من اجل انتاجه". ومن المظاهر التي اتخذها هذا التهافت اقتراح البيت الابيض القيام بجهد حكومي واسع من اجل انشاء صناعة للوقود تتولى امرها "مؤسسة امن الطاقة".

وفي يوليو (تموز) الماضي، طلب الرئيس جيمي كارتر تخصيص ٨٨ مليار دولار لتمويل هذه المؤسسة الحكومية. ومع حلول الخريف تراجع بمطالبه الى ٢٠ مليار كمرحلة اولى. لكن مبعث القلق الحقيقي هو ان اي مشروع مماثل، ذي تكاليف تبلغ بضعة مليارات من الدولارات، لن يكون في امكانه تخفيف مشاكل امريكا.

ويشك قليلون في ان الوقود الاصطناعي - الذي يعرف بأنه السوائل والغازات المصنعة، بدءاً من الفحم وزيت الطفال والرمال القطرانية وبعض منتجات الزراعة والغابات - يمكنه اداء دور خطير في مستقبلنا في مجال الطاقة. ولن يحول اي تقدم وشيك في مجال الطاقة النووية (التي تولد الكهرباء) او الشمسية او غيرها من مصادر الطاقة دون زيادة حاجة اقتصاد امريكا المتطور الى كميات ضخمة من الوقود السائل او الغازي من اجل تصنيع المواد الكيميائية واللدائن وتشغيل محركات السيارات والطائرات، والى الميثان العالي الجودة للاستخدام الصناعي المتخصص.

والمواد الخام التي يمكن استخدامها لانتاج الوقود الاصطناعي ذات وفرة مذهلة، وان طرح تصنيعها مشاكل بيئية جمة. وتعادل احتياطات الولايات المتحدة من الفحم الذي يمكن استخراجه ثلاثة آلاف مليون برميل من النفط على الاقل (★). ويبلغ الاحتياطي الامريكي من زيت الطفال بين ٦٠٠ مليون برميل والف مليار برميل اخرى. ويمكن ان تعطي الرمال القطرانية مليارات عدة من براميل النفط الاصطناعي. كما يشكل الوقود الكحولي المستخرج من المحاصيل والاخشاب والنفايات مصدراً مهماً ممكناً من مصادر الوقود.

وعلى رغم وجود هذا الاحتياط كله من المواد الخام، فان عملية انتاج الوقود الاصطناعي لا تزال بطيئة. اما اليوم، وواشنطن تتأهب لانتاج الوقود الاصطناعي، فقد بدأ الخبراء يغدقون علينا اكواماً من كتاباتهم حول هذا الوقود، ومعظمها متناقض ومحير. وهذه بعض الاسئلة الاساسية حول الوقود الاصطناعي التي تنبغي الاجابة عنها لجلاء هذا الغموض.

١. منذ سنوات نسمع التحذيرات حول "ازمة الطاقة". فلماذا لم نبدأ منذ ذلك الحين انتاج الوقود الاصطناعي؟

هناك سبب واحد، لكنه مفحم: الكلفة. فعلى رغم ان التكنولوجيا اللازمة لانتاج الوقود الاصطناعي اخذت في التطور منذ نحو ثلاثة قرون، الا ان الوقود الاصطناعي لم يثبت الا نادراً انه مجد اقتصادياً. وفي خمسينات القرن الماضي، على سبيل المثال، كانت ٥٣ شركة امريكية تنتج النفط من صخور الطفال. ولكن بعد حفر اول بئر نفطية عام١٨٩٥ قرب تيتوسفيل في ولاية بنسلفانيا، تمكن النفط الرخيص الوفير من اخراج زيت الطفال من سوق الاعمال. وحتى سعر النفط المرتفع اليوم لايزال ادنى من معظم التقديرات لاسعار الوقود الاصطناعي. ذلك لان التقديرات بالنسبة الى الوقود السائل المستخلص من الفحم هي الآن نحو ٤٠ دولاراً للبرميل.

وتبلغ تجهيزات صناعة الوقود الاصطناعي المقدرة لامريكا حجماً مذهلا. ويحجم المستثمرون - وهم على حق - عن استثمار رؤوس اموالهم في انتاج وقود لا يمكن ان يباع الا اذا اكرهت الحكومة الناس على شرائه او اذا اغرتهم عليه بمعونتها. ويبدو الـ"بنزوهول" - المكون من ٩٠ في المئة من البنزين

(★) تستهلك الولايات المتحدة١٩ مليون برميل من النفط يومياً، وتنتج قرابة ٨،٥ ملايين برميل. اما انتاج العالم الحر من النفط فيبلغ قرابة ٥٠ مليون برميل يومياً.

A century ago the average housewife worked 16 hours a day, 365 days a year.

Today she gets the job done twice as well in half the time. But we still don't think that's good enough. So what are we doing about it? Lots!

Laundry products: ACE, ARIEL, BIZ, BOLD, BONUS, BOUNCE, CHEER, DASH, DAZ, DON MAXIMO, DOWNY, DREFT, DUZ, FAIRY SNOW, GAIN, IVORY FLAKES, OXYDOL, LAVA, LENOR, SALVO, TIDE. Household cleaners and cleansers: COMET, FLASH, MR. CLEAN, SPIC & SPAN, TOP JOB. Bar soaps: CAMAY, FAIRY, IVORY,



LAVA, MONSAVON, SAFEGUARD, ZEST. Dishwashing products: CASCADE, JOY, MOTIV. Toiletries: CREST, DRENE GLEEM, HEAD & SHOULDERS, PRELL. Food products: CRISCO, DUNCAN HINES, FOLGER'S, PRINGLE'S. Paper products: BOUNTY, CHARMIN, PAMPERS, PUFFS, WHITE CLOUD. Catamenial products: RELY.

Procter & Gamble

الخالي من الرصاص و١٠ في المئة من خليط كحولي - الذي يباع اليوم في ٢٨ ولاية، ذا سعر منافس. لكن هذا، في ظل اسعار النفط الحالية، وهم اقتصادي. فالبنزوهول المصنوع من مواد متجددة تدعمهاالحكومة باعفائه من الضريبة الفيديرالية التي تبلغ اربعة سنتات للغالون. (يساوي الغالون نحو اربعة ليترات ونصف ليتر). وقد منحته بضع ولايات اعفاءات ضريبية تصل الى عشرة سنتات للغالون.

٤ . اليس الحديث عن سعر منافس ازاء سعر النفط كلاماً في غير محله؟ الا يوشك النفط على النفاد من العالم؟

ان ارتفاع اسعار النفط يعكس حقيقة كون العالم يستخدم امداداته من النفط "السهل الاستخراج". لكن الاسعار ستكون كذلك اكثر ارتفاعاً اذا كنا مقبلين على نفاد هذا النفط. ولكي نتأكد من هذه الحقيقة، فلنذكر ان الحظر النفطي العربي عام ١٩٧٣ عجّل حدوث زيادة حادة في كلفة النفط، وإن خلق حافزاً لم يسبق له مثيل على البحث عن النفط الذي كانت كلفته حتى الآن غير اقتصادية.

وقد جرت اكثر من ٩٥ في المئة من اعمال التنقيب عن النفط خلال العام ١٩٧٥ في جزء صغير نسبياً من العالم الغربي. وتحفر مثاقيب الاستكشاف اليوم آباراً في مناطق شاسعة ومبشرة بالخير. وقد كانت لدى المكسيك عام ١٩٧٣ احتياطات نفطية، ثابتة ومحتملة، تبلغ خمسة مليارات برميل. واوضح المزيد من اعمال التنقيب زيادة تلك الاحتياطات الى ٤٠ مليار برميل.

ولنذكر ايضاً انه تم حفر ٣،٢ ملايين بئر خلال السنوات المئة والعشرين التي تلت اكتشاف اول بئر نفطية، لكن وسائل الاستخراج التقليدية ابقت اكثر من نصف كمية النفط التي تحتوي عليها تلك الآبار في مكانها. ويمكن الحصول على هذا النفط اليوم، ويتم الحصول عليه بالفعل احياناً عن طريق اساليب استخراج جديدة، وان تكن اكثر كلفة من الوسائل التقليدية، مثل الحقن الحراري او المركبات الكيميائية التي تدفع النفط الى السطح. ولكن سيظل النفط المستخرج بهذه الطرق ارخص، طوال سنوات، من منتجات المصانع الضخمة اللازمة لاستخراج الوقود الاصطناعي.

٣ . ولكن ماذا عن الامن القومي؟ الا تكفل قدرتنا على انتاج الوقود الاصطناعي حمايتنا من انقطاع الامدادات النفطية كما حصل لدى انقطاع النفط الايراني؟

ان مسألة الامن القومي، من حيث ارتباطه بالوقود الاصطناعي، عولجت بطريقة مضللة وغير مسؤولة. فاخطر تهديد يواجه الغرب هو التغلغل السوفييتي في منطقة الخليج العربي التي تحتوي على اكثر من الف مليار برميل من النفط والغاز اللذين لا يزالان قليلي الكلفة ويسهل الوصول اليهما. واذا تمكن الاتحاد السوفييتي من السيطرة، وان على جزء من هذه المنطقة، فسيكون ذلك تهديداً خطراً لامن الولايات المتحدة وسيؤدي الى اخضاع اليابان واوروبا الغربية للاتحاد السوفييتي، ويغير ميزان القوى العالمية لمصلحته. لكن هذه المشكلة خاصة بالامن القومي، وهي تعالج على المستويين السياسي والعسكري وليس على مستوى وزارة الطاقة.

ويظل اهم تهديد يمكن ان يواجه الولايات المتحدة حدوث انقطاع في امدادات النفط ـ وان لفترة قصيرة ـ عقب اضطراب سياسي مفاجيء او كارثة طبيعية كبرى في منطقة رئيسية منتجة للنفط. وبما اننا نستورد النفط، ولاننا ملزمون، وفقاً لتعهدات تنظمها معاهدات، بأن نقتسم مع حلفائنا الكميات المتوافرة، فان حدوث مثل هذا الانقطاع هو الذي سيؤثر بقوة على امداداتنا النفطية، وليس كمية الوقود الاصطناعي الذي ننتجه. لكن الطريقة الاقتصادية الاكثر رشداً لتخفيف الآثار المحتملة لهذا الانقطاع هي اقامة احتياط استراتيجي من النفط الخام. ويمكن، بتنسيق مشروع دولي لتخزين ملياري برميل، تغطية خسارة انتاج تبلغ ستة ملايين برميل يومياً لمدة عام، او ما يساوي خسارة العالم من خفض الانتاج الايراني في ثلاث سنوات.

٤. لن يساعد التحول الى الوقود الاصطناعي ـ اذا قصرنا مصروفنا في مجال الوقود على مزارعينا وعمال مناجم الفحم لدينا ـ على تقوية الدولار؟

ان الولايات المتحدة ترتبط بسوق التجارة العالمية على نحو شديد التعقيد. واذا اعتمدنا سياسة ندفع بمقتضاها ٤٠ دولاراً لكل برميل من الوقود المصنع لدينا بدلا من ٣٢ دولاراً للنفط العالمي، فسنطرح انفسنا خارج اسواق نعاني الآن صعوبة في البقاء ضمنها. وسوف تنعكس الكلفة العالية للمشروع الذي ترعاه الحكومة من اجل انتاج الوقود الاصطناعي على كل مجالات الصناعة والاعمال في الولايات المتحدة، جاعلة السيارات اكثر غلاء، ورافعة ثمن الآلات الزراعية وكلفة تشغيلها. وسوف يكون انتاجنا شديد الغلاء عند التصدير، من غير ان يصمد لمنافسة الصناعات الاجنبية المعتمدة على طاقة ادنى ثمناً. فاذا تجاهلنا سوائل الوقود الرخيصة والمتوافرة من اجل "شق طريقنا الخاص"، فسوف نجد انفسنا على طريق التدهور الاقتصادي.

٥. سوف نحتاج الى الوقود الاصطناعي يوماً ما. فاذا لم تشق الحكومة الطريق لذلك، فكيف يمكننا التأكد من قدرتنا على انتاج الوقود الاصطناعي حين نحتاج اليه؟

ان الكلفة الهائلة لانتاج الوقود الاصطناعي لن تثني الشركات الخاصة عن الاستثمار اذا هي استطاعت انتاج سلعة ذات ثمن تنافسي. وحين كانت هناك فائدة يمكن جنيها، مول القطاع الخاص مشروعات ذات اهمية كبرى، منها خط انابيب الاسكا، الذي ساهمت شركات نفطية عدة في انشائه بمبلغ ٤،٨ مليارات دولار. وتجازف شركات النفط سنوياً بمليارات الدولارات في عقود التنقيب والتجهيزات الخاصة بحفر آبار جديدة.

غير ان الشركات لاتزال، في هذه المرحلة المبكرة، تتجنب الاستثمارات الباهظة التي يتطلبها الوقود الاصطناعي. وعلى رغم ان الكونغرس يبدو راغباً في منح الاعلانات والضمانات ضد الخسارة، من خلال تحمسه لتنشيط انتاج الوقود الاصطناعي، فان الخبراء يخشون وهم محقون ـ ان تؤدي اعانات

الحكومة الى الاقتصار على التكنولوجيا القديمة لانتاج تجهيزات ومنشآت ضخمة.

ثلاثة حلول — تمكن خدمة امننا الاقتصادي البعيد المدى وخدمة مصالحنا في مجال الطاقة على نحو افضل اذا تناسينا المشروعات الاستعراضية لاقامة صناعة وقود تبلغ حجم مشروع "ابولو"، واعتمدنا، عوضاً عن ذلك، الحلول العملية المتوافرة. فالوقود الذي يمكن انقاذه عن طريق الصون، على سبيل المثال، يشكل مصدراً مهماً و"جديداً" للطاقة.

اولا، يجب ان يدفع الامريكيون السعر العالمي للنفط كاملا، وخصوصاً سعر البنزين، لان نظامنا الحالي الخاص بضوابط الاسعار لا يشجع على الصون. وفي السنوات الخمس من ١٩٧٣ الى ١٩٧٨، قلّل صون النفط الناتج من ارتفاع الاسعار من استهلاك الطاقة في الغرب المصنع بمقدار مذهل يبلغ خمسة ملايين ونصف مليون برميل يومياً. وسيتزايد انقاذ مثل هذه المقادير حين تتم الاستعاضة عن المنازل القديمة والسيارات والمنشآت الصناعية بمنازل وسيارات ومنشآت جديدة واكثر كفاية.

وتظهر الدراسات الحديثة ان صون الطاقة يمكن ان ينقذ قرابة نصف الطاقة التي نستعملها الآن، اذا صرف عليه جزء زهيد من كلفة برنامج الرئيس كارتر للوقود الاصطناعي. وفضلا عن ذلك، يقدر بعض الخبراء ان التكنولوجيا الشمسية يمكن ان تمد منازلنا ومنشآتنا الصناعية بالاحتياطات الكبرى في مجال الطاقة من الان وحتى حلول العام ٢٠٠٠.

ثانياً، يجب ان نسلم بوجود طرق متعددة لاستخدام اكثرمصادر الوقود وفرة لدينا، وهو الفحم، الارخص الى حد بعيد من منشآت التسييل التي تكلف مليارات عدة من الدولارات. وتبيع شركات كثيرة اليوم مخلفات الغاز على نطاق صغير يمكن ان يسمح لمختلف المصانع بأن تنتج وقودها الاصطناعي لاستعمالها الخاص.

ثالثاً، ينبغي ان ندرك ان افضل الاحتمالات، في الاجل القصير، للحصول على وقود سائل معتدل السعر لا تكمن في الوقود الاصطناعي المستخلص من الفحم في مناجم جبال الابالاش او صخور الطفال، في ولاية كولورادو، لكنها تكمن في الرمال القطرانية السهلة الاستغلال في كندا والاحتياطات الهائلة من النفط الثقيل في فنزويلا والولايات المتحدة والنفط الذي يجب التنقيب عنه في مناطق اخرى من العالم. ويجري حالياً انتاج هذه الموارد بسرعة كبيرة مع بدء اقامة المنشآت الكندية الخاصة بالرمال القطرانية.

وربما كان هناك فعلا منطق مقنع لاجراء بحوث تمولها الحكومة في مجال الوقود الاصطناعي. ولكن ينبغي السماح للسوق بأن تحدد متى يحين وقت انتاج الوقود الاصطناعي على نطاقه الواسع. وهذا الوقت لم يحن بعد.

■ **ديفيد ستوكمان**

الكاتب نائب امريكي وعضو في اللجنة الفرعية في الكونغرس الخاصة بشؤون الوقود والطاقة. وهو صاحب شهرة واسعة كاختصاصي مؤثر في مسائل الطاقة.

مِن قاموس الحكمة اليومية

منذ نشر كتابه الساخر "القواعد الرسمية" عام ١٩٧٨، انهالت على بول ديكسون مئات الرسائل من القراء، التي زودته بمادة غنية لكتاب آخر في الموضوع يصدر خلال هذا الصيف. وهنا مختارات من الكتاب الجديد.

الصورة والواقع – اذا كان مظهرك في الواقع يشبه الصورة التي على جواز سفرك، فليست لديك الجدارة الكافية للسفر.

السير فيفيان فاكس

العلاج بالتضخم – السر العجيب للشفاء العاجل هو التضخم المالي.

ممرضة مجهولة

الوجه المستعار – اذا رأيت رجلا يحمل لوحاً لتثبيت الاوراق وعلى وجهه امارات رصينة، فالغالب أنه يحاول فعل شيء حقير.

و.ف.

واحدة تكفي – انك لا تستمد اي عبرة من رفس الثور لك مرة ثانية.

مجهول

منطق الرجال – حين يصف رجل لعبة معينة بأنها "لعبة أولاد تافهة"، فالمرجح ان زوجته يمكن ان تتغلب عليه فيها.

د.ا.

فلسفة العمل – لا تحاول ان تكون في وظيفتك ذلك الشخص الذي لا يستغنى عنه، لأنك عندئذ لن تحصل على ترقية.

ا.م.ر.

الاقوال والافعال ـ بعد كل ما يقال وما يفعل، يبدو ان ما يقال يفوق كثيراً ما يفعل.

ك.ا.

اعتذار الازواج ـ في أي وقت يعتذر أحد الزوجين للآخر، هناك جواب واحد: "لقد تأخرت كثيراً".

د.ب.

اليد والجيب ـ اذا خلعت القفاز من يدك اليمنى في طقس شديد البرد، فسيكون المفتاح في جيبك اليسرى.

م.ك.

توظيف المال ـ اياك ان توظف مالك في شيء يأكل او يحتاج الى اعادة دهان.

ب.ر.

التوفير المحدود ـ سيكون لديك المبلغ نفسه من المال في نهاية كل شهر، بغض النظر عن أي زيادة في الراتب او علاوة او كسب غير مرتقب حصل خلال الشهر.

س.ل.

التوافه والعظائم ـ مهما يكن الامر تافهاً، ففي الامكان دائماً تحويله الى قضية كبيرة.

ر.ت.

في غياب المسؤولية ـ من السهل اتخاذ قرارات حول القضايا التي لا تقع ضمن نطاق مسؤوليتك.

ا.م.ر.

من الضائع؟ ـ تضيع الاشياء لأن أصحابها يبحثون عنها حيث لا توجد، وليس حيث هي موجودة.

هنري ميلر

كيف تأخذ قطاراً؟ ـ الطريقة الوحيدة لأخذ القطار هي ان يفوتك القطار السابق.

ج.ك. تشسترتون

برهان سلبي ـ اذا اتبعت قانوناً ما ونجح منذ المرة الاولى، فهذا دليل على أنك اقترفت خطأ.

ب.هـ.ج.

الناس أذواق ـ مهما برعت في انجاز عمل ما، فستجد من لا يحبه.

ر.ت.

النوم المريح ـ كلما قلت معرفة الناس بأسرار صنع المآكل والقوانين، كانوا أدعى الى نوم الليل.

اوتوفون بسمارك

القانون المعكوس ـ سبب الازدحام هو التأخر، وسبب التأخر هو الازدحام.

ل.ل.

وداعاً للموت ـ الموت مسألة مملة وموحشة. ونصيحتي لكم هي ان تقطعوا علاقتكم به كلياً.

سومرسيت موم

توزيع الفقر ـ مبدأ توزيع الثروة يعني توزيع الفقر بالتساوي بين الناس.

ج.غ.

عمرها من عمر الأرض

قد تزول البشرية، لكن ديدان الارض تبقى. فهي أكثر التصاقاً بالتربة

سماها ارسطو "امعاء الارض"، واطلق عليها جدي اسم "طعم السمك". وكان القصد من كلا الاسمين تلك الكائنات التي يعرفها العامة باسم "دودة الارض" ويسمونها احياناً "دودة الارض الحقيرة". واسمها العلمي هو "الخراطينية".

قد يكون لصفة الحقارة هذه مدلولها من حيث المقام الجغرافي، على اعتبار أن هذه الديدان تعيش في طبقة سفلى من الارض التي نحيا فوقها، وان تكن هي تفوق البشر عدداً بآلاف الملايين. أما من الناحية النوعية فهناك أدلة كثيرة على أن لتلك الديدان أهمية في الوظائف الحياتية على كوكبنا تفوق أهمية البشر.

والواقع أن الجنس البشري اذا ما انقرض يوماً فلن يكون لذلك تأثير كبير على مصير بقية الكائنات الحية. ولكن اذا انقرضت ديدان الارض فربما ترتبت على ذلك اضطرابات خطيرة في معظم الانظمة الحياتية يتعين معها اجراء عمليات تكيف معقدة. غير ان لا داعي الى القلق في الوقت الحاضر، فقد زحفت تلك الديدان على الارض قبل ان يظهر البشر، وأغلب الظن أنها سوف تبقى بعد زوالهم، فهي أكثر التصاقاً بالتربة منهم.

وهناك ٢٢٠ فصيلة من ديدان الارض تشمل الديدان الحمر والديدان الخضر وديدان الروث وديدان الطين والديدان النتنة والديدان العملاقة (وهي ديدان اوسترالية يصل طول الواحدة منها الى ثلاثة امتار)،اضافة الى اصناف كثيرة لم تصادفها الا قلة منا، بل نحن لا نحفل بمصادفتها. غير ان هناك نوعاً من الديدان نصادفه بانتظام ونعرفه باسم "الدودة" او حتى بلقب "ملك الديدان". والاسم العلمي لهذه

الديدان هو "الخراطينيات الارضية". انها تلك الزاحفات الليلية التي تشكل الطعم التقليدي المستعمل في صيد السمك.

ان هذه الدودة هي اشبه بأنبوب مركب من نحو ١٥٠ جزءاً دائرياً، في مقدمه رأس يضم نحو ٣٦ جزءاً منها تحتوي على الفم والحوصلة والقانصة (المعدة) وعلى بضعة قلوب ودماغ لا بأس فيه بالنسبة الى مخلوق بدائي كهذا. وقد اظهرت التجارب ان هذه الدودة تستطيع ان تتعلم عدداً من المسائل وتذكرها.

اما الاجزاء المئة، او نحوها، الاخيرة فمعظمها يضم الامعاء. وهي تنمو من جديد في حال فقدها او تلفها. ويتسنى لهذه الدودة أيضاً ان تستعيض عن الاجزاء العشرة الاولى، في حال فقدها، بأجزاء جديدة. لذلك فعلى من تتملكه نزعة الاجهاز على هذه الديدان أن يستهدف مساحة تمتد بين الجزئين الحادي عشر والسادس والثلاثين.

طبق "شهي" ــ تعد ديدان الارض من الخنثويات. فلكل منها جهازان تناسليان، أحدهما ذكري والآخر انثوي. ومع ذلك فان عملية التلقيح تتم بين دودتين تتضامان على نحو وثيق ورأس الواحدة منهما في اتجاه معاكس لرأس الاخرى. واذ ذاك تنقل كل منهما الحيوانات المنوية الى الاخرى. فتنطلق مادة مخاطية من حلقة بيضاء بارزة لدى الديدان البالغة، وتحيط بالحيوانات المنوية والبييضات المحفوظة في جيوب سطحية في جسم الدودة لتتصلب في ما بعد وتصبح شرنقة كروية صغيرة.

ومن المحتمل ان تستمر الدودتان في وضع الجماع هذا طوال ساعات، ولكن ما ان تنفصلا وتعود كل منهما الى نفقها حتى تبدأ الشرنقة بالتشقق. واذا كانت درجة الحرارة ونسبة الرطوبة ملائمتين، تخرج دويدة في غضون شهر بعد ان تفتت الجراثيم الموجودة في التربة غلاف الشرنقة. واما اذا كانت العوامل الجوية غير ملائمة فقد يتأخر التفقيس مدة سنة او اكثر.

وعلى رغم غرابة هذه العمليات التناسلية الا انها تبدو ملائمة تماماً للديدان. ففي جو معتدل الرطوبة يمكنك ان تعثر في هكتار واحد من الارض، في المناطق ذات المناخ المعتدل، على ما يقارب المليونين ونصف مليون من هذه الديدان. وقد لاحظ أحد المهتمين بهذا الموضوع، في احدى مزارع تربية الحيوانات في امريكا، أن التربة هناك تحتوي على نحو ٨،٣٧ ملايين دودة في كل هكتار.

ولهذه الديدان مشاكلها كغيرها من المخلوقات، مع أنها قد تعمر نحو ثماني سنوات. وهي من الكائنات التي يطيب أكلها بشهادة أشخاص عديدين، كما انها غنية بالبروتيين. وعلى رغم أن حيوانات كثيرة تتلذذ بأكل هذه الديدان، الا أن قلة منها تفعل ذلك بانتظام. وقد يخيل الينا ان عصافير "ابي الحناء" الصغيرة وغيرها من الطيور القارتة (التي تقتات بالمواد الحيوانية والنباتية معاً) تقبل على اصطياد هذه الديدان. لكن تلك العصافير تكتفي، في الواقع، بنقر سطح التربة من دون ان

تصل الى العمق الذي تسكنه الديدان.

ورداءة الطقس بالنسبة الى الديدان أشد خطراً عليها من تعرضها لافتراس المخلوقات الاخرى. أما الماء، الذي يشكل ٨٥ في المئة من وزن الدودة، فهو عامل حاسم في حياتها. وهي تمتص الرطوبة بواسطة جلدها المسامي.

ولكي تحافظ الدودة على وظائفها الحيوية فلا بد لها من ان تحيا في التربة الرطبة. أما اذا وجدت في مكان جاف مرتفع الحرارة فانها تتعرض للتبخر، بكل ما في هذه الكلمة من معنى. ومن جهة أخرى فان نسبة الماء الزائدة على اللزوم تسبب للدودة متاعب جمة، فهي تحتاج الى الاوكسيجين الذي تمتصه بواسطة جلدها ايضاً. وتعتبر الفيضانات (التي في حجم الدودة على الاقل) من الكوارث الطبيعية المألوفة بالنسبة الى الديدان.

وتعيش ديدان الارض عادة في مجال حراري ضيق نسبياً يراوح بين ٤،٥ درجات مئوية و١٥،٥ درجة. وهي تتعرض للجفاف في حال تجاوز هذه الحرارة وللتجمد في حال انخفاضها. ولذلك فان النفق هو بناء لا غنى عنه للدودة، فمن دونه تصبح حياتها قاسية الظروف وقصيرة الامد.

وفي داخل النفق تتنقل الدودة صعوداً أو هبوطاً تبعاً لتقلبات الحرارة والرطوبة في جوف التربة. وقد تخرج الى السطح في الليالي الباردة الجميلة او خلال الفترات الرطبة، ثم تعود الى نفقها عندما تسوء الاحوال الجوية. وفي حال الضرورة يمكنها البقاء حية ومستكنة مدة أربعة أشهر او خمسة داخل نفقها الذي ربما امتد مترين.

محراث الطبيعة – تبدأ ديدان الارض شق انفاقها منذ ولادتها، وتوسعها تدريجياً، تتلوى الى اسفل عبر الشقوق وتزيل التراب عن طريق ابتلاعه وافراغه في ما بعد، كبراز، عند سطح التربة. وفي الامكان ملاحظة تلك الاكوام الصغيرة في اي حقل تعيش الديدان تحت سطحه. والحقيقة ان الدودة لا تحيا على اكل التراب، فباستثناء كميات دقيقة من المعادن الغذائية تبتلع التراب لتأمين الحبيبات اللازمة لسحق الطعام العضوي داخل قانصتها. وحيث ان ديدان الارض هي من الجحريات البطيئة الحركة والضعيفة نسبياً فهي لا تستطيع شق نفق جديد اذا تضرر النفق القديم او انهار او اذا هي ارغمت على مغادرته. لذلك فان الدودة الناجحة هي تلك التي تقضي حياتها في النفق نفسه، سواء أفعلت ذلك بكامل جسمها او بقسم منه.

ودودة الارض لا تغادر نفقها كلياً بمحض اختيارها، لكنها تقضي فترة وهي تطل اطلالة جزئية خارج النفق وقد تشبث ذيلها بحفافي النفق تشبث الوتد المغروس في الارض. وتشرع، وهي متمددة على هذا النحو، في التقاط ما تصادفه من طعام كالعشب واوراق الشجر وما شابهها من المواد العضوية، وذلك بواسطة أجزاء فمها العضلية. وتعتبر دودة الارض قوية جداً بالنسبة الى حجمها، فهي تستطيع ان تحمل اجساماً لها اضعاف وزنها.

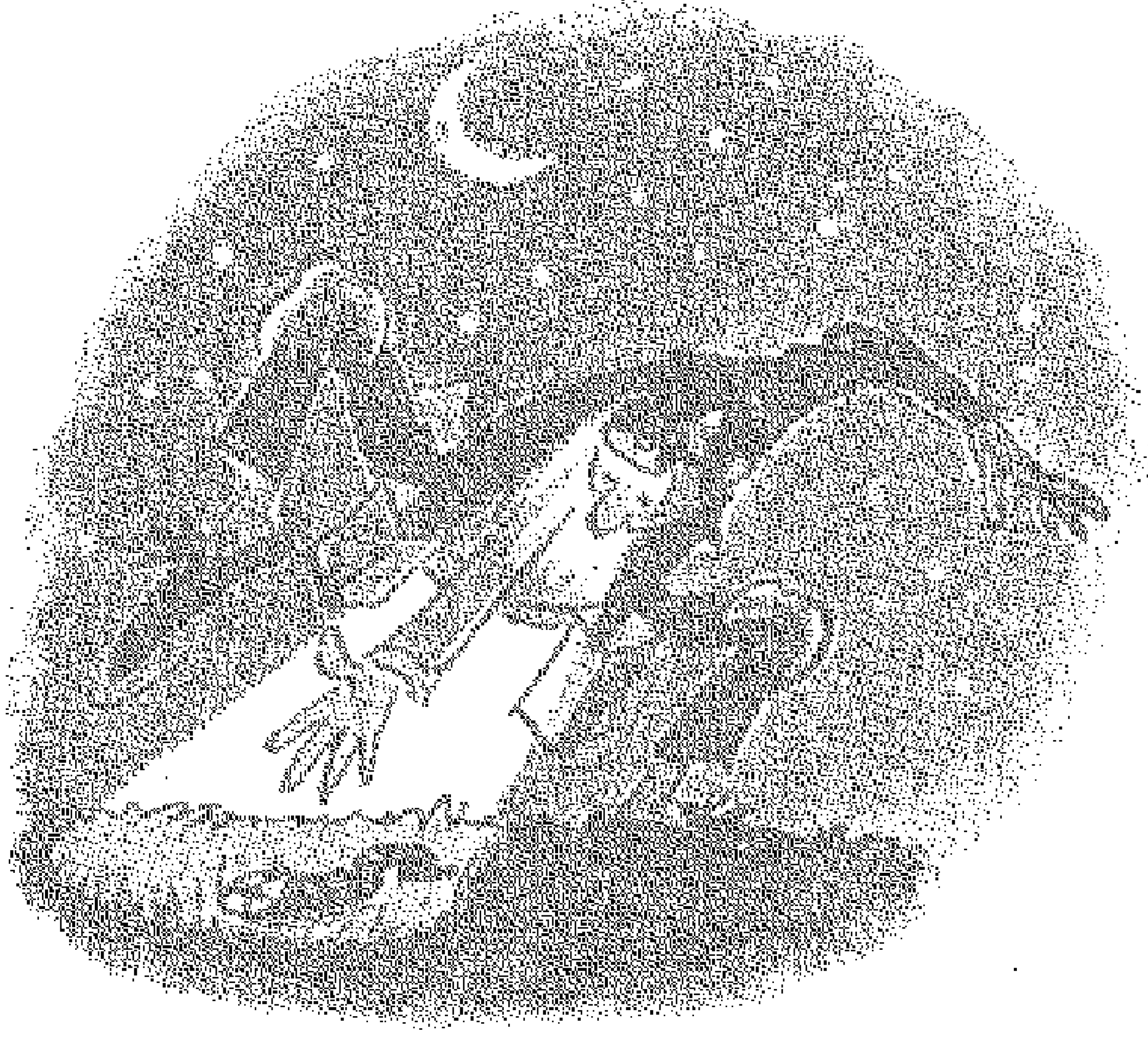
ان كثيراً من اصوات الحفيف والاحتكاك التي تسمع على الارض

المعشوشبة في الليالي الصيفية الهادئة تصدر عن تلك الديدان المنهمكة في نقل حمولات ثقيلة من الطعام من سطح التربة الى داخل انفاقها.

وهكذا فان ديدان الارض، في سعيها وراء مصالحها الخاصة، تلعب دور محراث الطبيعة وموزع السماد في التربة. ولدى تداعي انفاقها تتحول هذه الى اخاديد لتهوئة الارض وتساعد على تصريف المياه المتجمعة على سطحها. أما المواد العضوية التي تلتهمها الديدان او تجرها الى داخل انفاقها فتتحول سماداً على نحو أسرع وأكمل مما لو بقيت على سطح التربة. فهذه المواد تختلط، داخل الدودة، بحبيبات التراب الغنية بالمعادن لتعاد الى سطح التربة، بعد عملية المزج البارعة هذه، على شكل اكوام صغيرة لها دورها المهم في اخصاب سطح الارض. ويراوح وزن هذه الاكوام التي تنتجها الديدان كل سنة بين خمسين طناً ومئة طن للهكتار الواحد.

وعلى رغم اهمية الدور الذي تمثله هذه الديدان في المحافظة على البيئة فنحن لا نرى فيها سوى ذلك الطعم الامثل المدلى على طرف الصنارة. وعلى نقيض الديدان الحمر التي تربى في المزارع فان ديدان الارض الاصيلة لا تتكاثر بانتظام في حال تربيتها فيأحواض خاصة على غرار الديدان الحمر، ومن الافضل التقاطها في بيئتها الطبيعية.

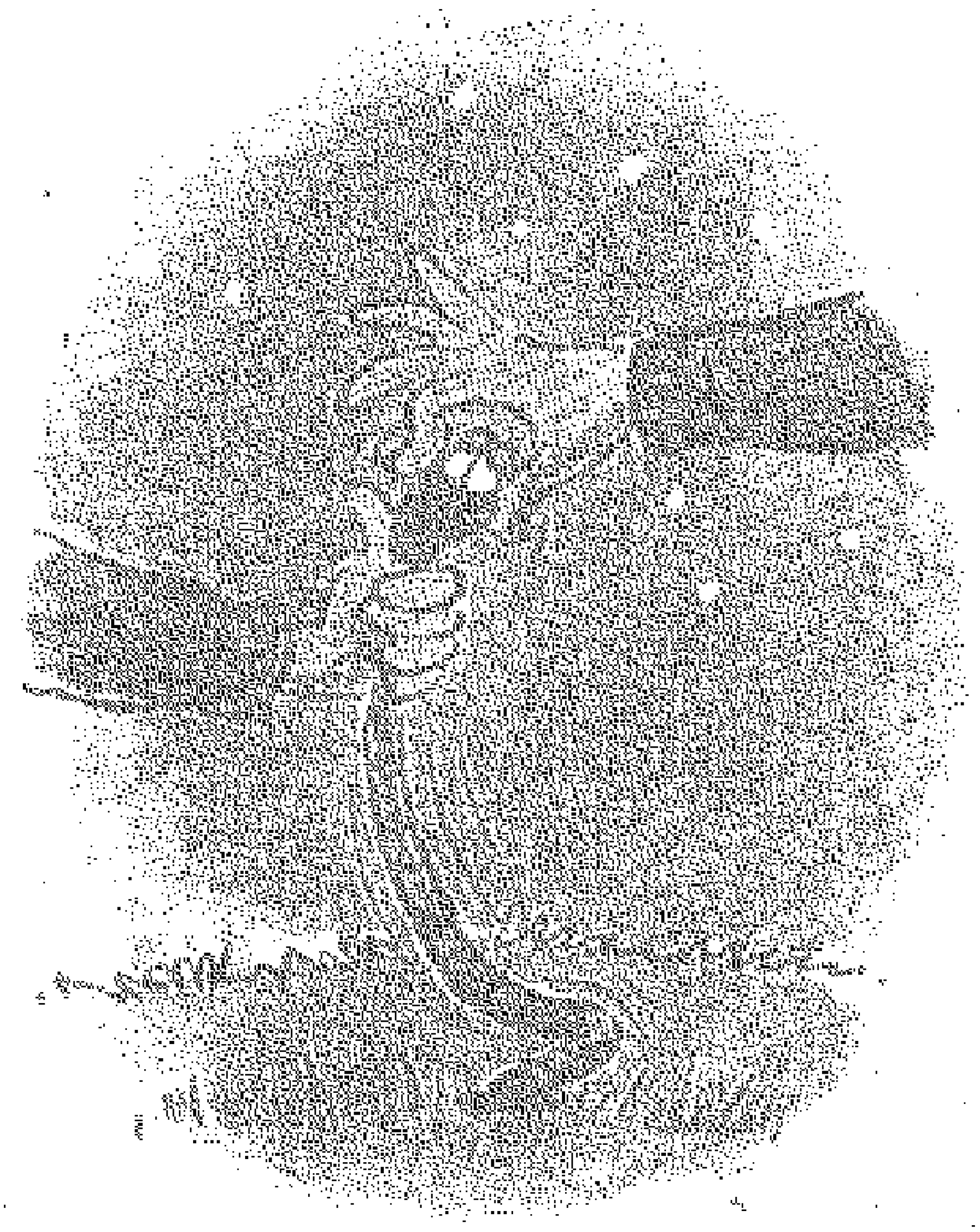
مشية الفيل – يعتبر راي ادواردز، واضع "دليل ديدان الارض"، ابرع صياد لهذه الديدان في امريكا. فهو يصطاد نحو نصف مليون دودة سنوياً في منطقة متنزه مايبل في ولاية ايلينوي الامريكية بمساعدة بعض تلاميذ المدارس الثانوية الذين يشرف على تدريبهم. وهو يحفظ الديدان في صناديق مبردة في بيته او يبيعها فور التقاطها. لكن معظمها يذهب الى آلات البيع التي ابتكرها ادواردز لتصريف الديدان ووزعها على عدد من المواقعالتي يقصدها صيادو السمك في شمال الولاية.



وقد رافقت ادواردز أخيراً في رحلة لصيد الديدان في احد حقول الغولف بعد حلول الظلام. وربما بدا صيد الديدان سهلا بالنسبة الى اولئك الذين امكنهم التقاط بعض الديدان الخاملة او المريضة من جانب الطريق. لكن الامر ليس كذلك في الواقع، فديدان الارض مخلوقات في غاية اليقظة، الى جانب ملمسها المنزلق.

وشرح لي اذواردز عملية صيد الديدان خطوة خطوة. ولعل اهمها هي الحركة الاولى التي سماها هو "مشية

الفيل"، اذ اتخذ وضعاً اقرب الى القرفصاء مبعداً ما بين ركبتيه، وبدأ



يزحف ويدير رأسه وكتفيه من جانب الى آخر بطريقة أوحت الي بمشية فيل لا خرطوم له.

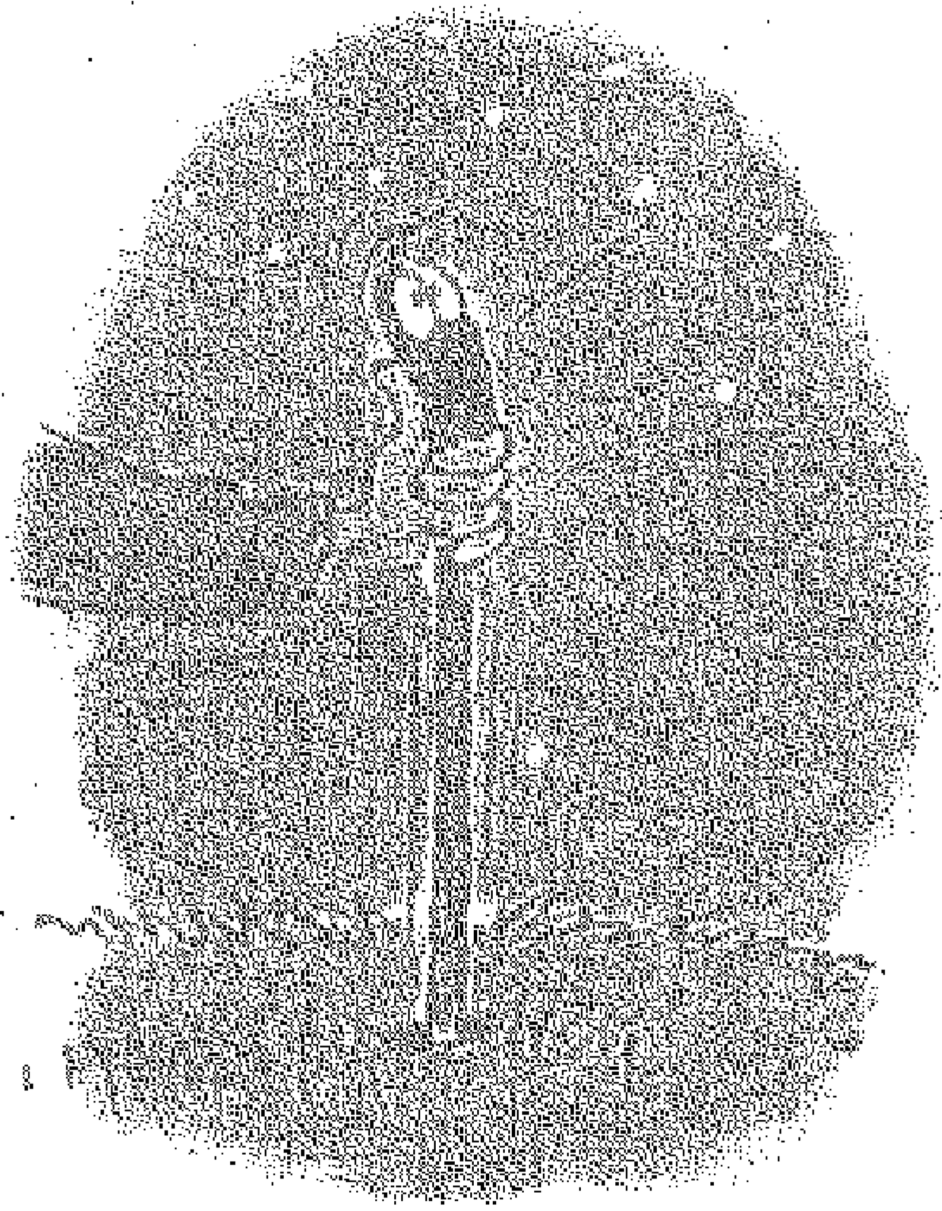
وبينما كان ادواردز يدب على هذا النحو لمح الديدان على جانبيه، فشرع بالتقاطها باحدى يديه وهو يوازن جسمه باليد الاخرى.

ان مشية الفيل تساعد الصياد على توزيع وزنه للتقليل من الذبذبات الصادرة عنه، وتتيح له الوصول الى اقصى عدد ممكن من الديدان بأدنى مقدار من الحركة.

اما الامساك بالدودة فيجب ان يتم بمنتهى الخفة والسرعة، فتكون اليد مفتوحة والابهام ممتداً الى اعلى (كأنك تومىء الى سيارة بالتوقف). ثم تغلق يدك حول الدودة بحيث يمتد جزء من رأسها الى ما فوق الابهام والسبابة، وتضغط على اكبر جزء ممكن من جسمها بين راحة يدك وبقية أصابعها.

وأخيراً تأتي عملية السحب الذي يجب ان يتم عمودياً برفق وثبات، علماً بأن الدودة تكون متشبثة بالنفق بذيلها كالثور العنيد. والصياد الماهر هو الذي يواصل الشد بصبر مثلما يعنى الصياد بسحب السمكة العالقة بالصنارة وهي تقاوم بضراوة. ذلك لأن الوقت ليس في مصلحة الدودة، اذ سرعان ما ينال التعب منها وتصبح كلها ملكاً لك. ويضطر الصياد أحياناً، اذا استعصى عليه سحب الدودة، ان يضغط قليلا على رأسها بيده الاخرى فترتخي قبضة ذيلها على جدار النفق، ربما ظناً منها ان رأسها دخل ملجأ آمناً.

وقد لخص ادواردز عملية التقاط الديدان بقوله انها اشبه برحلة قنص يتملكك فيها شعور جارف بوجوب الحصول على أكبر الطرائد. ولما



سألته عن أكبر دودة اصطادها أجابني:"منذ بضع سنوات صادفت دودة بلغت من الضخامة حداً لا يتصوره العقل. وبقيت ممسكاً بها الى

ان سحبتها • وكانت بطول ساعدي من المرفق الى اطراف الاصابع وبعرض ابهامي• وبما انها كانت اكبر دودة رأيتها فقد قررت استخدامها طعماً لاصطياد اكبر سمكة ممكنة" •

– وماذا حدث ؟

"اصطدمت بها سمكة نهرية لم يتجاوز وزنها ٢٫٧ كيلوغراماً فشعرت حينئذ بخيبة عظيمة".

– ربما كان أحرى بك ان تحنط تلك الدودة وتعلقها فوق موقدك •

"لقد خطرت لي تلك الفكرة فعلا، ولكن بعد فوات الأوان" •

■ بيل جيلبرت

اجوبة صورة المرآة
الواردة صفحة ٨٤

الصورة على اليسار تختلف عن الصورة على اليمين في النقاط الآتية:

١ المثلثات حول اطار الصورة انعكست الوانها،
٢ الصبي الجالس تحت الاسد أصبح حافي القدمين،
٣ الفتاة انضمت الى الصبي على الصخرة،
٤ الزخرفة اختفت عن الحجر قرب الصبي،
٥ التنين فقد قرنيه،
٦ سروال راكب التنين تغيّر لونه،
٧ السيدة الواقفة في الباب بمعطفها اصبحت ذات شعر قصير،
٨ الاسد تحول الى لبوءة،
٩ الفتاة التي تلوح بيدها للتنين تبدّل لون شعرها،
١٠ الرجل الظاهر امام الوحيد القرن لم يعد يلوح بيده،
١١ الانسان الطائر نقص بعض الريش من ذيله،
١٢ ناقر الطبل تغيّر طبله،
١٣ الوحيد القرن فقد قرنه،
١٤ العصفور ظهر في نافذة اخرى،
١٥ قبة الجسر الحجري الدائرية اصبحت بيضوية،
١٦ الكرة فقدت من رأس سارية العلم،
١٧ المحرمة المتدلية من وسط نافع المزمار تغير مكانها،
١٨ المزماران اصبحا مستقيمين،
١٩ الحصى على قمة البرج الصغير تغير شكلها،
٢٠ السمكة على العلم تبدل لونها،
٢١ الملكة ترمي زهرتين بدلا من ثلاث،
٢٢ الرجل القصير في الممر خلف الوحيد القرن اعتمر قبعة أخرى،
٢٣ الوجه البشري الظاهر في القبة تحت نافخي المزمار اصبح وجه حيوان،
٢٤ الوحش الظاهر تحت الجسر الاسفل اغلق احدى عينيه،
٢٥ توقيع الفنان اختفى،
٢٦ التنين كسب بعض الحراشف المسننة على ظهره،
٢٧ الصليب رفع عن عقدة الشجرة،
٢٨ كلمة "كبيرة" (في المقدمة) اصبحت "كبرى"،
٢٩ عبارة "الاجوبة في الصفحة..." فقدت،

ديان دوسون

ايار (مايو) ١٩٨٠ - جمادى الثانية ١٤٠٠

المختار



من ريدرز دايجست

وفروا ٥٠٪

أكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢د.

اشتركوا اليوم في المختار

ادفعوا ١٢ دولارًا بدلاً من ٢٥ دولارًا
واربحوا جوائز تصل قيمتها الى ٥ آلاف دولار
(عرض خاص يستمر حتى آخر السنة)

NAME .... الاسم :
ADDRESS .... العنوان :
....
PROFESSION .... المهنة :
SIGNATURE .... التوقيع :

NAME .... الاسم :
ADDRESS .... العنوان :
....
PROFESSION .... المهنة :
SIGNATURE .... التوقيع :

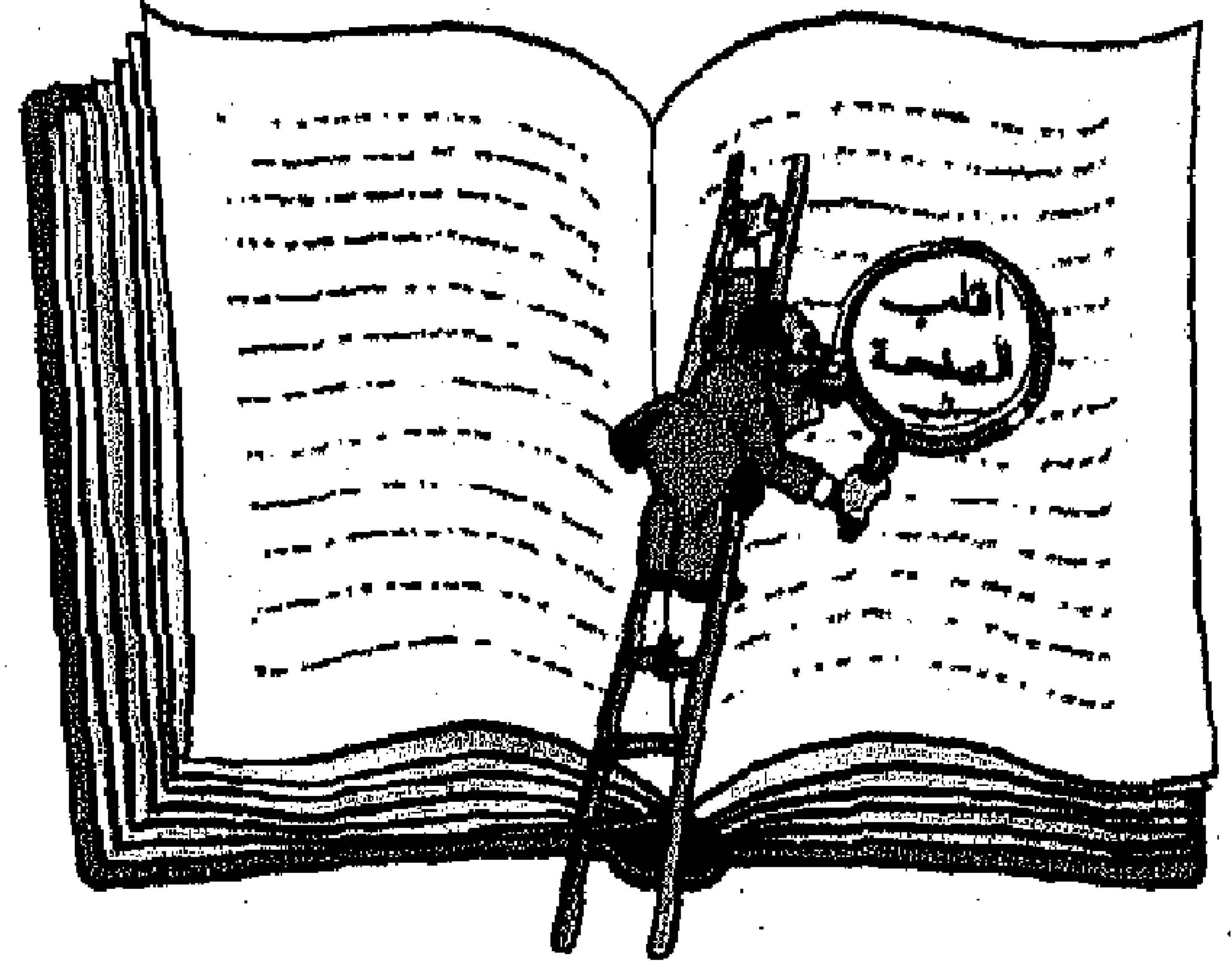
تملأ القسيمة وترسل مرفقة بشيك مصرفي باسم

AL MUKHTAR min Reader's Digest

يعطى كل مشترك رقماً ويجري السحب على هذه الارقام في تاريخ يعلن في ما بعد وتنشر النتائج في الصحف.

ترسل القسائم الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
37 Avenue George V
75008 PARIS, FRANCE



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد تبدأ باسم احد افراد العائلة: ام، اب، ابن، وهكذا.

وقد وضع امام كل كنية اربعة معان، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء، اختباراً لمعرفته اللغوية، ان يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١٠ ابن آوى: رجل كريم ـ هرّ ـ حيوان بري ـ من النجوم.

٠٢ ابو البشر: آدم ـ كثير الاولاد ـ نوح ـ معلم.

٠٣ ام ليلى: ظلام دامس ـ خمر ـ أنثى الاسد ـ قصيدة.

٠٤ ابو فراس: جواد ـ أعجمي ـ شخص ذكي ـ أسد.

٠٥ بنت الدهر: مصيبة ـ أفعى ـ امرأة بخيلة ـ الشمس.

٠٦ ابو جابر: رجل كريم ـ طاغية ـ خبز ـ مخترع علم الجبر.

٠٧ ابن عرس: سارق ـ طفل بكر ـ حيوان ـ اعزب.

٠٨ بنت الشفة: لعاب ـ كلمة ـ مياه الشرب ـ قبلة.

٠٩ ابو لبد: غضوب ـ كسول ـ سيف ـ اسد.

١٠ ام النجوم: مجرة ـ سماء ـ حيوان بحري ـ ممثلة عجوز.

١١ بنات الليل: نجوم ـ بغايا ـ بوم ـ احلام.

١٢ ابو الحناء: رجل عطوف ـ صباغ ـ عصفور ـ ضرب من النمل.

١٣ ام قشعم: عين ـ كابوس ـ انثى السنجاب ـ حرب.

١٤ بنت العين: ساقية ـ قروية ـ ابنة مخلصة ـ دمعة.

١٥ ابو مصفار: سمك ـ طائر جارح ـ منشار ـ كبير الانف.

١٦ ام الخبائث: أفعى ـ امرأة شريرة ـ خمر ـ جهنم.

١٧ اخوة السلاح: شعراء ـ جنود ـ افراد عصابة ـ كشافة.

١٨ ابن جلا: امير ـ خطيب ـ ثعلب ـ رجل شهير.

١٩ ابو الاشبال: اسد ـ قائد الكشافة ـ نمر ـ والد شاب.

٢٠ ام القيوين: امارة عربية ـ حشرة ـ صحراء ـ بحيرة.

٢١ بنت الارض: دودة ـ شجرة ـ زلزال ـ حصاة.

٢٢ ابو منجل: حصّاد ـ حشرة ـ طائر ـ ضرب من السمك.

٢٣ ام الرأس: مدينة بحرية ـ دماغ ـ سيدة فاضلة ـ فكرة.

٢٤ بنات الصدر: انفاس ـ اضلاع ـ هموم ـ بنات سيد القوم.

٢٥ ابو زريق: حلم ـ عصفور ـ حجر كريم ـ بحر.

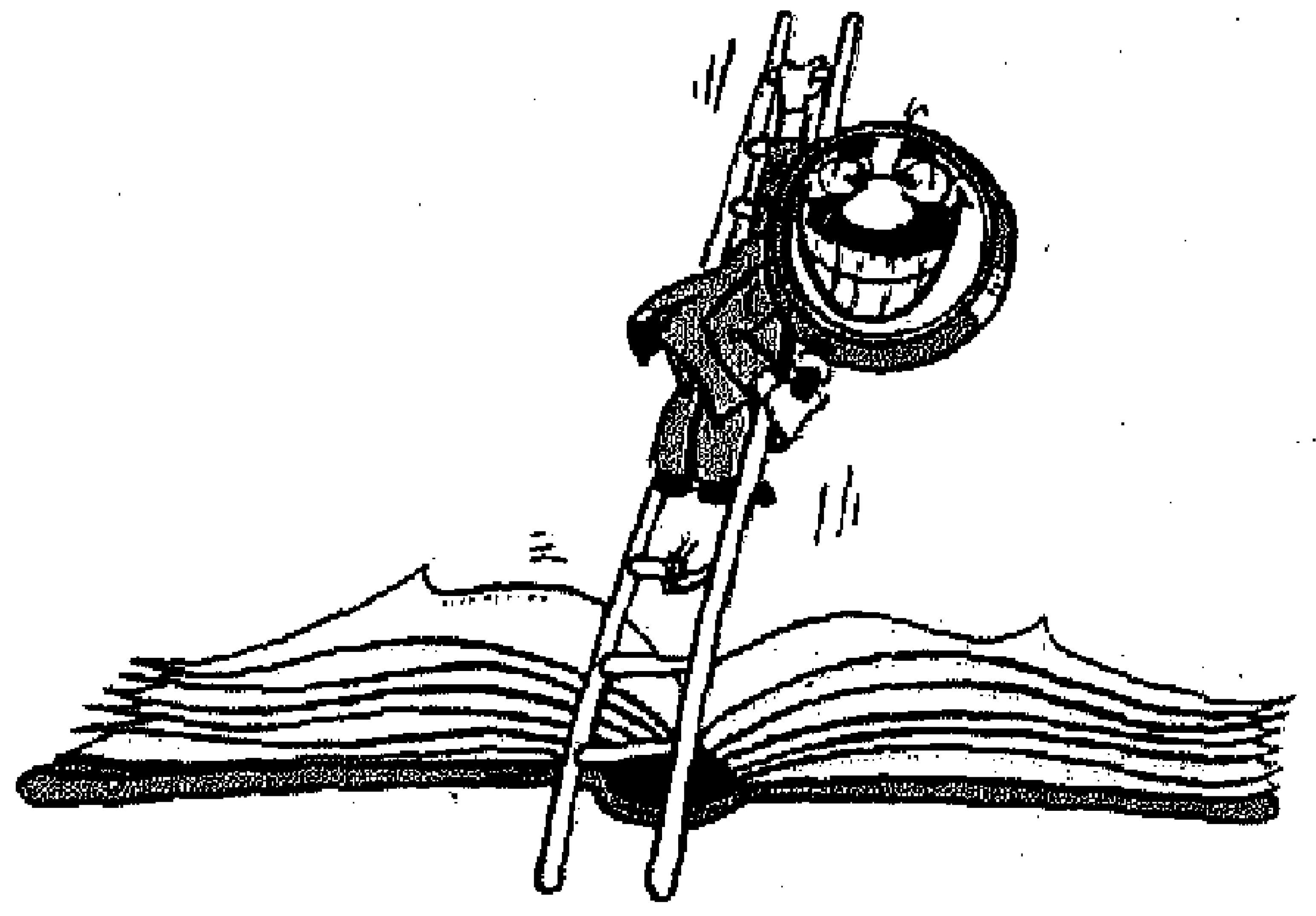
٢٦ ام عوف: ناسكة ـ انثى الجراد ـ امرأة مقتصدة ـ غجرية.

٢٧ ابن السبيل: نهر صغير ـ سمك ـ قاطع طرق ـ مسافر.

٢٨ بنت اليمن: قهوة ـ فتاة حسناء ـ نخلة ـ عشب مخدر.

٢٩ ابو الهول: هرم ـ مارد جبار ـ تمثال ـ تنين.

٣٠ ابو عمرة: ملح ـ جوع ـ شيخ القبيلة ـ بنّاء.



الأجوبة الصحيحة

١٠ ابن آوى: حيوان بري يعرف بـ"الواوي"، جمعها بنات آوى.

٢٠ **ابو البشر:** آدم.

٣٠ **ام ليلى:** الخمر السوداء، ليلى الخمر: نشوتها وبدء سكرها.

٤٠ **ابو فراس:** الاسد، ويقال له فرّاس.

٥٠ **بنت الدهر:** المصيبة.

٦٠ **ابو جابر:** الخبز، وقد لقب بذلك لأنه يجبر الجوع.

٧٠ **ابن عرس:** حيوان من آكلات اللحوم يشبه الفأر، جمعها بنات عرس.

٨٠ **بنت الشفة:** الكلمة.

٩٠ **ابو لُبَد:** الاسد، واللبدة هي الشعر المجتمع بين كتفي الاسد.

١٠٠ **ام النجوم:** المجرة، وهي مجموعة نجوم.

١١٠ **بنات الليل:** البغايا، الفاجرات.

١٢٠ **ابو الحناء:** طائر صغير أحمر الصدر.

١٣٠ **ام قشعم:** الحرب، الداهية، المنية، أيضاً: الضبع والعنكبوت وقرية النمل.

١٤٠ **بنت العين:** الدمعة.

١٥٠ **ابو مصقار:** نوع من السمك.

١٦٠ **ام الخبائث:** الخمرة، والخبائث هي المحرمات كما ورد في سورة "الاعراف".

١٧٠ **اخوة السلاح:** الجنود، ويقال ايضاً رفاق السلاح.

١٨٠ **ابن جلا:** الرجل الشهير، ايضاً: الصبح والقمر.

١٩٠ **ابو الاشبال:** الاسد، والشبل هو ولد الاسد اذا ادرك الصيد.

٢٠٠ **ام القيوين:** احدى امارات الخليج العربي، وهي عضو في دولة اتحاد الامارات العربية.

٢١٠ **بنت الارض:** الحصاة، ابن الارض: نبت كأنه شعر ويؤكل.

٢٢٠ **ابو منجل:** طائر طويل المنقار والساقين.

٢٣٠ **ام الرأس:** الدماغ او الجلدة الرقيقة التي على الدماغ.

٢٤٠ **بنات الصدر:** الهموم.

٢٥٠ **ابو زريق:** طائر في حجم اليمامة، يعرف ايضاً بالقبق.

٢٦٠ **ام عوف:** انثى الجراد، ذكره ابو عوف.

٢٧٠ **ابن السبيل:** المسافر، وتطلق ايضاً على الضيف.

٢٨٠ **بنت اليمن:** القهوة.

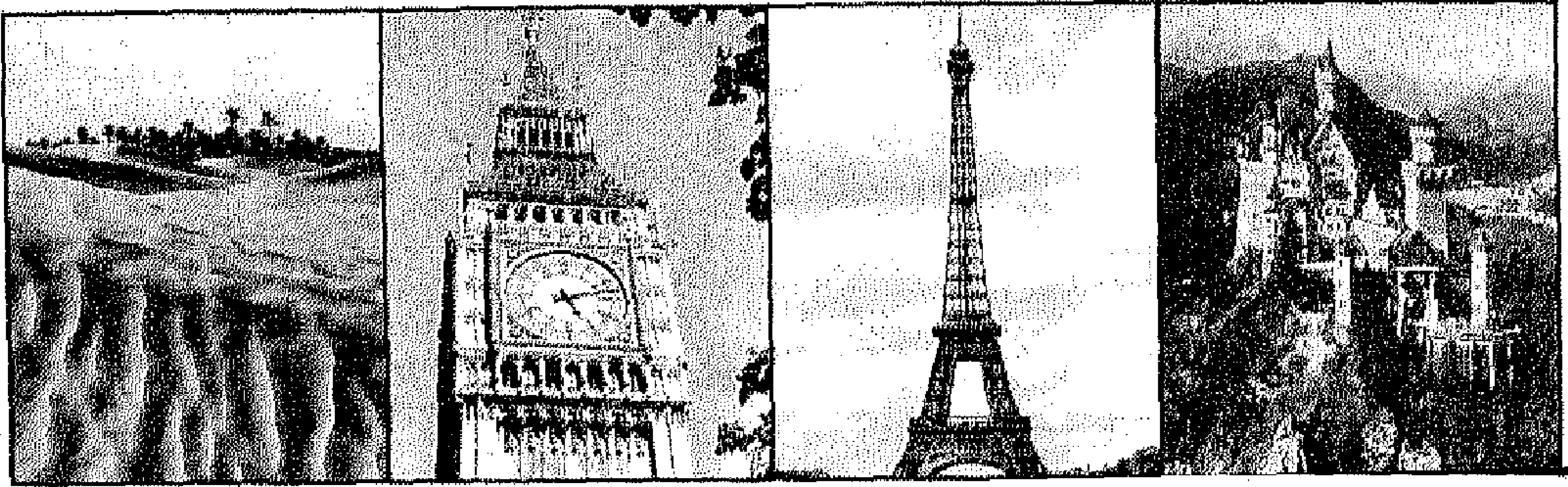
٢٩٠ **ابو الهول:** تمثال في الجيزة في مصر منحوت في الصخر، له جسم اسد ورأس انسان.

٣٠٠ **ابو عمرة:** الجوع والافلاس، وابو عمرة ايضاً رجل كان اذا حل بقوم حل بهم البلاء.

المستوى	**٢٥ - ٣٠: ممتاز** **١٩ - ٢٤ جيد** **١٣ - ١٨: مقبول**

جنرال

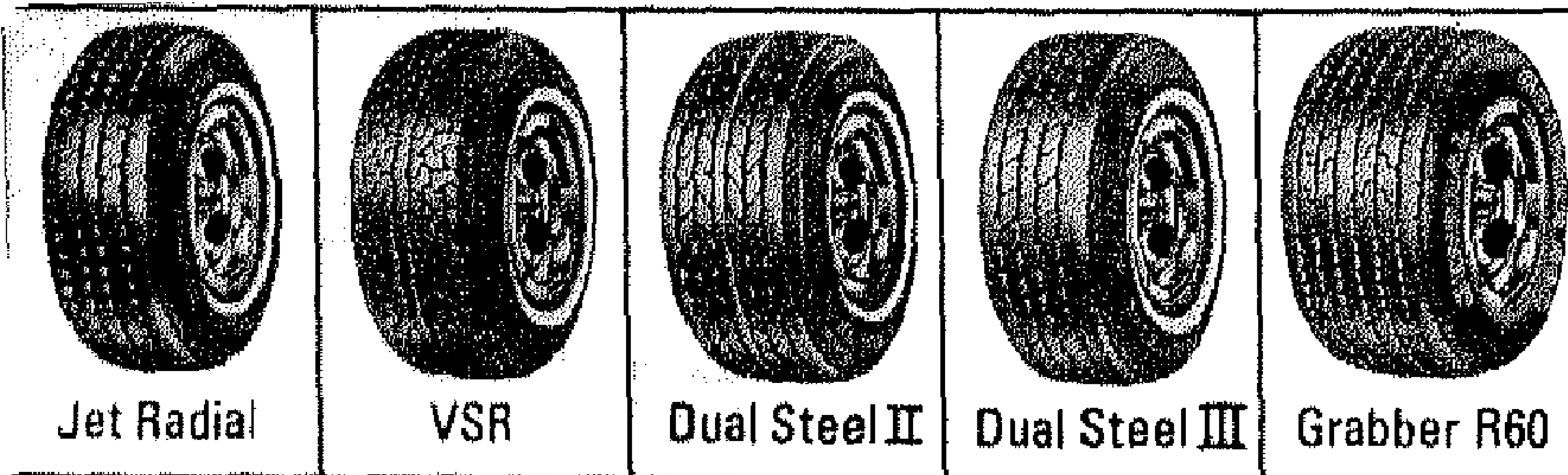
أفضل إطارات أمريكيّة للسيّارات الأمريكيّة في كل مكان



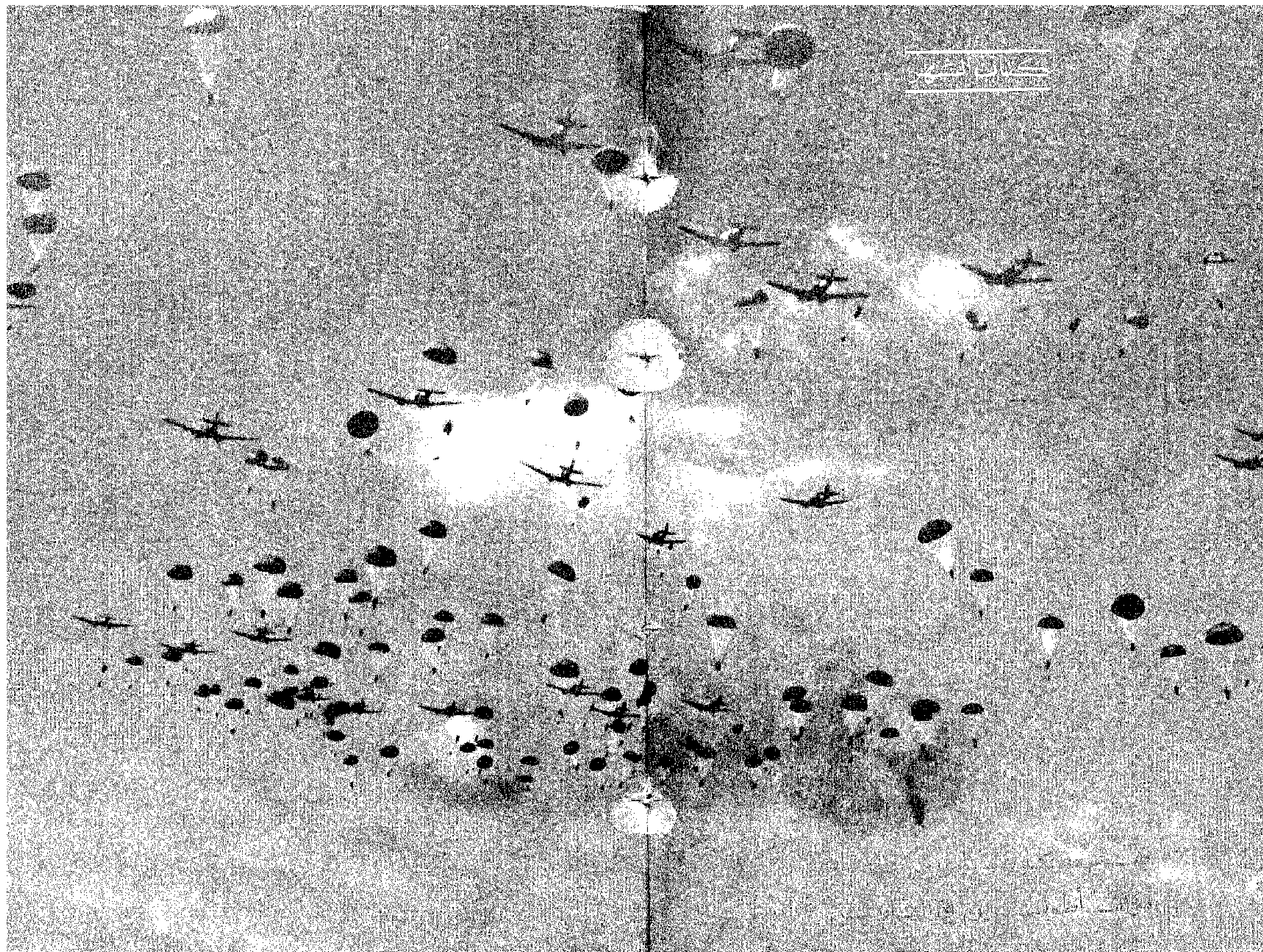
منذ ٦٥ سنة تواصل شركة جنرال صنع الاطارات الممتازة لتلائم جميع أنواع الطرق والسيارات والاحوال الجوية في الولايات المتحدة.
لذلك أينما وجدت نفسك في الكرة الارضية - في الشمال أو الجنوب أو الشرق أو الغرب - وأردت أن تبدل اطارات سيارتك، فكن على ثقة بأن اطارات جنرال هي الافضل.

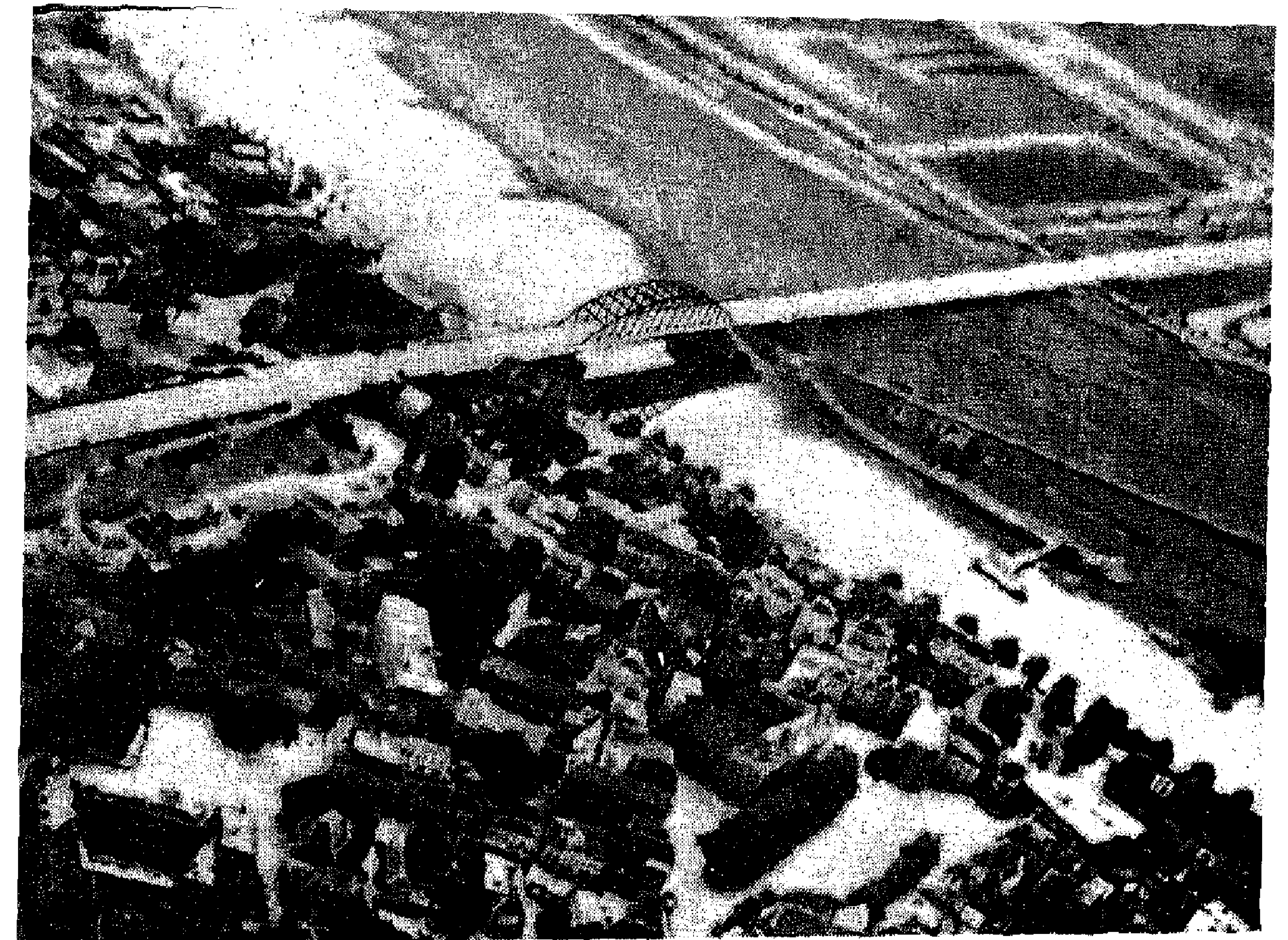
للحصول على معلومات وافية، تفضل بالكتابة الى:

Mr. Robert Spademan,
General Tire International Company,
One General Street, Akron, Ohio 44329.






كتاب الشعب



في شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٤٤، بدا كأن الحرب في اوروبا أوشكت على النهاية. فقد اندفعت القوات البريطانية والامريكية عبر فرنسا وبلجيكا، وأخذت المواقع الدفاعية الالمانية تتهاوى في كل مكان. وأحس قادة الحلفاء بأن دفعة جريئة واحدة قد تكفي لفتح الطريق الى برلين وانهاء القتال.

وبهذا المقدار من التفاؤل المفرط، بدأت عملية "ماركت - غاردن"، وهي هجمة هائلة محمولة جوا كان هدفها الرئيسي جسراً على المشارف السفلى لنهر الراين، يقع في مدينة آرنهيم الهولندية. ومع أن المعركة التي أسفرت عنها هذه الهجمة غير معروفة جيدا ولا مشهورة، الا انها كانت أفدح هزيمة لحقت بالحلفاء اذ أصيبوا فيها بخسائر تفوق كثيرا ما تحملوه في عملية غزو النورماندي.

وهذه الرواية التالية التي تصف ما حفلت به هذه المعركة من تضحيات وبطولات رأت "المختار" نشرها في جزءين هنا اوّلهما.

المعركة الكبرى

على بعد كيلومترات قليلة من قلب مدينة بروكسل، كان الفيلد مارشال برنارد لو مونتغومري قابعا في احدى خيام معسكره المتقشف الذي يضم مركز قيادته وسط حدائق القصر الملكي البلجيكي. وكان مونتغومري ينتظر بصبر نافد رداً على رسالته الشفرية السرية التي بعث بها "ليقرأها ايزنهاور وحده فقط".

كانت الجيوش البريطانية تحتل بروكسل وتكاد تدخل ميناء أنتويرب، وبذلك بلغت الحرب نقطة تحول حاسمة. وكان مونتغومري مقتنعا بأن الالمان يترنحون على وشك الانهيار، فأرسل في ٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٤٤ رسالته المؤلفة من تسع فقرات، يعبر فيها عن اقتناعه بأن اللحظة حانت للقيام "بهجمة قوية كبيرة" يستطيع بها لا أن يبلغ منطقة الروهر الصناعية الالمانية فحسب، بل أن يندفع حتى يبلغ برلين نفسها.

وفي بلدة غرانفيل القائمة على الجانب الغربي من شبه جزيرة شيربور في فرنسا، كان القائد الاعلى لقوات الحلفاء، الجنرال دوايت د. ايزنهاور، في الفيلا التي اتخذها مقرا له، يقرأ في غرفة نومه رسالة مونتغومري وهو يكاد لا يصدق عينيه من الغضب. فقد سبق أن كرر عليه مونتغومري ثلاث مرات، وبالحاح يستفز الحليم، خططاً مشابهة عن هجمات فردية مماثلة. وكان ايزنهاور ملتزما خطة شاملة تقضي بالتقدم على جبهة عريضة. وأوضح ذلك لمونتغومري غير مرة، وظن انه سوّى هذا الخلاف الاستراتيجي نهائيا. ولكن ها هو مونتغومري الان لا يعيد الدفاع عن نظريته السابقة فحسب، بل يقترح ايضا ان يندفع بقواته على طول المسافة الى برلين نفسها.

وكان ايزنهاور في العادة رجلا هادئا بشوشا. لكنه لم يتمالك نفسه هذه المرة، فانفجر صارخا في هيئة أركان حربه: "ليس هناك شخص سوى مونتغومري يصدق أن هذا الامر ممكن التحقيق".

غير ان مونتغومري لم يكن وحده تماما في هذا الرأي. فقد كانت حمّى النجاح تتملك قادة المعارك على طول الجبهة. وبعد الاكتساح المذهل عبر فرنسا وبلجيكا وأدلة الهزيمة التي حاقت بالالمان في

الغنيمة: معبر آرنهيم، اقصى المعابر شمالا بين جميع معابر الانهار التي كان الحلفاء يأملون في الاستيلاء عليها بعملية ماركت - غاردن.

المفتاح المثالي لأعمالك في الكويت والخليج

بنك الكويت الوطني أول وأكبر بنك في الكويت منذ ٢٥ سنة .
بنك الكويت الوطني البنك الذي نما مع الكويت لتلبية التطور الاقتصادي والانمائي .
بنك الكويت الوطني يقوم بجميع الخدمات الاقتصادية والتجارية والاستثمارات المصرفية .
بنك الكويت الوطني شبكة من المراسلين في جميع انحاء العالم . قبل اقدامك على اي عمل في الكويت او في الخليج استعمل المفتاح الذهبي واستشر جهازنا المصرفي العالمي .

القسم المصرفي الاستثماري والتجاري
تلفون ٤٢٢٠١١ ، تلكس ٢٠٤٣/٢٤٥١/٢٧٠٤ كويت ،
قسم السوق المالي ، تلفون ٤٤١٠٠٨/٩ ،
تلكس ٣٢٢٧/٣٢٢٢ كويت .



بنك الكويت الوطني ش م ك

ص.ب ٩٥ ، تلكس ناشيونال ٢٠٤٣ كويت ، تلفون ٤٢٢٠١١ (الفرع الرئيسي)

Graphics – McCann

جميع المواقع، أصبح الرجال موقنين من أن لا شيء يقوى على وقف موجة النصر عن الاستمرار واختراق خط سيغفريد الى قلب المانيا.

لكن المشكلة الرئيسية التي انطوى عليها هذا التقدم كانت النقص في الموانىء البحرية. لقد كانت الامدادات والمؤن أكثر من كافية، لكنها كانت مخزونة اما في النورماندي وإما في الميناء الوحيد الذي يعمل - ميناء شيربور - والذي يقع على مسافة ٧٢٥ كيلومترا خلف الخطوط الامامية. وكان ارسال الامدادات من هذا الميناء البعيد الى أربعة جيوش كاملة تواصل زحفها أمرا شبه مستحيل. وقال ايزنهاور: "ان الكلام عن الزحف الى برلين بجيش يستمد معظم مؤنه عبر الساحل لأمر خرافي حقاً!".

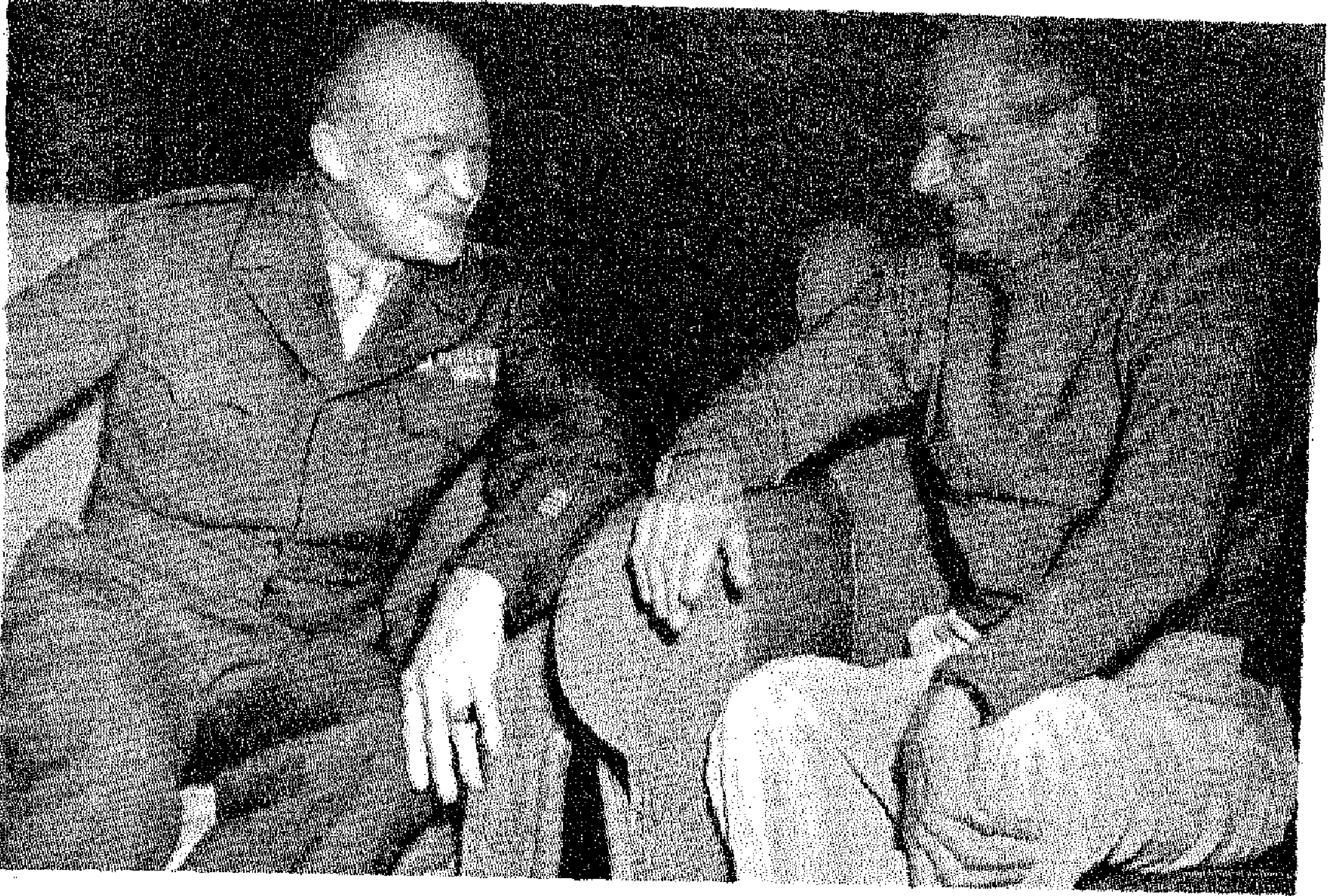
وعلى رغم ذلك، فقد تملك ايزنهاور قلق عميق إزاء الفجوة المتعاظمة بينه وبين أشهر قادة بريطانيا وأكثرهم تمتعا بالحب والتقدير. فقرر ان يلتقي مونتغومري خلال الايام القليلة التالية، وحدد يوم الاحد ١٠ سبتمبر (ايلول) موعدا لذلك.

كان القلق والتصميم يتملكان مونتغومري وهو واقف في مطار بروكسل يراقب طائرة ايزنهاور وهي تهبط. وكان ايزنهاور قد أصيب حديثا بالتواء في ركبته، فلم يتمكن من مغادرة الطائرة، بل عقد المؤتمر داخلها. ولم يلبث مونتغومري أن أخذ يندد بسياسة الجبهة العريضة التي يتبعها القائد الاعلى، محتجا بأن هجوم قوات الجنرال باتون الامريكي نحو منطقة السار يتمتع بتأييد يتيح له التقدم على حساب قواته هو، أي مونتغومري. واذا "استمرت هاتان الهجمتان المرتجّتان غير المتناسقتين"، وظلت الامدادات مقسمة بينه وبين باتون، "فان أيا من الاثنين لا يمكن أن ينجح".

وأضاف مونتغومري انه من الضروري أن يختار ايزنهاور بينه وبين باتون.

كان مونتغومري عنيفا وخارجا على الانضباط في كلامه الى حد جعل ايزنهاور ينحني في مقعده فجأة ليمد يده ويلمس بها ركبة مونتغومري قائلا: "اهدأ يا مونتي! لا يجوز أن تكلمني بهذه اللهجة. أنا رئيسك!" وللحال تلاشى غضب مونتغومري وقال بهدوء: "آسف يا آيك".

الا ان مونتغومري استمر بالاسلوب نفسه من العناد والتصميم، ولكن بمرارة أقل، يجادل في سبيل خطته للقيام "بهجمة فردية". وأنصت ايزنهاور الى حججه بانتباه وتعاطف، من دون أن يبدّل رأيه حول ضرورة استمرار خطته للتقدم على طول جبهة عريضة. وشرح لمونتغومري السبب بوضوح. وتذكر ايزنهاور لاحقا انه قال لمونتغومري: "ان ما تقترحه هو الآتي: اذا أعطيتك جميع الامدادات التي تريدها، فانك ستتمكن من الاندفاع رأسا الى برلين. أنت مجنون يا مونتي. اذا حاولت تسيير طابور طويل كهذا في هجمة واحدة فانك ستضطر الى التخلي عن الفيلق بعد الفيلق كي تحتل مواقع على جانبي خط تقدمك لتحمي جناحيك. انك لا تستطيع أن تفعل ذلك يا مونتي".



نشأ بين ايزنهاور ومونتغومري خلاف مرير حول استراتيجية الحرب، وكان مونتغومري يعتقد ان القائد الاعلى متردد وغير حاسم، بينما كان ايزنهاور يرى ان الفيلد مارشال البريطاني، صاحب الشعبية الواسعة، رجل شديد الاعتداد بذاته.

وكان رفض ايزنهاور حازما، وأكد انه لا بد من الاستيلاء على ميناء أنتويرب وفتحه أولا قبل أن يمكن التفكير في توجيه أي هجوم كبير الى داخل المانيا. وهنا لعب مونتغومري ورقته الاخيرة الحاسمة، فقال ان آخر التطورات - وهي ضرب مدينة لندن بصواريخ "ف - ٢" من قواعد في هولندا - تحتم التقدم فورا في هولندا، وانه (مونتغومري) يعرف بالضبط كيف ينبغي ان يبدأ هذا التقدم. وكانت خطته لذلك صيغة موسعة ضخمة من خطة سابقة كانت تسمى "عملية كوميت"، ويقتضي تنفيذها فيلقاً ونصف فيلق. وكانت خطة "عملية كوميت" تلك قد ألغيت.

واقترح مونتغومري أن يستخدم معظم أفراد الجيش الاول المحمول جواً للحلفاء، وهو جيش كان شكّل حديثا بقيادة الليفتنانت جنرال لويس هايد بريرتون. وكان رأي مونتي ان يستخدم هذا الجيش لتوجيه هجوم مفاجىء مكثف صاعق، تستولي فيه قواته المحمولة جواً على سلسلة متعاقبة من معابر الانهار في هولندا، في أماكن متقدمة على خط اتجاه قواته، بحيث يكون هدفها الرئيسي المعبر القائم على المجرى الادنى لنهر الراين عند مدينة آرنهيم. وغرض هذا الهجوم المفاجىء فتح ممر نحو الشمال، تنطلق عليه دبابات الجيش الثاني البريطاني الذي يقوده الجنرال مايلز دمبسي، فتندفع مسرعة عبر المعابر التي تم الاستيلاء

عليها حتى تبلغ مدينة آرنهيم وتعبر عندها نهر الراين. وكان مونتغومري يأمل، بعدما يتم ذلك، أن يستدير نحو الشرق فيلتف حول خط سيغفريد (خط الدفاع الالماني) ويندفع مقتحما منطقة الروهر الصناعية الالمانية. وتصور أنه بمجرد عبوره الراين، يصبح متعذرا على القائد الاعلى ان يوقفه عن التقدم.

استهوى هذا العرض ايزنهاور وبدا انه تأثر به. فقد كانت الخطة جريئة ولا تصدر الا عن مخيلة قوية وذكية، وهي تحقق بالضبط نوع الهجوم المكثف الذي كان هو نفسه يبحث عن موضع لاجرائه كي يشغل فيالقه المحمولة جوا بعدما طال بها المقام من دون عمل. غير أن القائد الاعلى وجد نفسه الان في مأزق بين المطرقة والسندان: فموافقته على هذا الهجوم تعني ضرورة تأجيل فتح ميناء أنتويرب وتحويل الامدادات عن جيش الجنرال باتون. وعدم الموافقة يعني أن الفرصة ستفوته لاعادة بعث الحيوية في تقدم جيوشه السريع، وربما لدفع قواته الى مطاردة العدو عبر نهر الراين ايضا. ووجد ايزنهاور نفسه أخيرا يوافق على خطة مونتغومري الجريئة.

لكن القائد الاعلى شدد بوضوح على أن الهجوم يجب أن يكون "محدودا". وأكد لمونتغومري أنه يعتبر هذه العملية المشتركة بين القوات المحمولة جوا والقوات البرية "مجرد امتداد لحركة التقدم العام الى الراين والروهر". وحين استعاد ايزنهاور الواقعة لاحقا، تذكر انه قال لمونتغومري: "هذا ما سأفعله يا مونتي: سأعطيك كل ما تطلبه. ولكن دعنا نعبر نهر الراين أولا قبل أن نناقش أي أمر آخر".

وبعد رحيل ايزنهاور، شرح مونتغومري تفاصيل العملية على خريطة لليفتنانت جنرال فريدريك براونينغ، نائب قائد الجيش الاول المحمول جواً للحلفاء. ورأى هذا ان القوات المحمولة جواً مطلوب منها الاستيلاء على سلسلة من المعابر، فيها خمسة رئيسية. ومن هذه ثلاثة تمتد عبر أنهار عريضة هي نهر ماس ونهر فال ونهر الراين الادنى، وذلك كله على مسافة ١٠٣ كيلومترات من الحدود البلجيكية - الهولندية الى مدينة آرنهيم. وفضلا عن ذلك، فان القوات مكلفة المحافظة على هذا الممر مفتوحا، كي تمر عليه المدرعات البريطانية. وهو، في معظم مواضعه، طريق واحد متجه شمالا. وكانت أخطار العملية واضحة. الا ان ذلك كان بالضبط نوع الهجوم المفاجيء الذي دربت عليه القوات المحمولة جواً. ولكن براونينغ ظلّ يشعر بالقلق. وأشار الى أقصى معبر في الشمال - وهو ذاك الذي يمتد عبر نهر الراين الادنى عند مدينة آرنهيم - وسأل: "ما هي المدة التي ستستغرقها المدرعات حتى تصل الينا؟".

فرد مونتغومري بحماسة: "يومين".

وقال براونينغ وهو يواصل فحص الخريطة بامعان: "اننا نستطيع الاحتفاظ بالممر مفتوحا مدة أربعة أيام". وأضاف: "لكني، يا سيدي، أظن اننا قد نكون ذاهبين أبعد من اللازم بمقدار معبر واحد".

عملية حاسمة

كانت الحاجة تدعو الى تطوير الخطة الاساسية بأسرع ما يمكن. (وقد اطلق على العملية بعد ذلك اسم رمزي هو "ماركت - غاردن": "ماركت" اشارة الى العملية التي ستقوم بها القوات المحمولة جواً، و"غاردن" اشارة الى هجوم المدرعات). وعلى رغم أن المقاومة التي كانت تلقاها قوات مونتغومري من الالمان في ذلك الوقت ازدادت صلابة، الا انه كان مقتنعا بأن القوات الالمانية في هولندا - وراء القشرة الصلبة لخطوطهم الامامية - لا تملك الا القليل من وسائل القوة. وكانت تقارير مخابرات الحلفاء تؤيد تقديراته. وعلى رغم ذلك، فقد أصر مونتغومري على شنّ الهجوم خلال أيام قلائل والا فاته الوقت. وبكل ثقة، حدد يوم الاحد ١٧ سبتمبر (ايلول) موعدا لتنفيذ العملية.

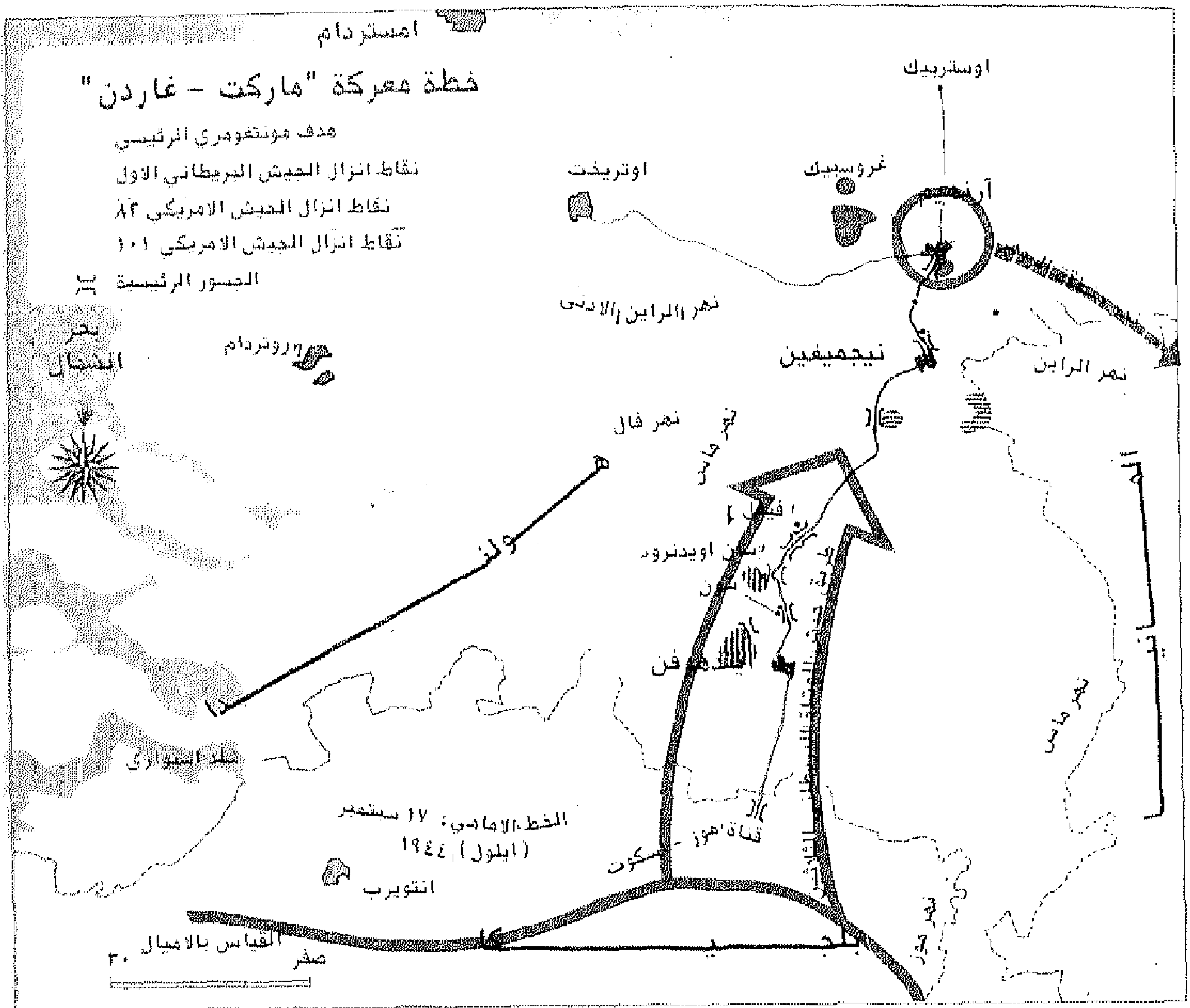
وللحال حمل الجنرال براونينغ الخطوط العريضة لخطة مونتغومري وطار بها الى انكلترا وفور هبوط طائرته، أخطر الجنرال بريرتون. ولم تكد تنقضي بضع ساعات على صدور قرار ايزنهاور حتى كان الجنرال بريرتون يعطي الايضاحات والتوجيهات اللازمة لسبعة وعشرين من كبار الضباط عن أكبر عملية عسكرية محمولة جواً نسجها خيال انسان.

وكانت خطة بريرتون لغزو هولندا جواً تقضي بأن ينزل فوقها ما يقرب من ٣٥ ألف جندي، أي ما يعادل ضعف عدد جنود المظلات والمشاة المحمولين بطائرات الانزلاق (الشراعية) الذين استخدموا في غزو النورماندي، وذلك بكامل معداتهم وعرباتهم ومدفعيتهم. ولكي يمكن حمل هذه القوة الضخمة الى أهدافها على بعد ٥٠٠ كيلومتر، كان عليه أن يستخدم كل ما وُضع في إمرته من الطائرات الشراعية، وهو أسطول هائل يضم أكثر من ٢٥٠٠ طائرة.

وكانت مهمة الطائرات الشراعية نقل ثلث القوة المؤلفة من ٣٥ الف جندي. أما الباقون فيثبون فوق أهدافهم بالمظلات. وسيحتاج الامر الى حشود من أسراب الطائرات المقاتلة من جميع أنحاء انكلترا، يبلغ عددها ١٥٠٠ طائرة، لحراسة اسطول النقل الجوي. وتبين أن مجموع الطائرات من جميع الانواع التي ستشترك في العملية يقارب الخمسة آلاف. ولتجنب الاضطراب والارتباك بسبب الظلام، قرر الجنرال أن يجري الهجوم في ضوء النهار، وهو قرار لم يسبق له مثيل.

وعيّن بريرتون الجنرال براونينغ لقيادة العملية العملاقة. وكان هذا، في الوقت نفسه، قائدا للفيلق البريطاني الاول المحمول جواً، ومن رواد انشاء القوات المحمولة جواً وأكبر المدافعين عنها. وهو كان متفائلا، ويعتقد ان تلك العملية تحمل مفتاح نهاية الحرب.

ثم اتخذ بريرتون أخطر القرارات جميعا: فقد اضطر الى اخضاع الخطة لامكانات النقل الجوي المتاحة التي فرضت عليه ان يخطط لنقل قواته على دفعات، بحيث تطير الفيالق الثلاثة والنصف الى أهدافها خلال ثلاثة أيام. وكانت الاخطار التي تحف بذلك



كبيرة: فالامدادات الالمانية قد تصل الى منطقة عملية ماركت - غاردن بأسرع مما ينتظره أحد، كما قد تتأخر دفعتا الانزال الجوي الثانية والثالثة بسبب سوء الطقس. وكان رأي بريرتون في هذا كله أن مثل هذه المجازفات أمر لا بد من قبوله.

وكان اثنان من الفيالق المشتركة في الهجوم أمريكيين، يقود أولهما الميجور جنرال ماكسويل تيلور الذي كان عليه أن ينطلق قبل الهجوم المدرع مباشرة، فيعبر الحدود البلجيكية - الهولندية بفيلقه الرقم ١٠١ المحمول جواً ليستولي على معابر القنوات والانهار على مسافة ٢٥ كيلومترا تمتد بين مدينة ايندهوفن ومدينة فيغيل. والى الشمال من ذلك كان على الفيلق ٨٢ الامريكي، بقيادة البريغادير جنرال جيمس م. غافين، ان يتولى أمر المنطقة الواقعة بين مدينة غريف ومدينة نيجميغين.

وكان أهم هدف على الاطلاق هو المعبر الضخم المبني بالخرسانة المسلحة والصلب والذي يصل طرفي الطريق الرئيسي الكبير عبر نهر الراين الادنى عند مدينة آرنهيم. وقد أسندت مهمة الاستيلاء عليه الى قوة من "الشياطين الحمر" البريطانيين

ومن البولونيين، تضم الفيلق البريطاني الاول المحمول جواً بقيادة الميجور جنرال روبرت أوركوهارت ولواء المظلات البولوني الاول بقيادة الميجور جنرال ستانيسلاف سوسابوفسكي. وقد وقع اختيار براونينغ على أوركوهارت - الاسكوتلندي الضخم الذي ترتفع قامته ١٨٣ سنتيمترا ويبلغ وزنه ٩١ كيلوغراما - لانه كان لا يزال "مشتعلا بنار القتال" بعدما خدم بامتياز في شمال أفريقيا وصقلية وايطاليا. وكانت آرنهيم هي الجائزة الكبرى. ولولا الراين الذي يشق هذه المدينة، فان ضربة مونتغومري الجريئة التي تستهدف تحرير هولندا والالتفاف حول خط سيغفريد والوثوب الى قلب المانيا ستخفق.

وكانت مهمة أوركوهارت تنطوي على مشكلة واحدة تثير القلق على نحو خاص. فالارض الواقعة حول المعبر المذكور كان بعضها خلاء مشبعا بالمياه والبعض الآخر مبنيا ومأهولا، فضلا عن أنها محمية بالاسلحة المضادة للطائرات. واضطر أوركوهارت مرغما على ان يحدد لقواته مناطق انزال تقع في بعض المراعي الفسيحة الى الغرب والشمال الغربي من آرنهيم. وكانت مناطق الانزال هذه مثالية من جميع الوجوه باستثناء واحد، وهو انها تبعد عن معبر آرنهيم مسافة تراوح بين تسعة كيلومترات و١٣ كيلومترا.

وحين سمع الجنرال غافين باختيار أوركوهارت لمواقع الانزال أصابته دهشة بالغة جعلته يقول لرئيس عملياته: "يا إلهي! انه لا يمكن ان يعني ذلك حقاً!" لكن غافين، على رغم ذلك، سكت ولم يقل شيئا. وعلق على ذلك في ما بعد بقوله: "لقد افترضت أن البريطانيين، بخبرتهم القتالية الضخمة، يعرفون ما يفعلونه تماما".

كذلك دارت في خلد الجنرال سوسابوفسكي مخاوف كبيرة، لان وصول الجنود الى المعبر "سيحتاج الى مسيرة خمس ساعات، فكيف يمكن تحقيق المفاجأة اذاً؟ ان أي أبله من الالمان سيعرف خططنا على الفور". ولم يلبث سوسابوفسكي أن قال للجنرال براونينغ ان محاولة انجاز هذه المهمة من غير قوات اضافية لا تزيد على مجرد انتحار. فأجابه براونينغ: "ولكن يا عزيزي سوسابوفسكي، ان الشياطين الحمر والبولونيين الشجعان قادرون على عمل أي شيء!".

اغفال الشكوك

لم يكن الجميع على هذه الدرجة من الثقة والاطمئنان. وكان هناك واحد على الاقل من كبار ضباط مونتغومري لديه من الاسباب ما يثير في نفسه القلق. فقد ارتأى الجنرال مايلز دمبسي، قائد الجيش البريطاني الثاني، على نقيض الفيلد مارشال، ألاّ يرتاب في صدق تقارير عدة وردت أخيرا من رجال المقاومة الهولنديين، وهي تشير الى تزايد سريع في حجم القوات الالمانية بين مدينتي ايندهوفن وآرنهيم، وهي المنطقة نفسها التي يعتزم انزال المهاجمين فيها من الجو.

بل كان هناك تقرير هولندي يقول "ان عددا من تشكيلات البانزر

الالمانيـة المدرعـة التـي أصيبـت بخسائر كبيرة أرسلت الى هولندا لاعادة تسليحهـا واصلاح شأنهـا". وقيل أيضا ان هذه التشكيلات نفسها موجودة في منطقة عملية "ماركت - غاردن". وقد أرسل دمبسي هذه الانباء كلها الى براونينغ في قيادة الجيش البريطانـي الاول المـحمـول جواً. لكن المعلومات كانت تفتقر الى اي مسانـدة او تأييـد مـن جـانـب مونتغومري أو أركان حربه. وقد أدى جو التفاؤل السائد الى اغفال هذا التقرير تماما.

وكان رئيـس مخابـرات الجيـش البريطـانـي الاول المـحمـول جـواً، الميجور بريان أوركوهارت (وهو لا يمت بأي قرابة الى الجنرال الذي يحمل الاسم نفسه) يشعر هو الآخر بقلق شديد ازاء جو التفاؤل السائد في القيادة. وكان هذا الشاب، الذي لا يتجاوز الخامسة والعشرين، هو الوحيد تقريبا الذي نظر الى تقرير الجنـرال دمبسـي بعيـن التصديـق. والحق أن المعلومات لم تكن دقيقة أو محددة، الا انه تلقى هو الآخر أنباء مماثلة تثير القلق من ضباط الاتصال الهولندييـن فـي قـيـادة الجـيـش البريطانـي الاول. وعنـدمـا أضـاف الميجور أوركوهارت معلوماتـه الـى معلومات الجنرال دمبسي، تأكد لديه على نحو معقول، ان هناك عناصر من اثنين على الاقل من فيالق البانزر الالمانية المدرعة موجودة في مكان ما من منطقـة آرنهيـم. وكانـت هـذه الوحدات غير محددة وقوتها غير معروفة. وهو لا يستطيع أن يجزم اذا كان هدف وجودها في المنطقة اعادة تسليحها أو المرور فقط. وعلـى رغم ذلك، فقد كان أوركوهارت - كما ذكر هو لاحقا - "في غاية الانزعاج".

والحق ان الشاب كان "خائفا من عملية ماركت - غاردن، لان موطن الضعف الواضح فيها كان الافتراض أن الالمـان لـن يبـدوا اي مقـاومـة فعّالة". وكان جوهر الخطة، كما رآه هو، "يعتمد على فكرة لا يمكن تصديقها، وهـي انـه مـا ان يـتـم الاستيلاء على المعابر حتى يصبح في امكان الدبابات ان تمضي قدما في هذا الممر الذي يبلغ من الضيق حدا رهيبا لا يتيح أي فرصة للمناورة، ثم تدخـل المانيـا كأنهـا عـروس فـي طريقها الى الكنيسة لعقد قرانها. واني، بكل بساطة، لم أصدق أن الالمـان سيـنـبطـحـون أرضـا ويستسلمون".

وفي عصر ١٢ سبتمبر (ايلول)، طلب الميجور أوركوهارت ان تتولى طائـرات السـلاح الجـوي الملـكـي (البريطاني) عمليات مسح استطلاعي لمنطقة آرنهيم من ارتفاع منخفض. وكان يأمـل فـي أن تـكـون الصـور الفوتوغرافية للدبابات، اذا وُجدت، وسيلته للبرهان عن صحة شكوكه.

وفي ١٥ سبتمبر (ايلول) - أي قبل عملية ماركت - غاردن بأقل من ٤٨ ساعة - حصل الميجور أوركوهارت أخيرا على الصور التي كان ينتظرها، وهي خمس صور أخذت من زوايا مائلة تبين وجـود الدبابـات فـي منطقـة آرنهيم بوضوح لا يترك مجالا للشك.

واندفع أوركوهـارت الـى مكتـب الجنرال براونينغ، ووضع الصور على مكتبه وقال: "أنظر الى هذه الصور".

فتأمل الجنرال الصور بامعان واحدة واحدة، وعلّق، حسبما يتذكر أوركوهارت: "لست أرى أن هذه الدبابات تستحق أي اهتمام". ثم أشار الى الدبابات قائلا: "وهي قد تكون غير صالحة للعمل على أي حال!".

وذهل أوركوهارت وعلّق على ذلك في ما بعد بقوله: "لقد بلغت لهفة الجميع على بدء العملية حداً لم يعد يمكن معه أن يصدّهم عنها شيء".

وفي الوقت نفسه تقريبا، عبر بحر المانش في فرنسا، كان اللفتنانت جنرال وولتر بيدل سميث، رئيس أركان حرب ايزنهاور، ينصت الى رئيس مخابراته البريطاني الميجور جنرال كينيث و. سترونغ وهو يؤكد له أن وجود المدرعات الالمانية في منطقة آرنهيم أمر لا يحتمل أي شك، بل ان رسائل رجال المقاومة الهولنديين حددت هذه الوحدات بأنها فيلقا بانزر "إس - إس" التاسع والعاشر المدرعان. وكان كلا الفيلقين اصيبا بخسائر كبيرة، ولكن من غير المحتمل انهما دمّرا تماما.

وتشاور سميث على الفور مع القائد الاعلى، وقال لايزنهاور: "ان الفيلق البريطاني الاول المحمول جواً، والذي ينتظر انزاله في آرنهيم، لا يمكنه الصمود لفيلقين مدرعين". وأوصى بتقوية عملية ماركت - غاردن.

وبحث ايزنهاور الاختيارات المتاحة أمامه. أولا، هو يستطيع أن يتصرف من فوق في خطة مونتي ويزيد عليها قوات اضافية. لكن ذلك كان يعني تحديا لكفاية مونتغومري القيادية، مما قد يؤدي الى تدهور الموقف الدقيق في دوائر القيادة. وثانيا، هو يستطيع الغاء عملية ماركت - غاردن بأكملها على أساس هذا التقرير الوحيد للمخابرات.

وشرح ايزنهاور الموقف لسميث بالآتي: "أنا لا أستطيع أن أقول لمونتي كيف يتصرف في قواته، كما أنني لا أستطيع الغاء العملية بعد اعطاء مونتي الضوء الاخضر للمضي فيها. واذا كانت الضرورة تدعو لاجراء تعديلات، فلا بد من أن يكون الذي يجري هذه التعديلات هو مونتغومري نفسه".

وسافر بيدل سميث على الفور الى بروكسل، حيث وجد مونتغومري مفعما بالثقة والتفاؤل. فأوضح له مخاوفه واقترح بشدة اعادة النظر في الخطة. لكن مونتغومري "هزأ بالفكرة، وظل يكرر أن كل شيء سيمضي على ما يرام اذا ساعدناه في التغلب على مصاعبه الادارية. ولم يقلقه أمر المدرعات الالمانية". وبذلك انتهى المؤتمر بلا نتيجة. وقال سميث: "لقد حاولت على الاقل أن أوقفه، لكنني لم أحرز أي نجاح، لان مونتغومري - بكل بساطة - طرح جميع اعتراضاتي جانبا دونما اكتراث".

"هولندا، او الجحيم"

كانت الاستعدادات تجري بنشاط لتعبئة جنود المظلات وجنود المشاة التابعين لجيش الحلفاء الاول المحمول جواً، وذلك في ثماني قواعد جوية بريطانية و١٦ قاعدة جوية أمريكية. وخلال الساعات الثماني والاربعين السابقة كان الضباط قد كرروا على رجالهم جميع الايضاحات والتعليمات

اللازمة، مستعينين بالخرائط والصور والنماذج الطوبوغرافية. وكانت الاساطيل الهائلة من حاملات الجنود الطائرة وطائرات السحب والطائرات الشراعية قد فحصت وروجعت وملئت بالوقود وشحنت بجميع المعدات الضرورية، من المدافع الى سيارات الجيب.

وابتداء من مقر القائد الاعلى فما دون، راح كبار الضباط ينتظرون تقارير الارصاد الجوية بقلق، اذ كانت العملية تحتاج الى ثلاثة أيام من الطقس الحسن على الاقل. وفي الساعات المبكرة من مساء ١٦ سبتمبر (ايلول) أعلن خبراء الارصاد الجوية تقريرهم، فقالوا انه، باستثناء بعض الضباب في الصباح الباكر، فان الطقس سيكون جيدا خلال الايام الثلاثة التالية. وفي مقر قيادة جيش الحلفاء الاول المحمول جواً، اتخذ الجنرال بريرتون قراره بسرعة: "تأكيد عملية ماركت - غاردن ليوم الاحد ١٧. أفيدوا بوصول الامر".

ونقل النبأ الى الرجال المحتشدين في حظائر الطائرات ومدن الخيام والاكواخ الموقتة المصنوعة من صفائح الصلب. وفي قاعة طعام الرقباء في مقر وحدة الاشارة التابعة للفيلق البريطاني الاول المحمول جواً، قرب بلدة غرانتام البريطانية، كتب أحدهم بالطبشور على مرآة كبيرة فوق المدفأة: "أمامنا ١٤ ساعة... ولا إلغاء للعملية". وكان الرقم يعاد تصحيحه كلما مرت ساعة. ولم يعد أمام الرجال سوى الانتظار.

وفي قاعدة مانستون في مقاطعة كنت البريطانية، كان الرقيب جورج بيليس، من فوج الطيارين الشراعيين، يتطلع الى شيء من الترفيه. وكان قد سمع ان الهولنديين يحبون الرقص، فحرص على أن يحزم في متاعه حذاء الرقص الخاص به.

وكان هناك رجل آخر يحمل معه هدايا اشتراها في لندن قبل أيام. فعندما اجتاح الالمان هولندا لم ينتظر اللفتنانت كوماندر أرنولدوس فولترز، الضابط في الاسطول الهولندي الذي يبلغ اثنين وثلاثين عاما، وانما سارع بالهرب الى انكلترا في كاسحة ألغام. وقبل أيام قلائل، طلب من فولترز أن يذهب الى هولندا كعضو في فريق الحكومة العسكرية والشؤون المدنية الملحق بقيادة الجنرال أوركوهارت. وقال فولترز: "كنت أتوقع أن أصل يوم الاحد الى هولندا، وأن أكون يوم الثلثاء مع زوجتي وطفلتي في بلدة هيلفرسوم". وكان قد اشترى ساعة لزوجته ماريا، واشتري دمية بهيئة دب، ارتفاعه ٦٠ سنتيمترا، لطفلته التي رآها للمرة الاخيرة وهي رضيعة قبل سنوات أربع. وكان يأمل في ألا يلقى اعتراضا على اصطحابه هذا الدب في الطائرة الشراعية.

أما اللفتنانت كولونيل جون فروست (٣١ عاما) المكلف قيادة احدى الكتائب التي اوكلت اليها مهمة الاستيلاء على معبر آرنهيم، فقد وضع بوقه النحاسي الذي كان يستخدمه في صيد الثعالب مع بقية عتاده الحربي. وكان هذا البوق هدية من أعضاء فريق الصيد الملكي العراقي الذي كان فروست رئيسا له خلال ١٩٣٩ - ١٩٤٠. وكان فروست

استخدم هذا البوق في التدريبات لجمع رجاله، واعتزم أن يفعل الامر نفسه في هذه العملية. وقد نام فروست نوما عميقا يوم ١٦ سبتمبر (أيلول). ومع أنه لم يكن ساذجا الى حد الاعتقاد ان معركة آرنهيم ستكون أمرا هينا، الا انه طلب من جندي مراسلته "ويكس" أن يضع بندقية الصيد وذخيرتها ومضارب الغولف وسترة العشاء في عربة القيادة التي ستلحق بهم.

وأصبحت قاعة طعام الرقباء خالية. وظهرت على المرآة التي تعلو المدفأة عبارة أخيرة كتبت قبل أن ينشغل الرجال بالرحيل: "أمامنا ساعتان... ولا إلغاء للعملية".

عبر المانش

كان أزيز التشكيلات الضخمة الطائرة يصم الآذان. وحول قواعد الطائرات الشراعية البريطانية في مقاطعتي اكسفوردشير وغلوسترشير، جمحت الماشية والخيل رعباً في الحقول، وراح الناس في كل مكان يحملقون مذهولين في منظر لم يشهد أحد منهم مثيلا له من قبل، اذ ان أضخم قوة محمولة جواً في التاريخ كانت قد أقلعت نحو أهدافها.

بدأت العملية في الساعات التي تسبق الفجر واستمرت طوال الصباح. واستهل الامر بأن راحت ١٤٠٠ من قاذفات قنابل الحلفاء تدك مواقع المدفعية المضادة للطائرات والتجمعات العسكرية الالمانية في منطقة عملية ماركت-غاردن. وفي الساعة ٩،٤٥، ولمدة ساعتين وربع ساعة، ازدحمت السماء بـ٢٠٢٣ طائرة من حاملات الجنود والطائرات الشراعية وطائرات الجر. وكانت طائرات "هاميلكار"، التي تحمل كل منها ثمانية أطنان من المعدات، تتمايل وتتأرجح وسط جحافل الطائرات الشراعية الاصغر حجماً، من طراز "هورسا" و"واكو". وفوق هذه الحشود وتحتها وعلى جانبيها كانت تطير أسراب المقاتلات والقاذفات المقاتلة. وفي الساعة ١١،٥٥ كانت القوة بأكملها طائرة في الجو، وهي تضم أكثر من ٢٠ ألف جندي، و٥١١ سيارة و٣٣٠ من قطع المدفعية و٥٩٠ طناً من المعدات.

ولم تلبث الحوادث السيئة أن بدأت تقع على الفور تقريباً. فمع وصول آخر المواكب الجوية الى الساحل الانكليزي، كانت ٣٠ من الطائرات الشراعية قد سقطت لأسباب مختلفة، منها تعطل محركات طائرات الجر وانقطاع حبال الجر الجديدة وكثافة السحب في بعض المواضع. ومن سوء الحظ أن ٢٣ من هذه الطائرات الثلاثين كانت من قوة الجنرال أوركوهارت التي يعتزم انزالها فوق آرنهيم.

ثم سقطت ثماني طائرات شراعية أخرى فوق بحر المانش. ولئن كانت وحدات الانقاذ الجوية ـ البحرية قد نجحت، بمهارة نادرة، في انقاذ معظم طواقم هذه الطائرات الثماني، غير ان ذلك كان يعني مزيداً من التآكل في قوات الجنرال أوركوهارت، لأن خمساً من هذه الطائرات الثماني كانت وجهتها آرنهيم.

وعندما ظهر الساحل الهولندي في الافق، بدأ جنود الفيلق ٨٢ الامريكي

والجنود البريطانيون في التشكيلات الشمالية يلاحظون بوادر لا تبشر بالخير، اذ ظهرت في الجو نفثات رمادية وسوداء من دخان البارود تفضح نار المدفعية الالمانية المضادة للطائرات. وبدأت مقاتلات الحراسة تنفصل عن التشكيلات وتشتبك مع مواقع المدفعية المضادة للطائرات. وكان الرجال في الطائرات يسمعون أصوات الشظايا التي استنفدت قوتها وهي تحتك بالجوانب المعدنية للطائرات التي تنقلهم.

وعمل الجنود المخضرمون على اخفاء مخاوفهم بطرق متباينة. فعندما رأى رقيب الاركان بول نونان "كرات الغولف المألوفة من رصاص المتابعة الاحمر تصعد نحونا"، تظاهر بالنعاس. أما الرقيب بيل تاكر، الذي سبق ان تعرض لنار المدفعية المضادة للطائرات فوق النورماندي، فقد تملكه خوف بشع من ان يصاب من أسفل. وأحس بأنه أقل عرياً حين جلس فوق كومة من ثلاث سترات مبطنة مما يستخدم في سلاح الطيران.

وكان الامر الذي يصدق ان الالمان لم يدركوا كنه ما يحدث، على رغم القذف الواسع والمركز بالقنابل في الليلة السابقة، والهجمات الجوية المتواصلة على آرنهيم ونيجميغين وايندهوفن. وكان الفيلد مارشال فالتر مودل في مقره في بلدة أوستربيك ينتظر تشكيلات قاذفات القنابل منذ حين. وبدا الرأي في مقر القيادة اجماعياً: ان أسراب القلاع الطائرة هذه عائدة من عمليات القذف الليلي بالقنابل في ألمانيا. وهناك، كالعادة، أسراب اخرى من هذه القلاع تتجه شرقاً لمواصلة القاء القنابل بلا هوادة فوق ألمانيا. أما القنابل التي تسقط محلياً فهي أمر شائع، اذ ان من عادة الطائرات ان تلقي بما يبقى لديها من القنابل غير المستعملة فوق منطقة الروهر المتاخمة لهولندا. ومن الطبيعي ان يسقط بعضها في هولندا نفسها.

وفي الساعة ١١،٣٠ صباحاً، ارتفعت في سماء آرنهيم أعمدة من الدخان الاسود عندما اندلعت النار في جميع أنحاء المدينة في أعقاب غارة قذف مشبعة بالقنابل استمرت طوال ثلاث ساعات. وفي مدن فولفهيزي واوستربيك ونيجميغين وايندهوفن، سحقت المباني وامتلأت الشوارع بحفر القنابل وأخاديدها وتناثر في أرجائها الحطام وشظايا الزجاج، وأخذ عدد الضحايا يتزايد كل دقيقة. وكان الهولنديون يتكومون في الكنائس والاقبية والمخابىء، أو يخرجون بشجاعة نادرة ليتجولوا بدراجاتهم في الشوارع أو ليتطلعوا من فوق سطوح المنازل. أما حالهم النفسية فكانت تتأرجح بين الخوف ونشوة الانتصار.

وبالقرب من قرية زيلست الصغيرة، على بعد ثمانية كيلومترات غرب مدينة ايندهوفن، كان جيراردوس دي ويت قد احتمى في أحد حقول الشمندر السكري (البنجر) خلال القذف بالقنابل. وما ان انتهى القذف حتى اندفع ملهوفاً للعودة الى زوجته وأطفالهما الاحد عشر. ولاحظ، وهو يقترب من زيلست، أن القنابل التي كانت على الارجح تستهدف المطار القائم خارج مدينة ايندهوفن أخطأت

هذا المطار وسقطت، بدلا من ذلك، على القرية نفسها مباشرة. ولم يستطع دي ويت أن يرى شيئاً سوى الخرائب والاطلال. وكانت النار مشتعلة في منازل عدة، بينما انهارت منازل أخرى وبدا الناس واقفين بلا حول وقد تملكهم الذهول والبكاء.

ثم رأى زوجته أدريانا تجري نحوه قائلة: "تعال بسرعة، لقد أصيب ابننا تايني". ويقول دي ويت: "عندما وصلت الى الصبي، رأيت جانبه الايمن بأكمله مفتوحاً وساقه اليمنى على وشك الانفصال عن جسمه، وكانت ذراعه اليمنى مفقودة. وسألني عن ذراعه، فواسيته بقولي انه مثني تحته". وحمل دي ويت ابنه وسار به نحو نقطة للصليب الاحمر. لكن الفتى ابن الاربعة عشر عاماً مات بين ذراعيه في الطريق.

المجابهات الاولى

بدا للجنرال ماكسويل تيلور، قائد الفيلق ١٠١ الامريكي، ان انزال فيلقه كان "ناجحاً على نحو غير عادي، كأنه مناورة تدريبية". وكان أركان حربه قد توقعوا في الخطة الاصلية نسبة عالية من الاصابات تكاد تبلغ ٣٠ في المئة. لكن عدد جنوده الذين ركبوا الطائرات في أنكلترا كان ٦٦٩٥، قفز منهم ٦٦٦٩ واحداً فوق الموقع. وعلى رغم كثافة المدفعية المضادة للطائرات، فان شجاعة طياري القلاع الطائرة والمقاتلات أتاحت للفيلق ١٠١ انزالا شبه مثالي. غير أنه من بين ٤٢٤ قلعة طائرة كانت تحمل الفيلق، أصيبت واحدة من كل أربع طائرات، وسقطت منها ١٦ طائرة ومات أفراد أطقمها.

ومن بين أفراد الفيلق ٨٢ الامريكي المحمول جواً، نظر الملازم أول جيمس كويل من الهواء فرأى انه متجه الى الهبوط بمظلته فوق خيمة ضخمة لمستشفى ميدان الماني. وفجأة تدافع جنود العدو، وبدأوا يركضون نحو مدافع مضادة للطائرات من عيار ٢٠ مليمتراً منصوبة حول الموقع. وتحرك أحد الالمان في اتجاه الملازم أول كويل، فأخرج هذا مسدسه (عيار ٤٥) من قرابه وحاول اطلاقه فلم يفلح. وبعدما هبط الى الارض، صوب مسدسه الى الالماني مرة أخرى. ويكمل كويل روايته: "كان الالماني على مسافة مترين، ورأيته يتصرف كأنه لا يلاحظ وجودي مطلقاً. وللحال أدركت أنه يهرب". وهرول الالماني في طريقه، وعندما مر بجانب كويل ألقى ببندقيته وخوذته، فتبين كويل "أنه صبي لا يتجاوز عمره الثامنة عشرة. ولم أستطع من ناحيتي أن أطلق النار على رجل أعزل. وأدركت، من آخر نظرة تابعت بها الصبي، أنه كان يجري نحو الحدود الالمانية".

ومع ان مقاومة العدو في منطقة غروسبيك وصفت رسمياً بأنها تافهة، الا ان مقداراً لا يستهان به من القذائف المضادة للطائرات ونار الاسلحة الصغيرة كان يصدر من الغابات المحيطة بمواقع الانزال في المنطقة. ولم ينتظر جنود الفيلق ٨٢ الامريكي حتى يتجمعوا، بل راحوا يعملون فرادى وفي جماعات صغيرة. فهاجموا جيوب المقاومة هذه ولم يلبثوا ان أخضعوها وأخذوا جنودها أسرى. وفي

الوقت نفسه كانت الطائرات المقاتلة تنقض حتى رؤوس الشجر مباشرة وتفرق بنار مدافعها الرشاشة مواقع العدو. وقد نجح الالمان في احداث خسائر جسيمة في هذه الطائرات المهاجمة على ارتفاع منخفض.

وخلال ١٨ دقيقة، كان ٤٥١١ رجلا من الفوجين ٥٠٥ و٥٠٨ من الفيلق ٨٢، مع مهندسيهم و٧٠ طناً من المعدات، قد هبطوا فوق المواقع المحددة للانزال أو بالقرب منها، على جانبي مدينة غروسبيك. ثم جاءت الطائرات الشراعية بما تحمله من رجال أكملوا العدد حتى بلغ ٧٤٦٧ رجلا.

عطل حاسم

في الوقت نفسه في الشمال، كان الاسطول الهائل من الطائرات الشراعية البريطانية يهبط بجنوده وسط الضباب الذي تنفثه الارض واللهب والدخان المتصاعدين من المباني المشتعلة في آرنهيم. وكان الدخان الازرق يتصاعد من موقعي الانزال اللذين امتدت فوقهما طوابير الطائرات الشراعية والطائرات التي تجرها، الى مسافة ٣٠ كيلومتراً تقريباً.

ولفت السكون السائد الجنرال أوركوهارت، الذي يتذكر ذلك بقوله: "كان الهدوء شيئاً لا يصدق، كما لو كنا في حلم". وبينما راح رئيس أركان حربه يقيم مقر القيادة التكتيكي للفيلق على حافة الغابة، اتجه أوركوهارت الى مواقع انزال جنود المظلات التي تبعد نحو ٤٠٠ متر. وكان الوقت قد حان لوصول لواء المظلات الاول بقيادة البريغادير جيرالد لاثبوري.

وفي مكان ما من موقع الانزال، كان الملازم روبين فلاستو قد صدم الارض حين هبط بمظلته صدمة عنيفة أذهلته، فجلس برهة يستجمع حواسه ويتبين اتجاهه. وكان يخس "بعدد لا يصدق من الاجسام والاوعية الضخمة يهبط في كل موضع حوله، بينما الطائرات مستمرة في انزال المظليين". وحين بدأ يفك نفسه من الاربطة التي تقيده الى المظلة، سمع صوتاً عالياً شديد الغرابة. فالتفت، واذا به يرى الكولونيل فروست سائراً بالقرب منه وهو ينفخ في بوق صيده النحاسي.

وفي جميع أنحاء مواقع الاسقاط والهبوط، حيث وصل ٥١٩١ من جنود الفيلق سالمين الى الارض، كانت الوحدات تتجمع وتصطف ثم تتحرك الى وجهتها. وكان الجنرال أوركوهارت "في قمة الغبطة، اذ بدا ان كل شيء يسير على نحو رائع".

ووسط الذعر والارتباك الذي ساد الدوائر الالمانية، كان أول ضابط ألماني كبير دق ناقوس الخطر هو الجنرال فيلهلم بيتربتسن، قائد جيش بانزر "اس ـ اس" الثاني المدرع. ففي الساعة الاولى والنصف بعد الظهر، تلقى التقرير الاول عن قوات محمولة جواً تنزل الى الارض قرب آرنهيم. فتولى حالا انذار الليفتنانت كولونيل فالتر هارتسر، قائد فيلق البانزر التاسع، وأمره بالاستطلاع في اتجاه آرنهيم وأوستربيك. وفي الوقت نفسه أصدر أوامره الى فيلق البانزر العاشر كي يتحرك بمدرعاته الى نيجميغين كي "يستولي على معابر المدينة ويحتفظ

بها ويدافع عنها". وكان جلياً ان وحدات البانزر التي أهمل مونتغومري شأنها تماماً بدأت تتحرك.

انتابت الحيرة الميجور انطوني دين - درامونـد، نائب قائد وحدة الاشارة في الفيلق البريطاني الاول المحمول جواً، ولم يستطع ان يفهم سبباً لما يحدث. فمنذ برهة كان الاستقبال في أجهزة الراديو مثالياً من لواء البريغادير لاثبوري المتجه نحو أهدافه، ومن بينها معبر آرنهيم. أما الآن فقد خفتت اشارات الراديو حتى كادت الا تسمع.

وكانت اشارات لاثبوري ورسائله جوهرية لتمكين الجنرال أوركوهارت من ادارة المعركة. وقرر دين - دراموند ان يرسل سيارة جيب مزودة بجهاز راديو وجندي اشارات لالتقاط رسائل لاثبوري واعادة ارسالها الى قيادة الفيلق. وبعد فترة قصيرة بدأ يسمع الاشارات الصادرة من وحدة التوصيل هذه، فبدا له ان مجال فعالية جهاز الوحدة تضاءل الى حد كبير، لأن اشاراتها وصلت بالغة الضعف والخفوت. وبينما هو يستمع اختفت الاشارات كلياً، ولم يستطع دين - دراموند عندئذ ان يقيم اتصالا مع اي جهة أخرى على الاطلاق.

وحدث الامر نفسه لفريق خاص من جنود الاتصالات الامريكيين في سيارتي جيب تحملان أجهزة راديو. وكان هذا الفريق قد جمع على عجل ودفع به الى قيادة الفيلق البريطاني الاول المحمول جواً قبل ساعات قليلة من اقلاع الفيلق نحو هدفه. وكانت مهمة هؤلاء الامريكيين اقامة اتصال بين الارض والجو بأجهزة "ذات ذبذبة عالية جداً"، حتى يمكن بذلك طلب تدخل الطائرات المقاتلة لمساندة القوات عند الضرورة. ولا شك في ان سيارتي جيب الراديو هاتين كان يمكنهما تغيير سير المعركة في ساعاتها الاولى. لكنهما، بدلا من ذلك، كانتا بلا نفع على الاطلاق، لأن أجهزتهما لم تكن قد ضبطت على الذبذبات الصحيحة الضرورية. وبذلك لم تكد المعركة تبدأ حتى تبين أن اتصالات الراديو البريطانية تعطلت تماماً.

تأخير ينذر بالشر

من فوق السطح المنبسط لمصنع كبير قرب قناة ميز - اسكو على الحدود البلجيكية - الهولندية، كان الجنرال بريان هوروكس، قائد الجيش البريطاني الثلاثين، يراقب آخر التشكيلات الضخمة من الطائرات الشراعية وهي تمر فوق دباباته المنتظرة. واطمأن الجنرال الى ان الهجوم المحمول جواً قد بدأ، فأصدر أوامره لقوات عملية غاردن بالهجوم. وفي الثانية والربع بعد الظهر ارتفع زئير هائل من ٣٥٠ مدفعا أخذت تصب نيرانها.

وأخذت القذائف تسقط طناً بعد طن على مواقع العدو، وهي مركزة على كيلومتر ونصف كيلومتر فقط من الجبهة بعمق ثمانية كيلومترات، فارتجت الارض تحت دبابات قوات الحرس الايرلندي وهي تتقدم ببطء الى خط البدء. ووراء هذه التشكيلات الامامية، بدأت مئات الدبابات والعربات المصفحة الاخرى تتحرك خارجة من مواقفها.

وراحت الدبابات تهدر وتقرقع على

الطريق بسرعة ١٣ كيلومتراً في الساعة. وارتفع ستار المدفعية قليلا ليزحف أمام المدرعات المتقدمة بالسرعة عينها. وكان رجال الدبابات يرون بأعينهم القذائف وهي تنفجر على مسافة أقل من مئة متر أمامهم.

وسارت خلف تشكيلات المقدم عربة الاستكشاف الخاصة بالكولونيل جو فاندلير. وكان هذا اذا وقف في سيارته، يستطيع ان يرى أمامه وخلفه. وهو يتذكر ذلك بقوله: "كان الضجيج يفوق التصور، لكن كل شيء كان يمضي طبقاً للخطة الموضوعة". الا ان الصورة تغيرت فجأة في ثوان معدودة كما يقول فاندلير: "فقد بدأ الالمان يعجنوننا حقاً".

كان الالمان محتمين جيداً في مواقع محصنة حسنة الاخفاء على جانبي الطريق. وانتظرت مدفعيتهم حتى تجاوز ستار مدفعية الحلفاء مواقعهم، وتركوا الدبابات القلائل الاولى تمر، ثم فتحوا النار. وفي دقيقتين اثنتين، أصيبت تسع دبابات وتعطلت، وانتثرت مشتعلة عاجزة فوق ٧٥٠ متراً من الطريق.

وبذلك اوقف الزحف قبل ان يبدأ حقاً. وعجزت التشكيلات الآتية من الخلف عن التقدم. حتى ولو كان في استطاعتها ان تتجاوز الكتل المشتعلة من الدبابات المصابة، فان الهدافين الالمان المختبئين كانوا سيصيدونها. ولكي يمكن استئناف التقدم، طلب فاندلير معونة طائرات تايفون التي كانت تحلق فوقه. ويقول فاندلير: "لقد أذهلتني شجاعة هؤلاء الطيارين. فهم أخذوا ينقضون بطائراتهم متلاحقين، ويخترقون ستار مدفعيتنا نحن. وانفجرت احدى هذه الطائرات فوق رأسي. وكان الامر كله عسيراً على التصديق: فالمدافع تزأر، والطائرات تهدر، وصرخات الرجال ترتفع".

وبينما كانت الطائرات توالي انقضاضها، أرسل فاندلير الى المقدم كاسحة مصفحة لازاحة الدبابات المحترقة من الطريق. ثم تقدمت تشكيلات المشاة كي تنظف الغابة على جانبي الطريق من المكامن الالمانية، مستعينة بعربتين تحمل كل منهما مدفع "برن". ويتذكر قائد دبابة انه رأى "كلتا عربتي المدفع طائرتين في الهواء، بعد ان مرتا فوق ألغام أرضية زرعها العدو". وحين انقشع الدخان، رأى "أجساداً معلقة في الشجر، وقطعاً من الرجال تتدلى من كل غصن شجرة".

عندئذ تقدم المشاة البريطانيون بتصميم عنيد حاقد لارغام الالمان على الخروج من خنادقهم المخفية. وتجرد رجال الحرس الايرلندي من الشفقة، فكانوا يرغمون الاسرى على الركض على الطريق وهم ينخسونهم بحرباتهم. وحاول أحد الالمان الفرار، "فمات في اللحظة عينها التي راودت الفكرة ذهنه"، كما يذكر أحد جنود المشاة.

وتلقى الجنرال هوروكس في موقع قيادته تقريراً يفيد ان المكامن الالمانية على جانبي القوات المتقدمة قد سحقت. ولكن تبين ان هذه القشرة من القوات الالمانية أقوى من كل التوقعات، اذ كان بين الاسرى رجال من كتائب مظلية ذائعة الصيت. ولكي تكتمل المفاجأة التي تلقاها

البريطانيون، كان بينهم أيضاً مشاة مخضرمون تابعون لفيلقي بانزر "اس - اس" المصفحين التاسع والعاشر. وحتى تتضاعف الدهشة أكثر، تبين كذلك ان بعض الاسرى ينتمون الى الجيش الالماني الخامس عشر الذي يقوده الجنرال غوستاف فون تسانغن. وقد ورد في اليوميات الحربية لقوة الحرس الايرلندي ما يأتي:"أمضت مخابراتنا هذا اليوم في حال دهشة غاضبة، لأنها ظلت تكتشف كتائب ألمانية عديدة أخذت تظهر واحدة بعد أخرى، في حين كان يظن أنها بعيدة عن هذا المكان".

وكان الجنرال هوروكس توقع ان تستغرق دباباته" بين ساعتين وثلاث ساعات" كي تقطع مسافة الـ٢١ كيلومتراً التي تفصلها عن مدينة ايندهوفن. لكن وقتاً ثميناً ضاع، ولم يتمكن الحرس الايرلندي الا من قطع مسافة ١١ كيلومتراً فقط ليصل الى بلدة فالكنسفارد مع هبوط الليل. وبذلك تأخرت عملية ماركت غاردن منذ البداية على نحو ينذر بالسوء.

... وتوقف الموكب

كان رجال لواء المظلات الاول الذي يقوده البريغادير لاثبوري يسيرون بملابس القتال المميزة وخوذات الصدام متجهين نحو آرنهيم، وهم مثقلون بالاسلحة والذخائر. وكانت الخطة تقضي بأن تتخذ كل من الكتائب الثلاث التي يتألف منها اللواء طريقاً مختلفاً، بحيث تصل كلها الى آرنهيم من ثلاث جهات متباينة. وأسند تحقيق أهم الاهداف الى الكتيبة الثانية بقيادة الكولونيل فروست. وكان عليها ان تتخذ طريقاً ثانوياً يمتد قرب الضفة الشمالية لنهر الراين الادنى، ثم تستولي على المعبر الذي يمتد فوق النهر ليربط طرفي الطريق الرئيسي الكبير. وكان على الكتيبة أيضاً ان تستولي في طريقها على معبر السكة الحديد والمعبر العائم الواقعين غرب المعبر الرئيسي للطريق الكبير. أما الكتيبة الثالثة، بقيادة الليفتنانت كولونيل ج. ا. فيتش، فكان واجبها بلوغ المعبر الرئيسي من الشمال كي تدعم قوة الكولونيل فروست. وبمجرد انطلاق هاتين الكتيبتين نحو وجهتهما بنجاح، كان على الكتيبة الاولى التي يقودها الليفتنانت كولونيل د. روبي ان تتقدم على طول الطريق الاكثر تطرفاً الى الشمال كي تحتل الارض المرتفعة الواقعة شمال المدينة.

وعلى طول خطوط الزحف الثلاثة، التقى الرجال جماعات من الهولنديين الذين تملكتهم الفرحة. وكان كثير من المدنيين غادروا مزارعهم وقراهم البعيدة ولازموا جنود المظلات، يتبعونهم منذ وقت مغادرتهم مواقع الانزال. ومع تضخم جماعات المتابعين، بدا ان الترحيب يوشك ان يطغى على الزحف نفسه فيغرقه. وكان الكابتن اريك ماكاي يسير على الطريق الجنوبي الاقصى مع الكتيبة الثانية التي يقودها الكولونيل فروست، فأقلقه جو النزهة الذي يحيط بالزحف. وهو يقول في هذا الصدد:"كان المدنيون الهولنديون يعوقون تقدمنا، اذ راحوا يلوحون ويهتفون ويصفقون، ويقدمون التفاح والاجاص (الكمثرى) والمشروبات.



الكولونيل فروست ٠

وكان ذلك لطفاً منهم، لكنهم عاقوا تقدمنا وجعلوني أحس بالخوف الشديد من أن ينتهي ذلك بافتضاح مواقعنا لدى العدو" ٠

وحدث ما كان يخشاه ماكاي، اذ ان موكب النصر هذا توقف فجأة٠ ويتذكر الرقيب الاول هاري كالاغان، الذي كان يسير على الطريق الاوسط، ما حدث، فيقول: "لقد وقع الامر بسرعة بالغة٠ ففي لحظة كنا نسير بانتظام نحو آرنهيم، وفي اللحظة التالية كنا مبعثرين في الحفر والخنادق، حين فتح القناصة الالمان نارهم على حين غرة، فقتلوا ثلاثة جنود تمددت جثثهم في عرض الطريق" ٠ ويتذكر كثير من الرجال ان أول مقاومة ألمانية جدية بدأت بعد انقضاء الساعة الاولى على مسيرتهم، اي نحو الرابعة والنصف مساء٠ ولم تلبث اثنتان من الكتائب الثلاث ـ كتيبة دوبي الاولى على الطريق الشمالي وكتيبة فيتش الثالثة في الوسط ـ ان وجدتا فجأة انهما مشتبكتان في قتال عنيف ضد هجمات العدو٠ وقد أوشك تقدم كتيبة دوبي الاولى على التوقف تماماً حين شارفت بلدة فولفهيزي٠

ويتذكر الجندي السابق وولتر بولدوك الامر فيقول: "توقفنا٠ ثم عاودنا السير٠ ثم توقفنا وحفرنا ملاجيء احتمينا فيها٠ وبعد ذلك تحركنا مغيرين اتجاهنا٠ وكان تقدمنا مرهوناً بنجاح تشكيلات المقدم، بينما كانت قنابل المورتار وقذائف الرصاص تنصب علينا طول الوقت" ٠

وقد دهش جنود المظلات من شراسة الهجمات غير المتوقعة التي شنها العدو٠ وكان الجندي السابق اندرو ملبورن على الطريق الشمالي، فطرق مسامعه دوي النار تطلق عن بعد نحو الجنوب٠ وانتابه للحظة قصيرة شعور بالرضا لأن كتيبته الاولى كلفت مهمة الاحتفاظ بالارض المرتفعة الواقعة شمال مدينة آرنهيم٠ ولكن عندما اقترب ملبورن مع كتيبته من بلدة فولفهيزي، تبين له أن طابور الكتيبة انحرف نحو الجنوب وخرج عن الطريق الرئيسي٠ ورأى محطة السكة الحديد وبالقرب منها دبابة٠ وكان أول ما انتابه الابتهاج، وقال في نفسه: "يا الهي! ان مونتي كان محقاً، فها هو الجيش الثاني وصل الى هنا فعلا!" ثم رأى ملبورن برج الدبابة يدور ببطء، كما رأى صليباً أسود مرسوماً

على الدبابة. وعلى حين غرة، تبين ان الالمان حولهم في كل مكان.

وكان انهيار الاتصالات وما أسفر عنه من افتقار الى التوجيهات عائقاً كبيراً يعرقل رجال الكتيبتين الاولى والثالثة الذين وجدوا أنفسهم يصطدمون بالعدو طوال الوقت في اشتباكات مريرة لا تنقطع، يواجههم فيها جنود "وافن اس - اس" المخضرمون المستميتون. وكان هؤلاء الجنود الالمان أقل عدداً، لكنهم يتمتعون بمساندة العربات نصف المجنزرة والمدفعية والدبابات. فتمكنوا من ابطاء سرعة التقدم البريطاني على الطريقين العلويين حتى أصبح مثل زحف السلاحف، ولم يعد هناك أمل كبير في ان تتمكن الكتيبتان الاولى والثالثة من بلوغ هدفيهما عند آرنهيم طبقاً للخطة الموضوعة. وأصبح كل شيء يتوقف الآن على الكتيبة الثانية التي يقودها الكولونيل جون فروست، والتي كانت تتقدم باطراد على طريق الراين الادنى، وهو الطريق الثانوي الذي أهمله الالمان على نحو شبه تام.

"انجاز عسكري رائع"

على رغم ان كتيبة الكولونيل فروست عرقلت مرات عدة لفترات قصيرة بسبب نار العدو، الا أنها أسرعت بالتقدم نحو أول أهدافها، وهو معبر السكة الحديد الذي يمتد فوق نهر الراين الادنى الى الجنوب الشرقي من مدينة أوستربيك. وطبقاً للخطة الموضوعة، انفصلت جماعة الميجور فيكتور دوفر عن الكتيبة واتجهت الى النهر. وبدا المعبر حين اقتربوا منه خالياً وبلا دفاعات، فصدر الامر الى الملازم بيتر باري بأن يقود فصيلته عبر المعبر. وكانت فصيلة باري على بعد ٣٠٠ متر من المعبر حين رأى "ألمانياً يجري فوق المعبر آتياً من الجانب الآخر حتى بلغ منتصف المعبر، فركع وبدأ يفعل امراً لم أتبينه. فأمرت جماعة من جنودي باطلاق النار، وأمرت جماعة أخرى باقتحام المعبر".

ويتذكر باري انه ورفاقه بلغوا أول المعبر وبدأوا يركضون فوقه بأقصى سرعة. "وفجأة حدث انفجار هائل وتناثر المعبر في وجوهنا حطاماً". وبذلك اختفى أحد المعابر الثلاثة.

وكانت في انتظارهم خيبة أمل أخرى. فعندما بلغوا المعبر العائم، وجدوا ان القسم الاوسط منه قد أزيل. غير أنه بقي أمامهم - على مسافة ١٥٠٠ متر - المعبر الرئيسي الضخم المبني بالخرسانة والصلب، وقد ظهر قوسه الكبير واضحاً لأعينهم في ضوء الغسق قبل حلول الظلام.

وحين اقتربت طلائع الكتيبة الثانية من المعبر، دهش الملازم روبين فلاستو، قائد احدى فصائل المجموعة "ر"، من "ارتفاع المعبر ارتفاعاً كبيراً لا يصدق". ولاحظ فلاستو "وجود نقط حراسة محصنة عند طرفي المعبر بدت هيئتها تنذر بالخطر، حتى وسط جو الهجران والفراغ الذي بدا سائداً". وتقدمت المجموعة "ا" بهدوء في الظلام، واتخذت لها مواقع عند أسفل الدعائم الهائلة الواقعة عند الطرف الشمالي للمعبر، حيث تناهى الى أفرادها هدير حركة المرور فوقه.

وبعيد الثامنة مساء، وصل

الكولونيل فروست مع قيادة الكتيبة وأصدر أوامره فوراً الى المجموعة "أ" بأن تعتلي المعبر. وحين بدأ الرجال يتحركون فوق طرف المعبر دبت الحياة في الالمان، ووجد الرجال النار تنهال عليهم من نقطة الحراسة الواقعة في الطرف الشمالي للمعبر ومن عربة مدرعة وحيدة تقف عند طرفه الجنوبي. وتقدمت فصيلة يعاونها رافعو الالغام التابعون لقيادة اريك ماكاي وهم يحملون قاذفات اللهب، وبدأ الجميع يتحركون في الطوابق العليا لعدد من المنازل التي تقع سقوفها وحجراتها العليا في مستوى النظر مع منحدر بداية المعبر. وفي الوقت نفسه شقت فصيلة الملازم فلاستو طريقها خلال الاقبية. وحين اتخذ الجميع مواقعهم، بدأوا يهاجمون نقطة الحراسة المحصنة.

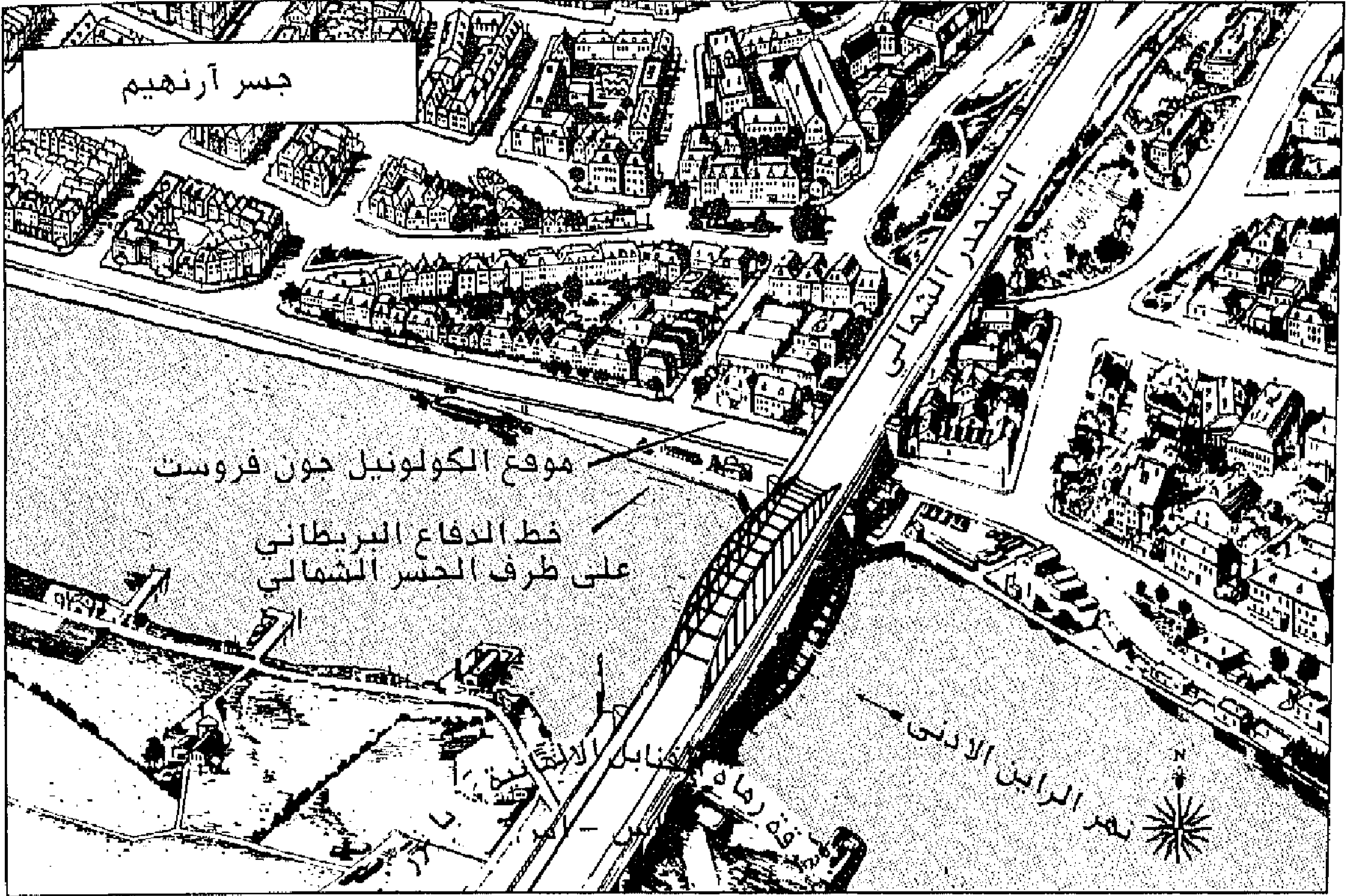
ويتذكر فروست أنه عندما بدأ قاذفو اللهب مهمتهم، "بدا كأن الجحيم اطلق من عقاله. فقد أضاءت النار السماء، وارتفع صوت المدافع الرشاشة، وحدثت سلسلة انفجارات متتالية، وارتفعت طقطقة الذخائر المحترقة التي تخللتها طلقة مدفعية، وطوقت النار مبنى خشبياً قريباً، وتصاعدت صيحات الرعب والخوف".

وانتهت المعركة الوحشية القصيرة فجأة وهمدت مدافع الحراسة المحصنة. ورأى فروست من خلال النار الجنود الالمان يسيرون مترنحين نحو رجاله. وبذلك تمكنت الجماعة "أ" من تطهير الطرف الشمالي للمعبر بنجاح، فأصبح في قبضتها. لكن النار وانفجارات الذخيرة المحترقة جعلت المجازفة باندفاع آخر لاحتلال الطرف الجنوبي مغامرة انتحارية. ولو تم الامر قبل نصف ساعة لأمكن نجاح العملية. أما الآن فقد وصلت الى الضفة الجنوبية للنهر مجموعة من رماة بانزر "اس - إس" واتخذوا مواقعهم متأهبين.

ولم يعد فروست يستطيع ان يفعل شيئاً تلك الليلة سوى حراسة الطرف الشمالي للمعبر الذي استولى عليه من هجمات العدو. وبعد ان تشاور فروست مع ضباطه، انتهى رأيه الى انه من الواضح ان يكون عرض للكتيبتين الاولى والثالثة عائق ما. وكان من المستحيل معرفة ما حدث لهما بالضبط نظراً الى انقطاع الاتصالات. واذا لم تصل الكتيبتان الى آرنهيم خلال ساعات الظلام، فسيتاح للالمان وقت كاف لقطع كل طريق بين رجال فروست وسائر قوات الفيلق.

غير ان الطرف الشمالي من معبر آرنهيم كان في قبضة فروست، ولم تكن لديه أو لدى رجاله المغاوير أدنى نية في التخلي عنه.

وأقيم مقر قيادة الكتيبة على عجل في منزل يشرف على المعبر. وجلس فروست يستجمع أنفاسه للمرة الاولى ذلك اليوم. وأخذ يرشف الشاي من قدح كبير، وهو يقول لنفسه ان الموقف في مجموعه ليس بالغ السوء: "فقد قطعنا ١٣ كيلومتراً فوق أرض صعبة الاختراق واستولينا على هدفنا، وذلك كله خلال سبع ساعات من هبوطنا في هولندا. وهذا انجاز عسكري جيد حقاً". وعلى رغم القلق الذي كان ينتاب فروست، الا أنه



كان، مثل رجاله، متفائلا. وكانت معه تلك اللحظة قوة من ٥٠٠ رجل. وكل ما عليه هو الصمود لمدة ٤٨ ساعة أخرى في أقصى تقدير، حتى تصل دبابات الجيش الثلاثين الذي يقوده الجنرال هوروكس.

خيبة الالمان

كان لهجوم الحلفاء المفاجيء وقع الصاعقة على القيادة الالمانية العليا، من برلين الى الجبهة الغربية. ولم يكن رد الفعل ازاء هذا الهجوم عنيفاً وسريعاً الا في آرنهيم، حيث هبط الفيلق البريطاني الاول المحمول جواً فوق فيلقي البانزر اللذين يقودهما الجنرال بيتريتش. أما في المواقع الاخرى، فقد تملكت الحيرة والارتباك القادة الالمان وهم يحاولون ان يحددوا ما اذا كانت الاحداث المفاجئة التي وقعت يوم ١٧ سبتمبر (أيلول) تمثل فعلا مرحلة البداية في عملية غزو للرايش الالماني.

وفي مقر قيادة الفيلد مارشال جيرد فون رونشتد في مدينة كوبلنتس، كان رد الفعل العام هو الدهشة. ولم تكن دهشة فون رونشتد، الاريستوقراطي الصلب، ترجع الى الهجوم بمقدار ما كان مبعثها الرجل الذي هداه منطقه الى انه قائده، وهو مونتغومري. فقد كان فون رونشتد واثقاً منذ امد طويل من ان الجنرال باتون وجيشه الامريكي الثالث الزاحف نحو منطقة السار هو مصدر الخطر الحقيقي. ومن أجل درء ذلك التهديد، كان قد وجه أفضل قواته كي تصد دبابات باتون الزاحفة بسرعة. أما الآن فها هو أشهر قادة ألمانيا

فقد توازنه موقتاً، اذ أنه لم يكن يتوقع أبداً ان يكون مونتغومري قائد الهجوم الرئيسي لأيزنهاور فهو كان يعتبر دائماً ان مونتغومري "مفرط في الحذر، وأسير عادات محددة، ومنهجي للغاية".

وكان من المستحيل خلال ساعات الليل تقدير حجم قوات الحلفاء التي حملت جواً الى هولندا. لكن فون رونشتد كان مقتنعاً بأنه يجب توقع المزيد من عمليات الانزال. لذلك خرجت الرسائل من مقر قيادته تحمل أوامر بنقل عدد من الوحدات من مواقعها المواجهة للأمريكيين عند مدينة آخن. وكانت هذه التحركات مجازفة، غير أنها مجازفة لا بد منها، اذ ان هذه الوحدات كان عليها التحرك فوراً نحو الشمال. وربما استغرقت ما لا يقل عن ٤٨ ساعة حتى تبلغ مواقع القتال. كذلك أصدر فون رونشتد تعليمات أخرى الى مناطق الدفاع على طول الحدود الشمالية الغربية لألمانيا، يأمر فيها بأن تتجه جميع وحدات المدرعات والمدفعية المضادة للطائرات التي يمكن توفيرها الى هولندا التي كانت هادئة حتى ذلك الحين، ثم أصبحت فجأة، وفق اقتناعه الراسخ، مكمن الخطر المباشر على الرايش الثالث.

كانت السماء تنشر صفحة من الضوء المائل الى الاحمرار فوق آرنهيم عندما شارفت المدينة السيارة المسرعة التي حملت الميجور جنرال هاينز هارمل من برلين. وكان الجنرال متوتراً ومتعباً اثر رحلته الطويلة المرهقة. ولكن حين بلغ مقر قيادة

الفيلد مارشال مودل والجنرال بيتريتش
والميجور كناوست والميجور جنرال هارمل يتباحثون خلال المعركة.



فيلق بانزر "اس ـ اس" المدرع العاشر في رورلو، وجد ان موقع قيادته انتقل الى بلدة فيلب على بعد نحو خمسة كيلومترات شمال شرق آرنهيم. وهناك قابل رئيس أركان حربه الذي كان يبدو منهكاً تماماً. وقال الرجل حين رآه: "حمداً لله أنك عدت". وشرح له أحداث اليوم بسرعة. ويتذكر هارمل الموقف فيقول: "أذهلني الموقف تماماً، اذ بدا كل شيء مرتبكاً وغير واضح. وعلى رغم أني كنت مرهقاً، الا ان خطورة الموقف كانت شديدة الى درجة جعلتني أتصل بقائدي، الجنرال فيلهلم بيتريتش، وأقول له اني ذاهب لرؤيته على الفور".

وما ان دخل هارمل على بيتريتش حتى شرع هذا في ايضاح الخطوط العريضة للموقف على خرائطه. وقال لهارمل: "لقد هبط المظليون البريطانيون هنا، غرب آرنهيم، وليست لدينا أدنى فكرة عن حجم قواتهم الفعلي ولا عن نياتهم". ثم أشار قائد الجيش بيتريتش الى نيجميغين وايندهوفن واستطرد: "لقد حصلت القوات الامريكية المحمولة جواً على مواقع في هاتين المنطقتين، كما ان قوات مونتغومري هجمت شمالا عبر الحدود. وفي رأيي أنهم يستهدفون المعابر، لأن استيلاءهم عليها يفتح الطريق أمام مونتغومري للمضي مباشرة الى وسط هولندا، ثم يواصل تقدمه من هناك ليدخل منطقة الروهر".

ولوح بيتريتش بيديه وقال: "ان مودل يخالفني الرأي. وهو يعتقد ان هناك مزيداً من القوات المحمولة جواً سيجري انزالها شمال نهر الراين، شرق آرنهيم وغربها، كي تزحف بعدئذ نحو الروهر". (★)

ومضى بيتريتش يشرح ان فيلق بانزر "اس ـ اس" التاسع بقيادة هارتسر قد صدرت اليه الاوامر لتصفية البريطانيين غرب آرنهيم وشمالها، وأن فيلق بانزر "اس ـ اس" العاشر كلف تولي جميع العمليات اللازمة في شرق آرنهيم وفي الجنوب حتى نيجميغين. وطعن بيتريتش الخريطة باصبعه وقال لهارمل: "لا بد من الاحتفاظ بمعبر نيجميغين بأي ثمن. وأنت المسؤول عن معبر آرنهيم والمنطقة الواقعة جنوبه حتى نيجميغين".

وبينما كان هارمل ينصت، تكشف له بفزع متزايد انه اذا وقع معبر آرنهيم في ايدي البريطانيين، فانه لن يجد اي وسيلة تتيح له نقل مدرعاته بسرعة عبر الراين الادنى كي تتجه جنوباً الى نيجميغين، وسيضطر اذ ذاك الى نقل فيلقه كاملا ليقطع به النهر عند عبّارة عائمة تقع في قرية بانردين، على مسافة ١٣ كيلومتراً جنوب شرق آرنهيم.

وسأل هارمل قائده بيتريتش وهو ينصرف من مقر قيادته: "لماذا لا ندمر معبر نيجميغين قبل فوات الاوان؟" فرد بيتريتش بلهجة تشيع منها السخرية: "لقد رفض مودل تماماً مجرد

(★) الواقع ان هناك بياناً مفصلا بخطط عملية ماركت ـ غاردن كان قد وقع في أيدي الالمان، وفيه بيان بمواقع الانزال والاهداف وطرق والاقتراب والهجوم. لكن القتال عاق وصول الخطط الى المارشال مودل لبضع ساعات، حتى اذا بلغته هذه الخطط أهملها في البداية ولم يصدقها.

بحث الفكرة، قائلا اننا قد نحتاج الى هذا المعبر لنقوم بهجوم مضاد".

فحملق هارمل وقد تملكته دهشة شديدة، وقال: "وبماذا نشن هذا الهجوم المضاد؟".

انطلق هارمل في الظلام نحو بانيردين. وكانت وحداته بدأت التحرك فعلا نحو المعبر العائم. واختنقت الطرق بالجنود والعربات، في حين شكلت السيارات في بلدة بانيردين نفسها أزمة مرور هائلة. وكان من رأي أحد ضباط هارمل أن هذه الوحدات قد لا تبلغ منطقة العمليات عند قطاع آرنهيم - نيجميغين قبل يوم ٢٤ سبتمبر (ايلول) اذا لم تمكن زيادة سرعة المعبر العائم الشديد البطء.

وكان هارمل يعرف أن المشكلة لها حل واحد فقط، هو أن يسترد معبر آرنهيم ليفتح الطريق الرئيسي الى نيجميغين مرة أخرى. ومع انتهاء هذا اليوم الاول من أيام عملية ماركت - غاردن، تركزت كل مشاعر الخيبة لدى الالمان على رجل واحد عنيد، هو اللفتنانت كولونيل جون فروست القابع عند معبر آرنهيم.

"مدرعات فوق المعبر!"

ظلت رحى المعركة من أجل المعبر دائرة طوال الليل. وقد حاول رجال فروست اقتحام الطرف الجنوبي مرتين، لكنهم ردوا على أعقابهم. ثم حاولت سيارات نقل المانية مليئة بالمشاة الالمان اغتصاب طريقها في الاتجاه المضاد، فأشعل فيها رجال فروست نار قذائفهم التي أحرقت رماة البانزر أحياء في جحيمها. وسقطوا صارخين في مياه الراين الجارية على بعد ٣٠ مترا أسفل المعبر.

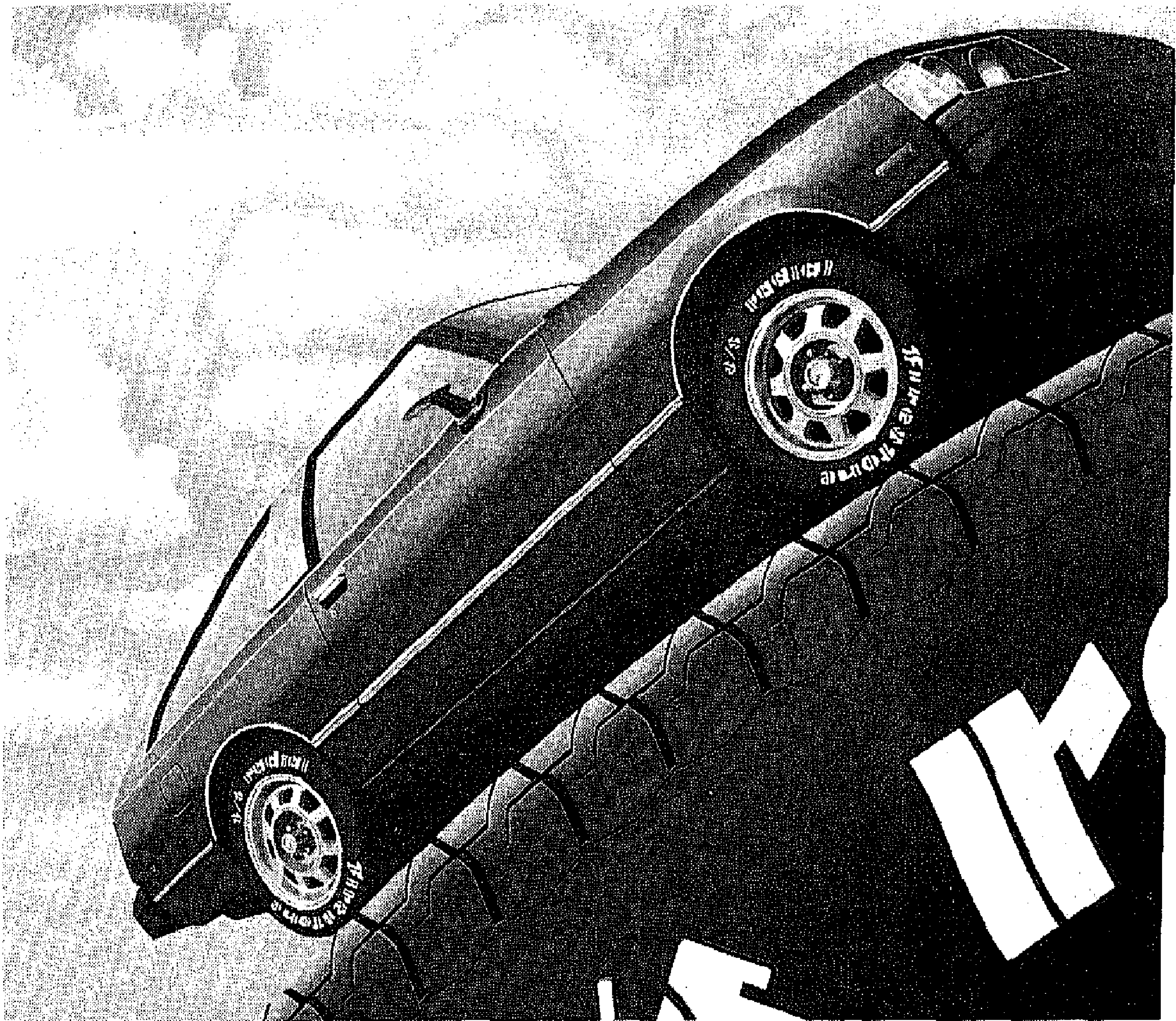
وطوال الليل، كان رجال من الكتيبتين البريطانيتين الاولى والثالثة ينجحون - في جماعات صغيرة من اثنين او ثلاثة - في اختراق طريقهم بالقتال والمرور عبر حلقة دفاع الكولونيل هارتسر في الشمال والغرب لبلوغ المعبر. ومع فجر ١٨ سبتمبر (ايلول)، قدر فروست أن لديه بين ٦٠٠ رجل و٧٠٠ على



"الشياطين الحمر" البريطانيون يدخلون آرنهيم.

المشارف الشمالية للمعبر. غير ان كل ساعة كانت تحمل اليه المزيد من الجنود، كانت تنقل الى أذنيه أيضا تعاظم أصوات آليات العدو. فقد كانت وحدات الجنرال هارمل المصفحة تدخل المدينة وتتخذ مواقعها فيها.

بل ان المدرعات الالمانية نفسها



هدية من فايرستون

أعبر الطرق انيقاً مع اطارات س/س من فايرستون • تلك الاطارات العريضة تلامس الارض بعنف لتلتهم المسافات • انها الاطارات المثلى للقيادة القوية •

اطارات س/س متفوقة في متانتها • صممت الكترونياً لفعالية أكبر وجودة لا تضاهى • كما أن الحروف البيضاء على الاطار تلفت الانظار وتثير الاعجاب •

تفحص اطارات س/س الجديدة ، انها ضخمة وأنيقة •

يعكس مظهرها الرائع عظمة اداثها • وهي تصلح للسيارات الصغيرة والكبيرة • انها هدية فايرستون اليك •

Firestone
INTERNATIONAL COMPANY
S/S Radial

وجدت آرنهيم مكانا خطرا ومخيفا. فعلى امتداد طرق كثيرة تخترق المدينة، كان المدنيون الهولنديون العاديون قد سدوا السبل بالمتاريس. واستطاع الرقيب ريجينالد إيشروود، من الكتيبة البريطانية الاولى، ان يجد طريقه أخيرا - وبعد عناء - الى وسط مدينة آرنهيم عند الفجر، عقب ليلة حافلة بالخطر على الطرق. وهناك رأى "منظرا سيبقى حيا في ذهني الى آخر أيامي": فقد كان الهولنديون يتحدّون رصاص الالمان والانكليز على السواء ويخرجون من الاقبية والمخابىء والحدائق والمباني المحطمة كي يجمعوا جثث القتلى والمصابين". وكانوا يحملون الجرحى "الى عيادات ارتجالية ومخابىء أقيمت في الملاجىء"، حسبما يذكر إيشروود، "أما جثث القتلى فكانت تصف مثل أكياس الرمل في صفوف طويلة، مع وضع الرؤوس والاقدام بالتبادل". وكان مواطنو آرنهيم المتلفعون بالكبرياء والحزن يصفّون جثث الاصدقاء والاعداء على السواء عبر الشوارع ويقيمون بها متاريس يبلغ ارتفاعها مترا ونصف متر أو أكثر لمنع الدبابات الالمانية من بلوغ موقع فروست.

وفي الوقت نفسه، في الضواحي الغربية لمدينة آرنهيم، تحولت الحدائق والشوارع التي كانت منسقة ونظيفة الى مسطحات تملأها ندوب المعركة، بينما كانت القوة الرئيسية للكتيبتين البريطانيتين الاولى والثالثة تواصل كفاحها لبلوغ المعبر.

واستمرت هذه المعركة الغريبة المدمرة، التي خربت مشارف المدينة، على بعد ثلاثة كيلومترات فقط من معبر آرنهيم، من غير أن يبدو انها تسير وفق اي خطة واضحة. وكانت قد غدت مثل كل معارك الشوارع: كتلة واسعة النطاق ومختلطة من الاشتباكات الفردية الشرسة، تجري في اطار بالغ التعقيد من الممرات الضيقة.

وفي تمام التاسعة والنصف صباحا، نظر العريف دون لامب من موقعه فوق أحد سطوح المنازل القريبة من المعبر، ثم صاح بانفعال: "دبابات! انه الجيش الثلاثون". وفي مقر قيادة الكتيبة القريب، سمع الكولونيل فروست جندي مراقبة آخر يعلن ظهور الدبابات، فانتابته لبرهة قصيرة مشاعر الابتهاج الشديد التي تملكت العريف لامب. وهو يسترجع ذلك بقوله: "كنت أحسب اننا سنحظى وحدنا بشرف الترحيب بالجيش الثلاثين في آرنهيم". أما الرقيب تشارلز ستوري فقد صعد السلم ركضا الى نقطة رقابة العريف لامب. وحملق في اتجاه الدخان الذي كان لا يزال يتصاعد من المشارف الجنوبية للمعبر، فرأى طابور الدبابات الذي رآه لامب. وكان رد فعل الرقيب ستوري فورياً: فقد عاد هذا الجندي المخضرم (منذ ما قبل دانكرك) وأسرع يهبط الدرج ركضاً وهو يصيح: "انهم ألمان! مدرعات فوق المعبر!".

وفوق المعبر كانت تتقدم بأقصى سرعة طليعة قوة الاقتحام الالمانية التي يقودها الكابتن بول غرابنر. وراح السائقون الالمان يتعرجون بمصفحاتهم يمينا ويسارا بمهارة فائقة، فنجحوا لا في تجنب الحطام

الملتهب المتناثر فوق المعبر فحسب، وانما ايضا في تجاوز حقل ألغام كان البريطانيون زرعوه ليلا • وكل ما حدث لهم هو أن عربة واحدة من عربات غرابنر الخمس لمست لغماً من حافتها، فأصابها من انفجاره تلف بسيط لم يمنعها من مواصلة زحفها •

وأذهل البريطانيين هذا الاقتحام المفاجىء، لكنهم تمالكوا أنفسهم بسرعة • وراحوا من أعلى المنازل ومن فوق سطوحها، ومن النوافذ ومن خنادقهم، يطلقون النار بكل أنواع الاسلحة التي في متناول الجنود، من المدافع الرشاشة الى القنابل اليدوية • ونجح جندي رفع الالغام رونالد ايمري في اصابة قائد العربة نصف المجنزرة الاولى ومساعده • وحين دخلت الثانية في نطاق النظر، أصاب قائدها ايضا، فتوقفت العربة فجأة بعد أن شارفت المنحدر، وبدأ سائر أفراد طاقمها المؤلف من ستة أفراد يهجرونها، فأصيبوا جميعا واحدا بعد الآخر •

وتقدمت عربتان أخريان نصف مجنزرتين على المعبر، لكن الفوضى انتشرت فجأة بين صفوف المقتحمين الالمان • فقد جرح قائد العربة نصف المجنزرة الثالثة، وأصابه ذلك بالذعر وجعله يغير اتجاه سير عربته الى الخلف، مصطدما بالعربة نصف المجنزرة التي كانت وراءه، فتلاحمت العربتان ودارتا في عرض الطريق، ثم انفجرت احداهما مشتعلة • لكن الالمان المتقدمين من الخلف ظلوا يحاولون شق طريق لهم بعناد شديد • فراحوا يزيدون سرعة عرباتهم في محاولة عصبية يائسة لبلوغ الطرف الشمالي للمعبر، لكن المحاولة كانت تنتهي بهم الى الاصطدام بعضهم ببعض ثم بالاكوام المتضخمة من الحطام التي تنثرها قذائف المدفعية وانفجاراتها • وفقد بعض السائقين السيطرة على عرباتهم نصف المجنزرة، فاصطدمت بحافة منحدر المعبر بعنف جعلها تنقلب فوق الحافة لتستقر على أرض الشارع تحت المعبر • اما المشاة الالمان الذين كانوا يسيرون خلف العربات نصف المجنزرة فقد انهالت عليهم القذائف وصرعهم الرصاص بلا رحمة • وأخيرا عجز الالمان تماما عن التقدم بعد منتصف المعبر، فسارع الناجون منهم بالعودة الى طرفه الجنوبي • وكان الكابتن بول غرابنر، قائد الاقتحام قد لقي مصرعه خلال القتال العنيف الذي دار بلا رحمة •

وكأن القدر شاء ان يهنىء رجال الكتيبة الثانية على نجاحهم في صد الهجوم الالماني، فتمكن رجال الاشارة بينهم فجأة من التقاط رسالة قوية واضحة من الجيش الثلاثين • وتخيل الجنود المرهقون أن محنتهم أوشكت على الانتهاء، اذ لا بد من أن تكون دبابات الجنرال هوروكس على بعد ساعات قلائل منهم •

لكن الامر لم يكن كذلك • فقد كان كل ما وقع من الممر الكبير الموعود في ايدي القوات الانكلو - امريكية حتى ذلك الحين لا يزيد على ٤٥ كيلومترا، تمتد من الحدود البلجيكية الى مدينة فيغيل • فالفيلق ١٠١ تمكّن من قطع ٢٥ كيلومترا من الطريق بسرعة غير عادية، واستولى على مدن ايندهوفن وسانت أودنرود وفيغيل، وعلى كل المعابر الاحد عشر التي

نيطت به مهمة السيطرة عليها ما عدا معبرين اثنين. لكن الالمان نسفوا المعبر القائم عند بلدة سون، وبذلك أصبح جيش الاغاثة الذي يضم ٢٠ ألفاً من الآليات، بقيادة الجنرال هوروكس، عاجزا عن التقدم خطوة أخرى قبل أن يتم اصلاح المعبر.

بحر الانقاض

تأخرت عملية الانزال التالية في اليوم الثاني بسبب رداءة الطقس، فلم تصل الطائرات الى أهدافها الا قرابة الثانية بعد الظهر. وكان الاسطول الجوي ضخما، بل أكبر كثيرا من اسطول اليوم السابق. وعلى رغم ان المعركة كانت جارية، الا ان ٩٠ في المئة من عمليات الانزال تمت في المواقع الصحيحة. ولكن ما ان بلغ الجنود الارض حتى غرقوا في بحر المعركة الدائرة خارج آرنهيم. وفضلا عن ذلك، فان الجنود لم يتلقوا سوى ١٢ طناً من أصل ٨٧ طناً من الذخيرة والطعام والمؤن التي أسقطتها الطائرات، فيما وقع الباقي وسط صفوف الالمان.

وعلى رغم الاصابات الشديدة، فان الكتيبة الثانية والجنود الافراد الشجعان من الكتيبتين الاخريين الذين نجحوا في بلوغها كانوا لا يزالون صامدين في مواقعهم. لكن حال قوات فروست كانت قد بلغت حد اليأس منذ ساعات، وأخذت تتدهور بسرعة أكثر فأكثر.

وكان جنود بيتريتش يحتلون شمال آرنهيم ويحصرون فروست ورجاله عند المعبر، بعد ان نجحوا في منع كتيبتي دوبي وفيتش (الاولى والثالثة) من نجدتهم. وكانت الكتيبتان عجزتا عن التقدم من المناطق المبنية الواقعة حول مستشفى سانت اليزابيث على بعد ١٥٠٠ متر من المعبر، كما كانت تلك حال كتيبة ساوث ستافوردشير والكتيبة الحادية عشرة اللتين وصلتا حديثا. ويقول الجندي روبرت س. ادواردز، من الجماعة "د" في كتيبة ساوث ستافوردشير: "لقد بلغنا الارض الواسعة المكشوفة على الطريق الممتد في محاذاة النهر أمام مستشفى سانت اليزابيث، ثم انهمرت علينا النار سيولا. ولا شك في اننا كنا نبدو كالاهداف الثابتة في ساحة التدريب. وكل ما كان على الالمان فعله هو تركيز مدافعهم كلها على هذه الثغرة الواحدة - وعرضها نحو ٤٠٠ متر - ثم اطلاق النار. وكان من المستحيل أن يخطئوا الهدف".

وقد ألقى ادواردز ببعض قنابل الدخان ليحاول اخفاء تقدمهم، "ثم خفضت رأسي وجريت كالارنب البري". لكنه تعثر "بأكوام من الموتى الغارقين في بحيرات الدماء، حتى بلغت منطقة الحماية الجزئية التي توفرها البيوت والمباني على الجانب البعيد من الطريق". أما الجماعة "د" فقد بيّن احصاء أفرادها "ان ٢٠ في المئة منهم بقوا. واتضح انه لا يمكن أن نستمر في مواجهة هذه القوة الالمانية ذات التفوق الساحق، فاعتصمنا بالامل وانتظرنا طلوع الفجر".

وبدا كأن حائطا صلدا هبط ليفصل الفيلق عن رجال فروست القلائل المتشبثين بمواقعهم عند المعبر.

وفي آرنهيم نفسها، اخترقت

روائح المعركة قلب المدينة. أما على المعبر فقد ارتفع ركام الحطام عاليا فوق أسواره الخرسانية وتناثرت أجزاؤه في الشوارع المحاذية لمجرى الراين الادنى.

وكان الدخان الاسود يلتصق بجدران المباني والساحات فينشر عليها طبقة دهنية، بينما كانت مئات الحرائق تشتعل على امتداد واجهة النهر من دون أن يكون هناك من يحاول اطفاءها. ويتذكر الرقيب روبرت جونز أن المنظر كان "بحراً من المباني المتهاوية التي تضطرم النار فيها وفي أعداد لا حصر لها من العربات نصف المجنزرة وسيارات النقل وسيارات الجيب".

وتتابعت الساعات بينما فروست ينتظر بلا جدوى أن تتمكن كتيبتا دوبي وفينش من كسر الحلقة الالمانية والوصول الى المعبر لنجدته. وعلى رغم أن أصوات القتال كانت تبلغه من غرب آرنهيم، الا انه لم تكن هناك دلائل على تحركات لقوات كبيرة. وفضلا عن ذلك، فان التائهين من جنود الكتيبة الثالثة الذين أمكنهم اختراق خطوط الالمان وبلوغ مواقع فروست أخبروه ان دبابات الجنرال هوروكس لا تزال بعيدة. بل ان بعضهم سمع من مصادر المقاومة السرية الهولندية أن المدرعات لم تبلغ بعد مدينة نيجميغين.

ونحو منتصف الليل، غادر فروست مقر قيادته وقام بجولة في أنحاء قطاعه لدراسة أحوال رجاله. وعلى رغم أن المعركة كانت دائرة بلا هوادة منذ بدء الهجوم الالماني المدرع في الصباح، الا أن معنويات الرجال كانت لا تزال عالية. وكان فروست فخورا بجنوده المتعبين الذين تعلوهم القذارة والتراب، اذ بقوا اليوم بطوله يصدون هجمات الالمان المتتابعة على نحو لم يتمكن معه اي جندي الماني أو عربة المانية من بلوغ الطرف الشمالي للمعبر. لكن المعركة كانت قد تحولت الى مباراة في التحمل الشديد، وهي مباراة كان فروست يعرف ان رجاله لن يستطيعوا كسبها من دون معونة خارجية.

غياب حاسم

كان نقص الاتصالات قد أدى الى أزمة لها أبعاد الكارثة. فمنذ اللحظات الاولى للمعركة فقد الجنرال أوركوهارت اتصاله تماما بجنوده. والحق أن سلسلة من الاحداث التي لا تصدق جعلت قواته تعتقد انه مات أو وقع في الاسر، فتولى البريغادير هيكس قيادة الفيلق بدلا منه.

وفي عصر أول أيام الحملة، ١٧ سبتمبر (ايلول)، بينما كان فروست ودوبي وفيتش يسيرون بكتائبهم نحو معبر آرنهيم، كان الكولونيل تشارلز ماكنزي، رئيس أركان حرب أوركوهارت، يراقب الجنرال يخطو جيئة وذهابا "وهو متوتر وقلق ينتظر الاخبار". وكان المتبع عادة أن يتولى الجنرال ادارة المعركة من مقر قيادة الفيلق، لكنه التفت الى ماكنزي وقال: "أظن اني سأذهب شخصيا لالقاء نظرة يا تشارلز". ولم يصطحب الجنرال سوى سائقه وأحد رجال الاشارة، وانطلق بسيارته الجيب في أعقاب رجاله. وكانت الساعة ٤،٣٠ مساء.

ومضت سيارة الجنرال مسرعة على

طريق أوترخت - آرنهيم. ولم يمض وقت طويل حتى لحقت بوحدات مؤخر الكتيبة الثالثة وكان الجنرال أوركوهارت قد علم أن لاثبوري مضى الى الامام، فذهب في أعقابه. وعند أحد التقاطعات على طريق أوترخت - آرنهيم، عثر الجنرال على البريغادير لاثبوري. وكانت المنطقة آنئذ تتعرض لقصف مدفعي شديد.

واحتمى أوركوهارت ولاثبوري في أحد الخنادق وناقشا الموقف، بعدما كان انقطاع الاتصالات قد شل جهودهما لادارة المعركة. وقرر أوركوهارت محاولة الاتصال بمركز قيادة الفيلق بواسطة جهاز الراديو في سيارته. وحين اقترب من السيارة، رأى انها أصيبت بقذيفة مدفع، وأن رجل الاشارة الذي صاحبه أصيب بجرح بالغ. وعلى رغم أن جهاز الراديو بدا سليما، الا ان أوركوهارت عجز عن الاتصال بمركز قيادة الفيلق. وكتب عن ذلك لاحقا: "رحت ألعن الاتصالات البالغة السوء. وثناني لاثبوري عن محاولة العودة الى مقر قيادتي، لان قوات العدو كانت قد تكاثفت في المنطقة الواقعة بيننا وبين مواقع الانزال. واقتنعت بصحة رأيه فبقيت لكني أدركت تلك اللحظة اني بدأت أفقد السيطرة على الموقف".

وفي منزل كبير يبعد عن الطريق مسافة غير قصيرة، استعد أوركوهارت ولاثبوري لقضاء الليل. لكن أوركوهارت كان قلقاً وغير قادر على نفض التوتر عنه. "وظللت أكرر السؤال عما اذا كان تم أي اتصال مع فروست. لكن شيئا لم يحدث".



الميجور جنرال روبرت اوركوهارت.

واستيقظ أوركوهارت في الثالثة صباحا ومضى خلف الكتيبة الثالثة في تقدمها البطيء. ثم أقفلت الطرق على جنود دوبي ومن بعدهم على جنود فيتش، وتبعثرت الكتيبتان في الضواحي الغربية لآرنهيم. فاضطر أوركوهارت ولاثبوري الى الهرب طلبا للامان، حتى احتميا أخيرا في منزل من ثلاثة طوابق يقع ضمن مجموعة من المباني قرب طريق أوترخت - آرنهيم.

وكانت محنة أوركوهارت تزداد سوءا من دقيقة الى أخرى. وحين وجد نفسه متورطا وسط القتال الدائر، آمن بأن وسيلته الوحيدة للخروج من هذا المأزق هي النزول الى الشوارع ومحاولة اختراق المواقع الالمانية الى مقر قيادته. واختلف معه في ذلك

١٢٥ مليونًا

العبها واربح معها

أضخم يانصيب
من نوعه في اوروبا
يفتح أمامك
فرصة ذهبية للربح!

قبل اليوم لم يكن لديك حظ كبير لربح مليون، لكن هذا اليانصيب يفتح أمامك أبواب الحظ:

- عدد البطاقات المبيعة ٤٠٠ ألف فقط،
- من هذه البطاقات، هناك ٢٠٠٤٨٥ بطاقة رابحة حتما،
- كل بطاقة ثانية تشتريها تحمل معها جائزة،
- الربح الاجمالي هو ١٢٥،١٣ مليون مارك الماني،
- هناك خمس جوائز كبرى تبلغ قيمة كل منها مليون مارك،
- هناك جائزة "سوبر" تبلغ قيمتها مليونا ونصف مليون مارك،

اليانصيب الالماني "كلاس لوتيري" أسس قبل ٣٥٠ سنة،

ولأكثر من ثلاثين سنة، جعل من أمثالك أصحاب ملايين، ويزداد عدد الرابحين سنة بعد سنة،

هذا اليانصيب يختلف عن سواه من حيث أن ريعه يعود ليس الى المشاريع العامة والخيرية، بل الى المشتركين انفسهم. وغني عن القول ان المارك الالماني هو من اقوى العملات العالمية رسوخا،

الرجاء اضافة المبلغ المذكور ادناه لتغطية نفقات البريد، والاجور المصرفية

الضمـــان

ان دفع هذه المبالغ مضمون في الدورة الواحدة (نصف عام)

١ × ١،٥ مليون	= ١٥٠٠٠٠٠	مارك
٥ × ١ مليون	= ٥٠٠٠٠٠٠	مارك
٨ × ١/٢ مليون	= ٤٠٠٠٠٠٠	مارك
١٢ × ١/٤ مليون	= ٣٠٠٠٠٠٠	مارك
٦ × ١٠٠٠٠٠ مارك	= ٦٠٠٠٠٠	مارك
١٤ × ٨٠٠٠٠م	= ١١٢٠٠٠٠	مارك
١٨ × ٥٠٠٠٠م	= ٩٠٠٠٠٠	مارك
٢٢ × ٤٠٠٠٠م	= ٨٨٠٠٠٠	مارك
٢٦ × ٣٠٠٠٠م	= ٧٨٠٠٠٠	مارك
٣٠ × ٢٠٠٠٠م	= ٦٠٠٠٠٠	مارك
٣٠٣ × ١٠٠٠٠م	= ٣٠٣٠٠٠٠	مارك
٤٤٠ × ٥٠٠٠م	= ٢٢٠٠٠٠٠	مارك
١٦٨٠ × ٢٠٠٠م	= ٣٣٦٠٠٠٠	مارك
١٣١٢٠ × ١٠٠٠	= ١٣١٢٠٠٠٠	مارك
١٨٤٨٠٠ × حتى ٨٠٠م	= ٨٥٠٤٠٠٠٠	مارك
٢٠٠٤٨٥ جائزة مجموعها	١٢٥١٣٠٠٠٠	مارك

الجوائز كلها تدفع نقدا، وهي معفاة من الضرائب الالمانية، لكن الشركة، في الوقت نفسه، تحظى بدعم الحكومة التام، وهذا حافز قوي على شرائك بطاقة أو أكثر،

"كلاس لوتيري" مؤسسة غير خاصة، وهي تبيع بطاقاتها عن طريق مكاتب مرخص لها حكوميا، ويجري السحب علنا وقانونيا،

غريغور ✻ فرانكفورت

مكتب لبيع أوراق اليانصيب ذو رخصة حكومية

Rüsterstraße 24, Postfach 11 90 20
D-6000 Frankfurt/Main (W-Germany)
Telex 04 189 125 daw

كيف تشترك في هذا اليانصيب؟

هناك سحوبات عدة على البطاقات نفسها تجرى خلال نصف سنة، بمعدل سحب واحد كل يوم سبت، ويتم ارسال النتائج بالبريد لكل حامل بطاقة، مرفقة بمعلومات وافية وجلية، تمشيا مع تقاليدنا في المعاملة،

ويمكن أن يأخذ الشاري بطاقة كاملة او نصف بطاقة أو ربع بطاقة، فيكون نصيبه في الربح جائزة كاملة أو نصف جائزة او ربع جائزة، وتتساوى جميع الارقام في الحظ،

يانصيب في متناول الجميع!
بسيط مثل لعبة أطفال!

- يمكنك طلب بطاقة بملء القسيمة في أسفل الصفحة، أو بكتابة رسالة الينا من غير قسيمة، محددا فيها طلبك،
- عليك أن ترفق الطلب بالمبلغ المحدد، على أن يكون حوالة مصرفية أو بريدية أو شيكا خاصا او حوالة مسافر أو حتى نقدا، وفي الحال الاخيرة، يفضل ايداع الرسالة البريد المضمون،
- في المقابل ستستلم بطاقتك مع المعلومات المرافقة،
- كذلك ستستلم لائحة دورية بالارقام الرابحة،

في حال الربح!

- سيجري ابلاغك فورا برسالة شخصية،
- يتم دفع الجوائز بأسرع طريقة ممكنة وطبقا لتعليماتك،

الجوائز معفاة من الضرائب الالمانية، وتلتزم الشركة الكتمان التام في شأن أسماء المشتركين والرابحين، فهذا من حق صاحب الملاقة وحده،

> **خدمة حول العالم**
> اذا كنت تحمل بطاقة قبل قراءة هذا الاعلان، فلا ترسل طلبا جديدا لاننا سنراسلك كالعادة، والرجاء، في هذه الحال، أن تحيط أصدقاءك علما بشركتنا، أو أن تريهم هذا الاعلان وتقطع لهم القسيمة المرفقة،

لا تنتظر – اطلب بطاقتك الان!

عدد البطاقات الاجمالي محدود، والافضل ان تحجز بطاقتك فورا،

نعم! لقد وافقت على أن ألعب لعبة الـ١٢٥ مليونا، وأريد الاشتراك في الدورة التي تبدأ في ١٧ مايو (أيار) ١٩٨٠ وتنتهي في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠،

	مارك الماني	دولار أمريكي	جنيه استرليني
☐ بطاقة كاملة	٦٠٠	٣٥٣	١٦٠
☐ نصف بطاقة	٣٠٠	١٧٧	٨٠
☐ ربع بطاقة	١٥٠	٨٩	٤٠
☐ بطاقة الحظ السعيد (أربعة أرباع ذات أرقام مختلفة)	٦٠٠	٣٥٣	١٦٠

اذا تم الدفع بغير الدولار الامريكي أو المارك الالماني أو الجنيه الاسترليني، فستعتمد قيمة العملة المحولة يوم تسلم الرسالة، المبالغ المحددة تشمل ثمن البطاقة خلال سحوبات دورة كاملة، أي نصف سنة، والمبلغ الاضافي يشمل جميع المصاريف الاخرى طوال هذه الفترة،

جميع الحوالات توجه باسم: W. GREGOR, Postfach 11 90 20, D-6000 Frankfurt/M.

☐ طيه حوالة بقيمة مارك الماني/ دولار امريكي/ جنيه استرليني،
☐ سادفع المبلغ فور استلامي البطاقة (أو البطاقات) التي طلبتها،

الرجاء ارسال المعلومات المتعلقة بهذا اليانصيب باحدى هذه اللغات الى العنوان الآتي:

Mr./Mrs./Miss

Street address (or P.O.Box-No.)   City (Postal code No.)

Country   الرجاء الكتابة بالاحرف الكبيرة أو الطباعة على الآلة،

لاثبوري وضابطان آخران، اذ رأوا ان هذا يعرض سلامته الشخصية للخطر. غير ان أوركوهارت صمم على رأيه.

وخلال المؤتمر الذي عقد على عجل وسط ضجيج المعركة، ذهل أوركوهارت وضباطه حين رأوا عربة بريطانية تحمل مدفع "برن" وهي تذرع الشارع غير عابئة بسيول النار الالمانية، حتى توقفت أمام المبنى الذي يجتمعون فيه ووثب منها جاريا نحو المبنى ملازم كندي وصفه أوركوهارت بأنه "بدا كأن حياته تحميها تعويذة سحرية". واستطاع أوركوهارت للمرة الاولى ان يعرف مجرى الامور من هذا الملازم. وقال لاحقا: "ان الاخبار كانت غير مشجعة اطلاقا، اذ كانت الاتصالات لا تزال مقطوعة، وكان فروست على طرف المعبر الشمالي يتعرض للهجمات المكثفة وهو ثابت في موقعه، وكنت أنا - طبقا للبلاغات - مفقودا أو أسيرا". وقال أوركوهارت للاثبوري انه بات محتما الان "أن نجازف للخروج من المأزق قبل أن يطوقنا الالمان كلياً".

وقرروا مغادرة المبنى من الخلف، حيث يحتمل أن يتمكنوا من النجاة تحت غطاء من النار وقنابل الدخان. وكان الطريق أشبه بالكابوس، اذ بدأ جنود المظلات نشر ستار كثيف من الدخان، واندفعت جماعة اوركوهارت خارجة من الباب الخلفي حيث ركض أفرادها مخترقين حديقة خضَر، ثم تسلقوا سوراً بعد آخر، كان من بينها جدار يرتفع ثلاثة أمتار. وانتقلوا على طول مجموعة المنازل حتى بلغوا في النهاية نقطة تقاطع مع شارع مرصوف بالبلاط الصغير. وهنا جعلهم التعب والارتباك يخطئون الحساب على نحو جسيم. فبدلا من أن ينحرفوا يسارا - وهو الاتجاه الذي كان يمكن أن يوفر لهم مجالا للامان - اتجهوا يمينا نحو مستشفى سانت اليزابيث، تحت النار الالمانية مباشرة، فأصيب البريغادير لاثبوري.

وأسرع الآخرون يجرونه داخل أحد المنازل. ورأى أوركوهارت أن الرصاصة اخترقت الجزء الاسفل من ظهر البريغادير وأصابته بشلل موقت، فلم يعد يستطيع السير أو الانتقال. وحث لاثبوري الجنرال على أن يمضي ويتركه، وقال له: "لن يفيدك البقاء يا سيدي، بل سيوقعك في الاسر". وبينما هما يتحدثان، رأى اوركوهارت جنديا المانيا عند النافذة، فرفع مسدسه الاوتوماتيكي وأطلق النار من مسافة قصيرة جدا، فتحول وجه الالماني فورا الى كتلة مختلطة دامية ثم اختفى.

وترك الرجال الثلاثة الآخرين زميلهم لاثبوري لعناية زوجين هولنديين ثم، كما يقول اوركوهارت: "غادرنا البيت من بابه الخلفي للانطلاق في متاهة أخرى من الحدائق الصغيرة ذات الاسوار". لكنهم لم يتمكنوا من الذهاب بعيدا، اذ انهم، حين بلغوا حديقة المنزل الرقم ١٤ في شارع "سفارتفيغ"، اضطروا مرة أخرى الى الاحتماء في مطبخ هذا البيت الذي يملكه انطون ديركسين. وأخذ انطون يلوح بيديه محاولا انذار البريطانيين بأن الالمان يحيطون بالمنطقة، وأسرع يدفع زواره الى صعود درج ضيق ينتهي الى غرفة

نوم. ونظروا بحرص شديد عبر النافذة، فأدركوا مغزى اشارات انطون العصبية، اذ رأوا الجنود الالمان تحتهم مباشرة في بضعة مواقع تنتشر على امتداد الشارع. ويقول أوركوهارت متذكرا: "كنا قريبين منهم جدا، بل كنا نسمع حديثهم". وأخذ يقارن في ذهنه بين مجازفة الاستمرار عبر الحدائق الخلفية للمنازل ومجازفة الاندفاع في الشارع الامامي مع الاستعانة بالقنابل اليدوية لفتح الطريق. وكان مستعدا لاي مغامرة في سبيل العودة الى مقر قيادته. لكن حرص ضباطه على حياته جعلهم غير مستعدين اطلاقا لقبول أي من هذه المجازفات، اذ رأوا من الافضل الانتظار حتى يستولي الجنود البريطانيون على القطاع بدلا من المخاطرة بتعريض الجنرال الذي يقود القوة كلها للاسر أو الموت.

ولم يلبث أوركوهارت ان سمع القرقعة والصرير المألوفين اللذين تصدرهما سلاسل الجرارات، فاضطر الى البقاء في مخبئه القسري. ورأى الضباط الثلاثة عبر النافذة مدفعا المانيا اوتوماتيكيا "يجَرّ" في الشارع ببطء، حتى توقف خارج منزل ديركسين تماما. وكاد سقف العربة المصفحة ان يبلغ مستوى نافذة غرفة النوم التي يقبعون فيها. ولم يلبث أفراد طاقم المدفع أن نزلوا من العربة وجلسوا يدخنون ويتحدثون تحت النافذة مباشرة. واتضح انهم لن يواصلوا سيرهم، وتوقع الضباط البريطانيون أن يدخل هؤلاء الالمان البيت في أي لحظة، فسارعوا الى انزال سلم صغيرة تؤدي الى غرفة علیا ضيقة وصعدوا اليها على الفور.

وتكوم الجنرال اوركوهارت في الغرفة الضيقة ونظر حوله، فرأى - وهو العملاق الذي تبلغ قامته ١٨٣ سنتيمترا - ان مخبأه الجديد لا يسمح الا بالزحف. وأحس بأنه "أبله ومدعاة للهزء، وان قيمته في هذه المعركة لا تتجاوز قيمة المتفرج". فهو الرجل الوحيد الذي كان يمكنه أن يضفي التماسك والتنسيق على الهجوم كله. الا انه معزول هنا في غرفة عليا، عاجز عن الافلات من المصيدة التي وقع فيها داخل الخطوط الالمانية.

ولم يصل الجنود البريطانيون الى المنزل الرقم ١٤ في شارع سفارتفيغ، الا صباح ١٩ سبتمبر (ايلول). وكتب أوركوهارت عن ذلك لاحقا: "سمعنا صرير المدفع الاوتوماتيكي خارج البيت، ثم تصاعدت قرقعة جنازيره حين بدأ يتحرك مبتعدا". وظهر أمامهم عندئذ انطون ديركسين، "وأعلن بعصبية وحماسة أن البريطانيين عند ناصية الشارع. فجرينا في الطريق، وحمدت الله على أننا عدنا الى الاتصال بقواتنا".

واستولى اوركوهارت على سيارة جيب وقادها بأقصى سرعة مخترقا وابلا كثيفا من نار القناصة، حتى بلغ أخيرا قيادة الفيلق في السابعة والثلث صباحا، بعد أن تخلّف وفقد السيطرة على المعركة في أحرج فتراتها لمدة ٣٩ ساعة تقريبا. وأسرع الكولونيل ماكنزي يقدم اليه بيانا عن الموقف كما يبدو لقيادة الفيلق.

كانت الصورة مفزعة. وامتلأت نفس أوركوهارت بالمرارة وهو يرى فيلقه الشامخ يتبعثر ويتقطع. وجالت

في خاطره جميع العقبات التي لاحقت قواته في عملية ماركت: البعد الكبير بين مواضع الانزال والمعبر، انهيار الاتصالات على نحو شبه تام، تأخر الانزال الثاني بسبب سوء الاحوال الجوية، فقد شحنات الامدادات الثمينة التي سقطت بمظلاتها بين صفوف الالمان، بطء تقدم دبابات هوروكس. وكان أشد ما بعث الحسرة في نفس أوركوهارت ذلك التفاؤل المفرط الذي لازم تخطيط العملية في مراحلها الاولية وأدى الى عدم توجيه الاهتمام الكافي لوجود قوة مدرعات البانزر التي يقودها بيتريتش.

تلك العوامل كلها تفاعلت لتدفع فيلق أوركوهارت الى حافة الكارثة. ولم يعد التماسك يضفي على صفوف "الشياطين الحمر" سوى انضباطهم الفائق وشجاعتهم التي تفوق التصور. ومع ذلك، فقد أدرك أوركوهارت أن عليه أن يطلب من رجاله المنهكين الجرحى مزيدا من التضحيات يفوق كل ما سبق أن طلبه أي من قادة القوات المحمولة جواً. ولم يكن أمامه مجال للاختيار، اذ ان هذا الجنرال الاسكوتلندي الخافت الصوت رأى أن السيل المطرد من الامدادات الالمانية يفرض عليه ان يتخذ قراراته فوراً، "والا تعرض فيلقي للتدمير التام". بل ان الوقت في تلك اللحظة قد يكون فاته لانقاذ فيلقه المحبوب من الابادة.

■ **كورنيليوس ريان**

الجزء الثاني في العدد المقبل



غرام الملوك

في مأدبة عشاء اقيمت في لوس انجيليس تكريماً للامير تشارلز ولي عهد بريطانيا، روى الممثل الامريكي دين مارتن هذه الفكاهة: "ليتني اكون اميراً يوماً واحداً، واقابل اميرة، لاصحبها في المساء ثم اسألها: هل نذهب الى قصرك ام الى قصري".

ا. ك.

من دون بهارات

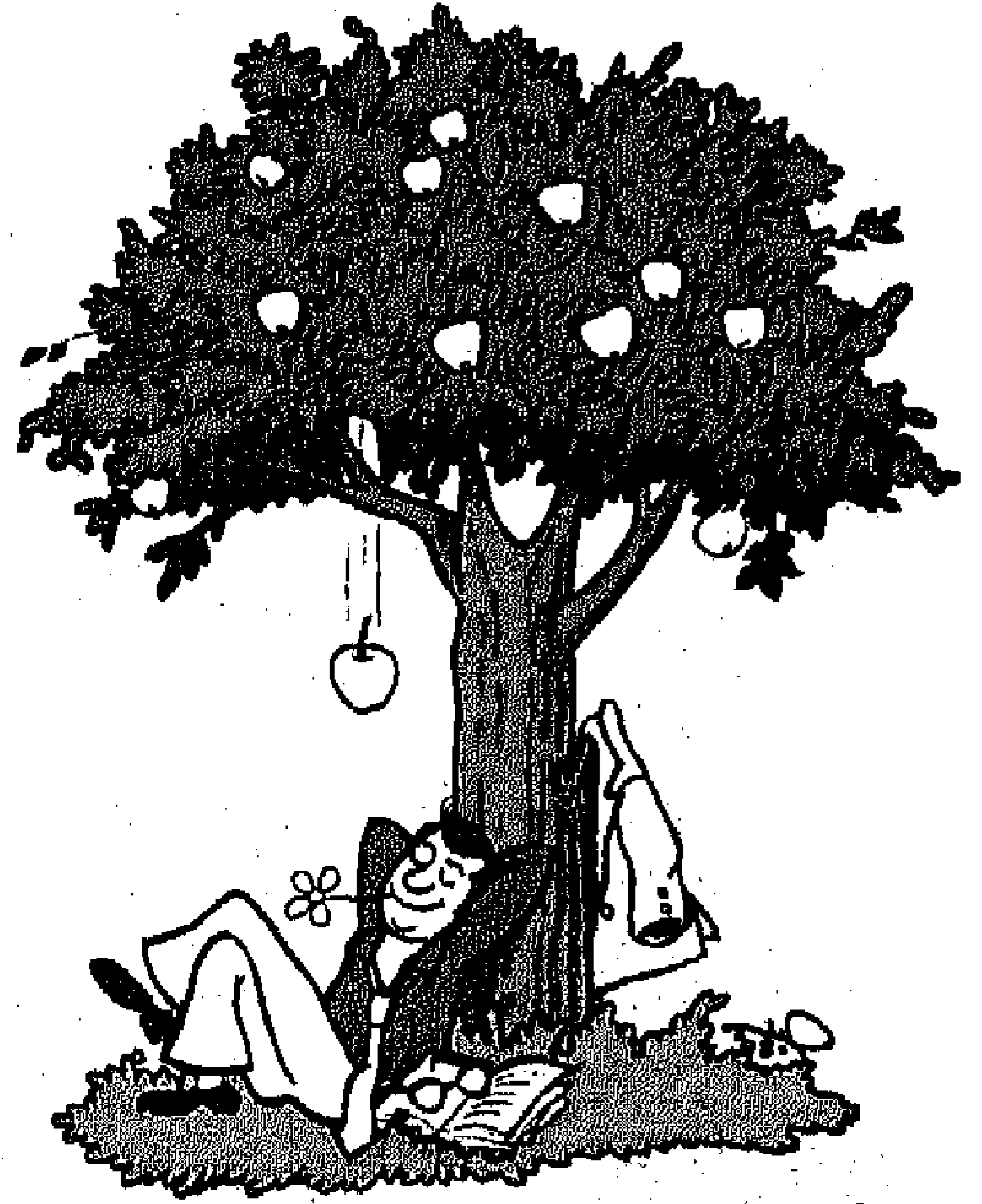
دخل ساعي البريد المكتب وهو يعرج وقد تمزقت رجل سرواله. فسأله رئيس المكتب: "ماذا حدث؟"

ـ كنت في طريقي، واذا بكلب ضخم اصفر ينقض على ساقي ويعضني في كاحلي.

□ هل وضعت اي شيء على كاحلك؟

ـ ابداً. لقد اعجبه هكذا، من دون اي بهارات.

د. ب.



تأملات معاصرة

اليد

أي وصف بسيط يمكن ان نطلق على أداة تقوم "مناوبة" بالضرب والمباركة، بالعطاء والتسلم، أداة تطعم وتقسم، تتسلى بقتل الوقت وتقرأ للاعمى وتتحدث للابكم وتلوّح وداعا لصديق بينما تدفع اذى العدو وتنوب عن المطرقة والملقط والألفباء؟

بول فاليري

النقد

رأيت الكثير من الاشياء المدهشة في حياتي، لكنني لم أرَ قط انسانا يتقبل النقد حقا. فكل نقد بغيض سواء كان عارضا ام خبيثا أم بناء. ومن المؤكد انك ستفيد من النقد في الامد البعيد والشاق، لكن تقبل النقد يعني غير ذلك. انه يعني دخوله في النفس في هدوء من دون ان يرفّ لك جفن او ان تجفل او تتمنى لو ابتلعتك الارض.

الخلود

علّق كاتو الكبير، وهو يرى التماثيل تقام للآخرين، قائلا "افضل ان يتساءل الناس "لمَ لا يقام تمثال لكاتو؟" من أن يتساءلوا "لمَ اقيم له تمثال؟""

توماس ل. ماسون

"أحسن القصص في العالم"

الثقافة المستمرة

يجب ان تكون الثقافة عملية مستمرة مدى الحياة. وعلينا التخلي، في اسرع وقت، عن الفكرة القائلة بأن المدرسة نشاط مرتبط بالصبا. اذ كيف يكون الامر كذلك في عالم لا يعود نصف الاشياء التي يعرفها المرء في العشرين صحيحا عندما يبلغ الاربعين، ولا يكون نصف الاشياء التي يعرفها في الاربعين قد اكتشف يوم كان في العشرين؟

آرثر س. كلارك، كتاب "المنظر من سرنديب"

البحث عن الذات

ليت الشبان الباحثين عن "ذواتهم الحقيقية" يتعلمون ان الذات الحقيقية ليست شيئا يكتشفه المرء بمقدار ما هي شيء يصنعه عبر افعاله اليومية.

سيدني ج. هاريس

ايها المحامي

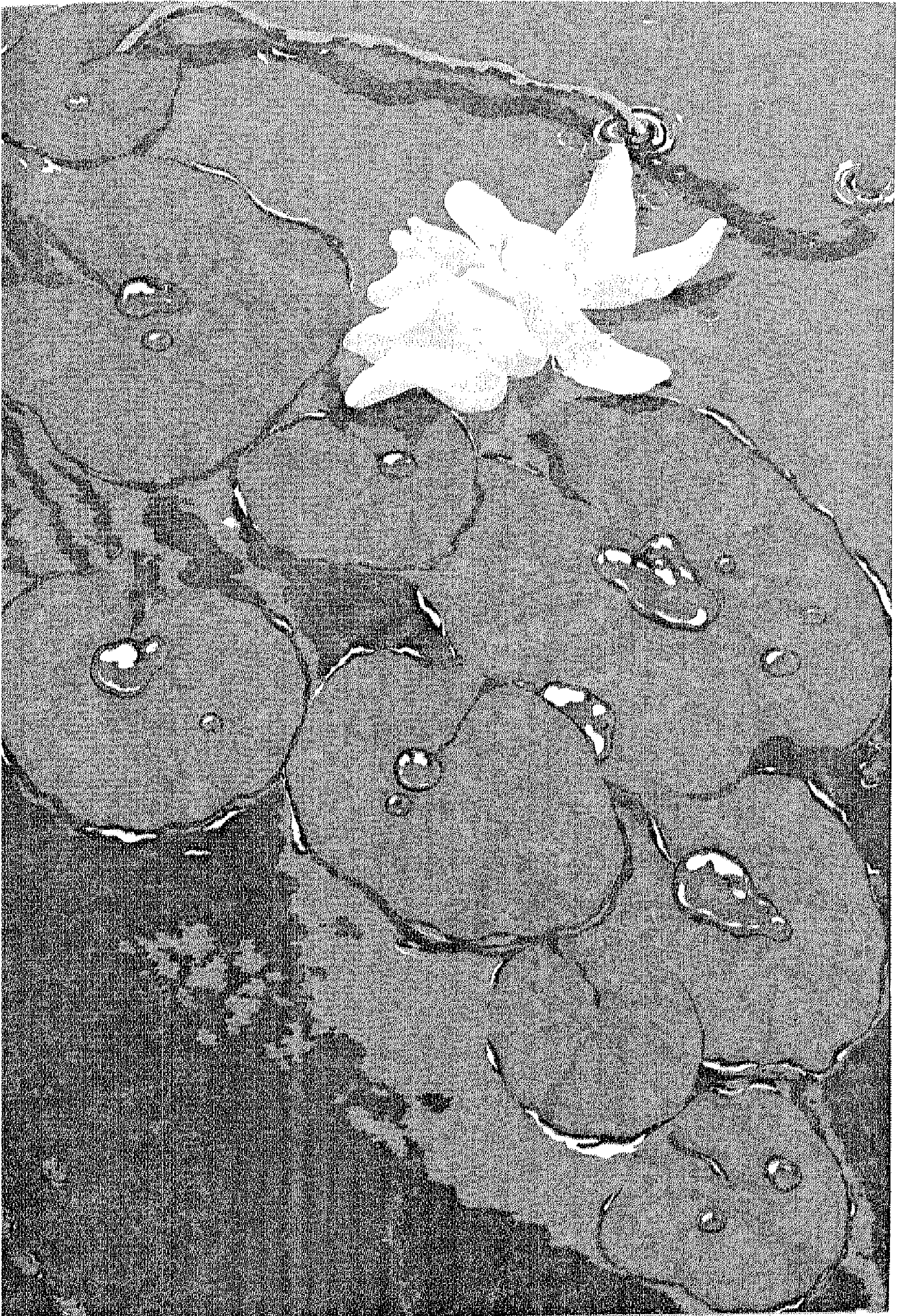
اثنِ المتخاصمين عن اللجوء الى القضاء، وأقنع جارك بالمصالحة متى استطعت. ان للمحامي، كداعية سلام، فرصة أكبر مما لسواه ليكون رجلا صالحا. ولا تخشَ على عملك، فسيبقى هناك ما يكفي للعيش.

ابراهام لنكولن

استثمار الخسارة

اهم ما في الحياة ليس مجرد استثمار ارباحك. فان اي احمق قادر على ذلك. المهم هو استثمار الخسائر والافادة منها. وهذا يتطلب ذكاء، وهو محك التمييز بين العاقل والاحمق.

ديل كارنيغي، كتاب "دع القلق وابدأ الحياة"



حزيران - تموز (يونيو - يوليو) ١٩٨٠
شعبان - رمضان ١٤٠٠

المختار

خاص

مشروع اللورد كارادون لتعديل القرار ٢٤٢

الوطن الفلسطيني والحدود الآمنة

AL MUKHTAR min Readers Digest June-July 1980 Nº 19-20

حزيران - تموز (يونيو - يوليو) ١٩٨٠
شعبان - رمضان ١٤٠٠

المختار



من ريدرز دايجست

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢د

النجوم المتألقة

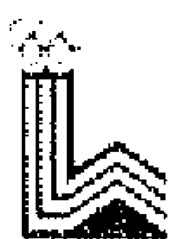
هنا ترى كل ما أنتجته شركة "جي، في، سي"، ونحن نعتقد ان كلا من هذه الاجهزة نجم متألق في ذاته.

فليس في امكان كل شركة سمعية - تلفزيونية انتاج مضخم الصوت "سوبر - أ"، وشريط الكاسيت المعدني الاول في العالم الذي يعمل على جميع أجهزة التلفزيون الملوّنة وغير الملوّنة، ونظام V H S لأجهزة الفيديو، ونظام VHD Video Disc الذي أحدث ثورة في الاداء التلفزيوني وسواها من أجهزتنا المتطورة الظاهرة هنا.

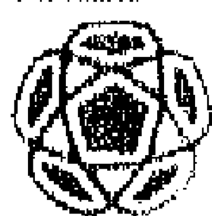
هذه الاجهزة خير برهان على خبرة "جي، في، سي" طوال ٥٣ سنة من البحث الدقيق والتطور المستمر ورفض الانصياع للعوائق، وهذا هو السبب الذي جعل لجنة الالعاب الاولمبية تعتمدنا لدورتها الجديدة عام ١٩٨٠.

ان لدى شركتنا عشرة آلاف موظف حول العالم يعملون بنشاط واخلاص تامين ليكون كل ما يصدر عن "جي، في، سي" نجماً متألقاً، جديراً بزبائننا الكرام.

JVC جي في سي



THE OFFICIAL HOME VIDEO SYSTEMS OF THE 1980 OLYMPIC WINTER GAMES



Official Audio & Video Systems of the European Football Championship 1980.



Official Audio & Video Systems of the UEFA Cup Finals.



Official Audio & Video Systems of the FIFA World Cup 1982.



أكتب واربح

هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

☐ **صور من الحياة: ٥٠ دولارا**

القصة يجب ان تكون حقيقية وغير منشورة وتتحدث عن تجربة شخصية وعن موضوع جدي.

☐ **الضحك خير دواء**

ينطبق على هذا الباب ما ينطبق على الباب السابق. ويدفع ٥٠ دولارا عن النكتة الاصلية و٢٥ دولارا عن النكتة المنشورة.

☐ **تأملات معاصرة: ٥٠ دولارا**

مقاطع ذات مغاز حكمية حول موضوع معين.

☐ **حديقة افكار**

اقوال مأثورة للاعلام العرب.

تدفع ١٠ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

☐ **السدات**

هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود، خصوصا المطبوعات المحلية والاقليمية. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع ٥ دولارات عن السطر ذي العمودين.

☐ **المقالات**

يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مثل المآسي الواقعية والتجارب غير العادية التي مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع بدقة وتفصيل.

يدفع ٥٠٠ دولار عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- ○ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ○ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة (الضحك - حديقة أفكار...).
- ○ في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ○ ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة أفكار"، الكتاب الذي نقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- ○ تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر أجنبية.
- ○ لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR
min Reader's Digest
S.E.P.I.
37, Avenue George V
75008 Paris, France

We're establishing friendly Thais with America.

At Thai there's a lot of excitement in the air.

No sooner do we announce the arrival of our magnificent new 747's, than we follow it up with some even bigger news.

The opening in April of our gateway to North America.

A route that takes us from Bangkok to Tokyo then direct to Seattle and Los Angeles.

Why Seattle?

To begin with it's actually 424 miles closer to Tokyo than San Francisco, so flying time is cut by over an hour.

From Seattle you're that much closer to more southern and east coast cities.

And the airport is generally less congested than others on the west coast, so there's every chance you'll be quicker off the plane, quicker through immigration and quicker with your onward connections.

Choosing this route is another example, we think, of the pioneer spirit that's helped us become one of the most respected airlines in the world today.

Whether you're reclining on a slumber seat in First Class, savouring the quiet of our Business Class or enjoying our famous Royal Orchid service in Economy, your ties with America are best made with Thai.



MN&C/THA/2115



المختار
من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

المستشار الثقافي : مؤنس طه حسين ·
رئيس التحرير : ادمون صعب ·
رئيس التحرير المعاون : اديب صعب ·
مدير التحرير : فؤاد غطاس كرم ·
امانة التحرير : رينا نداف ·
الاخراج : اروى سيف الدين ·
الامتياز :
شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس ·
الناشر :
شركة رأس الخيمة للمنشورات الدولية ·
المؤسسون: غسان تويني، توفيق ابو خاطر، عثمان عائدي، لوسيان دحداح ·
الخدمات الصحافية:
شركة الدراسات والمنشورات الدولية S.E.P.I.
الادارة والتحرير (العنوان الموقت) :
AL-MUKHTAR *min* Reader's Digest
c/o AN-NAHAR
B.P. 11—226, Beyrouth, Liban
Tél.: 340047 — Telex 22322 LE
توجه المراسلات والاشتراكات الى العنوان الآتي:
AL-MUKHTAR *min* Reader's Digest
19, Av.Franklin Roosevelt 75008 Paris, France
الاعلانات شركة تمام TAMAM
19, Av. Franklin D. Roosevelt — 75008, PARIS
التوزيع:
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ·
الصف والتنفيذ:
شركة المطبوعات العربية - باريس ·
الخط: محمد ماجد ·

الطبعات الدولية لـ"ريدرز دايجست"
المدير العام: جون أ· اوهارا ·
مدير التحرير: آلان دوليرو ·

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانماركية والفنلندية واليابانية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية اضافة الى العربية ·

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.
N° DE LA COMMISSION PARITAIRE 3398RL

الغلاف اسماك بحرية (نيل وليفر)

AL MUKHTAR *min* Reader's Digest
June-July 1980 N° 19-20 *(New Series)*. Vol. 2



POLIGRAFICI EDITORIALE SPA
PRINTED IN ITALY

بين السطور

"المختار" في بيروت

عندما اختارت هذه المجلة باريس مقراً لها في ايار (مايو) ١٩٧٨، كان واضحاً لدى الجهازين التحريري والاداري فيها ان العاصمة الفرنسية لا يمكن ان تكون الا مقراً موقتاً لـ"المختار" وان المجلة التي تصدر للعالم العربي يستحيل عليها البقاء بعيدة عن قرائها.

من هذا المنطلق يتخذ انتقال المجلة، تحريرا وادارة، الى بيروت طابعاً واقعياً. وقد تحقق هذا الانتقال في شهر نيسان (ابريل) الماضي.

... ولكن، لماذا بيروت. وفي هذه الظروف بالذات؟

ان بيروت، على رغم الظروف التي تعصف بلبنان منذ خمس سنوات، كانت امراً سلمنا به أكثر مما كانت قراراً اتخذناه.

ذلك ان العاصمة اللبنانية لا تزال الملتقى الامثل للمشرق العربي ومغربه، وللشرق والغرب في آن. كما انها لا تزال المركز الامثل للعمل النشط وللتبادل التجاري والتفاعل الثقافي. وقد أثبتت التجربة صحة هذا الامر. اذ ان "المختار" كانت منذ ايار (مايو) ١٩٧٨ تحرر وتتضدد وتخرج في باريس وتطبع في ايطاليا ثم تشحن بحراً الى بيروت لتوزع من هناك الى أنحاء العالم العربي. وكان انجاز هذه العملية يستغرق فترة تراوح بين شهرين ونصف شهر وثلاثة أشهر، مما يعني ان تحضير العدد يجب ان يسبق انزاله الى السوق بأربعة أشهر وان صاحب العلاقة الذي يرغب في ادراج اعلان في "المختار" عليه ان يحجز مكانا لهذا الاعلان ٧٥ يوما قبل صدور المجلة وان المادة التي تصل متأخرة لا أمل لها في النشر مهما تكن اهميتها، كما ان بُعدَ المطبعة (بولونيا - ايطاليا) عن مركز تحرير المجلة (باريس) يتطلب مزيدا من الوقت للتدقيق والتصحيح واعطاء الاذن بالطبع.

وبانتقالنا الى بيروت وجمعنا التحرير والادارة والطباعة والتوزيع في مكان جغرافي واحد نكون اقتربنا نحن من عالمنا وقرائنا وقرّبنا بالتالي بين المسافات واختصرنا المواعيد الى حدودها الدنيا، فضلا عن كوننا أدينا فعل ايمان بلبنان مركزا حيا للاتصال والتفاعل في ما بين الاقطار العربية، من جهة، وبين العرب والعالم الخارجي، من جهة أخرى.

وعلى أمل انتظام الخدمات البريدية اللبنانية ستبقى الرسائل توجه الى باريس حيث يتولى مكتبنا توجيهها الى بيروت (العنوان البريدي ص ٣) وسيكون لنا عنوان موقت في بيروت في المرحلة الاولى (راجع ص ٣).

ولان انجاز هذه الخطوة يحتاج الى وقت اضافي فقد اضطررنا الى جعل هذا العدد مزدوجا (حزيران/ يونيو - تموز/ يوليو) على أمل ان يكون هذا الوقت زاداً لنا وديْناً لقرائنا علينا.

والله ولي التوفيق.

رئيس التحرير

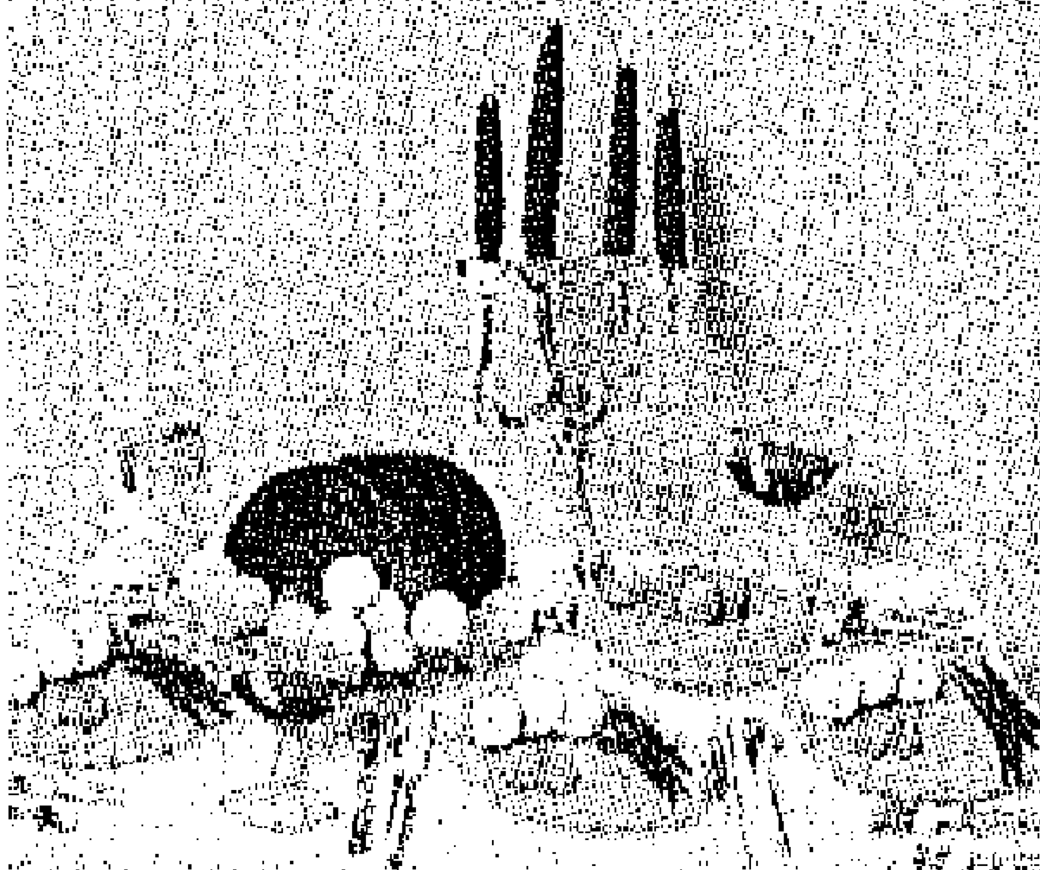
ماذا تشتهون لعشاء العام ٢٠٠١؟

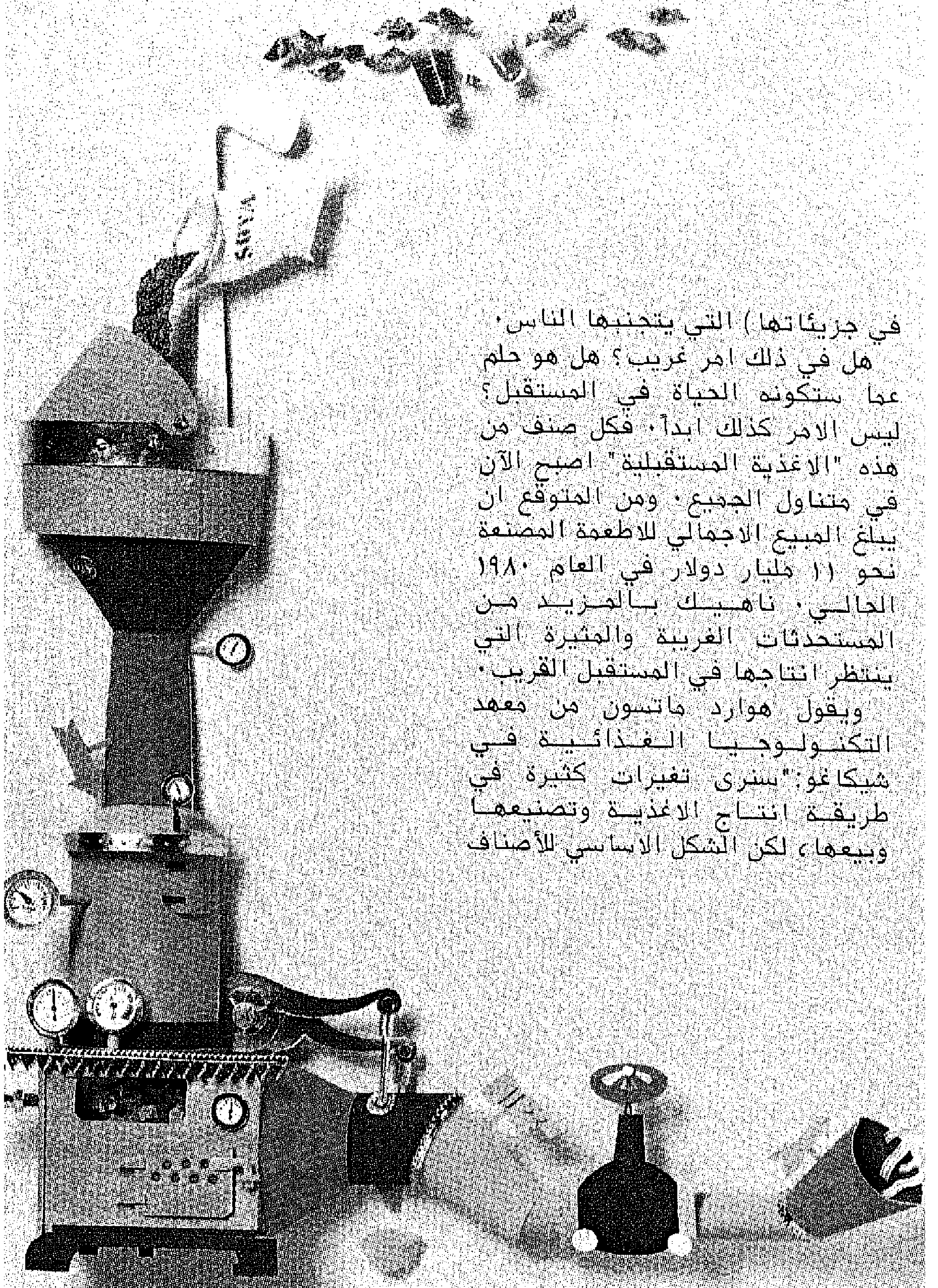
ترى هل يأتي يوم نبتلع اقراصاً صغيرة وردية ونسميها طعام العشاء؟

نحن في العام ٢٠٠١ وفي ساعة تناول العشاء في منزل آل لبوس. وتشتمل قائمة الطعام على لحم مطبوخ (روستو) وخضر مسلوقة وزجاجة شراب للسيد لبوس وزوجته، وعلى زجاجة حليب لابنهما.

ليس في هذه القائمة امر غير عادي سوى ان اللحم ليس لحم ماشية بل هو قطعة من فول الصويا الغني بالبروتيين والذي يصعب تمييز طعمه عن طعم اللحم الحقيقي. ومن ناحية اخرى، فعلى رغم اننا في منتصف الشتاء، وان الثلج يكسو الارض، فالخضر التي يتناولها آل لبوس هي خضر طازجة ومحلية وردت من "مصنع" زجاجي ضخم في الجوار يجري تشغيله اوتوماتيكياً. فهناك يخضع النور ودرجة الحرارة ومرشات الماء المشبع بالمواد العضوية لدماغ الكتروني ينظم انتاج الخضر على مدار السنة.

أما النبيذ "المعتق" فانه لا يمت الى حبة العنب بصلة، وهو مصنوع من مصل الحليب الذي يفصل عادة عند صنع الجبنة، أما الحليب فهو مستخرج من احدث المعجزات البيولوجية، وهي البقرة "غير المشبعة". فمع ان لهذا الحليب مذاقاً هو كمذاق الحليب التقليدي الا انه يشتمل على نسبة قليلة جداً من المواد الدهنية المشبعة (ذات روابط كيميائية احادية بين ذرات الكربون





في جزيئاتها) التي يتجنبها الناس.
هل في ذلك امر غريب؟ هل هو حلم عما ستكونه الحياة في المستقبل؟ ليس الامر كذلك ابداً. فكل صنف من هذه "الاغذية المستقبلية" اصبح الآن في متناول الجميع. ومن المتوقع ان يبلغ المبيع الاجمالي للاطعمة المصنعة نحو ١١ مليار دولار في العام ١٩٨٠ الحالي. ناهيك بالمزيد من المستحدثات الغريبة والمثيرة التي ينتظر انتاجها في المستقبل القريب.

ويقول هوارد ماتسون من معهد التكنولوجيا الغذائية في شيكاغو: "سنرى تغيرات كثيرة في طريقة انتاج الاغذية وتصنيعها وبيعها، لكن الشكل الاساسي للأصناف

التي اعتدناها لن يتغير. فنحن لن نبتلع اقراصاً صغيرة وردية اللون ونسميها طعام العشاء".

وما عدا ذلك فماذا يخبىء لنا المستقبل؟ انه يخبىء المزيد من "اللحم" الخالي من مادة اللحم. وقد نزلت الى الاسواق اصناف عدة من اللحوم المملحة او المقددة ومن النقانق والسجق وشرائح الـ"ستيك"، وكلها مصنوع من فول الصويا. ويقدر جان ماير، استاذ علوم التغذية سابقاً في جامعة هارفارد في مدينة كامبريدج (ولاية مساتشوستس الامريكية) والرئيس الحالي لجامعة تافتس في مدينة مدفورد (الولاية نفسها)، ان المواد البديلة من اللحم، والتي يمكن ان تضاف الى اللحم الحقيقي، كما هي الحال بالنسبة الى الهمبرغر، ستؤلف عشرة في المئة من مجموع اللحم المستهلك في الولايات المتحدة لدى حلول العام ١٩٨٥. وسوف ترتفع هذه النسبة كثيراً في مستهل القرن الحادي والعشرين.

لحم نباتي! — ولكن لم هذا الازدياد المثير؟ العامل الاول هو الاقتصاد. فمن الافضل، من الناحيتين الاقتصادية والبيئية، استعمال كيلو واحد من فول الصويا الغني بالبروتيين استعمالا مباشراً بدلا من اطعام البقرة نحو تسعة كيلوغرامات من العلف (الذي يشتمل على بروتيين الخضر) لانتاج كيلوغرام واحد من اللحم الطبيعي. وربما كان "لحم الصويا" صحياً اكثر من اللحم الطبيعي. فمنتجات الخضر، بتركيبها المناسب، تحتوي على جميع البروتيينات والكربوهيدرات (المواد السكرية والنشوية) والدهنيات والفيتامينات، وعلى العناصر التي يحتاج اليها الجسم بمقادير ضئيلة. وهي افضل من الدهنيات الحيوانية المشبعة، خصوصاً الكولسترول، التي تهدد سلامة الجسم.

ومن المستحضرات الغذائية اللذيذة البوظة (الجيلاتي) واللبن. وهناك اصناف شهية اخرى صنعت وفق احدث الطرق العلمية مثل "الجبنة المزيفة" المصنوعة من زيت الذرة والتي تباع في السوق منذ مدة، وكذلك القشدة المصنوعة من زيت فول الصويا غير المشبع (ذي روابط كيميائية ثنائية او ثلاثية بين ذرات الكربون في الجزيئات) بدلا من الحليب الطبيعي. وهناك السجق المصنوع من لحم الحبش او الدجاج، والفاكهة الاصطناعية المركبة من العشب البحري والهلام (الجيلاتين). وهناك ايضاً النبيذ الذي لا يمت الى الكرمة بصلة كما ذكرنا سابقاً.

والى ذلك فان بعض اصناف الطعام التقليدية والعريقة هي الآن في طور التغيير التكنولوجي على رغم احتفاظها بمظهرها الخارجي. فقد نجح العلماء في مركز البحوث الحيوانية التابع لوزارة الزراعة الامريكية في مدينة بلتسفيل (ولاية ميريلاند) في تربية قطيع من البقر يحتوي لحمه وحليبه على نسبة ضئيلة من الدهنيات المشبعة التي يشتبه بأنها سبب اساسي في امراض القلب.

عش تر — يكمن سر هذه "الحيلة" البيولوجية في تغذية الحيوانات بجرعات من زيت القرطم (العُصْفُر)

من فيليبس - الراديو والمسجّل "كاسيت ستيريو" الرائع السّهل الحمل

استمع الى برنامجك الإذاعي المفضل في جهاز ستيريو رائع. بمكنك بحركة سريعة أن تسجل برنامجك على مسجل فيليبس كي تستمع اليه مرة أخرى فيما بعد (بالروعة ذاتها. فلا تنس أن فيليبس هي التي اخترعت الكاسيت). سجّل من اسطوانة أو ميكروفون. فكل ما تحتاج هو أن تضع كاسيت صغيرة. استمع الى ما سجلته في أي مكان تحب. في المنزل أو في الهواء الطلق. فكل ما تريد موجود في جهاز صغير أنيق وهو جهاز ستيريو "آي آر ٧٧٨" الذي يعمل بالبطارية أو الكهرباء. ويضم راديو من أربع موجات بينها موجة إف إم. وللجهاز مفاتيح سهلة الاستعمال وهوائي متداخل، ومقبض للحمل. أما مستوى الصوت المسجل فيتم ضبطه تلقائيا. ثم ماذا عن الجودة؟ يكفي أن نقول إن الجهاز من صنع فيليبس. هنالك مجموعة كاملة من الأجهزة تنتظرك لتفاضل بينها. ولكن عليك أن لا تكتفي بتأمل منظرها والاعجاب به، بل تستطيع أن تطلب تشغيلها. فتدرك أن هذه المنتجات لا يمكن أن تصنعها إلا شركة تتمتع بالموارد الضخمة والخبرة العالمية التي تتمتع بها شركة فيليبس. الشركة التي تعتبر اليوم، أكثر من أي وقت مضى، واحدة من أكثر الشركات احتراماً بين رواد التكنولوجيا الحديثة.



فيليبس الأفضل لكم دوماً

مغلفة بطبقة من البروتيين المعالج بغاز الفورمالديهايد الذي يحول دون تفكك هذا الزيت وتحوله الى دهنيات مشبعة في الاجهزة الهضمية لدى الحيوانات المجترة. وبذلك تصل هذه الزيوت النباتية كاملة الى انسجة الحيوانات وحليبها حيث تحل محل الدهنيات المشبعة. فتكون النتيجة ابقاراً خالية من الدهنيات المشبعة.

بل ان الدجاج نفسه لم يسلم من تحليل العلماء وتمحيصهم. ومع الاهتمام المتزايد بوزن الدجاجة (علماً بان كلفة انتاج عدد صغير من الدجاج الكبير الحجم هي دون كلفة انتاج عدد كبير من الدجاج الصغير الحجم). فلربما شهد القرن الحادي والعشرون دجاجاً في حجم الديك الرومي (الحبش). بل ربما اصبح الديك الرومي اذ ذاك في حجم النعامة!

وليست "مصانع الخضر" اقل نصيباً من سواها في التطورات التكنولوجية الثورية في عالم الاغذية. فهذه البيوت الزجاجية، بحكم قربها من الاسواق وبفضل برمجتها للانتاج على مدار السنة وتكييف درجة حرارتها بحسب ما تتطلب النبتات انطلاقاً من البرودة القطبية حتى السخونة الصحراوية، تؤمن انتاج اضعاف كميات الخضر التي تزرع حالياً في بيئتها الطبيعية.

ولا تزال هذه المصانع تعمل على الصعيد الاختباري. ويتولى مختبر البحوث البيئية التابع لجامعة اريزونا ادارة عدد من هذه "المصانع" التي تغطي اكثر من ١٣ الف متر مربع من الارض تحت سقف واحد. ولا يحتاج الباحثون في المختبر المذكور الى التراب الخصب في بحوثهم، بل يكتفون بالرمل الذي يعتبر من اكثر مواد الارض توافراً. أما درجة الحرارة والنور والماء الذي يشتمل على محلول الاغذية اللازمة فيتم ضبطها بواسطة دماغ الكتروني.

ونظراً الى خلو البيئة التي تقع فيها هذه المصانع من الجراثيم، والى تمتعها باكتفاء ذاتي، فانها لا تحتاج الا الى النزر اليسير من المبيدات. وقد فرضت تحت الرمل طبقة من البلاستيك تحول دون تسرب الماء الى باطن الارض، وبذلك تدنى استهلاك الماء بنسبة ٩٠ في المئة عما تتطلبه الزراعة في الحقول الطبيعية المكشوفة. ولو قورنت محاصيل البندورة (الطماطم) والخيار في البيوت الزجاجية في ابو ظبي بما تنتجه الحقول الطبيعية في الولايات المتحدة الامريكية، لتبين ان محصول الصحراء، التي تؤتي ثمارها على مدار السنة، يفوق الانتاج الطبيعي بعشرات الاضعاف.

وربما حملنا ارتفاع اسعار الوقود وكلفة النقل في المستقبل على طلب الاغذية الى بيوتنا، وذلك عن طريق محطات الادمغة الالكترونية المربوطة هاتفياً بشبكة من المخازن التي يتولى ادارتها رجال اليوم. وما عليك اذ ذاك الا تلقيم الدماغ الالكتروني بما تشتهيه نفسك من المأكولات.

وريثما يتحقق لنا ذلك، فلندر بيننا قدر لحم فول الصويا، ولنخلط سلطة الخضر المصنعة، ولنسكب "نبيذ" مصل الحليب، ولنشرب نخب القرن الحادي والعشرين!

■ اميلي وبير دولير



على خُطى
أمراء سرنديب!

عندما نعجز عن قهر المصاعب، وينتابنا شعور بالوقوع في شرك، يتراءى لنا بصيص غامض يهدينا الى الخلاص

السرنديبية لفظة يخيل الى السامع انها ضرب من العشب او الزهر النادر، وانما هي تعني، في الحقيقة، موهبة اكتشاف الاشياء القيمة مصادفة. وهي مشتقة من اسطورة امراء سرنديب (جزيرة سري لانكا او سيلان سابقاً) الثلاثة. ومثال ذلك ان نتصور كولومبس وقد عاد الى الملكة ايزابيلا التي مولت رحلته قائلا: "مولاتي، اننا لم نهتد الى الهند بالضبط، لكننا عثرنا على تلك القطعة من الارض الملأى بالوعود".

ان كولومبس لم يدرك أبداً أنه اكتشف قارة بأسرها. لكن النقطة المهمة في الامر كانت – ولا تزال – عدم العودة صفر اليدين. فالحياة رحلة مضطربة كثيراً ما نعجز فيها عن بلوغ الهدف المقصود وتحقيق الامل المنشود. ومع ذلك يجدر بنا ان نحذو حذو كولومبس فنظل منفتحين لتقبل كل جديد غير منتظر، وفي تأهب مستمر لاكتشاف امر ما، فنجعل حياتنا بأكملها رحلة استكشاف متواصل.

أعرف رجل أعمال يملك

مركبا شراعيا صغيرا سماه "السرنديبية"، وهو اسم ينطبق تماماً على المسمى. وكان يقول: "اني أقود مركبي هذا بعناية، وانما ليس هناك ما يضطرني الى الابحار في عكس اتجاه الريح، بل اني احب استباقها. وكثيراً ما أغير اتجاهي عفو الساعة. فان لم أصل الى حيث كنت أقصد، فلا بأس، اذ يروقني الرسو في المرافىء الغريبة".

نحن نرى في العلماء اشخاصاً نظاميين. لكن اختراعات كثيرة ربما لم تكن موجودة اليوم لو لم يتعرض العلماء للتعثر والاخفاق والارتباك في مواقف معينة. فقطرات الحامض (الاسيد) الشهيرة التي تناثرت على سروال الكسندر غراهام بل كانت الحافز الحاسم على اختراع الهاتف. وكانت اراقة المطاط السائل والكبريت على موقد مشتعل هي التي ارشدت تشارلز غوديير، بفضل السرنديبية، الى طريقة تقسية المطاط عن طريق معالجته بالكبريت بدرجة حرارة مرتفعة. وقال ونستون تشرشل، رئيس الوزراء البريطاني الراحل: "هناك اشخاص كثيرون يتعثرون، عرضا، باكتشاف ما. لكن معظمهم ينهضون من عثرتهم ويستأنفون سيرهم مبتعدين".

ربما كانت السرنديبية حقاً سر المعجزات العلمية. ولكن كيف يمكنني أنا ان أكتشف ما يعينني على اجتياز يوم ممل أقضيه حبيس البيت؟ كيف يمكنني أن انمي سرنديبيتي الخاصة؟

اليك في ما يأتي بعض القواعد التي وجدتها نافعة في هذا الصدد:

احرص على تنمية وعيك - ان الرسام ريكو لوبرون اعتاد أن يمشي كل يوم مسافة كيلومترين تفصل بيته عن محترفه في مدينة لوس انجيليس في ولاية كاليفورنيا الامريكية. وهو صمم على ان يصادف في كل من هذه التنقلات شيئاً جديداً. وذلك ليس بالامر اليسير. لكن لوبرون كان على بينة مما يدركه كل فنان حقيقي: ان الانسان اذا اراد ان يتقدم فهو يحتاج الى الجديد المدهش الذي يفاجئه ليربكه ويهزه.

أصلح شباكك - بما ان السرنديبية كثيراً ما تكون نتيجة جانبية لخيبة أو محنة ما، فاني محمول على التفكير في حاجتنا الى "شباك" - شباك الولاء والمحبة والاقتناع والايمان والصداقة. ولا بد من الاهتمام باصلاح هذه الشباك دائماً كي يتسنى لنا النهوض من كبوتنا التي سببها حظنا العاثر. فليس ثمة شخص يمكنه بمفرده الاستجابة لكل حاجات شخص آخر. ونحن في حاجة، كذلك، الى مغامرات تشد أزرنا في الليالي المظلمة أو الايام الكئيبة التي نضطر الى قضائها منفردين. ولكم يعوزنا الانصراف الى اهتمامات متعددة، من رياضة وهوايات اخرى، علنا نضمن لانفسنا شبكة تتلقفنا عندما تخذلنا شبكة أخرى.

وقد قالت لي احدى صديقاتي وهي تستعيد ذكرياتها: "بعد وفاة زوجي، كان الفضل للرقص في انتشالي من وهدة يأسي. اذ طالما رغبت في أن أصبح راقصة، ووجدت في تلك اللحظات المظلمة أني مازلت اهوى ذلك الفن". لقد تم حبك "الشبكة"

التي أنقذتها منذ سنوات، فبقيت في الانتظار حتى تلقفتها عندما فاجأتها ضربة أوقعتها خارج الطريق.

حول درهمك الى قنطار - "ان المعرفة الجزئية تثير فينا الرغبة في معرفة المزيد". هذا ما قاله الفيلسوف الامريكي وليم جيمس، الذي أطلق على هذه الصفة اسم "الادراك بالترابط". ومؤدى ذلك أن هناك أفكاراً كثيرة موجودة فعلا في العقل ويتم من خلالها استيعاب الخبرة الجديدة وتنظيمها.

والامر هنا يشبه الذهاب الى بئر لاستخراج الماء منها بدلاء مختلفة الاحجام. فبعض الناس لا يملكون من "الادراك بالترابط" سوى ملء كوب صغير. ذلك لان افتقارهم الى الفضول وحب الاستطلاع حال دون توسيع آفاق إدراكهم، فأصبحوا قاصرين عن استيعاب الجزء الاعظم من ثمار خبراتهم. أما الذين يتمتعون بمقدار وافر من "الادراك بالترابط" فان حب الاستطلاع وميزة التعجب والتساؤل يستحثانهم على الدوام، فلا يتوقفون عن اكتشاف القرائن والعلاقات السببية بين الافكار والخبرات.

وأحياناً، عندما نعجز عن مواجهة المصاعب وقهرها وينتابنا شعور بالوقوع في شرك، يتراءى لنا فجأة بصيص السرنديبية ليهدينا الى باب الخلاص. وهو باب لم نكن نبحث عنه، ذلك لاننا لم نكن ندري عم نبحث، وانما كنا في طريق البحث. فالسرنديبية لا تقبل على الشخص المغرور الذي ينقصه حب الاستطلاع، بل تستهدف من تستهويه المجازفة والتجربة. وقد يغامر الشخص مئة مرة من دون أن تتضح غاية اي منها أو تؤدي الى هدف. وربما تملكه مئة اهتمام لا تبرز لها اي قيمة محددة. تلك هي قناطير "الادراك بالترابط" حيث تزدهر السرنديبية.

ضع ثقتك في التيار - يقول شكسبير: "هناك تيار يتجاذب شؤون الناس ويحمل الذين يمتطون المد الى التوفيق". وتتميز السرنديبية بأنها تنطوي على عنصر تفاؤل، اذ يميل صاحبها الى ائتمان قوى الحياة والظروف الاجتماعية التي تتجاوز حدود كل منا.

في سنه الخامسة والستين زار أبي الاستاذ وليم لو بريان، الرئيس الفخري لجامعة انديانا في الولايات المتحدة. فأشرقت عينا الاستاذ الهرم ببريق رائع وهو يرحب بتلميذة السابق. وسأله أبي: "كيف تكون الحياة في السن الثانية والتسعين؟"

فرد عليه الرئيس بريان برقة: "اسمع يادون، ان الحياة تيار صاعد، فانطلق معه!"

وأنت لا تستطيع أبداً، بطبيعة الحال، أن تعرف بالضبط الى أين ستحملك موجة التقدم في السن. ولكن اذا حالفتك السرنديبية فقد تجد نفسك منتهياً الى شاطىء بديع خلاب. وقد لا يكون أكثر الاكتشافات توفيقاً هو العثور على قارات مجهولة، بل هو الوصول الى مرفأ للروح تجد لها فيه مستقراً جديداً.

هل هناك عنصر "تصوف" في سحر السرنديبية؟ لست ادري. لكني مررت في حياتي بمواقف بدا لي فيها تدخل السرنديبية بمثابة نعمة من السماء، ان لم يكن عناية الهية حقاً.


فاخرة ،
أنيقـة ، مثيرة .
إليكم ساعات سيكو ٥ الجديدة
ذات القرص البرّاق .
ساعات سيكو ٥ الرائعة ، تعمل أوتوماتيكيا ،
وتبين اليوم والتاريخ ،
دعها تتألق بجمالها حول معصمك ـ سيكو ٥ ـ
سيكو
SEIKO

وكان لقائي الاخير والاعظم بالسرنديبية في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٨. فقد جاء عيد الميلاد، ووجدت فيه مرة أخرى مناسبة للفرح والحزن معاً: الفرح بعودة أولادي الثلاثة الى البيت لقضاء العيد، والاسى لغياب رابعهم اريك الذي انقضت سبعة أعوام على وفاته في السن الثانية والعشرين. فأنا افتقده كل يوم، لكن هذا الاحساس يبلغ ذروته في عطلة الميلاد. وانتابني شعور رهيب بالتعاسة، لكني صممت على مواصلة تزيين البيت واعداد الهدايا، وأبيت ان أهمل أدق التفاصيل.

واحتجت الى علبة صغيرة لأضع فيها هدية من الحلى، فلم أجد مطلبي. وكانت الحوانيت قد أغلقت ابوابها لتقدم الوقت، فمضيت أبحث في كل مكان من البيت - في الغرفة العليا، في القبو، وفي الادراج التي لم تفتح منذ اشهر. وأخيراً عثرت على علبة ملائمة في أحد أدراجي الخاصة. وكانت فارغة الا من قطعة قطن.

وانتزعت قطعة القطن فوجدت السرنديبية أمامي: كلمة من أريك! ولم اكن قد رأيت الورقة من قبل، فقد دسها تحت السوار الذي كان آخر هدية ميلاد قدمها الي. فما اطيب ان تبقى هذه الكلمة محفوظة حتى أكتشفها في اللحظة التي اشتدت حاجتي اليها! وكادت الكلمات التي دونتها يده الحية الغالية ان تثب من قصاصة الورق لتملأ ناظري:

"أمي العزيزة، شكراً لك على كل ما فعلته من أجلي. ميلاداً سعيداً. أريك".

■ دوريس لاند



الوجه والقناع

في الامور الكبيرة يكشف الناس عن وجوههم التي يريدون ان يراها الآخرون. اما في الامور الصغيرة فيكشفون عن وجوههم الحقيقية.

غ. ب.

بين الذكاء والبلاهة... شعرة

كانت امرأتان تتكلمان عن الشعر الطويل على رؤوس الرجال. فقالت احداهن: "في رأيي انه يجعل الرجل يبدو ذكياً". اما الثانية فلم توافق، بل قالت: "لقد نزعت شعرة طويلة عن معطف زوجي، فاذا به يظهر في منتهى البلاهة".

ب. س.

الموظف الثابت

مدير مكتب التوظيف: ابرز لنا النقاط الحسنة في خبرتك السابقة.

طالب الوظيفة: لقد أنهيتُ خدماتي ١٥ مرة.

المدير: وما الحسن في ذلك؟

الطالب: اني لا اترك العمل بنفسي.

ج. م.



مشروع اللورد كارادون لتعديل القرار ٢٤٢

الوطن الفلسطيني والحدود الآمنة

الحملة الديبلوماسية الفلسطينية الاخيرة ركزت الانتباه الدولي على جوهر مفاوضات السلام في الشرق الاوسط، خصوصاً على قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢. ومن خلال المصاعب التي يلقاها بعض القادة الغربيين في سعيهم الى ايجاد صيغة لسلام حقيقي ودائم في المنطقة، بدأوا يرون صواب ما ظل القادة العرب يرددونه منذ وقت طويل، وهو أن القرار الرقم ٢٤٢ قد عفا عليه الزمن.

وهذا القرار يؤكد حق كل دولة في المنطقة، بما في ذلك اسرائيل، في أن تعيش في سلام، ويطالب اسرائيل في الوقت نفسه بالانسحاب من "اراض " احتلتها في حرب ١٩٦٧. ونقطتا الضعف اللتان تشوبان هذا القرار في عالم ١٩٨٠ هما أنه لا يشير الى "الاراضي" التي احتلت في حرب الايام الستة كما لا يشير الى الفلسطينيين الا باعتبارهم لاجئين فحسب.

وكان وزير الخارجية البريطاني اللورد كارنغتون اعلن في الامم المتحدة في الخريف الماضي: "ان هناك الآن اتفاقاً عالمياً واسعاً على ان القرار ٢٤٢ ناقص، لأنه لا يضع في اعتباره اطلاقاً حقوق الفلسطينيين المشروعة التي تتجاوز الى مدى بعيد مجرد وضعهم كلاجئين، كما أنه لا يضع في الاعتبار ايمان الفلسطينيين بأنهم شعب متميز له حق في وطن قومي". وقد أعرب الرئيس الفرنسي فاليري جيسكار ديستان عن منطق مماثل خلال رحلة قام بها في الشرق الاوسط خلال شهر مارس (آذار) الماضي.

وفي هذا المقال يعرض اللورد كارادون ـ سفير بريطانيا السابق لدى الامم المتحدة وابو القرار ٢٤٢ ـ أصول القرار ومنابعه، ويبين الخطوط العريضة للصيغة التي يمكن بها تعديله من أجل التوصل الى حل مقبول لأخطر مشكلة تواجهنا.

ان أهم ما يلفت في القرار ٢٤٢ الذي صدر عن مجلس الامن التابع للأمم المتحدة في ٢٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧ هو أنه صدر بالاجماع. ولا شك في أن الاجماع الدولي في ما يتعلق بالسياسات الخاصة بالشرق الاوسط أمر نادر حقاً. ويمكن القول ان هذه الحيوية التي اكتسبها القرار المذكور تعود الى الاتفاق الدولي الذي ساهمت فيه كل الاطراف المعنية.

والقرار يؤكد المبدأ الاساسي الذي يقضي "بعدم جواز الاستيلاء على الاراضي بالقوة"، ويدعو الى "انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من أراضٍ احتلت في الصراع الاخير (...) الى حدود آمنة ومعترف بها". ويمضي القرار بعد ذلك موضحاً ضرورة ضمان "حرمة الاراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة".

وأوضح القرار المبادىء المتفق عليها لاجراء تسوية سلمية، والتدابير اللازمة لتنفيذ هذه المبادىء، فذكر ان ممثلا خاصاً سيعين "كي يجري اتصالات بالدول المعنية من أجل ايجاد اتفاق ومساعدة الجهود الرامية الى تحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقاً لأحكام هذا القرار ومبادئه".

وبناء على ذلك تم تعيين السفير يارينغ الاسوجي، ممثلا خاصاً للامين العام للامم المتحدة، ومضى الى المنطقة وفقاً للتكليف الذي أسند اليه، حيث أجرى محادثات مع الاطراف المعنية.

وقد قوبلت المقترحات التي حملها بالرفض التام على الفور. وواصل السفير يارينغ جهوده لفترة ما، غير انه حين تحقق من أنه لا يستطيع احراز أي تقدم على الاطلاق تخلى عن مهمته. ومنذ ذلك الحين لم تتخذ أي تدابير لتنفيذ المبادىء التي قبلتها جميع الاطراف في قرار ١٩٦٧، على رغم أن الوثيقة الختامية لكامب ديفيد ذكرت الحاجة الى اقرار سلام على أساس القرار ٢٤٢ "بجميع أجزائه".

نقطتا الضعف - وهناك نقدان يوجهان الى القرار ٢٤٢. فيقال أولا انه عند المطالبة بانسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من الاراضي التي احتلت في النزاع الاخير كان ينبغي علينا ان ننص على ان الانسحاب يجب ان يكون من جميع الاراضي المحتلة، غير أننا لم نفكر في ذلك لسببين: الاول انّ القرار قد بدأ بتقرير "عدم جواز الاستيلاء على الاراضي بالقوة"، وهو ما يستبعد تماماً جواز الاحتفاظ باي أراض لمجرد أنها كانت محتلة عسكرياً. أما مسألة الحدود، فأننا لم نسع الى تقرير حدود ١٩٦٧ كحدود دائمة لسبب وجيه جداً هو أن حدود ١٩٦٧ هذه التي لم تكن في حقيقتها سوى خطوط وقف اطلاق النار في ليلة معينة قبل ٢٠ عاماً، كانت غير مناسبة لأن تغدو حدوداً دولية دائمة.

ومن هنا فان حذف كلمة "جميع ال" وحذف أداة التعريف من عبارة "الاراضي التي احتلت في النزاع الاخير" كان أمراً متعمداً والزعم بأن عبارة "جميع ال" كانت أدرجت في البداية في القرار البريطاني ثم حذفت بعد ذلك هو زعم غير صحيح بالمرة.

والنقد الثاني الذي يوجه الى القرار

٢٤٢ هو أنه في حين ان القرار يطالب بايجاد حل لمشكلة اللاجئين، الا أنه لم يذكر شيئاً عن حق تقرير المصير بالنسبة الى الفلسطينيين. غير ان من الضروري ان نتذكر أننا عندما وضعنا صيغة القرار ٢٤٢ في العام ١٩٦٧، كنا نفترض جميعاً كأمر بديهي أن الاراضي المحتلة ستعاد الى المملكة الاردنية الهاشمية. وقد كان الجميع - بمن فيهم العرب - يفترضون ذلك. ولم يتقدم الفلسطينيون بمطالبهم الا بعد ١٩٦٧. ولا شك في أن هذا كان تطوراً بالغ الاهمية، غير أنه كان لاحقاً للعام ١٩٦٧.

وبناء على ذلك، فانه من هذه الناحية البالغة الاهمية يكون قرار ١٩٦٧ قد أصبح الآن ناقصاً الى حد خطير. فالتطورات التي حدثت منذ صدور الموافقة على القرار جعلت من الضروري الاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم في وطنهم القومي وضمان هذا الحق، ولا شك في ان هذا الاعتراف وهذا الضمان ينبغي ان يكونا موضوعاً لنص رئيسي في قرار جديد.

المطلوب اليوم - ان المطلوب الآن ليس نقض مبادىء القرار ٢٤٢ أو عكسها او التقليل من مداها، وانما اضافة تتخذ شكل قرار جديد يكفل مسايرة القرار الاصلي للزمن، ويكفل تنفيذه أيضاً. ويجب ان يعالج هذا القرار الجديد القضايا الخمس الرئيسية الآتية:

١ - وقف كل أعمال العنف وجميع عمليات الاستيطان الاسرائيلية في الاراضي المحتلة.

٢ - تشكيل لجنة حدود تستمع الى كلا الجانبين وتضع توصيات عن حدود دائمة "آمنة ومعترف بها".

٣ - فترة من الوصاية الدولية على شرق القدس والضفة الغربية وغزة (والجولان أيضاً)، على أن يتاح للفلسطينيين خلال تلك الفترة ممارسة حق تقرير المصير واختيار قادتهم واتخاذ قرار في شأن دستورهم الخاص وعلاقاتهم مع جيرانهم.

٤ - توفير ضمانات دولية (ومناطق منزوعة السلاح) للمحافظة على حق كل دولة في المنطقة في أن تعيش في سلام "متحررة من التهديدات وأعمال القهر".

٥ - عقد مؤتمر سلام نهائي يجتمع في جنيف في رئاسة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتي كما سبق الامر، ويمثل فيه الفلسطينيون بواسطة قادتهم المنتخبين حديثاً. ويتولى هذا المؤتمر اعداد معاهدات السلام والتوقيع عليها.

تلك أهداف طموحة ولا شك، ولكنها لا تتجاوز في طموحها ما استهدفه القرار ٢٤٢ نفسه. فاسرائيل يجب ان تكون آمنة، والفلسطينيون يجب ان يكونوا أحراراً. وكلا الهدفين يمكن تحقيقهما، ولكن لا يمكن تحقيق أحدهما من دون الآخر.

والسؤال الآن هو: ما مدى قوة المعارضة لإصدار قرار جديد من هذا النوع بغية تنفيذ القرار الاصلي الرقم ٢٤٢؟

في تقديري أن هذه المعارضة محدودة جداً من الجانب العربي، لأن جميع الحكومات العربية المعنية، ولاسيما المملكة العربية السعودية وسوريا والاردن، ومصر أيضاً، قد

النص الحرفي للقرار ٢٤٢

هنا النص الرسمي للقرار ٢٤٢ الذي صوت عليه بالاجماع مجلس الأمن الدولي التابع للأمم المتحدة في ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٦٧.

"ان مجلس الأمن،

اذ يعرب عن قلقه المستمر في شأن الوضع الخطر في الشرق الأوسط،

واذ يؤكد عدم جواز الاستيلاء على الأراضي بالحرب، والحاجة الى العمل من اجل سلام دائم وعادل تستطيع كل دولة في المنطقة ان تعيش فيه بأمان،

واذ يؤكد ايضاً ان جميع الدول الأعضاء بقبولها ميثاق الأمم المتحدة، قد التزمت بالعمل وفقاً للمادة ٢ من الميثاق،

١ - يؤكد ان تطبيق مبادىء الميثاق يتطلب اقامة سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط ويستوجب تطبيق كلا المبدأين الآتيين:

أ - انسحاب القوات المسلحة الاسرائيلية من اراض احتلتها في النزاع الاخير،

ب - انهاء جميع ادعاءات او حالات الحرب، واحترام واعتراف بسيادة ووحدة اراضي كل دولة في المنطقة، واستقلالها السياسي وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها، حرة من التهديد بالقوة او استعمالها،

٢ - يؤكد ايضاً الحاجة الى:

أ - ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة،

ب - تحقيق تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين،

ج - ضمان حرمة الأراضي والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة عن طريق اجراءات من بينها اقامة مناطق مجردة من السلاح،

٣ - يطلب من الأمين العام تعيين ممثل خاص ليتوجه الى الشرق الأوسط كي يجري اتصالات بالدول المعنية ويستمر فيها بغية ايجاد اتفاق، ومساعدة الجهود الرامية الى تحقيق تسوية سلمية ومقبولة وفقاً لأحكام هذا القرار ومبادئه،

٤ - يطلب من الأمين العام ان يرفع تقريراً الى مجلس الأمن بشأن تقدم جهود الممثل الخاص في اقرب وقت ممكن.

تبنى المجلس هذا القرار، في
جلسته الرقم ١٣٨٢، باجماع الأصوات"

أعلنت تأييدها للمبادىء الاصلية ولحق الفلسطينيين في تقرير المصير.

كما ان منظمة التحرير الفلسطينية قد تخلت علانية عن رأيها القديم القائل بأن اسرائيل ينبغي ان تحل محلها دولة جديدة واحدة يعيش فيها العرب واليهود على قدم المساواة. وقد كان العرب منذ زمن طويل يدركون ـ كما كان غيرهم أيضاً يدرك ـ أن هذا الهدف لا يمكن تحقيقه.

واستناداً الى ما أجريته من أحاديث مع الزعماء الفلسطينيين في بيروت ودمشق ومع الفلسطينيين في القدس والضفة الغربية وغزة، ومع اللاجئين في معسكراتهم، أقرر ان العرب سيبتهجون ابتهاجاً لا مزيد عليه اذا أمكنهم ان يستعيدوا القدس العربية والضفة الغربية وغزة كي تصبح وطناً خاصاً بالفلسطينيين.

أما الجانب الاسرائيلي فان

الرافضين فيه أكثر قوة. وقد وضع رئيس الوزراء الاسرائيلي بيغن في كامب ديفيد توقيعه على وثيقة تؤيد القرار الرقم ٢٤٢ "بجميع أجزائه"، لكنه تباهى على رغم ذلك بأنه قد عارض المبدأ الاساسي القاضي "بعدم جواز الاستيلاء على الاراضي بالقوة" وادعى أحقية الجيش الاسرائيلي في البقاء لفترة غير محدودة في الضفة الغربية، كما ادعى أحقية اسرائيل في الاستيلاء على القدس العربية.

ولا شك في أن هذه الدعاوى والمزاعم تتناقض تناقضاً مباشراً مع أحكام القرار ٢٤٢. واذا استمر التمسك بها فلن يقوم سلام، وستظل اسرائيل وجيرانها أسرى مستقبل سداه العداء ولحمته سفك الدماء.

السلام الحقيقي – غير أن هناك أصواتاً أخرى وتأثيرات أخرى في اسرائيل. وحركة "السلام الآن" وحركة "النظرة الجديدة" تزدادان قوة باطراد. وهناك وعي متزايد في اسرائيل بأن الامن لا يمكن أن يقوم على قهر أكثر من ثلاثة ملايين فلسطيني وتشريدهم. وفي يقيني ان هناك وعياً متزايداً بأن السلام لا يمكن أن يأتي عن طريق السيطرة والعداء، بل يجب ان يكون ثمرة للمساواة في الحقوق وللاحترام المتبادل.

الامل ينعقد اذاً على أنه عندما يتم اتخاذ مبادرة دولية جديدة، عندما يطرح بديل من المجابهة المستمرة والصراع المتصل، فان من بقي من الرافضين سيصبحون هم أنفسهم مرفوضين.

وفي ١٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٦٧، عندما قدمت مشروع القرار البريطاني الى مجلس الامن، قلت: "ان الدول العربية تصر على أننا يجب ان نوجه اهتمامنا الخاص الى استرداد الاراضي. والاسرائيليون يقولون لنا ان الانسحاب لا يجوز ان يكون أبداً الى السلام القديم القلق وانما الى حدود آمنة. وكلا الجانبين على صواب، وليس هناك تعارض بين أهدافهما. وان تصور أمكان تمتع أحد الطرفين بالامن من دون الآخر هو من قبيل الوهم، لأن أمن كل منهما يتساوى مع أمن الآخر من حيث سلامة مطلبه وضرورته. ونحن لا نريد نصراً في نيويورك، بل نجاحاً في الشرق الاوسط".

وبمشيئة الله، فان فرصة النجاح التي طال العهد بها تأجيلا لن تهدر.

■ اللورد كارادون



القراءة من فوق

وضع احد استوديوهات التصوير اعلاناً فوق سطح المبنى الذي يحتله، بلغ طول حروفه ثلاثة امتار، وكتب عليه: "هدوءاً من فضلكم".

وبدلا من ان يردع هذا الرجاء الطائرات، بدأت تقترب من الاستوديو على ارتفاع يمكن الطيارين من قراءته.

ف.ف.و.

يقدم الازواج الاوفياء اسباباً - بعضها مدهش حقاً - لعدم انحرافهم. ومعرفة هذه الاسباب قد تساعد الزوجة على الاخلاص في زواجها، اياً تكن طبيعة المجتمع الذي يعيش فيه الزوجان

الأزواج الأوفياء ذخيرةٌ وقُدْوة

ما الذي يدفع الرجل الى البقاء وفياً لزوجته؟

هذا السؤال طرحته أخيراً على عدد من الازواج الذين يدعون الاخلاص. وجاءت اجاباتهم، من نواح عدة، مطابقة للمستويات الخلقية العامة التي قررتها دراسة العالم النفسي لورنس كولبرغ قبل بضع سنوات. ففي المستوى الادنى، يقول كولبرغ، نحن نفعل "الامر الصحيح" لتجنب الالم فقط. ولا نلبث ان نسير في تيار المجتمع والمبادىء الخلقية السائدة في عصرنا. ونحن لا نختار أفعالنا لأجل ذاتها الا بعد تحويل القيم الخلقية الخارجية الى الداخل، لتنبع من ذواتنا. وفي ما يأتي اهم اسباب الوفاء التي أجمع عليها الازواج، مرتّبة من المستوى الادنى الى الاعلى:

١- الخوف من افتضاح الامر.

لقد صرح رجال كثيرون بأن خوفهم من افتضاح امرهم أضعف احتمال اقامة علاقة خارج الرباط الزوجي. ومن هؤلاء محاسب عزا اخلاصه الى هذا النوع من الخوف: "في مناسبتين كان ممكناً ان اقيم علاقة جنسية. وأعترف بأني كدت ان أفعل لو لم أسأل نفسي: "ما قيمة ذلك بالنسبة الى ما قد يترتب عليه؟" فهو ربما أدى الى فقد زوجتي واولادي واصدقائي وبيتنا، أي كل ما عملت له حتى الآن. لذلك قررت انه من

الجنون ان انساق هكذا وراء التجربة".

٢. العجز عن مواجهة عقدة الذنب والخداع.

قال رجل اعمال شاب: "اذا أنشأت علاقة جانبية من غير معرفة زوجتي، فالاذى سيكون من نصيبي انا، لأنه علي اذ ذاك ان أغالب شعوري بخيانة تعهدي. ولا أظن انه في امكاني تحمل الشعور بالذنب".

والواقع ان اقلية من الناس يمكنها تحمل هذا الشعور. وتقول عالمة النفس الارشادي مارسيا لاسويل: "الحقيقة ان مشاعر الذنب هي من بين اثقل الاعباء النفسية على الانسان. ومن شأنها، عاجلا او آجلا، تفتيت اي علاقة".

٣. عدم توافر الفرصة.

بعض الازواج لم تكن امامه اي فرصة للخيانة. ويقول احد الازواج: "انا تاجر في بلدة صغيرة، وزوجتي تعمل معي طوال الوقت خلال ستة أيام في الاسبوع. ولا اسافر الا وهي معي. لذلك، اقول ان فضيلتي لم توضع قط موضع الاختبار. ولكم أود ان اواجه هذه التجربة وأتغلب عليها!"

٤. القول بأن الازواج يجب ان يكونوا مخلصين.

بالنسبة الى مراتب الاختيار الخلقي التي تكلم عنها كولبرغ، هناك عدد كبير من الازواج يكتفون بالرضوخ للضغط الاجتماعي. وهم يبررون رضوخهم بأفكار من النوع الآتي: "الزنى ليس تصرفاً معتاداً لدى الفئة التي أنتمي اليها"، او: "انني مخلص لاني ربيت على النظر الى النقيض كأنه خطأ"، او: "ان ديني يضع قواعد صارمة بالنسبة الى قدسية الزواج".

٥. الرغبة الشخصية في الاخلاص.

في المستوى الاعلى من الاخلاص الزوجي، يكون الازواج أوفياء بمحض ارادتهم، لأن مفهوم الاخلاص التام، في هذه الحال، ينبع من نظرتهم الى الحياة.

والرجال الذين يلتزمون هذا الخط يصفون انفسهم عادة بعبارات سلبية تنتقص من قدرهم، كما في قول أحدهم: "أعرف اني رجعي". وبعضهم يعزو الفضل الى زوجته: "يمكن ان تخلص لامرأة واحدة طوال حياتك اذا حالفك الحظ في اختيار المرأة الفاضلة". وأحياناً قليلة نسمع آراء أكثر واقعية في أهمية التزام الاخلاص العميق، كالقول الآتي: "اني أستمد من زوجتي العون والعناية والعطف والحب، وهي تستمد مني القيم نفسها. واذا لم تكن لدي هذه المشاعر كلها تجاه امرأة ولم تكن لديها هذه المشاعر تجاهي، فكيف يمكن ان تكون هناك علاقة جسدية؟"

ان الرجال والنساء في ايامنا هذه يعلقون آمالا اكبر على قيمة الزواج النفسية والجنسية. واذا قصر الزواج عن تحقيق هذه الآمال، فغالباً ما يكون أبسط حل اللجوء الى الجنس خارج الرباط الزوجي. الا ان في امكان كل زوجين اقامة جو من الاهتمام والحب المتبادلين يقف سداً منيعاً في وجه الخيانة.

ماذا يمكن ان تفعل الزوجة للمساعدة على اقامة جو كهذا؟

ان سر الاجابة عن هذا السؤال يكمن في معرفة الاسباب التي تدفع

الرجال الى الخيانة. وهناك اسباب معروفة، مثل الثأر من اذى حقيقي أو وهمي، أو محاولة التغلب على الخوف من العجز الجنسي، أو طرد الشكوك التي تلازم أزمة "منتصف العمر". لكن ثمة أسباباً غير معروفة جيداً. والمرأة التي تعرف هذه الاسباب يمكنها تجنب نتائجها .وهنا بعضها:

ـ الرجولة، في نظر بعض الرجال، هي النجاح في العمل. بالنسبة الى هؤلاء، اذا حدث ان خسروا وظيفة او تقدماً في الرتبة أو الراتب، فهذا يعد انتكاساً لرجولتهم. وهم يحاولون التعويض باللجوء الى علاقة جنسية خارج الزواج. واذا ادركت الزوجة حاجة زوجها الى العون النفسي في أوقات الضيق، أمكنتها مساعدته على استعادة ثقته بنفسه. وقد قال أحدهم: "ان زوجتي لا تنفك تؤمن بأني شخص رائع، حتى عندما اخفق في تحقيق أمر ما. وهذا يقوي الذات اكثر من علاقة جنسية غير شرعية".

ـ هناك رجال كثيرون لديهم حاجات خاصة ـ الى الصداقة أو الاثارة العقلية او الى شخص آخر يصغي اليهم. وغالباً ما يخفق هؤلاء في التعبير لزوجاتهم عن حاجاتهم او حملهن على بذل جهد لسد هذه الحاجات. ويروي عالم النفس روبرت سايدنبرغ قصة رجل متزوج انقلبت فضيحة في بيئته لأنها قامت على علاقة غير مستورة مع امرأة اخرى. ولم يصدق أحد أنه قضى وقته مع تلك المرأة في قراءة الشعر والكلام عنه. ويقول سايدنبرغ: "ان خيانة ذلك الرجل كانت كلامية. فهو اختار أن يتكلم ـ فقط ـ مع امرأة اخرى".

ـ الالحاح في طلب الاخلاص يؤدي احياناً الى نقيض المطلوب. هناك زوجة بائع متجول كانت مقتنعة بأن لزوجها فتاة في كل مدينة. الحقيقة ان الزوج كان مخلصاً. لكنه قرر سلوك خط معاكس بما ان زوجته تلومه لايمانها بانه يفعل. وتقول عالمة النفس الارشادي مارسيا لاسويل: "الثقة عنصر اساسي لبناء الاخلاص الزوجي والمحافظة عليه".

ـ بعض الرجال ينشيء علاقة جنسية خارج الزواج انطلاقاً من توقعات خاطئة حول الجنس. ان احد أساليب معالجة هذا الامر على نحو صريح هو الكلام حوله. وقد أسر أحد الازواج بالآتي: "ظننت ان شيئاً ما كان خطأ لأن حياتنا الجنسية لم تعد مثيرة كما كانت. غير اني بحثت المسألة مع زوجتي، فوجدنا ان واحدنا لا يزال يحب الآخر، وانه ليس مطلوباً من الجنس ان يجترح العجائب دائماً. كذلك وجدنا أن في الرقة واللطف اشباعاً كافياً حين يتذوقهما المرء".

وعلى رغم ان بعض الاختصاصيين في الموضوع يقول ان الجنس خارج الرابطة الزوجية يمكن ان يلهب احياناً جذوة زواج خمدت، الا ان معظم علماء النفس الارشادي يعتقدون انه لا يؤدي اي خدمة للزواج، وان كل ما يسفر عنه هو الخيبة والمرارة والالم. ومن حسن الحظ ان الازواج اليوم يدركون ان المثل العليا للزواج هي الصدق والمودة والثبات والحماية التي تميز حب المرء لشريك حياته.

■ نورمان لوبسينز



أقوى من الموت

في أعالي جبل رينيير، أودى النهر الثلجي بحياة المتسلق الشهير ويلي انسولد، وحملت ١٢ من طلابه [illegible] وسط عاصفة ثلجية هوجاء، أو هكذا بدا الموقف للوهلة الأولى

بدأ المتسلقون يشقون طريق عودتهم ببطء شديد وسأم مرير، وسط العاصفة المولولة، في اليوم الرابع من مارس (آذار) عام ١٩٧٩. وفي الساعة الاولى بعد الظهر راح ويلي أنسولد، متسلق الجبال المعروف واستاذ الفلسفة في كلية "ايفرغرين" (واشنطن) يحاول ان يرشد عشرين متسلقاً من طلابه [illegible] مكان امين بعدما وصلوا في اليوم السابق الى نقطة لا تبعد اكثر من ٤٣٠ متراً ارتفاعاً عن قمة جبل رينيير الذي يرتفع ٤٣٩٢ متراً. لكن العاصفة هبت عليهم من قلب سماء شتوية مكفهرة على حين غرة، فتراجعوا وألقوا رحالهم عند نقطة ثانية على ارتفاع ٣٦٠٠ متر لقضاء ساعات الليل هناك أملا في مواصلة الانحدار صباح اليوم التالي الى قاعدتهم الحصينة في مخيم "ميور" على بعد ٥٥٠ متراً.

تدنت الحرارة الى ١٨ درجة مئوية تحت الصفر، ودفعت الريح الهوجاء، العاصفة بسرعة ٩٥ كيلومتراً في الساعة، سيلا من الثلوج بلغ عمقه حتى خواصر الرجال وراح كل منهم يكافح لمجرد الصمود باستقامة تحت حمل بلغ وزنه ٣٠ كيلوغراماً. غير ان ويلي أنصت الى ما وراء ولولة العاصفة، وحدد سمعه ترقباً لانبثاق الصوت الذي يخشاه المتسلقون أكثر من سواه، ألا وهو هدير اندفاع التيهور او النهر الثلجي، وهذا موسمه.

وكان ويلي نفسه اختار سلوك هذا الطريق عبر ممر كادافر، لأنه أقصر سبيل الى المخيم على رغم انه عرضة لانزلاق الثلوج. وهو لم يتخذ قراره حول هذا الامر الا بعد تفكير طويل ومناقشته مع تلاميذه الذين أجمعوا على اهمية الخروج من محور العاصفة في اسرع وقت ممكن، قبل ان يستبد بهم الارهاق وتهبط حرارة أجسامهم، وكانت خيامهم تمزقت في الليلة السابقة من جراء العاصفة الثلجية، ولم يبق أمامهم سوى سلوك ذلك المنحدر المتجمد، لأن قضاء ليلة أخرى فوق نهر جليدي تتكسر عليه العواصف أمر لا يمكن التفكير فيه مطلقاً.

نسيج الجبال – لقد نسجت الجبال سيرة ويلي انسولد وعمت شهرته العالم كأحد أبرز المتسلقين، وهو الذي اشترك في قيادة فريق لتسلق المرتفعات الغربية الخطرة من جبل ايفرست العملاق عام ١٩٦٣، وهو أول من تسلق جبال ماشربروم في كشمير عام ١٩٦٠ وجبل توشين الثاني في باكستان عام ١٩٧٤.

وأفلح ويلي في اشراك مئات

الطلاب المتحمسين من كلية ايفرغرين، التي ساهم هو في تأسيسها عام ١٩٧١، في مباهج التسلق والولع به، وذلك من خلال برنامج للنشاطات غير الاكاديمية التي يتعلم فيها الطالب بالممارسة والاختبار الشخصي كيف يواجه تحديات البيئة الطبيعية.

ان المهارة التي يكتسبها الطلبة من خلال الرحلات التي ينظمها ويلي اعتبرت ثانوية بالنسبة الى هدفه الاخير المتمثل في غرس القدرة على اتخاذ قرار سليم في شتى الظروف وتنمية روح التعاون مع الآخرين والروح القيادية.

لكن نجم ويلي في التسلق أخذ يأفل وهو الآن في الثانية والخمسين ويشكو باستمرار من آلام التهاب المفاصل ويعرج في مشيته، مستعيناً بمفاصل اصطناعية في وركيه. كما ان الصقيع سلبه خلال حملة ايفرست تسعاً من اصابع قدميه. ولكن هاهو يشد جسمه الى ثلاثة متسلقين آخرين ويتقدمهم عبر درب شديد الانحدار. وفجأة تقوضت الارض من تحت ارجلهم، فغاصوا أربعتهم - ويلي وجاني ديبنبروك وفرانك كابلان وبيتر ميلر - وانزلقوا في تلافيف دوامة طاحنة من الثلج والجليد ما هي الا التيهور الذي خشيه ويلي أيما خشية!

يذكر كابلان انه شعر بانعدام وزنه وهو يتهافت كفراشة في مهب الريح. لكنه، في غوصه، تذكر ما تعلمه من ويلي، وهو ان كرات الثلج الناعمة الخفيفة المتطايرة في التيهور سرعان ما تيبس لتصبح كالقبر الحجري فور ركودها في مستقر لها على سطح الجبل. لذلك سارع هو الى "السباحة" على صدره في اتجاه سطح التيهور تفادياً للغرق في لجة الامواج الثلجية التي تلاطمت من فوقه. وحين قلبه التيار عاكساً وجهته، بادر كابلان الى مواصلة السباحة على ظهره، مسخراً الخوف الذي تملكه للنجاة من محنته، وعاملا بنصيحة ويلي الآتية:

"يمكن أن يكون الخوف الشديد حافزاً لك على التعلم. فأنت، اذ تواجه التحدي وتأبى الاستسلام، ستستمر في العمل حتى في خضم الخوف. وهذا من شأنه ان ينمي في نفسك ثقة لن تفارقك أبد الحياة".

مخالب الثلج - أحس كابلان على انخفاض ١٥٠ متراً فوق المنحدر بأن سرعة التيهور بدأت تخف. فصلى في قلبه من أجل ان يكون توقيته صحيحاً، ودفع بجسمه في محاولة يائسة لاختراق سطح التيهور في اللحظة عينها التي بدأ الثلج يطوق جسمه باحكام. وكان رأسه وأعلى جذعه فوق السطح، فاستجمع كابلان قواه الاخيرة ليسحب ساقه من بين مخالب الجليد الذي تكون لتوه تحت رجليه.

ولم يكد يفعل ذلك حتى أبصر يد رفيقه بيتر ميلر بارزة بارتخاء فوق النهر الثلجي. وبسرعة جنونية راح ينقب الثلج من حوله وأخرجه، ولم يكن يفصل رفيقه عن الموت بالاختناق سوى لحظات، غير ان المعجزة لم تحصل بالنسبة الى كل من ويلي وجاني ديبنبروك اللذين عثر عليهما مطمورين تحت طبقة من الثلج والجليد تراوح كثافتها بين نصف متر

ومتر وقد اودى ذلك بحياتهما معاً.

ولم يصب التيهور سائر الطلاب الذين بدأوا يتوافدون مشدودين بعضهم الى بعض بالحبال الى مكان الحادث حيث أمضى ايان يولس وبروس كليفتون اكثر من ساعة يحاولان عبثاً نفخ الحياة في جسدي ويلي وجاني، بينما وقف الجميع بصمت لا يصدقون ما يرون، لأن ويلي كان يملأ حياتهم بروحه وكلماته واغانيهوحبه للحياة.وكانصباح اليوم نفسه قد انشد لهم اغنية جعلت صوته المفعم بهجة يبدو كأنهيهدر من كبد السماء. أما الآن فقد ذهب ويلي، مخلفاً طلابه وحدهم وسط نقمة العاصفة.

وساءت احوالهم حين بدأ عدد كبير منهم يعاني اضافةالى اعراض المراحل الاولى للصدمة، هبوطاً في درجة حرارة الجسم. كما انخفض مجال الرؤية الى بعد تسعة امتار فقط وأوشك الليل على ارخاء سدوله. وما لم يبلغوا مخيم ميور، فسيكون من اليسير أن يلاقوا حتفهم نتيجة التعرض للعوامل الجوية، خصوصاً لأن حرارة الجو انخفضت الى درجة أدنى من قبل.

قوة التعاون ــ ادار ميلر جهاز البث والاستقبال الذي كان يحمله ويلي واتصل بفرقة خفر غابات جبل رينيير. لكن الجواب جاء كئيباً: "يتعذر ارسال طائرة هليكوبتر حتى يصفو الجو! " انهم وحيدونحقاً وما من احد ينجدهم. وعلى وجه السرعة آلت مسؤولية قيادتهم الى ايان يولس، المتسلق المحنك الذي ينزع بطبعه الى حب العراء والتعامل مع الطبيعة بعيداً عن سواها. وما ان تسلم يولس زمام مسؤوليته حتى بادر الى تطبيق احد قوانين التسلق التي تعلمها من ويلي:

"عليك بالتعاون. ان المجتمع منظم بحيث يتلاءم والاهواء الفردية. ولكن في الجبال ينبغي اعتماد بعضكم على بعض من اجل البقاء".

اوكل يولس الى كل من بروس اوسترمان وجيف كاسبولت قيادة المقدم كيما يتمكن هو شخصياً من مراقبة بيتر ميلر عن كثب بعدما تضعضعتاحواله نتيجة حادث الموت الذي شاهده والضربات التي نالها من جراء سقوطه مع التيهور الثلجي. وقاد كاسبولت فريقاً طليعياً من اربعة افراد. وتبعه اوسترمان على رأس الفريق الثاني، فيما سارت وراءهما ثلاث فرق أخرى.

وأكد يولس للجميع ان "كل شيء وقف على مدى حذركم وتنبه بعضكم لبعض".

شرع كاسبولت في السير على المنحدر الجليدي المعروف باسم "كاوليتز" الساعة الثالثة بعد الظهر. ويقع هذا المنحدر في اسفل ممر كادافر مباشرة. وقرر كاسبولت وجهة انحداره الصحيحة من قياس الزاوية التي كانت تشقها قدماه فوق صفحة الثلج العميقة والثقيلة. على انه اعتمد في شق طريقه حاسة اللمس بقدميه اكثر من اعتماده حاسة البصر في ذلك الابيضاض القطبي. ولكم منّىَ النفس بأن يكون اختار الوجهة الصحيحة. لكنه نبذ القلق، مدركاً صحة رأي ويلي بعدم جدواه:

"اذا التزمت وجهة معينة، فسر

واثقاً وحافظ على مسارك. فثمة وقت ينبغي فيه الانطلاق بوثبة من الايمان".

حاول ديفيد رايدلي جاهداً، وهو يقود الفريق الثالث، ان يحافظ على الفريق الذي يتقدمه في نطاق رؤيته. لكن الفريق الثاني اختفى من امام عينيه في عشر دقائق وسط دوامة بيضاء عصفت من حوله ونثرت حبات الجليد الجارحة على وجهه ونفخت الحمل على ظهره حتى غدا كالشراع ممدوداً في وجه الريح، يتقاذفه ذات اليمين وذات اليسار ويوقعه احياناً على ركبتيه. وتذكر ديفيد قول ويلي:

"تجلد في وجه الريح العاتية، واطرد من رأسك الافكار المضطربة. ومتى انحبست الريح بعض الوقت، فسر بأسرع ما تستطيع. ولتكن أفكارك واضحة كما في اي من الازمات، وركز اهتمامك على ما هو اساسي".

في مهب الريح - حافظ يولس على مساره وراء فريق رايدلي وبالقرب من ميلر الذي كان يتعثر في مشيته من أثر الدوار. وفجأة عصفت ريح رفعت ميلر قليلا فوق الارض، فأخذ يحبو على كلتا يديه ورجليه فوق الثلج قبل ان ينهار كلياً ويرتمي في مكانه. وعندما تقدم منه يولس وانتشله واوقفه على قدميه، صاح فيه متحدياً زمجرة الريح: "هيا يا بيتر! يجب ان نتحرك باستمرار، لأن في الحركة أملنا الوحيد في النجاة". وتذكر قول ويلي:

"اعتنوا بعضكم ببعض، وتقاسموا طاقاتكم الفردية مع المجموعة. وحذار ان يشعر اي منكم بأنه وحيد وفي معزل عن الآخرين. فذلك نذير باخفاق حملتكم".

وسمع يولس صرخة رايدلي من امامه: "انجدوني". فهو اراد اعفاءه من مهمة القيادة بسبب ارهاقه الشديد. وتقدم يولس ببطء وسط طبقات الثلج حتى ادركه واحتل مكانه. وبينما هم ينقلون اقدامهم شبراً شبراً، دهم القلق ذهن يولس الذي خشي ان يكونوا قد ضلوا الطريق. وبعد هنيهة عثر يولس على عصا تركها كاسبولت وراءه كعلامة يهتدي بها الآخرون الى موقعه. ولذلك صاح يولس: "اين انتم، يا جماعة؟" لكنه لم يسمع جواباً عن سؤاله. وخطرت له فكرة ضرورة "متابعة السير والثقة بالنفس".

وصل يولس مع جماعته في الرابعة الى مرتفع أشرفوا منه على بقية الفرق الطليعية التي كانت تنتظرهم. وصاح يولس فيهم: "يجب ان نبطىء سيرنا قليلا ونبقىعلى مقربة بعضنا من بعض". ولاحظ يولس ان شيري غيرسون ومارجوري بطلر اصبحتا على حافة الانهيار العصبي، فطوقهما بذراعيه وطمأنهما بقوله: "سنفلح... سنفلح باذن الله، ولكن ينبغي ألا نتوقف عن السير".

لم يفلح كاسبولت في التخلص من صورة ويلي التي انطبعت في مخيلته: وجه ذو احمرار ارجواني وهيئة مفزعة بعدما حُشر الثلج في منخريه ووجنتيه... أنراهم يموتون هم ايضاً على هذا النحو؟ وللمرة الاولى في حياته، رفع كاسبولت صلاة صادقة الى الرب من اجل روح ويلي وجاني. وابتهل اليه تعالى من اجل ان يصحو

الجو وان تظهر له علامة يتحقق بها من انه يقود الآخرين في الطريق الصحيح نحو مخيم مير ·

الخندق العميق – انخفضت الرؤية الى اربعة امتار ونصف متر، وغدت خطوات المتسلقين ثقيلة ورتيبة، تغوص فيها الاقدام في الثلج وتنتشل منه في وقع آلي وعناء كبير · وكان لخطواتهم صوت كالخبط الذي لا ينقطع · وعلى حين غرة تبدلت نغمة الحركة · لقد زلت قدم كاسبولت فوق شفير صدع في الممر الثلجي شبيه بالخندق، عمقه اكثر من متر وعرضه ٤٥ متراً وطوله مئات الامتار · انه خندق حفره تيهور ثلجي سابق · وكان الهبوط فيه أشبه بالولوج في فوهة مدفع ·

وخفق قلب كاسبولت خفقات قوية، لكنه شق طريقه بحرص فوق الجليد الى ان بلغ الطرف الآخر غير المتجمد · وتبعته على مقربة منه ديمبسي · الا ان رفيقتها وندا شرويدر، التي كانت تعرج بسبب تيبس احدى ركبتيها، لم تستطع ان تثبت قدميها على السطح الجليدي، واخذت تنزلق بخطورة مع الانحدار ·

وصرخت فيها بينا: "قفي مكانك! سأتولى سحبك بالحبل" · ودقت بينا فأسها في الجليد للتمركز في مكانها، وبدأت تجر وندا فوق الجليد مسافات قصيرة لا تتجاوز المتر كل مرة، مما تطلب من الفتاتين كلتيهما بذل جهد كبير تجاوز طاقتهما على الاحتمال · وتعثرت وندا في منتصف الخندق وكبت فوق الجليد · لكن بينا صاحت بها: "هيا انهضي! ففي امكانك اجتياز المسافة" ·

ونهضت وندا وشدت قبضتها على الحبل باحدى يديها، ورفعت باليد الاخرى فأسها في الهواء وهوت به على سطح الجليد المرة تلو المرة في كل خطوة من خطاها · وكانت الريح مثل كائن حي تلسع جسمها بالسياط الجارحة · لكنها وصلت، بعد جهد، الى الضفة الآمنة من الخندق، وتبعها يولس الذي انزلق على نحو خطر من اول الخندق حتى آخره · وما ان بلغ شاطىء الامان حتى خطرت له فكرة رهيبة تمثلت في ادراكه ان ما سيحدث في نهاية الامر انما هو خارج عن نطاق سيطرته الفردية، كما هو خارج عن نطاق السيطرة الجماعية للمتسلقين، وان جل ما في استطاعتهم هو التخفيف من قوة المخاطرة فقط، وانهم لن يقووا على النجاة بأنفسهم اذا شاءت الطبيعة نقيض ذلك، حتى وان كانوا على الدرب المستقيم الذي يفضي بهم الى مخيم مير · ولذلك كان ويلي يعد التسلق اعظم مختبر في العالم للدرس والتعلم عن الحياة:

"الجوع والعطش والبرد والاجهاد وحدود الجسم والذهن – هذه كلها ستشعرون بها · وفي ذلك عبرة من الطبيعة، بل فيه ما هو أكثر اهمية: مقابلة الذات وجهاً لوجه" ·

ثلج وظلام – بلغت كثافة الثلج والجليد فوق قلنسوة المعطف الذي كان يرتديه اوسترمان سبعة سنتيمترات او ثمانية حين وصل الى كاسبولت ليريحه وينوب عنه في قيادة الطليعة · واشتد انجراف الثلج مع الريح حتى بلغ في بعض الاماكن علواً يختفي معه صدر الانسان · ولم

يعد يفصل المتسلقين عن ظلام الليل سوى ساعة واحدة. وادرك اوسترمان انهم ما لم يهتدوا الى المخيم بسرعة، فان بعض زملائهلن يرى المخيمابداً.

وفكر لتوه في حفر كهف في الثلج يؤمن لهم بعض الدفء. غير ان الريح العاتية ودرجات التجمد الشديد ستجعل من المستحيل بناء مثل هذا الكهف. لذلك اختار اوسترمان بصفته الآن قائد الطليعة، مواصلة السير.

ومع الرابعة والنصف انخفضت الرؤية الى ما دون الامتار الثلاثة وبدت في الافق بوادر عتمة الغسق. وتشاور اوسترمان مع يولس وكاسبولت، وصاح فيهما متسائلا: "هل تظنان اننا نسير حقاً في الاتجاه السليم؟ الا ينبغي ان نكون على ارتفاع أعلى؟"

ومشى الثلاثة بقنوط شديد نحو الحافة المرتفعة من المنحدر واجتازوا فوقها قرابة عشرين خطوة من غير ان يلاحظوا أي تغير في مظهر الجبل. فهل ضلوا الطريق؟ وتساءل اوسترمان في نفسه: "الى متى سنصمد؟"

اننا أحياء! - تبدل اتجاه الريح هنيهة انكشفت معها مجموعة من الصخور امامهم. وبما انهم كانوا يعرفون انه ما من صخور على سفح الجبل الجليدي، فلم يراودهم شك في انهم ضلوا الطريق! ولمح كاسبولت شيئاً ناتئاً تحت الثلج كأنه الانبوب، ولكن سرعان ما تبين انه خيط جليدي مشدود الى صخرة! أيعقل ان يكون هذا حبل غسيل؟ أتراهم بلغوا مير أخيراً؟ وراحوا يركضون في الاتجاهين وسط الثلج العميق، باحثين عن علامة، حتى اصطدموا بالحجار التي يتألف منها كوخ المخيم في مير. وباستثناء بقعة واحدة كشفت فيها الريح جزءاً من الباب الصغير، فقد اختفى المبنى المربع كلياً تحت الثلوج المنجرفة. وصاح اوسترمان بأعلى صوته: "يا ألله! نحن هنا... لقد وصلنا... اننا أحياء".

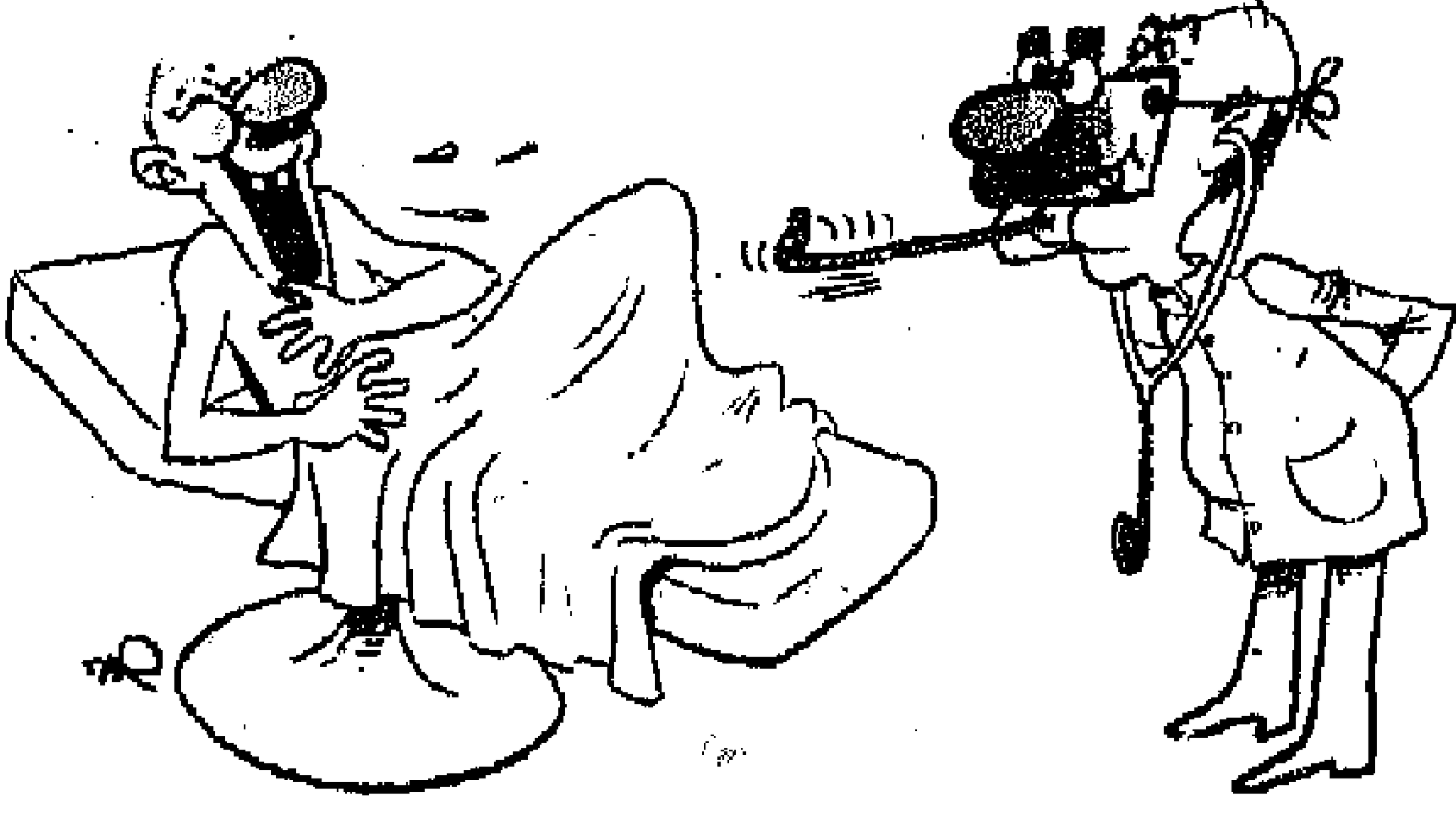
واستمرت العاصفة في انقضاضها على الجبل طوال اليومين التاليين. لكن الجماعة في مأمن الآن، وقد نجا افرادها باعجوبة من أي اصابة خطرة باستثناء الرضوض والارهاق الشديد والاسى البالغ لفقد اثنين من زملائهم. وتراصوا بعضهم الى بعض طلباً للدفء وتجاذبوا أطراف الحديث ساعات طويلة عن ويلي وجاني وعن التجربة القاسية التي عانوها أنفسهم واكتشفوا امورا كثيرة، من خلال احاديثهم، عن انفسهم وعن طاقاتهم. ولكم كانت مثل هذه الجلسات تروق ويلي!

وأخيراً خمدت العاصفة ووصل فريق الانقاذ من حراس الجبل الى مخيم مير. وتخلف كل من كاسبولت واوسترمان لاحضار جثتي الفقيدين. اما الآخرون فما ان بلغوا الجموع المنتظرة عند مركز "فردوس السياح" في جبل رينيير حتى اطلقوا حناجرهم في مقطع من احب الاغاني الخاصة بالتسلق الى قلب ويلي:

"لا يمكن قتل الروح.
انها كالجبل
قدماً وعتوا
وصموداً الى الابد".

■ تيري وهارييت كينغ

الضحك خير دواء



"عاشت الاسامي"

لم تكن سيارتي الجديدة قطعت سوى بضع مئات من الكيلومترات حين صدمها باحد جانبيها سائق شاب رفض التقيد بأولوية حق المرور، وفقدت رباطة جأشي، وسألته ما اذا كان مجنونا.
وهنا جاء الشرطي، وبعدما انهى المعاملات الكتابية، سألني "هل تبادلتما، ايها السيدان، اسميكما؟"
غير ان الشاب، الذي كان قد احس بالكآبة والحزن لدى ثبوت خطأه، عاد وانتفض فجأة وقال:"اجل يا سيدي، انني لم اقل شيئاً، ولكن كان يجب ان تسمع الاسم الذي دعاني به".

ر.م.

بؤس الملايين

صحا رجل من غيبوبة عام ٢٠٠٠، وكان اول ما فعله ان رفع سماعة الهاتف للاستفسار عن قيمة اسهمه المالية، فجاءه الجواب ان حصته في احدى الشركات تبلغ خمسة ملايين دولار، وفي شركة اخرى عشرة ملايين. فقال:"آه، اني غني الآن".
وقبل ان يكمل حديثه، قطعته عاملة التلفون لتقول:"لقد انتهت الدقائق الثلاث للمخابرة، الرجاء ان تحول كلفتها الى دائرة البريد، وهي مليون دولار".

مجلة "غريت"

اللهم نجنا...

بينما كنا نزور ابننا في مدرسة الكهنة، التقينا طالباً جديدا عبر لنا عن اعجابه بمبادئ الرهبنة، وهي الفقر والعفة والطاعة. ومشينا معاً الى قاعة طعام كبيرة، وهناك وقعت اعيننا على ما لذ وطاب من المآكل التي اعدها الطباخون اكراما للاهل الذين يزورون ابناءهم في عطلة نهاية الاسبوع. فما كان من الطالب المبتدئ الا ان قال:"اذا كان الفقر هكذا، فكيف تكون العفة يا ترى؟"

ت.ا.س.

حاضر الايام الماضية

حضر الاسكندر الاكبر ويوليوس قيصر ونابوليون احد العروض العسكرية في موسكو، وحين رأى الاسكندر الاكبر الدبابات تمر امامه، قال وهو لا يستطيع تحويل عينيه عنها:"لو كان لدي مركبات حربية كهذه، لفتحت آسيا كلها".
ونظر يوليوس قيصر الى الصواريخ وقال:"لو كان لي سهام كهذه، لحكمت العالم كله".
اما نابوليون فرفع عينيه عن جريدة "البرافدا" التي كان يقرأها وصرخ:"لو كانت لي صحيفة كهذه، لما سمع انسان بهزيمة واترلو".

ب.ن.م.

بعد "زراعة" القلوب والكلى... اجريت تجارب لـ"زراعة" الاذان. وهي جراحة ثورية تعد بانتشال الصم من عالم الصمت الذي يلفهم

... والآن جاء دور زراعة الآذان

استلقت المريضة فوق الطاولة في غرفة العمليات. كانت سيدة صماء في الحادية والثلاثين. وقد اختفت تماماً تحت ملاءة خضراء، ولم يبق منها ظاهراً سوى اذنها اليمنى من خلال فتحة مستديرة. وسلط على هذه البقعة مباشرة ضوء صغير قوي. وجلس الدكتور جان ماركيه، الجراح العالمي الشهير ورئيس قسم الانف والاذن والحنجرة في جامعة انتويرب (شمال بلجيكا)، ينظر عبر مجهر ثنائي العينيتين ويحرك ببراعة آلات دقيقة داخل الاذن.

وكان يتحتم على ماركيه ان يلتزم غاية الحذر، فقد كان يجري جراحة داخل حيز لا يزيد عرضه على ستة مليمترات وطوله على ١٢ مليمتراً ويحتوي على العظيمات الثلاث: المطرقة والسندان والركاب. وتلك اصغر عظام الجسم، ومهمتها نقل الصوت من طبلة الاذن الى الاذن الداخلية. فاذا صدم مشرط الجراح تلك العظام فان الصدمة تعادل، صوتياً، انفجاراً عنيفاً وقد تؤدي الى عطل دائم في عصب المريض السمعي.

وبمهارة فائقة اقتطع ماركيه ما تبقى من الطبلة المثقوبة وأخرجه بالملقط. عندئذ احضرت الممرضة زجاجة صغيرة مليئة بسائل ماء، فأخرج

منها ماركيه انبوبة رمادية بدت كأنها من البلاستيك اللين. تلك كانت اذناً وسطى سليمة وهبها شخص قبل وفاته.

وفصل الجراح الطبلة المستديرة كالطبق ووضعها بدقة داخل التجويف الدائري الذي سبق ان استأصل منه الطبلة المصابة. ثم جذب الجلد فوق حواف الطبلة المزروعة من الجهتين، الداخلية والخارجية، وأعاد الاذن الخارجية الى وضعها الاصلي. وتولى احد معاونيه تثبيت حاشية الجلد خلف الاذن ثم خاطها. وقد استغرقت الجراحة نحو ساعة.

وكانت السيدة تعمل سكرتيرة، وهي شبه صماء منذ الطفولة. ولم يكن في مقدورها سماع الاصوات التي يقل ارتفاعها عن ضوضاء شارع مفعم بالضجيج، اي نحو ٥٠ ديسيبل (وحدة قياس قوة الصوت).

وقال ماركيه بعد الجراحة: "عندما تفيق السيدة سوف تسمع افضل مما كانت تفعل طوال حياتها".

وفي الحقيقة، عندما خرجت السيدة من المستشفى بعد خمسة ايام هتفت: "انها لمعجزة حقاً يا دكتور! اني اسمعك!" وذهبت على امل العودة لاجراء جراحة لاحقة في اذنها اليسرى.

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٨ شهدت في انتويرب، مع عدد من الجراحين الزائرين من باريس ومونريال ونيويورك، عملية ترقيع بالنسيج المتجانس في منطقة طبلة الاذن. وتتضمن تلك الجراحة استبدال جزء من الاذن الوسطى اتلفه المرض بنسيج مماثل تبرع به احد الواهبين.

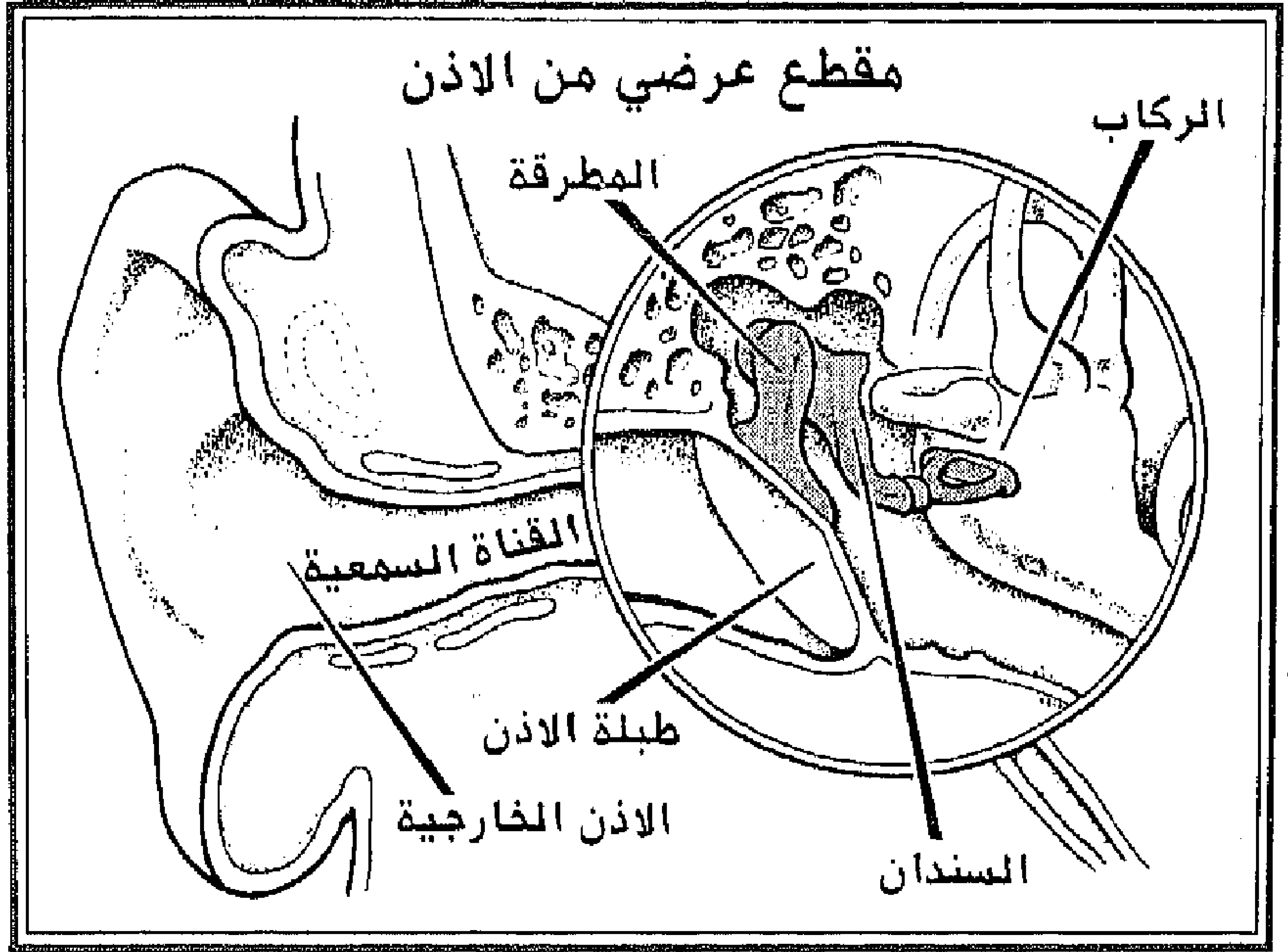
ولم يكن هناك خوف من ان ينبذ الجسم الحي ذلك النسيج الجديد، اذ انه حفظ في مواد كيميائية من شأنها ابطال عمل المولدات المضادة التي يمكنها ان تسبب النبذ. ولم تكن هناك اي صعوبة في تثبيت الرقعة في الاذن. ذلك لان حجم الاذن الوسطى هو نفسه لدى الناس جميعاً.

الطبيب الثائر – ان عملية الترقيع بالنسيج المتجانس يمكن ان تشمل زراعة طبلة الاذن اما وحدها واما الى جانب احدى العظيمات او اثنتين منها او ثلاثتها. وهي احدث تطور رئيسي في مجال جراحة الاذن، وبفضلها تم انقاذ عشرات الآلاف من الصمم منذ العام ١٩٦٤.

ويعاني نحو ١٥ في المئة من سكان العالم ضعفاً متفاوتاً في السمع. كما تبلغ نسبة المصابين بعطل قابل للعلاج جراحياً في الاذن الوسطى نحو ٦ في المئة. وقبل ابتكار عملية الترقيع بالنسيج المتجانس كانت الطريقة التقليدية في علاج طبلة الاذن او ابدالها تتلخص في انتزاع قطعة دائرية من غلاف العضلة الصدغية، فوق الاذن وخلفها، ووضعها فوق طبلة اذن المريض المصابة.

وتعتبر هذه الجراحة، ترميمياً، ناجحة الى حد بعيد، اذ انها تسد الثقب الحادث في القناة السمعية بسبب الطبلة المثقوبة. لكنها لا تعيد دائماً الى المريض قدرة جيدة على السمع.

ويقول ماركيه: "لقد كنا ميكانيكيين مهرة. والامر اشبه بعطل في سيارة. فالميكانيكي المتمرس هو الذي يستطيع ان يأخذ القطع اللازمة



من سيارة اخرى، او يحضر تلك القطع بنفسه، كي يصلح السيارة ويجعلها تسير. ومع ذلك فمن المحال ان تعود السيارة الى سابق عهدها. أفليس من الحكمة، اذا، ان نطلب الى المنتج الاصلي اجراء عمليات الاستبدال الدقيقة تلك؟"

بدأ الدكتور ماركيه عمله في زراعة الاعضاء عام ١٩٦٣. واجرى تجارب عدة في نقل اجزاء من طبلات الاذن لسد الطبلات المثقوبة. وظلت تلك الرقع ثابتة في مكانها. فما ان حل العام ١٩٦٤ حتى كان ماركيه مستعداً لزراعة طبلة اذن كاملة.

وكان المريض الاول الذي خضع لتلك الجراحة تلميذاً في الثالثة عشرة من العمر يعاني صمماً مزمناً منذ اكثر من عشر سنين. ولم يكن الصمم مشكلته الوحيدة، بل كانت اذنه دائمة النزف، والطبلة المثقوبة تمنعه عن السباحة وتعوقه عن النشاطات الاخرى.

وشرح ماركيه لوالدي الفتى انه سيعتمد طريقة جديدة يظن انها ذات نتيجة افضل من اي جراحة اخرى. ووافق الوالدان وحققت العملية نجاحاً باهراً. ولم يعد الصبي في حاجة الى اي جراحة اخرى. وهو الآن في الثامنة والعشرين من عمره، ويتمتع بسمع عادي.

وخلال العام نفسه اجرى ماركيه ثلاثين عملية اخرى كان النجاح نصيب ٧٣ في المئة منها. وفي تقديره ان فرص نجاح الجراحة التقليدية في الحالات نفسها لم تتعد الستين في المئة. وفي العام التالي، اي في ١٩٦٥، نجح ٨٨ في المئة من عملياته السبع عشرة.

وفي اجتماع عقدته الجمعية البلجيكية لامراض الاذن والانف والحنجرة عام ١٩٦٦ قدم ماركيه تقريراً عن الجراحة الجديدة. وعندما بدأ الحديث ذهل الجراحون القدامى. وشعر ماركيه بألم عميق لرؤيته

استاذه الذي تدرب عليه يغادر الصالة.

لماذا؟

يرى بعض زملاء ماركيه المحافظين انه كان ثورياً اكثر مما يجب، وانه يتقدم المعرفة الجراحية التقليدية بابعد مما يلزم. ولعلهم كانوا مشككين في كلامه قليلا على رغم ان نقاده انفسهم كانوا يعترفون بانه جراح بارع الى حد بعيد.

ومع ذلك فقد استمرت نتائج ماركيه في التقدم. ودأب على تحسين طريقته في زراعة طبلات الاذن وما تدعو اليه الحاجة من العظيمات.

وثابر ماركيه بعناد على اخبار زملائه بانجازاته. وتأثر به كثيرون، وبدأ يتلقى الدعوات من الاختصاصيين في الدول الاخرى. وخلال زياراته لهم تمكن من تحسين طريقته في حفظ قطع الغيار في افضل حال ممكنة.

حياة جديدة – يشكل "التموين" معضلة كبرى بالنسبة الى عمليات الترقيع بالنسيج المتجانس. ففي بلاد عدة تقف الاعتبارات الدينية والقانونية والاخلاقية حائلا دون انتزاع احد الاعضاء من جثة ما. وحتى في البلدان التي تنعدم فيها هذه الحواجز فان اختصاصيي الجراحة الدقيقة، المتمرسين في زراعة الاعضاء، غالباً ما يعجزون عن التوصل الى "قطع الغيار" اللازمة نظراً الى عدم توافر بنك الاذان فيها. كما يصعب ايصال الاعضاء التي يتبرع بها الواهبون.

واضافة الى ذلك فهناك تكاليف الجراحة. ففي البلدان التي تتوافر فيها انظمة صحية حكومية تقدر اتعاب الجراح عادة بواسطة القانون. وبما ان اعداد المواد واجراء عملية زرع العضو يستغرقان ضعف الوقت الذي تستغرقه الجراحة العادية او اكثر، وبما ان الجراحين يتلقون الاتعاب نفسها في حالتي الجراحة التقليدية وجراحة الترقيع بالنسيج المتجانس، فان هناك دافعاً اقتصادياً قوياً للاستمرار في ممارسة الجراحة التقليدية الاسرع. فضلا عن ان تكاليف الاعضاء الطبيعية تفوق تكاليف الاعضاء الاصطناعية بأضعاف. في حين لا تعوض الانظمة الصحية المرضى، عادة، الفرق بين الكلفتين.

وعلى رغم تلك العقبات فان عدد جراحي الترقيع بالنسيج المتجانس يزداد اطراداً كما يزداد عدد الجراحات. وقد اجرى عميدهم ماركيه ما يربو على ٢٠٠٠ جراحة. وفي تقديره ان اكثر من نصف تلك الجراحات اجري على مرضى سبق ان خضعوا لجراحة غير ناجحة او لأكثر.

وأجريت ٢٠٠٠ جراحة أخرى على يد جماعة اطباء ضمت الدكتور بيير رولو، احد ابرز جراحي الاذن في فرنسا، والدكتور غي لاشيه من بوردو (فرنسا) والدكتور رودني بيركينز من ولاية كاليفورنيا الامريكية.

وتحتل اخبار الجراحة صفحات متزايدة في المنشورات الطبية. ويبذل الرواد الاوائل جهوداً هائلة لتعميم طريقتهم. ولا يمضي اسبوع من دون ان يزور عدد من الجراحين الاجانب فريق ماركيه ليراقبوه وهو يجري جراحاته.

ويخصص كل من ماركيه وبيركينز

اسابيع كاملة للسفر في ارجاء العالم حيث يحاضران ويعرضان طريقتهما. وقد نجم عن ذلك ان هناك اليوم جراحين لزراعة الاذن في معظم بلدان اوروبا وامريكا الشمالية والجنوبية وفي عدد من بلدان الشرق الاوسط وآسيا، خصوصاً الهند. ويقدر عدد الجراحات اجمالا بنحو ٢٠ الف عملية ترقيع متجانس حققت منذ اول جراحة اجراها ماركيه على طبلة الاذن عام ١٩٦٤.

ولا شك في ان هذا الرقم يدعو الى العجب، ولكن ليس بالمقدار الذي يثيره التغير الذي طرأ على حياة اولئك الذين اجريت لهم تلك الجراحة.

وتروي نادين بوديل (★)، وهي من النساء المنطلقات سيدة في والاربعين تدير حانوت بيع بالجملة لحساب احد بيوت الازياء الشهيرة في باريس، ان اذنها اليمنى كانت شبه صماء منذ السن الثامنة. ولم يكن في استطاعتها تحديد اتجاه الاصوات. وكانت عرضة لنوبات من الدوار نتيجة افتقارها الى طبلة اذن. واعتادت زيارة جراح مرة كل ثلاثة اشهر لتنظيف الانسجة المصابة. وقد زودها الدكتور رولو بأذن وسطى "جديدة" في يوليو (تموز) ١٩٧٨. فبات في امكانها اليوم تسجيل الطلبات والاجابة عن الاسئلة في وقت واحد، بعدما كانت تضطر الى رؤية المتكلم اولا.

وتضيف السيدة: "اما عن الدوار فقد ذهب الى غير رجعة. لقد كان رهيباً، وكانت النوبات من الشدة مما فرض ان استند الى الجدار حتى تزول".

وتتكرر هذه الروايات في عشرين بلداً على الاقل لدى اشخاص من مختلف الاعمار. ويبدو انهم جميعاً يعثرون في النهاية على عبارة واحدة: "لقد بدأت حياتي حقيقة منذ انتهاء الجراحة".

(★) ليس هنا اسمها الحقيقي

■ **والتر روس**



الصحة والسعادة

السبيل الوحيد لصيانة صحتك هو ان تأكل ما لا تريد وتشرب ما لا تحب وتعمل ما كنت تأنفه معظم الاحيان.

مارك توين

الاذن والعين

اصطحبت ابني الى احد المتاجر الكبرى حيث رأيت واحدة من معارفي. وما كدت اعرفها على ابني حتى بدأت تقص علينا كل ما يتصل بابنها الذي لا يعرفه كلانا: "كيف انه رياضي رائع، وما عدد الرياضات التي يتفوق فيها، وماذا يقول عنه معلموه، وحتى ماذا ينوي فعله بعد حصوله على الشهادة المدرسية".

وحين تمكنا اخيراً من الانصراف، قال ابني: "اني اتساءل الآن عن عدد الناس الذين لم يروني على الاطلاق، ولكنهم يكرهونني كراهيتي لابن هذه السيدة".

م.ل.

نادي المخفقين

يقول ستيفن بايل، رئيس "النادي البريطاني للمخفقين": "كثيراً ما نبالغ في تقدير النجاح، مع ان القصور هو ما يستوجب التبجيل، فهو الصفة التي تميزنا عن الحيوانات". وفي ما يأتي نورد الصفوة - او بالاحرى الحثالة الرائعة - التي استخلصها بايل من حكايات اشخاص "اخفقوا في مهماتهم الى حد اصبحت اسماؤهم منارات ترشد الاجيال القادمة".

اللص الخائب - في العام ١٩٦٩، في مدينة بورتلاند (ولاية اوريغون الامريكية)، حاول لص السطو على احد المصارف. فكتب تعليماته على ورقة قدمها الى امين الصندوق وجاء فيها: "هذه عملية سطو، وانا احمل مسدساً". وانتظر الموظف المشدوه بينما تناول اللص ورقة ثانية وكتب عليها: "ضع النقود كلها في كيس من الورق". وعندما دفع اللص بهذه الورقة عبر الحاجز الخاص قرأ امين الصندوق ما فيها، ثم اضاف في اسفلها: "ليس لدي كيس من الورق". واعادها الى اللص الذي ما ان اطلع عليها حتى اطلق ساقيه للريح.

عذر اقبح من ذنب - في العام ١٩٧٦ أعلن ان بعض الحافلات توقفت عن نقل الركاب المنتظرين على الطريق بين بلدتي هانلي وبغنال في انكلترا. وقال آرثر تشولرتون، عضو المجلس الاقليمي، مبرراً هذا القرار: ان الحافلات لو توقفت لأخذ الركاب لأخلت بجدول المواعيد المقرر لها.



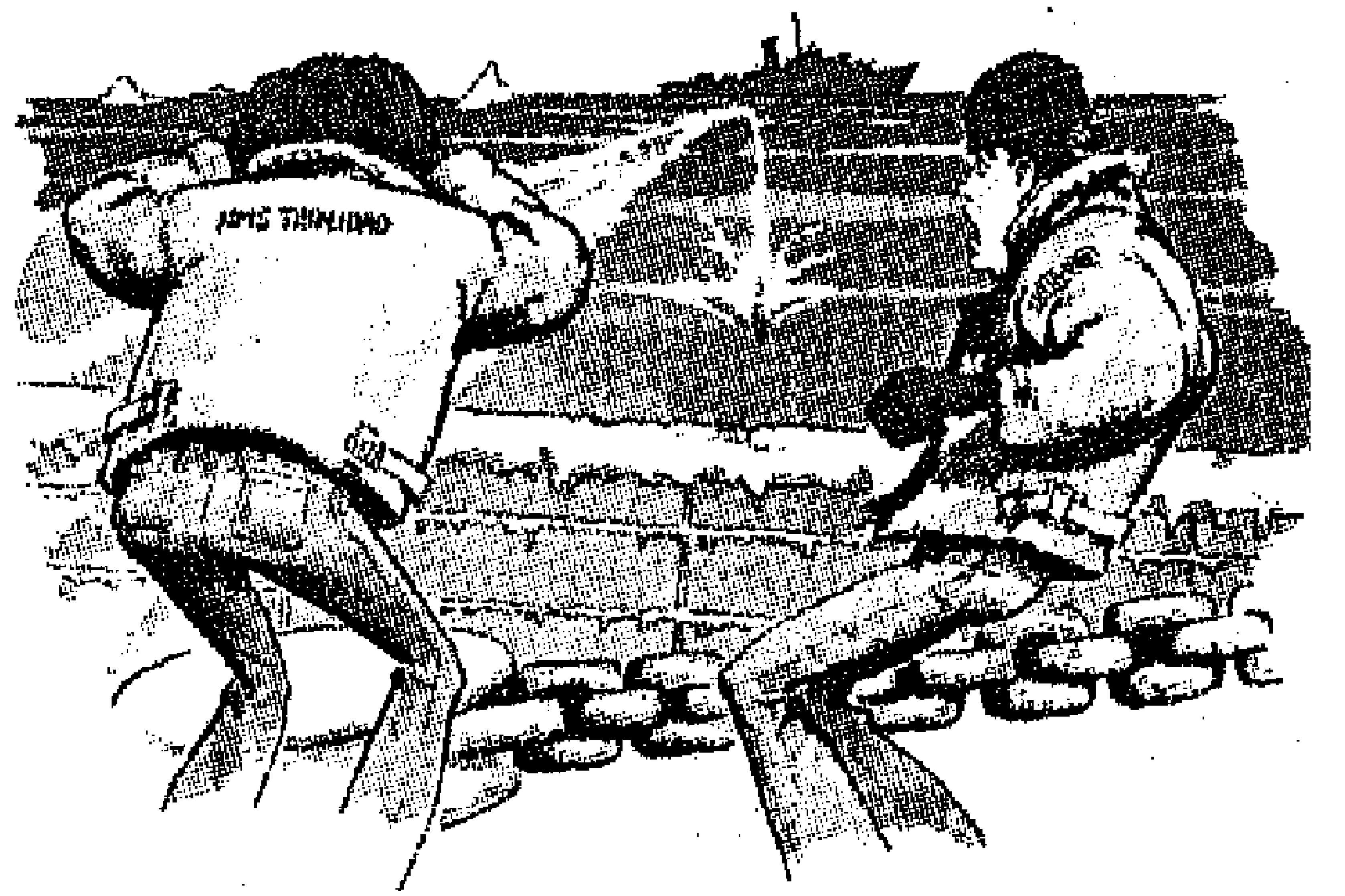
ليتها ظلت عالقة! - خلال اضراب عن العمل قام به رجال الاطفاء في يناير (كانون الثاني) ١٩٧٨، تولى الجيش البريطاني مهمة اطفاء الحرائق في البلاد. وحدث في جنوب لندن ان علقت قطة تملكها امرأة عجوز فوق شجرة سامقة. فاستدعت العجوز احدى وحدات الجيش التي انقذت القطة. وشاءت العجوز ان تعرب لافراد تلك الوحدة عن امتنانها، فدعتهم جميعاً الى تناول الشاي عندها. ولدى انصرافهم في سيارة

الاطفاء مرت السيارة فوق القطة وسحقتها.

"افضل" برنامج تلفزيوني - اجريت على التلفزيون الفرنسي، في العام ١٩٧٨، مقابلة مع سيدة تقرر عرضها في اوج اوقات المشاهدة. وكانت جريدة "فرانس سوار" قد رشحت تلك المقابلة كأفضل برنامج للسهرة. وعلى أثر استفتاء عام تبين ان تلك المقابلة لم يشاهدها احد اطلاقاً.

الرحالة التائهة - اطلقت حمامة زاجلة من قفصها في بلدة دايفد في مقاطعة ويلز البريطانية في يونيو (حزيران) ١٩٥٣. وكان من المنتظر ان تبلغ قاعدتها مساء اليوم نفسه، لكنها لم تفعل. وبعد مضي ١١ سنة اعيدت الحمامة بالبريد، ميتة، في علبة من البرازيل.

القذيفة الخائنة - في مارس (آذار) ١٩٤٢ كانت السفينة الحربية الملكية البريطانية "ترينيداد" تواكب

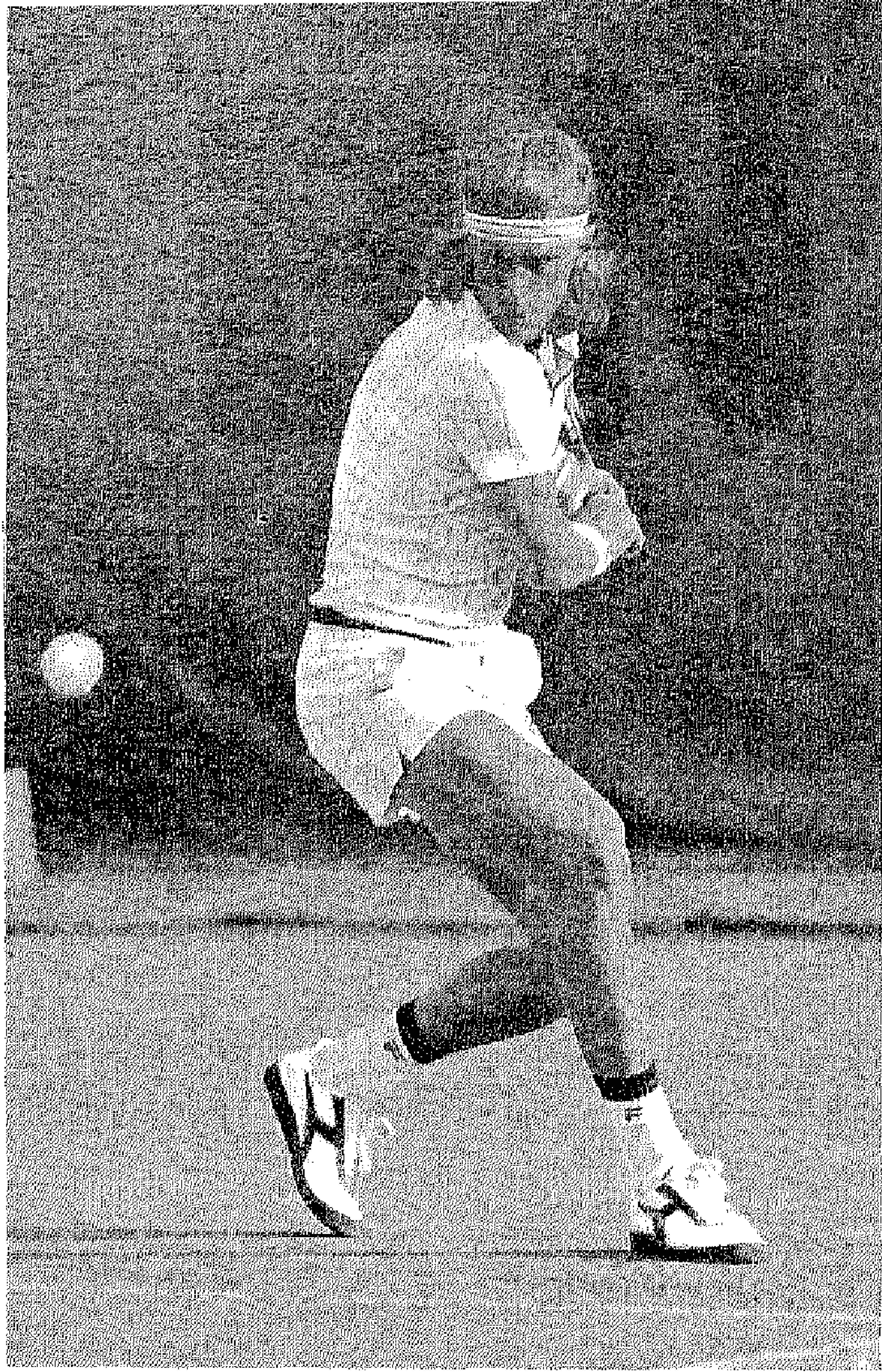


مجموعة سفن تتجه الى ميناء مورمنسك الروسي عن طريق القطب الشمالي. فلمحت في الافق مدمرة المانية، فبادرتها بقذيفة طوربيد انطلقت بسرعة ٤٠ عقدة، اي نحو ٦٦ كيلومتراً في الساعة. ويبدو ان جهاز التوجيه في القذيفة تجمد بسبب مياه القطب الثلجية فلم تلبث ان استدارت ببطء على شكل نصف دائرة وعادت ادراجها الى السفينة التي اطلقتها مسجلة فيها اصابة مباشرة عطلتها عن العمل.

اللاعب الورع - يعود هذا اللقب الشريف الى ايسادور ايرانديـر، حارس مرمى فريق ريوبريتو البرازيلي لكرة القدم، الذي سجل هدف في مرماه بعد بدء المباراة بثلاث ثوان. وكان ايرانديـر لا يزال راكعاً يصلي، كعادته قبل بداية كل مباراة، عندما سمع صفير الكرة وهي تمر في محاذاة اذنه لتستقر في المرمى.

تلفزيون العصر الفيكتوري - سجل ليزلي هاليويل في كتابه عن السينما عدداً من الهفوات الفاضحة في بعض الافلام. ففي فيلم "كارمن جونز" صورت الكاميرا مشهداً لبطلة الفيلم دوروثي داندريج وسط شارع في احدى المدن، بينما انعكست وجوه افراد الفريق العامل في الفيلم على واجهات المحلات التجارية. وفي فيلم "الصندوق المغلوط" التقطت الكاميرا مشهداً عن مدينة لندن في العصر الفيكتوري (القرن التاسع عشر) بدت فيه سطوح المنازل وقد علتها هوائيات (انتينات) التلفزيون. وفي فيلم "ليالي ديكاميرون" ظهر الممثل لويس جوردان في دور قرصان من القرن الرابع عشر يقف على متن سفينة شراعية، بينما بدت في خلفية المشهد شاحنة تنحدر من احدى التلال البعيدة.

■ ستيفن بايل



بورغ، الملك

على رغم انجازات هذا البطل الاسطوري
فان المجد لم يفقده اتزانه ولم يعكر صفو روحه

كان الاصيل حاراً في ويمبلدون (لندن)، قبلة العاب المضرب الكبرى، حيث توشك ان تبدأ، على ساحة معشبة، المباراة النهائية لاشهر البطولات الرياضية. وطوال ايام من التنافس الحاد تمت تصفية الغالبية من خيرة اللاعبين العالميين، وبقي على جانبي الشبكة في الساحة المركزية اثنان من ابرع النجوم: بطل امريكا جيمي كونورز، البالغ من العمر آنذاك (٢ يوليو/ تموز ١٩٧٧) ٢٤ عاماً والاكثر حظاً في الفوز، وبطل أسوج

Photo: Sygma/A. Dejean

بيورن بورغ، وعمره ٢١ عاماً. ويفوز في المباراة اللاعب الذي يربح ثلاثة اشواط.

بدأ كونورز المباراة مهاجماً، منتزعاً الشوط الأول ٦ - ٣ واخذ كونورز يتقدم على منافسه سريعاً في الشوط الثاني فيما انتاب المتفرجين، وعددهم ١٥ ألفاً شعور بأن النصر سيكتب للامريكي. لكن بورغ كسب الشوط الثاني، ثم كسب الثالث. لقد كان ذلك الفتى الناحل، الذي يشبك خصلات شعره الاشقر الطويل بعصابة، يرقص كملاكم في حلبة وهو ينتظر كل ضربة كرة ليردها بعنف. وبدا كما لو أن وهجاً خفياً يشتعل في داخله ويؤلبه على جلد الكرة. الا ان كونورز فاز في الشوط الرابع، فتعادل اللاعبان بشوطين لكل منهما.

وينطلق بورغ متقدماً على نده، ويصفع فخذيه ليزيل عنهما انهاك ثلاث ساعات قاتلة في الملعب، ويفوز بالمواجهات الاربع الاولى من الشوط النهائي. الا ان كونورز يحقق التعادل مرة ثانية ٤ - ٤ وفي المواجهة التاسعة الحاسمة، حيث استهل كونورز الارسال، اخذ بورغ يمزج الضربات اللولبية العالية بالاسقاط الضعيف للكرة. واذ لم يكن بورغ في حاجة الى غير هذه اللعبة كي يغدو البطل، فقد اكتشف، بطريقة ما، القوة التي أهلته لانتزاع النقاط الثلاث الاولى. ومن ثم، وبرمية هائلة عابرة من ظاهر اليد، فاز بالنقطة الاخيرة وربح المباراة. وهلل الجمهور فيما بسط بورغ ذراعيه ومدهما نحو السماء مبتهجاً بالانتصار.

لم تكن مباراة الثاني من يوليو (تموز) ١٩٧٧ تلك "واحدة من اعظم المباريات النهائية التي جرت في ويمبلدون على الاطلاق" فحسب - كما كتب أحد المعلقين في جذل - بل كانت كشفاً ملهماً للاعب جسد الشجاعة والثبات والبسالة وأفضل ما في الرياضة من صفات. لقد فاز بورغ ببطولة ويمبلدون عام ١٩٧٦ واحتفظ بها حتى العام ١٩٧٩، ليصبح بذلك اول لاعب في هذا العصر ينتزع تاج ويمبلدون اربع مرات متعاقبة، ثم يحرز (في الثالث عشر من شهر يناير/ كانون الثاني ١٩٨٠)، وللمرة الاولى، بطولة الـ"ماسترز" الامريكية متغلباً على لاعبين عالميين امثال روسكو تانر وجيمي كونورز وجون ماكنرو وفيتاس غارولايتيس. وكان رونالد اتكين من صحيفة الاوبزورفر اطلق عليه لقب "الملك بورغ الرابع". وكرسه الاتحاد الدولي افضل لاعب في العالم خلال ١٩٧٨ و ١٩٧٩.

ومهما تكن عظمة انتصاراته فان هذا "الاسوجي الفذ" ما كان استحق لقبه لو لم يحقق انتصارات متتالية في المباريات الرئيسية الاخرى. ففي العام ١٩٧٧ فاز في ١٣ مباراة من أصل ٢٠ شارك فيها فضلا عن فوزه في ٧٩ في المئة من مجموع الاشواط التي لعبها. وفي العام ١٩٧٨، فاز في ١٢ مباراة من مجموع ٢٢، بما في ذلك فوزه في بطولتي فرنسا وايطاليا المفتوحتين والمهيبتين، وحقق انتصاراً مذهلا بفوزه في ٨٥ شوطاً من مجموع ٩٣. وفي العام ١٩٧٩ فاز في ٩٥ شوطاً من مجموع ١٠٣ اشواط. وهذا السجل القياسي، حتى بالنسبة الى اعظم ما تحقق من ارقام في تاريخ هذه اللعبة، جعل بورغ واحداً من ابطال كرة المضرب الخالدين خلال

السنوات الاربع والعشرين الاولى من عمره٠

سر النجاح ـ ترى ما الذي يمنح بورغ الافضلية في هذه اللعبة المربحة والعنيفة في آن حيث يتهاوى اعظم اللاعبين خلال الصراع بعضهم على بعض كما لو كانوا مقاتلي روما القديمة، ولكن في زي عصري؟

لا بد من الاشارة أولا الى مزايا بورغ الجسدية٠ فهو يتمتع بمنكبين شديدي القوة، وبذراعين ومعصمين كالفولاذ، وبساقين مدربتين تدريباً رائعاً من حيث سرعتهما وتحملهما، وبانخفاض معدل نبضه الى درجة مذهلة هي ٣٩٠ ويكشف بيرسي روزبرغ، مدرب بورغ في فتوته، عن عنصر اكثر أهمية، هو ارادة بورغ الاستثنائية على الانتصار٠ ويفسر روزبرغ الامر بقوله:"يتراخى اللاعبون الآخرون احياناً عندما يكونون في المقدم، أما بيورن فيريد ان يكسب كل نقطة"٠ ويضيف رون، والد بورغ:"لقد أصبح بيورن بطلا لأنه أراد ان يكون كذلك"٠

كان رون بورغ، بائع الملابس في بلدة سودرتلييه الصناعية القريبة من استوكهولم (عاصمة اسوج)، لاعب كرة طاولة بارعاً٠ اما زوجته مارغريتا المفعمة بالحيوية فقد شاركت في مباريات العاب الساحة والميدان للهواة٠

وما ان صار في امكان ولدهما الوحيد المساهمة في الالعاب الرياضية حتى زجا به في الالعاب العائلية والسباقات ورمي السهام واخذا يحثانه على الفوز٠ وتقول والدته في هذا الصدد:"حاولنا تعليم بيورن المثابرة، ليس بهدف الفوز في المباريات بل كي نغرس في ذهنه فكرة بسيطة مفادها الا يتراجع عما اختار تحقيقه في حياته"٠

وتركت الوصية أثرها عميقاً٠ فحين بلغ بيورن التاسعة من عمره اهدى اليه والده مضرباً (راكيت)٠ وفي اليوم التالي كان الصبي يرشق الكرات على حائط المرآب٠ وظل كذلك اياماًطويلة٠وكان اقرب ملعب لكرة المضرب يبعد مئة متر عن منزل بورغ٠ فراح يقضي ايام الصيف كلها هناك من السابعة صباحاً حتى التاسعة مساء٠ وكثيراً ما استفز الصبية الاكبر منه عمراً عارضاً اللعب معهم كي ينتهي بالفوز عليهم في معظم الاحيان٠

ومع ان مضرب بورغ كان من الطراز الخفيف الا انه ظل اثقل مما احتملت كتفا الصبي٠ فكان يستعين بيديه الاثنتين٠ ولأنه افتقد التدريب السليم فهو اضطر الى أرجحة المضرب بتحريك معصميه كما اعتاد في لعبتي كرة الطاولة وهوكي الجليد، وذلك اسلوب خاطىء في نظر واضعي كتب تعليم كرة المضرب٠ لكن بيورن لم يكن يعرف ذلك ولم يأبه له٠ وسرعان ما بلغ والده انه سيغدو بطلا، فكان جواب رون بورغ انه لا يرى عائقاً يحول دون محاولة ذلك٠

فرصة العمر ـ في العام ١٩٦٨ لفت انتباه بيرسي روزبرغ، وهو لاعب لامع سابق درب خيرة شباب اسوج، صبي ناحل في الحادية عشرة من عمره، وذلك في اثناء بطولة بلدة سودرتلييه٠ ولم يكن الصبي يراعي توقيتاً، كما كان اسلوبه المعتمد على كلتا يديه اخرق٠ لكنه كافح لصد كل كرة٠ وعلى الفور تعهد روزبرغ تدريب

بيورن في نادي استوكهولم العالمي لكرة مضرب الملاعب المعشبة، فيما انتقد المتفرجون طريقة بورغ الغريبة في ضرب الكرات. ومع ذلك فقد لاحظ روزبرغ في دهاء ان ضرب الكرة باليدين معاً يجعلها تسقط على نحو اخرق فيصعب صدها. فقرر الا يعدل اسلوب بورغ هذا بل ان يركز جهوده على زيادة طول الرمية وسرعتها عبر تدريب شاق. ولحسن حظه كان تلميذه ممتلئاً عزماً.

واذ يسترجع روزبرغ ذكرياته يقول: "كان بيورن يطبق كل اقتراح خلال التمارين، كما لو كانت المقترحات مقدسة. وكان، في نهاية كل تمرين، يتوسل الي كي امنحه فرصة اخيرة لضرب الكرة. وكلما حثثته اكثر ازداد نجاحه".

وكان على والد بيورن ان يوصل ابنه الى استوكهولم ثلاث امسيات في الاسبوع بعد ان ينهي عمله، اضافة الى أيام السبت، وذلك كي يتمكن الصبي من حضور التمارين الشاقة. وغالباً ما كان الوالد يضطر الى قطع مسافة طويلة من حلبة الهوكي أو اليها. فعلى رغم استحواذ كرة المضرب على مشاعر بيورن، الا انه كان واحداً من خيرة المتزحلقين في فريق الهوكي للناشئين في بلدة سودرتلييه قبل ان يصبح لاعباً على المستوى الوطني. ولم يتخذ بورغ قراره بتكريس طاقاته كلها للكرة حتى بلغ الثالثة عشرة من عمره.

وفي العام ١٩٧٢ فاز بورغ ببطولة اسوج في كرة المضرب ليغدو اصغر لاعب يفوز بهذا اللقب. ومنذ ذلك الحين اصبح من مدمني المباريات. ففي عطلة الميلاد عام ١٩٧٢ سافر بورغ الى ميامي بيتش في فلوريدا للمشاركة في بطولة المدرج البرتقالي. وحين عاد من المباراة كأصغر لاعب يفوز بتلك البطولة نظم له زملاؤه في الدراسة احتفالا يذكره داغ سودلينغ، احد مدرسيه، بالعبارات الآتية: "تملك بورغ خجل شديد وحاول ان ينسل هارباً من الحفلة. كان يكره ادنى اطراء يوجه اليه" ولا يزال.

عندئذ بدأ لينارت بيرغلن، قائد الفريق الاسوجي لكأس ديفيس، يشرف على تدريب بورغ. وبعد ان حقق انتصارات على العمالقة العشرة الكبار، مثل كين روزوول وآرثر آش، عام ١٩٧٣ حقق بورغ لبلاده أول فوز لها في مباريات كأس ديفيس للعام ١٩٧٥، وفي السنة التالية فاز بتاجه الاول في مباريات ويمبلدون.

وهكذا دخل بورغ عالم لاعبي القمة المحترفين، فأصبح يلعب اليوم في قارة وغداً في اخرى، ويغالب تغيرات المناخ وفترات الطيران الطويلة، مجتازاً المباريات المنهكة التي تدوم خمس ساعات احياناً في أجواء قائظة. بيد انه استمر، على رغم جدول اعماله العسير هذا، في التمرن كما لو ان هوساً اصابه. ويصفه لينارت بيرغلن قائلا: "ان بيورن نموذج رائع لكل من يريد تحقيق انجاز ما في حياته. فهو اعتزم الوصول الى هدف وسعى الى تحقيقه".

تركيز واتزان - وسرعان ما اصبح بيرغلن مدرب بورغ الشخصي المتفرغ ورفيقه في السفر. وهو يصر على ابقاء بورغ بعيداً عن أي هموم خارج نطاق المباريات. ذلك لأن "اقل

تشويش يمكنه ان يقضي على آماله". وهذا ما يؤكده بورغ نفسه الذي لا تتعدى اهتماماته، خارج الملعب، سماع الموسيقى الشعبية والذهاب الى السينما والسباحة احياناً. ويساعد بيرغلن كذلك في اختيار عشرات المنتجات التي يقوم بورغ بالدعاية لها في مقابل مبالغ يقال انها تصل الى ١٥٠ الف دولار، كما في حال الدعاية لمضربه. ويهتم بيرغلن لمضارب الكرة التي ترافقهما في اسفارهما، ويناهز عددها الـ٣٥ مضرباً، ويحفظها في حال جيدة اذ تشد اوتارها الى درجة ضغط شديدة الارتفاع تبلغ ٢٧ كيلوغراماً، وهو المستوى الذي يفضله بورغ.

ومع تزايد الانتصارات التي يحققها بورغ اتضحت حكمة القرار الذي اتخذه بيرسي روزبرغ بألا يحاول تغيير اسلوب بورغ "العجيب". ذلك لان بورغ المحترف غالى في اعتماده اسقاط الكرة من عل مما اكسب ضرباته العنيفة الارتداد، صفة فريدة. ويوضح نجم كرة المضرب الامريكي، آش، ذلك بقوله: "ان أياً من ضربات بورغ لا ترتد اليك باستقامة. فاسقاطاته الهائلة تعطي الكرة شكلا بيضوياً يجتاز الشبكة سريعاً في مسار اهليليجي (بيضوي) ذي ارتداد شديد العنف مما يجعل صد الكرة امراً بالغ الصعوبة". وهكذا صارت الضربات التي تعتمد اليدين معاً والاسقاطات الثقيلة العالية نموذجاً للجيل القادم من اللاعبين، على رغم أننا لا نجد على المسرح بعد من يضارع قوة بورغ الهائلة.

لكن تفوق بورغ ينبع في الدرجة الاولى، من قوة ارادته. فكرة المضرب، في اعلى مراحلها، هي لعبة عقلية. ويصرح أحد كبار المعلقين ان فوز بورغ في معظم مبارياته انما يعود الى طاقته الذهنية. فقدرة بورغ على التركيز هي موضع حسد معظم اللاعبين، اذ انه يلعب "والثلج في احشائه" حسب تعبير مواطنيه الاسوجيين. بل ان اسمه في عناوين الصحف البارزة صار "بورغ الجليدي". لكن بورغ يرد على ذلك قائلا: "ان لدي مشاعر كما لدى الاخرين. وتتملكني احياناً رغبة في تحطيم كل ما يواجهني. لكني اتمالك اعصابي لاني اعرف ان ذلك يؤدي الى فقداني القدرة على التركيز".

والواقع ان بورغ شاب جدير بأن يحب، كما وجدته اذ قصدت استوكهولم لزيارته. انه مفخرة لعبة اخذت اعرافها التقليدية تتعرض للتلاشي نتيجة خشونة اللاعبين. ويقول فيه ستان سميث، بطل ويمبلدون للعام ١٩٧٢: "ان بيورن رجل مهذب". أما آش فيضيف: "نحن ندرك ان المرء لن يواجه اطلاقاً مشاكل رياضية مع بورغ. فالمباريات التي نلعبها معه نظيفة و ممتعة".

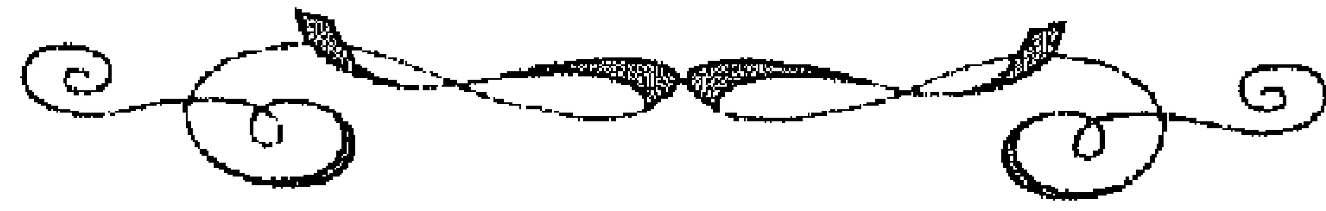
ويلتقي جميع القريبين من بورغ على رأي واحد يلخصه داغ سودلينغ: "يبدو ان المجد لم يفسد بيورن ولم يغيره". فاذا سافر بورغ الى المناطق النائية ارسل بطاقات بريدية الى استاذ الرياضة في مدرسته الثانوية. واذا عاد من السفر، زار زميلا سابقاً في الفريق الرياضي أصيب بشلل في حادث سيارة. بل ان علاقته بوالديه، اللذين لا يكف عن اظهار تقديره لهما، ذات دلالة اكبر

على خلقه، فعلى رغم الاغراءات الكثيرة التي تجابه نجماً رياضياً عالمياً، يفضل بورغ قضاء وقته معهما ومع خطيبته، لاعبة كرة المضرب الرومانية ماريانا سيميونسكو، البالغة من العمر ٢٣ سنة.

ان اسلوب حياة بورغ الهادىء والمتزن وتركيزه الحديدي خلال اللعب سمتان يمكن ان تظلا ميزتين لعالم كرة المضرب طوال عقد من الزمن أو اكثر. لكن التنافس على مستوى القمة يزداد عنفاً كما يلاحظ بورغ نفسه، وهو يضيف: "هناك العديد من اللاعبين المبدعين، ومن الطبيعي ان يحاولوا قهري".

لكن هذا النوع من التحدي هو تماماً ما يوقد الحماسة في صدر بورغ، وهو يقول: "اني فتى محظوظ، اذ لا ازال احب اللعبة، خصوصاً عندما اربح".

■ جورج فايفر



من حيوان الى آخر

الفرو هو الجلد الذي ينتقل من حيوان الى آخر.

ا. ش.

خاص برجال السياسة

يؤثر عن السياسي الفرنسي بيار منديس فرانس قوله: "التزحلق على الجليد تمرين رائع لرؤساء الوزارات، اذ انه يعلمهم طريقة السقوط.

غطاء للنوم

بينما كان مارك توين يقوم بجولة في اوروبا، اكد لاحد مفتشي الجمارك ان حقائبه لا تحتوي الا على ملابسه. وفتح المفتش احدى الحقائب واخرج منها زجاجة خمر، فقال: "اظن انك قلت انه لا شيء هنا غير الملابس". فرد توين: "نعم، وفي يدك الآن الغطاء الذي ادفىء به رأسي عند النوم".

مجلة "هوليدي ان"

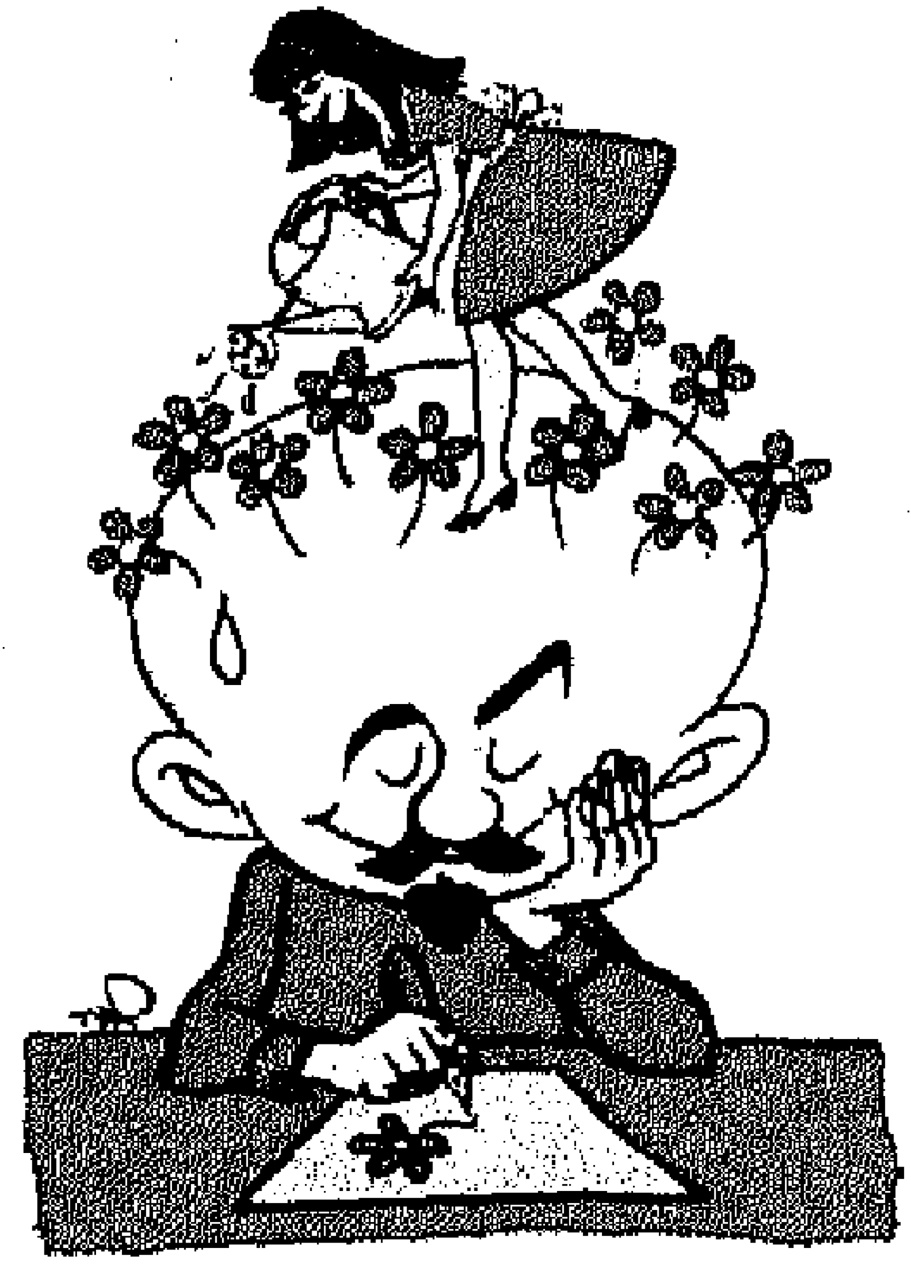
ثورة في التربية

ارسل رجل حوالة بقيمة مئة دولار الى مدرسة بالمراسلة لمتابعة دورة في التخاطر العقلي عن بعد. لكن البريد لم يحمل اليه شيئاً، فاتصل هاتفياً بالمدرسة مسجلا شكواه. فردت عليه سيدة على الطرف الآخر قائلة: "نحن لا نرسل مواد هذا البرنامج بالبريد، بل نوجهها بالتخاطر العقلي".

فقال: "ولكن لم اتلق شيئاً بعد".

ـ أعلم ذلك. فانت مخفق في الدراسة.

ج. ك.



حديقة أفكار

■ ان ارضيت الجميع فلن ترضي احداً.

ايسوب

■ الغرور هو الرمل المتحرك الذي يبتلع النجاح.

ا. هـ. غ.

■ لا يعيد الفن انتاج ما هو مرئي، بل يجعله مرئياً.

بول كلي

■ الحرية هي الحق في ان تكون على خطأ، لا في ان ترتكب خطأ.

ج. د.

■ من كان لديه سر عليه الا يخفيه فحسب، بل ان يخفي ان لديه ما يخفيه.

توماس كارلايل

■ حين كنت اكثر شباباً كنت اتذكر كل الامور، سواء ما حدث منها او لم يحدث.

مارك توين

■ لو اجمع خمسون مليون شخص على قول كلام احمق، فسيبقى ذلك كلاماً احمق.

ر. م.

■ المسافر الجيد هو من لا يعرف وجهته، والمسافر المثالي هو من لا يعرف من اين جاء.

لين يوتانغ

■ صادف احدهم البهلول بين القبور، فسأله: ما تصنع هنا؟ فأجاب: "اجالس قوما لا يغدرونني، وان غفلت عن الآخرة يذكرونني، واذا غبت لا يغتابونني..."

عصام مهداوي، عن "حكم وأدب من مآثر العرب"

شُرطي هولندي يَبحث عن الحقيقة في دير بوذي

في مزيج غريب من الطقوس البوذية والعمل البوليسي يحبك هذا الرجل قصصاً اجرامية تشغل عقول الهواة

في غضون سنوات قليلة أصبح يانفيليم فان دي فيترينغ واحداً من ابرز مؤلفي الروايات البوليسية الاوروبيين، ينتقي ابطاله من اوساط الشرطة الحقيقية ويتبع اساليبها الواقعية. وهذا النوع من الروايات هو ما يفضله جمهور كبير من قراء الروايات الجنائية على الروايات البوليسية التقليدية التي يتولى بطولتها هواة من وجهاء البريطانيين أو مخبرون أمريكيون من ارباب الخشونة والقوة.

وقد ألف فان دي فيترينغ ١١ رواية خلال الاعوام الثمانية الماضية. منها روايتان تتناولان تجارب المؤلف الشخصية في أساليب التأمل المتبعة في مذهب "زين" البوذي الذي يؤمن اتباعه بالحدس، وسبع روايات بوليسية تعرض المغامرات التي عاشها اثنان من رجال شرطة أمستردام عاصمة هولندا أحسن المؤلف تصويرهما تصويرا حيا قريبا الى القلب. وتقرأ مغامراتهما الان في أكثر من ١٢ لغة. أما الكتابان الباقيان فهما من كتب الاطفال.

كان دي فيترينغ يعمل شرطياً غير

Condensed from New England Magazine of the Boston Sunday Globe

متفرغ في البوليس الهولندي. وهو يعيش في مجمع لاتباع مذهب "زين" في أمريكا، ويكتب عن الشرطة بتعاطف ودراية فنية وفكاهة ساخرة لا تنبع عادة الا من الخبرة الشخصية. وقد خير دي فيترينغ، عندما بلغ سن التجنيد عام ١٩٦٥، بين الانضمام الى "الاحتياط المدني" والعمل كشرطي في ساعات فراغه، بدلا من الالتحاق بالجيش. ولما كان حلم طفولته أن يصبح هندياً أحمر وراعي بقر في وقت فراغه، فقد قبل الاختيار الثاني بحماسة.

وتتابعت مغامرات دي فيترينغ على مدى سبع سنوات، حصل خلالها على ترقيات عدة حتى بلغ درجة ضابط صف. ومن هذه الخبرات استقى دي فيترينغ حكايات التحري الرقيب دي جييه والضابط المساعد غريبسترا، من قسم التحقيقات الجنائية في شرطة أمستردام. غير ان خبرات دي فيترينغ لم تكن عنيفة بالمقدار الذي تتميز به خبرات بطليه هذين. وهو يقول: "لقد سحبت مسدسي مرة واحدة، ولم أضطر الى اطلاق الرصاصة أبداً".

وقد صدرت أولى روايات "غريبسترا - دي جييه بعنوان "غريب في امستردام"، كتبها دي فيترينغ بالانكليزية مستهدفاً القراء الامريكيين. وهو يجيد هذه اللغة تماماً وينقل مؤلفاته بنفسه الى اللغة الهولندية. وهو يعلق على ذلك مبتسماً: "يقول الناس اني اتقن الانكليزية اكثر من الهولندية، لأني لا أفرط في نثر الكلمات كما أفعل حين أكتب بالهولندية".

ودي فيترينغ رجل في التاسعة والاربعين (ولد في ٢ فبراير/ شباط ١٩٣١). وهو طويل القامة نحيفها، ذو شعر قاتم اشعث وشاربين كثيفين ووجه يجسد الطابع الهولندي بتقاسيمه الحادة والصريحة كما يبدو في وجوه تجار القرن السابع عشر في لوحات رامبرانت وهو سليل عائلة تحترف التجارة فعلا. وكان خلال سنوات عمله في الشرطة، يدير مؤسسة ناجحة لتجارة الاقمشة في أمستردام.

المشط قبل المسدس - بدأ دي فيترينغ كتابة الروايات البوليسية على أثر مناقشة عائلية كانت له بمثابة الحافز الابداعي المفاجىء: "كنت أستمع الى حديث صهري (زوج أختي). وفجأة، في ما يشبه التماع البرق، وجدتني أمتلك ناصية الشخصيات والحبكات التي تكفي أربع روايات".

وشخصيات فان دي فيترينغ هي أقوى عناصر رواياته: "فالحقيقة ان الحبكة ليست كبيرة الاهمية في الاحداث الواقعية. فغالباً ما تعرف الشرطة هوية المجرم، لكنها تحتاج الى الادلة الدامغة كي لا يبدو رجالها كالمغفلين امام هيئة المحكمة".

ويعترف دي فيترينغ بأنه وسم الرقيب دي جييه بصفاته الجسدية ونزواته الجنسية، وجسد فيه ذاته، حتى انه اعطاه شقته الصغيرة في الضواحي وفتاة يحبها اعارها شخصية زوجته خوانيتا الكولومبية المولد وهرا سياميا دعاه اوليفر.

ويتمتع الرقيب دي جييه كذلك ببعض المهارات التي تثير اعجاب

دي فيترينغ، لكنه يفتقر اليها. فهو رام من الطراز الاول وبارع في لعبة الجودو. وهو وسيم ومعجب بنفسه قليلا، فما ان يصل الى مكان الجريمة حتى تسرع يده الى اخراج مشطه قبل مسدسه.

أما البطل الآخر، غريبسترا، فنقيض ذلك تماماً. اذ انه ضخم الجسم، قوي البنية ذو شعر رمادي قصير، يدخن سيجاراً أسود كريه الرائحة ويرتدي ملابس مخططة متجعدة. ويقول عنه فان دي فيترينغ: "انه الشرطي النموذجي".

أما حياة غريبسترا الجنسية فهي أقل نجاحاً من حياة الرقيب دي جيبه. فزوجته تثير الاشمئزاز ببدانتها المفرطة وصوتها العالي المروع. وهي تعاني صمماً جزئياً وتضطر الى النوم على الارض لأن السرير لا يتحمل ثقلها. وتراود غريبسترا أفكار الطلاق ويحلم بالحياة في شقة رجل اعزب صغيرة ومرتبة تتيح له ان يبدأ يومه بحلاقة ذقنه في هدوء.

وهناك مفوض الشرطة. فهو يبدو شبحاً شاحباً في الرواية الاولى، ثم يزداد بروزاً في الروايات اللاحقة. وهو كهل رقيق الجسم، فضي الشعر، ذو ساقين هزيلتين تعانيان الروماتيزم وطريقة هادئة متواضعة في التصرف تكسبه القلوب. وهو يقول لرجال التحري الذين يأتمرون به: "هذه جريمة قتل، وجرائم القتل لا بد من حل ألغازها. فنحن لا نستطيع السماح لاحد باغماد خنجره في ظهر مواطن حي".

ومن الواضح ان شخصية المفوض مقتبسة من احد أساتذة مذهب "زين" البوذي. فهو فلسفي التفكير وبعيد عن الانفعال. وهو يقول: "النكبة ليست بنكبة ما لم تطلق عليها هذا التعريف. ليس هناك سوى أحداث، والاحداث جميعها تنطوي على فائدة". ولا يكف المفوض، اسوة بأساتذة مذهب "زين"، عن دفع تلاميذه الى الامام. فيحاول اخراج غريبسترا المتثاقل من خندقه، ويحول عدم اكتراث دي جيبه الى موضوعية اصيلة.

أما المجرمون في روايات فان دي فيترينغ فهم عميقو الاغوار كذلك. فهو يعرف ان الصلة بين الشرطي والمجرم في الحياة الواقعية اوثق من الرابطة بين كل منهما وسائر أفراد المجتمع، وأن رجال الشرطة كثيراً ما يجدون المجرمين أكثر اثارة للتعاطف والاهتمام من سائر المواطنين الذين يتولون حمايتهم.

الهولندي الاصيل - كثيراً ما تبدو المفاجآت والتقلبات الغريبة التي تحدث في حياة غريبسترا وزميله دي جيبه منطقية تماماً اذا تأملها الانسان من وجهة النظر البوذية التي يلتزمها فان دي فيترينغ في كتاباته. ففي رواية "الجثة اليابانية"، مثلا، يصاب دي جيبه بالانهيار بعد ان تدهم سيارة النقل قطه السيامي أوليفر، فيضطر الى قتله بمسدسه الرسمي كي ينقذه من عذابه. وقد قتلت صديقة دي جيبه في الحادث نفسه، لكن موتها لم يؤثر فيه الى هذا الحد. فالصدمة هنا "تكسر غرور" دي جيبه، وهو ما يعتبر تمهيداً لازماً لبلوغ الانسان نفاذ البصيرة او الاستنارة البوذية.

لكن هذه المرحلة، بالنسبة الى دي جييه، لا تعدو كونها وضعاً عارضاً سرعان ما يعقبه توكيد نزوته الطبيعية، فيصبح "رجلا لا يغلب على امره ما دامت فترة الصفاء هذه مستمرة".

وقد غدا فان دي فيترينغ من المشاهير، وبات موضوعاً لعدد من المقابلات الصحافية ومقالات المجلات ولقاءات التلفزيون في هولندا. لكن للشهرة متاعبها، كما يعلق دي فيترينغ ببعض التجهم والسخرية: "كنت جالساً في احد مقاهي امستردام عندما اقتربت مني سيدة قبيحة وقالت: لم يكن من اللائق بك ان تقتل القط!"

ما من احد سوى فان دي فيترينغ نفسه، توقع ان يبلغ هذا الحد من الشهرة والنجاح. فقد قضى في شبابه عشر سنين وهو يطوف في العالم. فدرس الفلسفة في لندن، وعمل في بيع العقارات في أوستراليا، وأفرط في شرب الخمر وتعاطي المخدرات، وعانى نوبات الاكتئاب الشديد.

لكن دي فيترينغ لم ينسلخ أبداً عن التراث الخلقي الهولندي الذي يتميز بالصلابة والاعتماد على النفس. وقد كتب في ذلك: "انضممت الى صفوف البيتنيك (جماعة من الوجوديين). ولم اكن من المتسكعين، بل كان لدي دائماً عمل أرتزق منه ويتيح لي ان اقيم في غرفة لائقة وأقتني دراجة نارية". ولاتزال لديه حتى الآن دراجة نارية من طراز "هارلي ديفيد سون ليبراتور" صنعت عام ١٩٤٣، وهي من أشهر الدراجات النارية. ويحب فان دي فيترينغ ان يتجول بها في الريف. ومن الطريف ان القاتل في رواية "غريب في أمستردام" يغادر مكان الجريمة على دراجة مماثلة.

وقد تبين ان أهم خبرة خرج بها دي فيترينغ من سنوات تجواله هذه، وأثرت في حياته، كانت فترة العام ونصف العام التي قضاها في دير بوذي في جزيرة كيوتو اليابانية، وذلك في أواخر الخمسينات. وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٥ غادر هولندا مع زوجته وابنته المراهقة ليعيشوا في مجمع بوذي لاتباع مذهب "زين" في أمريكا. وكان أستاذ هذه الجماعة قد تتلمذ في دير جزيرة كيوتو نفسه خلال تأديته الخدمة العسكرية في جيش الاحتلال الامريكي في اليابان عقب الحرب العالمية الثانية.

الحقيقة كالسراب - غير ان فان دي فيترينغ لا يعتزم تأليف أي كتب أخرى عن البوذية، كما يتجنب مناقشتها والحديث عن جماعته التي يتخذ ازاءها موقف الدفاع. ولكل عضو في هذه الجماعة وظيفته الخارجية الخاصة وله بيته الخاص. وتسير الحياة في دورات تناوبية يطول كل منها ثلاثة أشهر.

وخلال "دورة التدريب" يستيقظ فان دي فيترينغ في الثالثة أو الرابعة صباحاً، ويقضي في التأمل فترة تتراوح بين خمس ساعات وعشر يومياً. وفي الفترات الاخرى يمارس اعضاء هذه الجماعة التأمل، لكنهم يتابعون أعمالهم واهتماماتهم الاخرى بصفة أساسية.

ولا يستطيع فان دي فيترينغ الكتابة الآن أكثر من سبع ساعات أو

ثمان في الاسبوع، وبالتالي فلم يعد في امكانهأن يؤلف أربع كتب في العام الواحد كما فعل في أمستردام. وهو،اليجانب الروايات، يكتب قصصاً قصيرة ومقالات للصحف. وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٧٩ انتجت السينما الهولندية فيلماً بعنوان "غريبستراودي جيبيه"، استقت قصته من رواية "غريب في أمستردام"، مع عناصر اضافية من رواية "الاشواك".

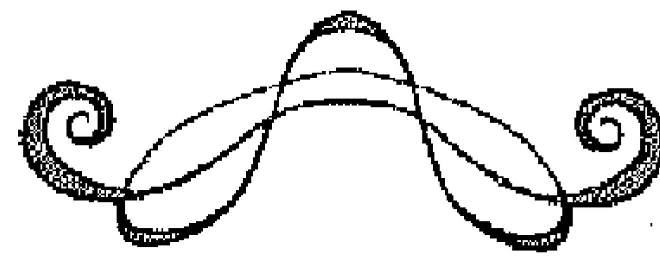
وفي صيف ١٩٧٩ صدرت رواية سابعة من روايات غريبستر ا ودي جيبيه بعنوان "مجزرة ماين"، تدور أحداثها في ولاية ماين الامريكية حيث يعمل دي جيبيه في دائرة الشرطة في اقليم نيو انغلاند. وقد شاء فان دي فيترينغ عند كتابة الرواية، أن يطلع على الاساليب الامريكية المحلية في فرض هيبة القانون. فركب سيارة الشرطة الى جانب "الشريف" المحلي. وهو يعلق على ذلك بقوله:"في هولندا يعلمون رجال الشرطة ان يتحدثوا برقة لكسب تعاطف الناس. لكن الاسلوب المتبع في أمريكا مختلف تماماً، فقد ظلت يد الشريف على مسدسه طوال الوقت".

ولن يغادر فان دي فيترينغ مجمعه الا عندما يعلمه أستاذه بأنه لم يعد هناك ما يتعلمه. وهو يصف سعيه الى الحقيقة الروحية بقوله:"انك تقترب منها فتجدها ابتعدت عنك. قد ابقى هنا الى الابد".

ويأمل دي فيترينغ في أن يصل بعد حين، من خلال التأمل على طريقة "زين"، الى حال عقلية تنقذه نهائياً من الشك. أما جرائم القتل هذه فهي من اختصاص الرقيب دي جيبيه والضابط المساعد غريبسترا.

وهكذا، فان الراهب البوذي السابق والشرطي الهولندي السابق، يانويليم فان دي فيترينغ، ينصرف في وقت معاً الى التأمل وجرائم القتل. وذلك في منزله الخشبي في مجمع منعزل لجماعة "زين" البوذية في شمال نيو إنغلاند.

■ وليم ديفيس



قالوا...

المهندس المعماري اللامع، باكمنستر سولر: "انا لست نابغة لكنني مجموعة هائلة من الخبرات".

بابلو بيكاسو عن اسلوبه الفني:"انا لا اسعى، وانما اجد".

الممثل السير رالف ريتشاردسون:"اننا، معشر الممثلين، فرسان في سباق الادب. فالمؤلفون يضعون التمثيليات ونحن نحاول الانطلاق بها".

شارل ديغول:"اني اشعر بالغضب عندما اكون على حق. ويشعر تشرشل بالغضب عندما يكون مخطئاً. لذلك كان الواحد منا كثيراً ما يغضب الآخر".

الكاتب المسرحي موس هارت:"ان جميع الاخطاء التي ارتكبتها في حياتي وقعت في مواقف حيث كان يجب ان اقول لا فقلت نعم".

للشمس قلبٌ ينبض مرّة كل ٢٢ سنة!

في ذلك الاتون النووي المجنون
تتولد الحرارة التي تمنحنا الحياة

في ٢١ يناير (كانون الثاني) ١٩٧٤ ظهرت بقعة ساطعة على الجانب الغربي من شمسنا ۰ وفي غضون دقائق اندفعت تلك البقعة مسافة تزيد على ١٥٠٠ كيلومتر عبر الشمس، ثم توهجت على شكل غمامة ضخمة من الغازات بلغت حرارتها نصف مليون درجة مئوية، وانفجرت نحو الخارج في مسار منحن بسرعة مليون ونصف مليون كيلومتر في الساعة ۰وبعد ساعتين تبددت الكتلة النارية المتألقة في جو الشمس الخارجي ۰

في ذلك النهار كان العالم الفضائي إد غيبسون يدور حول الارض في المختبر الفضائي "سكايلاب ـ ٣" فصور هذا الحدث بواسطة تليسكوبات شمسية خاصة ۰ ولما عاد الى الارض هتف مبتهجاً: "لقد وضعنا يدنا على لغز طالما حيرنا، هو انبثاق الوهج الشمسي ومدة استمراره ۰ لقد تسنى لنا ان نراقب الوهج على نحو لم يتيسر لنا من قبل" ۰

وأدرك علماء الشمس الآخرون سر حماسة غيبسون ۰ فالتوهجات هي اشد الاحداث عنفاً في نظامنا الشمسي، وهي مؤشرات الطاقة الهائلة التي يتم اختزانها ثم اطلاقها بسرعة على سطح الشمس ۰ والوهج الكبير يولد حرارة لافحة تبلغ عشرات ملايين الدرجات، ويطلق طاقة متفجرة تعادل

قوة مليار قنبلة هيدروجينية. وتلك التوهجات هي من القوة بحيث تحدث تغيرات على الارض التي تبعد نحو ١٥٠ مليون كيلومتر. فتتأرجح عقارب البوصلة بجنون، وتدب الفوضى في الملاحة، وتختل الاجهزة الكهربائية، وتتوقف اجهزة اللاسلكي عن العمل. وفوق القطبين، الشمالي والجنوبي، تبدو شرارات الطاقة الذرية ذات القوة الخارقة كأنها تلهب كبد السماء. ويشتعل الليل بوهج الشفق القطبي الذي نسبه القدماء الى الآلهة الغضبى او الى الشياطين.

الحساء الشمسي - اذا كانت الشمس تستمد طاقتها من الانصهار الهيدروجيني، فان التوهجات نفسها ليست حرارية نووية. ان هناك مصدراً آخر للطاقة، يختلف عن ذلك كلياً، هو الحقول المغناطيسية التي يحاول العلم ان يكشف حقيقة تكوينها. وتلك التوهجات هي انفجارات مغناطيسية، او صمامات امان تحرر قوى كهرو - مغناطيسية محصورة وتطلقها الى السطح خارج اتون الانصهار في قلب الشمس.

ان قاعدة هذه الطاقة ووسيلة اطلاقها هما في صميم التغيرات المثيرة في مفاهيمنا حول العلاقة التي تربط الشمس بالارض. وهذا ينطوي على الحقيقة المذهلة في اننا على هذه الارض، نعيش فعلا ضمن جو الشمس الخارجي.

ومازالت المعلومات حول وضعنا تتجمع منذ بعض الوقت. ففي العام ١٩٦١ استطاع بحاثة موهوب في شؤون الشمس، هو يوجين باركر من شيكاغو (ولاية ايلينوي الاميركية)، ان يجمع هذه الخيوط للمرة الاولى. فكان تعليله ان "ريحاً شمسية" تهب من الشمس في جميع الاتجاهات، وهي دفق من اجزاء مشحونة تتحرك الى الخارج بسرعات تبلغ مليوناً ونصف مليون كيلومتر في الساعة. وهذه "الريح" هي المسؤولة عن التأثيرات المغناطيسية على الارض. وهذا هو السبب في ان ذيول المذنبات، اينما كان موقعها، تتجه بعيداً عن الشمس على نحو دائم.

وقد ثبتت صحة هذه الصيغة التي وضعها باركر بفضل المركبات الفضائية. واليوم نعلم ان الشمس تقذف باستمرار، غازاً رقيقاً تتناقص كثافته مع ابتعاده الى الخارج. ونحن نعيش في الغلاف الخارجي، مغمورين بمادة الشمس التي تجري حولنا، ولا يبعدها عن جونا سوى حقولنا المغناطيسية الخاصة. وهذا الجو الشمسي المحيط بنا يتجدد باستمرار من جراء نشاطات سطح الشمس. والفكرة السائدة في الوقت الحاضر هي ان هذا الجو يمتد بعيداً، وبعيداً جداً، الى ما وراء كوكب المشتري. ولعله يصل الى كوكب نبتون، وهو البعيد عن الشمس بما يفوق بعد الارض عنها بثلاثين ضعفاً.

ولكن ما هو مصدر طاقة الشمس المدهشة؟

هناك آراء غريبة عدة في تركيب الشمس. ففي اوائل القرن التاسع عشر اعلن العالم الفلكي الشهير، سير وليم هيرشل، ان تحت غلاف الشمس الخارجي الساطع وجهاً بارداً الى درجة تسمح بالحياة في جوه وقال انه رأى جبالا ارتفاعها الف كيلومتر.



الثورة الشمسية، كما صورتها "سكايلاب ـ ٣"، بالمقارنة مع حجم الارض الصغير.

لكن مطلع هذا القرن جاءنا بأن الشمس كتلة ضخمة من غاز الهيدروجين الحار. وفي عصر الذرة ادركنا ان الشمس اتون نووي. فهي مركبة من مادة في حال رابعة تختلف عن الحالات الاخرى الثلاث وهي الصلبة والسائلة والغازية. فهي من بلازما اي مادة كالحساء مؤيَّنة (مشحونة) جردت ذراتها من الالكترونات وتحولت بنيتها الى مصح نووي للمجانين.

ميلاد نجمة ـ منذ خمسة مليارات سنة تكونت الشمس على حافة ذراع لولبية من مجرتنا "درب التبانة". فقد اندفعت سحابة هائلة من الهيدروجين في دوامة، ثم لعبت الجاذبية دورها. ولما كان الغاز ينهار الى وسط السحابة فقد تولدت ضغوط وحرارات هائلة، ثم اتقدت النار النووية.

ومازال هذا المرجل النووي في غليان منذ ذلك الحين. وهو يحول كل ثانية نحو ٦٠٠ مليون طن من الهيدروجين الى هيليوم. وتنعدم في هذه العملية خمسة ملايين طن من الهيدروجين بغية توليد فيض من اشعة "اكس" وأشعة "غاما" واشعاعات اخرى عظيمة الطاقة، قصيرة الموجة، وكذلك لايجاد حقول

هائلة الاتساع من الطاقة الكهرو - مغناطيسية. ثم تتحول هذه المادة الى طاقة تسبح في الفضاء، ومنها نور الشمس.

ولكن كيف تتمكن الشمس من استهلاك هذا المقدار من المواد والطاقات مدى هذا الزمن الطويل؟

الضخامة هي الجواب. فالشمس ضخمة، اذ يبلغ قطرها مليوناً و٣٩٢ الف كيلومتر وحجمها يعادل مليون ضعف حجم كوكبنا. وفي اطار هذا القرص الذهبي توجد ٩٩،٩ في المئة من مواد النظام الشمسي. أما الكواكب التسعة وأقمارها والكويكبات (الواقعة بين المريخ والمشتري) والمذنبات فلا تشكل سوى ٠،١ في المئة من تلك المواد.

ومن المحال ان نتصور ما يحدث على عمق ٦٥ الف كيلومتر في قلب شمسنا، بين الاصطدامات العنيفة للجزيئات ذات الفعالية الاشعاعية. ان الضوء لا ينبعث فوراً من الطاقة المحررة. والواقع ان نور الشمس الذي يصل الينا اليوم بدأ مسيرته المتلوية من قلب الشمس منذ بضعة آلاف سنة.

ان هربرت فريدمان، العالم الشمسي البارز في مختبر البحوث التابع للبحرية الامريكية، يشبه مسار الطاقة المشعة في اتجاه سطح الشمس بمسار كرة فولاذية في لعبة الكرة والدبابيس (لعبة تمارس بهدف التسلية او بهدف المقامرة. فالمقامر يقذف الكرة بواسطة رفاص مشدود، فتتدحرج على سطح مائل بين دبابيس وأهداف. ويسجل اصطدام الكرة بالهدف عدداً من النقاط)، فتلك الطاقة المشعة تصطدم مراراً بذرات الغاز الشمسي عبر مئات الوف الكيلومترات. ويقول فريدمان ان كلا من هذه التفاعلات يحدث تغييراً في طبيعة الاشعاع فيحوله من اشعة اكس وأشعة غاما المرتفعتي الطاقة الى اشكال ادنى من الطاقة كالاشعة ما فوق البنفسجية والضوء المرئي والحرارة وموجات الراديو.

وفي هذه العملية تنشأ الطاقة العظيمة.

ان تيارات الالكترونات الهائلة تولد قوى مغناطيسية يظن علماء الفيزياء انها تتخذ اشكال "انابيب" تندفع كعشرات الآلاف من المواسير المتلوية عبر مئات الاف الكيلومترات داخل الشمس. ثم تنطلق الى السطح المضطرب وتحدث ألسنة منحنية من الغاز الملتهب هي اكثر برودة واقل عنفاً من التوهجات. وتندفع تلك الالسنة مسافة ٧٠٠ الف او ٨٠٠ الف كيلومتر قبل ان تعود الى السطح المتأجج.

وربما كانت تلك الانابيب المغناطيسية سبب البقع الساطعة التي سجلتها "سكايلاب"، وهي تعد بالمئات، وقد تكون سبب التوهجات التي تتلاشى خلال ساعة او ساعتين. ثم انها ذات علاقة بالبقع الشمسية، وهي اللطخات المبهمة التي تشبه الدوامة وتبدو قريبة من مناطق الشمس الاستوائية وتتحرك من الشرق الى الغرب.

النهاية الحزينة - تواجهنا البقع الشمسية بلغز من الدرجة الاولى. فهي تدل ان كرة الشمس الغازية تدور، الا ان اجزاءها المختلفة تدور بسرعات متباينة. ان خط الاستواء الشمسي

يدور على محوره مرة كل ٢٥ يوماً او نحو ذلك، في حين تستغرق دورة المناطق المجاورة للقطب نحو ٣٤ يوماً. وذلك لا يشبه ارضنا الصلبة ابداً. ثم ان عدد البقع الشمسية يتبع دورة معينة، فيتزايد او يتناقص خلال فترة ١١ عاماً. ثم تحدث عملية غامضة، فتعكس الحقول المغناطيسية في البقع الشمسية اتجاهها. وتتكرر الدورة. فكأن للشمس قلباً ينبض كل ٢٢ سنة.

ان سعي الانسان لفهم غوامض الشمس لا يتوقف. ذلك لان معرفة الشمس هي معرفة الطاقة الرئيسية التي تؤمن لعالمنا الحياة. ففي اليابان وألمانيا وايطاليا والولايات المتحدة وأوستراليا والاتحاد السوفييتي، وفي دول أخرى، تستمر المراقبة. وقد برزت حقيقة واحدة ناصعة لا مجال للجدال حولها هي ان شمسنا نجمة، والنجوم ليست ابدية. شمسنا في منتصف عمرها، اي ان امامها نحو خمسة بلايين سنة من الاشراق. والارض تقوم بدورة واحدة حول الشمس ندعو مدتها سنة. والشمس التي تتحرك مع بقية النجوم تكمل دورتها حول مركز المجرة مرة كل ٢٥٠ مليون سنة. لقد حققت الشمس عشرين دورة حتى الآن، ولا يزال امامها عشرون دورة اخرى. أو عشرون سنة من سنوات المجرة، قبل النهاية.

ان التوازنات النووية الشمسية ستتغير بلا شك. وسوف يستهلك الهيدروجين ليتحول الى هيليوم. فتبدأ نواة الشمس احراق الهيليوم في صراعها من اجل البقاء فتزداد الحرارة لتزيد الشمس احمراراً. وتتضخم كتلة الشمس في مرحلة تحولها الى نجم احمر جبار. فتحمل النيران الى الكواكب التي تسير في ركابها. ويذوب كوكبا عطارد والزهرة ويسقطان في البلازما المتمددة وتتلاشى الحياة على الارض قبل ان تغلي المحيطات وتتبخر وقبل ان تذوب الصخور بزمن طويل.

ولا بد لهذا التضخم من ان ينتهي يوماً. وخلال ساعات تتحول الشمس الى نجم قزم ابيض وصلب في حجم الارض، وتحرق وقود الهيليوم النهائي قبل ان تتحول الى جمرة مطفأة.

ولا يمكن الحؤول دون هذا المصير، وحتى فيض المعلومات الحديثة لن يستطيع ان يحقق ذلك. فالفصل الاخير من قصة الشمس قد كتب.

■ **ليناردّ بيكل**



موجود في الهدايا

اختصم صبيان في السابعة حول خلاف يتجدد بينهما كل عام. فقال احدهما: "ان سانتا كلوز (بابا نويل) لا يوجد حقاً، وان ابويك هما اللذان يعطيانك هدايا الميلاد".
فأجابه الآخر: "بل هو موجود فعلاً، لان والدي افقر من ان يمنحاني هذه الاشياء كلها".
ج.د.

رفّة جناح

تلك الحشرة الضعيفة تعيش في عالم طالما تاق الانسان الى كشف غوامضه



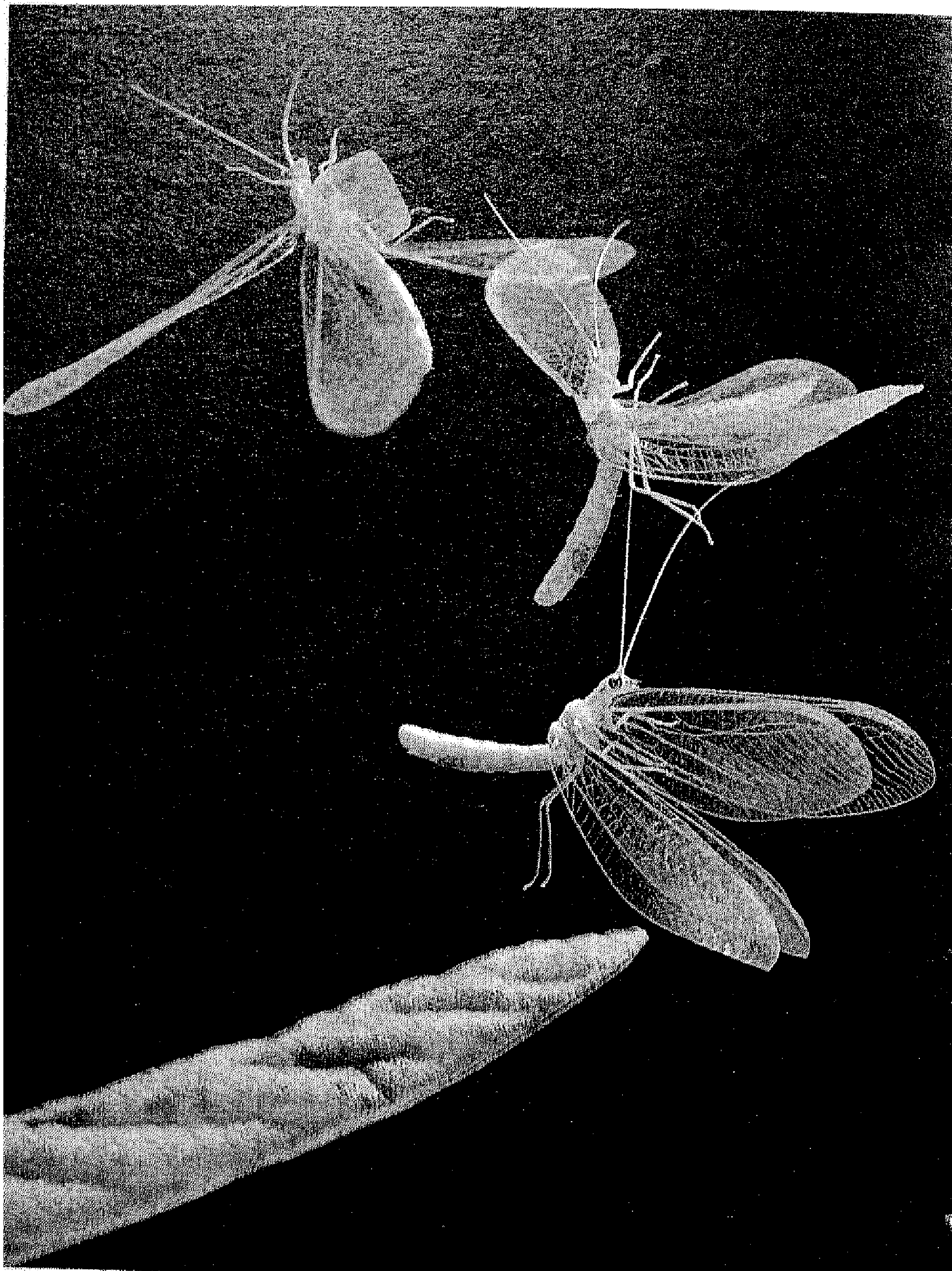
دعسوقة (خنفساء صغيرة مرقطة الجناحين) تطير من سداة زهرة لتسقط وابلا من اللقاح، وهناك ٤٠٠٠ نوع من هذه الخنافس تقتات على حشرات المن وقمل النبات القرمزي التي تهدد الزرع، انها صديقة الانسان الوفية.

ليست اللسعة المسببة للحك مهمة الحشرات الوحيدة، فهي تفوق الطائرات في اساليب الطيران، كما ان لديها طرقاً للسيطرة على تحركاتها تفوق التصور، وقد شدهتنا خفة جناحيها، اذ تصل سرعتهما الى الف خفقة في الثانية.

ويكشف ستيفن دالتون للمرة الاولى عن بعض تلك الاسرار، وهو مصوّر وعالم حشرات، ولد في ٢ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٣٧ وابتكر اسلوبا في التصوير يمكن بواسطته وقف حركة جناحي الحشرة ليظهرا بوضوح رائع، وقد صورت هذه اللقطات بفضل ذلك الابتكار، اذ تم وصل نور قوي (يومض بسرعة جزء من ٢٥ ألفاً من الثانية) بمصراع الكتروني سريع (لادخال النور او صده).

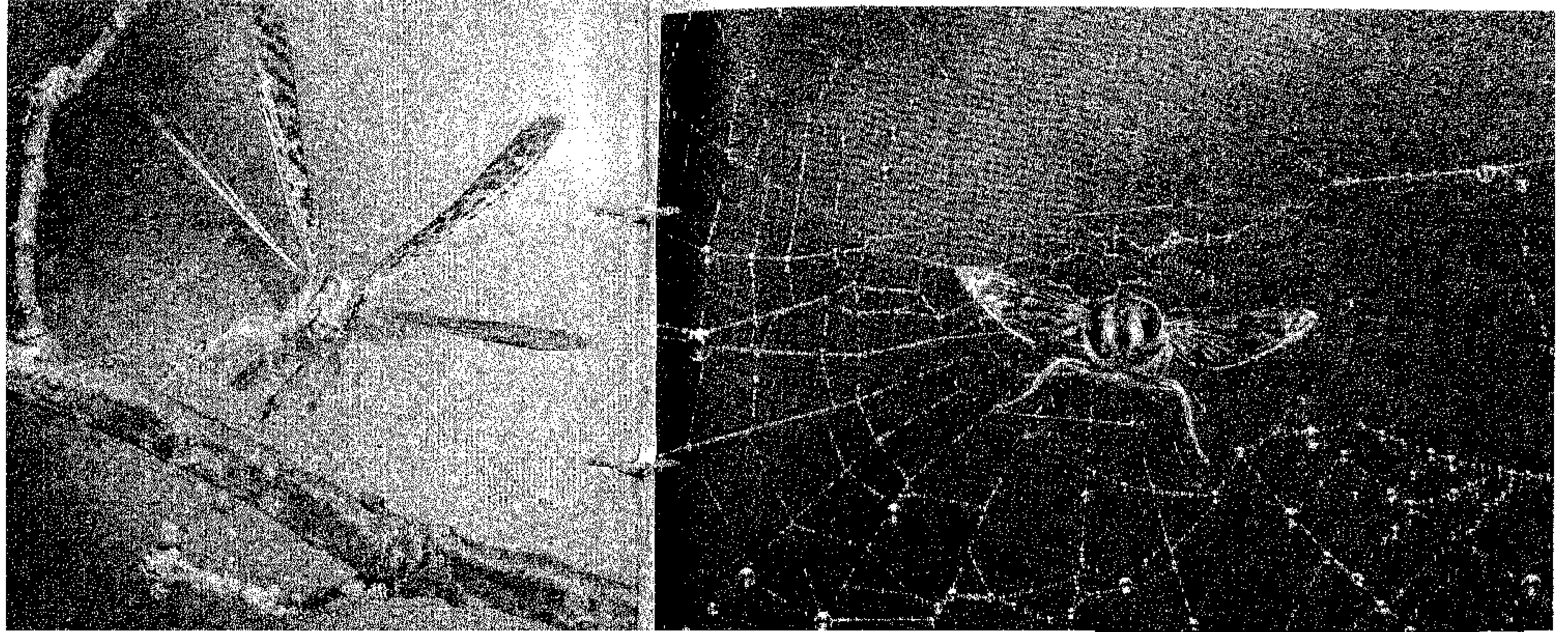
اخذت هذه اللقطات في اوروبا وفي مستنقعات ايفرغلايدز جنوب ولاية فلوريدا الامريكية، وهي تلقي ضوءا جديدا على اساليب الحشرات وجمالها خلال الطيران.

■ ستيفن دالتون
وجون كينغز



حشرة شبكية الجناحين تنطلق على هيئة دائرة من ورقة زعرور بري، ثم تهبط في المكان نفسه في مناورة لارباك اعدائها. وقد جاء هذا العرض الثلاثي حصيلة ٩٠٠ محاولة تصوير.

هذه الجرادة الصحراوية:
بلاء الانسانية منذ القدم:
تلونت استعدادا للهجرة الجماعية،
وسوف تنضم الى الملايين من
مثيلاتها بحثاً عن مراع اكثر خصباً
لكي تمحو خضرتها.



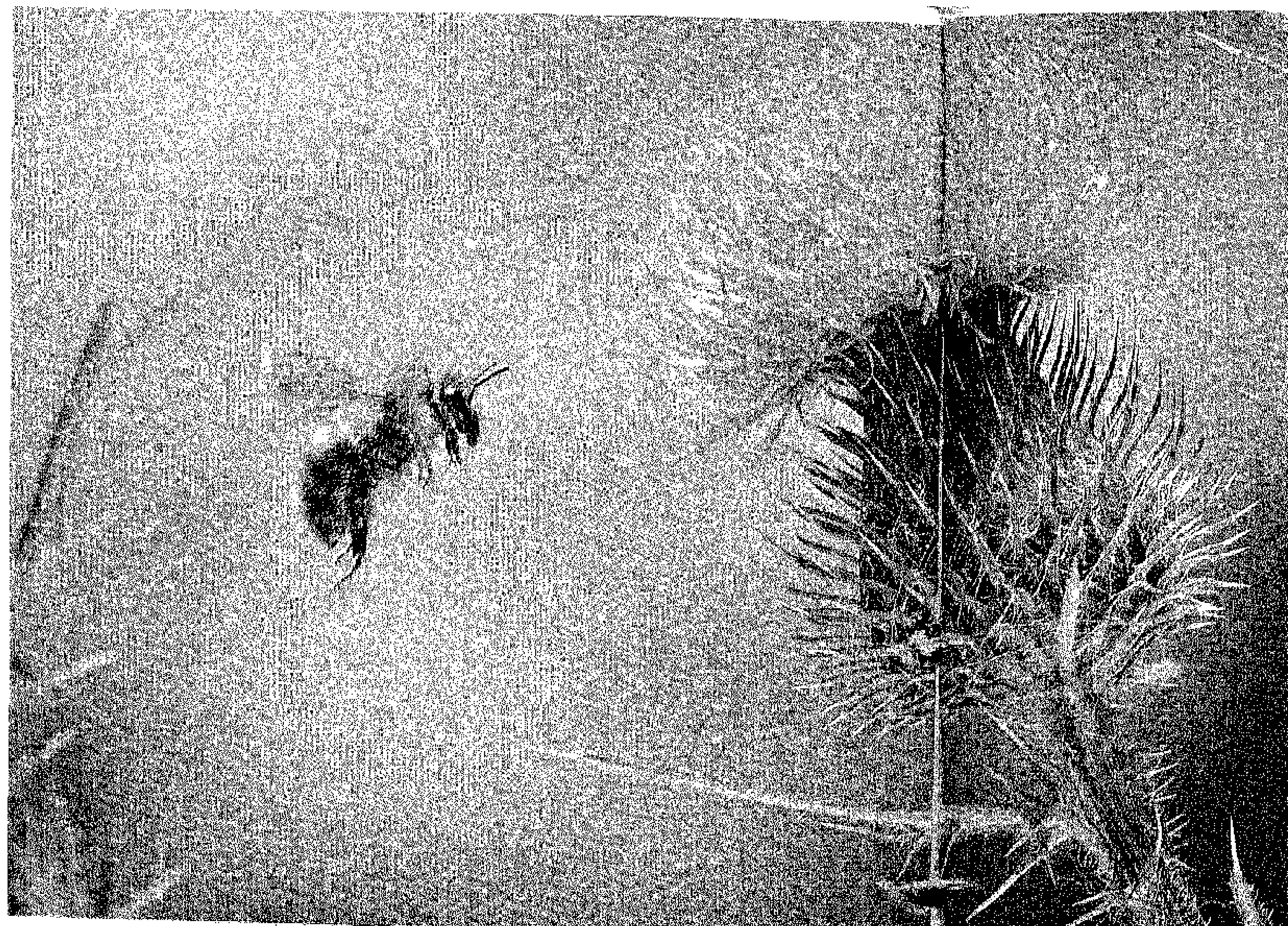
لقطات لخنفساء
تنطلق من زهرة لسان الحمل
(آذان الجدى).
الفترة بين كل لقطتين
جزء من ثلاثين من الثانية،
وهذه القوائم
الممتدة بعد الوثوب سوف
تضمها لاحقاً كعجلات الطائرة.

طريق مسدود... بعد لحظة تقع هذه الحشرة في شرك العنكبوت، وهي تشبه النحلة: وتقتات بالزهر غالباً الى جانب شبيهتها الأصيلة، ومثل هذا التنكر منتشر في عالم الحشرات.

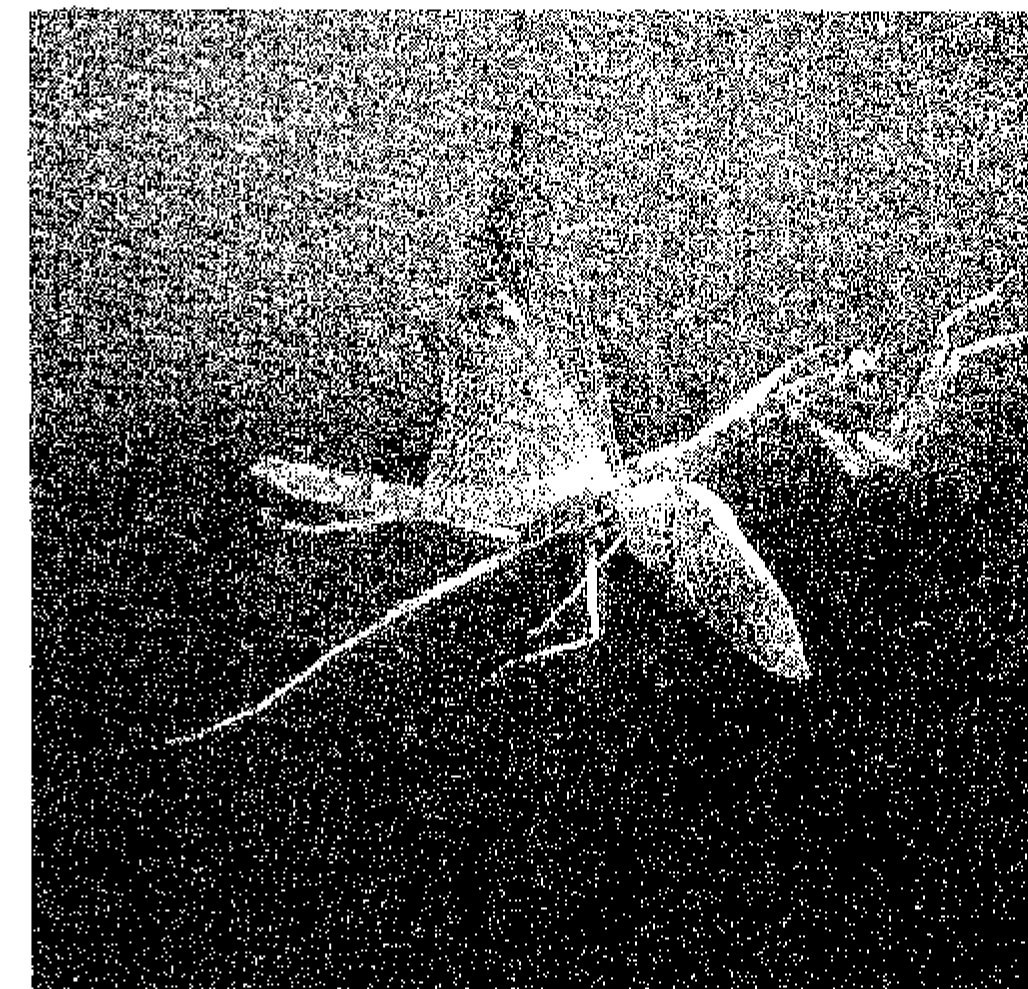




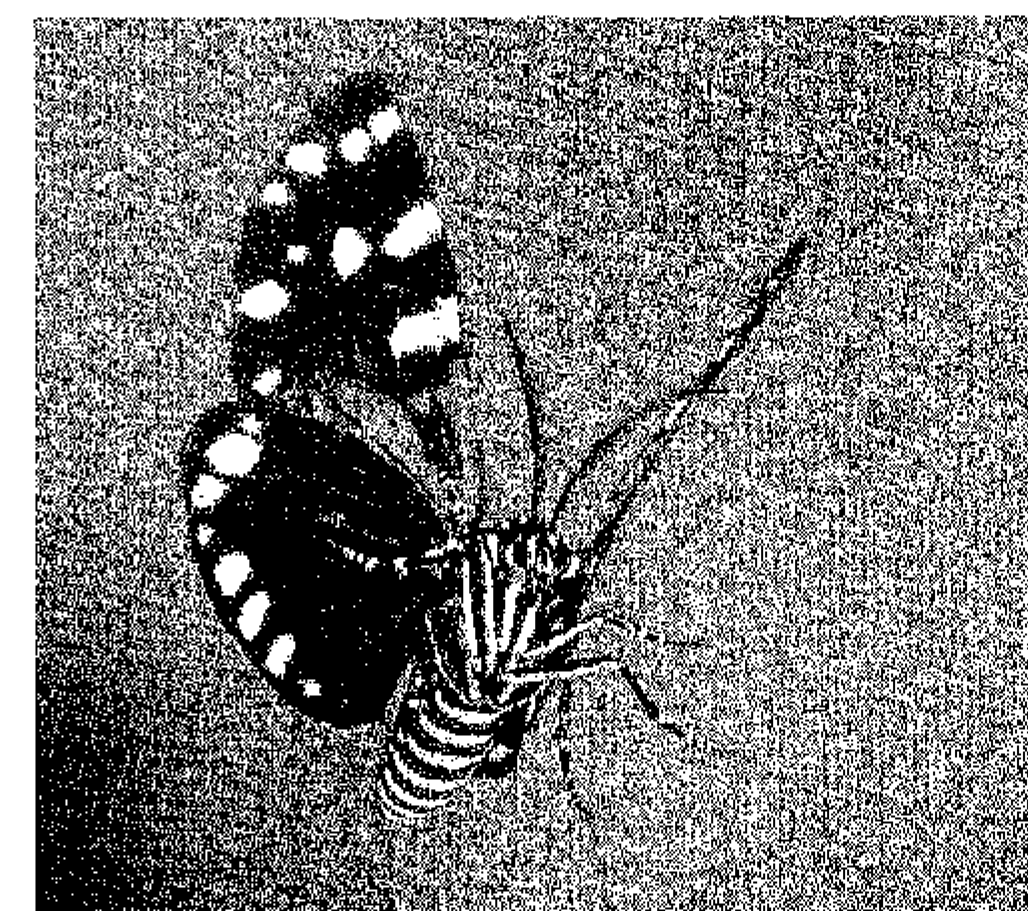
الفراشة الملكة بطيئة: لكنها مثابرة، وقد صودفت
وهي تحلق فوق البحر على بعد مئات الكيلومترات
من اليابسة، واذا جمع عدد كبير من تلك
الحشرات، فهو يؤلف "لقمة" سم.
وهي هنا ترفرف بألوانها الزاهية،
متباهية بكونها لا تؤكل.



نحلة طنانة في اواخر حياتها تطبق على رحيق نبتة [illegible]
الطيران لا تحصى ·



قائمتا السرعوف (فرس النبي)الأماميتان شائكتان
ومهيأتان لالتقاط الفريسة واسرها ، وهو يقتات على
العصافير الصغيرة والسحالى والضفادع، وجناحاه
الاماميان والخلفيان لا يخفقان معا ·



هذه العثة المثيرة تثبط عزيمة اعدائها بالوانها
التحذيرية ، وهي تتظاهر بالموت بافرازها رغوة صفراء
تغطي جسمها وباصدارها صوتاً متقطعاً ، وتوجد بكثرة
في ولاية فلوريدا الأمريكية وفي كوبا والبرازيل ·

هناك مفاهيم خاطئة عدة حول الرياضة٠ واليك في ما يأتي اجوبة عن الاسئلة الاكثر شيوعاً حول هذا الموضوع

الرياضة والحمية واللياقة البدنية

س٠ الن تزيد التمارين الرياضية شهيتي وتحول بالتالي دون انقاص وزني؟

ج٠ هذا سوء فهم شائع٠ فليس هناك ما يدل على استحثاث الشهية لدى هؤلاء الذين يمارسون الرياضة البدنية باعتدال٠ بل، على نقيض ذلك، يتضح من البحوث التي اجريت في هذا الصدد ان زيادة النشاط البدني بالنسبة الى الذين يقضون معظم اوقاتهم جلوساً قد تضعف رغبتهم في الاكل٠

س٠ هل استطيع انقاص وزني باتباع نظام حمية من دون اللجوء الى الرياضة؟

ج٠ هذا ممكن فعلا٠ فنظام الحمية هو اسلوب فعال لانقاص نسبة المواد الدهنية في الجسم، لكن الاكتفاء بالحمية من شأنه ايضاً ان يؤثر تأثيراً عكسياً على انسجة عضلاتك٠ أما الرياضة فلا تستهلك، في معظمها، سوى المواد الدهنية٠ فاذا رغبت في لياقة كاملة فمن الافضل لك ممارسة الرياضة البدنية خلال اتباعك نظام الحمية٠ ان الحمية والرياضة اذا اجتمعتا تساعدانك على تخفيف وزنك لأجل اطول، وذلك باضعاف احساسك بالجوع وبالحد من الضغوط النفسية الاخرى٠

س٠ هل تؤدي التمارين الى ازالة المواد الدهنية من اجزاء معينة في الجسم؟

ج٠ كلا٠ ونظراً الى ان انخفاض

Condensed from «Getting in Shape: An Optimum Approach to Fitness and Weight Control» copyright 1979 by Frank I. Katch, William D. McCardle and Brian Richard Boylan, published by Houghton Mifflin Company, Boston, Mass.

المواد الدهنية في الجسم يحدث تناسبياً، فان زوال هذه المواد من الجذع هو اسرع من زوالها من الاطراف. وبعبارة اخرى فان سمنة البطن تخف قبل سمنة الفخذين.

س. هل من الممكن انقاص عدد الخلايا الدهنية في الجسم؟

ج. من المؤسف انك حالما تصبح انساناً راشداً فلن يعود في استطاعتك تخفيض عدد الخلايا الدهنية لديك. وانما تستطيع الاقلال من المواد الدهنية بتصغير حجم خلاياها. وتظهر البحوث ان تناول كميات معتدلة من الطعام، ترافقد تمارين نشطة، في سن باكرة يحول دون تكاثر الخلايا الدهنية. وهذا سبب وحيد لحمل الوالدين على الاهتمام بنظام حمية اولادهما وتربيتهم البدنية.

س. هل استطيع تحويل الدهن الى عضل؟

ج. الدهن لا يتحول الى عضل (ولا العضل الى دهن). واذا اكلت اكثر من اللازم وأجريت تمارين قليلة فان الوحدات الحرارية التي تزيد على حاجة الجسم يجري اختزانها كمواد دهنية، بصرف النظر عما اذا كانت هذه الحريرات الزائدة ناتجة من الكربوهيدرات (المواد السكرية والنشوية) او الدهنيات او البروتيينات. واذا لم تستعمل العضلات فقد تتعرض للتقلص، لكنها لا تتحول الى دهنيات. وعندما تقوم بالتمارين تنمو انسجة العضلات على حساب الانسجة الدهنية.

س. هل افقد وزناً اكثر اذا تصببت عرقاً خلال التمارين؟

ج. ان وزنك ينقص فعلا بعد التمرين مباشرة، لكن ذلك يحدث بسبب نقص السوائل في الجسم وليس بسبب تقلص الانسجة الدهنية. وسرعان ما تعوض تلك الخسارة بتأثير العطش. فلا يغرنك ذلك النقص الموقت في الوزن. واحرص على ان تشرب الماء قبل اي تمرين قاس وفي اثنائه وبعده دفعاً لفقد الجسم ماءه.

س. أليس من الافضل ممارسة التمارين الرياضية في أيام القيظ والرطوبة عندما تتصبب اجسامنا عرقاً بغزارة؟

ج. نقيض ذلك هوالصحيح. فعندما يكون الهواء مشبعاً بالرطوبة، فيعوق تبخر العرق عن الجلد، يتعرض الجسم للسخونة الزائدة. فمتى وجدت الجو رطباً وحاراً، عليك ان تكيف تمارينك وفقاً لذلك فتلتزم حدود الاعتدال.

س. هل تناول اقراص الملح مفيد؟

ج. اياك وتناول اقراص الملح على نحو دائم. وقد اجمع الخبراء على ان اسهل وأفضل طريقة لتعويض الاملاح التي يفقدها جسمك مع العرق خلال التمارين هي زيادة كمية الملح قليلا في طعامك. لكن الملح الزائد عن اللزوم ربما تسبب في ارتفاع ضغط الدم وتهيج المعدة واختلال في توزيع الماء في الجسم.

س. ما هي افضل طريقة لاستعادة النشاط الطبيعي بعد التمارين العنيفة؟

ج. لا تجلس او تتوقف عن الحركة فوراً. تمشَّ مدة خمس دقائق او

عشر، فذلك يساعد على تقصير الوقت اللازم لاسترداد نشاطك الطبيعي ويتيح عودة القلب والدورة الدموية تدريجاً الى وضعهما العادي.

س. هل الفيتامينات ضرورية في مهمات مفاجئة تحتاج الى نشاط عظيم؟

ج. نعم. وهي كذلك ضرورية للرشاقة لانها تساعد على تحويل الطعام الى طاقة. لكن الفيتامينات نفسها لا تحتوي على طاقة. فمعظم الناس تتوافر لديهم جميع الفيتامينات اللازمة اذا اتبعوا نظاماً غذائياً متوازناً. أما تناول اقراص الفيتامينات فانه لا يزود الجسم بطاقة اضافية. بل ربما كان الافراط في تناول فيتامينات "أ" و"د" مضراً بالصحة.

س. ما مدى اهمية البروتيينات في التمارين؟

ج. ان وجبة الطعام التقليدية، الغنية بالبروتيينات والمؤلفة من شرائح اللحم (ستيك) والبيض، التي يتناولها الرياضي قبل اللعب ربما ارضته وأرضت المدرب وصاحب المطعم. لكن مدى فائدتها في اداء التمرين هو موضع شك. والواقع ان وجبة كهذه قد يكون لها أثر سلبي، ذلك لان البروتيينات هي اقل العناصر الغذائية انتاجاً للطاقة. فاذا رغبت في مزيد من الطاقة فعليك بالكاربوهيدرات والدهنيات، على الا تقل نسبة الدهنيات غير المشبعة المستخرجة جزيئاتها، من النبات عادة، عن ٥٠ في المئة من مجمل الدهنيات التي نتناولها.

س. ما هي وظيفة الكربوهيدرات في التمارين؟

ج. انها تزود الجسم بطاقة سريعة من دون زيادة في استهلاك الاوكسيجين، مما يساعدك على اجراء اي تمارين مجهدة. كما انها ذات اهمية بالغة في التمارين المعتدلة التي تستمر فترة طويلة. فعندما يبلغ عدّاء المسافات الطويلة نهاية السباق يتبقى لديه مخزون كاف من المواد الدهنية للاستمرار في العدو، لكن مخزونه من الكربوهيدرات في الكبد والعضلات يكون قد استنفد في معظمه. لذلك نلاحظ ان الانظمة الغذائية التي تشتمل على نسبة منخفضة من الكربوهيدرات كثيراً ما تؤدي الى شعور مزمن بالارهاق. فعليك ان تتأكد من ان ٥٠ الى ٦٠ في المئة من مجموع الحريرات التي تتناولها تتألف من الكربوهيدرات، خصوصاً النشويات التي تتوافر في الحبوب والخضر والمعكرونة (سباغيتي).

س. هل تكسبني الكربوهيدرات الزائدة سمنة؟

ج. بالتأكيد. ولكن فقط اذا كنت تتناول حريرات اكثر مما تحرق، عندئذ يتولى الجسم تحويل الكربوهيدرات الزائدة الى دهنيات.

س. ما هو تأثير التدخين على التمارين الرياضية؟

ج. تتسبب عادة التدخين في انتقاص فعالية الرئتين لدى المدخن. وربما لم يظهر ذلك في التمارين الخفيفة، الا انه قد يشكل عائقاً في

التمارين القاسية بسبب انخفاض الاوكسيجين الضروري للنشاط العضلي.

س. هل يتعين علي ارتداء ملابس ثقيلة عندما اقوم بالتمارين في طقس بارد؟

ج. خلال الدقائق القليلة الاولى فقط، ريثما يتكيف جسمك مع الجو. ونلاحظ ان المتزلجين عبر الحقول يفضلون ارتداء طبقات رقيقة عدة من الملابس على ارتداء معطف ثقيل، مما يتيح لهم انتزاع هذه الطبقات، واحدة تلو الاخرى كلما ازدادت حرارة الجسم.

س. هل تتأذى رئتاي بالهواء الشديد البرودة؟

ج. ان ممارسة التمارين الرياضية في الاجواء الباردة تسبب لك جفافاً مزعجاً في حلقك. ذلك لان الهواء الذي تتنشقه هو جاف في ذاته ويمتص الرطوبة من قنوات التنفس لديك. لكن الهواء، مهما يكن بارداً، يسخن في الانف والحلق قبل وصوله الى الرئتين، فلا يتسبب في أي مشاكل صحية.

س. ما هو تأثير التمارين الرياضية على القلب والدورة الدموية؟

ج. تؤدي التمارين الرياضية الى هبوط ضغط الدم خلال الفترات التي يبلغ فيها التوتر العضلي ذروته، والى هبوط نسبة الدهنيات في الدم (مثل الكوليسترول والتريغليسيريد) المصاحبة لامراض الشرايين. وتطيل هذه التمارين مدة تخثر الدم وتزيد قوة احتمال عضلة القلب، كما انها تحد من الوزن والشحم الزائدين، وهما من العوامل الخطرة بالنسبة الى ضغط الدم المرتفع وبعض امراض القلب.

س. هل يمكن للرياضة ان تعكس عملية الهرم او تؤخرها؟

ج. كثيراً ما نجد ابن الستين الذي يواظب على الرياضة افضل حالا من ابن العشرين الذي لا يمارسها ويقضي معظم وقته جالساً. صحيح ان التمارين الرياضية ليست اكسير الشباب الدائم، لكن الذين يمارسونها بانتظام، من كل الاعمار، يزيدون قدرتهم على العمل.

■ **فرانك كاتش، وليم ماكاردل، بريان بويلان**

فرانك كاتش هو رئيس قسم العلوم الرياضية في جامعة ماساتشوستس (الولايات المتحدة) ومستشار لدى الفريق الاولمبي الامريكي لالعاب القوى. أما وليم ماكاردل فهو استاذ التربية البدنية ورئيس مختبر العلوم التطبيقية في جامعة كوينز في نيويورك. وأما بريان بويلان فله مؤلفات عدة في الصحة.

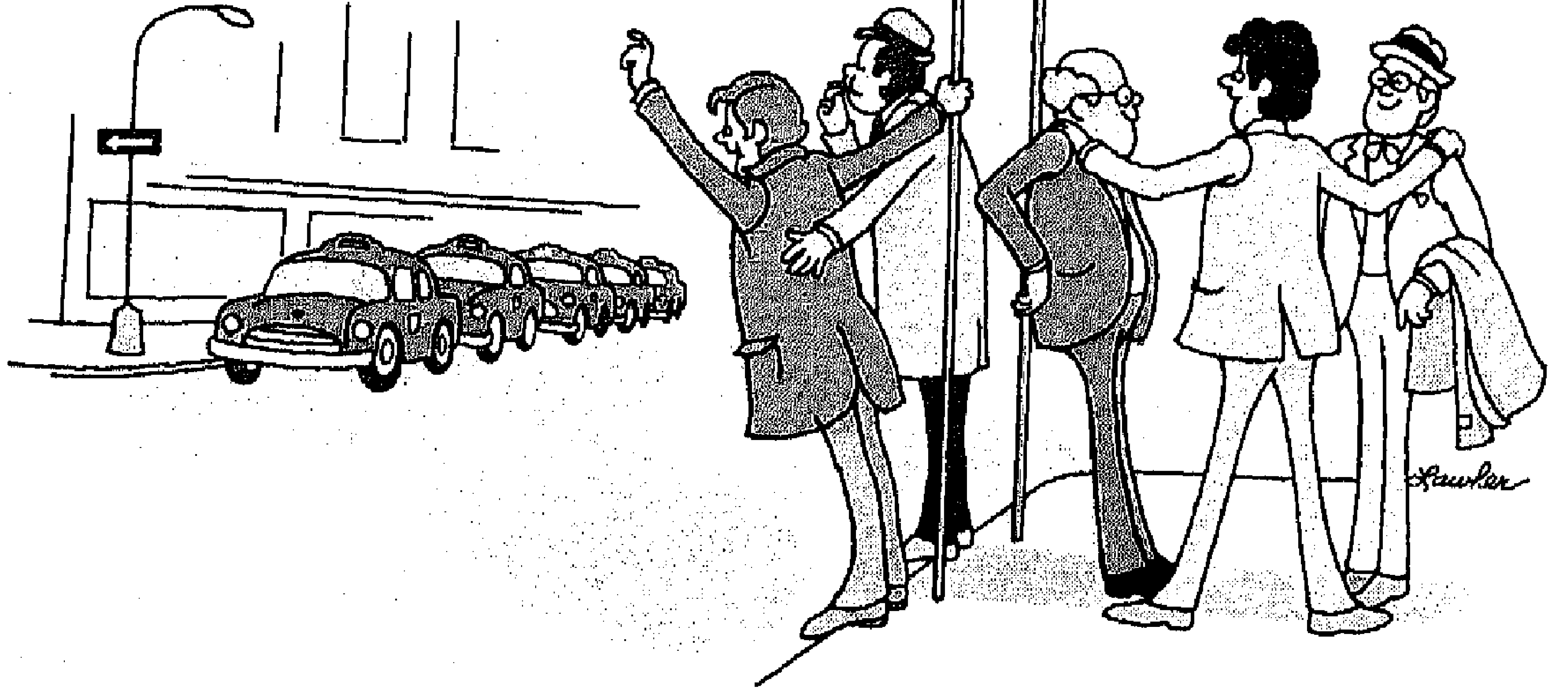


زوجة المعجم

هل سمعت كيف كتب نوح وبستر معجمه؟ لقد كان كل صباح يلتقي زوجته الى مائدة الافطار. وكان نوح ثرثاراً، وعاجلا او آجلا كان يقول شيئاً لا يروق زوجته التي تبادره بالسؤال: "والآن اجبني: ما الذي يفترض ان يعنيه ذلك؟"

ش.هـ.

أحجية الركاب الخمسة



استدعيت خمس سيارات أجرة لنقل خمسة اشخاص الى خمسة اماكن. ولدى وصول السيارات الى نادي رجال الاعمال وجد السائقون ركابهم الخمسة في حال ثمل. وكان لكل منهم اسم أولي واسم اسرة يختلفان عن البقية، وان تشابهت الحروف، ووظيفة مختلفة ايضاً. وكانوا جميعهم متزوجين، وقد أختلفت اسماء زوجاتهم، وكل منهم يسكن شارعاً مختلفاً.

واذ عجز السائقون عن التعرف الى هوية اي من الركاب او الى الاماكن التي يقصدونها، فانهم يتوجهون اليك ايها القارئ، بصفتك الموزع المسؤول عن مكتب سيارات الاجرة، كي تجيبهم عن الاسئلة الاتية: من هو الخباز بينهم؟ ما هو اسم عائلة فائز؟ من الذاهب الى شارع باركر؟

ومن خلال حديثك مع الرجال الثملين تتوافر لديك المعلومات الآتية:

١ ـ فواز متزوج من فوزية.
٢ ـ زوج فائزة يركب السيارة الثالثة.
٣ ـ فؤاد يعمل صيرفياً.
٤ ـ السيارة الاخيرة تتوجه الى شارع بارتون.
٥ ـ فريدة تسكن شارع بيرتون.
٦ ـ القصاب يستقل السيارة الرابعة.
٧ ـ فريد يستقل السيارة الثانية.
٨ ـ فائقة متزوجة من السمسار.
٩ ـ السيد... الفراس يسكن شارع بيرتون.
١٠ ـ السيد... الفانوس يستقل السيارة التي تسبق سيارة زوج فيروز.
١١ ـ السيد ... الفارس يستقل السيارة الاولى.
١٢ ـ السيد... الفراش يسكن شارع بوربون.
١٣ ـ الحلاق يسكن شارع بيكر.
١٤ ـ السيد... الفراش يستقل السيارة امام... الفياض.
١٥ ـ الحلاق يتقدم فهد بثلاث سيارات.
١٦ ـ السيد... الفانوس يستقل السيارة امام القصاب.

(الحل ص ٧٤)

أم الفقراء

نالت جائزة نوبل للسلام
لأن قلبها مليء بالحنان وحياتها
وقف للفقراء والمعذبين



ذلك هو حي الفقراء حيث تنتشر الاكواخ في الازقة الموحلة. وخارج كوخ حقير جلست امرأة تحت اشعة الشمس تلتقط القمل من شعر طفل اشعث. وفي الحقل المجاور مدرسة صغيرة من غرفتين، صنعت جدرانها من حصر الخيزران المطلي بالقطران، وصممت مزاريبها من صفائح زيت الصويا القديمة. وتأتيك دمدمة الاطفال وهم يقرأون دروسهم.

انه حي الفقراء في كلكوتا (الهند). وهو لا يزال قذراً. لكنه كان اشد قذارة في العام ١٩٤٨، عندما وصلت اليه امرأة ترتدي الساري الابيض. لم يكن لديها اي ايراد او مدخرات او املاك. ثروتها كانت خمس روبيات (اقل من دولارين) والهاماً بتقديم العون الى بؤساء الهند. لقد طرقت ابواب الاكواخ، واحاطت بذراعيها القويتين اطفال الهند الحفاة، وتحت شجرة وسط الحقول علمتهم.

تلك المرأة في الساري الابيض هي الام تريزا. وتعد اليوم بين اشهر النساء في الهند، بل في العالم كله، بعدما نالت جائزة نوبل للسلام في العام ١٩٧٩. وما زالت من دون ايرادات او مدخرات او املاك. لكن ثروتها الحقيقية تنافس في عظمتها جبال حملايا: ١٥٨٦٩ طفلا في ٩٨ مدرسة، ٢٦٢٣ مريضاً يلقون العناية في ٤٢٥ مستوصفاً متنقلا، ٥٣٢٩٧ من ضحايا الجذام في مئة ومستوصفين، ٢٦٨٧ من الايتام والاطفال المشردين في ٤٨ بيتاً، ٧٩٨٧ من المحرومين والبؤساء في النزع الاخير وجدوا مأوى في ٦٢ بيتاً. لقد توزع هؤلاء على ٧٩ مدينة في الهند وفي ٢٦ بلداً آخر بينها الولايات المتحدة الامريكية.

انها حبيبة الفقراء والمحرومين وموضع اجلال "رسل الاحسان"، وهم افراد الارسالية الكاثوليكية التي اسستها الام تريزا في العام ١٩٥٠. لقد تغلغل احترامها الى نفوس اتباع الديانات المختلفة من هندوس ومسلمين ومسيحيين، ذلك لانها نذرت نفسها لخدمة المعذبين. فسمت فوق العوائق كلها.

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٧٢، نالت الام تريزا جائزة جواهر لال نهرو تقديراً "لجهودها التي كرستها لخدمة الانسانية من دون اي اعتبار للجنسية او المذهب او العقيدة". كما منحت جائزة نوبل للسلام تقديرا لعملها الدائب على "قهر الفقر والجوع والالم"، تلك العوامل الثلاثة التي – في عرف لجنة جائزة نوبل – "تشكل خطراً على السلام".

وهي جسدياً امرأة ناحلة في التاسعة والستين، لا يزيد طولها على ١٥٣ سنتيمتراً. عيناها عميقتان وفي وجهها هدوء وصراحة. وهي لا تبخل على زائرها بضحكتها الرنانة، لكنها لا تحجم عن الالحاح اللاذع، بصوتها الرقيق، اذا رأت في ذلك نفعاً للفقراء. ويقول كاهن خالفها الرأي مرة حول احد المشاريع: "انها لا تصغي الى احد، وذلك احد اسرار قوتها".

عندما دعاها البابا بولس السادس الى فتح فرع لرسل الاحسان في حي الفقراء في روما عاصمة ايطاليا، تصاعدت موجة رفض لهذه الدعوة باعتبار ان ايطاليا تضم عدداً كبيراً من الراهبات اللواتي يرغبن في العمل. وهنا قالت الام تريزا: "في هذه الحال سوف تعلمهن راهباتي كيف يخلقن العمل".

انها لا تزال تسافر في قطار الدرجة الثالثة. وكثيراً ما تراها راكعة تمسح الارض .وهي تلف عنقها بشال لا ترضى عنه بديلا، وقد طغت آثار الرتق فيه على الحياكة. انها ترى في الفقراء ما يعجز عن رؤيته الآخرون – فهي ترى وحدتهم ومرحهم واستقامتهم وصبرهم.

وتقول الام تريزا: "اني اتوق الى ان أظهر للناس جميعاً عظمة الفقراء. لقد طرقت مرة باب عائلة هندوسية جائعة ومعي رز. وقبل ان ادرك ما يحدث قسمت الام ذلك الرز حصتين متساويتين، واعطت احداهما عائلة مسلمة مجاورة وقالت لي: انهم في مثل جوعنا".

وتضيف الام تريزا: "ان حاجتنا الى

الفقراء توازي حاجتهم الينا. بل ان اتصالنا بهم يزيدنا قوة ويجعلنا أفضل".

ولدت الام تريزا عام ١٩١٠ في مدينة سكوبي في يوغوسلافيا من ابوين البانيين. وكان والدها صاحب متجر في المدينة. ومنذ حداثتها لازمها نداء باطني يشدها الى مساعدة الفقراء. وفي الثامنة عشرة من عمرها تركت اهلها لتصبح راهبة.

وبعد تدريبها في دير لورينو في ايرلندا، ارسلت الام تريزا الى كلكوتا في الهند حيث تلقت دروسها الثانوية في مدرسة تابعة لاحد الاديرة، واصبحت في ما بعد رئيسة لها.

وفي العام ١٩٤٦ ألح على الام تريزا دافع قوي الى ترك الدير والعمل في احياء الفقراء. وجاءها الاذن بذلك من روما بعد ان ارسلت بنفسها كتاباً الى الفاتيكان. لقد سمح لها بالخروج وحدها واصبحت راهبة حرة.

كرامة الموت – كيف يجدر بالراهبة ان تبدأ عملها في احياء الفقراء؟

ذهبت الام تريزا الى مدينة باتنا في الهند حيث خضعت لتدريب مكثف على التمريض لدى راهبات البعثة الطبية الامريكية. ثم عادت الى احياء الفقراء في كلكوتا حيث بدأت تجمع الاطفال المشردين وتعلمهم قواعد الصحة والنظافة وتقدم الادوية الى المرضى والطعام الى الجائعين.

وراحت الام تريزا تبحث عن مقر لعملها. ولكم كان سرورها عظيماً عندما بادرت احدى العائلات الى وضع الطابق الاعلى من منزلها الواسع في تصرفها. ولم تمض ايام قليلة حتى تطوع لمساعدتها ٢٦ شخصاً شكلوا نواة جماعة رسل الاحسان. وقد اصبح عددهم اليوم ١٥٢٣، وهم في غالبيتهم من الشباب الهنود. لكن عدد المتطوعين الاجانب في ازدياد مستمر.

وتقول احدى الراهبات مستعيدة ذكرياتها: "رافقتني الام تريزا في جولة دلتني خلالها على بيوت الموسرين، واعلمتني ان عليّ طرق ابوابها كي اطلب طعاماً لاطفالنا المساكين. وغمرني خجل قاتل، اذ لم اكن ارغب في ذلك. لكن الام تريزا قالت لي: "ايتها الاخت، ان ذلك واجبك". وكثيراً ما كان اصحاب تلك المنازل يرمون الي الطعام على الارض ويوصدون ابوابهم في وجهي طالبين مني الا اعود. لكنني كنت دائماً اقول في نفسي: سوف اعود من اجل الرب".

ان طريقة الام تريزا في مساعدة الفقراء تلخص بعبارة بسيطة: انها تفعل ما هو ممكن. ويقول احد المعجبين بأعمالها: "ليس لدى الام تريزا فكرة عن مصدر المال اللازم، ولكن كلما اقتضت الحاجة عملا ما فهي لا تتردد". فاذا احتاج شاب مقعد الى ساقين اصطناعيتين فهي تطلب من احد الديبلوماسيين في كلكوتا السعي الى ارسالهما عبر البحار. واذا طلب اليها رب اسرة تعيش على رصيف شارع ايواء بناته فهي لا تتأخر، وان لم يتوافر لهن مكان كاف.

اما مغامرتها الكبيرة الاولى فكانت تأسيس بيت للمحرومين من المرضى والمشرفين على الموت. وقد دفعها

الى هذا العمل انها رأت يوماً امرأة عجوزاً تنازع على الطريق فيما كانت تنهشها الفئران والنمال. فحملتها الى أحد المستشفيات حيث رُفض استقبالها. غير ان الام تريزا لم تتزحزح عن اصرارها حتى قبلت ادارة المستشفى معالجة العجوز. ثم ذهبت الى مقر المجلس البلدي وطلبت مأوى للفقراء يتسنى لهم فيه ان يموتوا بكرامة. وقدمت اليها السلطات نزلا قرب احد المعابد الهندوسية كان يقصده الحجاج. وفي اليوم التالي انتقلت الام تريزا والراهبات وبعض المرضى المنازعين الى المقر الجديد.

ذلك البيت في كلكوتا، واسمه "نيرمال هريداي" (القلب النقي)، يؤوي اليوم نحو مئتين من الاطفال المرضى والمشردين، ويعنى بنظافتهم وتغذيتهم. ويعمل على خدمتهم راهبات واطباء واعضاء اخوية "الاحسان" التي تأسست عام ١٩٦٣. وقد وجد قرابة ٣٦ الفاً من المرضى والمشردين في هذا البيت ملاذاً بعد ان اوصدت في وجوههم جميع الابواب.

الوصية الخالدة — بعيداً عن هذا الجو، في احدى الطرق الجانبية في كلكوتا، تتسلل اشعة الشمس الى مدرسة وسط اشجار النخيل. ويدير رسل الاحسان حالياً عشر مدارس في كلكوتا تضم ٢٥٠٠ تلميذ. وبعض هذه المدارس لا يضم اكثر من غرفة واحدة.

ان نحو ٢٥٠ طفلا، تراوح اعمارهم بين خمسة اعوام وثلاثة عشر عاماً، يقصدون هذه المدرسة في كلكوتا طلباً للعلم والخبز والحليب. اما الحليب فهو هبة من اطفال الدانمارك وأسوج وغرينلاند والنروج وبلجيكا، واما الطحين فهو هدية من اطفال انكلترا وايرلندا.

بدأت هذه المدرسة كمعظم سابقاتها. فقد رأت الام تريزا أرضاً مهملة في جوار احد احياء الفقراء، وطلبت من المالك البنغالي إذناً بتأسيس مدرسة على ارضه. ولم يكتف الرجل بالسماح لها بذلك، بل مول بنفسه تشييد المدرسة. وهنا يقول احد المتطوعين: "في استطاعة الام تريزا ان تحمل الجميع على المساعدة. انها تجعلك ترغب في تسلق الجبال من اجلها".

وتبدو طلبات الام تريزا محيرة احياناً. وقد كتب الصحافي البريطاني مالكوم ماغريدج في صحيفة "شيء جميل للرب": "اشترت الام تريزا آلة طابعة للمصابين بالجذام (البرص) كي يطبعوا كتيبات يبيعونها ويحصلون على بعض المال. ولكن كيف اهتدت الى الآلة المناسبة؟ بل كيف يقوى اولئك المرضى البؤساء على الطباعة بأطرافهم المستأصلة؟ تلك قد تبدو اسئلة سخيفة، لكن الآلة موجودة وهي تعمل فعلا".

وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٧١ دعيت الام تريزا الى روما لتتسلم جائزة البابا يوحنا الثالث والعشرين الدولية الاولى للسلام، اضافة الى ايصال بقيمة ٢٤ ألف دولار. ودست الام تريزا ذلك المبلغ في حقيبة ثيابها، وعادت الى الهند حيث رصدت المال لتأسيس مجمع نموذجي

لمرضى الجذام في جنوب البنغال.
وبعد ان نالت الام تريزا جائزة نوبل للسلام، وقيمتها ١٩٠ ألف دولار، بدأت تخطط لبناء بيوت جديدة للمحرومين، ولاسيما مرضى الجذام.

ان كل فقير، بالنسبة الى الام تريزا وراهباتها، هو المسيح (عيسى) متنكراً. ويقول احد المتطوعين "ان الام ترى الالوهية فينا".

■ جون فريزر

حل احجية الركاب الخمسة

الخباز هو فريد الفراس. اسم عائلة فائز هو الفياض. والذاهب الى شارع باركر هو فؤاد الفانوس.

رقم السيارة	١	٢	٣	٤	٥
الاسم الاول	فواز	فريد	فؤاد	فهد	فائز
اسم الاسرة	الفارس	الفراس	الفانوس	الفراش	الفياض
المهنة	حلاق	خباز	صيرفي	قصاب	سمسار
اسم الزوجة	فوزية	فريدة	فائزة	فيروز	فائقة
المسكن	شارع بيكر	شارع بيرتون	شارع باركر	شارع بوربون	شارع بارتون

من المعلومات التي اعطيت لنا في الافادات ٢ و٤ و٦ و١١ نستنتج ما يأتي: زوج فائزة يركب السيارة الثالثة، السيارة الاخيرة متوجهة الى شارع بارتون، القصاب يركب السيارة الرابعة، فريد يركب السيارة الثانية، والسيد... الفارس يركب السيارة الاولى. أما ما تبقى من اللغز فيمكن حله، فقط، عن طريق ربط المعطيات وتصفية الاحتمالات.

انت تعلم مثلا ان القصاب يركب السيارة الرابعة، فلا بد من ان يكون السيد... الفانوس في السيارة الثالثة (الدليل ١٦). وبما ان السيد الفانوس يستقل السيارة الثالثة فلا بد من ان تكون فيروز زوجة راكب السيارة الرابعة (الدليل ١٠).

أما الخطوة التالية فهي ربط الدليلين ٥ و٩. اي ان شارع بيرتون تسكنه فريدة الفراس، وهذا لا ينطبق الا على السيارة الثانية.

ثم يأتي الدليل ١٢. السيد... الفراش يجب ان يكون في السيارة الرابعة لانها الوحيدة، حتى الآن، بلا اسم عائلة او شارع.

وننتقل الآن، منطقياً الى الدليل ١٤. بما ان الحلاق يسكن شارع بيكر (الدليل ١٣) ويتقدم سيارة فهد بثلاث سيارات (الدليل ١٥) فالمكان الوحيد الذي يمكن ان نجده فيه هو السيارة الاولى. ولذلك فلا بد ايضاً من ان يكون اسم اسرة فهد هو الفراش.

والسيدة فائقة متزوجة من السمسار، وذلك ينطبق، بالتصفية، على السيارة الخامسة.

وبالتصفية ايضاً نربط السيارة الثالثة بالدليل ٣ (فؤاد هو الصيرفي).

وهكذا نتحقق من ان الدليل ١ انما ينطبق على السيارة الاولى.

■ جوان ماكفرات وكارين براون



أصداء من عالم الطب

اول عمود فقري اصطناعي

اصيبت السيدة جسي توماس، ذات الاربعة والثلاثين عاماً، بالشلل في مايو (ايار) ١٩٧٩، ولبثت ساكنة فوق سرير خاص حتى ١٧ يوليو (تموز) حين ازيلت فقراتها بعد ان وجد فيها ورم عظمي نادر يبلغ حجم بطيخة صفراء. وفي اول سبتمبر (ايلول)، بعد جراحة دامت ١٦ ساعة، اصبحت هذه السيدة اول انسان تم استبدال عموده الفقري بآخر معدني.

وقد تضمنت الجراحة، التي اجريت في مستشفى جامعة ماريلاند، زراعة عمودين من الصلب في محاذاة عمودها الفقري لمنعه من الالتواء. واعقبت ذلك زراعة جهاز الاستعاضة المعدنية الذي صمم لحماية الحبل الشوكي واداء وظيفة العمود الفقري.

وبفضل هذا العمود الفقري المعدني، تستطيع السيدة توماس ان تستعمل كرسياً متحركاً. وهناك ايضاً امكان ان تستعيد حركة جزئية في ساقيها. ويقول الدكتور تشارلز ادواردز، رئيس فريق الجراحة ومصمم جهاز الاستعاضة: "لولا هذه الجراحة لبقيت السيدة توماس طريحة الفراش بقية حياتها، ولقلت فرصها في حياة مديدة".

ا. ب.

النجدة لسهارى الليل

يستطيع "اهل الليل" الذين لا يمكنهم الاستغراق في نوم عميق طوال الليل، التخلص من الارق عن طريق اعادة ضبط "ساعاتهم البيولوجية" الداخلية وفق مواعيدها المألوفة. وقد استخدم الدكتور اليوت ويزمان، مدير مركز اضطرابات النوم واليقظة التابع لمستشفى مونتيفيوري في مدينة نيويورك، هو وزملاؤه بنجاح ما سموه "المداواة الزمنية" لعلاج ستة مرضى اختل تزامن ساعاتهم الداخلية مع بقية العالم.

وتتلخص فكرة العلاج في جعل المرضى يسهرون حتى وقت يتقدم كل ليلة على سابقتها، حتى يأتي وقت يذهبون الى مخادعهم في الحادية عشرة والنصف ليلا بدلا من الرابعة والدقيقة الاربعين صباحاً، وهو متوسط ميعاد نومهم قبل بدء العلاج. وبعد هذا التعديل اخذ المرضى يستيقظون في السابعة والدقيقة الخمسين صباحاً بدلا من النوم حتى ساعة مبكرة من عصر كل نهار.

وبعد شهر او شهرين، اظهرت الاختبارات التي اجريت طوال الليل في مختبر النوم ان جميع المرضى حافظوا على معدل نومهم الجديد.

ولأسباب لم تعرف بعد تماماً، يبدو انه من السهل نسبياً اعادة ضبط ساعة الشخص البيولوجية عن طريق تأخير موعد نومه، وان يكن من الصعب السير في الاتجاه المضاد. ولذلك، فان الجهود التي يبذلها "اهل الليل" عموماً لعلاج انفسهم بالذهاب باكراً الى الفراش تكون نتيجتها الاخفاق في الغالب.

"النيويورك تايمس"

عرس الجياد

وسط بلدة صغيرة شمال الدانمرك
تنظم في مطلع هذا الشهر سوق سنوية
هي من أغرب أسواق العالم

الشمس تميل الى الافول في اصيل يوم حار، وتتطاير سحب الغبار من حوافر الخيل فتردد الاصداء صهيلها. وهناك خيمة كبيرة مفعمة بالدخان، تتعالى فيها قرقعة الكؤوس في أيدي الشاربين لتطغى على ضجيج الاصوات.

وسط هذا الازدحام ترى مئات الباعة المتجولين وهم يدللون بنبرة جشة على بضائعهم: أحذية خشبية، سروج، أجبان منزلية، شطائر سمك الانقليس المدخن. وثمة رجلان في أحد الحقول يعتمران قبعتين من القش ويتساومان على سعر فرس كستنائية، فيمد أحدهما يده الى فم الفرس ويرفع شفتها العليا ممعناً النظر في اسنانها ليقول ساخرا: "يبدو ان عمرها توقف عند السنين العشر طوال السنوات الخمس الماضية!"

قد يخيل الى الناظر ان هذا المشهد مقتبس من القرون الوسطى، على رغم انه ما زال يتكرر خلال شهر يونيو (حزيران) من كل عام في بلدة ياليروب الدانمركية الصغيرة (٢٨٠٠ نسمة) التي تعتبر اقدم وأهم سوق موسمية للخيل في اوروبا الغربية.

فمنذ العام ١٧٤٤ وجموع المزارعين ومربّي الخيل تتوافد عبر المزارع الساحلية في شمال شبه الجزيرة الدانمركية الى هذه السوق الكرنفالية الصاخبة على شاطىء البحر. ويستمر هذا "المهرجان" طوال ثلاثة أيام ونصف يوم، يجتذب خلالها أكثر من

٢٥٠ ألف زائر، معظمهم من الدانمرك. لكن اعداداً كبيرة من الزوار تؤم السوق من الدول المجاورة مثل أسوج والنروج والمانيا وهولندا وبلجيكا. وفي خضم هذا الجو المرح والصاخب يتم بيع نحو ستة آلاف جواد.

ويقول هانس كارلسون، الذي يوزع وقته بين ترويض الخيل وتقديم العروض في السيرك والعمل كمخبر في الجريدة المحلية: "تستطيع العثور هنا على حصان يلائم اي ذوق ويناسب أي شخصية". فهناك خيول الشاطىء الصخري النروجية، والرقشاء والجبلية الدانمركية، والايرلندية، والانكليزية الاصيلة، والالمانية الرشيقة، اضافة الى الخيول القزمة التي تراود احلام الاطفال.

وفي السوق التي أقيمت عام ١٩٧٩ بيع أرخص حصان بمبلغ الف كرونر دانمركي (١٧٢ دولارا)، وأغلى حصان بمبلغ ٢٠ الف كرونر (٣٤٣٦ دولارا)، وهو من نوع "تراكز" الالماني الممتاز والمدرب على التنزه والسباق. اما الخيول القزمةفثمنها أقل بكثير، وهو يراوح بين ٤٠٠ و٢٠٠٠ كرونر (بين ٧٠ و٣٤٠ دولارا).

وقد اكتشفت ان أفضل طريقة للوقوع على "شروة موفقة" هي ملاقاة اولئك الوافدين الى السوق جماعات جماعات لبيع خيولهم. فانهم ينفردون، في بادىء الامر، في مكان ما، ويجيلون النظر من بعيد بحثا عن واحد من ٢٠٠ وسيط محترف يتدثرون بعباءاتهم التقليدية الصفراء او البيضاء ويربطون مناديلهم الزاهية حول اعناقهم.

وتبدأ عملية المساومة الحماسية التي يرجع عهدها الى مئات السنين فيتفحص الشاري قياسات الحصان بحذر وروية، ويتأمل مشيته وطريقة عدوه وأسنانه وقوائمه وحوافره وعينيه. وقد قال لي أحد مربي الخيل: "تستطيع ان تحكم على الحصان من خلال عينيه، على غرار الناس تماما. فالبياض الناصع في عينيه، مثلا، قد يعني انه من النوع الجفول".

وما ان ينتهي "الكشف" حتى تبدأ المسرحية. فتسمع الشاري يصيح: "ماذا؟ خمسة آلاف كرونر (٨٦٠ دولارا) لهذا الحصان الهرم؟ أتظنني أحمق الى هذا الحد؟" وسرعان ما يتقدم بعرضه الخاص فيرد عليه البائع بعرض مقابل وعندما يتصافح الطرفان تكون الصفقة قد تمت. وهكذا دواليك في تلك السوق حيث للوقت حرمته.

ونلاحظ من حين الى آخر ان المشتري يبتعد عن البائع، او البائع عن المشتري، بحنق مفتعل، لكنه لا يلبث أن يستدير في اللحظة الاخيرة عائدا بعرض "أخير قاطع". وعندما يعرب المشتري أخيرا عن موافقته بمد يده، يمسكها البائع بسرعة قائلا: "حظاً سعيداً". وذلك من دون ان يطالب أحد بعقد كتابي. فقد درج الناس هناك، منذ القرن السابع عشر، على اعتبار المصافحة الحارة والعبارات التقليدية بمثابة اتفاق ملزم للطرفين ومعترف به في المحاكم.

الانقاذ – أصبحت ياليروب، بفضل سوق خيلها، موضع فخر ابنائها وحسد المدن الدانمركية الصغيرة.

وكادت سوق الخيل المفتوحة منذ ١٥ سنة، ان "تقفل" بسبب الجرارات الزراعية والشاحنات التي أصبح الحصان بعد مجيئها وسيلة فات عليها الزمن. فقد انخفض عدد الجياد المعروضة للبيع الى أقل من ٢٠٠ جواد، كما أصبح عدد الزوار هزيلا جدا مما حمل صاحب الفندق الوحيد في البلدة على الاقلاع نهائيا عن اقامة السوق بعدما درج على تنظيمها، بحكم التقاليد، تنشيطا للحركة التجارية في المنطقة.

ازاء هذا الوضع اتفق عدد من أبناء البلدة الشجعان على انقاذ سوقهم عن طريق العمل الطوعي. ورأوا في ذلك، ايضا، فرصة للحصول على المال الكافي لبناء مركز للشباب كانت السلطات البلدية قد رفضت تمويله. ويقول الدكتور هلفور هويش، طبيب البلدة والرئيس الحالي لتعاونية ياليروب التي تتولى ادارة السوق: "كانت الطريقة الوحيدة للوصول الى نتيجة ايجابية، يومئذ، ان نعمل بأنفسنا".

واتقد المواطنون حماسة وتضافرت جهودهم جميعا، من ربات البيوت وأصحاب الحوانيت الى مديري الشركات والموظفين الحكوميين والمزارعين والمدرسين والاحداث. وتوزعوا في مجموعات صغيرة، منها ما تولى ترميم الطاولات والمقاعد ومنها ما اضطلع بمسؤولية الطهو. وهناك من نظم وقوف السيارات او اهتم بايجار المساحات الموضوعة في تصرف المشتركين في السوق. وكثيرا ما توجب على هؤلاء ان يتعلموا تنفيذ هذه المهمات من خلال ممارستها.

ويذكر المدرّس جينز آروب في هذا الصدد: "لم يكن في البلدة من يعرف كيف تنصب الخيمة الكبيرة التي تضم اكشاك المرطبات. لكننا تعاونا على العمل وتمكنا اخيرا من نصب الخيمة وتثبيتها بالاوتاد حسب الاصول".

ونجحت التجربة. فسجلت السوق خلال العام ١٩٦٦ (السنة الاولى التي أشرف أبناء البلدة انفسهم على السوق) ربحا متواضعا بلغت حصيلته ١٧ الف كرونر (٢٩٢٠ دولارا). وجرى تحويل هذا المبلغ فورا الى مشروع مركز الشباب الذي قام ببنائه ٥٠ متطوعا من أهل البلدة.

وفي السنة الثانية تحسن دخل السوق مما حدا بأبناء البلدة الى تنظيم حملة ترويجية تقوم على تعميم رمز السوق، وهو رأس حصان يحمل في فمه زهرة الربيع. كما وضع على مدخنة مبنى التدفئة المركزية، التي يبلغ ارتفاعها ٢٥ مترا، رأس حصان صنع من مصابيح النيون الحمراء وتمكن مشاهدته من مسافة كيلومترات.

وكان ١٩٦٨ العام الحاسم في تاريخ المشروع. فقد اشترك الفرد هولريش، مدير مكتب البريد في البلدة، في مباراة كبرى نظمتها اذاعة الدانمرك الرسمية التي تغطي انحاء البلاد. وحافظ على المرتبة الاولى مدة ستة أشهر، فذاعت شهرته. وانتهز هولريش هذه المناسبة لبث الدعاية لسوق الخيل في البلدة، فارتفع عدد الزوار ولا يزال يزداد منذ ذلك الحين.

اما اليوم فان دخل ياليروب السنوي من السوق يتجاوز الـ٥٥٠ الف

كرونر (٩٥ الف دولار)، وتنفق البلدة هذا الدخل على مشاريع انعاشية لم تقدر عليها المدن التي تفوقها حجما بأضعاف. وتضم ياليروب الان قاعة رياضية وستة ملاعب مكشوفة لكرة القدم بلغت كلفتها مليوني كرونر (٣٤٤ الف دولار) وهناك حوض السباحة المسقوف بملحقيه وحمّام السونا والمقصف الذي بلغت كلفته ٣،٤ ملايين كرونر (٥٨٥ الف دولار).

واضافة الى ذلك، ساعدت السوق على توفير عدد من المنح والرحلات الدراسية، وعلى تنظيم مخيمات كشفية وشراء معدات المخيمات والآلات الموسيقية وجوائز للرياضيين، وعلى تمويل مركز لنشاطات أبناء البلدة، وحتى على شراء سيارة خاصة لنقل المتقاعدين الى ناديهم واعادتهم الى مساكنهم. وكان العمل الطوعي هو العامل الحاسم في انجاز هذه المشاريع كلها. فالقاعة الرياضية، مثلا، بناها ٤٠٠ متطوع صبّوا فيها ما يزيد على عشرة آلاف ساعة عمل.

ويقول مدير مكتب البريد في البلدة: "ان للسوق تأثيرا مباشرا على حياة كل انسان في ياليروب". وفي الواقع، فلم يكن في البلدة، سابقا، مكان للشباب يترددون اليه. فأصبحت اليوم حافلة بشتى أوجه النشاط للكبار والصغار على مدار السنة. ويعتبر نادي السباحة فيها أحد أكبر النوادي في شمال الدانمرك. وهو يضم ٣٠ فريقا وأكثر من ٧٠٠ عضو. وشجع وجود القاعة الرياضية على تنظيم فرق لألعاب البدمنتون (تنس الريشة) والجمباز وكرة اليد وكرة القدم والرقص الشعبي وغيرها.

لكن الميزة الكبرى التي تتحلى بها البلدة هي الروح الجماعية التي تسود ابناءها. وقال لي الدكتور هويش: "ليست الاموال التي تدرها السوق هي التي تهمنا في المقام الاول، بل هو الاعتزاز الذي يتملك كل واحد منا. تحدّث مع أي شخص في ياليروب، تجده فخوراً ببلدته". وقال الرائد في الجيش كارل بيترسن: "يظن الناس في المدن الاخرى اننا قوم من المجانين لاننا نقوم بجميع هذه الاعمال الطوعية. لكن لهذا الاقدام حسنة كبرى هي انه يشدنا بعضنا الى بعض".

السوق المرحة ــ عندما تفتح السوق في نهاية الاسبوع الاول من يونيو (حزيران)، سرعان ما ترى نود باليسغارد، صاحب أحد المصانع في البلدة، في خيمة المرطبات الكبيرة حيث ينهمك في تقشير البطاطا بمرح ظاهر. ومن دواعي غبطة المتطوعين الـ٧٠٠ الذين يديرون السوق كل عام انهم يتناوبون على المهمات المختلفة بحيث يتم توزيع الاعمال المملة بالتساوي.

ولم يستغرب أحد في سوق ١٩٧٩ ان يتولى حاجب مدرسة البلدة، كريستيان فييلغارد، مسؤولية خيمة المرطبات وأن يعهد الى مدير المدرسة في نقل صناديق المرطبات وترتيبها داخل الخيمة.

ومع ان الافتتاح الرسمي يكون صباح السبت، الا ان الحياة تدب في السوق منذ أصيل الجمعة، فيشرع اصحاب الخيول في نقل جيادهم الى الساحات المخصصة لها، وتنصب

الخيام، ويبدأ الباعة الاربعمئة بالوفود. ويصل صانعو المعدات الزراعية في زوبعة من الغبار لعرض مصنوعاتهم. وتؤم السوق احدى اكبر مدن الملاهي المتجولة في الدانمرك، بما فيها من عرّافين ومهرجين وأراجيح وأكشاك. ويتم حجز الفنادق ضمن دائرة شعاعها ٣٠ كيلومترا حول البلدة، وسرعان ما تعلق على ابوابها لافتات تفيد انه لم يبق فيها غرف خالية.

وما ان يقبل الناس على السوق حتى يلقي النجار رونالد ينسن مطرقته ومساميره جانبا ويتوجه الى مكتب الاستعلامات ليتولى امر المذياع. فلا يتوقف عن الحديث، فيروي النوادر ويعلن عن الاحداث المرتقبةويستدعي ذوي الاطفال الضالين. ويسأل رونالد طفلا ذا سبع سنوات تترقرق العبرات في مقلتيه: "هل انت ضائع؟" فيهز الطفل رأسه سلباً قائلا: "بل ان والدي ضائعان". ويواصل رونالد حديثه مع الطفل عبر المذياع، وسرعان ما يلتئم شمل العائلة من جديد.

وفي خيمة المرطبات تبدأ ربات البيوت قلي الفوج الاول من عشرة آلاف شطيرة من لحم البقر (همبرغر) ستستهلك في عطلة نهاية الاسبوع، الى جانب كريات من اللحم الدانمركي المفروم وأصابع السجق وغيرها من الشطائر الشهية.

والواقع ان خيمة المرطبات هي مركز النشاط الاجتماعي في السوق، يتردد اليها الزوار الذين انهكهم التجوال فيروون ظمأهم بما تيسر من الجعة (البيرة). وتقصدها الامهات مع اطفالهن لتناول المرطبات، كما يدخلها تجار الخيل "لقضم" الشطائر المحلية المعروفة باسم "بيبسك".

لكن ما يجتذب الناس الى هذه السوق سنة تلو أخرى ليست الفرقة الموسيقية ولا سبوتنيك، بل صفقات بيع الخيل وشرائها التي تستمر من الفجر حتى الغسق. وقد بدا لي انه، على رغم الوثوق بصدق المصافحة في عقد الصفقات، الا ان الصفقة لا تنتهي بالضرورة عند ذلك الحد. فقد تملكت الحماسةسائق شاحنة، مرة، فوجد نفسه مالكا جوادا قزما قبل ان يعي ما جناه اندفاعه. وأخذ السائق المسكين يفكر في ما عساه ان يفعل بهذا الحصان المرقط، واذا بأحد الباعة المتجولين يمر امامه. وفي لمح البصر تمت الصفقة بينهما، فحصل البائع على الحصان بينما انطلق صاحب الشاحنة يحمل في صندوقه مئة قرص من الجبن.

وتستمر سوق الخيل بصخبها ومساوماتها طوال ثلاثة أيام ونصف يوم، يجري بعدها فك الاراجيح ونزع الاكشاك. وتنصرف جموع الزوار والمشاركين، وتغادر البلدة شاحنة الخيل الاخيرة تاركة وراءهاالغبار.

اما بالنسبة الى بلدة باليروب فليس للسوق ختام، ذلك لان روحها تستمر في تلك الروابط الوثيقة التي تشد أبناء البلدة بعضهم الى بعض. ولا تزال كلمات اوف اودغارد، بائع العلف، تتردد في اذني اذ قال لي بحرارة واعتزاز: "لا يمكنك ان تقارننا بالمدن الاخرى. فلدينا ميزة مهمة: كون الواحد منا للآخرين".

■ جيم كينر

اصبح الصبي،
في عالمه الوهمي، بطلا مغواراً
وسيماً اسمه سليم باري.
وفي صباح يوم تقشعر له الابدان،
تحول الوهم واقعاً مراً

صوتٌ في غابة



كانت لدي، ايام حداثتي، مجموعة كبيرة من الدمى، فيها الجند ورعاة البقر والهنود الحمر والقراصنة والبحارة والطيارون والفرسان. وكنت ألعب مع الدمى تحت سريري حيث الضوء خافت، وحيث يمكن القوم ان يتسللوا لمباغتة اعدائهم بهجوم صاعق. ومن بين مجموعة الرجال المصنوعة من التنك احببت واحداً حباً خاصاً، وهو الذي يرتدي بزة عسكرية بنية من أيام الحرب العالمية الاولى. غير انه لم يكن ذا مظهر جذاب، خصوصاً لأن الصباغ انقشر عن نصف جسمه وانكسرت قلنسوته الفضية القاسية، مما جعله يبدو كالاصلع في قمة رأسه. ومن الواضح انه كان شاباً

قوي البنية ووسيما ايضا، ولكن مع بعض خشونة. ومما لا شك فيه انه خبر الدنيا وعرف شظف العيش وجرّب حلو الحياة ومرّها.

هذا هو سليم باري.

وفي ظني ان هاتيك الندوب – وهي علامات المعارك وقسوة الحياة – هي التي جعلتني اختارد زعيماً للرجال وبطلا لا يبارى، سواء أكان ذلك في مقاتلة قراصنة البحر او في نسف ذخيرة العدو خلال حملات قاسية دفعت ليس الى اجتياز فسحة الارض تحت السرير فحسب، وانما الى الخروج كذلك الى ارض الغرفة المكشوفة الخطرة وهو يزحف طوال الوقت على بطنه وأخيراً تحتم عليه ان يسل تحت الخزانة الى النهر، وأن يسبح في منحدراته السحيقة قبل ان يستطيع تسلق الجدار والتخلص بضربات سريعة وماهرة وصامتة من هؤلاء الحرّاس ذوي الوجوه المشققة.

لقد كنت انا نفسي سليم باري. وغدوت ذلك الشخص يوم امكنني الخروج بمفردي الى الغابة خلف دارنا، حيث كنت ألتقي "رجالي" في ظل شجرة عملاقة دائمة الخضرة، ضربنا رحالنا حولها ورحنا نتبادل الاراء حول وضع الخطط. ومن هناك انطلقنا في حملات جعلتنا نطأ أرض الهضبة شبراً شبراً.

كان في استطاعتي ان أتسلل بسهولة الى عالم سليم باري أي عالمي الخاص، فأخوض غمار السباق وركوب الخيل والهجمات والاقنعة والمعاطف الفضفاضة وسرعة شهر المسدسات ووميض السيوف ومآثر الجرأة والساحات التي تعج بالقتلى... انه عالم مفعم بالمغامرة، يسوده نمطي الخاص في العدالة. هناك كنت أمكث الساعات الطوال، لا أسمع أياً من الاصوات الحقيقية ولا أرى مشهداً واقعياً – لأني كنت منعزلا في قوقعة مملكتي – الى أن يخترق مسمعي أخيراً صوت حقيقي بحّ من كثرة الصياح، يدعوني الى تناول العشاء.

السبت الطويل – في يوم سبت أيقظنا رنين الهاتف من النوم في السادسة والنصف صباحاً. ونزل والدي الى الطابق السفلي ليرى ما الداعي الى هذا الالحاح، فوجد ان رب الاسرة التي تسكن أعلى الهضبة اتصل ليبلغنا ان طائرة جيش تحمل أربعة طيارين اختفت في مكان ما ضمن منطقتنا خلال الليل الذي اشتد ضبابه. وقبل نصف ساعة فقط وصل احدهم زحفاً على بطنه الى باحة دار الطبيب البيطري مضرجاً بدمائه، وهو يكاد يلفظ انفاسه الاخيرة. ويقع بيت ذلك الطبيب على بعد بضعة كيلومترات من بيتنا في جانب الهضبة الآخر. وجل ما استخلصه الطبيب البيطري من الطيار الجريح، الذي فقد سيطرته على نفسه من فرط اضطرابه، ان الطائرة تحطمت في ذروة مجموعة من الاشجار الكثيفة وان الطيارين الآخرين مازالوا فيها، وربما كانوا أحياء. وقد استدعي رجال الحرس الوطني للمساعدة في البحث عن الطائرة، لكنهم لا يعرفون المنطقة جيداً. وسأل الطبيب اذا كان يمكننا ارشادهم.

أيمكننا ارشادهم؟ يا للسؤال! وفي مثل لمح البرق ارتدى "سليم" ملابسه

وقد حدد بالضبط الموقع المحتمل لسقوط الطائرة، وهو الذي سيقود الرجال الى قلب مكان الحادث. ولذلك راح يسارع الخطى الى جانب ابيه في اتجاه اسفل الهضبة، وبعد ذلك صعوداً في الطريق الخلفية. وكان المطر منهمراً وقد لف الضباب رؤوس الشجر. وجاءت الشاحنات تحمل الجنود بأحذيتهم الثقيلة. وانطلق سيل من الاسئلة:

هل سمع احد شيئاً خلال الليل؟ اي انفجار؟ اي صوت على الاطلاق؟ كلا! ماذا هناك في اسفل المرتفع؟ أكمات فقط وبركتان صغيرتان! وماذا في الاعالي؟ أهي كثيفة الى حد يتعذر خروج المرء حتى بالزحف؟

اني اسمع ضجيجاً ولا أرى طحناً... كلام، كلام، ولا فعل! وعيل صبر سليم فتسلل، من غير ان يحس به احد، الى الغابة ليكتشف بمفرده مكان الحادث. وتهيأ له ان الطائرة لا بد من ان تكون قد كسرت رؤوس الاشجار العالية، مما يحتم سلوك ميمنة الطريق. ولذلك انفصل سليم عن ابيه والجنود الذين راحوا يضربون عصيهم ليشقوا طريقهم في الغابة. وكانوا ينادون بعضهم بعضاً ويصيحون وسط الغابة الكثيفة المجللة بالضباب. وأخذ المطر يهطل على نحو اشد الآن، فانسرب الماء داخل حذاء سليم، كما تصبب على ذراعيه وساقيه.

خفايا الغابات – حافظ سليم بادىء الامر على هدوئه، وهو ما زال على مدى سماع اصوات الحرس، كما كان شأنه في حملاته السابقة. أولم يختبر مئات الحملات من هذا القبيل في سابق ايامه؟ ما الداعي الى ان تتميز هذه الحملة بشيء خاص؟ أو لم يتعلم كيف يكون مرهف السمع، حاذقاً في كشف خفايا الغابات، ماهراً في استغلال بعض الاساليب الخاصة – الى جانب الفطرة – في اللحاق باعدائه وكشف مخابئهم؟ هذه الامور كلها اكتسبها سليم خلال السنوات الطويلة المضنية. ولذلك لن يصعب عليه العثور على بضعة رجال وطائرتهم التي سقطت في الغابة. وكادت هذه الافكار ان تحمله على المشي بخيلاء وسط النباتات الشائكة، ضارباً بيديه وذراعيه الاغصان وهو يشق طريقه عبرها بلامبالاة ويترك بعضها ينطبق على بعض كالمنجنيق.

لكنه، بعد ان توغل في عمق الغابة وانحسرت اصوات الجنود مع بعد المسافة، أحس بأن الغابة بدأت تطوقه وتحاصره. فخفف من غلوائه وغدا اكثر حرصا وحذرا، وبدأت شجاعته تنكمش رويداً رويداً.

"النجدة!"

وفجأة جمدت في مكاني. لقد خاطبني شخص من مكان قريب بصوت ضعيف وهادىء، وناداني من مكان ما من خلال الخضرة المبللة. فتجمدت اوصالي وصعقت حواسي وشعرت بدوار، فأسندت يدي على جذع شجرة. وأحسست بنعومة قشرتها كأنها مطلية بالزيت، فخطفت يدي بعيداً عنها. ونظرت اليها فوجدتها مصبوغة بلون احمر. ثم نظرت الى جذع الشجرة لأجده أحمر هو الآخر.

وسمعت الصوت من جديد، يستغيث بنبرات مكتومة: "النجدة". وعرفت

انه صادر من فوق رأسي. ورفعت عيني بصعوبة لأرى فوق رأسي مباشرة، وعلى علو تسعة أمتار أو عشرة، طائرة مقلوبة على ظهرها ومشدودة كأنها وسط ملزمة من الجذوع والاغصان المنحنية والملتوية. وقد انخلع احد جناحيها واختفى محركها، بينما تدلى من احد الابواب المنبعجة المشوهة رجل معلق بأحزمته، وجهه الى أسفل وذراعاه ملتويتان ومعقوفتان. وكان الدم ينحدر من وجهه ويتساقط على جذع الشجرة، وينساب في خيط احمر على طول الجذع حتى يلامس الارض. وقد كسا الدم وجهه ما خلا بياض عينيه اللتين اطلتا علي بأقسى نظرة مؤلمة متضرعة يمكن أن ترتسم على وجه انسان. وتحركت شفتاه فوق فتحة سوداء تكسرت عليها كلمة "النجدة" بتنهد جديد.

نظرة سرمدية — لم أقو على الحركة ولم أستطع الرد عليه. وتلاقت أعيننا في نظرة خلتها سرمدية: ها هو من فوق غير قادر على الكلام وفي حاجة الي، وها انا من تحت لا أستطيع ان أفعل شيئاً من أجله.

وتمكنت اخيراً من تحويل عيني عنوة بعيداً عنه. وفي تلك اللحظة سمعت أنيناً خافتاً من مكان ما على الارض، أنيناً أجش ملؤه الالم. فتسمرت مكاني مرة أخرى، ولم يتحرك فيّ شيء سوى عيني اللتين أجالتا النظر في الاغصان ونباتات السرخس التي يقطر منها المطر بحثاً عن ذلك الصوت المخيف. واذا كان مصدر الصوت على الارض، ففي امكاني الوصول اليه وتقديم العون له.

وكل ما يجب فعله هو أن أخطو بضع خطوات، لا أكثر!

غير اني لم أستطع ذلك، بل ادرت ظهري وهربت، محطماً كل ما اعترض طريقي، ضارباً الاغصان بقوة والخوف يهز اعماقي من هول ما رأيت. وسمعتني أصرخ بصوت غير صوتي. ألم يعد في الغابة احد غيري وغير هؤلاء الذين تركتهم ورائي؟ وبلغت منفرجاً بين الاشجار. وهناك ابصرت احد الحراس، فرفعت ذراعي في الهواء لألفت انتباهه، وشددته من قميصه وأشرت بيدي الى الناحية المعنية، واستطعت أن أقول: "هناك... انها هناك!"

استدار الحارس وانطلق يركض. وما هي الا لحظة حتى دوت الصفارة وخرج الجنود من بين الاشجار. وسرعان ما سمعتهم يصيحون بالرجل المتدلي من طائرته بأن يصمد لحظة واحدة حتى يتسلقوا الى حيث هو. وسمعت تقصف الاغصان والرجال يتسلقون الشجرة. ثم انطلقت صرخة الم مدوية.

اين أبي؟ — يجب ان اجد أبي. وظللت أركض بحثاً عنه. وتعثرت بشجرة ملقاة فوق الارض وجرحت ذقني، لكنني نهضت وواصلت الركض الى أسفل الغابة حتى أبصرت والدي واقفاً بجانب احد الحراس في الطريق. فتوقفت عن الركض واقتربت منه ماشياً، وفيّ حاجة شديدة الى ان أكون قربه وألمسه. وقال: "ها انت اخيراً. لقد بحثت عنك في كل مكان وكدت ان أموت قلقاً عليك... لقد عثروا على الطائرة، ويقولون ان صبياً ارشدهم اليها!"

كان والدي يعلم ان ذاك الصبي ما هو الا أنا. أما أنا فاكتفيت بهز رأسي. وعلى رغم اني حاولت اخفاء الرعب، الا ان والدي أدرك مدى خوفي. ومكثنا فترة نراقب الشاحنات البنية اللون المغطاة بالقماش تجيء وتذهب، وشاهدنا وصول سيارات الشرطة والاسعاف. وهممت بأن أقص على والدي ما جرى، لكنني لم استطع. ومع ذلك أيقنت ان والدي يعرف وانه مدرك ان ما حدث قد حدث وانتهى، ولهذا لم يسألني عن اي تفاصيل. وبدلا من ذلك، قال انه يحمد الله على وجود شخص مثلي يعرف الغابة معرفة واسعة.

أما انا فكنت اعرف الوجه الآخر لتلك الحقيقة. وفيما كنا واقفين نراقب الشاحنات، اصغيت الى اصوات النجدة من عمق الغابة وصياح الرجال الشجعان على رؤوس الاشجار وهم يعملون في جسم الطائرة نفسها ويدلون ذلك الرجل المعلق الى الارض. وتساءلت: "ترى كيف سينظر اليهم؟" وراودني احساس فطري بأن الغابة لن تعود، منذ تلك اللحظة، كما عهدتها.

ولم ارد البقاء في ذلك المكان، لكني لم أستطع مغادرته. وأخيراً، قبل ان يبدأ الرجال حمل اي جريح على النقالة، قال والدي ان وجودنا هناك لم يعد ذا فائدة، بل قد يعوق الرجال. فحملنا أنفسنا وعدنا ادراجنا معاً في المطر بصمت وتؤدة حتى بلغنا البيت.

■ فيليب كونهارت

حاجات الانسان

الدين الذي يكون من الوضوح بحيث نفهم كل تفاصيله هو من الضآلة بحيث لا يفي بحاجاتنا.

ا ب.

الهدية القبيحة

تسلمت سيدة هدية مرسلة اليها من خارج البلاد. وبينما هي تفتح الصندوق الكرتوني، اكتشفت فيه اناء زهر ظاهر القبح على رغم انه كسر قطعاً. ولان الطرد كان مؤمناً عليه، فقد حملته الى مكتب البريد حيث القى موظف المكتب نظرة خاطفة على الاناء ثم قال برزانة: "ما حصل يشبه قتل الحيوان المعذب رأفة به".

س.هـ.

الحيوانات الناطقة

بينما كنت اتنزه مع زوجتي في احدى الحدائق العامة، رأينا عائلة تتناول طعامها في الهواء الطلق وقد اقتربت منها ستة من حيوانات الراكون الصغيرة تتلمس ما تجود به ايديها من طعام. فأخذت العائلة تلقي اليها قطع الطعام وهي تخاطبها بالاسبانية: "تعالوا هنا ايها الصغار". وقد اعترفت لزوجتي لاحقاً بأن رد فعلي الاول لما رأيته كان: "ما هذه الغرابة؟ ان حيوانات الراكون لا تتكلم الاسبانية".

ر.س.

تفاؤلي ساعدني على دحر السرطان

مهما بلغت فعالية الابتكارات الطبية الحديثة تبقى القدرة العظمى على الشفاء كامنة في ارادة الانسان

في فبراير (شباط) ١٩٧٤ شعر نيل فيوري للمرة الاولى بورم في وعاء خصيتيه يعادل حجمه حبة الحمص، وذلك بينما كان يستحم في منزله؛ فظن للوهلة الاولى ان الامر ليس سوى التهاب بسيط لن يعتم ان يزول. لكن "الالتهاب" لم يختف، واستمر علىحاله ثلاثة اشهر، مما حمل نيل، البالغ من العمر ٣٢ عاماً والمتخصص في علم النفس، على مراجعة الطبيب.

وكان الطبيب المختص في المجاري البولية، الذي اختاره فريق الاطباء الذين استشارهم نيل، مشهوداً له بالخبرة والكفاية. وما ان كشف على الورم حتى فاجأ نيل بقوله: "استعد لجراحة استكشافية في الاسبوع المقبل، فربما كان ذلك سرطاناً".

ويصف نيل فيوري ما راوده من افكار ومشاعر في تلك اللحظة: "كنت مقبلا على عملية استئصال نسيج من منطقة الورم لدراسته مجهرياً. وكان الاحتمال وارداً بأن يستأصل الطبيب الخصية القريبة من الورم لفحصها كي يحدد نوعية النمو غير الطبيعي في الخلايا، وتملكني الخوف. لكن ما اقلقني فعلا كان احتمال اجراء ذلك

من دون موافقتي، فقد سمعت عن نساء عديدات افقن من جراحات "استكشافية" ليجدن انهن فقدن الرحم او احد الثديين، وكنت في وضع مشابه".

ويسترجع نيل ذكرياته فيقول انه لا يدري ماذا دفعه الى التصرف كما فعل، فقد اعتزم، وهو ممدد على الطاولة في غرفة العمليات، ان يفعل شيئاً قبل الاستسلام لمبضع الطبيب، فسأله عما اذا كان من الافضل اجراء فحوص مخبرية او تصوير بالاشعة لتشخيص حالته، فأجاب الطبيب بتعال: "سأطلب اجراء تلك الفحوص اذا شئت، لكنها لن تغنيك عن استئصال عينة من ذلك الموضع".

– لماذا لا نحصل على رأي طبيب آخر؟

"ذلك عائد اليك".

وشعر نيل بان الطبيب كان يخيره بين الاستسلام الكامل لرأيه والتصرف كما يريد، فغادر العيادة وهو في حال اضطراب شديد، ووجد نفسه في حاجة الى بعض الوقت للسيطرة على مشاعره والتروي في تقرير مصيره، وبصفته اختصاصياً في علم النفس، يتعامل بانتظام مع اشخاص مضطربين، فانه يؤمن ايماناً راسخاً بالاعتكاف والتأمل من أجل صفاء الذهن، وبرياضة العدو لاسترخاء الجسم، مما يساعد على اتخاذ القرارات الصائبة.

وبينما كان نيل في خلوته تلك الليلة اتضحت له الامور، فالموضوع يتعلق بجسمه، وهو في حاجة الى آراء وخبرات طبية اخرى لحل مشكلته البالغة الخطورة، لكنه شعر في الوقت نفسه انه هو المسؤول الاول والاخير عن مصيره، وان تقرير الوقت والمكان والاجراءات كلها عائد اليه وحده.

وخلال الايام القليلة التي تلت لقاءه لذلك الطبيب حدد نيل موعدين مع اختصاصيين اخرين في المسالك البولية، وجاءت نتيجة تشخيصهما مطابقة لتشخيص الطبيب الاول، واضافة الى ذلك، كشفت احدى صور الاشعة التي اخذت لصدره، كجزء من الفحص الشامل الذي طلبه، عن وجود بقعة قطرها ٢،٥ سنتيمتر في اسفل رئته اليسرى فاستنتج الاطباء ان الورم في وعاء خصيته هو من النوع الخبيث، وانه امتد الى رئته.

ويقول نيل: "وافقت في النهاية على اجراء جراحة استكشافية، ولكن بعد استيفائي بعض الشروح، وأردت ان اعلم سلفاً، وبالتفصيل، جميع الخيارات وطرق العلاج الممكنة في ما لو كشفت الجراحة عن وجود السرطان، ان معرفة ما على المريض ان يتوقعه تساعده على السيطرة على نفسه، وهو امر بالغ الاهمية".

قد يتسم موقف نيل بكثرة التبرم والتذمر، لكن عدداً وافياً من الاختصاصيين في امراض السرطان يرون ذلك من الدلائل السليمة، ويقول الدكتور بول هاملتون الابن، الرئيس السابق لوحدة علاج الاورام في المركز الطبي البرسبيتيري (تابع للكنيسة البروتستانتية) في دنفر في ولاية كولورادو الامريكية: "ليس في امكان الطبيب سوى اعطاء الادوية، فالقدرة على مقاومة المرض تكمن في نفس المريض، وينحصر دور الطبيب في مساعدته على اكتشاف تلك القدرة واستخدامها".

لكن نيل فيوري نقل بعد ذلك الى غرفة العمليات في ١٣ يونيو (حزيران) ١٩٧٤، في اليوم الذي سبق عيد ميلاده الثالث والثلاثين. وكشفت الجراحة عن وجود ورم سرطاني جنيني. ونظراً الى ان هذا الورم كان السبب في انتشار الخلايا السرطانية في رئة نيل، فقد رأى الجراح ان لا بد من استئصال الخصية.

ويقول نيل: "باستثناء بعض الانزعاج الذي اصابني بعد الجراحة، شعرت بأني ما زلت في صحة جيدة. وكان من الصعب علي ان اصدق ذلك، فقد كنت في واقع الامر اعاني علة طالما ربطتها بالامراض المستعصية التي تودي بحياة صاحبها لا محالة. وكنت اعلم ان الخلايا السرطانية هي خلايا غير طبيعية وموضع التباس، وان المناعة الذاتية للجسم كفيلة بمكافحتها".

ويضيف: "بينما كنت مستلقياً على سريري في المستشفى خطر ببالي اني مريض بنسبة واحد في المئة فقط وان الـ٩٩ في المئة الباقية من صحتي سليمة تماماً وعلى اتم الاستعداد لدحر "الخلايا الفاسدة" في رئتي. وتراءت لي "جحافل" خلايا الدم البيضاء وهي تهب للقضاء على الخلايا السرطانية الهزيلة. وأخذت افكر: كيف يمكنني ان اساعد على هذا الصراع؟ وتوافرت لدي قناعة بان لمعتقداتي وتصرفاتي الخاصة تأثيراً كبيراً على مجرى المرض. فعقدت العزم، اياً يكن رأي الاطباء في جهودي الشخصية، على تسخير جميع طاقاتي في الصراع المقبل".

وكانت احدى هذه الطاقات التي عزم نيل على تسخيرها توقه النهم الى معرفة كل ما كتب عن علاج السرطان. وما ان خرج من المستشفى حتى توجه الى احدى المكتبات الطبية حيث اطمأن الى ان طبيبه كان يتبع في معالجته احدث الطرق وأقلها اذى. لكنه وقف ايضاً على بعض المعلومات المزعجة، منها ان تشريح العقد اللمفاوية بقصد دراستها، وهو ما اعتزم الاطباء اجراءه، ربما ادى الى تثبيط قدرته على القذف المنوي، وأن العلاج الكيميائي وعلاج الاشعة قد يتسببان في العقم. وكان نيل يتصور دائماً انه سيتزوج يوماً ويصبح اباً.

ويقول في ذلك: "كان هدفي ان اقاوم السرطان بأقل الاضرار التي تهدد نوعية حياتي المستقبلية. وبدا لي، من ناحية اخرى، ان هم الاطباء محصور في ابادة الخلايا السرطانية. فقبل ان اوافق على اي تدبير استشرت عدداً من المتخصصين في المعالجة الكيميائية وبأشعة كوبالت القوية لمعرفة ما اذا كانت طريقة معالجتهم تغني عن المزيد من الجراحات. وأخذت اقرأ كل ما وقعت عليه يدي حول استئصال العقد اللمفاوية وجدوى ذلك وآثاره.

"وقد أظهرت الفحوص ان العقد اللمفاوية لدي كانت سليمة. فتساءلت: ماذا يوجب استئصال جزء نظيف من العقد اللمفاوية طالما يستطيع جسمي استخدامه في مكافحة السرطان؟ وافادني طبيبي المختص في المسالك البولية انه على

رغم نتائج الفحوص فهناك احتمال بوجود خلايا سرطانية في غاية الدقة، وان الاحصاءات تشير الى وجوب استئصال العقد اللمفاوية في مثل تلك الاحوال.

"لكن المراجع الطبية التي قرأتها حول نوع الورم الذي اعانيه تنصح بتجنب الجراحة بعد انتشار السرطان؛ فمن شأن ذلك ان يؤخر بدء العلاج الكيميائي. ولو استطاع الاطباء اقناعي بضرورة اجراء الجراحة، لكنت مستعداً لتلك العملية الدقيقة ،التي تستغرق ثماني ساعات لكني كنت ايضاً على استعداد لأن اناقش ضد الجراحة لمصلحة العلاج الكيميائي.

"لكن صور الاشعة كشفت عن وجود بقعة ثانية على رئتي، مما دل على ان السرطان اخذ ينتشر بسرعة عبر الدورة الدموية. واقترح علي طبيب المسالك البولية البديل (كان طبيبي الاصيل في اجازة) ان انتظر حتى اذا ما ظهرت بقع سرطانية اخرى امكن عندئذ استئصال الرئة المصابة. ولحسن الحظ كنت قد درست هذا الموضوع من جميع جوانبه. فقلت للطبيب انه على رغم ظهور بقعة ثانية على جدار الرئة فالامر لا يستدعي اجراء جراحة طالما ان العقد اللمفاوية سليمة. وانما يجب بدء العلاج الكيميائي فوراً. وشد ما كانت دهشتي عندما وافق الطبيب على رأيي قائلا انه الحل المعقول البديل من الجراحة. ثم اتخذ الترتيبات اللازمة على هذا الاساس".

انا سيد نفسي – في ٥ يوليو (تموز) ١٩٧٤، اي بعد ثلاثة اسابيع من الجراحة اخذ نيل الحقنة الاولى من عقار الادرياميسين السام اضافة الى حقنتين اخريين من الادوية الفعالة ضد السرطان. وواظب على اخذ هذه الحقن واجراء الفحص اللازم لدمه مرة كل اسبوع وعلى مدى سبعة اشهر. وتقلصت الاوردة في ذراعيه وبرزت عليها علامات الحقن بهذه العقاقير الاكالة. وتزايدت الصعوبة في الاهتداء الى عرق صالح للحقن.

ووقع نيل فريسة التحدي المتعاظم كل اسبوع في مواجهة الالم والخوف المرافقين لهذا العلاج. لكنه، بدلا من ان يفكر في سموم هذه الادوية أخذ يتخيلها كحليف جبار له هب لنجدة خلايا دمه البيضاء في حربها ضد السرطان. وبذل جهداً متواصلا لوقاية قواه العقلية والجسدية من الانهيار. فظلت سليمة لا تشوبها شائبة وساعدته خلوات التأمل على الحد من شعوره بالقلق والتوتر.

وحافظ نيل على نظام غذائي جيد. وثابر على العدو مسافة ثلاثة كيلومترات في اليوم. وكلما استحال عليه ذلك بسبب التعب او الغثيان كان يختصر المسافةأو يستعيض عن الركض بالمشي. وكان يأخذ قيلولة كلما شعر بالتعب، ويتجنب الخوض في المشاكل العرضية ويتبع المصارحة المباشرة في تعامله مع الناس. وعندما اقترحت عليه الممرضة العاملة عند طبيبه ان يؤجل موعداً الى يوم الاثنين" لان يوم الجمعة شبه عطلة"، اصر نيل على مقابلة طبيبه في الموعد المضروب. ولما سألته الممرضة لماذا لا ينتظر بضعة ايام اخرى اجابها:"ذلك يعني لي عطلة نهاية

اسبوع يسودها القلق. وأنا لا اريد اضاعة طاقتي بهذه الطريقة".

ويستطرد: "عندما بدأ شعري يتساقط بغزارة هبطت معنوياتي الى الحضيض. ومع ان صور الاشعة اوضحت اختفاء البقع عن رئتي - وهي دلالة على ان الادوية ومناعة جسمي بدأت تربح الصراع - الا ان الطبيب رأى انه يستطيع تحقيق مكاسب اخرى بزيادة عدد الحقن، وراح يتحدث عن استكمال العلاج الكيميائي بعلاج الاشعة وعن احتمال استئصال جزء من العقد اللمفاوية، وهي الجراحة التي ظننت اني تملصت منها.

"وفي منتصف سبتمبر (ايلول) ١٩٧٤، اي بعد شهرين من العلاج الكيميائي، دخلت المستشفى على اثر نوبة من الحمى لم اعرف سببها ولم تلبث الحمى ان تلاشت من دون عناية طبية تذكر. لكن هذا الحادث كان نقطة تحول في علاجي من السرطان. ذلك لان الحمى اضطرت الاطباء الى التوقف عن حقني بالمواد الكيميائية مدة ثلاثة اسابيع. وقد أدت فترة التوقف تلك، التي اراحتني من الآثار الجانبية للعقاقير، الى رفع معنوياتي وشحذ عزيمتي فقررت اذ ذاك اني اذا ما اردت الاستراحة من الحقن مرة اخرى فسوف اعرب عن رغبتي في ذلك بصراحة، كما قررت ان يكون رأيي انا هو الرأي المرجح في هذا الموضوع".

هل اختفى حقاً؟ - لقد بدأ عدد قليل، لكنه مهم، من المختصين في امراض السرطان يدركون ان السر في العلاج الفعال يكمن في الاصغاء الى المرضى واتاحة المجال لهم للمشاركة في معالجة انفسهم. وكان نيل فيوري يعلم ان الطبيب الذي اشرف على معالجته كان اختصاصياً بارعاً، غير انه، في الوقت نفسه، اصر على ان مكافحة السرطان تستوجب اقتناع الطبيب والمريض معاً بان عقل المريض وجسمه هما عاملان فعالان في هذا الكفاح، وان عدم الاستعانة بهذين الحليفين قد يؤدي الى الاكتئاب ومقاومة العلاج وفقدان الرغبة في الحياة.

وقد تحدث نيل مراراً الى الطبيب الاختصاصي في العلاج الكيميائي حول امكان عرض حاله على لجنة من الاطباء الخبراء، غير ان ذلك لم يتحقق. فأصر على تحديد موعد لذلك. ولدى اطلاع تلك المجموعة من الاطباء على حاله ابدوا ارتياحهم الى التقدم الذي احرزه، ولم يروا اي حاجة الى استئصال العقد اللمفاوية او العلاج بالاشعة.

ويقول نيل في هذا الصدد: "في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٤ اوصت لجنة الاطباء المتخصصين في دراسة الاورام ان استمر في اخذ حقن اسبوعية مدى سبعة اشهر، على ان تعقبها سنة من تناول عقاقير "الصيانة"، كل ستة اسابيع. وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٥، بعد سنة ونصف سنة من بدء العلاج، سألت طبيبي عما اذا كان للعقاقير التي اتناولها كل بستة اسابيع مفعول اقوى من مقاومة جسمي الطبيعية اذا لم تعقه الآثار الجانبية التي تخلفها تلك العقاقير. فاستشار احد الخبراء الذي افاده بانه على رغم ان نصيبي من

الشفاء بلغ ٩٠ في المئة فمن الافضل ان اواصل العلاج كي أصبح في مأمن تام من المرض. ومع هذا فقد اتخذت القرار الصعب بان اتحمل مسؤولية التوقف عن العلاج الكيميائي".

كان ذلك منذ اربع سنوات ونصف سنة. أما اليوم فقد عاد شعر نيل وجلده الى حالهما الطبيعية، وان لم تزل بعض عروقه بادية التقلص وتحمل آثار وخز الحقن.

والسؤال الآن هو: هل اختفى سرطان نيل الى غير رجعة؟

لا أحد يستطيع التأكيد على ان نيل شفي تماماً او ان مرضه هو الان في حال سكون طويلة الاجل.

لكن نيل يشعر بانه تعافى وبان حياته اصبحت اكثر هدوءاً وخصباً. فاذا خطر له ان يقضي ساعة جالساً على تلة او محدقاً الى طائر يحلق في الافق، فقد بات في وسعه ان يفعل ذلك. وهو يجتمع بمن يحب ويتجنب كل من لا يروقه معشره. لقد تعلم الآن ان يحب الحياة من وجوه عدة لم تتفتح له من قبل. ولا شك في ان نيل فيوري يعد مثالا لأولئك الذين يعرفون كيف ان تحمل المسؤولية تؤتي ثماره مهما تراكمت المصاعب.

ويقول نيل: "عندما شارف العلاج على نهايته، طلب مني طبيبي المتخصص في العلاج الكيميائي ان اسجل شريط فيديو اطلع فيه مرضى السرطان على سلوكي مع المرض وعلى الآثار الجانبية للعقاقير التي حقنت بها. فرغبت في ابراز النقاط الآتية:

○ ان لك مطلق الحق في مناقشة طبيبك. فاذا شعرت بان هناك اجراء يقلقك او يتعارض مع قناعتك، فاسأل الطبيب عن الدواعي التي تحمله على اتخاذه، ولا تتردد في السؤال عن الطرق البديلة.

○ لا تبدد جهدك وطاقتك في التفكير الدائم في حالك. واذا اقلقك الم متواصل فاستدع طبيبك. لا تخش جدوله الحافل بالمواعيد ولا تحسب نفسك متطفلا عليه.

○ اذا لم يبال الطبيب بمشاعرك فعليك استشارة طبيب آخر.

○ لا تسلم حياتك الى الطبيب او تجبره على التصرف بمصيرك كأنه خالقك. احترم رأيه، ولكن احترم جسدك وحكمتك كذلك. وربما رغبت في ترك اتخاذ قرار ما لطبيبك، فذلك امر عائد اليك انت.

○ اياك واليأس بسبب نتائج الاحصاءات. فلا معنى للقنوط لان عشرة في المئة فقط من المصابين بمرضك بقوا على قيد الحياة. بل تذكر ان الذين كتبت لهم الحياة عاشوها كاملة.

■ **ستانلي انغلبارت ونيل فيوري**



قبعة الوزن الخفيف

نسي ابرهام لينكولن في احدى الليالي قبعته الطويلة على مقعد في حجرة الاستقبال في مكتب وزير الدفاع. ولدى عودته لاستردادها، قامت سيدة سمينة عن المقعد، وانحنت لتحية الرئيس الذي رد عليها بانحناءة مماثلة. ثم مشى خلفها والتقط ما تبقى من قبعته، وقال وهو يهز رأسه بأسى: "كان علي ان اخبرك ان قبعتي لا تناسبك قبل ان تجربيها".

ديفيد هومر بيتس، كتاب "اقوال لينكولن"

المكسيك:

أمة أم بئر نفط؟

بعد اكتشاف صاعق لكميات نفط هائلة
في المكسيك، هل تحل المشاكل التي تتخبط فيها البلاد؟

المكسيك بلد منتج للنفط منذ عشرات السنين. وعندما أممت شركات النفط الاجنبية عام ١٩٣٨ كانت البلاد تشغل المقام الثاني بين البلدان المنتجة للنفط، بعد الولايات المتحدة مباشرة. لكن الفساد وقلة الكفاية تسببا في تحويل المكسيك عام ١٩٧١ الى دولة مستوردة.

ولكن عندما رفعت منظمة الدول المصدرة للنفط (اوبيك) اسعارها في العام ١٩٧٣ الى اربعة اضعاف ما كانت قبلها، لم يسع مؤسسة "بيمكس"، وهي الهيئة الحكومية المهيمنة على النفط المكسيكي، الا ان تنتهز الفرصة لجني الارباح. وهكذا تم اكتشاف حقول النفط الجديدة في ولايتي تاباسكو وتشياباس، وأخذ الانتاج في الارتفاع. وأصبحت المكسيك تنتج، عام ١٩٧٨، ١،٤ مليون برميل يومياً يستهلك منها مليون ويصدر الباقي. وتقدر مؤسسة بيمكس احتياط النفط المكسيكي بـ٨٥ مليار برميل، مما يضع المكسيك في صف الدول المنتجة الرئيسية بالتساوي مع ايران والكويت.

يبدو نفط المكسيك، للوهلة الاولى، هبة من الله الى جارتها العملاقة في الشمال ومنبعاً مأموناً للطاقة من الناحية الاستراتيجية. لكن التدقيق في الحقائق السياسية والاجتماعية ينذر بأن هناك مشاكل تلوح في الافق.

ليس النفط، بالنسبة الى

المكسيكيين، نتاجاً فحسب، وانما هو رمز كفاح طويل مرير، لم تؤت ثماره بعد، ضد السيطرة التي تفرضها دول اخرى في طليعتها الولايات المتحدة. اضف الى ذلك ان المكسيك، على نقيض حال الدول المصدرة للنفط في الشرق الاوسط، بلد يتزايد فيه عدد السكان سريعاً ويتنامى فيه القطاع الصناعي. ومن المنتظر ان يتجاوز الاستهلاك المحلي في المكسيك، عام ١٩٨٨، ضعف ما هو اليوم، مما يحتم على البلاد ان تضع حاجاتها الداخلية في الاعتبار قبل حاجات عملاق الشمال (الولايات المتحدة).

ويشارف الرئيس المكسيكي خوسيه لوبيز بورتيو على الستين (ولد في ١٦ يونيو/ حزيران ١٩٢٠). وهو استاذ سابق في القانون، ويتمتع بخبرة ٢٠ سنة في الادارة العامة. وقد اعاد العافية الى الاقتصاد المكسيكي بعد ست سنوات من التبذير في عهد سلفه لويس اتشيفيريا الفاريز. فتمكن، عن طريق اجراءات صارمة ضد الفساد وخطط تحديد الاجور، من تثبيت سعر البيزو المكسيكي وتخفيف حدة التضخم واستحثاث الاستثمار الخاص والحؤول دون تسرب رؤوس الاموال المكسيكية الى الخارج.

الا ان الاقتصاد المكسيكي لا يزال متصدعاً. وبلغ معدل التضخم ١٨ في المئة عام ١٩٧٩ تبعاً لتقديرات مصرف المكسيك. أما المعدل الحقيقي فربما تجاوز الـ٢٥ في المئة. ومن شأن الزيادة الهائلة المتوقعة في عوائد النفط ان تزيد نار التضخم لهيباً، فتؤدي الى تعديل قيمة البيزو، فيصبح من الصعب على المكسيك ان ينمي اقتصاداً يستطيع الصمود عندما ينفد النفط من البلاد. وقد اشار الرئيس المكسيكي مراراً الى ان كميات النفط التي تستخرج للتصدير سوف تحددها حاجات المكسيك واولوياتها وليس حاجات الولايات المتحدة.

وهناك اخيراً تخوف، ينجم معظمه عن احداث ايران، من ان المبالغة في عقد الامال على تدفق اموال النفط ربما افضت الى زعزعة الاستقرار في امة تشتد حاجة بنيتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية الى التجديد والاصلاح.

عش بدولارا – ليست الامور في المكسيك كما تبدو تماماً، بل هي اسوأ من ذلك عادة. فالمكسيك بلد ديموقراطي من الناحية النظرية، الا انه في الواقع دولة يسودها نظام الحزب الواحد ويتمتع فيها الرئيس، الذي ينتخب لمدة ست سنوات، بسلطة مطلقة.

وربما بدا هذا النظام مثالا مسخاً للديموقراطية، الا انه اصاب مقداراً كبيراً من النجاح. فمنذ العام ١٩٣٤ لم يحدث ان تجاوز اي من رؤساء المكسيك مدة ولايته. ولم يحصل اي عصيان خطير منذ العام ١٩٣٨. وعلى خلاف بقية بلدان امريكا اللاتينية، فالجيش المكسيكي لا يتدخل في السياسة. ومع ذلك تكاثرت الدلائل، خلال السنوات الاخيرة، على ان النظام مشرف على الانهيار. فقد استولى بعض الفلاحين المحرومين، الذين يتجاوز عددهم الاربعة ملايين، على مساحات واسعة من الاراضي الزراعية. وتعددت الاضطرابات وسط

الاحياء الفقيرة في مدينة مكسيكو حيث يعيش نحو ١٣ مليون في ظروف مروعة.

ورغبة من الرئيس بورتيو في منح المعارضة فرصة التعبير عن رأيها، وان لم يأخذ به، اجاز العمل عام ١٩٧٨ لثلاثة احزاب جديدة، بينها الحزب الشيوعي، وأفرد لها مئة مقعد في البرلمان الذي يضم ٤٠٠ عضو. لكن الاصلاحات السياسية لم تجد في حل المعضلة المكسيكية الحقيقية الا وهي الفقر.

ان الدخل السنوي للفرد في المكسيك يعادل ١٢٦٨ دولاراً، وهو يبدو وافياً نسبياً. لكن المكسيك، حسب قول فيكتور اوركيدي رئيس كلية مكسيكو، "يشكو سوء توزيع للدخل رهيباً يفوق مثيله في معظم البلدان النامية". ففي اواكساكا، قلب ولاية المكسيك الهندي حيث يعيش ٧٤ في المئة من سكان الولاية البالغ عددهم مليونين ونصف مليون نسمة، لا يتجاوز دخل العائلة الشهري الثمانية دولارات.

لقد وصل معدل انتاج المكسيك من النفط عام ١٩٧٨ الى ١،٤ مليون برميل يومياً. ومن المنتظر ان يرتفع هذا الانتاج الى ٢،٢٥ مليون برميل يومياً في نهاية ١٩٨٠، منها ١،١ مليون برميل للتصدير. ولو صدرت هذه الكمية كلها الى الولايات المتحدة لغطت نحو ١٣ في المئة من وارداتها النفطية، اي ما يفوق قليلاً ما تستورده من نيجيريا، المصدر الثاني لنفطها بعد المملكة العربية السعودية.

ولكن هل ستحصل الولايات المتحدة على المقدار الذي تنشده من نفط المكسيك؟

يبدو ان ذلك بعيد المنال. فالولايات المتحدة تحصل حالياً على ٨٠ في المئة من نفط المكسيك المصدر. غير ان المكسيكيين يحرصون على بيع نفطهم لجهات اخرى كي يحدوا تبعيتهم الاقتصادية لجارتهم الشمالية التي تبتاع نحو ٧٠ في المئة من صادراتهم وتزودهم بأكثر من ٦٠ في المئة من وارداتهم. والمكسيك تأتي في المرتبة الخامسة في قائمة التبادل التجاري مع الولايات المتحدة، وقد بلغت قيمة التبادل بين البلدين ١٢،٧ مليار دولار عام ١٩٧٨. اضف الى ذلك ان عدداً من البلدان، بينها اسبانيا وفرنسا وكوبا وأسوج واليابان، ابدت اهتماماً شديداً بثروة المكسيك النفطية الجديدة، ووقع عدد منها على اتفاقات مع مؤسسة بيمكس.

والواقع ان المكسيكيين لن يكونوا على استعداد لأي محاباة تجاه الولايات المتحدة الامريكية، في ما يتعلق ببيع النفط، قبل ان تحل المشاكل القائمة بين البلدين على اسس تعتبرها المكسيك منصفة. وتتناول هذه المشاكل ما يأتي:

□ المكسيكيون المقيمون في الولايات المتحدة بصفة غير شرعية:

لا أحد يعلم عدد هؤلاء، وانما هو يقدر بسبعة ملايين. فهل يعتبر وجودهم نعمة ام لعنة؟ ان الآراء تختلف تماماً في هذا الصدد. فاتحادات العمال الامريكية ترى فيهم خطراً على سبل عيش العمال الامريكيين. غير ان عدداً لا يحصى

من المزارع والفنادق والمطاعم الامريكية ربما سيب بالافلاس لولا تلك الايدي العاملة المكسيكية الرخيصة التي تتولى اعمالا يتأباها الامريكيون.

ومع ان الحكومة المكسيكية تصر على انها تفضل تصدير البضائع على تصدير الناس، الا ان بقاء الحدود مفتوحة عامل اساسي في الحفاظ على استقرار المكسيك. فذلك يوفر فرص العمل لاولئك الذين يقعون لولاه فريسة التيارات المعادية للحكومة. كما ان الاموال التي يرسلها هؤلاء المهاجرون الى ذويهم، وهي تقدر بثلاثة مليارات دولار سنوياً، تعادل ضعف دخل المكسيك من نشاطها السياحي.

ولهذا الفيض من الايدي العاملة المكسيكية اسباب عدة. فضحالة انتاج القطاع الزراعي وشح المياه يشكلان سببين من هذه الاسباب. الا ان اهمها هو اكثرها بساطة: كثرة عدد سكان المكسيك. فهو يبلغ اليوم ٦٩ مليون نسمة، وسوف يرتفع الى مئة مليون، وربما ١٢٠ مليوناً، في نهاية هذا القرن. وفي كل عام ينضم نحو مليون مكسيكي الى سوق العمل التي لا تتحمل زيادة تفوق الـ٦٠٠ الف عامل سنويا. وهذا يعني ان ٤٠٠ ألف آخرين مخيرون بين الموت جوعا والاتجاه الى الشمال.

فما العمل لتسوية هذا الوضع؟ ان احد الاساليب التي يمكن اتباعها للحد من التدفق غير المشروع عبر الحدود هو العودة الى برنامج "براسيرو" الذي كان نحو ٤٠٠ الف مكسيكي يدخلون بمقتضاه الولايات المتحدة سنوياً بتأشيرات موقتة للعمل في الحقول. وقد جمد هذا البرنامج منذ ١٩٦٤ نتيجة معارضة النقابات. وهناك حل آخر هو منح الشركات الصناعية الامريكية امتيازات ضريبية اذا ما رغبت في اقامة مصانع في الولايات المكسيكية الثماني التي ينزح منها اكثر من نصف المهاجرين غير الشرعيين.

وعلى كل حال فان اي زيادة في مقادير النفط المكسيكي المتاحة للولايات المتحدة تتوقف الى حد بعيد على موقف السلطات الامريكية من دخول العمال المكسيكيين اليها، شرعياً كان او غير شرعي، وعلى حسن معاملة هؤلاء المهاجرين بعد ان يجتازوا الحدود.

□ المخدرات:

بعدما تم القضاء على "حلقة التهريب الفرنسية" بين تركيا والولايات المتحدة عام ١٩٧٢، ارتفع نصيب المكسيك في تزويد سوق الهيرويين الامريكية بما يراوح بين ٤٠ و٨٩ في المئة من استهلاكها خلال ثلاث سنوات، كما ارتفع نصيبها في تجارة الماريوانا من ٣٠ الى ٧٠ في المئة. وقد خلفت هذه الممارسات غير المشروعة، والتي قاربت حصيلتها المليار دولار، موجة طاغية من التمرد على القانون والعنف والفساد في كلا البلدين.

ولقد قدمت الولايات المتحدة الى المكسيك مساعدة بقيمة ٧٧ مليون دولار، اشتمل معظمها على طائرات هليكوبتر وطائرات صغيرة وتدريب للطيارين، وذلك لاتلاف آلاف الهكتارات من الخشخاش والماريوانا

٢٠٠ مليـون دولار للغـرض نـفسـه. وجاءت النتيجة مرضية، اذ انخفض نصيب المكسيك في سوق الهيروييين الامريكية الى ما دون الـ٥٠ في المئة، وفي سوق الماريوانا الى نحو ٢٥ في المئة.

لكن المعضلة لا تزال قائمة. فكثير من المكسيكيين يرون في تجارة المخدرات مشكلة تخـص الولايـات المتحـدة وحدهـا، ويمتعضـون مـن الخسارة الناجمة عن ابادة المخدرات، مدعين ان هذه التجارة تعود على الولايات المتحدة بأرباح تفوق حصة المكسيك منها.

□ الخضر والمياه:

هناك مشكلة اخرى ذات اهمية بالنسبة الى البلدين، وان تكن اضيق نطاقاً، هي تسهيل ادخال الخضر الشتوية المكسيكية السوق الامريكية. وهناك الى جانب ذلك المشاكل المتعلقة بالمياه مثل القاء النفايات المكسيكية من دون رقابة في مجاري المياه العامة المتجهة الى الولايات المتحدة، وملوحة نهر كولورادو لدى دخولـه المكسيـك، والـخـلاف على اقتسام مياه ريو غراندي.

ان اياً من تلك القضايا لم تحل على نحو يرضي كلا الجانبين. غير ان هناك لجاناً ثنائية تعقد اجتماعات دورية في مدينتي مكسيكو وواشنطن سعياً الى معالجة تلك المسائل.

انه لمن الواضح ان حلول مشاكل المكسيك لا تكمن في اكتشاف حقول نفط جديدة. فالمكسيك لا يزال، منذ عهد الامبراطور مونتيزوما، بلداً غنياً يسكنـه شعـب فقيـر ابـي. ويقـول الروائـي المـكسيـكـي فـي هـذا الصدد: "ان المكسيك امة وليس بئر نفط".

■ سميث هيمستون

ظهر العنوان الآتي على احدى الوثائق الاشتراعية لولاية نيويورك: "التقرير السنوي السادس عشر للجنة التحقيقات الموقتة في ولاية نيويورك".

و.م.

تخطيط في محله

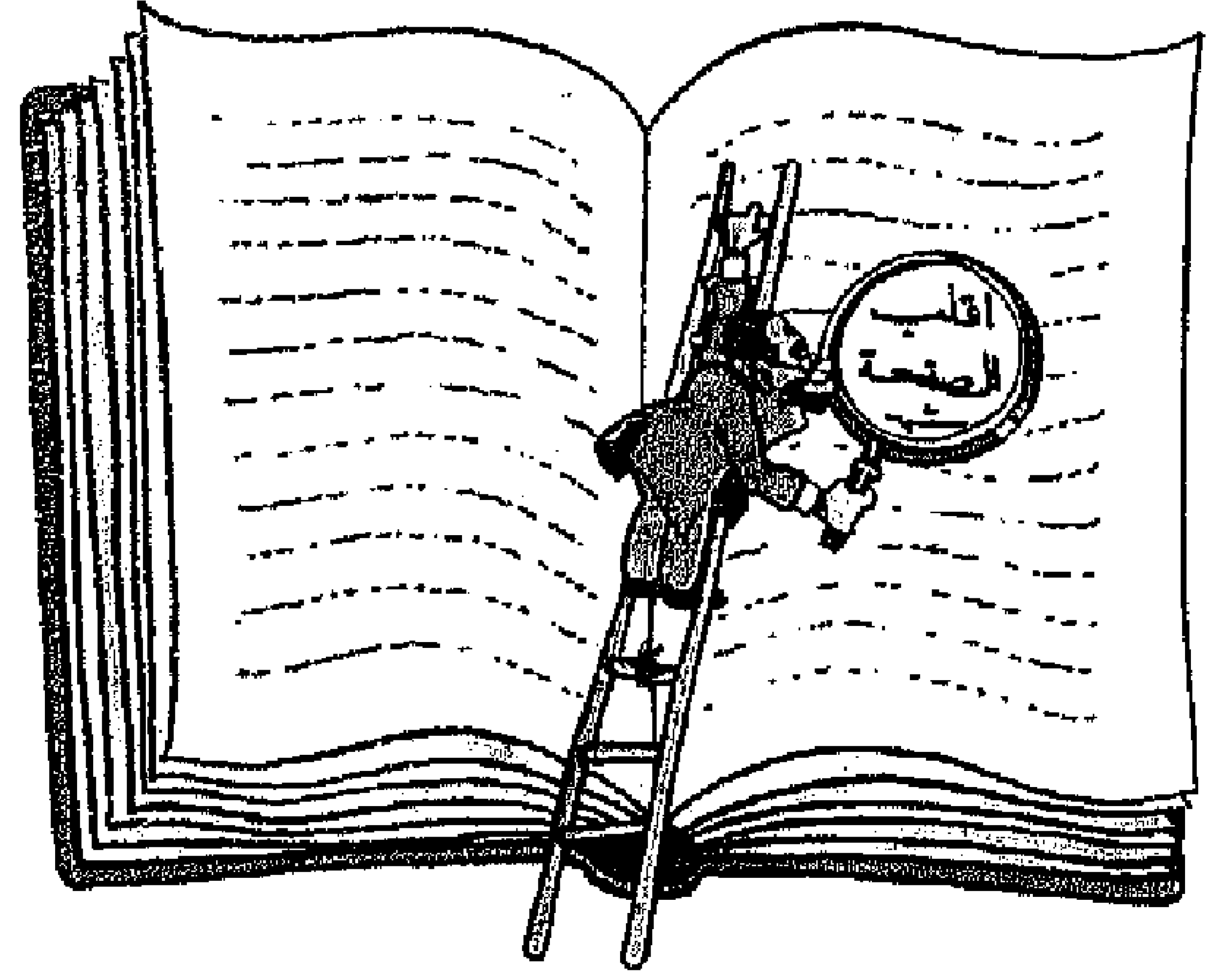
ظهر العنوان الآتي في مجلة "التخطيط" الاسبوعية: "نعتذر عن عدم صدور "دليل التخطيط" حتى الآن، وذلك لان الدليل سيكون اضخم كثيراً مما كان مخططاً له اصلاً، وستستغرق طباعته وقتاً اطول مما كان متوقعاً".

صحيفة "ديلي تلغراف"، لندن

توقيت ابدي

حاول بول هنسيكر، رئيس دائرة التربية السابق في جامعة ميشيغان الامريكية، الاجابة عن السؤال الآتي: "ما هي اشق الرياضات؟"، وذلك بمقارنة ٤٤ رياضة بدنية مختلفة من حيث تلبيتها شروط التناسق والجلد والمرونة وخفة الحركة والتوازن والذكاء والابداع. وكانت اجابته: اليا لبه.

ك.و.



دائرة المعارف

كلمات الدائرة في هذا العدد اصطلاحات طبية وردت في "المختار".

وقد وُضع امام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها فقط صحيح. والمطلوب من القارىء ان يختار المرادف او المعنى الذي يعتبره صحيحا، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **عقّار**: صيدلي - دواء - انبوب زجاجي - طبيب.

٢. **حِمْيَة**: حمّى - حرارة الدم - علاج - نظام غذائي.

٣. **مِبضَع**: آلة حادة - حقيبة الطبيب - مرآة - مُخدِّر.

٤. **دُوار**: مستشفى - أزمة قلبية - دوخة - ديدان صغيرة.

٥. **بُيَيْضَة**: دَرَنة - خلية تناسلية - خصْية - مؤخر القدم.

٦. **مسامّ**: شرايين - سموم - شعيرات في القصبة الهوائية - ثقوب.

٧. **نِقْرِس**: جَرَب - ربو - حكاك - ورم في القدم.

٨. **وِحام**: شهوة الى الطعام - تسمّم - استئصال عضو - ولادة.

٩. **نسيج**: غشاء الخلية - ورم - مجموعة خلايا - قطْب الجرح.

١٠. **استسقاء**: فقر دم - تجاويف مصلية - اسهال - نقل الدم.

١١. **سَعْرة**: حمّى - التهاب - داء الكَلَب - سعال.

١٢. **فِطام**: سن البلوغ - منازعة - توقف الرضاعة - قطع حبل السُرّة.

١٣. **غَثَيان**: مرض قلبي - تقيؤ - تخدر العضلات - غيبوبة.

١٤. **مِجْهَر**: ميكروسكوب - نور قوي - مُمرّض - صورة بالاشعة.

١٥. **رُعاف**: نزيف - زكام - سمّ قاتل - اغماء.

١٦. **شقيقة**: امعاء - اصابع اليد - صداع - عضو اصطناعي.

١٧. **هرمون**: مصل - فيتامين - خلية تناسلية - افراز.

١٨. **مَخاض**: اسهال - طَلْق - صوت من المعدة - لُعاب.

١٩. **عُنّة**: عجز جنسي - عنين - ألم - حقنة.

٢٠. **سَحايا**: ديدان - مرض عضال - فطر - اغشية الدماغ.

٢١. **تشنُّج**: ارتخاء العضلة - ارتعاش - خلل عصبي - شلل.

٢٢. **سَلى**: خَرَف - سلّ - غلاف الجنين - سويداء.

٢٣. **وريد**: رئة - عرق - صمام في القلب - عصَب.

٢٤. **نَدبة**: اثر الجرح - ثؤلل - كفن الميت - جراحة.

٢٥. **جُذام**: طاعون - حكاك - تساقط الشعر - داء كالبرص.

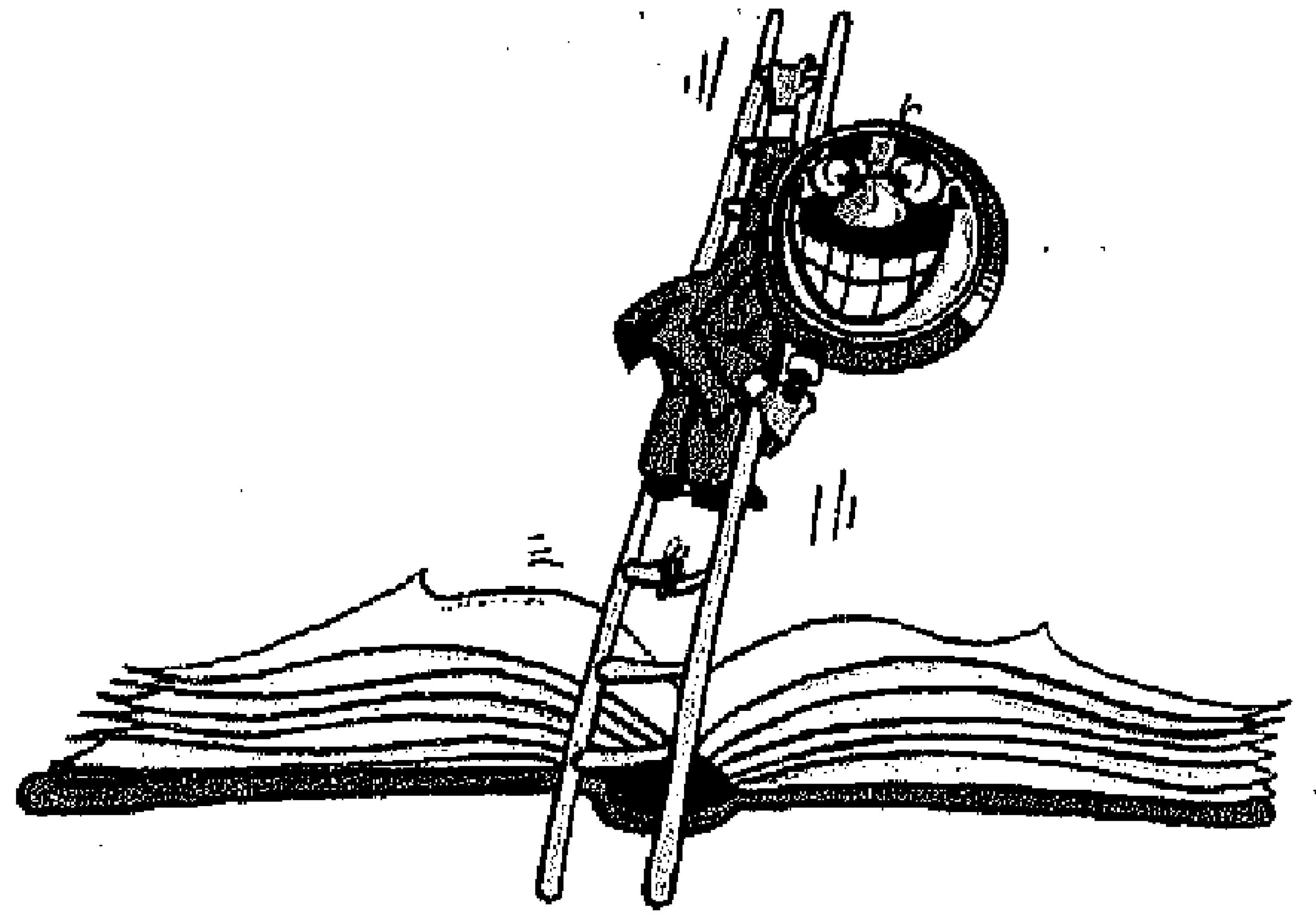
٢٦. **درَقية**: حنجرة - عظمة في الاذن - غدّة - كلية.

٢٧. **تشخيص**: تمييز المرض - تصوير بالاشعة - معاينة - انفصام الشخصية.

٢٨. **يرَقان**: أرق - ديدان - تصبب العرق - اصفرار.

٢٩. **فصْد**: جنون - شق العرق - تمزّق العضل - تخثر الدم.

٣٠. **زرَق**: اختناق - مرض في العين - افراز - بؤبؤ.



الأجوبة الصحيحة

۰۱ عقّار: دواء، وتعني الشجر احيانا، جمعه عقاقير.

۰۲ حِمية: منع المريض عما يضره من طعام. يقال: المعدة بيت الداء والحمية رأس كل دواء.

۰۳ مِبْضع: آلة يشق بها الجلد وما شاكله من الانسجة.

۰٤ دُوار: شبه دوران يأخذ بالرأس ويعرف بالدوخة.

۰٥ بُيَيْضة: خلية تناسلية انثوية تنشأ في المبيض.

۰٦ مسامّ: ثقوب ومنافذ في الجلد، مفردها سَمّ.

۰۷ نِقْرِس: ورم يحدث في مفاصل القدم، خصوصا في ابهامها.

۰۸ وِحام: اشتداد شهوة الحبلى لبعض المآكل.

۰۹ نسيج: مجموعة خلايا ذات وظيفة مشتركة.

۱۰ استسقاء: تجمع المصل في تجاويف الجسد او خلاياه.

۱۱ سَعْرة: سُعال. سَعْرة: وحدة حرارية.

۱۲ فِطام: فصل الولد عن الرضاع، فهو فَطيم.

۱۳ غَثَيان: ميل الى التقيؤ - غثي الكلام: خلطه.

۱٤ مُجْهِر: آلة بصرية تشتمل على عدسات وترى فيها الدقائق مكبرة. أيضا مجهار.

۱٥ رُعاف: نزف الدم من الانف. الرواعف: الرماح لسيلان الدم منها.

۱٦ شَقيقة: ألم في منتصف الرأس. الشقيق: نصف الشيء اذا شق نصفين.

۱۷ هرمون: مادة تفرزها الغدد الصماء فتسري في الدم وتؤثر على عمل الاعضاء.

۱۸ مَخاض: طلْق أو وجع الولادة. امتخض الجنين: تحرك في بطن أمه.

۱۹ عُنّة: عجز جنسي.

۲۰ سحايا: أغشية الدماغ. مفردها سحاءة او سحاية.

۲۱ تشنّج: تقلص يصيب العصب فيمنع العضلة من الانبساط.

۲۲ سَلى: غلاف يضم الجنين. جمعها أسلاء.

۲۳ وريد: وعاء دموي ينقل الدم من الجسم الى القلب.

۲٤ نَدبة: اثر الجرح على الجلد. ايضا نَدَب.

۲٥ جُذام: داء كالبرص يسبب تساقط اللحم والاعضاء. سمي بذلك لتجذّم الاصابع وتقطعها.

۲٦ دَرَقية: غدّة صمّاء في العنق.

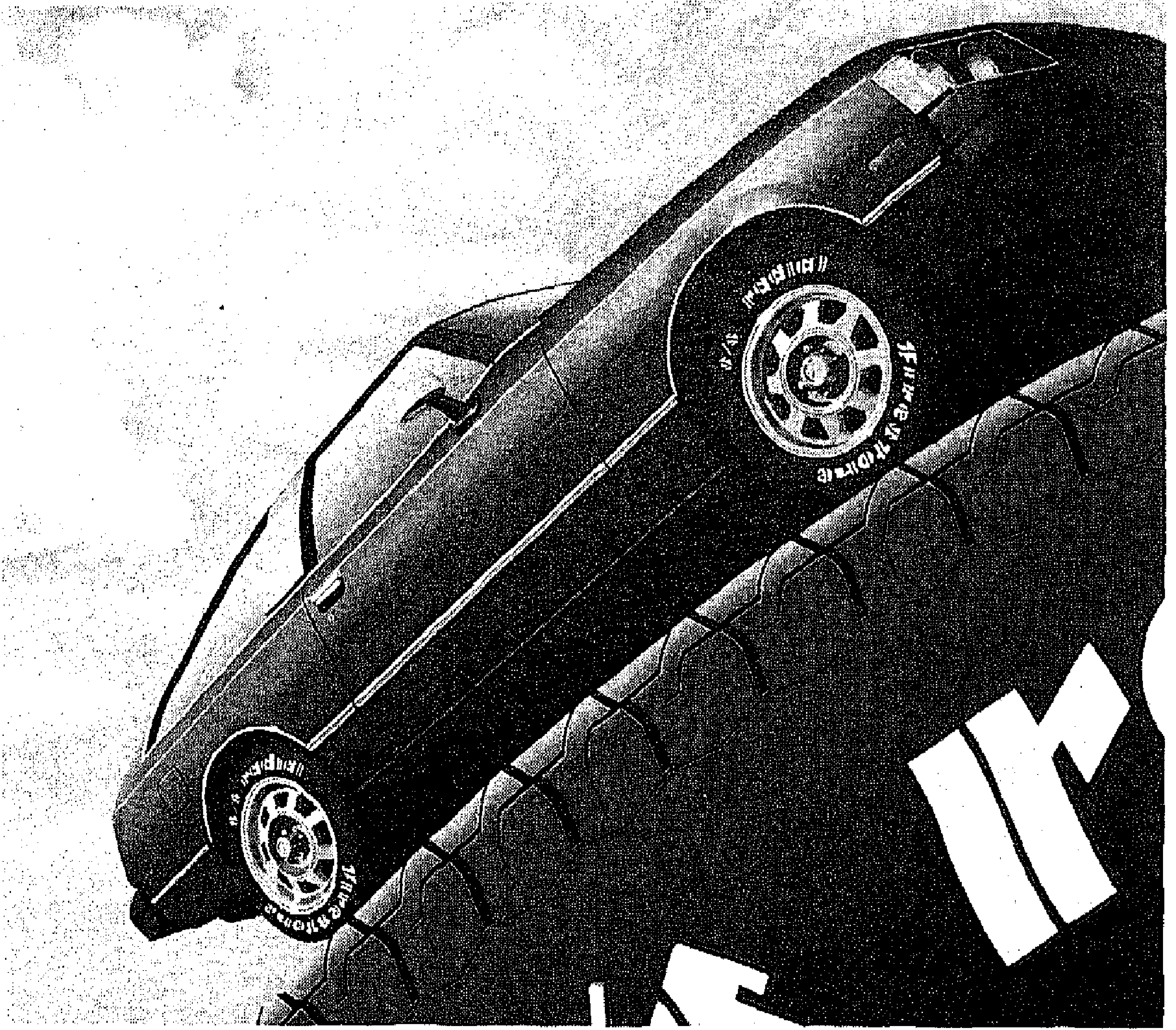
۲۷ تشخيص: تمييز المرض عن سواه.

۲۸ يرَقان: مرض يرافقه اصفرار الجلد. يرقان: دود يسطو على الزرع.

۲۹ فَصْد: شقّ عرق المريض. ايضا فصاد. تفصّد الدم: سال.

۳۰ زرَق: مرض يصيب العين.

المستوى	
	۲٥ - ۳۰: ممتاز
	۱۹ - ۲٤ جيد
	۱۳ - ۱۸: مقبول



هديـة من فـايرسـتون

أعبر الطرق انيقاً مع اطارات س/س من فايرستون، تلك الاطارات العريضة تلامس الارض بعنف لتلتهم المسافات، انها الإطارات المثلى للقيادة القوية.

اطارات س/س متفوقة في متانتها، صممت الكترونياً لفعالية أكبر وجودة لا تضاهى، كما أن الحروف البيضاء على الاطار تلفت الانظار وتثير الاعجاب.

تفحص اطارات س/س الجديدة، انها ضخمة وأنيقة.

يعكس مظهرها الرائع عظمة ادائها، وهي تصلح للسيارات الصغيرة والكبيرة، انها هدية فايرستون اليك.

Firestone
INTERNATIONAL COMPANY

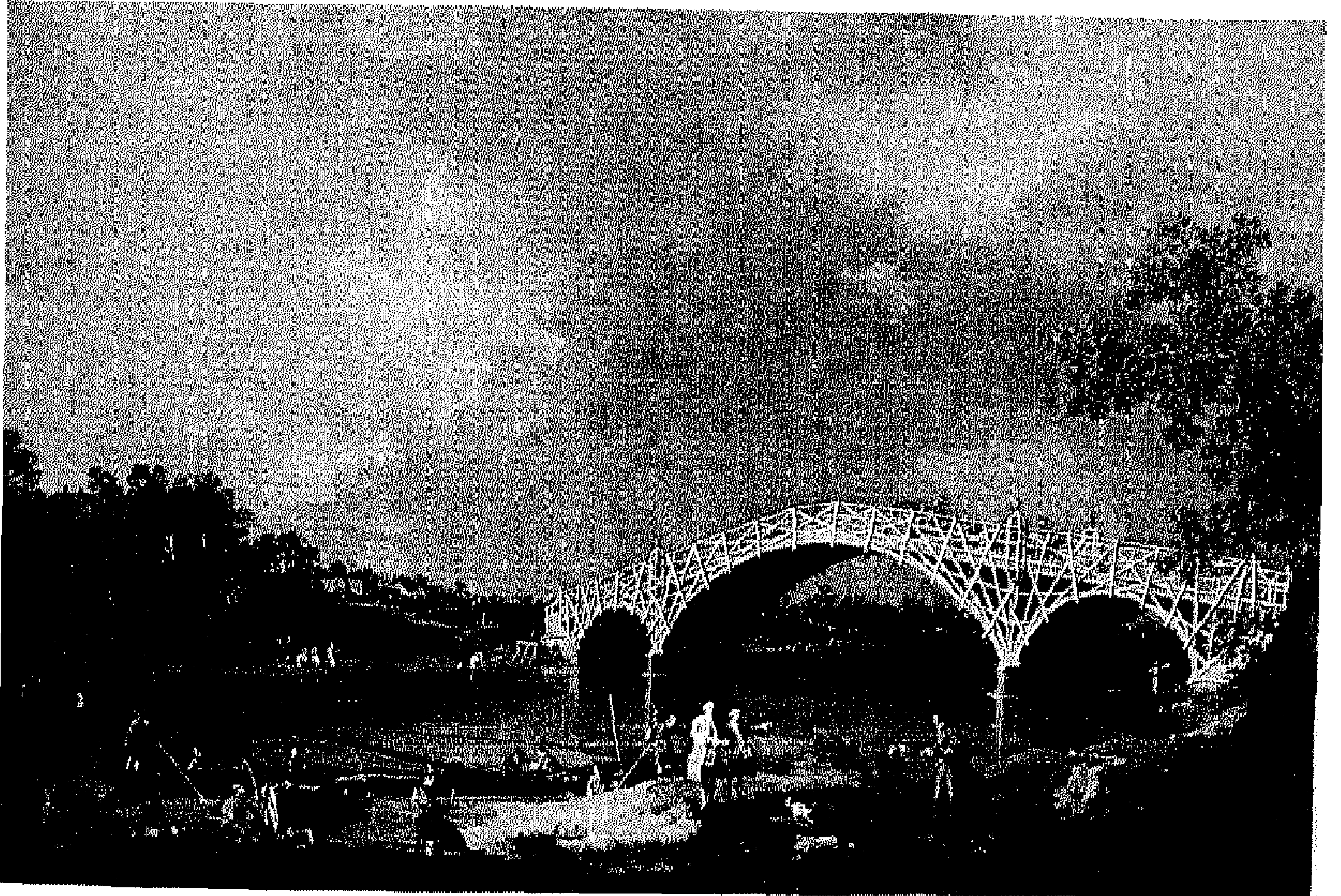
S/S Radial

من روائع الكبار

في أروقة هذا المعرض العظيم، يستطيع أي كان ان يتعلم تذوق الفن

في احدى ليالي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٦، اقتحم لصوص صالة عرض اللوحات التابعة لكلية داليتش جنوب لندن، وتمكنوا من تحقيق أكبر عملية سطو فني. لقد أخذوا معهم ثلاثاً من لوحات رمبرانت وثلاثاً من روبنس وواحدة من إلشايمر وواحدة من جيرار دو، تتجاوز قيمتها مجتمعة مليوني جنيه استرليني. لكن معلومات سرية من مخبرين مكنت رجال سكوتلانديارد من اعادة ثلاث لوحات، وبعد فترة وجدت اللوحات الاخرى متروكة في مكان مهجور.

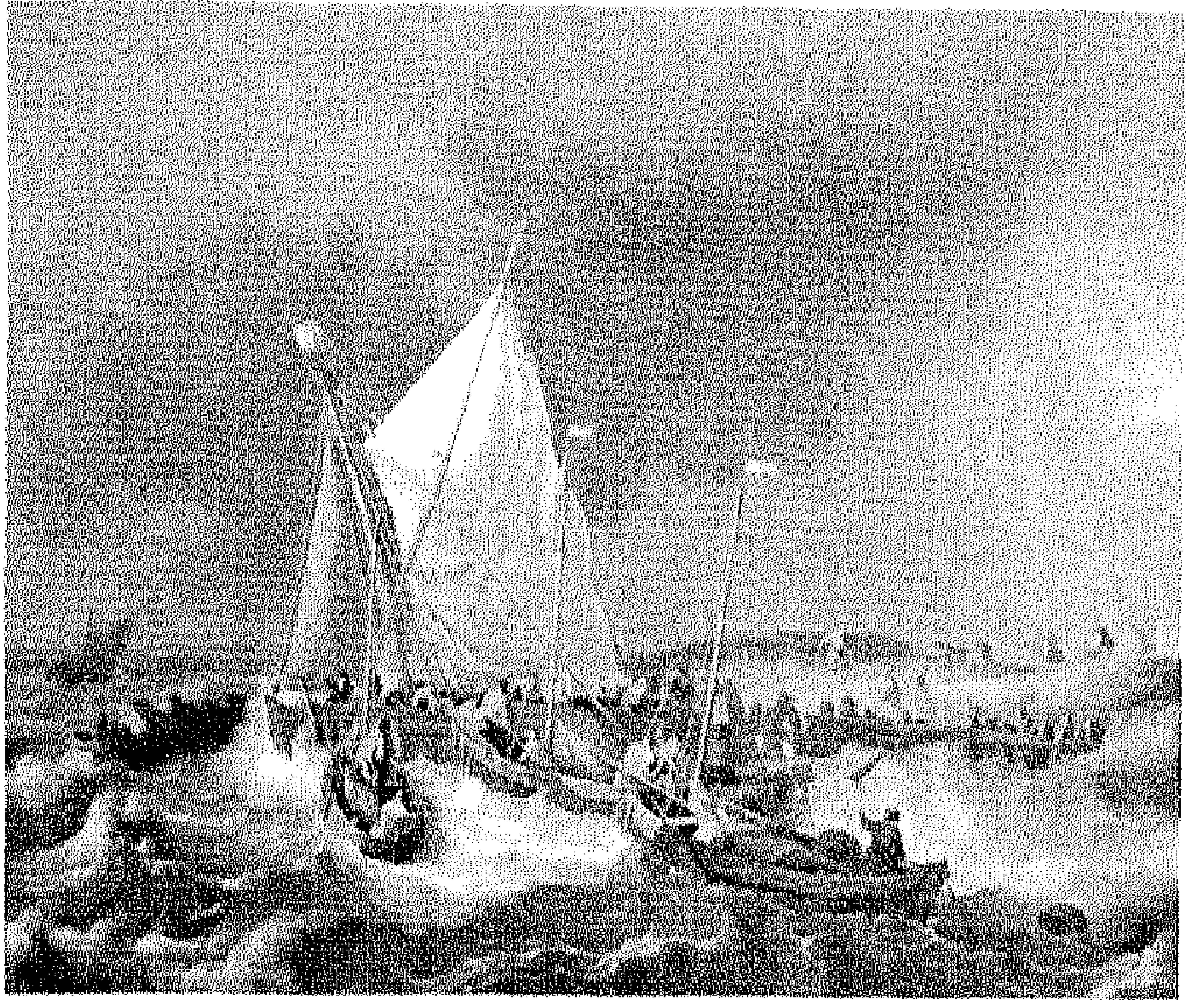
"كانت تلك اللوحات حارة جداً ◄



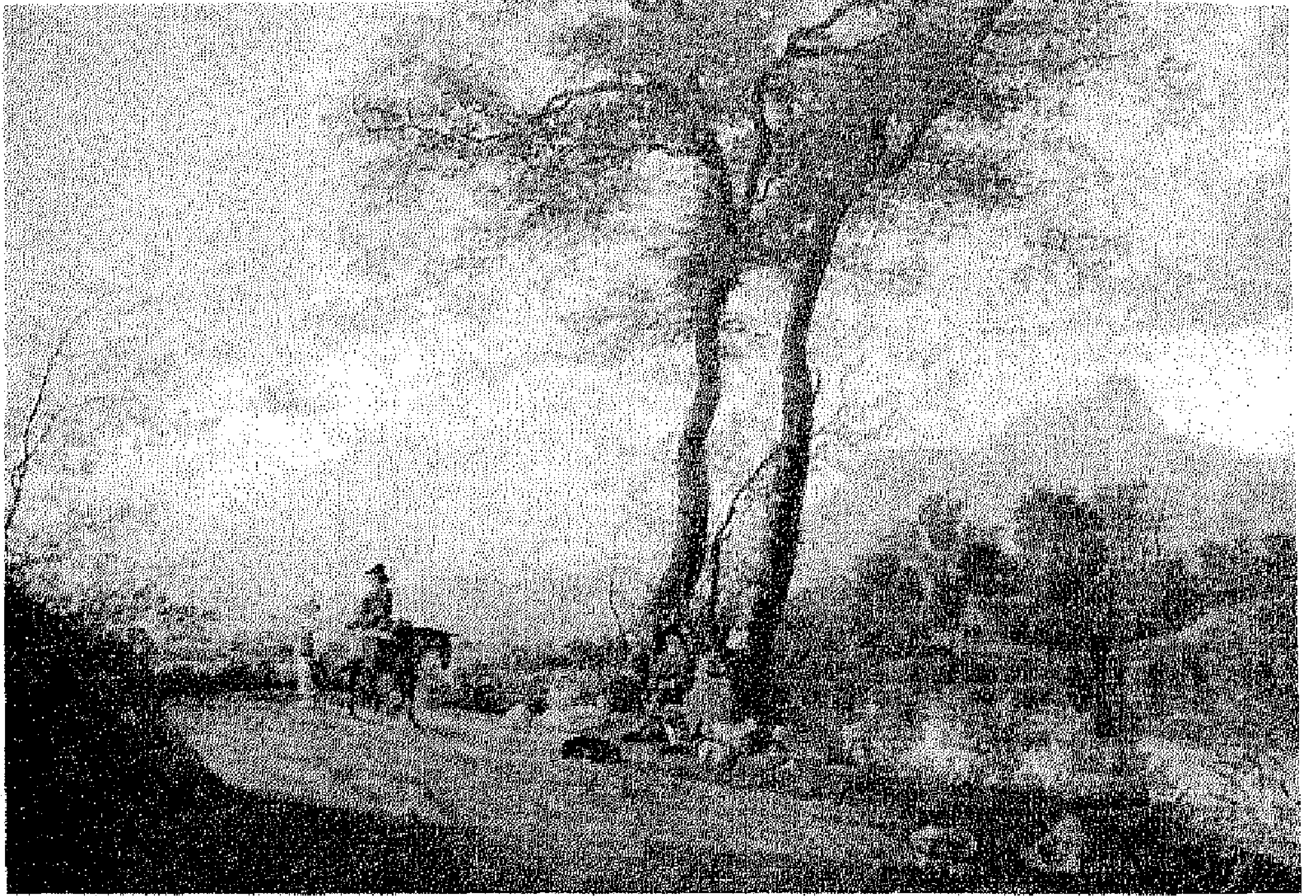


"فتاة على النافذة" لرمبرانت فان رين (١٦٠٦ – ١٦٦٩)، أعظم رسامي المدرسة الهولندية. هذه اللوحة تعتبر واحدة من الدراسات النادرة لوجوه الاطفال التي قام بها الفنان. وهي كانت من بين الروائع الثماني التي سرقت من معرض دالبتش عام ١٩٦٦.

"جسر والتون القديم"، من أعمال كاناليتو (١٦٩٧ – ١٧٦٨).
والفنان الذي اشتهر بالمناظر التي رسمها لموطنه الاصلي في البندقية،
عمل أيضاً في لندن مدة تسع سنوات، رسم خلالها مناظر عدة لنهر التايمس.



"قوارب في العاصفة"، للرسام لودولف بوخيزن (١٦٣١ ـ ١٧٠٨)، المشهور بالمناظر البحرية الهولندية. ومن المعتقد ان تيرنر، الرسام الانكليزي المعروف، تأثر بهذه اللوحة المليئة بالحركة والجو المأسوي.



"طريق النهر"، لألبرت جيب (١٦٢٠ ــ ١٦٩١) الذي سحرته مناظر الريف الهولندي.



"العودة من مصر"، واحدة من سبع لوحات يملكها المعرض لنيكولاس بوسان (١٥٩٤ ــ ١٦٦٥)، وهو الرسام الفرنسي الاول، بلا منازع، للمواضيع الانجيلية والكلاسيكية.

"حفلة قروية"، لانطوان واتو (١٦٨٤ ــ ١٧٢١)، رسام البلاط في عهد لويس الخامس عشر، هذه اللوحة كانت من أفضل ما استحوذ على الرسام كونستابل.

تحرق يد حاملها، مما جعل انتقالها من يد الى يد متعذراً"· هذا التشبيه استعمله ديفيد بانويل، سكرتير الكلية وامين صالة العرض،واصفاً الوضع· وأضاف:"من غير الممكن بيع لوحات كلية داليتش،لأن لكل تاجر لوحات يعرفها· فصالة عرض الكلية تحتوي على أجمل مجموعة فنية وأكثرها أهمية بين جميع المعارض الخاصة"·

الى هذا، فالصالة من أقدم المعارض الفنية الخاصة، اذ افتتحت عام ١٨٤١· وكان من روادها الدائمين الكتاب جون راسكين ووليم هازليت وروبرت براونينغ وتشارلز ديكنز· ويروى ان رئيس الوزراء البريطاني بنجامين دزرايلي، لشدة ما استحوذت عليه لوحات موريللو، أصر على صديق له كي يزور معرض داليتش بقوله:"أسرع يا صديقي! وللمرة الاولى في حياتك اعرف كيف يكون الفنان الكبير"·



"بائعة الزهر"، واحدة من أربع لوحات لبارتولوميو استيبان موريللو (١٦١٨ - ١٦٨٢) موجودة في داليتش· وموريللو من مؤسسي أكاديمية سيفيل· وقد اكتسبت رسوم الاطفال التي وضعها شعبية واسعة، مما جعل منافسيه يقتبسون سريعاً ما دعي "اسلوب موريللو الدافيء"·



"السيدة سيدونز في خلوة فكرية"، للسير جوشوا رينولدز (١٧٢٣ - ١٧٩٢)، وهو خلف فان دايك كأشهر رسام للوجوه في انكلترا، والرئيس الاول للأكاديمية الملكية·

اما الكثيرين ممن يزورون المعرض اليوم فيدهشهم ان يشاهدوا مجموعة فنية معروفة عالمياً، تتجاوز قيمتها ٤٠ مليون جنيه استرليني، معلقة على جدران كلية خاصة تقبع فيضاحية هادئة. ومن فرط دهشتهم، تسمعهم يهمسون وهم ينتقلون من لوحة الى اخرى:"رائع! رائع!" وليس هذا غريباً حين نعرف ان غرف المعرض الاثنتي عشرة تزهو بلوحات لرسامين كبار أمثال كانا ليتو وغينزبورو



وهوغارث ورافايل ورومني وفان دايك.

وبين صور الاشخاص والمناظر الطبيعية الحالمة والمشاهد البحرية، تبرز قطع فنية نادرة، لكل منها قصة، مثل لوحة بوسان "العودة من مصر" التي يظهر فيها المسيح طفلا ينظر الى صليب يحمله ملاك، ولوحة واتو "حفلة قروية" التي تصور مشهداً معبراً عن اناقة القرن الثامن عشر، والتي وصفها الرسام كونستابل بقوله:"كأنها ملونة بالعسل، رقيقة وناعمة وشهية".

تم جمع هذه اللوحات النادرة من هدايا وهبات عبر ٣٥٠ سنة. وكانت الخميرة ٣٩ لوحة تخص مدير مسرح يدعى ادوارد ألين، وتشتمل على صور شخصية لرسميين مثل وليم الفاتح وهنري الثامن. وقد أمر ألين في وصيته بمنحها للكلية "المخصصة لاثني عشر طالباً فقيراً" التي كان أوجدها في داليتش.

ملك بولونيا – وفي مطلع القرن التاسع عشر، حصل المعرض على هبة من ٣٧٠ لوحة لرواد كبار، كان تاجر اللوحات نويل ديزنغان اشتراها لملك بولونيا ستانيسلاوس الذي أراد اقامة متحف بولوني قومي. لكن الملك، لسوء حظه، اضطر الى التنازل عن العرش قبل تحقيق أمنيته. فتحولت اللوحات الـ٣٧٠ الى معرض داليتش، مضيفة الى مجموعته قطعاً فنية تعتبر من أجمل ما يملك وأثمنه، بينها لوحة

"وليم رصل، دوق بدفورد الاول"، لوحة للرسام الفلمنكي السير أنطوني فان دايك (١٥٩٩ – ١٦٤١). انتقل فان دايك ليستقر في انكلترا عام ١٦٣٢، ومنحه تشارلز الاول لقب فارس، كما عينه رساماً للبلاط.

رمبرانت الشهيرة "فتاة على النافذة".

ورغبة منه في ايجاد مكان لائق بهذه المجموعة الفنية المتنامية، وضع السير جون سون، استاذ العمارة في الاكاديمية الملكية، تصميم مبنى جديد للمعرض. وافتتح المبنى عام ١٨١٤، وهو يضم الآن ٦٠٠ لوحة. ويصف رئيس الاكاديمية الملكية السير هيو كاسون هذا المبنى الكلاسيكي البسيط بأنه "تحفة فنية فريدة".

هناك أجيال من الفنانين تعرفت عن قرب الى لوحات معرض داليتش. ففي الفترة التي كان اقتباس لوحات الفنانين الكبار يشكل جزءاً من تعليم الفن، كانت مجموعة من اللوحات ترسل دورياً الى الاكاديمية الملكية.

ومع ان نقل اللوحات لم يعد الاسلوب المتبع في التعليم منذ ثلاثينات القرن الحاضر، فلا يزال فنانو اليوم مدينين لمعرض داليتش وعلى استعداد لرد الجميل. فحين احتفل ٧٠٠ من أصدقاء المعرض الخلص في نوفمبر (تشرين الثاني) الماضي باليوبيل الفضي لتأسيس هيئتهم، عرضوا للبيع أعمالا من انتاج ٣٥ فناناً بريطانياً معاصراً. وسيعود ريع المبيعات لصيانة اللوحات وادخال تحسينات على المعرض. ومن الفنانين الذين اشتركوا في هذه الحملة هنري مور وديفيد هوكني ورولاند هيلدر واكثر رسامي بريطانيا شهرة.

■ جون هارمان

خاص

رجوع الرّوح

ملخّص من كتاب
بقلم رايموند مودي

رجوع الروح

مؤلف هذا الكتاب دكتور في الفلسفة وفي الطب٠ وهو كرس معظم جهده لدراسة "خبرة الموت" لدى اناس اعيدوا الى الحياة بعد تأكيد وفاتهم طبياً٠ وقد سجل مقابلاته لاولئك الناس في عدد من الكتب والمقالات (راجع "المختار"، يوليو/ تموز ١٩٧٩)، وخرج بتحليلات ومقارنات ونتائج طريفة٠

حول هذا الكتاب تقول الدكتورة اليزابيث كوبلر ـ روس، مؤلفة كتاب "في الموت والنزاع" والمختصة في العناية بالاشخاص الذين ينازعون الموت:"اهنىء الدكتور مودي لجرأته على نشر النتائج التي توصل اليها"٠

في السنوات الاثنتي عشرة الماضية، قابلت عدداً كبيراً من الاشخاص الذين اختبروا ما اسميه "مشارفة الموت"٠

التقيت اول هؤلاء عام ١٩٦٥ عندما كنت طالب فلسفة في جامعة فرجينيا وكان هو استاذاً للطب النفسي في الجامعة٠ وكان للطفه ومودته ومرحه اثر كبير في٠ وعلمت في ما بعد انه "مات"، وسمعته يقرأ وصفاً مذهلا لما حل به على مجموعة من الطلاب المهتمين بالامر٠ وكان لما سمعته وقع قوي في نفسي، ولكن لم تكن لدي آنذاك الثقافة التي تؤهلني للحكم على خبرات من ذلك النوع٠ غير أني حفظت ما سمعته في ذاكرتي، كما سجلته على شريط٠

وبعد مضي سنوات على ذلك اللقاء ـ وكنت قد نلت درجة الدكتوراه في الفلسفة واصبحت محاضراً في احدى

جامعات ولاية كارولينا الشمالية - اقترح احد الطلاب ان نبحث مسألة خلود الروح. وكان اهتمامه بالامر عائداً الى ان جدته "توفيت" خلال عملية جراحية، ثم وصفت خبرة مدهشة مرت بها تكاد تطابق ما رواه استاذ الطب النفسي قبل سنوات.

هذا حملني على اختيار قراءات تدور على بقاء الحياة البشرية بعد الموت واضافتها الى مواضيع الفلسفة التي اعلمها، مع حرصي على عدم ذكر التجربتين الآنفتين. ولشد ما دهشت حين وجدت في معظم الصفوف التي اعلمها، والتي يضم الواحد منها ثلاثين طالباً او اكثر، ان طالباً واحداً على الاقل كان يأتي الي بعد الدرس ليقص علي خبرة شخصية من هذا القبيل.

وفي العام ١٩٧٢ عدت الى الجامعة طالباً بهدف الحصول على درجة في الطب. وكنت قد جمعت عدداً من التقارير حول خبرات "مشارفة الموت" ودرستها لماماً. ودعاني صديق الى تقديم حديث عنها امام جمعية طبية. وتلا ذلك احاديث عامة أخرى. وبعد كل حديث كان يأتي الي شخص ليروي كيف "مات" وعاد.

وقد تجمع لدي نحو ١٥٠ تقريراً من هذا النوع، تقع في ثلاث فئات مختلفة:

١. خبرات الاشخاص الذين اعيدوا الى الحياة بعدما قرر الاطباء المشرفون عليهم انهم ماتوا.

٢. خبرات الاشخاص الذين كانوا على قيد خطوة من الوفاة بعد حادث او مرض او جرح بليغ.

٣. خبرات رواها اشخاص على أسرة الموت لاناس كانوا يلازمونهم. وقد قص علي هؤلاء ما سمعوه لاحقاً.

وتبين لي ان التقارير المدرجة تحت النوع الاخير تتلاءم والتقارير المدرجة تحت النوعين السابقين وتكملها. لكن النتائج التي توصلت اليها تكاد تكون مستمدة جميعاً من التقارير الاولية، أي التي رواها اصحابها لي مباشرة.

وعلى رغم تنوع الظروف المحيطة بخبرات الاشراف على الموت والاختلاف بين الاشخاص الذين يعانونها، الا ان هناك شبهاً لافتاً بين الروايات التي تصف الخبرات نفسها. وبناء على نقاط الشبه هذه، سأحاول تصميم خبرة نموذجية تحوي هذه العناصر. ويجدر التنبيه الى اني لم اجد بين الاشخاص الذين قابلتهم واحداً اجتمعت العناصر كلها في روايته. ولكن، من ناحية اخرى، ليس في روايتي اي عنصر لم يرد في روايات عدة. واليكم الرواية النموذجية:

هناك شخص على سرير الموت، يبلغ الحد الاقصى من العياء الجسدي فيتناهى الى سمعه كلام طبيبه معلناً وفاته. وللحال يسمع اصواتاً مزعجة يخالطها طنين، وفي الوقت نفسه يحس بأنه يتحرك مسرعاً عبر نفق طويل مظلم.

وفجأة يجد نفسه خارج جسده المادي، ويجد ذلك الجسد على مسافة منه. ويراقب عملية اعادة الحياة الى جسده. أما هو نفسه فلديه "جسد"، ولكن ذو طبيعة مختلفة كلياً وذو طاقات بعيدة جداً عما كان للجسد الذي انفصل عنه.

ولا يلبث ان يأتي خرون لنجدته. ويلمح ارواح الاقرباء والاصدقاء الذين ماتوا قبله. وتظهر قبالته روح ودودة محبة تشع من كائن نوراني. ويطرح عليه هذا الكائن سؤالا من غير كلام، يحضه على تقييم أفعاله ويساعده باعادة الاحداث البارزة التي ميزت حياته.

ثم يجد نفسه مقترباً من حاجز يبدو انه الحد الفاصل بين الحياة الارضية والحياة الاخرى. ويشعر بانه يود العودة الى الارض وان ساعة وفاته لم تحن بعد. لكنه يقاوم ذلك الشعور لأنه يكون قد استطاب ما عاينه في العالم الآخر الى حد لا يريد معه العودة. ويغمره شعور قوي بالغبطة والمحبة والسلام. ولكن على رغم موقفه هذا، يجد انه، بطريقة ما، عاد الى جسده وعاش من جديد.

ويحاول في ما بعد ان يخبر الآخرين بما عاينه وعاناه، لكنه يجد صعوبة في ذلك، ويعجز عن وجود الكلمات الملائمة لوصف تلك الخبرة المنعتقة من المادة. كما يكتشف ان الآخرين يهزأون بما يقوله، فيكف عن روايته. الا ان الخبرة التي عاشها تبقى ذات اثر عميق في حياته.

احاسيس غريبة

في حالات كثيرة، روي عن اصوات متعددة غير عادية رافقت الوفاة او سبقتها. واحياناً كانت تلك الاصوات غاية في الازعاج. ويقول رجل بقي ٢٠ دقيقة "ميتاً" خلال جراحة لبطنه: "سمعت طنيناً آتياً من داخل رأسي جعلني في ذروة الانزعاج".

وروت امرأة انها، وهي تفقد الوعي، سمعت "صوتاً قوياً يمكن ان يسمى طنيناً".

لكن هناك حالات يكون فيها الصوت رائعاً وذا نغم أنيس. ومن هذا القبيل ما يرويه رجل اعيد حياً بعدما قيل انه مات فور بلوغه المستشفى، وهو انه، خلال "موته"، سمع "رنين اجراس آتياً من البعيد".

وقد قابلت اشخاصاً لازم سماع الاصوات في خبرتهم شعور بأنهم يسحبون بسرعة ضمن حيز مظلم. وسمعت بعضهم يصف هذا الحيز بأنه كهف او بئر او حوض او حظيرة مسيجة او نفق او معبر لتصريف الماء أو واد. ولكن كان واضحاً ان جميع الاشخاص المعنيين ارادوا التعبير عن الفكرة نفسها.

ومن الذين اشرفوا على الموت واحد ربط خبرته تلك بعقائده الدينية:

"فجأة وجدت نفسي في واد شديد الظلمة والانحدار. وبدا ان هناك معبراً أو طريقاً يشق الوادي وأني اتجه نحوه. وبعد صحوي راودتني الفكرة الآتية: "حقاً اني اعرف الآن ما يسميه الكتاب المقدس وادي ظل الموت".

ان الشخص المائت، بعد عبوره النفق، قد يجد نفسه ناظراً الى جسده المادي من مكان آخر، كما لو كان هو "شخصاً آخر في الغرفة"، او كما لو كان يراقب اشخاصاً "يتحركون على خشبة مسرح". وتتذكر امرأة ما يأتي:

"قبل نحو سنة أدخلت المستشفى بسبب اضطراب في القلب. وفي الصباح التالي، بينما كنت مستلقية على السرير، أحسست بألم حاد جداً

في صدري. ولم أقو على تحمل هذا الالم وانا نائمة على ظهري، فنمت على بطني. وللحال انقطع نفسي وتوقف قلبي عن الخفقان. وسمعت الممرضات يصرخن: "لقد ماتت! لقد ماتت!" وبينما هن يعلن ذلك، شعرت بأني اخرج من جسدي وانزلق بين الفراش وحافة السرير لأصل الى الارض. ثم بدأت انهض ببطء حتى بلغت المصباح الكهربائي الذي شاهدته بوضوح من جانبه. وبعد ذلك استقر بي المقام تحت سقف الغرفة مباشرة. ورحت انظر من عل، وخيل الي اني ورقة صغيرة نفخها احدهم الى السقف.

"وتابعت النظر اليهم وهم يحاولون اعادة الحياة الي. ورأيت جسدي ممدداً على السرير وهم يحيطون به. وسمعت ممرضة تقول: "لقد ماتت!" وانحنت اخرى لنقل الهواء من فمها عبر فمي، بينما كنت انظر الى مؤخر رأسها وهي تفعل ذلك. وفي تلك اللحظة شاهدتهم يجرون آلة الى الغرفة ويسحبون منها أسلاكاً يصلونها بصدري لاعطائي صدمة كهربائية. وحين فعلوا ذلكرأيت جسدي يقفز من السرير، وسمعت كل عظمة فيه تقرقع. وكان ذلك امراً رهيباً للغاية!"

ووصف شاب في التاسعة عشرة ما حدث له قبل سنتين وهو يوصل صديقه في السيارة الى منزله:

"وقفت ونظرت يميناً ويساراً، غير اني لم ار شيئاً. وما ان تابعت السير حتى سمعت رفيقي يصرخ بأعلى صوته. ورأيت الاضواء العالية لسيارة تسرع نحونا. ثم سمعت صوتاً مخيفاً لدى اصطدام سيارتينا. ولم تكد تمضي هنيهة حتى وجدت نفسي في مكان مظلم مغلق. وخيل الي اني أرتفع نحو متر ونصف متر فوق الشارع وأربعة أمتار ونصف متر بعيداً عن السيارة، فيما كان صدى الاصطدام يخفت ويتلاشى. وشاهدت الناس يتقاطرون حول السيارة، ورأيت صديقي يخرج منها والصدمة ظاهرة عليه. كما نظرت الى جسدي نفسه وسط الحطام وضمن ذلك الحشد من الناس وهم يحاولون ان يسحبوه خارجاً. وكانت ساقاي مرتخيتين والدم يغطيني ويملأ المكان".

ويسهل ان يدرك المرءان أفكاراً ومشاعر لا مثيل لها في الاحوال العادية تنتاب الاشخاص الذين يختبرون الموت. وهناك عديد من الناس يجدون فكرة الانفصال عن الجسد غير منطقية، حتى وهم يختبرون ذلك، الى حد انهم لا يربطون تلك الفكرة بظاهرة الموت. ويقفون متعجبين أمام ما يحصل لهم: كيف يمكنهم فجأة النظر الى انفسهم من مكان آخر كما لو كان الواحد منهم اثنين؟

وتتباين ردود الفعل النفسية حيال هذه الحال الغريبة تبايناً كبيراً. فمعظم الذين خبروها أخبروا ان الشعور الاول الذي راودهم كان رغبة جامحة في العودة الى أجسادهم، ولكن لم يعرفوا كيف يحققون ذلك. ويتذكر آخرون انهم شعروا بخشية بلغت حد الذعر.

"الجسد الروحي"

على رغم استثناءات قليلة، كان هناك اجماع بين معظم الذين قابلتهم

على انهم وجدوا انفسهم في جسد آخر لدى انعتاقهم من جسدهم المادي. وجدير بالذكر ان هذا "الجسد" هو أحد مظهرين او ثلاثة من مظاهر مشارفة الموت التي تكاد اللغة تعجز تماماً عن وصفها. ومعظم الذين اخبروني عن هذا الجسد بلغوا نقطة شعروا عندها بالخيبة لعجزهم عن المتابعة واعترفوا بأنه لا يمكن وصفه. ولكن مهما يكن الامر، فالروايات المتعددة عن هذا الجسد يشبه بعضها بعضاً الى حد بعيد. ولكي اجمل عناصر الشبه في عبارة واحدة، اتبنى تسمية استعملها اثنان من الذين قابلتهم، وهي "الجسد الروحي".

ويبدو أن الاشخاص المائتين يدركون وجود هذا الجسد اول الامر وهم في محدودياتهم المادية. وبعد الانفصال عن الجسد المادي يحاولون ان يطلعوا الآخرين على محنتهم، ولكن من دون ان يسمعهم او يراهم احد. ويقول احدهم:

"كان الناس يتوافدون من جميع الجهات للوصول الى الحطام. لكنهم كانوا يصلون من غير ان يبدو أنهم يلاحظون وجودي، اذ كانوا يتابعون السير وأعينهم شاخصة الى الامام. ولدى اقترابهم مني كنت احاول الهرب من طريقهم، لكنهم كانوا يتجاوزونني ويتابعون".

والظاهر ان المضي في هذه الحال، بعد التعود عليها، يغدو امراً سهلا للغاية. فالاشياء المادية لم يعد لها وجود لتعوق اي حركة، والذهاب من مكان الى آخر يضحي فورياً. الا ان جميع الذين اختبروا الجسد الروحي يجمعون على انه شيء او كيان من نوع ما، وان يكن وصفه مستحيلا. ومن التعابير التي استعملها بعضهم لوصفه: "غمامة"، "غيمة"، "قطرة بخار"، "قوة". وهناك اجماع على ان للجسد الروحي هيئة او شكلا، وكذلك اجزاء مماثلة لليدين والرجلين والرأس.

اما "السمع" في تلك الحال الروحية فلا تجوز تسميته سمعاً الا من قبيل المقارنة. ويقول معظم الذين قابلتهم ان ما سمعوه لم يكن حقاً اصواتاً مادية، من بشرية وسواها، بل كانوا يلتقطون افكار الناس الذين حولهم. وقد صرحت واحدة بالآتي:

"رأيت الناس من كل جانب وفهمت ما كانوا يقولونه لكني لم اسمعهم باذني كما اسمعك الآن، بل عرفت افكارهم بعقلي وليس بكلامهم. وكانت تبلغني في اللحظة التي يفتح احدهم فاه لينطق".

وليس غريباً انه بعد مضي وقت في هذه الحال، تنتاب المرء مشاعر عميقة بالانعزال والوحدة. وفي تصريح لاحدهم انه رأى كل من كان حوله في المستشفى، من غير ان يمكنه الاتصال بهم عن اي طريق. ويقول: "شعرت بوحدة موحشة". لكن هذه الافكار لا تلبث ان تضمحل، لأنه بعد حين يأتي آخرون لنجدته في مرحلة الانتقال تلك التي يجتازها. وتقول امرأة:

"اختبرت تلك التجربة حين كنت على سرير التوليد. وكان المخاض عسيراً جداً ونزفت دماً كثيراً. ونفض الطبيب يده مني وقال لأقربائي اني مائتة. لكن عقلي كان صاحياً طوال

الوقت· وحين سمعت ما قاله الطبيب شعرت بأني على وشك الموت· ودخلت غيبوبة تميزت بحضور كثيرين، بل رأيت حشوداً من الناس يحومون حول سقف الغرفة· وكانوا كلهم اشخاصاً عرفتهم، ولكن ماتوا قبلي· وكان بينهم جدتي وواحدة من زميلات الدراسة وأنسباء واصدقاء كثيرون· وخيل الي اني ارى وجوههم واحس بحضورهم، وانهم بدوا جميعاً مسرورين· وكان ذلك لقاء بهيجاً، شعرت فيه بانهم جاؤوا لحمايتي وارشادي· وكان ذلك شبيهاً بعودتي الى البيت وترحيبهم بقدومي· والحق انها كانت لحظة مفعمة بالجمال والمجد"·

الكائن النوراني

من بين جميع العناصر التي دونتها، هناك واحد هو اكثرها عصياناً على التصديق، وفي الوقت نفسه ذو اعظم اثر في الشخص الذي اختبره، وهو الوقوف امام نور عميم· هذا النور يبدو اول الامر باهتاً، لكنه يقوى بسرعة حتى يصبح لمعانه غير مادي· ولم يشك اي من الذين قابلتهم في ان ذلك النور كيان او كائن حقيقي، وانه ذو شخصية واضحة جداً· وكان يفيض محبة وحناناً يغمران الشخص المائت على نحو تعجز عن وصفه الكلمات، حتى ليشعر بأنه محاط تماماً بذلك النور وذائب فيه·

وهناك اجماع على حضور هذا الكائن النوراني· لكن تحديد صفاته يختلف من شخص الى آخر· ويبدو أن هذا الاختلاف راجع الى ثقافة الشخص الدينية·فمعظم المسيحيين وصفوه بأنه المسيح، بينما قال شخص مطلع على التوراة انه "ملاك"· وهناك شخص لم تكن لديه اي عقيدة او تربية دينية سابقة لخبرته تلك، وقد اكتفى بالقول انه رأى "كائناً من نور"·

وبعد ظهوره بقليل يبدأ هذا الكائن الاتصال بالشخص المعني· ويتم هذا الاتصال مباشرة عن طريق انتقال الافكار العفوي· ومعظم الذين قابلتهم قالوا انهم تلقوا أفكار هذا الكائن في شكل سؤال: "هل انت مستعد لكي تموت؟" او "ماذا تريد ان تريني من الامور التي فعلتها في حياتك؟" او "هل حققت شيئاً كافياً في حياتك؟"

ويصر الجميع على ان السؤال الموجه اليهم لا يحمل طابع الادانة او التهديد· وأياً كانت اجاباتهم، فقد شعروا بالمحبة والقبول الكاملين من الكائن النوراني· ويبدو ان الهدف من السؤال كان حثهم على التفكير في حياتهم من اجل مساعدتهم على سلوك طريق الحق· ومما قاله أحدهم:

"سمعت الاطباء يقولون اني فارقت الحياة· وأحسست بأني أخبط او اطوف في ظلام مطبق علي· وكان كل شيء مظلماً جداً، غير اني أبصرت ذلك النور على مسافة مني· وكان نوراً قوي اللمعان، لكنه كان صغيراً في البداية· واخذ يكبر شيئاً فشيئاً وانا أدنو منه· لقد كانت تجربة رهيبة حقاً، لكنها كانت ممتعة"·

وقال آخر:

"كان النور جميلا ولماعاً ومتألقاً، لكنه لم يخدش عيني·وهو لا يشبه

أي نور نعرفه على الارض. والحق اني لم أر شخصاً معيناً وسط هذا النور، ولكن ما من شك في انه كان كائناً حقيقياً. لقد كان نوراً من المعرفة الكاملة والمحبة الكاملة".

وقال ثالث:

"أول ما ظهر النور لم اكن متأكداً مما يحصل، الى ان سألني ان كنت مستعداً للموت. وكان ذلك شبيهاً بالتحدث مع شخص، من غير ان يكون هناك شخص. النور نفسه كان محدثي، ولكن كان له صوت".

وجدير بالذكر ان ظهور الكائن النوراني والاسئلة التي يطرحها هي بداية لحظة مذهلة يعرض فيها ذلك الكائن أمام الشخص المعني مشهداً مكثفاً لجميع احداث حياته. وغالباً ما يعرف ذلك الكائن حياة الشخص كلها من دون ان يحتاج الى معلومات. وغايته الوحيدة حث الشخص على التأمل.

هذه الاحداث المعروضة هي اقرب ما تكون الى التذكر. لكنها تتميز بخصائص تجعلها مختلفة عن اي عملية تذكر عادية. ففي حضور الكائن النوراني حصل التذكر بسرعة مذهلة. وظهرت جميع الاحداث دفعة واحدة وادركها صاحبها في لمحة بصر. ولكن على رغم هذه السرعة، فقد اجمع الذين قابلتهم على ان هذه العملية مفعمة بالحياة الى حد يفوق التصور. وقالوا انهم، فيما كانوا ينظرون الى احداث حياتهم، اكد الكائن النوراني على انأهم امرين في الحياة هما محبة الآخرين واكتساب المعرفة.

غني عن القول ان جميع الذين تكلمت معهم عادوا الى الحياة بعد مشارفة الموت. والمعتاد ان يكون طرأ على مواقفهم تغير طريف بعد تلك الخبرة. ولنتذكر ان اقوى عنصر مشترك في خبراتهم هو الرغبة الملحة للعودة الى الجسد في اللحظات الاولى التي تعقب الوفاة، وأسف شديد لمبارحة العالم. ولكن ما ان يقطع المائت شوطاً معيناً في تجربته حتى تنقطع رغبته في العودة ثانية. وهذا يصح خصوصاً على اولئك الذين عاينوا الكائن النوراني. وقد قال احدهم بحماسة:"لم أشأ قط ان اغيب عن حضرة ذلك الكائن".

أما بالنسبة الى طريق العودة، فهناك حالات غير قليلة تذكر اصحابها انهم اقتيدوا بسرعة عبر النفق المظلم الذي اجتازوه عقب "الوفاة". لكن آخرين قالوا انهم أحسوا بالعودة الفعلية الى أجسادهم. وقال معظمهم انهم دخلوا مرحلة نوم او غيبوبة قبل ان يصحوا ليجدوا أنفسهم احياء. ان الشخص الذي مر بخبرة من هذا النوع لا شك لديه مطلقاً في حقيقة هذه الخبرة وأهميتها. وفي المقابلات التي اجريتها نقاط هنا وهناك توحي بهذا الامر على نحو دقيق. وهنا مثل على هذا:

ان الذين قابلتهم يتمتعون بشخصيات سليمة ومتزنة. وهم لا يسردون تجاربهم كما يسرد المرء احلامه، ولكن كأحداث واقعية حصلت لهم فعلا. وعلى رغم ذلك، فهم يدركون ان مجتمعنا المعاصر لا يوفر مناخاً ملائماً لقبول روايات من هذا النوع. والحق ان كثيراً من الذين قابلتهم اقروا بأنهم ادركوا منذ البداية ان الآخرين سيرمونهم

بالاضطراب العقلي اذا هم قصوا تجاربهم. لذلك قرروا ملازمة الصمت حول الموضوع او الاكتفاء باطلاع أحد الانسباء المقربين عليه.

وفي معظم المرات التي كنت اقابل فيها احدهم وأستجوبه بالتفصيل عن تجربته، ثم اقول له ان الآخرين وصفوا الاحداث والمشاعر نفسها، كان يعبر عن انفراج عظيم. ومما قاله احدهم: "اني سعيد حقاً لمعرفتي ان شخصاً آخر عانى ما عانيته... الان أعرف جيدا اني لست مجنوناً".

وهناك اتفاق بيّن في العبر التي استمدها الاشخاص المختلفون من معاناتهم الموت. فقد اكد معظمهم على اهمية المحاولة في هذه الحياة في تنمية حب الآخرين في نفوسنا على نحو فريد وعميق. وهناك شخص شعر، لدى وقوفه في حضرة الكائن النوراني، بأنه محبوب ومقبول منه، حتى بعدما رأى ذلك الكائن مشاهد مكثفة من حياة المائت كلها. وأدرك ان السؤال الذي طرحه عليه الكائن يتناول ما اذا كان في امكانه ان يحب الآخرين كما احبه هو. وها هو الآن يشعر بأن مهمته، بعد عودته حياً، هي ان يتعلم ان يحب الآخرين هكذا.

اضافة الى هذا، شدد آخرون على أهمية السعي الى المعرفة. وكان قد اوحي اليهم خلال خبراتهم بأن اكتساب المعرفة يستمر حتى في الحياة الثانية. وهناك امرأة استغلت كل فرصة متاحة للمعرفة خلال "وفاتها" الوقتية. ويعطي رجل من المجموعة النصيحة الآتية: "بغض النظر عن سنك، اياك التوقف عن تحصيل العلم. فالتعلم عملية مستمرة الى الابد".

ولا يخطىء من يظن ان لهذه الخبرة اثراً عميقاً في موقف المرء من الموت الجسدي، ولاسيما بالنسبة الى اولئك الذين لم يكونوا قبل ذلك يؤمنون بأي نوع من الاستمرار بعد الوفاة. وقد عبر معظم الذين قابلتهم عن انهم لم يعودوا خائفين من الموت. وقال احدهم:

"ليست لدي اي رغبة في الموت، ولا اود ان اموت الآن. غير اني، في الوقت نفسه، لا أخشى الموت. والسبب اني اعلم الى اين سأذهب لدى مبارحتي هذا المكان، اذ سبق ان كنت هناك".

اما أولئك الذين كانت لديهم قناعات تقليدية حول طبيعة الحياة الثانية فيبدو انهم عدلوا قناعاتهم بعد مواجهتهم القصيرة للموت. والحق انه، بين جميع المقابلات التي أجريتها، لم يأت شخص واحد على ذكر الابواب المرصعة بالجواهر او الشوارع المذهبة او الملائكة من ذوات الاجنحة التي تعزف على القيثارة او الجحيم الذي يعج باللظى وفي وسطه شياطين تحمل المذراة.

ان معظم الذين قابلتهم لم يأتوا على ذكر الثواب والعقاب في الحياة الثانية، علماً ان كثيراً منهم ربي على هذا النمط التقليدي من الاعتقاد. وقد دهشوا حين وجدوا ان رد فعل الكائن النوراني تجاه أشد خطاياهم فداحة لم يكن التذمر او الغضب، بل التفهم وحتى المرح. وتجدر الاشارة الى ان الخطايا المذكورة لم تكن من النوع الفادح.

وبما ان اشخاصاً كثيرين قالوا انهم بقوا وقتاً طويلا منفصلين عن اجسادهم بينما كانوا يعاينون الاحداث في العالم المادي، فمن الطبيعي ان يبرز السؤال الآتي:هل يمكن دعم هذه الادعاءات من قبل اشخاص آخرين كان لهم دور في الاحداث المذكورة؟

من المدهش انه، في حالات غير قليلة، كان الجواب ايجابياً. وهناك بضعة اطباء، على سبيل المثال، اخبروني انهم دهشوا كيف ان بعض مرضاهم الذين لا يملكون اي معرفة طبية وصفوا، بدقة وتفصيل، الطرق التي استعملت لانقاذهم بعد تأكيد وفاتهم طبياً.

وهناك اشخاص اخبروني كيف ادهشوا اطباءهم أو آخرين برواياتهم عما حصل وهم منفصلون عن اجسادهم. ومن هؤلاء فتاة غادرت جسدها وهي تنازع الموت وذهبت الى غرفة اخرى في المستشفى حيث وجدت اختها تبكي وتقول:"أواه يا كاتي! ارجوك ألا تموتي! ارجوك، لا تفعلي!"وذهلت هذهالفتاة حين باحت لها اختها كاتي في ما بعد كيف بكت وماذا قالت في المستشفى آنذاك.

مقارنات

اذا شئنا وصف المراحل المختلفة لخبرة الموت بأقل ما يمكن من كلام، قلنا انها غير عادية. ولشد ما كانت دهشتي حين عثرت، خلال سنوات، على عدد غير قليل من الشواهد المماثلة جداً، وذلك في كتابات تنتمي الى حضارات وثقافات وعصور مختلفة.

في المجتمع الغربي، الكتاب المقدس هو الكتاب الذي حظي بأكبر مقدار من القراءة والبحث بالنسبة الى المسائل المتعلقة بحياة الانسان الروحية والحياة بعد الموت. الا ان الكتاب المقدس لا يتكلم باسهاب عن الاحداث الملازمة للموت او يقدم وصفاً دقيقاً للعالم الآخر. وهذا يصح خصوصاً على العهد القديم.

لكن هناك مصادر اخرى نقع فيها على نقاط شبه اقوى. ومن هذا القبيل ما تركه الفيلسوف الاغريقي افلاطون من وصف لأحداث تشبه، الى حد بعيد، ما عاناه الاشخاص الذين اختبروا الموت. وربما كان الكتاب العاشر من "الجمهورية" يحوي الوصف الاقرب الى ما نقول. ففيه يتكلم افلاطون عن موت جندي يوناني اسمه آر في احدى المعارك، وعن تسجية جثمانه على محرقة استعداداً لحرقه ودفنه. ولكن بعد مضي وقت قصير انتفض الميت واخذ يخبر عما رآه في رحلته الى العالم الآخر بعد انفصال روحه عن جسده. كان هناك نوافذ تؤدي، كما قال، من الارض الى اماكن وراءها. كما كان هناك كائنات توقف الارواح وتحاكمها بناء على ما تراه من احداث حياتها الارضية. وأخبرته تلك الكائنات ان عليه ان يعود الى الارض ليصف للناس ما شاهده في العالم الآخر. وفي تلك اللحظة استيقظ ليجد نفسه على محرقة الموتى.

وهناك وصف آخر مفصل للمراحل المختلفة التي تمر بها الروح بعد وفاة صاحبها، نقع عليه في كتاب الموتى الخاص بحضارة التيبيت الآسيوية

القديمة. وهو يحوي تعاليم للحكماء خلال العصور بقيت تنقل شفاهاً من جيل الى جيل حتى دونت اخيراً في القرن الثامن بعد الميلاد، لكنها حجبت عن الناس.

اما ما تقول به العقيدة التيبتية فهو ان عقل الانسان المائت أو روحه يفارق الجسد ويجد نفسه في الفراغ. وربما سمع اصواتاً متوعدة تشبه الزئير او الصفير او الرعد او صرير الريح. وينتابه العجب اذ يرى نفسه خارج جسده المادي. ويرى أنسباءه وأصدقاءه ينوحون عليه ويكفنون جسده للدفن. ويحاول ان يلفت انتباههم، لكنهم لا يسمعونه ولا يرونه.

ويلاحظ انه ما زال له جسد، الا انه جسد "مشع" لا تخالطه المادة. لذلك يمكنه اختراق الصخور والجدران وحتى الجبال من غير مقاومة. وحيثما شاء ان يكون، فهو يصل الى هناك في لحظة واحدة. وربما واجه نوراً جلياً وخالصاً. وينصح حكماء التيبت المائت بأن يدنو من ذلك النور بمنتهى الايمان والتواضع.

ويصف الكتاب ايضاً مشاعر السلام الغامر والرضى التام التي يختبرها المرء اذا مات "ميتة صالحة". ويقولون ان هناك شيئاً شبيهاً بالمرآة، تنعكس عليه حياته بكل ما فيها من أفعال صالحة وسيئة ليراها بوضوح تام هو والكائنات التي تحاكمه.

وهناك، ثالثاً، شبه شائق نقع عليه في كتابات الاسوجي ايمانويل سويدنبورغ الذي عاش بين ١٦٨٨ و١٧٧٢، ولقيت كتابات المرحلة الاولى من حياته، في الفيزياء والرياضيات وعلم التشريح وعلم النفس، شيئاً من الرواج. وما لبث، في مرحلة لاحقة، ان مر بخبرات دينية متكررة جعلته يدعي انه كان على اتصال بكائنات روحية وراء العالم.

وجاءت كتابات تلك المرحلة من حياته مليئة بوصف مثير للحياة بعد الموت. وزعم انه عانى تجربة انفصال عن الجسد تم فيها اتصال بينه وبين ارواح يقول انها "ملائكة" ليست من طينة الارض. ووصف هذا الاتصال بأنه انتقال افكار: "كل شخص، بعد الموت مباشرة، يكتسب هذه اللغة الشاملة".

وربما صادف المائت ارواح آخرين عرفهم وهو على قيد الحياة، وربما عرضت حياته الماضية امامه في ما يشبه الرؤيا. وهو، عند ذاك، يتذكرها بجميع تفاصيلها، من غير ان يكون هناك امكان للكذب او التكتم. وقد كتب سويدنبورغ:

"من طبيعة الذاكرة الباطنية ان يكون محفوراً فيها كل ما فكر فيه المرء او قاله او فعله بجميع تفاصيله، منذ طفولته الاولى حتى شيخوخته الاخيرة. والانسان يحمل معه هذه الذكريات الى الحياة الاخرى حيث يواجه بما يجعله يستعيدها".

كذلك يتكلم سويدنبورغ عن "نور الرب" الذي يغلف العالم الآخر. وهو نور يجل عن الوصف فيض له ان يراه شخصياً. انه نور الحق والمعرفة.

ترى هل يعقل ان يكون الذين قابلتهم تأثروا بقرءات من هذا النوع؟

هناك اثنان او ثلاثة فقط من اولئك

١٢٥ مليونًا
العبها واربح معها

أضخم يانصيب
من نوعه في اوروبا
يفتح أمامك
فرصة ذهبية للربح!

قبل اليوم لم يكن لديك حظ كبير لربح مليون ، لكن هذا اليانصيب يفتح أمامك أبواب الحظ:

- عدد البطاقات المبيعة ٤٠٠ ألف فقط .
- من هذه البطاقات، هناك ٢٠٠٤٨٥ بطاقة رابحة حتما .
- كل بطاقة ثانية تشتريها تحمل معها جائزة .
- الربح الاجمالي هو ١٢٥،١٣ مليون مارك الماني .
- هناك خمس جوائز كبرى تبلغ قيمة كل منها مليون مارك .
- هناك جائزة "سوبر" تبلغ قيمتها مليونا ونصف مليون مارك .

اليانصيب الالماني "كلاس لوتيري" أسس قبل ٣٥٠ سنة .

ولأكثر من ثلاثين سنة، جعل من أمثالك أصحاب ملايين ، ويزداد عدد الرابحين سنة بعد سنة .

هذا اليانصيب يختلف عن سواه من حيث أن ريعه يعود ليس الى المشاريع العامة والخيرية، بل الى المشتركين انفسهم ، وغني عن القول ان المارك الالماني هو من أقوى العملات العالمية رسوخا .

الرجاء اضافة المبلغ المذكور ادناه لتغطية نفقات البريد، والاجور المصرفية

الضمـــان

ان دفع هذه المبالغ مضمون
في الدورة الواحدة (نصف عام)

١ × ١،٥ مليون	= ١٥٠٠٠٠٠ مارك
٥ × ١ مليون	= ٥٠٠٠٠٠٠ مارك
٨ × ١/٢ مليون	= ٤٠٠٠٠٠٠ مارك
١٢ × ١/٤ مليون	= ٣٠٠٠٠٠٠ مارك
٦ × ١٠٠٠٠٠ مارك	= ٦٠٠٠٠٠ مارك
١٤ × ٨٠٠٠٠م	= ١١٢٠٠٠٠ مارك
١٨ × ٥٠٠٠٠م	= ٩٠٠٠٠٠ مارك
٢٢ × ٤٠٠٠٠م	= ٨٨٠٠٠٠ مارك
٢٦ × ٣٠٠٠٠م	= ٧٨٠٠٠٠ مارك
٣٠ × ٢٠٠٠٠م	= ٦٠٠٠٠٠ مارك
٣٠٢ × ١٠٠٠٠م	= ٣٠٢٠٠٠٠ مارك
٤٤٠ × ٥٠٠٠م	= ٢٢٠٠٠٠٠ مارك
١٦٨٠ × ٢٠٠٠م	= ٣٣٦٠٠٠٠ مارك
١٣١٢٠ × ١٠٠٠	= ١٣١٢٠٠٠٠ مارك
١٨٤٨٠٠ × حتى ٨٠٠م	= ٨٥٠٤٠٠٠٠ مارك
٢٠٠٤٨٥ جائزة مجموعها	١٢٥١٣٠٠٠٠ مارك

الجوائز كلها تدفع نقدا ، وهي معفاة من الضرائب الالمانية ، لكن الشركة، في الوقت نفسه، تحظى بدعم الحكومة التام ، وهذا حافز قوي على شرائك بطاقة أو أكثر .

"كلاس لوتيري" مؤسسة غير خاصة ، وهي تبيع بطاقاتها عن طريق مكاتب مرخّص لها حكوميا ، ويجري السحب علنا وقانونيا .

غريغور فرانكفورت

مكتب لبيع أوراق اليانصيب ذو رخصة حكومية

Rüsterstraße 24, Postfach 11 90 20
D-6000 Frankfurt/Main (W-Germany)
Telex 04 189 125 daw

كيف تشترك في هذا اليانصيب؟

هناك سحوبات عدة على البطاقات نفسها تجرى خلال نصف سنة، بمعدل سحب واحد كل يوم سبت، ويتم ارسال النتائج بالبريد لكل حامل بطاقة، مرفقة بمعلومات وافية وجلية، تمشيا مع تقاليدنا في المعاملة .

ويمكن أن يأخذ الشاري بطاقة كاملة أو نصف بطاقة أو ربع بطاقة، فيكون نصيبه في الربح جائزة كاملة أو نصف جائزة او ربع جائزة ، وتتساوى جميع الارقام في الحظ .

يانصيب في متناول الجميع!
بسيط مثل لعبة أطفال!

- يمكنك طلب بطاقة بملء القسيمة في أسفل الصفحة، أو بكتابة رسالة الينا من غير قسيمة، محددا فيها طلبك .
- عليك أن ترفق الطلب بالمبلغ المحدد، على أن يكون حوالة مصرفية او بريدية أو شيكا خاصا او حوالة مسافر أو حتى نقدا ، وفي الحال الاخيرة، يفضّل ايداع الرسالة البريد المضمون .
- في المقابل ستستلم بطاقتك مع المعلومات المرافقة .
- كذلك ستستلم لائحة دورية بالارقام الرابحة .

في حال الربح!

- سيجري ابلاغك فورا برسالة شخصية .
- يتم دفع الجوائز بأسرع طريقة ممكنة وطبقا لتعليماتك .

الجوائز معفاة من الضرائب الالمانية ، وتلتزم الشركة الكتمان التام في شأن أسماء المشتركين والرابحين ، فهذا من حق صاحب العلاقة وحده .

خدمة حول العالم

اذا كنت تحمل بطاقة قبل قراءة هذا الاعلان، فلا ترسل طلبا جديدا لاننا سنراسلك كالعادة ، والرجاء، في هذه الحال، أن تحيط أصدقاءك علما بشركتنا، أو أن تريهم هذا الاعلان وتقطع لهم القسيمة المرفقة .

لا تنتظر - اطلب بطاقتك الان!

عدد البطاقات الاجمالي محدود ، والافضل ان تحجز بطاقتك فورا .

نعم! لقد وافقت على أن ألعب لعبة الـ١٢٥١ مليونا ، وأريد الاشتراك في الدورة التي تبدأ في ١٧ مايو (ايار) ١٩٨٠ وتنتهي في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٠ .

	مارك الماني	دولار امريكي	جنيه استرليني
☐ بطاقة كاملة	٦٠٠	٣٥٣	١٦٠
☐ نصف بطاقة	٣٠٠	١٧٧	٨٠
☐ ربع بطاقة	١٥٠	٨٩	٤٠
☐ بطاقة الحظ السعيد	٦٠٠	٣٥٣	١٢٠

(اربعة أرباع ذات ارقام مختلفة)

اذا تم الدفع بغير الدولار الامريكي أو المارك الالماني أو الجنيه الاسترليني، فستعتمد قيمة العملة المحوّلة يوم تسلّم الرسالة ، المبالغ المحددة تشمل ثمن البطاقة خلال سحوبات دورة كاملة، أي نصف سنة، والمبلغ الاضافي يشمل جميع المصاريف الاخرى طوال هذه الفترة .

جميع الحوالات توجّه باسم: W. GREGOR, Postfach 11 90 20, D-6000 Frankfurt/M.

☐ طيّه حوالة بقيمة مارك الماني/ دولار امريكي/ جنيه استرليني .
☐ سأدفع المبلغ فور استلامي البطاقة (أو البطاقات) التي طلبتها .

الرجاء ارسال المعلومات المتعلقة بهذا اليانصيب باحدى هذه اللغات الى العنوان الآتي:

Mr./Mrs./Miss

Street address (or P.O.Box-No.)   City (Postal code No.)

Country

الرجاء الكتابة بالاحرف الكبيرة أو الطباعة على الآلة .

جميعاً كانوا يعرفون شيئاً عن فكر افلاطون. غير أن احداً منهم لم يكن على علم بأعمال سويدنبورغ او كتاب الموتى التيبتي. لذلك كان لدينا ملء الحق في ان نسأل انفسنا عن سر مطابقة افكار حكماء التيبت وافلاطون وسويدنبورغ في ما بينها من ناحية، ومطابقتها من ناحية أخرى مع ما أسر به أشخاص معاصرون اختبروا الموت عن كثب.

أسئلة

في السنوات التي ألقيت فيها محاضرات حول خبرة مشارفة الموت، طرحت علي اسئلة كثيرة من المستمعين. وهناك مجموعة من الاسئلة تثار مرة بعد اخرى. وهنا عرض لأهم الاسئلة وأجوبتي عنها:

س: هل انت تخترع هذه الروايات وتنسبها الى اشخاص؟

ج: كلا. هذا ليس صحيحاً. والحقيقة ان لدي رغبة قوية في تدريس الطب النفسي وفلسفة الطب. وهذا الهدف لا يتحقق عن طريق اختلاق أكاذيب.

س: ما هو معدل شيوع هذه التجارب؟

ج: اني اول المعترفين بأنه ليس في امكاني الخروج بنتائج مقبولة احصائياً حول شيوع هذه الظاهرة، لأن الحالات النموذجية التي عاينتها قليلة ولا تسمح بهذا. الا أن حدوث هذه التجارب شائع الى حد لا يتوقعه اولئك الذين لم يدرسوها. والكلام عن حياة بعد الموت قد يبدو ضرباً من الرجعية بالنسبة الى كثيرين ممن قد يظنون هذه الفكرة ملازمة للماضي "الخرافي" وليس للحاضر "العلمي". وجدير بالذكر ان الاشخاص الذين خبروا الموت هم على دراية بهذه المواقف ولذلك يحجمون عادة عن نقلها الى الآخرين بصراحة.

س: كيف تعرف ان الناس لا يكذبون عليك؟

ج: يسهل كثيراً على الذين لم يسمعوا او يشاهدوا اولئك الاشخاص وهم يتكلمون عن خبراتهم ان يتبنوا نظرياً الرأي القائل بأن هذه الروايات اكاذيب. غير أني شاهدت بأم عيني اناساً بالغين ومستقرين نفسياً ينفجرون بالبكاء وهم يخبرونني عن تجارب عانوها قبل ثلاثين سنة. ولقد لمست في أصواتهم اخلاصاً وحرارة ومشاعر صادقة لا يمكن نقلها كتابة. لذلك انا مقتنع - ويؤسفني الا أستطيع اقناع الآخرين - بأن نعت هذه الروايات بأنها مختلقة أمر مرفوض من اساسه.

واضافة الى صدق شهادتي، هناك اعتبارات قوية ضد الرأي القائل باختلاق الروايات. وأهم هذه الاعتبارات صعوبة تفسير عناصر الشبه القوي بين الروايات المختلفة. اذ كيف يعقل ان يأتي هؤلاء القوم كلهم لاخباري الكذبة نفسها؟

ربما قال احدهم ان هناك تواطؤاً او مؤامرة من نوع ما في هذه الحال. وهذا غير مستحيل منطقياً. فربما حدث قبل سنوات أن اجتمعت امرأة في منتصف العمر من شرق ولاية كارولينا الشمالية وطالب طب من ولاية نيوجيرسي وطبيب بيطري من ولاية جورجيا وكثيرون غيرهم، وقرروا في ما بينهم التآمر علي وخداعي. غير اني لا أقيم وزناً كبيراً لهذا الاحتمال.

س: هل سبق لك ان سمعت رواية شخص "توفي" على اثر انتحار؟

ج: نعم. وهذه التجارب كانت دائماً غير مفرحة لاصحابها. ومن هؤلاء واحد دفعه غمه على وفاة زوجته الى اطلاق النار على نفسه. وأنقذ بعد ان "مات". وهو يقول: "لم اذهب الى حيث كانت زوجتي، بل وجدت نفسي في مكان رهيب. وللحال ادركت فداحة الخطأ الذي ارتكبته".

وهناك آخرون وجدوا انفسهم في هذه المنزلة غير المحددة، وعبروا عن شعورهم بأن ذلك كان عقاباً لهم لخروجهم على "المبادىء القويمة" بمحاولتهم التنصل من "مسؤولية" ألقيت على عاتقهم، وهي تحقيق هدف معين في الحياة.

وتتعدد الروايات التي سمعتها من اناس

حاولوا الانتحار، والمشاعر التي يعبرون عنها نجدها في أقدم النصوص اللاهوتية والخلقية التي تعرض حججاً فلسفية ضد الانتحار، والتي نقع عليها لدى فلاسفة اختلفت أفكارهم كثيراً في ما بينها، أمثال القديس توما الاكويني وجون لوك وايمانويل كانت. وفي رأي كانت ان الشخص الذي يحاول الانتحار يعارض مشيئة الله، ويمكن ان نعتبره ثائراً ضد خالقه.

س: هل هناك تجارب موت لم يتذكر اصحابها شيئاً منها؟

ج: هناك عدد غير قليل من الذين "ماتوا" وانقذوا، قالوا انهم لا يتذكرون شيئاً على الاطلاق مما حدث خلال "موتهم". ومن الطريف ان بين الذين قابلتهم اشخاصاً ثبتت وفاتهم طبياً اكثر من مرة في اوقات مختلفة، وقالوا انهم لا يتذكرون شيئاً مما حدث لهم في احدى الوفيات، بينما يتذكرون ما حدث في وفاة اخرى.

س: هل بين الاشخاص الذين قابلتهم من مات فعلاً؟

ج: احد الاسباب الرئيسية لغموض هذا السؤال وصعوبة الاجابة عنه هو انه، في احد جوانبه، سؤال لغوي متعلق بمعنى كلمة "ميت".

وكل ما اريد قوله، في التحليل الاخير، هو الآتي: مهما تكن طبيعة الموت المحتم، فان الذين قابلتهم كانوا جميعاً أقرب اليه من معظم اخوانهم في الانسانية. ولهذا السبب وحده، أجد نفسي على استعداد لسماع ما لديهم.

تفسيرات

يقول بعضهم ان تجربة مشارفة الموت ان هي الا ضرب من الاحلام التي تحقق عبرها الامنيات، او أخيلة وأوهام اثارتها جميعاً عوامل مختلفة، كالعقاقير التي تعطى للمصاب لدى حصول حادث ونقص الاوكسيجين والاجهاد الجسدي. وبناء على هذا التفسير، تضحي خبرة الموت ضرباً من الوهم. وهناك تفسيرات اخرى تنطلق من مقدمات عصبية او نفسية لتخرج بالنتيجة نفسها، وهي ان هذه الخبرات أوهام.

وفي اعتقادي ان هناك عوامل عدة تدحض هذه الآراء. اولا، دعونا نتذكر الشبه الكبير في محتوى هذه الخبرات وتعاقب أحداثها، على رغم ان معظم ما تنطوي عليه لا ينسجم مع الاعتقادات السائدة في المجتمع والثقافة الغربيين بالنسبة الى ما يحدث بعد الموت.

ثانياً، ان الاشخاص الذين قابلتهم لم يكونوا ضحايا اضطراب عقلي من نوع انقطاع الصلة بالواقع او من اي نوع آخر، بل هم يحتلون مناصب ومراكز رفيعة ويؤدون واجباتهم على خير وجه. كما ان زيجاتهم مستقرة وهم مخلصون لعائلاتهم واصدقائهم. ومعظم هؤلاء لم تتيسر له هذه الخبرة الخارقة سوى مرة واحدة. وأهم ما في الامر ان هؤلاء الاشخاص جميعاً اناس يمكنهم التمييز بين الخيال والواقع. وقد اكدوا لي مراراً خلال حديثهم ان الخبرات التي مروا بها لم تكن حلاماً، لكنها كانت، بكل تأكيد، حقيقية.

غير اني درست ايضاً حالات عدة اثيرت فيها الرؤى والخيالات بطرق نفسية وعصبية. ووجدت بعض عناصر تجربة الموت مكررة هنا، ولكن على نحو غير تام، تنقصه الواقعية والانفعالات.

اني لا اقترح اي تفسيرات جديدة من عندي. وكل ما اريد قوله هو هذا: دعونا، على الاقل، لا نلغي احتمال كون تجربة الموت تمثل ظاهرة غير مألوفة تحتم علينا ابتكار اشكال جديدة من التفسيرات.

لقد كنت، خلال تأليف هذا الكتاب، مدركاً تمام الادراك انه من السهل اساءة فهم غايتي ووجهة نظري. واود، في الاخص ان اقول للقراء ذوي التفكير العلمي اني اعي كلياً ان ما أنجزته ليس دراسة علمية. لكني، في الوقت نفسه، أعتقد ان الروايات التي تصف خبرة الموت بالغة الاهمية. وما اريد فعله هو اعطاء تفسير لهذه الخبرات يكون وسطاً بين نقيضين: واحد يرفضها لحجة افتقارها الى الشاهد العلمي وآخر يتبناها لحجة كونها تقدم برهاناً على وجود حياة بعد الموت.

وها انا اخرج ليس بنتائج او ادلة او براهين، ولكن بمشاعر وتساؤلات ومقارنات ووقائع محيرة تحتاج الى تفسير. لكني أعتقد انه من الجدير القاء ضوء، مهما كان، على طبيعة الموت. فما نتعلمه عن الموت قد يحدث تغيراً مهماً في طريقة حياتنا. واذا كانت الخبرات التي وصفتها حقيقية فعلا، فهي تنطبق انطباقاً عميقاً على ما يفعل كل منا بحياته. لذلك يصح القول انه لا يمكننا ان نفهم هذه الحياة حق الفهم حتى تقع أعيننا على قبس مما هو وراء الحياة.

■ **رايموند مودي**

لا تقل أصلي وفصلي...

الحق اني لا اعلم كيف كان جدي. وما يهمني اكثر هو معرفة ما سيكون عليه حفيده.

ابرهام لينكولن

الاقوال والافعال

بينما كانت امرأة تحضر اجتماعاً في نادي مراقبة البدانة وتخفيف الوزن، سطا احد اللصوص على سيارتها وسرق منها كمية من الشوكولاته واقراص الحلوى يقدر ثمنها بستة دولارات.

ف.ك.

كيف نطرد سنجاباً

استيقظت ذات ليلة لاجد ان سنجاباً تحايل حتى دخل البيت. فحاولت طوال ساعة ان اخرجه، ولكن لم تفلح حتى ضربات مكنستي في زحزحته من مكانه.

وشعرت بالخوف، واتصلت بادارة الحريق. فقال لي اطفائي انه سيستشير زملاءه في الامر. وسمعته يقول لهم: "هذه سيدة دخل سنجاب بيتها ولا تستطيع اخراجه". وسمعت صوتاً آخر يصرخ من بعيد: "اخبرها ان تخرج الى فناء البيت وتتظاهر بأنها حبة بندق".

ا.ب.



كتاب الشهر
المعركة الكبرى
الجزء الثاني
بقلم كورنيليوس ريان

المعركة الكبرى

كانت على الممر الضيق الذي سيحمل اندفاع القوات المدرعة خمسة جسور لا بد من الاستيلاء عليها سليمة عن طريق مهاجمتها بقوات محمولة جواً. وكان خامس تلك الجسور، وهو الجسر البالغ الاهمية الذي يمتد عبر مجرى نهر الراين الادنى عند بلدة تسمى آرنهيم على مسافة ١٠٣ كيلومترات وراء الخطوط الالمانية، هو مثار قلق اللفتنانت جنرال فريدريك براونينغ، نائب قائد جيش الحلفاء الاول المحمول جواً. فقد أشار براونينغ الى جسر آرنهيم على الخريطة وسأل:"كم من الوقت ستستغرقه القوات المدرعة حتى تصل الينا؟" فأجابه الفيلد مارشال برنارد مونتغومري بلهجة قوية حاسمة:"يومين!" فواصل براونينغ النظر الى الخريطة وأجاب:"في استطاعتنا ان نظل محتفظين بها مدة أربعة أيام". وأضاف:"لكني أعتقد يا سيدي أننا ربما كنا مستهدفين هنا جسراً أبعد مما يجب". هذا ما يرويه الميجور جنرال روبرت أوركوهارت في المذكرات التي كتبها بعنوان "آرنهيم".

وفي هذا الجزء الثاني الاخير من كتابه الملحمي عن كبرى المعارك الاوروبية في الحرب العالمية الثانية، يصور كورنيليوس ريان الصعوبات الهائلة التي أحاطت بعملية "ماركت غاردن"، أضخم عملية مظلية في الحرب كلها، في مسيرتها المحتومة نحو خاتمتها المخفقة.

في المساحة المعشبة الخضراء التي تتوسط طريق يوسيبيوس بويتن سينغل - الشارع العريض المؤدي الى الجسر الممتد عبر نهر الراين في بلدة آرنهيم الهولندية - وضع الميجور جنرال هاينز هارمل خطته الاخيرة اليائسة لمواجهة الموقف الخطير. ففي ١٧ سبتمبر (أيلول) ١٩٤٤، هبطت في المنطقة بالمظلات عصبة صغيرة من الجنود البريطانيين واستولت على طرف الجسر الشمالي، فأغلقت الطريق أمام فيلق دبابات ألماني بأكمله يقوده الجنرال هارمل، ومنعته من التقدم نحو الجنوب حيث كانت قوات مظلية بريطانية أخرى تهدد بتحرير هولندا والاندفاع منها الى قلب الرايش الثالث.

والآن، في ١٩ سبتمبر (أيلول)،

بعد يومين من القتال المرير، كان الجنرال هارمل يعرف أن البريطانيين المتمركزين على الجسر، والذين لم يزد عددهم أبداً على ٧٠٠ رجل، أوشكت مؤنهم وذخيرتهم على النفاد، وأن اصاباتهم، اذا كان يمكن قياسها باصابات رجاله، بلغت معدلا شديد الارتفاع. ومع ان البريطانيين كانوا في البداية يحتلون ١٨ منزلا تطل على الجسر، الا أنهم اصبحوا الآن يحتلون أقل من اثني عشر منزلا.

ويقول هارمل: "كنت صممت على توجيه قذائف الدبابات والمدفعية لتدمير كل مبنى استولوا عليه تدميراً تاماً. غير ان شجاعتهم الرائعة في القتال جعلتني أشعر بان من واجبي ان اطلب منهم التسليم أولا".

وكان رد البريطانيين: "اذهب الى الجحيم".

وبناء على ذلك، أصدر هارمل الى قادة الدبابات والمدفعية المجتمعين أمامه اوامر واضحة محددة: "نظراً الى ان البريطانيين يرفضون الخروج من جحورهم، فاننا سننسفهم حتى يتطايروا معها مزقاً. صوبوا قذائفكم الى ما تحت السقوف تماماً وتابعوا الضرب متراً متراً وطابقاً طابقاً حتى ينهار كل منزل تماماً، ولا يبقى بعد تنفيذنا هذه المهمة سوى كومة حجار".

وبدأ القذف واستمر بلا شفقة ولا هوادة. وكان، كما يتذكره الجندي هورست فيبر: "أشد نار رأيتها في فعاليتها. فقد أخذت المباني تنهار ابتداء من سقوفها مثل بيوت الدمى. وبدا لي انه يستحيل على اي انسان البقاء حياً وسط هذا الجحيم. وانتابني أسف حقيقي على مصير البريطانيين".

ويتذكر الجندي نفسه مبنى كان قائماً عند ناصية: "انهار سقفه الى الداخل وبدأ طابقاه العلويان يتهاويان، ثم سقط جداره الامامي كله الى الشارع، كأنه شريحة جلد تنفصل عن هيكل عظمي، كاشفاً كل طابق من داخله حيث كان البريطانيون يندفعون في كل اتجاه كالمجانين". ويتذكر فيبر ان التراب والحطام لم يلبثا ان جعلا الرؤية مستحيلة. وكان الضجيج مريعاً. ولكن على رغم ذلك، فقد فاقه ارتفاعاً صراخ الجرحى الذي تناهى الى أسماعنا".

كان الليفتنانت كولونيل جون فروست، الذي استولى رجاله على الجسر، يدرك ان كتيبته الثانية انتهت الى كارثة محققة، لأن قوات العون والغيار لم تتمكن من اختراق صفوف العدو. وأيقن فروست بأنها لم تعد تستطيع معاونته. وكانت ذخائر كتيبته نفدت تقريباً، وارتفعت نسبة الاصابات بين رجالها الى حد أن كل ملجأ متاح بات مليئاً بالجرحى. كما أن الرجال واصلوا القتال بلا هوادة لفترة تزيد على خمسين ساعة متواصلة.

وكان فروست يدرك أنهم لن يستطيعوا تحمل هذا العناء الرهيب لفترة أطول كثيراً. فالمنازل القائمة حول قطاعه من كل جانب تشتعل فيها النار، والمباني تنهار، والمواقع يجتاحها العدو. لكن فروست لم يكن على استعداد لتسهيل مهمة الاعداء. فصمم تصميماً لا أمل منه على منع

الالمان من الاستيلاء على الجسر حتى آخر لحظة ممكنة.

ولم يكن فروست متفرداً بهذه المشاعر فقد بدا أن رجاله تأثروا بمحنتهم تأثراً مماثلا. فكان الجنود يقتسمون ما لديهم من ذخيرة ويأخذون القليل الذي يجدونه مع الجرحى كي يتأهبوا للمصير الذي بدأ يحيق بهم. ولم يظهر عليهم من امارات الخوف سوى القليل، وبدا ان ما أصابهم من ارهاق وجوع وألم أيقظ لديهم احساساً بالفكاهة تجاه أنفسهم وأوضاعهم. وراح هذا الاحساس ينمو مع تعاظم تضحياتهم.

وثقلت وطأة القذف بالقنابل على قصر قيادة فروست مع غياب العصر. وهبط الاب برنارد ايغان، قسيس الوحدة، الى الملجأ لتفقد الجرحى، حيث لاقاه الرقيب جاك سبرات الذي كان يعتبر ممثل الفكاهة في الكتيبة. وقال الرقيب:"حسناً يا أبانا. انهم يقذفوننا بكل شيء لديهم ما عدا موقد المطبخ". ولم يكد ينهي جملته حتى أصابت البناء فوق رؤوسهم قذيفة مباشرة، فانهار سقف الملجأ وأمطرهم بالاقذار وقطع الملاط الصلبة. وعندما استجمعوا شتات انفسهم، رأوا أمامهم على الارض موقد مطبخ بين الحطام الساقط عليهم. فنظر اليه الرقيب سبرات وهز رأسه قائلا:"كنت أعرف ان أولاد الزنا هؤلاء على مقربة منا، ولكن لم أكن أحسب أنهم يستطيعون سماع حديثنا!"

ومع هبوط الليل، رأى فروست بلدة آرنهيم كأنما اشتعلت كلها بالنار. ولاحظ"أن قرقعة الخشب المحترق والاصداء الغريبة لأصوات المباني المنهارة توحي بأنها آتية من عالم آخر".

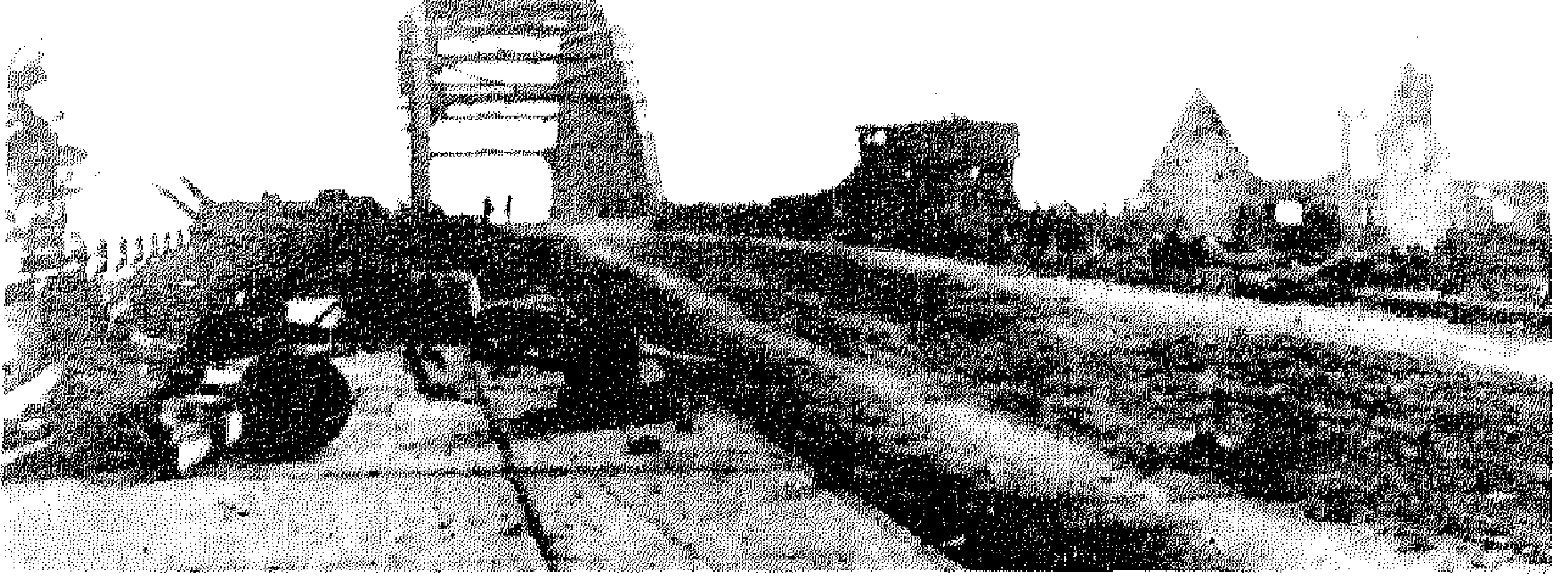
وكانت الخطة الاصلية تقضي بأن تتولى كتيبة فروست مع الكتائب الغائبة الاخرى مهمة الاستيلاء على الجسر، في حين تتولى وحدات أخرى من المظليين والجنود المحمولين بالطائرات الشراعية الاستيلاء على معابر مياه أخرى جنوب هولندا، ثم تنطلق دبابات الجيش الثاني البريطاني لتزأر على طول ممر ضيق ممتد من الحدود البلجيكية في هجوم مفاجيء يمكن ان يواصل اندفاعه حتى برلين.

أما الآن فان رجل الاشارة ستانلي كوبلي، الذي كان جالساً في أعلى المبنى القائم فوق رأس فروست، وجد نفسه،في يأسه وحزنه، مضطراً الى التخلي عن ارسال الاشارات الرمزية والبث باللغة الصريحة، فمضى يكرر دونما انقطاع:"رد علي أيها الجيش الثاني... رد علي أيها الجيش الثاني". لكنه لم يتلق أي رد على الاطلاق.

تحذيرات أغفلت

في مقره الصغير في بروكسل عاصمة بلجيكا، كان صاحب الامير برنارد (زوج ولية العهد الاميرة جوليانا، والتي اصبحت ملكة في ما بعد) يتابع كل تطور جديد بمزيد من القلق، وهو يرى بلاده تتحول ساحة قتال شاسعة.

وسأل رئيس أركان حربه:"لماذا رفض البريطانيون الاصغاء الينا؟" فقد كانت الخطة التي وضعها



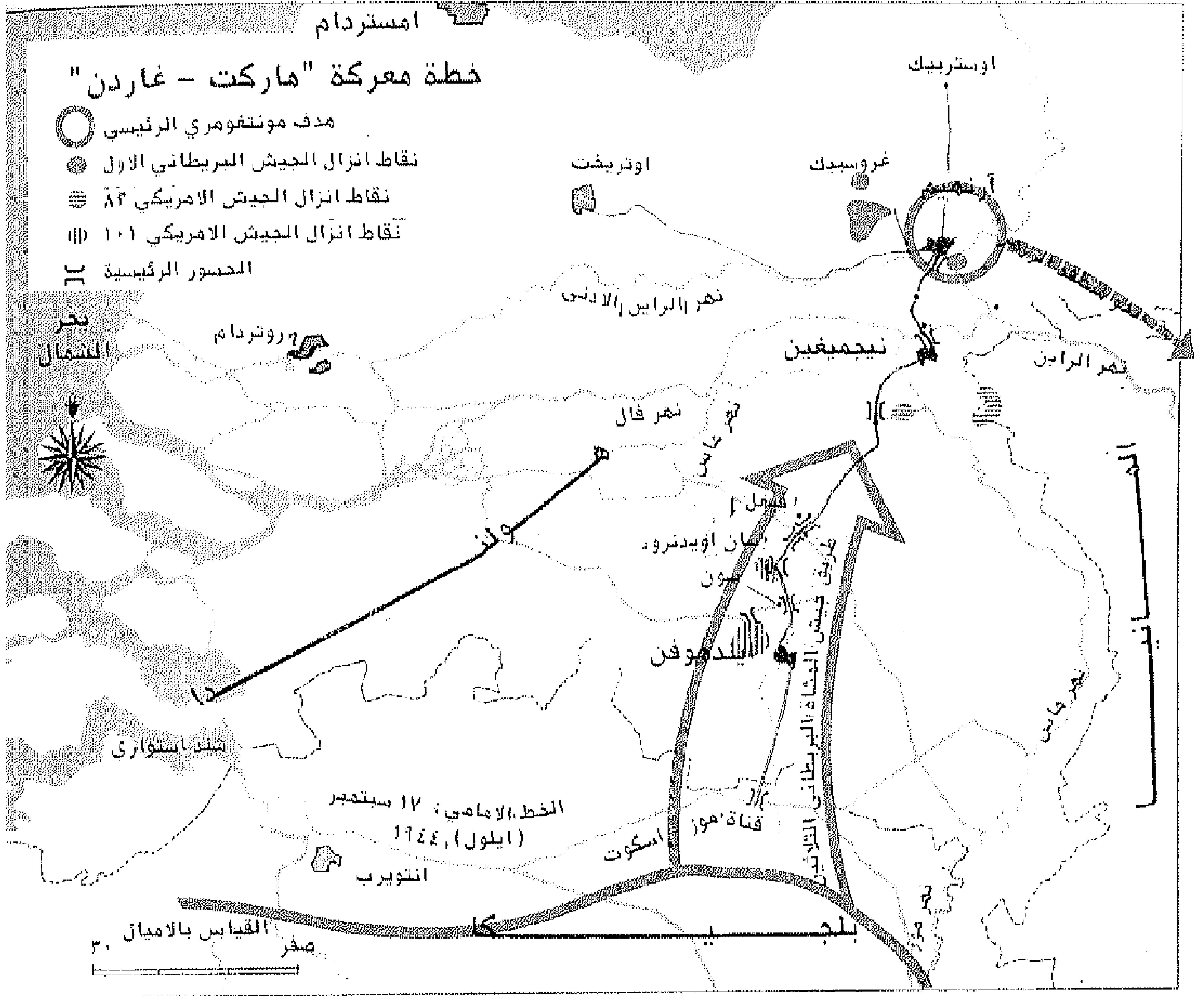
صورة التقطها الالمان لجسر ارنهيم خلال المعركة٠

الفيلد مارشال البريطاني برنارد لو مونتغومري تقضي باستخدام أكبر قوة مظلية في التاريخ، وهي مؤلفة من ٣٥ ألف جندي٠ وكان مونتغومري يتوقع بثقة ان يؤدي هذا الهجوم المفاجيء الى انهاء الحرب٠ ولم يكن الفيلد مارشال وحيداً في تفاؤله هذا، لأن حمى النجاح سيطرت على جميع القادة الميدانيين على امتداد الجبهة٠ وكانت عمليات الانزال التي تمت على ساحل النورماندي قبل ثلاثة أشهر فقط قد أعقبها اكتساح مذهل عبر فرنسا وبلجيكا، وكان الالمان يتقهقرون عبر هولندا٠ وبدا ان استراتيجية مونتغومري في هذه العملية التي عرفت باسم "ماركت غاردن - "ماركت" للوحدات المحمولة جواً و"غاردن" للقوات الارضية - هي بالضبط الضربة السريعة الحاسمة التي تتطلبها الحال٠

لكن الامور سارت على نحو بطيء منذ اليوم الاول للعملية٠ ولم يكن الامير برنارد يوجه اللوم الى أحد٠ فالامريكيون والبريطانيون كانوا يقدمون حياتهم قرباناً لتحرير هولندا من قاهريها القساة٠ غير ان الامير، مع ذلك، لم يلبث أن استاء من مونتغومري وهيئة أركان حربه، لأن كبار المستشارين العسكريين الهولنديين استبعدوا تماماً من تخطيط العملية، على رغم أن مشورتهم كان يمكن ان تكون عظيمة القيمة٠

وعلى سبيل المثال، فان مناطق انزال المظليين والقوات المحمولة بالطائرات الشراعية في قطاع آرنهيم، وهي حلقة الاتصال الحاسمة في خطة مونتغومري، كانت تبعد عن جسر آرنهيم مسافات تراوح بين عشرة كيلومترات و١٣ كيلومتراً، مما يجعل المباغتة مستحيلة تماماً٠

ويسترجع الامير برنارد ذلك بقوله: "لو عرفنا في الوقت المناسب اختيار مواقع الانزال والمسافات التي تفصلها عن جسر آرنهيم، لكان رجالنا أبدوا رأياً في هذا الصدد من دون شك"٠ أما الطريق المقترح للدبابات التي تمثل رأس الحربة في الهجوم



الارضي فلم يكن أكثر من طريق رئيسي واحد، يمتد كثير من قطاعاته فوق قمة السدود البحرية. ومنذ علم الجنرالات الهولنديون بأمر هذه الفكرة، بذلوا قصارى جهدهم لكي يثنوا عنها كل من قبل الاستماع اليهم، محذرين من أخطار الاعتماد على الطريق الممتدة فوق السدود البحرية المكشوفة. ويقول الامير برنارد: "لقد أجرينا في كليات أركان الحرب لدينا دراسات لا حصر لها على هذه المشكلة. ونحن نعرف، بكل بساطة، ان الدبابات لا يمكنها ان تعمل على طول هذه الطرق من غير عون المشاة".

وفضلا عن ذلك، فان مصادر حركة المقاومة الهولندية ضد الالمان أخطرت البريطانيين بأن في منطقة آرنهيم وحدتين من الدبابات الالمانية، هما فرقتا الصدام المدرعتان "س – س" التاسعة والعاشرة، اللتان تحملتا خسائر كبيرة في القتال في فرنسا وبلجيكا، ولكنهما لا تزالان على درجة كبيرة من القوة. غير ان هذه المعلومات قوبلت، كما يبدو، بالاهمال التام من جانب

مونتغومري والقادة الآخرين.

ويقول الامير برنارد: "ان البريطانيين لم يأبهوا لموقفنا السلبي. وعلى رغم ان جميع الذين لقيناهم عاملونا بأدب جم، الا ان البريطانيين فضلوا ان يتولوا التخطيط بأنفسهم. وكان الموقف السائد بينهم يلخص بالآتي: "لا تقلق أيها الصديق القديم، فسوف ننجز هذه المهمة".

ونتيجة لذلك، فان البريطانيين الذين هبطوا الى الارض في آرنهيم سرعان ما وجدوا أنفسهم يواجهون مقاومة شديدة من فرقة الصدام المدرعة "س – س" التاسعة. ولم يتمكن أحد من بلوغ الجسر سوى الكولونيل فروست وكتيبته، بينما احتجزت كتيبتان أخريان عند مشارف البلدة.

وكان الامير برنارد يرسل من مقره في بروكسل تقارير مستمرة الى الحكومة الهولندية في المنفى في لندن والى حماته الملكة ولهلمينا ذات الاربعة وستين عاماً، التي كانت تكره النازيين بشدة. وكان الامير برنارد أخبرها في مرحلة مبكرة من العمليات "بأن القوات لن تلبث ان تجتاح عدداً من القصور والضياع الملكية"، فكان رد الملكة: "أحرقوها من اساسها". وفوجىء الامير برنارد بهذا الرد، فقال متلعثماً: "سامحيني، اذ لم أسمع جيداً ما قلت". فقالت الملكة ولهلمينا: "اني لن أضع قدمي أبداً في مكان شهد جلوس النازيين في غرفي وقاعاتي. أحرقوا هذه الاماكن حتى تترمد".

وكانت الملكة، مثلها في ذلك مثل زوج ابنتها، تتوقع ان يتم تحرير هولندا بسرعة. أما الآن فان احتمال اخفاق عملية ماركت غاردن جعل الاسرة المالكة تخشى "الانتقام الرهيب الذي سيفرضه الالمان على الشعب الهولندي لترحيبه بقوات الحلفاء". وكان كل ما يستطيعه الامير برنارد وأركان حربه "الانتظار والامل، بعد ان ملأ سير الاحداث نفوسنا مرارة واحباطاً. فلم يدر في أذهاننا أبداً أن مثل هذه الاخطاء الباهظة الثمن يمكن ان ترتكب في القمة، على يد القيادة العليا". وكان مصير هولندا نفسها يزيد من مخاوف برنارد، "لأنني كنت أعلم أنه اذا اضطر البريطانيون الى التراجع عند آرنهيم، فستكون النتائج التي يتحملها الشعب الهولندي على ايدي الالمان رهيبة ومخيفة".

قرار مرير

كان واقع الحال عند آرنهيم أسوأ كثيراً مما يتصوره أي انسان، لأن جميع الاتصالات اللاسلكية انقطعت لأسباب غير مفهومة منذ الساعات الاولى للمعركة، فانعدمت وسائل السيطرة على المعركة لدى قائد الفرقة المظلية الاولى التي اسندت اليها المهمة الحاسمة الخاصة بالاستيلاء على جسر آرنهيم، وأصبح هذا القائد، وهو الميجور جنرال روبرت أوركوهارت، العملاق الاسكوتلندي الذي يتجاوز طوله ١٨٣ سنتيمتراً ويزيد وزنه على ٩٠ كيلوغراماً، غير قادر على توجيه وحداته المختلفة. وزاد الامور سوءاً ان الجهود التي بذلها لمعرفة ما يجري على أرض المعركة انتهت به

الى الانحصار وسط معمعان القتال، فلجأ الى غرفة عليا في منزل صغير. وعندما تمكن في آخر الامر من الافلات، صباح يوم ١٩ سبتمبر (أيلول)، كان اتصاله بقواته قد بقي مقطوعاً طوال ٣٩ ساعة حاسمة.

ووصل الجنرال أوركوهارت الى مقر قيادته في فندق هارتنستاين في ضاحية أوستربيك، وحاول، بأقصى ما لديه من جهد، انقاذ من بقي من رجاله. وكانت نظرة واحدة الى الخريطة كافية لتنبيء بالموقف اليائس. فلم يكن هناك أي خط أمامي، وكانت الاسهم الحمراء في كل مكان تشير الى ما تحمله التقارير الاخيرة من أنباء التجمعات الجديدة لدبابات العدو وجنوده. وبدا أن بعض هذه التجمعات يتخذ مواقعه فعلا خلف الوحدات البريطانية.

وكان يوم ١٩ سبتمبر (أيلول)، الذي وصفه أوركوهارت بأنه "مظلم ومميت"، نقطة التحول. فقد أخفقت كل محاولة: قوات الدعم لم تصل من انكلترا بسبب سوء الاحوال الجوية في المطارات. اسقاطات المؤن والذخائر تمت وفقاً للخطة الموضوعة، لكن معظمها سقط في المناطق التي يحتلها الالمان. الكتائب الاخرى لحقت بها خسائر باهظة في محاولتها بلوغ كتيبة فروست. وكان احصاء قوات أوركوهارت الباقية ينبيء بوضع مخيف:فطوال ليلة ١٩ سبتمبر (أيلول)، أخذت الكتائب التي لا تزال على اتصال بالقيادة تقدم تقارير عن أحوالها. وعلى رغم ان الارقام كانت تقريبية وغير دقيقة، الا أنها أعطت صورة قاتمة. فقد بدا منها ان فرقة أوركوهارت على وشك ان تباد.

وكانت كتيبة فروست الثانية وحدها هي التي تقاتل كوحدة منسقة متماسكة، وان يكن أوركوهارت لا يعلم عدد الرجال الباقين فيها. وكان قد بقي في الكتيبة الثالثة خمسون رجلا وقتل قائدها، وانخفض عدد أفراد الكتيبة الاولى الى ١١٦ رجلا، بينما جرح قائدها وأسرة الالمان. أما الكتيبة الحاديةعشرة فتضاءل عديدها الى ١٥٠ رجلا، ولم يبق في كتيبة ساوث ستافورد شير الثانية سوى ١٠٠ رجل، وقد جرح القائدان في كلتا الوحدتين. وأصبحت قوة الكتيبة العاشرة ٢٥٠ رجلا، وقوة الكتيبة ١٥٦ اقتصرت على ٢٧٠ رجلا. ومع أن القوة الاجمالية لفرقة أوركوهارت - بما فيها وحدات المهندسين والخدمات - كانت تضم أكثر من ذلك، الا ان كتائب الهجوم فيها أوشكت على التلاشي. وفضلا عن ذلك، فان جنود هذه الوحدات المهاجمة كانوا متناثرين في جماعات صغيرة نال منها العياء والصدمة واختفاء قادتها في أحيان كثيرة.

وكان القتال دامياً وعنيفاً الى حد انهار معه رجال من المحاربين القدماء الذين صقلتهم المعارك الكثيرة. وشعر أوركوهارت ورئيس أركان حربه بأن هناك جواً من الذعر يتسرب الى مقر القيادة عندما راحت جماعات صغيرة من الجنود الذين تاهوا عن وحداتهمتجري عبر الحشائش المنبسطة في ساحة فندق هارتنستاين وهي تصيح:"الالمان قادمون!" وكان أولئك الجنود، في معظم الاحيان، من صغار السن

"الذين خانتهم موقتاً السيطرة على النفس"، كما قال أوركوهارت لاحقاً.

وتتابعت الاوامر طوال ليل ١٩ سبتمبر (ايلول)، صادرة الى القوات كي تنسحب داخل قطاع اوستربيك. وفي الساعات الاولى من صباح ٢٠ سبتمبر (أيلول)، صدرت التعليمات الى البريغادير جون هاكيت بالتخلي عن هجومه المعتزم في اتجاه جسر آرنهيم. وقال أوركوهارت في ما بعد: "لقد كان اتخاذ ذلك القرار أمراً بالغ الايلام، لأنه كان يعني التخلي عن الكتيبة الثانية التي تقاتل عند الجسر. لكنني كنت أعرف ان فرصة الوصول اليهم مستحيلة تماماً، مثل فرصة الوصول الى برلين". وكان رأيه هو ان الامل الوحيد ينحصر في اقامة حاجز دفاعي ومحاولة الصمود فيه حتى تبلغهم دبابات الجيش الثاني.

وفي الثامنة من صباح ٢٠ سبتمبر (ايلول)، اتيحت الفرصة لاوركوهارت كي يوضح الموقف أمام فروست والميجور فريدي غاو عند الجسر. فقد استخدم غاو توصيلة راديو ارتجالية تمكن عن طريقها أخيراً من الاتصال بقيادة الفرقة. وكانت تلك المرة الاولى التي يتحدث مع أوركوهارت منذ ١٧ سبتمبر (أيلول). ورسم غاو صورة سريعة للموقف عند الجسر، وقال: "ان الروح المعنوية لا تزال عالية، ولكننا نفتقر الى كل شيء". وبعد ذلك، كما يتذكر اوركوهارت، "سأل غاو ما اذا كان يمكنهم ان يتوقعوا قوات دعم".

ولم يكن الرد سهلا. ويتذكر اوركوهارت: "قلت له اني لست واثقاً مما اذا كانت المسألة هي ان نصل نحن اليهم او أن يصلوا هم الينا". ثم جاء فروست على الخط، فطلب منه أوركوهارت "ابلاغ كل فرد في القوة خالص تهنئتي وتقديري لما بذله من جهد رائع". ولم يكن ثمة ما يقال بعد ذلك.

"سأقتلك فوراً"

حدث ما توقعه الهولنديون، ووجدت دبابات الجيش الثاني – الفيلق الثلاثين – ان المتاعب أخذت تحيق بها منذ البداية، لأن المدافع الالمانية المستورة جيداً جعلت التقدم السريع الذي توقعه مونتغومري أمراً مستحيلا ما لم يؤت بالمشاة الى المقدم ليتولوا تطهير الارض من مكامن العدو. وأضيف الى ذلك ان الالمان نسفوا الجسر الذي يعبر قناة ولهلمينا عند بلدة زون، ولم تتيسر اقامة جسر موقت من قطاعات معدنية لتواصل عليه الدبابات تقدمها الا صباح ١٩ سبتمبر (أيلول)، وهو اليوم الذي دخلت قوات أوركوهارت أحرج مراحل القتال. وكان معنى ذلك ان فترة تأخر القوات المدرعة عن موعد تقدمها بلغ ٣٦ ساعة كاملة.

ولم يكن في استطاعة أحد في هذا القطاع من الممر أن يتصور آنئذ مدى تأثير ذلك التأخير على العملية كلها، كما ان المستقبل القريب كان يخفي ما هو أسوأ من ذلك. فقد كان الجسر الكبير الممتد عبر نهر فال عند بلدة نيجميغين على مسافة ٥٥ كيلومتراً الى الشمال، لا يزال في أيدي الالمان. وكان قادة قوات المظلية يخشون ان ينسفه الالمان هو الآخر ما لم يتم الاستيلاء عليه بسرعة. وكان السبب الوحيد الذي أقعد الالمان عن

نسفه حتى ذلك الوقت ان الفيلد مارشال الالماني فالتر موديل أمر بابقائه مفتوحاً لتيسير القيام بهجوم مضاد.

وتتابع مرور الدبابات الهادرة، تراقبها أعين جنود الميجور جنرال ماكسويل تيلور، قائد الفرقة المظلية (١٠١) وقد ملأ صدورهم الفخر بما أنجزوه. فقد تمكن الامريكيون بعد هبوطهم بالمظلات من احتلال قطاع يبلغ طوله ٢٥ كيلومتراً من الطريق الممتد من ايندهوفن الى فيغيل، وحمايته ضد مقاومة عنيفة غير متوقعة. وكان الرجال على طول الطريق يلوحون ويهتفون للكتلة الجبارة من مدرعات الفيلق الثلاثين البريطاني وهي تندفع أمامهم في سبيلها. وخلال دقائق معدودة، كان طابور الفيلق قد تحرك من بلدة زون الى بلدة فيغيل، وواصل سيره بتلك السرعة التي توقعتها خطة مونتغومري للعملية كلها. فمضى رأس الحربة المدرعة في سبيله وسط جموع الهولنديين الهاتفين الملوحين بالاعلام، حتى بلغت بلدة غرافي في الثامنة والنصف صباحاً. وهناك تحقق الاتصال بين قوة الدبابات وقوة البريغادير جنرال جيمس غافين التي تتألف من الفرقة المظلية ٨٢. ويتذكر العريف وليم شينيل الامر قائلا: "عرفت أننا وصلنا اليهم لأن الامريكيين أوقفونا باطلاق نار الانذار، احتياطاً لأي مفاجأة غير مستحبة".

وواصلت القوات تحركها بسرعة، فبلغت أولى الدبابات ضواحي بلدة نيجميغين عند الظهر، وبذلك تم فعلا عبور ثلثي مسافة الممر الحيوي.

لكن الضغوط كانت تتصاعد على طول الكيلومترات الخمسة والعشرين التي تحميها الفرقة (١٠١)، المسماة "النسور الصارخة"، التي يقودها الجنرال ماكسويل تيلور، الى حد ان جنود الفرقة أطلقوا على قطاعهم هذا اسم "الطريق الجهنمي". وكان واضحاً أن العدو يهدف الى عزل الدبابات التي تؤلف رأس الحربة المدرعة، معتمداً في ذلك اتخاذ بلدة بيست قاعدة له. وفي النهاية، قام الجنرال تيلور عصر ١٩ سبتمبر (أيلول) بدفع الفوج ٥٠٢ بأكمله ليتولى تطهير القطاع من الالمان. وبوغت العدو بهذا الهجوم الذي خسر فيه الالمان أكثر من ٣٠٠ قتيل وما يزيد على الالف أسير.

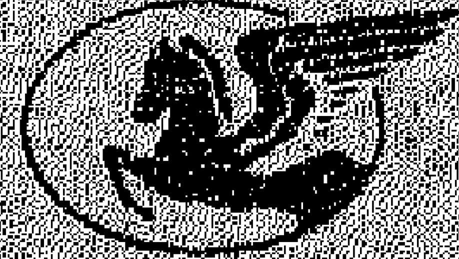
وحدثت خلال معركة بيست احدى الوقائع التي لا تنسى في العملية كلها. فبينما كانت الصفوف الطويلة من أسرى الالمان تساق الى قيادة الفرقة، راح الرقيب تشارلز دوهن، الذي يبلغ من العمر (٣١ عاماً، يبحث عن ضابطه، النقيب ليغراند جونسون. وكاد دوهن خلال وجودهم في انكلترا، قبل الانزال الجوي، ان "يفقد وعيه من القلق"، ولم يكن ضابطه النقيب جونسون، ذو الاثنين والعشرين عاماً، أحسن منه حالا.

وكان النقيب جونسون، صباح ١٩ سبتمبر (أيلول)، اندفع بسريته الى مهاجمة الالمان قرب بلدة بيست. وفي المعركة الشرسة التي اعقبت ذلك، والتي يتذكرها جونسون بأنها "كانت أسوأ ما رأيت أو سمعت به من معارك"، أصابته رصاصة في كتفه

حزيران - تموز (يونيو - يوليو) ١٩٨٠
شعبان - رمضان ١٤٠٠

المختار

من ريدرز دايجست



وفروا ٥٠٪

اكثر من ١٠٠ مليون يقرأون ريدرز دايجست في ١٨٠ بلداً بـ ١٥ لغة

لبنان ٤٥٠ق - سورية ٦٠٠ق - الاردن ٥٠٠ف - الكويت ٥٠٠ف - الامارات العربية المتحدة ٦د - قطر ٦ر - البحرين ٦٠٠ف - السعودية ٦ر - مصر ٥٠٠م - السودان ٥٠٠م - ليبيا ٦٥٠د - اليمن الجنوبية ٦ر - مسقط ٦ر - العراق ٦٠٠ف - تونس ٧٠٠م - المغرب ٣د - الجزائر ٧د - فرنسا ٧ف - انكلترا ٧٥ب - اليونان ١٠٠د - كندا واميركا الشمالية ٢د

اشتركوا اليوم في المختار

ادفعوا ١٢ دولارًا بدلاً من ٢٥ دولارًا
واربحوا جوائز تصل قيمتها الى ٥ آلاف دولار
(عرض خاص يستمر حتى آخر السنة)

NAME .... الاسم :
ADDRESS .... العنوان :
....
PROFESSION .... المهنة :
SIGNATURE .... التوقيع :

NAME .... الاسم :
ADDRESS .... العنوان :
....
PROFESSION .... المهنة :
SIGNATURE .... التوقيع :

تملأ القسيمة وترسل مرفقة بشيك مصرفي باسم

AL MUKHTAR min Reader's Digest

يعطى كل مشترك رقماً ويجري السحب على هذه الارقام في تاريخ يعلن في ما بعد وتنشر النتائج في الصحف.

ترسل القسائم الى العنوان الآتي:

AL MUKHTAR min Reader's Digest
19 av. Franklin D. Roosvelt
75 008 PARIS, FRANCE

اليسرى. وبعدما أنقصت الاصابات عدد سريته من ١٨٠ الى ٣٨ رجلا وحوصروا في حقل مليء بأكوام التبن المشتعلة، ظل جونسون يصد الالمان حتى تمكنت السرايا المعاونة من اجلاء المصابين الاحياء.

وبينما كان جونسون يستند على أحد المعاونين متجهاً الى وحدة للاسعاف الاولي، اصابته رصاصة أخرى أخترقت رأسه هذه المرة. وترتب على ذلك أنه، حين بلغ محطة الاسعاف الاولى، وضع جسمه بين المصابين بجروح مميتة،في ما يسميه جنود الخدمة الطبية "كومة الموتى". وهناك، بعد بحث طويل، عثر عليه الرقيب دوهن، فركع الى جانبه يفحصه. وما لبث ان أيقن أن في ضابطه رمقاً من الحياة.

وحمل دوهن الجسد المرتخي ومدده مع أربعة مصابين آخرين من سريته في سيارة جيب، ومضى نحو مستشفى الميدان في بلدة زون. وقطع عليه طريقه ظهور الالمان، فقاد السيارة الجيب داخل الغابة، حيث اختبأ حتى غابت الدورية الالمانية عن البصر، فخرج مواصلا طريقه.

وعندما بلغ المستشفى، وجد طوابير طويلة من المصابين الذين ينتظرون أدوارهم في العلاج. وكان دوهن موقناً من أن جونسون قد يموت في اي لحظة، فتجاوز صفوف المنتظرين حتى وصل الى أحد الجراحين، وقال له:"سيدي الرائد، ان ضابطي يحتاج الى العلاج فوراً". فهز الرائد الجراح رأسه وقال:"آسف أيها الرقيب. لا بد له من أن ينتظر دوره". فعاود دوهن المحاولة قائلا:"انه سيموت يا سيادة الرائد اذا لم تفحصه على الفور". لكن الجراح قال بحزم:"ان أمامنا هنا رجالا كثيرين. وسنعتني بضابطك حالما يأتي دوره".

عندئذ أخرج دوهن مسدسه (عيار ٤٥) ورفع زناده، وقال بهدوء:"ان ذلك لا يكفل السرعة اللازمة. وسأقتلك يا سيدي الرائد على الفور حيث تقف الآن ما لم تفحصه حالا". فحملق الجراح في وجه دوهن مذهولا، ثم قال:"أئتني به".

ووقف دوهن في غرفة العمليات ممسكاً بمسدسه، بينما أخذ الجراح، بمعاونة فريق طبي، يعمل على جروح جونسون. وبعدما أزيلت الرصاصات من جسم النقيب وضمدت جروحه، تقدم دوهن من الجراحوسلمه مسدسه قائلا:"حسناً. شكراً جزيلا. يمكنك الآن ان تقبض علي".

وأعيد دوهن مخفوراً الى قيادة الكتيبة حيث سيق أمام قائدها، فوقف معتدلا وقفة عسكرية في وضع الانتباه. وحين سئل عما اذا كان يدرك جسامة ما ارتكبه، وأن عمله ذاك يشكل جريمة تستحق المحاكمة العسكرية، أجاب:"نعم يا سيدي، أعرف ذلك". فأخذ القائد يتمشى جيئة وذهاباً، ثم توقف فجأة وقال:"أيها الرقيب، انني أضعك رهن الاعتقال". ونظر الى ساعته واستطرد:"لمدة دقيقة واحدة بالضبط". ووقف الرجلان ينتظران بصمت، ثم نظر القائد الى دوهن وقال:"انصراف! ارجع الآن الى وحدتك". فحياه دوهن تحية عسكرية

رائعة وأجاب: "نعم يا سيدي". وانصرف.

"كابوس حقيقي"

كان آخر عائق مائي بين الدبابات وآرنهيم يقوم عند نيجميغين، حيث يوجد جسران - أحدهما لمرور القطارات والثاني للسيارات - يمتدان عبر نهر فال الذي يبلغ اتساعه نحو ٤٠٠ متر. وفي ١٧ سبتمبر (أيلول)، لم يكن لدى الالمان سوى بضعة جنود يحرسون مشارف الجسرين. ولكن مع حلول عصر التاسع عشر، قدر الجنرال غافين ان في مواجهته عدداً يزيد على الخمسمئة من رماة "س - س" الالمان، يحتلون مواقع ملائمة وتعاونهم المدفعية والمدرعات.

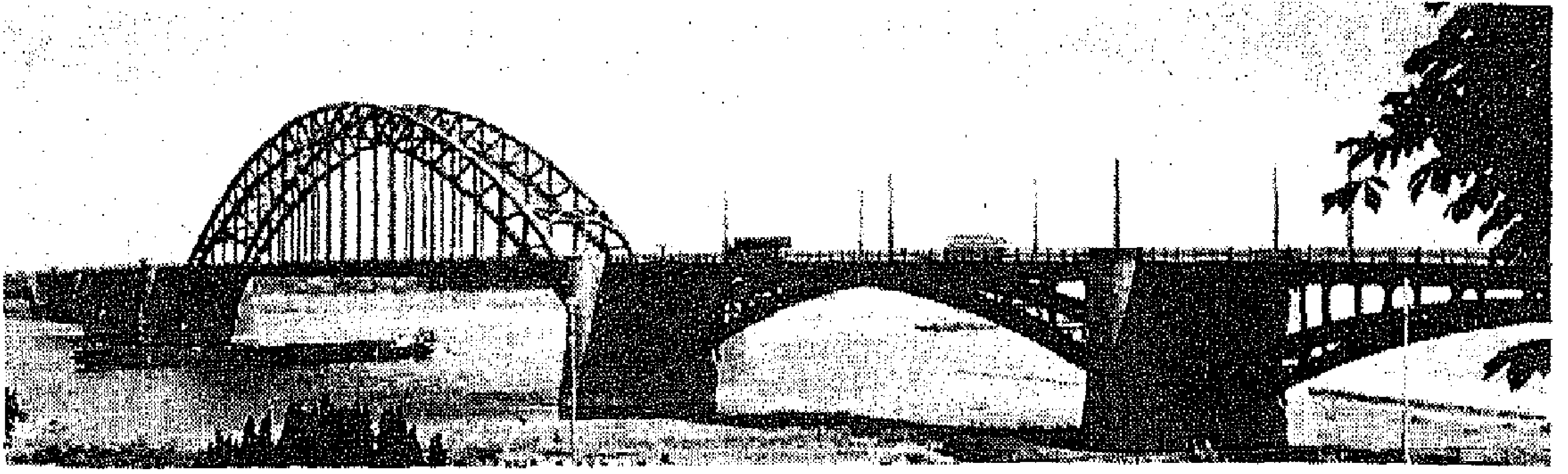
وقال غافين مخاطباً مجموعة من الضباط البريطانيين والامريكيين: "هناك طريقة واحدة للاستيلاء على الجسر، وهي أن نهاجمه من الجانبين في وقت واحد".

وكانت خطة غافين تقضي بارسال قوة تحملها القوارب عبر النهر عند نقطة تبعد نحو ٨٠٠ متر أسفل المجرى، مع مواصلة الهجوم في الوقت نفسه للاستيلاء على المشارف الجنوبية للجسر، على ان تتولى القوات العابرة بعد ذلك، تحت ستار من نار الدبابات، اقتحام خطوط دفاع العدو على الجانب الشمالي للجسر قبل ان يتمكن الالمان من ادراك ما يحدث بالضبط.

لكن المباغتة الكاملة كانت أمراً غير ممكن، اذ ان النهر أعرض من ان يتيح نقل حمولة القوارب من الرجال من غير ان يلحظهم احد. كما ان الضفة على الجانب البعيد كانت مكشوفة تماماً الى حد يفرض على الجنود، بعد العبور، اختراق مسافة عرضها ٢٠٠ متر من الارض المسطحة العارية. وعلى رغم أنه كان متوقعاً حدوث نسبة مرتفعة من الاصابات في البداية، الا ان غافين رأى أن هذه الاصابات ستكون، مع ذلك، أقل مما يمكن حدوثه اذا استمرت هجمات المواجهة ضد مشارف الجسر الجنوبية حتى يتم اجتياحه.

وكانت المشكلة العاجلة تتعلق بتأمين القوارب. وبحث الجنرال برايان هوروكس، قائد الفيلق الثلاثين، في أمر هذه القوارب مع مهندسيه، فعلم أنهم يحملون معهم ٢٨ قارباً خفيفاً مصنوعاً من القماش السميك وألواح الخشب الرقيق. وتقرر الاسراع في حمل هذه القوارب الى نيجميغين ليلاً. واذا أمكن تنفيذ الخطة في الوقت المناسب، فان هجوم غافين البرمائي، الشبيه بهجوم النورماندي على نطاق صغير، سيجري عبر نهر فال في الاولى من بعد ظهر ٢٠ سبتمبر (أيلول). ولم يكن سبق لجنود المظلات أن حاولوا مثل هذه العملية القتالية. لكن خطة غافين كانت تتيح، كما يبدو، أفضل أمل للاستيلاء على جسر نيجميغين سليماً. ويمكن بعد ذلك، كما كان الجميع لا يزالون يعتقدون، القيام باندفاع آخر سريع على طول الجزء الباقي من الممر والالتقاء مع القوات المقاتلة في آرنهيم.

وفي صباح ٢٠ سبتمبر (ايلول)، كان المظليون المنتظرون يزحمون المنطقة على مسافة قليلة من موقع



صورة التقطت في العام ١٩٦٤ لجسر نيجميغين.

العبور، أسفل المجرى من جسر السكة الحديد عند نيجميغين. وكان الجنود الامريكيون والبريطانيون واصلوا العمل طوال الليل لتوسيع المساحة المؤدية الى ضفة النهر كي تتمكن دبابات الفيلق الثلاثين ومدفعيته الثقيلة من احتلال مواقع لاطلاق النار بغية دعم الهجوم. وكان من المقرر ان تحلق طائرات تيفون على علو منخفض فوق الضفة الشمالية قبل ساعة الصفر بنصف ساعة لتغرق المنطقة كلها بنار الصواريخ والرشاشات، على ان تتولى الدبابات والمدفعية من مواقعها الارضية قذف الموقع مدة ١٥ دقيقة أخرى، تنشر الدبابات بعدها ستاراً من الدخان تنطلق في ظله الموجة الاولى من الرجال بقيادة الميجور جوليان كوك البالغ ٢٧ عاماً، لتقوم بواحدة من أجرأ عمليات عبور الانهار في التاريخ.

ووقف كوك في الطابق التاسع لمحطة مجاورة لتوليد الطاقة يراقب الضفة الشمالية عبر منظار، فرأى وراء الضفة المنبسطة رصيفاً منحدراً لسد مائي يرتفع بمقدار أربعة أمتار ونصف متر الى ستة أمتار. ورأى بوضوح جنود الاعداء في مواقعهم على طول أعلى السد. ويتذكر كوك ان الفكرة التي راودته آنذاك كانت "ان شخصاً ما تفتق ذهنه عن كابوس حقيقي".

ولم تصل القوارب في الموعد المقرر، فأعيد تحديد موعد الهجوم للساعة الثالثة عصراً. لكن الساعة بلغت الثانية عصراً من غير ان يظهر اي أثر للقوارب. ولم يعد الوقت يسمح بوقف هجوم اسراب طائرات تيفون التي بدأت تقترب فعلا. وفي تمام الثانية والنصف عصراً، بدأت الطائرات ضربتها. وانطلقت تبرق في السماء فوق الرؤوس لتنقض واحدة بعد أخرى مطلقة صواريخها ونار مدافعها الرشاشة على مواقع العدو. وبعد عشر دقائق وصلت الشاحنات الثلاث التي تحمل القوارب. فرأى رجال كوك للمرة الاولى - وكان ذلك قبل موعد العبور بعشرين دقيقة فقط - الزوارق الهوائية الخضراء الهشة التي ستحملهم.

كان طول الزورق يقل عن ستة أمتار وله قاع مسطح مقوى بألواح من الخشب الرقيق العريض. وكانت

جوانبه المصنوعة من القماش السميك مثبتة في أماكنها بدعائم خشبية يبلغ ارتفاع كل منها ٧٥ سنتيمترا. وكان المفروض ان يكون كل زورق مزودا بثمانية مجاذيف. لكن عددا كبيرا من الزوارق لم يكن فيه سوى مجذافين، مما كان يعني ان على الرجال استخدام قواعد بنادقهم للتجذيف.

وسارع المهندسون الى بدء عملية تركيب الزوارق. ولدى فراغهم من تركيب أحدها، كان المظليون المختصون يحملون اليه معداتهم ويتأهبون للاندفاع به الى مياه النهر. وتم تجميع القوارب كلها أخيراً وسط ضجيج القذف بالنار الموجهة الى الضفة البعيدة. ويتذكر الملازم أول باتريك مولوي أن "شخصاً ما صاح قائلا: انطلقوا! فأمسك الجميع بجوانب زوارقهم وأخذوا يسحبونها نحو مياه النهر".

الا انه عندما وصلت الموجة الاولى، التي يبلغ عددها ٢٦٠ رجلا، الى حافة النهر، بدأت عملية العبور تتخذ شكل الكارثة. فقد وضع بعض الزوارق في مياه ضحلة أكثر من اللازم، فالتصقت بطين القاع وتعذر تحريكها. وأخذ الرجال يكافحون ويتخبطون في المياه الموحلة ليحملوها الى مواضع أعمق. ودفعوها نحو وسط المجرى ثم تسلقوا ليعتلوها، لكن بعض الزوارق انقلب خلال محاولة الجنود رفع أنفسهم اليها. وكان بعض الزوارق الاخرى المثقلة بأحمالها قد وقع في قبضة التيار وبدأ يدور حول نفسه وتعذرت السيطرة عليه. وغرقت زوارق أخرى تحت وطأة شحناتها. ووسط هذا الارتباك الشامل، فتح الالمان نارهم.

وبلغت كثافة النار وتركيزها درجة أعادت الى ذهن الملازم مولوي "ذكرى أسوأ ما واجهناه في بلدة آنزيو لدى هبوط قوات الحلفاء على ساحل ايطاليا فقد كان الالمان يطلقون نارهم بالرشاشات الثقيلة ومدافع الهاون موجهين الجانب الاكبر منها من أعلى رصيف السد على الضفة المقابلة ومن جسر السكة الحديد. وأحسست فعلا بأني هدف ثابت لهم". وأصيب القسيس ديلبرت كويهل بالغثيان لفظاعة ما شاهده، فقد انفجر رأس الرجل الجالس الى جواره، بينما ظل كويهل يردد: "لتكن مشيئتك يا رب".

وراحت شظايا القذائف تمزق الاسطول الصغير. وغرق الزورق الذي يحمل نصف قوة الملازم جيمس ميغيلاس من غير ان يترك أثراً أو ينجو من ركابه أحد. وتساقطت النار حول زورق النقيب موفات بوريس وكأنها الوابل. وأخيراً قال المهندس الذي يتولى توجيه الزورق: "أمسك الدفة، فقد أصبت". واشتبكت قدم المهندس بمؤخر الزورق خلال سقوطه الى الماء، فأخذ الزورق يدور حول نفسه. واضطر النقيب بوريس الى دفع جثة المهندس بعيداً في الماء، وقتل رجلان آخران في زورقه قبل ان يتمكن من انهاء ذلك.

وأخيراً وصلت الموجة الاولى من المهاجمين الى ضفة النهر الشمالية. وكان اللفتنانت كولونيل جايلز فاندلير يراقب عملية الانزال، فرأى زورقاً أو اثنين يصلان الى الضفة، وخلفهما ثلاثة زوارق أو أربعة اخرى.



الفرقة المظلية ٨٢ تتحرك عبر اطلال بلدة نيجميغين٠

ولم يتوقف أحد، بل خرج الرجال من زوارقهم وبدأوا يركضون على الفور نحو رصيف السد٠ لقد كان حقاً مشهداً لا نظير له من مشاهد الجسارة والاقدام! فقد مضى الرجال يعبرون تلك الارض المكشوفة باصرار، ولم أر واحداً منهم يتوقف أو ينبطح أرضاً الا اذا أصيب٠ وفي ظني أن القوة التي عبرت لم تزد على نصف أسطول الزوارق"٠ ثم رأى فاندلير ما أذهله:"فقد استدارت الزوارق عائدة لكي تحمل الموجة الثانية"٠ والتفت الجنرال فريدريك براونينغ الى الجنرال هوروكس وقال:"هذه أجرأ عملية رأيتها في حياتي كلها"٠

الى الجسرين

بينما كان زورق الهجوم الذي يستقله الرائد جوليان كوك يقترب من الضفة الشمالية للنهر، رأى كوك الى يمينه حركة في المياه الرمادية العكرة٠ "ورأيتني أنظر الى ما يشبه فقاعة هوائية كبيرة تتحرك بثبات نحو الضفة، فظننت ان خيالي جمح بي٠ وعندئذ انشق الماء عن قمة خوذة بقيت تتحرك الى الامام، ثم ظهر تحت الخوذة وجه رجل عرفت فيه الجندي جوزف جدليكا من مجموعة المدافع الرشاشة٠ ورأيته يخرج من الماء بجسمه الصغير وقد التفت حول كتفيه أشرطة من طلقات المدفع

الرشاش، وفي كل من يديه صندوق مليء بالطلقات أيضاً". وكان جدليكا سقط في مياه عمقها مترين ونصف متر قبل ان يصل زورقه الى الضفة. فما كان منه الا ان حبس أنفاسه ومضى يمشي بهدوء فوق قاع النهر حتى خرج من الماء.

ووسط الدخان والضجيج والارتباك الشامل، لم يتمكن بعض رجال الموجة الاولى من تذكر طريقة عبورهم المنطقة المكشوفة على الضفة. وعلى سبيل المثال، فان العريف جاك بومر، المختص بالاتصالات والاشارة، كان مثقلا بالمهمات، فمضى بكل بساطة يركض الى الامام، "وفي ذهنه أمر واحد: أن يظل حياً اذا استطاع". وكان يعرف أن عليه بلوغ رصيف السد وانتظار المزيد من التعليمات. وعندما بلغ قمة الرصيف رأى "الجثث في كل مكان. وكان الجنود الالمان - وبعضهم لا يزيد عمره على ١٥ عاماً والبعض الآخر جاوز الستين - الذين أمعنوا فينا قتلا قبل بضع دقائق ونحن في الزوارق، يصرخون طالبين الرحمة وهم يحاولون الاستسلام كأسرى حرب". لكن المهاجمين كانوا تحت تأثير الصدمة العنيفة والغضب الشديد بسبب المحنة التي مروا بها مع زملائهم الذين رأوهم يموتون تحت أبصارهم، فلم يأخذوا كثيراً من الإسرى. ويتذكر بومر "ان بعض الالمان قتلوا رمياً بالرصاص على الفور من مسافات قريبة جداً".

ولم تتمكن الموجة الاولى من اجتياح جميع مواقع العدو. لكن العديد من رجالها أصبحوا قابعين في مواقع المدافع الرشاشة التي كان يشغلها الالمان من قبل، مما أتاح لهم المساهمة في حماية وصول الموجات التالية. وقد فقد زورقان آخران في عملية العبور الثانية. لكن المهندسين، على رغم العياء الشديد ووابل القذائف المنصب عليهم، تمكنوا من القيام بخمس رحلات أخرى في الزوارق الاحد عشر الباقية، أنجزوا فيها نقل جميع الجنود عبر نهر فال الدامي. وأصبحت السرعة أهم عنصر بعد ذلك، اذ كان على رجال كوك الاستيلاء على أطراف الجسرين الشمالية قبل ان يتنبه الالمان لما حدث، وقبل ان ينسفوا الجسرين.

وكان الالمان آنذاك ينسحبون الى مواقع ثانوية. لكن جنود كوك لم يتركوا لهم اي فرصة بل اندفعوا وراءهم بلا هوادة ولا شفقة. ويعلق النقيب هنري كيب على ذلك: "بدا ان الباقين من رجال الكتيبة تملكتهم حمى الهياج وأفقدهم الغضب كل وعي، فنسوا معنى الخوف الى حين. ولم يحدث أن رأيت أبداً - لا قبل ولا بعد - تحولا بشرياً عنيفاً وحاداً كالذي رأيته اليوم. لقد كان مشهداً رهيباً، لكنه لم يكن جميلا على الاطلاق".

ومضى الجنود بنجاح كبير يرغمون الالمان على الخروج من جحورهم ومواقعهم ويواصلون هجومهم الساحق من دون أن يتوقفوا للراحة أو لاعادة التجمع. وواصلوا القتال في الحقول والبساتين والمنازل القائمة وراء رصيف السد، تحت نار الرشاشات وبطاريات المدافع المضادة للطائرات التي صوبت اليهم. وفي الوقت

نفسه، انطلقت بعض الوحدات من السريتين تسابق الريح في عدوها نحو الجسرين.

وعند جسر السكة الحديد، جوبهت السرية "هـ" بدفاع شديد من الالمان بدا انه يهدد الهجوم الامريكي بالتوقف. لكن استمرار ضغط الهجوم من القوات الامريكية والبريطانية عند طرف الجسر الجنوبي وفي بلدة نيجميغين نفسها جعل دفاع العدو ينهار فجأة. ودهش النقيب كارل كابل وهو يرى الالمان يتراجعون عبر الجسر "بأعداد كبيرة"... نحو مدافع الامريكيين! وتركهم الامريكيون يقطعون ثلثي المسافة، ثم فتحوا عليهم النار. وقتل من الالمان ٢٦٠ رجلا وجرح كثيرون، ووقع العشرات منهم أسرى قبل ان يتوقف اطلاق النار. وبعد ساعتين من بدء الهجوم على جسري نهر فال، سقط أول الجسرين في أيدي المهاجمين.

واتصل النقيب كابل بالرائد كوك عن طريق الراديو ليحثه على دفع الدبابات البريطانية الى العبور بأسرع ما يمكن، اذ كان النقيب كابل والنقيب بوريس يظنان ان حصولهما على دعم هذه الدبابات يكفل لهما الاستيلاء على الغنيمة الكبرى، وهي الجسر الذي يمتد فوقه طريق السيارات. وانطلق الجنود في طريقهم من غير ان يترددوا لحظة واحدة.

كان الدخان المتصاعد يحجب منظر نهر فال البعيد في ضوء الغسق عندما أخذ الجنرال الالماني هاينز هارمل يحملق عبر منظاره، محاولا رؤية ما يجري من موقعه الامامي قرب بلدة لينت حيث جاء الى الجنوب من آرنهيم. وكانت المدافع تزأر حوله في كل اتجاه، والجنود يتحركون متراجعين خلال البلدة ليتخذوا مواقع جديدة. وكانت أسوأ مخاوف الجنرال هارمل قد تحققت، اذ تمكن الامريكيون، خلافاً لكل التوقعات، من عبور نهر فال بنجاح جريء ومدهش. ومن بلدة نيجميغين نفسها كان الكابتن كارل يولينغ قد أرسل الى قائده آخر رسائله المختصرة، يخبره انه محاصر ولم يبق معه سوى ستين رجلا. ولم يعد لدى الجنرال هارمل أي شك في ان الجسرين ضاعا. ولم يكن يعلم اذا كان جسر السكة الحديد قد تم نسفه أم لا. لكنه أدرك انه اذا كان يريد نسف الجسر الذي يجري عليه طريق السيارات، فلا بد له من ان يفعل ذلك على الفور.

ولم يكن هارمل اتصل بقائده الجنرال فيلهلم بيتريتش "لأنذره مقدماً بأني ربما اضطررت الى نسف جسر السيارات. وقد افترضت ان بيتريتش هو الذي أصدر الامر باعداد التدابير لنسف الجسرين". ورأى هارمل من المنطقي بناء على ذلك - وعلى رغم أوامر مودل - "أنه لو كان بيتريتش مكاني لنسف الجسر الرئيسي. وكان رأيي ان أوامر مودل بعدم نسف الجسر أصبحت على اي حال لاغية آلياً فيضوء التطورات التي حدثت". وكان يتوقع ان تظهر الدبابات البريطانية في اي لحظة على جسر السيارات.

ووقف هارمل قرب المهندس المختص الى جوار صندوق التفجير، وأخذ يفحص المعبر بدقة. ولم



دورية المانية قرب آرنهيم.

يستطع في البداية ان يكتشف اي حركة. وما لبث ان رأى دبابة وحيدة تبلغ منتصف الجسر، تعقبها دبابة أخرى تسير وراءها بانحراف قليل الى اليمين. فقال للمهندس:"استعد". وظهرت في مجال النظر دبابتان أخريان. وانتظر هارمل حتى وصل صف الدبابات الى منتصف الجسر تماماً، ثمأصدر امره:"انسفه!"

وضغط المهندس مقبض صندوق التفجير الى أسفل، ولكن لم يحدث شيء. وواصلت الدبابات البريطانية تقدمها، فصرخ هارمل:"مرة أخرى!" وعاد المهندس يضغط مقبض التفجير الى أسفل، لكن الانفجارات الهائلة التي كان هارمل يتوقعها لم تحدث. وهو يقول مستعيداً ذلك:"كنت اتوقع رؤية الجسر ينهار والدبابات تتهاوى الى النهر. لكنها، بدلا من ذلك، راحت تواصل تقدمها بلا هوادة، وأخذ حجمها يزداد ضخامة وقرباً عبر المنظار". وصاح هارمل مخاطباً اركان حربه الذين استولى عليهم القلق:"يا الهي! انهم سيصلون الى هنا في دقيقتين!"

وراح هارمل يصدر أوامر متتابعة الى ضباطه، فأمرهم "باقفال الطرق بين بلدتي ايلست ولينت بكل قطعة متوافرة من المدفعية المضادة للدبابات وغيرها، لأننا ان لم نفعل ذلك فسوف يواصلون طريقهم الى آرنهيم مباشرة". وانتهى الى علمه في تلك اللحظة ان جسر السكة الحديد كذلك لا يزال قائماً لم ينسف. فازداد أسفه وقلقه، واندفع الى وحدة للراديو في أحد مواقع القيادة

القريبة، حيث اتصل بمقر قيادته المتقدم وتحدث الى ضابط عملياته قائلا: "انبىء بيتريتش بأنهم عبروا نهر فال".

وكانت الساعة بلغت السابعة والربع من مساء ٢٠ سبتمبر (ايلول)، وكانت آرنهيم على مسافة لا تتجاوز ١٨ كيلومترا.

"حفظ الله الملك"

عند جسر آرنهيم، كان التحدي الذي قامت به قلة من الشجعان في وجه الالمان أوشك على نهايته. فقد استأنف الالمان عند الفجر وابل قذائفهم الرهيب، وأخذت أكوام الحطام العاري التي كانت بيوتا ومكاتب من قبل تستقبل من جديد نار الالمان الكثيفة.

لقد كانت الشجاعة العارية وحدها سند رجال فروست حتى تلك اللحظة. وأمدتهم هذه الشجاعة المجردة بما يكفي من عزم وقوة وثبات لصد الالمان طوال ثلاث ليال ويومين، فتمكنت كتيبتهم بمفردها من تحقيق هدف فرقة انزال جوي كاملة. وثبتت في مواقعها فترة أطول مما كان مطلوبا من الفرقة أن تفعله. وطوال الساعات الحافلة بالاستماتة والقلق، في انتظار معونة لم تصل أبدا، كانت الفكرة السائدة بينهم تلك التي لخصها العريف غوردون سبايسر حين كتب: "من المتقاعس عن أداء واجبه؟ لسنا نحن!"

وقرب الظهيرة، جرح الرجل الذي صمد في تحديه للالمان بهذا العناد الاسطوري. فقد كان فروست يقابل الميجور دوغلاس كرولي حين فوجىء، كما يذكر هو، "بانفجار هائل" اقتلعه من قدميه وألقى به منبطحا على وجهه على بعد بضعة أمتار. فقد انفجرت قذيفة مدفع هاون بين الرجلين، لكنهما أفلتا من الموت بمعجزة. غير أن الشظايا مزقت كاحل فروست الايسر وقصبة ساقه اليمنى. وقام حاملو المحفات بنقل الرجلين الى الملجأ مع الجرحى الآخرين. ورأى الملازم جون بلانت أن منظر الكولونيل ممددا على محفة كان ضربة قاصمة: "فقد كان أمرا بالغ الايلام أن نراه محمولا الى الداخل على تلك الصورة، بعد ما بقي صامدا كالطود لا يهزه شيء".

واستيقظ فروست نحو السابعة مساء وقد استبد به الضيق لانه استسلم للنوم. وكان الملجأ قد امتلأ بأكثر من ٢٠٠ مصاب، وأصبحت الحرارة فيه شديدة. وطلب فروست أن يرسلوا اليه الميجور غاو. وقال له حالما رآه: "عليك أن تتولى القيادة".

كان المبنى يحترق والجرحى معرضين لخطر "الشواء وهم أحياء". وكان الرجال في جميع أنحاء الملجأ المظلم يسعلون من فرط الدخان الخانق المتسرب اليهم. وركع الدكتور جيمس لوغان، رئيس الوحدة الطبية للكتيبة، الى جوار فروست، وقال له ان الوقت حان لاخراج المصابين. واستطرد بتصميم: "لا بد لنا من الاتفاق مع الالمان على عقد هدنة موقتة يا سيدي. فنحن لا نستطيع الانتظار أكثر من ذلك". فالتفت فروست الى الميجور غاو وأمره باتخاذ التدابير اللازمة، "ولكن مع توزيع الجنود المقاتلين على مبان أخرى ومواصلة العمليات. فقد

رأيت أنه، على رغم ضياع الجسر من أيدينا، فقد كنا نستطيع مواصلة السيطرة على مشارفه لفترة أخرى قد تكون كافية لضمان وصول مدرعاتنا".

وانصرف غاو ولوغان لاتخاذ تدابير الهدنة. ثم حمل فروست الى أعلى بمعاونة جندي مظلات مصاب بصدمة القنابل، ووضع على ضفة النهر قرب الجسر الذي بذل كل ذلك الجهد المستميت حتى يبقى مسيطرا عليه. وكانت الحرائق الشديدة مشتعلة في المباني القائمة من حوله في كل اتجاه. ورأى الجنود الالمان والبريطانيين "يعملون معا بأقصى سرعة لاخراج المصابين، بينما كان ضوء اللهب يسطع على المنظر كله". وبعد اخراج آخر مصاب بدقائق قليلة، ارتفع زئير مفاجيء ثم انهار المبنى بأكمله واستحال كومة انقاض ملتهبة. والتفت فروست الى الرائد كرولي الراقد على محفة بجانبه، وقال بصوت متعب: "حسنا يا دوج، اننا لم نفلت بالغنيمة هذه المرة، أليس كذلك؟" فهز كرولي رأسه وقال: "كلا يا سيدي، لكننا جعلناهم يشقون من أجلها شقاء عظيما".

وكانت عيون الجرحى البريطانيين مفعمة بالدهشة والحذر وهم يراقبون الجنود الالمان الذين راحوا يتنقلون بينهم بروح زمالة غير عادية ويقدمون اليهم السجائر والشوكولاته والشراب. ولاحظ جنود المظلات البريطانيون بمرارة أن معظم تلك الامدادات بريطانية، وكان واضحا ان الالمان جمعوها من الامدادات التي أسقطتها الطائرات البريطانية، لكنها وقعت في أيدي الالمان.

غير أن اليأس لم يتطرق الى من بقي سالما من رجال فروست الاشاوس. وبينما كان آخر جريح يحمل خارج الملجأ، بدأت المعركة من جديد كأشد ما كانت قبل ساعة. ويتذكر غاو ذلك بقوله: "كان كابوسا مريعا، اذ كنا حيثما التفتنا، نجد الالمان أمامنا وخلفنا وعلى الجانبين فقد تمكنوا من تسريب قوة كبيرة الى المنطقة خلال الهدنة، وأصبحوا متمركزين في كل مبنى بلا استثناء. لقد اجتاحوا موقعنا فعلا".

وكان الالمان يعرفون أن القتال انتهى، وأن كل ما بقي منه لا يزيد على عملية تطهير. وكان مما يثير السخرية أنه، على رغم وجود دبابات لهم فوق الجسر، فان تلك الدبابات كانت عاجزة عن العبور لان الحطام المتشابك فوق الجسر كان يحتاج الى ساعات طويلة لازالته. وفي النهاية، لم يمكن فتح طريق ضيق وبدء المرور عبر الجسر الا في الساعات الاولى من صباح ٢١ سبتمبر (ايلول).

ومع أول ضوء في يوم الخميس، خرج غاو ومن بقي من رجاله المبعثرين في القطاع من مخابئهم. ان القوات الرديفة لم تصل، بينما كان الالمان يعملون منهجيا على احتلال المواقع وارغام الرجال الذين نفدت ذخيرتهم على التسليم. وأخذ الجنود البريطانيون الباقون يتبعثرون فرادى أو في أزواج، محاولين الهرب من القطاع من غير أن يلحظهم أحد. وعلى هذا النحو البطيء المتحدي، بدأت بقايا المقاومة البريطانية تنتهي.

واتجه الميجور غاو الى محطة توزيع

المياه القريبة، آملا في الاختباء والراحة بعض الوقت، لكي يتخذ طريقه بعد ذلك غربا نحو القوات الرئيسية التي يقودها الجنرال أوركوهارت. وأمام محطة المياه تناهت الى سمعه أصوات ألمانية، فأسرع نحو كومة خشب وحاول أن يختفي تحتها. لكن كعب حذائه ظل بارزا من طرفها، فرآه أحد الالمان وأمسك به وسحب غاو خارجا. ويقول غاو: "كان التعب قد بلغ مني مداه، فاكتفيت بالنظر اليهم وانفجرت ضاحكا". وقاده الالمان أسيراً.

وفي غرفة مليئة بالاسرى الآخرين، أرسل ميجور الماني في طلب غاو. وعندما جيء بالضابط البريطاني، حياه الرائد الالماني تحية هتلرية وقال له: "اعتقد أنك قائد هذه القوة". فنظر اليه غاو بحذر وقال: "نعم". فقال الالماني: "أود ان أهنئك أنت ورجالك لانكم جنود أشاوس. لقد سبق أن حاربت في ستالينغراد. ولكن من الواضح أنكم، أيها البريطانيون، تملكون مقدارا كبيرا من الخبرة في قتال الشوارع". فحملق غاو في وجه الضابط الالماني وقال: "كلا. لقد كانت هذه اول محاولة لنا. وسنكون أفضل كثيرا المرة المقبلة".

وفي لحظة ما من هذه الساعات الاخيرة، أرسل أحدهم من قرب الجسر رسالة أخيرة بالراديو لم تلتقطها قيادة أوركوهارت ولا قيادة الجيش الثاني البريطاني. لكنها وصلت واضحة الى وحدة الاستماع التي يقودها اللفتنانت كولونيل فالتر هارتسر في قيادة فرقة الصدام المدرعة "س - س" التاسعة. وبعد انقضاء سنوات طويلة على الواقعة، لم يستطع هارتسر ان يتذكر الرسالة بأكملها، وان يكن قد لفتته منها الجملتان الاخيرتان فظل يذكرهما، وهما: "نفدت الذخيرة. حفظ الله الملك".

على مرمى البصر

في الساعة ١٠،٤٠ من صباح الخميس (٢١ سبتمبر (ايلول)، أبلغ النقيب رولاند لانغتون من قوة الحرس الايرلندي ان على سريته الرقم ١ أن تندفع خارجة من رأس الجسر الذي تم الاستيلاء عليه حديثا في نيجميغين كي تصل الى آرنهيم. وقال له الليفتنانت كولونيل جو فاندلير ان ساعة الصفر ستكون الحادية عشرة صباح اليوم نفسه.

وعلى رغم أن فاندلير لم يكشف عن مشاعره للكابتن لانغتون، الا أنه كان متشائما في ما يتعلق بنتيجة هذا الهجوم. فقد سبق له أن قام مع آخرين، من بينهم ابن عمه اللفتنانت كولونيل جايلز فاندلير، بعبور جسر نيجميغين لدراسة الطريق الرئيسي المتجه شمالا نحو آرنهيم. وكان الطريق في ذلك الموضع يمتد على ارتفاع ٢٥٠ سنتيمترا حتى ٣٥٠ سنتيمترا فوق أرض لينة مستصلحة من البحر على كلا الجانبين، مما جعل الامر يبدو لهؤلاء الضباط غير مبشر بأي خير. وكان أول من علق على ذلك الميجور دنيس فيتزجيرالد، الذي يلي جو فاندلير في القيادة، فقال: "سيدي، اننا لن نتمكن من التقدم مترا واحدا فوق هذا الطريق اللعين". ووافقه على كلامه جايلز فاندلير،

فقال معقبا: "انه مكان لا يعقل ان يحاول أحد تسيير الدبابات فوقه".

وكان التقدم على طول الممر المراد فتحه يجري حتى تلك اللحظة في جبهة عرضها دبابة واحدة. الا انه كان من الممكن دائما اجراء المناورات والتحرك على جانبي الطريق الرئيسي. أما الموضع الذي بلغوه، فيتذكر جايلز فاندلير انه "لم يكن يتيح اي فرصة للخروج عن الطريق. فرصيف السد الذي يعلوه طريق رئيسي يوفر امكانات ممتازة للدفاع، لكنه مكان غير مناسب مطلقا للدبابات.

والتفت جايلز الى الضباط الآخرين وقال: "يمكنني أن أتخيل الالمان وهم جالسون هناك يفركون أيديهم ابتهاجا وهم يروننا قادمين". وحملق جو فاندلير في المنظر صامتا، ثم قال: "على رغم ذلك، علينا أن نحاول، مجربين حظنا مع هذا الطريق اللعين".

وفي تمام الحادية عشرة صباحا، أمسك الكابتن لانغتون بالميكروفون في سيارة الاستطلاع التي يركبها وأذاع الرسالة الآتية على وحداته بالراديو: "انطلقوا! انطلقوا! انطلقوا! لا تتوقفوا لاي سبب". وأخذت دباباته تهدر أمام مكتب بريد بلدة لينت متجهة الى الطريق الرئيسي. وقال لانغتون لنفسه وهو يستسلم للاقدار: "إما أن نحقق ذلك الان واما لا نحققه أبداً". وبعد فترة ١٥ أو ٢٠ دقيقة بدأ يتنفس بحرية أكثر، اذ لم تصدر اي حركة من العدو. وأحس لانغتون "بشيء من الخجل لما انتابه قبل من قلق شديد".

ومضت دبابات الحرس الايرلندي تزحف باطراد. وكان النقيب لانغتون في سيارة الاستطلاع التي يستقلها يسمع صوت الملازم طوني ساموليسون، قائد الدبابات المتقدمة، وهو يعلن أن أول عربة مصفحة تقترب الان من مشارف بلدة ايلست. ولكن عندما بلغ الحرس الايرلندي منتصف الطريق الى آرنهيم سمع لانغتون انفجارا عنيفا عن يمينه. فالتفت ورأى "عجلة دبابة شيرمان ترتفع بكسل في الهواء فوق قمم بعض الاشجار القائمة على مقربة منا". وأدرك حالا أن احدى الدبابات المتقدمة أصيبت. ولم يلبث الملازم ساموليسون، الذي كان على مقربة من الدبابات، أن أكد حقيقة ذلك.

وتوقف الطابور فجأة. واضطربت الاقوال في رواية ما حدث، وأصبحت الاصوات التي ينقلها الراديو مشوهة ومختلطة بعدما نشبت المعركة. ويتذكر جايلز فاندلير الامر قائلا: "بدا أن هناك مقدارا كبيرا من الصياح. فأعلمت جو بأنه يحسن بي الذهاب الى الامام لارى ما يحدث".

وكان الكابتن لانغتون اتخذ طريقه نحو الامام فعلا، وهو يمر في سيارته ببطء الى جانب المدرعات الواقفة حتى بلغ منحنى على الطريق. فرأى أمامه دبابات الطليعة الاربع وقد أصيبت جميعا، بما فيها دبابة الملازم ساموليسون وكانت تتصاعد من بعضها ألسنة النار. وكانت القذائف تأتي من مدفع ذاتي الحركة بين الاشجار الى اليسار، قرب ايلست. وما كاد جايلز فاندلير يصل حتى حاول أن يبلغ ابن عمه جو. لكن

هذا كان قد بدأ يصدر أوامره فعلا. فطلب بالراديو دعما من المدفعية، ثم رأى طائرات تيفون فوق رأسه فأمرها بالتدخل. غير ان ذلك لم يسفر عن أي نتيجة. وتبين أن جهاز الراديو معطل.

عندئذ اتخذ جو فاندلير سبيله الى الامام على الفور. وهو يسترجع الامر قائلا: "كانت الحال هناك في غاية الارتباك. وبذلنا كل المحاولات الممكنة، ولكن لم يكن هناك أي سبيل لازاحة الدبابات من الطريق والقائها على الجانب المنحدر لذلك السد اللعين. وكان دعم المدفعية الوحيد الذي استطعت الحصول عليه يتمثل في بطارية ميدان واحدة ذات بطء شديد في التصويب على الاهداف".

وقال لانغتون: "لا شك في أننا نستطيع الحصول على الدعم من مكان ما!" فهز فاندلير رأسه وقال: "أخشى أن يكون ذلك غير صحيح". فألح لانغتون بقوله: "اننا نستطيع أن نصل الى هناك، وفي امكاننا التقدم اذا حصلنا على دعم". لكن فاندلير هز رأسه مرة أخرى وقال: "آسف. عليك أن تبقى هنا حتى تبلغك أوامر أخرى".

اتضح لفاندلير أنه لا يمكن استئناف الهجوم قبل وصول وحدات جديدة من المشاة لمعاونة الحرس الايرلندي. والى أن يحدث ذلك، ستظل دبابات فاندلير منتشرة وحدها فوق الطريق العالي المكشوف.

وبذلك تمكن مدفع الماني واحد ذاتي الحركة، مصوب على الطريق العالي، من وقف طابور دبابات الاغاثة بأكمله على مسافة تقل عن عشرة كيلومترات من آرنهيم.

وفي موضع خلفي من طابور الدبابات، أمام بيت زجاجي للنبات قرب ايلست ظلت معظم نوافذه سليمة بمعجزة ما، أخذ الملازم جون غورمان يحدق بغضب الى الطريق الممتد أمامه. فقد كان غورمان، مذ بدأ طابور المدرعات تقدمه من الحدود البلجيكية، يشعر بحافز ملح على التحرك بسرعة أكبر. وقال: "لقد قطعنا المسافة كلها من النورماندي، واستولينا على بروكسل، وشققنا طريقنا بالقتال عبر نصف هولندا، وعبرنا جسر نيجميغين، وكانت آرنهيم ورجال المظلات المشتبكون فيها مع العدو على مرمى حجر منا. ومع ذلك فقد توقفنا، وها نحن على وشك أن نبلغ مرمى البصر من ذلك الجسر الاخير الدامي! انني لم أشعر قط بمثل ما انتابني آنئذ من يأس عميق".

مرجل الساحرات

كان مركز القتال قد انتقل الى بلدة أوستربيك، مقر قيادة أوركوهارت، فتلاشى هدوء البلدة الرصين وحل محله منظر ينتشر فيه الخراب وحفر القنابل وندوب الخنادق، وتنتشر في أرجائه شظايا الخشب والصلب، وتخيم عليه غمامة من تراب الطوب الاحمر والرماد. وكانت الطرق مسدودة بسيارات الجيب المحترقة وغيرها من المركبات المهشمة، وبالاشجار والابواب وأكياس الرمل وقطع الأثاث، وكذلك بأحواض الاستحمام وأجهزة البيانو. وخلف المنازل نصف المهدمة والحظائر، وعلى جوانب الشوارع وفي الحدائق المخربة، كانت تتمدد جثث الجنود

والمدنيين جنبا الى جنب. أما الفنادق التي كان يؤمها الناس للراحة والاستجمام فتحولت الى مستشفيات تقوم وسط متنزهات تتناثر فيها قطع الأثاث واللوحات الفنية والمصابيح المحطمة. وأما المظلات الملونة بالأشرطة الزاهية والتي كانت تغطي الشرفات الواسعة، فكانت تتدلى في أشرطة ممزقة قذرة.

ووسط محيط الخراب هذا، الذي أصبح الالمان يطلقون عليه اسم "مرجل الساحرات"، كان الهولنديون، الذين يراوح عددهم بين ٨٠٠٠ و١٠٠٠٠ رجل وامرأة وطفل، يكافحون للبقاء على قيد الحياة، فيزدحمون في الاقبية من دون غاز ولا ماء ولا كهرباء، وحتى من دون طعام تقريبا، مثلهم في ذلك مثل الجنود في قطاعات كثيرة. وكان هؤلاء المدنيون الهولنديون يعالجون الجرحى من المدافعين البريطانيين، ومن قاهريهم الالمان اذا دعت الحاجة ايضا.

وفي فندق شونرود، الذي استحال محطة رئيسية للعناية بالمصابين بحكم موقعه على الخط الامامي مباشرة، كتبت هندريكا فان دير فليست، ابنة صاحب الفندق، في مذكراتها:

"لم نعد نخاف، بل تجاوزنا ذلك كله. الجرحى يرقدون حولنا في كل مكان، وبعضهم يحتضر فلماذا لا نفعل مثلهم اذا طلب منا ذلك؟ لقد ضاعت كل ممتلكاتنا، لكننا لا نفكر في ذلك لحظة واحدة. واذا قدر لهذا الصراع أن يكلفنا حياتنا مثل البريطانيين، فسوف نقدم أنفسنا طوعا".

وعلى طول الطرق الصغيرة بين المزارع، وفي الحقول، وفوق السطوح، وخلف النوافذ المسدودة بالحواجز في أنقاض المنازل، وقرب الكنيسة في أسفل بلدة أوستربيك، كان جنود المظلات يلازمون مواقعهم بأعين غائرة وأعصاب متوترة. وكما يقول الكابتن بنيامين كليغ من كتيبة المظلات العاشرة: "ان ما أتذكره أكثر من أي أمر آخر هو ذلك الاحساس بالارهاق الشديد، الى حد أصبح معه الموت مرغوبا".

وكان الرجال في جميع أنحاء القطاع يقاتلون في معركة شرسة بالغة الارتباك، تختلط فيها معدات المهاجمين والمدافعين وقواتهم وتتداخل على نحو مجنون. وكثيرا ما كان الجنود البريطانيون يجدون أنفسهم يستخدمون الذخيرة والاسلحة الالمانية المستولى عليها، والدبابات الالمانية تتعرض للتدمير بفعل الالغام الالمانية، والالمان يقودون سيارات الجيب البريطانية ويشدون من عزائمهم بما استولوا عليه من مؤن كان يراد ايصالها الى المظليين البريطانيين. ويتذكر الكولونيل هارتسر الامر بقوله: "كانت تلك أرخص معركة حاربناها، اذ توفر لنا فيها مجانا كل ما احتجنا اليه من غذاء وسجائر وذخائر". وكان كل من الجانبين يعيد الاستيلاء على مواقع الآخر مرارا، بحيث أصبح متعذرا على العديد من الرجال أن يعرفوا على وجه التحقيق هوية القوة التي تشغل الموقع المجاور بين ساعة وأخرى.

وكان الالمان يرون أن التسليم هو السبيل الوحيد المعقول الذي يمكن ان



شاحنة امداد بريطانية وقد اصيبت مباشرة·

يسلكه البريطانيون، وهو ما اكتشفه الميجور ريتشارد ستيوارت من لواء المظليين الاول· فقد أسر الالمان ستيوارت واكتشفوا أنه يتكلم الالمانية بطلاقة، فساقوه الى مقر قيادة كبير· ويتذكر ستيورات القائد الذي قابله بوضوح تام· فقد كان الجنرال بيتريتش "رجلا طويل القامة نحيفا، في أوائل العقد الخامس أو منتصفه، يرتدي معطفا طويلا من الجلد الاسود وقبعة عسكرية"· ولم يتولّ بيتريش استجواب ستيوارت، "بل أخبرني ببساطة أنه يريدني ان أذهب الى قائدي وأقنعه بالتسليم لانقاذ الفرقة من الابادة"· ورفض ستيوارت المهمة بأدب، فألقى الجنرال الالماني "خطبة طويلة، قال لي فيها ان في امكاني انقاذ زهرة شباب الامة"· فكرّر ستيوارت القول انه لا يستطيع ذلك فيما كرر بيتريتش حثه على قبول المهمة· وسأله ستيوارت: "سيدي، لو كان كل منا مكان الآخر، فماذا يكون ردك؟" فهز القائد الالماني رأسه ببطء وأجاب: "كنت سأرفض"· فقال ستيورات: "وذلك هو ردي ايضا"·

غير أن الحال كانت تختلف في مقر قيادة أوركوهارت في فندق هارتنستاين الذي كان مبناه قد تهدم وشاع فيه الارتجاج من أثر سقوط

القذائف بالقرب منه. وكان أوركوهارت يتساءل كم من الوقت يمكنهم أن يصمدوا أمام فرقة مدرعات الصدام "س-س" التاسعة التي يقودها هارتسر، مع ما يدعمها من وحدات الجنرال هانز فون تيتاو ومن رماة المدرعات بقيادة الرائد سيب كرافت. وكان العدد الكلي الاصلي للقوات المظلية البريطانية يبلغ ١٠٠٠٥ من الرجال، وهم ٨٩٠٥ من الفرقة و١١٠٠ من طياري الطائرات الشراعية، هبطوا جميعهم في مناطق الانزال عند آرنهيم. لكن تقديرات أوركوهارت أفادت بأن عدد الرجال الباقين لديه من هذه القوات لا يزيد على الثلاثة آلاف، أي انه خسر ثلثي قوة فرقته في أقل من خمسة أيام.

"ما سبب هذه الحرب؟"

تكرر بذل المحاولات لاغاثة قوة أوركوهارت، لكن النجاح فاتها جميعا. وأوفد اللواء البولوني الاول بقيادة الجنرال ستانيسلاف سوسابوفسكي، فهبط جنوده بالمظلات في المنطقة يوم ٢١ سبتمبر (ايلول)، بعدما تأخروا منذ يوم ١٩ بسبب رداءة الطقس. وكان الالمان على أتم استعداد، فلم يمكن حصر أكثر من ٧٥٠ من الجنود الالف البولونيين بعد انزالهم. وتجمع هؤلاء الرجال في بلدة دريل على ضفة الراين الجنوبية. وكانوا قد اخبروا ان هناك قاربا يمكن أن يحملهم عبر النهر الى مواقع أوركوهارت مباشرة، لكنهم لم يجدوا له أثرا. فبذلوا خلال الليلتين التاليتين جهودا مستميتة لعبور النهر في قوارب صغيرة، وأسفر ذلك عن نتائج أليمة، اذ أن عدد الذين استطاعوا الوصول الى قطاع أوستربيك منهم لم يزد على ٢٥٠ رجلا، بلغوا غايتهم تحت وابل من نار الالمان القاتلة.

وعلى هذا النسق مضت الى نهايتها المحتومة عملية "ماركت - غاردن" التي كان مونتغومري يعلق عليها الامل في انهاء الحرب سريعا. وبقي الرجال على مسافة ١٠٠ كيلومتر رهيبة متشبثين بالجسور، يقاتلون بلا هوادة من أجل طريق واحد هو "الممر". واختفت الروح التي كانت سائدة قبل أسبوع نتيجة الاعتقاد ان الحرب على وشك الانتهاء. وتكرر ظهور وحدات من قوات العدو كان يُظن انها صفيت أو أبيدت. وبدا أن آلة الحرب النازية قد بعثت بمعجزة، بعدما كان الرأي السائد في الاسبوع الاول من سبتمبر (ايلول) هو انها تترنح على وشك الانهيار.

وتشتت سير المعركة فأصبحت اشتباكات متناثرة لا يشبه واحد منها الآخر. وفي فندق شونورد كانت هندريكا فان دير فليست تنام بكامل ملابسها بضع ساعات كل يوم، وتنهض بعدها لمعاونة الاطباء والممرضين على العناية بالمصابين الجدد الذين لا ينقطع سيلهم. وذات مرة حملت الى أحد الجنود البريطانيين الجرحى نصيبه الضئيل من الحساء والخبز الجاف، وهو الوجبة الوحيدة التي كان المستشفى يستطيع تقديمها. لكنه أشار الى مصاب آخر حُمل لتوّه وقال لها: "اعطيه هذه الوجبة". وأزاحت هندريكا الغطاء عن المصاب الجديد فانكشفت ملابسه


جريح يحمل الى ملجأ فندق هارتنستاين في آخر ايام القتال.

العسكرية الالمانية، فقال لها الجندي البريطاني: "أهو الماني؟" فهزت هندريكا رأسها ايجابا، فقال البريطاني: "أعطيه الطعام على أي حال، فقد أكلت البارحة". عندئذ حملقت هندريكا في وجهه وتساءلت: "ما سبب هذه الحرب اذاً؟".

وحدثت لجندي الاشارة كينيث بيرس واقعة لن ينساها أبدا، كما لن ينسى الرجل الذي تطوع لمعاونته فيها. فقد كان بيرس مسؤولا عن بطاريات التخزين الثقيلة التي تزن كل منها نحو ١٢ كيلوغراما وتمد أجهزة الاشارة لديه بطاقة التشغيل. وذات مساء في وقت متقدم، كان بيرس يكافح لنقل بطارية جديدة من خندق عميق، فسمع شخصا فوق رأسه يقول: "دعني أساعدك". فطلب بيرس من صاحب الصوت ان يمسك بأحد مقبضي البطارية ويجذبها الى أعلى، ثم تعاون الاثنان على جر صندوق البطارية الضخم الى خندق قيادة الموقع.

وقال بيرس: "هناك بطارية أخرى". فرد الرجل: "هيا نأتي بها". وقام الرجلان برحلتهما الثانية. ولدى عودتهما الى خندق القيادة وثب بيرس داخله بينما دلّى الرجل الآخر الصندوقين، واحدا بعد الآخر، وهو يحمل ثقلهما بقوة عضلاته حتى تلقاهما بيرس. وعندما انصرف الرجلان من الخندق لاحظ بيرس فجأة أن الرجل يحمل على ياقتيه شارات أركان الحرب الحمراء. فجمد في مكانه وقال متلعثما: "اشكرك جزيل الشكر يا سيدي". فرد عليه الجنرال أوركوهارت: "لا بأس يا بني".

وفي قلب الميدان، أخرج المدفعي

جيمس جونز من حقيبته الشيء الوحيد غير العسكري الذي حمله معه، وهو ناي كان يعزف عليه وهو فتى. ويتذكر جونز الامر بقوله: "كنت أريد أن أعزف على ذلك الناي مرة أخرى. وكانت السماء تمطر قذائف مدفعية طوال ثلاثة أيام أو أربعة دونما انقطاع، وكنت خائفا الى أبعد حد، فأخرجت الناي وبدأت أعزف عليه".

وكان الملازم جيمس وودز على مقربة، فطرأت له فكرة نفذها حالا، اذ ضم اليه جنديين آخرين من جنود المدفعية. وخرج الثلاثة من خنادقهم وأخذوا يسيرون وراء جونز دائرين بمواقع المدفعية، فيما كان جونز يعزف على نايه والملازم وودز يغني، وقد خلع جنديا المدفعية خوذتيهما وأخذا ينقران عليها بالعصي. وسمع الرجال المرهقون في المواقع أنغام أغنية "الرماة البريطانيين" وأغنية "اسكوتلندا الجسورة" تتسرب اليهم رقيقة في أنحاء القطاع، فبدأوا بدورهم يغنون، بصوت خافت في البداية. وعندما رفع وودز صوته الى أعلى طبقاته، تفجر الغناء عاليا من حناجر الرجال في جميع مواقع المدفعية.

وعبر الشارع، تركت كيت تير هورست أطفالها الخمسة والمدنيين الاحد عشر المختبئين في قبو منزلها الذي لا تزيد مساحته على الامتار الثلاثة طولا والمترين عرضا، واتخذت طريقها عبر الجرحى في الطابق الاعلى. وكان بيتها ذو الاربع عشرة حجرة، الذي يبلغ عمره ٢٠٠ سنة، قد طمست معالمه تماما. فقد اختفت النوافذ، "وملأ الجرحى كل شبر في القاعة الرئيسية وقاعة الطعام وغرفة المكتب وغرفة الحديقة وغرف النوم والممرات والمطبخ والمستوقد"، كما تتذكر السيدة هورست. بل كان هناك جرحى يرقدون في مرآب السيارات وتحت السلم. وكان عددهم في البيت والارض الملحقة به يزيد على الثلاثمئة، ينضم اليهم مصابون جدد كل دقيقة.

ورأت كيت تير هورست خارج البيت سحابة معلقة فوق ميدان القتال. وكتبت في مذكراتها: "السماء صفراء، وهناك سحب قاتمة ترتفع كالخرق المبتلة. وقد انشق جوف الارض". ورأت في الارض المحيطة بالبيت "الموتى، موتانا، وقد أشبعتهم الامطار بللا وتصلبت أجسادهم. وهم مستلقون على وجوههم، تماما كما كانوا البارحة وقبل البارحة، وبينهم ذلك الرجل ذو اللحية المشعثة والآخر ذو الوجه القاتم، وكثيرون سواهما". وانتهى الامر بدفن ٥٧ رجلا في حديقة البيت.

أما أسرة فان مانين - التي تتألف من أنجي وأخيها بول وعمتهما - فكانت تعمل طوال النهار والليل في فندق تافلبيرغ في اشراف والد أنجي، الطبيب غيريت فان مانين. ويتذكر بول، الذي كان وقتذاك طالب طب، "أن يوم الاحد كان رهيبا، اذ أخذت القذائف تصيب المبنى طول الوقت. وتذكرت أن من واجبنا عدم اظهار الخوف أمام مرضانا، ولكن كنت على استعداد لان أقفز خارج الغرفة صارخا. غير اني لم أفعل ذلك، لان الجرحى ظلوا متمالكين أنفسهم في هدوء تام". ويتذكر بول أنه بينما كان المصابون ينقلون من غرفة أتلفتها القذائف الى أخرى، "بدأنا نغني:

فغنينا للبريطانيين وللالمان ولانفسنا وبدا أن الجميع شاركوا في الغناء، كان بعضهم يتوقف لاختناقه بالدموع المنبثقة من عواطفه الجائشة. لكنهم لا يلبثون أن يواصلوا الغناء".

وأخيرا، يوم الاحد ٢٤ سبتمبر (ايلول) عقدت هدنة موقتة. وعلى مدى ساعتين - بين الثالثة والخامسة مساء - تم اجلاء الجرحى البريطانيين الى مستشفى ميداني يديره الالمان في آرنهيم. وبعد ذلك، كما يقول المدفعي بيرسي باركس، "انطلقت حمم الجحيم مرة أخرى".

وفي الوقت نفسه تقريبا، في موضع متأخر من الممر عند بلدة سانت أودينرودي، التقى رجال ثلاثة: الجنرال بريان هوروكس قائد الفيلق الثلاثين، والجنرال فريدريك براونينغ قائد المظليين، والجنرال مايلز ديمبسي قائد الجيش الثاني. وكانت لدى هوروكس خطة جديدة لعملية برمائية واسعة النطاق لعبور الراين عند بلدة دريل، لكن ديمبسي رفضها قائلا: "كلا، أخرجهم من هناك". ثم التفت الى براونينغ وسأله: "هل توافق على ذلك؟" فهز براونينغ رأسه موافقا في صمت حزين. وفي الساعة ٦،٤٥ من صباح ٢٥ سبتمبر (ايلول) تبلّغ الجنرال أوركوهارت أمر الانسحاب.

كان اوركوهارت عند تخطيط عملية آرنهيم تلقى وعداً بان تصله قوات العون خلال ٤٨ ساعة. وكان الجنرال براونينغ يتوقع من فرقة المظليين الأولى ان تصمد بمفردها مدة لا تتجاوز الايام الاربعة في اقصى التقديرات. لكن الفرقة قامت بعمل عسكري لم يسبق له مثيل، اذ صمدت وحدها فترة تفوق ضعفي تلك المدة القصوى. وكان الانسحاب امراً مريراً بالنسبة الى الاسكوتلندي الشجاع (اوركوهارت)، لكنه كان يعلم ان ذلك هو الطريق الوحيد، لأن عدد رجاله انخفض من عشرة آلاف الى أقل من ٢٥٠٠، ولم يعد يمكنه ان يطلب منهم المزيد من الصمود. فالوقت كان قد ازف حقاً لاخراج ابطال آرنهيم من جحيمهم.

ومن سخرية القدر ان عملية الجلاء هذه اطلق عليها اسم "عملية برلين"!

الانسحاب

لم يكن هناك سوى سبيل واحد للانسحاب، هو عبور مسافة الاربعمئة متر الرهيبة، وهي عرض الراين عند بلدة دريل. وقد قال اوركوهارت لاحقاً: "وضعت خطة للانسحاب شبيهة بانطباق كيس ورق. وهي تقضي بان تتمركز جماعات صغيرة في مواضع استراتيجية لتعطي انطباعاً باننا لا نزال موجودين، مع مواصلة الانسحاب في الوقت نفسه على طول كل جانب".

وكان على قادة الطائرات الشراعية ان يؤدوا دور الادلاء ويوجهوا الرجال على طول طريق الانسحاب المميز في بعض المناطق باشرطة بيضاء، حتى يبلغوا ضفة النهر. وهناك يتولى المشرفون تنظيم صعودهم الى اسطول الاجلاء الذي يتألف من ١٤ زورقاً من ذوات المحركات تديرها فصيلتان من سلاح المهندسين الكندي، ويتسع كل منها لاربعة عشر رجلا، اضافة الى عدد من الزوارق الاصغر حجما التي بقيت من عمليات العبور السابقة.

وكان اوركوهارت يقامر على ان الالمان سيفترضون ان الرجال يحاولون الانتقال بالزوارق الى داخل القطاع وليس الى خارجه. لكنه لم يتوقع ان تجري عملية الاجلاء من غير محاولة للتدخل من جانب العدو. وعلى رغم ان كل مدفع صالح للعمل لدى الفيلق الثلاثين سيؤدي مهمته لحماية رجاله، الا ان اوركوهارت كان يتوقع ان ينجح الالمان في ايقاع خسائر كبيرة برجاله. وكان الوقت واحداً من اعدائه، لان اتمام عملية الجلاء سيستغرق ساعات طويلة.

وفي ملجأ فندق هارتنستاين، اعلن اوركوهارت النبأ لضباطهالمحيطين به قائلا: "سنخرج من هنا الليلة"، وشرح لهم المعالم الرئيسية لخطته. ولم يكن النبأ مثار دهشة، لأن الموقف كان قد بلغ مرحلة ميئوساً منها تماما منذ وقت طويل.

وكان الالمان، طوال ذلك اليوم، قد تابعوا هجماتهم بعنف في محاولات متكررة لاجتياح المواقع. وبدأ خبر الانسحاب ينتشر بينهم بعيد الثامنة مساء. وتملك الرقيب ستانلي ساليفان غضب شديد حين بلغه النبأ: "كنت موقناً من اننا خسرنا المعركة على اي حال. فمن الأفضل لنا ان نسقط ونحن نقاتل". وكان موقع ساليفان في مدرسة، كما يقول، "الصغار يحاولون فيها ان يتعلموا. وجزعت لما قد يصيب اولئك الاطفال كلهم اذا انسحبنا. ووجدت لزاماً علي ان اجعلهم يعرفون، هم والألمان ايضاً، حقيقة مشاعرنا". واتجه ساليفان الى اللوح في حجرة الدراسة التي كان يدافع عنها، وكتب باحرف كبيرة العبارة الآتية: "نحن عائدون" (*)، ووضع تحتها بضعة خطوط.

وفي تمام التاسعة مساء، شق سماء الليل الحالكة بريق مدافع الفيلق الثلاثين وقد انطلقت كلها مجتمعة، واندلعت النار في جميع انحاء القطاع نتيجة لوابل القذائف الذي انهمر على المواقع الألمانية. وبعد ٤٥ دقيقة بدأ رجال اوركوهارت انسحابهم، واعانهم على ذلك سوء حال الطقس الذي منع وصول القوات والامدادات اليهم في الوقت المناسب طوال الاسبوع. وبدأ الانسحاب في احوال جوية شبه عاصفة، ساعدت مع ضجيج القذف على تغطيته.

وفي غمار الريح العنيفة والمطر المنهمر، تجمع الأحياء الباقون من فرقة المظليين الأولى بوجوه قاتمة، وقد ربطوا معداتهم ولفوا احذيتهم بالقماش لئلا تحدث صوتاً، واصطفوا ليتخذوا سبيلهم الحذر الى ضفة النهر. وكان الظلام والجو العاصف يجعلان الرؤية الى أبعد من مترين أمراً مستحيلا. فشكّل الجنود سلسلة حية، ممسكين بعضهم بأيدي بعض او بطرف سترة التعمية التي يرتديها الزميل السائر أمام كل منهم.

وفي فندق هارتنستاين ختمت مذكرات الحرب واحرقت الأوراق. ثم قام هانكوك، جندي المراسلة الذي يتولى خدمة الجنرال، بلف حذاء اوركوهارت باشرطة منتزعة من

(*) لم يقدر للاطفال أن يقرأوا تلك العبارة أبداً، لان الالمان، في معرض انتقامهم من الهولنديين، أمروا في ٢٧ سبتمبر (ايلول) باخلاء منطقة آرنهيم بأكملها. وظلت بلدة آرنهيم والقرى المحيطة بها خالية من السكان حتى الايام الاخيرة من الحرب.

الستائر، وركع الجميع امام قسيس الفرقة الذي تلا الصلاة. وتذكر اوركوهارت زجاجة ويسكي كان مراسله وضعها في متاعه يوم بدء الهجوم، "فأدرتها على الحاضرين، وتناول كل منهم رشفة". وهبط اوركوهارت أخيرا الى الملجأ لتفقد الجرحى "في ضماداتهم الدامية وجبائرهم الخشنة"، وحيّاهم مودعاً.

وعند ضفة النهر كانت عمليات العبور قد بدأت. وكان المشرفون يدفعون الرجال الى القوارب فور وصولهم. وعلى رغم ان الالمان لم يكونوا قد ادركوا بعد ان هناك انسحابا يجري، الا انهم تمكنوا من رؤية التنقلات عبر النهر في ضوء المشاعل. فبدأت القذائف المدفعية تسقط على القوارب لتثقبها وتغرقها. وارتفعت صرخات الرجال الذين يكافحون في الماء طالبين النجدة، بينما حمل التيار زملاءهم الموتى بعيداً. وتعلق الجرحى بحطام القوارب واخذوا يحاولون السباحة الى ضفة النهر الجنوبية. ولم تكد تمضي ساعة واحدة حتى كان نصف اسطول الاجلاء قد دمر. لكن عمليات النقل لم تتوقف.

وعلى طول ضفة الراين وفي المروج والغابات الواقعة خلفها، كان مئات الرجال ينتظرون. لكن غرق نصف الأسطول وتعرض بقيته لنار المدافع الرشاشة الكثيفة اديا الى الانحصار في عنق الزجاجة الذي كان اوركوهارت يخشى وقوعه. وحدث ارتباك في الصفوف. ومع ان الامر لم يبلغ حد الفزع والفوضى، الا ان كثيرين من الرجال حاولوا الاندفاع الى الامام، بينما حاول ضباطهم ورقباؤهم ضبطهم والسيطرة عليهم. ويتذكر العريف توماس هاريس، من الكتيبة الأولى، الموقف بقوله: "كان هناك مئات ومئات ينتظرون العبور. وكانت القوارب ترزح تحت ثقل الرجال الذين يحاولون ركوبها". وبدأت القذائف المدفعية تسقط في منطقة التجمع بعد توصل الالمان الى التصويب الصحيح. وقرر هاريس، كما قرر كثيرون سواه، ان يعبر النهر سباحة، فخلع ملابس الميدان والحذاء وغطس في الماء... ووجد، لدهشته، انه نجح في عبور النهر.

اما الجندي الفريد دلفورس، من الكتيبة العاشرة، فقد سبح الى ضفة النهر الجنوبية عارياً تماماً. وهناك وجد امرأتين تقفان على الضفة مع بعض الجنود، فانتابه حرج شديد، وشعر بحافز يدفعه على العودة الى الماء". لكن احدى المرأتين نادته وناولته رداء نسائياً "من غير ان تطرف لها عين ازاء جسدي العاري"، كما يذكر، "واهابت بي الا اقلق، لانهما تقفان على الضفة لمعاونة الرجال الذين يعبرون". ومضى الجندي دلفورس وهو يرتدي رداء نسائياً يبلغ ركبتيه وقبقاباً خشبياً، واقتيد الى شاحنة بريطانية تحمل المنسحبين الى نيجميغين.

ومع بزوغ الفجر كان معظم اسطول الاجلاء قد دمر. غير ان المهندسين الكنديين والبريطانيين ظلوا يتحدون القذائف المدفعية ونار الرشاشات الثقيلة، وينقلون الرجال في القوارب الباقية.

وذهب الجنرال اوركوهارت، بعد

عبوره النهر، الى منزل يقع على المشارف الجنوبية لبلدة نيجميغين. "وقادنا الرائد هاري كاثور، مساعد الجنرال براونينغ، الى احدى الغرف، واقترح علينا ان نغير ملابسنا المبتلة". لكن الاسكوتلندي الشامخ رفض – "لأني اردت ان يرانا براونينغ كما نحن، وكما كنا في المعركة". وبعد ذلك بفترة، في غرفة النوم التي خصصت له، وجد اوركوهارت ان النوم الذي كان يتوق اليه منذ فترة طويلة عز عليه تماما، "اذ كان عقلي وضميري مثقلين بامور كثيرة جدا".

وكان هناك فعلا كثير من المسائل التي تستحق التفكير، لأن فرقة المظليين الاولى ضُحّي بها وتعرضت لمذبحة كاملة، فلم يرجع من رجالها عبر الراين سوى ٢١٦٣ رجلا من قوتها الاصلية التي كانت تبلغ ١٠٠٠٥. وسقط منها خلال تسعة أيام نحو ١٢٠٠ قتيل وبلغ عدد المفقودين والاسرى والجرحى ٦٦٤٢ أسير. وتبين في وقت لاحق ان الالمان تعرضوا هم ايضا لخسائر كبيرة، وبلغ عدد اصاباتهم ٣٣٠٠، منهم ١١٠٠ قتيل.

وطبقاً للحساب الاجمالي، خسرت قوات الحلفاء في عملية "ماركت – غاردن" اكثر مما خسرته في عملية غزو النورماندي الجبارة، اذ يتفق معظم المؤرخين على ان مجموع خسائر الحلفاء خلال فترة الاربع والعشرين الساعة ليوم الغزو ٦ يونيو (حزيران ١٩٤٤)، يراوح بين عشرة آلاف و١٢ الف اصابة، في حين ان مجموع الخسائر خلال الايام التسعة لعملية "ماركت – غاردن" في القوات المظلية والارضية معاً، زاد على ١٧ الف رجل بين قتيل وجريح ومفقود.

الناقوس

انتهت مغامرة آرنهيم، ولم يبق سوى التراجع وتوطيد المراكز. اما الحرب فقد قدر لها ان تستمر حتى شهر مايو (ايار) ١٩٤٥. وكتب احد المؤرخين عن ذلك: "على هذا النحو باءت اضخم العمليات المظلية في الحرب كلها بالاخفاق. وعلى رغم تأكيدات مونتغومري ان العملية نجحت بنسبة ٩٠ في المئة، الا ان ذلك لا يمثل اكثر من عزاء لفظي. صحيح ان جميع الاهداف المنشودة تم الاستيلاء عليها باستثناء آرنهيم. الا ان كل هذه الاهداف لم تكن ذات قيمة تذكر من دون آرنهيم. وتمخضت كل معجزات الشجاعة وجبال التضحيات التي تحملتها القوات عن الاستيلاء على نتوء دفاعي داخل المناطق التي يسيطر عليها العدو، يبلغ طوله ٨٠ كيلومترا ولا يؤدي الى مكان".

وبينما اخذ الرجال يتدفقون عائدين، وقف احد الضباط ساعات طويلة تحت المطر وهو يتأمل وجوه العائدين واحداً واحداً. كان ذلك الكابت اريك ماكاي، الذي صمد مع الكولونيل فروست ذلك الصمود الاسطوري عند جسر آرنهيم. وقد قبض عليه الالمان اسيراً، لكنه تمكن من الهرب وبلوغ نيجميغين، حيث وقف يبحث عن اعضاء سربه في صفوف جنود فرقة المظليين الخارجين من اوستربيك. وقال يصفهم بعد ذلك: "كان اسوأ ما رأيته وجوههم التي كانت ترتسم عليها من الارهاق والعياء تعابير لا تصدق".

وظل ماكاي واقفاً الى جانب الطريق طوال تلك الليلة حتى طلع الفجر. "ولم الق وجهاً واحداً اعرفه. وتملكتني كراهية للجميع وانا اواصل المراقبة، وكرهت المسؤول عما حدث اياً يكن شخصه، وفكرت في اهدار حياة الرجال على هذا النحو السفيه وفي فرقة رائعة الفيت باكملها في بالوعة... لماذا؟" وكان الضوء قد انتشر في السماء حين عاد ماكاي الى نيجميغين. وهناك بدأ عملية المراجعة والحصر عند نقاط التجمع والايواء، وقد صمم على ان يعثر على رجاله. وتبين في النهاية ان سرب المهندسين الذي ينتمي اليه لم يعد من رجاله المئتين سوى خمسة فحسب، منهم ماكاي نفسه.

وبقي على الجانب الآخر من النهر الجنود والمدنيون الذين اقتضت اعمالهم او اصاباتهم ان يتخلفوا. كما تخلفت مجموعات صغيرة من الرجال الذين وصلوا الى نقاط العبور متأخرين، فقبعوا في الخنادق التي اصبحت غير محمية. ولم يكن لدى هؤلاء المتخلفين اي امل باق، فظلوا في القطاع الذي صبغه سواد الحرائق ينتظرون مصيرهم.

وفي فندق شونورد، في القاعة الكبرى حيث كان معظم الجرحى لا يزالون يحتمون، بدأ احد الجنود يعزف على البيانو خليطاً من الاغاني الشعبية، والرجال يصاحبونه بغنائهم.

ويقول القسيس ج. ا. بير: "بدا الأمر غريباً بعد جحيم الأيام القليلة السابقة. وهو امر لم يستطع الالمان فهمه، وان يكن تفسيره بسيطاً. ذلك ان التوتر واحساس الرجال بانهم تركوا وحدهم احدث لديهم رد فعل هائلا، ولم يبق لديهم ما يفعلونه سوى الغناء". وفي ما بعد، بينما كانت هندريكا فان ديرفليست وسائر المدنيين الهولنديين يستعدون للرحيل لمعاونة الجرحى في المستشفيات الالمانية، لوح لهم القسيس بير بيده مودعا وقد تملكه الأسف: "لقد قاسوا معنا وتحملوا الجوع والعطش، ومع ذلك فانهم لم يفكروا في انفسهم".

وبينما كانت آخر سيارات الاسعاف تختفي، تولى القسيس بير وافراد الخدمة الطبية تحميل ممتلكاتهم القليلة في شاحنة المانية. وهو يتذكر الأمر بقوله: "لقد ساعدنا الألمان. وكان الجو خالياً من العداء على نحو غريب. ولم يكن لدى احد منا ما يقوله".

وعبر الشارع من الكنيسة، كانت كيت تير هورست قد ودعت الجرحى الذين اصبحوا جميعهم اسرى حرب. ومضت تجر عربة يدوية بصحبة أطفالها الخمسة متجهة الى بلدة آبلدورن. وبعدما قطعت مسافة قصيرة، توقفت ونظرت خلفها الى المنزل القديم الذي كان بيتها. وكتبت عن ذلك: "كان هناك شعاع من الشمس يلمع على مظلة هبوط فاقعة الصفرة تتدلى من السقف. كانت صفرتها فاقعة... تحية من المظليين... وداعاً ايها الاصدقاء... بارك الله فيكم".

اما الفتاة آنجي فان مانين، التي اتخذت طريقها الى بلدة آبلدورن كذلك، فقد ظلت تبحث عن ابيها وسط سيارات الصليب الأحمر ومحفاته

المارة بها وهي تحمل الجرحى من فندق تافلبيرغ. وكانت آنجي مع عمتها وأخيها تحملق في الوجوه المألوفة التي عرفتها طوال الاسبوع. ثم رأت اباها في احدى الشاحنات التي كانت مارة بها، فصرخت وانطلقت راكضة. وتوقفت الشاحنة وهبط منها الدكتور فان مانين ليحيي اسرته. وعانق الثلاثة وقال: "اننا لم نبلغ من قبل هذا الحد من الفقر ومن الثراء في آن: لقد فقدنا قريتنا وبيتنا وممتلكاتنا، لكننا نمتلك بعضنا بعضاً، ولا نزال أحياء". وعاد الدكتور فان مانين الى ركوب الشاحنة كي يعنى بالجرحى، بعدما رتب الأمر بحيث يلتقي اسرته في آبلدورن.

وسارت انجي بين مئات اللاجئين الآخرين، ثم التفتت الى الوراء. وكتبت بعد ذلك تصف ما رأته: "كانت السماء ذات لون قرمزي، مثل دماء المظليين الذين بذلوا حياتهم من اجلنا. وكنا نحن الاربعة أحياء. لكن المعركة، في نهاية اسبوع القتال اليائس ذاك، تركت في اعماق نفسي اثراً لا يمحى ... المجد لكل اعزائنا الجنود البريطانيين الشجعان ولكل من قدم حياته لاعانة الآخرين".

وفي بلدة دريل، استيقظت متطوعة الصليب الأحمر كورا بالتوش على صمت غريب. كان الوقت منتصف نهار الثلثاء ٢٦ سبتمبر (ايلول). واحست بما اصاب جسدها من تصلب نتيجة الشظايا التي اخترقته، وبالحيرة ازاء هذا الصمت غير المألوف. فذهبت تعرج ببطء الى الخارج، لتجد سحب الدخان تتصاعد من وسط البلدة ومن بلدة اوستربيك الواقعة عبر النهر. لكن اصوات المعركة كانت قد اختفت تماما. وسحبت كورا دراجتها ومضت بها على مهل صوب البلدة، فوجدت الشوارع مهجورة والجنود اختفوا، ورأت على بعد آخر السيارات في قافلة تتجه جنوباً نحو نيجميغين، ثم رأت بالقرب من احدى كنائس دريل المحطمة عدداً قليلا من الجنود يتكئون على بعض سيارات الجيب.

وللحال ادركت كورا ان البريطانيين والبولونيين ينسحبون. فقد انتهى القتال، ولن يلبث الالمان ان يعودوا. واذ بدأت تسير نحو جماعة صغيرة من الجنود، اخذ الجرس المعلق في برج الكنيسة يدق عالياً. ونظرت كورا الى اعلى فرأت احد المظليين جالساً في قبة الجرس وحول رأسه ضمادة كبيرة، فصاحت تسأله: "ماذا حدث؟" واجابها: "لقد انسحبنا، ونحن اخر مجموعة". وحدقت كورا اليه وعادت تسأله: "ولماذا تقرع الجرس؟" فرفس الجندي الجرس مرة اخرى، فارتفع رنينه يردد اصداءه فوق القرية الهولندية التي يبلغ عمرها الف عام قبل ان يخفت ويتلاشى. ثم نظر الجندي الى اسفل صوب كورا وقال: "لقد بدا ان هذا هو اليق ما يمكن عمله".

■ **كورنيليوس ريان**

الحظ العاثر كالسكين: تفيدنا اذا امسكناها من المقبض وتجرحنا اذا امسكناها من النصل.



مجوهرات الكوارتز من صنع اوميغا صورت في مسرح لاسكالا في ميلانو

ن اليسار الى اليمين : BA 891.8872B, BA 891.8742B, BA 891.8883 A أجزاء النماذج الثلاثة الداخلية مصنوعة من كوارتز ، الاطار والسوار عيارهما ١٨ قيراطا . رابطها مثبت على الماس . ياقوتية بلورية . نماذجها مسجلة .

تريها من وكيل اوميغا الرسمي فقط ، واطلب معها الكفالة الدولية .

